إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

إحياء علوم الدين

للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

المتوفى في سنة ٥٠٥ هـ

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريج

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الكتاب : إحياء علوم الدين وبهامشه نور اليقين

المؤلف : الإمام الغزالي - محمد الحافظ التجاني

رقم الإيداع : ١٨٣٢٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977 -215 -681 - 4

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والعرض الدائم { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله ، والصلاة والسـلام على سيـد الخلق رسول الله ، صلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد رسول رب العالمين رحمة للعالمين

لقد أوحى الله عز وجل إلى رسوله ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدثر : ١ ، ٢) ، فأطاع ﷺ ربه ، وقام على الصفا ونادى قومه، وخطب فيهم ، وسألهم : « أولو أخبرتكم أن قوما سيغزونكم خلف هذا الجبل ، أكنتم مصدِّقيّ »؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبًا . ونادى فـيهم المعصوم الميمون : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناسَ مـا كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعًـا ما غررتكم ، ووالله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم » .

من هنا ، فى هذا المكان ، وهذا الزمان ، انطلقت دعوة الحـق ، ودعوة النور التى محا الله بها ظلمات الضلالة ، وظلم البشر للبشر .

لقد كانت الإنسانية مكبلة بقيود التقليد والتقاليد. قال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ (مريم : ٩٧) .

وهذا يدل على أنه ﷺ أمره ربه أن يبلغ أمر الله للعالمين: من آمن به ومن لم يؤمن .

وقد أخبرنا الله عز وجل أن الأمم غيَّرت وبدَّلت . قال تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة : ٧٩) .

وقد شهد التاريخ بتحريف الرسالات .

فأين الوحى الذى أنزل على المسيح عليه السلام، وبلَّغه قومه ، وخرج من بين شفتيه ؟ وداود وموسى والأنبياء ، وما يوجد فى كتبهم الآن يُعد من كتب السيرة والتاريخ . لقد ضاعت أصول هذه الكتب عبر التاريخ .

وخذ مثلا الأناجيل، وهى كتب أجمع أهل العلم - حتى المسيحيون منهم - على أن قوما كتبوها ، فلان وفلان ، فليست من الوحى الذى أوحى الله إلى المسيح عليه السلام وبلغه قومه، وخرج من بين شفتيه - وهذا هو حقيقة الإنجيل الذى أمرنا الله ورسوله بالإيمان به - ولا هى من تأليفه عليه السلام حتى تعتبر حديثًا ، غير خطبة الجبل وبعض كلامه فى خلال سرد تاريخ حياته وسياقه .

وهلمَّ إلى كتاب الله عز وجل ، فقد تكفل الله بحفظه وقال عنه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

فكأنما نسمعه من الذات المقدسة كفاحا . وقال فيه أيضا :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (الزمر : ٥٥) .

وقال أيضًا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء : ٩) .

وانظر معنى ﴿ أَقْوَمُ ﴾ : فليس مستقيما فحسب ؛ بل هو أعدل وأفضل .

ورسالة الرسل جميعًا جزء من رسالته ﷺ ، وأولى أن يندرج فى رسالته ما كان دون دعوة الرسل من المبادئ الصالحة التى يدعو إليها الحكماء والمصلحون .

وتكفُّلُ الله تعالى بحفظ كتابه يستلزم حفظ بيان الرسول ﷺ له ، فليس المراد تبليغ ألفاظ القرآن مجردة عن مقاصدها ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤) .

فإذا كان المقصود تبليغ القرآن وبيانه، فقد حفظ الله عز وجل رسالته إلى الناس ، وحفظ بيان هذه الرسالة التى قام بها رسول الله ﷺ ، وقد أرسل رسول الله ﷺ رسله إلى الآفاق لدعوة الأمم إلى ما كلّفه به سبحانه وتعالى ، فإنه أرسل إلى الأمم قاطبة إلى قيام الساعة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبا : ٢٨) .

أمر الله بطاعة رسوله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النساء : ٦٤) .

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء : ٥٩) .

قال الله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء : ٨٠) .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء : ٦٥) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الاحزاب : ٣٦) .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٣١) .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الاحزاب : ٢١).

ومعنى قول الله تعالى فى هذه الآية الشريفة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أى: ائتسوا برسول الله ﷺ ، واقتدوا به ، فهو المثل الأعلى للكمال الإنسانى .

فلابد من معرفة بدايته ﷺ ، وسيرته ، ومكارمه ، وما أنعم الله به عليه فى حياته، من حيث هو فرد ونبى ورب أسرة وأب وأخ ، وداع إلى الله ، وصراط مستقيم ، ونور وبرهان من ربه ، وقائد وحاكم فى حربه وسلمه ، وعباداته ومعاملاته ، من حيث هو قدوة ونبراس ومشرِّع للعالمين، فى كل زمان ومكان ، وخاتم النبيين .

ولم يحدد الحق تبارك وتعالى طاعة رسوله ﷺ بحدٌ ، لأنه رسول الله ، قد ائتمنه على رسالته . ولم يقل ليطاع فى شىء دون شىء ، فإنه لا يأمر بما لا يُرضى الله عز وجل ، فذلك مستحيل .

ومعنى : ﴿ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ اى: أطيعوه ، فهو أمر من الله بطاعته .

والطاعة هنا عامة : ولا يعقل أن يأمر الرسول ﷺ إمراً فنطالبه بنص من القرآن على هذا الأمر ، لأننا آمنا بأنه رسول الله ﷺ ، وأنه الصادق المصدوق ، وأنه لا يأمر إلا بما فيه رضاء الله تبارك وتعالى . والرسول ﷺ أعلم الخلق بكتاب الله ، وقد أُنزل عليه وأُمر ببيانه للناس .

والمؤمن لا يجوز له أن يفعل فعلا ، أو يقول قولا إلا إذا علم حكم الله فيه. فإن كان واجبًا أتى به على سبيل الوجوب ، وإن كان مندوبًا أتى منه بما استطاع ، وإن كان حرامًا تركه، أو مكروهًا ابتعد عنه ما استطاع ، إلا إن كانت هناك مصلحة تنتفى معها الكراهة ، وإن كان مباحًا فهو مخيَّر فى الفعل والترك ، على الأصول والقواعد المبينة فى شرع الله .

وإذا كان الحكم منصوصًا عليه فى كتاب الله عز وجل صريحًا ، فلا يحل لمؤمن أن يحيد عنه ، فإن لم يكن منصوصًا عليه فى كتاب الله ، فقد دلَّنا منزِّل الكتاب سبحانه على ما بينه

رسول الله ﷺ ، بقوله أو فعله أو إقراره ، لأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة ، فإن لم نجد نصاً عليه فى كتاب الله ، ولا عن رسول الله ﷺ ، فقد دلَّنا منزِّل الكتاب سبحانه فى كتابه ، أن نرجع إلى أولى الأمر، وهم الذين علموا كتاب الله ، وما جاء عن رسول الله ﷺ .

وقد بينهم الله عزوجل فى كتابه فقال عز شأنه :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٨٢، ٨٣).

فأولو الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وجعل طاعتهم من طاعة الله ورسوله ، هم ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وعن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : ﴿ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ يعنى : أهل الفقه والدين .

ومن أولى الأمر كذلك ، أمراء رسول الله ﷺ الذين أمَّرهم على السرايا فى البلاد ، وكذلك الأمراء الذين يأمرون بما أمر الله به ورسوله ، وما استنبطه أهل الفقه والدين - علماء الأمة ، ورثة الأنبياء - مما لم يرد فيه نص فى كتاب الله عز وجل أو عن رسوله ﷺ ، ولكنه فرع عن أصل فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢) .

فأوجب الله عز وجل على المؤمنين ، أن يحمل المتأهل منهم ، أصول الدين وفروعه عن الرسول المعصوم ﷺ ، ويبلغوا قومهم - إذا رجعوا إليهم - ما حفظوه عنه ﷺ ، وهم الطبقة الأولى الذين أخذوا عن رسول الله ﷺ مباشرة ، والذين أخذوا عنهم ولم يجتمعوا برسول الله ﷺ ، هم الطبقة الثانية بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، وسماهم أهل العلم : التابعين ، لأنهم يندرجون فيمن تبع السابقين الأولين بإحسان ، ما عملوا بعملهم .

من لا يأخذ إلا بالقرآن

أما من لم يأخذ إلا بالقرآن فيجب عليـه أن يأتى من القرآن بنص يأمرنا بألا نأخذ بحديث رسول الله ﷺ .

ومن يزعم أنه لا يأخذ بالسنة ويكتفى بالقرآن ، بأى مبرر استجاز ذلك لنفسه ؟ لا يستطيع أن يأتى بدليل من القرآن على ترك ما جاء عن رسول الله ﷺ ، وكان يجب عليه أن يأتى بنص صريح من القرآن ، ألا نتبع الرسول ﷺ إلا فيما جاء صريحًا فى القرآن .

وإن من يريد فهم القرآن لا يستطيع أن يفهمه كما ينبغى أن يُفهم إلا إذا أحاط بأسباب النزول ، وفى الظروف والمناسبات التى نزل فيها ، فإن القرآن الكريم نزل بالتوالى مدة ثلاث وعشرين سنة ، فى أحوال خاصة ووقائع خاصة .

فكيف نستطيع أن نعرف معنى قوله تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (القيامة : ١٦ ، ١٧) ، إن لم نعرف سبب نزولها.

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (المجادلة : ١).

وكيف نعرف معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ ﴾ (النجم : ١٣ ، ١٤).

وكيف نعرف قصر الصلاة ، وكيف نعرف معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ﴾ (الأحزاب : ٣٧).

وكيف نعرف معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة : ١١).

وكيف نعرف معنى قوله تعالى :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝٣ ﴾ (الحشر : ١-٣) .

كيف نفهم هذه الآيات وغيرها إذا لم نعرف أسباب النزول ؟

لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى السُّنَّة .

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء : ٦٥) .

فهل حكّم أصحاب رسول الله ﷺ الرسول فيما شجر بينهم واختلفوا فيه؟ وبماذا حكم رسول الله ﷺ ، وبماذا قضى؟ بآبائنا هو وأمهاتنا . وقد أمر الله عز وجل ألا يجد أصحابه ﷺ حرجًا مما قضى ويسلموا تسليما . فلا تردد في ضمائرهم ، وإنما هو التسليم المطلق ، لأن معناه حق .

وهذه النابتة في زماننا ، ألا يجب عليهم أن يبحثوا عما قضى به رسول الله ﷺ بين أصحابه ، وألا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضى ويسلموا تسليما ؟

أما المؤمنون فسيبحثون ، لأن قضاءه ﷺ نبراس وقضاء حق للأمة ، أولها وآخرها . ولا محيص من الرجوع إلى السُّنَّة في ذلك ، فإن كان هؤلاء مؤمنين فليسيروا مع ركب الأمة، وإلا فقد وسموا أنفسهم بالزيغ والخروج عن سبيل المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء : ١١٥) .

من لم يأخذ بالسُّنة فقد كفر بالقرآن

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤) .

والبيان هو التبليغ والإيضاح والشرح والإظهار ، فهل بيَّن رسول الله ﷺ وأطاع ربه في ذلك البيان ؟

فإن قالوا : لم يبين؛ فقد كفروا . وإذًا فقد بيَّن بجميع وجوه البيان . فإن اعترفوا بذلك فالبيان هو السنة ، فلا يسعهم إلا الرجوع إليها كما رجع إليها المؤمنون .

روى الحاكم فى المستدرك عن الحسن قال : « بينما عمران بن حصين يحدّث عن سُنة نبينا ﷺ ، إذ قال له رجل : يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن ، فقال له عمران : أنت وأصحابك تقرءون القرآن ، أكنت محدثى عن الصلاة وما فيها وما حدودها ؟ أكنت محدثى عن الزكاة فى الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ؟ ولكن قد شهدتُ وغبتَ أنت، ثم قال : فرض علينا رسول الله ﷺ فى الزكاة كذا وكذا ، فقال الرجل : أحييتنى أحياك الله . قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين» . رواه الحاكم فى المستدرك (١) وصححه الحاكم وأقره الذهبى.

وقال رجل للتابعى الجليل مُطرف بن عبد الله الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن؛ فقال له مطرف : والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، يريد رسول الله ﷺ .

(١) كتاب العلم جـ١ ص ١٠٩ .

سنة رسول الله ﷺ صريحة فى القرآن

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٥١).

﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ : القــرآن .

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ : يطهر نفوسكم من الجهل بالخالق المنعم ، وبكماله سبحانه ، وبما يجب له من التعظيم والطاعة ، ويطهر قلوبكم من مساوئ الأخلاق ، ويحليكم بمكارمها ، ويسمو بنفوسكم فتزداد علمًا وتحليا بالفضائل ، وقربًا من الحق سبحانه وتعالى: قال تعالى لسيد الخلق : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (العلق : ١٩) .

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ : القــرآن .

﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ : قوله ﷺ حكمة ، وعمله ﷺ حكمة، وتقريره ﷺ حكمة .

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾: ويعلمكم بواسطته ﷺ ما لم تكونوا تعلمون إلا عن طريقه .

وروى الحاكم فى المستدرك، عن عبيد الله بن أبى رافع، عن أبيه ، عن النبى ﷺ قال : « لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : ما أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » [١] . قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبى. وسند هذا الحديث رجاله رجال الصحيحين .

وقد رواه الحاكم أكثر من مرة بأسانيد أخر كلها يعضد بعضها بعضًا .

---

(١) المستدرك جـ١ ص ١٠٨ .

وأخرج فى المستدرك أيضًا عن عبد الله بن صالح وابن مهدى كلاهما عن معاوية بن صالح ، حدثنى الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معديكرب يقول : حرم النبى ﷺ أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الأهلى وغيره ، فقال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يُحدِّث بحديثى فيقول: بينى وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه ، وإنما حرم رسول الله كما حرم الله » (١) . وسنده صحيح تؤيده الروايات السابقة. ومعاوية بن صالح بن حدير من رجال الصحيح، والحسن بن جابر ذكره ابن حبان فى الثقات، وأخرجه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح من هذا الوجه.

الصحابة والتابعون فى القرآن

قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٠) .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ تشمل مَنْ تبع السابقين الأولين من الصحابة وغيرهم ممن حمل علمهم وعمل بعملهم .

وقد تبع أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ أخذ عنهم عن رسول الله ﷺ ، وليس العهد ببعيد فما بينهم وبين رسول الله ﷺ إلا واسطة واحدة ، هم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، لأنهم الذين عاشروا رسول الله ﷺ ورأوا هديه واهتدوا به ، ونظروا قضاءه وحكمه فيما اختلف الناس فيه .

وشهدوا أخلاقه وآدابه وأحواله ، وتصرفه فى السلم والحرب ، والمعاهدات وأمور الدنيا والآخرة . واستقى كلٌّ بقدر استعداده من ينبوع الفيض الربانى . وانعكس نوره ﷺ على أرواحهم وقلوبهم النقية الطاهرة ، فكانوا أبر خلق الله وأفضل الأمم . وهم أوْلى الأمة بقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠)

(١) المستدرك جـ ١ ص ١٠٨ .

وهؤلاء التابعون الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه ، وخصّهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه وأحكامه وسنن رسوله ﷺ وآثاره ، فحفظوا عن صحابة رسول الله ﷺ ما نشروه وبثوه من الأحكام والسنن والآثار ، فأتقنوه وفقهوه وعلّموه ، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه كما وصفهم الله عز وجل ونصبهم له :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (التوبة : ١٠٠) .

والتابعون طبقات :

فمن الطبقة الأولى : قوم لحقوا العشرة المبشرين بالجنة وجماعة من الصحابة منهم : سعيد بن المسيب، وقيس بن أبي حازم، وأبو عثمان النهدى، وقيس بن عباد، وحصين بن المنذر، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو رجاء العطاردى، وغيرهم .

والطبقة الثانية : الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وخارجة بن يزيد، ومحمد الباقر بن على بن الحسين، وقد ورّث علمه لولده الإمام جعفر الصادق وغيرهم .

والطبقة الثالثة : عامر بن شراحيل الشعبى، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة، وشريح بن الحارث، وأقرانهم في هذه الطبقة. وهم طبقات ، خمس عشرة طبقة، كما ذكرها الحاكم في معرفة علوم الحديث. وآخرها من لقى أنس بن مالك من أهل البصرة، ومن لقى عبد الله بن أبي أوفى وأبا جحيفة من أهل الكوفة ومن لقى أبا أمامة الباهلى وعبد الله بن بسر المازنى من أهل الشام ومن لقى أبا الطفيل بمكة، ومن لقى السائب بن يزيد وسهل بن سعد الساعدى من أهل المدينة ومن لقى عبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر.

وبالله التوفيق .

محمد الحافظ التجانى

١٣١٥ - ١٣٩٨ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٧٨ م

تقديم وتعريف بالأئمـة

الغـــزالى والعــراقى والزبيـــدى

من المعــروف للعامة والخـاصة أن كتـاب إحياء علوم الدين لحـجة الإسلام أبى حـامد الغزالى هو عمدة رجال التصوف فى العالم الإسلامى على مر العصور.

وقد قام الحافظ العراقى بتخريج أحاديث هذا الكتاب الجليل ، ولكنه ضعّف كثيرًا منها ، وهو الأمر الذى حدا ببعض القوم إلى الغض من قدر الكتاب .

ثم قام السيد محمــد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمـرتضى بتعقب تخريج الحافظ العراقى، ونـقل أغلب الأحاديث من الضـعف إلى الصحة فـى كتاب أسـماه « إتحـاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » بالإضافة إلى شرح الكتاب كما يؤخذ من هذا العنوان.

وهذه خدمـة جليلة أسداها السيـد مرتضى الزبيدى لكتـاب الإحياء ، ولكنهـا جاءت فى عشرة أجزاء ضخمة يصعب على الباحث اقتناؤها .

وقد قام العلامة الكبير، شيخ المحدثين فى العصر الحديث، فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى رحمه الله تعالى وطيب ثراه، بمراجعة جميع تخريجات السيد مرتضى الزبيدى .

وبعد أن اطمأن إلى أنها خير مرجع لتخريج أحاديث الإحياء ، كلّف أحد تلاميذه بكتابة كل حديث وارد فى الإحياء ، مع تخريج الحافظ العراقى ، وتعقيب السيد مرتضى الزبيدى عليه .

وقد تم بحمد الله كتابة ٤٥٤٦ « ستة وأربعيـن وخمسمائة وأربعة آلاف » حديث بتخريج كل من الحافظ العـراقى والسيـد مرتضى الزبيدى ، حـيث أصبحت سندًا قـويًا يؤيد أن أغلب الأحاديث الواردة فى كتاب الإحياء صحيحة ، ولها أساس فى كتب السنة .

وقد تمنى شيخ المحدثين فى عصرنا العلاّمة محمد الحافظ التجانى قبل وفاته أن يعاد طبع هذا الكتاب متضمنًا الأحاديث الشريفة ، بتخريج كل من الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ، لتكون مرجعًا لكل رجال التصوف وعلماء الحديث ، ودليلاً على أن حجة الإسلام الغزالى لم يورد فى كتابه أحاديث موضوعة أو لا أساس لها فى كتب السنة .

وإنا لنرجو بعون الله تعالى أن تتحقق هذه الأمنية الغالية ، والله هو الموفق والمعين .

ونحمد الله أن تخريج الأجزاء الأربعة لإحياء علوم الدين بتخريجىّ الحافظ العراقى والشيخ مرتضى الزبيدى موجودون لدينا بخط المرحوم الشيخ محمد أحمد سعد وقد سبق أن طبعنا الجزء الأول من الإحياء بالتخريجين فى سبعة عشر قسما، كما طبعنا القسم الثامن عشر وهو من الجزء الثانى وكان يليه القسم التاسع عشر وهو آخر ما وافانا به الشيخ محمد أحمد سعد، ولكن لم يتيسر طبعه، نسأل الله العلى القدير أن يرحمه وشيخنا حجة الإسلام الشيخ محمد حافظ التجانى رضى الله عنه، وأن يجعل هذا العمل المبارك فى ميزان حسناتهما .

وقد كانت الأقسام التى طبعت على غير ما نرجوه من الدقة والرونق الذى يليق بهذا العمل الجليل، فكنت أواصل الجهد فيه مضطرًا، فما لا يدرك كله لا يترك كله، وكل أملنا أن نضيف إلى المكتبة الإسلامية ذلك الجهد الطيب الذى أمضى فيه شيخنا الحافظ فترة ليست بالقصيرة من عمره المبارك يؤازره فيها تلاميذه النجباء جزاهم الله أحسن الجزاء، وعندما عرضت الجزء الأول لفضيلة إمام الدعاة فى عصره سيدى الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - وجهنا فضيلته إلى السادة المسئولين بدار غريب للطباعة لما لها من إمكانات واسعة مع دقة فى الأداء وإخلاص فى العمل. ولم يتيسر وقتها تنفيذ رغبة فضيلته إلى أن أذن الله بذلك وتحدث معى الأستاذ هانى أحمد غريب فى طباعة هذا السفر المبارك .

★ ★ ★

الإمـــام الغـــزالى
رضى اللـه عنـه
(٤٥٠-٥٠٥هـ)

- هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى : أبو حامد الغزَّالى .

- حُجة الإسلام ، ومحجة الدين التى يُتوصل بها إلى دار السلام .

- جامع أشتات العلوم ، والمبرّز فى المنقول منها والمفهوم .

جرت الأئمة قبله بشأوٍ ، ولم تقع منه بالغاية ، ولم يقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحابٌ النهاية والبداية .

جاء والناس إلى ردِّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ؛ ويحمى حوزة الدين ؛ ولا يلطخ بدم المعتدين حدّ نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العُرى ، وانكشفت غياهب الشبهات ، إذ ما كانت إلا حديثًا مفترى .

- هذا ، مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره، وتجريد تراه به وقد توحد فى بحر التوحيد .

- تركَ الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله يعامله فى سره وجهره .

- ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة .

- كان أبوه فقيراً ، صالحًا ، لا يأكل إلا من كسب يده ، عمل فى غزل الصوف وبيعه فى دكانه بطوس ، وكان يطوف على المتفقهة ويجالسهم ، ويتوفر على خدمتهم ، ويجدّ فى الإحسان إليهم ، والنفقة بما يمكنه عليهم .

وكان إذا سمع كلامهم بكى ، وسأل الله أن يرزقـه ابنًا واعظًا ، ويجعله فقيها ، فاستجاب الله دعوتيه .

ولما حضرته الوفاة أوصى بمحمد وبأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير ، وقال له: إن لى لتأسُّفًا عظيما على تعلم العلم ، وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدَىَّ هذين ، فعلمَهما ، ولا عليك أن تنفد فى ذلك جميع ما أُخلِّفه لهما .

فلما مات أقبل الصديق على تعليمهما ،إلى أن فنى المال القليل الذى خلفه لهما أبوهما، وتعذر عليه القيام بقوتهما ، فنصحـهما بالالتحاق بمدرسة من تلك المدارس التى تُقدم لطلاب العلم الغذاء والكساء ، وكان الغزالى يحكى هذا ، ويقول :

طلبنا العلم لغير الله ، فأبَى أن يكون إلا لله .

– وقد كان أبو حـامد أفقه أقرانه ، وإمام أهل زمـانه ، وفارس ميدانه ، كلمته شـهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقيقتها المعادى والمخالف .

– وأما أحـمد فكان واعظًا تنفلق الصـخور الصم عند استـماع تحذيره ، وترعـدُ فرائص الحاضرين فى مجالس تذكيره .

– قرأ فى صـباه طرفا من الفـقه ببلده على أحـمد بن محـمد الراذكانى ، ثم سـافر إلى جُرجانَ، إلى الإمام أبى نصر الإسماعيلى، وعلّق عنه « التعليقة » ثم رجع إلى طوس .

– قال الإمام أسعد الميهنى : سمعته يقول : قطعت علينا الطريق ، وأخذ العيارون جميع ما معى ، ومـضوا فتبعتـهم ، فالتفتَ إلىَّ مُقدَّمُـهم ، وقال : ارجع ويحك ، وإلا هلكت . فقلت له:أسألك بالذى ترجو السلامة منه ، أن ترد علىَّ تعليقتى فقط ، فما هى بشىء تنتفعون به . فقال لى : ومـا هى تعليقتك ؟ فقلت : كـتب فى تلك المخلاة ، هاجرت لسمـاعها ، وكتابتـها، ومعرفة علـمها.فضحك ، وقـال : كيف تدَّعى أنك عرفت علمهـا ، وقد أخذناها منك، فتجردتَ من معرفتها، وبقيت بلا علم! . . . ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلىّ المخلاة .

– قال الغزّالي: فقلت: هذا مستنطق، أنطقه الله ليرشدني به في أمري ، فلما وافيت طوس، أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين ، حتى حفظت جميع ما علقته ، وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لا أتجرد من علمي .

– قدم الغزّالي نيسابور ، ولازم إمام الحرمين ، وجدّ واجتهد ، وكان رضي الله عنه شديد الذكاء شديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الإدراك ، قوي الحافظة ، غواصًا على المعاني الدقيقة، جبل علم ، مناظرًا محجاجًا، برع في المذهب ، والخلاف ، والجدل ، والأصلين ، والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم كل ذلك. وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وصنّف في كل فن من هذه العلوم كتبًا أحسن تأليفها ، وأجاد وضعها .

– لما مات إمام الحرمين خرج الغزّالي إلى المعسكر ، قاصدًا الوزير نظام الملك ، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه التدريس بمدرسته المسماة بالمدرسة النظامية ببغداد ، فقدم بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ودرّس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه ، وكمال فضله ، وفصاحة لسانه، ونكته الدقيقة ، وإشاراته اللطيفة ؛ فأحبوه .

– خرج إلى الحج سنة ثمان وثمانين في ذي القعدة عازفا عن الدنيا، رافضًا ما فيها من تقدم وجاه، ودخل دمشق سنة تسع وثمانين ، وزار بيت المقدس ، وجاور به مدة ، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، ثم رجع إلى طوس ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف من : ختم للقرآن ، وتدريس لطلبة العلم ، وإقامة الصلاة والصيام ، وسائر العبادات ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى بطوس يوم الإثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .

- قال أبو الفرج بن الجوزى فى كـتاب (الثبات عند الممات) : قال أحـمد أخو الإمام الغزّالى: لـما كان يوم الإثنيـن ، وقت الصبح ، توضـأ أخى أبو حامد وصلـى، وقال : علىَّ بالكفن فأخذه وقبَّله ووضـعه على عينيه ، وقال : سمعًـا وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار ، رحمه الله [1] .

★ ★ ★

(١) طبقات الشافعية الكبرى جـ٦ ص ١٩١ بتصرف .

الحـــافظ العـــراقي

رضي اللــه عنـــه

(٧٢٥ - ٨٠٦هـ)

- هو عبد الرحـيم بن الحسين بن عبد الـرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني، ثم المصري الشـافعي، الإمام الأوحد ، العلاّمة الحـجة، الحبر الناقد، عـمدة الأنام ، حافظ الإسلام ، فريد دهره ووحيد عصره، من فاق بالحفظ والإتقان في زمانه ، وشهد له بالتفرد في فنه أئمة عصره وأوانه: زين الدين أبو الفضل .

- قدم أبوه من بلدة رازيان من عمل إربل إلى القاهرة صغيراً، فنشـأ بها وخدم عدة من الفقهاء منهم الشيخ تقي الدين القنائي ، فشاهد منه كرامات جمة ، ومكاشفات عدة .

- ولد عبد الرحيم في جمادى الأولى سنة خمس وعشـرين وسبعمائة ، بمنشاة المهراني - بين مصر والقـاهرة - وأول ما سمع الحديث على سنجر الجـاولي، والتقيّ الأخنائي، ثم سمع على ابن شاهـد الجيش وابن عبـد الهادي ، والتـقي السبكي ، واشتـغل بالعلوم ، وأحب الحديث فأكـثر من السماع ، وتقدم في فنّ الحـديث بحيث كان شيوخ عصـره يبالغون في الثناء عليه بالمعـرفة ، كالسبكي والعلائي ، والعز بن جـماعة ، والعماد بن كثـير وغيره ، ونقل عنه الشيخ جمال الدين الإسنوي في المهمات، ووصفه بحافظ العصر .

- وكذلك وصفه في الطبـقات (طبقات الحفاظ وذيولها) في ترجمـة ابن سيد الناس ، فقال : وشرح (يعني ابن سيد الناس) قطعة من الترمـذي نحو مجلدين ، وشرع في إكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي إكـمالا مناسبًـا لأصله. انتهى. قال الشـيخ الكوثري : لم يكمله أيضًا العراقي .

- وله من المؤلفات فى الفن (الألفية) التى اشتهرت فى الآفاق ، وشرحها، و(نكت ابن الصلاح)، و (المراسيل)، و (نظم الاقتراح)، و (تخريج أحاديث الإحياء) فى خمس مجلدات، ومختصره سماه (المغنى) فى مجلدة ، وبيض من (تكملة شرح الترمذى) كثيراً، وكان أكمله فى المسودة أو كاد ، و (نظم منهاج البيضاوى) فى الأصول ، و (نظم غريب القرآن) ، و (نظم السيرة النبوية) فى ألف بيت ، وولى قضاء المدينة الشريفة .

- قال الحافظ ابن حجر : وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين ؛ فأحيا به سنة الإملاء بعد أن كانت داثرة ، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس .

- قال الحافظ : وكانت أماليه يمليها من حفظه ، متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية .

- قال : وكان الشيخ منوَّر الشيبة، جميل الصورة، كثير الوقار ، نزر الكلام، طارحًا للتكلف، لطيف المزاح ، سليم الصدر ، كثير الحياء ، قل أن يواجه أحدًا بما يكرهه ولو آذاه، متواضعًا ، حسن النادرة والفكاهة .

- وكان لا يترك قيام الليل ؛ بل صار له كالمألوف ، وكان كثير التلاوة إذا ركب، وكان عيشه ضيقًا .

- قال رفيقه الشيخ نور الدين الهيثمى - صاحب مجمع الزوائد - : رأيت النبى ﷺ فى النوم وعيسى عليه السلام عن يمينه، والشيخ زين الدين العراقى عن يساره .

- مات ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة، رحمه الله تعالى .ا هـ.

(انتهى بتصرف كلام الحافظ جلال الدين السيوطى من ذيله على طبقات الحفاظ للذهبى) .

★ ★ ★

السيد محمد الزبيدى (الشهير بمرتضى)

(١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)

- قال عنه السيد عيدروس [1]: علم الأعلام، والساحر اللاعب بالأفهام، الذى جلب فى اللغة والحديث كل فج، وخاض فى العلم كل لُج، ذو المعرفة والمعروف، وهو العَلَم الموصوف، العمدة الفهامة، والرحالة النسابة، الفقيه المحدث، اللغوى النحوى الأصولى، الناظم الناثر : الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق « الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى » الحنفى .

هكذا ذكر عن نفسه ونسبه .

- ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف، كما سمعته من لفظه ورأيته بخطه، ونشأ ببلاده، وارتحل فى طلب العلم، وحج مراراً .

- واجتمع بالشيخ عبد الله السندى، والسيد عمر بن أحمد بن عقيل، وعبد الله السقاف، والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجى، وسليمان بن يحيى، وابن الطيب، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة، وبالشيخ عبد الله ميرغنى الطائفى، فقرأ على الشيخ عبد الله فى الفقه وكثيراً من مؤلفاته، وأجازه، وقرأ على السيد عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد، ولازمه ملازمة كلية، وأجازه بمروياته ومسموعاته، وقرأ عليه طرفا من الإحياء، ثم ورد إلى مصر فى التاسع من صفر سنة ١١٦٧ هـ سبع وستين ومائة وألف .

---

(١) انظر: عقود اللآل فى أسانيد الرجال، للسيد عيدروس بن عمر ص ٨٣ .

- وأول من عاشره وأخذ عنه السيد على المقدسى الحنفى ، وحضر دروس أشياخ الوقت، كالشيخ أحمد الملوى ، والجوهرى ، والحفنى ، والبليدى ، والصعيدى ، والمدابغى، وغيرهم ، وتلقى عنهم، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه .

- ومن تصانيفه [1] :

١- إتحاف السادة المتقين فى شرح إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزّالى .

٢- إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل آل بيته الطاهرين .

٣- إعلام الأعلام بمناسك بيت الله الحرام .

٤- ألفية السَّند ومناقب أصحاب الحديث .

٥- الانتصار لوالد النبى المختار .

٦- بذل المجهود فى تخريج حديث « شيبتنى هود » .

ومن أهم هذه الكتب وأكبرها :

٧- تاج العروس فى جواهر القاموس .

٨- الجواهر المنيفة فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة .

٩- شرح الصدر فى شرح أسماء أهل بدر .

١٠ - رفع الشكوى لعالم السر والنجوى .

وله غير ذلك من المصنفات ما ينيف على الستين .

وتوفى رحمه الله فى يوم الأحد من شهر شعبان سنة ١٢٠٥ هـ .

---

(١) انظر هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (لإسماعيل باشا البغدادى): المجلد الثانى (صفحة ٣٤٧، ٣٤٨ طبعة استنبول) .

انتهى باختصار نقلا عن :

١ – عقود اللآل في أسانيد الرجال ، للحافظ عيدروس بن عمر بن عيدروس الحسينى العلوى.

٢ – هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادى .

وهنا يلزم التنويه إلى أننا سبق أن قمنا بطباعة قسم كبير من هذا السِّفر إلا أنه لم يكن على المستوى المناسب، ولما عرضناه على فضيلة إمام الدعاة الشيخ محمد متولى الشعراوى – رحمه الله – وجهنا إلى دار غريب لإعادة طباعته بمستوى جيد، ولا أستطيع أن أصف سعادتى عندما طوق بيد الفضل عنقى الناشر الجليل الأستاذ هانى أحمد غريب بأن عرض علىّ إعادة طباعة هذا السفر القيم بما عهدناه فى دار غريب فى الطباعة المتقنة، والتنسيق الجيد، والاهتمام الكبير بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين فأجبته إلى مطلبه شاكراً ، وإن كان هذا لَيُعَدُّ من كرامات شيخنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى رضى الله عنه.

وأسأل الله العلى القدير أن يأخذ بأيدينا جميعا لإتمام هذا السفر بعون منه وفضل، وأن يجعل البركة فى جامعه وقارئه ومقتنيه والناظر فيه وعلى الله قصد السبيل وبالله التوفيق .

أحمد محمد الحافظ التجانى

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا حمداً كثيراً متواليًا ، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله ، حمد الحامدين. وأصلى وأسلم على رسله ثانيًا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين . وأستخيره تعالى ثالثًا فيما انبعث له عزمى من تحرير كتاب فى إحياء علوم الدين ، وأنتدب لقطع تعجبك رابعا العاذل المتغالى فى العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين ، فلقد حلَّ عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل، وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعًا فى نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب ، وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأسًا من تمام التلافي والجبر، وانحيازاً عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه « **أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه** » (١) ولعمرى إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذى عمَّ الجمَّ

(١) حديث: « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، أو لم ينفعه علمه » .

قال العراقى: رواه الطبرانى فى الصغير، والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف . **وقال مرتضى**: وقد ضعف هذا الحديث المنذرى وغيره، وقال الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل: وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى كبشة السلولى، قال: سمعت أبا الدرداء ﵁ يقول: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالما لا ينتفع بعلمه، وفيه أيضا من طريق إبراهيم بن الأشعث حدثنا سفيان قال: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عمل فجاء غيره يوم القيامة بأفضل عملا منه، ورجل كان له مال فلم يتصدق منه فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلَّم غيره فانتفع به، وسيأتى للمصنف عن أبى الدرداء: ويل للجاهل مرة، وويل للعالم سبع مرات .

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى عنها متدين .

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه ، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حدَّه وحقيقته، ثم أذكر سببه الذى منه يتولد ، ثم الآفات التى عليها تترتب ، ثم العلامات التى بها تتعرف ، ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص ، كل ذلك مقرونًا بشواهد الآيات والأخبار والآثار .

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين ، وأذكر فى كل خصلة حدّها وحقيقتها ، وسببها الذى به تجتلب ، وثمرتها التى منها تستفاد ، وعلامتها التى بها تتعرف ، وفضيلتها التى لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل .

ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتبًا ، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور : **(الأول)** حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه **(الثانى)** ترتيب ما بدوره ونظم ما فرقوه **(الثالث)** إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه **(الرابع)** حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه **(الخامس)** تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا، إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد، فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده فى الكتب ، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف ، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويًا لمجامع هذه العلوم ، وإنما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : **أحدهما** - وهو الباعث الأصلى - أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى ، لأن العلم الذى يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة ، وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط ، وأعنى بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى إيداعها الكتب ، وإن كانت هى غاية

مقصد الطالبين ومطمح نظر الصدِّيقين ، وعلم المعاملة طريق إليه ، ولكن لم يتكلم الأنبياء - صلوات الله عليهم - مع الخلق إلا فى علم الطريق والإرشاد إليه، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علمًا منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ، والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسى والاقتداء ، ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح ، وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح إما عادة وإما عبادة ، والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم ؛ فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين : ظاهر وباطن ، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود ؛ فكان المجموع أربعة أقسام ، ولا يشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الأقسام .

الباعث الثانى : أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات ، وهو مرتب على أربعة أرباع . والمتزيى بزى المحبوب محبوب ؛ فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفًا فى استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعًا فى الجداول والرقوم ، وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبًا لهم إلى المطالعة . والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابه إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد ؛ فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد ، فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد ، فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ، إنه كريم جواد .

* * *

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم و التعلم .

(الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم، وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين، وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا .

(الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره .

(الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل .

(الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم .

(الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء، والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة.

(الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول

فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله عز وجل : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ (آل عمران : ١٨) . فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفًا وفضلا وجلاء ونبلا.

وقال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام.

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر : ٩) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد : ٤٣).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ﴾ (النمل : ٤٠) تنبيهًا على أنه اقتدر بقوة العلم ، وقال عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (القصص : ٨٠) بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء : ٨٣)، رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله .

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ ﴾ يعنى العلم ﴿ وَرِيشًا ﴾ يعنى اليقين ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ (الأعراف : ٢٦) يعنى الحياء .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ ﴾ (الأعراف : ٧)

وقال عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (العنكبوت: ٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن : ٣، ٤) ،وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان .

وأما الأخبار فقال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده» (٤) ، وقال ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »(٥) ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ،

---

(٤) حديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » متفق عليه من حديث معاوية، قاله العراقى، وقال مرتضى: وكذا أخرجه الإمام أحمد من طريقه، والترمذى وأحمد أيضًا عن ابن عباس وابن ماجة عن أبى هريرة، قال الحافظ ابن حجر: وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد فى آخره: « ومن لم يفقهه فى الدين لم يبال الله به » قال العراقى: وأما قوله: ويلهمه رشده،فعند الطبرانى فى الكبير .ا هـ . وقال مرتضى: ورواه مع هذه الزيادة إيضًا أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود وسنده حسن وفى الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله فى الدين زيادة: « إنما أنا قاسم والله يعطى، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل » .

(٥) حديث: « العلماء ورثة الأنبياء» أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء، قاله العراقى، قال مرتضى: وقال السخاوى فى المقاصد: رواه أحمد وأبو داود والترمذى وآخرون عن أبى الدرداء به مرفوعا بزيادة: « إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهما،إنما ورثوا العلم» وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكنانى وضعفه غيرهم =

ولا شرف فوق شرف الوراثة إلى هنا لتلك الرتبة. وقال ﷺ: « **يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض** » (٦) وأىّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماء والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه، وهم مشغولون بالاستغفار له وقال ﷺ: « **إن الحكمة تزيد الشريف شرفًا، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك** » (٧) وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى.

= بالاضطراب فى سنده لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلا. ا هـ. ثم قال السخاوى: ولفظ الترجمة عند الديلمى من حديث محمد بن مطرف، عن شريك، عن أبى إسحق، عن البراء بن عازب بزيادة « يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحر إذا ماتوا» وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة «وإنما العالم من عمل بعلمه». ا هـ ثم قال: ويمثل زيادة الديلمى عن البراء أورده ابن النجار فى تاريخه عن أنس وقال البدر الزركشى فى اللآلئ المنثورة: هو بعض حديث أخرجه أصحاب السنن وأحمد فى مسنده والطبرانى فى معجمه وابن حبان فى صحيحه. ا هـ. وفى كتاب الضعفاء للدارقطنى من حديث جابر بن عبد الله رفعه: « أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء »، قال: فيه الضحاك بن ضمرة ولا يجوز الاحتجاج به، وقد روى: العلماء ورثة الأنبياء، بأسانيد صحيحة، رواه أبو عمر من حديث الوليد بن مسلم، عن خالد بن يزيد، عن عثمان بن أيمن، عن أبى الدرداء. ا هـ. وأخرج الخطيب فى تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه: « حملة العلم فى الدنيا خلف الأنبياء، وفى الآخرة من الشهداء »، قال: حديث منكر لم نكتبه إلا بهذا السند وهو غير ثابت، وإنما سمى العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية. اهـ. قال الحافظ فى الفتح: أورده البخارى فى صحيحه ولم يفصح بكونه حديثا، فلهذا لا يعد فى تعاليقه لكن إيراده فى الترجمة يشعر بأن له أصلا، وشاهده فى القرآن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ﴾ الآية. وله شواهد يتقوّ بها ومثله للعينى وزاد للعلل التى ذكرناها يعنى ما نذكره فى أول حديث فضل التعليم وخالفهما الكرمانى فى شرحه فقال: أورده البخارى تعليقا لأنه ليس على شرطه، فتأمل.

(٦) حديث: « يستغفر للعالم ما فى السماوات والأرض » قال العراقى: هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدّم، قال مرتضى: هذه الزيادة بمعناها أيضا فى حديث البراء بن عازب كما عند الديلمى وأنس بن مالك كما عند ابن النجار وقد سبق قريبا وسيأتى له بمعناها من حديث الترمذى عن أبى أمامة فى الحديث الثانى عشر، وأخرج ابن عبد البر فى العلم من طريق أنس: وإن طالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر. يعنى أن العالم لما كان سببا فى حصول العلم الذى به نجاة النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه جوزى من جنس عمله وجعل من فى السماوات والأرض ساعيا فى نجاته من أسباب الهلاك.

(٧) حديث: « إن الحكمة تزيد الشريف شرفًا، وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك ». =

وقال ﷺ : «**خصلتان لا يكونان فى منافق: حسن سمت ، وفقه فى الدين**» (٨) ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان ،فإنه ما أراد به الفقه الذى ظننته ، وسيأتى معنى الفقه، وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ،وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء.

وقال ﷺ : « **أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه**» (٩) .

= **قال العراقى**: رواه أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغنى الأزدى فى أدب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف. اهـ.

قال مرتضى: أورده الجلال فى ذيله وعزاه فيه إلى أبى نعيم وفى الصغير إليه وإلى ابن عدى وكلاهما من طريق أنس بلفظ: « الحكمة تزيد الشريف شرفًا » والباقى سواء، قال المناوى: هو من حديث عمر بن حمزة عن صالح عن الحسن عن أنس، وقال أبو نعيم: غريب تفرد به عن صالح، وقال العسكرى: ليس هذا من المرفوع بل من كلام الحسن وأنس. ا هـ . وأخرج الدينورى فى المجالسة قال: حدثنا عبد الرحمن بن فراس،حدثنا محمد بن الحرث المروزى حدثنا العلاء بن عمرو الحنفى، حدثنا ابن أبى زائدة، عن أبى خلدة، عن أبى العالية قال: كنت آتى ابن عباس وقريش حوله فيأخذ بيدى فيجلسنى معه على السرير، فتغامزت فىّ قريش، ففطن لهم ابن عباس فقال: هكذا العلم يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة. ا هـ . وهذا عطاء بن أبى رباح أحد الموالى لما دخل على هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة على حمار إكافه خشب فلما رآه قال: مرحبا مرحبا، ههنا ههنا، فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. وقال إبراهيم الحربى: كان عطاء عبدا أسود كأن أنفه باقلات،قال: وجاء سليمان بن عبد الملك إليه هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى أنفتل عليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما فقاما .

(٨) حديث: « خصلتان لا يكونان فى منافق: حسن سمت،وفقه فى دين » **قال العراقى**: أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة، وقال: حديث غريب. ا هـ . **قال مرتضى**: قال الترمذى: حدثنا أبو كريب،حدثنا خلف بن أيوب، عن عوف، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف إلا من هذا الشيخ خلف بن أيوب العامرى، ولم أر أحدًا يروى عنه غير أبى كريب محمد بن العلاء، ولا أدرى كيف هو. ا هـ . ولذلك قال غير واحد: إن إسناده ضعيف،وأخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية محمد بن حمزة ابن عبد الله بن سلام مرسلا، ولفظه « لا يكونان » كما فى سياق المصنف .

(٩) حديث: « فضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع، وإن استغنى عنه أغنى نفسه » =

وقال ﷺ : « الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم» (١٠) .

وقال ﷺ : «أقرب الناس من درجة النبوة ، أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل» (١١) .

وقال ﷺ : «لموت قبيلة خير من موت عالم» (١٢) .

= أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي الدرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعا، قاله العراقي. وقال مرتضى: وفي القوت: إنما العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره، وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علم وقلبه لا يحدث سواه، كما جاء في الأثر: « أي الناس أغنى ؟ قال: العالم الغني بعلمه، إن احتيج إليه نفع وإلا اكتفى عن الناس بعلمه » .

(١٠) حديث: « الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وثمرته العلم » أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقي . قال مرتضى: هو في كتاب القوت لأبي طالب عن وهب بن منبه قال: وقد أسنده حمزة الخراساني عن الثوري، فرفعه إلى عبيد الله عن النبي ﷺ قال: وقد رويناه أيضا مسندا . اهـ. وأورده الراغب في الذريعة من غير إسناد، وكذا عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري في كتابه نزهة المجالس عن وهب هكذا، إلا أنه ذكر بدل الجملة الثالثة: ورأس ماله الفقه، وقال مرتضى: وحمزة الخراساني الذي روى عن الثوري إن كان هو حمزة بن بهرام فقد قال الذهبي في ذيل الديوان: إنه مجهول لا يعرف، ثم رأيت الشهاب الأبوصيري أورد في كتابه « إتحاف المهرة» عن مسدد في مسنده: حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنا عبد العزيز بن ربيع، سمعت وهب بن منبه يقول: الإيمان عريان ولباسه التقوى .

(١١) حديث: « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل » أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، قاله العراقي. وقال مرتضى: وأورده صاحب القوت فقال: وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل رفعه فذكره، ويروى: إن أقرب الناس، ثم قال: ألا تراه كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد، أخرجه ابن القيم هكذا فجعله من قول إسحق بن عبد الله بن أبي فروة .

(١٢) حديث: « لموت قبيلة أيسر من موت عالم » . أخرجه الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء، وأصل الحديث عند أبي داود، قاله العراقي . قال مرتضى: الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورفعه: « موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس ». أورده السخاوي في المقاصد وله شواهد منها ما أورده الزبير بن =

وقال ﷺ : « **الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا** » (١٣) .

وقال ﷺ : « **يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء** » (١٤) ، وقال ﷺ :

= بكار فى الوقفيات عن محمد بن سلام الحجى عن على بن أبى طالب من قوله: إذا مات العالم أثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة .وهو معضل. وأخرج أبو بكر بن لال فى فوائده من حديث جابر مرفوعا: « موت العالم ثلمة فى الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار ». وأخرج الديلمى عن ابن عمر: ما قبض الله عالمًا إلا كان ثغرة فى الإسلام لا تسد. وللبيهقى من حديث معروف بن خربوذ عن أبى جعفر أنه قال: موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابدًا. وأخرج الحاكم من حديث عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا** ﴾ قال: بموت علمائها وفقهائها ا هـ . **وقال مرتضى**: وأخرج أبو يعلى فى مسنده من طريق عثمان بن أعين عن أبى الدرداء بمثل ما قدمناه عن الطبرانى، وفيه زيادة، ولكن فى الإسناد رجل لم يسم .

(١٣) حديث: « الناس معادن ؛ فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » . متفق عليه من حديث أبى هريرة، **قاله العراقى. قال مرتضى**: زاد مسلم: « والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »، وأخرجه العسكرى من حديث قيس بن الربيع عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه:« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، قال السخاوى فى المقاصد ولأبى هريرة فى المرفوع حديث آخر لفظه: « الناس معادن فى الخير والشر، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ». أخرجه الطيالسى وابن منيع والحرث بن أبى أسامة وغيرهم كالبيهقى من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة وأصله فى الصحيح، وللديلمى عن ابن عباس مرفوعًا: « الناس معادن والعرق دساس». ا هـ . وأخرجه البيهقى أيضًا عن ابن عباس وفيه: « وأدب السوء كعرق السوء » . وفقهوا بكسر القاف وبضمها يقال: فقه كعلم زنة ومعنى وككرم صار فقيها، وسيأتى الزيادة لبيانه فى أوّل الباب السادس .

(١٤) حديث:« يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء». أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف، **قاله العراقى. قال مرتضى**: وأخرجه الشيرازى فى الألقاب من طريق أنس بزيادة: « فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء» . وأخرجه الذهبى فى فضل العلم عن عمران بن حصين، وابن الجوزى فى العلل عن النعمان بن بشير، والديلمى عن ابن عمر، قال ابن الجوزى: حديث لا يصح وهارون بن عنتر أحد رجاله، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به يروى المناكير، ويعقوب القمى ضعيف. وفى الميزان: متنه موضوع وهذا الحديث مما احتج به على فضل العالم على الشهيد، وقال ابن الزملكانى : والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه، ولا يمكن لأحد أن =

« من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة » (١٥) .

وقال ﷺ : « من حمل من أمتي أربعين حديثًا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيهًا عالمًا » (١٦) .

= يقطع به في حكمه وقد يكون لمن هو أعلى درجة ما هو أفضل من ذلك، وينبغي أن يتعين حال العالم وثمرة علمه وما زاد عليه، وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه، فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد، فكم من شاهد أو عالم هوّن أهوالا وفرج شدائد، وعلى هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء، والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء، كل بحسب حاله وما ترتب على علومه وأعماله، وسيأتي الكلام على هذا الحديث قريبًا .

(١٥) حديث: « من حفظ على أمتي أربعين حديثًا حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة » . أخرجه ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه، قاله العراقي. قال مرتضى: وأخرج ابن النجار في تاريخه عن أبي سعيد الخدري: « من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي» . وهو شاهد قوي لحديث ابن عمر، إلا أن إسناده ضعيف كذلك والمراد بالحفظ النقل إليهم بطريق التخريج والإسناد صحاحا كن أو حسانا، قيل أو ضعافا، يعمل بها في فضائل الأعمال وخص الأربعين لأنها أقل عدد له ربع عشر صحيح، وحفظ الحديث مطلقًا فرض كفاية، نقله المناوي، وأخرج ابن عدي في الكامل عن ابن عباس : « من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ». وهو أيضًا شاهد لما في الباب، وسنده ضعيف كذلك .

(١٦) حديث: « من حمل من أمتي أربعين حديثًا لقي الله يوم القيامة فقيهًا عالمًا » . أخرجه ابن عبد البر من رواية بقية عن المعلى عن السدي عن أنس وضعفه، قاله العراقي . قال مرتضى: وأخرجه ابن عدي في الكامل من هذا الطريق أيضًا، وقال السخاوي في المقاصد: أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود وابن عباس: « من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعث يوم القيامة فقيهًا »، قال: وفي الباب عن أنس وعلي ومعاذ وأبي هريرة وآخرين، أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية، قال النووي: طرقه كلها ضعيفة، وليس بثابت، وكذا قال شيخنا: جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة، قال البيهقي في الشعب عقيب حديث أبي الدرداء منها: هذا متن مشهور بين الناس وليس له إسناد صحيح. اهـ. وقرأت في كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفي ما نصه: فإن نفرا من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر منسل وأظهر مرسل: « من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها »، من طرق وثقوا بها وعولوا عليها، وعرفوا صحتها وركنوا إليها حتى خرج كل منهم لنفسه أربعين، حديثا حتى قال إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي: اجتمع عندي من الأربعينيات ما ينيف على السبعين، وقد=

= استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بإلكيا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرى بين الفقهاء فى المدرسة النظامية التى هو مدرسها اقتضى الاستفتاء، ويجد المستفتى فيه الشفاء: ما يقول الإمام وفقه الله تعالى فى رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل كتبة الحديث فى هذه الوصية أم لا ؟ فكتب بخطه تحت السؤال: نعم، كيف لا وقد قال النبى ﷺ: « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما . . . » الحديث، فقد أخبرنا أبو عبد الله الثقفى، ثم ساق سنده من طريق أبى بكر الآجرى، حدثنا محمد بن مخلد العطار، حدثنا أبو محمد جعفر ابن محمد الخندقى ، وكان له حفظ، حدثنا محمد بن إبراهيم السائح، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد، عن أبيه، عن عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء»، ثم ساق حديثا آخر من طريق ابن أبى الدنيا، حدثنا الفضل بن غانم، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فقيها، وكنت له يوم القيامة شافعًا وشهيدا». قال: هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء، وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجى للراوى من هذا اللفظ، وللحصول على الأجر قبل الحفظ، ثم ساقه من طريق أبى صالح، حدثنا إسحق بن نجيح، حدثنا عطاء، عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « من روى عنى أربعين حديثا جاء فى زمرة العلماء يوم القيامة »، قال: ومن أحسن ما يذكر هنا وأغربه ما كتب إلىّ أبو الفتيان الدهستانى الحافظ من خراسان ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهنائى، حدثنا حميد بن أبى حميد، عن عبد الرحمن بن دلهم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتى حديثا واحدا كان له أجر واحد وسبعين نبيا صديقا»، قال أبو الفتيان: كتب عندى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادى الخطيب بصور، وقد روى هذا الحديث غير النسائى عن حميد فقال: « أجر اثنين وسبعين »، ثم ساقه من طريق محمد بن موسى، حدثنا حميد ولفظه: « من حفظ على أمتى حديثا واحدا من أمر دينهم أعطاه الله عز وجل أجر اثنين وسبعين صديقا »، ثم ساق من طريق الثورى، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رفعه: « من أدى إلى أمتى حديثا واحدا يقيم به سنة ويرد به بدعة فله الجنة » . انتهى كلام السلفى. وهذا الحديث الأخير قد أخرجه أبو نعيم فى الحلية وفى سنده كذاب، وقرأت فى آخر كتاب الأربعين المتباينة الإسناد للحافظ ابن حجر، وقد ذكر كلام السلفى من أوّله وساق الحديث من طريق أبى الدرداء الذى ذكرناه وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة، وهو غريب من هذا الوجه تفرد به عبد الملك بن هارون، أخرجه ابن حبان فى كتاب الضعفاء له من طريق عبد الملك هذا واتهمه به وقال: لا يحل كتب حديثه إلا للاعتبار، وضعفه غيره وباقى رجاله ثقات، ولم يخرج هذا المتن أحد من الأئمة فى الأمهات المشهورة لا المخرجة على الأبواب ولا المرتبة على المسانيد إلا أن أبا يعلى رواه فى مسنده عن عمرو بن الحصين العقيلى، عن محمد ابن عبد الله بن علاثة، عن خصيف، عن مجاهد، عن أبى هريرة، وخصيف وابن علاثة =

= صدوقان ليس فيهما مقال، والآفة فيه من عمرو بن الحصين فقد كذبه أحمد وابن معين وغيرهما. ورواه الحسن بن سفيان في أربعينه عن علي بن حجر، عن إسحق بن نجيح، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، به ورجاله ثقات إلا إسحق فقد اتهمه بالوضع ابن معين وابن أبي شيبة والفلاس وغيرهم، ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعة منهم، حميد بن مدرك، وخالد بن يزيد العمرى وأبو البحتري وهب بن وهب القاضي، وروى عن بقية بن الوليد ومعمر أيضًا، فأما رواية حميد بن مدرك فأخرجها الحافظ أبو بكر بن الجوزى فى أربعينه وحميد مجهول، وأما رواية خالد بن يزيد فرواها ابن عدى فى الكامل فى ترجمته وضعفه واتهمه جماعة، وأما رواية أبى البحتري فرواها ابن عدي أيضا فى الكامل فى ترجمته بإبدال ابن عباس بأبى هريرة، وأبو البحترى أجمعوا على تكذيبه، وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن إلياس السعدى فى أربعينه من طريقه وبقية صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء، فإن كان محفوظا عنه فكأنه سمعه من إنسان ضعيف عن ابن جريج فأسقط الضعيف ودلسه، وأما رواية معمر فرويناها فى الأربعين للإمام أبى المعالى إسماعيل بن الحسين الحسيني، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الغزى المعروف بابن بشت عن عبد المؤمن بن خلف النسفي الحافظ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق، عن معمر عن ابن جريج، وابن بشت تكلموا فى صحة سماعه من عبد المؤمن بن خلف وذكر الحافظ أبو صالح المؤذن أنه سقط اسم شيخه الذى حدثه عن عبد المؤمن بن خلف على كاتب الطبقة قلت الذى عندي فى هذا أنه دخل عليه إسناد فى إسناد وإلا فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما جميعًا وللحديث طرق غير هذه منها ما أخرجه الجوزي من طريق زيد بن الحريش عن عبد الله بن خراش عن عمه العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى عن أنس بن مالك به وعبد الله بن خراش وزيد بن الحريش ذكرهما ابن حبان فى كتاب الثقات، وقال فى كل منهما: ربما أخطأ **وقال مرتضى:** أخطأ ابن حبان فى توثيق عبد الله بن خراش فقد اتفق الأئمة على تضعيفه، واتهمه بعضهم ومنها ما رواه أبو ذر الهروي فى كتاب الجامع له عن شافع بن محمد بن أبى عوانة عن يعقوب بن إسحق العسقلانى عن حميد بن زنجويه عن يحيي بن عبيد الله بن بكير عن مالك عن نافع عن ابن عمر، قال ابن عبد البر: من روى هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه، **وقال مرتضى:** ليس فى رواته من ينظر فى حاله إلا يعقوب بن إسحق فقد ذكر مسلمة عن القاسم أنه لقيه والناس يختلفون فيه فبعضهم يوثقه وبعضهم يضعفه والظاهر أنه دخل عليه حديث فى حديث ومنها ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجرى فى كتاب الأربعين له عن محمد بن مخلد عن جعفر بن محمد الخندقى عن محمد بن إبراهيم السائح عن عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن معاذ بن جبل وليس فى رواته من ينظر فى حاله إلا السائح فإنه غير معروف وعندى أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها . وروى أيضا من طرق ضعيفة عن على بن أبى طالب وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبى سعيد الخدرى وأبى أمامة الباهلى وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله وثويرة ولا يصح منها شيء، قال أبو على سعيد بن السكن الحافظ ليس يروى هذا الحديث عن النبى ﷺ =

= من طريق يثبت، وقال الدارقطني لا يثبت من طرقه شيء، وقال البيهقي: أسانيده كلها ضعيفة، وقال ابن عساكر أسانيده كلها فيها مقال ليس للصحيح فيها مجال، وقال عبد القادر الرهاوي طرقه كلها ضعاف إذ لا يخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول التصرف أو معروف مضعف، وقال الحافظان رشيد الله بن العطار وزكى الدين المنذرى نحو ذلك، فاتفاق هؤلاء الأئمة على تضعيفه أولى من إشارة السلفى إلى صحته، قال المنذرى: لعل السلفى كان يرى أن مطلق الأحاديث الضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أجدى قوة، **وقال مرتضى:** لكن تلك القوة لا تخرج هذا الحديث من مرتبة الضعف فالضعف يتفاوت فإذا كثرت طرق حديث رجحت على حديث فرد فيكون الضعيف الذى ضعفه ناشىء عن سوء حفظ رواته إذا كثرت رواته ارتقى إلى مرتبة الحسن والذى ضعفه ناشىء عن تهمة أو جهالة إذا كثرت طرقه ارتقى عن مرتبة المردود والمنكر الذى لا يجوز العمل به بحال إلى رتبة الضعيف الذى يجوز العمل به فى فضائل الأعمال، وعلى ذلك يحمل ما قاله الإمام النووى فى خطبة كتاب الأربعين له: وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال، وقال بعد أن ذكر هذا الحديث اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه اهـ. سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقوله: **وقال مرتضى:** الذى عندى فى هذا أنه دخل عليه إسناد فى إسناد، وإلا فمعمر غير معروف بالرواية إلخ، وهو كما قال فقد أخرجه على الصواب أبو إسماعيل الهروى الأنصارى من طريق على بن الحسين، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبى غالب، عن أبى أمامة، كما ستأتى الإشارة إليه، وقوله: إلا السائح فإنه غير معروف، **وقال مرتضى:** فقد ذكره ابن قطلوبغا فى أمالى المسانيد فقال فيه: قال ابن عدى: عامة أحاديثه غير محفوظة، وقال الدارقطنى: كذاب، وقال أبو نعيم: روى موضوعات، وقوله: وروى أيضا من طرق ضعيفة عن على بن أبى طالب ... إلخ، **وقال مرتضى:** أما حديث على فقد أخرجه الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبى صالح الحافظ والإمام أبو بكر البيهقى بسندهما إلى أبى القاسم عبد الله ابن أحمد بن عامر الطائى، حدثنا أبى، حدثنا على بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علىّ بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتى أربعين حديثًا ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهًا عالما »، قال البيهقى: هذا الإسناد من على بن موسى ... إلخ كالشمس غير أن هذا الطائى لم يثبت عند أهل العلم بالحديث فى عدالته ما يوجب قبول خبره وقد يكون ثقة على حسن الظن، والله أعلم، **وقال مرتضى:** وقد رأيت فى تاريخ ابن النجار فى ترجمة على بن موسى ذكر أحمد ابن عامر بن سليمان الطائى فى جملة الرواة عنه، وساق من طريق ولده أبى القاسم عبد الله بن أحمد عن أبيه هذا قصة، وقد روى عن أبى القاسم هارون الضبى، وأما حديث أبى أمامة فقد أخرجه أبو إسماعيل الهروى من طريق عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبى غالب، عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتى أربعين حديثا فيما ينوبهم وينفعهم فى أمر دينهم حشره الله فى يوم القيامة فقيها ».

وقال ﷺ: « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ، ورزقه من حيث لا يحتسب» (١٧) .

---

(١٧) حديث: « من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب » . أخرجه الخطيب في التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي بإسناد ضعيف، قاله العراقي. وقال الحافظ ابن حجر: وفي مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة عن عبد الله بن جزء ولا يصح اهـ. قال مرتضى: أخرجه ابن خسرو في مسنده من طرق: الأولى فيها مكرم بن أحمد، عن محمد بن سماعة، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة. والثانية فيها أحمد بن محمد بن الصلت، عن محمد بن أبي شجاع، عن أبي يوسف. والثالثة فيها أحمد بن محمد الحماني، عن محمد بن سماعة. وأخرجه ابن المقري في مسنده، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي علي عبيد الله بن جعفر الرازي، عن أبيه، عن محمد بن سماعة، عن أبي يوسف، وأخرجه الحاكم في تاريخه من طريق إسماعيل بن محمد الضرير، عن أحمد بن الصلت، ثم اتفقوا على أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع أبي سنة ست وتسعين ولي ست عشرة سنة، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لأبي حلقة من هذه ؟ قال: حلقة عبد الله ابن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ فتقدمت فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تفقه . . الحديث، قال ابن قطلوبغا في أماليه: هكذا رأيت الطريق الأولى عند كل هؤلاء المصنفين وعندي هو أنه مكرم عن أحمد بن محمد عن ابن سماعة وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت ويعرف أيضًا بالحماني وبابن المغلس، كذاب، وقال ابن عدي: ما رأيت في الكذابين أقل حياء منه، وقال ابن حبان والدارقطني كان يضع الحديث، ثم قال: وأما المسند الذي ساقه ابن المقرى هكذا رأيته في أصل شيخنا من مسنده، وبين جعفر ومحمد بن سماعة أحمد بن الصلت جاء مصرحا في رواية الخطيب،ثم نقل عن الذهبي في الميزان: هذا كذاب، فابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين، وقال الحافظ بن حجر في اللسان: وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر، ثم ساق سنده قال: وهو باطل أيضًا، وأورده ابن الجوزي في الواهيات،وابن النجار في تاريخه، والسيوطي في موضوعاته ونقل الكلام في ابن الصلت الذي قدمناه، قال ابن قطلوبغا: وفي مناقب أبي حنيفة للجمابي أن ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين على خلاف ما ذكره ابن يونس قال: وأخرج أبو العباس المرهبي في فضل العلم من حديث زياد الصدائي رفعه: من طلب العلم تكفل الله برزقه وقال مرتضى: رويناه في الجزء الثاني من معجم أبي على الحداد من طريق يونس بن عطاء، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن زياد الصدائي، وقال ابن خسرو بعد ذكر الحديث المتقدم: وأنشد أبو حنيفة من قوله:

من طلب العلم للمعاد * فاز بفضل من الرشاد * وبالخسران من أتاه * لنيل فضل من العباد

وقال مرتضى: وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن مسعود رفعه: « من جعل الهم هما واحدا هم آخرته؛ كفاه الله عز وجل ما همه من أمر دنياه ». وأخرجه الرافعي من طريق أبي يوسف عن أبي حنيفة، نبه عليه السيوطي في الجامع الكبير، وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء، والله أعلم .

وقال ﷺ : « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم» (١٨) .

وقال ﷺ : « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض» (١٩).

وقال ﷺ : « صِنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس : الأمراء والفقهاء» (٢٠) .

---

(١٨) حديث: « أوحى الله إلى نبيه إبراهيم: يا إبراهيم، إنى عليم أحب كل عليم»، ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له بإسناد، **قاله العراقى . قال مرتضى**: العالم والعليم فى وصفه تعالى هو الذى لا يخفى عليه شىء، إلا أن فى العليم مبالغة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ إذ فسر بعضهم أن المراد بالعليم هنا هو الله تعالى، وإن كان لفظه منكرًا إذ الموصوف بالعليم فى الحقيقة هو الله تعالى، وهناك فى الآية وجه آخر ذكره الراغب والسمين .

(١٩) حديث: « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض» أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف، **قاله العراقى. قال مرتضى**: رواه من رواية عيسى بن إبراهيم الهاشمى، حدثنا الحكيم بن عبد الله، حدثنا عبادة بن نسى، عن عبد الرحمن بن علم، عن معاذ مرفوعا، وعيسى بن إبراهيم منكر الحديث، قاله البخارى والنسائى وأورده الجلال فى جامعه هكذا، والفارقى فى شرح عين العلم أيضا، ومن شواهده ما أخرجه القضاعى وابن عساكر عن أنس: العلماء أمناء الله على خلقه وأخرج الحسن بن سفيان والعقيلى عن أنس أيضا: العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا. وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن عثمان بن عفان: العلماء أمناء أمتى. وأخرج العسكرى عن على: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم. والأمين فى اللغة هو الثقة المرضى عند الله والناس .

(٢٠) حديث: « صنفان من أمتى إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس: الأمراء والفقهاء» أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف، **قاله العراقى. قال مرتضى**: روياه من رواية محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، ولفظ أبى نعيم فى الحلية: « صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء ». وأخرجه الديلمى أيضًا فى الفردوس عن ابن عباس بهذا اللفظ، ومحمد بن زياد هذا كذبه الإمام أحمد والفلاس، وفى هذا المعنى قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقال ﷺ : « **إذا أتى علىَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم** » (٢١) .

وقال ﷺ فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة : « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى** » (٢٢) فانظر كيف جعل العلم مقارنًا لدرجة النبوة، وكيف حط

(٢١) حديث: « إذا أتى علىّ يوم لا أزداد فيه علمـا يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى ذلك اليوم» أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من رواية الحكم ابن عبد الله، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة بسند ضعيف، **قاله العراقى. قال مرتضى**: وأخرجه أيضا ابن عدى فى الكامل من هذا الوجه ولكن لفظهم: كلهم « فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم» كذا نص الجلال فى جامعه، وقال العراقى: الحكم بن عبد الله الديلى متروك كذاب، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وحكى عن الصورى قال: هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهرى ولا يصح عن رسول الله ﷺ ولا أعلم أحدا حدَّث به غير الحكم اهـ . قال المناوى: وهو معلول من طرقه كلها، بل فيه موضوع، قال: « وقوله » « علما » أى طائفة من العلم، والتنكير للتفخيم، وقوله: « فلا بورك . . . » إلخ دعاء أو خبر، وذلك لأنه كان دائم الترقى فى كل لمحة فالعلم كالعدالة، ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبدا لما ذكر، قال بعض العارفين: وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الأحكام، فإن الأحكام زيادة تكاليف على الأمة، وقد بعث ﷺ رحمة للعالمين، وقال بعضهم: أراد بذلك أن العارف دائم التطلع إلى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه، وقد يكون دائم الطلب قارعا باب النفحات راجيًا حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها وهى متعلقة بكلماته التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون أعدادها ا هـ. **وقال مرتضى**: ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمى فى الفردوس عن على مرفوعا بسند ضعيف: « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو فى النقصان » .

(٢٢) حديث: « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى» . أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة، وقال: حسن صحيح. **قاله العراقى . قال مرتضى**: الذى عزاه الجلال فى جامعة للترمذى لفظه « كفضلى على أدناكم » ومثله للدارمى، لكن عزاه كالترمذى أيضًا لأبى الدرداء وعند الجلال فى رواية الترمذى فى الأول زيادة « إن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» ومن شواهده ما أخرجه الحرث بن أبى أسامة عن أبى سعيد الخدرى: « فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى» وهكذا أخرجه ابن عبد البر أيضا، وفيه زيد العمى مختلف فيه، ورواه أبو طاهر السلفى من رواية مسلمة بن رجاء حدثنا جميل الدمشقى، عن القاسم، عن أبى هريرة ولفظه «كفضلى عليكم»، والمعروف رواية سلمة، عن رجاء، عن الوليد، عن جميل، عن=

رتبة العمل المجرد عن العلم، وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة .

وقال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٢٣) .

وقال ﷺ : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (٢٤) فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد فى فضل الشهادة .

= القاسم، عن أبى أمامة كما عند الترمذى، وأخرج الخطيب فى تاريخه عن أنس « فضل العالم على غيره كفضل النبى على أمته» وأخرج البزار فى مسنده والطبرانى فى الأوسط عن حذيفة بن اليمان بإسناد حسن، والحاكم عن سعد بن أبى وقاص « فضل العلم أحب إلىّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع »، رواه الترمذى فى العلل عن حذيفة، ثم ذكر أنه سأل عنه البخارى فلم يجده محفوظا، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال: لا يصح، قال المناوى فى تفسير الحديث الذى صدره الشيخ ما نصه: أى نسبة شرف العالم إلى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى أدنى شرف الصحابة، فإن المخاطبين بقوله أدناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم فى حديث آخر، وهذا التشبيه ينبه على أنه لابد للعالم من العبادة وللعابد من العلم لأن تشبيهها بالمصطفى وبالعلم يستدعى المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل، كيف لا والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه . ذكره الطيبى .

(٢٣) حديث: « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» . أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم، قاله العراقى . وقال السخاوى فى المقاصد: روى عن أبى الدرداء مرفوعا عند أصحاب السنن الأربعة، وعن عبد الله بن عمرو فى الترغيب للأصبهانى بهذا اللفظ، وعن عبد الرحمن بن عوف نحوه أخرجه أبو يعلى اهـ . قال مرتضى: وفى مسند أبى يعلى أيضا من رواية عثمان بن أعين عن أبى الدرداء ولفظه: « للعالم من الفضل على العابد وفيه: على أصغر كوكب فى السماء »، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن معاذ كذا فى الجامع للجلال، وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن معاذ، وكذا أحمد فى مسنده والدارمى وفيه زيادة « وإن العلماء ورثة الأنبياء » .

(٢٤) حديث: « يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف. قاله العراقى. قال مرتضى: أخرجه من طريق عنبسة ابن عبد الرحمن القرشى عن علاق بن أبى مسلم عن أبان عن عثمان، وقد رمز لحسنه وهو عليه رد، فقد أعله ابن عدى والعقيلى بعنبسة ونقلا عن البخارى أنهم تركوه ومن ثم جزم العراقى بضعف الخبر، قاله المناوى، وعقب عليه مرتضى: عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن بن=

وقال رسول الله ﷺ : « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد ، وعماد هذا الدين الفقه» (٢٥)

* عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي روى عنه إسحق بن أبي إسرائيل وعبد الواحد بن غياث وجمع، وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الذهبي في الديوان: متروك متهم وعلاق ضعفه الأزدي ولم يرو عنه غير عنبسة، وبه تعلم أن قول العزيزي شارح الجامع إنه حسن محل تأمل، وأورده صاحب القوت من غير عزو وليس فيه لفظ ثلاثة،ثم قال بعد ذلك: فقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة فله مثل أجور أمته، والشهيد عمله لنفسه .ا هـ . قال القرطبي: فأعظم منزلة هي بين النبوة والشهادة بشهادة المصطفى ﷺ ، ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله .

(٢٥) حديث: « ما عبدَ الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه » أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » قاله العراقي . قال مرتضى: كل جملة من الثلاثة حديث مستقل، أما الأولى منها فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من رواية عيسى بن زياد الدورقي، حدثنا مسلمة ابن ثقب عن نافع عن ابن عمر رفعه: « ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين »، وقال: تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد قال: وروى من وجه آخر ضعيف والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري، وفي بعض رواياته « ما عبد الله بأفضل »، وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن يوسف حدثنا معمر عن الزهري قال: « ما عبد الله بشيء أفضل من العلم »، وأما الثانية فقد أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس كما قاله العراقي، ولفظ ابن ماجه « فقيه واحد » من غير لام ولفظ الترمذي فقيه أشد من غير ذكر واحد، أما الترمذي فأخرجه في كتاب العلم وابن ماجه في كتاب السنة من سننهما، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، أي من رواية الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد ،عن ابن عباس، وأورده ابن الجوزي في العلل، وقال: لا يصح، والمتهم به روح بن جناح، قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما لم يسمعه من ليس متبحرا في صناعة الحديث شهد له بالوضع اهـ. وأورد الحديثين معا جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي آنفا والبيهقي في الشعب والدارقطني في السنن والقضاعي في مسند الشهاب وأحمد بن منيع في مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعا، ويزيد بن عياض قال فيه النسائي: متروك، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال الشيخان: منكر الحديث، وقال مالك: هو أكذب من ابن سمعان، وقال العدني في مسنده: حدثنا يوسف بن خالد البصري، عن مسلم ابن قضب، عن نافع، عن ابن عمر رفعه « ما عبد الله بشيء أفضل من تفقه في دين» وفي المقاصد قال الطبراني: لم يروه عن صفوان إلا يزيد وسنده ضعيف، وللعسكري من=

وقال ﷺ : « خير دينكم أيسره، وخير العبادة الفقه » (٢٦) .

= حديث الوليد بن مسلم حدثنا راشد بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس رفعه: « الفقيه الواحد أشد على إبليس من ألف عابد » ورواه الترمذى، وقال: غريب، وابن ماجه والبيهقى ثلاثتهم من جهة الوليد بن مسلم، فقال: عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه: « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وسنده ضعيف، لكن يتأكد أحدهما بالآخر، وفى الفردوس للديلمى بلا سند عن ابن مسعود رفعه « لعالم واحد أشد على إبليس من عشرين عابدا»، وفى الباب عن ابن عمر، وعند الحكيم الترمذى فى التاسع عشر، عن أبى هريرة رفعه « لكل شىء دعامة ودعامة الإنسان الفقه فى الدين، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » رواه البيهقى، وقال تفرد به أبو الربيع السمان عن أبى الزناد، عن الأعرج عنه مرفوعا اهـ. وروى الخطيب فى تاريخه من طريق الأعرج عن أبى هريرة ولفظه إن لكل شىء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه» وأخرج أحمد بن منيع فى مسنده من طريق زياد بن عياض، عن صفوان بن سليم ، عن سليمان ابن يسار، عن أبى هريرة رفعه « لكل شىء عماد وعماد الدين الفقه» وأخرج أبو نعيم فى الحلية من هذه الطريق ولفظه « ما عبد الله بشىء أفضل من فقه فى دين » قال: وقال أبو هريرة: « لأن أتفقه ساعة أحبّ إلىَّ من أن أحيى ليلة حتى أصبح أصليها، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شىء دعامة، ودعامة الدين الفقه » .

(٢٦) حديث: « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه». أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع بإسناد جيد، والشطر الثانى عند الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف، قاله العراقى . قال مرتضى: أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده، فقال: حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر، عن رجاء، عن محجن قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى حتى انتهينا إلى سدة المسجد فإذا رجل يركع ويسجد، ويركع ويسجد فقال لى: « من هذا ؟ » فقلت: هذا فلان وجعلت أطريه وأقول له: هذا هذا، قال رسول الله ﷺ : « لا تُسمعه فتهلكه »، ثم انطلق بى حتى بلغ باب حجرة إحدى نسائه ثم أرسل يده من بين يدى قال: فقال رسول الله ﷺ : « خير دينكم أيسره » قالها ثلاثا . وأخرجه مسدد فى مسنده، فقال: حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس، عن زياد بن مخراق، عن رجل من أسلم، قال: كان منا ثلاثة صحبوا النبى ﷺ بريدة ومحجن ومسكبة فقال محجن لبريدة: ألا تصلى كما يصلى مسكبة، قال: لا، لقد رأيتنى أقبلت مع رسول الله ﷺ من أحد نتماشى يدى فى يده فرأى رجلا يصلى، فقال: « أتراه جدا أتراه صادقا» فذهبت أثنى عليه، قال: فلما دنونا نزع يده من يدى وقال: « ويحك اسكت لا تسمعه فتهلكه، إن خير دينكم أيسره » وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده فقال: حدثنا شبابة بن سوار حدثنا شعبة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن شقيق، عن رجاء بن أبى رجاء قال: دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد فقال بريدة، وكان فيه مزاح: يا محجن، ألا تصلى كما يصلى مسكبة ؟ فقال: نزل النبى ﷺ من أحد وهو آخذ بيدى فدخل المسجد فإذا رجل يصلى فقال لى: « من هذا » ؟ فأثنيت =

وقال ﷺ : « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة» (٢٧)

= عليه خيراً، قال: « اسكت لا تسمعه فتهلكه» ثم أتى على باب حجرة امرأة من نسائه، فقبض يده من يدى، ثم قال: « إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره » مرتين، وقد علم مما سقناه أن الحديث يروى من طريق بريدة أيضاً، وقد أخرجه أيضا من طريق محجن البخارى فى الأدب والطبرانى فى الكبير، ويروى من طريق عمران بن الحصين أخرجه الطبرانى فى الكبير، وقال: انفرد به إسماعيل بن يزيد ومن طريق أنس بن مالك أخرجه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل والضياء المقدسى فى المختارة فاقتصار العراقى على محجن ومن مخرجيه على أحمد قصور ظاهر، وقول العراقى: بإسناد جيد صحيح فإن رجاله من الطرق التى سقناها ثقات ليس فيهم متهم أو متروك غير أن فى سياق سند مسدد رجلا من أسلم لم يسم ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع فى مسنده من طريق غاضرة بن عروة الفقيمى عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يا أيها الناس إن دين الله فى يسر، يا أيها الناس إن دين الله فى يسر»، وقد رواه الإمام أحمد أيضا من هذا الطريق، وغاضرة بن عروة ويقال ابن عمرو الفقيمى ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال ابن المدينى: مجهول، وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ : أى الأديان أحب عند الله؟ قال: « الحنيفية السمحة » وقد أخرجه أحمد بن حنبل وعبد بن حميد فى مسنديهما بهذا الطريق والسند فيه مقال، وقول العراقى: أخرجه ابن عبد البر عن أنس، فقد وافقه على إخراجه ذلك أبو الشيخ فى الثواب والديلمى فى الفردوس كلهم من رواية عبد الرحيم بن مطرف حدثنا أبو عبد الله العذرى، عن يونس عن الزهرى، عن أنس، ولفظهم: وخير بدل وأفضل وأبو عبد الله العذرى لا يُدرى من هو، وأما الشطر الثانى فقد أخرجه الطبرانى فى الصغير بزيادة: « وأفضل الدين الورع » وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبى وقاص أخرجه الحاكم فى التاريخ، ومن حديث حذيفة أخرجه الطبرانى فى الأوسط « فضل العلم أحب إلىَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع » وقد تقدم هذا والكلام عليه، وأخرج الطبرانى فى الكبير والصغير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن الشعبى عن ابن عمر رفعه « أفضل العبادة الفقه » وأخرج الطبرانى أيضاً من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عوف رفعه « يسير الفقه خير من كثير العبادة، وأفضل أعمالكم الفقه» وفى إسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف جدًا .

(٢٧) حديث: « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » قال العراقى: أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف، ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف اهـ. قال مرتضى: وأخرجه ابن عبد البر من حديث ابن عباس بسند ضعيف أخرجه من رواية يحيى بن بكير، حدثنا يحيى بن صالح الأبلى عن إسماعيل بن أمية عن عبد بن عمير عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة لفظ: « المؤمن إشارة إلى أن الكلام فى عالم كامل الإيمان عامل بعلمه، وفى عابد كامل الإيمان عارف بالفروض العينية وإلا فهو غير عابد » . وقول=

وقـــال ﷺ : « إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه، قليل قراؤه وخطباؤه ، قليل سائلوه، كثير معطوه ، العمل فيه خير من العلم ، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، قليل معطوه ، كثير سائلوه ، العلم فيه خير من العمل » (٢٨) .

= العراقي: أخرجه ابن عدي، قد أشار إليه السخاوي في المقاصد وأغفله الجلال. أخرجه في الكامل ثم البيهقي من طريقه وابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين كلهم من رواية عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علاثة حدثنا خصيف عن مجاهد عن أبي هريرة وفي آخره: الله أعلم ما بين كل درجتين. وأما قوله: ولأبي يعلى نحوه أي في المعنى فقط دون اللفظ كما هو مقتضى قولهم نحوه وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده، قال حدثنا: موسى بن محمد بن حبان حدثني محمد بن عمرو بن عبد الله، سمعت الخليل بن مرة يحدث، عن ميسرة، عن الزهري، عن: أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن النبي ﷺ : «فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال الهيثمي في سياق حديث أبي يعلى الخليل بن مرة: قال: البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدى: هو ممن يكتب حديثه وليس بمتروك، قلت: هو من رجال الترمذي روى عنه الليث بن سعد، جاء تضعيفه، عن ابن معين وفي الكاشف الخليل بن مرة الضبعي نزيل الرقة، عن أبي صالح وعكرمة، وعنه ابن وهب ووكيع قال أبو حاتم: ليس بقوي كان أحد الصالحين توفي سنة ١١٦، وأخرج أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع، عن عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ فذكره، وفي آخره زيادة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاما»، وسيأتي ذكره قريبًا .

(٢٨) حديث: « إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه، قليل سائلوه، كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي على الناس زمان، قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، قليل معطوه كثير سائلوه، والعلم فيه خير من العمل » قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث حرام بن حكيم عن عمه، وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف اهـ . قال مرتضى: ورواه كذلك ابن عبد البر في كتاب العلم وأبو نعيم في كتاب رياضة المتعلمين كلهم من رواية صدقة بن عبد الله، عن زيد بن واقد، عن حرام بن حكيم، عن عمه، عن رسول الله ﷺ فذكره ابن عبد البر بلفظ المصنف، وفي رواية الآخرين تقديم وتأخير، وصدقة بن عبد الله السمين ضعيف، وحرام بفتح الحاء والراء مختلف فيه وعمه عبد الله بن سعد هكذا ورد مسمى منسوبا في رواية أبي نعيم، وفي كتاب العلم لابن خيثمة حدثنا جرير عن عبد الله بن يزيد عن شميل بن زياد عن عبد الله بن مسعود: « قال إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وإن بعدكم زمان كثير خطباؤه العلماء فيه قليل قال القاري في شرح عين العلم المعنى إظهار العمل خير من إظهار العلم لتقتدى الناس فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقا اهـ . وفي مسند الإمام أحمد من رواية حجاج ابن الأسود: سمعت أبا الصديق يحدث ثابتا عن رجل عن أبي ذر أن النبي ﷺ : « قال إنكم=

وقـــال ﷺ : « بين العالم والعـابد مائة درجة بين كل درجتـين حضر الجواد المـضمّر سبعين سنة» (٢٩) .

= فى زمان علماؤه كثير خطباؤه قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى - أو قال هلك - وسيأتى على الناس زمان يقل علمـاؤه ويكثر خطباؤه من تمـسك فيه بعشـر ما يعلم نجا» وللحديث الـمذكور شواهد منهـا عند الترمذى من حـديث أبى هريرة: « إنكم في زمان من ترك فـيه عشر مـا أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم عشر مـا أمر به نجا » وعند الطبرانى في الأوسط والحاكم فى التاريخ عن أبى هريرة « أيـضاً سيأتى زمـان تكثر فيـه القرأء وتقل الفـقهاء ويقـبض العلم ويكثر الهرج، ثم يأتى بعد ذلك زمـان يقرأ القرآن رجال من أمتى لا يجاوز تراقـيهم، ثم يأتى بعد ذلك زمان يجـادل المشرك بالله المؤمن فى مـثل ما يقول» وأخرج أبو الـقاسم اللالكائي في سننه من طريق علقمة عن عبد الله قال: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فـيها الصغير ويهرم فيها الكبير، إذا ترك فيها شيء قيل ترك السنة، قيل: متى ذلك يا أبا عبدالرحمن ؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم .

(٢٩) حديث: « بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حـضر الجواد المضمر سبعين سنة » كذا وقع فى الروايات «سبعين» والتـقدير: مقدار سبعين، وفى نسخـة العراقى «سبعون » بالواو، قال العراقى: أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث عبد الله بن عمرو غير أنه قال «سبعون درجـة » بسند ضعيف، وكذا رواه صاحب مـسند الفردوس من حديث أبى هريرة اهـ . قـــال مـــرتضى: رواه أبو القاسم الأصـبهاني فى كتـاب الترغيب والترهيب من رواية خـارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن - أظنه ابن رافع -، عن عبد الله بن عـمرو قال: قال رسول الله ﷺ فـذكره ولفظه: « فضل العالم على العـابد سبعون درجـة بين كل درجتين حضر الفرس سـبعون عاماً » ، وذلك لأن الشيطان يضع البـدعة للناس فيتبصر بهـا العالم فينهى عنها، والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه إليها ولا يعرفها ، وخارجة ضعيف، وقال السخاوى فى المقاصد: ولأبى يعلى وابن عدى من رواية عبد الله بن محرز، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة مرفوعـا بهذا اللفظ، قال: وقد ذكر ابن عبـد البر فى العلم أن ابن عون، رواه عن ابن سيرين، عن أبى هريرة فينظر من خرجه اهـ . ولفظ العراقى: ذكره ابن عبدالبر فى العلم من غير أن يوصله بالإسناد، وقال: ومن حديث ابن عون، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال: درجة موضع سنة، ثم قال: ومن دون ابن عون لا يحتج به اهـ . وتقدم حديث عـبد الرحمن بن عوف الذى أخرجه أبو يـعلى الموصلى، ولفظه: « فضل العالم على العابد سـبعين درجة، ما بين كل درجـتين كما بين السمـاء والأرض» وقول العراقى: رواه صـاحب مسند الفـردوس يعنى به الديلـمى، وإسناده ضعـيف أشـار إلى أنه رواه من طريق بقية، عن عبـد الله بن محرز، عن الزهرى، عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه، وسيـاقه كسياق حديث عبـد الله بن عمرو المتـقدم، وعبد الله بن محـرز قاضى الرقة ضعـيف جدا، وقد عنعن الحديث بقية وهو مـدلس، والظاهر أنه لم يسمعه من عبد الله وإنما سمـعه من غياث بن إبراهيم=

وقيل: يا رسول الله، أىَ الأعمال أفضل؟ فقال: « العلم بالله عز وجل » فقيل: أى العلم تريد؟ قال ﷺ : « العلم بالله سبحانه » فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال: ﷺ : « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله » (٣٠)

= أحد الوضاعين فقد روى عنه بقية، وقد روى أبو نعيم هذا الحديث مقتصراً على أوله من رواية غياث بن إبراهيم، عن عبد الله بن محرز، وأخرج أبو نعيم من رواية سليمان الشاذكونى حدثنا ابن يمان، عن محمد بن عجلان عن الزهرى، قال: « فضل العالم على المجتهد مائة درجة، ما بين كل درجة خمسمائة سنة حضر الفرس الجواد المضمر» . وبهذا وبما تقدم يسقط قول ملا على فى شرح عين العلم: وأما ما فى الإحياء مائة درجة لا أصل له، والحضر بالضم وسكون الضاد: نوع من أنواع سير الفرس، وهو فوق الهملجة، والمضمر هو الجواد المهيأ للحضر والركض .

(٣٠) حديث: لما قيل: يا رسول الله، أى الأعمال أفضل؟ فقال: « العلم بالله عز وجل » فقيل: الأعمال نريد فقال: « العلم بالله» فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم؟ فقال: « إن قليل العمل ينفع مع العلم، وإن كثيرالعمل لا ينفع مع الجهل» قال العراقى: أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف اهـ. قال مرتضى: هو من رواية الحسين بن حميد حدثنا محمد بن روح بن عمران القشيرى حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن ، عن عباد بن عبد الصمد، عن أنس بتكرار؛ أى الأعمال أفضل مرتين وفيه: أسألك بدل نسالك، وتخبرنى بدل تجيب، والباقى سواء، وعباد منكر الحديث ومؤمل ضعيف، ومحمد بن روح منكر الحديث، والحسين بن حميد المصرى تكلم فيه أيضا، وأخرجه الحاكم والترمذى فى الأصل السادس والستين بعد المائتين من نوادر الأصول فقال:حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله،أى الأعمال أفضل؟ قال: « العلم بالله »، ثم أتاه فسأله فقال مثل ذلك، فقال:يا رسول الله، أنا أسألك عن العمل، قال: « إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وإن الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره »، وقوله: « إن قليل العمل ينفع مع العلم » أى فإنه يصححه، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل لأن المتعبد من غير علم كالحمار فى الطاحون .وقد أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أنس أيضا، ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ عن عبادة: العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل، وأخرج ابن عبد البر عن أبى هريرة: العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع. وأخرج ابن أبى شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر: العلم علمان: فعلم فى القلب فذلك العلم النافع، وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم.

وقال ﷺ : « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء، ثم يقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم» (٣١) [نسأل الله حسن الخاتمة] .

« وأما الآثار » ، فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقه، والعلم يزكو بالإنفاق، وقال علي أيضًا رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه ، وقال رضي الله تعالى عنه نظمًا :

---

(٣١) حديث: « يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء، ثم يقول: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم » أخرجه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف، قاله العراقي. قال مرتضى: وأخرجه أيضا يعقوب بن سفيان في تاريخه قاله الحافظ بن حجر ولفظ الطبراني في الكبير عن أبي موسى « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول: يا معشر العلماء إني لم أضع فيكم علمي إلا وأنا أريد أن لا أعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم» وقال مرتضى: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير من رواية عمرو بن أبي سلمة التنيسي وأبو الشيخ في الثواب وابن عبد البر في العلم من رواية منبه بن عثمان كلاهما عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي موسى رفعه، وصدقة وطلحة وموسى ضعفاء وأضعفهم طلحة وفي ترجمته أخرج ابن عدي هذا الحديث ويروى أيضا من حديث أبي أمامة أو واثلة هكذا بالشك، رواه ابن عدي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن مكحول عنه مرفوعًا بلفظ: « إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال: إني لم أستودع علمي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم ادخلوا الجنة » ويروى أيضًا من حديث ثعلبة بن الحكم أخرجه الطبراني من رواية سماك بن حرب عنه رفعه « يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي»، ومن شواهده ما أخرجه ابن عدى في الكامل والبيهقي بسند ضعيف عن جابر رفعه « يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت من أدبهم وذكر أبو الطيب في البحر الزاخر، حكى أن إسماعيل بن أبي رجاء قال: رأيت محمد بن الحسن الشيباني في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في جوفك . وإنما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلا بقوله: فقد غفرت لكم، إشارة إلى أن مآل العالم بالله العامل لله الغفران، وهذا ختام حسن نسأل الله حسن الخاتمة .

مـــا الفـــخـــر إلا لأهـل العلم إنهم ... على الـهـدى لمـن اسـتـهـدى أدلاء
وقـدر كل امـرئ مـا كـان يحسنه ... والجــاهلـون لأهل الـعلم أعــداء
فـفـز بعـلـم تعش حـيّـا بـه أبداً ... الناس مـوتى وأهل الـعلم أحـيـاء

وقال أبو الأسود : ليس شيء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك. وقال ابن عباس ﷺ: خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك؛ فاختار العلم فأعطى المال والملك معه. وسئل ابن المبارك: مَن الناس ؟ فقال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد قيل: فمَن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين ، ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التى يتميز الناس بها عن سائر البهائم هو العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولابشجاعته فإن السبع أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنًا منه ، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فاته من أدرك العلم، وقال عليه الصلاة والسلام: « من أوتى القرآن فرأى أن أحدًا أوتى خيراً منه فقد حقّر ما عظّم الله تعالى » . وقال فتح الموصلى رحمه الله: أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى ،قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت . ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة ، وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم ؛ فقلبه مريض وموته لازم، ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه ، كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال ، وإن كان واقعًا ، فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا ، أحس بهلاكه ، وتحسر تحسراً عظيما ، ثم لا ينفعه، وذلك كإحساس الآمن من خوفه ، والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء، فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وقال الحسن رحمه الله: يوزن مداد العلماء بدم الشهداء. فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء ، وقال ابن مسعود ﷺ: عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ورفعه موت رواته، فوالذى نفسى بيده

ليودن رجال قُتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم، فإن أحداً لم يولد عالمًا، وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس ﷺ: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلىّ من إحيائها، وكذلك عن أبى هريرة ﷺ وأحمد بن حنبل رحمه الله، وقال الحسن فى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (البقرة: ٢٠١) - إن الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة. وقيل لبعض الحكماء: أى الأشياء تقتنى ؟ قال: الأشياء التى إذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعنى العلم. وقيل: أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت، وقال بعضهم: من اتخذ الحكمة لجامًا اتخذه الناس إمامًا، ومن عرف الحكمة لاحظته العيون بالوقار، وقال الشافعى رحمة الله عليه: من شرف العلم أن كل من نسب إليه - ولو فى شىء حقير- فرح، ومن رفع عنه حزن. وقال عمر رضى الله عنه: يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه من طلب بابًا من العلم رداه الله عز وجل بردائه، فإن أذنب ذنبًا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت. وقال الأحنف رحمه الله: كاد العلماء أن يكونوا أربابًا، وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره. وقال سالم بن أبى الجعد: اشترانى مولاى بثلاثمائة درهم وأعتقنى، فقلت: بأى شىء أحترف؟ فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له. وقال الزبير بن أبى بكر: كتب إلىّ أبى بالعراق: عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا، وإن استغنيت كان لك جمالا.

وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال: يا بنى، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء. وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره. وقال الزهرى رحمه الله: العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال.

★ ★ ★

فضيلة التعلم

أما الآيات فقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ (التوبة : ١٢٢).

وقوله : عز وجل : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧).

وأما الأخبار فقوله ﷺ : « من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة» (٣٢)

(٣٢) حديث: « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة » قال العراقي: ورد من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة، أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه في أثناء حديث وقد تقدم في الحديث الثاني من هذا الباب، وهذا لفظ الترمذي إلا أنه قال: يبتغي به، بدل يطلب فيه، وتقدم لفظ أبي داود، وقال ابن ماجه: يلتمس بدل يطلب، وقال: سهل الله له، وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم وابن ماجه من رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه بلفظه، إلا أن مسلما قال: سهل الله له، وقال ابن ماجه: به وقال أيضا: يلتمس بدل يطلب. اهـ. قال مرتضى: وعزا الجلال في ذيله على الجامع إلى الإمام أحمد والأربعة وابن حبان كلهم عن أبي الدرداء بلفظ « يطلب فيها علما سهل الله له طريقا من طرق الجنة » ونص الترمذي في جامعه، حدثنا محمود بن خداش عن محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم بن رجاء أبي حيوة عن قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »، ثم ساق جملا مضى ذكر بعضها في أحاديث فضل العلم ويأتي بعضها، ثم قال: كذا حدثنا محمود وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء وهذا أصح من حديث محمود ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم، وفي العلل للدارقطني رواه الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم، عن كثير ابن قيس قال: وعاصم بن رجاء، ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء، وقال البزار: داود ابن جميل وكثير بن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد ابن مرة، ولا نعلم روى عن داود غير عاصم قال ابن القطان: اضطرب فيه عاصم فعنه في ذلك ثلاثة أقوال، أحدها قول عبد الله بن داود عن عاصم عن واقد عن كثير بن قيس، والثاني قول أبي نعيم عن عاصم عمن حدثه عن كثير، والثالث قول محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم عن كثير ولم يذكر بينهما أحدا والمتحصل من علة هذا الخبر هو الجهل بحال راويين من رواته والاضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته اهـ. وقد مرّ عند الترمذي في رواية محمود بن خداش عن محمد بن يزيد فسماه قيس بن كثير فصار اضطرابا رابعا. والخامس قال في التهذيب:=

وقال ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » (٣٣) .

= داود ابن جميل، وقال بعضهم الوليد بن جميل وفى جامع العلم لابن عبد البر من رواية ابن عياش عن عاصم بن جميل بن قيس ثم قال: قال حمزة بن محمد كذا قال ابن عياش فى هذا الخبر جميل ابن قيس، وقال محمد بن يزيد وغيره عن عاصم عن كثير بن قيس قال: والقلب إلى ما قاله محمد بن يزيد أميل، وهذا اضطراب سادس وسابع وثامن ذكره ابن قانع فى المعجم وزعم أن كثير بن قيس صحابى وأنه هو الراوى عن النبى ﷺ وتبعه ابن الأثير على هذا، وقول ابن القطان: لا يعرف كثير فى غير هذا الحديث، يرده قول ابن عبد البر، وروى عن أبى الدرداء وعبد الله بن عمر ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر: قال حمزة: وهو حديث حسن غريب والتزم الحاكم صحته، وكذا ابن حبان رواه عن محمد بن إسحق الثقفى، حدثنا عبد الأعلى بن حماد، حدثنا عبد الله بن داود فذكره بطوله، وقال الترمذى بعد إخراجه للجملة الأولى من الحديث عن أبى هريرة: حسن، قال القسطلانى: وإنما لم يقل صحيح لتدليس الأعمش، لكن فى رواية مسلم عن الأعمش حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه .اهـ . وقال الحاكم فى المستدرك: فهو صحيح على شرطهما، رواه عن الأعمش جماعة منهم زائدة وأبو معاوية وابن نهى اهـ . وأورده البخارى فى أول صحيحه ولفظه: « سهل الله له طريقا إلى الجنة» والباقى مثل سياق مسلم والحديث محفوظ وله أصل وقد تظاهر الشرع والعقل على أن الجزاء من جنس العمل فكلما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقا يحصل له ذلك، وروى ابن عدى من حديث ابن عبد الملك » الأنصارى، عن الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعا: «أوحى إلىّ أنه من سلك مسلكا يطلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة»، قال العينى وابن حجر: وإنما لم يفصح البخارى بكونها تعليقا للعلل التى ذكرت، وقال المناوى فى شرح الحديث: طريقا أى حسية أو معنوية، وعلما نكرة ليعم كل علم شرعى وآلته، ومعنى تسهيل الطريق فى الدنيا أن يوفقه للعمل الصالح، وفى الآخرة بأن يسلك به طريقًا لا صعوبة فيها، ولا هول إلى أن يدخله الجنة سالمًا.

(٣٣) حديث: « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب» قال العراقى أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث مهران بن عسال وهذا اللفظ لأحمد، وفى رواية له: «ما من خارج يخرج من بيته إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع» وهو لفظ ابن ماجه، وقال الحاكم: يضع وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبى الدرداء وقالوا: رضا لطلب العلم، ليس فيه بما يصنع، وأخرجه الذهبى فى كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله. قال مرتضى: أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر والطيالسى والبزار والديلمى ولفظهم: «طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب » وأما حديث أبى الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضا وابن ماجه، وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسى أيضاً ولفظه: بما يطلب كما للمصنف، وقرأت فى إصلاح المستدرك للحافظ العراقى بخطه، وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن عاصم بن أبى النجود عن زر =

وقال ﷺ : « لأن تغدو فتتعلم بابًا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة»(٣٤) .

= ابن حبيش أتيت صفوان بن عسال المرادى، فقال: ما جاء بك ؟ قال: فقلت: جئت لأطلب العلم قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من خارج يخرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع» ثم قال: وأخرجه الطبرانى، عن إسحق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق مثله وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق مقتصرا على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه، ورواه ابن حبان فى صحيحه فى ثلاثة أنواع عن ابن خزيمة عن محمد بن يحيى ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق، وقال فى نوع منها: وأخبرنا محمد بن إسحق بن خزيمة بخبر غريب، ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن زر عن صفوان قوله غير مرفوع وزاد فى آخره: حتى يرجع، وقال: هذا إسناد صحيح فإن عبد الوهاب بن بخت من ثقات المصريين وأثباتهم، وقد احتجا به ولم يخرجا هذا الحديث قال: ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر، وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه ثم رواه من رواية عارم عن الصعق بن حزر عن على ابن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش قال: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ فذكره مرفوعا لكنه مرسل كما سيذكره بعد، ثم قال الحاكم، وقد خالفه شيبان بن فروخ ؛ فقال: حدثنا الصعق بن حزر، حدثنا على بن الحكم البنانى، عن المنهال ابن عمر، وعن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: حديث صفوان بن عسال المرادى قال أتيت رسول الله ﷺ وهو فى قبة من أدم أحمر فقلت: يا رسول الله إنى جئت أطلب العلم فقال: « مرحبا بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضها بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب » . قال: هذا حديث رجاله محتج بهم فى الصحيح إلا أن ذكر ابن مسعود فيه نوع من المزيد فى متصل الأسانيد، وقال وقد صرح زر بسماعه له من صفوان ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان، ثم سمعه من صفوان، ثم قال الحاكم: وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو خباب الكلبى عن طلحة بن مصرف، عن زر، ثم رواه من رواية الحسن بن صالح عن أبى خباب موقوفا على صفوان والذى أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة، وهذا حديث صحيح، وقد أورد العراقى على الحاكم فى هذا السياق ثمانى مؤاخذات تركتها خوف الإطالة، والله أعلم .

(٣٤) حديث: « لأن تغدو فتتعلم بابًا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة» وفى بعض النسخ: مائة ركعة، قال العراقى: رواه ابن عبد البر من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وابن جدعان ضعيف والحديث عند ابن ماجه من هذا الوجه إلا أنه قال: ألف ركعة، وزاد فيه: عمل به أو لم يعمل به، وزاد فى أوله: لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة. وإسناد ابن ماجه منقطع فإنه عنده من رواية عبد الله بن غالب العبادانى عن عبد الله ابن زياد البحرانى هكذا معنعنا، وفى رواية ابن=

وقال ﷺ : « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٣٥) .

وقال ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصين » (٣٦) .

= عبد البر : عبد الله بن غالب العباداني ، قال: حدثنا خلف بن أعين عن عبد الله بن زياد فزاد فيه رجلا . اهـ . قال مرتضى: قال ابن القيم: أخرجه ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا ولا يثبت رفعه هكذا قاله عن معاذ ولعله سهو من قلم الناسخ، وأما حديث ابن ماجه الطويل فأخرجه الحاكم أيضا في تاريخه ويأتي بطوله إن شاء الله تعالى . وروى الطبراني في الأوسط من رواية ابن جدعان عن ابن المسيب عن أبي ذر مرفوعا « باب من العلم يتعلمه أحدكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوعا» وروى المخلص في فوائده عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا حجاج ابن نصير، حدثنا هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة وأبي ذر أنهما قالا : باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعا، وباب من العلم نتعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعا، وقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيدا»، ورواه ابن أبي داود عن شاذان عن حجاج به . وروى الخطيب عن أبي هريرة قال: لأن أعلم بابا من العلم في أمر أو نهي أحب إليّ من سبعين غزوة في سبيل الله .

(٣٥) حديث: « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها» قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا، وهو معروف هكذا من قول الحسن البصري رويناه في أمالي أبي عبد الله بن منده ورواه ابن عبد البر في العلم وابن حبان في روضة العقلاء موقوفا عن الحسن اهـ. ويروى عن الحسن: لأن أتعلم بابا من العلم فأعلمه مسلما أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا كلها في سبيل الله .

(٣٦) حديث: « اطلبوا العلم ولو بالصين » قال العراقي: أخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب والمدخل من حديث أنس وقال البيهقي: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي عاتكة وأخرجه ابن عبد البر أيضا من رواية الزهري عن أنس، وفي إسناده يعقوب بن إسحق العسقلاني فقد كذبه البيهقي. قال مرتضى: رواه من طريق عبيد بن محمد ، عن ابن عيينة، عن الزهري قاله السخاوي اهـ. وأخرجه ابن عدي أيضا من رواية الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه، ثم قال: هذا من وضع الجويباري لابن كرام، باطل بهذا الإسناد اهـ. وقال مرتضى: وحديث أنس أيضا أخرجه، الخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وزادا كالبيهقي وابن عبد البر بآخره: فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وقال الحافظ في اللسان: وقد روى أيضا من طريق النخعي سمعت أنسا، وهو باطل أيضا فإن النخعي لم يسمع من أنس اهـ. وقد روى هذا الحديث عن أبي عاتكة ستة : محمد بن غالب التمتام، وجعفر بن هاشم، والحسن بن عليّ بن عباد، وأبو بكر الأعين، والعباس بن طالب، والحسن بن عطية، وقد خرّج الخطيب هذا الحديث في رحلته من طرق=

وقال ﷺ: « طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم »(٣٧).

= هؤلاء وكذا البيهقي والديلمي وابن عدى والعقيلي وتمام، وقد ألفت في تخريجه والحديث الذي قبله جزءًا لطيفًا أوردت فيه ما تيسر لي من الأسانيد.

(٣٧) حديث: « طلب العلم فريضة على كل مسلم» لم يخرجه العراقي. قال مرتضى: أخرجه ابن عدي والبيهقي عن أنس والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، وفي الأوسط عن ابن عباس وفيه أيضًا، وكذا البيهقي عن أبي سعيد وتمام في فوائده عن ابن عمر والخطيب في تاريخه عن علي، قال مرتضى: أما حديث أنس فأخرجه الخطيب في رحلته من رواية طريق بن سليمان وأبو علي الحداد في معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم وابن خسرو في مسنده من رواية أحمد بن الصلت عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة وابن عدى في الكامل من رواية معاذ بن رفاعة عن عبد الوهاب بن بخت وابن ماجه في سننه من رواية محمد بن سيرين خمستهم عن أنس، ورويناه في الكامل من رواية أحمد بن عبد الملك عن نافع عن ابن عمر وعن محمد بن المنكدر عن جابر وفي مشيخة أبي علي بن شاذان من طريق حماد عن أبي وائل عن ابن مسعود وفي معجم شيوخ الحداد من رواية الشعبي عن ابن عباس قال البيهقي في الشعب متنه مشهور وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجه كلها ضعيفة وقال النووي في فتاويه: هو حديث ضعيف وإن كان معناه صحيحا، وقال البزار: أسانيده واهية، وقال ابن القطان: لم يصح فيه شيء وأحسن ما فيه ضعيف، وسكت عنه مغلطاي، وقال البدر الزركشي: روي عن عدة من الصحابة وفي كل طرقه مقال وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه عن كثير بن شنظير عن ابن سيرين عن أنس وفيه زيادة: « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤة والذهب ». وكثير بن شنظير مختلف فيه، فالحديث حسن، قال ابن عبد البر: روى من وجوه كلها معلولة، ثم روى عن إسحق بن راهويه ما معناه أن في أسانيده مقالا ولكن معناه صحيح عندهم، وقال البزار: أحسن طرقه ما رواه إبراهيم بن سلام عن حماد عن إبراهيم عن أنس، قال: ولا نعلم إسناد إبراهيم عن أنس سواه وإبراهيم بن سلام لا نعلم أحداً روى عنه إلا أبا عاصم وأخرج ابن الجوزي في منهاج العابدين من رواية أبي بكر بن أبي داود، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا يحيى بن حسان عن سليمان بن قدم عن ثابت عن أنس فذكره، ثم قال ابن أبي داود: سمعت أبي يقول: ليس في طرقه أصح من هذا، وقال السخاوي في المقاصد: أخرجه ابن ماجه وابن عبد البر في بيان العلم له من حديث حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن محمد بن سيرين عن أنس مرفوعًا بتلك الزيادة، وحفص ضعيف جدا بل اتهمه بعضهم بالكذب والوضع، وقيل عن أحمد إنه صالح ولكن له شاهد عند ابن شاهين في الأفراد ورويناه في ثاني الشمعونيات من حديث موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس به، وقال ابن شاهين إنه غيريب قلت: ورجاله ثقات بل يروى عن نحو عشرين تابعيا، عن أنس كإبراهيم النخعي وثابت وإسحق بن عبد الله بن أبي طلحة وثابت وله عنه طرق وحميد والزبير بن الخريت وزياد بن ميمون بن عمار أو ابن عمار وسلام=

وقـــال ﷺ : « العلم خزائن مـفاتيحها السـؤال ألا فاسألوا فإنه يؤجـر أربعة : السائل والعالم والمستمع والمحب لهم » (٣٨) .

= الطويل وطريف بن سليمان بن عاتكة وقتادة والمـثنى بن دينار ومحمد بن الزهرى ومسلم الأعور كلهم عن أنس ولفظ حمـيد طلب الفقـه حتم واجب على كل مسلـم، ولزياد: والله يحب إغاثة اللهفان، ولأبى عاتكة فى أوله اطلبوا العلم ولو بالصـين. وفى كل منهما مقال ولذا قال ابن عبد البر: فساق ما أوردناه آنفا ثم نقل عن البزار ما قدمنا ذكره ثم قال: وهو عند البيهقى فى الشعب وابن عبد البر فى العلم وتمام فى فوائـده من طريق عبد القدوس بن حبيب الوحاطى عن حماد ثم ساق طريق ابن أبى داود الذى قدمناه قال وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر بل وفى الباب عن أبىّ وجـابر وحذيفـة والحسين بن على وسلمـان وسمـرة وابن عباس وابن عـمر وابن مسعود وعلى ومعـاوية بن حيدة ونبيط بن شريط وأبى سعيد وأبى هريـرة وعائشة بنت قدامة وأم هانئ وآخرين، وقال أبو على الحافظ: إنه لم يصح عن النبى ﷺ :ثم ساق كلام ابن الجوزى فى العلل ونقل عن الإمام أحـمد أنه قال: لا يثبت عندنا فى هذا البـاب شىء، ثم نقل كلام ابن راهويه وكـلام القطان وكلام البيـهقى، ثم قـال: ومثل به ابن الـصلاح للمـشهـور الذى ليس بصحيح، وتبع فى ذلك أيضا الحاكم ولكن قال العراقى: قد صحح بعض الأئمة طرقه اهـ. كلام السخـاوى. وقال المزنى: هـذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحـسن، وقال السـيوطى فى التعليقة المنيفـة وعندى أنه بلغ رتبة الصحيح لأنى رأيت له نحو خمسين طريقا وقـد جمعتها فى جزء ونقل المناوى عنه قال: جمعت له خمسين طريقـا وحكمت بصحته لغيره ولم أصحح حديثا لم أسبق لتـصحيحـه سواه اهـ. وقـال مـرتضى: إن أراد السيـوطى بأنه لكثرة طرقـه ارتقى من الضعف إلى الصحـة، فهذا منظور فيه لأن كثـرة الطرق لا ترقى الحديث إذا كان فيها مـقال كما صرح به الحافـظ وغيره وتقدم ذلك فى حديث من حـفظ على أمتى وإن كان اعتـمد على طريق قتادة وثابت فالأمر سهل، قال السخاوى وقد ألحق بعض المصنفين فى آخره «ومسلمة» وليس لها ذكر فى شىء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى والله أعلم .

(٣٨) حديث: « العلم خـزائن مفاتحهـا السؤال، ألا فاسألوا فإنه يـؤجر فيه أربعة: السـائل والعالم والمستمع والمحب لهم» والمـراد بالسؤال سؤال تفهم لا تعنيت فذلك منهى عنه، قال العـراقى: أخرجـه أبو نعيم فى الحلية من رواية داوذ بن سـليمان الغازى، عن عـلى بن موسى، عن آبائه، عن على بن أبى طالب قـال: قال رسـول الله ﷺ فذكـره، ورواه الخطيب فى كتـاب الفقـيه والمتفـقه من طريق الطبرانى، عن عبـد الله بن أحمد بن عامر، عن أبيـه، عن على بن موسى، قال فى الميزان: ما ينفك عن وضعه أو وضع أبيه، وأيضا فداود الغازى كذبه ابن معين وله نسخة موضوعة على أهل البيت، وهذا الحديث معـروف من قول الزهرى رواه عبد الغنى ابن سعيد فى كتاب آداب الحـديث والمحدث اهـ. قـال مـرتضى: وأخرجه العسكرى فـى الأمثال بمثل رواية الحلية وأورده صاحب القـوت فقال: وفى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البـيت، وساقه وزاد=

وقال ﷺ : « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت على علمه»(٣٩).

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة » ، فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن ؟ فقال ﷺ : «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » (٤٠).

= في الميزان أن تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازى على بن محمد بن مهرويه القزوينى العدوى فيها هذا الحديث اهـ. وأما عبد الله بن محمد بن عامر الطائى فقد ذكره ابن النجار في تاريخه في ترجمة علي الرضا وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه، وأما قوله: وهذا الحديث معروف من قول الزهرى فقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال: العلم خزائن وتفتحها المسائل، وأخرج أيضا من رواية قتيبة بن سعيد حدثنا رشدين بن سعد عن ابن شهاب قال مثله، وأخرج من رواية محمد بن إسحق عن الزهرى قال: كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش.

(٣٩) حديث: « لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه» هكذا أورده صاحب القوت فقال: وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ : لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله، ولا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وقال العراقي: رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين وأبو بكر ابن مردويه فى تفسيره وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من رواية محمد بن أبى حميد عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ فذكره، وقدم ذكر العالم، وفى آخره: فإن الله قال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ ومحمد بن أبى حميد منكر الحديث قاله البخارى وغيره اهـ. قال مرتضى: هو حماد بن أبى حميد إبراهيم الزرقى الأنصارى أبو إبراهيم المدنى من رجال الترمذى وابن ماجة ضعيف، وقد أخرجه الطبرانى فى الأوسط من هذا الطريق وسياقه كسياق الجماعة .

(٤٠) حديث: « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة . فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن ؟ فقال: «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» قال العراقي: ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر، ولم أجده من طريق أبى ذر. قال مرتضى: قال ابن الجوزى: روى محمد بن على بن عمر المذكر قال: حدثنا إسحق بن الجعد حدثنا أحمد بن عبد الله الهروى حدثنا إسحق بن نجيح حدثنا هشام بن حسان حدثنا محمد بن سيرين حدثنا عبيدة السلمانى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وأنا شاهد، فقال: يا رسول الله، إذا حضرت جنازة وحضر مجلس عالم أيهما أحب إليك أن أشهده ؟ فقال: «إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور =



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



وقال ﷺ : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة » (٤١) .

= مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها، ومن حضور ألف مريض تعوده، ومن قيام ألف ليلة للصلاة، ومن ألف يوم تصومه، ومن ألف درهم تتصدق بها، ومن ألف حجة سوى الفرض، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها فى سبيل الله بنفسك ومالك » الحديث وفيه: فقال رجل: قراءة القرآن ؟ فقال: « ويحك وما قراءة القرآن بغيرعلم، وما الحج بغير علم، وما الجمعة بغير علم، أما علمت أن السنة تقضى على القرآن والقرآن لا يقضى على السنة »، قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع . أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب: هو متروك ، وأما الهروى فهو الجوبيارى وهو الذى وضعه، وإسحق بن نجيح قال أحمد: أكذب الناس اهـ. **قال مرتضى:** ونص ابن الجوزى بعد قوله: بنفسك ومالك « وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم، أما علمت أن الله يطاع بالعلم، ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة فى العلم، وشر الدنيا والآخرة فى الجهل» ؛ فقال رجل. . . إلخ، وقد أقره على كونه موضوعا الحافظ بن حجر فى اللسان، وقال: هذا من طامات الجوبيارى، وتبعه الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة، وقد وجدت لحديث أبى ذر طريقا أخرى أخرجه ابن ماجه كما فى الذيل للسيوطى والحاكم فى تاريخه كما فى الجامع الكبير له فى مسند أبى ذر ولفظه: « يا أبا ذر، لأن تغدو فى أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، وأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة تطوعا» . فيحتمل أن الشيخ أشار إلى هذا والله أعلم. وأخرج الخطيب وابن النجار فى تاريخيهما عن ابن عباس مرفوعا: « من تعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به، كان أفضل من صلاة ألف ركعة، فإن هو عمل به أو علّمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به إلى يوم القيامة».

(٤١) حديث: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة». **قال العراقى:** رواه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف، والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير عن أبى العلاء عن الحسين بن على ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : « من جاءه الموت . . . » فذكره وزاد فيه: فمات على ذلك، وفى رواية الهروى عمرو بن كثير وهكذا رواه الدارمى فى مسنده إلا أنه قال: عن الحسن ولم ينسبه، وأطلقه ابن السنى فى رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى العلم، وقال بعد ذلك: إنه من مراسيل الحسن، فجعله للحسن البصرى، وهذا هو الظاهر فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا فى أتباع التابعين من الثقات، وقال إنه يروى عن الحسن وإنه روى عنه ابن عيينة وقد اختلف فيه على عمرو بن أبى كثير فقصره بعضهم على الحسن وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب ا هـ . ورواه يونس بن عبد الأعلى عن ابن أبى فديك قال: حدثنى عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن مرسلا، هكذا قال عمرو بن كثير وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلا، وأخرجه ابن النجار عن الحسن عن أنس إلا أنهما قالا يحيى به الإسلام لم تكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة فى =

« وأما الآثار » فقال ابن عباس ﷺ: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهًا، وإذا تكلم فأعرب الناس لسانًا ، وإذا أفتى فأكثر الناس علمًا. وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء ﷺ : لأن أتعلم مسألة أحبّ إلىَّ من قيام ليلة ، وقال أيضًا : العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم، وقال أيضًا : كن عالما أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء: مجلس علم يكفر سبعين مجلسًا من مجالس اللهو ، وقال عمر ﷺ : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه.

= الجنة. **قال العراقى:** ويروى أيضا عن ابن عباس رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ : «من جاء أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم تفضله النبيون إلا بدرجة واحدة » . وعمرو بن كثير لا أدرى من هو، وقد اختلف عليه فيه كما تقدم، ورواه الأزدى فى الضعفاء وأبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف وابن عبد البر فى العلم من رواية محمد ابن الجعد، عن الزهرى وعلى بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس ومحمد بن الجعد ضعفه الأزدى اهـ. وعقب مرتضى: ومحمد بن كثير ذكره الذهبى فى ذيل الديوان، وقال: يروى عن أبى الزناد مجهول، وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس: من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقى الله لم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوّة .وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب، عن ابن عباس: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم يفضله إلا النبيون. **وقال العراقى:** ويروى من حديث أبى الدرداء، ورواه أبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن زياد عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : « من طلب بابًا من العلم ليحيى به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة فى الجنة » وابن جدعان مشهور بالضعف وعبد الله بن زياد البحرانى قال فيه الذهبى: لا أدرى من هو اهـ. **قال مرتضى:** وقد أخرجه كذلك ابن النجار فى تاريخه، **وقال العراقى:** ويروى من حديث أنس رواه سليم الرازى فى الترغيب والترهيب ولفظه: « من طلب - يعنى العلم - حتى يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة وإسناده ضعيف اهـ. **قال مرتضى:** تقدم أن ابن النجار أخرجه من رواية الحسين عن أنس، وقال ابن عبد البر: ومنهم من رواه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وعن أبى ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، وذكر أبو نعيم أنه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضا ولم يوصل إسناده، والحديث مضطرب الإسناد جدًا اهـ.

وقال الشافعى ﷺ : طلب العلم أفضل من النافلة. وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى ؛ فقال: يا هذا، ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية.

وقال أبو الدرداء ﷺ: من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله .

★ ★ ★

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل: ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢).

والمراد هو التعليم والإرشاد.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، وهو إيجاب للتعليم.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦) وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة: ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

وقال ﷺ: « ما آتى الله عالمًا علمًا إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » (٤٢).

---

(٤٢) حديث: «ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه » **قال العراقي**: يروى عن أبي هريرة وابن مسعود، أما حديث أبي هريرة فرويناه في جزء ابن نظيف وفي فوائد الخلعي من طريقه من رواية موسى بن محمد عن زيد بن مسور عن ابن المسيب عن أبي هريرة رفعه، وفيه: أن لا يكتم، وموسى بن محمد البلقاوي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريقه وأعله به، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة، وعبد الملك بن عطية قال فيه الأزدي: ليس حديثه بالقائم، وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن صالح، عن محمد بن عبد الله الموصلي، عن الأعمش، عن إبراهيم ،عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس من عالم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين » وعبد الله بن صالح مختلف في الاحتجاج به .ا هـ . **قال مرتضى**: أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه العراقي في جزء له ألفه في الذب عن مسند الإمام أحمد وساق سنده إلى محمد بن الفضل بن نظيف أخبرنا أحمد بن الحسين الرازي، أخبرنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا موسى ابن محمد فذكره، ثم قال: موسى بن محمد هو البلقاوي متهم، لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه في كتاب فضل العالم العفيف لأبي نعيم، وقال تلميذه الحافظ ابن حجر في القول المسدد بعد أن نقل كلام شيخه هذا: احتجاجه بهذا الحديث واعترافه=

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (فصلت: ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

وأما الأخبار، فقوله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن: « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها »(٤٣).

= بأن موسى البلقاوى متهم، أى أن الحفاظ اتهموه بالكذب، لا يصح لأنه لذلك لا يحتج بحديثه، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبى هريرة وفيه من لا يعرف وهو من رواية محمد بن عبدة القاضى، وكان يدّعى سماع ما لم يسمع وهو مشهور. انتهى كلام الحافظ . وقد أورد الديلمى فى الفردوس هذا الحديث عن أبى هريرة وساقه ثم قال: وفى الباب عن ابن عباس وعلى بن أبى طالب ، ولفظ الأخير: « ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه» .

(٤٣) حديث: « . . . من الدنيا وما فيها » وفى نسخة: خير لك من حمر النعم. **قال العراقى:** رواه أحمد فى مسنده قال: حدثنا حيوة بن شريح حدثنى بقية حدثنى ضبارة بن عبد الله عن دريد بن نافع عن معاذ بن نافع عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال له: « يا معاذ، لأن يهدى الله على يديك رجلا من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم» وإسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة، إنما أرسل عنهم اهـ. **وقال العراقى:** وفى الباب عن سهل ابن سعد رواه البخارى ومسلم والنسائى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد فى قصة بعث النبى ﷺ على بن أبى طالب إلى خيبر، وفى آخره: « فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم » اهـ. **قال مرتضى:** ولفظ البخارى فى الصحيح: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبى حازم أخبرنى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فذكر الحديث فى طلبه عليا وإعطائه الراية وفيه، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: « اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدى بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم» وأخرج الطبرانى والترمذى الحكيم عن أبى رافع قال: بعث رسول الله ﷺ عليا إلى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال: « يا أبا رافع، الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه»، فأتاه فأوصاه بما شاء وقال: لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »، قال البيهقى: فيه يزيد بن أبى زياد مولى ابن عباس ذكره المزى فى=

وقال ﷺ: « من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقًا » (٤٤).

وقال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلَّم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله عز وجل: أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٤٥) وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى .

= الرواية عن أبى رافع وابن حبان في الثقات وأخرج أبو داود عن سهل بن سعيد بلفظ: « والله لأن يهدى بهداك رجل خير لك من حمر النعم » .

(٤٤) حديث: « من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقًا » قال العراقى: رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الله الحاكم، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا جعفر بن سهل المذكور، حدثنا محمد بن مروان الأميدى، حدثنا الجارود بن يزيد، حدثنا محمد بن علاثة القاضى، حدثنا عبدة بن أبى أمامة، عن الأسود بن زيد، عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « من تعلم بابًا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا » .كذا قال نبيا، وهو منكر، وجعفر بن سهل والجارود ابن يزيد كذابان، ومحمد بن عبد الله بن علاثة القاضى مختلف فى الاحتجاج به .اهـ. قال مرتضى: وفى الفردوس الديلمى عن أنس: من تعلم باباً من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الأخيار الأبرار الأتقياء، وله فى الجنة سبعون قهرمانا. قال العراقى: وللطبرانى فى المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال: حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصى عن مكحول عن أبى أمامة رفعه: «أيما ناشئ نشأ فى طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا»، ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث، ورواه الطبرانى فى مسند الشاميين من رواية أبى سنان الشامى عن مكحول مقتصراً على ذكر العبادة، وقال: « أجر تسعة وتسعين صديقا» وأبو سنان هو الغسملى، مختلف فيه.

(٤٥) حديث: « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله تعالى: أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا، فيشفعون ثم يدخلون الجنة» قال العراقى: رواه المرهبى فى العلم عن رواية محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :« إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج، فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير: ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة فيقولون: يا ربنا، بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكوا وحجوا، فيقول الله عز وجل: لستم عندى فى عداد=

وقال ﷺ : « إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعًا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ، ولكن يذهب بذهاب العلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم، حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالاً إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويُضلون » (٤٦) .

= أولئك، أنتم عندى فى عداد الملائكة، قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة»، ومحمد ابن السائب الكلبى ضعيف جدا، ورواه ابن السنى مختصرا فى رياضة المتعلمين من رواية حبيب ابن أبى حبيب، حدثنا شبل بن عباد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رفعه: « يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت تشفع للناس كما أحسنت أدبهم»، وحبيب بن أبى حبيب هو كاتب مالك، كذبه ابن معين وغيره. وقد رواه ابن عبد البر فى العلم، فقال فيه حبيب بن إبراهيم قال: حدثنا شبل بن العلاء عن محمد بن المنكدر، والصواب ما تقدم من أنه شبل بن عباد وهو القارئ المكى وقد أخرج له البخارى، وحبيب بن إبراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه إبراهيم على أحد الأقوال، وقيل: مرزوق، وقيل: زريق اهـ . وقال مرتضى: وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضا ابن عدى فى الكامل والبيهقى وضعفه، قال العراقى: وروى الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من طريق ابن أبى عاصم، حدثنا الحلوانى، حدثنا حازم بن خزيمة عن عثمان بن عمر القرشى عن مكحول عن أبى أمامة رفعه «يجاء بالعالم والعابد، فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف حتى تشفع للناس وحازم ابن خزيمة هو أبو خزيمة البخارى، قال السليمانى: فيه نظر. قال مرتضى: ورواه ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس بلفظ «إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للفقيه: اشفع تشفع»، ويروى أيضا إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد: ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس انتهى. اهـ.

(٤٦) حديث: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم، حتى إذا لم يُبق إلا رؤساء جهالا إن يسألوا أفتوا بغير علم فيضلون ويُضلون» قال العراقى: أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه ولفظهم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» لفظ مسلم، وقال البخارى: من العباد ، بدل من الناس، وقال: حتى إذا لم يبق، وفى رواية له: « إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون »، وفى لفظ لمسلم: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويُبقى فى الناس رؤساء جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»، وفى رواية لعبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة: «إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيضلوا ويضلوا» . رواه النسائى اهـ.=

وقال ﷺ : « من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤٧).

= وقال مرتضى: ورواه الإمام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخاري، وزاد الترمذي: حسن صحيح، وأخرجه الخلعي في فوائده وزاد في آخره: عن سواء السبيل وأخرجه ابن عساكر برواية يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد ومن طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن الحرث الجمحي كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال الحافظ بن حجر: قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفسا عنه .اهـ. قال مرتضى: منها ما أخرجه البخاري في العلم، عن أبي أويس، عن مالك عن هشام، ورواه مسلم في القدر، عن قتيبة ، عن جرير ، وعن أبي الربيع الزهراني، عن حماد بن زيد، وعن يحيى بن يحيى، عن عباد بن عباد وأبي معاوية، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، وزهر بن حرب كلاهما، عن وكيع، وعن أبي كريب، عن أبي عبد الله بن إدريس وأبي أسامة وعبد الله بن نمير وعبدة بن سليمان، وعن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، وعن محمد بن حاتم، عن يحيي بن سعيد، وعن أبي بكر بن نافع، عن عمر بن علي المديني، وعن عبد بن حميد، عن يزيد بن هارون، عن شعبة الثلاثة عشر كلهم . عن هشام، ويروى أيضا من حديث عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد، فحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهري عن عروة عنها وقال: تفرد به يونس، وأما حديث أبي هريرة فعند الطبراني في الأوسط من رواية العلاء بن سليمان الرقي عن الزهري عن أبي سلمة عنه، وقال: تفرد به العلاء، وأما حديث أبي سعيد فرواه الطبراني فيه أيضا من رواية عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عنه، وقال: تفرد به الحجاج بن رشدين عن أبيه عن عمرو بن الحرث، وقد جمع في طرق هذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزءاً حافلا .

(٤٧) حديث: « من علم علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» يروى هذا عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وأبي سعيد وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وطلق بن علي وجابر ولايصح منها إلا حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس، ولم أره بلفظ المصنف إلا في تاريخ بن النجار عن ابن عمرو إلا أن فيه: ثم كتمه، أما حديث أبي هريرة فقال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه ولفظه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» لفظ أبي داود، وقال الترمذي: « من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار، وقال: حديث حسن، وقال ابن ماجه: « ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار»، وقال ابن حبان: من كتم علما يلجم بلجام من نار يوم القيامة»، ورواه الحاكم في المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله ابن يونس عن محمد بن نور عن ابن جريج، قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له: تحدث هذا وهو عراقي، فقال: لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال: « من سئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار»، وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال العراقي: لا يصح من هذا الطريق لضعف =

= القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي، قال الدارقطني: حدثنا عنه وهو ضعيف ، فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه، قال الدارقطني: في الجزء السابع من الأفراد: وإنما يعرف هذا من حديث على بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة، ثم قال الحاكم: ذاكرت شيخنا أبا على بهذا الباب ثم سألته: هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء؟ فقال: لا، قلت: لمَ؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة، ثم رواه أبو على عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن على بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة، قال الحاكم: فقلت له: قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبعد منهما الوهم، ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن إبراهيم عن عبد الوارث عن على بن الحكم عن رجل عن عطاء عن أبي هريرة: قال: فاستحسنه أبو على واعترف لي به، قال الحاكم: ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اهـ. **وقال العراقي في إصلاح المستدرك** : وقد رواه أبو داود الطيالسي، فقال: حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا على بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رفعه «من حفظ علما فسئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»، وقال: هذا حديث حسن أخرجه الترمذي عن أحمد بن بديل اليامي عن عبد الله بن نمير، وابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان. وقد تابع عمارة عليه حماد ابن سلمة أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عنه وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل عنه وتابع على بن الحكم على روايته سليمان التيمي وابن جريج، **قال العراقي**: قد أعله أبو الحسن القطان في كتاب بيان الوهم والإيهام برواية عبد الوارث وإدخاله رجلا بين على بن الحكم وعطاء قال: وقد قيل إنه حجاج بن أرطاة **وقال مرتضى**: قد صح عن على بن الحكم أنه قال في هذا الحديث حدثنا عطاء وهي رواية ابن ماجه فاتصل إسناده ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال في الموضعين رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد بن راشد، قالوا: حدثنا عطاء قال: سمعت أبا هريرة قال: ابن القطان واعلم أن له إسنادًا صحيحًا، ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة قال ابن القطان هؤلاء كلهم ثقات، قال العراقي: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أورده ابن ماجه، وقال الحافظ ابن حجر في القول المسدد والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة لكنه صالح للحجة، وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوي يعني الذي تقدم ذكره وأما حديث ابن عمرو **فقال العراقي**: رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السرح والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله بن عياش عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو رفعه ولفظه « من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»، قال الحاكم هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة، قال العراقي في إصلاح المستدرك: أما على شرط الشيخين فلا، وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بأن فيه عبد الله بن وهب النسوب، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث، =

وقـال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعـها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلـم تعلمه إياها ، تعدل عبادة سنة» (٤٨) ، وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة، ملعون

= قـال العـراقى: وهذا تخليط من ابن الجوزى، وإنما هو عـبد الله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والإسناد مصـريون فلا التفات إلى كلام ابن الجوزى ولو أعله بعـبد الله بن عياش لكان له وجه فـقد ضعفـه أبو داود والنسائى، وهو قريب من ابن لهيـعة وأخرج له مسلم حـديثًا واحدًا ووثقه ابن حبان وقال مرتضى: وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبرانى أيضًا فى الكبير وأما حديث أبى سـعيد الخدرى، فـقال العـراقى: رواه ابن ماجه من رواية مـحمد بن داب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه رفعه ولفظه « من كتم علما مما ينفع الله به من أمر الناس فى الدين ألجمه الله يوم القيامـة بلجام من نار » ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ. قال مرتضى: وفى بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين وأما حديث أنس قال العراقى: رواه ابن ماجه أيضًا من رواية يوسف بن إبراهيم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من سئل عن علم فكتـمه. . . » الحديث ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخارى اهـ. وقال مـرتضى: وأخرج ابن عدى عن أنس « من كتم علمًا عنده وأخذ عليه أجـرة لقى الله يوم القيامة ملجـما بلجام من نار » وأما حـديث ابن مسعود فـرواه الطبرانى بإسنادين ضعـيفين . قاله الـعراقى، وقال مـرتضى: ولفظه: « من كتم علـما عن أهله ألجم يوم القيامـة لجاما من نار» هذا لفظ أبى داود، وعند ابن عدى فى الكامـل والسجزى فى الإبانة والخطيب فى التاريخ « من كتم علمـا ينتفع به ألجمه الله يوم القيامـة بلجام من نار»، وأما حديث ابن عباس فرواه الـطبـرانى أيضا بإسناد لا بأس به وأبو يعلى بإسـناد جيـد، قاله العراقى، وقال مرتضى: ولفظه: « من كتم علما ينتفع به يعلمه . . . » الحديث وفى آخـره زيادة ذكـرناها فى أول الفـصل عند ذكـر الآيات، وأخـرج ابن عسـاكـر والخطيب والطبرانى أيضا بلفظ: « من سـئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيـامة ملجما بلجام من نار»، وأما حـديث ابن عمر فقال العراقى: رواه ابن عـدى فى الكامل من رواية حسان بن سياه عن الحسن بن ذكوان عن نافع عن ابن عمر، وقال: هذا الحديث عن نافع لا أعلم يروى إلا من هذا الوجه، وحسان بن سياه له أحاديث عامـتها لا يتابعه غيره عليها والضعف بيّن على رواياته وحديثه اهـ. قال مرتضى: وأخرجه كذلك الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد بلفظ حديث أبـى هريرة، وأما حديث طلق بن على فقـال العراقى: رواه ابن عدى أيضا والطبرانى من رواية أيوب بن عتـبة عن قيس بن طلق عن أبيه، قال ابن عدى: وهذا الحديث بهـذا الإسناد غريب جدا، وأيوب ضعيف، قاله ابن مـعين والبخارى اهـ. قـال مـرتضى: وأخرجه الخطيب أيضا من هذا الطريق، وأما حديث جـابر فأخرجه السجزى فى الإبانة والخطيب فى التاريخ بلفظ « من كتم علما نافعا عنده . . . » إلخ . وهذا قد أغفله العراقى كما أغفل فى مخرجى حديث أبى هريرة الإمام أحمد والبيهقى .

(٤٨) حديث: « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمـعها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إياها تعدل عبادة سنة » قال العراقى: رواه ابن عدى فى العلم من حديث ابن عباس=

ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه ، أو معلمًا أو متعلمًا » (٤٩) .

وقال ﷺ : « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » (٥٠)، وقال ﷺ : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلّغه » (٥١) ،

= بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده، وقد أسنده الطبرانى فقال: حدثنا حجاج بن عمران السدوسى كاتب بكار القاضى حدثنا عمرو بن الحصين العقيلى حدثنا إبراهيم بن عبد الملك السلمى عن قتادة عن عروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: « نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك فتعلمها إياه» وعمرو بن الحصين تركه أبو حاتم وغيره .

(٤٩) حديث: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله . . .» **قال العراقي**: رواه الترمذي وابن ماجه من رواية عطاء بن قرة قال: سمعت عبد الله بن حمزة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الدنيا . . .» فذكره، وقال: وعالم أو متعلم لفظ الترمذى، وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن ماجه: للدنيا، وقال: أو عالما أو متعلما اهـ. **قال مرتضى**: وأخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من طريق وهيب عن عطاء بن قرة السلولى عن عبد الله بن حمزة، ومن طريق إبراهيم الأسلمى عن رجل عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة ولم يذكر قتيبة يعنى شيخه فى الإسناد الأول عن أبى هريرة وسياقه كسياق المصنف إلا أنه ليس فيه: وما والاه قال المناوى: وعالما ومتعلما، بنصبهما عطفًا على ذكر الله، ووقع للترمذى: وعالم ومتعلم، لا لكونهما مرفوعين لأن الاستثناء من موجب، بل إن طريقة كثير من المحدثين إسقاط الألف. اهـ . وفيه تأمل. **قال العراقي**: وفى الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطنى فى العلل فقال: « رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عبدة بن أبى أمامة عن شقيق عن عبد الله رفعه: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم وذكر الله » وقال: هذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء عن ابن ضمرة عن أبى هريرة، وهو الصحيح .

(٥٠) حديث: « إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه، حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلّم الناس الخير» **قال العراقي**: أخرجه الترمذى من رواية القاسم عن أبى أمامة رفعه فذكره ولم يقل: فى البحر، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد تقدم، وقد فصله الطبرانى منه فجعلهما حديثين، وقال فيه: وحتى الحوت فى البحر، كما ذكره المصنف، إلا أنه لم يقل: وأهل السماوات والأرض، ويروى عن أبى هريرة أيضا، **وقال مرتضى**: وحديث أبى هريرة أخرجه الطبرانى فى الكبير أيضا والضياء فى المختارة وسياقه كسياق حديث أبى أمامة.

(٥١) حديث: « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغَه فبلّغه» **قال العراقي**: رواه ابن عبد البر مع اختلاف، مرسلا من حديث محمد بن المنكدر عن النبى ﷺ قال: « من أفضل =

وقال ﷺ: « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٥٢).

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين: أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس، فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بُعثت معلمًا، ثم عدل إليهم وجلس معهم » (٥٣).

= الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه »، و هو مرسل حسن الإسناد، قال: ابن عيينة لم يدرك أحدا أجدر من أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله ﷺ من ابن المنكدر، وروى أبو نعيم من رواية إسماعيل بن عياش عن عمارة عن غزية عن عبيد الله بن أبي جعفر عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أهدى مسلم لأخيه هدية افضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى»، ورويناه من طريق أبي يعلى الموصلي من هذا الوجه وهو منقطع، فإن عبيد الله بن أبي جعفر المصري لم يسمع من عبد الله بن عمرو شيئا إنما روى عن التابعين اهـ. قال مرتضى: وأخرجه البيهقي في الشعب، وتعقبه بأن في إسناده إرسالا بين عبيد الله وعبد الله، وأورده الديلمي في الفردوس بهذا اللفظ والضياء في المختارة ولفظه « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية » وفيه: «يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى»، وقال الذهبي في الديوان: عبيد الله بن أبي جعفر قال أحمد: ليس بالقوى، قال المناوى: وفي إسناده أيضا إسماعيل بن عياش قالوا: ليس بالقوى، وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف، وفي معنى الحديث قيل: كلمة لك من أخيك خير لك من مال، لأن الحكمة تنجيك والمال يطغيك .

(٥٢) حديث: « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها» وفي بعض النسخ كلمة: من الحكمة، وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن علي بن الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله: فيعمل بها ويعلمها، وابن الأشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدي والدارقطني بالوضع، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلا فقال: أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره وعبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم اهـ. قال مرتضى: ورواه الديلمي أيضا عن أبي هريرة « كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة» .

(٥٣) حديث: « وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس، فقال: « أمّا هؤلاء فيسألون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأمّا=

وقال ﷺ : « مَثل ما بعثني الله عز وجل به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ» (٥٤) . فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه، والثاني ذكره مثلا للنافع، والثالث للمحروم منهما .

= هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم»، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد إلا أن فيه: والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما، وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين، أحدهما (كذا) يقرءون القرآن ويذكرون الله، والآخر (كذا) يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ : « كلٌ على خير ؛ هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلما وجلس معهم » . ومداره على عبد الرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد وقال البخاري: مقارب الحديث، وضعفه جماعة، وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان، وقد تابع بكر بن خنيس عليه زهير بن معاوية وعبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك إلا أنهم قالوا عنه عن عبد الرحمن بن رافع بدل عبد الله بن يزيد وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر بن خنيس؛ فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون، فقال رسول الله ﷺ : «كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما وهؤلاء أفضل» فأتاهم حتى جلس إليهم. وأما رواية عبد الله بن وهب فرواها ابن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم بنحو لفظ الطبراني، وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في رياضة المتعلمين نحوه. وعبد الرحمن بن رافع هذا قال البخاري: في حديثه مناكير، وذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال: لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه .اهـ . وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث: ويحكى عن بعض السلف قال: دخلت المسجد ذات يوم فإذا بحلقتين إحداهما يقصون ويدعون، والأخرى يتكلمون في العلم وفقه الأعمال، قال: فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف: جلستَ إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم، أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم .

(٥٤) حديث: « مَثل ما بعثني الله به من العلم والهُدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ» هكذا في=

وقال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به... »[(٥٥)] الحديث.

= النسخ، وفى نسخة بعد قوله: « فأنبتت الكلأ والعشب وتصيب أرضا أخرى، إنما هى أجادب أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ، فحمل الناس عنها الماء إلى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا، وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ». ونسخة العراقى بعد قوله: « والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به ». قال العراقى: رواه البخارى ومسلم من رواية بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ : واللفظ للبخارى إلا أنه قال: من الهدى والعلم، وقال فى الرواية المشهورة: نقية بدل بقعة ولم يقل فى الثانية: بقعة، وقال: وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان، وذكر بقية الحديث اهـ. قال مرتضى: البخارى فى أول صحيحه ومسلم فى فضائله ﷺ والنسائى فى العلم والرامهرمزى والعسكرى فى الأمثال، كلهم من رواية أبى أسامة حماد بن أسامة عن بريد، ولفظ البخارى « مثل ما بعثنى الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

(٥٥) حديث: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له» قال العراقى: رواه مسلم وأبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح، والنسائى من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ﷺ رفعه « إذا مات الإنسان . . . »، وفيه تقديم صدقة جارية والباقى سواء اهـ. وقال مرتضى: خرجه مسلم فى الوصايا والبخارى فى الأدب المفرد ورواه الدارمى عن موسى بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه «انقطع من عمله . . .» وباقى سياقه كسياق المصنف،إلا أنه قال: تجرى له بدل جارية، قال العراقى: وفى الباب عن جابر وأبى قتادة وأبى أمامة وأنس، فحديث أنس رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبد الله عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه «ثلاثة يدركون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها. . .» الحديث، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية زيد بن أبى أنيسة عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه رفعه « خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجرى يبلغه أجرها، فعمل يعمل به من بعده »، وإسناده جيد وزاد بين الزيدين فى رواية فليح بن سليمان اهـ. وقال مرتضى: وأخرجه أيضا هكذا ابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة، ولفظهم « خير ما يخلف الإنسان بعده . . .»، قال العراقى: وحديث أبى أمامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عمن حدثه عن أبى أمامة رفعه «أربعة=

وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله » (٥٦) .

= تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط فى سبيل الله، ومن علم علما فأجره يجرى عليه ما عمل به. . . » الحديث، قلت: تمامه « ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى ما وجدت، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له»، وقد أخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبزار فى مسنده، وأعله الهيثمى وغيره بابن لهيعة ورجل لم يسم، ولكن صححه المنذرى، قال العراقى: وحديث أنس رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن عبيد الله المزرمى عن قتادة عن أنس رفعه « سبع يجرى أجره للعبد بعد موته وهو فى قبره: من علم علما أو كرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم راويه عن المزرمى، والمزرمى ضعيف اهـ. قال مرتضى: وكذلك رواه البزار فى مسنده وسمويه فى فوائده والديلمى فى الفردوس والبيهقى وقال كالمنذرى إسناده ضعيف، وتبعهما الذهبى فى كتاب الموت والهيثمى، وقد خالفهم السيوطى فرمز لصحته وفيه نظر، ولا تعارض بين الحديث الذى ساقه المصنف وبين حديث أبى أمامة: «أربعة . . . إلخ »، لأن أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينمو له وفرق بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا، فقد قال فيه: إلا من صدقة جارية، وهى تجمع ما ذكر من الزيادة أشار له البيهقى، وروى الإمام أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم قال: «ثلاثة يؤجر فيهن الميت بعد موته: ولد له يدعو له بعد موته فهو مؤجر بدعائه، ورجل علم علما يعمل به ويعلمه الناس، فهو يؤجر على ما عمل وعلم، ورجل ترك أرضا صدقة » . هكذا أورده محمد بن الحسن فى الآثار، قال ابن قطلوبغا فى أماليه: وهذا فى حكم المرفوع اهـ. وقال مرتضى: والمراد بالولد: الفرع المسلم هبه ذكرا كان أو أنثى أو ولد ولد كذلك وإن سفل، وجاء تقييده فى الحديث الأول بالصالح، وقوله: يدعو له أى بالرحمة والمغفرة، فإن دعاءه أرجى للإجابة وأسرع قبولا من دعاء الأجنبى، وقال الحافظ صلاح الدين العلائى فى مقدمة الأربعين له: لا تعارض بين هذا الحديث وبين ما روى: من استن خيرا فاستن به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . . . » الحديث بطوله .

(٥٦) حديث: « الدال على الخير كفاعله » قال العراقى: أخرجه الترمذى من رواية شبيب بن بشر عن أنس بلفظ: إن الدال، وقال: حديث غريب، قال العراقى: ورجاله ثقات اهـ. قال مرتضى: وفى الحديث قصة قال أنس: جاء النبى ﷺ رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدله على آخر فحمله فأتى النبى ﷺ فأخبره فذكر. قال العراقى: ورواه أحمد فى مسنده من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة سليمان الشاذكونى ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيبانى واسمه سعد بن إياس عن أبى مسعود البدرى رفعه ولفظه « من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، وفى الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود اهـ. وقال مرتضى: وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان وفيه القصة التى تقدمت، وقال السخاوى فى المقاصد: أخرجه العسكرى وابن جميع ومن طريقه المنذرى من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رفعه « كل=

وقال ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير » (٥٧)

= معروف صدقة: والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان» ومثله بل بطوله الدارقطنى فى المستجاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به مرفوعا، وللعسكرى من حديث إسحق الأزرق عن أبى حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا لفظ الترجمة، وكذا هو عند البزار عن أنس ولابن عبد البر عن أبى الدرداء فى قوله « الدال على الخير وفاعله شريكان » اهـ. ثم قال مرتضى: أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل فى مسند أبى حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل وأخرجه ابن خسرو فى مسنده من طريق عبد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبى حدثنا إسحق بن يوسف أنبأنا أبو فلان كذا قال أى لم يسمه على عمد وسماه غيره، فقال: يعنى أبا حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة، وفى بعض رواياته قال له: اذهب فإن الدال . . . إلخ .. وأخرجه القضاعى أيضا من طريق إسحق بن يوسف الأزرق عن أبى حنيفة به، وأخرج ابن خسرو فى مسنده من رواية أبى حنيفة عن أنس بزيادة: والله يحب إغاثة اللهفان، من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت، ورواه العينى فى شرحه على معانى الآثار للطحاوى بسنده وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف فى معجمه وابن النجار عن على مرفوعا « دليل الخير كفاعله » . قال الراغب: والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشىء. وقال الزمخشرى: دللته على الطريق أهديته إليه، ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم اهـ. ويدخل فى ذلك دخولا أوّليا أولويّا من يعلم الناس العلم الشرعى ويتحملون عنه .

(٥٧) حديث: « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا وسلطه الله على هلكته فى الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار» قال العراقى: رواه البخارى ومسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية قيس بن أبى حازم قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: قال: رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها، وفى رواية البخارى الحكمة اهـ. قال مرتضى: أخرجاه من طريق الزهرى سمعت قيس ابن أبى حازم ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان وأخرجه البخارى فى الاعتصام فقال: إلا فى اثنين بغير تاء، وفى رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك، وقال العراقى: فى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وأبى سعيد ويزيد بن الأخنس قلت: بقى أن البخارى رواه فى صحيحه فى مواضع فى التوحيد وفى الاغتباط بالحكمة وفى الزكاة وفى الأحكام وفى الاعتصام وفى فضائل القرآن، ففى التوحيد عن على بن عبد الله عن سفيان عن الزهرى عن سالم عن أبيه مختصراً وساقه مسلم تاما عن زهير بن حرب عن سفيان وأخرجه البخارى فى فضائل القرآن تاما من طريق=

وقال ﷺ : « على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال: « الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله » (٥٨)

= الزهرى عن سالم وكذا الترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجة « ولفظهم « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل وأناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار «لفظ مسلم، وفى رواية له إلا على اثنين، وهكذا قال البخارى: وقد آتاه الله الكتاب، وقال مسلم: هذا الكتاب والباقى سواء، ومن طريق شعبة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبى هريرة، وفى الزكاة عن محمد ابن المثنى عن يحيى القطان، وفى الأحكام وفى الاعتصام عن شهاب بن عباد عن إبراهيم بن حميد الرودسى وأخرجه مسلم فى الصلاة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه ومحمد بن بشر، وأخرجه النسائى فى العلم عن إسحق بن إبراهيم بن جرير ووكيع عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك خمستهم عن إسماعيل بن أبى خالد عنه به، وأخرجه ابن ماجة فى الزهد عن محمد بن عبد الله بن نمير به، وأما حديث أبى سعيد الخدرى، فقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الأعمش عن أبى صالح عنه ولفظه « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار » فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى به فلان فعملت مثل ما يعمل « ورجل آتاه الله مالا فهو يهكله فى الحق »، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل، وأخرجه كذلك أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة، وأخرج أبو نصر فى الصلاة عن عبد الله بن عمرو رفعه « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤ فى الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالا فأنفقه فى سبيل الله »، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة بلفظ «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فصرفه فى سبيل الخير، ورجل آتاه الله علما فعلمه وعمل به».

(٥٨) حديث: « على خلفائى رحمة الله» قيل: ومن خلفاؤك؟، قال: « الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله » **قال العراقى**: رواه ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير، وقال الهروى: عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن، زاد الهروى ابن على قال: قال رسول الله ﷺ : « رحمة الله على خلفائى » مرتين ولم يكررها الهروى فجعله الهروى متصلا، وقال ابن عبد البر: إنه من مرسلات الحسن فجعله البصرى وهو الصواب وعمرو لا أدرى من هو، وقد تقدم الكلام عليه، وفى الباب عن على بن أبى طالب رواه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو نعيم أيضا فى فضل العالم العفيف والرامهرمزى فى المحدث الفاصل والهروى فى ذم الكلام من رواية ابن عباس قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال: « اللهم ارحم خلفائى »، قلنا: يا رسول الله، من خلفاؤك ؟ قال: « الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى ويعلمونها الناس»، وفى إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على بن أبى طالب، وهو كذاب كما قاله الدارقطنى، وقد رواه ابن عساكر فى أماليه من =

وأما الآثار، فقد قال عمر رضي الله عنه: « من حدَّث حديثًا فعمل به، فله مثل أجر من عمل ذلك العمل » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر». وقال بعض العلماء: « العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل». وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان؛ فقال: « أكروا لى لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم » ،وإنما قال ذلك حرصًا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به، وقال عطاء رحمه الله : « دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألنى عن شيء . وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه ، يستضيء به أهل عصره » . وقال الحسن رحمه الله : « لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم » ، أى أنهم بالتعليم يُخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية. وقال عكرمة : « إن لهذا العلم ثمنًا ، قيل: وما هو ؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه ». وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل : « أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم

= طريق آخر وفيه عبد السلام بن عبيد نسبه ابن حبان إلى سرقة الحديث، واحتج به أبو عوانة فى صحيحه ولا يغتر برواية أبى المظفر هناد بن إبراهيم النسفى لهذا الحديث من طريق ابن داسة عن أبى داود عن عبيد بن هشام الحلبى فإن هذا لم يروه أبو داود هنا، والنسفى كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان اهـ. **قال مرتضى:** أما حديث على فقد أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث، والضياء المقدسى فى مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوى حدثنا ابن أبى فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس،قال: سمعت عليا يقول: خرج النبى ﷺ فساقه، وأخرجه الضياء من رواية أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنى أبى حدثنى أبو الحسن على بن موسى الرضى عن آبائه عن على بلفظ « اللهم ارحم خلفائى » ثلاثا والباقى سواء، وأخرج الخطيب والضياء أيضا من رواية سعيد بن عباس بن الخليل، حدثنا عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبى فديك فذكره، وفى بعض طرق العلوى عن الخطيب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس، قال الخطيب: والأول أشبه بالصواب، وقال الطبرانى فى الأوسط بعد ما أخرجه: تفرد به أحمد بن عيسى العلوى، وفى الميزان: هذا الحديث باطل، وأحمد كذاب واستدل بهذا الحديث على جواز إطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث .

العمل، ثم نشره » . وقيل: « علّم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم ما تجهل، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ، وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ، ورأيته أيضًا مرفوعًا : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين ، والمصبّر على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة فى الخير، تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها »(٥٩) لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

---

(٥٩) حديث: « تعلموا العلم فإن تعلمه لله» كذا رواه أبو نعيم فى المعجم ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشى حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن بن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . هذا سند المرفوع، وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكى فى الفصل الحادى والثلاثين من القوت، وروينا فى فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن ابن غنم عن معاذ بن جبل قال: فذكره وأورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن، فقال: حدثنا أبى حدثنا محمد بن إبراهيم بن يحيى حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا محمد بن موسى المروزى أبو عبد الله قال: قرأت هذا الحديث على هشام بن مخلد وكان ثقة، فقال: سمعته من ابن عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

فى الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها ، والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة ،فإذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال: فضله وله الفضل عليه، مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء، كما يقال: الفرس أفضل من الحمار، بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكرّ والفرّ وشدة العدو وحسن الصورة، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى، وليست من الكمال فى شىء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه، فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات، بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الإطلاق، والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه، وبه شرف الملائكة والأنبياء، بل الكيس من الخيل خير من البليد فهى فضيلة على الإطلاق من غير إضافة ، واعلم أن الشىء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره، وإلى ما يطلب لذاته، وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا، فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره، والمطلوب لغيره كالدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة، والذى يُطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى، والذى يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن، فإن سلامة الرجل منا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشى بها والتوصل إلى المآرب والحاجات، وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً فى نفسه فيكون مطلوبًا لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة فى حق الآدمى السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى

العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال ، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ أيضًا بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى ، هذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فالعزّ والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ، ولزوم الاحترام فى الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجها هذه فضيلة العلم مطلقا ، ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها .

وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه ، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبًا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل ، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة للآخرة ، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ، ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

أحدها : أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى للمطعم ، والحياكة وهى للملبس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

الثانى: ما هى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها ، كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها ، وكالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها .

الثالث: ما هى متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة والخياطة للحياكة ، وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها ثلاثة أضرب أيضًا ، إما أصولا كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكمّلة لها ومزينة كالأظفار والأصابع

والحاجبين ، وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح، ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع ، والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجِّى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب :

الأولى : وهى العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعًا فى ظاهرهم وباطنهم .

والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعًا، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم .

والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ، ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع .

والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط ، فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ، وهو المراد بالتعليم ، وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية، إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع ، و العقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة، وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة ، وليس يخفى أن العلوم الدينية - وهى فقه طريق الآخرة - إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان، كما سيأتى بيانه، إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه ، وأما عموم النفع فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة، وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر

ونفوسهم وأشـرف موجود على الأرض جنس الإنس ، وأشرف جزء من جـواهر الإنسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيـره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه عـبادة لله تعالى ، ومن وجـه خلافة لله تعـالى وهو من أجلّ خلافـة الله ، فإن الله تعالى قد فتح عـلى قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته، فهو كـالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه، فأى رتبة أجلّ من كون العبد واسطة بين ربه سبحـانه وبين خلقه، فى تقريبهم إلى الله زلفـى وسياقتهم إلى جنة المـأوى، جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

★ ★ ★

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

☆ ☆ ☆

الباب الثانى

العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو، وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذى هو فرض عين

قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وقال أيضًا ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصين ».

واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة، ولا نطيل بنقل التفصيل، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده، فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته، وقال الفقهاء: هو علم الفقه، إذ به تعرف العبادات، والحلال والحرام، وما يحرم من المعاملات وما يحل، وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة، وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها، وقال المتصوفة: المراد به هذا العلم؛ فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل، وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان، وقال بعضهم: هو علم الباطن، وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه، وقال أبو طالب المكى: هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الإسلام، وهو قوله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله... »(٦٠) إلى آخر الحديث؛ لأن الواجب هذه

(٦٠) حديث: « بنى الإسلام على خمس » هكذا فى النسخ وهى الرواية المشهورة، وفى نسخة «على خمسة» وهى رواية لمسلم، وفى رواية عبد الرزاق « على خمس دعائم »، قال العراقى:=

الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب، والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سيذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة، وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك، فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما، وهو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزمًا من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، وذلك قد

= رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عكرمة بن خالد عن ابن عمر رفعه « بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان»، قال الترمذى: حديث حسن صحيح، وأخرجه مسلم أيضا من رواية عاصم بن زيد بن محمد بن عمر عن أبيه عن ابن عمر، ورواه الترمذى من رواية حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر، وقال: حسن صحيح اهـ . قال مرتضى: رواه البخارى فى أول صحيحه، فقال: حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمة بن أبى خالد عن ابن عمر ورواه في التفسير، وقال فيه وزاد عثمان بن وهب أخبرنى فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر وعن بكير بن عبد الله الأشج عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه مسلم فى الإيمان عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن حنظلة، وعن ابن معاذ عن أبيه عن عاصم بن محمد عن أبيه عن جده، وعن ابن نمير عن أبى خالد الأحمر عن سعد بن طارق عن سعد بن عمير عن ابن عمرو عن سهل بن عثمان عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن سعد بن طارق به، فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسيا وللبخارى رباعيا وزاد مسلم فى روايته عن حنظلة قال: سمعت عكرمة ابن خالد يحدث طاوسا أن رجلا قال لعبد الله ابن عمر: ألا تنفروا، فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وقال البيهقى: اسم الرجل السائل حكيم، كذا فى شرح العينى على البخارى وقال مرتضى: وفى المخلصيات من رواية يزيد بن بشر السكسكى عن سنى والد عبادة: كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره، ويزيد بن بشير مجهول، ورواه كذلك الإمام أحمد فى مسنده وممن روى عن حبيب بن أبى ثابت سعيد بن الجمس ومسعر بن كدام وهو فى المخلصيات من رواية محمد بن ميمون الحناط عن سفيان بن عيينة عنهما وأخرجه المدنى فى مسنده عن سفيان عن سعيد وحده عنه وهو فى الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحمانى عن حبيب بن أبى ثابت وأخرجه أبو نعيم من رواية حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى عن محمد بن حجادة عن طلحة بن مصرف عن ابن عمر وفيه زيادة وليس لطلحة عن ابن عمر شىء فى الكتب الستة، قال العراقى: ويروى عن جرير أيضًا، رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير من رواية عامر عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس» فذكرها ولم يقل: أن محمداً رسول الله اهـ .

يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ « اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل »(٦١) فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعًا لله عز وجل غير عاص له، وإنما يجب غير

(٦١) حديث: « اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب » « بالتصديق والإقرار » « من غير تعليم دليل » قال العراقى: هو مشهور فى كتب السير وفى الصحيح، فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه فى قصة ضمام بن ثعلبة، وفيه: فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق . . . الحديث وفى آخره، فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعيد بن بكر. وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى أيوب أن أعرابيًا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار وفيه فقال: « تعبد الله ولا تشرك بن شيئًا ... » الحديث. زاد مسلم فقال: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة، وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئًا. . . » الحديث وفيه فقال: « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » والأحاديث فى هذا كثيرة مشهورة اهـ . وقال صاحب القوت: قوله ﷺ للأعرابى حين سأله: ما افترض الله علىَّ، وفى لفظ آخر: أخبرنا بالذى أرسلك الله إلينا، فأخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت، فقال: هل علىَّ غيرها فقال: لا، إلا أن تطوّع، فقال: والله لا أزيد عليه شيئًا ولا أنقص منه شيئًا فقال: أفلح ودخل الجنة إن صدق. فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هى كمال معلوم وفريضة إذ لا عمل إلا بعلم. اهـ . قال مرتضى: وحديث ضمام فى أول كتاب البخارى رواه عن عبد الله بن يوسف التنيسى ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه جميعا عن عيسى بن حملة بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله بن نمير عن أنس، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل الترمذى عن على بن عبد الحميد، والنسائى عن محمد بن محمد عن ابن عامر العقدى وعبد بن حميد عن أبى النضر هاشم بن القاسم، وأبو عوانة فى صحيحه من رواية موسى بن إسماعيل خمستهم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، وفى رواياتهم اختلاف فى اللفظ وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس، وهو بطوله فى الخلعيات من رواية محمد بن إسحق وحدثنى محمد بن الوليد عن كريب عنه وفى آخره يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة. وقد وقع فى هذه الطرق كلها ذكر الحج ما عدا رواية البخارى وقدوم ضمام كان فى سنة تسع وبه جزم بن إسحق وأبو عبيد ووقع فى معجم الطبرانى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس التصريح بأن قدوم ضمام كان بمكة. والله أعلم .

ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريًا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها، وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد، أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة، فإن كان صحيحًا وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال: الظاهر بقاؤه، فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال، وهكذا فى بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس، وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين، فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام، فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل، وكذلك فى سائر الأصناف. فإذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور، ولكن ينبغى لعلماء الإسلام أن ينبهوه إلى أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة، فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضًا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين، وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص، إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسًا للحرير أو جالسًا فى الغصب أو ناظرا إلى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك، وما ليس ملابسًا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب

الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه، وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعًا، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد، فإن كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه، وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرًا، وقد شاع فى البلد معاملة الربا، وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضًا ولكن فى حق من يتصدى له، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجًا إليه وكيف لا يجب عليه. وقد قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه** »(٦٢) ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين، ولا يمكن

(٦٢) حديث: « فشح مطاع وهو متبع وإعجاب المرء بنفسه ... » إلخ الحديث، وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضًا أبو الشيخ فى التوبيخ وقد روى مقتصرًا على ذكر المهلكات كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة عن الفضل بن بكر عن قتادة عن أنس، وهكذا رواه البيهقى فى شعب الإيمان وكلا الإسنادين ضعيف، ورواه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس ويروى أيضا عن ابن عمر، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه وأخرج ابن حبان فى الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراسانى عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: « المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع » ، ورواه ابن عدى من هذا الوجه، ومن رواية عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب عن ابن عباس، وفى الباب عن أبى هريرة وابن أبى أوفى وأبى ثعلبة .

إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب، وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني، ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق، وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار ؛ فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا، وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر، ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبًا، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه، والله أعلم .

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم، وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح :

فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في

المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة؛ فإنه لو خلا بلد من الحجّام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك؛ فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه، فلايجوز التعرض للهلاك بإهماله.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه.

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات.

وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه.

وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها، ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة؛ أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهي أربعة أضرب:

الضرب الأول الأصول، وهي أربعة: كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة، والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنّة، فهو أصل في الدرجة الثالثة، وكذا الأثر فإنه يدل على السنّة لأن الصحابة ﷺ قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب من غيرهم عيانه، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن، فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه، ولا يليق بيانه بهذا الفن.

الضرب الثاني: الفروع، وهو ما فُهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول، فاتسع بسببها الفهم حتى فُهم من اللفظ الملفوظ به غيره، كما فهم من قوله عليه

السلام : «لا يقضى القاضى وهو غضبان» (٦٣)، أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعًا أو متألمًا بمرض، وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا، والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة، وما هو مرضى عند الله تعالى، وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب «أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين» ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب.

الضرب الثالث: المقدمات، وهى التى تجرى منه مجرى الآلات، كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتابة الخط، إلا أن ذلك ليس ضروريا «إذ كان رسول الله ﷺ أميا» (٦٤)، ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا.

---

(٦٣) حديث: «لا يقضى القاضى وهو غضبان» قال العراقى: رواه الستة من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه، وهذا لفظ النسائى وابن ماجه وزاد: بين اثنين، وقال البخارى: لا يقضين حكم، وقال مسلم: لا يحكم أحد، وقال أبو داود: لا يقضى الحكم، وقال الترمذى: لا يحكم الحاكم، وقال: فهذا حديث حسن صحيح .ا هـ. قال مرتضى: وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضًا، وكذا أبو داود، وبمثل سياق مسلم رواه الترمذى والنسائى أيضًا، وبمثل سياق البخارى رواه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وأخرج ابن ماجه وضعفه والدارقطنى فى سننه والخطيب وسمويه فى فوائده عن أبى سعيد رفعه «لا يقضى القاضى بين اثنين إلا وهو شبعان ريان»، وأخرج النسائى والطبرانى فى الكبير عن أبى بكرة «لا يقضين أحد فى قضاء بقضاءين، ولا يقضى أحد بين خصمين وهو غضبان».

(٦٤) حديث: «كان رسول الله ﷺ أميًا» أى: لا يحسن الكتابة، قيل نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة، فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين، كذا فى المصباح. ويروى: إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر، أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وقيل له ﷺ الأمى لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب، وبعثه الله رسولا، وهو لايكتب ولا يقرأ من كتاب، كانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب=

الضرب الرابع: المتممات، وذلك في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير، فإن اعتماده أيضًا على النقل، إذ اللغة بمجردها لا تستقل به، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السُّنة أيضًا، وأما المتممات فى الآثار والأخبار، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم، وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند، وكذلك ما يتعلق به، فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل وكلها من فروض الكفايات .

فإن قلت: لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا، ثم إلى القبر، ثم إلى العرض، ثم إلى الجنة أو إلى النار، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادًا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء، ولكنهم

= الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، ففى ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾، قال ابن مردويه فى تفسيره حدثنا أحمد بن كامل حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبى حدثنا عمر حدثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قال: كان نبى الله ﷺ أميًا لا يقرأ شيئًا، ولا يكتب. وروى أيضا من رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال: « أنا محمد النبى الأمى، أنا محمد النبى الأمى. . . » الحديث، وهكذا أخرجه أحمد أيضا، وروى البخارى من حديث البراء فى قصة صلح أهل مكة: فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب . . . الحديث، وروى ابن حبان والدارقطنى والحاكم فى المستدرك والبيهقى من رواية محمد بن عبد الله بن زيد عن أبى مسعود البدرى عن النبى ﷺ فى حديث قال: « إذا أنتم صليتم علىّ فقولوا: « اللهم صل على محمد النبى الأمى . . . » الحديث، قال الدارقطنى: إسناده حسن، وقال الحاكم: هو حديث صحيح، وقال البيهقى فى المعرفة: هذا إسناد صحيح، وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبى سعيد الأنصارى مثله، وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى: إن مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه، وتمام البحث فى شرحنا على القاموس .

تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم بتقامتهم أمورهم فى الدنيا، ولعمرى إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توءمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، و ما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان، وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه، وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به، فكذلك معرفة طريق السياسة، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق، ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان، والقيام بالحراسة التى لا يتم الحج إلا بها شىء ثالث، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندًا « **لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف** »(٦٥) فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما، وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة، وقد كان الصحابة ﷺ يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة، وفى بعض الروايات بدل المتكلف « المرائى » فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة، فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال، فإن قلت: هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات

(٦٥) حديث: « لا يفتى الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف» هكذا فى سائر نسخ الكتاب ومثله فى قوت القلوب لأبى طالب والذى فى الأحاديث على ما سيأتى بيانها: « لا يقص » بدل: « لا يفتى » ولكن المصنف تبع صاحب القوت، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عوف ابن مالك الأشجعى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف»، وفى المجلس الخامس عشر من أمالى عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن حدثنا عمرو بن زر عن مجاهد عن أبى هريرة رفعه « لا يقص فى مسجدى هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلف » وأخرج الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت رفعه «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف » .

من الصيام والصلاة، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام، والصلاة والزكاة، والحلال والحرام، فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة، وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر، أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد، وفى شروطه، وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال : «**هلا شققت عن قلبه**»[(٦٦)] للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، ولكنه مشير على صاحب السيف، فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال، وذلك فى الدنيا، ولذلك قال ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم**»[(٦٧)] جعل أثر ذلك فى الدم والمال.

---

(٦٦) حديث: «هلا شققت عن قلبه» أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة فى المصنف من حديث جندب بن عبد الله البجلى رفعه، وهكذا هو فى الجزء الرابع من فوائد أبى أحمد الحاكم بلفظ «فهلا شققت على قلبه» وفى إسناده شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما، **قال العراقى**: والحديث عند مسلم وليس فيه قوله « هلا شققت على قلبه»، قال: ويروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى، وكذا مالك فى الموطأ والإمام أحمد وابن أبى شيبة والعدنى فى مسانيدهم وأبو عوانة فى صحيحه وابن حبان والحاكم والطحاوى والبيهقى كلهم من رواية أبى ظبيان واسمه حصين بن جندب عن أسامة بن زيد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله؛ فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «قال لا إله إلا الله وقتلته »؟ قال: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا، من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة» فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ، **قال العراقى**: والحديث عند البخارى أيضًا ولكن ليس فيه قوله: «أفلا شققت عن قلبه» .

(٦٧) حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم=

وأما الآخرة فلا تنفع فيهـا الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها، وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب، وكان خارجًا عن فنه.

= وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عـز وجل » قال المناوى: قال الرافعى: وبين الشافعى أن الحديث مـخرجه عام ويراد به الخـاص والقصد به أهل الأوثان وهو أصل من أصـول الإسلام، وفى بعض رواياته: حتى يشهـدوا، أى يقرّوا ويبينوا، وهذا الحديث رواه ستة عـشر من الصحابة كمـا قاله العراقى وهم: أبو هـريرة وعـمر وابن عمر وجـابر وأنس ومعـاذ وأوس بن أبى أوس وأبو بكر الصديق وسعد بن أبى وقاص وجرير بن عـبد الله وسهل بن سعد وابن عباس وأبو بكرة وأبو مالك الأشجعى عن أبيه وسمرة بن جندب والنعمان بن بشير، أما حديث أبى هريرة فأخرجه الأئمة الستة، وهذا لفظ الترمذى وابن ماجه فى الفتن إلا أنهما لم يقولا: فقد، وكذا قال أبو داود إلا أنه قال: منعوا بدل عـصموا، وقال الشيـخان: فمن قال لا إله إلا الله، قـال مسلم: عصم، وقال البخـارى: فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله . قال مـرتضى: وأخرجه أبو بكـر بن مردويه من روايـة الحـسن بن عمـرو عن منـذر الثـورى عن محمـد ابن الحنفية عن أبى هريرة رفعـه كسيـاق المصنف، وفى آخـره قيل له: طفت على أبيك قـال: إنى لم أفعل إن الناس انطلقوا إلى أبى فبـايعوه طائعين غير مكرهين فنكث ناكث فقتـله، وبغى باغ فقتله، ومرق مارق فقتـله، وابن الحنفية هذا لم يخرج له عن أبى هريرة فى شيء من الكتب الستة، وأخرجه الخلعى فى فـوائده من رواية مـالك عن أبى الزناد عن الأعـرج عن أبى هريرة، ثـم قال: وأمـا حديث عـمر فرواه السـتة خلا ابن ماجـه من رواية أبى هريرة عن عمـر عن النبى ﷺ نحوه، قلت: أخرجه أحمد والبـخارى قال أحمد: حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليـمان، وقال البخارى: حدثنا أبو اليمـان قال: حدثنا شعيب بن أبى حـمزة عن الزهرى حدثنا عبيـد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لمـا توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب؛ قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس . . . » الحديث بطوله، ورواه البخـارى أيضًا ومسلم عن قتيبـة عن الليث، ورواه عمرو بن عاصم الكلابى عن عمران القطان عن معمر عن الزهرى عن أنس عن أبى بكر مرفوعا « أمرت أن أقاتل الناس . . . » الحديث . قـال ابن أبى حاتم: سألت أبا زرعة عنه فـقال: هذا خطأ إنما هو الزهرى عن عبيـد الله بن عبد الله بن عتـبة عن أبى هريرة أن عمر قـال لأبى بكر . . . القصة، قلت لأبى زرعة: الوهم ممن ؟ قال: من عمران. ثم قال العراقى: وأما حديث ابن عمر فأخرجه الشيـخان وقالا: حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسول الله ويقيمـوا الصلاة ويؤتوا الزكاة، قال البـخارى: فإذا فعلوا ذلك: وقال مـسلم: فإذا فعلوه عصمـوا منى دماءهم وأموالهم . . . الحديث، وأمـا حديث جابر فرواه مـسلم والترمذى والنسـائى وابن ماجه، ولفظ التـرمذى كلفظ المصـنف إلا أنه لم يقل: فقد، وقـال مسلم وابن ماجـه: فإذا قـالوا لا إله إلا الله، وأما حديث أنس فـرواه البخـارى وأبو داود والترمـذى والنسائى، زاد البـخارى: فإذا قـالوها وصلوا صلاتنا واستقـبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دمـاؤهم وأموالهم . . . الحديث . وقال أبو داود والترمذى: حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن يسـتقبلوا قبلتنا=

وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط، وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها، مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع، ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير؛ فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجًا عن فنه.

وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرًا حكم بأنه برئت ذمته، وحكي أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطًا للزكاة، فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال:

= وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت . . . الحديث، قال مرتضى: وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الكبير قال: وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وفي إسناده شهر بن حوشب، وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي وابن ماجه ورجاله رجال الصحيح، قال مرتضى: وأخرجه أيضًا الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبة عن النعمان بن سالم قال: سمعت أوس بن أبي أوس وقال سماك بن حرب: عن النعمان بن سالم عن أوس، وقال حاتم: عن النعمان عن عمر بن أوس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أوحى إليّ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . . » الحديث، قال أبو حاتم: وشعبة أحفظ القوم، قال: وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزار في مسنده من رواية عمران القطان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر قال البزار: أحسب أن عمران أخطأ في إسناده ولذا قال الترمذي في الجامع: إن حديث عمران خطأ، وكذا قال الدارقطني في العلل: إنه وهم فيه على معمر وإن الصواب رواية الزهري عن عبيد الله ان عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: قال أبو بكر لعمر ﵄، قلت: قد تقدم أن الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي، وتقدم أيضًا سؤال ابن أبي حاتم لأبي زرعة وجوابه له وأن الوهم فيه من عمران القطان، قال: وأما حديث سعد فرواه الترمذي بقوله: وفي الباب قال: وأما حديث جرير وسهل وأبي مالك الأشجعي عن أبيه فرواهما الطبراني في المعجم الكبير وأما حديث سمرة فرواه الطبراني في الأوسط وحديث ابن عباس وأبي بكرة رواهما في الكبير والأوسط وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال: أخطأ فيه أسود بن عامر . اهـ . قلت: ويروى هذا الحديث أيضًا من رواية عياض الأنصاري وهو صحابي، أخرجه البزار في مسنده فتم العدد سبعة عشر وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين .

ذلك من فقيهه، وصدق؛ فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية، ومثل هذا هو العلم الضار.

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين، ولكن الورع له أربع مراتب :

الأولى : الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة، وهو الذى يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر.

الثانية : ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات.

قال ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (٦٨) .

---

(٦٨) حديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» قال العراقى: رواه الترمذى والنسائى من رواية أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، زاد الترمذى: فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان فى صحيحه .ا هـ **قال مرتضى:** أخرجه من رواية شعبة أخبرنى يزيد بن أبى مريم سمعت أبا الجوزاء السعدى يقول: قلت للحسن بن على: ما تذكر عن رسول الله ﷺ ؟ قال: كان يقول فذكره، وأخرجه كذلك أحمد والدارمى وأبو يعلى والطيالسى بتلك الزيادة وعند الطبرانى فى الكبير والبيهقى والحاكم: وإن الشر لريبة بدل وإن الكذب، وعند ابن قانع بلفظ « فإن الصدق ينجى » وقال الذهبى فى حديث الحسن هذا: سنده قوى. وأخرجه الحاكم فى التاريخ بهذا اللفظ عن أبى الدرداء ووقفه عليه ثم **قال العراقى:** ورواه أيضا أبو يعلى الموصلى فى مسنده من رواية عبيد بن القاسم عن العلاء بن ثعلبة عن أبى المليح الهذلى عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ فى أثناء حديث، وعبيد بن القاسم ضعيف جدا منسوب إلى الكذب والوضع، ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية بقية بن الوليد حدثنى إسماعيل بن عبد الله الكندى عن طاوس عن واثلة قال: قلت: يا نبى الله... فذكر الحديث وفيه: فإن الخير طمأنينة والشك ريبة . وإسماعيل مجهول .ا هـ . قلت: وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى أماليه، ثم **قال العراقى:** ورواه الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الله بن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ ولا أصل له من حديث مالك، وابن أبى رومان ضعيف .ا هـ . **وقال مرتضى كذلك:** وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية أبى بكر بن راشد عن عبد الله بن أبى رومان وقال: إنه غريب من حديث مالك تفرد به ابن أبى رومان عن ابن وهب وأخرجه الخطيب فى التاريخ فى ترجمة الباغندى، من حديث قتيبة عن مالك بزيادة: فإنك لن تجد فقد شىء تركته لله، ثم قال: هذا باطل بهذا الوجه، وإنما اشتهر به ابن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك وهو ضعيف، والصحيح عن مالك من قوله وقد سرقه ابن أبى رومان، وقال الجلال فى جامعه الكبير نقلا عن الخليل: الصواب وقفه على ابن عمر، **قال العراقى:** ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية=

وقال ﷺ : « الإثم حزاز القلوب » (٦٩) .

الثالثة : ورع المتقين، وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام.

قال ﷺ : « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس » (٧٠)

= صالح بن موسى عن المغيرة عن الشعبى عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وصالح بن موسى القرشى منكر الحديث، قاله البخارى، ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية طلحة بن زيد عن راشد بن أبى راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول: سألت رسول الله ﷺ عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الأظفار، فقال: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وطلحة ضعيف ورواه أحمد فى مسنده من رواية أبى عبد الله الأسدى بسكون السين عن أنس رفعه فذكره، وأبو عبد الله الأسدى قال أبو حاتم: مجهول تفرد عنه يحيى بن أيوب المصرى وهو معروف وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن، قلت: وقال الهيثمى وهو رفيق العراقى فى الشيوخ: أبو عبد الله الأسدى لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح. ثم إن المصنف أورده فى المرتبة الثانية من الورع إشارة إلى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة، كأن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير وتنبو عن الشر، فإن الشىء يتحبب إلى ما يلائمه وينفر عما يخالفه، فيكون بما يلهمه الصواب غالبا على أنه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لأن عمومه يقتضى وقوع الريبة فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة وإن ترك الريبة فى كل ذلك ورع، قالوا: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل فى الورع الذى عليه مدار اليقين، وقال العسكرى: لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه استوعب كل ما يتجنب فى الشبهات، والله أعلم .

(٦٩) حديث: « الإثم حزاز القلوب » قال العراقى: رواه البيهقى فى الشعب من طريق سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ : «الإثم حواز القلوب» قال: المعروف أنه من قول ابن مسعود قال: الإثم حواز القلوب وما كان من نظيره فإن للشيطان فيها مطمعًا . وإسناده صحيح رويناه فى مسند المدنى حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود، وكذا رواه الطبرانى فى الكبير موقوفا .إ هـ . قال مرتضى: وأخرجه أبو نعيم فى الحلية كذلك موقوفا على عبد الله، رواه من رواية جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله، إياكم وحزائز القلوب، وما حز فى قلبك من شىء فدعه . قال العراقى: وقد ورد معناه مرفوعا فى عدة أحاديث منها حديث النواس بن سمعان: « الإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» ومنها حديث وابصة بن معبد: « والإثم ما حاك فى نفسك وتردد فى الصدر» . ومنها حديث واثلة: « والإثم ما حاك فى الصدر» .

(٧٠) حديث: « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه حذرًا مما به بأس» وفى رواية: مخافة مما به بأس، قال العراقى: رواه الترمذى وابن ماجه من رواية عبد الله بن يزيد قال: =

وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجزار إلى الغيبة، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات.

الرابعة : ورع الصدِّيقين، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفًا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل، وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى، وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الإثم فى الآخرة.

قال رسول الله ﷺ لوابصة: « **استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك** »(٧١) والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط، فإذا

= حدثنى ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدى وكان من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ...... » فذكره وقال: لما به بأس. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد. اهـ . **قال مرتضى:** وأخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبيهقى بهذا اللفظ .

(٧١) حديث: « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » هكذا بالتكرار ثلاث مرات فى سائر النسخ. **قال العراقى:** رواه أحمد فى مسنده فقال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ وفيه: « يا وابصة، استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك» وقال فى رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال: حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال: «استفت نفسك واستفت نفسك». ثلاث مرات، الحديث .ا هـ. **قال مرتضى:** وهكذا أخرجه أيضا الدارمى وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية من رواية أيوب وسياق سند الدارمى حسن نبه عليه النووى فى رياضه وفى سياق سند الطبرانى العلاء بن ثعلبة وهو مجهول، وأخرجه أيضا البخارى فى التاريخ وله أشار الجلال فى جامعه الصغير مقتصراً عليه وهو قصور، ولفظه: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون». ولم أر فى طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله: وإن أفتوك، ثلاث مرات إلا أن صاحب القوت بعدما ذكر الحديث بالسياق المشهور قال: وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك». والمصنف تبعه فى سياقه فتأمل، وسيأتى للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد، والمعنى: استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نورا يفرق بين الحق والباطل، وعلى الرواية الثانية: عوِّل على ما فى قلبك، والتزم العمل بما أرشدك إليه وإن أفتاك الناس بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر، والكلام=

جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة؛ فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام، وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر، وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به، فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون، وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال، فإن قلت: لِمَ سوَّيت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضًا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه: أحدها أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع، والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة : لا الصحيح ولا المريض، وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون، والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب، وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء في المزاج والأخلاط، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب، فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضًا شرف علم طريق الآخرة، فإن قلت: فصِّل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه، وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة، فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له

= فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعي وإلا لزمه اتباعه وإن لم ينشرح له صدره، وهذا إذا كان الخطاب عامًا، قال العراقي: وفي الباب عن واثلة ولفظه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لتفتنا عن أمرنا فآخذه من بعدك، قال: لتفتك نفسك» قال فقلت: وكيف لي بذلك ؟ قال: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون» الحديث. وقال السخاوي: وفي الباب عن النواس بن سمعان وغيره .

نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم: بدعة أو كبر، وقيل: من كان محبًا للدنيا أو مصرًا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئًا، وينشد على قوله:

وارض لمن غاب عنك غيبته ... فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصدِّيقين والمقرَّبين، اعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى، ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحى إليهم والمعرفة بملكوت السماوات والأرض ومعرفة القلب، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار، وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤) ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤) . ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يُرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى اعده لعباده الصالحين «ما لا عين رات ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها

المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته، وبعضهم يدّعى أموراً عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل، وبعضهم يقول: حد معرفة الله عز وجل وما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم، فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحاً يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه، وهذا ممكن فى جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم، فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها، وبالعلم والتعليم، وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده ﷺ بقوله :

« إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه » (٧٢)، وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب، أما

(٧٢) حديث: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به فلا تحقروا (بكسر القاف مخففًا من حد ضرب) عالمًا آتاه الله علمًا، فإن الله لم يحقره إذ آتاه العلم » قال العراقى: رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى فى الأربعين التى جعلها فى التصوف من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل» ومن طريق السلمى رواه الديلمى فى مسند الفردوس، وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروى ضعيف جدا .ا هـ . قال مرتضى: وأورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة، فقال: أخرجه الطيالسى فى ترغيبه فقال: أخبرنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن أبو على حامد بن محمد الرفاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح، فساقه وزاد بعد قوله إلا أهل الاغترار بالله: إن الله جامع العلماء يوم القيامة فى صعيد واحد، فيقول: إنى لم أودعكم علمى وأنا أريد=

ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظنّ وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة، وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلوّ وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل

= إن أعذبكم. وأورده كذلك فى كتابه « تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية » من هذه الطريق إلا أن فيها: إلا أهل الغرة بالله عز وجل، كما عند السلمى .ا هـ . ثم قال: وهذا إسناد ضعيف، وعبد السلام بن صالح كان رجلا صالحا إلا أنه شيعى وهو من رجال ابن ماجه ، وقد اختلف فيه، فقال أبو حاتم: لم يكن عندى بصدوق وقال العقيلى: رافضى خبيث، وقال النسائى ليس بثقة، وقال الدارقطنى: رافضى متهم، وقال عباس الدهرى: سمعت يحيى يوثق أبا الصلت، وقال ابن محرز عن يحيى: ليس ممن يكذب وأثنى عليه أحمد بن يسار فى تاريخ مرو وقال السيوطى: فالحاصل أن حديثه فى مرتبة الضعيف الذى ليس بموضوع، قال: وقد أورد القطب القسطلانى هذا الحديث فى كتاب له فى التصوف وقال: إن له شاهدا من مرسل سعيد ابن المسيب .ا هـ . قال العراقى: وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينورى فى كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس فذكر حديثا طويلا فيه: ثم قال رسول الله ﷺ: « إن الله عز وجل يقول: لا تحقروا عبدا أعطيته علما فإنى لم أحقره حين وضعت ذلك العلم فى قلبه» وكثير بن سليم ضعيف .ا هـ . ثم قال مرتضى: وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبى موسى الأشعرى رفعه: « إن الله تبارك وتعالى يقول: لا تحقروا عبدا آتيته علما فإنى لم أحقره حين علمته »، وطلحة بن زيد متروك، قال السيوطى: وقد أخرجه الطبرانى من طريق صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد به، قلت: ووجدت فى كتاب تاليف الشيخ صفى الدين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى المنصور ظافر ابن الحسين الأزدى نازل القرافة فى ترجمة شيخه عتيق الدمشقى أنه كان مع شيخه أبى النجاء بالموصل وذكر اجتماعه بقضيب البان فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب فكان يقول قضيب البان عند ذكر رجل منهم: هذا وزنه كذا حتى ذكر شيخا مشهورًا ببلاد المشرق فقال له عند ذكره: من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة، ثم قال قضيب البان يا أبا النجاء إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة، تمم هذا الحديث، قال له الشيخ: ما أعرف له تماما، قال قضيب البان: تمامه: فلا تحقرن عبداً آتاه الله علما فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم، وودع الشيخ ومضى وسافر .ا هـ . قلت: وهذا الذى ذكره قضيب البان لقد جاء فى الخبر كما فى القوت: إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة.

والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه فى سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة، وأضدادها وهى الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة، فالمُعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، فنظر الفقهاء فى فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة، ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يُحتاج إلى شىء منها وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً، وفى حفظه ودرسه، ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين، وإذا روجع فيه قال: اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية، ويُلَبِّس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات، فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه، لا سيما الخلافات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع، فليت

شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال ما لا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة، والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء، هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء، فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب.

كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله : كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول : إن هذا وُفق لما أغفلناه، وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمهما الله يختلفان إلى معروف الكرخى، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما، وكانا يسألانه. كيف وقد قال رسول الله ﷺ : « **لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة ؟ فقال** ﷺ : « **سلوا الصالحين، واجعلوه شورى بينهم**» (٧٣) ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت.

(٧٣) حديث: « لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا السنة . وفى نسخة: فى كتاب ولا سنة، فقال فى الجواب: « سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم » الشورى بالضم فعلى من الشورة، **قال العراقى** فيه: عن على بن أبى طالب وابن عباس، أما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية الوليد بن صالح عن محمد ابن الحنفية عن على قال: قلت: يا رسول الله إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنا ؟ قال: تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأى خاصة . رجاله رجال الصحيح، ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية إبراهيم بن أبى الفياض عن سليمان بن يزيع عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب ﷺ قال: « قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة؟ قال: اجمعوا له العالمين - أو قال العابدين - من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأى واحد» وفى رواية له: «اجمعوا له العابدين من غير شك». قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يعرف من حديث مالك إلا بهذا الإسناد ولا أصل له فى حديث مالك عندهم ولا فى حديث غيره، وإبراهيم وسليمان ليسا بالقويين، والله أعلم .ا هـ . وقال ابن يونس: سليمان بن يزيع منكر الحديث، وإبراهيم بن أبى الفياض روى عن أشهب مناكير، وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى من رواية إسحق بن عبد الله بن كيسان المروزى عن أبيه عن عكرمة فذكر حديثًا قال فيه: قال على: يا رسول الله، أرأيت إن عرض لنا ما لم=

وقال الجنيد رحمه الله: قال لي السري شيخي يوما: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، فقال: نعم، خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيا، ولا جعلك صوفيا صاحب حديث، أشار إلى أن من حصّل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح، ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه.

فإن قلت: فلِمَ لَمْ تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان؟ فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الأول، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة، ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه، بل صار من فروض الكفايات وهو

= ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك ؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين . . .» الحديث، وعبد الله بن كيسان منكر الحديث قاله البخاري، وابنه إسحق نسبه الحاكم وقد ورد من وجه آخر مرسلا رواه الدارمي في مسنده من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة، قال: « ينظر فيه العابدون من المؤمنين »، وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفا، رواه الطبراني وابن عبد البر في أثر طويل وفيه: فإن أتاه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون. وإسناده ثقات يحتج بهم .ا هـ . وفي القوت: وقد روينا في خبر: قيل: يا رسول الله كيف نصنع. . . فذكر مثل سياق المصنف، وفي آخره: ولا تقضوا فيه أمرا دونهم. ثم قال: وفي حديث معاذ: فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، قال: أقضي فيه بما قضى الصالحون، فقال: «الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسوله» وفي بعضها: أجتهد رأيي. وكان سهل يقول: لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى، قيل: يا أبا محمد، من العلماء ؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته: وشاور في أمورك الذين يخشون الله عز وجل .ا هـ .

القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى.

وأما الفلسفة فليست علمًا برأسها بل هى أربعة أجزاء :

أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة، فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما، كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر، وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفًا عليه، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم.

الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحدّ وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام.

والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، وهو داخل فى الكلام أيضًا، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة، وكما أن الاعتزال ليس علمًا برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ؛ فكذلك الفلاسفة.

والرابع الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء، إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك، ولكن للطب فضل عليه، وهو أنه محتاج إليه، وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها، فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسةً لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ؛ فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عُهِدَ فى عصر الصحابة

ﷺ ، فليعلم المتكلم حدَّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام، وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة ؛ فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجابًا عليه ومانعًا عنه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية ، حيث قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) فإن قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حدّ البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض، وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون، وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال صار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرَّضت بذكرهم على تقدمهم وأنه لا يدرك فى الدين شأوهم، ولا يشق غبارهم، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها.

« وما فضل أبو بكر ؓ الناسَ بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر فى صدره » (٧٤) كما شهد له سيد المرسلين ﷺ فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدرّ المكنون، ودع عنك ما تطابق أكثر

---

(٧٤) حديث: « ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام » الحديث، الترمذى الحكيم فى النوادر من قول بكر بن عبد الله المزنى، ولم أجده مرفوعا .

الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها، فلقد قُبض رسول الله ﷺ عن آلاف من الصحابة ﷺ كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا، ولقد كان ابن عمر ﷺ منهم، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه، إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة، ولما مات عمر ﷺ قال ابن مسعود ﷺ: مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام، إنما أريد العلم بالله تعالى؛ أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل! فما بالك لا تحرض على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره، وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعًا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره، وأما قولك: إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون؛ فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء، وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر، فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق ﷺ بالخلافة، وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه، وكان شهرة عمر ﷺ بالسياسة، وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتُصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء، وقد انقسموا، فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبّه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم، فإن كل علم عمل، فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علمًا، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابًا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا، لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه.

وأقسام ما يُتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس، ومركّب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعًا، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به ... فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة؛ فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى، وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها.

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنًا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى، وكل واحد منهم كان عابدًا وزاهدًا وعالمًا بعلوم الآخرة وفقيهًا فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدًا بفقهه وجه الله تعالى ؛ فهذه خمس خصال أتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدّادين، فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة.

أما الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدًا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثًا للعلم وثلثًا للعبادة وثلثًا للنوم، قال الربيع: كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة، كل ذلك فى الصلاة، وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة، وقال الحسن الكرابيسى : بتّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين، وكأنما جمع له الرجاء والخوف معًا، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها، وقال الشافعى رحمه الله : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب، ويزيل الفطنة ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة ؛ فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع، ثم فى جدّه فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام، وقال الشافعى رحمه الله: ما حلفت بالله تعالى لا صادقًا ولا كاذبًا قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه، وسئل الشافعى ﷺ عن مسألة فسكت ؛ فقيل له: ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى. فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطًا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب، وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يومًا من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ؛ فالتفت الشافعى إلينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شىء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم، ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها، وقال الشافعى ﷺ: كتب حكيم إلى حكيم : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله : من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب، وقال الحميدي : خرج الشافعي رحمه الله تعالى إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء في موضع خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها، وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا، وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً، وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى، ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد، ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روى أنه روى سفيان بن عيينة حديثًا في الرقائق فغشى على الشافعي، فقيل له : قد مات، فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه، وما روى عبد الله بن محمد البلوى، قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسًا نتذاكر العبّاد والزهاد، فقال لي عمر : ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ،خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد إلى الصفا، وكان الحرث تلميذاً لصالح المرى فافتتح يقرأ، وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات: ٣٥، ٣٦) فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعرّ جلده واضطرب اضطرابًا شديداً وخرّ مغشيًا عليه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين، وذلّت لك رقاب المشتاقين، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك، قال : ثم مشى وانصرفنا، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة،فالتفتُّ فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره، فالتفت إلىّ فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت: نعم تعلمنى مما علمك الله شيئًا، فقال لى : اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا، أفلا أزيدك ؟ قلت: نعم، قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر، ونهى عن المنكر

وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قلت: بلى، فقال، كن فى الدنيا زاهدا، وفى الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى، فسألت: من هذا ؟ فقالوا: هو الشافعى. فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه، ثم إلى وعظه كيف يدل على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فإنه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر: ٢٨) . ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما.

وأما كونه عالمًا بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه، روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة : الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم، وقال الشافعى رحمه الله تعالى : إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب، ومن أى عقاب ترهب، وأى عافية تشكر، وأى بلاء تذكر، فإنك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك. فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب، وقال الشافعى ﷺ : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وقال رحمه الله : من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره، وقال: ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل، وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى ﷺ عن مسائل في الورع، والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه، وقال للشافعى يوما: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين ؟ فقال الشافعى رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه الله ملكا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف: ٢١) وأيوب عليه السلام بعد المحنة

العظيمة مكن، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ (الأنبياء: ٨٤). فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء، وكل ذلك من علوم الآخرة، وقيل للشافعى رحمه الله: متى يكون الرجل عالما؟ قال: إذا تحقق فى علم فعلمه، وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما، فإنه قيل لجالينوس: إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمَّعة، فقال: إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة.

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلىَّ شىء منه، فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له، وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى، وقال الشافعى ﷺ: ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ، وقال: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويُعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه، وقال: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته. فهذه العلامات هى التى تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة، فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط، ثم كيف خالفوه فيها أيضا، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله: ما رأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعى رحمه الله تعالى، وقال أحمد بن حنبل ﷺ: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى. فانظر إلى إنصاف الداعى وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء، ولكثرة دعائه له قال له ابنه: أىّ رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بنى، كان الشافعى رحمة الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف؟! وكان أحمد رحمه الله يقول: ما مسَّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منّة، وقال يحيى

ابن سعيد القطان مـا صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافـعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفّقه للسداد فيه، ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصـر، وأكثر هذه المناقب نـقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن إبراهيم المـقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى ﷺ وعن جميع المسلمين.

وأما الإمام مالك ﷺ فإنه كـان أيضا متحليا بهذه الخصال الخـمس فإنه قيل له: ما تقول يا مالك فى طلب العلم ؟ فقال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمـسى فالزمه، وكان رحـمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبـالغا حتى كان إذا أراد أن يحـدث توضأ وجلس على صـدر فراشه وسرّح لحيتـه واستـعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيـبة ثم حدّث، فقيل له فـى ذلك، فقال :أحب أن أعظّم حديث رسـول الله ﷺ ، وقال مـالك : العلم نور يجعله الـله حيث يشاء وليـس بكثرة الرواية. وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى.

وأما إرادته وجه الله تعـالى بالعلم فيدل عليه قـوله: الجدال فى الدين ليس بشىء، ويدل عليه قول الشافعى رحـمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعـين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها: لا أدرى. ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى، ولذلك قال الشافعى ﷺ: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ علىّ من مالك، وروى أن أبا جعفـر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكرَه ثم دسّ عليه مَنْ يسأله، فروى على ملأ من الناس : « ليس على مستكره طلاق »، فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث، وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف.

وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهـدى أمير المؤمنين سأله فقال له: هل لك من دار؟ فقال : لا، ولكـن أحدثك: سمعت ربيعـة بن أبى عبد الرحمن يقـول : نسب المرء داره. وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال: لا، فـأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقهـا، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمـه الله: ينبغى أن تخرج معنا

فإنى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان ﷺ الناس على القرآن، فقال له: أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم، وقد قال ﷺ: « اختلاف أمتى رحمة » (٧٥) وأما

(٧٥) حديث: « اختلاف أمتى رحمة » قال العراقي: ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ وأسنده فى المدخل من رواية سليمان بن أبى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رفعه فذكر حديثا فى آخره « واختلاف أصحابى لكم رحمة » وسليمان وجويبر ضعيفان جدا، والضحاك بن مزاحم مختلف فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس .اهـ .
قال مرتضى: وأول الحديث الذى فى المدخل: « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد فى تركه، فإن لم يكن فى كتاب الله، فسنة منى ماضية، فإن لم تكن سنة منى فما قال أصحابى إن أصحابى كالنجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابى لكم رحمة »
قال السخاوى: ومن هذا الوجه أخرجه الطبرانى والديلمى فى مسنده بلفظه سواء، قلت: وكذا أبو نصر السجزى فى الإبانة، وقال: غريب، والخطيب وابن عساكر فى تاريخهما كذا فى الجامع الكبير للسيوطى، وقال ابن السبكى فى تخريج أحاديث المنهاج: هذا شىء لا أصل له، وقال والده: لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع . اهـ. وأورده الحليمى فى كتاب الشهادات من تعليقه، والقاضى حسين وإمام الحرمين، وقال ابن الملقن فى تخريج أحاديث المنهاج: لم أر من خرّجه مرفوعا بعد البحث الشديد عنه وإنما نقله ابن الأثير فى مقدمة جامعه من قول مالك، وقال الزركشى فى تذكرته: رواه الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجة مرفوعا، ورواه البيهقى فى المدخل عن القاسم بن محمد من قوله، وعن يحيى بن سعيد نحوه وعن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرنى لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة انتهى كلام الزركشى . وقال العراقى: وله إسناد آخر مرسل، رواه آدم بن أبى إياس فى كتاب العلم والحلم، قال: حدثنا بقية حدثنا أبو الحجاج مهدى حدثنى شيخ من لخم قال: قال رسول الله ﷺ: « اختلاف أصحابى لأمتى رحمة »، وهذا إسناد فيه جهالة، والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال: اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة، رواه البيهقى فى المدخل .اهـ . قال السخاوى: وقد عزاه الزركشى إلى كتاب الحجة لنصر المقدسى مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقى لآدم بن أبى إياس فى كتاب العلم والحلم، قال: هو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ يعنى لفظ ابن أبى إياس، ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية بغير إسناد، وفى المدخل من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن حميد قال: اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول . . . ثم ساق بمثل سياق الزركشى، ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا، ثم قال السخاوى: وقرأت بخط شيخنا يعنى ابن حجر الحافظ أنه أى هذا الحديث - مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب فى المختصر فى مباحث القياس بلفظ: اختلاف=

الخروج معك فلا سبيل إليه؛ قال رسول الله ﷺ : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » (٧٦).

وقال عليه الصلاة والسلام : « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد » (٧٧) وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها. يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة

= أمتى رحمة للناس وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما أباضى والآخر ملحد وهما إسحق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا، ثم تشاغل الخطابى فرد هذا الكلام، ولم يقع فى كلامه شفاء فى عزو الحديث ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده .ا هـ .

(٧٦) حديث: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » قال العراقى: قد رواه كذلك ابن أبى حاتم فى مقدمة الجرح والتعديل عن مالك عن النبى ﷺ بغير إسناد، وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبى زهير وأبى هريرة وسعد بن أبى وقاص وجابر وأبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد، أما حديث سفيان بن أبى زهير رضي الله عنه فأخرجه البخارى والنسائى من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن أبى زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون لأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، الحديث رواه مسلم من رواية وكيع وابن جريج والنسائى من رواية عبدة بن سليمان ثلاثتهم عن هشام بن عروة، قال مرتضى: لفظ مسلم: « يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ، قال العراقى: وأما حديث أبى هريرة فرواه مسلم فى أفراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كان يعلمون » الحديث. وقال مرتضى: أخرجه مسلم من طريق الدراوردى عن العلاء عن أبيه. وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائى من رواية عثمان بن حكيم، حدثنى عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : « إنى أحرم ما بين لابتى المدينة أن تقطع عضاهها أو يقتل صيدها»، وقال: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ». وأما حديث جابر فرواه أحمد فى المسند من طريق أبى الزبير، عن جابر والبزار من طريق الحريرى عن أبى بصرة عن جابر ورجاله ثقات، وأما حديث أبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد، فرواها الطبرانى فى الكبير بأسانيد جيدة .

(٧٧) حديث: « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد» الخبث محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبت، قاله ابن الأثير، وقال العراقى: وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبى هريرة وجابر وزيد بن ثابت، أما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق مالك عن يحيى بن سعيد قال: سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب =

المدينة لما اصطنعته إلىّ فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ ؛ فهكذا كان زهد مالك. ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا، وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه، ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد.

ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال: رأيت على باب مالك كراعًا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت لمالك رحمه الله: ما أحسنه، فقال: هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إنى أستحيى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة. فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة، وإلى توقيره لتربة المدينة.

= وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» ورواه مسلم من رواية ابن عيينة، وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن يحيى بن سعيد. وأما حديث جابر فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ أن أعرابيا بايع النبى ﷺ فذكر حديثا فى آخره فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها» ورواه البخارى والنسائى من رواية سفيان الثورى عن ابن المنكدر، وفى رواية لأحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثا فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلى الدجال، ثم قال: ذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد. وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح، وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عبد الله بن ثابت عن النبى ﷺ: «إنها طيبة - يعنى المدينة - وإنها تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة .ا هـ . قال مرتضى: ولفظ البخارى من حديث جابر: جاء أعرابى فبايعه - يعنى النبى ﷺ - على الإسلام، ثم جاء من الغد محموما فقال: أقلنى بيعتى، فأبى، ثم جاء فأبى، ثم جاء فقال: أقلنى بيعتى، فأبى، فخرج الأعرابى فقال النبى ﷺ: «إنما المدينة ...» الحديث، قاله ابن السبكى فى تخريج أحاديث المنهاج، وقال ابن الملقن فى تخريج أحاديث الكتاب المذكور: أخرجه الشيخان فى صحيحيهما من طرق أحدها عن أبى هريرة مطولا وفيه: ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبثه» الثانى عن جابر مطولا أيضا بقصة وفيه: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها»، الثالث عن زيد بن ثابت ولفظه: «إنها طيبة - يعنى المدينة ... وساق كسياق العراقى، قال: وفى بعض طرق البخارى: «تنفى الذنوب» ذكره فى المغازى .

ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لى: يا أبا عبد الله، ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت: أعز الله مولانا الأمير، إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عزّ وإن أنتم أذللتموه ذلّ، والعلم يؤتى ولا يأتى، فقال: صدقت، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضًا عابدًا زاهدًا عارفًا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه، فأما كونه عابدًا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال : كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة، وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله. وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمرّ يومًا فى طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله، فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله، وقال : أنا أستحيى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فىّ من عبادته.

وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال : أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى، فضربه عشرين سوطًا. فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب. قال الحكم بن هشام الثقفى : حُدِّثت بالشام حديثًا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى، وروى أنه ذُكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال: أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها، وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة : قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم، قال : فما رضى أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح، ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه، فقال بعض من حضر: ما يكلمنا إلا بالكلمة، أى هذه عادته؛ فقال: ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه: إذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ

وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة، قال ابنه: فـفعلت ذلك، فقال الحسن: رحمة الله على أبيك، فلقد كان شحيحًا على دينه. وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء، فقال: أنا لا أصلح لهذا، فقيل له :لِمَ ؟ فقال : إن كنت صـادقًا فما أصلح لها، وإن كنت كاذبًا فـالكاذب لا يصلح للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل ؛ فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا، وقـد قال ابن جريج: قد بلغنى عن كوفـيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخـوف لله تعالى. وقال شريك النخـعى: كان أبو حنيفـة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس. فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله.

فهذه نبذة من أحوال الأئمـة الثلاثة، وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثـورى رحمهما الله تعالى فـأتباعهمـا أقل من أتباع هؤلاء، وسفـيان أقل أتباعًا من أحـمد، ولكن اشتهـارهما بالورع والزهد أظهر، وجميع هذا الكتـاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهـما فلا حاجة إلى التـفصـيل الآن. فـانظر الآن فى سيـر هؤلاء الأئمـة الثلاثـة وتأمل أن هذه الأحوال والأقـوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هـل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعـان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه؟ وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا ؟

* * *

[illegible]

[illegible]

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول: العلم هو معرفة الشىء على ما هو به، وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشىء علمًا ويكون مع كونه علمًا مذمومًا، فاعلم أن العلم لا يذم لعينه، وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :

الأول : أن يكون مؤديًا إلى ضررٍ ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق، إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين.

« وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر » (٧٨) وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور

(٧٨) حديث: « سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر». **قال العراقى**: متفق عليه من حديث عائشة .ا هـ . **قال مرتضى**: أخرجه البخارى فى كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة وأبى أسامة ثلاثتهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أما الطريق الأولى ففيها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشىء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى دعا ودعا، ثم قال: « يا عائشة، أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه ؟ قال: لبيد بن=

= الأعصم، قال: في أي شيء ؟ قال: في مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكر، قال: وأين هو ؟ قال: فـي بئر ذروان »، فأتـاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فـجاء فـقال: «يا عائشة،كأن مـاءها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين»، قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته، قال: « قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شراً »، فأمر بها فدفنت. قال البخاري: تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبي الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام: من مشط ومشاقة ويقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاقة من مشاقة الكتان، وأما الطريق الثانية ففيها قال: ومن طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا، وفيها: في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان، وفيها: فقالت: فقلت: أفلا تنشرت ؟ فقال:« أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» والباقي سواء، وأما الطريق الثالثة ففيها: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو ؟ قال: في بئر ذروان قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظروا إليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت. والباقي سواء، وقد أخرجه كذلك مسلم والنسائي في الكبرى وابن ماجه كلهم من رواية هشام، قال العراقي: وفي الباب عن ابن عباس وزيد بن أرقم، أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه في تفسيره من رواية عصام عن سليمان بن عبد الله عن عكرمة عنه وعصام ضعيف، وأما حديث زيد بن أرقم فرواه ابن سعد في الطبقات من رواية الثوري عن الأعمش عن ثمامة المحملي عنه وقال ابن الملقن في شرحه على البخاري في تفسير المعوّذتين: ويقال إن العقد عقدها بنات لبيد وهي إحدى عشرة عقدة في وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودي يخدمه وصورة من عجين فيها إبرة مغروزة، فبعث عليًا والزبير وعماراً فاستخرجوه وشفاه الله تعالى وقال المهلب في شرحه: مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه مختلفون في استخراجه، فأثبته سفيان في رواية من طريقين، وأوقف سؤال عائشة على النشرة ونفى الاستخراج عن عيسى بن يونس وأوقف سؤالها النبي ﷺ على الاستخراج، ولم يذكر أنه جاوب على الاستخراج بشيء، وحقق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بلا، فكأن الاعتبار يعطى أن سفيان أولى بالقول لتقدمه في الضبط، وأن الوهم على أبي أسامة في أنه لم يستخرجه ويشهد لذلك أنه لم يذكر النشرة، وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب على استخراجه بلا، وذكر النشرة والزيادة من سفيان مقبولة؛ لأنه أثبتهم لا سيما فيما حقق من الاستخراج، وفي ذكر النشرة هي جواب للنبي ﷺ مكان الاستخراج، ويحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان، ويحكم لأبي أسامة بقوله، لا على أنه استخرج الجف بالمشاقة ولم يستخرج صورة ما في الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه، ثم اعلم أن السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل غير قادح في نبوّته، وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، فذلك مما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه، وقد روى عن ابن المسيب وعروة « سحر حتى كاد ينكر بصره» وعن عطاء الخراساني: حبس عن عائشة سنة،قال عبد الرزاق: وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره، لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هي أصوب .





نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

جسمانية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة، ولكنها ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق، والوسيلة إلى الشر شر؛ فكان ذلك هو السبب فى كونه علمًا مذمومًا، بل من اتبع وليًا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه، وذكر موضعه إرشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر.

الثانى: أن يكون مضرًا بصاحبه فى غالب الأمر، كعلم النجوم فإنه فى نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان: قسم حسابى، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن: ٥) وقال عز وجل: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (يس: ٣٩) والثانى الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض، وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه، ولكن قد ذمه الشرع.

قال ﷺ: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا» (٧٩).

---

(٧٩) حديث: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا» وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا» قال العراقى: أخرجه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. أ هـ. أى فى معجمه الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمدانى عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله رفعه، وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولى، ورواه الخطيب فى كتاب القول فى علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبى مخلم عن أبى قلابة عن ابن مسعود، وأبو مخلم اسمه النضر بن سعيد ليس بشيء قاله ابن معين، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود، ورواه الطبرانى أيضًا من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدى فى الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف، وقال الهيثمى: فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف، ورواه أبو الشيخ فى=

وقال ﷺ : « أخاف على أمتى بعدى ثلاثًا : حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر »(٨٠).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا. وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه :-

أحدها : أنه مضر بأكثر الخلق ؛ فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتًا إليها، ويرى الخير والشرّ محذورًا أو مرجوًا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط

= كتاب الطبقات من رواية الحسن عن أبى هريرة مرفوعا فى أثناء حديث، وقال ابن رجب: روى من وجوه فى إسنادها كلها مقال، وقد رمز السيوطى لحسنه تبعا لابن حصرى ولعله اعتضد قال المناوى فى شرح هذا الحديث: أي لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى لا تحصى .

(٨٠) حديث: «أخاف على أمتى بعدى ثلاثة: حيف الأئمة، وإيمان بالنجوم، وتكذيب بالقدر» قال العراقى: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى محجن بسند ضعيف .ا هـ . قال مرتضى: هو من رواية على بن يزيد الصدائى، حدثنا أبو سعيد البقال عن أبى محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال . . . فذكره، وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه، وأبو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفى فارس شاعر صحابى، والرواية: إيمانا وتكذيبا بالنصب فيهما، وإنما نكر إيمانا ليفيد الشيوع فيدل على التحذير من التصديق بأى شىء كان من ذلك جزئيا أو كليا مما كان من أحد فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير فإنه غير ضار كما تقدم، وأخرج الطبرانى من حديث أبى أمامة رفعه « إن أخوف ما أخاف على أمتى فى آخر زمانها: النجوم، وتكذيب بالقدر، وحيف السلطان » وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ « ثلاثًا أخاف على أمتى: استسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيب بالقدر» وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل والخطيب فى كتاب النجوم عن أنس بسند حسن « أخاف على أمتى بعدى خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وتصديقًا بالنجوم» ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمى فى الفردوس وابن حصرى فى أماليه عن عمر بن الخطاب مرفوعا «لا تسألوا عن النجوم، ولا تماروا فى القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحدًا من أصحابى، فإن ذلك الإيمان المحض»، هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير، قلت: وأخرجه الخطيب فى ذم النجوم من حديث إسماعيل بن عباس عن النجترى بن عبيد عن أبيه عن أبى ذر عن عمر موقوفا، كذا فى شرح ابن الملقن على البخارى .

والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس، وهى تنظر إلى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم، ولا تترقى فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاتب القادر المريد ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهى عن النجوم.

وثانيها: أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينًا ولا ظنًا، فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى، وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلافه، ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تُدرى. وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ، ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا.

وثالثها: أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى، وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الإنسان فى غير فائدة، وذلك غاية الخسران. « فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: « ما هذا » ؟ فقالوا : رجل علامة، فقال : « بماذا »؟

قالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: « علم لا ينفع وجهل لا يضر »(٨١).

وقال ﷺ: « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة »(٨٢) فإذًا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن والاحتراز منه

---

(٨١) حديث: « مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل علامة، فقال: « بماذا » ؟ فقالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: « علم لا ينفع وجهل لا يضر » قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه، وفي آخر الحديث: « إنما العلم آية محكمة ... » إلخ . اهـ . قال مرتضى: وقال ابن عبد البر نفسه: لعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر، قال المناوي: وكأنه لم يطلع على كونه حديثًا، أو رأى فيه مقالًا يقتضي الرد. قلت: كيف يقال إنه لم يطلع على العلامة وهو الذي خرجه من حديث أبي هريرة ؟ فالوجه هو القول الثاني الذي ذكره، وأخرج الرشاطي من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة « علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر »، وفي القوت: وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: « ما هذا » ؟ فقالوا: رجل علامة، قال: « بماذا » ؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب فقال: « هذا علم لا يضر جهله »، وفي لفظ آخر: « علم لا ينفع وجهل لا يضر » وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في البر والصلة، والحاكم عن أبي هريرة رفعه: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر »، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رجال أحمد وثقوا، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث له طرق أقواها ما أخرجه الطبراني من حديث العلاء بن خارجة، وجاء هذا عن عمر أيضا ساقه ابن حزم بإسناد رجاله موثقون إلا أن فيه انقطاعا . اهـ . قلت: وأخرجه ابن زنجويه من حديث أبي هريرة « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا »، وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وأن محل النهي إنما هو في التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه، وفي التخريج الكبير للعراقي: رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة وفيه: أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال: « ما هذا » ؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة، قال: « وما العلامة » ؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب، فقال: « هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر »، ثم قال: « العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة ». اهـ.

(٨٢) حديث: « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة، قاله العراقي . قال مرتضى: وفي تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائي عن ابن عمرو رفعه « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » وفي القوت: ويروى:=

غير ممكن، بخلاف الطب؛ فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليها، وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة(٦) ولا خطر فيه.

السبب الثالث: الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم، فهو مذموم في حقه، كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها، وخفيها قبل جليها، وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها، ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء، فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع، ففي ذلك مقنع للموفق، فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه، ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور، فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد، فجس الطبيب نبضها وقال: لا حاجة لك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النبض عليه، فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له: لم تمت! فقال الطبيب: قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد، فقال: كيف ذاك؟ قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت

العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة قائمة، ولا أدري" أخرجه أبو نعيم في رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائي، تقدم قريبا قبل هذا وهو آخر الحديث، ورواه كذلك أبو داود وابن ماجه، كما تقدم عن العراقي من رواية عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن ابن عمرو، ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو. قال العراقي: وقد ورد موقوفا على ابن عمر نحوه، رواه الطبراني في الأوسط من رواية حصين عن مالك عن نافع عن ابن عمرو، رواه الدارقطني من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري. وأخرجه الخطيب أيضا هكذا وقال: تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسي وأبو حذافة السهمي قال: وخالفهم سعيد بن داود الزبيري، فرواه عن مالك عن داود بن الحصين عن طاوس عن ابن عمر، قلت: ويحتمل أن المصنف أوردهما على أنه حديث واحد فإنه عقبه بقوله: والله أعلم.

وزال المانع من الولادة. فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ : « نعوذ بالله من علم لا ينفع »(٨٣). فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثًا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها، ولازم الاقتداء بالصحابة ﷺ ، واقتصر على اتباع السنة، فالسلامة فى الإتباع والخطر فى البحث عن الأشياء والاستقلال، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أنى أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هى عليه فأى ضرر فى التفكر فى العلم، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر، وكم من شىء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررًا يكاد يهلكك فى الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته، واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب و العلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك. فكم من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن، فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن، فهكذا الأمر فى طريق الآخرة وفى دقائق سنن الشرع وآدابه وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوّته الإحاطه بها كما أن فى خواص الأحجار أمورًا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد، فالعجائب والغرائب فى العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الأدوية والعقاقير، وكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها، فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع فى حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة إليها وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض

---

(٨٣) حديث: « نعوذ بالله من علم لا ينفع» أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن، وهو عند ابن ماجه بلفظ: « تعوذوا بالله . . . » كما تقدم، قاله العراقى . وقال مرتضى: وفى القوت: والخبر المشهور قوله ﷺ :«أعوذ بك من علم لا ينفع»، فسماه علمًا إذ له معلوم، وإذ أصحابه علماء، ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل .ا هـ . وفى الباب عن زيد بن أرقم وأبى هريرة وعبد الله بن عمر وأنس وابن مسعود وابن عباس، وقد تقدم فى أحاديث الخطبة .

الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه، وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام. ولذلك قال ﷺ: « إن من العلم جهلا، وإن من القول عيًا » (٨٤) ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل فى الإضرار.

وقال ﷺ: « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم » (٨٥) وقال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

---

(٨٤) حديث: « إن من العلم جهلا وإن من القول عيالا » قال العراقى: أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفى إسناده من يجهل. اهـ. قال مرتضى: أخرجه فى الأدب من حديث أبى جعفر عبد الله بن ثابت عن صخر بن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن جده بريدة بن الخصيب، قال عبد الله: بينما هو - يعنى بريدة - جالس بالكوفة فى مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من البيان سحرا، وإن من العلم جهلا، وإن من الشعر حكما، وإن من القول عيالا»، وفى القوت: وروينا فى خبر « إن من العلم جهلا، وإن من القول عيًا »، قلت: وقد يروى من حديث علىّ أخرجه الهروى فى ذم الكلام وفيه زيادة وقد وجد فى بعض نسخ الكتاب: عيا بدل عياله، كما هو نص القوت .

(٨٥) حديث: « قليل من التوفيق خير من كثير من العلم» قال العراقى: لم أجد له أصلا، وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء وقال: العقل بدلا من العلم، ولم يخرجه ولده فى مسنده. اهـ . قال مرتضى: وأخرجه ابن عساكر عن أبى الدرداء بمثل ما فى الفردوس، وزاد: والعقل فى أمر الدنيا حقرة والعقل فى أمر الدين مسرة، وروى الطبرانى عن ابن عمر: وقليل الفقه خير من كثير من العبادة، وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه. وأورد ابن عبد البر كذلك فى العلم وأبو نصر السجزى فى الإبانة، وقال: غريب عن ابن عمرو، وأخرج البخارى فى التاريخ عن ابن عمر، وأبو موسى المدينى فى المعرفة عن رجاء غير منسوب: قليل من العلم خير من كثير من العبادة، تبع المصنف صاحب القوت فإنه أورده هكذا وزاد: وفى خبر غريب « كل شىء يحتاج إلى العلم، والعلم يحتاج إلى التوفيق » .

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول، وهي خمسة ألفاظ: الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم.

اللفظ الأول: الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقًا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأفقه، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٢٢) وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والإجارة، فذلك لا يحصل به إنذار لا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩) وأراد به معاني الإيمان دون الفتاوى، ولعمري إن الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم في عادة الاستعمال به قديمًا وحديثًا، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣) فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم. وقال ﷺ: «علماء حكماء فقهاء»(٨٦) للذين وفدوا عليه، وسئل سعد بن إبراهيم

---

(٨٦) حديث: «علماء حكماء فقهاء» قاله للذين وفدوا عليه، وفي نسخة «قدموا عليه». قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث=

الزهري رحمه الله: أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه، والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية.

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه» قالوا: بلى، قال: «من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه» (٨٧).

بإسناد ضعيف. اهـ قال مرتضى: وكذا أبو موسى المديني في كتابه في الصحابة الذي ذيل به على ابن منده كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي، حدثني أبي عن جدي سويد بن الحرث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال: «ما أنتم»؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا، فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال: «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها»؟ قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: «ما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية»؟ قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق في مواطن اللقاء والرضا بمر القضاء والصبر عند شماتة الأعداء، فقال النبي ﷺ: «علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء»، وفي مشيخة الأنصاري فقال: «أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»، وقال الحافظ ابن حجر: هو في كتاب المعرفة لأبي نعيم من رواية أبي سليمان الداراني عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ وقال مرتضى: كذلك قال الذهبي في الميزان: علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لا يعرف، وأتى بخبر منكر لا يحتج به، فلينظر.

(٨٧) حديث: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه» قالوا: بلى، قال: «من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه» قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وأبو بكر بن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم من حديث علي كلهم من طريق ابن وهب قال: أخبرني عقبة ابن نافع عن إسحق بن أسيد عن أبي مالك وأبي إسحق عن علي رفعه، وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه على علي ولم يروه مرفوعا إلا بهذا الإسناد. اهـ. قال مرتضى: وفي رواية الثلاثة تقديم: لم يؤيسهم على لم يؤمنهم، مع زيادة في آخره وهي، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم، ولا في قراءة ليس فيها تدبر» وهكذا هو في الفردوس بتلك الزيادة.

ولما روى أنس بن مالك : قوله ﷺ : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب » (٨٨) قال : فالتفت إلى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال : لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سرداً، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين، ونعد نعم الله علينا تفقها. فسمّى تدبر القرآن وعدّ النعم تفقهاً.

قال ﷺ : « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة » (٨٩) وروى أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء ﷺ مع قوله : ثم يقبل على نفسه

(٨٨) حديث: « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب» أخرجه أبو داود بإسناد حسن، قاله العراقي. قال مرتضى: تبع المصنف صاحب القوت في سياقه والحافظ العراقي سكت عليه، وعزاه بهذا السياق إلى أبي داود والذي في سننه من رواية موسى بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة »، وموسى بن خلف العمي قال فيه ابن مغيث: ضعيف، وقال مرة: لا بأس به. ورواه أيضا هكذا أبو نعيم في المعرفة والبيهقي في السنن والضياء المقدسي في المختارة كلهم عن أنس، وأخرج أبو يعلى الموصلي في سننه وفيه: لأن أقعد مع أقوام بدل قوم، وفيه زيادة: دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا، في الموضعين. وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده وابن السني في عمل يوم وليلة والبيهقي في السنن عن أنس أيضا بلفظ « لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلـيّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد اثنا عشر ألفـا» كذا في الجامع الكبير، ورواه ابن السني في رياضة المتعلمين والخطيب في الفقيه والمتفقه نحوه، وفيه: كلهم مسلم، وليس عندهما ذكر الدية، وفي الباب عن الحسن بن علي وسهل بن سعد والعباس ابن عبد المطلب وابن عمر وابن عمرو وعتبة بن عبد الله وعلي وعمر بن الخطاب ومعاذ بن أنس وأبي أمامة وأبي هريرة وعائشة سيأتي ذكرها حيث ذكرها المصنف في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى.

(٨٩) حديث: « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من رواية عبد الله بن أبي مريم حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن أبي بكر عن أبان بن أبي عياش عن أبي قلابة عن شداد بن أوس وقال: لا يصح مرفوعا .اهـ . قال مرتضى: وهذا أورده الخطيب في=

فيكون لها أشد مقتًا. وقد سأل فرقد السنجى الحسن عن شىء فأجابه، فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن رحمه الله : ثكلتك أمك فريقد، وهل رأيت فقيهًا بعينك، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم. ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى.

ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر، فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب، ووجدوا على ذلك معينًا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع.

اللفظ الثانى: العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه، حتى أنه لما مات عمر ﷺ قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم. فعرّفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه.

وقد تصرفوا فيه أيضًا بالتخصيص حتى شهروه فى الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم، وهذا أيضا تصرف بالتخصيص، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته، وقد صار الآن مطلقًا على من لا يحيط من علوم الشرع بشىء سوى رسوم جدلية فى مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره، وصار ذلك سببا مهلكًا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم.

= المتفق والمفترق من حديث شداد أيضًا ولفظه: « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله، وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه» .

اللفظ الثالث : التوحيد ، وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابًا من الجدل والمماراة، فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلومًا للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله، فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل، ومن ثمراته أيضًا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى، وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق ﷺ لما قيل له في مرضه: أنطلب لك طبيبًا ؟ فقال : الطبيب أمرضني. وقول آخر لما مرض، فقيل له : ماذا قال الطبيب في مرضك ؟ فقال : قال لي: إني فعال لما أريد. وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك.

والتوحيد جوهر نفيس، وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة القشر وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول هو أن تقول بلسانك : لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيدًا مناقضًا للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره، والقشر الثاني ألا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به، وهو توحيد عوام الخلق، والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة.

والثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره، ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ (الفرقان: ٤٣)

وقال ﷺ : « أبغض إله عُبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »(٩٠). وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وإنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى .

ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره ، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين، فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع منه، وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه مع الإفلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص، فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات ، والكعبة ليست جهة للذي فطر السماوات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب، ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد، فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه، وهو امتثال قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١) وليس المراد به القول باللسان فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه .

اللفظ الرابع : الذكر والتذكير، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥)

---

(٩٠) حديث : « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى ». قال العراقي : أخرجه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخطيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبي أمامة رفعه بلفظ « ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع » ورواه أبو نعيم في الحلية من رواية بقية عن عيسى بن إبراهيم عن راشد، وكل من الخطيب وعيسى متروكان . انتهى.

وقد ورد فى الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة :

كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : « مجالس الذكر»(٩١) .

وفى الحديث : « إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الدنيا سوى ملائكة الخلق، إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضًا: ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ، ألا فاذكروا الله

---

(٩١) حديث: « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قيل: وما رياض الجنة؟ قال: « مجالس الذكر » قال العراقي: أخرجه الترمذى من حديث أنس وحسنه ا هـ. قال مرتضى: هو من رواية محمد ابن ثابت، حدثنى أبى عن أنس بن مالك وأورده أبو طالب المكى فى القوت والقشيرى فى الرسالة كلاهما من غير سند إلا أن فى سياق الرسالة « إذا رأيتم رياض الجنة » والباقى سواء. وقول العراقى إنه أخرجه الترمذى فنصه فى سننه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا: وما رياض الجنة ؟ قال: «حلق الذكر» أخرجه هكذا الإمام أحمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب كلهم عن أنس، وقال الترمذى: حسن غريب من هذا الوجه وفى حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير من رواية مجاهد عنه، وفيه: قال مجالس العلم » قال الهيثمى: فيه رجل لم يسم، أي قول الحرث بن عطية أحد رواته: حدثنا بعض أصحابنا عن أبى نجيح عن مجاهد، وفى حديث أبى هريرة فيما أخرجه الترمذى فى الدعوات من رواية حميد المكى أن عطاء بن أبى رباح حدثه عنه وقال غريب، وفيه: قيل: وما رياض الجنة ؟ قال: المساجد قيل: وما الرتع ؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقال القشيرى فى رسالته: أخبرنا أبو الحسين على بن بشر ببغداد أخبرنا أبو على الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عثمان بن عبد الله أن خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة »، قلنا: يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال: « مجالس الذكر »، قلت: وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من رواية عمر بن عبد الله مولى غفرة، قال: سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول: قال جابر: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة» قالوا: وأين رياض الجنة قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه أنفسكم » الحديث. ثم إنه فسر الرياض تارة بحلق الذكر وتارة بمجالسه وتارة بحلق العلم ومجالسه وتارة بالمساجد ولا مانع من إرادة الكل وإنه إنما ذكر فى كل حديث بعضها لأنه خرج جوابًا عن سؤال معين فأجاب كلا بما يليق بحال سؤاله، وقال السيوطى فى تحذير الخواص: وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، أما إنى لا أعنى حلق القصاص ولكن أعنى حلق الفقه » قلت: هو فى كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب، وبمثل هذا روى عن عبد الله بن عمر، وابن عمرو.

وذكروا أنفسكم» (٩٢) فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ فى هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات ، أما القصص فهى بدعة ، وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص » ، وقالوا : لم يكن ذلك فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص (٩٣)

---

(٩٢) حديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادى بعضهم بعضًا: الاهلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون، ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا بأنفسكم » وفى نسخة: واذكروا بأنفسكم، قال العراقى: متفق عليه من حديث أبى هريرة دون قوله: سياحين في الهواء، وللترمذى: سياحين فى الأرض، وقال مسلم: سيارة. اهـ. قال مرتضى: أخرجه صاحب القوت بلا سند ولفظه كلفظ المصنف إلا أنه قال: «فضلا عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضًا»، وفيه: « فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم » والباقى سواء، وأخرج البخاري من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة، قال الترمذى: أو عن أبى سعيد الخدرى، وقال البخارى: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورواه سهل عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعًا ورواه مسلم من هذا الوجه، وليس فى الصحيحين ولا عند الترمذى ما ذكره المصنف فى آخر هذا الحديث، وقد تقدم فى الحديث الذى قبله حديث جابر ولفظه « فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروه بأنفسكم» وأخرج البيهقى فى الشعب وابن ماجه من حديث أبى هريرة بأتم من هذا بلفظ « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الكون يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادى؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا والله، فيقول: كيف لو رأونى، فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فما يسألونى؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشد لها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: مم يتعوذون ؟ فيقولون: من النار، فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى جليسهم، كذا فى الذيل للسيوطى وأخرجه السهروردى هكذا فى عوارف المعارف من طريق الحافظ أبى نعيم من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة، وأخرج البزار من رواية زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس رفعه « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر » الحديث.

(٩٣) حديث: « وقالوا لم يكن ذلك » أى القص « فى زمن رسول الله ﷺ ولا فى زمن أبى بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص ». هكذا أورده الطرطوشى فى جامعه،=

وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه لما خرجت (٩٤). وقال ضمرة: قلت لسفيان الثوري: نستقبل القاص بوجوهنا؟ فقال: ولوا البدع ظهوركم. وقال ابن عون: دخلت على ابن سيرين فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقلت: نهى الأمير القصاص أن يقصوا، فقال: وفق للصواب (٧٦).

---

(٧٦) ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول: حدثنا الأعمش، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر إبطه، فقال القاص: يا شيخ ألا تستحي؟ فقال: لم؟ أنا في سنة وأنت في كذب، أنا الأعمش وما حدثتك، وقال أحمد: أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال، وأخرج

وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الله بن عمر بن الحفص العمري عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن. اهـ. قال مرتضى: وهكذا ذكره العراقي أيضا في كتابه الباعث على الخلاص قال: وروى الإمام أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر، هكذا هو في الكتاب المذكور وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله: «ولا زمن أبي بكر» ثم قال: «وأول من قص تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائما فأذن له» اهـ. قال السيوطي: وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يقص في زمان النبي ﷺ ولا زمان أبي بكر ولا زمان عمر وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة، فهذا موقوف على نافع، وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن عمر قال: لم يقص على عهد النبي ﷺ ولا عهد أبي بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان، إنما كان القصص حين كانت الفتنة، وروى الحاكم في مستدركه عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بني فروخ، فأرسل إليه فقال: أمرت بهذا القصص؟ قال: لا، قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: ننشر علما علمناه الله عز وجل، قال معاوية: لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة.

(٩٤) حديث: وروي أن ابن عمر خرج من المسجد وقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت، أخرجه صاحب القوت من طريق الزهري عن سالم عنه وأخرج المروزي من هذا الطريق أن ابن عمر كان يلقى خارجا من المسجد فيقول: ما أخرجني إلا صوت قاصكم هذا، وأخرج أيضا عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر قال لقاص يقص عنده: قم عنا فقد آذيتنا، وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن عتبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص فجلس في مجلسه فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرط فأرسل إليه شرطيا فأقامه، وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد أن ابن عمر مر بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال: اللهم اقطع هذه الأيدي.

على ﷺ القصاص من مسجد جامع البصرة؛ فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه إذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعًا الذى روى الحث عليه فى حديث أبى ذر ﷺ حيث قال: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة »، فقيل: يا رسول الله، ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم» (٩٥) .

وقال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسًا من مجالس اللهو. فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا

---

(٩٥) حديث: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة »، قيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ قال: « وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ؟ » هذا الحديث قد تقدم فى أوّل الكتاب، أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق عبيدة السلمانى عن عمر، وتقدم الكلام عليه، والذى روى عن أبى ذر بمعناه ولفظه « يا أبا ذر لأن تغدو لتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة » الحديث، هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير وفى الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم فى التاريخ، وقال ابن القيم: وذكر ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا « لأن تغدو فتعلم بابا من أبواب العلم خير لك من أن تصلى مائة ركعة » ، وهذا لا يثبت رفعه ولكن المصنف تابع فى أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت فإنه هكذا أخرجه فى كتابه فقال: وقد روينا حديث أبى ذر فذكره، وفى كتاب الإيمان من موضوعات السيوطى قال الذهبى فى الميزان: الجوبيارى ممن يضرب به المثل بكذبه، ومن طاماته عن إسحق بن نجيح الكذاب عن هشام بن حسان عن رجالة « حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة » . ا هـ. قال مرتضى: وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه وابن أبى داود فى المصاحف وأبو طالب المكى فى القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال: سألت الحسن: أعود مريضًا أحب إليك أو أجلس إلى قاص ؟ فقال: عد مريضك، قلت: أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص ؟ فقال: شيع جنازتك، قلت: وإن استعان بى رجل على حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص ؟ قال: اذهب فى حاجتك، حتى جعله خيرًا من مجالس الفراغ. قال صاحب القوت: فلو كانت مجالس الذكر عندهم هى مجالس القصاص، وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يشبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرًا من الأعمال، لأن الذاكرين لله تعالى فى أرفع مقاما وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان.

عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التى تتطرق إليها الإختلافات والزيادة والنقص ، وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها، فإن من القصص ما ينفع سماعه ، ومنها ما يضر ، وإن كان صدقًا ، ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار؛ فمن هذا نهى عنه ، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أحوج الناس إلى قاصٍّ صادق؛ فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم ، وكان القاص صادقًا صحيح الرواية فلست أرى به بأسًا، فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها، فإن العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرًا فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر ، فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى، ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدرى ، فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح فى الكتب الصحيحة من الأخبار . ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة فى الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق، فهذه من نزغات الشيطان؛ فإن فى الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع فى الوعظ ، كيف وقد كره تكلف السجع وعدَّ ذلك من التصنع .

قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع : هذا الذى يبغضك إلىّ لا قضيتُ حاجتك أبدًا حتى تتوب ، وقد كان جاءه فى حاجة .

وقد قال ﷺ لعبد الله بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات : « إياك والسجع يا ابن رواحة» (٩٦) فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ، ولذلك لما قال الرجل فى

---

(٩٦) حديث: « إياك والسجع يا ابن رواحة »، قال العراقى: لم أجده مرفوعًا ولأحمد وأبى يعلى وابن السنى وأبى نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين بإسناد صحيح من رواية الشعبى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لكاتب: « إياك والسجع ، فإن النبى ﷺ وأصحابه كانوا لايسجعون » زاد ابن السنى بعد قولها: إياك والسجع لا تسجع ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية الشعبى عن ابن أبى السائب قاضى أهل المدينة قال: قالت عائشة: فذكر كلاما لها وفيه: واجتنب السجع من الدعاء فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك. وروى البخارى من=

دية الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل ، فقال النبى ﷺ : « أسجع كسجع الأعراب ؟ » (٩٧) .

= رواية عكرمة عن ابن عباس قال: « حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث وفيه: « وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك. ا هـ. وفى القوت: ومما أحدثوا: السجع فى الدعاء والتغريب فيه وما لم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء، وروينا عن رسول الله ﷺ إياكم والسجع فى الدعاء، بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بما يعمق فيه فقال: يا بنى، إياك والحديث، وإياك والاعتداء.

(٩٧) حديث: « أسجع كسجع الأعراب » وهم أهل البادية وكانوا يستعملون الأسجاع فى كلامهم، قال العراقى: ورد من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وابن عباس وجابر وأسامة بن عمير الهذلى وحمل بن مالك وعويم بن ساعدة الهذلى ﷺ ، أما حديث المغيرة فرواه مسلم وأبو داود والنسائى من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعى عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط، فذكر الحديث، وفيه: فقال رجل من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل، الحديث بلفظ مسلم، وفى رواية له: أندى من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث، وأصل الحديث عند البخارى والترمذى وابن ماجه مختصراً دون ذكر السجع المذكور، وأما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من رواية ابن شهاب عن ابن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: « اقتتلت امرأتان من هذيل . . . الحديث، وفيه: فقال حمل بن النابغة الهذلى: يا رسول الله، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من إخوان الكهان » من أجل سجعه الذى سجع، لفظ مسلم ولم يسم البخارى الرجل إنما قال: فقال ولى المرأة، ولم يقل « من أجل سجعه الذى سجع. قال مرتضى: وأخرجه مسلم أيضًا من رواية معمر عن الزهرى ففيه: « فقال قائل كيف نفعل. ولم يسم حيمل بن مالك. ا هـ. ثم قال العراقى: ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ففيه: فقال الذى قضى عليه: أنعطى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل، فقال النبى ﷺ : إن هذا ليقول بقول الشاعر، وأما حديث ابن عباس فرواه أبو داود والنسائى من رواية أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: كانت امرأتان جارتيان كان بينهما صخب الحديث وفيه: فقال أبو القاتلة: إنه والله ما استهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل، فقال النبى ﷺ : أسجع الجاهلية وكهانتها إن فى الصبى غرة، قال ابن عباس: كانت إحداهما مليكة والأخرى أم عفيف، لفظ النسائى، ولم يقل أبو داود: ولاأكل وقال فيه عن ابن عباس فى قصة حمل فأدخله المزى فى الأطراف فى حديث حمل ولم يذكره فى حديث ابن عباس وليس بجيد، وأما حديث جابر فرواه أبو يعلى فى مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال: حدثنى الشعبى عن جابر أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى=

وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٤ ، ٢٢٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ (يس: ٦٩).

وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق، والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها، فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون، وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس، وقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة» (٩٨)، ولو حوى المجلس

= الحديث، وفيه: فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال: فقالوا: يا رسول الله لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل، فقال رسول الله ﷺ: أسجع الجاهلية، والحديث عند أبي داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور، وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبي المليح فرواه الطبراني بإسناد جيد من رواية أيوب قال: سمعت أبا المليح عن أبيه وكان قد صحب رسول الله ﷺ قال: كانت فينا امرأتان ضربت إحداهما الأخرى... الحديث وفيه: فقال رجل من أهل القاتلة: كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل، فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله ﷺ...

(٩٨) حديث: «إن من الشعر لحكمة» قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبيّ بن كعب. اهـ، قال مرتضى: وكذا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبيّ بن كعب أخبره بلفظ «إن من الشعر حكمة» وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائي في جزء له من طريق هشام بن عروة عن جده عن أبيه الزبير رفعه وذكره الدارقطني في العلل فقال: يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخي عن أبي بزة عن هشام قال: ووهم فيه، ورواه الشافعي مرسلا عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، ورواه الترمذي وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه، إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن عيينة وروى غيره عنه موقوفا، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكما» قال الترمذي: حسن صحيح، وفي أوله قصة عند أبي داود ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: حكمة، وفي الباب عن بريدة وعبد الله بن عمرو وابن عمر وأبي بكرة وأبي موسى وعائشة وأنس وعمرو بن عوف.

الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه، كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع، ولذلك كان الجنيد - رحمه الله - يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم ، وما تم أهل مجلسه قط عشرين ، وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له : تكلم فقد حضر أصحابك، فقال: لا ، ما هؤلاء أصحابى ؛ إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابى هم الخواص .

وأما الشطح فنعنى به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية .

أحدهما : الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب ، فيقولون : قيل لنا كذا ، وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق، وبما حكي عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : سبحانى سبحانى ، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام ، حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع؛ إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ،ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل، والعلم حجاب ، والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة . وأما أبو يزيد البسطامى رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله - عز وجل - فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ (طه: ١٤) . فإنه ما كان ينبغى أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية .

الصنف الثانى: من الشطح :كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط فى عقله وتشويش

فى خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر ، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالألفاظ الرشيقة ، ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان ، أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه ، وقد قال ﷺ : « ما حدّث أحدكم قومًا بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم » (٩٩) وقد قال ﷺ : « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » (١٠٠)، وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله ، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره.

---

(٩٩) وقد قال ﷺ : « ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » قال العراقى: أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وقال فى التخريج الكبير: رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عثمان ابن داود عن عكرمة عن ابن عباس رفعه بلفظ « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة » وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان فقال ابن السنى فى رياضة المتعلمين والعقيلى فى تاريخ الضعفاء: من طريق ابن ثوبان قال: حدثنى عثمان بن داود عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله ما نسمع منك نحدث به كله ؟ قال: « نعم، إلا أن تحدث قوما لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة » قال: ورواه ابن السنى أيضًا فى الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته « من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذى حدثه فإنما هو فتنة عليه وعلى الذى حدثه » ثم قال: وإنما يصح هذا الحديث موقوفا على ابن مسعود كما رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود بن عتبة قال.. فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه.

(١٠٠) وقال ﷺ : « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»، قال العراقى: أخرجه البخارى موقوفا على علىّ، وهو الصواب، بلفظ: حدثوا الناس.. والباقى سواء، وهكذا رواه البيهقى فى المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا، ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم، وسيأتى فى آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر موقوفًا: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم، أى قدر ما تحتمله عقولهم، وهو شاهد جيد ويأتى الكلام عليه هنالك. ا هـ. وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعا رواه البيهقى فى المدخل بلفظ: إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم. وعند ابن عدى فى الكامل: بما يفزعهم.

وقال عيسى عليه السلام : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء. وفى لفظ آخر: من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه . وأما الطامّات فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة، كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضًا حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضًا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم، كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب «المستظهرى» المصنف فى الرد على الباطنية، ومثال أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه: ٢٤) . أنه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان.

وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ (القصص: ٣١) . أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه .

وفى قوله ﷺ : « تسحروا فإن فى السحور بركة » (١٠١) أراد به الاستغفار فى الأسحار، وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعًا كتنزيل فرعون على القلب، فإن

(١٠١) حديث: « تسحروا فإن فى السحور بركة » متفق عليه من حديث أنس عن أبى رهم عن العرباض، وقال ابن عبد البر: هو مجهول ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات، وقوله يعنى السحور كأنه مدرج من الراوى، أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان من حديث العرباض، وفى الباب عن المقدام بن معدى كرب وعتبة بن عبد وأبى الدرداء وعائشة وعمر بن الخطاب ومعنى المبارك أى الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوّة وقدرة على الصوم.

فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له ، وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار ، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام (١٠٢) ، ويقول: « تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك» (١٠٣) فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا ، وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ، ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ، فلا يظهر لقوله ﷺ : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١٠٤) معنى إلا هذا النمط ، وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه عن غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ، ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب ألا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر ، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم

---

(١٠٢) حديث: « تناول الطعام فى السحور » البخارى من حديث أنس أن النبى ﷺ وزيد بن ثابت تسحرا.

(١٠٣) حديث: « هلموا إلى الغذاء المبارك » أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان.

(١٠٤) حديث: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » قال العراقى: أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبير. ا هـ. قال مرتضى: أخرجه الترمذى وصححه وابن الأنبارى فى المصاحف والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ « من قال فى القرآن بغير علم» بدل قوله « برأيه » وأخرجه أبو داود والترمذى، وقال: غريب، والنسائى فى الكبير وابن جرير والبغوى وابن الأنبارى وابن عدى والطبرانى والبيهقى كلهم من رواية سهيل بن أبى حزم القطفى عن ابن عمران الجونى عن جندب بن عبد الله: « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ »، وفى رواية للترمذى وغيره: « من قال فى كتاب الله » وفى رواية « من تكلم فى القرآن » وفى الباب عن ابن عمر وجابر وأبى هريرة، فحديث ابن عمر لفظه « من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم » ولفظ حديث جابر « من قال فى القرآن برأيه فقد اتهمنى » ولفظ حديث أبى هريرة « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه » أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً.

أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطًا بحسن الفهم وطول الفكر ، ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » (١٠٥) ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهِ من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع، كمن يضع في كل مسألة يراها حقًا حديثًا عن النبي ﷺ ، فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ : « من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(١٠٦) ، بل الشر في تأويل هذه

---

(١٠٥) حديث: « اللهم فقهه في الدين » ولم يقل مسلم: في الدين، وزاد الإمام أحمد في مسنده والحاكم من رواية عبيد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير « وعلمه التأويل » وقال الحاكم: صحيح الإسناد. قال العراقي: ووهم أبو مسعود الدمشقي في الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة. قال مرتضى: وفي أول حديث هؤلاء زيادة وهي قول ابن عباس: إن النبي ﷺ وضع يده علي كتفي أو على منكبي، شك شعبة، ثم قال: اللهم. . . الحديث، وعند البخاري من رواية عكرمة عنه «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة» وفي رواية له « اللهم علمه الكتاب » ورواه ابن ماجه فقال: « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » والتأويل هو التفسير على ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابي، وقال آخرون بالفرق بينهما وقد ذكر قريبا.

(١٠٦) حديث: « من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس. اهـ. قال مرتضى: هذا الحديث قد روى أيضًا عن الزبير والمغيرة وسلمة ابن الأكوع وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وجابر وأبي قتادة وأبي سعيد وأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعيد بن زيد ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن عرفطة وأبي موسى الغافقي وعقبة بن عامر وزيد بن أرقم وقيس بن سعيد وعمران بن حصين والبراء بن عازب وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة ونبيط بن شُريط وعمار بن ياسر وعمرو بن عنمة وعمرو ابن حريث وابن عباس وعتبة بن غزوان والعرس بن عميرة ويعلى بن مرة وطارق بن أشيم وسليمان بن خالد الخزاعي وصهيب بن سنان والسائب بن يزيد وأبي أمامة وأبي قرصافة ورافع ابن خديج وأوس بن أوس الثقفي وحذيفة بن اليمان وأبي ميمون جابان وبريدة بن الخصيب وسعد بن الرحاس وعمرو بن عوف والمنقع التميمي وعبد الله بن عمر وأبي كبشة الأنماري وأبي رافع وواثلة بن الأسقع وأبي الحمراء وأسامة بن زيد ومعاوية بن حيدة وعبد الله بن الزبير وأبي عبيدة بن الجراح وسلمان الفارسي وأبي ذر وحذيفة بن أسيد وعبد الله بن أبي أوفى ، وأبي رمثة ويزيد بن أسد وعفان بن حبيب وعائشة وأم أيمن والعباس بن عبد المطلب وسفينة وزيد بن ثابت وكعب بن قطبة وجابر بن عابس وعبد الله بن زغب ووالد أبي العشراء فهؤلاء جميع من عُزى إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنى، ونحن نسوق لك=

الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعى الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة، فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامى، فإن اتبعت هؤلاء اعتمادًا على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف فى العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيمًا، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ .

= تفصيل ذلك حسبما استفدته من مقدمة ابن الجوزى وكتاب العراقى، فأما حديث أبى هريرة فأخرجه الشيخان والنسائى من رواية أبى عوانة عن ابن حصين عن أبى صالح عنه ورواه ابن ماجة من رواية محمد بن عمر وعن أبى سلمة عنه بلفظ « من يقول علىّ ما لم أقل » وأما حديث على فرواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجة من رواية ربعى بن حراش عنه بلفظ: فإنه من يكذب علىّ يلج النار، وقال البخارى « من كذب » ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ الكتاب من رواية ابن أبى ليلى عن على، وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائى من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ « من تعمد علىّ كذبًا» ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية الزهرى عنه وزاد فيه: « حسبته قال متعمدًا، وقال الترمذى بيته بدل مقعده، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه النسائى من رواية سليمان التيمى عنه بلفظ الكتاب ورجاله رجال الصحيح، وحديث الزبير رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من رواية ابنه عبد الله عنه، وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية على بن ربيعة عنه، وحديث سلمة بن الأكوع رواه البخارى عن بكر بن إبراهيم عن يزيد بن أبى عبيد عنه بلفظ: من يقل علىّ ما لم أقل، وهو أحد ثلاثياته، وحديث عبد الله بن عمرو رواه البخارى والترمذى من رواية أبى كبشة السلولى عنه فى أثناء حديث «بلغوا عنى» وقد روى الطبرانى فى الأوسط فى أوله قصة هى سبب له من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن بن عمر وحديث عبد الله بن مسعود رواه الترمذى من رواية عاصم عن زر عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير فى العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه، ورواه ابن ماجه من رواية سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ورواه البزار من رواية عمرو ابن شرحبيل عنه وزاد فيه: ليضل به الناس، وحديث جابر رواه ابن ماجه من رواية ابن الزبير عنه، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية ابن إسحق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ: من تقوّل علىّ ما لم أقل، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه أيضًا من وجه آخر بلفظ الأصل، وحديث أبى سعيد رواه النسائى من رواية عطاء بن يسار عنه، ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفى عنه، وحديث أبى بكر رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من رواية جارية بن هرم عن عبد الله بن بسر الحيرانى عن أبى كبشة الأنمارى عنه، ورواه ابن الشخير فى كتاب العلم من رواية القاسم بن عبد الله عن ابن المنكدر عن جابر عن عائشة عنه، وفيه رواية صحابى عن صحابى عن صحابى، وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعى، وأبو بكر بن الشخير فى كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم=

اللفظ الخامس : وهو الحكمة ، فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق . والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها ، فقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٩) .

= عنه، وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد والبزار وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه، وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ من قال علىّ ما لم أقل، وحديث طلحة بن عبيد الله رواه أبو يعلى والطبرانى من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن موسى بن طلحة عن طلحة، ورواه الخطيب في التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيى بن معاوية بن إسحق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده، وحديث سعيد بن زيد رواه البزار وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه، وحديث معاوية بن أبى سفيان رواه أحمد والطبرانى من رواية أبى الفيض عنه، وحديث خالد بن عرفطة رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية مسلم مولاه عنه، وحديث أبى موسى الغافقى رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية إسحق بن ميمون الحضرمى عنه بلفظ « من قال علىّ ما لم أقل »، وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية هشام بن أبى رقبة عنه، ورواه أحمد والطبرانى أيضًا من رواية ابن عشانة عنه، وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية يزيد بن حيان عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن إسحق عنه، وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة عن ابن هبيرة: سمعت شيخا من حمير أنه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من كذب علىّ كذبة متعمدًا فليتبوأ مضجعًا من النار أو بيتًا في جهنم »، وحديث عمران ابن حصين رواه الطبرانى من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعى حدثنا هشام عن محمد بن سيرين عنه، وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى فى مسنده من رواية ابن المقرى من رواية محمد بن عبيد الله الفزارى وهو العزرمى عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن أبى إسحق عنه، وعن زيد بن أرقم أيضًا وقد تقدم، وحديث أبى موسى الأشعرى رواه الطبرانى من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبى بردة عنه، وحديث معاذ بن جبل رواه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من رواية عبد الله بن سلمة عنه، ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عنه، وحديث عمرو بن مرة الجهنى رواه الطبرانى من رواية الهيثم بن عدى عن الضحاك بن زميل السكسكى عن أبى أسماء السكسكى عنه، وحديث نبيط بن شريط رواه الطبرانى فى الصغير عن أحمد بن إسحق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط، وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب فى التاريخ من رواية على بن الحزور عن أبى مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول لأبى موسى: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: « من كذب علىّ . . » الحديث، ورواه أبو يعلى والطبرانى بلفظ: ألم تسمع رسول الله ﷺ =

= يقول . . . ، وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار عن بريد بن أبي مريم عن عدى بن أرطاة عنه، وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه: ليضل به، وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عنه، وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه، وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم ابن الحرث عنه، وقيل: يحيى عن أبيه عن جده عنه، وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمي في مسنده والطبراني وابن عدى من رواية عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده، وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوى والطبراني في معجمي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم وإسناده صحيح، وحديث سليمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني من رواية عبد الله بن محمد ابن الحنفية عنه، وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع بن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده، وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه، وحديث أبي أمامة الباهلي رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ « من حدث عني حديثا كذبا متعمداً » ورواه أيضاً من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص ابن حكيم عن مكحول عنه بلفظ «مقعده بين عيني جهنم»، وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيشنة رواه الطبراني من روا ية عزة بنت عياض عنه بلفظ «من كذب عليّ أو قال عليّ غير ما قلت بُني له بيت في جهنم» وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية ابن رفاعة عنه بلفظ « وليتبوأ من كذب عليّ مقعده من جهنم » وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني من رواية اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن محيريز عنه بلفظ « من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة » وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعري حدثنا شريك عن منصور عن ربعي عنه، ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه، وحديث أبي ميمون الكردي واسمه جابان رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردي عن أبيه وإسناده حسن، وحديث بريدة بن الخصيب رواه أبو يعلى وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه، وحديث سعد بن الرحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه، ورواه ابن منده أيضًا في الصحابة، وحديث عمرو ابن عون المزني رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عون عن أبيه عن جده، وحديث المنقع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هرون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع، وحديث عبد الله بن عمر رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن جده ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيد الله بن عمر عن نافع عنه، وحديث أبي كبشة الأنماري رواه محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا عمرو بن مالك حدثنا جارية بن هرم حدثنا عبد الله بن بشر =

= الحراني سمعت أبا كبشة، وقد اختلف فيه علي جارية مع ضعفه، فقيل هكذا، وقيل عن أبي كبشة عن أبي بكر وقد تقدم، وحديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن رافع عن أبيه، وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبراني من رواية ابنته خصلة عنه بلفظ «إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل عليّ ما لم أقل»، وحديث أبي الجراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن داود عنه، وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني من رواية علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عنه بلفظ: من قال عليّ ما لم أقل، وحديث معاوية بن حيدة رواه أبو بكر بن المعجري من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وحديث عبد الله بن الزبير رواه الدارقطني من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحديث أبي عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة ابن مسروق العبسي عنه ورواه ابن الشخير من رواية أبي عبيدة بن فلان عنه، وحديث سلمان الفارسي رواه الطبراني من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه ورواية الخطيب في التاريخ من رواية أبي البحتري، عنه وحديث أبي ذر الغفاري رواه المحاملي من رواية عبد الرحمن بن عمرو بن نضلة القسري عن أبيه عن جده عنه، وحديث حذيفة بن أسيد رواه بن الجوزي في مقدمة الموضوعات من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي الطفيل عنه، وحديث عبد الله بن أبي أوفي رواه ابن الجوزي أيضًا من طريق ابن قانع حدثنا يعقوب بن إسحق الحضرمي حدثنا سالم بن قادم حدثنا على بن إبراهيم عن فائد بن أبي العوام عنه، وحديث أبي رمثة البلوى رواه الدارقطني في الأفراد من رواية موسى بن إسماعيل عن حماد بن سالم عن عاصم بن عبيد الله عنه، وحديث يزيد بن أسد القسري رواه الخطيب من رواية خالد بن يحيى بن سعيد بن خالد بن عبيد الله بن يزيد بن أسد القسري عن أبيه عن جده يزيد بن أسد، وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود بن عفان عنه، وقال في عفان إنه كان ورد نيسابور مع عبد الله بن عامر، وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقي عن أبي سلمة عنها، وحديث أم أيمن رواه الدارقطني من رواية بشر بن عاصم عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنها، وحديث سفينة رواه ابن المقرى من رواية بريدة بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده، وحديث زيد ابن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبد الله الفارسي عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه، وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية على بن ربيعة عنه، وحديث جابر ابن عابس ويقال حابس العبدي رواه ابن منده في معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ: من قال عليّ ما لم أقل، ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر ابن عابس بالعين، وحديث عبد الله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه، وحديث والد أبي العشراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عمير الضرير، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه واسمه مالك بن قهطم على المشهور، وقد روى الحديث أيضا عن النعمان بن بشير والعباس بن عبد المطلب وغزوان ومالك ابن عتاهية وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضًا من رواية سمرة بن جندب والنواس=

= ابن سمعان وعبد الله بن الحرث بن جزء وعبد الله بن جعفر الهاشمى وعبد الله ابن جراد وأبىّ بن كعب وسليمان بن صرد وعمرو بن الحمق وعمرو بن العاص وجندب بن عبد الله وجهجاه الغفارى وسبرة ومرة البهزى وسنجرة وأبى أسيد وأبى أيوب وحفصة بنت عمر وخولة بنت حكيم، وذكر ابن الجوزى فى نسخة الموضوعات الأولى: رواه أحد وستون من الصحابة، وقال فى النسخة الثانية وهى أطول من الأولى: رواه ثمانية وتسعون من الصحابة، **قال العراقى**: وحكى النووى فى شرح مسلم عن بعضهم أنه رواه مائتان من الصحابة، قلت: وقد روى أيضًا من حديث الرجل الذى من أسلم، رواه الطبرانى وقد تقدم فى ترجمة سليمان بن خالد الخزاعى، وفى أوله قصة هى سبب للحديث وحديث الرجل الآخر الذى لم يسم، رواه أحمد من رواية عمرو بن مرة عنه، والظاهر أنه ابن مسعود وقد تقدم، وحديث الآخر الذى لم يُسم رواه ابن الجوزى فى مقدمة الموضوعات من رواية خالد بن دريك عنه وفيه عن رجل آخر لم يسم بلفظ آخر من رواية عبد الأعلى بن هلال الحمصى عنه، وبمجموع من ذكر يبلغ العدد إلى قريب من المائة، قال ابن الجوزى فى الموضوعات بإسناده إلى أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الأسفراينى: ليس فى الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث، قلت: وهذا قد رده العراقى فقال: ليس كذلك، فقد ذكر الحاكم والبيهقى فى حديث رفع اليدين فى الصلاة رواه العشرة، وقال: إنه ليس حديث رواه العشرة غيره، وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخفين رواه العشرة أيضًا. ا هـ. ثم قال ابن الجوزى: ما وقعت لى رواية عبد الرحمن بن عوف إلى الآن. ا هـ. **وقال مرتضى: قال العراقى**: حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية ابنه إبراهيم عنه، وفى إسناده أحمد بن منصور الشيرازى أحد الحفاظ، إلا أن الدارقطنى رماه بأنه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر. اهـ. وقال كذلك: أورده الذهبى فى الميزان، ولفظه: أدخل على جماعة من الشيوخ بمصر وأنا بها، وكان يتقرب إلىّ ويكتب إلىّ كتبًا، وهكذا ذكره فى ديوان الضعفاء، قال السيوطى فى تحذير الخواص: لا أعلم شيئًا من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله ﷺ فإن الشيخ أبا محمد الجوينى من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين قال: إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفرًا يخرجه عن الملة، وتبعه على ذلك طائفة منهم الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية، وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر لأنه لا شىء من الكبائر يقتضى الكفر عند أحد من أهل السنة. ا هـ. وقال ابن الصلاح فى علوم الحديث: لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن، حيث جاز روايتها فى الترغيب، وقال بعد ذلك: يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فى الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال. ا هـ. قال السيوطى: وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بأنه لا يحل رواية الحديث الموضوع فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه بخلاف الضعيف=

وقال ﷺ : « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (١٠٧) فانظر ما الذى كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء ؛ فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق ، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال : «اللهم اغفر»، حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء »(١٠٨) فقد عرفت العلم المحمود والمذموم

= فإنه يجوز روايته فى غير الأحكام والعقائد، وممن جزم بذلك الشيخ النووى فى الإرشاد والتقريب والبدر بن جماعة فى المنهل الروى والطيبى فى الخلاصة والسراج البلقينى فى محاسن الاصطلاح، والزين العراقى فى ألفيته وشرحها.

(١٠٧) حديث: « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها »، قال العراقى: تقدم بنحوه. ا هـ. وكأنه يشير إلى ما ذكره المصنف أولا: « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » وذكر أنه موقوف على الحسن البصرى أو إلى حديث « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة » وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم، وقد أخرج الديلمى عن أبى هريرة « كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة ». وسنده ضعيف.

(١٠٨) حديث: « لما سئل ﷺ عن شر الخلق أبى »، أى امتنع من الجواب وقال: « اللهم غفراً» منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق « حتى كرر عليه » فى السؤال « ثم قال » عليه السلام « هم علماء السوء »، قال العراقى: أخرجه الدارمى بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف. اهـ. قال مرتضى: قال الدارمى فى مسنده: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: « سأل رجل النبى ﷺ عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر واسألونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء » والأحوص بن حكيم حمصى رأى أنسا وسمع خالد بن معدان وطاوسا وعنه بقية ومحمد ابن حرب وعده ضعيف، كذا فى الكاشف للذهبى وأشار عليه لابن ماجه وأما أبوه فهو حكيم بن عمير العنسى الحمصى، روى عن عمر وثوبان وعنه ابنه أحوص، ومعاوية بن صالح صدوق، وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان حدثنا الحسن بن محمد بن نصر حدثنا محمد بن عثمان العقيلى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطغاوى حدثنا الخليل بن مرة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال: تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت: يا رسول الله أرنا شر الناس، فقال: « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر، شرار الناس شرار العلماء فى الناس » ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه: « تعرضت أو قال تصديت » وفيه: وهو يطوف بالبيت، وفيه: أى الناس شر، وفيه: «اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر» والباقى سواء والخليل بن مرة ضعيف.

ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء »، فقيل: ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي، والذين يحيون ما أماتوه من سنتي » (١٠٩).

(١٠٩) حديث: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء » هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبي هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر بلفظ: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء، وروى الطبراني من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبي عثمان عن سليمان مختصراً هكذا إلى قوله: كما بدأ، وروى في الأوسط من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً، وقال السخاوى في المقاصد: وأخرج البيهقي في الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهي: إلا أنه لا غربة على مؤمن من مات في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، «فقيل: ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي » رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذي من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث، وفيه: « إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتي» وقال: هذا حديث حسن، وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني في الكبير من رواية إسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريبًا ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة من رواية بكر ابن سليم الصواف عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدى رفعه: « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون عند فساد الناس »، وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى في كتاب صفة الغرباء والطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس رفعوه وفيه: فقالوا: ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار في مسانيدهم، من رواية أبي صخر عن أبي حازم عن ابن سعد، قال: وأحسبه عامر بن سعد، وقال أحمد وأبو يعلى: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود » ، قال أحمد: غريبا، ثم اتفقوا كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس، ولم يقل البزار يومئذ... إلخ، وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف: والذين يحيون... إلخ ليس في سياق الحديث المذكور ونظر المصنف=

وفي خبر آخر : « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم »(١١٠)، وفي حديث آخر : «الغرباء: ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم »(١١١) وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثوري رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ، ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله

= أوسع، وأخرج الترمذي وابن ماجه من رواية أبي إسحق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رفعه « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا » زاد الترمذي: كما بدأ، ثم اتفقا: فطوبى للغرباء، زاد ابن ماجه قال: قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل، قال الترمذي: حسن صحيح غريب، أي الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم، قيل: وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم، قال المناوي: هو تخصيص بغير مخصص، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأبي موسى الأشعري.

(١١٠) حديث: « المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » أي ورد ذلك في تفسير الغرباء المذكور في الحديث المتقدم، قال العراقي: لم أقف له على إسناد إلا أن في أثناء حديث أبي الدرداء وأبي بكر أمامة وواثلة وأنس، وفيما أخرجه الطبراني في الكبير وأبي بكر الآجري في كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا: ما السواد الأعظم ؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي ». الحديث. اهـ. قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث، كما لا يخفى.

(١١١) حديث: « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » قال العراقي: رواه أحمد في مسنده قال: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: « طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: « أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وابن لهيعة مختلف فيه. اهـ. قلت: وهكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لأحمد بلفظ: « طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ».

ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكبّ الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث ، وقد صح قول رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء »، فقيل : ومن الغرباء ؟ قال : « الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتى، والذين يحيون ما أماتوه من سنتى » (١٠٩) .

---

(١٠٩) حديث: « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء » هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبى هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمرى عن أبيه عن ابن عمر بلفظ: « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء، وروى الطبرانى من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبى عثمان عن سليمان مختصراً هكذا إلى قوله: كما بدأ، وروى فى الأوسط من رواية عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً، وقال السخاوى فى المقاصد: وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهى: إلا أنه لا غربة على مؤمن من مات فى أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، «فقيل: ومن الغرباء ؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى والذين يحيون ما أماتوه من سنتى » رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذى من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث، وفيه: « إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتى» وقال: هذا حديث حسن، وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى فى الكبير من رواية إسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريبًا ثم يعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من رواية بكر ابن سليم الصواف عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رفعه: « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون عند فساد الناس »، وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى فى كتاب صفة الغرباء والطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقى عن أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة وأنس رفعوه وفيه: فقالوا: ومن الغرباء ؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس » وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار فى مسانيدهم، من رواية أبى صخر عن أبى حازم عن ابن سعد، قال: وأحسبه عامر بن سعد، وقال أحمد وأبو يعلى: سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود » ، قال أحمد: غريبا، ثم اتفقوا كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس، ولم يقل البزار يومئذ. . . إلخ، وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف: والذين يحيون. . . إلخ ليس فى سياق الحديث المذكور ونظر المصنف=

وفى خبر آخر : « هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » (١١٠)، وفى حديث آخر : «الغرباء: ناس قليل صالحون بين ناس كثير ، من يبغضهم فى الخلق أكثر ممن يحبهم »(١١١) وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ، ولذلك قال الثورى رحمه الله : إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه .

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل ، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ، ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يحمد قليله

= أوسع، وأخرج الترمذى وابن ماجه من رواية أبى إسحق عن أبى الأحوص عن ابن مسعود رفعه « إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا » زاد الترمذى: كما بدأ، ثم اتفقا: فطوبى للغرباء، زاد بن ماجه قال: قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل، قال الترمذى: حسن صحيح غريب، أى الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم، قيل: وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم، قال المناوى: هو تخصيص بغير مخصص، وفى الباب عن عبد الله بن عمرو وأبى موسى الأشعرى.

(١١٠) حديث: « المتمسكون بما أنتم عليه اليوم » أى ورد ذلك فى تفسير الغرباء المذكور فى الحديث المتقدم، قال العراقى: لم أقف له على إسناد إلا أن فى أثناء حديث أبى الدرداء وأبى بكر أمامة وواثلة وأنس، وفيما أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبى بكر الآجرى فى كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا: ما السواد الأعظم ؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابى ». الحديث. ا هـ. قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث، كما لا يخفى.

(١١١) حديث: « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » قال العراقى: رواه أحمد فى مسنده قال: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن جندب بن عبد الله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: « طوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ قال: « أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم». وابن لهيعة مختلف فيه. ا هـ. قلت: وهكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لأحمد بلفظ: « طوبى للغرباء أناس صالحون فى أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ».

وكثيره ، كالصحة والجمال ، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل ، وكالشجاعة فإن التهور لا يحمد فيها ، وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم .

فالقسم المذموم قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم، فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه إضاعة ، وإضاعة النفيس مذموم ، ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه .

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ؛ فإن هذا علم مطلوب لذاته ، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم ، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم ، وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علامتهم ، هذا فى أول الأمر ، ويعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها .

وأما العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فإن فى كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل ، واقتصاداً وهو الوسط ، واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له إلى آخر العمر . فكن أحد رجلين : إما مشغولا بنفسك وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ؛ فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذى أهمله الكل : علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل

الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإهمالها من الواجبات . مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال، وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب ، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المُرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض. فإن كنت مريداً للآخرة وطالبًا للنجاة وهاربًا من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجرّ بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة ، فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين ، وإن لم تفرغ من ذلك لم تثبت ذاك ، فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فإن مُهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به . وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنًا لك وعادة متيسرة فيك – وما أبعد ذلك منك – فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه ، وكذلك في السنة، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف، ثم بأصول الفقه ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت، ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبًا للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن يُنسى فيه المطلوب ويُستكثر منه ، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه ، واقتصر من النحو

على ما يتعلق بالكتاب والسنة ؛ فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ، ونحن نشير إليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها .

فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مردّ له إلى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث ، وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك مَن قبلك ، ولك أن تعول على كتبهم ، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين، ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة ، وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة ، وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم .

وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر ، والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله ، وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب، والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات .

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير ، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقتها، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر ، وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم ، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئًا يسيرًا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابًا ما وهو عاجز عنه، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة . وأما العامى

إذا صرف عن الحق بنوع جدلى يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتدّ التعصب للأهواء ، فإذا اشتدّ تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس ، وهو من آفات العلماء السوء فإنهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا إليه ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبًا عن الدين ونضالا عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس . وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فإياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال، وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها .

وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا، فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطتَ ، فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانًا ، وزاد فيه على الأولين تصنيفًا وتحقيقًا وجدلا وبيانًا ، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه؛ فهجره واشتغل بنفسه، فلا يغرّنك قول من يقول: الفتوى عماد الشرع، ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف. فإن علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم، بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه، فإن الذى يشهد له حدس المفتى إذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر ، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب ، وقد ينقضى عليه العمر ولاتنصرف همته إلى علم المذهب ، فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال، وبالجملة فالمَرْضِىّ عند العقلاء أن تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين

يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه، والسلام .

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء فى المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباءً منثوراً، وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل . وفى الحديث: « ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١١٢) ».

وفى الحديث فى معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ (آل عمران:٧)، « هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم »(١١٣) وقال بعض السلف : يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار : « إنكم فى زمان أُلهِمتم فيه العمل وسيأتى قوم يُلهمون الجدل» (١١٤)، وفى الخبر المشهور : « أبغض

(١١٢) حديث: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد، وقال العراقى: أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة، قال الترمذى: حسن صحيح. ا هـ. قال مرتضى: أخرجاه من رواية حجاج بن دينار عن أبى غالب عن أبى أمامة، وأبو غالب اسمه حزور وقيل: سعيد بن حزور، وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى التفسير وصححه والطبرانى فى الكبير والضياء المقدسى فى المختارة واللالكائى فى السنة، كلهم من رواية ابن غالب عن أبى أمامة ﷺ واقتصروا على الحديث وليس فى سياقهم: ثم قرأ إلخ، إلا اللالكائى فإنه ساقه بتمامه وأقره الذهبى فى التلخيص.

(١١٣) حديث: « هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله: فاحذرهم »، هكذا أورده صاحب القوت بلا سند، وقال العراقى: متفق عليه من حديث عائشة ﵂. اهـ. قال مرتضى: وكذا أبو داود والترمذى كلهم من رواية ابن أبى مليكة عن القاسم عنها بلفظ: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: « إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة وفيه: فقال: « يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم. . . الحديث » فلم يذكر بين ابن أبى مليكة وعائشة القاسم.

(١١٤) حديث: « إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل » هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقال العراقى: لم أجد له أصلا. ا هـ. قال مرتضى: من شواهده ما أخرجه=

الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم» (١١٥)، وفى الخبر : «ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل» (١١٦) والله أعلم .

★ ★ ★

= الخطيب في الاقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل، وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية يحيى بن معين قال: حدثنا عثمان بن صالح حدثنا بكر بن مضر عن الأوزاعى فساقه إلا أنه قال: ألزمهم الجدل، والباقى سواء، وأخرج الخطيب من طريق عبد الله بن حنيف سمعت إبراهيم البكاء يقول: سمعت معروف ابن فيروز الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل.

(١١٥) حديث: «أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم» قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها. ا هـ. قال مرتضى: هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد وقد أخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذى والنسائى كلهم من رواية ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم: أبغض الرجال، وقال الترمذى: حديث حسن. قال المناوى: وإنما خص الرجال لأن اللدد فيهم أغلب ولأن غيرهم تبع لهم فى جميع المواطن، والألد: هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ فى كل لدد أى فى كل شق من المراء والجدال، والخصم: المولع بالجدال الماهر فيه الحريص عليه المتمادى فيه بالباطل وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه لكل شيء من خصامه وجهًا بحيث صار ذلك عادته، فالأول ينبئ عن الشدة والثانى عن الكثرة.

(١١٦) حديث: «ما أوتى قوم المنطق إلا منعوا العمل» قال العراقي: لم أجد له أصلا. ا هـ.
قال مرتضى: أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلة رفعه، قلت: عبد الرحمن بن أبى ليلى تابعى عالم الكوفة روى عن أبيه وعمر ومعاذ، وعنه ابنه عيسى وحفيده عبد الله وثابت مات سنة ٨٣ هـ والصحبة لابن أبى ليلى، فهذا الحديث مرسل.

الباب الرابع

فى سبب إقبال الخلق على علم الخلاف، وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون، وكانوا أئمة علماء بالله تعالى، فقهاء فى أحكامه، وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم، وكان قد بقى من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طُلبوا هربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عزّ العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح، والمنجح لم يخل من ذلّ الطلب ومهانة الابتذال، فأصبح الفقهاء - بعد أن كانوا مطلوبين - طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفّقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله.

وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فعُلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام فأكبّ الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات

واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات ، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة ، وقمع المبتدعة كما زعم مَن قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقًا على خلق الله ونصيحة لهم ، ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه ، لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ، ومالت نفسه إلى المناظرة فى الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص ، فترك الناس الكلام وفنون العلم ، وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم ، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار، فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضًا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين ، وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح ، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسألة الجد والإخوة، وحد شرب الخمر، ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفًا من عمر رضي الله عنه ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها ،وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ، ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ، ولكن له شروط وعلامات ثمان:

الأول : ألا يشتغل به - وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ، ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ، ويقول : غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثوبا ، فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن . كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور هي فرض عين بالاتفاق، ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به، فلا يكفي في كون الشخص مطيعًا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب .

الثاني : ألا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله، وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة ، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس ، وإذا قيل له: في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية: فيقول: هذا لا يُخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية، فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها. فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات ، وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدًا للحرير ملبوسًا ومفروشًا، وهو ساكت ويناظر في مسأله لا يتفق وقوعها قط، وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات ، وقد روى أنس ﷺ ، أنه قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ فقال عليه السلام: « **إذا ظهرت المداهنة في خياركم، والفاحشة في شراركم، وتحوّل الملك في صغاركم، والفقه في أراذلكم** » (١١٧) .

(١١٧) حديث: قيل: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ فقال: « إذا ظهرت المداهنة »، وفي رواية: إذا ظهر الادّهان أي الملاينة وترك المجادلة، وأصل ذلك من=

الثالث: أن يكون المناظر مجتهدًا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له، كما كان يفعله الصحابة ﷺ والأئمة، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر، وإنما يفتى فيما يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره، وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبى جوابًا عن هذا فإنى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع، ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فإنه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسألة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مبتوتًا .

= الدهن الذى يمسح به الرأس ثم جعل عبارة عما ذكرنا « فى خياركم والفاحشة فى شراركم، وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أرذالكم »، وفى نسخة فى رذّالكم وفى أخرى فى أراذلكم. **قال العراقى:** أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن وقال فى التخريج الكبير: رواه أحمد وابن ماجه وابن عبد البر فى بيان آداب العلم واللفظ له بإسناد حسن من رواية أبى معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة فى أوله وقال ابن ماجه « إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم » قالوا: يا رسول الله وما ظهر فى الأمم قبلنا؟ قال: « الملك فى صغاركم والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذّالكم »، قال زين بن يحيى أحد رواة الحديث: معنى والعلم فى رذالكم إذا كان العلم فى الفساق. اهـ.

قال مرتضى: ويروى هذا الحديث عن عائشة، وجدته فى الأول من مشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان القوسى قال: حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكى، حدثنا الزبير ابن عيسى، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: يا رسول الله متى لا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ قال: « إذا كان البخل فى خياركم، وإذا كان العلم فى رذالكم، وإذا كان الادهان فى كباركم، وإذا كان الملك فى صغاركم ». اهـ. ومن شواهد هذا ما أخرجه البخارى فى أول صحيحه من حديث أبى هريرة رفعه « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »، وفى الرقائق منه: إذا أسند، قال الحافظ: فيه إشارة إلى أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الأشراط ومعناه أن العلم ما دام قائمًا ففى الأمر فسحة، وكأنه أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ من الأكابر تلميحًا لما روى عن أبى أمية الجمحى رفعه قال من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر.

الـرابــع : ألا يناظر إلا فى مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالبًا ، فإن الصحابة ﷺ ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض، ولا نرى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر، وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون: هذه مسألة خبرية ، أو هى من الزوايا وليست من الطبوليات، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار ، أو لأنها ليست من الطبول ، فلا نطول فيها الكلام ، والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول .

الخامس: أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين ، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقًا كان أو مبطلا، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله، وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب ، وإذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام .

السادس : أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصما ويشكره إذا عرّفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته فى طريق آخر فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به ، فهكذا كانت مشاورات الصحابة ﷺ حتى أن امرأة ردت على عمر ﷺ ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل .

وسأل رجل عليّا ﷺ فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا كذا، فقال : أصبتَ وأخطأتُ وفوق كل ذى علم عليم .

واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى ﷺ فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال: هو فى الجنة، وكان أمير الكوفة، فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم، فأعادوا عليه فأعاد الجواب، فقال ابن مسعود : وأنا أقول: إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة،

فقال أبو موسى: الحق ما قال . وهكذا يكون إنصاف طالب الحق، ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده، وقال: لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق ، فإن ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظرى زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة ﷺ فى تعاونهم على النظر فى الحق .

السابع : ألاَّ يمنع معينه فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال، فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله: هذا لا يلزمني ذكره، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله ، وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصلٍ بِعلة يظنها فيقال له : ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة ؟ فيقول : هذا ما ظهر لى ، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه ، فيُصر المعترض ويقول : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها، ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها ، ويقول المستدل : عليك إيراد ما تدّعيه وراء هذا ، ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ، ولا يعرف هذا المسكين أن قوله: إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمنى، كذبٌ على الشرع ، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليُعجز خصمه فهو فاسق كذَّاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها ، وإن كان صادقًا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فإن كان قويًا رجع إليه وإن كان ضعيفًا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم ، فمعنى قوله: لا يلزمنى، أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمنى، وإلا فهو لازم بالشرع فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذبًا وإما فاسقًا، فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﷺ هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس ؟ وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية، بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه .

الثـــامن : أن يناظر من يتوقع الاستـفادة منه، ممن هو مشتـغل بالعلم، والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفًا من ظهـور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعًـا في ترويج الباطل عليـهم . ووراء هذه شروط دقـيقة كـثيرة ، ولكـن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة ، واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مسـتول قلبه وهو أعـدى عدو له ولا يزال يدعوه إلى هلاكـه ثم يشتغل بمناظرة غـيره في المسائل التي المجتهـد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فـهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ، ولذلك شمت الشـيطان به لما غمسه فيه من ظلمـات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها ، فنسأل الله حسن العون والتوفيق .

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقـق أن المناظرة الموضوعـة لقصـد الغلبة والإفحـام وإظهار الفـضل والشرف والتشدق عند الناس وقصـد المباهاة والمماراة واستمالة وجـوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله إبليس . ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحـسد والمنافـسة وتزكيـة النفس وحب الجاه وغـيرها كنسبـة شرب الخـمر إلى الفواحش الظاهرة مـن الزنا والقذف والقتل والسـرقة ، وكمـا أن الذي خُير بين الشـرب وسائر الفواحش اسـتصغـر الشرب فأقـدم عليه فدعـاه ذلك إلى ارتكاب بقيـة الفواحش في سكره ، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة فـي المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلـها في النفس، وهيج فيه جميع الأخلاق المذمـومة ، وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمـتها من الأخبار والآيـات في ربع المهلكات ، ولكنا نشير الآن إلـى مجامع ما تهـيجه المناظرة .

فمنها الحســد ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **الحسـد يأكل الحسنات كـما تأكل النار الحـطب** » (١١٨) ولا ينفك المناظر عن الحسد فـإنه تارة يَغلب وتارة يُغلب وتارة يُحمد

(١١٨) حديث: « الحسد يأكل الـحسنات كما تأكل النار الحطب »، لأنه اعتراض على الله فـيما لا عذر للعبد فيـه لأنه لايضره نعمة الله على عبده، فالله لا يعبث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفـه ولم يرض بقضائه، والحاسد معاقب بالغـيظ الدائم في الدنيا وفي الآخرة=

كلامه وأخرى يُحمد كلام غيره ، فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلامًا وأقوى نظرًا فلابد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه ، والحسد نار محرقة فمن بُلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ، ولذلك قال ابن عباس ﵄ : خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة .

ومنها التكبر والترفع على الناس، فقد قال ﷺ : « **من تكبّر وضعه الله ، ومن تواضع رفعه الله** » (١١٩) ، وقال ﷺ : حكاية عن الله تعالى : « **العظمة إزارى والكبرياء ردائى، فمن**

= بإحباط الحسنات، **قال العراقى:** أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة قال البخارى: لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفى تاريخ بغداد بإسناد حسن ا هـ.

قال مرتضى: أما أبو داود فأخرجه من رواية إبراهيم بن أبى أسيد عن جده عن أبى هريرة بلفظ « إياكم والحسد، فإن الحسد . . . » فذكره، وجده، قال الذهبى: لعله سالم البراد ثقة، وقول البخارى: لا يصح، هو فى تاريخه الكبير، وأما حديث أنس الذى أخرجه ابن ماجه، فمن رواية عيسى الحناط عن أبى الزناد عنه وعيسى الحناط ضعيف، وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل وقال: هو متروك الحديث، وفى هذا الحديث زيادة فى آخره: والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والإيمان جنة من النار، وقال ابن عدى فى الكامل: ورواه واقد ابن سلامة، وقيل: سلمة، عن يزيد الرقاشى عن أنس هكذا، ورواه الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان عنه عن يزيد، ورواه ابن لهيعة عن محمد بن واقد عن أنس و لا يصح، قال أبو بكر ابن أبى رواد: والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اهـ. ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط، وفى الباب عن ابن عمر ومعاوية بن حيدة فحديث ابن عمر رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه، وقال: باطل، ورواية معاوية أخرجها الديلمى عن معاوية بن حيدة « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وفى الباب أيضًا حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر فى كتاب العلم بلفظ « دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء ».

(١١٩) حديث: « من تكبر وضعه الله، ومن تواضع رفعه الله »، **قال العراقى:** أخرجه الخطيب من حديث عمر بإسناد صحيح، وقال: غريب من حديث الثورى، ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن اهـ.

قال مرتضى: هو فى تاريخ الخطيب بلفظ: خفضه الله، مكان وضعه. وفى الأوسط للطبرانى: قصمه الله مكان وضعه، أخرجاه هكذا من رواية عابس بن ربيعة قال: سمعت عمر ابن الخطاب يقول: أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول . . . فذكراه .=

نازعنى فيهما قصمته » (١٢٠) ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض

= وقال الخطيب: غريب ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة عن أبى الهيثم عن أبى سعيد « من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله،وهكذا أورده أيضًا أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما وقال ابن حجر فى الفتح: خرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد رفعه بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله فى أعلى عليين» قال: وصححه ابن حبان بل خرجه مسلم فى الصحيح والترمذى فى الجامع بلفظ: « من تواضع أحد لله إلا رفعه الله» هكذا خرجاه معًا عن أبى هريرة مرفوعًا ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ « من تواضع لله رفعه الله وقال انتعش نعشك الله فهو فى أعين الناس عظيم وعند الله كبير» وفى الأوسط للطبرانى من رواية أبى معشر عن المقرى عن أبى هريرة: «من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله » وأخرجه أبو نعيم وكذا القضاعى كلاهما عن أبى هريرة مرفوعًا وزاد أبو نعيم فى الحلية فى رواية « ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله فى أسفل سافلين» ووجدت أيضًا فى الحلية فى ترجمة سلمان من طريق الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير قال: قال سلمان: يا جرير، تواضع لله فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة. وفى الباب عن طلحة وابن عباس ومعاذ بن جبل وأوس بن خولى. ثم معنى قوله «تواضع لله » أى لأجل عظمة الله تواضعًا حقيقيًا وهو كما قال ابن عطاء الله: ما كان ناشئا عن شهود عظمة الحق وتجلى صفته، فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة فى النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقى بل هو بالتكبر أشبه» وقيل: التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال وزواجره بالانزجار وأحكامه بالتسليم للأقدار ليكون عبدًا فى كل حال فيرفعه بين الخلائق، وإن تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق.

(١٢٠) حديث: « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته» هكذا فى النسخ وفى بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهى نسخة العراقى، قال العراقى: أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة، وهو عند مسلم بلفظ « الكبرياء رداؤه » من حديث أبى هريرة وأبى سعيد اهـ. وفى المقاصد أخرجه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه كلهم عن أبى هريرة مرفوعا « يقول الله: الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار » ولفظ ابن ماجه « فى جهنم» وعند أبى داود « قذفته فى النار » وعند مسلم « عذبته » وقال « رداؤه وإزاره» بالغيبة، وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد، ورواه الحاكم فى مستدركه من وجوه أخر بلفظ « قصمته » وبدون ذكر العظمة وقال: صحيح على شرط مسلم، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى فى مسنده من حديث عطاء بن السائب عن أبيه عن أبى هريرة بزيادة « يقول الله » وللحكيم الترمذى عن أنس رفعه « يقول الله عز وجل لى العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرى فمن نازعنى واحدة منهن كببته فى النار » اهـ. قال مرتضى: أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية الأغر بن مسلم عن=

والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق ، وربما يتعلل الغبى والمكار الخدّاع منهم أنه يبغى صيانة عز العلم، وأن : « **المؤمن منهى عن الإذلال لنفسه**»(١٢١) فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل ، وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين ، تحريفًا للاسم وإضلالا للخلق به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما .

= أبى هريرة إلا أن لفظهما « فمن نازعنى واحدًا منهما » وقد رواه أحمد من رواية الثورى عن عطاء بن السائب عن أبيه بلفظ «ألقيته فى النار »، والحاكم رواه من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة، وفى الباب عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعلى بن أبى طالب.

(١٢١) حديث: « وأن المؤمن منهى عن إذلال نفسه » ورد ذلك من حديث حذيفة وعلى وأبى بكرة وابن عمر، أما حديث حذيفة فرواه الترمذى وابن ماجه من رواية على بن زيد عن الحسن عن جندب عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » قال الترمذى: حسن صحيح غريب، **قاله العراقى. قال مرتضى:** وكذلك رواه الإمام أحمد وزاد أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة: « قيل: كيف يذل نفسه ؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق» وفى بعض رواياتهم « لا ينبغى للمسلم » وأخرجه ابن عدى فى الكامل فقال: حدثنا محمد ابن عبد السلام البصرى السلمى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن الحسن عن جندب عن حذيفة فذكره، قال: وهذا ليس عند هدبة إنما يعرف هذا لعمرو بن عاصم عن حماد، وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثى عن الكديمى وهو ضعيف، وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد اهـ. وأما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عاصم بن ضمرة عن على رفعه « ليس للمسلم أن يذل نفسه» قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه ؟ قال: « يتعرض من البلاء لما لا يطيق » وقال: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، تفرد به الجارود، وأما حديث أبى بكرة فرواه الحرث بن أبى أسامة عن الخليل ابن زكريا عن حبيب بن الشهيد عن الحسن عنه رفعه « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » والخليل بن زكريا البصرى ضعيف. وأما حديث ابن عمر فرواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حفص عمر بن موسى بن سليمان الحارثى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عنه رفعه « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » وقال: ضعيف يسرق الحديث، قال: وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا، **قال العراقى:** وله طريق آخر رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله، وزاد فيه: قلت: يا رسول الله كيف يذل نفسه. . الحديث، وإسناده جيد، قلت: وقد روى أيضًا من حديث أبى سعيد الخدرى رواه أبو يعلى فى مسنده أشار له الجلال فى جامعه الكبير، وقرأت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع وهو مع هارون الخليفة ودق عليه الباب فلم يفتح: « أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: « ليس للمؤمن أن يذل نفسه »؛ فنزل ففتح الباب.

ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه ، وقد قال ﷺ : « **المؤمن ليس بحقود** »(١٢٢)، وورد فى ذم الحقد ما لا يخفى ، ولا ترى مناظراً يقدر على ألا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الإصغاء، بل يضطر شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الإخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة فى غالب الأمر ، وكيف ينفك عن هذا ، ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى إيراده وإصداره ، بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر ، ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ، ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة ،فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه ، فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة، فأما الكذب فبهتان ، وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يُعرض عن كلامه ويصغى إلى خصمه ،ويُقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة .

ومنها تزكية النفس ،قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (النجم: ٣٢).

وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفعل على الأقران، ولا ينفك فى أثناء المناظرة عن قوله : لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا المتفنن فى العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث، وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف ، وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه ، ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعًا وعقلا .

ومنها التجسس وتتبع عورات الناس ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات: ١٢) . والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليُخبر بورود مناظر إلى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه فى إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة حتى إنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو

---

(١٢٢) حديث: « المؤمن ليس بحقود » **قال العراقى**: لم أقف له على أصل. ا هـ.وتبعه على ذلك الحافظ السخاوى فى مقاصده.

غيره، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرّض به إن كان متماسكا، ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبيب، ولايمتنع عن الإفصاح به إن كان متبجحًا بالسفاهة والاستهزاء ، كما حكى عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم .

ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ، ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين ، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها ، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره ، فكأنه يشاهد شيطانًا ماردًا أو سبعًا ضاريًا ، فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء ، حتى قال الشافعى رضي الله عنه : العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل. فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة ، فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة ، هيهات هيهات . وناهيك بالشرّ شرّا أن يُلزمك أخلاقَ المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين .

ومنها النفاق ، فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون إليه ، فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدًا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك المخاطِب والمخاطَب وكل من سمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب ، نعوذ بالله العظيم منه ، فقد قال ﷺ : « **إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام ، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم** » (١٢٣) رواه الحسن، وقد صح ذلك

---

(١٢٣) حديث: « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم » (رواه الحسن) أى البصرى، فإنه هو المراد عند إطلاقه عند المحدثين، فالحديث مرسل، وقال العراقى: أخرجه الطبرانى من حديث سلمان بإسناد ضعيف نحوه اهـ. وقال فى التخريج الكبير: ، وقد ورد متصلا من حديث سلمان وابن عمر، أما حديث سلمان فأخرجه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط من رواية الحجاج ابن مرافعة عن ابن عمر وعن سلمان رفعه « إذا ظهر القول وخزن العمل

بمشاهدة هذه الحالة ، ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى إن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية ، فلا يسمع كلاما إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع ، فيضرب البعض منها بالبعض ، والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل ، قال ﷺ : « **من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتًا في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتًا في أعلى الجنة** » (١٢٤) وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذّب بالحق ، فقال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾ (العنكبوت: ٦٨) .

= واختلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم الله وأعمى أبصارهم »، وإسناده حسن وقد رويناه في الخبر الثالث من حديث أبي عمرو بن حمدان من وجه آخر وفي إسناده محمد بن عبد الله بن علاثة مختلف فيه ورواه البيهقي في المدخل موقوفا على سلمان ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا، وأما حديث ابن عمر رويناه في الجزء الثالث المذكور من رواية أبي عمر وعنه بلفظ « يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم »، وفي سنده بشر ابن إبراهيم الخلوع ضعيف جداً وفي ترجمته رواه ابن عدى في الكامل، **قال مرتضي**: وهكذا أخرجه الديلمي أيضًا في مسند الفردوس عن ابن عمر «وقد صح ذلك» أي ما ذكرناه «مشاهدة» فلا مجال للإنكار فيه.

(١٢٤) حديث: « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة » الربض محركة: الساحة، **قال العراقي**: أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف، قال الترمذي: حديث حسن. اهـ. **قال مرتضي**: هكذا أخرجاه من رواية سلمة بن وردان عن أنس بلفظ « من ترك الكذب وهو باطل بنى له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في وسطها، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها » وحسنه الترمذي وقال: لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس وضعفه ابن عدى في الكامل وأخرجه بن منده عن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه وأخرجه أبو داود بسند جيد من حديث أبي أمامة رفعه « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسطها لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رفعه « أنا =

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ (الزمر: ٣٢) .

ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم ، والرياء هو الداء العضال الذى يدعو إلى أكبر الكبائر ، كما سيأتى فى كتاب الرياء ، والمُناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه .

فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدّى إلى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللّحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح فإن أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين ، وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر ، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه ، أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ، ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقاربين له فى الدرجة ، ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها مثل الأنفة والغضب ، والبغضاء والطمع ، وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر ، وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد إليهم والأخذ من حرامهم ،والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعنى ، وكثرة الكلام ، وخروج الخشية والخوف و الرحمة من القلب ، واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدرى المصلى منهم فى صلاته ما صلى ، وما الذى يقرأ ، ومن الذى يناجيه ، ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع أنها لا تنفع فى الآخرة من تحسين العبارة ، وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر ، إلى غير ذلك من أمور لا تحصى . .

= الزعيم ببيت فى رباض الجنة وببيت فى أعلاها وببيت فى أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه » وأخرج الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن يزيد الدمشقى، قال: حدثنى أبو الدرداء وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن نتمارى فذكر حديثا فيه: « ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق » الحديث.

والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينًا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الأخلاق، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها، واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران، وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة، فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد، ولذلك قال ﷺ : «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه» فلقد ضره مع أنه لم ينفعه، وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات، فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك، وهو كطالب الملك في الدنيا فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال بل لابد من لزوم أفضح الأحوال؛ فإن قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم، فقد صدقت فيما ذكرته من وجه، ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم، ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم: «إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» (١٢٥)، وقال ﷺ : «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (١٢٦).

---

(١٢٥) حديث: « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ».
قال مرتضى: وهذا الحديث لم يذكره العراقي في تخريجه وهو موجود في سائر النسخ الموجودة من الإحياء، وقد أخرجه ابن عدى في الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد عن أبيه عن الحسين عن أبي بكرة قال: وجعفر هذا يروى المناكير وأبوه ضعيف، وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : « ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم »، قلت: يا أبا سعيد عمن؟ قال: عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : وله شاهد قوى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبراني في الكبير ولفظه « إن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله ».

(١٢٦) حديث: وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وهو الشاق ستر الديانة، أخرجه الطبراني في الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني، قال ابن عبد البر: له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة، قتل النعمان شهيدا بوقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين ولما=

فطالب لرياسة فى نفسه هالك ، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا ، وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف، ولكنه يضمر قصد الجاه، فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره ، فصلاح غيره فى هلاكه، فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها .

= جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر وبكى، هكذا هو فى الجامع الصغير للسيوطى، قال المناوى فى شرحه: وظاهر صنيعه أن هذا لا يوجد مخرجا فى الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب، فقد قال الحافظ العراقى: إنه متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ: « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخارى فى القدر وفى غزوة خيبر ورواه مسلم مطولا، وممن رواه الترمذى فى العلل عن أنس مرفوعًا، ثم ذكر أنه سأل عنه البخارى فقال: حديث حسن حدثناه محمد بن المثنى اهـ. فعزو المصنف الحديث للطبرانى وحده لا يرتضيه المحدثون فضلا عمن يدعى الاجتهاد اهـ. وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمى فقال: هو غير متجه من وجوه، أولا فإنه لم يقل ما رواه إلا الطبرانى بصيغة الحصر ولم يلتزم فى كل حديث أن يذكر جميع من رواه، وثانيا أن ما نقله عن العراقى أنه متفق عليه إنما هو من حديث أبى هريرة فهو فى الصحيحين لا من حديث عمرو ابن النعمان، وثالثا أن المصنف نفسه قد نسبه فى درر البحار للصحيحين من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث عمرو المذكور ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه أن الحديث رواه ثلاثة من الصحابة وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات، قال: ثم رأيت فى المشارق للصغانى هذا الحديث من رواية البخارى عن أبى هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك: انفرد البخارى برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اهـ.

قال مرتضى: حديث أبى هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخارى فى الجهاد وغزوة خيبر والقدر ومسلم فى الإيمان، وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخارى، فإنه ليس فى الأطراف ولا فى جمع عبد الحق ومختصره اهـ.

وقال مرتضى: أخرجه البخارى ومسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة فى أثناء حديث الرجل الذى قال فيه إنه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك أن هذا الحديث روى من طرق خمسة من الصحابة: أبى هريرة وابن مسعود وأنس وعمرو بن النعمان وأبيه النعمان بن مقرن هكذا وقع عمرو بن النعمان، والنعمان هو ابن مقرن وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن، كما وقع عند الطبرانى هنا فى الإسناد وسماه فى الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقى، وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمة عمرو بن النعمان من الإصابة أن روايته عن النبى ﷺ مرسلة، قاله أبو حاتم الرازى، وطريق ابن مسعود ظفرت به فى الكامل لابن عدى رواه حميد بن الربيع عن أبى داود =

فالعلماء ثلاثة: إمّا مهلك نفسه وغيره، وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها، وإما مسعد نفسه وغيره، وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطنا، وإما مهلك نفسه مسعد غيره، وهو الذى يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه، فانظر من أى الأقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل، وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ما ينفى عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى.

★ ★ ★

= الحضرى عن الثورى عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال ابن عدى: وهذا بهذا الإسناد غير محفوظ لا يرويه غير حميد بن الربيع وهو كذاب، وقد رواه الطبرانى أيضا فى الكبير وفى إسناده ضعف وورد هذا الحديث أيضًا عن كعب بن مالك وهو أيضًا فى المعجم الكبير للطبرانى.

[illegible]

* * *

[illegible]

الباب الخامس

فى آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة، ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل

الوظيفة الأولى : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى اللـه تعالى ، وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهـرة إلا بتطهير الظاهر عـن الأحداث والأخبـاث، فكذلك لا تصح عبـادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

قال ﷺ : « **بُنى الدين على النظافة** » (١٢٧) وهو كذلك باطنًا وظاهراً .

---

(١٢٧) حديث: « بنى الدين على النظافة » **قال العراقى**: لم أجده هكذا، وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة « تنظفوا فإن الإسـلام نظيف » وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان» اهـ.

قـال مـرتضى: وأورد الجلال فى جامـعه ورمز للخطيب عن عائشـة « إن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » والمـعنى: الإسلام نقى من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحـو مطعم وملبس حرام، ومـلابسة قـذر، وبواطنكم بإخـلاص العقـيدة ونفى الشـرك ومـجانبـة الأهواء، وقلوبكم من غل وحـقـد وحسـد، فإنه لا يدخـل الجنة إلا طاهر الظاهر والباطن، ومن لـم يكن كذلك طهرته ثم لابـد من حشر عـصاة الموحـدين مع الأبرار فى دار القرار، فالمنفى الدخول الأوّلى قاله المناوى وأشار إلى ضعف الحديث، قال السخاوى: وعند الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد من حديث نعيم بن موزع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مـرفوعا بلفظ « الإسلام نظيف » ثم ساق كما عـنـد الخطيب، ونعيم ضعيف، وأخرج الترمذى وغيره من حديث مهاجر بن مـسمار عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفـوعا « إن الله طيب يـحب الطيب، نظيف يحب النظافـة، كريم يحب الجـود » وقال: غريب، والدارقطنى من حديث عبد الله بن إبراهيم الغفارى.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (التوبة: ٢٨) تنبيهًا للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن، ولكنه نجس الجوهر ، أى باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل، ولذلك قال ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب » (١٢٨) والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة ، فأنَّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العِلْم لا يقذفه الله تعالى فى القلب إلا بواسطة الملائكة : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (الشورى: ٥١) .

وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها، وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات، فلا يلاحظون إلا طيبًا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبا طاهرًا ، ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب ، وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ، ولكنى أقول هو تنبيه عليه، وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار، وهو مسلك العلماء والأبرار ، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه

(١٢٨) حديث: « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب » قال العراقى: متفق عليه من حديث أبى طلحة الأنصارى اهـ.

قال مرتضى: وبقية الحديث « ولا صورة » وهكذا أخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من طريق أبى طلحة، وأخرجه الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة عن أبى أيوب رفعه مثله، وعند أبى داود والنسائى والحاكم عن على مرفوعا « لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب » وعند الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن ابن عباس عن أبى طلحة « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل » وفى الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة وابن عمرو وأبى أمامة وأبى رافع.

أيضًا عرضة للمصائب، تكون الدنيا بصدد الانقلاب، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة، فاعبر أنت أيضًا من البيت الذى هو بناء الخلق إلى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ، ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهو السبعية ، واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب فى المعنى وقلب فى الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور، والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها ، وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى ، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية ، «**فيحشر الممزق لأعراض الناس كلبًا ضاريًا ، والشره إلى أموالهم ذئبًا عاديًا والمتكبر عليهم فى صورة نمر ، وطالب الرياسة فى صورة أسد** » (١٢٩) وقد وردت بذلك الأخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والأبصار .

فإن قلت: كم من طالب ردىء الأخلاق حصل العلوم، فهيهات . . ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصى سموم قاتلة مهلكة، وهل رأيت من يتناول سُمًّا مع علمه بكونه سُمًّا قاتلا؟! إنما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى ، وليس ذلك من العلم فى شىء .

(١٢٩) حديث: « فيحشر الممزق لأعراض الناس فى الدنيا كلبًا ضاريًا. . . » **قال العراقى:** أما حديث حشر الممزق لأعراض الناس كلبًا ضاريًا، فقد أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال فى تخريجه الكبير: لم أجد لذلك أصلا إلا ما رواه الثعلبى فى التفسير بإسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اهـ.

قال مرتضى: وقد وجدت فى حشر المتكبر حديثًا إلا أنه ليس كما أورده المصنف أنه فى صورة نمر، وذلك فيما رواه الإمام أحمد والترمذى وحسنه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال » وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة كعب الأحبار من ثلاثة طرق إحداهن عن معمر عن أبى مصعب عن أبيه عن كعب بنحو هذا السياق، والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى غروان عن أبيه عن كعب « والذى فلق البحر لموسى إن فيما أنزل الله فى التوراة أنه يحشر المتكبرون يوم القيامة. . . » فساق نحوه.

قال ابن مسعود ﷺ : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب .

وقال بعضهم : إنما العلم الخشية لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨) وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم .

ولذلك قال بعض المحققين : معنى قولهم : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله ، أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه .

فإن قلت : إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برّزوا فى الفروع والأصول وعُدّوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها ، فيقال : إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علمًا وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى ، وقد سبقت إلى هذا إشارة، وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية: أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرّق ماؤه فنشّفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع .

الوظيفة الثالثة : ألاّ يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبى : « **صلى زيد بن ثابت على جنازة فقُرِّبت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه؛ فقال زيد: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ** »(١٣٠)

(١٣٠) حديث: « صلى زيد بن ثابت » ابن الضحاك بن لوذان الأنصارى النجارى أبو سعيد=

وقـال ﷺ : « ليس من أخـلاق المؤمن التـملق إلا فى طلب العلم » (١٣١) فلا ينـبغى لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المـعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحمـاقة ، فإن العلم سبب النجاة والسعادة، ومن يطلب مهربًا من سبع ضارٍ يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهـرب مشهور أو خامل، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع ، فالحكمـة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنًا من كان ، فلذلك قيل :

العلم حـــرب للفـــتى المـــتعـــالى ... كـالـسيل حـــرب للمكان العـــالى

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع .

= وأبو حارثة صحابى مـشهور كتب الوحى، قال مسروق: كـان من الراسخين فى العلم، مات سنة ثمان أو خمس وأربعين، وقيل بعد الـخمسين « على جنازة » هى جنازة أمه، كما وقع التصريح بذلك فى الرواية الآتية، « فقربت له بغلة ليركـبها فجاء ابن عباس » رضي الله عنه «فأخذ بركابـه» تبركا وتشـرفا «فـقال زيد: خل عنه» وفى رواية « ذر» « يا ابن عم رسـول الله ﷺ ، فـقال ابن عـباس: هكذا أمـرنا أن نفعـل بالعلماء والكبـراء » أى ذوى الأسنان والشيـوخ « فقـبل زيد ابن ثابت يده، وقال: هكذا أمـرنا أن نفعل بآل بيـت رسول الله ﷺ ».

قال العراقى: فى التخريج الصغير: أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالـوا: « هكذا نفعل »، قـال الحاكم: صـحيح الإسناد على شـرط مسلم. ا هـ. وقـال فى التخريج الكبير: رواه الطبـرانى فى الكبير وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهمـا رياضة المتعلمين والبيهقى فى المدخل من رواية رزين الرمانى عن الشـعبى « أن زيد بن ثابت كبر على أمه أربعًا وناشدها خيرًا ثم أتى بدابتـه فأخذ ابن عباس بالركاب، فقـال زيد بن ثابت: دعه أو ذر، فقال ابن عباس: هكذا نفـعل بالعلماء الكبراء » لفظ الطبرانى وإسناده صـحيح ورواه الحاكم فى المستـدرك من رواية أبى سلمة عن ابن عباس أنه أخذ بركـاب زيد بن ثابت فقال له: تنح ابن عم رسول الله ﷺ ، فقـال: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا، وقـال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ. وقد تقدم الكلام على هذا فى أول الكتاب، ورزين الرمانى هو رزين بن حبيب الجهنى الكوفى بياع الأنماط، أخرج له الترمذى ووثقه أحمد وابن معين.

(١٣١) حديث: وقـال رسول ﷺ : « ليس من أخلاق المـؤمن الملق إلا فى طلب العلم » **قال العراقى**: أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين اهـ. وقال ابن القيم: قـال ابن قـتيبة: جـاء فى الحديث « ليس الملق من أخـلاق المؤمن إلا فى طلب العلم » ثم قال: وهذا أثر عن بعض السلف. =

= قال مرتضى: قال ابن الجوزى في الموضوعات: فيه عن معاذ وأبى أمامة وأبى هريرة، فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدى من طريق الحسن بن واصل عن الخصيب بن جحدر عن النعمان ابن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رفعه بالسياق السابق.

وقال مرتضى كذلك: هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ فى نسخ الموضوعات وفى بعضها بإسقاطه وهو الأشبه، وهكذا رواه بإثباته أبو بكر بن السنى من رواية بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذي في نص ابن الجوزى، ودينار زوج أمه فنسب إليه واسم أبيه واصل، قال ابن الصلاح: وكان هذا خفي على ابن أبى حاتم حيث قال: الحسن بن دينار بن واصل.

قال العراقي: وعكس ذلك أبو العرب فى كتاب الضعفاء فروى عن يحيى بن محمد بن يحيى ابن سلام عن أبيه، قال: الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم، ورواه الديلمي من طريق أبى نعيم من رواية عمر بن إبراهيم الكردى عن الحسن بن صالح عن النعمان بن نعيم، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية عبد العزيز بن أبان عن الحسن ابن دينار عن النعمان ابن نعيم، ثم قال ابن الجوزى: وأما حديث أبى أمامة فأخرجه ابن عدى أيضا من طريق عمر بن موسى الوجيهى عن القاسم عن أبى أمامة رفعه مثله، وأما حديث أبى هريرة فأخرجه ابن عدي أيضًا من طريق ابن علاثة عن الأوزاعى عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا « لا حسد ولا ملق إلا فى طلب العلم » قال: ليس شيء من هذه الأحاديث يصح، أما الأول فمداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين، وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات، ثم قال: وأيضًا الحسن بن واصل ضعيف جدًا منسوب إلى الكذب، وأما الثانى فإن عمر بن موسى الوجيهى، قال النسائي والدارقطني: متروك، وأما الثالث فإن ابن علاثة اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة لا يحتج به، قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات، قال الحافظ السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة بعد نقله لما تقدم: ابن علاثة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه ووثقه ابن معين، وقال أبو سعيد: ثقة إن شاء الله تعالى، وقال أبو زرعة: صالح، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يُحتج به، وقال الذهبى: هذا الحديث لعل آفته من عمرو فإنه متروك، قال: وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة وقال: أرجو أنه لا بأس به، وقال الأزدى: حديثه يدل على كذبه، قال الخطيب: أفرط الأزدى وأحسبه وقعت إليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لأجلها: وإنما الآفة من ابن الحصين فإنه كذاب وأما ابن علاثة فقد وصفه يحيى بن معين بالثقة، قال: ولم أحفظ لأحد من الأئمة خلاف ما وصفه به يحيى اهـ. وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وقال: هذا الإسناد ضعيف، وكذا حديث معاذ وقال: ضعيف، قال: وقد روى من أوجه كلها ضعيفة. اهـ. وورد هذا الحديث أيضًا عن ابن عمر.

=



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

ج ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٤

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: ٣٧).

ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهمًا ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة ، فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله. ومهما أشار عليه المعلم بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه ، إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها ، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به ، وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝٦٨ ﴾ (الكهف: ٦٧: ٦٨) . ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠ ﴾ (الكهف: ٧٠) ، ثم لم يصبر ولم يزل فى مراددته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما ، وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيًا واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران .

فإن قلت: فقد قال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٧) فالسؤال مأمور به ، فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم فى السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم . ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال: أى دع السؤال قبل

= قال العراقى: روى من طريق هشام بن بشير وأزهر بن سعد السمان عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر، قال ابن طاهر فى الكشف عن أخبار الشهاب: وهو منكر من حديث ابن عون، قال: والحمل فيه على من قبل هشام فإنهم إلى الجهالة أقرب. ا هـ.
وقال السيوطى: قد أورد الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن السنى: حدثنا الحسين بن عبد الله القطان عن عامر بن سيار عن أبى الصباح عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن النبى ﷺ « من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابى، ولا خير فى التملق والتواضع إلا ما كان فى الله أو طلب العلم» اهـ.

أوانه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له ، وبأوان الكشف ، وما لم يدخل أوان الكشف فى كل درجة من مراقى الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه .

وقد قال على ﷺ : إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفش له سرًا ، ولا تغتابن أحدًا عنده، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قَبِلْتَ معذرته ، وعليك أن توقِّره وتعظِّمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته .

الوظيفة الرابعة : أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة ؛ فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع، بل ينبغى أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المَرْضِيّة عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه، وإن لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد، وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها، فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومَن هذا حالة يعد فى عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهى منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار ، وندب القوى إلى النظر فى الاختلافات يضاهى حث القوى على مخالطة الكفار ، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ، ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء ، وفى ذلك قال بعضهم : من رآنى فى البداية صار صديقًا ، ومن رآنى فى النهاية صار زنديقًا . إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل وإهمال، فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الأعمال على الدوام، وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر، والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ،ولا يدرى المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته، والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته ، ولمثل هذا

«جُوِّز للنبى ﷺ ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة » (١٣٢) إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل ، بل يتعدى ما بينهن من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح مَن قاس الملائكة بالحدّادين.

الوظيفة الخامسة : ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهلة ، فإن الناس أعداء ما جهلوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ (الاحقاف: ١١) قال الشاعر :

ومن يك ذا فم مـرٍّ مـريض يجـد مـرًا به المـاء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعًا من الإعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود ، والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

الوظيفة السادسة : ألا يخوض فى فنّ من فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبًا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفى منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه إلى استكمال الذى هو أشرف

(١٣٢) حديث: « جوّز للنبى ﷺ ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة ».

قال العراقى: وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « كان عند النبى ﷺ تسع نسوة، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة » ورواه النسائى كذلك كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: وأخرج البخارى والنسائى من رواية سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس: أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة. وفى رواية لهما من رواية هشام الدستوائى عن قتادة: كان يدور على نسائه فى الساعة الواحد فى الليل والنهار وهن إحدى عشر، قلت لأنس: أكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين.

العلوم و هو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة ؛ فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفًا ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم، بل ذلك نور يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة ، « إيمان أبي بكر ﷺ الذي لو وُزن بإيمان العالمين لرجح »(١٣٣) كما شهد له به سيد البشر ﷺ ، فما عندي أن ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلامًا، وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعليّ وسائر الصحابة ﷺ حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره، والعجب

---

(١٣٣) حديث: « إيمان أبي بكر لو وزن إيمانه بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ ».

قال العراقي: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح، أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ورواه البيهقي في الشعب موقوفًا على عمر بإسناد صحيح. اهـ.

قال مرتضى: الذى رواه البيهقي في الشعب من قول عمر لفظه: « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» وهكذا هو في مسند إسحق بن راهويه، قال الحافظ السخاوي: وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل، قلت: وهو الأودى الكوفي ثقة مخضرم من رجال البخاري والأربعة اهـ. قال: وهو عند ابن المبارك في الزهد ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد اهـ. ورأيت في ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسي الذى رتب فيه الكامل لابن عدي وهو بخط المصنف ما نصه « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح » رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر، وعبد الله لم يتابع عليه، وهذا الذى أشار له العراقي أنه بإسناد ضعيف ولكن ليس فيه: بإيمان العالمين، وكذا أخرجه ابن عدى في ترجمة عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلاني عن رواد بن الجراح عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع، وعيسى ضعيف الحديث ولفظه « لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها »، وقد رواه الديلمي أيضًا في مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ، وقول السخاوي: إن عيسى وإن كان ضعيفًا لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدى من طريق آخر اهـ. كأنه يشير إلى طريق عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد فربما يفهم من سياق هذا أنه طريق صحيح وليس كذلك، فإن عبد الله لم يتابع عليه كما تقدم، فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل، قال الحافظ السخاوي: وله شاهد في السنن أيضًا عن أبي بكرة مرفوعًا: « أن رجلا قال: يا رسول الله، رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح. . . » الحديث.

ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية ، وأن ذلك غير معقول فينبغى أن تتئد فى هذا ، فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصًا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ، ولا يرشدك إليه إلا حرصك فى الطلب ، وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره ، وأقصى درجات الشرفية رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم ، وقد روى أنه رُئى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها: إن أحسنت كل شىء فلاتظنن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى ، وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء. وفى يد الآخر: كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب .

الوظيفة السابعة : ألا يخوض فى فنّ حتى يستوفى الفنّ الذى قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا ، وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج .

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة: ١٢١). أى لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملا، وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترافى إلى ما هو فوقه ، فينبغى ألا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ، ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل؛فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذا الشبه فى كتاب معيار العلم ، وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر، والكل خطأ ، بل ينبغى أن يعرف الشىء فى نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال علىّ رضي الله عنه : « لا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله » .

الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان : أحدهما شرف الثمرة، والثانى وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ، ومثل علم

الحساب وعلم النجوم ، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف ، وإن كان أكثره بالتخمين ، وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ؛ فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه .

الوظيفة التاسعة : أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفى المآل القرب من الله سبحانه ، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده ، وهو علم الآخرة ، ومع هذا فلا ينبغى له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم ، أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم ، فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله : فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذى يسقيهم الماء ، ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم ، فكذلك العلماء .

قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة : ١١) .

وقال تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١٦٣) .

والفضيلة نسبية ، واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ، فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل الرتبة العليا للأنبياء ، ثم الأولياء، ثم العلماء الراسخين فى العلم ، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم ، وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن قصد الله تعالى بالعلم، أىّ علم كان ، نفعه ورفعه لا محالة .

الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك فى الدنيا والآخرة، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر ما يجرى مجرى العيان ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيًا إلى المقصد، ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف فى هذا العالم قدره إلا الأقلون .

والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم - أعنى النظر الذى طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يتسبق إلى فهم العوام والمتكلمين - على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو : أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج ، وقيل له : إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعًا ، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط ، دون سعادة الملك ، فله ثلاثة أصناف من الشغل :

الأول : تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد الزاد والراحلة .

والثانى: السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد منزل .

والثالث : الاشتغال بأعمال الحج ركنًا بعد ركن ، ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة، وله فى كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ، ومن أول سلوك البوادى إلى آخره، ومن أول أركان الحج إلى آخره ، وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد فى إعداد الزاد والراحلة ، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك ، بل هو أقرب منه .

فالعلوم أيضًا ثلاثة أقسام :

قسم يجرى مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة ، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن فى الدنيا .

وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات، وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنه الأولون والآخرون إلا الموفقين ، فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله ، وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن .

وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة ، وها هنا نجاة وفوز بالسعادة ، والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة ، وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعَّمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم ، وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة: ٨٨ - ٩١) .

وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له، أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (الواقعة: ٩٣ ، ٩٤) .

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين، أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار، وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أُخبرَ فصدَّق ، ثم شاهد فحقق ، وحال غيرهم حال من قَبِلَ بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان ، فالسعادة وراء علم المكاشفة ، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة ، وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات ، وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ، ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على

منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه ، وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ، ومن قال: العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان ، وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة ، لا العلوم العزيزة الباطنة؛ (فإن قلت) لم شبّهت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة ، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة ، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به ، بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية ، وإنما هو أمر إلهى كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (الإسراء: ٨٥) .

وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن ، فلله الخلق والأمر جميعًا ، والأمر أعلى من الخلق ، وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السماوات والأرضين والجبال : ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ (الأحزاب:٧٢) من عالم الأمر ، ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول ، فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده ، والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها ، وأما البدن فمطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج ، كالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر إليه البدن ، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ، ولا يخفى أن الطب كذلك ؛ فإنه قد يحتاج إليه فى حفظ الصحة على البدن ، ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه ، والفقه يفارقه فى أنه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغنى عنه ، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده ، إذ لا يستقل بالسعى وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ ، وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة ، ومهما اختلط الناس

وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا، وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل، وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل ، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه ، وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية ، فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها، وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج ، والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التى بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكى طريق الحج ، أو ملابسى أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانًا ممن قام عليه ذلك غاليًا ، ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق - العامة والخاصة - فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة ، فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم .

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم أن للإنسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الأموال : لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبًا، وحال ادّخار لما اكتسبه فيكون به غنيًا عن السؤال، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعًا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيًا متفضلا وهو أشرف أحواله ، فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال؛ فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المتحصل والتمتع به ، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال ، فمن علم وعمل وعلَّم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماوات، فإنه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها ، وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب، والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية، وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق ، كما قيل :

ما هو إلا ذبالة وقدَتْ   تضىء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا فليحفظ آدابه ووظائفه :

الوظيفة الأولى : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه .

قال رسول الله ﷺ : **«إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»** (١٣٤) بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ؛ فإن الوالد سبب الوجود الحاضر ، والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة، أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه ، وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها ، فكذلك حق تلامذة الرجل

---

(١٣٤) حديث: « إنما أنا لكم مثل الوالد » **قال العراقى:** أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان من حديث أبى هريرة اهـ. **قال مرتضى:** ونص أبى داود فى سننه فى باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة : « حدثنا عبد الله بن محمد النفيلى حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه» « وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة. قال الحافظ المنذرى فى مختصره: وأخرجه أيضًا مسلم مختصرًا والنسائى وابن ماجة تامًا. ا هـ. قلت: قال السيوطى فى جامعه: أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان أى كلهم فى الطهارة عن أبى هريرة، قال المناوى: وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام. ا هـ. قلت: وفى ترتيب الكامل لابن عدى للحافظ أبى طاهر المقدسى: رواه معدان بن عيسى عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة، ومعدان هذا قال ابن عدى: لا أعرفه حدّث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكبار، حدثنا عنه أبو عيسى الدارمى محمد بن غسان بن خالد ولا أعلم حدث عنه غيره، وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال: حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى لأنه لم يلحق أيامه فقال: معدان بن عيسى. ا هـ. قال المناوى فى شرح هذا الحديث: إنما أنا لكم، أى لأجلكم بمنزلة الوالد فى الشفقة والحنو لا فى الرتبة والعلو فعلىّ تعليم ما لابد منه فكما يعلم ولده الأب فأنا أعلمكم ما لكم وما عليكم، وقدم هذا أمام المقصود إعلامًا بأنه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم كما يلزم الوالد، وإيناسًا للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ.

الواحد التحاب والتوادد ، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة ، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا ؛ فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا ، وسنوها وشهورها منازل الطريق ، والترافق فى الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحابّ فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق فى طريقه ، ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ، ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم.

والعادلون إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠) وداخلون فى مقتضى قوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧) .

الوظيفة الثانية : أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرًا، ولا يقصد به جزاء ولا شكرًا بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلبًا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم ، وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذّبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها ، كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض ، فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ (هود: ٢٩) .

فإن المال وما فى الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، فجعل المخدوم خادمًا والخادم مخدومًا ، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ، ومثله الذى يقوم فى العرض الأكبر مع المجرمين ناكسى رءوسهم عند ربهم ، وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم، فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما ، فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتُركوا ولم

يختلف إليهم ، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه وينتهض جهارًا له في حاجاته ومسخرًا بين يديه في أوطاره ، فإن قصَّر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه ، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ، ثم لا يستحيي من أن يقول: غرضي من التدريس نشر العلم تقربًا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات .

الوظيفة الثالثة : ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده ، فإن علم من باطنه ألا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه ؛ فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التي قيل فيها: « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تلعمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه يثمر له طمعًا في الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره، إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة، وذلك يوشك أن يؤدى إلى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره، ويجرى حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق أيضًا حب الجاه ليكون سببا لإحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديًا في الضلال وطلبًا للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته، أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة، فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد ، والله المستعان. وقد رؤى سفيان الثورى رحمه الله حزينًا ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : صرنا متجرًا لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جُعلَ قاضيًا أو عاملا أو قهرمانًا .

الوظيفة الرابعة : وهى من دقائق صناعة التعليم : أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار ، إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم : « **لو منع الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء** » (١٣٥) وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وما نهينا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سمرًا ، بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضًا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته .

الوظيفة الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغى ألا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول: ذلك فروع وهو كلام فى حيض النسوان فأين ذلك من الكلام فى صفة الرحمن .

---

(١٣٥) حديث: « لو منع الناس عن فت البعر لفتوه، وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء » ونص الذريعة « لو نهى الناس » والباقى سواء.

قال العراقى: لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف، رواه ابن شاهين . ا هـ.

قال مرتضى: ووجدت بخط الداودى ما نصه: ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشوك لقالوا فيه الند » وفى المعنى حديث أبى جحيفة: « لو نهيتم ان تأتوا الحجون لأتيتموها » الحديث اهـ. قلت: وللسيوطى فى الجامع الكبير: « لو نهيت رجالا أن يأتوا الحجون لأتوها وما لهم بها حاجة » أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن حرب. ا هـ. قلت: رواه الطبرانى من رواية أبى إسحق عن أبى جحيفة قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئا يكرهونه من كلامهم ولغطا، فقيل: يا رسول الله ألا تنهاهم، فقال: « لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة ».

قال العراقى: ورجاله ثقات إلا أنه اختلف فيه على الأعمش، فقيل عنه عن أبى إسحق هكذا، وقيل عن أبى إسحق وعن عبد السوائى ورواه الطبرانى أيضًا وعبدة السوائى مختلف فى صحبته.

فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره، وإن كان متكفلا بعلوم فينبغى أن يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله، اقتداء فى ذلك بسيد البشر ﷺ ، حيث قال: « **نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم** » (١٣٦) فليبث إليه الحقيقة إذا

---

(١٣٦) حديث: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم » **قال العراقى**: رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه، وعند أبى داود من حديث عائشة: «أنزلوا الناس منازلهم». اهـ. فهما حديثان مستقلان أوردهما المصنف فى سياق واحد وربما يوهم أنهما حديث واحد، قال الحافظ السخاوى فى كتابه الجواهر والدرر فى مناقب شيخه الحافظ ابن حجر بعد أن ساق لفظ المصنف ما لفظه: ما وقفت عليه بهذا اللفظ فى حديث واحد بل الشق الأول فى حديث عائشة كما سيأتى بيانه، والثانى رويناه فى الجزء الثانى من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعًا: « أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم» اهـ. أما حديث عائشة ففى الحلية لأبى نعيم من طريق ابن هشام الرفاعى، وفى جزء لأبى سعد الكنجرودى من طريق إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا - واللفظ لابن الشهيد - نا يحيى بن يمان عن الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة ؓ فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيبة فأقعدته معها، فقيل لها: لم فعلت ذلك ؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. قال الحافظ السخاوى: هذا حديث حسن أورده مسلم فى مقدمة صحيحة بلا إسناد حيث قال: ويذكر عن عائشة. . إلخ، فقال النووى نقلا عن ابن الصلاح ما معناه: إن ذلك لا يقتضى الحكم له بالصحة نظرًا لعدم الجزم فى إيراده ويقتضيه نظرًا لاحتجاجه بروايته لإيراده إيراد الأصول والشواهد اهـ. قال السخاوى: لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه فى النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث له، فقال: صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد، وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه فى كتاب السياسة من صحيحه، وكذا أخرجه البزار فى مسنده كلاهما عن إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد وأخرجه أبو داود فى الأدب من سننه عن على بن إسماعيل وابن أبى خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به، ثم قال أبو داود: وميمون لم يدرك عائشة، وأخرجه أبو أحمد العسكرى فى كتاب الأمثال له، عن عبد الوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن محمد بن يزيد الرفاعى هو أبو هشام ورواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هشام، ورواه البيهقى فى الأدب من طريق أبى=

علم أنه يستقل بفهمها، وقال ﷺ : « ما أحد يحدّث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم ». وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره : إن ههنا لعلومًا جمة لو وجدت لها حملة، وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغى أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام : « لا تعلقوا الجواهر فى أعناق الخنازير » فإن الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير، ولذلك قيل : «كلْ لكل عبد بمعيار عقله ، وزِنْ له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ». وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب؛ فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : « من كتم علمًا نافعًا جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» (١٣٧) ؟ فقال: اترك اللجام واذهب ، فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (النساء: ٥).

= هريرة محمد بن أيوب الجبلى عن يحيى بن يمان بالمتن فقط، قال مرتضى: ومن طريق أبى هريرة هذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية بسياق يأتى للمصنف نظيره فى أثناء الكتاب يذكر هناك إن شاء الله تعالى، وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث: ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفا، قال السخاوى ويشير إلى ما رواه أبو أسامة بن زيد عن عمر بن مخراق عن عائشة، لكن قد أخرجه الخطيب فى المتفق والمفترق والجامع كلاهما له، والبيهقى فى الشعب والطبرانى كلهم من طريق أحمد بن راشد البجلى الكوفى والبيهقى والطبرانى أيضًا من طريق محمد بن عمار الموصلى والبيهقى وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحيى بن يمان عن الثورى عن أسامة مرفوعا. وقال الإمام أحمد إن رواية عمر عن عائشة مرسلة، وكذا قال البيهقى فى الشعب، وقال السخاوى: عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة، وقال البيهقى فى الأدب: وكان يحيى رواه على الوجهين جميعًا، قال السخاوى: وفى الباب عن معاذ وجابر رضي الله عنهما، فأما الأول فرواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رضي الله عنه رفعه « أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة » ولا يصح إسناده، وأما الثانى فرويناه فى جزء الفسوى بسند ضعيف ولفظه « جالسوا الناس على قدر أحسابهم، وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس على قدر منازلهم، وداروا الناس بعقولكم » وفى مسند الفردوس من حديث جابر: « أنزلوا الناس على قدر مروءاتهم ».

(١٣٧) حديث: « من كتم علمًا نافعًا جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » **قال العراقى**: أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد فلفظه عند السيوطى فى الجامع الكبير: « من كتم علمـا مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» وأما حديث أبى هريرة =

تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق .

أأنثر درًا بين سارحة النعم فأصبح مخزونًا براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدًا واستفدت مودة وإلاّ فمخزون لدىَّ ومكتتم
فمن منح الجهال علمًا أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة : أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقًا وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله ، وأشدّهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله ، وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى أن يشوش عليه اعتقاده، بل ينبغى أن يخلى وحرفته، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانًا مريدًا يهلك نفسه وغيره ، بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها، ويملأ قلوبهم

= الذى تقدم فلفظه : « من علَمَ علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه، وقال الترمذى: حديث حسن، وقد تقدم الكلام عليه فى أول الكتاب وقد أخرجه أيضا ابن النجار فى تاريخه عن عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ والإسناد مصريون، وفى الباب عن جابر وابن مسعود وابن عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم فى أول الكتاب عند ذكر حديث أبى هريرة فليراجع، وفى لفظ ابن مسعود: « من كتم علما عن أهله » وتنكير علم فى حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعى، وفى رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعى والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أو كمال، والحديث نص فى تحريم الكتم، وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه.

من الرهبة والرغبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ، ولا يحرك عليهم شبهة فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك ، وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص .

الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئًا وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سم مهلك؛ سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه؟! ومتى استوى الظل والعود أعوج ، ولذلك قيل فى المعنى :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٤) .

ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولذلك قال على ﷺ : قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك. فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه، والله أعلم .

★ ★ ★

الباب السادس

فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء ، وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنهم أشدّ الخلق عذابًا يوم القيامة ، فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ، ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها .

قال ﷺ : « إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه ﷺ أنه قال: « **لا يكون المرء عالمًا حتى يكون بعلمه عاملا** » (١٣٨) ، وقال ﷺ : «**العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم فى القلب فذلك العلم النافع**» (١٣٩) ،

---

(١٣٨) حديث: « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا » **قال العراقى فى التخريج الكبير**: لم أجده مرفوعًا، ورواه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء بزيادة فى أوله: « إنك لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولن تكون عالمًا حتى تكون لما علمت عاملا » اللفظ للبيهقىّ وفيه انقطاع . ا هـ.

قال مرتضى: وأخرج الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملا » وأما ما عزاه العراقى لابن حبان والبيهقى فقد أخرجه الخطيب فى الكتاب المذكور من رواية وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن أبى الدرداء.

(١٣٩) حديث: « العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم، وعلم فى القلب فذلك العلم النافع » أورده صاحب القوت فى خلال كلامه فقال: روينا عن الحسن البصرى يروى عن رسول الله ﷺ قال: « العلم علمان: فعلم باطن فى القلب فذاك هو النافع، وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله على خلقه ». ا هـ. وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من رواية قتادة عن أنس رفعه: « العلم علمان: فعلم ثابت فى القلب فذلك العلم النافع، وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على عباده »، وفى إسناده=

وقال ﷺ : « يكون فى آخر الزمان عبَّاد جهال وعلماء فساق » (١٤٠) .

وقال ﷺ : « **لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار** » (١٤١) .

= أبو الصلت الهروى اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطنى بالوضع، وبنحو هذا أخرجه الخطيب فى تاريخه بإسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه وأعله ابن الجوزى برواية الحسن بن يحيى بن اليمان، قال أحمد: ليس بحجة، ولكن قال العراقى فى تخريجه: احتج به مسلم وقال يحيى بن معين: ثقة، وقال ابن المدينى: صدوق.

قال العراقى: وقد جاء من حديث الحسن مرسلا دون ذكر جابر بإسناد صحيح، رواه الحكيم الترمذى فى النوادر وابن عبد البر فى العلم من رواية هشام عن الحسن عن النبى ﷺ .

قال مرتضى: وكذلك ابن أبى شيبة فى المصنف، قال: وفى الباب عن علىّ وعائشة ﵄ .

(١٤٠) حديث: « يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق » هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس رفعه، ثم قال: هذا حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة. ا هـ. وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم فى الرقاق من المستدرك وابن عدى فى الكامل ولفظهما « وعلماء فسقة » وابن النجار فى تاريخه، كما فى الكبير للسيوطى ولفظه « وقراء فسقة » وقال الحاكم: صحيح، وشنع عليه الذهبى والعراقى، قال الأول يوسف بن عطية الصفار هالك وقال الثانى مجمع على ضعفه، وفى الميزان عن البخارى: منكر الحديث وساق له هذا الخبر ، وفى الديوان قال أبو زرعة والدارقطنى: ضعيف، ورواه البيهقى فى الشعب من هذا الوجه ، وقال: يوسف كثير المناكير، ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه « يكون فى آخر الزمان ديوان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهم الأنتنون » وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة رفعه إلا أنه قال: «ذئبان القراء» بدل «ديوان» وقال: غريب من حديث سليمان أفادناه الدارقطنى الحافظ، ونقل القرطبى عن مكحول : « يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار» وأخرج الخطيب عن أبى هريرة : «يكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة، فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفًا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطيًا » .

(١٤١) حديث : « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار»، أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن حذيفة ﵁ رفعه ولفظه : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا . . . » والباقى سواء ، **قال العراقى** : وبشير بن ميمون الخراسانى متهم بالوضع ، قاله البخارى، وأشعث بن سوار مختلف فيه ولكن أخرج ابن ماجه أيضًا من=

= رواية ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر رفعه: « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجترئوا به فى المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار » **قال العراقى** : وإسناده على شرط مسلم . **قال مرتضى** : وأخرجه كذلك الحاكم وابن حبان والضياء المقدسى فى المختارة وبه يتقوى حديث حذيفة السابق ، **قال العراقى** : وفى الباب عن عبد الله بن عمر وكعب بن مالك وأبى هريرة ومعاذ وأنس وأم سلمة ﷺ فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبى كرب الأزدى عن نافع عنه رفعه « من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو فى النار» ، وأبو كرب مجهول، وروى الترمذى من حديث خالد بن دريك عن ابن عمر رفعه: « من تعلم علمًا لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار » وإسناده جيد ، وأما حديث كعب بن مالك فرواه الترمذى من رواية إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال : حدثنى ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه : « من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » ، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسحق بن يحيى تُكلم فيه من قبل حفظه . قلت: وأخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى من هذا الطريق ولفظهما : « من طلب العلم لإحدى ثلاث: ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار » . وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن ماجه أيضًا من رواية عباد بن سعيد المقبرى عن جده عنه رفعه : «من تعلم العلم ليباهى به العلماء ويبارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم» ، وعباد بن سعيد المقبرى ضعيف قاله العراقى ، وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عنه رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويبارى به السفهاء فى المجالس لم يرح رائحة الجنة » ، وشهر بن حوشب مختلف فيه، وأما حديث أنس فرواه أبو بكر البزار والطبرانى فى الأوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبد الله، حدثنا سفيان أبو معاوية عن قتادة عن أنس رفعه « من طلب العلم ليباهى به العلماء ويمارى به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو فى النار» قال البزار : لا نعلمه يروى عن أنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به سليمان ولم يتابع عليه ورواه عنه غير واحد، **قاله العراقى**: ثم قص مرتضى على العراقى وأخرجه أيضًا ابن عساكر فى تاريخه وأبو نعيم فى المعرفة من هذا الطريق إلا أنهما قالا: « ليمارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار » ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى الوجدان والدارقطنى فى الإفراد والديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم : « من تعلم العلم» والباقى سواء ، وأخرج ابن عساكر أيضًا من رواية نافع بن مالك أبى سهل عم مالك ابن أنس قال : قلت للزهرى: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال : « من طلب شيئًا من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ليطلب به شيئًا من عرض الدنيا دخل النار» ؟ فقال الزهرى : لا ، ما بلغنى. فساقه وفيه قصة تقدمت فى خاتمة الفصول .

قال العراقى : وأما حديث أم سلمة فرواه الطبرانى من رواية عبد الخالق بن زيد عن أبيه عن محمد بن عبد الملك بن مروان عن أبيه عنها رفعته : « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به =

وقال ﷺ : « من كتم علمًا عنده ألجمه الله بلجام من نار » (١٤٢).

وقال ﷺ : « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال »، فقيل: وما ذلك؟ فقال: «من الأئمة المضلين» (١٤٣).

= السفهاء فهو في النار » وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخارى ، وعبد الملك بن مروان أورده الذهبى فى الميزان وقال : أنّى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل.

قال مرتضى : عبد الخالق المذكور قال الذهبى فى الديوان : قال النسائى: ليس بثقة وقوله: أنى له العدالة . . . إلخ صحيح ، ولكن قد يقال: يحتمل أنه تحمل هذا الحديث فى حال استقامته قبل أن تصدر منه الأفاعيل ، وهكذا أخرجه تمام الرازى فى فوائده أيضًا ، وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أم سلمة « من طلب علمًا ليباهى به العلماء فهو فى النار » وأخرجه ابن عساكر أيضًا ، ولكن عنده : « من طلب علمًا يباهى به الناس » والباقى سواء، وأخرجه الدارمى فى مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه : « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » .

(١٤٢) حديث : وقال ﷺ : « من كتم علمًا عنده ألجم بلجام من نار » تقدم وهو حديث رقم ١٣٧ .

(١٤٣) حديث : « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » ، فقيل: وما ذاك ؟ فقال : «من الأئمة المضلين» وفى نسخة : «فقال: أئمة مضلون » أخرجه الإمام أحمد من رواية أبى تميم الجيشانى واسمه عبد الله بن مالك قال : سمعت أبا ذر يقول: كنت مخاصر النبى ﷺ إلى منزله فسمعته يقول : « غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال » ، فلما خشيت أن يدخل قلت : يا رسول الله أى شىء أخوف على أمتك من الدجال ؟ قال : « الأئمة المضلون » .

قال العراقى : فى إسناده عبد الله بن لهيعة مختلف فيه ، ورواه أبو يعلى من رواية جابر عن عبد الله بن يحيى عن على بن أبى طالب رفعه : « غير الدجال أخوف عليكم: أئمة مضلون» وجابر هو أبو يزيد الجعفى ضعفه الجمهور، وروى أحمد من طريق أبى المخارق زهير بن سالم عن عمير بن سعد الأنصارى أن عمر قال لكعب : « ما أخوف شىء تخوفه على أمة محمد ﷺ ، قال: أئمة مضلون، قال عمر : صدقت، قد أسر إلىّ ذلك وأعلمنيه رسول الله ﷺ . وأبو المخارق ذكره ابن حبان فى الثقات وعمير بن سعد معدود فى الصحابة والظاهر أنه منقطع بينه وبين أبى المخارق ، وأخرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبير بن نفير عن النواس بن سمعان فى حديثه الطويل فى الدجال وفيه : فقال: « غير الدجال أخوفنى عليكم » وأخرج الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رفعه : « إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون » ، قال الهيثمى: فيه راويان لم يسميا ، وأخرج العلائى بسنده إلى ابن عمر : قيل له: ما يهدم الإسلام ؟ قال : زلة عالم وجدال منافق وحكم الأئمة المضلين. وأخرج أبو نعيم فى=

وقال ﷺ: « من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدًا » (١٤٤).

وقال عيسى عليه السلام: « إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين ».

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم، فإن العالم إما متعرضًا لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد، وإنه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة.

وأما الآثار.. فقد قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقًا عليما؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل. وقال الحسن رحمه الله: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء.

= الحلية من رواية صفوان بن عمرو عن أبى المخارق عن كعب عن عمر رفعه: « أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون »، فقال كعب: فقلت: والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم. قال الشيخ: غريب من حديث كعب تفرد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء.

(١٤٤) حديث: « من ازداد علمًا ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدًا » أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق موسى بن إبراهيم عن موسى بن جعفر الصادق عن آبائه عن على رضي الله عنه رفعه إلا أنه قال: ولم يزدد فى الدنيا زهدًا مكان هدى. كذا فى الجامع الكبير للسيوطى وأشار له العراقى وقال: وقد روينا من طريق إبراهيم بن عبد الله عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده رفعه: « من ازداد بالله علما ثم ازداد بالدنيا حبًا ازداد الله عليه غضبًا » قال: والمشهور أن هذا الحديث من قول الحسن البصرى رواه ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر فى بيان العلم بلفظ: « من ازداد علمًا ثم ازداد على الدنيا حرصًا لم يزدد من الله إلا بعدًا» لفظ ابن حبان، وقال ابن عبد البر: بغضًا، بدل بعدًا، وزاد: « ولم يزدد من الدنيا إلا بعدًا » قال: وقد روى مثل قول الحسن هذا مرفوعًا وكأنه أشار إلى حديث علىّ المتقدم.

قال مرتضى: وحديث على المتقدم سنده ضعيف لأن موسى بن إبراهيم قال الذهبى: قال الدارقطنى متروك، كذا قاله المناوى، وعندى فى ذلك نظر لأن الذى قال فيه الدارقطنى متروك هو مروزى يروى عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبى، والذى يروى عن موسى بن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل، والحديث الذى بعده رواه أبو الفتح الأزدى فى الضعفاء، ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار حدثنا سليمان بن داود حدثنا ابن عيينة قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شرًا. وفى معنى ذلك قول مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتى من العلم ما ينفعه.

وقال رجل لأبى هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال: كفى بترك العلم إضاعة له. وقيل لإبراهيم بن عيينة: أى الناس أطول ندمًا؟ قال: أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت عالم مفرِّط. وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثورى رحمه الله: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إنى لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنىّ قوم افتقر، وعالما تلعب به الدنيا. وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وأنشدوا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين مَن باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال ﷺ: « إن العالم ليعذب عذابًا يطيف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه » (١٤٥) أراد به العالم الفاجر.

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه» (١٤٦).

---

(١٤٥) حديث: « إن العالم ليعذب عذابًا يطيف به أهل النار استعظامًا لشدة عذابه » .

قال العراقى: لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتى بعده .

(١٤٦) حديث : « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون : ما لك ؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه » ، وفى بعض النسخ بعد قوله أقتابه : « يعنى أمعاءه» وهو مدرج من الراوى ،=

وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥) . لأنهم جحدوا بعد العلم، وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً، ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلاّ أنهم أنكروا بعد المعرفة، إذ قال الله:

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٦).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥) حتى قال: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

= **قال العراقى**: أخرجه البخارى ومسلم من رواية أبى وائل شقيق بن سلمة عن أسامة بن زيد واللفظ لمسلم إلا أنه قال: « يؤتى بالرجل» وقال: « أقتاب بطنه» وقال: « فيجتمع إليه الناس فيقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » ولفظ البخارى: « يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أى فلان، ألست كنت تأمر بالمعروف » فذكره، إلا أنه قال: « ولا أفعله» وقال: « وأفعله » وفى رواية لأحمد فى مسنده: « فيقولون: ما لك يا فلان ما أصابك ؟ » ، وفى رواية له: « يؤتى بالرجل الذى يطاع فى معاصى الله » الحديث ، وفيه فيقول: « كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره » . اهـ .

قال مرتضى: وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أسامة بن زيد: « يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ قال: بلى ، ولكن لم أكن لأفعله» كذا فى الذيل للسيوطى ، وأخرج أبو نعيم فى ترجمة الشعبى من الحلية من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال: يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار ، فيقولون: ما لكم فى النار ، وإنما كنا نعمل بما تعلموننا ؟ فيقولون: إنما نعلمكم ولا نعمل به » وأخرج فى ترجمة منصور بن زاذان بسنده إليه قال: نبئت أن بعض من يلقى فى النار يتأذى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك؛ فيقول: كنت عالمًا لم أنتفع بعلمى.

فكذلك العالم الفاجر، فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشُبه بالكلب، أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

وقال عيسى عليه السلام: مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى.

فهذه الأخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابًا من الجاهل، وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات:

فمنها ألا يطلب الدنيا بعلمه؛ فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وأنهما ككفتى الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر، فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل، فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له، ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان؛ فكيف يكون من العلماء مَن لا إيمان له، ومَن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة، وأن الجمع بينهما طمع فى غير مطمع، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء، ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته.

وفى أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى:

إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى، يا داود لا تسأل عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى، أولئك قُطَّاع الطريق على

عبادى، يا داود إذا رأيت لى طالبًا فكن له خادمًا، يا داود من ردَّ إلىّ هاربًا كتبته جهبذًا ومَن كتبته جهبذًا لم أعذبه أبدًا.

ولذلك قال الحسن رحمه الله: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة. ولذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص. وقال عمر ﷺ: إذا رأيتم العالم محبًا للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب. وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت فى بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه. وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علمًا فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم. وكان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم، قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآثمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية ؟

قال الشاعر:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر:

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يُصلح الملح إذا الملح فسد ؟

وقيل لبعض العارفين: أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله ؟ فقال: لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى. وهذا دون ذلك بكثير، ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة، فإن الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا؛ فإذا سمعت الرجل يقول: حدثنا، فإنما يقول أوسعوا لى. ودفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب، وكان يقول: أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت. وقال هو وغيره: إذا اشتهيت أن

تحدث فاسكت، فإذا لم تشته فحدِّث. وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا، فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا، ولذلك قال الثوري: فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد.

وكيف لا تخاف فتنته، وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤).

وقال سهل رحمه الله: العلم كله دنيا، والآخرة منه، والعمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص.

وقال: « الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين، والمخلص على وَجَل حتى يدرى ماذا يختم له به». وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا » وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يُحتاج إليه في طلب الآخرة.

وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم مَن مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه، وكيف يكون من أهل العلم مَن يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به.

وقال صالح بن كيسان البصرى: أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر العالم بالسنة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَن طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** »(١٤٧).

---

(١٤٧) حديث: « من طلب علمًا مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار عن أبي هريرة بلفظ: «من تعلم» وقال: « لا يتعلمه إلا ليصيب » وإسناده صحيح ورجاله رجال البخاري اهـ .

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد، فقال عز وجل فى علماء الدنيا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

وقال تعالى فى علماء الآخرة: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩٩).

وقال بعض السلف: العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء، والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه.

وروى أبو الدرداء ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: « **أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياى يخادعون وبى يستهزئون، لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيراناً** » (١٤٨).

= **قال مرتضى**: وقد رواه كذلك الإمام أحمد والحاكم والبيهقى، وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى سعيد رفعه: «من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام» **قال العراقى**: وفى الباب عن ابن عمر رواه الترمذى وابن ماجه وقول المنذرى فى مختصر السنن: إن الترمذى روى حديث أبى هريرة وهو إنما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف اهـ. قلت: الذى عن ابن عمر فى هذا المعنى: من تعلم علمًا لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذى وقال: حسن غريب، ولعل هذا الحديث الذى أشار له العراقى.

(١٤٨) حديث: «أوحى الله إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ...» إلخ **قال العراقى**: رواه ابن عبد البر فى العلم بإسناد ضعيف فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى قال البخارى: تركوه، وقال يحيى بن معين: ليس بشىء، وقال النسائى والدارقطنى: متروك اهـ.

قال مرتضى: هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص أبو عمرو المدنى ويقال له المالكى أيضًا نسبة إلى جده الأعلى أبى وقاص مالك، مات فى خلافة الرشيد، روى=

وروى الضحاك عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علمًا فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعًا، ولم يشتر به ثمنًا، فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض و الكرام الكاتبون، يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدًا شريفًا حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علمًا فى الدنيا فضنّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعًا واشترى به ثمنًا، فذلك يأتى يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار ينادى مناد على رءوس الخلائق: هذا فلان بن فلان آتاه الله علمًا فى الدنيا فضنّ به على عباده وأخذ به طمعًا واشترى به ثمنًا، فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس» (١٤٩).

= عن عمة أبيه عائشة وابن أبى مليكة والزهرى ومحمد الباقر ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم، وعنه يونس بن بكر الشيبانى وحجاج بن نصر والهذيل بن إبراهيم الحمانى وإسماعيل بن أبان الوراق وصالح بن مالك الخوارزمى ومحمد بن يعلى بن زنبور وأبو عمر الدورى ويحيى بن بشر الحريرى وآخرون، روى له الترمذى حديثًا واحدًا فى ذكر ورقة بن نوفل ، قال البخارى فى التاريخ: سكتوا عنه ، وجده عمر بن سعد من رجال النسائى نزيل الكوفة صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان أميرًا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن على . قال العراقى: وفى الباب عن أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد نحوه دون ذكر كونه وحيًا إلى بعض الأنبياء، وعن أنس رواه الطبرانى فى الكبير بلفظ آخر مختصرًا، وكلاهما ضعيف اهـ. قلت : وجدت هذا الحديث فى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه، ولفظه: حدثنا عبد الله حدثنا على حدثنا حسين حدثنا عبد الله ابن المبارك أخبرنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله عزوجل فيما يعتب به أحبار بنى إسرائيل : « تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب، وتنقون القذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فبعزتى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم » وأخرجه الخطيب فى الاقتضاء فقال : أخبرنا الحسن بن على الجوهرى حدثنا محمد بن العباس الخراز حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا الحسين بن الحسن المروزى أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء .

(١٤٩) حديث : « علماء هذه الأمة رجلان . . . إلخ » قال العراقى : رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره إلا أنه قال : « فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير فى جو السماء » ولم يقل : « والكرام الكاتبون» وقال : « فبخل » وقال: « فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال : « هذا الذى آتاه الله علما فبخل به » وقال: « كذلك حتى يفرغ من الحساب » وعبد الله بن خراش ابن حوشب متفق على ضعفه وشهر بن حوشب مختلف فيه ،=

وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثنى موسى صفى الله، حدثنى موسى نجى الله، حدثنى موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله، ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرًا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود، فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلانًا ؟ قال: نعم، هو هذا الخنزير، فقال موسى: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بمَ أصابه هذا، فأوحى الله عز وجل إليه: لو دعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به، لأنه كان يطلب الدنيا بالدين.

وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفًا ومرفوعًا فى رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، وفى الكلام تنميق وزيادة، ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفى الصمت سلامة وعلم**» (١٥٠).

ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الأول من النار، ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان إن رُد عليه شىء من علمه أو تهاون

= وذكر المصنف أنه من رواية الضحاك عن ابن عباس والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه، وقال الطبرانى بعد تخريجه: لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبد الله بن خراش ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد اهـ . قلت: وقد علمت أن المصنف تبع فى قوله هذا صاحب القوت فلعله وقع له طريق إلى ابن عباس غير الذى أشار إليه الطبرانى لكونه ثقة، والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالى أبو القاسم الخراسانى روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى سعيد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، وقد تُكلم فى سماعه من ابن عباس بل من الصحابة وروى أيضًا عن الأسود بن يزيد النخعى وعطاء وأبى الأحوص والنزال بن سبرة وعبد الرحمن ابن عوسجة، وعنه جويبر بن سعيد وسلمة بن نبيط وعبد العزيز بن أبى رواد وإسماعيل بن أبى خالد وعمارة بن أبى حفصة وأبو حباب الكلبى ومقاتل بن حيان وجماعة ، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحدًا من الصحابة ومن زعم أنه لقى ابن عباس فقد وهم، وقال ابن عدى: عُرف بالتفسير، وأما رواياته عن ابن عباس وأبى هريرة ففيها نظر ، مات سنة ست ومائة .

(١٥٠) حديث : « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفى الصمت سلامة وعلم» ، كذا فى النسخ ومثله فى القوت ، وقد أصلح العراقى فى نسخته التى قرأها عليه ولده وقال : «سلامة وغنم » .

بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار، ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وَعَظَ عنف، وإن وُعِظَ أنِفَ، فذلك في الدرك السابع من النار، فعليك يا أخي بالصمت فيه تغلب الشيطان، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب.

وفي خبر آخر: « **إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند الله جناح بعوضة** » (١٥١).

وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز، وقال: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له.

وعن جابر ﷺ موقوفًا ومرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى**

---

(١٥١) حديث : « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي : لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ، وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه : « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » اهـ.

قال مرتضى : قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث : « إن من العلم كهيئة المكنون » ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلي أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة » .

الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة» (١٥٢).

---

(١٥٢) حديث : « لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالمًا يدعوكم من خمس إلى خمس . . . »

قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبي الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا مع كل عالم » فذكره ، العداوة ثم الكبر على الرياء ، وآخرها : « من الرغبة إلى الرهبة » وعباد بن كثير البصري نزيل مكة كان رجلا صالحًا ولكنه متروك، قاله النسائي وغيره ، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد ، قال صاحب الميزان: منكر الحديث » ثم قال : لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ .

قال مرتضى : نص أبي نعيم في الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال حدثنا علي بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخي حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو بن حجر ورواه أيضًا أحمد ابن عبد الله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي حدثنا أحمد بن نصر الأعمشي البخاري حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد الأنصاري حدثنا أحمد ابن عبد الله حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله ، رواه يحيي بن خالد المهلبي عن شقيق فخالفهما، حدثناه أبو سعد الإدريسي حدثنا محمد بن الفضل القاضي بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسي ببلخ حدثنا يحيي بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبيﷺ مثله، وفي هذا الحديث كلام كان شقيق كثيرًا ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه . انتهى . كلام أبي نعيم، ثم قلت : قال الحافظ السيوطي نقلا عن اللسان : أحمد بن عبد الله هو الجويباري أحد الكذابين، ثم قال العراقي ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبي نعيم المذكور اهـ .

قال مرتضى: وقد وجدت لهذا الحديث طريقًا آخر قال السيوطي: قال ابن النجار في تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجي عن أبي الرجاء أحمد بن محمد الكسائي قال : كتب إليّ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي حدثني أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويبي حدثنا أبو بكر عمر بن يمني بن عيسى الخويبي، أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويبي حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادي حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزي حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخي أخبرنا عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر مرفوعا : « لا تقعدوا مع كل ذي علم إلا إلى عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ومن الغنى إلى التقلل » ووجدت له طريقًا آخر من طريق أهل البيت قال السيوطي : وقال العسكري في المواعظ : حدثنا الحسن بن علي بن عاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال=

بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار، ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وَعَظَ عنف، وإن وُعِظَ أنِفَ، فذلك في الدرك السابع من النار، فعليك يا أخي بالصمت فيه تغلب الشيطان، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب.

وفي خبر آخر: « **إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند الله جناح بعوضة** » (١٥١).

وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز، وقال: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له.

وعن جابر رضي الله عنه موقوفًا ومرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى**

---

(١٥١) حديث: « إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقي**: لم أجد له أصلا بهذا اللفظ، وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه: « ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » اهـ.

قال مرتضى: قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث: « إن من العلم كهيئة المكنون » ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلي أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة » .

الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة» (١٥٢).

---

(١٥٢) حديث : « لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالمًا يدعوكم من خمس إلى خمس . . . »

قال العراقى : رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبى الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا مع كل عالم » فذكره ، العداوة ثم الكبر على الرياء ، وآخرها : « من الرغبة إلى الرهبة » وعباد بن كثير البصرى نزيل مكة كان رجلا صالحًا ولكنه متروك، قاله النسائى وغيره ، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد ، قال صاحب الميزان: منكر الحديث » ثم قال : لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ .

قال مرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن على بن أبى بلال حدثنا على بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخى حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو بن حجر ورواه أيضًا أحمد ابن عبد الله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الإدريسى حدثنا أحمد بن نصر الأعمشى البخارى حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد الأنصارى حدثنا أحمد ابن عبد الله حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله ، رواه يحيى بن خالد المهلبى عن شقيق فخالفهما، حدثناه أبو سعد الإدريسى حدثنا محمد بن الفضل القاضى بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسى ببلخ حدثنا يحيى بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبى ﷺ مثله، وفى هذا الحديث كلام كان شقيق كثيرًا ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه . انتهى . كلام أبى نعيم، ثم قلت : قال الحافظ السيوطى نقلا عن اللسان : أحمد بن عبد الله هو الجويبارى أحد الكذابين، ثم قال العراقى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبى نعيم المذكور اهـ .

قال مرتضى: وقد وجدت لهذا الحديث طريقًا آخر قال السيوطى: قال ابن النجار فى تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجى عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال : كتب إلىَّ أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازى حدثنى أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويبى حدثنا أبو بكر عمر بن يمنى بن عيسى الخويبى أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويبى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادى حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزى حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخى أخبرنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر مرفوعا : « لا تقعدوا مع كل ذى علم إلا إلى عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الكبر إلى التواضع ومن العداوة إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ومن الغنى إلى التقلل » ووجدت له طريقًا آخر من طريق أهل البيت قال السيوطى : وقال العسكرى فى المواعظ : حدثنا الحسن بن على بن غاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : قال=

قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ (القصص: ٧٩، ٨٠).

فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا.

ومنها ألا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به.

قال الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣).

وقال تعالى فى قصة شعيب: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ (هود: ٨٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ (المائدة: ١٠٨).

وقال تعالى لعيسى عليه السلام: « يا ابن مريم، عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحى منى».

وقال رسول الله ﷺ: « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم ؟ فقال: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه» (١٥٣).

= رسول الله ﷺ : « لا تقعد إلا إلى عالم يدعوك من الخمس إلى الخمس: من الرغبة إلى الزهد ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكبر إلى التواضع ومن المداهنة إلى المناصحة ومن الجهل إلى العلم » اهـ. فبهذه الطرق يتقوّى جانب الرفع فى حديث شقيق .

(١٥٣) حديث : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم ؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه » **قال العراقى** : أخرجه ابن حبان فى صحيحه من رواية مالك بن دينار عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة =

وقـال ﷺ : « هلاك أمتى عالم فـاجر وعابد جاهل، وشر الشرار شرار الـعلماء وخير الخيار خيار العلماء » (١٥٤).

= أسرى بى رجـالا تُقرض شـفاههم بمقـاريض من نار، فقلت : من هؤلاء يا جـبريل ؟ فـقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير وينسـون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون» قال ابن حبـان: رواه أبو عتاب الدلال عن هشام عن المـغيرة عن مالك بن دينار عن ثمـامة عن أنس ، قال: ووهم فـيه لأن يزيد بن زريع أتقن من مـائتين من مثل ابن عـتاب وذويـه، قـال العـراقى : طريق ابن عتاب هذه رواهـا أبو نعيم فى الحلية وأبو عتـاب احتج به مسلم ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد . ا هـ .

قـال مـرتضى : نص أبى نعيم فى الحلية حدثنا محمـد بن أحمد بن الحسن حدثنا إبراهيم بن هشام حدثنا محمـد بن المنهال حدثنا هشام الدستوائى عن المغيـرة بن حبيب عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسرى بى إلى السماء فإذا أنا برجال تقرض ألسنتهـم وشفاههم بمقاريض، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبـريل ؟ قال: هم خطباء من أمتك » تفرد به يزيد بن زريع عن هشام ورواه أبو عتاب سهل بن حماد عن هشام عن المغيرة عن مالك عن ثمامة عن أنس بن مـالك كذلك رواه صدقة عن مالك حدثنا محـمد بن أحمد بن على ابن مخلد حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة بن موسى عن مالك ابن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفـاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت ، قلت: من هؤلاء يـا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلـون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون » . اهـ . قلت: وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن إبراهيم عن صدقة والحسـن بن أبى جعفر قالا: حدثنا مالك ابن دينار عن ثمامـة فذكره، وأخرج فى ترجـمة إبراهيم بن أدهم الزاهد فقال : حـدثنا أبو نصر النيسابورى حدثنا إبراهيم أبو الحسن حدثنا محمد بن سهل العطار حدثنا أحمد بن سفيان النسائى حدثنا ابن مـصفى حدثنا إبراهيم بن أدهم حـدثنا مالك بن دينار عن أنس قال : قـال رسول الله ﷺ . . . فساقه بمثل سياق ابن حبان ، وقال : مشهور من حديث مالك عن أنس، غريب من حـديث إبراهيم عنه، ثم قال العـراقى : وللحديث طرق أخرى أحدها مـن رواية حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رواه أحـمد والبـزار، والثانى من رواية عـيسى بن يونس عن سليـمان التيمى عن أنس رواه الطبـرانى فى الأوسط بإسناد صحيح، والثالث من رواية عمـر بن نبهان عن قتـادة عن أنس رواه البـزار اهـ. قلت : ورواه أيضًا الإمـام أحمـد وعبـد بن حميـد فى مسنديهـما وأبو داود الطيالسى وسعيـد بن منصور وأبو يعلى، والفاظ كلهم مـتقاربه ففى بعـضها «مررت ليلة أسرى بى على قوم » وفيهـا : « قال: خطباء من أهل الدنيا » و«يأمرون الناس بالبر» بدل « الخير » والباقى سواء .

(١٥٤) حديث : « هلاك أمتى عـالم فاجر وعابد جاهل، وشـر الشرار شرار العلماء، وخيـر الخيار خيار العلماء » قال العراقى : أما أول الحديث فلم أجد له أصلا ، وأما آخره فرواه الدارمى فى=

وقال الأوزاعى رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: بلغنى أن الفسقة من العلماء يُبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. وقال أبو الدرداء ﷺ: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال الشعبى: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله. وقال حاتم الأصم رحمه الله: «ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علَّم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به؛ ففازوا بسببه وهلك هو». وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحتَ متهمًا إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر:

لا تنه عن خُلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

= مسنده من رواية بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبى ﷺ عن الشر، فقال: « لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير »، يقولها ثلاثًا ، ثم قال : « ألا إن شر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء » ، وهذا مرسل ضعيف، فبقية مدلس ، وقد رواه بالعنعنة، والأحوص ضعفه ابن معين والنسائى وأبوه تابعى لا بأس به اهـ.

قال مرتضى : ومن الشواهد للجملة الأولى ما أورده صاحب القوت : وروينا عن عمر وغيره : « كم من عالم فاجر وعابد جاهل، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين » وأخرج أبو نعيم فى ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ قال : تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت : يا رسول الله أرنا شر الناس، فقال: «سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر ، شرار الناس شرار العلماء فى الناس » ويروى معضلا من طريق سفيان عن مالك بن مغول قال : قيل: يا رسول الله فأى الناس شر؟ قال : « اللهم غفرا » ، قالوا : أخبرنا يا رسول الله ، قال : « العلماء إذا فسدوا » .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه: اقلبنى تعتبر، فقلبته فإذا عليه مكتوب: « أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم. وقال ابن السماك رحمه الله: « كم من مذكِّر بالله ناس لله، وكم من مخوِّف بالله جرىء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فارّ من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحن، ولحنا فى أعمالنا فلم نعرب. وقال الأوزاعى: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع.

وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: كنا ندرس العلم فى مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « **تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا** » (١٥٥).

---

(١٥٥) حديث : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا » **قال العراقى** : ذكره ابن عبد البر فى بيان العلم هكذا من غير أن يصل إسناده وقد روى من حديث معاذ وابن عمر وأنس ، أما حديث معاذ فرواه الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحى عن يزيد بن يزيد بن جابر عن أبيه عن معاذ عن النبى ﷺ فذكر مثله، وأخرجه أيضًا من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبى عن يزيد بن يزيد بلفظ « فلن ينفعكم» مكان «يأجركم» وهكذا رواه ابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية ثم قال:وقد رواه الدارمى فى مسنده وابن المبارك فى الزهد والرقائق موقوفا على معاذ بإسناد صحيح.ا هـ .

قال مرتضى : الذى فى الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن إسحق حدثنا الحسين بن الحسن حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن يزيد ابن جابر قال : قال معاذ : قال : « اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا» قال الشيخ : رفعه حمزة النصيبى عن ابن جابر عن أبيه عن معاذ ثم ساق سنده إليه كسياق الخطيب ، ثم **قال العراقى** : وأما حديث ابن عمر فرواه الدارقطنى فى غرائب مالك ومن طريقه الخطيب فى « أسماء الرواة عن مالك » بسند فيه محمد بن روح وهو ضعيف ولا يصح هذا عن مالك ، وأما حديث أنس فروى عنه مرفوعا وموقوفًا ، رواه ابن عبد البر فى العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفا قال: وهو أولى من رواية من رواه مرفوعا قال : وعباد متفق على تركه اهـ. **قال مرتضى**: وقد أخرج ابن عساكر فى التاريخ عن أبى الدرداء أشار له السيوطى وسياقه كسياق الخطيب، ورواه الحسن بن الأخرم المدينى فى أماليه عن أنس أشار له السيوطى وسياقه كسياق الخطيب، وأخرج الخطيب فى الاقتضاء من طريق وكيع عن جعفر بن=

وقال عيسى عليه السلام: مَثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت. فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الأشهاد.

وقال معاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته. وقال عمر ﷺ: إذا زل العالِم زل بزلته عالَم من الخلق. وقال عمر ﷺ: ثلاث بهن ينهدم الزمان: إحداهن زلة العالم. وقال ابن مسعود: سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب، فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه، فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلب الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم، فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب، فوالله الذى لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلِّمين علموا لغير الله تعالى والمتعلِّمين تعلموا لغير الله تعالى.

وفى التوراة والإنجيل مكتوب: « لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم».

وقال حذيفة ﷺ: إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا. وذلك لكثرة البطالين.

واعلم أن مثل العالم مثل القاضى، وقد قال ﷺ: « **القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار** » (١٥٦).

= برقان عن فرات بن سليمان عن أبى الدرداء قال : « إنك لن تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا ولن تكون متعلمًا حتى تكون بما علمت عاملا » وأخرج من طريق هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء : « لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملا » .

(١٥٦) حديث : « القضاة ثلاثة : قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك فى الجنة ، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو فى النار ، وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار » قال=

وقال كعب رحمه الله: يكون في آخر الزمان علماء يزهِّدون الناس في الدنيا ولا يزهَدون، ويخوِّفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، يأكلون بألسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.

وقال ﷺ: « إن الشيطان ربما يسوقكم بالعلم» ؛ فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال ﷺ: « يقول: اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم، فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوِّفًا

= المناوى : قال فى المطامح : هذا تقسيم بحسب الوجود لا بحسب الحكم ، ومعروف أن مرتبة القضاء شريفة ، ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق ، وحكم على عِلم بغير هوى وقليل ما هم ، وقيل معناه : من كان الغالب على أقضيته العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة ، ومن غلب على أحكامه الجور والميل إلى أحدهما فله النار ، والحاصل أنه فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين فى تحصيل رتب الكمال . قالوا : والمفتى أقرب إلى السلامة من القاضى لأنه لا يلزم بفتواه ، والقاضى يلزم بقوله ؛ فخطره أشد ، فيتعين على كل من ابتلى بالقضاء أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جُنة اهـ. قال العراقى : رواه بريدة بن الخصيب وعبد الله بن عمر، أما حديث بريدة فرواه أبو داود والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية ابن بريدة عن أبيه عن النبى ﷺ قال : «القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة: رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذلك فى النار ، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار ، وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة » لفظ رواية الترمذى ورجالها رجال الصحيح ، وإسناد النسائى وابن ماجه أيضًا صحيح اهـ. قلت: ورواه الحاكم كذلك وصححه ، قال الذهبى: والعهدة عليه ، ولفظ الحاكم : « القضاة ثلاثة : اثنان فى النار وواحد فى الجنة: رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار» قال العراقى: وابن بريدة الذى لم يسم فى روايتهم هو عبد الله بن بريدة كما ذكره ابن عساكر والمزنى كلاهما فى الأطراف، ثم قال : وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر ، رفعه : « القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار وقاض فى الجنة: قاض قضى بالهوى فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم فهو فى النار وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة » وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح .

قال مرتضى : وكذا رواه أبو يعلى فى معجمه ، وقال الهيثمى : رجاله ثقات، وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزءاً .

حتى يموت وما عمل » (١٥٧) .

وقال سرى السقطى: اعتزل رجل للتعبد، كان حريصًا على طلب علم الظاهر، فسألته فقال: رأيت فى النوم قائلا يقول لى: إلى كم تضيع العلم ضيعك الله ؟ فقلت: إنى لأحفظه، فقال: حفظ العلم العمل به، فتركت الطلب وأقبلت على العمل. وقال ابن مسعود ﷺ: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية. وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية. وقال مالك رحمه الله: إن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن إذا صحّت فيه النية، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فلا تؤثرون عليه شيئًا. وقال ابن مسعود ﷺ: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا، وسيأتى قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذى لا يعمل كالمريض الذى يصف الدواء وكالجائع الذى يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها.

وفى مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٨).

وفى الخبر: « **إنما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال منافق فى القرآن**» (١٥٨) .

---

(١٥٧) حديث : « إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم . . . » هكذا فى نسخ الكتاب التى بأيدينا وفى نسخة بخط الكمال الدميرى : «ربما سبقكم » بلفظ الماضى، وهو هكذا فى نص القوت وعوارف المعارف ، ووجدت فى نسخة المغنى للحافظ العراقى التى قرئت عليه وعليها خطه : « ربما يسبعكم » بالعين المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى .

(١٥٨) حديث : « مما أخاف على أمتى زلة العالم وجدال منافق فى القرآن » **قال العراقى** : فيه عن أبى الدرداء ومعاذ وعمر وعلى وعمران بن الحصين، أما حديث أبى الدرداء فرواه الطبرانى من رواية أبى إدريس الخولانى عنه رفعه : « أخاف على أمتى ثلاثا: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر » ، وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى فى معجميه الصغير والأوسط من رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى عنه رفعه : « إنى أخاف عليكم ثلاثًا وهن كائنات: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم » ورواه فى الأوسط من رواية عمرو بن مرة عن معاذ رفعه : « إياكم وثلاثة : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن . . . » الحديث ثم فسرها ، وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ ،وذكره الدارقطنى فى العلل من رواية عبد الله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال :« إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث : جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم » وأعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية براويه المذكور قال الدارقطنى: وقد=

ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع فى الآخرة المرغب فى الطاعات مجتنبًا للعلوم التى يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال، فمثال من يعرض عن علم الأعمال

= وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعنى على معاذ، قال: والوقف هو الصحيح، وأما حديث عمر فرواه أحمد من رواية أبى عثمان النهدى عنه بلفظ « إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان » وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفا على عمر قال الدارقطني والموقوف أشبه بالصواب ، قلت حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعًا بلفظ : « إنما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور » ورواه إسحق بن راهوية، والحرث بن أبى أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة أن وفدًا أقدموا على عمر فقال لإذنه، فساق الحديث وهو طويل وفى آخره « ثم قال عمر عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان » واللفظ لمسدد ثم رواه مسدد موقوفا من طريق أبى عثمان النهدى: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول وهو على المنبر، منبر رسول الله ﷺ ، أكثر من أصابعى هذه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم ، قال : وكيف يكون المنافق عليمًا يا أمير المؤمنين ؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب. وقال حماد : وقال ميمون : الكردى عن أبى عثمان عن عمر نحوه ، وروى إسحق فى مسنده من رواية حماد عن أبى سويد عن الحسن قال : لما قدم أهل البصرة على عمر فيهم الأحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده ثم قال :أتدرى لم حبستك إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عالم اللسان، وإنى أتخوف أن تكون منهم وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك ، ثم قال **العراقى:** وأما حديث على رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من رواية الحارث الأعور عنه رفعه: «إنى لا أتخوف على أمتى مؤمنا ولا مشركا، أما المؤمن فيحجزه إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره ، ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» قال: لا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، والحارث الأعور ضعيف .

قال مرتضى : لكن وثقه ابن حبان وكذلك رواه إسحق بن راهويه فى مسنده بسند ضعيف لجهالة التابعى ورواه أيضًا من طريق إسحق الفروى وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال : قال رجل بالمدينة فى حلقة : « أيكم يحدثنى عن رسول الله ﷺ حديثًا ؟ فقال على : أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول . . قد ذكره ، وفيه: « ولكن رجلا بينهما يقرأ القرآن حتى إذا دلق به يتأوله على غير تأويله، فقال ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضلّ وأضل» ثم **قال العراقى :** وأما حديث عمران بن حصين رواه أحمد وابن حبان من رواية عبد الله بن بريدة عنه رفعه بلفظ : «أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » اللفظ لأحمد وقال ابن حبان : « جدال منافق عليم اللسان » وذكر الدارقطنى فى العلل أنه رواه عن معاذ بن معاذ عن حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران رفعه، قال : ووهم فيه، قال: ورواه عبد الوهاب بن عطاء وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين عن ابن بريدة عن عمر وهو الصواب فى قصة طويلة ، **قال العراقى :** وهو عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل رواية معاذ اهـ. قلت : تقدم رواية ابن بريدة عن عمر ، وهكذا رواه إسحق بن راهويه والحارث ومسدد .

ويشتـغل بالجدال مثل رجل مـريض به علل كثيـرة، وقد صادف طبيـبًا حاذقًـا فى وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصيـة العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذى هو مؤاخذ به وذلك محض السفه.

وقد روي أن رجلا جاء رسول الله ﷺ « **فقال: علِّمنى من غرائب العلم، فقال له: « ما صنعت فى رأس العلم » ؟ فـقال: وما رأس الـعلم ؟ قال ﷺ : « هل عرفت الـرب تعالى » ؟ قال: نعم، قال: « فما صنعت فى حقه» ؟ قال: ما شاء الله، فقال ﷺ : « هل عرفت الموت »؟ قال: نعم، قـال: « فما أعددت له »؟ قـال: ما شاء الله، قال ﷺ : « اذهب فـأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم »** (١٥٩).

---

(١٥٩) حديث : « علمنـى من غرائب العلم فقـال له :ما صنعت فى رأس العلم ؟ قـال :وما رأس العلم ؟ فقال له ﷺ : هل عرفت الرب سـبحانه قال : نعم، قال : فما صنعت فى مـعرفته؟ قال: ما شاء الله، قال : هل عرفت الموت؟ قال : نعم ، قال : فما أعددت له ؟ قال : ما شاء الله، قال : اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم » .

قال العـراقى : رواه أبو بكر بن السنى وأبو نعيم كل واحد فى كتـابه رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى بيان العلم من رواية خالد بن أبى كـريمة عن عبد الله بن المسور قال: جاء رجل إلـى النبى ﷺ فقـال : يا رسول الله أتيـتك لتعلمنى من غـرائب العلم . . «ذكره» وهو مرسل ضعيف جدا، قال ابن أبى حاتم : عـبد الله بن مسور بن عبد الله بن عون ابن جعفـر بن أبى طالب الهاشمى المـدائنى سألت أبى عنه فقال : الهـاشميون لا يعـرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل فى أحاديث الثقات ، وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه موضوعة ، كان يضع الحديث ويكذب .

قال مرتضى : وفى الديوان للذهبى: عبد الله بن مساور تابعى مجهول ، وأما الراوى عنه خالد ابن أبى كريمـة فمن رجال النسـائى وابن ماجه وُثق وقـال أبو حاتم : ليس بالقـوى ، ثم إنه قد يكون المراد بغرائب العلم الأحاديث الغرائب التى لا خيـر فى روايتها ، وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهيـة الاشتغال بها وذهاب الأوقـات فى طلبها ؛ فقد أخـرج الخطيب فى مناقب شرف أصحـاب الحديث له من طريق مـحمد بن جـابر عن الأعمش عن إبراهيم قـال : كانوا يكرهون غريب الكلام وغـريب الحديث ، وأخـرج من طريق بشر بن الوليـد ، قال: سمـعت أبا يوسف يقول : لا تكثروا من الحديث الغريب الذى لا يجىء به الفقهاء وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. وأخرج من طريق المـروزى قال: سمـعت أحمد بن حنبل يـقول : تركوا الحـديث وأقبلوا على الغرائب، ما أقـل الفقه فيهم . فـعلم من ذلك أن السؤال فى غرائب الكلام والحـديث مذموم ، والمدار على معرفة رأس العلم الذى هو معرفة الله سبحانه .

بل ينبغى أن يكون المتعلم من جنس ما رُوي عن حـاتم الأصم تلميذ شقيق البلخى ﷺ أنه قال له شـقيق: منذ كم صحبـتنى ؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة، قال: فـما تعلمت منى فى هذه المدة ؟ قال: ثمانى مسائل، قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمرى معك ولم تتـعلم إلا ثمانى مسائل، قـال: يا أستاذ لم أتعلم غيـرها، وإنى لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثمـانى مسائل حتى أسمعها، قـال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبًا فـهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فـارقه، فجعلت الحسنات محبوبى فـإذا دخلت القبر دخل محبوبى معـى ؛ فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثـانية ؟ فقال: نظرت فى قول الله عز وجل:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات: ٤٠).

فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق، فأجـهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الـله تعالى، **الثالـثة**: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معـه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عزوجل:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل: ٩٦).

فكلما وقع معى شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظًا، **الرابعة**: أنى نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كـل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحـسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هى لا شيء ثم نظرت إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

فعملت فى التقوى حتى أكون عند الله كريمًا، **الخامسة**: أنى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويـلعن بعضهم بعضًا وأصل هذا كله الحـسد، ثم نظرت إلى قول الله عزوجل:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الزخرف: ٣٢).

فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى، **السادسة**: نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا فرجعت إلى قول الله عزوجل:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (فاطر: ٦).

فعاديته وحده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره، **السابعة**: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦).

فعلمت أنى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علىَّ وتركت ما لى عنده، **الثامنه**: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق: هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق: ٣).

توكلت على الله عز وجل فهو حسبى. قال شقيق: يا حاتم، وفقك الله تعالى فإنى نظرت فى علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمانى مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة، فهذا الفن من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام.

وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع، وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام.

ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه فى المطعم والمشرب، والتنعم فى الملبس، والتجمل فى الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل فى جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه، ويشهد لذلك ما حكى عن أبى عبد الله الخواص، وكان من أصحاب حاتم الأصم قال: دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات، وليس معهم جراب ولا طعام ؛ فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة ؛ فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل ؟ قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضًا أجيء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرًا يقول: باب عالم على هذه الحالة ! ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة، وإذا بزة وستور، فبقى حاتم متفكرًا، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس ؛ فقال: لعل لك حاجة، فقال: نعم، قال: وما هى ؟ قال: مسألة أسألك عنها، قال: سل، قال: قم فاستو جالسًا حتى أسألك؛ فاستوى جالسًا، قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته، فقال: من الثقات حدثونى به، قال: عمن ؟ قال: من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: وأصحاب رسول الله عمن ؟ قال: رسول الله ﷺ : قال: ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل، قال حاتم: ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأصحابه إلى الثقات إليك هل سمعت فيه: من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر ؟ قال: لا ، قال: فكيف سمعت ؟ قال: سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة، قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت؟ أبالنبى ﷺ وأصحابه ﷺ والصالحين رحمهم الله، أم بفرعون ونمروذ أول مَن بنى بالجص

والآجر؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شراً منه؟ وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً. وبلغ أهل الرأى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعاً منه، فسار حاتم متعمداً فدخل عليه، فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى، كيف أتوضأ للصلاة ؟ قال: نعم وكرامة، يا غلام هات إناء فيه ماء، فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: هكذا فتوضأ، فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعًا أربعًا فقال الطنافسى: يا هذا أسرفت، قال له حاتم: فى ماذا ؟ قال: غسلت ذراعيك أربعًا، فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم، أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف ؟ فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يومًا. فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته، قال: معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى: أفرح إذا أصاب خصمى، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل، فقال: سبحان الله، ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن، ما السلامة من الدنيا ؟ قال: يا أبا عبد الله، لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك منهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيسًا ؛ فإذا كنت هكذا سلمت، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة، فقال: يا قوم أية مدينة هذه ؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ، قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه ؟ قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه ﷺ؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض، قال حاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا: هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون، قال الوالى: ولِمَ ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل علىّ أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه ؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: فأين قصره، وقصّ القصة، ثم قال: وقد قال الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر ؟ فخلوا عنه وتركوه.

فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى، وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه، والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هى محظورة، والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض فى الدنيا لا يسلم منها ألبتة، ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ فى ترك الدنيا، « **حتى نزع القميص المطرز بالعلم** » (١٦٠)، « **ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة** » (١٦١)، إلى غير ذلك مما سيأتى

---

(١٦٠) حديث : « نزع القميص المطرز بالعلم » أى المعلم، **قال العراقى** : المعروف نزعه للخميصة المعلّمة اهـ .

وقال مرتضى : إطلاق القميص على الخميصة مجاز فإن القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالبًا، والخميصة كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلمًا فليس بخميصة كما قاله الجوهرى وكانت من لباس الناس قديمًا ، **قال العراقى** : وحديث الخميصة أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية الزهرى عن عائشة ﵂ قالت: صلى رسول الله ﷺ فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما سلم قال : « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم بن حذيفة » لفظ البخارى . اهـ .

وقال مرتضى : رويناه فى أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به.

(١٦١) حديث : « ونزع الخاتم الذهب ونبذه فى أثناء الخطبة » **قال العراقى** : رواه ابن عمر وابن عباس، أما حديث ابن عمر فأخرجه الأئمة الستة إلا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائى من رواية الليث ورواه البخارى من رواية جويرية ومسلم والترمذى من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى ﷺ اصطنع خاتمًا من ذهب وجعل فصه فى بطن كفه إذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب فرقى المنبر فحمد =

بيانه، وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين، من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس، أما بعد.. فقد بلغنى أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبًا وقد جلست مجلس العلم وقد ضُربت إليك المطى وارتحل إليك الناس واتخذوك إمامًا ورضوا بقولك، فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة منى كتابًا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام. فكتب إليه مالك: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام الله عليك أما بعد.. فقد وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرًا وأسأل الله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فأما ما ذكرت لى أنى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام.

فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعًا، ومثل مالك فى منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضًا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتعريج على التنعم المباح

= الله وأثنى عليه فقال: «إنى كنت اصطنعته وإنى لا ألبسه» فنبذه فنبذ الناس. لفظ رواية البخارى من رواية جويرية عن نافع واتفقا عليه وأبو داود والنسائى من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وكذا رواية مسلم وأبو داود والنسائى من رواية أيوب بن موسى عن نافع والبخارى من طريق مالك والنسائى من رواية إسماعيل بن جعفر كلاهما عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وأما حديث ابن عباس فرواه النسائى من رواية سليمان الشيبانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتمًا فلبسه قال: «شغلنى هذا عنكم منذ اليوم: إليه نظرة وإليكم نظرة» ثم ألقاه.

خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية، وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر.

ومنها أن يكون مستقصيًا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا، بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه، فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدى السلاطين، والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة، ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنًا لهم، أو يتكلف فى كلامه كلامًا لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم، وذلك هو السحت، وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها، وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط، وقد قال ﷺ: «من بدا جفا» يعنى من سكن البادية جفا «ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن» (١٦٢)، وقال ﷺ: «سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد

---

(١٦٢) حديث: «من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن» لأنه إن وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه وإن خالفه فقد خاطر بروحه، وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم فى الدنيا والعقوبة فى العقبى. أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير، ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية، وأبو قرة كلهم من رواية سفيان عن أبى موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس رفعه، ولفظهم كلهم ما عدا الترمذى: «ومن أتى السلطان»، والباقى سواء، ولفظ الترمذى: «ومن أتى أبواب السلطان» وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثورى، وقال سفيان مرة: لا أعلمه إلا عن النبى ﷺ، وقال أبو نعيم فى الحلية: أبو موسى هو اليمانى لا نعرف له اسمًا، وقال الذهبى فى الميزان: شيخ يمانى يجهل، ما روى عنه غير الثورى ولعله إسرائيل بن موسى وإلا فهو مجهول، ونقل المنذرى فى مختصر السنن قال الكرابيسى: حديثه ليس بالقائم، وفى الباب عن أبى هريرة والبراء بن عازب، ولفظ حديث أبى هريرة: «من بدى فقد جفا» والباقى سواء وزاد فى آخره: «وما ازداد أحد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدًا» رواه أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل وابن حبان فى الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعى عن عدى ابن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة وضعفوه كالمنذرى فى مختصر السنن، ولكن حسنه =

بريء، ومن كرهه فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى » ، قيل أفلا نقاتلهم ؟ قال ﷺ : « لا، ما صلوا » (١٦٣) .

وقال سفيان: فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك. وقال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما هى ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه.

= العراقى قال : وقد رواه أبو داود من رواية ابن داسة وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا إلا أنه قال: عن عدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار عن أبى هريرة بلفظ حديث وهب بن منبه عن ابن عباس ، وقد رواه أيضًا أبو يعلى فى مسنده هكذا ، وأما حديث البراء فرواه أحمد مختصرًا من طريق شريك عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عنه رفعه : « من بدا جفا » وذكره الدارقطنى فى العلل فقال : تفرد به شريك واختلف فيه على الحسن بن الحكم فرواه شريك عنه هكذا ، وخالفه إسماعيل بن زكريا فرواه عنه عن عدي بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة كما تقدم ، وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسى فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن شيخ من الأنصار لم يسمه اهـ .

قال مرتضى: وأخرجه العقيلى فى الضعفاء والرويانى وسعيد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة : « ومن تبع الصيد غفل » .

(١٦٣) حديث : « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد بريء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع أبعده الله » قيل: أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا » قال العراقى: أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى من رواية ضبة بن محصن عن أم سلمة عن النبى ﷺ ، واللفظ للترمذى إلا أنه قال: «أئمة» بدل « أمراء» ولم يقل : « أبعده الله » وقال: حسن صحيح، وفى رواية لمسلم : « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد بريء ، ومن أنكر فقد سلم » فذكره دون قوله : «أبعده الله» وفيه: « قالوا يا رسول الله » بدل « قيل » وفى رواية له : « فمن أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم » وفى رواية له : «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف بريء ومن أنكر سلم » اهـ. قال مرتضى : وأخرج ابن أبى شيبة عن عبادة ابن الصامت رفعه : « ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة » وأخرج ابن جرير والطبرانى فى الكبير والحاكم عن عبادة بن الصامت أيضًا ولفظهم : « سيلى أموركم من بعدى رجال يعرفونكم بما تنكرون وينكرون عليكم بما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل » وأخرج ابن ماجه وابن عساكر عن أبى هريرة رفعه : « سيكون بعدى خلفاء يعملون بما لا تعملون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم بريء ومن أمسك يده سلم » .

وقال رسول الله ﷺ : «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١٦٤) رواه أنس.

وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك، فقال: لا تعجلوا، ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق، والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل. ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء

---

(١٦٤) حديث : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله . . . » رواه أبو جعفر العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس عن النبي ﷺ . قال العقيلي : وحفص كوفي حديثه غير محفوظ، قال العراقي : وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق الحاكم ومن طريق أبي نعيم الأصبهاني من رواية إبراهيم بن رستم عن أبي حفص العبدي عن إسماعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله : « ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا » وقال في آخره : « فاحذروهم واخشوهم » اهـ .

قال مرتضى : لفظ الحاكم : « ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان» وفي آخره : « فاعتزلوهم » وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن محمد بن مالك عن إبراهيم بن رستم ، قال العراقي : ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من رواية إبراهيم بن رستم عن عمر ابن حفص العبدي عن إسماعيل بن سميع قال : تابعه محمد بن معاوية النيسابوري عن محمد بن يزيد عن إسماعيل ثم قال : وأما عمر العبدي ، قال يحيى : ليس بشيء ، وقال النسائي : متروك ، وأما إبراهيم بن رستم فقال ابن عدي: ليس بمعروف، ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد: كذاب ، إلى هنا كلام ابن الجوزي. قال العراقي : أما إبراهيم بن رستم فقال فيه عثمان ابن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين : إنه ثقة اهـ. قال السيوطي : الحديث ليس بموضوع وإبراهيم ابن رستم معروف مروزي جليل ، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عن أبي حاتم : يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطئ، وقال الدارقطني: مشهور وليس بالقوي ، وله طريق آخر أخرجه الديلمي من رواية محمد بن النضر،حدثنا محمد بن يزيد بن سابق ، حدثنا نوح بن أبي مريم عن إسماعيل ابن سميع، وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن علي بن أبي طالب مرفوعًا أخرجه العسكري ، وورد موقوفًا على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم في الحلية، وله شاهد نحوه من حديث عمر ابن الخطاب أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثا، وهذا الحديث الذي نحن في الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن، والله أعلم اهـ. قال مرتضى: والموقوف الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية رواه من طريق هشام بن عباد قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : «الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم .

فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا.

وقال رسول الله ﷺ : « **شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء** » (١٦٥).

وقال مكحول الدمشقي رحمه الله: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقًا إليه وطمعًا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه. وقال سمنون: ما أسمج

---

(١٦٥) حديث: وقال ﷺ : « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » **قال العراقي**: لم أره بهذا اللفظ وروى ابن ماجه من رواية أبي معاذ البصري عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في أثناء حديث أوله : «تعوذوا بالله من جب الحزن» إلى أن قال : « وإن أبغض القراء إلى الله الذين يأتون الأمراء » وأول الحديث عند الترمذي دون هذه الزيادة إلا أنه قال : أبو معان بالنون وهو الصحيح ، ثم قال : وروى أبو بكر أحمد بن علي ابن لال الفقيه في كتاب مكارم الأخلاق من رواية عصام بن داود العسقلاني عن بكير بن شهاب الدمغاني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه : « إن أبغض الخلق إلى الله عز وجل العالم يزور العمال » اهـ .

قال مرتضى : وهكذا هو في مسند الفردوس للديلمي وتاريخ قزوين للرافعي ، وأخرجه أبو الفتيان الحافظ في كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ « إن أهون الخلق على الله » وفي هذا المعنى قال حكيم من الحكماء، وسيأتي للمصنف أنه محمد بن مسلمة: الذباب على العذرة أحسن حالا من العالم على باب هؤلاء . وقالوا: نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير ، وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان بن هشام : إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم،فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم في دنياهم وشركوا في فتنتهم» أورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم قال أيضًا بسنده إلى يوسف بن أسباط : أخبرني مخبر أن بعض الأمراء . أرسل إلى أبي حازم فأتاه وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء ،إذا بعث الأمراء إلى العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم ، وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم فكان في ذلك صلاح للعلماء وصلاح للأمراء ، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا : ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء ؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم، وأعطوهم فقبلوا منهم ، فخربت العلماء على الأمراء وخربت الأمراء على العلماء .

بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك، إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافًا مع أنى لا آخذ منه شيئًا ولا أشرب شربة ماء، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم. وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ (قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه) قال: وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم، فقال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم، فقال:

يا بنىّ آتى جيفة قد أحاط بها قوم ! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها، قالوا: يا أبانا إذًا نهلك هزالا، قال: يا بنىّ لأن أموت مؤمنًا مهزولا أحب إلىّ من أن أموت منافقًا سمينًا، قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان. وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان.

وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة، لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئًا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغلوا، فإذا شُغلوا فُقدوا، فإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هربوا.

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن: « أما بعد.. فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى، فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكان أزهد أهل زمانه ؛ فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته، ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين.

ومنها ألا يكون مسارعًا إلى الفُتيا، بل يكون متوقفًا ومحترزًا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقًا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جَلِي أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدرى، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية، هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم، وفي الخبر: « العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى »(١٦٦)، وقال الشعبي: لا أدرى نصف العلم.

(١٦٦) حديث : « العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدرى » هكذا أورده صاحب القوت، **قال العراقي** : أخرجه الدارقطني في غرائب مالك والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر موقوفًا عليه وقد رواه ابن عدى في الكامل في ترجمة أبي حذافة السهمي عن مالك ، قال: وهذا من منكرات أبي حذافة، سرقه من عمر ، **قال العراقي**: ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع وإنما قال: « وفي الخبر » والظاهر أنه أراد هذا فذكر به احتياطا لاحتمال أن يكون روى مرفوعًا . اهـ.

قال مرتضى : المصنف تبع في ذلك صاحب القوت فإنه هو الذى قال : « في الخبر » ثم إن الحديث المذكور رواه أيضًا الديلمي في الفردوس موقوفًا ، وكذلك أبو نعيم والطبراني في الأوسط ، وقال الحافظ ابن حجر : والموقوف حسن الإسناد ، ثم **قال العراقي** : وأول الحديث مرفوع من حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو ورفعه : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة » اهـ. وسكت عليه ، وقد أخرجه أيضًا الحاكم في الرقاق وقد قال الذهبي في المهذب وتبعه الزركشي : فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف ، وقال في المنار : فيه أيضًا عبد الرحمن بن رافع التنوخي في أحاديثه مناكير ، قال=

ومن سكت حيث لا يدرى لله تعالى فليس بأقل أجراً ممن نطق، لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس، فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف ﷺ، كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى هذا الأمير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه. وقال ابن مسعود ﷺ: إن الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال: جُنة العلم لا أدرى، فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس شىء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول: انظروا إلى هذا سكوته أشد علىَّ من كلامه. ووصف بعضهم الأبدال فقال: أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. أى لا يتكلمون حتى يُسألوا، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا، فإن اضطروا أجابوا، وكانوا يعدّون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام. ومر على وعبد الله ﷺ برجل يتكلم على الناس فقال: هذا يقول: اعرفونى. وقال بعضهم: إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه. وكان ابن عمر يقول: تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم. وقال أبو حفص النيسابورى: العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة: من أين أجبت. وكان إبراهيم التيمى إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول: لم تجدوا غيرى حتى احتجتم إلىَّ. وكان أبو العالية الرباحى وإبراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير، فإذا كثروا انصرفوا.

وقال ﷺ: « **ما أدرى أعُزَيرٌ نبىّ أم لا، وما أدرى أتُبَّعٌ ملعون أم لا، وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا** » (١٦٧).

= المناوى : وفى طريق ابن ماجه رشد بن سعد وهو ضعيف، ومن ثم قال ابن رجب : فيه ضعفاء مشهورون .

(١٦٧) حديث : « ما أدرى أعزير نبى أم لا ، وما أدرى أتبع ملعون أم لا ، وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا » أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه إلا أن فيه تقديم «تبع» على «عزير» ولم يذكر أبو داود الجملة الأخيرة ، إنما ذكرها الحاكم فقال: « وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا » ولم يذكر عزيراً ، وزاد : « وما أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا » وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه ، نقله العراقى .
=

ولما سئل رسول الله ﷺ « عن خير البقاع في الأرض وشرها، قال: « لا أدرى »، حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: « لا أدرى »، إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق »(١٦٨)، وكان ابن عمر رضي الله عنه يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن

= قال مرتضى : وبمثل رواية الحاكم رواه البيهقى وابن عساكر، وبمثل رواية أبى داود مع ذكر الجملة الأخيرة رواه ابن عساكر أيضًا كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه إلا أن فى روايتهم : «لعينًا كان أم لا » بدل « ملعون » وتبع الحميرى أوّل من كسا الكعبة ، وذو القرنين اختلف فى اسمه ، وأخبارهما مشهورة فى كتب السير والتواريخ .

(١٦٨) حديث : لما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها، فقال ﷺ : «لا أدرى» حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدرى، إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها السوق. ولفظ الحديث : « الأسواق » وإنما قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شرا منها ليبين أن الدينى يرفعه الأمر الدنيوى ، فكأنه قال: خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية ، فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل: أى البقاع خير؟ فأجاب به وبضده ، قال العراقى : وهذا الحديث رواه ابن عمر وجبير بن مطعم وأنس ، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد عن عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أن رجلا سأل النبى ﷺ : أى البقاع شر؟ قال : « لا أدرى حتى أسأل جبريل»، فسأل جبريل فقال : لا أدرى حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: خير البقاع المساجد وشرها الأسواق . وأما حديث جبير بن مطعم فرواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى من رواية زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله أى البلدان شر؟ قال : « لا أدرى » ، فلما أتاه جبريل قال: يا جبريل أى البلدان شر»؟ ، قال: لا أدرى حتى أسأل ربى عزوجل ، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال : يا محمد إنك سألتنى أى البلدان شر فقلت : لا أدرى وإنى سألت ربى عز وجل أى البلدان شر فقال: أسواقها . لفظ أحمد، وقال أبو يعلى : « فلما جاءه جبريل » ولم يقل « أن يمكث» وقال البزار: « إن رجلا قال: يا رسول الله أى البلدان أحب إلى الله تعالى وأى البلدان أبغض إلى الله تعالى ؟ فقال : «لا أدرى حتى أسأل جبريل»، فأتاه جبريل فأخبره أن أحب البقاع إلى الله عز وجل المساجد وأبغض البلاد إلى الله عز وجل الأسواق . ورواه الطبرانى أيضا من رواية قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل باللفظ الأول إلا أنه قال : «أى البلاد» فى المواضع الأربعة ولم يقل : « يا رسول الله » وقال « فلما أتى جبريل رسول الله ﷺ » ولم يقل : « يا جبريل » ولم يقل : « أن يمكث ». وأما حديث أنس فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عمار بن عمارة الأزدى، قال : حدثنى محمد بن محمد بن عبد الله عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل « أى البقاع خير» ؟ قال : لا أدرى ، قال فسل عن ذلك ربك عز وجل ، قال: فبكى جبريل وقال: يا محمد ولنا أن نسأله هو الذى يخبرنا بما شاء ! فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال:=

واحدة ويسكت عن تسع، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة، وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري، منهم: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحارث، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يُسأل عن حديث أو فتيا إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردّها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول. وروى أن أصحاب الصُّفّة أُهدي إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول، فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبًا والمطلوب مهروبًا منه.

ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روى مسندًا عن بعضهم أنه قال: لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. وقال بعضهم: كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء: الإمامة، والوصية، والوديعة، والفُتيا. وقال بعضهم: كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علمًا، وأشدّهم دفعًا لها أورعهم. وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة: أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله تعالى**» (١٦٩).

= خير البقاع بيوت الله عز وجل في الأرض قال: فأي البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق. وقد روى الحديث أيضًا عن أبي هريرة رواه مسلم في صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله: لا أدري.

(١٦٩) حديث: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث: أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى» هكذا أورده صاحب القوت بلا سند. **وقال العراقي**: رواه الترمذي وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته فذكرته دون قوله: «ثلاث» وقال ابن ماجه: «إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» بالتعريف، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس، **قال العراقي**: وهو ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. =

وقال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء: ١١٤).

ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة فى المنام، فقال: ما رأيت فيما كنت عليه من الفُتيا والرأى ؟ فكره وجهه وأعرض عنه، وقال: ما وجدناه شيئًا وما حمدنا عاقبته. وقال ابن حصين: إن أحدهم ليفتى فى مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر.

فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة. وفى الحديث: « **إذا رأيتم الرجل قد أُوتى صمتًا وزهدًا فاقتربوا منه فإنه يُلقن الحكمة** »(١٧٠) وقيل: العالم إما عالم عامة وهو المفتى، وهم أصحاب السلاطين، أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون. وكان يقال: مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها، ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد. وكانوا يقولون: فلان عالم وفلان متكلم، وفلان أكثر كلامًا، وفلان أكثر عملا. وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام. وقيل: إذا كثر العلم قل الكلام، وإذا كثر الكلام قل العلم.

= قال مرتضى: وأخرجه ابن السنى والطبرانى فى الكبير، وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى فى الأمثال، والحاكم والبيهقى من هذا الطريق ولفظهم: « كلام ابن آدم كله عليه لا له ... ».

(١٧٠) حديث: وفى الخبر: « إذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتًا وزهدا فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة» كذا فى نسخ الكتاب والرواية: «يلقى الحكمة» هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد.
وقال العراقى: رواه ابن ماجه من رواية أبى فروة عن أبى خلاد وكانت له صحبة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ: « قد أعطى زهداً فى الدنيا وقلة منطق »، وأبو فروة تكلم فى سماعه عن أبى خلاد وأشار البخارى فى التاريخ الكبير فقال: أبو فروة عن ابن مريم عن أبى خلاد عن النبى ﷺ، قال: وهذا أصح.

قال مرتضى: وأخرجه كذلك أبو نعيم فى الحلية والبيهقى إلا أن فى رواية أبى نعيم: « إذا رأيتم العبد يعطى » والباقى مثل سياق ابن ماجه والمعنى: من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله، ومن كان هذا وصفه أصاب فى منطقه.

وكتب سلمان إلى أبى الدرداء رضي الله عنه، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ : «**يا أخى بلغنى أنك قعدت طبيبًا تداوى المرضى، فانظر إن كنت طبيبًا فتكلم فإن كلامك شفاء، وإن كنت متطببًا فالله الله لا تقتل مسلمًا. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل**»[(١٧١)].

وكان أنس رضي الله عنه إذا سُئل يقول: سلوا مولانا الحسن. وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول: سلوا حارثة بن زيد. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب. وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثًا فسئل عن تفسيرها فقال: ما عندى إلا ما رويت: فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثًا حديثًا، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه، فأخذ الصحابى كفًا من حصى ورماهم به وقال: تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم !.

ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإن المجاهدة تفضى إلى المشاهدة

---

(١٧١) حديث : يا أخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى، فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطببًا فالله الله لا تقتل مسلمًا ، فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل. هكذا أورده صاحب القوت وقال : كتب سلمان من المدائن إلى أبى الدرداء . . . إلخ . زاد: وسأله إنسان فأجابه ثم قال : ردُّوه ، فقال : أعد علىّ، فأعاد ، فقال : متطبب والله. فرجع فى جوابه، ثم قال صاحب القوت : ولعمرى إنه قد جاء عن رسول الله ﷺ : « من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن » .

قال مرتضى : وهذا الذى ذكره المصنف تبعًا لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة سلمان فقال : حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنى مصعب بن عبد الله حدثنى مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان : هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغنى أنك جُعلت طبيبا فإن كنت تبرئ فنعما لك، وإن كنت متطببا فاحذر أن تقتل إنسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال : متطبب والله ارجعا إلىّ ، أعيدا قصتكما. رواه جرير عن يحيى بن سعيد عن عبد الله ابن ميسرة أن سلمان كتب إليه فذكره ، ثم قال : حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله ابن أحمد حدثنى أبى حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا السرى بن يحيى عن مالك ابن دينار أن سلمان كتب إلى أبى الدرداء : إنه بلغنى أنك أجلست طبيبا تداوى الناس فانظر أن تقتل مسلما فتجب لك النار.

ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب، أما الكتب والتعليم فلا تفى بذلك، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوى الألباب، ولذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » (١٧٢) وفى بعض الكتب السالفة: يا بنى إسرائيل لا تقولوا: العلم فى السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا فى تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به ؛ العلم مجعول فى قلوبكم، تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين، وتخلقوا إلىَّ بأخلاق الصدِّيقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم.

وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ولولا أن إدراك قلب مَن له قلب بالنور

(١٧٢) حديث : « من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه ، قال العراقى : وأورده صاحب القوت بلا سند إلا أنه قال : « بما يعلم » بدل « بما علم » وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أحمد بن أبى الحوارى بسنده إليه قال : التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى بمكة فقال أحمد : حدِّثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى، فقال: يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب ، فقال ابن حنبل : سبحان الله وطولها بلا عجب ، فقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى إليها عالم علمًا ، قال: فقام أحمد بن حنبل ثلاثًا وجلس ثلاثًا وقال : ما سمعت فى الإسلام حكاية أعجب من هذه إلىَّ ، ثم قال أحمد بن حنبل : حدثنى يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس رفعه : « من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم » ، ثم قال لابن أبى الحوار صدقت يا أحمد وصدق شيخك، قال أبو نعيم : ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم فظن بعض الرواة أنه ذكره عن النبى ﷺ ، ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على ، رفعه : « من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى » .

الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك » وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به...»(١٧٣) الحديث. فكم من معانٍ دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه، وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل.

وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضي الله عنه فى حديث طويل : القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من

(١٧٣) حديث : « لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا... الحديث» أى إلى آخر الحديث وهو قوله : « يدًا ومؤيدًا » أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ فى الحلية من حديث أنس وإسناده ضعيف وأخرجه البخارى فى صحيحه وأبو نعيم فى أوّل الحلية وهو أوّل أحاديث الكتاب ، كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة : حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رفعه : « إن الله عز وجل قال : من عادى لى وليًا فقد آذننى بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه » قال الحافظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد الرازى عن ابن كرامة : هذا حديث غريب جداً ،لولا هيبة الجامع الصحيح لعدّ من منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك ، وليس بالحافظ : اهـ. وروى البيهقى فى الزهد من رواية ابن زجر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رفعه قال : « إن الله عزوجل يقول : ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به فإذا دعانى أجبته وإذا سألنى أعطيته وإذا استنصرنى نصرته ، وأحب ما يعبد به عبدى النصح لى » وفى الباب عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما، فحديث عائشة عند البزار وحديث ميمونة عند أبى يعلى .

المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق، والعلم دين يدان به، تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خُزّان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقى الدهر، ثم تنفس الصعداء وقال: هاه إن ههنا علمًا جمًا لو وجدت له حملة، بل أجد طالبًا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقاداً لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة، لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك، أو منهومًا باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات، أو مغرًى بجمع الأموال والادخار منقادًا لهواه، أقرب شبهًا بهم الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهر مكشوفًا وإما خائف مقهور، لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته، وكم وأين أولئك؟ هم الأقلون عددًا الأعظمون قدرًا، أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة، يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها مَن وراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه، وأمناؤه وعماله فى أرضه، والدعاة إلى دينه، ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيرًا هو وصف علماء الآخرة، وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة.

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين.

قال رسول الله ﷺ : « **اليقين الإيمان كله**» (١٧٤) فلابد من تعلم علم اليقين، أعنى أوائله، ثم ينفتح للقلب طريقه.

---

(١٧٤) حديث : « اليقين الإيمان كله» **قال العراقى** : رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وأبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب قال : أخبرنا محمد ابن خالد المخزومى عن سفيان بن سعيد عن زبيد عن أبى وائل عن عبد الله عن النبى ﷺ وزادوا فى أوله « الصبر نصف الإيمان» هكذا قال أبو نعيم والبيهقى فى إسناده ، وقال اللالكائى عن زبيد عن مرة عن عبد الله ، قال البيهقى : تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد بن خالد ، وقد أعله ابن الجوزى فى العلل المتناهية بهما فقال : محمد بن خالد مجروح ويعقوب بن حميد=

ولذلك قال ﷺ : « **تعلموا اليقين** » (١٧٥) ومعناه: جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل.

وقال ﷺ لما قيل له: رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين؟ **فقال ﷺ : « ما من آدمى إلا وله ذنوب، ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب؛ لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة»** (١٧٦).

= ليس بشيء ، **قال العراقى** : أما محمد بن خالد المخزومى فلم أجد أحدًا من الأئمة جرحه، وأما يعقوب فأورده ابن حبان فى الثقات ، ثم قال : والصحيح المعروف أن هذا من قول ابن مسعود، وهكذا ذكره البخارى فى صحيحه تعليقًا موقوفًا عليه ،ووصله الطبرانى والبيهقى فى الزهد من رواية الأعمش عن أبى ظبيان عن علقمة عن عبد الله قوله : قال البيهقى: هذا هو الصحيح موقوف اهـ. قال : المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر، وهو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى والكسل ، فكان الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار .

(١٧٥) حديث : « تعلموا اليقين » **قال العراقى** : الحديث رواه أبو نعيم عن ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل وهو مروى من قول خالد ابن معدان ورويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا من رواية بقية عن العباس بن الأخنس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال:« تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإنى أتعلمه» والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبى فى الميزان .

(١٧٦) حديث : « رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد . . . » **قال العراقى** : رواه الحكيم الترمذى فى الأصل السادس بعد المائتين من نوادر الأصول ، قال : حدثنا مهدى هو ابن عباس حدثنا الحسين هو ابن خازم عن منصور عن الرازى عن أنس قال : قيل: يا رسول الله ، رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب ؟ قال : « كل بنى آدم خطاء ، فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئًا » ، قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه ويبقى فضل يدخل به الجنة » وإسناده مجهول اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد والترمذى والدارمى والحاكم والبيهقى كلهم عن أنس رفعه : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » وهذا يصلح أن يكون شاهدًا لبعض الحديث المذكور ، وفى القوت : « جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال : أخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره، فقال معاذ : ليحبطن شكه أعماله ، قال : فأخبرنى عن رجل قليل العمل إلا أنه قوى اليقين=

ولذلك قال ﷺ : « إن من أقل ما أوتيتم: اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار» (١٧٧).

وفى وصية لقمان لابنه: يا بُنى لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه.

وقال يحيى بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين. وأراد به اليقين. وقد أشار الله تعالى فى القرآن إلى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

فإن قلت: فما معنى اليقين، وما معنى قوته وضعفه؟ فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه، فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين: أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك، إذ ميل النفس إلى التصديق بالشىء له أربعة مقامات:

= وهو فى ذلك كثير الذنوب، فسكت معاذ، وقال الرجل : والله لئن أحبط شك الأول أعمالَ بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها ، قال : فأخذ معاذ بيده وقام قائما ، ثم قال : ما رأيت الذى هو أفقه من هذا » اهـ. فهذا وإن كان موقوفًا على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف.

(١٧٧) حديث : « إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلىّ من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكن أخاف أن تفتح عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ اهـ. قال العراقى: وروى ابن عبد البر فى كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال : « ما أنزل شىء أقل من اليقين ، ولا قسم شىء أقل من الحلم » ولا يصح إسناده ، وقد روى نحوه مختصرا من قول بعض الأشياخ ، رويناه فى كتاب اليقين لابن أبى الدنيا قال : أخبرنا إبراهيم بن سعيد أخبرنا خالد ابن خراش أخبرنا بشير بن بكر عن أبى بكر بن أبى مريم عن الأشياخ قال : « ما نزل فى الأرض شىء أقل من اليقين، ولا قسم بين الناس أقل من الحلم » هذا حديث مقطوع ضعيف اهـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٥

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

الأول: أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا، وهو مجهول الحال عندك فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكا.

الثانى: أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه، ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب، فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوِّز اختفاء أمرٍ موجب للعقاب فى باطنه وسريرته، فهذا التجويز مساو لذلك الميل، ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنًا.

الثالث: أن تميل النفس إلى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، و هذا يسمى اعتقادًا مقاربًا لليقين، وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها إذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع، حتى أن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله.

الرابع: المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصوَّر الشك فيه، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينًا عند هؤلاء، ومثاله أنه إذا قيل للعاقل: هل فى الوجود شىء هو قديم، فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس، وليس العلم بوجود شىء قديم أزلى ضروريا مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فإن هذا أيضًا ضرورى فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقًا جازمًا ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد، وهو حال جميع العوام، ومن الناس من يصدق به بالبرهان، وهو أن يقال له: إن لم

يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثـة، فإن كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال، فالمؤدى إلى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة، لأن الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة، أو بعضـها قديمة وبعـضها حادثـة، فإن كانت كلها قـديمة فقد حـصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قـديم، وإن كان الكل حادثًا فهـو محال إذ يؤدى إلى حدوث بغـير سبب فيثـبت القسم الثالث أو الأول، وكل علم حـصل على هذا الوجه يسمى يقينًا عند هؤلاء، سـواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه، أو حـصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحـالة حادث بلا سبب، أو بتواتر العلم بوجود مكة، أو بتجربة كالـعلم بأن السقمـونيا المطبوخ مـسهل، أو بدليل كمـا ذكرنا، فشـرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك، فكل علم لا شك فـيه يسمى يـقينًا عند هؤلاء، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت فى نفى الشك.

الاصطلاح الثـانى: اصطلاح الفقهاء والمـتصوفة وأكثر العلمـاء، وهو ألا يلتفت فيه إلى اعتبـار التجويز والشك بل إلى استـيلائه وغلبته على العقل، حـتى يقال: فلان ضعـيف اليقين بالموت مع أنه لاشك فيه، ويقال: فلان قـوى اليقين فى إتيان الرزق، مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه، فـمهما مالت النفـس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستـولى حتى صار هو المـتحكم والمتصـرف فى النفس بالتجويز والمنع سـمى ذلك يقينًا، ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه، ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعـداد له وكأنه غير موقن به، ومنهم من استـولى ذلك على قلبه حتى استغـرق جميع همه بالاستعداد له، ولم يغادر فـيه متسعًا لغيره فيعبر عن مـثل هذه الحالة بقوة اليقين، ولذلك قال بعـضهم: « مـا رأيت يقينًا لا شك فـيه أشـبه بشك لا يقـين فيه من المـوت » وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة، ونحن إنمـا أردنا بقولنا: إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليـقين بالمعنيين جميعًـا، وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المـتحكم عليها المتـصرف فيها، فإذا فـهمتَ هذا علمتَ أن المراد من قولنا: إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوّة والضعف، والكثرة والقلة، والخفاء والجلاء.

فأما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى، وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب، ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى، وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى، وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضًا، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر، أعنى الاصطلاح الثانى، وفيما انتفى الشك أيضًا عنه لا سبيل إلى إنكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام، مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعًا فمستندهما جميعًا التواتر، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لأن السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين، وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك، وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال، وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين، كما يقال: فلان أكثر علمًا من فلان، أى معلوماته أكثر، ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه.

فإن قلت: قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب، فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه؟ وفى ماذا يطلب اليقين فإنى ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه؟

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجارى اليقين، فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى إحصائها، ولكنى أشير إلى بعضها وهى أمهاتها:

فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها، فالمصدق بهذا موقن فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين، فإن غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزّل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى

حق المنعم بالتوقيع؛ فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنًا بالمعنى الثاني وهو الأشرف، وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته، ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب، وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل - استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم، وصار موقنًا بريئًا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق، فهذا أحد أبواب اليقين.

ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (هود:٦) واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له سيساق إليه، ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب، ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته، وأثمر هذا اليقين أيضًا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة.

ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧،٨) وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع، ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبًا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها، فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ.

ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك، وأما بالمعنى الثاني - وهو المقصود - فهو عزيز يختص به الصدِّيقون، وثمرته أن يكون الإنسان

فى خلوته متأدبًا فى جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرقًا متأدبًا فى جميع أعماله متماسكا محترزًا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره، فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة، وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة، فاليقين فى كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة، وهذه الأخلاق فى القلب مثل الأغصان المتفرعة منها، وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان، فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات إن شاء الله تعالى و هذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن.

ومنها أن يكون حزينًا منكسرًا مطرقًا صامتًا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرًا لله تعالى، وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته، وعلماء الآخرة يُعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع، وقد قيل: ما ألبس الله عبدًا لُبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لُبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء، وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التسترى رحمه الله: عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية، وعالم بالله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصدِّيقون، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة؛ فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه.

وقال عمر ﷺ: تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وليتواضع لكم من يتعلم منكم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

ويقال: ما آتى الله عبدًا علمًا إلا آتاه الله معه حلماً وتواضعًا وحسن خلق ورفقًا، فذلك هو العلم النافع، وفى الأثر: « من آتاه الله علمًا وزهدًا وتواضعًا وحسن خلق، فهو إمام المتقين ».

وفى الخبر: « **إن من خيار أمتى قومًا يضحكون جهراً من سعة رحمة الله، ويبكون سرّاً من خوف عذابه، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة، يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة** » (١٧٨).

وقال الحسن: الحلم وزير العلم والرفق أبوه، والتواضع سرباله. وقال بشر بن الحارث: من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت فى السماء والأرض. ويروى فى الإسرائيليات أن حكيما صنف ثلاثمائة وستين مصنفًا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم؛ فأوحى الله تعالى إلى نبيه: قل لفلان: قد ملأت الأرض نفاقًا ولم تردنى من ذلك بشىء، وإنى

(١٧٨) حديث: وفى الخبر: «إن من خيار أمتى قومًا يضحكون جهراً من سعة رحمة الله عز وجل، ويبكون سرّاً من خوف عذاب الله، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة » لأنه لا راحة للمؤمن دون لقائه ربه، والدنيا سجنه حقا، فلذا يجد المؤمن بدنه فى الدنيا وروحه فى السماء، وفى الحديث المرفوع: « إذا نام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدى بدنه فى الأرض وروحه عندى »، رواه تمام غيره وهذا معنى قول بعض السلف: القلوب جوّالة فقلب حول الحش وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش، قال ابن القيم: ولا يبادر إلى إنكار كون البدن فى الدنيا، والروح فى الملأ الأعلى، فللروح شأن وللبدن شأن، والنبى ﷺ كان بين أظهر أصحابه وهو عند ربه طعمه ويسقيه، فبدنه بينهم وروحه وقلبه عند ربه، وقال أبو الدرداء: إذا نام العبد عرج بروحه إلى تحت العرش، فإن كان طاهرًا أذن له بالسجود فإن لم يكن طاهراً لم يؤذن له بالسجود، فهذه والله أعلم هى العلة التى أمر الجنب لأجلها أن يتوضأ إذا أراد النوم، وهذا الصعود إنما كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم، فإذا تجردت بسبب آخر حصل لها من الترقى والصعود بحسب ذلك التجرد، وقد يقوى الحب بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس إلا جسمه، وروحه فى موضع آخر عند محبوبه.

لا أقبل من نفاقك شيئًا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق وواكل بنى إسرائيل وتواضع فى نفسه؛ فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له: الآن وفقت لرضاى.

وحكى الأوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطى فيستعيذ بالله منه، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى.

وروى أنه قيل: يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ **قال: « اجتناب المحارم، ولا يزال فوك رطبا من ذكّر الله تعالى »**، قيل: فأى الأصحاب خير؟ **قال ﷺ: « صاحب إن ذكرت الله أعانك، وإن نسيته ذكّرك»**، قيل: فأى الأصحاب شر؟ **قال: « صاحب إن نسيت لم يذكّرك، وإن ذكرت لم يعنك»**، قيل: فأى الناس أعلم؟ **قال: أشدهم لله خشية »** قيل: فأخبرنا بخيارنا نجالسهم **قال ﷺ: « الذين إذا رءُوا ذُكر الله»**، قيل: فأى الناس شر؟ **قال: « اللهم غفرا»** قالوا: أخبرنا يا رسول الله **قال: « العلماء إذا فسدوا »** (١٧٩).

---

(١٧٩) حديث : قيل: يا رسول الله، أى الأعمال أفضل ؟ قال : « اجتناب المحارم، ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى . . . » **قال العراقى** : لم أجده هكذا مجموعًا بطوله وهو متلفق بعضه من أحاديث ، فروينا فى كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية محمد بن عدى عن يونس عن الحسن قال : سئل النبى ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله ». وروي ذلك أيضا من حيث عبد الله بن بسر المازنى مرفوعًا، أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وإسناده جيد، وروى أيضًا من حديث معاذ بن جبل ،وذكر المصنف فى «آداب الصحبة» حديثًا متنه: « إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له أخًا صالحًا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه» ، وسيأتى ذلك فى بابه ، وروى الثعلبى بإسناده عن الشعبى « إنما العالم من يخشى الله »، وروى البزار من رواية جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله مَنْ أولياء الله ؟ قال : « الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ، وروى البزار أيضًا من حديث معاذ قال : قلت: يا رسول الله أى الناس شر ؟ فقال : « اللهم غفرا سل عن الخير ولا تسأل عن الشر، شرار الناس شرار العلماء » وإسناده ضعيف، وروى الدارمى فى مسنده من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ، وقد تقدم فى الباب الثالث .

قال مرتضى : هذا الحديث بطوله أورده صاحب القوت وإياه تبع المصنف ولفظه : وقد روينا حديثًا حسنا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال : قيل يا رسول الله » فساقه وفيه «وصاحب إن سكت» بدل « نسيت» والباقى سواء .

وقال ﷺ : « إن أكثر الناس أمانًا يوم القيامة أكثرهم فكرًا فى الدنيا، وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا،وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا » (١٨٠).

وقال على رضي الله عنه فى خطبة له: ذمتى رهينة وأنا به زعيم: إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم، ولا يظمأ على الهدى سبخ أصل، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علمًا أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأراذلهم عالمًا ولم يعش فى العلم يومًا سالمًا تكثر واستكثر، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى، حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلمًا لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب، ركّاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تبكى منه الدماء وتُستحل بقضائه الفروج الحرام، لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل لما فوض إليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا.

وقال على رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه، ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب. وقال بعض السلف: العالم إذا ضحك ضحكة مجَّ من العلم مجة. وقيل: إذا جمع المعلم ثلاثًا تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر والتواضع وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلم ثلاثًا تمت النعمة بها على المعلم: العقل والأدب وحسن الفهم.

---

(١٨٠) حديث : « إن أكثر الناس أمانًا يوم القيامة أكثرهم فكرًا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا، وأشد الناس فرحًا فى الآخرة أطولهم حزنًا فى الدنيا » أورده صاحب القوت عن عامر بن عبد الله المقبرى وكان من أقران الحسن سمعت مشيختنا فيما يروون عن نبينا ﷺ أنه كان يقول : « إن أصفى الناس إيمانًا يوم القيامة أكثرهم فكرة فى الدنيا، وأكثر الناس ضحكا فى الجنة » والباقى سواء. **قال العراقى** : لم أجد له أصلا بجملته فى الأحاديث المرفوعة ، ولأول الجملة شاهد فى صحيح ابن حبان من حديث أبى هريرة رفعه فيما يروى عن ربه جل وعلا : « وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين إذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة ،وإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة» وللجملة الأخيرة من رواية مالك بن دينار قال : رأيت الحسن فى منامى مشرق اللون ، وفى آخره « أطول الناس حزنًا فى الدنيا أطولهم فرحًا فى الآخرة» رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الهم والحزن .

وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة، وقال ابن عمر ﷺ: « **لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن** » (١٨١) وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدقل، وفى خبر آخر بمثل معناه، « **كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن، وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيِّعون حدوده وحقوقه، يقولون: قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا؛ فذلك حظهم** » (١٨٢) وفى لفظ آخر: « أولئك شرار هذه الأمة ».

---

(١٨١) حديث: وقال ابن عمر ﷺ: «عشنا برهة - أى زمانا - أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن . . » هكذا أورده صاحب القوت ولفظه : وروينا عن ابن عمر وغيره « لقد عشنا برهة من دهرنا » وفيه: فيتعلم بدل فيعلم وفيه بعد قوله يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن والباقى سواء ، قال العراقى: أخرجه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيبانى قال: سمعت ابن عمر يقول: فساقه كسياق القوت، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه.ا هـ .

قال مرتضى : وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ ذكر أن فى أمته قومًا يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل ، يتأولونه على غير تأويله لا يجاوز تراقيهم تسبق قراءتهم إيمانهم. والدقل محركة أردأ التمر ، وقال السرقسطى : هو تمر الروم .

(١٨٢) حديث : « كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن » هكذا أورده صاحب القوت بعد إيراده حديث جندب البجلى وقال العراقى : روى ذلك من حديث جندب بن عبد الله البجلى ، رواه بن ماجه مختصراً على القدر المرفوع منه من رواية أبى عمران الجونى عن جندب قال : كنا مع النبى ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا. وإسناده صحيح ، زاد الطبرانى فيه : وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان، وهو صحيح أيضًا، وروى مسلم وابن ماجه من رواية عبد الله بن الصامت عن أبى ذر ورافع بن عمرو الغفارى مرفوعا : « إن بعدى من أمتى يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة » وروى البيهقى فى سننه فى أبواب الإمامة من حديث حذيفة نحو حديث جندب . اهـ . وأورد صاحب القوت حديث جندب المتقدم، ثم قال : وعن ابن مسعود قال : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا،=

وقيل: خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر: ٢٨).

وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران: ١٩٩).

أما التواضع فمن قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر: ٨٨).

وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وأما الزهد فمن قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (القصص: ٨٠).

ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥) فقيل له: ما هذا الشرح فقال: « **إن النور إذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح** »، قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال ﷺ: « **نعم، التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله** » (١٨٣).

= وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم . وفى لفظ آخر : «يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » وهذا قد تقدم للمصنف .

(١٨٣) حديث : ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ** ﴾ قال العراقى : رواه الحاكم فى المستدرك من رواية عدى بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ** ... ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ : « إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل : يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف ؟ قال : « نعم. . .» فذكره قال: وقد سكت عليه الحاكم وهو ضعيف ، ورواه البيهقى فى الزهد من رواية عمرو ابن مرة عن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود ، ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق قال : أخبرنا عبد الرحمن المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر رجل من بنى هاشم وليس=

ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقى من الشر، ولذلك قيل:

عرفت الشرَّ لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة، وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وإنما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية، ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدًا وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم، وإذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم، وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارًا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه، وشرهًا فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققًا عالمًا بالدقائق، وجزاؤه من الله ألا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان، ثم يرد القيامة مفلسًا متحسرًا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديًا من الصحابة ﷺ اتفقت الكلمة فى حقه

= بمحمد بن على قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر مثل رواية الحاكم إلا أنه قال : قيل : هل لذلك من آية يعرف بها ؟ وقال فى آخره: قبل الموت، وهذا مرسل ضعيف وهو الصواب فى رواية هذا الحديث وما قبله ضعيف كما بينه الدارقطنى فى العلل وسئل عنه فقال: يرويه عمرو بن مرة واختلف فيه عنه فرواه مالك بن مغول عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قاله عبد الله بن محمد بن المغيرة تفرد بذلك ورواه زيد بن أبى أنيسة، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قاله أبو عبد الرحيم عن زيد ، وخالفه يزيد بن سنان فرواه عن زيد عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبى ﷺ كذلك قاله الثورى قال : وعبد الله بن المسور هذا متروك .

على ذلك، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له: يا أبا سعيد، إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان، وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله ﷺ: « كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه »(١٨٤)، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه، وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير، وفي لفظ آخر: كانوا يقولون:

---

(١٨٤) حديث: « كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه » رواه البخاري ومسلم هكذا مختصراً، وفي آخره زيادة من رواية أبي إدريس الخولاني انه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال: «نعم» قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: « نعم وفيه دَخَن. . . » الحديث بطوله، قاله العراقي. قال مرتضى: أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر، حدثني بشر بن عبد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة يقول . . . فساقه بطوله « وعلمت أن الخير لا يسبقني » هكذا هو في القوت، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أبي داود الطيالسي قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني حميد بن هلال، حدثنا نصر بن عاصم الليثي قال: أتيت اليشكري في رهط من بني ليث فقال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رءوسهم يستمعون إلى حديث رجل فقمت عليهم، فقلت: من هذا؟ فقيل: حذيفة بن اليمان فدنوت منه فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر فعرفت أن الخير لم يسبقني، ثم ساق الحديث بطوله قال أبو نعيم ورواه قتادة عن نصر بن عاصم وسمى اليشكري خالدا. اهـ. وقال العراقي: ورواه أبو داود من رواية سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة زمن فتحت تستر . . . الحديث، وفيه بعد ذكر الشر الأول قلت: فما العصمة من ذلك فساقه إلى آخره، وسمى التابعي في رواية أخرى خالد بن خالد اليشكري، وروى مسلم من رواية أبي سلام قال: قال حذيفة قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: « تكون بعدي أئمة . . . » الحديث بطوله. وروى البخاري من رواية قيس بن أبي حازم عن حذيفة قال: تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر اهـ. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس الا تسألون فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر، افلا تسألوني عن ميت الأحياء، فساق الحديث بطوله.

يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال، وكنت أقول: يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا، فلما رآنى أسأله عن آفات الأعمال خصنى بهذا العلم، وكان حذيفة ﷺ أيضًا قد خُص بعلم المنافقين، وأُفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة ﷺ يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يُسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقى منهم ولا يخبر بأسمائهم، وكان عمر ﷺ يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئًا من النفاق، فبرأه من ذلك، وكان عمر ﷺ إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها، وإلا ترك، وكان يسمَّى صاحب السر، فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة، لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى، وقد صار هذا الفن غريبًا مندرسًا، وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل: هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق، ويرون أن التحقيق فى دقائق المجادلات، ولقد صدق من قال:

الطرق شتى وطرق الحق مفردة ... والسالكون طريق الحق أفراد
لا يُعرفون ولا تُدرى مقاصدهم ... فهم على مهل يمشون قُصَّاد
والناس فى غفلة عما يُراد بهم ... فجُلّهم عن سبيل الحق رقّاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم، فإن الحق مرّ والوقوف عليه صعب، وإدراكه شديد، وطريقه مستوعر، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة؛ فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسى الشدائد ليكون فطره عند الموت، ومتى تكثر الرغبة فى هذا الطريق، ولذلك قيل إنه كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الوعظ والتذكير، ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبيحى وعبد الرحيم، وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى، وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب.

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وإنما المقلَّد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله، وإنما يقلد الصحابة ﷺ من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ، ثم إذا قلد صاحب الشرع ﷺ في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصًا على فهم أسراره؛ فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع ﷺ فعله، وفعله لابد وأن يكون لسرّ فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما، ولذلك كان يقال: فلان من أوعية العلم، فلا يسمى عالما إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار، ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعًا مقلَّدا فلا ينبغي أن يقلد غيره، ولذلك قال ابن عباس ﷺ: «ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ» (١٨٥) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أُبيّ بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعًا، وقال بعض السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا عن الصحابة ﷺ فنأخذ منه ونترك، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أمورًا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ، وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدًا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين ﷺ وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين، بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن

---

(١٨٥) حديث: «ما من أحد إلا ويؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ» أورده صاحب القوت بلفظ: «ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك» والباقي سواء، **وقال العراقي**: رواه الطبراني في الكبير من رواية مالك بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رفعه فساقه بلفظ القوت وإسناده حسن.

وعن التدبر والتذكر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ، ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة ﷺ تصحيف القرآن فى مصحف، وقالوا: كيف نفعل شيئًا ما فعله رسول الله ﷺ وخافوا اتكال الناس على المصاحف، وقالوا: نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر ﷺ وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفًا من تخاذل الناس وتكاسلهم، وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات ، فانشرح صدر أبى بكر ﷺ لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد. وكان أحمد ابن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ، ويقول: ابتدع ما لم تفعله الصحابة ﷺ .

وقيل: أول كتاب صنّف فى الإسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس ﷺ بمكة، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننًا مأثورة نبوية، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع سفيان الثورى، ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى إبطال المقالات، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون، فصار يسمى المجادل المتكلم عالمًا والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره، ولم تكن سيرة الصحابة ﷺ وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم، فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف، وأصبح علم الآخرة مطويًا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم؛ كانوا إذا قيل لهم: فلان أعلم أم فلان؟ يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلامًا، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام، هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الإنكار يستهدف لنسبته إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت.

ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنّه إطباق الخلق على ما أُحدِث بعد الصحابة ﷺ ، وليكن حريصًا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثرهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولّى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن، واعلم تحقيقًا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبَهُهم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أُخذ الدين، ولذلك قال على ﷺ: خيرنا أتبعنا لهذا الدين، لما قيل له: خالفت فلانًا. فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ فإن الناس رأوا رأيًا فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادّعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه، ولذلك قال الحسن: محدثان أحدثا فى الإسلام: رجل ذو رأى سيئ زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب، فارفضوهما إلى النار وإن رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح، يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم - متعرض لأجر عظيم، فكذلك كونوا.

وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندًا أنه قال: **«إنما هما اثنتان: الكلام والهدى، فأحسن الكلام كلام الله تعالى،وأحسن الهدى هَدى رسول الله ﷺ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ألا كل ما هو آت قريب، ألا إن البعيد ما ليس بآت»** (١٨٦).

---

(١٨٦) حديث : « إنما هما اثنان : الكلام والهدى » هكذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقى** : رواه ابن ماجه من رواية أبى إسحق السبيعى عن أبى الأحوص ،عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : فذكره إلا أنه قال ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وقال : ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت، وزاد: ألا إنما الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره . . . الحديث وإسناده جيد ، وزاد الطبرانى بعد قوله : وكل بدعة=

= ضلالة ، وكل ضلالة في النار . اهـ. والحديث طويل وفى آخره بعد قوله من وعظ بغيره: ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل، ألا لا يعد الرجل صبيه فلا يفي له ،وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا هكذا عند ابن ماجه بطوله ، وأخرجه اللالكائى فى السنة من هذا الطريق إلى قوله : « فتقسو قلوبكم » ، وفيه: أن كل محدثة، بلا واو وفيه: ألا لا يطول، من غير نون ثقيلة ، وأخرج أيضا من رواية الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود ابن هلال قال: قال عبد الله : إن أحسن الهدى هدى محمد ، وإن أحسن الكلام كلام الله،وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة فى النار ، وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية عمرو بن ثابت عن عبد الله بن عابس قال: قال عبد الله بن مسعود : إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وخير الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها . . . الحديث بطوله ، قال العراقى : وفى الباب عن جابر بن عبد الله رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه . . الحديث وفيه: ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة .

قال مرتضى : وأخرج أبو داود والترمذى واللالكائى وأبو بكر الآجرى وعياض فى الشفاء من طريقه كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . . . فساقوا الحديث وفيه وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» ، وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية سفيان بن عيينة عن هلال الوزان حدثنا عبد الله بن حكيم وكان قد أدرك الجاهلية قال: أرسل إليه الحجاج يدعوه فلما أتاه قال : كيف كان عمر يقول ؟ قال : كان عمر يقول : إن أصدق القيل قيل الله ألا وإن أحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة ضلالة ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، ولم يقم الصغير على الكبير، فإذا قام الصغير على الكبير فُقدَ . وأخرج أيضًا من رواية واصل الأحدب عن عاتكة بنت جزء قالت : أتينا ابن مسعود فسألناه عن الدجال قال: أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم، فأيما مرية ورجيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأول، السمت الأول فأنا اليوم على السنة ، وأخرج أيضًا من حديث معاذ: ستكون فتنة . . . الحديث ، وفيه : فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة .

وفى خطبة رسول الله ﷺ : « **طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكم، وجانب أهل الزلل والمعصية، طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة** » (١٨٧).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل، وقال: أنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الأمور، وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات. وقد صدق، فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا.

---

(١٨٧) حديث : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وفى خطبة النبى ﷺ التى رويناها وفيه بعد قوله وخالط أهل الفقه والحكمة زيادة: وجانب أهل الذل والمعصية ، **وقال العراقى**: فيه عن الحسين بن على وأبى هريرة وركب المصرى ، أما حديث الحسين بن على فرواه أبو نعيم فى الحلية من رواية القاسم بن محمد بن جعفر عن آبائه من أهل البيت إلى الحسين بن على قال : رأيت رسول الله ﷺ خطيبًا على أصحابه . . . فذكره بزيادة فى أوله وهى: كأن الموت فى هذه الدنيا على غيرنا كتب . . . الحديث ، وفيه: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة ، وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن لال فى مكارم الأخلاق من رواية عصمة بن محمد الخزرجى عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة رفعه فساقه بمثل حديث الحسين بن على ،وأما حديث ركب المصرى فرواه الطبرانى والبيهقى من رواية إسماعيل بن عياش عن عنبسة بن سعيد الكلاعى عن نصيح العبسى عن ركب المصرى رفعه : « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة، وذل فى نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، ورحم المساكين وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل فى نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله » ، وأما حديث أنس فرواه البزار فى مسنده مختصرًا بإسناد ضعيف ولفظه « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة » . اهـ .

قال مرتضى : وحديث ركب أخرجه أيضًا البخارى فى التاريخ والبغوى فى معجم الصحابة والباوردى وابن قانع ، وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول: طوبى لمن فكر فى عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله عز وجل من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة .

وقال حذيفة ﷺ: أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وأن منكركم اليوم معروف زمان قد أتى، وإنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق، وكان العالم فيكم غير مستخف به. ولقد صدق، فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات فى عصر الصحابة ﷺ، إذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتنجيدها، وإنفاق الأموال العظيمة فى دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها، ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة، وقيل إنه من محدثات الحجاج، فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً. وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات، ومن ذلك التلحين فى القرآن والأذان، ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الأطعمة وتحريمها إلى نظائر ذلك، ولقد صدق ابن مسعود ﷺ حيث قال: أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعًا للهوى. وقد كان أحمد بن حنبل يقول: تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم، والله المستعان. وقال مالك بن أنس رحمه الله: لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم، ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال، ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب، فأما الحرام فكان فحشه ظاهراً. وكان هشام بن عروة يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جوابًا، ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها. وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول: لا ينبغى لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما فى نفسه. وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب، وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقّا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار، ولهذا لما أحدث مروان المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدرى ﷺ، فقال: يا مروان، ما هذه البدعة؟ فقال: إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم، إن الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت، فقال أبو سعيد: والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً والله لا صليت وراءك اليوم، وإنما

أنكر ذلك عليه لأن رسول الله ﷺ : «كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا، لا على المنبر» (١٨٨).

وفى الحديث المشهور: « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد» (١٨٩) ، وفى خبر آخر: «من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» قيل: يا رسول الله، وما غش أمتك؟ قال: « أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها » (١٩٠).

---

(١٨٨) حديث : « كان يتوكأ فى خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر» روى أبو داود من رواية شعيب بن زريق الطائفى قال : جلست إلى رجل له صحبة يقال له الحكم ابن حزن الكلبى فانشأ يحدثنا فذكر حديثا فيه: فأقمنا بها أياما شهدنا فيها الجمعة مع النبى ﷺ فقام يتوكأ على عصا أو قوس فحمد الله وأثنى عليه وروى الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الرحمن بن عمار بن سعد بن قرظ قال : حدثنى أبى عن جدى عن أبيه سعد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب فى العيدين خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا ، ورواه ابن ماجه بلفظ: كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس، وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا ، ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية عبد الله بن عمار بن سعد القرظى قال : حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ فذكر حديثا طويلا فيه « وكان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس ،وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا » وروى الطبرانى فى الكبير من رواية أبى خباب الكلبى قال: حدثنى يزيد بن البراء عن أبيه قال : كنا جلوسا ننتظر النبى ﷺ يوم أضحى، إلى أن قال: ثم أعطى قوسا أو عصا اتكأ عليه ، ... الحديث قاله العراقى والحافظ ابن حجر .

قال مرتضى : وبمثل رواية الحاكم وأبى داود أخرجه البيهقى فى السنن ، وأخرج الشافعى فى مسنده فى باب إيجاب الجمعة، عن عطاء مرسلا: كان إذا خطب يعتمد على عنزة أو عصا، قال ابن القيم: ولم يحفظ عنه ﷺ أنه توكأ على سيف خلافا لبعض الجهلة .

(١٨٩) حديث : « من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد» أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة عن النبى ﷺ بلفظ فى أمرنا ما ليس منه وقال أبو داود : ما ليس فيه ، وفى رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد: قاله العراقى .

قال مرتضى : الذى فى روايتهم: فى أمرنا هذا ، وقوله : رد، أى مردود ، وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، قال النووى : ينبغى حفظه واستعماله فى إبطال المنكرات .

(١٩٠) حديث : « من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» قيل: يا رسول الله، وما غش أمتك ؟ قال : « أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها » هكذا أورده صاحب القوت، =

وقال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل ملكًا ينادى كل يوم: من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته» (١٩١)، ومثال الجانى على الدين بإبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبًا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا، وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف، وقال غيره: الحق ثقيل من جاوزه ظلم، ومن قصَّر عنه عجز، ومن وقف معه اكتفى.

وقال ﷺ: «عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى» (١٩٢)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها، قال الله تعالى:

= وقال العراقى والسيوطى: أخرجه الدارقطنى فى الأفراد من رواية محمد بن المنكدر بن محمد عن أبيه عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره إلا أنه قال: قيل: يا رسول الله، وما الغش؟ قال: «أن يبدع لهم بدعة ضلالة فيعمل بها»، قال الدارقطنى: غريب من حديث محمد بن المنكدر عن أنس تفرد به ابن المنكدر.

(١٩١) حديث: «إن لله ملكا ينادى كل يوم: من خالف سنة محمد ﷺ لم ينل شفاعته» قال العراقى: لم أقف له على أصل.

قال مرتضى: أورده هكذا صاحب القوت بلفظ: وروينا عن النبى ﷺ وفيه: من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعة رسول الله، وفى بعض النسخ: لم تنله شفاعته ووجدت بخط بعض المحدثين ما نصه: رواه الخطيب فى أثناء حديث بسند فيه مجهول، وقال الذهبى: هو خبر كذب.

(١٩٢) حديث: «عليكم بالنمط الأوسط الذى يرجع إليه العالى ويرتفع إليه التالى» قال العراقى: لم أجده مرفوعًا وإنما هو موقوف على على بن أبى طالب رضي الله عنه، رواه أبو عبيد فى غريب الحديث بلفظ «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالى ويرجع إليهم الغالى» ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا. اهـ.

قال مرتضى: والمصنف أخذه من القوت ولفظه: وقال علىّ كرّم الله وجهه ... فساقه، وأورده الجوهرى فى الصحاح فقال: وفى الحديث ... فساقه كسياق أبى عبيد، وقد جاء فى حديث مرفوع «خير الناس هذا النمط الأوسط ...» وقد ذكرته فى شرح القاموس، وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثنى عبد الصمد سمعت وهبا يقول: إن لكل شىء طرفين ووسطا، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسكت =

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ (الأنعام: ٧٠).

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ (فاطر: ٨).

فكل ما أحدث بعد الصحابة ﷺ مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو، وحكى عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة ﷺ فرجعوا إليه محسورين، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئًا وقد أتعبونا، فقال: إنكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم، ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم، فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين، فقالوا: ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات، فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئًا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر عينكم بهم تلعبون بهم، لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم، إن استغفروا لم يُغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات، قال: فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينًا، لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا.

فإن قلت: من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولاحدثه بذلك؟ فاعلم أن أرباب القلوب يُكاشَفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الأمثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة، جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، فإياك أن

= بالوسط اعتدل الطرفان، ثم قال: عليكم بالأوسط من الأشياء. اهـ. والنمط: الطريقة، يقال: الزم هذا النمط، أى هذا الطريق، والغالى إن كان بالغين المعجمة فمن الغلو وهو التجاوز والإفراط، وإن كان بالعين المهملة فمن العلو بمعنى ارتفاع الشأن، والتالى من تلاه، وقال أبو عبيد: معنى قول على أنه الغلو والتقصير فى الدين إذا تبعه.

يكون حظك من هذا العلم إنكار مـا جاوز حد قـصورك ففـيه هلك المتـحذلقـون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم الـعقول، فالجهل خير من عقـل يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى، ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبـياء وكان خارجا عن الدين بالكلية، قـال بعض العارفين إنما انقطـع الأبدال فى أطراف الأرض واستـتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيـقون النظر إلى علمـاء الوقت لأنهم عندهم جـهال بالله تعـالى وهم عند أنفســهم وعند الجاهلين علماء، قال سهل التسترى رضي الله عنه: « إن من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستـماع كلام أهل الغفلة» وكل عالم خاض فى الدنيا فـلا ينبغى أن يُصغى إلى قوله بل ينبغى أن يُتـهم فى كل ما يقول لأن كل إنسـان يخوض فيمـا أحب ويدفع ما لا يوافق محـبوبه ولذلك قال الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف: ٢٨) . والعوام العصاة أسعـد حالا من الجهـال بطريق الدين المعـتقديـن أنهم من العلماء، لأن العامـى العاصى معـترف بتقصـيره فيستـغفر ويتوب، وهذا الجاهـل الظان أنه عالم فإن ما هو مشـتغل به من العلوم التى هى وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت، وإذ غلب هذا على أكثر الناس - إلا من عصمـه الله تعالى - وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لذى الدين المحـتاط العزلة والانفـراد عنهم كما سـيأتى فى كتـاب العزلة بيانه إن شـاء الله تعالى، ولذلك كتب يوسف بن أسـباط إلى حذيفـة المرعشى: مـا ظنك بمن بقى لا يجد أحـدًا يذكر الله تعالى معه إلا كان آثمًـا أو كانت مذاكرته معصية، وذلك أنه لا يجد أهله. ولقـد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيـبة أو سماع غيـبة أو سكوت على منكر، وإن أحسن أحواله أن يفـيد علمًا أو يستفيده، ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد إنما يريد أن يجعـل ذلك، آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر فيكون هو معينًا له على ذلك وردءًا وظهـيرًا ومهـيئًا لأسـبابه كـالذى يبيع السيف مـن قطاع الطريق، فالعلم كـالسيف وصلاحه للخيـر كصلاح السيف للغزو، ولذلك لا يرخص له فى البيع مـمن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق.

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف، فكن أحد رجلين: إما متصفًا بهذه الصفـات أو معترفًا بالتقصير مع الإقرار به، وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشـبه سيرة البطالين بسيرة العلمـاء الراسخين، وتلتـحق بجهلك وإنكـارك بزمرة الهالكيـن الآيسين، نعوذ بالـله من خدع الشيطان فبـها هلك الجمهور، فنسأل الله تعـالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحيـاة الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

* * *

الباب السابع

فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف فى إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة، أو كيف يستراب فيه، والبهيمة مع قصور تميزها تحتشم العقل حتى أن أعظم البهائم بدنًا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خُص به من إدراك الحيل. ولذلك قال ﷺ: «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته»(١٩٣)، وليس ذلك لكثرة

---

(١٩٣) حديث «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته»، قال السخاوى فى المقاصد: جزم شيخنا وغيره بأنه موضوع وإنما هو من كلام بعض السلف، وربما أورد بلفظ: الشيخ فى جماعته كالنبى فى قومه يتعلمون من علمه، ويتأدّبون من آدابه. وكله باطل. أ هـ. **وقال العراقى**: وسئل عنه الشيخ تقى الدين بن تيمية فى جملة أحاديث، فأجاب بأنه لا أصل له، ثم **قال العراقى**: وقد روى من حديث ابن عمر وأبى رافع، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى تاريخ الضعفاء من رواية عبد الله بن عمر بن غانم عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: فذكره، أورده فى ترجمة ابن غانم المذكور قاضى أفريقية، وقال: روى عن مالك ما لم يحدث به مالك قط، لا يحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه فى الكتب إلا على سبيل الاعتبار، **قال العراقى**: روى له أبو داود فى سننه وقال: أحاديثه مستقيمة، وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر، وقال: إنه أحد الثقات الأثبات ومع ذلك فالحديث باطل، ولعل الآفة فيه من الراوى عن ابن غانم وهو عثمان ابن محمد بن خشيش القيروانى، قاله الذهبى فى الميزان. وأما حديث أبى رافع فرواه ابن عساكر فى معجمه والديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد ابن عبد الملك الكوفى، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه عن رافع بن أبى رافع عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيخ فى أهله كالنبى فى قومه» ومحمد بن عبد الملك يعرف بالقناطرى كذاب، وفى الميزان: حديث باطل. أ هـ. =

ماله ولا لكثرة شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله، ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع، ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة، وإن كان باطنًا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة، وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات فى ذكر شرفه، وقد سماه الله نورًا فى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ (النور: ٣٥).

وسمى العلم المستفاد منه روحًا ووحيًا وحياة، فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (الشورى: ٥٢).

وقال سبحانه:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله:

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

وقال ﷺ : **«يا أيها النـاس اعقلوا عن ربكم وتواصـوا بالعقل تعرفـوا ما أمـرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجدكم عند ربكـم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر**

= قال مرتضى: وحديث أبى رافع هذا أخرجه أيضا الخليلى فى مشيخته وابن النجار فى تاريخه، كلاهما من حديث أحمد بن يعقوب القرشى الجرجانى عن القناطرى، وقال ابن حبان: هو موضوع، وقال الزركشي: ليس هو من كلام النبى ﷺ ، وفى اللسان: قال الخليلى: هو موضوع، وأما حديث ابن عمر فأخرجه أيضا الشيرازى فى الألقاب، ولفظه: الشيخ فى بيته كالنبى فى قومه، هذا حال الحديث من جهة رواته قد حكم عليه بالوضع، ولكن معناه صحيح يؤيده قوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، وقوله ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء»، وغير ذلك.

حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة، وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقًا، فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه، ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين» (١٩٤).

وقال ﷺ : «أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليَّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب» (١٩٥).

---

(١٩٤) حديث: «أيها الناس اعقلوا عن ربكم» قال العراقي: رويناه في كتاب العقل لداود بن المحبر من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال فذكره . . . إلا أنه قال: فإنهم عُدوا من الخاسرين، ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر وداود بن المحبر اختلف فيه، فروى عباس الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: مازال معروفا بالحديث ثم تركه وصحب قوما من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة، وقال أبو داود: ثقة شبه الضعيف، وقال أحمد: لا يدري ما الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وروى عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري عن الدارقطني، قال: كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السنجري فأتى بأسانيد أخر، أو كما قال، وعلى ما ذكره الدارقطني فقد سرقه عن داود عبد العزيز بن أبي رجاء فاختصره وجعل له إسنادا آخر، فرواه عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : «ابن آدم أطع ربك تسمَّ عاقلا، وإن تعصه تسمَّ جاهلا» رواه أبو نعيم في الحلية والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية ابن أبي رجاء المذكور، وقال الخطيب: منكر من حديث مالك، وقال الدارقطني: عبد العزيز بن أبي رجاء متروك، وقال الذهبي في الميزان: هذا باطل على مالك. أ هـ.

قال مرتضى: داود بن المحبر بن مخرم البكراوي يكنى أبا سليمان البصري نزيل بغداد مات سنة ست ومائتين والمحبر كمحدث روى أبوه عن هشام بن عروة وروى ابنه داود عن شعبة وهمام وجماعة وعن مقاتل بن سليمان، وعنه أبو أمية والحرث بن أبي أسامة وجماعة، وأورد الذهبي في الميزان من طريقه حديثا في فضل قزوين أخرجه ابن ماجه في سننه، ثم قال: لقد شان ابن ماجه سننه بإدخاله هذا الحديث الموضوع فيها. أ هـ. وكل من ميسرة وابن أبي رجاء وسليمان بن عيسى متروكون.

(١٩٥) حديث: «أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك=

= أعاقب»، قال الشيخ نجم الدين راويه رحمه الله تعالى: استدل به على أن العقل متهيئ لقبول الوحي والإيمان به، وفي رواية: وبك أعبد، إذ كان هو أول من اختص من الله بالوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة بإنباء الحق تعالى، إذ نبأه عن معرفة نفسه ومعرفة ربه، وإذا أمعنت النظر وأيدت بنور الله تحقق لك أن المعرفة بالعقل والموصوف باختصاص الوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة هو روح حبيب الله ونبيه محمد ﷺ فإنه الذي قال: أول ما خلق الله روحي، وفي رواية نوري، فروحه جوهر نوراني ونوره هو العقل وهو عرض قائم بجوهره، ومن هنا قال ﷺ: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» أي لم يكن بعد روحا ولا جسدا، ومن هنا قال: من عرف نفسه فقد عرف ربه، لأنه عرف نفسه بتعريف الله، إذ قال له: ما خلقت خلقا أحب إليّ منك، وعرف الله أيضا بتعريف الله نفسه إياه إذ قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إليّ منك، فعرف أنه الإله الذي من صفاته العزة والجلال والخالقية والمحبة، وهو المعروف لكل عارف وله القدرة والحكم على الأخذ والعطاء والثواب والعقاب وهو المستحق للعبادة، وقد جاء عن بعض الكبراء من الأئمة أن أول المخلوقات ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب إليه في قوله: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، ولما سماه قلما قال له: أخبر بما هو كائن إلى يوم القيامة، وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا، ولا يبعد أن يسمى روح النبي ﷺ ملكا لغلبة صفات الملكية عليه كما يسمى جبريل عليه السلام روحا لغلبة الروحانية عليه، كقوله: فلان شعلة نار لحدة ذهنه، ويسمى عقلا لوفور عقله وقلما لكتابة المكونات ونورا لنورانيته، وقد يكون العقل في اللغة بمعنى العاقل فعلى هذا التقدير والتأويل يكون روح النبي ﷺ هو المخلوق الأول ولكنه بهذه الاعتبارات ملك وعقل ونور وقلم، والقلم قريب المعنى من العقل، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾، جاء في التفسير عن بعضهم: أي بالعقل لأن الأشياء تعلم بالعقل، وفي قوله: أقبل.. إلخ، إشارة إلى أن للعقل إقبالا وإدباراً فورث إقباله المقبلون وهم السابقون المقربون من الأنبياء والأولياء، وهم أصحاب الميمنة وهم أهل الجنة، وورث إدباره المدبرون وهم أصحاب المشأمة وهم أهل النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ الآية. والله أعلم، اهـ. كلامه سقته بتمامه لارتباط بعضه ببعض ولما فيه من الفوائد، وأما الكلام على تخريج الحديث فقال العراقي: روى من حديث أبي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة، فأما حديث أبي أمامة فرواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله العقل...» الحديث ولم يقل «وجلالي»: وقال: أعجب إليّ منك، وقال: وبك الثواب وبك العقاب، وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء، وأورد له هذا الحديث، وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف، قال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات، قال: =

فإن قلت: فهذا العقل، إن كان عرَضًا فكيف خُلق قبل الأجسام، وإن كان جوهرًا فكيف يكون جوهرًا قائمًا بنفسه ولا يتحيز، فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة، وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أثنى قوم على رجل عند النبى ﷺ حتى بالغوا، فقال ﷺ: **«كيف عقل الرجل»؟ فقالوا: نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله، فقال** ﷺ: **«إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العُبَّاد غداً فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»** (١٩٦).

وعن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله»** (١٩٧).

= والخبر باطل. اهـ. **قال مرتضى**: ونص العقيلى فى الضعفاء: هذا حديث منكر، عمر وسعيد الراوى عنه مجهولان جميعا بالنقل ولا يتابع على حديثه ولا يثبت، ثم **قال العراقى**: وأما حديث عائشة فرواه أبو نعيم فى الحلية، قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى بن معاوية الطلحى بإفادة الدارقطنى عن سهل بن المرزبان بن محمد التميمى عن عبد الله بن الزبير الحميدى عن ابن عيينة عن منصور عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل...» فذكر الحديث، هكذا أورده فى ترجمة سفيان بن عيينة ولم أجد فى إسناده أحداً مذكوراً بالضعف، ولا شك أن هذا مركب على هذا الإسناد ولا أدرى ممن وقع ذلك، والحديث منكر. اهـ.

قال مرتضى: ولفظ حديث عائشة على ما فى الحلية: قالت عائشة: حدثنى رسول الله ﷺ أن أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: ما خلقت شيئا أحسن إلىّ منك.

(١٩٦) حديث «أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا، فقال: كيف عقل الرجل...». **قال العراقى**: سلام هو ابن أبى الصهباء ضعفه ابن معين، وقال البخارى: منكر الحديث وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وأما أحمد فقال: إنه حسن الحديث، ورواه الحكيم الترمذى فى نوادره مختصرا قال: حدثنا مهدى حدثنا الحسين عن عبد ربه عن موسى بن أبان عن أنس بن مالك رفعه: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم»، وفى إسناده جهالة. اهـ.

(١٩٧) حديث: «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل...» **قال العراقى**: ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود بن المحبر. اهـ. =

وقال ﷺ : «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس»(١٩٨).

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعتم قول الفجار في النار: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»(١٩٩).

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الدارى: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل، قال: صدقت، سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت، ثم قال: «سألت جبريل عليه السلام: ما السؤدد؟ فقال: العقل» (٢٠٠).

= قال مرتضى: وأخرجه البيهقى عن عمر ولفظه: ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عنه أيضًا ولفظه: ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله.

(١٩٨) حديث: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله، فعند ذلك يتم إيمانه وأطاع ربه وعصا عدوه إبليس»، ولفظ داود: يعنى إبليس، قال العراقى: ومقاتل بن سليمان المفسر ليس بشيء قاله يحيى بن معين، وقال الجوزجانى: كان دجالا جسورا، وقال البخارى: سكتوا عنه، وقال النسائى وابن حبان، كان يكذب، وقال ابن عيينة: سمعت مقاتلا يقول: إن لم يخرج الدجال فى سنة خمسين ومائة فاعلموا أنى كذاب، فيقال له: قد علمنا ذلك. وأول الحديث صحيح رواه أبو داود من رواية المطلب ابن عبد الله بن حنطب عن عائشة دون قوله: ولا يتم ... إلخ وإسناده صحيح. ا هـ.

قال مرتضى: وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة بلفظ: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر. وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف، ورواه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال: هو على شرطهما، وأقره الذهبى فى التلخيص.

(١٩٩) حديث: «لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه عز وجل، أما سمعتم قول الفاجر: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ قال البيضاوى: لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات، أو نعقل فنفكر فى حكمه ومعانيه فكر المستبصرين ما كنا فى عداد أصحاب السعير ومن جملتهم، قال العراقى: ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود. ا هـ .

(٢٠٠) حديث: «عن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الدارى: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل» ولفظ داود: سألت جبريل عن السؤدد فى الناس، قال العراقى: ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود، ورواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب عن الحرث.

وعن البراء بن عارب رضي الله عنه، قال: كثرت المسائل يومًا على رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس، إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل، وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا»(٢٠١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أُحد سمع الناس يقولون: فلان أشجع من فلان، وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فلا علم لكم به»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم، فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم» (٢٠٢).

وعن البراء بن عازب أنه ﷺ قال: «جدَّ الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل، وجدَّ المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا»(٢٠٣). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، بم يتفاضل الناس في

(٢٠١) حديث: وقال داود بن المحبر أيضا في كتابه المذكور: حدثنا غياث بن إبراهيم عن الربيع بن لوط الأنصاري عن أبيه عن جده عن البراء بن عازب بن الحرث بن عدي الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين، قال: كثرت المسائل يوما على رسول الله ﷺ. ولفظ داود: كثرت المسائل على رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس إن لكل شيء مطية وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا» وعند العراقي: أحسنهم وأفضلهم بضمير الغائب في الموضعين ولفظ داود: إن لكل شيء سبيل مطية وثيقة ومحجة واضحة، وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة أفضلهم عقلا، قال العراقي: رواه الحرث ابن أبي أسامة في مسنده عن داود، وغياث بن إبراهيم النخعي أحد الوضاعين.

(٢٠٢) حديث: «لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون: فلان أشجع من فلان، وفلان أبلى ما لم يبل غيره ونحو ذلك، فقال النبي ﷺ: «أما هذا فلا علم لكم به»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم»، ولفظ داود: على قدر حسن نياتهم، قال العراقي: ولعله سقط منه ذكر طاوس، وإلا فعبد الله بن طاوس إنما روى عن التابعين.

(٢٠٣) حديث: «جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل، وجد المؤمنون من بني آدم» زاد=

الدنيا؟ قال: «بالعقل»، قلت: وفى الآخرة ؟ قال: «بالعقل»، قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ فقال ﷺ: «يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل؛ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» (٢٠٤) .

= داود هنا: «واجتهدوا فى طاعة ربهم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا» قال العراقى: ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود وهكذا غير داود عما حدث به ميسرة بن عبد ربه فجعله داود عن البراء بن عازب وإنما هو أبو عازب رجل آخر ذكر فى الصحابة، هكذا رواه أبو القاسم البغوى فى معجم الصحابة قال: حدثنى محمد بن على الجوزجانى حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد حدثنا ميسرة بن عبد ربه وحسين بن المروزى البغدادى ما علمنا فيه جرحا وقد أتاه أبو حاتم الرازى يسمع منه تفسير شيبان فلم يتفق فهو أولى من داود بن المحبر، والله أعلم. اهـ .

قال مرتضى: وقد تقدم شيء من حال ميسرة وهو ميسرة بن عبد ربه الفارسى ثم البصرى التراس الأكال فى الميزان، قال ابن حبان كان: يروى الموضوعات عن الأثبات وهو واضع أحاديث فضائل القرآن، وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث، وقال أبو زرعة، وضع فى فضل قزوين أربعين حديثا وكان يقول: أحتسب فى ذلك.

(٢٠٤) حديث: عن عائشة ﵂ قالت: قلت: يا رسول الله بم (وفى نسخة العراقى: بأى شيء) يتفاضل الناس فى الدنيا؟ قال: «بالعقل»، قلت: وفى الآخرة ؟ قال: «بالعقل» قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟ (ولفظ داود: بقدر أعمالهم) فقال: «ياعائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون»، قال العراقى: رواه الحكيم الترمذى فى نوادره فقال: حدثنا محمد بن الحسن حدثنا أبى عن هشام ابن القاسم عن ميسرة عن عباد بن كثير عن محمد بن زيد، فزاد فى إسناده بين ميسرة ومحمد ابن زيد عباد بن كثير، ولفظه: بأى شيء يتفاضل الناس؟ قال: بالعقل فى الدنيا والآخرة.

قال مرتضى: أليس يجزى الناس بأعمالهم؟ قال: «يا عائشة، وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل، فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون». اهـ. ثم قال: وفى اللآلئ المصنوعة للحافظ السيوطى الحرث بن أبى أسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال: يا أم المؤمنين، الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده، وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك؟ فقالت: سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: «أحسنهما عقلا» فقلت: يا رسول الله أسألك عن عبادتهما فقال: «يا عائشة، إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة». قال ابن الجوزى: موضوع.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء آلة وعدة، وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصدِّيقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصدِّيقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل»[٢٠٥].

وقال ﷺ: «إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل مَن نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه؛ فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح»[٢٠٦].

وقال ﷺ: «أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفًا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرًا وإن كان أقلكم تطوّعًا»[٢٠٧].

---

(٢٠٥) حديث: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء آلة وعدة، وإن آلة المؤمن العقل . . .» قال العراقي ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود.

(٢٠٦) حديث: «إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه» وعند داود بعد قوله عقله، وتفقه وصح يقينه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح، ولفظة داود: وعمل لله بدل به قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية حبيب كاتب مالك عن محمد بن عبد السلام عن الزهري عن سالم عن أبيه فجعله من حديث عبد الله بن عمر، وحبيب بن أبي حبيب كاتب مالك متفق على ضعفه، وقال أبو داود: كان من أكذب الناس. ا هـ.

قال مرتضى: وزاد في الميزان: قال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة، وقال ابن حبان: كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروي عن الثقات الموضوعات، كان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم.

(٢٠٧) حديث: «أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا، وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا» وأخرج ابن عدي من رواية محمد بن وهب الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته»، قال في الميزان: هو حديث باطل منكر آفته من محمد بن وهب، وقال الدارقطني: هو حديث غير محفوظ، والله أعلم.

بيان حقيقة العقل وأقسامه

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم، والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة. وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه.

فالأول: الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذى استعدَّ به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا وردَّ العقل إلى مجرد العلوم الضرورية، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم، وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية، فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية، ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والحمار فى الغريزة والإدراكات الحسية، فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق فى الإنسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدّر الحمار جماداً ميتًا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد، وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة فى إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الأجسام فى حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة، وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة فى سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة.

الثانى: هى العلوم التى تخرج إلى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى

وقت واحد، وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وهو أيضا صحيح فى نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة، ويقال لا موجود إلا هذه العلوم.

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجارى الأحوال فإن من حنّكته التجارب وهذّبته المذاهب، يقال إنه عاقل فى العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبى غمر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا.

الرابع: أن تنتهى قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضا من خواص الإنسان التى بها يتميز عن سائر الحيوان، فالأول هو الأس والسِّنْخ والمنبع، والثانى هو الفرع الأقرب إليه، والثالث فرع الأول والثانى إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع هو الثمرة الأخيرة والغاية القصوى، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب، ولذلك قال علىّ كرم الله وجهه:

رأيت العقل عقلين .. فمطبوع ومسموع .. ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع .. كما لا ينفع الشمس .. وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله ﷺ: «**ما خلق الله عز وجل خلقًا أكرم عليه من العقل**»(٢٠٨).

---

(٢٠٨) حديث: «ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل» **قال العراقى**: رواه الحكيم الترمذى فى النوادر بإسناد ضعيف من رواية الحسن البصرى قال: حدثنى عدة من أصحاب رسول الله ﷺ فذكر حديثا فيه أن الله تعالى قال: «ما خلقت خلقا أحب إلىّ منك ولا أكرم علىّ منك» الحديث، قد تقدم فى ثالث حديث الباب. ا هـ.

قال مرتضى: وأشار إلى أنه ضعيف لكون الترمذى المذكور رواه عن عبد الرحمن بن حبيب عن داود بن المحبر عن الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن، ورجاله ما عدا الحسن هلكى، وقد رواه داود أيضا فى كتابه مرسلا، فقال: حدثنا صالح المرى عن الحسن فذكره.

والأخيـر هو المراد بقوله ﷺ : «إذا تقرب الناس بأبواب البـر والأعمال الصـالحة فتـقرب أنت بعقلك» (٢٠٩). وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبى الدرداء ﷺ : «ازدد عقلا تزدد من ربك قربا»، فقال: بأبى أنت وأمى وكيف لى بذلك؟ فقال: «اجتنب محـارم الله تعالى، وأدّ فرائض الله سبـحانه تكن عاقـلا، واعمل بالصالحـات من الأعمال تزدد فى عاجـل الدنيا رفعة وكـرامة، وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز» (٢١٠).

وعن سعـيد بن المسيب، أن عـمر وأبى بن كعب وأبا هريرة ﷺ دخـلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، من أعلم الناس؟ فقال ﷺ : «العـاقل»، قالوا: فمن أعبد الناس؟ قال: «العاقل»، قـالوا: فمن أفضل الناس؟ قال: «العاقل»، قـالوا: أليس العاقل من تمت مروءته، وظهرت فـصاحـته وجادت كـفه وعظمت منزلتـه؟ فقال ﷺ : «وإن كل ذلك لما متاع الحـياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين، إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسًا ذليلاً» (٢١١).

(٢٠٩) حديث: «إذا تقـرب الناس بأبواب البر فتـقرب أنت بعقلك» ولفظ الذريعـة: إذا تقرب الناس إلى خالقـهم بالبر فـتقـرب إليه أنت بعقلـك تسبقـهم بالدرجات والزلفى عند الله فـى الدنيا والآخرة. ا هـ. وأخـرج ابن نعيم بإسناد ضعـيف من رواية عاصم بن ضـمرة عن على ﷺ عن النبى ﷺ أنه قـال: «إذا اكتـسب الناس من أنواع البر ليـتقـربوا بها إلى ربنا عـز وجل فاكتـسب أنت أنواع العـقل تسبقهم بالزلفة والقربة»، وفى الجزء الثـالث من أمالى أبى القاسم ابن عليك النيسابورى قال: أخـبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أخبرنا محـمد بن منصور العتكى حدثنا مـحمد بن أشرس السلمى حـدثنا سليمان بن عيـسى السنجرى عن سفيـان الثورى عن حبـيب بن أبى ثابت عن عاصم بن ضـمرة عن ﷺ عنه قال: قـال رسول الله ﷺ : «إذا اكتـسب الناس إلى خالقـهم بأنواع البر فاكـتسب إليـه بأنواع العقل تسبـقهم بالقـربة والراحة والدرجات فى الدنيا.

(٢١٠) حديث: «ازدد عقـلا تزدد قربا» قال العراقى: وأبان بن أبى عيـاش ضعيف، وقد رواه بسـياق المصنف داود بن المحبر فى كتاب العقل، ومن طريقه رواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده. ا هـ.

قال مرتضى: وأخرج البيهـقى وابن عدى من حديث ابن مسعود رفعـه: «أدّ ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس، واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس، وارض بما قسمه الله لك تكن من أغنى الناس».

(٢١١) حديـث: أن عمر وأبـى بن كعب وأبا هريرة ﷺ دخلوا على رسـول الله ﷺ فقـالوا: يا رسول الله، من أعلم الناس؟ فـقال: «العاقل» قال العراقى: وقول المصنف عن ابن المسيب: يريد أنه مرسل وهو كذلك.

وقال ﷺ في حديث آخر: «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته» (٢١٢)

ويشبه أن يكون أصل الاسم فى أصل اللغة لتلك الغريزة، وكذا فى الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال: العلم هو الخشية، والعالم من يخشى الله تعالى فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة، والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة، والاسم يطلق على جميعها، ولا خلاف فى وجود جميعها إلا فى القسم الأول، والصحيح وجودها بل هى الأصل، وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت، ومثاله الماء فى الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا أن يساق إليها شيء جديد، وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد فى الورد، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٧٢).

فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم انقسموا فى إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مُقر وإلى جاحد، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف: ٨٧).

معناه إن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: ٣٠).

أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه، أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للإدراك، ثم لما كان الإيمان مركوزاً فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين: إلى من أعرض فنسى وهم الكفار، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان

---

(٢١٢) حديث «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته» قال العراقى: رواه ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا، وفيه قصة.

كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها، ولذلك قال عز وجل: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(البقرة: ٢٢١) ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: ٢٩)، ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ (المائدة: ٧)، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧).

وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يكون صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود، والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة، وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستر وجه السماع والتقليد دون الكشف والعيان، ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات، ويتخايل إليه فى الأخبار والآيات ضروبًا من المناقضات، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت، ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارًا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار، فيقول: ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها؟ فيقال له: إنها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك، فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطمّ منه وأعظم، إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس، ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم: ١١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الانعام: ٧٥).

وسمى ضده عمى فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الاسراء: ٧٢).

وهذه الأمور التى كُشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية، وبالجملة من لم تكن بصيرة الباطنة ثاقبة لم يعلق بها من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه، فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها.

بيان تفاوت النفوس فى العقل

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قَلّ تحصيله، بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق، والحق الصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشيء الواحد قديمًا حادثا، وكذا سائر النظائر، وكل ما يدركه إدراكا محققا من غير شك، وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها، أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض، ولكن غير مقصور عليه، فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه، وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا، وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة، وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك إذا لم يكن طبيبا، وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى، وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان، فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه، وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد.

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك، ويكون سببه إما تفاوتا فى الغريزة وإما تفاوتا فى الممارسة، فأما الأول وهو الأصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده، فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة، ومثاله نور الصبح فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى

الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر، بل سُنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج، فى الإيجاد حتى أن غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة، بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات، ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل، ومن ظن أن عقل النبى ﷺ مثل عقل آحاد السوادية، وأجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس فى فهم العلوم، ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكى يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم، كما قال تعالى:

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ (النور: ٣٥).

وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام، وعن مثله عبَّر النبى ﷺ حيث قال: «**إن روح القدس نفث فى روعى: أحبب من أحببت فإنك مفارقه، وعش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به**» (٢١٣) وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى الروع، ودرجات الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة، ولا تظنن

(٢١٣) حديث: «أحبب من أحببت فإنك مفارقه، وعش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به» وعند الطبرانى: فإنك ملاقيه، وفيه تقديم هذه الجملة على الثانية وفى آخره، وقال رسول الله ﷺ : أوجز لى جبريل فى الخطبة، قال: ولا يروى عن على إلا بهذا الإسناد، وقد روى هذا الحديث عن سهل بن سعد وسياق المصنف أشبه به إلا أن فيه تقديما وتأخيرا وزيادة فى الآخر، أخرجه الطبرانى أيضا فى الأوسط من رواية زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس» وراويه عن زافر تابعه محمد بن حميد الرازى وتابعه عليه إسماعيل بن ثوبة فيما رواه الشيرازى فى الألقاب إلا أنه قال: واجمع ما شئت فإنك تاركه، بدل واعمل ما شئت.

أن معرفة درجات الوحى تستدعى منصب الوحى إذ لا يبعد أن يُعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة - وإن كان خاليا عنها - فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر، فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا، وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لاختلاف جواهر الأرض فى صفاتها فكذلك اختلاف النفوس فى غريزة العقل، ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام ﷺ، سأل النبى ﷺ فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت: **«يا ربنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش؟ قال: نعم العقل، قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال: هيهات لا يحاط بعلمه، هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا، قال الله عز وجل: فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك»** (٢١٤).

فإن قلت: فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول؟ فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة

---

(٢١٤) حديث: «سأل رسول الله ﷺ فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت: يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش؟ قال: نعم العقل؟ قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال: هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا، قال تعالى: فإنى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقًا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم أكثر من ذلك».
قال العراقى: رواه داود بن المحبر فى كتاب العقل، فقال: حدثنا ميسرة عن موسى بن جابان عن أنس بن مالك فذكره مع اختلاف يسير، ورواه الترمذى الحكيم فى النوادر مختصراً، فقال: حدثنا مهدى حدثنا الحسن عن منصور عن موسى بن خالد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق العقل أكبر من عدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة من ذلك، ومنهم من أعطى حبتين، ومنهم من أعطى مدا، ومنهم من أعطى صاعا، ومنهم من أعطى فرقا. وبعضهم وسقا» فقال ابن سلام: من هم يا رسول الله ؟ قال: «العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذى فى قلوبهم». ا هـ.

الكلام، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم فى التسمية إذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم، فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه، وإن ذم فما الذى بعده يُحمد، فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع؟ فإن علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما، ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل، فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان وهى الصفة الباطنة التى يتيمز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور، وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ، فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل. والله أعلم.

تم كتاب «العلم» بحمد الله تعالى ومَنّه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب «قواعد العقائد»، والحمد لله وحده أولاً وآخراً.

★ ★ ★

الكتاب الثانى

من ربع العبادات

كتاب قواعد العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثانى من ربع العبادات

كتاب قواعد العقائد، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول

فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الإسلام

فنقول وبالله التوفيق: الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد، ذى العرش المجيد والبطش الشديد، الهادى صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرّف إياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمدٌ لا ضدّ له، منفرد لا ندّ له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلى لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدىّ لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفًا بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

التنزيه: وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودًا ولا يماثله موجود، ليس كمثله شىء ولا هو مثل شىء، وأنه لا يحده المقدار، ولاتحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون،

ولا السماوات، وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده، استواءً منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيعَ الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل فى شيء، ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحدّه زمان، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته، وأنه مقدَّس عن التغيير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض، بل لا يزال فى نعوت جلاله منزهًا عن الزوال، وفى صفات كماله مستغنيًا عن زيادة الاستكمال، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول، مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبرار فى دار القرار، وإتمامًا منه للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

الحياة والقدرة: وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، له السلطان والقهر والخلق والأمر والسماوات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون فى قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع، المتوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته، ولا تتناهى معلوماته.

العلم: وأنه عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجرى من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر فى جو الهواء، ويعلم

السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفًا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

الإرادة: وأنه تعالى مريد للكائنات مدبِّر للحادثات، فلا يجرى في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد، لا راد لأمره ولا معقِّب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك، وأن إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفًا بها مريدًا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير، دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

السمع والبصر: وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، ولا يحجب سمعه بُعْد، ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق.

الكلام: وأنه تعالى متكلمٌ آمرٌ ناهٍ واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وأن القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق،

وأن موسى - عليه السلام - سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرَض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حيًا عالما قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات.

الأفعال: وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها، وأنه حكيم فى أفعاله عادل فى أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد، إذ العبد يُتصور منه الظلم بتصرفه فى ملك غيره، ولا يُتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا، فكل ما سواه من إنس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان، ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادثٌ اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعًا وأنشأه إنشاء بعد أن لم يكن شيئًا، إذ كان فى الأزل موجودًا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك إظهارًا لقدرته وتحقيقًا لما سبق من إرادته ولما حق فى الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومتطول بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادرًا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحًا ولا ظلمًا، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يُتصور منه ظلم، ولا يجب لأحد عليه حق، وأن حقه فى الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبلّغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به.

معنى الكلمة الثانية: وهى الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبى الأمى القرشى محمدًا ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها، وفضّله على سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول: لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك: محمد رسول الله، وألزم

الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وإنه لا يتقبل إيمان عبده حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت.

وأوله « **سؤال منكر ونكير** » (٢١٥) وهما شخصان مهيبان هائلان يُقعدان العبد فى قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة، ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهما «**فتّانا القبر**» (٢١٦) « **وسؤالهما أوّل فتنة بعد الموت**» (٢١٧).

وأن يؤمن « **بعذاب القبر**» (٢١٨) وأنه حق، وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء.

وأن يؤمن « **بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طبقات السماوات والأرض**» (٢١٩) توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل

---

(٢١٥) حديث : « سؤال منكر ونكير » رواه الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة: إذا قبر الميت ـــ أو قال أحدكم ـــ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير. وفى الصحيحين من حديث أنس: إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه . . . الحديث .

(٢١٦) حديث : « إنهما فتانا القبر » رواه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتانى القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا ؟ الحديث .

(٢١٧) حديث : « إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت » **قال العراقى**: لم أجده .

(٢١٨) حديث : « عذاب القبر » أخرجاه من حديث عائشة: « إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم. . . » الحديث ،ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته ﷺ من عذاب القبر .

(٢١٩) حديث : « الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته فى العظم أنه مثل طباق السماوات والأرض » رواه البيهقى فى البعث من حديث عمر قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان . . . » الحديث، وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبى داود من حديث عائشة أما فى ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه فى تفسيره قالت عائشة : «أى حبى قد علمنا الموازين هى الكفتان فيوضع فى هذه الشىء ويوضع فى هذه الشىء فترجح إحداهما وتخف الأخرى »، ورواه والترمذى وحسنه من حديث أنس: واطلبينى عند الميزان. ومن حديث عبد الله بن عمر فى حديث البطاقة: « فتوضع السجلات فى كفة=

تحقيقًا لتمام العدل، وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله.

« **وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة** » (٢٢٠) تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوى بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار.

«**وأن يؤمن بالحوض المورود**» (٢٢١) حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط، « **ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، حوله أباريق عددها بعدد نجوم**

= والبطاقة في كفة . . . » الحديث، وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس: كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها .

(٢٢٠) حديث : « الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعر » **قال العراقي** : رواه الشيخان من حديث أبي هريرة : ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم. ولهما من حديث أبي سعيد: ثم يضرب الجسر على جهنم. زاد مسلم: قال أبو سعيد: إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف. ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف، وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع .

(٢٢١) حديث : « الإيمان بالحوض » وأنه يشرب منه المؤمنون، **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أنس في نزول : ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة بن عامر وجندب وسهل بن سعد: أنا فرطكم على الحوض ،ومن حديث ابن عمر: أما لكم حوض كما بين جرباء وأدرج، وقال الطبراني: كما بينكم وبين جرباء وأدرج وهو الصواب ،وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو وحذيفة وأبي ذر وحابس بن سمرة وحارثة ابن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء .

السماء » (٢٢٢)، « فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر» (٢٢٣)، و« أن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش فى الحساب وإلى مُسَامَح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب» (٢٢٤) وهم المقرّبون، « فيسأل الله تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين» (٢٢٥)، « ويسأل المبتدعة عن السنة» (٢٢٦) ، «ويسأل المسلمين عن

---

(٢٢٢) حديث : « من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه مسيرة شهر، أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، حوله أباريق عدد نجوم السماء.» **قال العراقى** : من حديث عبد الله ابن عمرو ، ولهما من حديث أنس : فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، **قال العراقى** : وفى رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء .

(٢٢٣) حديث : « فيه ميزابان يصبان من الكوثر » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث ثوبان: يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق .

(٢٢٤) حديث : « الإيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش فى الحساب ومسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب » **قال العراقى** : رواه البيهقى فى البعث من حديث عمر فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال :« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله. . . » الحديث، وهو عند مسلم دون ذكر الحساب، وللشيخين من حديث عائشة : من نوقش الحساب عذِّب، قالت: قلت : أليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ قال: ذلك العرض ، ولهما من حديث ابن عباس: « عرضت عليّ الأمم فقيل: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، ولمسلم من حديث أبى هريرة وعمران بن حصين: يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير حساب، زاد البيهقى فى البعث من حديث عمرو بن حزم: وأعطانى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفًا، زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر بعده هذه الزيادة فقال : فهلا استزدته قال: قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفًا، قال عمر: فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى هكذا، وفرج عبد الرحمن بن أبى بكر بين يديه. . . الحديث .

(٢٢٥) حديث : « سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى سعيد: يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول : نعم: فيقال لأمته فيقولون : ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته . . . الحديث ، ولابن ماجه: يجىء النبى يوم القيامة . . . الحديث وفيه: فيقال : هل بلغت قومك . . . الحديث .

(٢٢٦) حديث : « سؤال المبتدعة عن السنة » **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث عائشة: من=

الأعمال» (٢٢٧)، وأن يؤمن « بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحِّد بفضل الله تعالى » (٢٢٨) فلا يخلد فى النار موحد.

وأن يؤمن « بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين» (٢٢٩) كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى، ومن بقى من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد فى النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وأن يعتقد فضل الصحابة ﷺ وترتيبهم، « وأن أفضل الناس بعد النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ﷺ » (٢٣٠) .

= تكلم بشىء من القدر سئل عنه يوم القيامة ، ومن حديث أبى هريرة : ما من داع يدعو إلى شىء إلا وقف يوم القيامة لازمًا لدعوة ما دعا إليه، وإن دعا رجل رجلاً. وإسنادهما ضعيف.

(٢٢٧) حديث : « سؤال المسلمين عن الأعمال » قال العراقى: رواه أصحاب السنن من حديث أبى هريرة: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . . . الحديث، وسيأتى فى الصلاة .

(٢٢٨) حديث : « إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه » قال العراقى : رواه الشيخان من حديث أبى هريرة فى حديث طويل: « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله . . .» الحديث .

(٢٢٩) حديث : « شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقى من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله، فلا يخلد فى النار مؤمن بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » قال العراقى : رواه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء. وقد تقدم فى العلم ، وللشيخين من حديث أبى سعيد الخدرى من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه. وفى رواية: من خير، وفيه: فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط . . . الحديث .

(٢٣٠) حديث : « أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على » قال العراقى : رواه البخارى من حديث ابن عمر قال كنا نخيِّر بين الناس فى زمن=

« وأن يُحسن الظن بجميع الصحابة ويُثنى عليهم » (٢٣١) كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ عليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنًا به كـان من أهل الحق وعصـابة السنة، وفارق رهط الضلال وحـزب البدعـة، فنسأل الله كمال اليقين وحُسن الثبات فى الدين لنا ولكافـة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى كل عبد مصطفى.

★ ★ ★

= النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان . ولأبى داود: كنا نقول ورسول الله ﷺ حى : أفـضل أمة النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عـثمان ﷺ . زاد الطبرانى ويسمع ذلك النبى ﷺ ولا ينكره .

(٢٣١) حديث : « إحسان الظن بجمـيع الصحابة والثناء عليهم » **قال العـراقى** : رواه الترمـذى من حديث عبد الله بن مغفل: « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى » وللشيخين من حديث أبى سـعيـد: « لا تسبـوا أصحابى » وللطبـرانى من حديث ابن مـسعـود: « إذا ذُكر أصحابى فأمسكوا » .

الفصل الثانى

فى وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة ينبغى أن يقدم إلى الصبى فى أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض، نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خالٍ عن نوع من الضعف فى الابتداء، على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلابد من تقويته وإثباته فى نفس الصبى والعامى حتى يترسخ ولا يتزلزل، وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها، وبما يسرى إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم فى الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر فى الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وينبغى أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها، وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب. والمشاهدة تكفيك فى هذا بيانًا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامى فى الثبات

كالطود الشامخ لا تحركه الدواهى والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً إذ لا فرق فى التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول، فتلقين الدليل شىء والاستدلال بالنظر شىء آخر بعيد عنه، ثم الصبى إذا وقع نشوّه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها، ولكنه يسلم فى الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا،وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقًا لوعده عز وجل إذ قال:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩).

وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصدّيقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق، وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى، وفى الاستضاءة بنور اليقين، وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة، وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه.

مسألة: فإن قلت: تعلُّم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه؟

فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافًا فى أطراف فمن قائل: إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب فرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم

التوحيد ونضال عن دين الله تعالى، وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف .

قال ابن عبد الأعلى رحمه الله: سمعت الشافعى ﷺ يوم ناظر حفصًا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول: لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، ولقد سمعت من حفص كلامًا لا أقدر أن أحكيه، وقال أيضًا: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام، وحكى الكرابيسى أن الشافعى ﷺ سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل عن هذا حفصًا الفرد وأصحابه أخزاهم الله، ولما مرض الشافعى ﷺ دخل عليه حفص الفرد فقال له: من أنا؟ فقال: حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه، وقال أيضًا: لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد، وقال أيضًا: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له.

قال الزعفرانى: قال الشافعى: حكمى فى أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام.

وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل. وبالغ فى ذمه حتى هجر الحارث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابًا فى الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك ألست تحكى بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات، فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث؟ وقال أحمد رحمه الله: علماء الكلام زنادقة.

وقال مالك رحمه الله: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟! يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت، وقال مالك رحمه الله أيضًا: لا تجوز شهادة أهل البدع

والأهواء؛ فقال بعض أصحابه في تأويله: إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا، **وقال أبو يوسف:** من طلب العلم بالكلام تزندق، **وقال الحسن:** لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم. وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر، ولذلك قال النبى ﷺ : « **هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون** » (٢٣٢) أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء، واحتجوا أيضًا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه، « **فقد علمهم الاستنجاء** » (٢٣٣)، «**وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم**» (٢٣٤)، « **ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال: أمسكوا عن القدر**»(٢٣٥) وعلى هذا استمر الصحابة ﷺ ؛ فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم، وهم

(٢٣٢) حديث : « هلك المتنطعون » رواه مسلم من حديث ابن مسعود قال: قال ذلك ثلاثًا ؛ **قاله العراقى** .

قال مرتضى : أخرجه الإمام أحمد فى القدر أيضًا وأبو داود فى السنة وليس عندهما ذكره ثلاث مرات، كلهم عن ابن مسعود ﷺ رفعه .

(٢٣٣) حديث : « فقد علمهم الاستنجاء » **قال العراقى** : أخرجه مسلم فى صحيحه عن سلمان ﷺ .

(٢٣٤) حديث : « وندبهم إلى علم الفرائض » **قال مرتضى** : أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ : « تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتى» قال الحافظ الذهبى: فيه حفص بن عمر بن أبى العطاف واه بمرة، وقال ابن حجر الحافظ: مداره على حفص وهو متروك، وقال البيهقى: تفرد به حفص وليس بقوى، وفى رواية: فإنه من الدين ،وأخرج أحمد والترمذى والنسائي والحاكم وصححه بلفظ: تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنى امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض حتى يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما. قال الحافظ فى الفتح: رواته موثقون إلا أنه اختلف فيه على عوف الأعرابى، وأخرج الترمذى من حديث أنس: وأفرضهم زيد بن ثابت. « وأثنى عليهم » حيث قال : خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم وقال فى افتراق الأمم: الناجية منهم واحدة فقيل: من هم ؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابى .

(٢٣٥) حديث : « ونهاهم عن الكلام فى القدر وقال أمسكوا » **قال مرتضى** : أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود وعن ثوبان وابن عدى فى الكامل عن عمر بن الخطاب رفعوه : « إذا=

الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة، وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا: إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة ﷺ فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه، ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التى تورد على القياس لما كانوا يفقهونه ؛ فإحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها فى مباح، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعنى به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء فى الشرع، فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل، وإن كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضى إليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضى إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه، ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ (البقرة: ١١١).

وقال عز وجل: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال: ٤٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ﴾ (يونس: ٦٨) أى: حجة وبرهان.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (الأنعام: ١٤٩).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإفحامه خصمه فى معرض الثناء عليه.

= ذُكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا » أى لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى لا تحصى، وقد مر هذا الحديث فى كتاب العلم وأشبعنا الكلام عليه من جهة الصناعة الحديثية قال البغوى : القدر سر الله لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فى البحث عنه من طريق العقل بل يعتقد أنه تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين : أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا .

وقال عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (الأنعام: ٨٣) .

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ (هود: ٣٢) .

وقال تعالى فى قصة فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٣).

إلى قوله: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ٣٠). وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار، فعمدة أدلة المتكلمين فى التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) .

وفى النبوة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٣).

وفى البعث: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس: ٧٩).

إلى غير ذلك من الآيات والأدلة، ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم.

قال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

فالصحابة ﷺ أيضًا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة، وكانت الحاجة إليه قليلة فى زمانهم، وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بن أبى طالب ﷺ إذ بعث ابن عباس ﷺ إلى الخوارج فكلمهم، فقال: ما تنقمون على إمامكم؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فقال: ذلك فى قتال الكفار، أرأيتم لو سبيت عائشة ﷺ فى يوم الجمل فوقعت عائشة ﷺ فى سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهى أمكم فى نص الكتاب؟ فقالوا: لا، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان.

وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر، وناظر على بن أبى طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية، وناظر عبد الله بن مسعود ﷺ يزيد بن عميرة فى الإيمان، قال عبد الله: لو قلت إنى مؤمن لقلت إنى فى الجنة، فقال له يزيد بن عميرة: يا صاحب رسول الله، هذه زلة منك، وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة، ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة ؛ فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة، فقال ابن مسعود: صدقت، والله إنها منى زلة.

فينبغى أن يقال: كان خوضهم فيه قليلا لا كثيراً، وقصيراً لا طويلا، وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة ؛ فيقال: أما قلة خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة، إذ لم تكن البدعة تظهر فى ذلك الزمان، وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة ؛فلو طال إشكال الخصم أو إلجاجه لطال لا محالة إلزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها، وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه، فهكذا كان دأبهم فى الفقه والتفسير والحديث أيضًا ؛ فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التى لا تتفق إلا على الندور إمّا ادخاراً ليوم وقوعها وإن كان نادراً أو تشحيذاً للخواطر، فنحن أيضًا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين.

فإن قلت: فما المختار عندك فيه؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه فى كل حال أو بحمده فى كل حال خطأ بل لابد فيه من تفصيل، فاعلم أوّلا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعنى بقولى لذاته أن علة تحريمه وصف فى ذاته وهو الإسكار والموت، وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الإضطرار، وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر، وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم فى وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما

فيه من الإضرار، وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيرة فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذى يقتل قليله وكثيره، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور، وكأكل الطين، وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال ؛ فإن تصدى شىء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل.

فنعود إلى علم الكلام ونقول: إن فيه منفعة وفيه مضرة، فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته فى وقت الاستضرار ومحله حرام، أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم ؛ فذلك مما يحصل فى الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره فى الاعتقاد الحق، وله ضرر آخر فى تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته فى صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل، ولذلك ترى المبتدع العامى يمكن أن يزول اعتقاده باللطف فى أسرع زمان إلا إذا كان نشوؤه فى بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا إلى نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولى على قلبه ويمنعه من إدراك الحق، حتى لو قيل له: هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه، وهذا هو الداء العضال الذى استطار فى البلاد والعباد، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره، وأما منفعته فقد يُظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هى عليه، وهيهات فليس فى الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف وأمل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك إلى التعمق فى علوم أُخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمرى لا ينفك الكلام

عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل، فإن العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسدًا، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه، والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها، والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصّاب، وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه، وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة، وتفصيله أن العوام والمشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتُركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه، فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكّا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح، وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يُدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب، وبالكلام اللطيف المقنع للنفس، المؤثر في القلب، القريب من سياق أدلة القرآن والحديث، الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين، إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده، فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضًا يقدرون على دفعه، فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ، والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام، واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه، وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة، فإن كانت البدعة شائعة، وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا

فلا بأس أن يعلموا القدر الذى أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببًا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم، وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره، فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت فى نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذى ذكرناه فى كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر فى قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين، فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريًا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له، فالقدر الذى يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذى يرجى نفعه، فأما الخارج منه فقسمان: أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الإدراكات وعن الخوض فى الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى، وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئى يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات. والقسم الثانى زيادة تقرير لتلك الأدلة فى غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضًا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا فى حق من لم يقنعه ذلك القدر، فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضًا، ولو قال قائل: البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر، والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه، كان كقوله: لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضًا، وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة ؛ فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام، والحال التى يذم فيها والحال التى يحمد فيها، والشخص الذى لا ينتفع به، والشخص الذى لا ينتفع به، فإن قلت: مهما اعترفت بالحاجة إليه فى دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلابد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما، وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم، ولو

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي موسوعة إسلامية كبرى لا يستغني عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالي أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالي آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقي** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدي الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقي وتعقب بعض الأحاديث التي لم يجد لها الحافظ العراقي أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين في عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجاني** بمراجعة تخريجي الحافظ العراقي والسيد مرتضى الزبيدي ورأى جمعهما في كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث للنابلسي ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف في فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالي « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره في أعداد متتابعة .

والله ولي التوفيق ،

هاني غريب

ج ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٦

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

ترك بالكلية لاندرس، وليس فى مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغى أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضًا من فروض الكفايات، بخلاف زمن الصحابة ﷺ فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه، فاعلم أن الحق أنه لابد فى كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التى ثارت فى تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير ؛ فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء، لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر، فالعالم به ينبغى أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال:

إحداهما: التجرد للعلم والحرص عليه، فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت.

والثانية: الذكاء والفطنة والفصاحة، فإن البليد لاينتفع بفهمه والفَدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضر الكلام ولا يرجى فيه نفعه.

والثالثة: أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه، فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذى بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسدُ مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه. وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التى لا يفهمها أكثر الناس، وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فإذا قابله مثله فى الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعى وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه، وأن ما نقل عن ابن عباس ﷺ من مناظرة الخوارج وما نقل عن على ﷺ من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة، وذلك محمود فى كل حال، نعم قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك، فهذا حكم

العقيدة التى تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها، فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هى عليه وإدراك الأسرار التى يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات، وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب، وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله.

مسألة: فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار، وبعضها جلى يبدو أولاً وبعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب، وهذا يكاد يكون مخالفًا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة، وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيئًا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترقٍّ إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع، قال ﷺ: « **إن للقرآن ظاهراً وباطنًا وحداً ومطلعاً** » (٢٣٦).

وقال على رضي الله عنه وأشار إلى صدره: « إن ههنا علومًا جمة لو وجدت لها حملة ».

وقال ﷺ: « **نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم** » (٢٣٧)، وقال ﷺ: « **ما حدّث أحد قومًا بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم** » (٢٣٨).

وقال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

وقال ﷺ: « **إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى** » (٢٣٩) الحديث إلى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم.

---

(٢٣٦) حديث: « إن للقرآن ظاهراً وباطنًا وحداً ومطلعا » **قال العراقى:** أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه وأورده ابن الأثير فى نهايته.

(٢٣٧) تقدم فى كتاب العلم برقم ١٣٦ص ٢٠٧ .

(٢٣٨) تقدم فى كتاب العلم برقم ٩٩ ص ١٥٠ .

(٢٣٩) تقدم فى كتاب العلم برقم ٧٢ ص ١٠٧ .

وقال ﷺ: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » (٢٤٠) فليت شعرى إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فَلِمَ لَمْ يذكره لهم، ولاشك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ (الطلاق: ١٢)، لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى، وفى لفظ آخر: لقلتم إنه كافر. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم.

وقال ﷺ: « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره » (٢٤١)، ولا شك فى أن ذلك السر كان متعلقًا بقواعد الدين غير خارج منها، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيًا بظواهره على غيره.

وقال سهل التسترى رضي الله عنه: للعالم ثلاثة علوم، علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد.

---

(٢٤٠) حديث: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قال العراقى: أخرجاه من حديث عائشة وأنس. اهـ.

قال مرتضى: وأخرجه أيضًا الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت قط بمثلها ثم ذكره، وأخرج الحاكم فى المستدرك من رواية يوسف بن حبان عن مجاهد عن أبى ذر رفعه: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا ولما ساغ لكم الطعام والشراب » وقال: على شرطهما ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبى بأنه منقطع، ورواه أيضًا من طريقه ابن عساكر فى التاريخ بتلك الزيادة وأخرج الحاكم أيضًا فى كتاب الرقاق والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء رفعه: « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلا، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون، لا تدرون تنجون أو لا تنجون » وقال الحاكم صحيح، وأقره الذهبى وقال الهيتمى: رواه الطبرانى من طريق ابنة أبى الدرداء عن أبيها ولم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرج الحاكم أيضًا فى الأهوال عن أبى هريرة رفعه: « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، يظهر النفاق وترفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين ويؤتمن غير الأمين، أناخ بكم الشر الجور، الفتن كأمثال الليل المظلم» وقال: صحيح، وأقره الذهبى.

(٢٤١) تقدم فى كتاب العلم برقم ٧٤ ص ١١٣.

وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر، وقال بعضهم: للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام. وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة فى حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق، بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه، وملاك الورع النبوّة .

مسألة: فإن قلت: هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن، فإن الباطن إن كان مناقضًا للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة، وهو كفر؛ لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام، ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفى والجلى واحدًا، فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبًا عظيمًا وينجرّ إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب، فإن العقائد التى ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه فى هذا الكتاب، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه فى الشطر الأول من الكتاب، وإنما الكشف الحقيقى هو صفة سر القلب وباطنه، ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال فى مناقضة الظاهر للباطن فلابد من كلام وجيز فى حله؛ فمن قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر، فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان، بل الأسرار التى يختص بها المقربون يدركها ولا يشاركهم الأكثرون فى عملها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الشيء فى نفسه دقيقًا، تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ألا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح، « **وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم** » (٢٤٢) فإن حقيقته مما

(٢٤٢) حديث : « وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم » أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبى ﷺ فلم يرد=

تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه، ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفًا لرسول الله ﷺ فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ولم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه. ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفًا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء، ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه، بل فى صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمهما الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علمًا وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة، ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شىء لم يفهموه، بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبى أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذى يدركه ولا يكون ذلك فهمًا على التحقيق، والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل، وبالجملة فلا يدرك الإنسان إلى نفسه وصفات نفسه مما هى حاضرة له فى الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتًا فى الشرف والكمال فليس فى قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحريمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال، ولذلك قال ﷺ : « **لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** » (٢٤٣) ليس المعنى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته

= عليهم شيئًا . . . الحديث، وقال ابن عباس : قالت اليهود للنبى ﷺ : أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وإنما الروح من أمر الله، ولم يكن نزل إليه فيه شىء فلم يجبهم فأتاه جبريل عليه السلام بالآية : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ .

(٢٤٣) حديث : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ **يقول ذلك فى سجوده . قاله العراقى .**

قال مرتضى : قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو أسامة هو حماد بن أسامة عن عبد الله بن عمر عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبى هريرة عن عائشة رضي الله عنها =

بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله، ولذلك قال بعضهم: ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل. وقال الصديق ﷺ: الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه، ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى، ولعل الإشارة إلى مثله فى قوله ﷺ: « **إن لله سبحانه سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره**»(٢٤٤).

= قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» . وأخرجه الإمام أحمد عن أبى أسامة قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الأذكار: وفى السند لطيفة وهى رواية صحابى عن صحابى: أبو هريرة عن عائشة.

(٢٤٤) حديث: « إن لله سبحانه سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره » . **قال العراقى**: أخرج أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور» وإسناده ضعيف وفيه أيضا من حديث أنس قال رسول الله ﷺ لجبريل «هل ترى ربك قال: إن بينى وبينه لسبعين حجابا من نور » وفى الكبير للطبرانى من حديث سهل بن سعد: « دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة » ولمسلم من حديث أبى موسى: « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» ولابن ماجه: كل شىء أدركه بصره. اهـ. **وقال مرتضى**: وهكذا أورده المصنف فى كتابه مشكاة الأنوار إلا أنه قال: من نور وظلمة، والباقى سواء قال: وفى بعض الروايات: سبعمائة وفى بعضها: سبعين ألفا. اهـ. وفى كتاب الأسماء والصفات لأبى منصور التميمى أنه ﷺ وصف ربه عز وجل فقال: « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركته» . وفى رواية: دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة. اهـ. قال أبو منصور التميمى فى كتابه المذكور: كل خبر ذكر فيه الحجاب فإنه يرجع معناه إلى الخلق لأنهم هم المحجوبون عن رؤية الله عز وجل، وليس الخالق محجوبا عنهم لأنه يراهم ولا يجوز أن يكون مستورا بحجاب لأن ما ستره غيره فساتره أكبر منه وليس لله عز وجل حد ولا نهاية فلا يصح أن يكون بغيره مستورًا، ودليله قوله عز وجل: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ ولم يقل إنه محجوب عنهم، ويؤيد ذلك ما رواه ابن أبى ليلى عن على ﷺ أنه مر بقصاب فسمعه يقول فى يمينه: لا والذى احتجب سبعة أطباق، فعلاه بالدرة وقال: له=

= يا لكع إن الله لا يحتجب عن خلقه بشيء ولكنه حجب خلقه عنه، فقال له القصاب: أولا أُكفِّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ فقال : لا إنك حلفت بغير الله. فأما قوله: لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه . . . فقد تأوله أبو عبيد على أن المراد به لو كشف الرحمة عن النار لأحرقت من على الأرض، وكذلك قوله: دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة معناه أنها أجمع ؛ حجاب لغيره لأنه غير محصور في شيء، وقيل معناه إن لله عز وجل علامات ودلالات على وحدانيته لو شاهدها الخلق لقامت مقام العيان في الدلالة عليه غير أنه خلق دون تلك الدلائل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ليتوصل الخلق إلى معرفته بالأدلة النظرية دون المعارف الضرورية . اهـ . وفصل الخطاب في هذا المقام ما قاله المصنف في مشكاة الأنوار في تفسير هذا الحديث ما نصه: إن الله مُتَجلٍّ في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالإضافة إلى محجوب لا محالة ،وإن المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام: منهم من يحجب بمجرد الظلمة ، ومنهم من يحجب بالنور المحض ، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة ، وأصناف هذه الأقسام كثيرة ، ويمكنني أن أتكلف حصرها لكني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر ، إذ لا أدري أنه المراد بالحديث أم لا ، أما الحصر إلى سبعمائة أو سبعين ألفًا فتلك لا يستقل بها إلا القوة النبوية مع أن ظاهر ظني أن هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد ، وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير، والله أعلم بتحقيق ذلك وذلك خارج عن الوسع ، وإنما الذي يمكنني الآن أن أعرفك هذه الأقسام وبعض أصناف كل قسم : القسم الأول المحجوبون بمحض الظلمة وهؤلاء صنفان والصنف الثاني منهما ينقسمون أربع فرق وأصناف الفرقة الرابعة لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ، والقسم الثاني طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف : صنف منشأ ظلمتهم من الحس ، وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال ، وصنف منشأ ظلمتهم عن مقايسات عقلية فاسدة ، وفي الصنف الأول طوائف ست لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه والتشوق إلى معرفة ربه ، وفي الصنف الثاني أيضًا طوائف وأحسنهم رتبة المجسمة ثم الكرامية، وفي الثالث أيضًا فرق فهؤلاء كلهم أصناف، القسم الثاني الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة والقسم الثالث هم المحجوبون بمحض الأنوار وهم أربعة أصناف، الواصلون منهم الصنف الرابع وهم الذين تجلى لهم أن الرب المطاع موصوف بصفة لا تتناهى في الوحدانية المحضة والكمال البالغ وأن نسبة هذا المطاع إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس في الأنوار المحسوسة منه فتوجهوا من الذي يحرك السماوات ومن الذي أمر بتحريكها إلى الذي فطر السماوات وفطر الأرض بتحريكها فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم ، إذ وجودهم من قبله فأحرقت سبحات وجهه وجه الأول إلا على جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم، إذا وجدوه مقدسا منزها ،ثم هؤلاء انقسموا ، فمنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظا للجمال والقدس وملاحظا ذاته في جماله الذي ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية وانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص=

القسم الثانى: من الخفيات التى تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولايضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش، وكما تضر رياح الورد بالجعل، وكيف يبعد هذا وقولنا إن الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق فى نفسه، وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم، وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك، وكذلك سر القدر، ولو أفشى لأوهم عند أكثر الخلق عجزاً إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم، ولو قال قائل: إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهومًا، ولكن لم يذكر لمصلحة العباد خوفًا من الضرر فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد، وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها، ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا، فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم.

= الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وامحقوا وتلاشوا فى ذاته ولم يبق لهم لحاظ إلى أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم ولم يبق إلا الواحد الحق ، وصار معنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ لهم ذوقا وحالا ، فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج فى الترقى والعروج عن التفصيل الذى ذكرناه ، ولم يطل عليه العروج فسبقوا فى أول وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهها عنه، فغلب عليهم أولا ما غلب على الآخرين آخراً، وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسى أو بصيرة عقلية ويشبه أن يكون الأول طريق الخليل، والثانى طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما، والله أعلم بأسرار أقدامهما وأنوار مقامهما ، فهذه إشارة إلى أصناف المحجوبين ولا يبعد أن يبلغ عددهم إذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفًا ، وإذا فتشت لا تجد واحداً منهم خارجًا عن الأقسام التى حصرناها فإنهم إنما يحجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال أو بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق، والله أعلم .

القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذُكر صريحًا لَفُهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يُكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب، وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل: رأيت فلانًا يقلد الدر في أعناق الخنازير، فكنى به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها، فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك، ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك ... متقابلان على السماك الأعزل
لازال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فإنه عبر عن سبب سماوي في الإقبال والإدبار برجلين صانعين، وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله، ومنه قوله ﷺ: « **إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة عن النار** » (٢٤٥) وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة، ومعناه أن روح المسجد كونه معظمًا ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة، وكذلك قوله ﷺ: « **أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار** » (٢٤٦) وذلك من حيث الصورة لم يكن قط

(٢٤٥) حديث: « إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة عن النار » أي عن مماستها. **قال العراقي**: هذا لم أر له أصلا في المرفوع، وإنما هو في قول أبي هريرة، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. اهـ.

قال مرتضى: ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفًا على أبي هريرة، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في المسجد في القبلة فقال: « ما بال أحدكم مستقبل ربه فينخع أمامه، أيحب أحدكم أن يستقبل فينخع في وجهه » .

(٢٤٦) حديث: « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار » أو يجعل الله صورته صورة حمار، أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه كذلك كلهم في الصلاة، وفي رواية: ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه أي من السجود فهو نص فيه، وعند أبي داود زيادة: والإمام ساجد، وهو دليل=

ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمـار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى، إذ من غاية الحق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان، وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلى أو شرعى، أما العقلى فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن، كقوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢٤٧) إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلن نجد فيها أصابع فعُلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفية، وكنى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعًا فى تفهم تمام الاقتدار، ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠).

فإن ظاهره ممتنع، إذ قوله كن إن كان خطابًا للشىء قبل وجوده فهو محال، إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل، وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين، ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها، وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكنًا، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ (الرعد: ١٧) ، وأن معنى الماء ههنا هو القرآن، ومعنى الأودية هى القلوب، وأن بعضها احتملت شيئًا كثيراً وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل، والزبد مثل الكفر والنفاق فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث، وفى هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان

= على التخصيص وألحق به الركوع لكونه فى معناه، وإنما نص على السجود لمزيد مزية فيه إذ المصلى أقرب ما يكون من ربه فيه وهو غاية الخضوع المطلوب، كذا فى الفتح، وعند ابن خزيمة: قبل الإمام فى صلاته، وقوله: رأسه، أى التى خبث بالرفع تعديا رأس حمار، وفى رواية ابن حبان: رأس كلب.

(٢٤٧) حديث: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» أخرجه مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما.

والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر.

القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسًا له فيتفاوت العلمان، ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب، والأول كالظاهر والثانى كالباطن، وذلك كما يتمثل الإنسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له، فكذلك العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدّق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع، بل للإنسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة: الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه، والثانى عند وقوعه، والثالث بعد تصرمه، فإن تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال، وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقًا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ؛ ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها، ففى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر، والسلام.

القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقًا، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد: لم تشقنى؟ قال: سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى؛ فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال، ومن هذا قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾

(فصلت: ١١) .

فالبليد يفتقر فى فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلا وفهمًا للخطاب، وخطابًا هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين، والبصير يعلم أن

ذلك لسان الحال، وأنه إنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقًا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحًا بوجوده ومقدسًا بذاته وشاهدًا بوحدانية الله سبحانه، كما يقال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال: هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم، لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال، وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس، يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر، ولذلك قال تعالى:

﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا، وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضًا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر، وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد، فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى: ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ (يس: ٦٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (فصلت: ٢١).

وكذلك المخاطبات التي تجرى من منكر ونكير، وفى الميزان والصراط والحساب، ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم: ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠) زعموا أن ذلك كله بلسان الحال.

وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٤٧) وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ، قوله ﷺ: « **الحجر الأسود يمين الله فى أرضه** »[٢٤٨] وقوله ﷺ: « **قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن** »، وقوله ﷺ: « **إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن** »[٢٤٩]، ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر، والظن بأحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال، ولكنه منع من التأويل حسمًا للباب ورعاية لصلاح الخلق، فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط، فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف، فإنهم كانوا يقولون أمرّوها كما جاءت، حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» وذهبت طائفة إلى

---

(٢٤٨) حديث: « الحجر الأسود يمين الله فى أرضه » **قال العراقى**: أخرجه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ: الحجر يمين الله.

(٢٤٩) حديث: « إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن » أخرج أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه: « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات، **قاله العراقى**. اهـ.

قال مرتضى: وأخرج الخطيب وابن عساكر عن جابر رفعه: « الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » قال ابن الجوزى: فى سنده إسحق بن بشير كذبه ابن شيبة وغيره، وقال الدارقطنى: هو فى عداد من يضع، وأخرج الديلمى عن أنس رفعه: «الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله » وفى سنده على بن عمر السكرى ضعفه البرقانى وأيضًا العلاء بن سلمة الروّاس، قال الذهبى: متهم بالوضع ثم إن معنى قوله: يمين الله أى هو بمنزلة يمينه، ولما كان كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه، والحاج أول ما يقدم يسن له تقبيله، فلذا نزل منزل يمين الكعبة.

الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه، وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية، وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية، وأوّلوا كونه سميعًا بصيرا، وأوّلوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد، وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة، ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة، وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم، ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد فى الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس، وهؤلاء هم المسرفون، وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفّقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف، والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد ابن حنبل رحمه الله، والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه، والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له، فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة، وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التى حررناها، وأنهم لا يكلفون غير ذلك فى الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى فى الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق، فلنورد فى هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية فى قواعد العقائد وهى مودعة فى هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب.

* * *

الفصل الثالث

فى لوامع الأدلة للعقيدة التى ترجمناها بالقدس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى ميَّزَ عصابة السُّنة بأنوار اليقين، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين، وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين، وسددهم للتأسى بصحبة الأكرمين، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين، ومن سير الأولّين وعقائدهم بالمنهج المبين، فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول، وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول، وعرفوا أن كلمتى الشهادة على إيجازها تتضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهى أربعة، ويدور كل ركن منها على عشرة أصول:

الركن الأول: فى معرفة ذات الله تعالى، ومداره على عشرة أصول، وهى: العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكانه، وأنه يرى وأنه واحد.

الركن الثانى: فى صفاته، ويشتمل على عشرة أصول، وهى: العلم بكونه حيّا عالما قادراً مريداً سميعًا بصيراً متكلمًا منزهًا عن حلول الحوادث، وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة.

الركن الثالث: فى أفعاله، ومداره على عشرة أصول، وهى: أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد، وأنها مرادة لله تعالى، وأنه متفضل بالخلق والاختراع، وأن له تعالى تكليف ما لا يطاق، وأن له إيلام البرىء، ولا يجب عليه رعاية الأصلح، وأنه لا واجب إلا بالشرع، وأن بعثة الأنبياء جائزة، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات.

الركن الرابع: فى السمعيات، ومداره على عشرة أصول، وهى: إثبات الحشر والنشر، وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر، والميزان والضراط، وخلق الجنة والنار، وأحكام الإمامة، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم، وشروط الإمامة.

فأما الركن الأول من أركان الإيمان فى معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول:

الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان.

وقد قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝ ﴾ (النبأ: ٦- ١٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح: ١٥ - ١٨).

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۝ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الواقعة: ٥٨، ٥٩) إلى قوله: ﴿ لِلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة: ٧٣).

فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسماوات، وبدائع فطرة الحيوان والنبات، أن

هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يديره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠).

ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله ، وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله، فإن ذلك كان مجهولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم، ولذا قال عز وجل:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (لقمان: ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (الروم: ٣٠).

فإذاً فى فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغنى عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول: من بدائه العقول أن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه، والعالم حادث فإذاً لا يستغنى فى حدوثه عن سبب أما قولنا إن الحادث لا يستغنى فى حدوثه عن سبب فَجَلِيٌّ، فإن كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص، وأما قولنا: العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون، وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلاث دعاوى:

الأولى: قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون، وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار ، فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار، فإن من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا.

الثانية: قولنا إنهما حادثان، ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض، وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد، فما من ساكن إلا والعقل قاض

بجواز حركته وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه، فالطارئ منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس.

الثالثة: قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها، ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة إلى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال، ولأنه لو كان للفلك دورات ، لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعًا أو وتراً، أو شفعًا ووترًا جميعًا، أو لا شفعًا ولا وتراً ومحال أن تكون شفعًا ووترًا جميعًا أو لا شفعا ولا وتراً فإن ذلك جمع بين النفى والإثبات، إذ فى إثبات أحدهما نفى الآخر وفى نفى أحدهما إثبات الآخر، ومحال أن يكون شفعًا لأن الشفع يصير وترًا بزيادة واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد، ومحال أن يكون وترًا إذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لأعدادها، ومحال أن يكون لا شفعاً ولا وتراً إذ له نهاية، فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذًا حادث، وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة.

الأصل الثانى: العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزليًا ليس لوجوده أول بل هو أول كل شىء وقبل كل ميت وحىّ، وبرهانه أنه لو كان حادثًا ولم يكن قديمًا لافتقر هو أيضًا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث، وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هو الأول، وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه.

الأصل الثالث: العلم بأنه تعالى مع كونه أزليًا أبديًا ليس لوجوده آخر، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده، ولو جاز أن ينعدم شىء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شىء يتصور عدمه بنفسه، فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم إلى

سبب، وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المقدم لو كان قديمًا لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده ؛ فإن كان الضد المعدم حادثًا كان محالا إذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده، بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث.

الأصل الرابع: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز، وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنًا فيه أو متحركا عنه، فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم، فإن سماه مُسَمٍّ جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئًا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى.

الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصًا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر، فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام، فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسمًا من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطًا فى الاسم مع الإصابة فى نفى معنى الجسم.

الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال فى محال لأن العرض ما يحل فى الجسم، فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله، فكيف يكون حالاً فى الجسم وقد كان موجوداً فى الأزل وحده وما معه غيره، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتى بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته، وقد تحصل من هذه الأصول أنه

موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام، فإذًا لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء، وأنَّى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدِّره والمصورَّ مصوِّره، والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته.

الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمينًا وإما شمالاً أو قدام أو خلف، وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان، إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسًا فحدث اسم الفوق لما يلى جهة الرأس واسم السفل لما يلى جهة الرجل، حتى أن النملة التى تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق فى حقها تحتا وإن كان فى حقنا فوقا، وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى فى الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله، وتسمى الجهة التى تلى اليمين يمينًا والأخرى شمالا، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التى يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرًا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة، فكيف كان فى الأزل مختصًا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصًا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس، أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلى جهة الرجل، وكل ذلك مما يستحيل فى العقل، ولأن المعقول من كونه مختصًا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض، وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضًا فاستحال كونه مختصًا بالجهة، وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطًا فى الاسم مع المساعدة على المعنى، ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيًا له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر، فأما رفع الأيدى عند السؤال إلى جهة السماء فهو

لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضًا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء.

الأصل الثامن: العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذى أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذى لا ينافى وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذى أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال فى القرآن: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: ١١).

وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤).

إذ حُمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم، وحمل قوله ﷺ: «**قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**» على القدرة والقهر، وحُمل قوله ﷺ: «**الحجر الأسود يمين الله فى أرضه**» على التشريف والإكرام لأنه لو تُرك على ظاهره للزم منه المحال، فكذا الاستواء لو تُرك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسًا للعرش، إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال، وما يؤدى إلى المحال فهو محال.

الأصل التاسع: العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسًا عن الجهات والأقطار ــ مرئى بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة، دار القرار، لقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣).

ولا يُرى فى الدنيا تصديقًا لقوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام، وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا، ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم، وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤدٍّ إلى المحال، فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم، فإذا جاز تعلق العلم به، وليس فى جهة، جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة، وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة، وكما جاز أن يُعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يُرى كذلك.

الأصل العاشر: العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له، فرد لا ندَّ له، انفرد بالخلق والإبداع، واستبد بالإيجاد والاختراع، لا مثل له يساهمه ويساويه، ولا ضد له فينازعه ويناويه، وبرهانه قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) ، وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرًا فالثانى إن كان مضطرًا إلى مساعدته كان هذا الثانى مقهورًا عاجزًا ولم يكن إلهًا قادرًا، وإن كان قادرًا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويًا قاهرًا، والأول ضعيفًا قاصرًا ولم يكن إلهًا قادرًا.

الركن الثانى

العلم بصفات الله تعالى، ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر ، وأنه تعالى فى قوله : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الروم: ٥٠) صادق لأن العالم محكم فى صنعته، مرتب فى خلقته، ومن رأى ثوبًا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعًا عن غريزة العقل، ومنخرطًا فى سلك أهل الغباوة والجهل.

الأصل الثانى: العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، صادق فى قوله: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٩) ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤).

أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف.

الأصل الثالث: العلم بكونه عز وجل حيّا فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته، ولو تُصوّر قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيّا لجاز أن يُشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات، بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات، وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات.

الأصل الرابع: العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله، فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته، فهو المبدئ المعيد، والفعال لما يريد، وكيف لا يكون مريداً وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده، وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده، والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة، فلابد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين، ولو أغنى العلم عن الإرادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال: إنما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده، لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال: وجد بغير قدرة، لأنه سبق العلم بوجوده فيه.

الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، وكيف لا يكون سميعًا بصيراً، والسمع والبصر كمال لا محالة ليس بنقص فكيف، يكون المخلوق أكمل من الخالق، والمصنوع أسنى وأتم من الصانع، و كيف تعتدل

القسمة مهما وقع النقص فى جهته والكمال فى خلقه وصنعته، أو كيف تستقيم حجة إبراهيم على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلا وغيًا فقال له: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (مريم: ٤٢).

ولو انقلب ذلك عليه فى معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (الأنعام: ٨٣).

وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة، وعالمًا بلا قلب ودماغ، فليعقل كونه بصيراً بلا حدقة، وسميعًا بلا أذن، إذ لا فرق بينهما.

الأصل السادس: أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام، وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره، والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات قطعت حروفه للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نَهاه نُهاه عن أن يقول: لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم؛ فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك، ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء، وأن الباء قبل السين فى قولك: بسم الله، فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديمًا فنزه عن الالتفات إليه قلبك، فلله سبحانه سر فى إبعاد بعض العباد: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٣٣).

ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام فى الدنيا كلامًا ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى فى الآخرة موجودًا ليس بجسم ولا لون، وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية، وهو إلى الآن لم ير غيره فليعقل فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة

البصر، وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات، وإن عقل كون السماوات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة فى ورقة صغيرة ومحفوظة فى مقدار ذرة من القلب أن كل ذلك مرئى فى مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السماوات والأرض والجنة والنار فى الحدقة والقلب والورقة، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة محفوظًا فى القلوب مكتوبًا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها، إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام فى الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه فى الورق، وحلت ذات النار بكتابة اسمها فى الورق ولاحترق.

الأصل السابع: أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته، إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير، بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات، بل لم يزل فى قدمه موصوفًا بمحامد الصفات ولا يزال فى أبده كذلك منزهًا عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وإنما نبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها فى قبول التغير وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هى الأصوات الدالة عليه، وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للمولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علمًا متعلقًا بما فى قلب أبيه من الطلب صار مأموراً بذلك الطلب الذى قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله عز وجل: ﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ** ﴾ .

بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبًا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب، وسمع لذلك الكلام القديم.

الأصل الثامن: أن علمه قديم فلم يزل عالمًا بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلى، إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس، ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلعت الشمس،

لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلومًا لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر، فهكذا ينبغى أن يفهم قدم علم الله تعالى.

الأصل التاسع: أن إرادته قديمة وهى فى القدم تعلقت بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى، إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث، ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن هو مريدًا لها كما لا تكون أنت متحركًا بحركة ليست فى ذاتك، وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية، ولو جاز أن تحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة.

الأصل العاشر: أن الله تعالى عالم بعلم، حى بحياة، قادر بقدرة، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصر، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة، وقول القائل: عالم بلا علم، كقوله: غنى بلا مال، وعلم بلا عالم،وعالم بلا معلوم، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل، ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل، كذلك لا يتصور عالم بلا علم، ولا علم بلا معلوم، ولا معلوم بلا عالم، بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض، فمن جوّز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف.

الركن الثالث

العلم بأفعال الله تعالى، ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول: العلم بأن كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه، لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه، خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقًا له فى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الزمر: ٦٢).

وفى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٣، ١٤).

أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم، وإسرارهم وإضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق، وكيف لا يكون خالقًا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها، وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدًا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب؟ فيكف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب، وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب؟! هيهات هيهات، ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات.

الأصل الثاني: أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعًا وخلق الاختيار والمختار جميعًا، فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبًا، وكيف تكون جبرًا محضًا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقًا للعبد وهو لا يحيط علمًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعًا، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب، وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط، إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم، ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعًا آخر من التعلق، فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصًا بحصول المقدور بها.

الأصل الثالث: أن فعل العبد وإن كان كسبًا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادًا لله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته، ومنه الشر والخير، والنفع والضر، والإسلام والكفر، والعرفان والنكر، والفوز والخسران، والغواية والرشد، والطاعة والعصيان، والشرك والإيمان، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، يضل من يشاء ويهدى من يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة: « ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن »، وقول الله عز وجل: ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (الرعد: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ (السجدة: ١٣).

ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها، وإنما هى جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله، مع أنه عدو لله سبحانه، والجارى على وفق إرادة العدو أكثر من الجارى على وفق إرادته تعالى، فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يردّ ملك الجبار ذى الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم فى القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته، والمعصية هى الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوًا كبيرًا، ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له.

فإن قيل: فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد ؟! قلنا: الأمر غير الإرادة، ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان، فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه، فقال له: أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان، فهو يأمره بما لا يريد امتثاله، ولو لم يكن آمرًا لما كان عذره عند السلطان ممهدًا، ولو كان مريدًا لامتثاله لكان مريدًا لهلاك نفسه، وهو محال.

الأصل الرابع: أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبًا عليه، وقالت المعتزلة: وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد، وهو محال، إذ هو الموجب والآمر والناهي، وكيف ينهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب، والمراد بالواجب أحد أمرين: إما الفعل الذى فى تركه ضرر إما آجلاً كما يقال: يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه فى الآخرة بالنار، أو ضرر عاجل كما يقال: يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت، وإما أن يراد به الذى يؤدى عدمه إلى محال، كما يقال: وجود المعلوم واجب، إذ عدمه يؤدى إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا، فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرّضه للضرر، وإن أراد به المعنى الثانى فهو مسلم، إذ بعد سبق العلم لابد من وجود المعلوم، وإن أراد به معنى ثالثًا فهو غير مفهوم، وقوله: « يجب لمصلحة عباده » كلام فاسد، فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب فى حقه معنى، ثم إن مصلحة العباد فى أن يخلقهم فى الجنة، فأما أن يخلقهم فى دار البلايا، ويعرضهم للخطايا، ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب، فما فى ذلك غبطة عند ذوى الألباب.

الأصل الخامس: أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافًا للمعتزلة، ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه ، وقد سألوا ذلك فقالوا : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

لأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه فى جميع أقواله، وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه، فكيف يصدقه فى أنه لا يصدقه؟ وهل هذا إلا محال وجوده؟!!!

الأصل السادس: أن لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق، ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف فى ملكه، ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه، والظلم هو عبارة عن التصرف فى ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى، فإنه لا ،

لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا، ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها، وما صُبَّ عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة، فإن قيل: إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام، ويجب ذلك على الله سبحانه، فنقول: من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وُطئت وكل بقة عُركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل، إذ يقال: وصف الثواب والحشر بكونه واجبًا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعانى المذكورة للواجب.

الأصل السابع: أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء، بل لا يعقل فى حقه الوجوب فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، وليت شعرى بما يجيب المعتزلى فى قوله: إن الأصلح واجب عليه فى مسألة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة فى الآخرة بين صبى وبالغ ماتا مسلمين، فإن الله سبحانه يزيد فى درجات البالغ ويفضله على الصبى لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك عند المعتزلى، فلو قال الصبى: يا رب، لِمَ رفعت منزلته علىّ؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد فى الطاعات، ويقول الصبى: أنت أمتّنى فى الصبا، فكان يجب عليك أن تديم حياتى حتى أبلغ فأجتهد! فقد عدلت عن العدل فى التفضل عليه بطول العمر له دونى، فَلِمَ فضلته؟ فيقول الله تعالى: لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت فى الصبا، هذا عذر المعتزلى عن الله عز وجل، وعند هذا ينادى الكفار من دركات لظى ويقولون: يارب، أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتّنا فى الصبا؛ فإنا رضينا بما دون منزلة الصبى المسلم، فبماذا يجاب عن ذلك؟ وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال .

فإن قيل: مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد، ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحًا لا يليق بالحكمة، قلنا: القبيح ما لا يوافق الغرض، حتى إنه قد يكون الشيء قبيحًا عند

شخص حسنًا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر، حتى يَسْتقبح قتلَ الشخصِ أولياؤه ويستحسنه أعداؤه فإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال، إذ لا غرض له فلا يتصوّر منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير، وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير، فلِمَ قلتم إن ذلك عليه محال، وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار، ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء، القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح؟ وإنما الحكيم منا يراعى الأصلح نظرًا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء، وفى الآخرة ثوابًا، أو يدفع به عن نفسه آفة، وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى.

الأصل الثامن: أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى، مشرعة لا بالعقل خلافًا للمعتزلة، لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فإن العقل لا يوجب العبث، وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود، وذلك محال فى حقه تعالى فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان، وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضًا محال لأنه لا غرض له فى الحال، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات لسببه، وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب، ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان، إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص، وإنما عُرف تمييز ذلك بالشرع، ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر. فإن قيل: فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع، والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه؛ فإذا قال المكلف للنبى: إن العقل ليس يوجب عليّ النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر، أدّى ذلك إلى إفحام الرسول ﷺ قلنا: هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع: إن وراءك سبعًا ضاريًا فإن لم تبرح عن المكان قتلك، وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى، فيقول الواقف:

لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي، ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك، فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد ؛ فكذلك النبي ﷺ يقول : إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ، إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلا هلكتم، فمن التفت عرف واحترز ونجا ، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى، ولا ضرر عليّ إن هلك الناس كلهم أجمعون، وإنما عليَّ البلاغ المبين ، فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل، والطبع يستحث على الحذر من الضرر ، ومعنى كون الشيء واجبًا أن في تركه ضرراً، ومعنى كون الشرع موجبًا أنه معرف للضرر المتوقع ؛ فإن العقل لا يهدى إلى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات ، فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب ، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتًا، إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة .

الأصل التاسع: أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام، خلافًا للبراهمة حيث قالوا: لا فائدة في بعثتهم ، إذ في العقل مندوحة عنهم ؛ لأن العقل لا يهدى إلى الأفعال المنجية في الآخرة، كما لا يهدى إلى الأدوية المفيدة للصحة، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ، ولكن يُعرف صدق الطبيب بالتجربة ويُعرف صدق النبي بالمعجزة .

الأصل العاشر: أن الله سبحانه قد أرسل محمدًا ﷺ خاتمًا للنبيين، وناسخًا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين ، وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة ، **« كانشقاق القمر»** (٢٥٠) .

---

(٢٥٠) حديث : « انشقاق القمر» له فلقتين، ومحل الانشقاق كان بمكة ، وقيل بمنى ، قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : حدثني الهيثم بن حبيب الصيرفي عن عامر الشعبي عن ابن مسعود ﷺ قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة فلقتين أي شقين متباعدين بحيث كان الجبل بينهما ، وكان ذلك في مقام التحدي ، فكان معجزة كما في شرح المواقف ، والحديث متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس ، **قاله العراقي** . =

و « تسبيح الحصى » (٢٥١)

= قال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو داود الطيالسي وأبو عوانة وإسحق وعبد الرزاق والطبراني وابن مردويه من حديث ابن مسعود وابن عباس ، والبيهقي وأبو نعيم من حديث ابن مسعود ، وفي رواية عن أنس أن ذلك كان بعد سؤال المشركين ، وفي رواية أبي نعيم عن ابن مسعود : لقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ، ونحن بمكة، وأخرجه البيهقي وعياض عن علي وحذيفة، ومسلم والترمذي عن ابن عمر، وأحمد والبيهقي عن جبير بن مطعم ، وقال ابن السبكي: إنه متواتر .

(تنبيه) أنس وابن عباس ﷺ لم يحضرا الانشقاق ، لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد أما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة ، وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك ، كذا في المواهب .

(٢٥١) حديث : « وتسبيح الحصى » قال العراقي: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر، وقال: صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ ، والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يُسَمَّ عن أبي ذر . ا هـ .

قال مرتضى : عبارة البيهقي في الدلائل : كذا رواه صالح بن أبي الأخضر، ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر ، والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال وذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كبير السن . . . ا هـ. وهكذا أخرجه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال: أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن أبي حمزة عن الزهري ، قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال : هجرت يوما من الأيام فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس ، وكأني أرى حينئذ أنه في وهن فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال : «ما جاء بك» ؟ قلت : الله ورسوله أعلم، فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلا ويذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشي مسرعًا فسلم فرد عليه السلام ، ثم قال : « ما جاء بك » ؟ قال : جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر ، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع ، أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كفه ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن .اهـ . وقال الحافظ ابن حجر: اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى في كفه ﷺ أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وفي رواية=

و «إنطاق العجماء» (٢٥٢) ، وما تفجر من بين أصابعه من الماء ، ومن آياته الظاهرة التى تحدى بها كافة العرب : القرآن العظيم ، فإنهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدّفوا لسبه

= الطبرانى فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا ، ثم ساق كلام البيهقى الذى أوردناه بتمامه ، ثم قال : وليس لهذا الحديث إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها ، لكنه مشهور عند الناس .

(فصل) وأما تسبيح الطعام فقد أخرج البخارى من حديث ابن مسعود ، قال : كنا نأكل مع النبى ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام ، وفى الشفاء عن جعفر بن محمد عن أبيه: مرض النبى ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبى ﷺ فسبح وأقره الحافظ ابن حجر فى الفتح ، فلو قال المصنف: الطعام بدل الحصى لكونه ثابتًا فى الصحيح بخلاف حديث الحصى كان أحسن ، ولذا أسقطه فى المسايرة وإنما ذكر تسبيح الطعام ، وكأن المصنف راعى ما هو المشهور على الألسنة .

(تنبيه) قال صاحب المواهب : اعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه، واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون فى غير من قام به مجازا، فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة ، وهذا من قبيل خرق العادة ، وفى قوله : ونحن نسمع تسبيحه، تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه ، وذلك ببركته ﷺ .

(٢٥٢) حديث: « إنطاق العجماء» كذا فى سائر نسخ الكتاب ، وفى لمع الأدلة لشيخه إمام الحرمين « ونطق العجماء » والنطق إبراز الكلام بالصوت ،وأنطقه جعله ناطقًا ، وللمصنف فى كتاب المعارف الإلهية تحقيق فى النطق غريب أعرضنا عن إيراده هنا لعدم مناسبته وغاية ما يحتاج هنا معرفة معنى النطق لغة والإنطاق وقد ذكرناهما، والعجماء تأنيث الأعجم من العجمة بالضم،وهى اللكنة فى اللسان وعدم الإفصاح ، والمراد هنا الحيوانات ومنه الحديث « العجماء جبار » قال العراقى : وأخرج أحمد والبيهقى بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة فى البعير الذى شكا إلى النبى ﷺ أهله ، وقد ورد فى كلام الضب والظبية والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقى فى الدلائل . اهـ .

قال مرتضى : وسياق حديث يعلى بن مرة الثقفى على ما أورده البغوى فى شرح السنة هكذا : بينا نحن نسير مع النبى ﷺ إذ مر بنا بعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبى ﷺ فقال : « أين صاحب البعير» ؟ فجاءه فقال: «بعنيه» فقال : بلى ، نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال : «أما ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه» ، وروى الإمام أحمد قصة أخرى بنحو ما تقدم من حديثه وسنده ضعيف ، وأخرج ابن شاهين فى الدلائل عن عبد الله بن جعفر ، قال : أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا=

ونهبه وقتله وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ، ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن ، إذ لم يكن فى قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع

= جمل فلما رأى النبى ﷺ حن فذرفت عيناه فأتاه النبى ﷺ فمسح ذفرائه فسكن ، ثم قال: «من رب هذا الجمل» ؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال : هذا لى يا رسول الله ، فقال : « ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه شكا لى أنك تجيعه وتذيبه » وهو حديث صحيح، ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن مهدى بن ميمون وروى أحمد والنسائى من حديث أنس ﷺ كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسنى عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا ، فقاموا ، فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله قد صار مثل الكَلْب الكَلِب وإنا نخاف عليك صولته ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس علىّ منه بأس ، فلما نظر الجَمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال ﷺ : «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها». وأما كلام الضب فحديثه مشهور، رواه البيهقى من طرق كثيرة وهو غريب ضعيف ، قال المزنى: لا يصح إسناداً ولا متنا وذكره القاضى عياض فى الشفاء ، وقد روى من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضباً جعله فى كمه ليذهب به إلى رحلة فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال: من هذا ؟ قالوا: نبى الله، فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ ، فقال النبى ﷺ : يا ضب فأجابه بلسان يسمعه القوم جميعًا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال : من تعبد ؟ قال: الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه ، قال: فمن أنا ؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابى . الحديث بطوله، وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع لكن معجزاته ﷺ فيها ما هو أبلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعًا خصوصًا وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع، وأما حديث الظبية فأخرجه البيهقى من طرق وضعفه جماعة من الأئمة وذكره عياض فى الشفاء ورواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة الحديث بطوله، وفيه قالت : يا رسول الله، صادنى هذا الأعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فأطلقنى حتى أذهب فأرضعهما وأرجع . . . إلخ رواه الطبرانى بنحوه والمنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة، وقال الحافظ ابن كثير إنه لا أصل له وقال الحافظ السخاوى: لكنه ورد فى الجملة عدة أحاديث يقوى بعضها بعضًا أوردها الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى والستين من تخريج أحاديث المختصر ،=

كونه أميًا غير ممارس للكتب والإنباء عن الغيب فى أمور تحقق صدقه فيها فى الاستقبال، كقوله تعالى :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ (الفتح : ٢٧).

وكقوله تعالى : ﴿ الم ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ (الروم : ١ - ٤).

ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى، فمهما كان مقرونًا بتحدى النبى ﷺ ينزل منزلة قوله : صدقت وذلك مثل القائم بين يدى الملك المدعى على رعيته أنه رسول الملك إليهم ، فإنه مهما قال ملك : إن كنت صادقًا فقم على سريرك ثلاثًا واقعد على خلاف عادتك ،ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضرورى بأن ذلك نازل منزلة قوله: صدقت .

الركن الرابع

فى السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه،ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول: « الحشر والنشر » (٢٥٣) وقد ورد بهما الشرع وهو حق ، والتصديق بهما واجب لأنه فى العقل ممكن، ومعناه الإعادة بعد الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء، قال الله تعالى :

= وأما قصة تكليم الذئب وشهادته فرويت من عدة طرق أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد بإسناد جيد وأخرجه أبو سعيد المالينى والبيهقى من حديث ابن عمر وأبو نعيم فى الدلائل من حديث أنس، وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح، والبغوى فى شرح السنة وسعيد بن منصور فى سننه من حديث أبى هريرة ، وألفاظ الكل مختلفة، ورواه عياض فى الشفاء وهى قصة أخرى، ويلحق بذلك سجود الغنم له ﷺ ، وأخرجه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه فى دلائل النبوة بإسناد ضعيف وهو فى الشفاء .

(٢٥٣) حديث : « الحشر والنشر » هو إحياء الخلق بعد موتهم وسوقهم إلى موقف الحساب ثم إلى =

﴿ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس : ٧٨ ، ٧٩) فاستدل بالابتداء على الإعادة .

وقال عز وجل : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (لقمان : ٢٨) . والإعادة ابتداء ثانٍ، فهو ممكن كالابتداء الأول .

الأصل الثانى : « **سؤال منكر ونكير** » (٢٥٤) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعى إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذى به فهم الخطاب ، وذلك ممكن فى نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له ، فإن النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه ، وقد كان رسول الله ﷺ « **يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده، ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه** » (٢٥٥) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

= الجنة أو النار «وقد ورد بهما الشرع » يشير إلى ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس: «إنكم محشورون إلى الله » الحديث . ومن حديث سهل بحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء . . . الحديث ، ومن حديث عائشة: يحشرون يوم القيامة حفاة . . . الحديث . ومن حديث أبى هريرة : يحشر الناس على ثلاثة طرائق، ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبى ﷺ : أفتنا فى بيت المقدس ؟ قال: أرض المحشر والمنشر الحديث وإسناده جيد .

(٢٥٤) حديث : « سؤال منكر ونكير » وهما كما تقدم شخصان أسودان أزرقان مهيبان هائلان، شعورهما إلى أقدامهما ، كلامهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، بأيديهما مقامع من حديد ،قال الإمام أبو منصور البغدادى: إنما سمى الملك منكراً لأن الكافر ينكره إذا رآه ، وسمى الآخر نكيراً لأنه هو الذى ينكر على الكافر فعله، وقد أنكرهما الكعبى من المعتزلة وهو مردود عليه .

(٢٥٥) حديث : « وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه» وقد آخرج البخارى ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا : « يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت : وعليه السلام، ترى ما لا أرى. **قال العراقى** : وهذا هو الأغلب ، وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .اهـ. وهذا الذى ذكره من سماع السؤال ورد=

الأصل الثالث: « عذاب القبر »[٢٥٦] وقد ورد الشرع به، قال الله تعالى :

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

(غافر : ٤٦) .

واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر، وهو ممكن فيجب التصديق به، ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت فى بطون السباع وحواصل الطيور، فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها .

الأصل الرابع: الميزان وهو حق ، قال الله تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأنبياء : ٤٧)

وقال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ الآية (المؤمنون ١٠٢ ، ١٠٣) .

ووجهه أن الله تعالى يحدث فى صحائف الأعمال وزنًا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل فى العقاب أو الفضل فى العفو وتضعيف الثواب .

= الجواب رأى لم يشاهد، وإنما قلنا به لأن الإدراك والإسماع بخلق الله تعالى ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ .

(٢٥٦) حديث : « الاستعاذة من عذاب القبر » أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة وأبى هريرة رضي الله عنهما ولهما أيضًا من حديث عائشة رفعته : « إنكم تفتنون أو تعذبون فى قبوركم – وعند مسلم: إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها – فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ، ثم أقبل النبى ﷺ بوجهه علينا فقال: « تعوذوا بالله من عذاب القبر» ، وأما استعاذة السلف الصالح منه فكثير على اختلاف طبقاتهم ، ومن راجع الحلية ظفر بمجموع المقصود ، وكذلك ورد فى نعيم القبر من الكتاب والسنة ما يصحح ثبوته، ومن نعيمه توسيعه=

الأصل الخـامس: الصراط ، وهو جسر ممدود على مـتن جهنم، أرق من الشعرة وأحدّ من السيف، قال الله تعالى :

﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات : ٢٣، ٢٤) وهذا ممكن فيجب التصديق به ، فإن القادر على أن يُطير الطير فى الهواء قادر على أن يُسير الإنسان على الصراط .

الأصل السادس: أن الجنة والنار مخلوقتان، قال الله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣) .

فقوله تعالـى : ﴿ أعدت ﴾ دليل على أنهـا مخـلوقة فيجب إجـــراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه، ولا يقال: لا فائدة فى خلقهما قبل يوم الجزاء؛ لأن الله تعالى ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٣) .

الأصل الســابع: أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ثم عـمر ثم عثمان ثم على ﷺ ، ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصـلا ، إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخف ذلك فكيف خفى هذا ؟ وإن ظهر فكيف اندرس حـتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إمـامًا إلا بالاختيـار والبيعـة ، وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ وخرق الإجماع، وذلك مما لا يسـتجزئ على اختراعه إلا الروافض ، واعـتقاد أهل السنة تزكية جمـيع الصحابة والثناء عليهم كمـا أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، وما جـرى بين معاوية وعلى ﷺ كان مبنيًا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية فى الإمامة، إذ ظن على ﷺ أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدى إلى اضطراب أمـر الإمامة فى بدايتها فرأى التأخير

= وفتح طاق فيـه من الجنة ووضع قنديل فيه وامتلاؤه بالروح والريحـان، وجعله روضة من رياض الجنة؛ وكل هذا من العذاب والنعيم محمول على الحقيقة عند العلماء .

أصوب، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الإغراء بالأئمة ويعرّض الدماء للسفك ، وقد قال أفاضل العلماء : كلٌّ مجتهد مصيب ، وقال قائلون: المصيب واحد ، ولم يذهب إلى تخطئة عليّ ذو تحصيل أصلاً .

الأصل الثامن: أن فضل الصحابة ﷺ على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل ،وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ ، وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢٥٧)،وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل ، فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف .

الأصل التاسع: أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة : الذكورة ، والورع، والعلم، والكفاية ، ونسبة قريش لقوله ﷺ : « **الأئمة من قريش** » (٢٥٨) ،وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق، والمخالف للأكثر باغٍ يجب رده إلى الانقياد إلى الخلق .

---

(٢٥٧) حديث : « الثناء على الصحابة» وردت فيه أخبار صحيحة وقد تقدم .

(٢٥٨) حديث : « الأئمة من قريش» قال العراقي : أخرجه النسائي من حديث أنس، والحاكم من حديث أنس، والحاكم من حديث علي وصححه. اهـ .

قال مرتضى : وكذا أخرجه البخاري في التاريخ وأبو يعلى كلهم من طريق بكير الجزري عن أنس وأخرجه الطيالسي والبزار والبخاري في التاريخ من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس وفيه زيادة « ما إذا حكموا فعدلوا » وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة وأبي بكر الصديق ﷺ بهذا اللفظ من غير زيادة ورجاله رجال الصحيح ، لكن في سنده انقطاع، وأخرجه الطبراني والحاكم من حديث علي وعند الطبراني أيضًا من حديث علي: « ألا إن الأمراء من قريش ما أقاموا ثلاثًا. . . » الحديث ، وعنده أيضاً من رواية قتادة عن أنس بلفظ: « إن الملك في قريش . . . » الحديث. وأخرج يعقوب بن سفيان وأبو يعلى والطبراني من طريق سكين بن عبد العزيز حدثنا سيار بن سلامة أبو المنهال قال : دخلت مع أبي على أبي برزة الأسلمي فسمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الأمراء من قريش» الحديث ، وأخرج البخاري في الصحيح من حديث ابن عمر رفعه: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان » ، وعند مسلم : « ما بقي من الناس اثنان » وفي رواية الإسماعيلي: « ما بقي في الناس اثنان » ، وأشار بأصبعيه=

= السابة والوسطى ، وأخرج البيهقى من حديث جبير بن مطعم رفعه: « قدموا قريشا ولا تقدموها » ، وعند الطبرانى من حديث عبد الله بن حنطب ، ومن حديث عبد الله بن السائب مثله ، وفى نسخة أبى اليمانى عن شعيب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة مرسلا أنه بلغه مثله ، وأخرجه الشافعى من وجه آخر عن ابن شهاب أنه بلغه بمثله ، وفى الباب حديث أبى هريرة رفعه : «الناس تبع لقريش فى هذا الشأن» ، أخرجه البخارى من رواية المغيرة بن عبد الرحمن، ومسلم من رواية سفيان بن عيينة كلاهما عن الأعرج عن أبى هريرة وأخرجه مسلم أيضًا من رواية همام عن أبى هريرة، ولأحمد من رواية أبى سلمة عن أبى هريرة مثله لكن قال: « فى هذا الأمر» ، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عند قوله : « إن هذا الأمر فى قريش» ما نصه : قال ابن المنير: وجه الدلالة من الحديث ليس من جهة تخصيص قريش بالذكر فإنه يكون مفهوم نعت ، ولا حجة فيه عند المحققين، وإنما الحجة وقوع المبتدأ معرفا باللام الجنسية لأن المبتدأ بالحقيقة ههنا هو الأمر الواقع صفة لهذا ، وهذا لا يوصف إلا بالجنس فمقتضاه حصر جنس الأمر فى قريش فيصير كأنه قال: لا أمر إلا فى قريش ، وهو كقوله : « الشفعة فيما لم يقسم » والحديث وإن كان بلفظ الخبر فهو بمعنى الأمر كأنه قال : ائتموا بقريش خاصة، وبقية طرق الحديث تؤيد ذلك ، ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على إفادة المفهوم للحصر خلافًا لمن أنكر ذلك ، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشيا ، وقيد ذلك طوائف ببعض قريش فقالت طائفة : لا يجوز إلا من ولد على ، وهذا قول الشيعة ، ثم اختلفوا اختلافا شديداً فى بعض تعيين ذرية على، وقالت طائفة: تختص بولد العباس وهو قول أبى مسلم الخراسانى وأتباعه ، ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا تجوز إلا فى ولد جعفر بن أبى طالب ، وقالت أخرى : فى ولد عبد المطلب، وعن بعضهم: لا تجوز إلا فى بنى أمية، وعن بعضهم: إلا فى ولد عمر، قال : ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق .اهـ . وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة: يجوز أن يكون الإمام غير قرشى ، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربيًا أو عجميًا ، وبالغ ضرار بن عمرو فقال : تولية غير القرشى أولى لأنه يكون أقل عشيرة فإذا عصى كان أمكن لخلعه ، وقال القاضى أبو بكر الباقلانى: لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت الحديث : «الأئمة من قريش» وعمل المسلمون به قرنا بعد قرن ، وانعقد الإجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف، قال الحافظ: قد عمل بقول ضرار من قبل أن يوجد من قام بالخلافة من الخوارج على بنى أمية كقطرى ، ودامت فتنتهم حتى أبادهم المهلب فى أكثر من عشرين سنة ، وكذا تسمى بأمير المؤمنين من غير الخوارج ممن قام على الحجاج كابن الأشعث، ثم تسمى بالخلافة من قام فى قطر من الأقطار فى وقت ما وليس من قريش كبنى عباد وغيرهم بالأندلس ، وكعبد المؤمن وذريته ببلاد المغرب كلها ، وهؤلاء ضاهوا الخوارج فى هذا ولم يقولوا بأقوالهم ولا تمذهبوا بآرائهم، بل كانوا من أهل السنة داعين إليها ، وقال عياض: اشتراط كون الإمام قرشيًا مذهب العلماء كافة وقد عدوها فى مسائل الإجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف ، وكذلك =

الأصل العاشر: أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان فى صرفه إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته؛ لأنّا بين أن نحرك فتنة الاستبدال فما يلقى المسلمون فيها من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التى أُثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفًا بمزاياها كالذى يبنى قصراً ويهدم مصرًا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال، ونحن نقضى بنفوذ قضاء أهل البغى فى بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضى بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة .

فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هى قواعد العقائد، فمن اعتقدها كان موافقًا لأهل السنة ومباينًا لرهط البدعة، فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنّه وسعة جوده وفضله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .



= من بعدهم فى جميع الأمصار ، قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين . قال الحافظ : ويحتاج فى نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر فى ذلك ، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة حى استخلفته . . . فذكر الحديث، وفيه: إن أدركنى أجلى وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل . . . الحديث ، ومعاذ أنصارى لا نسب له فى قريش ، فيحتمل أن يقال: لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشيا أو تغير اجتهاد عمر فى ذلك ، والله أعلم.اهـ . واستدل بحديث ابن عمر على عدم وقوع ما فرضه الفقهاء من الشافعية وغيرهم ، أنه إذا لم يوجد قرشي يستخلف كنانى ، فإن لم يوجد فمن بنى إسماعيل ، فإن لم يوجد منهم أحد مستجمع الشرائط (فعجمى) وفى وجه جرهمى وإلا فمن ولد إسحق ، قالوا : وإنما فرض الفقهاء ذلك على عادتهم فى ذكر ما يمكن أن يقع عقلا ، وإن كان لا يقع عادة أو شرعا . قال الحافظ : والذى حمل قائل هذا القول عليه أنه فهم منه الخبر المحض ، وخبر الصادق لا يتخلف،وأما من حمله على الأمر فلا يحتاج إلى هذا التأويل ، والله أعلم .

الفصل الرابع

فى الإيمــان والإســلام وما بينهما من الاتصــال والانفصــال
وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه

وفيه ثلاث مسائل :

مســألة: اختلفوا فى أن الإسلام هو الإيمان أو غيــره ،وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه، أو مرتبط به يلازمه ، فقيل: إنهما شىء واحد ، وقيل: إنهما شيئان لا يتواصلان، وقيل: إنهمــا شيئان ولكن يرتبط أحــدهما بالآخر ، وقد أورد أبو طالب المكــى فى هذا كلامًا شديد الاضطراب كثير التطويل ، فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له، فنقول : فى هذا ثلاثة مـباحث : بحث عن موجب اللفظين فى اللغة ، وبحث عن المراد بهمــا فى إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما فى الدنيــا والآخرة ، والبحث الأول لغوى ، والثانى تفسيرى،والثالث فقهى شرعى .

البحث الأول: فى موجب اللغة: والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ (يوسف : ١٧) .

أى بمصدق ، والإســلام عبارة عن التسليم والاســتسلام بالإذعان والانقيــاد وترك التمرد والإباء والعناد، وللتصديق محل خاص وهو القلب، و اللسان ترجـمانه، وأما التسليم فإنه عام فى القلب واللســان والجوارح ، فإن كــل تصديق بالقلب فـهو تسليم وترك الإباء والجـحود ، وكذلك الاعتراف باللسان ، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح، فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص، فـكأن الإيمان عبــارة عن أشرف أجـزاء الإسلام ،فإذن كل تصــديق تسليم ، وليس كل تسليم تصديقا .

البحث الثانى: عن إطلاق الشرع : والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد ، وورد على سبيل الاختلاف ، وورد على سبيل التداخل .

أما الترادف ففى قوله تعالى :

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات: ٣٥، ٣٦)، ولم يكن باتفاق إلا بيتًا واحداً .

وقال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٨٤) .

وقال ﷺ : « بُنى الإسلام على خمس » (٢٥٩) ، وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس (٢٦٠) .

---

(٢٥٩) حديث : « بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» ، **قال العراقى** : أخرجاه من حديث ابن عمر . اهـ.

قال مرتضى : أخرجاه فى كتاب الإيمان والبخارى وحده فى التفسير أيضًا من طريق عكرمة ابن خالد عن ابن عمر ، وفى القوت رواه جرير بن عبد الله عن سالم بن الجعد عن عطية مولى ابن عامر عن زميل بن بشير قال: أتيت ابن عمر فجاءه رجل فقال : يا عبد الله مالك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو؟ فقال : ويلك، إن الإيمان بنى على خمس : تعبد الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، كذلك حدثنا رسول الله ﷺ ، **وقال مرتضى**: وليس فيه ذكر الشهادتين فإما أنه اختصار من الراوى أو تركها اعتمادًا على الشهرة ، فتأمل .

(٢٦٠) حديث : « وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس » المراد بالخمس المذكورة ما تقدم فى الحديث قبله: الشهادتان والصلاة والزكاة والحج والصوم.

قال العراقى : أخرجه أحمد والبيهقى فى الاعتقاد من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس: « تدرون ما الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام» والحديث فى الصحيحين ، لكن ليس فيه ذكر الحج، وزاد: وأن تؤدوا خمسًا من المغنم .اهـ .

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى عشرة مواضع من كتابه: فى الإيمان وفى خبر الواحد وفى كتاب العلم وفى الصلاة وفى الزكاة وفي الخمس وفى مناقب قريش وفى المغازى وفى=

وأما الاختلاف فقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾
(الحجرات : ١٤)

ومعناه استسلمنا فى الظاهر ،فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهرًا باللسان والجوارح .

وفى حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره** » ، فقال : فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس (٢٦١)، فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل .

= الأدب وفى التوحيد ، وأخرجه مسلم فى الإيمان وفى الأشربة، وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح أى قال صحيح، والنسائى فى العلم وفى الإيمان وفى الصلاة ، وإنما لم يذكر الحج فى هذه القصة اقتصارًا لهم على ما يمكنهم فعله فى الحال أو لكونه لم يكن لهم سبيل إليه من أجل كفار مضر ، أو لكونه على التراخى أو لكونه لم يفرض إلا فى سنة تسع ووفادتهم فى سنة ثمان، قاله عياض ، والأرجح أنه فرض سنة ست أو أخبرهم ببعض الأوامر، أقوال . على أن زيادة الحج موجودة فى صحيح أبى عوانة ، وفى السنن الكبرى للبيهقى ، وفى كتاب القوت ، وعلى هذا أخبر رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام بوصف واحد فقال فى حديث ابن عمر:« بنى الإسلام على خمس . . .» الحديث ، وقال فى حديث ابن عباس حين جاء وفد عبد القيس لما سألوه عن الإيمان فذكر هذه الأوصاف؛ فدل بذلك أنه لا إيمان باطنًا إلا بإسلام ظاهر ولا إسلام علانية إلا بإيمان سريرة ، وأن الإيمان والعمل قرينان ، إلى آخر ما قاله .

(٢٦١) حديث : « حديث جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث أبى هريرة دون ذكر الحج، ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب، ورواه البيهقى فى البعث. اهـ .

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى الإيمان وفى التفسير وفى الزكاة مختصرًا، ومسلم فى الإيمان، وابن ماجه فى السنة بتمامه وفى الفتن ببعضه، وأبو داود فى السنة ،والنسائى فى الإيمان، وكذا الترمذى وأحمد والبزار بإسناد حسن وأبو عوانة فى صحيحه، وأخرجه مسلم أيضًا عن عمر بن الخطاب ولم يخرجه البخارى من طريقه لاختلاف فيه على بعض رواته ، أوضحت ذلك فى كتاب « الجواهر المنيفة فى بيان أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنفية » فراجعه إن شئت، ثم إن البخارى أورده فى كتاب الإيمان من طريق أبى حيان التيمى عن أبى=

وفى الحديث عن سعد أنه ﷺ أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخـر، فقال له سعد : يا رسول الله، تركت فلانًا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال ﷺ : « أو مسلم» ، فأعاد عليه فأعاد رسول الله ﷺ (٢٦٢) .

وأمـا التداخل فـما روى أيضًـا أنه سئل فـقيل: أى الأعـمال أفـضل ؟ فقـال ﷺ : «الإسلام» فقال: أى الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ : «الإيمان» (٢٦٣) وهذا دليل على الاختلاف

= زرعة عن أبى هريرة بلفظ: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وأن تؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام ؟ قـال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًـا وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتـصوم رمضان . . .» الحديث، وليس فيـه ذكر الحج أفاد هولاً من الراوى بدليل مجيـئه فى رواية كهمس: وتحج البيت إن استطعت إليه سبيـلا ، وقيل: لأنه لم يكن فرض، وهو مدفـوع كما تقدم، ولم يذكـر الصوم فى رواية عطاء الخراسـانى واقتصـر فى حديث أبى عامـر على الصـلاة والزكاة ولم يزد فى حـديث ابن عبـاس على الشهـادتين ، وزاد سليـمان التيمى بعد ذكر الجميع : الحج والاعتمار والاغتسال من الجنابة وإتمام الوضوء .

(تنبيه) وجه الدلالة من الحديث التفريق بين الإيمان والإسلام ، فجعل الإيمان عمل القلب والإسلام عمل الجـوارح ، فالإيمان لغة التصـديق مطلقًا ، وفى الشرع التصـديق والنطق معًا فأحـدهما ليس بإيمان، فـتفسـيره فى الحديث الإيمـان بالتصديق والإسـلام بالعمل يدل على اختلافهما .

(٢٦٢) حديث : « حديث سعد أنه ﷺ أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد: يا رسـول الله تركت فلانًا لم تعـطه وهو مؤمن، فـقال ﷺ :أوَ مـسلم، فرد عليـه فـأعـاده رسول الـله ﷺ» هكذا أورده صـاحب القـوت ، وقال العـراقى : أخـرجـاه بنحوه . اهـ.

قال مـرتضى : أخرجاه فى الإيمان والزكاة من طريق شعـيب عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه، وأخرجـه عبد الرحمن بن عمر فى كـتاب الإيمان من طريق يونس عن الزهرى ليس فيه إعادة السؤال ولا الجواب عنه وأخرجه أحمـد والحميدى فى مسنديهما عن عبد الرزاق عن معـمر عن الزهرى، وعند البـخارى فى كتـاب الزكاة من طريق صـالح عن الزهرى ولفظه فى كتاب الإيمان: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جـالس ، فترك رجلا هو أعجبهم إلىَّ فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمنًا، فقال: أو مسلمًا، فسكتُ قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى فـقلت: مالك عن فلان فوالله إنى لأراه مؤمنًا ، فقال : أوَ مسلما ، فسكتُ قليلا ثم غلبنى ما أعلم منه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلىَّ منه خشية أن يكبه الله فى النار .

(٢٦٣) حديث : « سئل: أى الأعمال أفضل؟ فـقال ﷺ : الإسلام ، فقال : أى الإسلام أفضل ؟=

وعلى التداخل، وهو أوفق الاستعمالات فى اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها ، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، وأفضلها الذى بالقلب ، وهو التصديق الذى يسمى إيمانًا، والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز فى اللغة، أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرًا وهو أيضًا موافق للغة؛ فإن التسليم ببعض محالّ التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه، فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسًا وإن لم يستغرق جميع بدنه، فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان ، وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات : ١٤) .

وقوله ﷺ فى حديث سعد: « أو مسلم» لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين ، وأما التداخل فموافق أيضًا للغة فى خصوص الإيمان وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعًا ،والإيمان عبارة عن بعض ما دخل فى الإسلام وهو التصديق بالقلب ، وهو الذى عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة فى خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل، وعلى هذا خرج قوله: « الإيمان » فى جواب قول السائل: أى الإسلام أفضل ؟ لأنه جعل الإيمان خصوصًا من الإسلام فأدخله فيه ، وأما

= فقال ﷺ : الإيمان » هكذا أورده صاحب القوت ، وقال العراقى: أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير ، قال رجل : يا رسول الله أى الإسلام أفضل ؟ قال: الإيمان ، الحديث ،وإسناده صحيح لكنه منقطع . اهـ . ووجدت فى حاشية كتاب المغنى ما نصه: علقه البخارى ووصله الحاكم فى الأربعين .

قال مرتضى : والذى فى الصحيح من حديث عبد الله بن عمر : سأل رجل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف، ومن حديث أبى هريرة سئل رسول الله ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ... الحديث، وأخرجه أيضًا مسلم والنسائى والترمذى بألفاظ .

استعمـاله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعًا فإن كل ذلك تسليم ، وكذا الإيمان، ويكون التصرف فى الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر فى معناه، وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته ، وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح، فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفًا لاسم الإسلام ومطابقًا له فلا يزيد عليه ولا ينقص ، وعليه خرج قوله تعالى : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات : ٣٦) .

البحث الثالث: عن الحكم الشرعى للإسلام والإيمان : حكمان أخروى ودنيوى ، أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد، إذ قال رسول الله ﷺ : « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان** » (٢٦٤) وقد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو ؟ فمن قائل: إنه مجرد العقد ، ومن قائل يقول: إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ، ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان ، ونحن نكشف عنه الغطاء ونقول: من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف فى أن مستقره الجنة وهذه درجة .

والدرجة الثانية: أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ، ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ؛ فعند هذا قالت المعتزلة: خرج بهذا عن الإيمان

---

(٢٦٤) حديث : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث أبى سعيد الخدرى فى الشفاعة ، وفيه: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . . . الحديث ولهما من حديث : فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان،لفظ البخارى فيهما وله تعليقًا من حديث أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عندهما متصل بلفظ: خير مكان إيمان.

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان من طريق هشام الدستوائى عن قتادة : عن أنس بلفظ: يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير ، ثم قال : قال أبان :حدثنا قتادة عن أنس رفعه «من إيمان » مكان «خير» ، وهذا التعليق قد وصله الحاكم فى كتاب الأربعين «له» من طريق موسى بن إسماعيل قال : حدثنا أبان وأخرجه البخارى أيضًا فى التوحيد ومسلم فى الإيمان والترمذى فى صفة جهنم، وقال: حسن صحيح .

ولم يدخل فى الكفر بل سَمَّه فاسق، وهو على منزلة بين المنزلتين، وهو مخلد فى النار. وهذا باطل كما سنذكره .

الدرجة الثالثة : أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح، وقد اختلفوا فى حكمه، فقال أبو طالب المكى: العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه، وادعى الإجماع فيه ، واستدل بأدلة تُشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (البقرة: ٢٥) ..

إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان ، وإلا فيكون العمل فى حكم المعاد ، والعجب أنه ادعى الإجماع فى هذا ، وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ : « **لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقرَّ به** » (٢٦٥) وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد فى النار بسبب الكبائر ، والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ يقال له: من صدّق بقلبه وشهد بلسانه ومات فى الحال فهل هو فى الجنة ؟ فلابد أن يقول نعم، وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل، فنزيد ونقول: لو بقى حيّا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد فى النار؟ فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة ، وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنًا من نفس الإيمان ولا شرطًا فى وجوده ولا فى استحقاق الجنة به ، وإن قال: أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلى ، ولا يقدم على الشيء من الأعمال الشرعية ؛ فنقول : فما ضبط تلك المدة ، وما عدد تلك الطاعات التى بتركها يبطل الإيمان ، وما عدد الكبائر التى بارتكابها يبطل الإيمان ؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره، ولم يصر إليه صائر أصلا .

---

(٢٦٥) حديث: « لا يكفر أحد إلا بجحوده بما أقرّ به » ونص القوت: إلا بجحود ما أقرّ به ، وفى بعض نسخ الإحياء إلا بعد جحوده لما أقر به ، **قال العراقى** : أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد بلفظ « لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحوده ما دخل فيه » وإسناده ضعيف . اهـ .

قال مرتضى : وهكذا هو فى الجامع الكبير للسيوطى ، والجحد والجحود يقال فيما ينكر باللسان لا بالقلب .

الدرجة الرابعة: أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان ، أو يشتغل بالأعمال ومات، فهل يقول : مات مؤمنًا بينه وبين الله تعالى ، وهذا مما اختلف فيه ، ومن شرط القول لتمام الإيمان يقول : هذا مات قبل الإيمان، وهو فاسد إذ قال ﷺ : « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان** » ، وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يخلد فى النار ، ولم يشترط فى حديث جبريل عليه السلام الإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق .

الدرجة الخامسة: أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتى الشهادة وعلم وجوبها، ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ونقول: هو مؤمن غير مخلد فى النار ، والإيمان هو التصديق المحض ، واللسان ترجمان الإيمان فلابد أن يكون الإيمان موجودًا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان ، وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ، ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب ، وقد قال ﷺ : «**يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة** » ، ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب ، وقال قائلون: القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخبارًا عن القلب ، بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام ، والأول أظهر ، وقد غلا فى هذا طائفة المرجئة فقالوا : هذا لا يدخل النار أصلا، وقالوا : إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار. وسنبطل ذلك عليهم .

الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك فى أن هذا فى حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد فى النار ، ولا نشك فى أنه فى حكم الدنيا الذى يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يُطلع عليه، وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطوٍ عليه فى قلبه ، وإنما نشك فى أمر ثالث وهو الحكم الدنيوى فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له فى الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ، ثم يستفتى ويقول: كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت ، والميراث الآن فى

يدى فهل يحل لى بينى وبين الله تعالى ، أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح، هذا محل نظر فيحتمل أن يقال: أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطنًا ، ويحتمل أن يقال: تناط بالظاهر فى حق غيره ، لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له فى نفسه بينه وبين الله تعالى ، والأظهر ـ والعلم عند الله تعالى ـ أنه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح ، ولذلك كان حذيفة ﷺ لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين، وعمر ﷺ كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة ﷺ، والصلاة فعل ظاهر فى الدنيا وإن كان من العبادات، والتوقى عن الحرام أيضًا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله ﷺ : «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» وليس هذا مناقضًا لقولنا: إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام ، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن ، وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة، فلا ينبغى أن يظن القاصر فى العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإيراده فى فن الكلام الذى يطلب فيه القطع ، فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم فى العلوم .

فإن قلت: فما شبهة المعتزلة والمرجئة ؟ وما حجة بطلان قولهم؟ فأقول: شبهتهم عمومات القرآن ، أما المرجئة فقالوا : لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصى، لقوله عز وجل : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (الجن : ١٣) .

ولقوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ الآية (الحديد : ١٩).

ولقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ (الملك : ٨).

إلى قوله : ﴿ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الملك : ٩) .

فقوله: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ (الملك: ٨)،عام فينبغى أن يكون كل من ألقى فى النار مكذبًا .

ولقوله تعالى : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (الليل : ١٥ ، ١٦) . وهذا حصر وإثبات ونفى .

ولقوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (النمل : ٨٩).

فالإيمان رأس الحسنات .

ولقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ٩٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف : ٣٠) .

ولا حجة لهم فى ذلك فإنه حيث ذُكر الإيمان فى هذه الآيات أُريد به الإيمان مع العمل، إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب و القول والعمل ، ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب، وقوله ﷺ : « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان** » فكيف يخرج إذا لم يدخل ، ومن القرآن قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء : ١١٦).

والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (الجن : ٢٣).

وتخصيصه بالكفر تحكم .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (الشورى : ٤٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ (النمل : ٩٠) .

فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولابد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة.

« بأن العصاة يعذبون » [٢٦٦] بل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم : ٧١) . كالصريح فى أن ذلك لابد منه للكل إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (الليل : ١٥ ، ١٦) ، أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصًا معينًا أيضًا .

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ (الملك : ٨) . أى فوج من الكفار ، وتخصيص العمومات قريب ، ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم، وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها.

وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه : ٨٢) .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (العصر : ١- ٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (مريم : ٧١) .

ثم قال : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ (مريم : ٧٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (الجن : ٢٣) . وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونًا بالإيمان .

---

(٢٦٦) حديث : « العصاة يعذبون على قدر ذنوبهم » منها ما أخرجه البخارى فى الصحيح من حديث أنس رفعه « ليصيبن أقواما سفع بذنوب أصابوها » . ويأتى للمصنف ذكر عدة أحاديث فى تعذيب العصاة فى آخر الكتاب عند ذكر الموت ، نتكلم عليها إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ (النساء : ٩٣) .

وهذه العمومات أيضًا مخصوصة بدليل قوله تعالى :

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (النساء : ٤٨) . فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ما سوى الشرك .

وكذلك قوله عليه السلام : « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان** » .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف : ٣٠) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة : ١٢٠) فكيف يضيع أجر أهل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ (النساء : ٩٣) . أى لإيمانه، وقد ورد على مثل هذا السبب .

فإن قلت : فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل ، وقد اشتهر عن السلف قولهم: الإيمان عقد وقول وعمل ، فما معناه ؟ قلنا : لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم، كما يقال: الرأس واليدان من الإنسان ، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانًا بعدم الرأس ، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد ، وكذلك يقال: التسبيحات والتكبيرات من الصلاة ، وإن كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه، وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض ، وقد قال ﷺ : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** » (٢٦٧) والصحابة ﷺ ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن

---

(٢٦٧) حديث : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة .

قال مرتضى : وفيه زيادة عندهما وهى « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » وهكذا رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

الإيمان بالزنا، ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانًا تاما كاملاً، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف: هذا ليس بإنسان ، أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الإنسانية .

مسألة: فإن قلت: فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان ، فأقول : السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق ، وإنما الشأن فى فهمه ، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به ، والزائد موجود والناقص موجود، والشىء لا يزيد بذاته ، فلا يجوز أن يقال: الإنسان يزيد برأسه ، بل يقال: يزيد بلحيته وسمنه، ولا يجوز أن يقال: الصلاة تزيد بالركوع والسجود ، بل تزيد بالآداب والسنن ، فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ، ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان ، فإن قلت: فالإشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة ، فأقول: إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الإشكال، فنقول: الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر ، وهو إيمان العوام ، بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص ، وهذا الاعتقاد عقدة على القلب، تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الخيط مثلا ، ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودى وصلابته فى عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ، ولا بتخييل ووعظ ، ولا تحقيق وبرهان ، وكذلك النصرانى والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام، ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك فى عقده كالأول، ولكنهما متفاوتان فى شدة التصميم، وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضًا ، والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته ، كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار .

ولذلك قال تعالى : ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ (التوبة : ١٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ (الفتح : ٤) .

وقال ﷺ فيما يروى فى بعض الأخبار : « الإيمان يزيد وينقص » (٢٦٨) وذلك بتأثير الطاعات فى القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه فى أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور، وإدراك التفاوت فى السكون إلى عقائد الإيمان فى هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل ، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجداً لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة ، وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها، وسيأتى هذا فى ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر ، والأعمال بالعقائد والقلوب ؛ فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت ، وأعنى بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة ، والقلب من عالم الملكوت ، والأعضاء وأعمالها من عالم الملك، ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حدّ ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر، وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة، ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

---

(٢٦٨) حديث : « الإيمان يزيد وينقص » **قال العراقى** : أخرجه ابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ، وقال ابن عدى: باطل، فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحمى يتعمد الكذب، وهو عند ابن ماجه موقوف على أبى هريرة وابن عباس وأبى الدرداء.

قال مرتضى : ونص القوت : وروينا فى حديث واثلة بن الأسقع : الإيمان يزيد وينقص ، وروى ذلك عن جماعة من الصحابة لا تحصى كثرتهم . اهـ . وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة معروف بن عبد الله الخياط الدمشقى قال : حدثنا واثلة بلفظ: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يكون قولا بلا عمل ، ثم قال : هو منكر والحمل فيه على معروف .اهـ. وأخرجه أبو نعيم فى ترجمة الشافعى فى الحلية، وهو عند الحاكم بلفظ ابن عدى الذى سقناه فالذى تحصل لنا من هذا أنه رواه أربعة من الصحابة وظاهر سياق القوت يقتضى أنه موقوف على واثلة ﷺ ، وروى أبو إسحق الثعلبى فى تفسيره من رواية على بن عبد العزيز عن حبيب ابن عيسى بن فروخ عن إسماعيل بن عبد الرحمن عن مالك عن نافع عن ابن عمر قلنا: يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

رق الزجـــاج وراقت الـخـــمـــر وتشـــابهـــا فـــتـــشـــاكل الأمـــر
فكـأنمـــا خـــمـــر ولا قـــدح وكـــأنمـــا قـــدح ولا خـــمـــر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العلم خارج عن علم المعاملة ، ولكن بين العلمين أيضًا اتصال وارتباط، فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكف عنها بالتكليف، فهـذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ، ولهـذا قال علىّ كرم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء ، فـإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفـاق ليبدو نـكتة سوداء ، فـإذا انتهك الحـرمات نمت وزادت حـتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم، وتلا قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ (المطففين: ١٤).

الإطلاق الثانى: أن يراد به التصديق والعمل جميعًا ، كما قال ﷺ : « **الإيمـان بضع وسبعون بابًا** » [(٢٦٩)] وكما قال ﷺ : « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** » ، وإذا دخل العمل فى مـقتضى لفظ الإيمـان لم تخف زيادته ونقصانه ، وهـل يؤثر ذلك فى زيادة الإيمان الذى هو مجرد التصديق، هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه .

---

(٢٦٩) حديث : « الإيمان بضع وسبعون بابا » **قال العراقى** : وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة: الإيمان بضع وسبعون شعبة ، زاد مسلم فى روايته: فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها . . . فذكره ، ورواه بلفـظ المصنف الترمذى وصححه .اهـ .

قـال مـرتضى : أخرجه البخارى فى أول صحيحه عن المسندى عن أبى عامر العقدى عن سليمـان بن بلال عن عبـد الله بن دينار عن أبى صالـح عن أبى هريرة رفعه: « الإيـمان بضع وستون شعبـة والحياء شعبة من الإيمان » ورواه مـسلم من طريق سهيل بن أبى صالح عن عبد الـله بن دينار: بضع وستون أو بضع وسبـعون، على الشك ، وعند أبى داود والترمـذى والنسائى من طريقه: بضع وسـبعون من غـير شك، ورجح البيـهقى رواية البخارى بعـدم شك سليمان وعورض بوقـوع الشك عنه عند أبى عوانة ، ورجح لأنه المـتيقـن ، وما عداه مـشكوك فيـه ، وعند ابن عـدى فى الكامل من رواية ثابت بن محمد عن الثورى عن أبى الزبير عن جابر بلفظ: بضع وستون.

الإطلاق الثـالث: أن يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة ، وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ، ولكنى أقول: الأمر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث ، وإن كان لا شك فى واحد منهما فإن اليقينيات تختلف فى درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها ، وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة .

وقد ظهر فى جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق ، وكيف لا وفى الأخبار أنه « **يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان** » (٢٧٠) وفى بعض المواضع فى خبر آخر : « مثقال دينار » فأى معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما فى القلب لا يتفاوت .

مسألة: فإن قلت: ما وجه قول السلف : « أنا مؤمن إن شاء الله » والاستثناء شك والشك فى الإيمان كفر ، وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه، فقال سفيان الثورى رحمه الله : من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ، ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة . فكيف يكون كاذبًا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنًا فى نفسه كان مؤمنا عند الله، كما أن من كان طويلا وسخيًا في نفسه ـ وعلم ذلك ـ كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورًا أو حزينًا أو سميعًا أو بصيرًا، ولو قيل للإنسان: هل أنت حيوان؟ لم يحسن أن يقول: أنا حيوان إن شاء الله ، ولما قال سفيان ذلك قيل له: فماذا نقول؟ قال : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ (البقرة : ١٣٦).

وأى فرق بين أن يقول: آمنا بالله وما أنزل إلينا، وبين أن يقول: أنا مؤمن. وقيل للحسن: أمؤمن أنت ؟ فقال : إن شاء الله ، فقيل له : لِمَ تستثنى يا أبا سعيد فى الإيمان ؟

---

(٢٧٠) حديث : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفى بعض المواضع من خبر آخر « مثقال دينار » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى سعيد، وقد تقدم الكلام عليه.ا هـ .

فقال: أخاف أن أقول: نعم؛ فيقول الله سبحانه وتعالى : كذبت يا حسن فتحق علىّ الكلمة ، وكان يقول : ما يؤمننى أن يكون الله سبحانه قد اطلع علىّ فى بعض ما يكره فمقتنى ، وقال : اذهب لا قبلت لك عملا ، فأنا أعمل فى غير معمل .

وقال إبراهيم بن أدهم : إذا قيل لك: أمؤمن أنت ؟ فقل: لا إله إلا الله ، وقال مرة : قل: أنا لا أشك فى الإيمان وسؤالك إياى بدعة ، وقيل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو إن شاء الله ، وقال الثورى : نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما ندرى ما نحن عند الله تعالى. فما معنى هذه الاستثناءات؟ فالجواب: أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه : وجهان مستندان إلى الشك لا فى أصل الإيمان ولكن فى خاتمته أو كماله، ووجهان لا يستندان إلى الشك :

الوجه الأول: الذى لا يستند إلى معارضة الشك ،الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (النجم : ٣٢) .

وقال : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ (النساء : ٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ (النساء : ٥٠) .

وقيل لحكيم : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه . والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية، كما يقال للإنسان: أنت طبيب أو فقيه أو مفسر؟ فيقول : نعم إن شاء الله ، لا فى معرض التشكيك، ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه؛ فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ، ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية، وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذمّ لم يحسن الاستثناء .

الوجه الثانى: التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال ، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن

يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الكهف : ٢٣، ٢٤) . ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ (الفتح : ٢٣) .

وكان الله سبحانه عالمًا بأنهم يدخلون لا محالة ، وأنه شاءه ، ولكن المقصود تعليمه ذلك ، فتأدب رسول الله ﷺ فى كل ما كان يخبر عنه معلومًا كان أو مشكوكا، حتى قال ﷺ لما دخل المقابر : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» (٢٧١) واللحوق بهم غير مشكوك فيه، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به، وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمنى، فإذا قيل لك : إن فلانًا يموت سريعًا، فتقول: إن شاء الله؛ فيفهم منه رغبتك لا تشككك، وإذا قيل لك: فلان سيزول مرضه ويصح، فتقول : إن شاء الله، بمعنى الرغبة ؛ فقد صارت الكلمة معدولة

---

(٢٧١) حديث : « قال ﷺ لما دخل المقابر : السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ونص القوت تنكير السلام، **وقال العراقى**: أخرجه مسلم عن أبى هريرة . اهـ .

قال مرتضى : روى مالك من حديث أبى هريرة وعائشة وأنس وبريدة بن الحصيب ﷺ . أما حديث أبى هريرة فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق مالك، واللالكائى وحده من طريق إسماعيل بن علية كلاهما عن روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عنه بلفظ: خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فسلم على أهلها فقال : « سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» ولفظ الحديث لابن علية ، وأما حديث عائشة فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق شريك بن عبد الله بن أبى غر، عن عطاء بن يسار عنها بلفظ أن النبى ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا وإياكم غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » ، وأما حديث أنس فأخرجه اللالكائى من طريق ابن أحمد الزبيدى عن كثير بن زيد عنه بلفظ أن النبى ﷺ أتى البقيع فقال : « السلام عليكم وإنا بكم لاحقون إن شاء الله، أسأل الله ربى أن لا يحرمنا أجركم ولا يفتنا بعدكم » ، وأما حديث بريدة بن الحصيب فأخرجه مسلم واللالكائى من طريق سفيان، واللالكائى وحده من طريق شعبة كلاهما عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا أتى على المقابر- وفى حديث سفيان كان النبى ﷺ إذا خرجنا إلى المقابر - يقول : «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين » زاد محمد بن بشار عن جرير بن عمارة عن سفيان « أنتم لنا سلف » ثم اتفقوا «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية» .

عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة ، وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر .

الوجه الثالث: مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله ، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (الأنفال : ٤)

فانقسموا إلى قسمين ، ويرجع هذا إلى الشك فى كمال الإيمان لا فى أصله ، و كل إنسان شاك فى كمال إيمانه ، وذلك ليس بكفر ، والشك فى كمال الإيمان حق من وجهين: أحدهما: من حيث إن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه ، والثانى : أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات : ١٥) . فيكون الشك فى هذا الصدق .

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة : ١٧٧) . فشرط عشرين وصفًا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ، ثم قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

وقد قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة: ١١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ الآية (الحديد: ١٠) .

وقد قال تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١٦٣) .

وقال ﷺ : « **الإيمان عريان ولباسه التقوى** »[٢٧٢] ، وقال ﷺ : « **الإيمان بضع**

(٢٧٢) حديث : « الإيمان عريان ولباسه التقوى » الحديث: أى إلى آخره وهو قوله «وزينته الحياء وحليته الورع وثمرته العلم » وقد تقدم تخريجه فى كتاب العلم ، قال صاحب القوت: ففيه معنى أن من لا تقوى له فلا لبس لإيمانه ، ومن لا ورع له فلا زينة لإيمان، ومن لا علم له=

وسبعون بابًا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق » (٢٧٢ مكرر) فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال ، وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى ، فقوله ﷺ : «أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن :من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر » (٢٧٣) وفى بعض الروايات: « وإذا عاهد غدر» ،

= فلا ثمرة لإيمانه ، فإن اتفق فاسق جاهل ظالم ، كان بالمنافقين أشبه منه بالمؤمنين ، وكان إيمانه إلى النفاق أقرب ويقينه إلى الشك أميل ، ولم يخرجه من اسم الإيمان إلا أن إيمانه عريان لا لبس له معطل لا كسب له، كما قال تعالى : ﴿أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾ ، والنفاق مقامات ، وقد قيل سبعون بابًا ، والشرك مثل ذلك، وهم فيه طبقات .

(٢٧٢ مكرر) حديث : « وقال ﷺ : الإيمان بضع وسبعون بابًا أدناها إماطة الأذى عن الطريق» قد تقدم الكلام على تخريجه قريبًا والاختلاف فى قول البخارى ومسلم فى الشك فلفظ مسلم: فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وفى رواية :أعظمها ، وفى أخرى: أعلاها . ورواه حماد بن سلمة عن سهل عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة بلفظ: الإيمان بضع وسبعون ، أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة العظم عن الطريق ، وفى رواية الليث عن ابن عجلان عن عبد الله بن دينار: الإيمان ستون بابًا أو سبعون بابا أو بضع واحد من العددين أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها أن يماط الأذى عن الطريق ، وفى رواية عمارة بن غزية عن أبى صالح: الإيمان أربع وستون بابًا أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والأذى أعم من أن يكون حجرًا أو شوكا أو غصنا بارزًا أو غير ذلك مما يتأذى به الناس، وإماطته: إزالته ورفعه من ذلك الموضع .

(٢٧٣) حديث : « أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن: من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإذا خاصم فجر » هكذا أورده صاحب القوت. **وقال العراقى** : متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو. اهـ . وفى بعض الروايات: « وإذا عاهد غدر » ونص القوت: وفى غير بعض هذا الحديث: وإذا عاهد غدر فصارت خمسًا ، فإن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها .

قال مرتضى : أخرجه البخارى ومسلم فى الإيمان وأعاده البخارى فى الجزية ، وأخرجه أصحاب السنن كلهم من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن عبد الله بن عمرو رفعه: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان ، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر . أى أربع خصال من وجدت فيه كان منافقًا فى هذه الخصال لا فى غيرها أو شديد الشبه بالمنافقين ، ووصفه بالخلوص يؤيد من قال إن المراد بالنفاق العملى لا الإيمانى أو العرفى لا الشرعى لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر المُلْقِى فى الدرك الأسفل من النار، وأخرج البخارى=

وفى حديث أبى سعيد الخدرى : « **القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد، فأى المادتين غلب عليه حكم له بها**»(٢٧٤) وفى لفظ آخر : غلبت عليه ذهبت به ، وقال عليه السلام : « **أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها** » (٢٧٥) ، وفى حديث : « **الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا**»(٢٧٦) وقال حذيفة رضي الله عنه : « **كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله** صلى الله عليه وسلم

= فى الإيمان والوصايا والشهادات والأدب، ومسلم فى الإيمان والترمذى والنسائى من طريق نافع ابن مالك عن أبيه عن أبى هريرة رفعه: آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان .

(٢٧٤) حديث : « القلوب أربعة: قلب أجرد وفيه سراج يزهر . . . » **قال العراقى** : أخرجه أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه .اهـ .

قال مرتضى : وقال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى عن حذيفة رضي الله عنه قال : القلوب أربعة : قلب أغلف فذلك قلب الكافر ، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق ، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب فيه نفاق وإيمان ، فمثل الإيمان فيه كشجرة يمدها ماء طيب ، ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم ، فأيهما غلب عليه غلب . **قال مرتضى**: وبه يظهر تقسيم الأربعة والمصنف تابع سياق القوت ، ولا يلتفت إلى غيره.

(٢٧٥) حديث : « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها » ونص القوت: منافقى أمتى ، **قال العراقى** . أخرجه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر ، وفيه ابن لهيعة وسيأتى فى آداب تلاوة القرآن .اهـ .

قال مرتضى : وجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودى له طريق من غير رواية ابن لهيعه ورويناه فى صفة المنافقين للغريانى. اهـ . وقرأت فى ذخيرة الحفاظ للحافظ أبى الفضل بن ناصر الذى رتب فيه الكامل لابن عدى ، والكتاب عندى بخطه ما نصه: رواه عبد الله بن لهيعة عن منشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر وابن لهيعة ليس بحجة ، ورواه الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن خالد الخطمى ولا يتابع عليه .ا هـ . ووجدت بإزائه بخط الحافظ ابن حجر: لم ينفرد به ابن لهيعة بل تابعه الوليد بن المغيرة مصرى صدوق ، وقال السيوطى فى الجامع الصغير : أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمرو وأحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر عن عصمة بن مالك .اهـ .

(٢٧٦) حديث : « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا » هكذا أورده صاحب القوت=

يصير بها منافقًا إلى أن يموت، وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات » (٢٧٧) وقال بعض العلماء: أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق ، وقال حذيفة : المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى ﷺ ، فكانوا إذ ذاك يُخفونه وهم اليوم يظهرونه. وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفى ،وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء

= **وقال العراقى** : أخرجه أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر، ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء .اهـ .

قال مرتضى : قال ابن عدى : رواه يحيى بن كثير النضرى عن الثورى عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، وهذا عن الثورى ليس يرويه عنه غير يحيى بن كثير هذا .اهـ . وله فى الجامع الصغير بقية: وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره . . . الحديث وسيأتى ذكره قريبًا، أخرجه الحكيم الترمذى عن أبى بكر. قال المناوى: وظاهر صنيعه أنه لم يره مخرجا لأحد من المشاهير ، وإلا لما أبعد النجعة وهو ذهول، فقد خرجه الإمام أحمد وأبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى بكر، وأحمد والطبرانى عن أبى موسى **قال مرتضى**: هذا ليس بذهول من الحافظ وإنما مراده بالاقتصار على تخريج الحكيم الترمذى إشارة إلى أنه انفرد بإخراجه هكذا على التمام ، وأما من ذكرهم بعد كأحمد والطبرانى وأبى يعلى فإنهم اقتصروا على الجملة الأولى إلى قوله على الصفا . وفى الجامع الصغير أيضًا : الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شىء من الجور أو تبغض على شىء من العدل ، وهل الدين إلا الحب فى الله والبغض فى الله . . . الحديث ، قال: أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر والحاكم فى التفسير وأبو نعيم فى الحلية كلهم عن عائشة ، قال المناوى: قال الحاكم: صحيح، وتعقبه الذهبى بأن فيه عبد الأعلى بن أعين قال الدارقطنى: غير ثقة، وقال فى الميزان عن العقيلى: جاء بأحاديث منكرة، وساق هذا منها ، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، والله أعلم .

(٢٧٧) حديث حذيفة رضي الله عنه : « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقًا إلى أن يموت، وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات » هكذا أورده صاحب القوت . قال العراقى: أخرجه أحمد بإسناد فيه جهالة .اهـ .

قال مرتضى : قال أبو نعيم فى الحلية :حدثنا أبو بكير بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا عبد الله بن نمر حدثنى الجهنى حدثنا أبو الرقاد وقال: خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقًا، وإنى لأسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم .



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٧

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

منه ، فقد قيل للحسن البصرى : يقولون أن لا نفاق اليوم ؟ فقال : يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق، وقال هو أو غيره : لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا . « وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال: أرأيت لو كان حاضراً يسمع أكنت تتكلم فيه ؟ فقال: لا ، فقال : كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ » (٢٧٨) .

وقال ﷺ : « من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة » ،وقال أيضًا ﷺ : « شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » .

وقيل للحسن: إن قومًا يقولون : إنا لا نخاف النفاق ، فقال: والله لأن أكون أعلم أنى برىء من النفاق أحب إلىّ من تلاع الأرض ذهبًا ، وقال الحسن : إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب، والسر والعلانية، والمدخل والمخرج. وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه : إنى أخاف أن أكون منافقًا ، فقال لو كنت منافقًا ما خفت النفاق ، إن المنافق قد أمن من النفاق. وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين ومائة ــ وفى رواية: خمسين ومائة ــ من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخافون النفاق.

وروى أن رسول الله ﷺ كان جالسًا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده، وبين عينيه أثر السجود؛ فقالوا : يا رسول الله، هو هذا الرجل الذى وصفناه ؛ فقال ﷺ : « أرى على وجهه سفعة من الشيطان»، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم، فقال النبى ﷺ : «نشدتك الله هل حدّثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك» ؟ فقال: اللهم نعم (٢٧٩) .

---

(٢٧٨) حديث : « وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحَجاج فقال : ارايت لو كان حاضراً اكنت تتكلم فيه؟ قال: لا، قال: كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ .

قال العراقى: أخرجه أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه الحجاج .ا هـ .

ووجد مرتضى بخط من وجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه هو فى الغيلانيات من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وفيه ذكر الحجاج .اهـ ..

(٢٧٩) حديث : « كان جالسًا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبينما هم كذلك إذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء . . . » .

=

وقال ﷺ في دعائه: « اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم »، فقيل له: أتخاف يا رسول الله ؟ فقال: « وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » (٢٨٠).

وقد قال سبحانه: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٤٧).

قيل في التفسير: عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات، وقال سري السقطي: لو أن إنسانًا دخل بستانًا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة، فقال: السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيرًا في يديها، فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه، حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين،

= قال العراقي: أخرجه أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس. اهـ.

قال مرتضى: وفيه صدق ما تفرس به النبي ﷺ في الرجل المذكور وبيان لمعجزته حيث أخبر عن شيء لم يصل إليه علم القوم فأطلع الله حبيبه ﷺ على أحواله، وأن باطنه مخالف لظاهره فإنه قد خطر في ضميره أنه أفضل القوم وهذا فيه خطر عظيم ومثله كان يعد منافقًا. اللهم سلمنا منه يا رب العالمين.

(٢٨٠) حديث: « اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم، فقيل له: أتخاف يا رسول الله؟ فقال: وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: وكان من دعاء رسول الله ﷺ فذكره.

وقال العراقي: أخرجه مسلم من حديث عائشة: « اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل » ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث مرسل: وشر ما لم أعلم، وآخر الحديث عند مسلم من حديث عبد الله بن عمر. ا هـ.

قال مرتضى: وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن عائشة كسياق مسلم: اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر ما لم أعلم، وفي القوت: وعلم رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه دعاء قال فيه: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم، وأخرج أحمد وأبو يعلى والحكيم الترمذي وأبو نعيم في الحلية عن أبي بكر: الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إن فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم، تقولها ثلاث مرات.

وقال أبو سليمان الداراني: سمعت من بعض الأمراء شيئًا فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي، ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت. وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله، فالنفاق نفاقان أحدهما يُخرج من الدين ويُلحق بالكافرين ويُسلك في زمرة المخلدين في النار، والثاني يُفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصدّيقين، وذلك مشكوك فيه، ولذلك حسن الاستثناء فيه، وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعُجْب، وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصدّيقون.

الوجه الرابع: وهو أيضًا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فإنه لا يدري أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا، فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه، فقال: أنا صائم قطعًا، فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار، وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان، ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من البشر، فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه، فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ (ق: ١٩). أي بالسابقة يعني أظهرتها.

وقال بعض السلف: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وكان أبو الدرداء ﷺ يحلف بالله ما من أحد يسلب إيمانه إلا سلبه، وقيل: من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك، وقيل: هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء، وقال بعض العارفين: لو عرضت عليّ الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت

على التوحيد عند باب الحجرة لأنى لا أدرى ما يعرض لقلبى من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار ، وقال بعضهم: لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة، ثم حال بينى وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد، وفى الحديث : « **من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل** »(٢٨١) .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (الأنعام : ١١٥) . صدقًا لمن مات على الإيمان وعدلا لمن مات على الشرك .

وقد قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١) .

فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبًا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة ، كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صومًا فكذلك الإيمان، بل لايبعد أن يسأل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه، فيقال: أصمت بالأمس ؟ فيقول : نعم إن شاء الله تعالى، إذ الصوم الحقيقى هو المقبول، والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ، ويكون ذلك شكا فى القبول إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب جل جلاله ، فيحسن الشك فيه ، فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الإيمان، وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد .

(تم الكتاب بحمد الله تعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى)

---

(٢٨١) حديث : « من قال أنا مؤمن فهو كافر، ومن قال أنا عالم فهو جاهل » هكذا هو فى القوت، وقال العراقى : أخرجه الطبرانى فى الأوسط الشطر الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث ابن أبى سليم، والشطر الأول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الصغير بلفظ « من قال: أنا فى الجنة فهو فى النار » وسنده ضعيف ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث البراء بإسناد ضعيف جدا ورويناه فى مسند الحارث بن أبى أسامة من رواية قتادة عن عمر بن الخطاب مرفوعا وهو منقطع .ا هـ .

قال مرتضى : هكذا نقله الحافظ السخاوى بتمامه فى المقاصد ، إلا أنه قال فى رواية الديلمى: عن جابر بدل البراء فلا أدرى هو تصحيف فى نسخة المقاصد أو تغيير منه قصداً فليراجع .

كتـــاب أســـرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

القســـم الأول : طهارة الخبث .

القسم الثـانى : طهارة الأحداث .

القسم الثـالث : فى النظافة والتنظيف من الفضلات الظاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم ـ تزكية لسرائرهم ـ أنواره وألطافه، وأعدّ لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة، وصلى الله على النبى محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة ، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة، أما بعد . .

فقد قال النبى ﷺ : « **بنى الدين على النظافة** » (٢٨٢) ،وقال ﷺ :« **مفتاح الصلاة الطهور**» (٢٨٣) .

---

(٢٨٢) حديث : « بنى الدين على النظافة » تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم . حديث رقم ١٢٧ ص ١٨٧ .

(٢٨٣) حديث : « مفتاح الصلاة الطهور » وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم ، **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث على ، قال الترمذى : هذا أصح شىء فى الباب، وأحسن .اهـ .

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد فى مسنده ، وأخرج أحمد أيضًا والبيهقى من حديث جابر بلفظ: « مفتاح الجنة الصلاة ، ومفتاح الصلاة الطهور» ، وقال النووى فى التهذيب : الطهور بالفتح ما يتطهر به ، وبالضم اسم الفعل ، هذه هى اللغة المشهورة، وفى أخرى بالفتح فيهما واقتصر عليه جماعات من كبار أئمة اللغة ، وحكى صاحب مطالع الأنوار الضم فيهما وهو غريب شاذ اهـ . وقال ابن الأثير فى تفسير قوله عليه السلام « لا يقبل الله صلاة بغير طهور»: هو بالضم للتطهر ، وبالفتح الماء الذى يتطهر به ، وقال سيبويه : الطهور بالفتح يقع على الماء والمصدر معا ، قال : فعلى هذا يجوز أن يكون الحديث بفتح الطاء وبضمها والمراد بهما التطهر، والماء الطهور بالفتح هو الذى يرفع الحدث ويزيل النجس، لأن فعولا من أبنية المبالغة فكأنه تناهى فى الطهارة ، وقال الله تعالى : ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ كان هؤلاء الطائفة من الأنصار إذا استنجوا أتبعوا الحجارة بالماء ، فأثنى الله تعالى عليهم بذلك ، وسيأتى الكلام عليه قريبًا .

وقال الله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٨) .

وقال النبى ﷺ : « الطهور نصف الإيمان » (٢٨٤) .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ (المائدة: ٦).

فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر ، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ : «الطهور نصف الإيمان» عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإلقائه، وتخريب الباطن وإبقائه مشحونًا بالأخباث والأقذار هيهات هيهات ، والطهارة لها أربع مراتب :

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات .

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام .

المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

المرتبة الرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى ، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصدّيقين ، والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فإن الغاية القصوى فى عمل السر

---

(٢٨٤) حديث : « الطهور نصف الإيمان » قال العراقى : أخرجه الترمذى من حديث رجل من بنى سليم ، وقال: حسن ، ورواه مسلم من حديث أبى مالك الأشعرى بلفظ «شطر» .اهـ .

قال مرتضى : وحديث أبى مالك الأشعرى رواه أيضًا أحمد والترمذى ولفظهم : «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وأخرج اللالكائى فى السنة ، أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم ، أخبرنا إسماعيل بن محمد، حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا سفيان عن أبى إسحق عن أبى ليلى الكندى عن حجر بن عدى ، ورأى ابن أخ له خرج من الخلاء ، فقال : ناولنى تلك الصحيفة من الكوّة فقرأها ، فقال : حدثنا على بن أبى طالب «الطهور نصف الإيمان» ، قال مرتضى : هكذا أورده ولم يصرح برفعه وإنما أورده مستدلا على قبول الإيمان الزيادة والنقص والتبعيض.

أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ، ولذلك قال الله عز وجل :

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام : ٩١) .

لأنهما لا يجتمعان فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ،وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى ، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذى هو شرط فى الثانى فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى، فهذه مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة، ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الأمر يُدرك بالمنى ويُنال بالهوينى، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التى هى كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنًّا منه ــ بحكم الوسوسة وتخيل العقل ــ أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط، وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى أن عمر ﷺ مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية ،وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة ، بل كانوا يمسحون أصابعهم بأخمص أقدامهم وعدوا الأشنان من البدع المحدثة، ولقد كانوا يصلون على الأرض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزاً فى

مضجعه كان من أكابرهم، وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء. وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « **كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر** » (٢٨٥) ، وقال عمر رضي الله عنه : « **ما كنا نعرف الأشنان فى عهد رسول الله ﷺ ، وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها** » (٢٨٦) .

---

(٢٨٥) حديث : « كنا نأكل الشواء » أى اللحم المشوى «فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء» أى الحصيات الصغار التى فى المسجد «ثم نفركها بالتراب» أى لإزالة دسمه «ونكبر» أى ندخل فى الصلاة مع الإمام بتكبيرة الإحرام، **قال العراقى** : أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة .ا هـ.

قال مرتضى : وهو فى كتاب أسماء من دخل مصر من الصحابة تأليف أبى عبد الله محمد ابن الربيع بن سليمان بن داود الجيزى رحمه الله تعالى فى ترجمة عبد الله بن الحارث بن جزء المذكور ، وكان شهد فتح مصر واختط بها ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنى أبى أخبرنا ابن لهيعة عن سليمان بن زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى أنه قال: أكلنا مع رسول الله ﷺ طعامًا قد مسته النار فى المسجد ، ثم أقيمت الصلاة فمسحنا أيدينا بالحصباء ثم قمنا نصلى ولم نتوضأ ، وقال أيضًا : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عمى عبد الله بن وهب ، حدثنى ابن لهيعة عن سليمان بن زياد الحضرمى عن عبد الله بن الحارث بن جزء ، قال : أكلنا مع رسول الله ﷺ شواء فى المسجد فأقيمت الصلاة فأدخلنا أيدينا فى الحصباء ، ثم قمنا فصلينا ولم نتوضأ ، وقال أيضًا: وحدثنى أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى نافع ، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، حدثنا أبو يزيد عبد الملك بن أبى كريمة ، أخبرنا عتبة بن لعامة المرادى ، قال : قدم علينا عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى فسمعته يحدث فى مصر ، قيل له : ما تقول فيما مست النار ؟ قال: وما مست النار ؟ قال : اللحم المنضوج يأكله الناس فقال : لقد رأيتنى وأنا سابع سبعة ، أو سادس ستة مع رسول الله ﷺ فى دار رجل فمر بلال فناداه بالصلاة ، فخرجنا فمررنا برجل وبرمته على النار ، فقال له النبى ﷺ : «أطابت برمتك» ؟ قال : نعم بأبى أنت وأمى ، فتناول منها بضعة فلم يزل يعلكها حتى أحرم بالصلاة وأنا أنظر إليه .اهـ . وكان المراد من قول المصنف وغيره من أهل الصفة هو عبد الله بن الحارث بن جزء المذكور ، وأورد البخارى فى باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق ، فقال : وأكل أبو بكر وعمر وعثمان فلم يتوضأوا كذا هو فى رواية أبى ذر بحذف المفعول. وعند ابن أبى شيبة عن محمد بن المنكدر ، قال : أكلت مع رسول الله ﷺ ومع أبى بكر وعمر وعثمان خبزًا ولحمًا فصلوا ولم يتوضأوا ، وكذا رواه الترمذى، فإن حمل الوضوء على غسل الأيادى يكون نصا فى الباب .

(٢٨٦) حديث : وقال عمر رضي الله عنه : « ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله ﷺ وإنما كانت =

ويقال: أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله ﷺ أربع: المناخل والأشنان والموائد والشبع، فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم: الصلاة فى النعلين أفضل لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه فى صلاته بإخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم، قال ﷺ: « لم خلعتم نعالكم؟ (٢٨٧) » وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم: وددت لو أن محتاجًا جاء إليها فأخذها منكرا لخلع النعال، فهكذا كان تساهلهم فى هذه الأمور، بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها، ويصلون فى المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات، فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة، فيقولون: هى مبنى الدين، فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها، والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق، ولا يستنكرون ذلك ولايتعجبون منه، ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الأرض حافيًا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة

= مناديلنا بواطن أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها » **قال العراقى**: لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصراً من حديث جابر. اهـ. وقد تقدم التعريف بالأشنان والمناديل جمع منديل بالكسر مشتق من ندلت الشىء إذا جذبته أو أخرجته ونقلته وهو مذكر، قاله ابن الأنبارى وجماعة وتمندل به وتندل تمسح وأنكر الكسائى الميم، والغمر بالفتح الدسم.

(٢٨٧) حديث: « لما نزع نعليه فى الصلاة وأخبره جبريل أن بهما نجاسة» **قال العراقى**: أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى. اهـ.

قال مرتضى: وكذلك أخرجه ابن حبان وأبو يعلى وإسحق مختصراً كما أشار إليه الحافظ، والمعنى أنه ﷺ نزع نعله بعمل قليل وأتم صلاته من غير استئناف ولا إعادة، وعلم من هذا أنهم كانوا يصلون فى نعالهم وفى الحواشى الخبازية على الهداية فى الحديث بعد قوله عليه السلام: ما لكم خلعتم نعالكم؟، قالوا: رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا، فقال عليه السلام: أتانى جبريل فأخبرنى أن بهما أذى، فمن أراد أن يدخل المسجد فليقلب نعليه، فإن رأى بهما أذى فليمسحهما فإن الأرض لهما طهور، وفى رواية: ثم ليصل، **قال مرتضى**: وهذه الجملة أخرجها أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة بمعناها، وأخرج منها رواية أبى داود: إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى فإن التراب لهما طهور.

أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشنوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته، فسموا البذاذة التى هى من الإيمان قذارة والرعونة نظافة،فانظر كيف صار المنكر معروفًا والمعروف منكرًا ، وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه .

فإن قلت : أفتقول إن هذه العادات التى أحدثها الصوفية فى هيئاتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات ؟ فأقول : حاش لله ان أطلق القول فيه من غير تفصيل، ولكنى أقول إن هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأوانى والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهى من المباحات، وقد يقترن بها أحوال ونيات تُلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات ، فأما كونها مباحة فى نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها فى ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف، وأما مصيرها منكرًا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ : « بنى الدين على النظافة» حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين ، أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم، فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرًا بهذين الاعتبارين ، وأما كونه معروفًا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين ، وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه ، أو عن علم أو غيره فإذا لم يقترن به شىء من ذلك فهو مباح ، يمكن أن يُجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعنى فيصير شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف، وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغى أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة ، فالزيادة عليه منكر فى حقهم وتضييع للعمر الذى هو أنفس الجواهر وأعزها فى حق من قدر على الانتفاع به ، ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا ينبغى للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة، إذ التشبه بهم فى أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود

الطائى: لم لا تسرح لحيتك ؟ قال : إنى إذاً لفارغ ،فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته فى غسل الثياب واحترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيراً فى الغسل، فقد كانوا فى العصر الأول يصلون فى الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرّق بين المقصورة والمدبوغة فى الطهارة والنجاسة ، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم فى استنباط الاحتمالات الدقيقة، بل كانوا يتأملون فى دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثورى لرفيق له كان يمشى معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور : لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف فالناظر إليه معين له على الإسراف. فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا فى احتمالات النجاسة، فلو وجد العالم عاميّا يتعاطى له غسل الثياب محتاطًا فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير ، وذلك العامى ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمّارة بالسوء بعمل المباح فى نفسه فيمتنع عليه المعاصى فى تلك الحال ، والنفس إن لم تشغل بشىء شغلت صاحبها ، وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظًا عليه ، وأشرف وقت العامى أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض ، فتدقيق الحساب فى حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق فى أمور الدنيا بحذافيرها ، وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب، فاعلم أنا فى هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا فى المرتبة الرابعة : وهى نظافة الظاهر، لأنّا فى الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصداً إلا للظواهر ، فنقول : طهارة الظاهر ثلاثة أقسام : طهارة عن الخبث ، وطهارة عن الحدث ، وطهارة عن فضلات البدن وهى التى تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره .

القسم الأول: فى طهارة الخبث، والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة

الطرف الأول فى المزال

وهى النجاسة والأعيان ثلاثة : جمادات ، وحيوانات ، وأجزاء حيوانات .

أما الجمادات فطاهرة كلها ، إلا الخمر وكل منتبذ مُسكر ، والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ، فإذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة : الآدمى ، والسمك ، والجراد ، ودود التفاح ، وفى معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة ، كالذباب والخنفساء وغيرهما ، فلا ينجس الماء بوقوع شىء منها فيه .

وأما أجزاء الحيوانات فقسمان :

أحدهما: ما يقطع منه وحكمه حكم الميت ، والشعر لا ينجس بالجز والموت ، والعظم ينجس .

الثانى: الرطوبات الخارجة من باطنه : فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقرّ فهو طاهر ؛ كالدمع ، والعرق ، واللعاب ، والمخاط ، وما له مقر - وهو مستحيل - فنجس ، إلا ما هو مادة الحيوان : كالمنى ، والبيض ، والقيح ، والدم ، والروث ، والبول ؛ نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شىء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة :

الأول: أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج .

الثانى: طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه ، وهو الذى لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة .

الثالث: ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك ؛ للحاجة .

الرابع: دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته .

الخامس: دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد، ودلّك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل ، وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبًا، وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرًا من خرّاج أو غيره ، فيلحق بدم الاستحاضة، ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الإنسان عنها فى أحواله ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل ، وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها .

الطرف الثانى فى المزال به

وهو : إما جامدًا وإما مائعًا ، أما الجامد؛ فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط أن يكون صلبًا طاهرًا منشفًا غير محترم ، وأما المائعات فلا تُزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ، ولا كل ماء ، بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه، ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه ، فإن لم يتغير وكان قريبًا من مائتين وخمسين منًا ، وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله ﷺ : « **إذا بلغ الماء قُلتين لم يحمل خبثًا** »(٢٨٨) ، وإن كان دونه صار نجسًا عند الشافعى رضي الله عنه، هذا فى الماء الراكد ، وأما الماء الجارى إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها؛ لأن جريات الماء متفاصلات ، وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء ، وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين، وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر ، وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر، إلا إذا اجتمع فى حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسًا بالتفريق، هذا هو

---

(٢٨٨) حديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا » وإن كان دونه صار نجسًا عند الشافعى رضي الله عنه، وكذا عند أبى حنيفة وأحمد فى إحدى روايتيه ، وعند مالك وأحمد فى الرواية الأخرى: إن لم يتغير فهو طاهر ، كذا قاله ابن هبيرة ، قال الرافعى : وفى بعض الروايات تقييدهما بقلال هجر .

مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وكنت أودّ أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قلَّ، لا ينجس إلا بالتغير، إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك، وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطًا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة : مكة والمدينة، إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ، ومن أول عصر رسول الله ﷺ إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات ، وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء، وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تُعلم بظن قريب، فإذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه دليل ثان، والدليل الثالث : « **إصغاء رسول الله ﷺ الإناء للهرة** » (٢٨٩) وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ، ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها ، وكانت لا تنزل الآبار ، والرابع : أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن : غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ، ونجسة إن تغيرت ، وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه، وأي معنى لقول القائل : إن قوة الورود تدفع النجاسة ، مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة ، وإن أحيل ذلك على الحاجة ، فالحاجة أيضًا ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني. والخامس : أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ، ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا، وأي فرق بين الجاري والراكد؟ وليت شعري هل الحوالة على

(٢٨٩) حديث : « إصغاء رسول الله ﷺ الإناء للهرة » أخرجه الدارقطني والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين بلفظ « كان يصغي الإناء للهرة فتشرب منه ثم يتوضأ» ، وأخرجه الطحاوي من وجه آخر وهو ضعيف أيضًا ، وأخرجه الأربعة في حديث مالك من فعل أبي قتادة وهو في الموطأ عن إسحق بن أبي طلحة عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة عن خالتها كبشة بنت كعب وكانت تحت ابن أبي قتادة أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءاً فجاءت هرة تشرب فأصغى لها الإناء حتى شربت . . . الحديث .

عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ، ثم ما حدّ تلك القوة أتجرى فى المياه الجارية فى أنابيب الحمامات أم لا ، فإن لم تجر فما الفرق وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع فى مجرى الماء من الأوانى على الأبدان وهى أيضًا جارية، ثم البول أشد اختلاطًا بالماء الجارى من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجرى عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع فى مستنقع قلتان فأى فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة . والسادس : أنه إذا وقع رطل من البول فى قلتين ثم فرقنا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ، وليت شعرى هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع : أن الحمامات لم تزل فى الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدى والأوانى فى تلك الحياض مع قلة الماء ، ومع العلم بأن الأيدى النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها ، فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى فى النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله ﷺ : «خلق الماء طهورًا لا ينجسه شىء إلا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه » (٢٩٠) وهذا فيه

(٢٩٠) حديث : « خلق الماء طهورا لا ينجسه شىء إلا ما غير طعمه أو ريحه » كذا فى النسخ وفى بعضها: خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شىء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه، **قال العراقى :** أخرجه ابن ماجة من حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف ، وقد رواه بدون الاستثناء، ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى سعيد وصححه أحمد وغيره .اهـ .

قال مرتضى : قال الحافظ: وفى إسناد ابن ماجة أبو سفيان طريف بن شهاب وهو ضعيف متروك، وقد اختلف على شريك الراوى عنه ، وقد روى هذا الحديث من رواية ابن عباس بلفظ: الماء لا ينجسه شىء ، رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان ، ورواه أصحاب السنن بلفظ: الماء لا يجنب وفيه قصة ، وقال الحازمى : لا نعرفه مجردًا إلا من حديث سماك بن حرب عن عكرمة وسماك مختلف فيه وقد احتج به مسلم ، ومن رواية سهل بن سعد رواه الدارقطنى ، وعن عائشة بلفظ: إن الماء لا ينجسه شىء ، رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى والبزار وأبو على بن السكن فى صحيحه من طريق شريك ، ورواه أحمد من طرق أخرى صحيحة لكنه موقوف ، ورواه الدارقطنى من طريق داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب قال : أنزل الله الماء طهوراً لا ينجسه شىء، وأما الاستثناء فرواه الدارقطنى من حديث ثوبان بلفظ الماء طهور لا ينجسه شىء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه ، فيه رشدين بن سعد وهو متروك ، وعن أبى أمامة مثله رواه ابن ماجه والطبرانى وفيه رشدين أيضًا ، وتقدم شىء من ذلك عند ذكر اللون ردا على من قال : إن الشافعى قاس اللون على الطعم والريح ولم يجد فيه نصا من الشارع .

تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبًا من جهته ، فكما ترى الكلب يقع فى المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه ، فكذلك الخل يقع فى الماء، وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب، وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه ، فهذا هو المعيار، وقد أشار الشرع إليه فى الماء القوى على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهوراً، إذ يغلب عليه فيطهره ، كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفى الغسالة وفى الماء الجارى وفى إصغاء الإناء للهرة ، ولا نظن ذلك عفواً إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقى له نجسًا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور فى الماء القليل ، وأما قوله ﷺ : «لا يحمل خبثًا» فهو فى نفسه مبهم ، فإنه يحمل إذا تغير فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه فى الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة، ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التى ذكرناها ممكن ، وقوله: « لا يحمل خبثًا » ظاهره نفى الحمل أى يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبًا ولا غيره ، أى ينقلب، وذلك لأن الناس قد يستنجون فى المياه القليلة وفى الغدران ويغمسون الأوانى النجسة فيها ثم يترددون فى أنها تغيرت تغيراً مؤثرًا أم لا ، فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسة المعتادة (فإن قلت) فقد قال النبى ﷺ : « لا يحمل خبثًا » ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فإنها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا ، فلابد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعًا ، وعلى الجملة ، فميلى فى أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل ، فهذا من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس ، وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه فى مثل هذه المسائل .

الطرف الثالث فى كيفية الإزالة

والنجاسة إن كانت حكمية ـ وهى التى ليس لها جرم محسوس - فيكفى إجراء الماء على جميع مواردها ، وإن كانت عينية فلابد من إزالة العين ـ وبقاء الطعم يدل على بقاء العين، وكذا بقاء اللون ، إلا فيما يلتصق به ، فهو معفو عنه بعد الحتّ والقرص ، وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ، ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشىء له رائحة فاتحة يعسر إزالتها، فالدّلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص فى اللون والمزيل للوسواس، أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين ، فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات .

القسم الثانى: طهارة الأحداث

ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء، فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى.

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء ، وأن يستتر بشىء إن وجده ، وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس ، وأن لا يستقبل الشمس والقمر ، وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، إلا إذا كان فى بناء ، والعدول أيضًا عنها فى البناء أحب ، وإن استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله، وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد ، ولا تحت الشجرة المثمرة ، ولا فى الحجر ، وأن يتقى الموضع الصلب ، ومهاب الرياح فى البول؛ استنزاها من رشاشه ، وأن يتكئ فى جلوسه على الرجل اليسرى، وإن كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج، ولا يبول قائمًا ، قالت عائشة ﵂ : « **من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائمًا فلا تصدقوه** » (٢٩١).

(٢٩١) حديث : « قالت عائشة ﵂ : من حدثكم أن رسول الله ﷺ كان يبول قائمًا فلا=

وقال عمر رضي الله عنه : « رآني رسول الله ﷺ وأنا أبول قائمًا فقال : يا عمر لا تبل قائمًا ، قال عمر : فما بلت قائمًا بعد » (٢٩٢) .

وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام « بال قائمًا، فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » (٢٩٣).

ولا يبول في المغتسل ، قال ﷺ : « عامة الوسواس منه » (٢٩٤).

وقال ابن المبارك: قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ، ذكره الترمذي ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه»، وقال ابن المبارك : إن كان الماء جاريًا فلا بأس به، ولا يستصحب شيئًا عليه اسم الله تعالى أو رسوله ﷺ ، ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس، وأن يقول عند الدخول: بسم الله

= تصدقوه» قال العراقي : أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، قال الترمذي : هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح .اهـ . أي لم يكن مواظبًا على ذلك ، بل كان يتفق منه أحيانًا فلم تطلع عليه عائشة رضي الله عنها، ولذا أنكرت .

(٢٩٢) حديث : « وقال عمر رضي الله عنه : رآني النبي ﷺ وأنا أبول قائمًا ، فقال : يا عمر لا تبل قائمًا» قال العراقي : أخرجه ابن ماجه بإسناد ضعيف ، ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر .ا هـ .

(٢٩٣) حديث : « بال ﷺ قائمًا فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه » قال العراقي : متفق عليه.ا هـ .أخرجه الستة بلفظ: أتى سباطة قوم فبال قائمًا ثم دعا بماء فمسح على خفيه ، قال أبو داود : قال مسدد: قال : فذهبت أتباعد فدعاني حتى كنت عند عقبة.

(٢٩٤) حديث : « لا يبول في المغتسل » هو الموضع الذي يغتسل فيه ، قال رسول الله ﷺ : «عامة الوسواس منه» ، قال العراقي : أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل ، قال الترمذي : غريب وإسناده صحيح .اهـ .

قال مرتضى : ولفظهم : «لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه ، فإن عامة الوسواس منه» وأخرجه أحمد إلا أنه قال : ثم يتوضأ فيه، وأخرج أبو داود والنسائي من حديث حميد ابن عبد الرحمن الحميري قال : لقيت رجلا صحب النبي ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم أو يبول في مغتسله .

أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث : الشيطان الرجيم ، وعند الخروج : الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى علىّ ما ينفعنى، ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وأن يعد النبل قبل الجلوس، وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة، وأن يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثًا وإمرار اليد على أسفل القضيب، ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر، وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس، وفى الخبر «**أنه ﷺ فعله، أعنى رش الماء**» (٢٩٥) وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه.

وفى حديث سلمان رضي الله عنه : « **علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة، فأمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث، ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول** ». (٢٩٦)

وقال رجل لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه: لا أحسبك تحسن الخراءة ، قال: بلى، وأبيك إنى لأحسنها ، وإنى بها لحاذق : أبعد الأثر وأعد المدر، وأستقبل الشيح، وأستدبر الريح، وأقعى إقعاء الظبى، وأجفل إجفال النعام . الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية ، والإقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه، والإجفال أن يرفع عجزه ، ومن الرخصة أن يبول

(٢٩٥) حديث : « رش الماء » **قال العراقى** : رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح، أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال الترمذى وابن عبد البر .اهـ. وفى القوت: وقد يكون ما يظهر من البذاذة بعد غسل الذكر بالماء أن ذلك من مرجع الماء يتردد فى الإحليل لضيق المسلك وتلاحم انضمامه عليه ، فإن خشى الوسواس فلينضح على فرجه بالماء بعد وضوئه، وهو أن يأخذ كفا من ماء فيرشه عليه، فقد فعله رسول الله ﷺ ، وقد شبه فقهاء المدينة الذكر بالضرع ،وقال بعضهم : إنه لا يزال يخرج منه الشىء بعد الشىء ما دمت تمده ، وقيل: إذا وقع الماء على الذكر انقطع البول .

(٢٩٦) حديث : « علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراء، فأمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ، ونهانا أن نستقبل القبلة ببول ولا غائط» ، **قال العراقى** : أخرجه مسلم، وقد تقدم فى قواعد العقائد .اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه الأربعة فى السنن بلفظ «قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراء، قال : أجل نهانا. . .» فساقوه، وفى سياقهم زيادة على ما أورده المصنف هنا .

الإنسان قريبًا من صاحبه مستترًا عنه ، « فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك » (٢٩٧) .

كيفية الاستنجاء

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار ، فإن أنقى بها كفى ، وإلا استعمل رابعًا ، فإن أنقى استعمل خامسًا ، لأن الإنقاء واجب والإيتار مستحب ، قال عليه الصلاة والسلام : « من استجمر فليوتر » (٢٩٨) ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ، ويمره بالمسح والإدارة إلى المؤخر ، ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة ، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة ، فإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة إلى المؤخرة أجزأه ، ثم يأخذ حجرًا كبيرًا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثًا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر ، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار ، ثم ينتقل من ذلك

---

(٢٩٧) حديث : « ومن الرخصة أن يبول الإنسان قريبًا من صاحبه مستترا عنه، فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليستن الناس به » وفي نسخة: ليسن للناس ، وعبارة القوت فأما من أراد أن يبول قريبًا من صاحبه بحيث يراه أو يحسه فلا بأس بذلك ، فإنها رخصة من رسول الله ﷺ رفع الحياء منها بفعله لأنه عليه الصلاة والسلام كان أشد الناس حياء ، وقد كان مع ذلك يبول وإلى جنبه صاحبه ليستن التوسعة في ذلك .

قال مرتضى : وتقدم قريبًا في حديث حذيفة عند أبي داود: فذهبت أتباعد فدعاني حتى كنت عند عقبه ، **وقال العراقي** : هو متفق عليه من حديث حذيفة .اهـ . **قال مرتضى** : بل هو عند الستة كما تقدمت الإشارة إليه .

(٢٩٨) حديث : « من استجمر فليوتر » أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة وهو رواية لمسلم أيضًا وعند مسلم أيضًا من حديثه : إذا استجمر أحدكم فليستجمر وترا ، وقوله : فليوتر، أي بثلاث أو خمس أو سبع أو غير ذلك والواجب الثلاث ، فإن حصل الإنقاء بها وإلا وجبت الزيادة كما تقدم واستحب الإيتار إن حصل الإنقاء بشفع .، وحمل ابن عمر الاستجمار هنا على استعمال البخور فكان يتطيب وترًا ويستنجي وترًا جمعا بينهما ، وحكاه ابن عبد البر عن مالك وعند أبي داود زيادة في هذا الحديث وهو قوله : من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج .

الموضع إلى موضع آخر » ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر تدركه الكف نجس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن ، فإن ذلك منبع الوسواس ، وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر ، وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس ، ويقول عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق وحصّن فرجي من الفواحش ، ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت ، والجمع بين الماء والحجر مستحب ، فقد روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة : ١٠٨) . قال رسول الله ﷺ لأهل قباء : **« ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم » ؟ قالوا : «كنا نجمع بين الماء والحجر »** (٢٩٩) .

كيفية الوضوء

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء، فلم يُر رسول الله ﷺ قط خارجًا من الغائط إلا توضأ، ويبتدئ بالسواك ، فقد قال رسول الله ﷺ : **« إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك»**(٣٠٠) فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى في الصلاة.

(٢٩٩) حديث : لما نزل قوله عز وجل : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ أخرجه البزار في مسنده من حديث ابن عباس ، قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لأهل قباء : ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم ؟ قالوا : إنا نتبع الحجارة الماء ، أي نجمع بين الماء والحجر، وسنده ضعيف ، كما قاله العراقي وابن الملقن ، **وقال العراقي** : ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر .ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رفعه ، قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ...﴾ ، قال : كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية .

(٣٠٠) حديث : « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك » **قال العراقي** : أخرجه أبو نعيم من=

وقال ﷺ : « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك »[(٣٠١)] .

وقال ﷺ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[(٣٠٢)].

= حديث على ، ورواه ابن ماجه موقوفًا على علىّ وكلاهما ضعيف ، ورواه البزار مرفوعًا وإسناده جيد . اهـ .

قال مرتضى : وكذا أخرجه السجزى فى الإبانة من حديث على مرفوعًا ، ورواه أبو مسلم الكجى فى السنن ، وأبو نعيم من حديث الوضين ، وفى إسناده مندل وهو ضعيف ، وقوله : ورواه البزار إلخ ، وصرح به فى شرح التقريب بلفظ : «إن العبد إذا تسوّك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه - أو كلمة نحوها - حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء إلا صار فى جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن» ، قال : ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه فضيل بن سليمان النميرى وهو وإن أخرج له البخارى ووثقه ابن حبان ، فقد ضعفه الجمهور فتأمل .

(٣٠١) حديث: « صلاة فى أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة من غير سواك » **قال العراقى:** أخرجه أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ، ورواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة بلفظ: من سبعين صلاة . اهـ .

قال مرتضى : وكذا ابن زنجويه إلا أنه قال : صلاة بسواك ، وأخرجه ابن عدى من رواية مسلمة بن على الخشنى عن سعيد بن سنان الحمصى عن أبى الزاهرية عن أبى هريرة رفعه بلفظ المصنف إلا أنه قال: من خمس وسبعين من غير سواك ، قال : أبو مسلمة لا شيء فى الحديث.

(٣٠٢) حديث : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ .

قال مرتضى : وأخرج أبو داود والنسائى بلفظ: « لأمرتهم بتأخير العشاء والسواك عند كل صلاة» ، وأخرج ابن ماجة فعل الصلاة وأخرج فعل السواك من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، وأخرج الترمذى فضل السواك من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة، وأخرج أبو داود من حديث زيد بن خالد الجهنى بلفظ المصنف سواء، وأخرجه الترمذى والنسائى ، وحديث الترمذى مشتمل على الفعلين وكذلك عند أحمد والضياء وعند البيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ: مع كل وضوء ، وكذا عند الطبرانى فى الأوسط عن على واقتصروا على فضل السواك وعند الحاكم من حديث العباس بن عبد المطلب بلفظ: « لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء» ، وعند أحمد والنسائى عن أبى هريرة بلفظ:« عند كل صلاة بوضوء ، ومع كل وضوء بسواك» ، وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن مكحول مرسلا بلفظ : « لأمرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة » .

وقال ﷺ : « ما لى أراكم تدخلون علىَّ قلحا، استاكوا » (٣٠٣). أى صفر الأسنان .

« وكان عليه الصلاة والسلام يستاك فى الليلة مراراً » (٣٠٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « لم يزل ﷺ يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء » (٣٠٥).

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب » (٣٠٦) .

وقال على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه: السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم. « وكان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم » (٣٠٧) .

---

(٣٠٣) حديث : « ما لى أراكم تدخلون علىّ قلحا، استاكوا » قال العراقى : أخرجه البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد المطلب ، وأحمد والبغوى من حديث تمام بن العباس ، والبيهقى من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب .ا هـ .

قال مرتضى : والذى قال إنه مضطرب هو أبو على بن السكن ، فقد رواه أحمد والجماعة المذكورون وابن أبى خيثمة من حديث تمام كما ذكر ، ورواه الطبرانى من حديث جعفر بن تميم أو تمام عن أبيه، وقيل تمام بن قثم أو قثم بن تمام .

(٣٠٤) حديث : « وكان ﷺ يستاك من الليل مراراً » وفى بعض النسخ: فى الليلة مراراً، قال العراقى : أخرجه مسلم من حديث ابن عباس .اهـ .

(٣٠٥) حديث : « لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديثه ، قاله العراقى .

(٣٠٦) حديث : « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب عز وجل » أخرجه البخارى تعليقًا مجزوما ، أى فى كتاب الصيام من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا ، قاله العراقى، وقد وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذى قبله، وقد رواه من حديث ابن عباس الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان .ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه ابن عدى من رواية الخليل بن مرة عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس بلفظ : «مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، مفرحة للملائكة » ، قال : والخليل عنده مناكير، قاله البخارى. وأخرجه أحمد من حديث ابن عمر إلا أنه قال : مطيبة بدل مطهرة والباقى كلفظ المصنف .

(٣٠٧) حديث : « وكان أصحاب النبى ﷺ يروحون والسواك على آذانهم » قال العراقى : أخرجه=

وكيفيته أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضًا وطولا ، وإن اقتصر فعرضًا ، ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يُصل عقيبه، وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو أكل ما تكره رائحته ، ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال ﷺ : « لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى » (٣٠٨). أي لا وضوء كامل ، ويقول عند ذلك :

= الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك ، وعند أبي داود والترمذي وصححه: أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب .ا هـ .

قال مرتضى : وهو الذي قدمناه آنفًا وأوله: لولا أن أشق ، وفيه قال أبو سلمة : فرأيت زيدًا يجلس في المسجد وإن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب ، فكلما قام إلى الصلاة استاك ، وقد أخرجه النسائي كذلك ، وحديث الترمذي مشتمل على الفعلين كما تقدم ، وقال: حسن صحيح، وقول المصنف: يروحون أي يأتون إلى المساجد من بعد زوال الشمس لحضور الصلاة في المسجد مع النبي ﷺ .

(٣٠٨) حديث : « لا وضوء لمن لم يسم الله عليه » أي لا وضوء كاملا ، **قال العراقي :** أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ، ونقل الترمذي عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب .ا هـ .

قال مرتضى : ورواه أبو داود وابن ماجة من رواية أبي هريرة وصححه الحاكم ، وغلطه غير واحد في ذلك ، وقال أحمد : لا أعلم حديثًا في هذا الباب له إسناد جيد ، قاله ابن الملقن، وفي الباب عن أبي سعيد وعائشة وسهل بن سعد وأبي سبرة وأم سبرة وعلي وأنس ، وأما قول الرافعي: كذلك روى في بعض الروايات، فقال ابن الملقن : هذه غريبة ، ،وقال الحافظ : لا أعلمها في رواية ولكن معناها في الحديث الذي يليه يعني: من توضأ أو ذكر اسم الله عليه ... الحديث ، وقال النووي في الأذكار : وجاء في التسمية أحاديث ضعيفة ثبت عن أحمد ابن حنبل أنه قال :لا أعلم في التسمية في الوضوء حديثًا ثابتًا، قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديثه : لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم ، وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف ، لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة فلا ينتفي الحكم ، وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت عن كل فرد نفيه عن المجموع ، وقال بعدما ساق الأحاديث الواردة في التسمية كلها ما نصه: قال أبو الفتح اليعمري : أحاديث الباب إما صريح غير صحيح ، وإما صحيحًا غير صريح ، وقال ابن الصلاح : يثبت بمجموعها ما يثبت به الحديث الحسن ، والله أعلم .ا هـ .

(تنبيه) لو نسي التسمية في الابتداء وذكرها في أثناء الوضوء أتى بها، كما لو نسي التسمية في ابتداء الأكل يأتي بها إذا تذكر في الأثناء ، ولو تركها في الابتداء عمدًا فهل يشرع له التدارك في الأثناء ؟ هذا محتمل ، قال النووي : قول الرافعي هذا محتمل عجيب ، فقد=

أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ، ثم يغسل يديه ثلاثًا قبل أن يدخلهما الإناء، ويقول : اللهم إنى أسألك اليمن والبركة ، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة، ثم ينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة ، ويستديم النية إلى غسل الوجه ، فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثًا ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائمًا فيرفق ويقول: اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك، ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثًا ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول فى الاستنشاق: اللهم أوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض. وفى الاستنثار : اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق إيصال والاستنثار إزالة ، ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ، ومن الأذن إلى الأذن فى العرض، ولا يدخل فى حد الوجه النزعتان اللتان على طرفى الجبينين فهما من الرأس، ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد للنساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن ، والطرف الثانى على زاوية الجبين ، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب ، لأنها خفيفة فى الغالب . والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية ، ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة ، أعنى ما يقبل من الوجه ، وأما الكثيفة فلا، وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة، ثم يفعل ذلك ثلاثًا ، أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ، **«ويدخل الأصابع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما ، فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك»** (٣٠٩) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه ، وكذلك عند كل

= صرح الأصحاب بأنه يتدارك فى العمد ، وممن صرح به المحاملى فى المجموع ، والجرجانى فى التحرير وغيرهما، وقد أوضحه فى شرح المهذب .

(٣٠٩) حديث : « يدخل الأصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما، فقد روى أنه ﷺ فعل ذلك » **قال العراقى** : روى أحمد من حديث أبى أمامة: كان يتعاهد الماقين، وروى الدارقطنى من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف: أشربوا الماء أعينكم .ا هـ .

قال مرتضى : ورواه ابن عدى فى الكامل ، والعقيلى فى الضعفاء بلفظ : «أشربوا أعينكم من الماء عند الوضوء، ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان ، ثم هذه المسألة التى ذكرها=

عضـو ويقول عنده: اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ، ولا تسـود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك، ويخلل اللحية الكثيـفة عند غسل الوجه ؛ فإنه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفـقيه ثلاثًا ، ويحرك الخاتم ، ويطيل الغرة ، ويرفع المـاء إلى أعلى العضد فإنهم يحشرون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، كذلك ورد الخبر، قال عليه السلام: « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل » (٣١٠).

وروى أن « الحلية تبلغ مواضع الوضوء »(٣١١) .

ويبدأ باليمنى ويقول : اللهم أعطنى كتابى بيمـينى ، وحاسبنى حسابًا يسيرًا ، ويقول عند غسل الشمال : اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى ، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رءوس أصابع يديه اليمنى باليسـرى ، ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ، ثم يردهما إلى المقدمة ، وهذه مسحة واحدة ، يفعل ذلك ثلاثًا ، ويقول: اللهم غـشنى برحمتك ، وأنزل علىَّ من بركـاتك، وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بـأن يدخل مسبحتيه فى صماخى أذنيه ، ويـدير إبهاميـه على ظاهر أذنيـه ثم يضع الكف على الأذنين استظهـارًا ويكرره ثلاثًا ، ويقول : اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فـيتبعون أحسنه ، اللهم أسمعنى منادى الجنة

= المصنف من زياداته على الوجيز ، قال أصـحابنا : لا يجب إيصال الماء إلى باطن العينين ولو فى الغسل لخـوف الضرر وللحرج، فقد كف بـصر من تكلف ذلك كابن عمـر وابن عباس ، ومن الناس من قال : لا يضم العين كل الضم ولا يفتح كل الفتح حتى يصل الماء إلى أشفاره وحواجب عينيه ، وأما ما قاله صاحب عـين العلم : ويفتح العين ، قال شارحه ملا على: هو غير معروف .

(٣١٠) حديث : « من استطاع أن يطيل غـرته فليفعل» قال مـرتضى : هذا مع ما قبـله حديث واحد وهو عند البخارى ومسـلم من حديث أبى هريرة: « إن أمتى يدعون يوم القيامـة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » .

(٣١١) حديث : « إن الحلية تبلغ مـواضع الوضوء » أخرجه البخـارى ومسلم من حديث أبى هريرة ﷺ، قاله العراقى : وتلك الحلية نور يخلقه الله تعالى فى جباه المؤمنين وأقدامهم وهى الغرة والتحجيل ، قاله الشبرخيتى فى شرح الأربعين .

مع الأبرار ، ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله ﷺ : « **مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة** » (٣١٢) ، ويقول: اللهم فك رقبتي من النار ، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثًا ، ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ، ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ، ويقول : اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام فى النار ، ويقول عند غسل اليسرى : أعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ، ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين ، فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت، عملت سوءاً أو ظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين، واجعلنى من عبادك الصالحين ، واجعلنى عبداً صبوراً شكوراً، واجعلنى أذكرك كثيراً وأسبِّحك بكرة وأصيلا . يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ، ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة .

ويكره فى الوضوء أمور منها : أن يزيد على الثلاث ، فمن زاد فقد ظلم ، وأن يسرف فى الماء توضأ عليه السلام ثلاثاً وقال : « **من زاد فقد ظلم وأساء** » (٣١٣) .

---

(٣١٢) حديث : « مسح الرقبة أمان من الغل » غريب، قال ابن الصلاح فى مشكل الوسيط: لا يعرف مرفوعًا ،وإنما هو قول بعض السلف ، وقال النووى فى شرح المهذب وغيره: موضوع، وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « من توضأ ومسح على عنقه وقى الغل » .

(٣١٣) حديث : « توضأ رسول الله ﷺ ثلاثًا وقال : من زاد فقد ظلم وأساء » قال العراقى : أخرجه أبو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . اهـ.

قال مرتضى : لفظ أبى داود: أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء فى إناء فغسل كفيه ثلاثًا ثم غسل وجهه ثلاثًا ثم غسل ذراعيه ثلاثًا ثم مسح برأسه ، ثم أدخل أصبعيه السبابتين باطن أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثًا ثلاثا ثم قال : هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو ظلم وأساء ، وأخرجه النسائى وابن ماجه، وفى لفظ =

وقال : « سيكون قوم منَ هذه الأمة يعتـدون فى الدعاء والطهور » (٣١٤) .

ويقال : « مِنْ وَهَنِ علم الرجل ولوعه بالماء فى الطهور » (٣١٥) .

وقـال إبراهيم بن أدهم: يقـال : إن أول ما يبـتدئ الوسـواس من قـبل الطهور ، وقـال الحسن: إن شيطانًا يضـحك بالناس فى الوضوء يقال له الولهان ، ويكره أن ينفض اليـد فيرش الماء وأن يـتكلم فى أثناء الوضوء ، وأن يلطم وجـهه بالمـاء لطما ، وكـره القوم التنـشيف ، وقالوا الوضوء يوزن ، قاله سعيد بن المسيب والزهرى، لكن « روى معاذ ﷺ أنه عليه السلام مسح وجـهـه بطرف ثوبه » (٣١٦).

= ابن ماجـه :فقـد تعدى وظلم، وللـنسائى: أساء وتـعدى وظلم ، والاحـتجاج بهـذا الإسناد صحيح، فإن المراد بجد عمـرو عند الإطلاق أبو أبيه وهو عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، والمراد بالزيادة الزيادة على الثلاث معـتقداً سنيتها كما تقدم ، وكـذا المراد بالنقصان ، ومعنى تعدى جـاوز حد السنة فى الزيادة ، ومـعنى ظلم أى ظلم السنة حقـها فى النقصـان ثم المرة الأولى فرض والثـانية سنة والثـالثة دونهـا فى الفضـيلة ، وقيل: الثـالثة لكمال السـنة كذا فى الاختيار، والأولى أن تكون الثـانية والثالثة كلاهما سنة لأن التـثليث الذى هو سنة إنما يحصل بهما .

(٣١٤) حديث : « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون فى الدعاء والطهور »، **قال العراقى** : أخرجه أبو داود وابن حيان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل .

قـال مـرتضى : أخرجه أبو داود من طريق أبى نعامة واسمـه قيس بن عباية أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إنى أسألك القـصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال : أى بنى سل الله الجنة وتعوّذ به من النار فإنى سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه سيكون فى هذه الأمة قوم يعتـدون فى الطهور والدعاء» ، وأخرجه ابن ماجه مقـتصرا منه على الدعاء وبمثل رواية ابن مـاجه أخرجه أحـمد عن سعـد ، ويعتدون أى يتجـاوزون ، وهذا هو معنى الإسراف .

(٣١٥) حديث : « من وهن علم الرجل ولوعـه بالماء فى الطهور » وفى نسخة: فـى التطهير، وظن العراقى أنه حديث فقال: لم أجد له أصلا، وليس كذلك بل هو من كلام بعض السلف.

(٣١٦) حديث : « مسح ﷺ وجـهه بطرف ثوبه » **قال العـراقى** : أخرجه الترمـذى وقال: غريب وإسناده ضعيف .ا هـ .

قال مرتضى : ولفظ الحديث فى العوارف: وقال معاذ : رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ=

« وروت عـائشة ﵂ أنه ﷺ كـانت له منشفـة » (٣١٧) . ولكن طُعن في هذه الرواية عن عائشة .

ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن يتوضأ بالماء المشمس ، وذلك من جهة الطب ، وقد روى عن ابن عمر وأبى هريرة ﵄ كراهية إناء الصفر ، وقال بعضهم : أخرجت لشعبة ماء فى إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهيـة ذلك عن ابن عمر وأبى هريرة ﵄، ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغى أن يخطر ببـاله أنه طهَّر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغى أن يستحيى من مناجاة الله تعالى من غير تطهيـر قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه ، وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخـلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الـحميدة أولى، وأن من يقتـصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعـو ملكا إلى بيته فتـركه مشحـونًا بالقاذورات، واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البـرانى من الدار ، وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار، والله سبحانه أعلم .

فضيلة الوضوء

قال رســول الله ﷺ : « من توضأ فأحـسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحـدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣١٨) ، وفى لفظ آخر « ولم يَسهُ فيهما

= مسح وجهه بكمه بطرف ثوبه، وفى الكبير للطبـرانى من حديثه: كان يمسح وجهه بطرف ثوبه فى الوضوء .

(٣١٧) حديث : « وروت عـائشة ﵂ أنه ﷺ كانت له منشـفة.» هو فى سنن الترمذى: أخـبرنا سفيان بن وكيع حدثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حباب عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة ﵂ قالت : كانت لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء .

(٣١٨) حديث: «من توضـأ فأسبغ الوضوء وصلى ركـعتين لم يحدث فيـهما نفســه بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » هكذا هو فى القوت ؛ ما عدا قوله من الدنيا ،وفى لفظ آخر: « ولم يَسه فيهما غـفر له ما تقدم من ذنبه» قال العـراقى: أخرجه ابن المبـارك فى كتاب الزهد والرقائق باللفظين معًا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله: بشىء من الدنيا ، ودون قوله: ولم يَسهُ فيهما ، ولأبى داود من حـديث زيد بن خالد: ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما . . . الحديث .ا هـ .
=

غفر له ما تقدم من ذنبه » [٣١٩] ، وقال ﷺ أيضًا : **« ألا أنبئكم بما يكفّر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة .. فذلكم الرباط»** ثلاث مرات ، وتوضأ ﷺ مرة مرة وقال: **« هذا**

= **قال مرتضي** : والرواية المذكورة في القوت : من توضأ كما أمر، أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عثمان رفعه : « من توضأ كما أمر وصلي كما أمر، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . وأخرجه أحمد والدارمي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني في الكبير عن أبي أيوب وعقبة بن عامر معًا بلفظ : « من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما قدم من عمل » ، ولفظ ابن حبان: غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولفظ أبي داود من حديث زيد بن خالد الجهني: فأحسن الوضوء بدل فأسبغ ، وقد أخرجه أيضًا عبد بن حميد والروياني وابن قانع والطبراني في الكبير والحاكم ، وحديث عثمان في المتفق عليه ، قد أخرجه عبد الرزاق وأحمد والنسائي أيضًا بلفظ: « من توضأ مثل وضوئي هذا ثم صلى . . . » الحديث ، وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عقبة بن عامر رفعه: « من توضأ وضوءًا كاملا ثم قام إلى صلاته كان من خطيئته كيوم ولدته أمه » ، وعند البخاري وابن ماجه من حديث عثمان : « من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولا تفتروا » ، ولحديث عثمان روايات أخرى بألفاظ مختلفة ولفظ بشيء من الدنيا، رواه الحكيم الترمذي في كتاب الصلاة له وحينئذ فلا يؤثر حديث نفسه في أمور الآخرة أو يتفكر في معاني ما يتلوه .

(٣١٩) حديث : « ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء في المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » هكذا في القوت، إلا أنه قال: إسباغ الوضوء في السبرات أي في المكاره والباقي سواء ، **قال العراقي** : أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة .اهـ .

قال مرتضي : ومالك وأحمد والترمذي والنسائي ولفظهم : ألا أدلكم على ما يمحق الله به الخطايا، والباقي مثل لفظ المصنف وأخرج ابن خزيمة في صحيحه من طريق روح بن القاسم ومالك كلاهما عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه بلفظ: « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله، قال: والباقي سواء،غير أن قوله: فذلكم الرباط مرتين والباقون مرة واحدة، وقال يونس في حديثه: ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ولم يقل قالوا : بلى ، وإسباغ الوضوء المبالغة فيه والمكاره الشدائد كأيام الشتاء ، وقال بعض السلف: وضوء المؤمن في الشتاء بالماء البارد أفضل من عبادة الرهبان كلهم ، وكان ابن عمر يفسر الإسباغ بالإنقاء ومن تفسير الشيء بالشيء إذ الإتمام يستلزم الإنقاء عادة .

وضـوء لا يقبل الله الصـلاة إلا به» وتوضأ مرتيـن مرتين ، وقال: « من توضـأ مـرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين» ، وتوضأ ثلاثًا ثلاثًا ،وقال: « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ، ووضوء خليل الرحـمن إبراهيم عليه السلام » (٣٢٠) وقـال ﷺ : «من ذكـر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله، ومن لم يذكر الله لم يطهّر منه إلا ما أصاب الماء» (٣٢١).

(٣٢٠) حديث : « وتوضأ رسول الله ﷺ مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » هكذا في القوت ، قال العراقي : أخرجه أحمد وابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف .اهـ

قـال مـرتضى: وقد سبق من قوله ﷺ : « الوضوء مرة مـرة» أخرجه البخاري من طريق يزيد بن أسلم عن عطاء بن يسـار عن ابن عبـاس، وفي نسخ الإحيـاء لفظ «مرة» مـرة واحدة والصحـيح: مرة مرة بالتكرار كـما في النسخ الصحـيحة ، وهمـا منصوبان على المفـعول به المطلق المبين للكمـية ، وقيل على الظرفية ، أي توضأ في زمان واحـد ، وقيل على المصدر أي توضأ مرة مرة من التـوضؤ أي غسل الأعضاء غسلة واحدة (وتوضـأ مرتين مرتين) كذا في النسخ ، وفي بعضها مرتين ، وهكذا في القوت (وقال من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين) هكذا هو في القوت، وهو من بقيـة حديث ابن عمر عند ابن ماجـه . وقد ثبت هذا أيضًا من فعله ﷺ أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن زيد الأنصاري أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين (وتوضأ ثلاثًا ثلاثًا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ، ووضوء خليل الرحمن إبراهيم ﷺ) هكذا في القـوت إلا أنه قال: ووضـوء أبي إبراهيم خليل الله عليـه السلام. وهو من بقيـة حديث ابن عمر عند ابن مـاجه، وقد رواه الدارقطني وابن أبي حـاتم والطبراني كلهم من رواية عبد الرحمن بن زيد اليمني وهو متروك عن أبيه وهو ضعيف عن معاوية بن قرة عن ابن عـمر وهو منقطع لأن مـعاويـة هذا لم يدرك ابن عمـر، وأخرج أحـمد من حـديث ابن عمر: من توضأ واحدة فتلك وظيفـة الوضوء التي لابد منها ومن توضأ اثنتين فله كفلان، ومن توضأ ثلاثًا فذلك وضوئي ووضوء الأنبـياء من قبلي. ويفهم من هذا أن الوضوء ليس من خصائص هذه الأمة بخلاف الغرة والتحجيل .

(٣٢١) حديث : « من ذكر الله عز وجل عند طهوره طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله تعالى لم يطهر منه إلا مـا أصاب الماء » قال العـراقي: رواه الدارقطني من حـديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

قال مرتضى : ولكن لفظه عنده: « من توضأ وذكر اسم الله عليه كان طهورًا لجميع بدنه ، ومن توضأ ولم يذكـر اسم الله عليه كان طهورًا لأعـضاء الوضوء» ، و هكذا ساقـه الرافعي ، وفي رواية من توضأ وذكـر اسم الله عليه تطهـر جسده كله ، ومن توضـأ ولم يذكر اسم الله على وضـوئه لم يتطهر إلا مـوضع الوضوء» . أبو الـشيخ من حـديث أبي هريرة والدارقطني والبيهقي وضعفه عن ابن مسعود، والدارقطني والبـيهقي وضعفه عن ابن عمر ، أما حديث ابن=

وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات » [٣٢٢] وقال ﷺ : « الوضوء على الوضوء نور على نور»[٣٢٣] وهذا كله حث على تجديد الوضوء .

وقال عليه السلام : « إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له » [٣٢٤].

= عمر عند الدارقطني ففيه أبو بكر الداهري وهو متروك وفي حديث أبي هريرة عند الدارقطني والبيهقي ضعيفان مرداس بن محمد ومحمد بن أبان ، وفي حديث ابن مسعود عند الدارقطني والبيهقي يحيى بن هاشم السمسار وهو متروك ، وقد احتج به الرافعي على نفي وجود التسمية وضعفه أبو عبيد في كتاب الطهور.

(٣٢٢) حديث : « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » **قال العراقي** : أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف .ا هـ .

قال مرتضى : وابن أبي شيبة والطحاوي وابن جرير ولفظهما كتب له عشر حسنات .

(٣٢٣) حديث : « الوضوء على الوضوء نور على نور » **قال العراقي** : لم أجد له أصلا .ا هـ .

قال مرتضى : وسبقه كذلك المنذري ، وقال ابن حجر: هو حديث ضعيف رواه رزين في مسنده، قال السخاوي: ومعناه في الحديث الذي قبله .

(٣٢٤) حديث : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من بين أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى من تحت أظفاره ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة » **قال العراقي**: أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث الصنابحي وإسناده صحيح ، ولكن اختلف في صحبته ، وعند مسلم من حديث أبي هريرة وعمرو بن عبسة نحوه مختصراً .ا هـ .

قال مرتضى : أخرجه مالك في الموطأ من حديث عبد الله الصنابحي أو هو أبو عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن وله صحبة ، وفيه: إذا توضأ العبد المؤمن، من غير شك، وفيه: من تحت أظفار يديه وأظفار رجليه ، والباقي سواء ، وقد ذكره ابن عبد البر في=

ويروى أن الطاهر كالصائم [(٣٢٥)] قال عليه الصلاة والسلام: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » [(٣٢٦)]، وقال عمر ﷺ: إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان، وقال مجاهد: من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل، فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه.

= التمهيد، واستدل به على أن الأذنين من الرأس كما هو مذهب أبى حنيفة، ورواية عن مالك، وقد تقدم ذكر هذا الحديث في محله وقال ابن خزيمة في صحيحه: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أن مالكا حدثه عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رفعه، قال: إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب، وأما حديث عمرو بن عبسة فأخرجه محمد ابن نصر في كتاب الصلاة والطبرانى فى الكبير بلفظ: من توضأ فغسل يديه خرجت خطاياه من يديه فإذا تمضمض واستنشق خرت خطاياه من أنفه فإذا غسل وجهه خرت خطاياه من وجهه، فإذا مسح برأسه خرت خطاياه من رأسه، فإذا غسل رجليه خرت خطاياه من رجليه ثم قام إلى الصلاة كان كمن ولدته أمه، وكانت صلاته نافلة له. وعند الطبرانى من حديث أبى أمامة وعمرو بن عبسة: من توضأ فأحسن الوضوء ذهب الإثم من سمعه وبصره ويديه ورجليه.

(٣٢٥) حديث: « إن الطاهر كالصائم » **قال العراقى**: رواه أبو منصور والديلمى فى مسند الفردوس من حديث عمرو بن حريث بلفظ: الطاهر النائم كالصائم القائم، وسنده ضعيف. اهـ. أى أن الذى يبيت طاهراً فى فراشه فروحه تتجول فى الملكوت الأعلى وهو بمنزلة الصائم الذى يقوم بورده.

(٣٢٦) حديث: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ».

قال العراقى: رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر، وهو عند مسلم دون قوله: ثم رفع. اهـ.

قال مرتضى: لفظ أبى داود ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه . . . ثم ساق الحديث وفيه: وأن محمداً، وفى لفظ له: فأحسن الوضوء كما عند=

كيفية الغسل

وهو أن يضع الإناء عن يمينه، ثم يسمى الله تعالى ويغسل يديه ثلاثًا، ثم يستنجى كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما، فإن غسلهما ثم وضعها على الأرض كان إضاعة للماء، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثًا ثم على شقه الأيمن ثلاثًا ثم على شقه الأيسر ثلاثًا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ، ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف، وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ، ويتعهد معاطف البدن ، وليتق أن يمس ذكره فى أثناء ذلك ، فإن فعل ذلك فليعد الوضوء ، وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل. فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لابد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله، وما عداه من المسائل التى يحتاج إليها فى عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه .

والواجب من جملة ما ذكرناهُ فى الغسل أمران النية، واستيعاب البدن بالغسل ، وفرض الوضوء: النية، وغسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة. والغسل الواجب بأربعة: بخروج المنى والتقاء الختانين والحيض والنفاس ، وما عداه من الأغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والأعياد والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة، ولدخول مكة، وثلاثة أغسال أيام التشريق، ولطواف الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب، والمجنون إذا أفاق، ولمن غسَّل ميتًا فكل ذلك مستحب .

= المصنف ، وفيه: ثم رفع نظره إلى السماء فقال، وفى إسناد هذا رجل مجهول ، وأخرجه الترمذى من حديث أبى إدريس الخولانى ، وأبى عثمان عن عمر مختصراً وفيه دعاء ، وقال: وهذا حديث فيه اضطراب فى إسناده، وأبو إدريس لم يسمع من عمر شيئًا ، وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه كالسياق الأول ، وقد تقدم شيء من ذلك وحققه الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الأذكار .

كيفية التيمم

من تعذَّر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب، أو بمانع له عن الوصول إليه من سبع أو حابس، أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رفيقه ، أو كان ملكا لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل ، أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ، ثم يقصد صعيداً طيبًا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار، ويضرب عليه كفيه ضامّا بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ، وينوى عند ذلك استباحة الصلاة ، ولا يكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت، ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة، فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفى فى الاستيعاب غالب الظن، ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عوض المسبحة من الأخرى، ثم يُمِر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرها إلى الكوع، ويمر بطن إبهامه باليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك، ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه ، وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة ، فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة، وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء ، فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم، والله أعلم .

القسم الثالث فى النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهى نوعان أوساخ وأجزاء

النوع الأول: الأوساخ والرطوبات المترشحة، وهى ثمانية:

الأول : ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل، فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالةً للشعث عنه ، وكان ﷺ يدهن الشعر ويرجِّله غبّا ويأمر به ويقول عليه السلام: **«ادهنوا غبّا»** (٣٢٧) وقال عليه الصلاة والسلام : **« من كان له شعرة فليكرمها»**(٣٢٨) أى ليصنها عن الأوساخ ،ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية، فقال: **«أما كان لهذا دهن يسكن به شعره»**، ثم قال: **« يدخل أحدكم كأنه شيطان»** (٣٢٩) .

الثانى : ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر الصماخ، فينبغى أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع.

الثالث : ما يجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه، ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار .

---

(٣٢٧) حديث : « وكان رسول الله ﷺ يدهن الشعر ويأمر به ويقول ادهنوا غبّا » وأخرج الترمذى فى الشمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس: كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ، وفيه أيضًا بإسناد حسن من حديث صحابى لم يسم رفعه: كان يترجل غبّا وأما قوله : ادهنوا غبّا، فقال ابن الصلاح: لم أجد له أصلا ، وقال النووى: غير معروف ، وعند أبى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل إلا غبّا بإسناد صحيح، **قاله العراقى**، قال ابن حجر فى شرح الشمائل : وإنما نهى عن الترجل إلا غبّا لأن إدمانه يشعر بمزيد الإمعان فى الزينة والترفه وذلك إنما يليق بالنساء لأنه ينافى شهامة الرجال .

(٣٢٨) حديث : « من كانت له شعرة فليكرمها» أى ليصنها، وأخرج أبو داود من حديث أبى هريرة بلفظ: « من كان له شعر فليكرمه»، وليس إسناده بالقوى .

(٣٢٩) حديث : ودخل عليه ﷺ رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال ﷺ : « أما كان لهذا دهن يسكن به شعره » ثم قال ﷺ : « يدخل أحدكم كأنه شيطان» **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بإسناد جيد .اهـ . جعله شيطانًا فى كمال بشاعته وشناعة هيئته ، ومن عادة العرب فى كل شىء رأوه مستشنعًا شبهوه بالشيطان.

الرابع : ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح، فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما .

الخامس : ما يجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل إذا لم تُتعهد ، ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط، وفى الخبر المشهور أنه ﷺ « **كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر** » (٣٣٠) وهى سُنة العرب، وفى خبر غريب أنه ﷺ « **كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين** »(٣٣١) ، « **وكان ﷺ كث اللحية** » (٣٣٢) وكذلك كان أبو بكر، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها، وكان علىٌّ عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ، وفى حديث أغرب منه قالت عائشة ؓ: اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فرأيته يطلع فى الجب يسوى من رأسه ولحيته، فقلت : أوتفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال: « نعم، إن الله

---

(٣٣٠) حديث : « كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر » **قال العراقى** : أخرج ابن طاهر فى كتاب صنعة التصوف من حديث أبى سعيد: كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة وإسنادهما ضعيف ، وسيأتى فى آداب السفر مطولا . اهـ.

قال مرتضى : قال الحافظ ابن حجر: حديث عائشة عند الخطيب فى الكفاية من الوجه الذى أخرجه الطبرانى، وفيه المشط والمدرى ، وفى بعض نسخ الكتاب بعد قوله والمدرى والمرآة ، **قال مرتضى** : وعند العقيلى من حديث عائشة: كان لا يفارقه في الحضر ولا فى السفر خمس : المرآة ، والمكحلة ، والمشط ، والمدرى. وفى إسناده يعقوب بن الوليد الأزدى ، قال فى الميزان: كذبه أبو حاتم ويحيى وحرق أحمد حديثه، وقال: كان يضع الحديث، ورواه الخرائطى من حديث أم سعد الأنصارية وسنده ضعيف أيضًا وأعله ابن الجوزى من جميع طرقه.

(٣٣١) حديث : « كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين » وفى بعض النسخ: كل يوم مرتين ، لم يرد الحديث بهذا اللفظ ، ومعناه فى حديث أنس المقدم بذكره عند الترمذى فى الشمائل: كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا: كان يسرح لحيته بالمشط، ولما كان ظاهره يضاد ما سبق فقد كان يترجل فيما جعله غريبا ولم يرد منه المعنى الاصطلاحى بدليل قوله فيما بعد: وفى حديث أغرب منه .

(٣٣٢) حديث : « وكان ﷺ كث اللحية » أخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة، وأبو نعيم فى الدلائل من حديث على وأصله عند الترمذى ، ومعنى كث اللحية أى عظيمها ومجتمعها أو كثيرها فى غير طول ولا رقوقة .

يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم » (٣٣٣) والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسًا على أخلاق غيره وتشبيهًا للملائكة بالحدادين وهيهات ، فقد كان ﷺ مأمورًا بالدعوة ، وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ، ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم ، فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم ، وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل، وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه، والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية، فإنها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود، فالتزين على هذا القصد محبوب، وترك الشعث فى اللحية إظهارًا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور، وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب، وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل، والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتًا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما فى القبور ويحصّل ما فى الصدور ، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من التبهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر .

السادس : وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الأنامل، « **كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع فى تلك الغضون وسخ ، فأمرهم رسول الله ﷺ بغسل البراجم**» (٣٣٤) .

(٣٣٣) حديث : « قالت عائشة رضي الله عنها : اجتمع قوم من الأعراب بباب رسول الله ﷺ » أى ينظرون خروجه ، « فخرج إليهم، فرأيته يطلع فى الجُب، يسوى من رأسه ولحيته، قالت عائشة : فقلت أوَتفعل ذلك يا رسول الله ؟! فقال : نعم ، إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه إذا خرج» ، **قال العراقى** : أخرجه ابن عدى فى الكامل ، وقال: حديث منكر . اهـ.

(٣٣٤) حديث : « أمرهم رسول الله ﷺ بغسل البراجم» رواه الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر: نقوا براجمكم ، ولابن عدى فى حديث لأنس: وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ، ولمسلم من حديث عائشة: عشر من الفطرة، وفيه: وغسل البراجم ، **قال العراقى** فى شرح التقريب : وفيه استحباب غسل البراجم ، قال النووى : وهى سُنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء . =

السابع : « تنظيف الرواجب »[٣٣٥] أمر رسول الله ﷺ العرب بتنظيفها، وهى رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ، لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ « **فوقّت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يومًا** »[٣٣٦]

= **قال مرتضى** : وهو الذى يقتضيه ظاهر سياق المصنف ولكن **قال العراقى** : الظاهر تنظيفها فى الوضوء ويدل له حديث أنس المتقدم عند ابن عدى ، وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ فإن الوسخ إليها سريع وإسناده ضعيف ، والذى رواه الحكيم من رواية عمر بن بلال قال : سمعت عبد الله بن بسر يقول : قال رسول الله ﷺ : « قصوا أظفاركم وادفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم وعمر بن بلال ليس بمعروف .

(٣٣٥) حديث : « أمر رسول الله ﷺ بتنظيف الرواجب » وهى جمع راجبة ، وقال: كراع: واحدتها رجبة بالضم وأنكره الأزهرى، فقال : ولا أدرى كيف ذلك فإن فعلة لا تكسر على فواعل قال : فى الكفاية هى بطون السلاميات وظهورها ، وفى القاموس هى مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها أو قصب الأصابع أو مفاصلها أو ظهور السلاميات ، وما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التى تلى الأنامل ، وقال ابن عدى : ومما يستحب تعاهده أيضًا ما بين عقد الأصابع من باطن الكف وتسمى الرواجب، قاله أبو موسى المدينى فى ذيل الغربيين ؛ وقد جاء ذلك فى حديث ابن عباس أخرجه أحمد، وسيأتى لفظه للمصنف قريبًا .

(٣٣٦) حديث : « فوقّت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوما» هو عند مسلم من حديث أنس وقّت لنا فى قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة ، وهكذا أخرجه ابن ماجة بلفظ: وُقِّتَ على البناء للمفعول، وحكمه الرفع على الصحيح عند أهل الحديث والأصول ، وقال أبو داود والنسائى والترمذى فى هذا الحديث: وقت لنا رسول الله ﷺ . . . فصرح بالفاعل ، وقد تكلم العقيلى وابن عبد البر فى حديث أنس هذا، فقال العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة جعفر بن سليمان الضبعى: فى حديثه هذا نظر ، وقال ابن عبد البر: لم يروه إلا جعفر بن سليمان وليس بحجة لسوء حفظه وكثرة غلطه ، **قال العراقى** فى شرح التقريب : قد تابعه عليه صدقة ابن موسى الدقيقى ، فرواه عن أبى عمران الجونى عن أنس ، أخرجه كذلك أبو داود والترمذى ولكن صدقة ضعيف ، ورواه أيضًا عبد الله بن عمران عن أبى عمران كما سيأتى، قال: وله طريق آخر رواه أبو الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان فى زياداته على سنن ابن ماجه من رواية على بن زيد بن جدعان عن أنس، وابن جدعان أيضًا ضعفه الجمهور ، قال : وقد ورد حديث أنس هذا من وجه لا يثبت وفرق بين هذه الخصال فى التوقيت ، وهو ما رواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى خالد إبراهيم بن سالم النيسابورى ثنا عبد الله بن =

« أمر رسول الله ﷺ بتنظيف ما تحت الأظفار » (٣٣٧) **وجاء في الأثر : « أن النبي ﷺ استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له: كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون ، مُر أمتك بذلك »** (٣٣٨) .

والأفّ وسخ الظفر والتف وسخ الأذن، وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ (الإسراء : ٢٣) تعبهما أي بما تحت الظفر من الوسخ، وقيل : لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر .

الثامن : الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام، ولا بأس بدخول الحمام ،دخل أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام ، وقال بعضهم : نعم البيت بيت الحمام ، يطهر البدن ويذكر النار . وروى ذلك عن أبى الدرداء ، وأبى أيوب الأنصارى ﷺ. وقال بعضهم : بئس البيت بيت الحمام ، يبدى العورة ويذهب الحياء . فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ، ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من

= عمران شيخ مصرى عن أبى عمران الجونى عن أنس قال: وقّت رسول الله ﷺ أن يحلق الرجل عانته كل أربعين يومًا ، وأن ينتف إبطه كلما طلع ولا يدع شاربيه يطولان ، وأن يقلم أظفاره من الجمعة إلى الجمعة، وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ. . . الحديث قال صاحب الميزان : وهو حديث منكر ، وأصح طرقه طريق مسلم على ما فيها من الكلام ، وليس فيها تأقيت لما هو أولى ، بل ذكر فيها أنه لا يزيد على أربعين، قال صاحب المفهم: هذا تحديد أكثر المدة ، قال : والمستحب تفقد ذلك من الجمعة إلى الجمعة، وإلا فلا تحديد فيه للعلماء إلا أنه إذا كثر ذلك أزيل . وكذا قال النووى فى شرح مسلم: المختار أنه يضبط بالحاجة وطوله، والله أعلم.

(٣٣٧) حديث : « أمر ﷺ بتنظيف ما تحت الأظفار » رواه الطبرانى من حديث وابصة بن معبد: سألت النبى ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون تحت الأظفار ، فقال : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . سنده ضعيف .

(٣٣٨) حديث : « استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له : كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم، وقلحًا لا تستاكون،مُر أمّتك بذلك » رواه أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس وفيه اسماعيل بن عياش من روايته عن الشاميين وهي مقبولة، ولفظه: أنه قيل له: يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل، فقال: « ولِمَ لا يبطئ على وأنتم لا تستنون ولا تقلّمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم» .

آفتــه، ولكن على داخل الحمــام وظائف من السنن والواجبــات ، فعليــه واجبــان فى عورته: وواجبان فى عورة غيره ، أما الواجبان فى عــورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ، ويصونها عن مس الغير ، فلا يتعاطى أمرها وإزالة وســخها إلا بيده، ويمنع الدلاك من مس الفخذ، وما بين السرة إلى العانة ، وفى إباحة مس ما ليس بسوأة لإزالة الوسخ احتمال، ولكن الأقيس التحريم إذ أُلحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر ، فكذلك ينبغى أن تكون بقية العــورة ، أعنى الفخذين .

والواجبان فى عورة الغير: أن يغض بصر نفسه عنها ، وأن ينهى عن كشفها ، لأن النهى عن المنكر واجب ، وعليــه ذكر ذلك ولــيس عليه القــبول، ولا يســقط عنه وجوب الذكــر إلا لخوف ضرب أو شتم ، أو ما يجرى عليه ممــا هو حرام فى نفسه ، فليس عليه أن ينكر حرامًا يرهق المنكر عليــه إلى مباشرة حــرام آخر ، فأمــا قوله : أعلم أن ذلك لا يفيــد ولا يعمل به، فهذا لا يكون عذراً بل لابد من الذكر فلا يخلو قلب عن التــأثر من سماع الإنكار ، واستشعار الاحتراز عند التعيــير بالمعاصى ، وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتــنفير نفسه عنه ، فلا يجوز تركــه ، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحــمام فى هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا ســيما ما تحت السرة إلى ما فوق العــانة ، إذ الناس لا يعدّونها عورة، وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحــريم لها ، ولهذا يستحب تخلية الحمام ، وقال بشر بن الحارث : ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهمًا دفعه ليخلى له الحمام ، ورُئى ابن عمر ﷺ فى الحمــام ووجهه إلى الحــائط ، وقد عصب عــينيه بعصــابة ، وقال بعضــهم : لا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين : إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه .

وأما الســنن فعــشرة : فالأول النيــة ، وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ، ولا عــابثًا لأجل هوى، بل يقصد به التنظف المحبوب تزينًا للصلاة ، ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول ؛ فإن ما يستوفيــه مجهول وكذا ما ينظره الحمامى، فتسليم الأجــرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العــوضين ، وتطييب لنفــسه ، ثم يقدم رجله الــيسرى عند الدخــول ، ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبــيث المخبث الشيطان الرجيم ، ثم يدخل الخلوة ، أو يتكلف تخليــة الحمام ، فإنه إن لم يكن فى الــحمام إلا أهل الدين والمحــتاطون

للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة ، فيه شائبة من قلة الحياء ، و هو مذكر للنظر فى العورات ، ثم لا يخلو الإنسان فى الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف فى أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لايدرى، ولأجله عصب ابن عمر ﷺ عينيه ، ويغسل الجناحين عند الدخول ، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق فى الأول ، وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة ؛ فإنه المأذون فيه بقرينة الحال ، والزيادة عليه لو علمه الحمامى لكرهه ، لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب ، وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ، ويقدر نفسه محبوسًا فى البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم، فإنه أشبه بيت بجهنم: النار من تحت والظلام من فوق، نعوذ بالله من ذلك ، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة فى لحظة فإنها مصيره ومستقره ، فيكون له فى كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة، فإن المرء ينظر بحسب همته، فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارًا معمورة ومفروشة ، فإذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر إلى الفرش ويتأمل قيمتها ، والحائك ينظر إلى الثياب ويتأمل نسجها، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها، والبنَّاء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها ، فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئًا إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة ، بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة ؛ فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعى جهنم ، وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرًا ونكيرًا والزبانية ، وإن سمع صوتًا هائلا تذكر نفخة الصور ، وإن رأى شيئًا حسنًا تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة رد أو قبول فى سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول ، وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ، فإذا نسب مدة المقام فى الدنيا إلى مدة المقام فى الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته .

ومن السنن : أن لا يسلم عند الدخول ، وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره، وإن أحب قال: عافاك الله ، ولا بأس أن يصافح الداخل ويقول : عافاك الله، لابتداء الكلام ، ثم لا يكثر الكلام فى الحمام ، ولا يقرأ القرآن إلا سرًا ، ولا بأس بإظهار الاستعاذة من الشيطان، ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبًا من الغروب؛ فإن ذلك وقت انتشار الشياطين ، ولا بأس بأن يدلكه غيره ؛ فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن

يغسله إنسان لم يكن من أصحابه ، وقال : إنه دلكنى فى الحمام مرة ، فأردت أن أكافئه بما يفرح به ، وإنه ليفرح بذلك ، ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة « **أن رسول الله ﷺ نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره، فقلت : ما هذا يا رسول الله؟ فقال: إن الناقة تقحمت بى** » (٣٣٩) ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجلّ على هذه النعمة، فقد قيل: الماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يُسأل عنه ، وقال ابن عمر رضي الله عنه: الحمام من النعيم الذى أحدثوه. هذا من جهة الشّرع ، أما من جهة الطب فقد قيل: الحمام بعد النورة أمان من الجذام، وقيل: النورة فى كل شهر مرة تطفئ المرة الصفراء ، وتنقى اللون، وتزيد فى الجماع ، وقيل: بولة فى الحمام قائمًا فى الشتاء أنفع من شربة دواء ، وقيل: نومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء ، وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ، ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال ، وأما النساء فقد قال ﷺ : « **لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحم**» (٣٤٠).

---

(٣٣٩) حديث : « نزل منزلا فى بعض أسفاره فنام على بطنه » وعبارة القوت: فقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه نزل منزلا فى بعض أسفاره، قال بعض أصحابه : فذهبنا نتخلل النخل أو الشجر وإذا رسول الله ﷺ نائم على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت: ما هذا يا رسول الله ؟ فقال: أما إن الناقة تقحمت بى » **قال العراقى** : أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسند ضعيف .ا هـ . ووجه الاحتجاج به أنه إذا جاز الغمز فى غير الحمام لحاجة داعية ، ففى الحمام أولى لقيام الداعى فيه ، ومعنى تقحمت بى: رمت بى، والمراد بالعبد الأسود أحد عبيده ﷺ و هو مبهم ، وكذلك السفر مبهم، وأما بعض الصحابة فالمراد به عمر كما دل سياق الطبرانى .

(٣٤٠) حديث : « لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفى البيت مستحم » أخرجه الترمذى وحسنه، والنسائى، والحاكم وصححه من حديث جابر بلفظ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» ، فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام .

قال مرتضى : إسناد النسائى جيد ، وإسناد الترمذى ضعيف لضعف راويه ليث بن أبى سليم، ورواه الحاكم وقال: على شرط مسلم وأقره الذهبى ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر وإسناد أبى داود فيه انقطاع، وعند أبى يعلى وابن حبان والطبرانى فى الكبير والحاكم والعقيلى فى الضعفاء من حديث عبد الله بن يزيد الخطمى عن أبى أيوب =

والمشهور «أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر، وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة» (٣٤١) ، ودخلت عائشة رضي الله عنها حمامًا من سقم بها ، فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ ، ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينًا لها على المكروه .

النوع الثاني: فيما يحدث في البدن من الأجزاء، وهي ثمانية :

الأول : شعر الرأس، ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ، ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعًا أي قطعًا ، وهو دأب أهل الشطارة، أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارًا لهم ، فإنه إذا لم يكن شريفًا كان ذلك تلبيسًا .

الثاني : شعر الشارب ، وقد قال ﷺ : « **قصوا الشارب** » (٣٤٢) وفي لفظ آخر : «**جزوا الشوارب**» وفي لفظ آخر: « **حفوا الشوارب وأعفوا اللحى** » أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها، وحفاف الشيء حوله ومنه : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ (الزمر: ٧٥) .

وفي لفظ آخر « **أحفوا** » وهذا يشعر بالاستئصال ، وقوله : «**حفوا**» يدل على ما دون ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ (محمد : ٣٧) أي يستقصي عليكم.

= ولفظه مثل الأول وفيه زيادة: ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخلن الحمام.

(٣٤١) حديث : « حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر، وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة » أما الجملة الأولى منه فمعناها في الحديث الذي تقدم، والجملة الثانية معناها عند الحاكم في الأدب من حديث عائشة دخل عليها نسوة فقالت : من أنتن؟ قلن : من حمص، فقالت : صواحب الحمامات ؟ قلن : نعم ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحمام حرام على نساء أمتي» وقال : صحيح الإسناد وأقره الذهبي ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر: فلا يدخلها الرجال إلا بالأزر وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء .

(٣٤٢) حديث : « قصوا» وفي لفظ «جزوا» وفي لفظ «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » **قال العراقي:** متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ «أحفوا»، ولمسلم من حديث أبي هريرة «جزوا» ولأحمد من حديثه «قصوا» .

وأما الحلق فلم يرد ، والإحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة . نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه ، فقال : ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ . وقال المغيرة بن شعبة: **«نظر إليَّ رسول الله ﷺ وقد طال شاربي، فقال: «تعال»، فقصه لي على سواك »** (٣٤٣) .

ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب، فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه ، وقوله ﷺ : **« أعفوا اللحى »** أى كثروها، وفى الخبر : **«إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم»** (٣٤٤) ، وكره بعض العلماء الحلق ورأوه بدعة .

الثالث : شعر الإبط، ويستحب نتفه فى كل أربعين يومًا مرة ، وذلك سهل على من تعود نتفه فى الابتداء ، فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق إذ فى النتف تعذيب وإيلام ، والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ فى خللها ويحصل ذلك بالحلق .

الرابع : شعر العانة، ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ، ولا ينبغى أن تتأخر عن أربعين يومًا .

الخامس : الأظفار، وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ، ولما يجتمع فيها من الوسخ، قال رسول الله ﷺ : **« يا أبا هريرة، قلِّم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها »**(٣٤٥) ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء ، لأنه لا يمنع وصول

---

(٣٤٣) حديث : المغيرة بن شعبة: نظر إليَّ رسول الله ﷺ وقد طال شاربى فقال : « تعال » فقصه لى على سواك **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل .

(٣٤٤) حديث : « إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم » **قال العراقى** : من حديث أبى أمامة قلنا: يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ، فقال : «قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب» .

قال مرتضى: والمشهور أن هذا فعل المجوس ، ففى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم .

(٣٤٥) حديث : «يا أبا هريرة، قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها » **قال العراقى** : أخرجه الخطيب فى الجامع بإسناد ضعيف من حديث جابر: قصوا أظافيركم فإن الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر .

الماء لأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيما فى أظفار الرِّجْل ، وفى الأوساخ التى تجتمع على البراجم وظهور الأرجل والأيدى من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة ، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى ، وهو التغليظ والزجر عن ذلك ، ولم أر فى الكتب خبرًا مرويا فى ترتيب قلم الأظفار ، ولكن سمعت أنه ﷺ بدأ بمسبحته اليمنى وختم بإبهامه اليمنى ، وابتدأ فى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام(٣٤٦)، ولما تأملت فى هذا خطر لى من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة، إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة ، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه، فالذى لاح لى فيه - والعلم عند الله سبحانه - أنه لابد من قلم أظفار اليد والرجل ، واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها، ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها ، إذ هى المشيرة فى كلمتى الشهادة من جملة الأصابع، ثم بعدها ينبغى أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى ، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالإبهام هو اليمين، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هى اليمنى، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض ، إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار بجعل ظهر الكف عاليًا ، فما يقتضيه الطبع أولى، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع فى حكم حلقة دائرة فيقتضى ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ، ويبقى إبهام اليمنى فيختم به التقليم ، وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص فى حلقة ليظهر ترتيبها، وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف، أو وضع ظهر الكف على ظهر

---

(٣٤٦) حديث: البداءة فى قلم الأظفار بمسبحة اليمنى والختم بإبهامها ، وفى اليسرى بالخنصر إلى الإبهام، قال العراقى : لم أجد له أصلا ، وقد أنكره أبو عبد الله المازرى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به ، وأخرج الخطيب فى الجامع من حديث جابر بإسناد ضعيف بلفظ: قصوا أظافيركم فإن الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر .

قال مرتضى : ورواه ابن عساكر أيضًا فى تاريخه من حديث جابر إلا أن لفظه ولفظ الخطيب: خللوا لحاكم وقصوا أظفاركم، والباقى سواء .

الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع، وأما أصابع الرِّجْل فالأولى عندى إن لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما فى التخليل، فإن المعانى التى ذكرناها فى اليد لا تتجه ههنا؛ إذ لا مسبحة فى الرِّجْل ، وهذه الأصابع فى حكم صف واحد ثابت فى الأرض، فيبدأ من جانب اليمنى فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين ، وهذه الدقائق فى الترتيب تنكشف بنور النبوة فى لحظة واحدة ، وإنما يطول التعب علينا، ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب فى ذلك ربما لم يخطر لنا ، وإذا ذكرنا فعله ﷺ وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه ﷺ بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ، ولا تظنن أن أفعاله ﷺ فى جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التى ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام ، كان لا يُقْدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الإقدام والتقديم، فإن الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعانى سجية أولياء الله تعالى، وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر ، وكان قربه من الله عز وجل اظهر، إذ القريب من النبى ﷺ هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لابد أن يكون قريبًا ، فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره، فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا فى يد الشيطان بواسطة الهوى، واعتبر فى ضبط الحركات باكتحاله ﷺ ، « **فإنه كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثًا ، وفى اليسرى اثنتين**» (٣٤٧) فيبدأ باليمنى لشرفها، وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترًا فإن للوتر فضلا عن الزوج فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر ؛ فلا ينبغى أن يخلو فعل العبد من مناسبة الوصف من أوصاف الله تعالى ، ولذلك استحب الإيتار فى الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة، والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لابد منه للإيتار ، واليمين أفضل فهى

---

(٣٤٧) حديث : « كان يكتحل فى عينه اليمنى ثلاثًا وفى اليسرى اثنتين » لتكون الجملة وترًا، هو حديث **أغفله العراقى** .

وقال مرتضى : أخرجه أحمد والبزار عن عبد الله بن عمر ، وقال البيهقى: رجاله موثقون وأخرجه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة عن أبى هريرة وابن عمر .

بالزيادة أحق، فإن قلت : فلم اقتصر على اثنتين لليسرى وهى زوج ؟ فالجواب: أن ذلك ضرورة ، إذ لو جعل لكل واحدة وترًا كان المجموع زوجًا ، إذ الوتر مع الوتر زوج، ورعايته الإيتار فى مجموع الفعل - وهو فى حكم الخصلة الواحدة - أحب من رعايته فى الأحاديث، ولذلك أيضًا وجه ، وهو أن يكتحل فى كل واحدة ثلاثًا على قياس الوضوء، وقد نقل ذلك فى الصحيح(٣٤٨) ، وهو الأولى. ولو ذهبت أستقصى دقائق ما راعاه ﷺ فى حركاته لطال الأمر، فقس بما سمعته ما لم تسمعه ، واعلم أن العالم لا يكون وارثًا للنبى ﷺ إلا إذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبى ﷺ إلا درجة واحدة وهى درجة النبوة، وهى الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث، إذ الموروث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه، والوارث هو الذى لم يحصل ولم يقدر عليه ، ولكن انتقل إليه وتلقاه منه بعد حصوله له، فأمثال هذه المعانى مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء، ولا يستقل باستنباطها تلقيًا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام .

السادس والسابع: زيادة السرة وقلفة الحشفة، أما السرة فتقطع فى أول الولادة، وأما التطهير بالختان فعادة اليهود فى اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر ، قال ﷺ : **« الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء »** (٣٤٩) .

---

(٣٤٨) حديث : « كان يكتحل فى كل عين ثلاثًا » **قال العراقى** : ونقل ذلك فى الصحيح، وهو عند الترمذى وابن ماجة من حديث ابن عباس، قال الترمذى: حديث حسن .اهـ .

قال مرتضى : ولفظه عندهما : كان له مكحلة يكتحل بها كل ليلة ثلاثًا فى هذه وثلاثًا فى هذه. هكذا هو فى اللباس عند الترمذى ، وفى الشمائل نحوه ، وقال فى العلل: إنه سأل البخارى عنه ، فقال: هو غير محفوظ .اهـ . وقال الصدر المناوى: فيه عباد بن منصور ضعفه الذهبى .اهـ . ولكن نقل المناوى فى شرح الجامع قال البيهقى: هذا أصح ما فى الاكتحال ، وفى أحاديث أخر أن الإيتار بالنسبة إلى العينين ، ولعل هذا ملحظ المصنف بقوله: وقد نقل ذلك فى الصحيح لا كما يتبادر عند الإطلاق أنه من حديث الصحيحين، قال ابن حجر فى شرح الشمائل: وآثر الثلاث رعاية للإيتار ، ومن ثم روى أبو داود: من اكتحل فليوتر ولأنه متوسط بين الإقلال والإكثار وخير الأمور أوسطها .

(٣٤٩) حديث : « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » هكذا بالواو وفى سائر نسخ الكتاب ومثله فى الجامع ، وفى نسخة **العراقى** وغيرها بحذفها ، قال: رواه أحمد والبيهقى من رواية أبى المليح بن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف .اهـ .

=

قال مرتضى : رواه الطبراني والبيهقي أيضًا من حديث شداد بن أوس وأبي أيوب وابن عباس ، وفي مسند الإمام أحمد: الحجاج بن أرطاة عن والد أبي المليح والحجاج ضعيف لا يحتج به ، وقال ابن عبد البر: إنه يدور على الحجاج بن أرطاة، وليس ممن يحتج به ، قال العراقي : وقد رواه الطبراني في مسند الشاميين من غير طريق الحجاج من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس ، وأجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد الطريقة، واحتج من أوجبه بقوله تعالى: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ (النحل: ١٢٣) وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رفعه: «اختتن إبراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم» ، وقد روى أبو يعلى من طريق عُلَيّ بن رباح مصغراً - قال : «أمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه: عجلت قبل أن نأمرك بآلته، فقال : يا رب كرهت أن أؤخر أمرك » وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: الفطرة خمس ، فذكر الختان ، وأغرب القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ حيث قال: عندي أن الخصال الخمس المذكورة كلها واجبة وتعقبه أبو شامة على ما سيأتي في آخر هذا الكتاب، ونقل ابن دقيق العيد عن بعض العلماء أنه قال: دل الخبر على أن الفطرة بمعنى الدين والأصل فيما أضيف إلى الشيء أنه منه، أن يكون من أركانه لا من زوائده حتى يقوم دليل على خلافه، وقد ورد الأمر باتباع إبراهيم عليه السلام ، وعلمت أن هذه الخصال أُمر بها إبراهيم عليه السلام ، وكل شيء أمر الله تعالى باتباعه فهو على الوجوب لمن أُمر به، وتُعقب بأن وجوب الاتباع لا يقتضي وجوب كل متبوع فيه بل يتم الاتباع بالامتثال ، فإن كان واجبًا على المتبوع كان واجبًا على التابع ، أو ندبًا فندب، ويتوقف ثبوت هذه الخصال على الأمة على ثبوت كونها كانت واجبة على إبراهيم عليه السلام ، ومما احتج به القائلون بالوجوب ما رواه أبو داود من حديث عيثم بن كثير بن كليب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال للرجل الذي أسلم : « ألق عنك شعر الكفر واختتن» ، فاستدل ابن سريج على وجوبه بالإجماع على تحريم النظر إلى العورة ، فلولا أن الختان فرض لما أبيح النظر إليها من المختون ، وتُعقب بأن سند الحديث ضعيف ، وقد قال ابن المنذر : لا يثبت فيه شيء ، وقال ابن القطان: عيثم وأبوه مجهولان ، وقال الذهبي: فيه انقطاع، وفي الفتح أنه ضعيف، ونقض ابن عبد البر ما قاله ابن سريج بجواز نظر الطبيب ، وليس الطب واجبًا إجماعًا واستدل أبو حامد والماوردي بأنه قطع لا يستخلف من الجسد تعبدًا فلا يكون إلا واجبًا، وقاساه على وجوب القطع في السرقة ، واحترزا بعدم الاستخلاف عن الشعر والظفر، وبالتعبد عن القطع للأكلة فإنه لا يجب، وتعقب بأن قطع اليد إنما أبيح في مقابلة جرم عظيم فلم يتم القياس، واحتجّ القفال لوجوبه بأن بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فتجب إزالتها، وشبهه النجاسة بباطن الفم، واحتجّ الماوردي فقال : في الختان إدخال ألم عظيم على النفس وهو لا يشرع إلا في إحدى ثلاث خصال: لمصلحة أو عقوبة أو وجوب ، وقد انتفى الاثنان فثبت الثالث، وتعقبه أبو شامة بأن في الختان عدة مصالح كمزيد الطهارة والنظافة فإن القلفة من المستقذرات عند العرب وكثر ذمهم للأقلف في أشعارهم .

وينبغى أن لا يبالغ فى خفض المرأة ، قال ﷺ لأم عطية وكانت تخفض : « يا أم عطية، أشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج »(٣٥٠) أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن فى جماعها، فانظر إلى جزالة لفظه ﷺ فى الكناية، وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التى هى من أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمىّ من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره، فسبحان من أرسله رحمةً للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين ﷺ .

الثامن: ما طال من اللحية، وإنما أخرناها لنلحق بها ما فى اللحية من السنن والبدع ، إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها ، وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل : إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس ، فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين، وكرهه الحسن وقتادة وقالا: تركها عافية أحب لقوله ﷺ : « أعفوا اللحى » والأمر فى هذا قريب إن لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب، فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ إليه ، فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية ، وقال النخعى : عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين، فإن التوسط فى كل شىء حسن ، ولذلك قيل: كلما طالت اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفى اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض: خضابها بالسواد، وتبييضها بالكبريت ، ونتفها ونتف الشيب منها، والنقصان منها، والزيادة فيها، وتسريحها تصنعًا لأجل الرياء، وتركها شعثة إظهارًا للزهد، والنظر إلى سوادها عجبًا بالشباب، وإلى بياضها تكبرًا بعلو السن، وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبهًا بالصالحين .

(٣٥٠) حديث : « أشمى ولا تنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج » **قال العراقى** : رواه الحاكم والبيهقى من حديث الضحاك بن قيس ولأبى داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف . ا هـ . والإشمام هو أن يكون بين بين ، والنهك هو المبالغة فى العمل، قاله الزمخشرى ، وقد أخرج الطبرانى فى الكبير أيضًا من هذا الطريق ولفظه: اخفضى ولا تنهكى فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج . ولفظ الضحاك بن قيس: كان بالمدينة امرأة يقال لها أم عطية تخفض الجوارى، فقال لها رسول الله ﷺ ذلك . والضحاك بن قيس راوى هذا الحديث قيل هو الفهرى وقيل غيره ، وقال الحافظ ابن حجر: ورواه أبو داود فى السنن وأعله بمحمد بن حسان فقال: مجهول ضعيف ، وقال فى موضع آخر: كلاهما ضعيف .

أما الأول: وهو الخضاب بالسواد فهو منهى عنه ، لقوله ﷺ : « **خير شبابكم من تشبه بشيوخكم ، وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم** » (٣٥١) ، والمراد بالتشبه بالشيوخ فى الوقار لا فى تبييض الشعر «**ونهى عن الخضاب بالسواد**» (٣٥٢) ، وقال : « **هو خضاب أهل النار**»(٣٥٣)وفى لفظ آخر : « **الخضاب بالسواد خضاب الكفار** » ، وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه ، وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربًا، وقال: غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك . ويقال: أول من خضب بالسواد فرعون لعنة الله ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة**» (٣٥٤) .

الثانى: الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسًا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد، فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم ، وقد قال رسول الله

(٣٥١) حديث : « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم، وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم » كذا فى القوت ، ولكن قال: بكهولكم بدل بشيوخكم، **قال العراقى :** أخرجه الطبرانى من حديث واثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف .اهـ .

قال مرتضى : وكذا أبو يعلى ،قال الهيثمى: وفيه من لم أعرفهم، وأخرجه البيهقى عن ابن عباس وقال : تفرد به بحر بن كثير السقا، وبحر قال فى الكاشف: تركوه ، وفى الضعفاء: اتفقوا على تركه ، وفيه أيضًا الحسن بن أبى جعفر وهو ضعيف، وأخرجه ابن عدى عن ابن مسعود ، وقال ابن الجوزى: حديث لا يصح .

(٣٥٢) حديث : « النهى عن الخضاب بالسواد » **قال العراقى :** أخرجه ابن سعد فى الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد منقطع، ولمسلم من حديث جابر: « غيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد» ، قاله حين رأى بياض شعر أبى قحافة ، وأخرجه أحمد عن أنس بلفظ: غيروا الشيب ولا تقربوه السواد، وزاد فى الفردوس: يعنى أبا قحافة .

(٣٥٣) حديث : « الخضاب بالسواد هو خضاب أهل النار » **قال العراقى :** أخرجه الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافى، قال ابن أبى حاتم: منكر (وسيأتى باقى هذا الحديث قريبًا إن شاء الله) .

(٣٥٤) حديث : « يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة » أورده صاحب القوت ، وقال : رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، **وقال العراقى :** أخرجه أبو داود والنسائى من حديثه بإسناد جيد .اهـ .

ﷺ : « الصفرة خضاب المسلمين، والحمرة خضاب المؤمنين » (٣٥٥) وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو ، وذلك لا بأس به إذا صحت النية، ولم يكن فيه هوى وشهوة .

الثالث: تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ ، وترفعًا عن الشباب، وإظهارًا لكثرة العلم ظنًا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا ، وهيهات فلا يزيد كبر السن الجاهل إلا جهلا ، فالعلم ثمرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها، ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته ، وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما آتى الله عز وجل عبدًا علمًا إلا شابا، والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء : ٦٠) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف : ١٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم : ١٢) .

وكان أنس رضي الله عنه يقول : قُبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء؛ فقيل له: يا أبا حمزة فقد أسن ، فقال: لم يشنه الله بالشيب، فقيل : أهو شين ؟

---

(٣٥٥) حديث : « الصفرة خضاب المسلمين، والحمرة خضاب المؤمنين » هكذا أورده صاحب القوت، **قال العراقى** : أخرجه الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الإفراد، قال ابن أبى حاتم : منكر .ا هـ .

قال مرتضى : أورده الحاكم فى المناقب ولكن لفظه: « الصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضاب المسلم ، والسواد خضاب الكافر » ، قال بعض رواته : دخل ابن عمر على ابن عمرو وقد سوّد لحيته فقال : السلام عليك أيها الشويب، قال : أما تعرفنى ؟ قال: أعرفك شيخًا وأنت اليوم شاب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فذكره ، قال الذهبى : منكر ، وقال البيهقى: فيه من لم أعرفه، وتعبيره بالمؤمنين تارة وبالمسلمين أخرى تفنن ، وهذا الحديث كما تراه مشتمل على ثلاث جمل وقد قطعه المصنف كما ترى تبعًا لصاحب القوت .

فقال: كلكم يكرهه (٣٥٦) .

ويقال: إن يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، فقال له رجل فى مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه : كم سن القاضى أيده الله ؟ فقال: مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها . (٣٥٧) فأفحمه .

وروى عن مالك رحمه الله أنه قال: قرأت فى بعض الكتب: لا تغرنكم اللحى؛ فإن التيس له لحية. وقال أبو عمرو بن العلاء: إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ، ولو كان أمية بن عبد شمس. وقال أيوب السختيانى: أدركت

---

(٣٥٦) حديث : « قبض رسول الله ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، فقيل له : يا أبا حمزة وقد أسن؟ فقال : لم يشنه الله بالشيب» متفق عليه من حديث أنس دون قوله: فقيل ... إلخ، ولمسلم من حديثه: وسئل عن شيب رسول الله ﷺ قال : ما شانه الله ببيضاء .

قال مرتضى : ولمسلم عن أنس روايات أخر: كان فى لحيته شعرات بيض، لم يكن به من الشيب إلا قليلا، لو شئت أعد شمطات كن فى رأسه ولم يخضب ، إنما كان البياض فى عنفقته وفى الصدغين وفى الرأس نبذا أى شعرات متفرقة ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر: إنما كان شيبه ﷺ نحوا من عشرين شعرة بيضاء، وهو لا ينافى رواية من قال: إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، لأن الأربع عشرة نحو العشرين لأنها أكثر من نصف ، ومن زعم أنه لا دلالة لنحو الشىء على القرب منه فقد وهم ، نعم روى البيهقى عن أنس نفسه: ما شانه الله بالشيب ما كان فى رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة بيضاء ، وقد يجمع بينهما بأن أخباره اختلفت لاختلاف الأوقات أو بأن الأول إخبار عن عده ، والثانى إخبار عن الواقع فهو لم يعد إلا أربع عشرة ، وأما فى الواقع فكان سبع عشرة أو ثمانى عشرة وقد يجمع بين الروايات المختلفة فيمن قال: إنه ﷺ شاب ، ومن نفاه فالذى نفاه كان كثرته لا أصله.

(٣٥٧) حديث: أن يحيى بن أكثم ولى القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة، فقيل له: كم سن القاضى ؟ فقال: مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله ﷺ قاضيًا على أهل اليمن . الخطيب فى التاريخ بإسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة ، وأما بالنسبة إلى معاذ فإنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصارى ومالك وابن أبى حاتم أنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة ، والمرجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة فى الطاعون سنة ثمانى عشرة والله أعلم .

الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه. وقال على بن الحسين: من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنًا منك . وقيل لأبى عمرو بن العلاء: أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير ؟ فقال : إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به . وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل ، وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى : يا أبا عبد الله، تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه، فقال له أحمد : لو عرفت لكنت تمشى من الجانب الآخر، إن علم سفيان إن فاتنى بعلو أدركته بنزول ، وإن عقل هذا الشاب إن فاتنى لم أدركه بعلو ولا نزول .

الرابع : نتف بياضها استنكافًا من الشيب ، وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال: «هو نور المؤمن » (٣٥٨) وهو فى معنى الخضاب بالسواد ، وعلة الكراهية ما سبق، والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور .

الخامس: نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس ، وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة ، وهما جانب العنفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكته فرد شهادته ، ورد عمر بن الخطاب ﷺ وابن أبى ليلى قاضى المدينة شهادة من كان ينتف لحيته ، وأما نتفها فى أول النبات تشبهًا بالمرد فمن المنكرات الكبار ، فإن اللحية زينة الرجال، فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون : « والذى زين بنى آدم باللحى » وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء، وقيل فى غريب التأويل : اللحية هى المراد بقوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ (فاطر :١) .

(٣٥٨) حديث : « نهى عن نتف الشيب وقال :هو نور المؤمن » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .ا هـ .

قال مرتضى : وعند المنذرى ، وقال: إنه نور المسلم ، وعن أبى داود من حديثه بلفظ: لا تنقوا الشيب فإنه نور يوم القيامة، وفى رواية له: فإنه نور المؤمن ، وأخرج البيهقى من هذه الرواية: الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة فى الإسلام إلا كانت له فى كل شيبة حسنة، ورفع بها درجة ، وفى إسناده الوليد بن كثير أورده الذهبى فى الضعفاء، وروى ابن عساكر من حديث أنس : الشيب نور، من خلع الشيب فقد خلع نور الإسلام .

قال أصحاب الأحنف بن قيس: وددنا بأن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفًا. وقال شريح القاضي: وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف، وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم للرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض ، فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية ، وقد قيل: إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى عليه السلام فإن له لحية إلى سرته تخصيصًا له وتفضيلا .

السادس: تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع ، قال كعب: يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمام ويعرقبون نعالهم كالمناجل ، أولئك لا خلاق لهم .

السابع: الزيادة فيها، وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين ، وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى ، وينتهي إلى نصف الخد ، وذلك يباين هيئة أهل الصلاح .

الثامن : تسريحها لأجل الناس، قال بشر: في اللحية شركان: تسريحها لأجل الناس ، وتركها متفتلة لإظهار الزهد .

التاسع والعاشر: النظر في سوادها وفي بياضها بعين العجب، وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه .

فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة ، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة: خمس منها في الرأس وهي : فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق(٣٥٩)، وقص الشارب والسواك، وثلاثة في اليد والرجل وهي: القلم وغسل البراجم(٣٦٠).

---

(٣٥٩) حديث : « فرق شعر الرأس . . . » إلخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال: ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه .

(٣٦٠) حديث : « عشر من الفطرة » الحديث، رواه مسلم من حديث عائشة ولفظه: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وإنقاص الماء، قال وكيع : يعني الاستنجاء، قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون =

وتنظيف الرواجب [٣٦١] ، وأربعة فى الجسد وهى: نتف الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك ، وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة؛ فلنقتصر على هذا، وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التى يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى، وسيأتى تفصيلها فى ربع المهلكات مع تعريف الطرق فى إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل .



تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه

ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة، والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

= المضمضة . ضعفه النسائى ، ولأبى داود وابن ماجة من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر إعفاء اللحية وانتقاص الماء، قال : وروى نحوه عن ابن عباس قال : خمس كلها فى الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية ، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة: الفطرة خمس: الختان . . . الحديث .

(٣٦١) حديث : « تنظيف الرواجب » تقدم تخريجه برقم (٣٣٥) ص ٤٢٥ .

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

وفيه سبعة أبواب

الباب الأول : فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها .

الباب الثانى : فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله .

الباب الثالث : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب .

الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة .

الباب الخامس : فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها .

الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها .

الباب السابع : فى النوافل من الصلوات .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتـــاب أسرار الصلاة ومهماتهـا

الحمد لله الذى غمر العبـاد بلطائفه، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه، الذى تنزل عن عرش الجـلال إلى السماء الدنيا من درجـات الرحمة إحـدى عواطفه، فارق الملوك مع التـفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق فى السؤال والدعـاء فقال : « هل من داع فأستجيب له ،وهل من مستغـفر فاغفر له» وباين الســلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعـباد فى المناجاة بالصلوات كيفمـا تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات ،ولم يقتـصر على الرخصة بل تلطف بالترغـيب والدعوة، وغيـره من ضعفاء الـملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقـديم الهدية والرشوة، فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه، والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما.

أما بعد .. فإن الصــلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القـربات وغرة الطاعات، وقد استقـصينا فى فن الفقه فى بسيط المـذهب ووسيطه ووجيزه أصولهـا وفروعها صارفـين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتى منها يستمد ومعولا له إليها يفزع ويرجع، ونحن الآن فى هذا الكتــاب نقـتصـر على ما لابد للمـريد منه من أعـمالهـا الظاهرة وأسرارها الباطنة، وكاشفـون من دقائق معانيها الخفية فى معانـى الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره فى فن الفقه ، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب :

الباب الأول : فى فضائل الصلاة .

الباب الثانى : فى تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة .

الباب الثالث : فى تفضيل الأعمال الباطنة منها .

الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة .

الباب الخامس : فى صلاة الجمعة وآدابها .

الباب السادس : فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها .

الباب السابع : فى التطوعات وغيرها .

الباب الأول: فى فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها

فضيلة الأذان

قال ﷺ : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود، لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأمّ بقوم وهم به راضون ، ورجل أذن فى مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ، ورجل ابتلى بالرزق فى الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة » (٣٦٢).

وقال ﷺ : « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة » (٣٦٣).

(٣٦٢) حديث : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود، لا يهولهم حساب » قال العراقى : أخرجه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر مختصراً ، وهو فى الصغير للطبرانى بنحو مما ذكره المؤلف ا هـ .

قال مرتضى : أما ما أخرجه الطبرانى فهو من طريق فيه بحر بن كثير السقاء وهو ضعيف بل متروك، من حديث ابن عمر بلفظ : « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع ولا يفزعون حين يفزع الناس: رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده، ورجل نادى فى كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وما عنده ، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا من طاعة ربه». وأما حديث الترمذى الذى أشار إليه فلفظه: « ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون: عبد أدى حق الله وحق مواليه، ورجل يؤم قومًا وهم به راضون ورجل نادى بالصلوات الخمس فى كل يوم وليلة» . هكذا أخرجه فى الأدب من حديث ابن عمر وقال: حسن غريب . وهكذا أخرجه الحاكم أيضا، وقال الصدر المناوى: فى إسناد الترمذى أبو اليقظان عثمان بن عمير قال الذهبى: كان شيعيا ضعفوه .

(٣٦٣) حديث : « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة » رواه أبو مصعب الزبيدى عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى عن أبيه أن أبا سعيد الخدرى ﷺ قال له: « إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك أو بادية فأذنت بالصلاة فارفع صوتك، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا =

وقال ﷺ : « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه » (٣٦٤) .

وقيل في تفسير قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (فصلت : ٣٣). نزلت في المؤذنين .

وقال ﷺ : « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » (٣٦٥) وذلك مستحب إلا في الحيعلتين فإنه يقول فيهما: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي قوله: قد قامت الصلاة، أقامها الله وأدامها ما دامت السماوات والأرض ، وفي التثويب: صدقت وبررت ونصحت ، وعند الفراغ يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن المسيب: من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، فإن أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة .

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء : ١٠٣) .

وقال ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن

= إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة »، قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ . وهو حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف وإسماعيل بن أبي أويس وقتيبة بن سعيد فرقهم كلهم عن مالك، وأخرجه النسائي عن محمد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك .

(٣٦٤) حديث : « يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه » **قال العراقي** : رواه الطبراني في الأوسط والحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس بإسناد ضعيف .

(٣٦٥) حديث : « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » رواه أبو مصعب الزبيدي عن مالك عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٨

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع



شيئًا استخفافـا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ،ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة » (٣٦٦) .

وقـال ﷺ : « مثل الصلوات الخمس كمـثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقـتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا : لا شيء، قال ﷺ : فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن » (٣٦٧) .

وقال ﷺ : « إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » (٣٦٨)

---

(٣٦٦) حديث : « خمس صلوات كتبهن الله على العبـاد » أخرجه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت، قال الـزين العراقى: وصححه ابن عبد البر، ورواه أبو داود أيضا بلفظ آخر يقاربه: « خمس صلوات افـترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركـوعهن وخشوعهن كان له على الله عهـد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهـد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» وأخـرجه البيهقى كـذلك وعزاه الصدر المناوى فى تخريج أحاديث المصابيح إلى الترمذى والنسائى أيضا .

(٣٦٧) حديث : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غـمر بباب أحدكم » أخرجه الإمام أحمد وعبـد بن حميـد والدارمى ومسلم وابن حبـان والرامهرمـزى من حديث جـابر ولفظه: « مثل الصلوات الخمس المكتوبة كـمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتـسل فيه كل يوم خمس مرات فـما يُبقى ذلك من الدنس ؟ » وعند البـخارى ومسلم نحـوه وكذا محمـد بن نصر من حديث أبى هريرة زاد البخارى: « فذلك مثل الصلاة » . وهو جواب لشرط محذوف أى: إذا علمتم ذلك وأخرجه أبو يعلى عن أنس والطبرانى عن أبى أمـامة وعند الرامهرمزى من حديث أبى هريرة مثل: « الـصلوات الخمس مثل رجل علـى بابه نهر جار غـمر يغتـسل منه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه ؟ » .

(٣٦٨) حديث : « إن الصلوات كفارة لما بينهن من الصغـائر ما اجتنبت الكبائر » والذى أخرجه أبو نعيم فـى الحلية من حديـث أنس: «الصلوات الخمس كـفارة لما بينـهن ما اجتنبت الـكبائر، والجمعـة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام» وعند أحـمد ومسلم فى الطهارة والتـرمذى فى الصلاة عن أبى هريرة بلفظ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمـعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» ولكن الترمذى لم يـذكر رمضان، وقال النووى فى شرح مسلم: معناه إن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفرٌ لا أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كانت لا تغفر صغائره ثم كل من المذكورات صالح للتكفـير فإن لم تكن له صغائر كتبت له حسنات ورفع له درجات .

وقال ﷺ : « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما »(٣٦٩) .

وقال ﷺ : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته »(٣٧٠) .

وقال ﷺ : « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين »(٣٧١) .

وسئل ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ فقال: « الصلاة لمواقيتها »(٣٧٢) .

---

(٣٦٩) حديث : « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة » قال العراقى : أخرجه مالك فى الموطأ من رواية سعيد بن المسيب مرسلا .

(٣٧٠) حديث وقال ﷺ : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » قال العراقى: لم أجده هكذا، وفى معناه حديث: « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » وفيه: « فإن فسدت، فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا الضياء فى المختارة عن أنس بلفظ: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله » .وعند النسائى عن ابن مسعود: « أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء » .

(٣٧١) حديث : « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين » قال العراقى: أخرجه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عمر ، قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر، قال: رواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال فى مشكل الوسيط: إنه غير معروف . ا هـ .

قال مرتضى : وقول النووى فى التنقيح حديث منكر باطل، رده الحافظ ابن حجر وشنع عليه، ثم إن الذى أخرجه البيهقى فى الشعب هى الجملة الأولى فقط، وأما قوله: فمن تركها. . . إلخ، فلم أره. وعند الديلمى عن على: « الصلاة عماد الإيمان، والجهاد سنام العمل والزكاة بين ذلك » ورواه التيمى فى الترغيب بلفظ: « الصلاة عماد الإسلام » وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخارى فى كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ يسأل عن الصلاة، فقال : « الصلاة عمود الدين » . وهو مرسل ورجاله ثقات وله طرق أخرى بينها الزيلعى فى تخريج أحاديث الكشاف وتبعه السيوطى فى حاشية البيضاوى .

(٣٧٢) حديث : وسئل رسول الله ﷺ : « أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لمواقيتها » وفى رواية: «لميقاتها»، أخرجه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود ﵁، قاله العراقى . =

وقال ﷺ : « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان» (٣٧٣) .

وقال ﷺ : « مفتاح الجنة الصلاة » (٣٧٤) .

= قال مرتضى : أخرجه البخارى فى الصلاة والجهاد والأدب والتوحيد ومسلم فى الإيمان والترمذى فى الصلاة وفى البر والنسائى فى الصلاة، ولفظ البخارى من طريق أبى عمرو الشيبانى: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار بيده إلى دار ابن مسعود قال : سألت النبى ﷺ : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال: « الصلاة على وقتها» . اتفق أصحاب شعبة على هذا اللفظ وخالفهم على بن حفص وهو ممن احتج به مسلم فقال: الصلاة فى أول وقتها. رواه الحاكم والدارقطنى واحترز بقوله: على وقتها عما إذا وقعت الصلاة خارج وقتها من معذور كالنائم والناسى فإن إخراجه لها عن وقتها لا يوصف بتحريم ذلك ولا بأنه أفضل الأعمال مع أنه محبوب لكن إيقاعها فى الوقت أحب ، والله أعلم .

(٣٧٣) حديث : « من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا ، فى قبره وحشره » : « وبرهانا يوم القيامة، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان » ، فإنهما من أشقى الناس ، قال العراقى : أخرجه أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك أخرجه الطبرانى والبيهقى فى السنن، ولفظهم جميعا: « من حافظ على الصلاة كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ،ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأبى بن خلف». وأخرجه ابن نصر فى كتاب الصلاة بلفظ: « خمس صلوات من حافظ عليهن كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليهن لم تكن له نوراً يوم القيامة ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبى بن خلف» وفى ذكر أبى بن خلف مع هؤلاء إشارة إلى أنه أشقى هذه الأمة ،وأشدها عذابا مطلقا، وهو الذى آذى الله ورسوله وبالغ فى ذلك حتى قتله الله بيد رسوله ﷺ يوم أحد ولم يقتل أحدا بيده قط غيره ،وفى الخبر : « أشقى الناس من قتل نبيًا أو قتله نبى». وقد جاء فى المحافظة على الخمس أيضا ما أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى عن حنظلة الكاتب رفعه: « من حافظ على الصلوات الخمس المكتوبة على ركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله عز وجل دخل الجنة أو قال وجبت له الجنة» ، وفى لفظ: « حرم على النار »، وأخرج الحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة: « من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين» .

(٣٧٤) حديث : « مفتاح الجنة الصلاة » وفى نسخة العراقى: « مفاتيح الجنة الصلاة » وقال : أخرجه أبو داود الطيالسى من حديث جابر وهو عند الترمذى وليس داخلا فى الرواية . ا هـ . =

وقال ﷺ : « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته، فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد » (٣٧٥) .

وقال النبي ﷺ : « من ترك صلاة متعمداً فقد كفر » (٣٧٦) أي قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها .

وقال ﷺ : « من ترك صلاة متعمداً فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام» (٣٧٧) .

= قال مرتضى : وهكذا أخرجه أحمد والبيهقي بزيادة: « ومفتاح الصلاة الطهور» . ومعنى الحديث مبيح دخولها الصلاة لأن أبواب الجنة مغلقة فلا يفتحها إلا الطاعة، والصلاة أعظمها.

(٣٧٥) حديث : « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة، ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته، فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد » **قال العراقي** : لم أجده هكذا، وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر اهـ .

قال مرتضى : هو في القوت بلفظ : وروينا عن رسول الله ﷺ ثم ساقه قال: ويقال : إن المؤمن إذا صلى ركعتين عجب منه عشر صنوف من الملائكة كل صنف منهم عشرة آلاف، ثم قال : فالقائمون صنف لا يركعون إلى قيام الساعة والساجدون لا يرفعون إلى القيامة وكذلك الراكعون والقاعدون .

(٣٧٦) حديث : « من ترك صلاة متعمداً فقد كفر » **قال العراقي** : أخرجه البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال .ا هـ .

قال مرتضى : وعند الطبراني من حديث أنس: « من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهاراً» . قال الهيتمي: رجاله موثقون إلا محمد بن أبي داود الأنباري فلم أجد ترجمته، وذكر ابن حبان محمد بن أبي داود البغدادي فما أدري هو أم لا . ا هـ . وقال الحافظ : الحديث سئل عنه الدارقطني فقال : رواه أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولا، ووقفه أشبه بالصواب .

(٣٧٧) حديث : « من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد ﷺ » **قال العراقي**: أخرجه أحمد والبيهقي من حديث أم أيمن بنحوه ورجال إسناده ثقات . اهـ .

قال مرتضى : وعند ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الدرداء وعن الحسن مرسلا: «من ترك صلاة مكتوبة حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله ». وعند أبي نعيم من حديث أبي سعيد: « من ترك الصلاة متعمدا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها » . وعند البيهقي في المعرفة عن نوفل: « من ترك الصلاة فكأنما وتر أهله وماله ».

وقال أبو هريرة ﷺ : من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه فى صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة، وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً، قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال: من أجل كثرة الخطا.

ويروى أن: « أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة، فإن وجدت تامة قُبلت منه وسائر عمله، وإن وجدت ناقصة رُدت عليه وسائر عمله» (٣٧٨) .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة ، مُر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب»(٣٧٩) .

---

(٣٧٨) حديث : « أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة ». قال العراقى : رويناه فى الطوريات من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف، ولأصحاب السنن والحاكم وصحح إسناده نحوه من حديث أبى هريرة ، وسيأتى . اهـ .

قال مرتضى : تقدم قريبا حديث أنس عند الطبراني فى الأوسط: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » وأخرج الحاكم فى الكنى عن ابن عمر : «أول ما افترض الله تعالى على أمتى الصلوات الخمس وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عن الصلوات الخمس»، الحديث، وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن تميم الدارى: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة » . الحديث .

(٣٧٩) حديث : « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » قال العراقى : لم أقف له على أصل .اهـ.

قال مرتضى : وهو من نسخة جمع فيها أحاديث يقول فى أول كل منها: يا أبا هريرة ، وهذه النسخة موضوعة باتفاق المحدثين، إلا أن بعض ما فيها هو صحيح باللفظ أو بالمعنى كالذى نحن فيه فإن معناه صحيح لما أخرج عبد الرزاق فى المصنف وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال : كان النبى ﷺ إذا دخل على أهله بعض الضيق فى الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ ونحوه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية ما هو مذكور فى الدر المنثور .

وقال بعض العلماء : مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة . وكان أبو بكر ﷺ يقول إذا حضرت الصلاة: قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فاطفئوها .

فضيلة إتمام الأركان

قال ﷺ : « **مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى** » (٣٨٠) .

وقال يزيد الرقاشى : كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة (٣٨١) .

وقال ﷺ : « **إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض، وأشار إلى الخشوع** » (٣٨٢) .

---

(٣٨٠) حديث : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى » . **قال العراقى** : أخرجه ابن المبارك فى الزهد من حديث الحسن مرسلاً وأسنده البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة . اهـ .

قال مرتضى : وكذا أخرجه الحاكم والديلمى ولكن لفظهم جميعا « الصلاة ميزان فمن وفى استوفى» وفى القوت عن ابن مسعود وسلمان ﷺ : « الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المطففين» . اهـ . **قال مرتضى**: وقول سلمان هذا أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف عن ابن فضيل عن عبد الله بن عبد الرحمن عن سالم بن أبى الجعد عنه .

(٣٨١) حديث : وقال يزيد الرقاشى : كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة **قال العراقى** : أخرجه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة، وهو مرسل ضعيف .

(٣٨٢) حديث : « إن رجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع » **قال العراقى** : أخرجه ابن المحبر فى كتاب العقل من حديث أبى أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن المحبر . اهـ .

قال مرتضى : قد تقدم الكلام عليه فى خاتمة كتاب العلم فراجعه .

وقال ﷺ : «لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده» (٣٨٣) .

وقال ﷺ : « أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار»(٣٨٤) .

وقال ﷺ : « من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة ، تقول: حفظك الله كما حفظتنى، ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة، تقول: ضيّعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفّت كما يُلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » (٣٨٥) .

---

(٣٨٣) حديث: « لا ينظر الله يوم القيامة إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » قال العراقى : أخرجه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح .اهـ .

(٣٨٤) حديث : « أما يخاف الذى يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة بلفظ: « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار» وعند ابن عدى فى عوالم مشايخ مصر من حديث جابر: « ما يؤمنه إذا التفت فى صلاته أن يحول الله وجهه وجه كلب أو وجه خنزير» قال منكر بهذا الإسناد، قاله العراقى.

قال مرتضى : وهو فى السنن الأربعة بلفظ البخارى إلا أنهم قالوا: رأس بدل وجه، وبزيادة: أو يجعل الله صورته صورة حمار، وفى رواية عند ابن حبان: رأس كلب، وفى أخرى: أولا يخشى، وعند أبى داود زيادة: والإمام ساجد وألحق به الركوع لكونه فى معناه ولكن اللفظ الذى أورده المصنف أعم من ذلك كله، واختلفوا فى هذا التحويل فقيل: حقيقة بناء على ما عليه الأكثر من وقوع المسخ فى هذه الأمة، أو مجاز عن البلادة الموصوف بها الحمار فاستعير ذلك للجاهل أو أنه يستحق به من العقوبة فى الدنيا هذا ولا يلزم من الوعيد الوقوع، وارتضى المصنف الثانى وردّ ما عداه وقال : هو قلب معنوى وهو مصيره كالحمار فى معنى البلادة إذ غاية الحمق الجمع بين الاقتداء والتقدم فعلم أنه كبيرة للتوعد عليه بأشنع العقوبات وأبشعها وهو المسخ، لكن لا تبطل صلاته عند الشافعية والحنفية وأبطلها أحمد كالظاهرية، والله أعلم .

(٣٨٥) حديث: « من صلى صلاة لوقتها ، وأسبغ وضوءها ، وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة ، تقول: حفظك الله كما حفظتنى . . .» قال العراقى : أخرجه =

وقال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » (٣٨٦) .

وقال ابن مسعود وسلمان ﷺ : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين .

فضيلة الجماعة

قال ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » (٣٨٧) .

= الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف وللطيالسى والبيهقى فى الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه .

قال مرتضى : لفظ البيهقى فى الشعب: « من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت: حفظك الله كما حفظتنى ثم أصعد بها إلى السماء ولها ضوء نور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله، فتشفع لصاحبها ، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها ، قالت : ضيعك الله كما ضيعتنى ، ثم أصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فغلقت دونها أبواب السماء ، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » .

(٣٨٦) حديث : « أسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته» **قال العراقى :** أخرجه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى قتادة الأنصارى . اهـ .

قال مرتضى : أخرجه مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة أن رسول الله ﷺ قال :« ما ترون فى الشارب والسارق والزانى ؟ » قال : وذلك قبل أن ينزل فيهم ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذى يسرق من صلاته ، قالوا : كيف يسرق من صلاته ، قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها» . وأخرجه أبو داود الطيالسى وأحمد وأيضا أبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى ، قال الهيثمى : فيه على بن زيد مختلف فى الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال الذهبى : إسناده صالح ، وقال المنذرى : رواه الطبرانى فى الثلاثة عن عبد الله بن مغفل بإسناد جيد لكنه قال فى أوله : « أسرق الناس » .

(٣٨٧) حديث : «صلاة الجمع» وهم العدد من الناس يجتمعون « تفضل صلاة الفذ » أى فى الثواب « بسبع وعشرين درجة » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث ابن عمر .

قال مرتضى : أخرجه مالك وأحمد والشيخان فى الصلاة والترمذى والنسائى عن ابن عمر ، وأخرج أحمد أيضا والبخارى وابن ماجه من حديث أبى سعيد : « صلاة الجماعة تفضل صلاة=

وروى أبو هريرة أنه ﷺ فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال : « **لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرّق بيوتهم** » (٣٨٨) وفى رواية أخرى: « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب، ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها » يعنى صلاة العشاء . وقال عثمان ﷺ مرفوعًا : «**من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة** » (٣٨٩) .

= الفذ بخمس وعشرين درجة » وأخرج مسلم عن أبى هريرة « صلاة الجماعة تعدل خمسًا وعشرين من صلاة الفذ» وأخرج أحمد والبخارى وأبو داود وابن ماجه من حديث أبى هريرة «صلاة الرجل فى جماعة » وفى رواية « فى الجماعة تزيد » ، وفى رواية للبخارى « تضعف على صلاته في بيته وفى سوقه خمسا وعشرين درجة » وفى رواية « ضعفا » ووقع فى الصحيحين « خمس وعشرين » بالخفض بتقدير الباء . وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته وحده خمسا وعشرين درجة، فإذا صلاها بأرض فلاة فأتم وضوءها وركوعها وسجودها بلغت صلاته خمسين درجة» وأخرج ابن ماجه من حديث زريق الألهانى عن أنس: « صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه الناس بخمسمائة صلاة » الحديث ، قال الحافظ : سنده ضعيف، ومذهب الشافعى ، كما فى المجموع ، أن من صلى فى عشرة ، فله خمس أو سبع وعشرون درجة ، وكذا من صلى مع اثنين ، لكن صلاة الأول أكمل .

(٣٨٨) حديث : « فقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف إلى أناس . . . » . أخرجه البخارى ومسلم والنسائى من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، وأخرجه مسلم أيضا عن ابن مسعود وأخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة بلفظ: « ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة » .

(٣٨٩) حديث : « من شهد العشاء » أى صلاتها « فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة » رواه مسلم ، **قال العراقى** : قال الترمذى : وروى عن عثمان موقوفا . ا هـ .

قال مرتضى : أخرج البيهقى فى السنن من حديثه مرفوعا: « من شهد العشاء فى جماعة كان له قيام ليلة» ، ويروى أيضا: «من شهد صلاة الصبح محتسبا فكأنما قام الليلة ومن شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليل» ،وهذا قد رواه مالك عنه موقوفا وهو الذى أشار إليه الترمذى، وعند عبد الرزاق وأبى داود والترمذى وابن حبان من حديثه بلفظ: « من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة»، وعند ابن حبان وحده من حديثه: « من صلى العشاء والغداة فى جماعة فكأنما قام الليل » وأخرج أحمد ومسلم والبيهقى من حديثه: « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام=

وقال ﷺ : « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة » (٣٩٠) .

وقال سعيد بن المسيب: ما أذّن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد. وقال محمد ابن واسع: ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة : أخا إن تعوجت قومنى ، وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة، وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها. وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال : ما زال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا . وقال الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء . وقال النخعى: مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه . وقال حاتم الأصم: فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده، ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس ﷺ : من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيراً ولم يرد به خير . وقال أبو هريرة ﷺ : لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له: إن الناس قد انصرفوا؛ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لفضل هذه الصلاة أحب إلىّ من ولاية العراق .

وقال ﷺ : « من صلى أربعين يومًا الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين: براءة من النفاق وبراءة من النار » (٣٩١) .

= نصف ليلة، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » ، وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديثه: « من صلى الأخيرة فى جماعة فكأنما صلى الليل كله ومن صلى الغداة فى جماعة فكأنما صلى النهار كله » .

(٣٩٠) حديث : « من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة » . **قال العراقى** : لم أره مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن المسيب، رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة .

قال مرتضى : ووجدت فى العوارف ما نصه : ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة .

(٣٩١) حديث : « من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة ، لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام ، كتب=

ويقال: إنه إذا كان يوم القيامة يُحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى، فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم ؟ فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها، ثم تُحشر طائفة وجوههم كالأقمار، فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم تُحشر طائفة وجوههم كالشمس، فيقولون: كنا نسمع الأذان فى المسجد. وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى، ويعزون سبعةً إذا فاتتهم الجماعة .

فضيلة السجود

قال رسول الله ﷺ : « **ما تقرب العبد إلى الله بشىء أفضل من سجود خفى** » (٣٩٢) .

= الله له براءتين : براءة من النفاق، وبراءة من النار » **قال العراقى** : أخرجه الترمذى من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات .

قال مرتضى : وهكذا أورده صاحب القوت ، وقال : وفى حديث أبى كامل عن رسول الله ﷺ ، وأخرجه البيهقى كذلك ولفظه: « من صلى لله أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى . . . » والباقى سواء، وصحيح الترمذى وقفه على أنس وأخرج الإمام أحمد من حديثه وفيه زيادة ولفظه: « من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب، وبرئ من النفاق » وعند البيهقى من حديثه أيضا « من صلى الغداة والعشاء الأخيرة فى جماعة لا تفوته ركعة كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق» . وأخرج عبد الرزاق من حديثه بلفظ « من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوما كتبت له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » وقد روى مثل ذلك عن عمر وأوس بن أوس رضي الله عنهما أما حديث عمر فرواه ابن ماجه والحكيم الترمذى ولفظه « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » وعند البيهقى وابن النجار وابن عساكر من حديثه بلفظ « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة الظهر كتب له بها عتق من النار» . وأما حديث أوس بن أوس الثقفى فأخرجه الخطيب وابن عساكر وابن النجار ولفظه « من صلى أربعين يوما صلاة الفجر وعشاء الآخرة فى جماعة أعطاه الله براءتين : براءة من النار، وبراءة من النفاق»، وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن أبى العالية مرسلا: « من شهد الصلوات الخمس أربعين ليلة فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى وجبت له الجنة » .

(٣٩٢) حديث : « ما تقرب العبد إلى الله بشىء أفضل من سجود خفى ».

قال مرتضى : المراد سجود الصلاة ،أخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبى بكر بن=

وقال رسـول الله ﷺ : « ما من مسلم يسجد لله سـجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها سيئة » (٣٩٣) .

وروى أن رجـلا قال لرسـول الله ﷺ : ادع الله أن يجـعلنى من أهل شـفاعـتك وأن يرزقنى مرافقـتك فى الجنة، فقال ﷺ : « أعنّى بكثرة السـجود » (٣٩٤).

= أبى مريم عن حمزة بن حبيب بن صهيب مرسلا. قال العراقى : وابن أبى مريم ضعيف ، وقد وهم الديلمى فى مسند الـفردوس فى جعل هذا من حديث صـهيب ﷺ وإنما هو حـمزة بن حبيب بن صـهيب ، وهو وهم فاحش ، قال : وقد رواه ابن المـبارك فى الزهد والرقائق عن ابن أبى مريم عن حمزة مرسلا ، وهو الـصواب . ١ هـ . وقال فى موضع آخر : هذا حديث لا يصح .

(٣٩٣) حديث : « ما من مسلم يسـجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بـها سيئة » وفى نسخة: خطيئـة بدل سيئة ، قال العـراقى : أخرجه ابن ماجه من حـديث عبادة بن الصامت، ولمسلم نحـوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء . اهـ . وبخط تلميذه الحـافظ: ليس فى مسلم ذكر السيئة نعم هو عند أحمد فى هذا الحديث .

قال مـرتضى : وأخرجه ابن أبى شيبة والعقيلى من حديث أبى ذر: « ما من عبد يسجد لله سجـدة أو يركع ركعة إلا حط اللـه عنه بها خطيئـة ورفع له بها درجة » . وعنـد الطبرانى فى الأوسط من حديثه: « ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وكتب له بها حسنة» وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة رفعه « اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة » وأخرج ابن يونس فى تاريخ مصر من طريق ابن لهيعة عن أبى عبد الرحمن الجـبلى عن أبى فاطمة الأزدى رفعه : « يا أبا فاطمة إن أردت أن تلقانى فاستكثر من السجود بعدى » ورواه ابن لهيعة عن الحارث بن زيد عن كثير الصدفى عنه رفعه « يا أبا فاطمة أكثر من السجود فإنه ليس من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، يا أبا فاطمة إن أحببت أن تلقانـى فاستكثر من السجود بعدى» قال ابن يونس : ولا أعلم لأهل مصر عنه غير هذا الحديث الواحد .

(٣٩٤) حديث : « وروى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ : « ادع الله أن يـجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة، قال: أعنى بكثرة السجود » قال العـراقى : أخرجه مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك .اهـ .

قـال مـرتضى: وروى الطبرانى عن جابر هـذه القصة فقال: كـان شاب يخدم النبى ﷺ ويخف فى حوائجه فقال : سلنى حاجتك، فقال: ادع الله لى بالجنة فرفع رأسه فتنفس فقال: نعم ولكن أعنى بكثرة السـجود. وأخرج البـيهقى عن أبى الدرداء قال : لولا ثلاث لأحـببت أن لا =

وقيل: « أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً » (٣٩٥)، وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (العلق: ١٩) .

وقال عز وجل : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩) .

فقيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، وقيل: هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر ، وهو الأصح ، وقيل: هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء .

وقال ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول: يا ويلاه أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار » (٣٩٦) ويروى عن على ابن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة ، وكانوا يسمونه السّجاد ، ويروى أن عمر بن عبد العزيز ﷺ كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن أسباط يقول: يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض، فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده ، وقد حيل بينى وبين ذلك . وقال سعيد بن جبير :ما آسى على شىء من الدنيا إلا على السجود . وقال عقبة بن مسلم: ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل

= أبقى فى الدنيا: وضع وجهى للسجود لخالقى من الليل والنهار ، وظماء الهواجر، ومقاعد أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة .

(٣٩٥) حديث : « أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا» وهو كما يأتى قريبا فى آخر الباب حديث أبى هريرة أخرجه مسلم بهذا اللفظ وهذا قول مجاهد أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه وسعيد بن منصور فى سننه وعنه قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، ألا تسمعونه يقول : ﴿واسجد واقترب﴾ .

(٣٩٦) حديث : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكى ويقول : يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار » الحديث أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة ولم يخرجه الب[خارى] .

يحب لقاء الله عز وجل، وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « **أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك** » (٣٩٧) .

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه : ١٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٥) .

وقال عز وجل: ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء : ٤٣).

قيل: سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا، وقال وهب: المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة، فقال : ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء : ٤٣) .

وكم من مصلٍّ لم يشرب خمرًا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته ، وقال النبي ﷺ : «**من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه** » (٣٩٨) .

---

(٣٩٧) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : « أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد » سياق المصنف مشعر بأنه من قول أبي هريرة موقوفًا عليه وقد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من حديثه رفعوه إلى رسول الله ﷺ بلفظ: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » ، فتأمل ذلك، والله أعلم .

(٣٩٨) حديث : « من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » **قال العراقي** : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو في الصحيحين من حديث عثمان بزيادة في أوله دون قوله: بشيء من الدنيا، وزاد الطبراني في الأوسط إلا بخير . اهـ .

قال مرتضى : قال تلميذه الحافظ: لفظ ابن أبي شيبة في المصنف: « لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه» . اهـ. وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء : « من صلى ركعتين يتم ركوعه =

وقال النبي ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع ، وتضرع وتأوه ، وتنادم وتضع يديك فتقول: اللهم اللهم، فمن لم يفعل فهي خِداج» (٣٩٩) .

وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال : « ليس كل مصل أتقبل صلاته، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادى وأطعم الفقير الجائع لوجهى » .

وقال ﷺ : « إنما فرضت الصلاة وأُمر بالحج والطواف وأُشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى » (٤٠٠) فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك !

وقال ﷺ للذى أوصاه : « وإذا صليت فصل صلاة مودع » (٤٠١) أى مودع لنفسه، مودع لهواه ،مودع لعمره، سائر إلى مولاه كما قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (الانشقاق : ٦) .

= وسجوده لم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه عاجلا أو آجلا» وأخرج أحمد وابن قانع وأبو داود وعبد بن حميد والروياني والطبراني في الكبير والحاكم والعقيلي في الضعفاء عن زيد بن خالد الجهني : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

(٣٩٩) حديث : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه » قال العراقى : أخرجه الترمذى والنسائى بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب .

(٤٠٠) حديث : « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى » وفى القوت: وروى معنى الآية ، أى قوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ عن رسول الله ﷺ : إنما فرضت .. ثم ساقه إلى آخره ، وقال العراقى : أخرجه أبو داود والترمذى من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة ، قال الترمذى : حسن صحيح .

(٤٠١) حديث : « إذا صليت فصل صلاة مودع » هكذا فى القوت. قال العراقى: أخرجه ابن ماجه من حديث أبى أيوب والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص ، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه .اهـ. قال تلميذه الحافظ : وأخرجه أيضًا ابن أبى حاتم من حديث أنس .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) .

وقال ﷺ : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا**»(٤٠٢) والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة ؟! وقال بكر بن عبد الله: يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن، وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل: وكيف ذلك ؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل** » (٤٠٣).

وقال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه** » (٤٠٤) .

---

(٤٠٢) حديث : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدًا » **قال العراقي** : رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية ، من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح ، ووصله ابن مردويه في تفسيره بذكر عمران بن حصين رضي الله عنه ، والمرسل أصح ، ورواه الطبراني وابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بإسناد لين وللطبراني من قول ابن مسعود: « من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر . . . » الحديث، وإسناده صحيح . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أيضًا ابن أبي حاتم وابن المنذر من حديث ابن عباس وليَّن إسناده لأجل ليث بن أبي سليم لتدليسه إلا أنه ثقة، وقال الزيلعي : فيه يحيى بن طلحة اليربوعي وثقه ابن حبان وضعفه النسائي ، وقال في الميزان : هو صويلح الحديث ، وقال النسائي : ليس بشيء، وساق له هذا الخبر ثم قال: افحش ابن الجنيد فقال: هذا كذب وزور .

(٤٠٣) حديث عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل » **قال العراقي** : رواه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا: كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدًا من الناس».

(٤٠٤) حديث : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه » **قال العراقي** : لم أجده بهذا اللفظ ، وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين ، وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته؛ ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (٤٠٥) .

ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول: اللهم زوِّجني الحور العين، فقال: بئس الخاطب أنت ،تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى !وقيل لخلف بن أيوب: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟ قال : لا أعود نفسي شيئًا يفسد عليَّ صلاتي، قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قال : بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلان صبور، ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة . ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فإني لست أسمعكم، ويروى عنه أنه كان يصلي يومًا في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين، فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها .

ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما

= مرسلا: « لا يقبل الله من عبده عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ». ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف .

(٤٠٥) حديث : « رأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » قال العراقي : رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم . ا هـ .

قال مرتضى : وهكذا هو في القوت في باب هيئات الصلاة وآدابها عند قوله: « ولا يعبث بشيء من بدنه في الصلاة » ، قال : روى أن سعيد بن المسيب نظر إلى رجل فساقه سواء ، ثم قال : وقد رويناه مسندًا من طريق الحسن البصري .

أنه قال: قال داود عليه السلام فى مناجاته: إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى، وقطع نهاره بذكرى، وكفّ نفسه عن الشهوات من أجلى، يطعم الجائع، ويؤوى الغريب، ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السماوات كالشمس ،إن دعانى لبيته، وإن سألنى أعطيته، أجعل له فى الجهل حلما، وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نوراً ،وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها.

ويروى عن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى، ثم أقوم إلى صلاتى، وأجعل الكعبة بين حاجبى، والصراط تحت قدمى، والجنة عن يمينى والنار عن شمالى، وملك الموت ورائى، وأظنها آخر صلاتى، ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبِّر تكبيراً بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعا بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها الإخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه .

فضيلة المسجد وموضع الصلاة

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ (التوبة : ١٨) .

وقال ﷺ : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصراً فى الجنة».(٤٠٦)

---

(٤٠٦) حديث : « من بنى لله مسجداً بنى الله له قصراً فى الجنة » .

قال مرتضى : (تنبيه) فى تخريج هذا الحديث ، وبيان رواياته المختلفة: فلفظ المصنف أخرجه ابن ماجه من حديث جابر وعلى بإسناد صحيح بدون قوله: «ولو كمفحص قطاة» بزيادة: « من بنى لله »، وبيتا بدل قصراً، ومثله لابن حبان من حديث أبى ذر وابن عساكر عن=

وقال ﷺ : « من ألف المسجد ألفه الله تعالى » . (٤٠٧)

= عليّ وأيضًا عن عثمان والطبراني في الكبير عن أسماء بنت يزيد ، وفي الأوسط:البيهقي من السنن عن عائشة ، وفي الأوسط أيضًا عن أبي بكر وعن أبي هريرة وعن أسماء بنت أبي بكر، وعن نبيط بن شريط والدارقطني في العلل عن أبي بكر ، وابن عساكر أيضا عن معاذ بن جبل وأم حبيبة ﷺ وأخرج الشيخان والترمذي من طريق عبيد الله بن الأسود الخولاني ، أنه سمع عثمان بن عفان يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» ، وأخرجه أيضا هكذا أحمد والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان، وروى الإمام أحمد من حديث ابن عباس، من رواية جابر الجعفي وهو ضعيف ، عن عمار عن سعيد بن جبير عنه رفعه:« من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتًا في الجنة »، وعند ابن خزيمة: « كمفحص قطاة أو أصغر» ، ومن روايات هذا الحديث: «من بنى مسجدًا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتًا في الجنة » أخرجه ابن ماجه وابن أبي شيبة وابن حبان عن عمر، ومنها: « من بنى مسجدًا يُذكر الله فيه بنى الله له بيتًا في الجنة» . أخرجه أحمد والنسائي عن عمرو بن عبسة ، ومنها : « من بنى لله مسجدًا بنى الله له في الجنة أوسع منه » . أخرجه الطبراني عن أبي أمامة وفيه علي بن يزيد وهو ضعيف، ومنها : « من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا أوسع منه في الجنة»، أخرجه أحمد عن ابن عمر وعن أسماء بنت يزيد، ومنها: « من بنى لله مسجدًا بنى الله له قصرًا في الجنة من در وياقوت وزبرجد » أخرجه ابن النجار عن أبي هدبة عن أنس ، ومنها : « من بنى مسجدًا مفسح قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة » ، أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس ، وفيه رجل لم يسم، ومنها: « من بنى لله مسجدًا صغيرًا كان أو كبيرًا بنى الله له بيتًا في الجنة» أخرجه الترمذي والحاكم في الكنى عن أنس ، ومنها: « من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة» ، أخرجه ابن أبي شيبة وابن حبان وأبو يعلى والروياني والطبراني في الصغير وسعيد ابن منصور عن أبي ذر، وابن أبي شيبة وحده عن عثمان والخطيب في تاريخه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، والطبراني في الأوسط والخطيب وابن النجار عن ابن عمر ، والرافعي عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة الإمام عن عبد الله بن أبي أوفى والطبراني في الأوسط عن أنس ، ومنها: «من بنى مسجدًا يراه الله بنى الله له بيتًا في الجنة ، وإن مات من يومه غفر له». أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس،ومنها : «من بنى مسجدًا لا يريد به رياء ولا سمعة بنى الله له بيتًا في الجنة» أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة،ومنها: «من بنى مسجدًا بنى الله له بيتًا » قيل: وهذه المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : «وهذه المساجد التي في طريق مكة» ، أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة. فهذا مجموع الروايات التي وردت في بناء المساجد .

(٤٠٧) حديث : « من ألف المسجد ألفه الله تعالى » ، أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف، قاله العراقي. وهكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي وعزاه في=

وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » (٤٠٨).

وقال ﷺ : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » (٤٠٩).

= الجامع الصغير إلى المعجم الأصغر للطبراني فإن لم يكن سبق قلم من الناسخ فيحتمل أن يكون مذكوراً فيهما ، وقول العراقي : بسند ضعيف يشير إلى أن في سنده ابن لهيعة ، كما أفاده النور الهيثمي وهو ضعيف والكلام فيه مشهور .

(٤٠٨) حديث : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي السلمي بفتحتين، الأنصاري وله سبب خاص ، وذلك لأن أبا قتادة دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ جالسًا بين صحبه فجلس معهم فقال له : « ما منعك أن تركع » ؟ قال : رأيتك جالسًا والناس جلوس . . . » فذكره ، وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة .

قال مرتضى : ما ذكره من السياق هو بعينه نص البخاري والجماعة ، ووجد في بعض الروايات: « فلا يجلس حتى يركع ركعتين » ، وفي بعضها : « حتى يصلي » ، هكذا وجد بخط المناوي في شرح الجامع الصغير ، وفي بعض نسخ الجامع: «حتى يركع» كما عند البخاري والجماعة، وهكذا هو في الجامع الكبير، والله أعلم .

(٤٠٩) حديث : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » ، أخرجه الدارقطني في السنن من طريقين: الأولى ، قال : حدثنا ابن مخلد عن الجنيد بن حكيم عن أبي السكيت الطائي ، عن محمد بن السكيت عن عبد الله بن كثير الغنوي عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . الثانية ، قال : حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن المذكر عن محمد بن سعيد بن غالب العطار عن يحيى بن إسحق عن سليمان بن داود اليماني ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : فقد النبي ﷺ قوما في الصلاة فقال : «ما خلفكم» ؟ قالوا : لحاء كان بيننا . . . فذكره، ثم قال الدارقطني: إسناده ضعيف .

قال مرتضى : وأخرجه الحاكم والطبراني فيما أملاه ، ومن طريقه الديلمي عن أبي هريرة، وفي المهذب: فيه سليمان اليماني وهو ضعيف ، وقال عبد الحق : هذا حديث ضعيف وأقره عليه ابن القطان ، وفي الميزان قال الدارقطني في موضع: هو حديث مضطرب ، وفي موضع: منكر ضعيف ، وفي تخريج أحاديث الرافعي للحافظ : هذا حديث مشهور بين الناس وأسانيده ضعيفة وليس له سند ثابت ، وفي الباب عن علي وهو ضعيف أيضا .ا هـ . وقال: أخرجه الدارقطني أيضًا وقال في تخريج أحاديث الهداية: ورواه ابن حبان عن عائشة وفيه عمر ابن راشد يضع الحديث وهو عند الشافعي عن علي ورجاله ثقات . اهـ . وهو عنده من طريق أبي حيان التميمي عن أبيه عن علي وكذا أخرجه سعيد بن منصور في السنن وابن أبي شيبة في المصنف إلا أنه وقفه على عليّ ولفظه: « لا تقبل صلاة جار المسجد إلا في =

وقال ﷺ : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه، تقول اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، ما لم يحدث أو يخرج من المسجد »(٤١٠).

وقال ﷺ : «يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقًا حلقًا، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا ، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة »(٤١١).

وقال ﷺ : « قال الله عز وجل في بعض الكتب : إن بيوتي في أرضي المساجد ، وإن زواري فيها عمّارها ، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره»(٤١٢) .

= المسجد» ولعل كلام عبد الحق أن رواته ثقات يشير إلى حديث عليٍّ هذا ، ومن شواهده حديث أنس: « من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر » . والله أعلم .

(٤١٠) حديث : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه » أخرجه البخاري في الصلاة من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه فساق الحديث وفيه: « وإذا دخلَ المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يؤذ بحدث» ، وفي رواية: «ما لم يحدث فيه»، وعند الكشميهني: «ما لم يؤذ بحدث فيه» ، وأخرجه أيضا مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه كلهم في كتاب الصلاة، وأخرجه البخاري أيضًا في الجماعة، والله أعلم .

(٤١١) حديث: « يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقًا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة » أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود، والحاكم من حديث أنس، وقال صحيح الإسناد قاله العراقي .

قال مرتضى : لفظ الحاكم « يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم ، وليس همهم إلا الدنيا ، وليس لله فيهم حاجة، فلا تجالسوهم . وأخرج البيهقي في السنن عن الحسن مرسلا: « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة». ومما يقرب منه ما أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عمر: «يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ويصلّون وليس فيهم مؤمن » . وقد فهم من سياق الأحاديث أن التحلق في المساجد ممنوع إلا ما كان للعلم ومدارسته والقرآن وتلاوته والذكر وما أشبه ذلك، وسيأتي في آخر باب الجمعة .

(٤١٢) حديث : « قال الله عز وجل في بعض الكتب : إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره »=

وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » (٤١٣) .

وقال سعيد بن المسيب: من جلس فى المسجد فإنما يجالس ربه، فما حقه أن يقول إلا خيراً. ويروى فى الأثر أو الخبر : « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش » (٤١٤).

وقال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه . وقال علىٌّ كرم الله وجهه: إذا مات العبد

= أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف بلفظ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة : أين جيرانى؟ فتقول الملائكة : ومن ينبغى أن يكون جارك؟ فيقول : عمار مساجدى». هكذا هو نص الحلية، ونص العراقى منها: « من هذا الذى ينبغى أن يجاورك؟ فيقول : أين قراء القرآن وعمار المساجد ». قال : وأخرجه البيهقى فى الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله ﷺ بإسناد صحيح، وأسند ابن حبان فى الضعفاء آخر الحديث من حديث سليمان وضعفه ، قال : وللطبرانى من حديث سليمان مرفوعا: « من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائر لله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره» وإسناده ضعيف .

قال مرتضى : هكذا هو فى المعجم الكبير إلا أنه قال : أن يكرم الزائر. وقد وجدت سياق المصنف فى المعجم الكبير للطبرانى ، من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا بلفظ : « إن بيوت الله تعالى فى الأرض هي المساجد وإن حقا على الله أن يكرم من زاره فيها» .

(٤١٣) حديث : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان » ، **قال العراقى** : أخرجه الترمذي وحسنه ،وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أيضا أحمد وابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان والبيهقى فى السنن كلهم من حديث أبى سعيد ، قال الترمذى : حسن غريب . وتصحيح الحاكم له تعقبه الذهبى بأن فى سنده دراجا وهو كثير المناكير ، وقال مغلطاى فى شرح ابن ماجه: حديث ضعيف ، وعند الترمذى والحاكم وغيرهما بعد الحديث زيادة: فإن الله يقول: ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ .

(٤١٤) حديث : « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل .

يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان : ٢٩) .

وقال ابن عباس: تبكى عليه الأرض أربعين صباحًا . وقال عطاء الخرسانى: ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك : ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين، وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرفت له الأرض، ويقال: ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم .

* * *

الباب الثانى: فى كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائمًا متوجهًا إلى القبلة ويزاوج بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل ، وقد « نهى ﷺ عن الصفن والصفد فى الصلاة » (٤١٥) والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى : ﴿ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (إبراهيم :٤٩) .

والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل : ﴿ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ (ص: ٣١) . هذا ما يراعيه فى رجليه عند القيام .

ويراعى فى ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب، وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق ،والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر، وليكن بصره محصورا على مصلاه الذى يصلى عليه، فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطًا فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر، وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط، وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات ، هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقباله وإطراقه كذلك فليقرأ ﴿ قل أعوذ برب الناس﴾ تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالإقامة، وإن كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية، وهو أن ينوى فى الظهر مثلا ويقول بقلبه: أؤدى فريضة الظهر لله، ليميزها بقوله أؤدى عن القضاء وبالفريضة عن

(٤١٥) حديث : « نهى ﷺ عن الصفن والصفد فى الصلاة » قال العراقى : عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير فى النهاية ، وروى سعيد بن منصور فى سننه أن ابن مسعود رأى رجلا صافا أو صافنا قدميه فقال : أخطأ هذا السنة .اهـ.

النفل وبالظهر عن العصر وغيره، ولتكن معانى هذه الألفاظ حاضرة فى قلبه فإنه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها، ويجتهد أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب فإذا حضر فى قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حذو منكبيه (٤١٦) بعد إرسالهم بحيث يحاذى بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتى أذنيه وبرءوس أصابعه رءوس أذنيه ليكون جامعًا بين الأخبار الواردة فيه، ويكون مقبلا بكفيه وإبهامه إلى القبلة، ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضمًا بل يتركها على مقتضى طبعها إذ نقل فى الأثر النشر والضم وهذا بينهما فهو أولى .

وإذا استقرت اليدان فى مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية (٤١٧) ثم يضع اليدين على ما فوق السّرة وتحت الصدر، ويضع اليمنى على اليسرى إكرامًا لليمنى بأن تكون محمولة، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى ، وقد روى « **أن التكبير مع رفع اليدين** » (٤١٨) « **ومع استقرارهما**»(٤١٩) « **ومع الإرسال** » (٤٢٠) ، فكل ذلك لا حرج فيه، وأراه بالإرسال أليق فإنه

---

(٤١٦) حديث : « التكبير مع رفع اليد » هذا شروع فى بيان وقت الرفع، وفيه وجوه أحدها هو ما أشار إليه بقوله المذكور، ومراده أن يبتدئ الرفع مع ابتداء التكبير ، رواه البخارى من حديث ابن عمر: كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حين يكبر ، وقد تقدم ذكره قريبًا، ولأبى داود من حديث وائل بن حجر: يرفع يديه مع التكبير .

(٤١٧) حديث : « مع استقرار اليدين » **قال العراقى** : أى مرفوعتين، رواه مسلم من حديث ابن عمر: كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر، زاد أبو داود: وهما كذلك، وقال الرافعى فى تقرير هذا القول: أن يرفع غير مكبر ثم يكبر ويداه قارنتان ، ثم يرسلهما فيكون التكبير بين الرفع والإرسال ويروى ذلك عن ابن عمر مرفوعا .

(٤١٨) حديث : « التكبير مع رفع اليدين » رواه البخارى من حديث ابن عمر: كان يرفع يديه حين يكبر، ولأبى داود من حديث وائل: يرفع يديه مع التكبير .

(٤١٩) حديث : « التكبير مع استقرار اليدين أى مرفوعتين » رواه مسلم من حديث ابن عمر: كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر ، زاد أبو داود: وهما كذلك .

(٤٢٠) حديث : « أنه ﷺ كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى » أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ كان إذا كان =

كلمة العقد، ووضع إحدى اليدين على الأخرى فى صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع، ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد ، وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ، ثم لا ينبغى أن يرفع يديه إلى قدام رفعًا عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما إرسالا خفيفًا رفيقًا ، ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الإرسال . وفى بعض الروايات أنه ﷺ كان إذا كبر أرسل يديه، وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه ، وأما التكبير فينبغى أن يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة، ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو ، وذلك ينساق إليه بالمبالغة ، ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفًا كأنه يقول : أكبار، ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه .

(القراءة) ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح ، وحسن أن يقول(٤٢١) عقب قوله : الله أكبر، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا وجهت وجهى (٤٢٢) إلى قوله « وأنا من المسلمين » ، ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . ليكون جامعًا بين متفرقات ما ورد فى الأخبار(٤٢٣) ، وإن كان خلف الإمام اختصر

= فى صلاة رفع يديه حيال أذنيه فإذا كبر أرسلهما ثم سكت وربما رأيته يضع يمينه على يساره. . . الحديث، قال الحافظ تبعا لشيخه ابن الملقن سنده ضعيف فيه الخصيب بن جحدر كذبه شعبة والقطان .

(٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣) أحاديث : « وحسن أن يقول عقب قوله : الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، وجهت وجهى إلى قوله وأنا من المسلمين، ثم يقول : «سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» ليكون جامعًا بين متفرقات ما ورد من الأخبار، خلافا لمالك حيث قال : لا يستفتح بعد التكبير إلا بالفاتحة والدعاء والتعوذ يقدمها على التكبير ولأبى حنيفة وأحمد حيث قالا يستفتح بقوله : سبحانك اللهم . . . الخ . وقول المصنف: ليكون جامعًا . . . الخ . ومثله فى القوت وفى الأذكار للنووى بعد أن ذكر الأدعية المذكورة قال : فيستحب الجمع بينها كلها ، وقال الحافظ فى تخريج الأذكار: **قال مرتضى:** لم يرد بذلك حديث وقد استحب الجمع بين وجهت وسبحانك أبو يوسف صاحب أبى حنيفة، وأبو إسحق المروزى من كبار الشافعية وبوّب البيهقى لذلك وأورد فيه حديثًا عن جابر سيأتى ذكره .اهـ. =

= قال مرتضى : وقال الرافعي وذكر بعض الأصحاب أن السنة في الاستفتاح أن يقول: سبحانك اللهم ... الخ، ثم يقول: وجهت وجهي ... الخ جمعا بين الأخبار ، ويحكى هذا عن أبي إسحق المروزي وأبي حامد وغيرهما .ا هـ . فعلم من ذلك أن غير أبي إسحق من الشافعية أيضا يرى ذلك ، ولنعد إلى تخريج ما أورده المصنف من الأذكار الثلاثة فنقول: قال النووي في الأذكار: اعلم أنه جاءت أحاديث كثيرة يقتضي مجموعها أن يقول: الله أكبر كبيراً ...الخ ، قال الحافظ : جميع ما ذكره من ثلاثة أحاديث أخرجها مسلم ، وأخرج البخاري الثالث منها فقط ،الأول حديث ابن عمر قال : بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا، فلما سلم النبي ﷺ من صلاته ، قال: من القائل كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله،فقال : لقد رأيت أبواب السماء قد فتحت لها ، قال ابن عمر : فما تركت منذ سمعت من رسول الله ﷺ . أخرجه مسلم عن أبي خيثمة زهير بن حرب والترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي والنسائي عن محمد بن شجاع ثلاثتهم عن إسماعيل بن إبراهيم وهو المعروف بابن علية عن الحجاج بن أبي عثمان عن أبي الزبير عن عون بن عبد الله بن عتبة عن عمر ، وأخرجه أيضًا أحمد عن ابن علية. الثاني حديث علي بن أبي طالب وهو الذي أورده الرافعي ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك . أخرجه مسلم عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن عبد الرحمن بن مهدي ، وأخرجه أيضا عن إسحق بن إبراهيم عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، وأخرجه أبو داود عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه، وأخرجه الترمذي عن الحسن بن علي الخلال عن أبي الوليد الطيالسي وعن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ببعضه، وأخرجه ابن خزيمة عن محمد بن يحيى عن حجاج بن المنهال وعبد الله بن صالح وأحمد بن خالد ، وأخرجه الطحاوي عن الحسين بن نصر عن يحيى بن حسان ، وأخرجه ابن حبان من رواية سويد بن عمرو، وأخرجه الطبراني في الدعاء من رواية عبد الله بن رجاء وحجاج بن المنهال وأبي عتاب مالك بن إسماعيل ، وأخرج أبو نعيم في المستخرج من رواية عاصم بن علي وأبي داود الطيالسي ، وأخرجه الدارمي في السنن عن يحيى بن حسان كلهم وهم ثلاثة عشر نفسا عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عمه يعقوب بن الماجشون عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي ووقع في رواية سويد بن عمر ، وفي أوله إذا قام إلى الصلاة المكتوبة ومثله للبيهقي من وجه آخر عن الأعرج ، وأخرجه الشافعي عن مسلم ابن خالد وعبد المجيد بن أبي داود كلاهما عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن الأعرج . =

= وزاد فيه: سبحانك وبحمدك، بعد قوله: لا إله إلا أنت، وفيه أيضا: والمهدى من هديت، بعد قوله: في يديك، ووقع في رواية البيهقي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة من الزيادة بعد قوله: لبيك وسعديك أنا بك وإليك لا ملجأ منك إلا إليك. وقد روى بمثل حديث على عن جابر أيضًا ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة كبر، ثم قال: « إن صلاتي ونسكي إلى قوله: أول المسلمين، اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت وقني سيئ الأعمال والأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت » هكذا أخرجه النسائي وابن جوصا في المسند عن عمرو بن عثمان عن أبي صعوة عن شعيب ابن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر، وهكذا أخرجه الطبراني من طريقين عن عمرو بن عثمان.

(تنبيه) قول المصنف: وأنا من المسلمين، مع كونه مخالفا لما في سياق الآية أشار به إلى ما اختاره الشافعي رضي الله عنه وله فيه طريقان تشكيكا وجزما. أما الأول فرواه عن مسلم بن خالد وغيره من الشيوخ كلهم عن ابن جريج عن موسى بن عقبة، فذكر الحديث وأوله كان إذا افتتح الصلاة، وقال بعضهم كان إذا ابتدأ الصلاة يقول: وجهت وجهي ... فذكره بلفظ: وأنا أول المسلمين، قال: وشككت بأن أحدهم قال: وأنا من المسلمين والمحفوظ في حديث على عند مسلم وأبي داود وغيرهما من الأئمة ما يدل صريحًا على أنه على وفق الآية وأن من ذكره بلفظ: من المسلمين أراد المناسبة لحال من بعد النبي ﷺ، ولهذا قال الشافعي بعد أن أخرجه على الترديد في اللفظين: أحب أن يقول: وأنا من المسلمين بدل: وأنا أول المسلمين، أما وروده جزمًا فقد أخرجه الطبراني في الدعاء من طريق هشام بن سليمان عن ابن جريج كذلك، وقال في روايته: حنيفًا مسلمًا، ووقع كذلك في رواية الماجشون عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن على، أخرجه مسلم والترمذي و المعمري في اليوم والليلة والبزار والطبراني في الدعاء كلهم من طرق عن يوسف بن يعقوب الماجشون عن أبيه عن الأعرج، ولايخفى أن حمل كلام الشافعي: وأنا أحب ... الخ، على هذا أولى من التشكيك والترديد فتأمل. فهذان الحديثان هما اللذان أخرجهما مسلم وذكرهما المصنف، وأما الحديث الثالث الذي أخرجه البخاري في هذا الباب فسيأتي ذكره في الآخر. وأما قول المصنف: ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك ... الخ. فقد روى ذلك من حديث أبي الجوزاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، أخرجه الحاكم عن الأصم عن العباس الدوري وأبو داود عن حسين بن عيسى كلاهما عن طلق بن غنام عن عبد السلام بن حرب عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء، قال الحاكم: وهو صحيح على شرط الشيخين، وقد نوزع فيه، وقد روى حارثة بن محمد عن عمرة عن عائشة بلفظ: كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه فيكبر، ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك فذكر مثل الأول، أخرجه أحمد عن أبي معاوية عن حارثة بن محمد، **قال العراقي**: وهو متفق على ضعفه، وأخرجه الترمذي عن الحسن بن =

إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ الفاتحة يبتدىء فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد فى الفرق بين

= عرفة وابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى وعبد الله بن عمران ،وابن خزيمة فى صحيحه عن مسلم بن جنادة كلهم عن أبى معاوية بالسند المذكور، وله طريق أخرى عن عائشة ضعيفة ساقها البيهقى فى الخلاف والطبرانى فى الدعاء والدارقطنى فى السنن من طريق عطاء بن أبى رباح عنها ، وفى سند الجميع سهل بن عامر وهو متروك ، **قال الحافظ** : وقد روى موقوفا على عطاء رواه السلفى من طريق أبى الأحوص الحسن بن عبد الملك ، قال: سأل رجل عطاء بن أبى رباح فقال : كيف أقول إذا افتتحت الصلاة ؟ قال : سبحانك اللهم وبحمدك فذكر مثله ، قال : وهذا يشعر بأن لهذا المرفوع أصلا، وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة كبر ، ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. أخرجه الترمذى والنسائى جميعا عن محمد بن موسى والدارقطنى من رواية إسحق بن أبى إسرائيل والطبرانى فى الدعاء من رواية عبد الرزاق والحسن ابن الربيع وعبد السلام بن مطهر وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن زيد بن الحباب والنسائى أيضا عن عبيد الله بن فضالة عن عبد الرزاق والدارمى عن زكريا بن عدى ستتهم عن جعفر بن سليمان الضبعى عن على بن على الرفاعى وكان يشبه بالنبى ﷺ عن أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى، وأخرجه البيهقى من وجه آخر عن أبى سعيد ، قال الترمذى : حديث أبى سعيد أشهر شىء فى هذا الباب وبه يقول أكثر أهل العلم .اهـ. وقد روى الاستفتاح بسبحانك اللهم عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا منهم ابن مسعود، أخرج حديثه الطبرانى فى الدعاء بسندين إليه ، وأشار البيهقى إلى أنه من رواية أبى عبيدة بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه، ومنهم أنس بن مالك أخرج حديثه أبو يعلى والدارقطنى والطبرانى كلهم من رواية حميد عنه والطبرانى أيضا من وجه آخر عن أنس من غير رواية حميد ، ومنهم واثلة ابن الأسقع والحكم بن عمير وعمرو بن العاص أخرج حديثهم الطبرانى فى المعجم الكبير ، ومنهم جابر بن عبد الله . أخرج حديثه البيهقى بسند جيد ، ومنهم عمر بن الخطاب روى عنه موقوفا ومرفوعا . أما الأول فأخرجه الحاكم من طريق شعبة عن الحكم عن عتيبة عن إبراهيم النخعى عن الأسود بن يزيد أن عمر رضي الله عنه حين افتتح الصلاة كبر، ثم قال: سبحانك اللهم . . إلى ولا إله غيرك ، وأخرجه الدارقطنى من رواية أبى معاوية ومحمد بن فضيل وحفص بن غياث ثلاثتهم عن الأعمش، زاد ابن فضيل: وعن حصين بن عبد الرحمن كلاهما عن إبراهيم النخعى فذكر مثله، وزاد هارون بن إسحق أحد رواته عن محمد بن فضيل فى روايته: يسمعنا ذلك ليعلمنا، قال الدارقطنى : هذا صحيح عن عمر من قوله . وأما الثانى الذى رفعه إلى النبى ﷺ : فأخرجه الدارقطنى أيضا من رواية عبد الرحمن بن عمرو بن شيبة عن أبيه عن نافع عن ابن عمر عن أبيه عن النبى ﷺ . قال: ورواه يحيى بن أيوب عن عمر بن شيبة عن نافع عن ابن عمر موقوفا على عمر وهو الصواب .

الضاد والظاء ، ويقول آمين فى آخر الفاتحة ويمدها مداً ، ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا . ويجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأمومًا، ويجهر بالتأمين ، ثم يقرأ السورة، أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ، ولا يصل إلى آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينهما بقدر قوله : سبحان الله، ويقرأ فى الصبح من السور الطوال من المفصل ، وفى المغرب من قصاره ، وفى الظهر والعصر والعشاء نحو: والسماء ذات البروج وما قاربها ، وفى الصبح فى السفر : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وكذلك فى ركعتى الفجر والطواف والتحية، وهو فى جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا فى أول الصلاة .

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعى فيه أموراً ، وهو أن يكبر للركوع ، وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدّاً إلى الانتهاء إلى الركوع ، وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع، وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق ، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما، وأن يمد ظهره مستويا ، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع ، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه ، وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها ، وأن يقول : سبحان ربى العظيم ثلاثًا والزيادة إلى السبعة وإلى العشر حسن إن لم يكن إماما ، ثم يرتفع مع الركوع إلى القيام ، ويرفع يديه ويقول : سمع الله لمن حمده ويطمئن فى الاعتدال ، ويقول : ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، ولا يطوّل هذا القيام إلا فى صلاة التسبيح والكسوف والصبح، ويقنت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (٤٢٤) .

(٤٢٤) حديث : « القنوت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود » قال الرافعى: القنوت مشروع فى صلاتين إحداهما النوافل وهى : الوتر فى النصف الأخير من رمضان ، والثانية فى الفرائض وهى الصبح فيستحب القنوت فيها فى الركعة الثانية خلافًا لأبى حنيفة حيث قال : لا يستحب، وعن أحمد أن القنوت للأئمة يدعون للجيوش وإن ذهب إليه =

= ذاهب فلا بأس ومحله بعد الرفع من الركوع خلافًا لمالك حيث قال : يقنت قبل الركوع، لنا ما روى عن ابن عباس وأبى هريرة وأنس أن النبى ﷺ قنت بعد رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة ،والقنوت أن يقول : « اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وقنى شر ما قضيت فإنك تقضى ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت » هذا القدر يروى عن الحسن بن على أن رسول الله ﷺ علمه وزاد العلماء فيه: « ولا يعز من عاديت » قيل: « تباركت وتعاليت» وبعده « فلك الحمد على ما قضيت أستغفرك وأتوب إليك » ولم يستحسن القاضى أبو الطيب كلمة : « ولا يعز من عاديت » وقال : لا تضاف العداوة إلى الله تعالى، قال سائر الأصحاب: وليس ذلك ببعيد ا. هـ . قال النووى فى الروضة:

قال مرتضى : قال جمهور أصحابنا: لا بأس بهذه الزيادة، وقال أبو حامد والبندنيجى وآخرون : مستحبة، واتفقوا على تغليط القاضى أبى الطيب إنكار: لا يعز من عاديت وقد جاءت فى رواية البيهقى . اهـ.

قال مرتضى : أما حديث ابن عباس فى القنوت بعد رفع الرأس من الركوع، فقد أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث هلال بن خباب عن عكرمة عنه. وأما حديث أبى هريرة فمتفق عليه، وكذا حديث أنس، وللبخارى مثله من حديث عمر ولمسلم عن خفاف بن إيماء، وقال البيهقى : رواة القنوت بعد الرفع أكثر وأحفظ وعليه درج الخلفاء الراشدون ، وروى الحاكم أبو أحمد فى الكنى عن الحسن البصرى قال : صليت خلف ثمانية وعشرين بدريا كلهم يقنت فى الصبح بعد الركوع. وإسناده ضعيف ، وقول الرافعى: هذا القدر يروى عن الحسن بن على عن النبى ﷺ ، قال الحافظ : نعم لكن ليس فيه عنه أن ذلك فى الصبح بل رواه أحمد والأربعة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطنى والبيهقى من طريق يزيد ابن أبى مريم عن أبى الجوزاء عنه وأسقط بعضهم الواو من قوله: إنه لا يذل، وأثبت بعضهم الفاء فى قوله : فإنك تقضى، وزاد الترمذى قبل «تباركت» «سبحانك» ولفظهم عن الحسن قال: علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر ، ونبه ابن خزيمة وابن حبان على أن قوله: فى قنوت الوتر ،تفرد به أبو إسحق عن يزيد بن أبى مريم وتبعه ابناه يونس وإسرائيل كذا قال ورواه شعبة وهو أحفظ من مائتين مثل أبى إسحق وأثبت فلم يذكر فيه القنوت ولا الوتر، وإنما قال: كان يعلمنا هذا الدعاء، وقد رواه البيهقى من طرق قال فى بعضها : قال يزيد بن أبى مريم فذكرت هذا لابن الحنفية ، فقال إنه الدعاء الذى يدعو به فى صلاة الفجر ، ورواه من طريق عبد المجيد بن أبى رواد ، عن ابن جريج ، عن عبد الرحمن ابن هرمز وليس هو الأعرج عن يزيد بن أبى مريم سمعت ابن الحنفية وابن عباس يقولان : كان النبى ﷺ يقنت فى صلاة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات ، وأما زيادة: ولا يعز من عاديت قبل تباركت وتعاليت فثابتة فى الحديث ، كما قاله الرافعى : إلا أن النووى قال فى الخلاصة : إن البيهقى رواها بسند ضعيف وتبعه ابن الرفعة فى المطلب ، فقال: لم تثبت هذه الرواية ، قال الحافظ : وهو معترض فإن البيهقى رواها من طريق إسرائيل بن يونس عن أبى =

= إسحق عن يزيد بن أبى مريم عن أبى الجوزاء عن الحسن أو الحسين بن على فساقه بلفظ الترمذى ؛ وفيه: ولا يعز من عاديت ، وأخرجه أحمد فى مسند الحسين بن على من غير تردد من طريق شريك عن أبى إسحق ، وهذا وإن كان الصواب خلافه والحديث من حديث الحسن لا من حديث أخيه الحسين فإنه يدل على أن الوهم فيه من حديث أبى إسحق فلعله ساقه من حفظه فنسى، والعمدة فى كونه الحسن بن على رواية يونس بن أبى إسحق عن يزيد بن أبى مريم وعلى رواية شعبة عنه كما تقدم ، ثم إن الزيادة المذكورة قد رواها أيضا الطبرانى من حديث شريك وزهير بن معاوية عن أبى إسحق ، ومن حديث الأحوص عن أبى إسحق ، وقد وقع لنا عاليا جدا فيما أخبرناه السيد العلامة عمر بن أحمد بن عقيل ، أخبرنا عبد الله بن سالم ، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ ، أخبرنا على بن يحيى ، أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ ، أخبرنا أحمد بن على الحافظ، قال : قرأته على أبى الفرج بن حماد أن عليّا بن إسماعيل ، أخبره أخبرنا إسماعيل بن عبد القوى أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير ، أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا سليمان بن المتوكل حدثنا عفان بن مسلم حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحق عن يزيد بن أبى مريم عن أبى الجوزاء عن الحسن بن على قال : علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى قنوت الوتر : اللهم اهدنى فيمن هديت . . . فذكر الحديث مثل ما ساقه الرافعى ، وزاد: ولا يعز من عاديت .

(تنبيه) روى الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الله بن سعيد المقبرى عن ابيه عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع فى صلاة الصبح فى الركعة الثانية رفع يديه فيدعو بهذا الدعاء: اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت إنك تقضى ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت .قال الحاكم : صحيح، قال الحافظ : وليس كما قال هو ضعيف لأجل عبد الله ، وعبد الله لو كان ثقة لكان الحديث صحيحًا وكان الاستدلال به أولى من الاستدلال بحديث الحسن الوارد فى قنوت الوتر .

قال مرتضى : ثم قول الرافعى: والإمام لا يخص نفسه بل يذكر بلفظ الجمع ، فقد قال النووى فى المنهاج: ويسن أن يقنت الإمام بلفظ الجمع، قال شارحه :لأن البيهقى رواه فى إحدى روايتيه هكذا بلفظ الجمع فحمل على الإمام فيقول : اهدنا وهكذا، وفيه فى أذكاره وقضية هذا مطردة فى سائر أدعية الصلاة، وبه صرح القاضى حسين والغزالى فى الإحياء فى كلامه على التشهد ، ونقل ابن المنذر فى الاشراف عن الشافعى قال : لا أحب للإمام تخصيص نفسه بالدعاء دون القوم والجمهور لم يذكروه إلا فى القنوت ، وذكر ابن القيم أن أدعية النبى ﷺ كلها بالإفراد ولم يذكر الجمهور التفرقة بين الإمام وغيره إلا فى القنوت ، وكان الفرق بين القنوت وغيره أن الكل مأمورون بالدعاء بخلاف القنوت فإن المأموم يؤمن فقط قال : وهذا هو الظاهر كما أفتى به شيخى يعنى الشهاب الرملى، قال : وظاهر كلام المصنف=

السجـود

ثم يهوى إلى السجود مكبراً فيضع ركبتيه على الأرض ، ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه فى غير الركوع ، وينبغى أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتيه، وأن يضع بعدهما يديه ، ثم يضع بعدهما وجهه وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض ، وأن يجافى مرفقيه عن جنبه ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يفرج بين رجليه ولا تفعل

= كأصله تعيين هذه الكلمات للقنوت وهو وجه اختاره الغزالى والذى رجحه الجمهور أنها لا تتعين وعلى هذا لو قنت بما روى ابن عمر فى الوتر: اللهم إنا نستعينك . . . إلخ . كان حسنا ويسن الجمع بينهما للمنفرد ولإمام قوم محصورين راضين بالتطويل ، ثم قال الرافعى : وهل يسن الصلاة على النبى ﷺ فى القنوت؟ فيه وجهان : أحدهما لا لأن أخبار القنوت لم ترد به ،وأصحهما وبه قال الشيخ أبو محمد : نعم لما روى من حديث الحسن أنه قال ﷺ : تباركت وتعاليت وصل اللهم على النبى وآله وسلم ، ثم قال : الذى عند النسائى من حديث ابن وهب عن يحيى بن عبد الله بن سالم عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن على عن الحسن بن على، وصلى الله على النبى ليس فى السنن غير هذا وليس فيه وسلم ولا آله ، قال الحافظ : وهم المحب الطبرى فى الأحكام فعزاه إلى النسائى بلفظ: وصلى الله على النبى محمد ، وقال النووى فى شرح المهذب: إنها زيادة بسند صحيح أو حسن ، قال الحافظ : وليس كذلك فإن عبد الله بن على وهو ابن الحسين بن على لم يلق الحسن بن على ومع ذلك فقد اختلف فيه على موسى بن عقبة فى إسناده ، وتفرد يحيى بن عبد الله بن سالم عنه بقوله: عن عبد الله بن على وبزيادة الصلاة فيه .

(تنبيه) قال الرافعى : حكى أبو الفضل بن عبدان عن أبى هريرة أنه قال : المستحب ترك القنوت فى صلاة الصبح إذ صار شعار قوم من المبتدعة إذ الاشتغال به يعرض النفس للتهمة ، وهذا غريب وضعيف ، ثم قال الرافعى : وهل يجهر الإمام فى الصلاة فى القنوت فيه وجهان . أحدهما : لا كسائر الدعوات وأظهرهما أنه يجهر ، أما المنفرد فيسر به، ذكره فى التهذيب ، وأما المأموم فالقول فيه مبنى على الوجهين فى الإمام، والأصح: إن كان يسمع صوته أنه يؤمن ولا يقنت . وثانيهما ذكره ابن الصباغ أنه يخير بين التأمين والقنوت معه، فعلى الأول فبماذا يؤمن؟ فيه وجهان حكاهما الرويانى وغيره أوفقهما لظاهر الخبر أنه يؤمن فى الكل وأظهرهما أنه يؤمن فى القدر الذى هو دعاء ، أما فى الثناء فيشاركه أو يسكت ، وإن كان بعيداً عن الإمام بحيث لا يسمع صوته فيه وجهان أحدهما أنه يقنت، والثانى يؤمن، قال: وقد روى رفع اليدين فى القنوت عن ابن مسعود وعمر وعثمان وهو اختيار أبى زيد والشيخ أبى محمد وابن الصباغ وهو الذى ذكره فى الوسيط وأظهرهما عند صاحب المهذب والتهذيب أنه لا يرفع وهذا اختيار القفال وإليه ميل إمام الحرمين .

المرأة ذلك ، وأن يكون سجوده مخويا على الأرض ولا تكون المرأة مخوية ، والتخوية رفع البطن عن الفخذين ، والتفريج بين الركبتين ، وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ، ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما ، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب(٤٢٥) فإنه منهى عنه ، وأن يقول : سبحان ربى الأعلى ثلاثًا ، فإن زاد فحسن إلا أن يكون إمامًا ، ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسًا معتدلاً فيرفع رأسه مكبرًا ويجلس على رجله اليسرى ، وينصب قدمه اليمنى ، ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ، ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول : رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ، ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح ، ويأتى بالسجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالسًا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقيبها ، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ، ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ، ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الهاء من قوله : الله عند استوائه جالسًا ، وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام ، وراء أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله ، ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ، ويصلى الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء .

التشهد

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول ، ثم يصلى على رسول الله ﷺ وعلى آله ، ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة ولا بأس بإرسال الإبهام أيضا ، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله : إلا الله ، لا عند قوله : لا إله ، ويجلس فى

---

(٤٢٥) حديث : « النهى عن افتراش ذراعه فى السجود » ، رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث شعبة عن قتادة عن أنس رفعه : « اعتدلوا فى السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب أى فإن المنبسط يشبه الكسالى ويشعرحاله بالتهاون لكن لو تركه صحت صلاته مع ارتكابه النهى . وفى حديث أبى حميد عند البخارى : فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما .

بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه ، وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل ، فإن لم ينو صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة، ويُسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد، ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ، ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية وكذلك المأموم، ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معًا لا تعقيبًا، ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ، ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام، ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام ، ويقول الإمام : سمع الله لمن حمده، عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ، ولا يزيد الإمام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ، ولا يزيد فى التشهد الأول بعد قوله : اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد ويقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ، ولا يزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله ﷺ ، وينوى عند السلام السلامَ على القوم والملائكة ، وينوى القوم بتسليمهم جوابه، ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ، ويقبل على الناس بوجهه، والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الإمام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلىّ، ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول : اللهم اهدنا، ويجهر به ويؤمّن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور، ويمسح الوجه عند ختم الدعاء لحديث نقل فيه ، وإلا فالقياس ألا يرفع اليد كما فى آخر التشهد .

المنهيات

نهى رسول الله ﷺ عن الصفن فى الصلاة والصفد (٤٢٨) وقد ذكرناهما ، وعن

---

(٤٢٨) حديث : « النهى عن الصفن فى الصلاة » عزاه رزين إلى الترمذى ، وقال العراقى: ولم أجده عنده ولا عند غيره .

قال مرتضى : وهكذا أورده السهروردى فى العوارف وأصل هذا فى كتاب القنوت .

الإقعاء(٤٢٩) وعن السدل (٤٣٠) ، والكف(٤٣١)، وعن الاختصار (٤٣٢) ، وعن الصلب (٤٣٣)

---

(٤٢٩) حديث : « النهى عن الإقعاء في الصلاة » ، رواه الحاكم في المستدرك من حديث سمرة وصححه وروى الترمذى وابن ماجة من حديث الحارث الأعور عن على : لا تُقْع بين السجدتين ، وروى ابن السكن في صحيحه عن أبى هريرة رفعه: نهى عن التورك والإقعاء في الصلاة ، وقال النووى في الخلاصة: قال بعض الحفاظ : ليس فى الإقعاء حديث صحيح إلا حديث عائشة وسيأتى الكلام عليه وأخرج ابن ماجه من حديث على وأبى موسى رفعاه: لا تُقْع إقعاء الكلب. وسنده ضعيف، وعند أحمد والبيهقى من حديث أبى هريرة: نهانى رسول الله ﷺ عن نقرة كنقرة الديك والتفات كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب . وفى إسناده ليث بن أبى سليم، وأخرج ابن ماجه من حديث أنس بلفظ: إذا رفعت رأسك من السجود فلا تقع كما يقع الكلب ضم إليك بين قدميك والزق ظاهر قدميك بالأرض. وفى إسناده العلاء بن زيد وهو متروك .

(٤٣٠) حديث : « النهى عن السدل» بفتح السين وسكون الدال المهملتين، أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة: بلفظ نهى عن السدل فى الصلاة. **قاله العراقى** .

قال مرتضى : إلا أن الترمذى قال: لا يعرف من حديث عطاء عن أبى هريرة إلا من حديث عسل بن سفيان . ا هـ . قال الصدر المناوى: وعسل هو ابن فروة اليربوعى ضعيف .

(٤٣١) حديث : « النهى عن الكف » فى الصلاة، وفى بعض النسخ: الكفت، وكلاهما صحيح، أخرجه الشيخان من طريق عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس بلفظ: أمر النبى ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ، ولا يكف شعراً ولا ثوبا. وفى رواية لهما: أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف ثوبا ولا شعرا . وأخرج البخارى من طريق وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ولا نكفت الثياب والشعر. وأصل الكف الضم والجمع ومثله الكفت، ومنه ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا ﴾ .

(٤٣٢) حديث : « النهى عن الاختصار في الصلاة » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ: نهى أن يصلى الرجل مختصراً. **قاله العراقى** .

قال مرتضى : ورواه أيضًا الترمذى باللفظ الأول، وقال الصدر المناوى: رواه الشيخان فى الصلاة عن أبى هريرة: ولفظ البخارى : نهى رسول الله ﷺ عن الخصر فى الصلاة .

(٤٣٣) حديث : « النهى عن الصلب فى الصلاة » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح .

وعن المواصلة(٤٣٤)، وعن صلاة الحاقن (٤٣٥)، والحاقب (٤٣٦)، والحازق (٤٣٧)، وعن صلاة الجائع والغضبان (٤٣٨) ، والمتلثم (٤٣٩)وهو ستر الوجه .

أما الإقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب، وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رءوس أصابع الرجلين والركبتين.

وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك، وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم، والقميص في معناه

(٤٣٤) حديث : « النهى عن المواصلة فى الصلاة » قال العراقى : عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده ووجد بخط ابن حجر ما نصه أنه عزاه بعضهم إلى الإمام أحمد قال : حدثنا ابن إدريس عن ليث بن أبى سليم عن نافع عن ابن عمر، والحديث ليس فى المسند وقد أنكره جماعة من متقدمى أصحاب أحمد وسيأتى الكلام عليه قريبًا .

(٤٣٥) حديث : « النهى عن صلاة الحاقن » بالنون، رواه ابن ماجه من حديث أبى أمامة بلفظ: إن رسول الله ﷺ نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن. وله وللترمذى وحسنه نحوه عن ثوبان ويروى: وهو حقن حتى يتخفق .

(٤٣٦) حديث : « النهى عن صلاة الحاقب » بالباء الموحدة، قال العراقى : لم أجده بهذا اللفظ ومعناه على ما فسره المصنف فيما سيأتى عند مسلم من حديث عائشة: لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان .

(٤٣٧) حديث : « النهى عن صلاة الحازق والجائع والغضبان» ، بالزاى والقاف، قال العراقى : عزاه رزين إلى الترمذى ولم أجده عنده وإنما ذكره أصحاب الغريب، قالوا: ولا رأى لحازق بالمعنى الذى ذكره المصنف .

(٤٣٨) حديث : « عن صلاة الجائع» ومعناه فى حديث ابن عمر وعائشة عند البخارى ومسلم: « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » .
وعن صلاة الغضبان سيأتى الكلام عليه فيما بعد .

(٤٣٩) حديث : « عن صلاة المتلثم » اسم فاعل من التلثم وهو ستر الوجه، والنهى عن التلثم فى الصلاة روى معناه فى حديث أبى هريرة بسند حسن: نهى أن يغطى الرجل فاه. أخرجه أبو داود وابن ماجه ورواه الحاكم وصححه .

فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص ، وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والأول أقرب .

وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود ، وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره ، والنهي للرجال ،وفي الحديث: « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوبا » (٤٤٠) وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف .

وأما الاختصار فأن يضع يديه على خاصرتيه ، وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام .

وأما المواصلة فهي خمسة، اثنان على الإمام ألا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم ألا يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ولا تسليمه بتسليمه، وواحدة بينهما ألا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما .

وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف الضيق ، فإن كل ذلك يمنع الخشوع ، وفي معناه الجائع والمهتم ، وفهم نهي الجائع من قوله ﷺ « إذا

---

(٤٤٠) حديث : « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوبا » هكذا هو نص القوت والحديث متفق عليه ، قال البخاري : باب السجود على سبعة أعظم ، حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس: أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ولا يكف شعرا ولا ثوبا : الجبهة واليدين والركبتين والرجلين . ثم قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة عن عمرو عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، قال: أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم ، ولا نكف ثوبا ولا شعرا . ثم قال في الباب الذي يليه : حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا وهيب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة - وأشار بيده إلى أنفه - واليدين، والركبتين ، وأطراف القدمين ، ولا نكفت الثياب والشعر » وهذا أخرجه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن ابن عباس .

حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب»(٤٤١) وفى الخبر: « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب، ولا يصلين أحدكم وهو غضبان» (٤٤٢) وقال الحسن : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع .

وفى الحديث : « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان: الرعاف، والنعاس، والوسوسة،والتثاؤب، والحكاك ،والالتفات، والعبث بالشيء » (٤٤٣) وزاد بعضهم: السهو والشك .

---

(٤٤١) حديث : « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة .اهـ.

قال مرتضى : وفى صحيح البخارى باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة ، كان ابن عمر يبدأ بالعشاء، وقال أبو الدرداء: من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وهو فارغ ، حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن هشام حدثنى أبي سمعت عائشة ﵂ عن النبى ﷺ أنه قال :«إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » ، ثم قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قدم العشاء فابدءوا قبل أن تصلوا صلاة المغرب ، ولا تعجلوا عن عشائكم» ، ثم قال : . حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ولا يعجل حتى يفرغ منه» وكان ابن عمر يوضع له الطعام، وتقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ وإنه ليسمع قراءة الإمام ، وقال زهير ووهب بن عثمان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى ﷺ : « إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضى حاجته منه ، وإن أقيمت الصلاة » . اهـ . نص البخارى .

(٤٤٢) حديث : « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقضب، ولا يصلين أحدكم وهو غضبان» هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى:** لم أجده ، وقال الحسن : كل صلاة لا يحضر فيها القلب - يعنى بحضور القلب الخشوع - فهى إلى العقوبة أسرع . هكذا أورده صاحب القوت فى آخر الباب، والمراد بالحسن عند الإطلاق هو البصرى .

(٤٤٣) حديث : « سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان : الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء» ، **قال العراقى :** أخرجه الترمذى من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده، فذكر منها: الرعاف والنعاس والتثاؤب ، وزاد ثلاثة أخرى، وقال: حديث غريب . ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاصى: يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى . . . الحديث، وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس=

وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات، ومسح الوجه، وتسوية الحصى، وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك. ونهى أيضًا عن أن يشبك أصابعه (٤٤٤)، أو يفرقع أصابعه(٤٤٥)، أو يستر وجهه (٤٤٦)، أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع (٤٤٧)، وقال بعض الصحابة ﷺ: كنا نفعل ذلك فنهينا عنه. ويكره أيضًا

= يختلسه الشيطان من صلاة العبد. وللشيخين من حديث أبي هريرة: التثاؤب من الشيطان. ولهما من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى . . . الحديث.

قال مرتضى: وأخرج أبو داود والنسائي عن أبي ذر: « لا يزال الله مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه ». ولهذا قال المتولي بحرمته، وقال الأذرعي: المختار أنه إن تعمد مع علمه حرم، بل تبطل إن فعله لعبًا.

(٤٤٤) حديث: « النهي عن أن يشبك أصابعه في الصلاة »، **قال العراقي**: النهي عن تشبيك الأصابع في الصلاة أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة، ولأبي داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان نحوه من حديث كعب بن عجرة.

قال مرتضى: أراد بذلك قوله ﷺ: « إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه، ثم خرج عامدًا إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في الصلاة ».

(٤٤٥) حديث: « النهي عن أن يفرقع أصابعه » **قال العراقي**: رواه ابن ماجه من حديث عليّ بإسناد ضعيف: لا تفرقع أصابعك في الصلاة.

قال مرتضى: كذا هو في الجامع الكبير للسيوطي إلا أنه قال: وأنت في الصلاة.

قال مرتضى: إلا أنه أعلّ بالحارث الأعور، وفي المستصفى: هو من عمل قوم لوط فيكره التشبه بهم، وعلى هذا فيكره خارج الصلاة أيضًا.

(٤٤٦) حديث: « النهي عن أن يستر وجهه » لأنه من فعل الجاهلية، كانوا يتلثمون فيغطون وجوههم فنهوا عنه لأنه ربما منع من إتمام القراءة أو إكمال السجود. وقد روى معناه في حديث أبي هريرة: نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة. رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: « لا يصلي أحدكم وثوبه على أنفه فإن ذلك خطم الشيطان». وذكر الحجاوي في إقناعه من المكروهات في الصلاة تغطية الوجه والتلثم على الفم والأنف.

(٤٤٧) حديث: « النهي عن أن يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع » قال بعض الصحابة وهو سعد بن أبي وقاص ﷺ: كنا نفعل ذلك فنهينا عنه، أخرجه =

أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف وأن يسوى الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها، ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه ، ولا يستند فى قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالأظهر بطلان صلاته ، والله أعلم .

تمييز الفرائض والسنن

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها ، فالفرض من جملتها اثنتا عشرة خصلة منها : النية، والتكبير، والقيام،

= الشيخان والأربعة ، قال البخارى :حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة عن أبى يعقوب سمعت مصعب بن سعد يقول : صليت إلى جنب أبى فطبقت بين كفى ثم وضعتهما بين فخذى فنهانى أبى وقال: كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب . ا هـ . وفى كتاب الفتوح لسيف عن مسروق أنه سأل عائشة عن التطبيق فأجابته بما محصله أنه من صنيع اليهود وأن النبى ﷺ نهى عنه لذلك وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه ، ثم أمر فى آخر الأمر بمخالفتهم .وروى ابن المنذر من حديث ابن عمر بإسناد قوى قال: إنما فعله النبى ﷺ مرة، يعنى التطبيق ، فقد ثبت نسخ التطبيق وأنه كان متقدما ، قال الترمذى: التطبيق منسوخ عند أهل العلم لا خلاف بينهم فى ذلك إلا ما روي عن ابن مسعود وبعض أصحابه أنهم كانوا يطبقون ، قيل: ولعل ابن مسعود لم يبلغه النسخ، واستبعد لأنه كان كثير الملازمة له إذا قام وإذا جلس فكيف يخفى عليه مثل هذا أو لم يبلغه النسخ . وروى عبد الرزاق عن علقمة والأسود قالا: صلينا مع عبد الله فطبق ، ثم لقينا عمر فصلينا معه فطبقنا ، فلما انصرف قال : ذاك شيء كنا نفعله فترك .

قال مرتضى: وهذا يدل على أنهم فعلوا ذلك كثيرا وواظبوا عليه لا أنه كان مرة فترك ، وقد ذكر البيهقى فى السنن أن أبا سبرة الجعفى أحد أصحاب ابن مسعود ترك التطبيق حين قدم المدينة وذكروا له نسخ ذلك فكان لا يطبق ، قال البيهقى : وفى ذلك ما يدل على أن أهل المدينة أعرف بالناسخ والمنسوخ من أهل مكة ، هكذا نقله العراقى فى شرح التقريب .

قال مرتضى : وذكر البيهقى أيضا عن أبى بكر بن إسحق الفقيه أشياء نسب فيها ابن مسعود إلى النسيان ذكر منها التطبيق ، ثم قال : وإذا جاز على ابن مسعود أن ينسى مثل هذا فى الصلاة كيف لا يجوز مثله فى رفع اليدين .

قال مرتضى : ولا يخفى أن هذه دعوى لا دليل عليها ولا طريق إلى معرفة ابن مسعود علم ذلك ثم نسيه ، والأدب فى مثل هذا أن يقال: لم يبلغه، كما فعل غيره من العلماء . فتأمل .

والفاتحة، والانحناء فى الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة، والاعتدال عنه قائما، والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين، والاعتدال، عنه قاعداً، والجلوس للتشهد الأخير والصلاة على النبى ﷺ ، والسلام الأول ، فأما نية الخروج فلا تجب، وما عدا هذا فليس بواجب بل هى سنن وهيئات فيها وفى الفرائض .

أما السنن فمن الأفعال أربعة : رفع اليدين فى تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول، فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع وحد رفعها فهى هيئات تابعة لهذه السنة، والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة، والإطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته، وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة فى الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة فى نفسها ولذلك لم تفرد بذكر .

وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ، ثم التعوذ ، ثم قوله آمين فإنه سنة مؤكدة ، ثم قراءة السورة ، ثم تكبيرات الانتقالات ، ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدال عنهما ، ثم التشهد الأول والصلاة فيه على النبى ﷺ ، ثم الدعاء فى آخر التشهد الأخير، ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمعناها فى اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو، وأما من الأفعال فواحدة وهى الجلسة الأولى للتشهد الأول فإنها مؤثرة فى ترتيب نظم الصلاة فى أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ، بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر فى تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض ، وقيل: الأبعاض تجبر بالسجود ، وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة : القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبى ﷺ فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود فى صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا يغير صورة العبادة ، وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير ، وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار

معمورًا بالفاتحة ومميزًا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول، فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب. وفي الممدود احتراز عن غير الصبح، وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة.

فإن قلت: تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها، فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولاعقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه؟ فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما، ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ، ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته، وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون ،وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون، فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص كما سيأتي، ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها . والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين، ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذمومًا غير مرغوب فيه، فكذلك من اقتصر على أقل ما يُجزئ من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدًا حيًا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات وهي ما وراء السنن

فتجـرى مجرى أسباب الحســن من الحاجبين واللحيــة والأهداب وحسن اللون . وأما وظائف الأذكار فى تلك السنن فهى مكملات للحــسن كاستقواس الحاجبين واستــدارة اللحية وغيرها، فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حـضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم، وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك الخيرة فى تحسين صورتها وتقبيحها ، فإن أحسنت فلنفسك، وإن أسأت فعليها ، ولا ينبغى أن يكون حظك من ممارسة الفــقه أن يتميز لك السنة عن الفرض، فــلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركــها فتــتركها ، فــإن ذلك يضاهى قول الطبــيب : إن فقء العين لا يبطل وجود الإنســان ولكن يخرجه عن أن يصــدق رجاء المتقــرب فى قبول السلطان إذا أخــرجه فى معــرض الهدية ، فــهكذا ينبغى أن تفــهم مراتب السنن والهــيئات والآداب فكل صــلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهى الخصم الأول على صاحبها، تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى، فطالع الأخبار التى أوردناها فى كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها .

★ ★ ★

الباب الثالث : فى الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر فى هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ، ثم لنذكر المعانى الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ، ثم لنذكر تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة .

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه : ١٤) . وظاهر الأمر الوجوب .

والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٥) نهى وظاهره التحريم .

وقوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء :٤٣) تعليل لنهى السكران، وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا.

وقوله ﷺ : « **إنما الصلاة تمسكن وتواضع** » حصر بالألف واللام، وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام : « إنما الشفعة فيما لم يقسم » الحصر والإثبات والنفى وقوله ﷺ : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا » وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر،وقال ﷺ : « **كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب**»(٤٤٨)وما أراد به إلا الغافل، وقال ﷺ : « **ليس للعبد من صلاته**

---

(٤٤٨) حديث : « كم من قائم حظه من صلاته - وفى نسخة: من قيامه - التعب والنصب » =

إلا ما عقل منها »(٤٤٩) والتحقيق فيه أن «**المصلّى مناج ربه عز وجل** » (٤٥٠) كما ورد به الخبر، والكلام مع الغفلة ليس مناجاة ألبتة، وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس ، وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله ، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة ، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام، كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن، أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ، فأما الذكر فإنه محاورة ومناجاة

= **قال العراقى** : أخرج النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة: « رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» ولأحمد: «ورب قائم حظه من صلاته السهر» وإسناده حسن. اهـ .

قال مرتضى : لفظ ابن ماجه : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» والرواية الثانية التى عزاها لأحمد ، هكذا رواه الحاكم والبيهقى ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر بلفظ: « رب قائم حظه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» قال المناوى : المراد بالقائم المتهجد فى الأسحار ، والمعنى لا ثواب له فيه لفقد شرط حصوله وهو الإخلاص أو الخشوع إذ المرء لا يثاب إلا على عمله بقلبه ، وأما الفرض فيسقط والذمة تبرأ بعمل الجوارح فلا يعاقب عقاب تلك العبادة بل يعاتب أشد عتاب حيث لم يرغب فيما عند ربه من الثواب .

(٤٤٩) حديث : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى** : لم أجده مرفوعا ، وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة له من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا: « لا يقبل الله من عبد عملا حتى يحضر قلبه مع بدنه». ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار: لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه .

قال مرتضى : ومن أدلة اشتراط الخشوع فى الصلاة ما رواه الديلمى عن أبى سعيد رفعه: «لا صلاة لمن لا يخشع فى صلاته ». وأخرج أيضا عن ابن مسعود رفعه: «لا صلاة لمن لا يطع الله وطاعة الله أن تنهى عن الفحشاء والمنكر» .

(٤٥٠) حديث : « إن المصلى مناج ربه عز وجل » قال البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس قال النبى ﷺ : « إن أحدكم إذا صلى يناجى ربه عز وجل فلا يتفلن عن يمينه ولكن تحت قدمه اليسرى » ، حدثنا حفص بن عمر حدثنا يزيد بن إبراهيم حدثنا قتادة عن أنس عن النبى ﷺ قال : « اعتدلوا فى السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه كالكلب، وإذا بزق فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه فإنه يناجى ربه» . وأخرجه مسلم كذلك من حديث أنس .

مع الله عز وجل ، فإما أن يكون المقصود منه كونه خطابًا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانًا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك فى الصوم ، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ، ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ، ولا شك أن هذا القسم باطل، فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقًا إلا إذا أعرب عما فى الضمير، ولا يكون معربا إلا بحضور القلب، فأى سؤال فى قوله : اهدنا الصراط المستقيم ، إذا كان القلب غافلا وإذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء، فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد . هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال: لأشكرن فلانًا وأثنى عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه، ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر ، وهو لا يعرف حضوره أو لا يراه لا يصير بارًا فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطابًا ونطقًا معه ما لم يكن هو حاضرًا فى قلبه، فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ، ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر بارًا فى يمينه، ولا شك فى أن المقصود من القراءة والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب ، وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به، هذا حكم القراءة والذكر، وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل .

وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعًا ، ولو جاز أن يكون معظمًا لله عز وجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظمًا لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه ، وإذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به، ثم يجعله عماد الدين

والفاصل بين الكفر والإسلام، يقدم على الحج وسائر العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص، وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال ، قال الله تعالى : ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج : ٣٧) . أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها، فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب .

فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطًا فى صحتها خالفت إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا فى طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كافٍ لسقوط القتل وتعزير السلطان ، فأما أنه ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه، على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكى عن سفيان الثورى أنه قال: « من لم يخشع فسدت صلاته ». وروى عن الحسن أنه قال: « كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع » وعن معاذ بن جبل: « من عرف من على يمينه وشماله متعمدًا وهو فى الصلاة فلا صلاة له » . وروى أيضًا مسندًا قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها** » (٤٥١)

(٤٥١) حديث : « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه .ا هـ .

قال مرتضى : واحمد أيضا ولفظهم جميعا: « إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها» ، وفى رواية للنسائى: « إن الرجل ليصلى ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرها . . .» الخ . وفى رواية له أيضا «منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع . . .» الخ ، ورجاله رجال=

وهذا لو نقل عن غيره لجُعل مذهبا فكيف لا يتمسك به، وقال عبد الواحد بن زيد: أجمع العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها . فجعله إجماعا ،وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى، والحق الرجوع إلى أدلة الشرع، والأخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى فى التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب فى جميع الصلاة فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين ، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو فى اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك،ونحن مع ذلك نرجو ألا يكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة، وكيف لا والذى صلى مع الحدث ناسيًا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ،ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك، وكيف لا والذى يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة ، وإذا تعارضت أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً فى نفسه فإليك الخيرة بعده فى الاحتياط والتساهل ، ومع هذا فلا مطمع فى مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ، ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ، ولكن قد ذكرنا فى باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر فى كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع، فلنقتصر

= الصحيح، ونص القوت : وفي الخبر عن عمار بن ياسر أنه صلى مرة فخففها، فقيل له: خففت يا أبا اليقظان، فقال: هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا : لا، قال : إنى بادرت سهو الشيطان، إن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ، ولا ثلثها ، ولا ربعها ، ولا خمسها ، ولا سدسها ، ولا عشرها » ، وكان يقول: «إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل» .

وقال : وقد ظهر بهذا السياق أن الحديث قد تم إلى قوله : ولا عشرها، وما بعده فهو من قول عمار، وسبق للعراقى قريبا أن ابن المبارك أخرج فى الزهد موقوفا على عمار: لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه. وسيأتى للمصنف ذكره ثانيا بتمامه .

على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنعًا للمريد الطالب لطريق الآخرة ، وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن ، وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة، وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير، فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة وكم من حى لاحراك به قريب من ميت فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون .

بيان المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن هذه المعانى تكثر العبارات عنها، ولكن يجمعها ست جمل وهى : حضور القلب، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء ، فلنذكر تفاصيلها ، ثم أسبابها ، ثم العلاج فى اكتسابها .

أما التفاصيل . . فالأولى: حضور القلب ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما، ولا يكون الفكر جائلاً فى غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه، وكان فى قلبه ذكر لما هو فيه ، ولم يكن فيه غفلة عن كل شىء فقد حصل حضور القلب ، ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم ، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات، وكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة .

وأما التعظيم . . فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له، فالتعظيم زائد عليهما .

وأما الهيبة .. فزائدة على التعظيم بل هى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة خوف مصدره الإجلال ، وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته، والعبد ينبغى أن يكون راجيًا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل .

وأما الحياء .. فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب.

وأما أسباب هذه المعانى الستة .. فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك، ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه، والقلب إذا لم يحضر فى الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة ،وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببًا سوى ضعف الإيمان، فاجتهد الآن فى تقوية الإيمان، وطريقه يستقصى فى غير هذا الموضع .

وأما التفهم .. فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعنى النزوع عن تلك الأسباب التى تنجذب الخواطر إليها وما لم

تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئًا أكثر ذكره، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر .

وأما التعظيم .. فهى حالة للقلب تتولد من معرفتين: إحداهما: معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه ، ثانيتهما: معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوبًا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع ، فإن المستغنى عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة، ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهى معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه .

وأما الهيبة والخوف .. فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة، وسيأتى أسباب ذلك فى كتاب الخوف من ربع المنجيات .

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة . وأما الحياء .. فباستشعاره التقصير فى العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقينًا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء. فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه، ففى معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب

الإيمان واليقين ، أعنى به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم، وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة ﵂ : كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه . وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام: « يا موسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك، وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا، وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل، وناجنى بقلب وجل ولسان صادق». وروى أن الله تعالى أوحى إليه: « قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فإنى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته ، فإذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة » . هذا فى عاص غير غافل فى ذكره، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان .

وباختلاف المعانى التى ذكرناها فى القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها وإلى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة فى المسجد، اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ، ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يُسمع على ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم، وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم، حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ،ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه . ولكل درجات مما عملوا، فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء، ومن وجود النعيم بها واللذة. ولقد صدق فإنه يحشر كلٌ على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه، ويراعى فى ذلك

حال قلبه لا حال شخصه، فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

بيان الدواء النافع فى حضور القلب

اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظما لله عز وجل وخائفًا منه وراجيًا له ومستحييًا من تقصيره، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه، وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه، فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة، ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه، فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمرا خارجًا ، أو أمرًا فى ذاته باطنا، أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهمّ حتى يتبعه ويتصرف فيه، ثم تنجرّ منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سببًا للافتكار، ثم تصير بعض تلك الأفكار سببًا للبعض، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه، ولكن الضعيف لابد وأن يتفرق به فكره، وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم، والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد، ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ،ويرون كمال الصلاة فى ألاّ يعرفوا من على يمينهم وشمالهم، وكان ابن عمر ﷺ لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزعه ولا كتابا إلا محاه .

أما الأسباب الباطنة فهى أشد، فإن من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لا ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغض البصر لا يغنيه فإن ما وقع فى القلب من قبل كافٍ للشغل، فهذا طريقه أن يرد النفس قهرًا إلى فهم ما يقرؤه فى الصلاة

ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع، ويفرغ قلبه قبل التحريم للصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره، قال رسول الله ﷺ لعثمان بن أبى شيبة: « **إنى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم** »(٤٥٢) فهذا طريق تسكين الأفكار، فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق، وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب، ولاشك أنها تعود إلى مهماته، وأنها صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه، وجند إبليس عدوه فإمساكه أضرّ عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال ﷺ: « **اذهبوا بها إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى، وائتونى بانبجانية أبى جهم** »(٤٥٣) .

---

(٤٥٢) حديث: « إنى نسيت أن أقول لك تخمر القرنين اللذين فى البيت فإنه لا ينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم » **قال العراقى**: رواه أبو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند الإمام أحمد، ووقع للمصنف أنه قال لعثمان بن شيبة وهو وهم . ا هـ .

قال مرتضى: لم أجد هذا الحديث فى ترجمة عثمان بن طلحة فى المسند فلعله ذكره فى موضع آخر، ورأيت بخط الحافظ ابن حجر، قال: صوابه عثمان بن شيبة .ا هـ . وقال: إن كان عثمان يكنى أبا شيبة فهو كما ذكر وارتفع الخلاف، وأما عثمان الحجبى الذى هو عثمان ابن طلحة عند الإمام أحمد، فهو عثمان بن طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدرى القرشى حاجب البيت، أسلم فى هدنة الحديبية وشهد فتح مكة وله صحبة، روى عنه ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وله صحبة أيضا، وقتل أبوه عثمان وعمه طلحة يوم أحد كافرين، وقد سلَّم النبى ﷺ المفتاح لعثمان وشيبة وقال لهما: خذاه خالدة تالدة فيكم لا ينزعه عنكم إلا شقى أو كما قال، فكانا يتشاركان فى تولية المفتاح، فلما مات عثمان استقل شيبة به ولم يزل إلى يومنا هذا فى أولاد شيبة وعرف أولاده بالشيبيين، فأول شيبة لهم هو هذا، ولم يكونوا يعرفون قبل هذا إلا ببنى عبد الدار، والله أعلم.

(٤٥٣) حديث: « لما لبس الخميصة وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال: اذهبوا بها =

« **وأمر رسول الله ﷺ بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق** » (٤٥٤) وكان ﷺ قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها، فسجد وقال: «**تواضعت لربي عز وجل كي لا يمقتني**» ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه، ثم أمر عليّا رضي الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما (٤٥٥).

وكان ﷺ فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه، وقال: «**شغلني هذا، نظرة إليه ونظرة إليكم**» (٤٥٦).

= إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم » قال العراقى : متفق عليه من حديث عائشة، وقد تقدم فى العلم . اهـ .

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى موضعين من كتاب الصلاة ،الأول فى باب: إذا صلى فى ثوب له أعلام ونظر إلى علمها ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما انصرف قال : « اذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وأتونى بانبجانية أبى جهم فإنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى» . وقال هشام عن أبيه عن عائشة قال النبى ﷺ : « كنت أنظر إلى علمها وأنا فى الصلاة فأخاف أن تفتننى » وقال : وهذا التعليق رواه مسلم وغيره بالمعنى الثانى فى باب: الالتفات فى الصلاة، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن النبى ﷺ صلى فى خميصة لها أعلام فقال : « شغلتنى أعلام هذه، اذهبوا بها إلى أبى جهم وأتونى بانبجانيته » . ا هـ .

وعند مالك فى الموطأ: « فإنى نظرت إلى علمها فى الصلاة فكاد يفتننى » .

(٤٥٤) حديث : « أمر رسول الله ﷺ بتجديد شراك نعله ثم نظر إليه فى صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ، ويرد الشراك الخلق » ، **قال العراقى**: رواه ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا بإسناد صحيح . ا هـ . وأبو النضر هو سالم ابن أبى أمية القرشى التميمى المدنى تابعى مات فى سنة ١٢٩هـ روى له الجماعة .

(٤٥٥) حديث : « وكان ﷺ قد اتخذ نعلين » **قال العراقى** : رواه أبو عبد الله بن خفيف فى شرف الفقهاء من حديث عائشة بإسناد ضعيف . ا هـ .

قال مرتضى وأبو عبد الله بن خفيف هذا شيرازى من كبار الأئمة ويعرف بالشيخ الكبير وله ذكر وصيت .

(٤٥٦) حديث : « وكان ﷺ فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال : =

وروى أن « أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة، ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة، ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت » (٤٥٧) . وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدر كم صلى، فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال: هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل، فباعه عثمان بخمسين ألفا . فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة ، وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولايغنى غيره، فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التى لا تشغل إلا حواشى القلب، فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة، ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده، ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنقير بالخشبة، فقيل له: إن هذا سير السوانى ولا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة، فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب الذباب إلى

= شغلنى هذا، نظرة إليه ونظرة إليكم » قال العراقى : أخرجه النسائى من حديث ابن عباس بإسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبًا أو فضة ، إنما هو مطلق .اهـ .

قد ثبت أنه ﷺ لما اتخذ خاتمًا من ورق فاتخذوا مثله طرحه فطرحوا خواتيمهم ، هكذا رواه الزهرى، وقيل : بل الذى لبسه يومًا ورماه خاتم ذهب كما ثبت ذلك من غير وجه عن ابن عمر وأنس: أو خاتم حديد عليه فضة ، فقد روى أبو داود أنه كان له خاتم حديد ملوى على فضة فلعله هو الذى طرحه وكان يختم به ولا يلبسه، والله أعلم .

(٤٥٧) حديث : « وروى أن أبا طلحة صلى فى حائط له ، فيه شجر فأعجبه دبسى ، طار فى الشجر يلتمس مخرجًا فأتبعه بصره ساعة ، ثم رجع إلى صلاته فلم يدر كم صلى، فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فى سبيل الله ، فضعه حيث شئت». قال العراقى : روى مالك فى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى . . . فذكره بنحوه .اهـ.

قال مرتضى : وسيأتى للمصنف هذا فى كتاب " أسرار الزكاة » .

الأقـذار، والشغل يطول فى دفـعهـا فإن الذباب كـلما ذُبَّ آب، ولأجله سـمى ذبابا، فكذلك الخواطر، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعـها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصـان ومنبع كل فساد، ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى الصلاة، فإن من فرح بالدنيا لا يفـرح بالله سبحانه ومناجاته، وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه فى الدنيا انصـرف لا محالة إليها همه، ولكن مع هذا فلا ينبغى أن يترك المجاهدة ورد القلب إلى الصلاة وتقليل الأسبـاب الشاغلة، فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبـشعته الطبـاع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عـضالا، حتى إن الأكابر اجـتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا ، فعجزوا عن ذلك، فإذًا لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثهـا من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخـر سيئًا، وعلى الجملة فهـمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل المـاء الذى يصب فى قدح مملوء بِخَلٍّ فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان .

بيان تفصيل ما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة

فنقول: حقك إن كنت من المريدين للآخرة ألاّ تغـفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركـانها ، أما الشـروط السوابق فهى: الأذان والطهـارة وستر العورة واسـتقبـال القبلة والانتصـاب قائما والنية، فـإذا سمعت نداء المؤذن فـأحضر فى قلبك هول النداء يوم القـيامة، وتشمـر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعـة، فإن المسـارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العـرض الأكبـر، فـاعرض قلبك على هذا النـداء، فإن وجـدته مملوءا بالفـرح والاستبـشار مشحونا بالرغبـة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفـوز يوم القضاء، ولذلك قـال : ﷺ « أرحـنا يـا بـلال»(٤٥٨) أى أرحنا بها وبالنداء إليـها إذ كان قـرة عينه فيها ﷺ .

(٤٥٨) حديث : قال ﷺ : « أرحنا يا بلال » فيما رواه الدارقطنى فى كتاب العلل له من حديثه.
قال العراقى : ولأبى داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح . =

وأما الطهارة.. فإذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب، ثم فى بشرتك وهى قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل، فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك.

وأما ستر العورة .. فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق.

فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل، فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذى ندم، فرجع إلى مولاه ناكسًا رأسه من الحياء والخوف.

وأما الاستقبال .. فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك؟ هيهات .. فلا مطلوب سواه، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغى على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى

= قال مرتضى: أخرجه أحمد وأبو داود والبغوى عن رجل من خزاعة، وأخرجه البغوى أيضًا عن رجل من أسلم، وهذا الرجل الذى هو من خزاعة قد ورد التصريح به عند الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة قالوا: هو سلمان بن خالد الخزاعى، ورواه الخطيب عن على وعن بلال ولفظهم جميعًا: « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»، وعند مسلم من حديث ابن عمر: « يا بلال قم فناد بالصلاة ».

الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه، وقد قال ﷺ : « **إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه** »(٤٥٩) .

وأما الاعتدال قائما فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل، فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطئا متنكسا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال، واعلم فى الحال أنك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو من ترغب فى أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدّعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى، ولذلك لما قال أبو هريرة: كيف الحياء من الله؟ فقال ﷺ : « **تستحيى منه كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك** »(٤٦٠) وروى من أهلك .

---

(٤٥٩) حديث : « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف من ذنوبه كيوم ولدته أمه » **قال العراقى**: لم أجده بهذا اللفظ ولمسلم نحو معناه من حديث عمرو ابن عنبسة فى فضل الوضوء، وفيه: « فكبر وقام وصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذى هو له أهل وفرّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه » . اهـ .

قال مرتضى: ووجدت لما ذكره المصنف شاهداً آخر من حديث عقبة بن عامر بلفظ: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة »، أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف والنسائى والطبرانى فى الكبير ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عَقبة هذا بلفظ : « من توضأ وضوءاً كاملاً ثم قام إلى صلاته كان من خطيئته كيوم ولدته أمه » ، وفى رواية له : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين كان من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه » . رواه الطبرانى أيضًا فى الكبير ، وفى رواية له: « ثم صلى صلاة غير ساهٍ ولا لاهٍ كفر عنه ما كان قبلها من سيئة»، رواه أحمد والطبرانى أيضًا فى الكبير.

(٤٦٠) حديث : كيف الحياء من الله تعالى؟ فقال ﷺ : « تستحيى منه كما تستحيى من الرجل=



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٩

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع



وأما النية .. فاعزم على إجابة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه، متقلدًا للمنة منه بإذنه إياك فى المناجّاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعَظِّم فى نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجى، وكيف تناجى وبماذا تناجى، وعند هذا ينبغى أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف .

وأما التكبير .. فإذا نطق به لسانك فينبغى ألا يكذبه قلبك، فإن كان فى قلبك شىء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد أنك لكاذب - وإن كان الكلام صدقًا - كما شهد على المنافقين فى قولهم إنه ﷺ رسول الله، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلامًا باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما أعظم الخطر فى ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه .

وأما دعاء الاستفتاح .. فأولى كلماته قولك: وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض، وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه، وإنما وجه القلب هو الذى يتوجه به

= الصالح من أهلك » أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث سعيد بن يزيد مرسلا بنحوه ، وأسنده البيهقى بزيادة ابن عمر فى السند ، وفى العلل للدارقطنى عن ابن عم له، وقال : إنه أشبه شىء بالصواب ، أورده فى حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ، **قاله العراقى**.

قال مرتضى : وسعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى تابعى ، روى عن أنس ومطرف بن الشخير وعنه يزيد بن زريع وابن علية ، روى له الجماعة ، وأخرج ابن عدى فى الكامل بسند ضعيف من حديث أبى أمامة الباهلى بلفظ : « استحى من الله استحياءك من رجلين من صالحى عشيرتك » ، والمقصود من سياق المصنف أن المصلى إذا وقف فى مقام المناجاة لا يذكر معه غيره ولا يثنى على أحد سواه ، ولا يشكو إلا إليه ، ويكون أبدًا بين يديه ماثلا ، وبالحق له قائمًا وقائلا وله معظمًا، وهو فى نظره إليه مشفق ، وفى إقباله عليه مطرق إجلالا وحياءً لأنه يعلم سره ونجواه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

إلى فاطر السماوات والأرض فانظر إليه: أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السماوات؟ وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه، فاجتهد فى الحال فى صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك فى الحال صادقا ،وإذا قلت: حنيفا مسلما ، فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده، فإن لم تكن كذلك كنت كاذبًا فاجتهد فى أن تعزم عليه فى الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال، وإذا قلت: وما أنا من المشركين، فأخطر ببالك الشرك الخفى فإن قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠) . نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس .

وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة فى قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك، فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه ،وإذا قلت: محياى ومماتى لله، فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته فى الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا؛ لم يكن ملائمًا للحال. وإذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لُعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سَبُع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان، فكذلك من يتبع الشهوات التى هى محاب الشيطان، ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ : « **لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى** »(٤٦١) .

(٤٦١) حديث : « لا إله إلا الله حصنى » لأن اسم الله هو الاسم الجامع لمعانى الأسماء، إذا كان=

= فى قوة هذا الاسم ، حقيقة كل اسم واقع فى مقابلة كل خاطر ينبغى أن يدفع ، فهكذا ينبغى لكل مصلّ أن يتحصن بهذا الحصن العظيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه ويحقق ذلك في استعاذته إن وفقه الله تعالى ، قال العراقى : رواه الحاكم فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جدا، وقول أبى منصور الديلمى إنه حديث ثابت مردود عليه . اهـ .

قال مرتضى : هذا الحديث قد وقع لى فى مسلسلات شيخ شيوخنا أبى عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفى المكى فيما قرأته على شيخى الإمام رضى الدين عبد الخالق بن أبى بكر المزجاجى الحنفى بمدينة زبيد فى شهور سنة ١١٦٢ ، قال: حدثنا به أبو عبد الله المكي المذكور قراءة عليه أخبرنا الحسن بن على بن يحيى المكى أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا النور على بن محمد بن عبد الرحمن أخبرنا البدر الكرخى وحسن بن الجابى الحنفيان أخبرنا الحافظ جلال الدين أبو الفضل السيوطى أخبرنا الشمس محمد بن محمد بن إمام الكاملية أخبرنا الحافظ أبو النعيم رضوان بن محمد العقبى أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد ابن محمد بن الخزرى أخبرنا الجمال محمد بن محمد بن محمد الجمالى أخبرنا شيخ المحدثين ببلاد فارس سعيد الدين أبو محمد محمد بن مسعود البليانى الكازرونى من ولد الأستاذ أبى على الدقاق أخبرنا الظهير إسماعيل بن المظفر بن محمد الشيرازى أخبرنا أبو طاهر عبد السلام بن أبى الربيع الحنفى أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور القلانسى أخبرنا أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الآدمى أخبرنا الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن على النيسابورى حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذرى الحافظ حدثنا الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى الكاظم حدثنى أبى على بن محمد حدثنى أبى محمد بن على حدثنى أبى على بن موسى الرضى حدثنى أبى موسى الكاظم حدثنى أبى جعفر الصادق حدثنى أبى محمد الباقر حدثنى أبى على زين العابدين حدثنى أبى الحسين بن على حدثنى أبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ حدثنى محمد بن عبد الله ﷺ حدثنى جبريل سيد الملائكة عليه السلام قال : قال الله سيد السادات جل وعلا : « إنى أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لى بالتوحيد دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى» ، هكذا أورده نور الدين بن الصباغ فى الفصول المهمة وأبو القاسم القشيرى فى الرسالة ، ورواه أبو بكر بن شاذان بن بحير المطوعى الرازى بنيسابور فقال: حدثنا أيوب بن منصور بن أيوب حدثنا عبد الله بن أشرش قال : مر بنا على بن موسى الرضى من آل محمد ﷺ فقمت إليه فقلت : سألتك بالله لما حدثتنى ، قال : حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال : « لا إله إلا الله حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى » . وأخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه، كلهم من غير تسلسل ، عن أنس رفعه: إنى أنا الله لا إله إلا أنا . . . فساقوه=

والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه، فأما من اتخذ إلهه هواه فهو فى ميدان الشيطان لا فى حصن الله عز وجل، واعلم أن مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصودة معانيها .

فأما القراءة .. فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره .. وهى درجات أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعانى أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ؛ ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب ، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

= بمثل رواية ابن الجزرى ، وفى مسند الفردوس للديلمى من رواية هارون بن راشد عن فرقد السنجى عن أنس رفعه: لا إله إلا الله كلمتى وأنا هو فمن قالها أدخلته حصنى ومن أدخلته حصنى فقد أمن، والقرآن كلامى ومنى خرج. قال الحافظ السيوطى فى ذيله على الموضوعات: هارون بن راشد ، قال الذهبى : مجهول ، وفرقد ضعفه الدارقطنى والراوى عن هارون يوسف بن خالد وهو كذاب . قال مرتضى : وأخرجه الشيرازى فى الألقاب عن على نحوه ، إلا أنه قال : كلامى بدل كلمتى ، وفى آخره: أمن من عقابى ، وأخرجه ابن عساكر وابن النجار في تاريخيهما من رواية أحمد بن عامر بن سليمان الطائى ، عن على بن موسى عن آبائه ، وفيه: حدثنى جبريل قال : يقول الله تعالى : لا إله إلا الله حصنى ، فمن دخله أمن من عذابى. قال الذهبى فى المغنى: عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى له نسخة عن أهل البيت باطلة ، وأخرجه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى مسلسلاته من طريق أبى إسحق البزدرى عن عبد الله بن أحمد الطائى المذكور ، ثم نقل عن الذهبى قوله : ما تنفك هذه النسخة من وضعه ،أى عبد الله بن أحمد أو من وضع أبيه ، وأخرجه ابن الجزرى كما تقدم وقال : هكذا هو فى المسلسلات السعيدية، يعنى به محمد بن مسعود الكازرونى المتقدم بذكره ، قال : والعهدة فيه على البلاذرى ، أى هو متكلم فيه ، وقد أخرجه الحاكم النيسابورى فى التاريخ عن البلاذرى ، وقال : لم نكتبه إلا عنه ، وأخرجه أيضًا فى الجزء المعروف بفوائد الفوائد كذلك من طريق البلاذرى ، وأخرجه أبو عثمان سعد بن محمد البحيرى فى كتابه فى الأحاديث الألف التى يعز وجودها عن أبى محمد عبد الله بن أحمد الدومى عن البلاذرى، وقد ألفت فى جميع أسانيد هذا الحديث رسالة سميتها « الإسعاف بالحديث المسلسل بالأشراف » وألممت ببعض من خرجه ورواه فى التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيل، فمن أراد الزيادة فليراجع هناك، والله أعلم .

وتفصيل ترجمة المعانى أنك إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، فَانوِ به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه، وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه . والمراد بالاسم ههنا هو المسمى، وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله، ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى .

فإذا قلت: الرحمن الرحيم، فأحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك، ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: مالك يوم الدين، أما العظمة فلأنه لا مُلك إلا له، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه، ثم جدد الإخلاص بقولك: إياك نعبد، وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك: وإياك نستعين، وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته ، وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين، ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقا فعيّن سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك، وقل: اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا إلى جوارك ويفضى بنا إلى مرضاتك، وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادًا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل: آمين، فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى ﷺ : **« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله عز وجل : حمدنى عبدى وأثنى علىّ »**(٤٦٢) وهو معنى قوله: سمع الله لمن حمده . . . الحديث إلخ. فلو لم يكن لك

---

(٤٦٢) حديث : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى»، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله عز وجل : « حمدنى عبدى وأثنى علىّ » وهو معنى قوله: سمع الله لمن حمده ، الحديث إلخ، وتمامه فيما أخبرناه شيخنا أبو الربيع سليمان بن=

من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله، وكذلك ينبغى أن تفهم ما تقرؤه من السور - كما سيأتى فى كتاب تلاوة

= يحيى بن عمر الحسينى الزبيدى بقراءتى عليه بمدينة زبيد ، أخبرنا خال والدى أحمد بن محمد ابن المقبول، أخبرنا أحمد بن محمد النخلى ، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ ، أخبرنا على ابن يحيى ، أخبرنا يوسف بن زكريا ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ ، أخبرنا أبو ذر عبد الرحمن بن عبد الله الزركشى ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الخزرجى ، أخبرنا أبو محمد صالح بن تامر الجعبرى، أخبرنا أبو على الحسن بن محمد البكرى أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسى أخبرنا أبو عبد الله الفراوى أخبرنا أبو الحسين عبد الغفار بن محمد الفارسى أخبرنا أبو أحمد الجلودى أخبرنا إبراهيم بن سفيان الزاهد حدثنا مسلم بن الحجاج القشيرى حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى أخبرنا سفيان بن عيينة عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج - ثلاثا - غير تمام » فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال :اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجّدنى عبدى - وقال مرة: فوّض إلىّ عبدى - وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» . قال سفيان: حدثنى به العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب دخلت عليه وهو مريض فى بيته فسألته أنا عنه، هكذا نصه فى صحيحه، وقال أيضًا: وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام ابن زهرة يقول :سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ . . . فذكره مثله، قال: وحدثنى محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرنى العلاء بن عبد الرحمن أن أبا السائب أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول بمثل حديث سفيان وفى حديثهما : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى . . . » ، قال: وحدثنا أحمد بن جعفر المعْقِرى حدثنا النضر بن محمد حدثنا أبو أويس أخبرنى العلاء قال: سمعت من أبى ومن أبى السائب وكانا جليسين لأبى هريرة قالا: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ . . . بمثل حديثهم . اهـ. لفظ مسلم، وأورده الشهاب السهروردى فى العوارف من طريق آدم بن أبى إياس والدارقطنى فى سننه عن عبد الله بن زياد بن سمعان كلاهما عن العلاء بمثل سياق حديث سفيان إلا أنه زاد البسملة فى أوله، قال الدارقطنى: وابن سمعان متروك الحديث، وقال غيره: كذاب، وقال فى العلل: تفرد ابن سمعان بهذه الزيادة إذ قد روى عن العلاء من أصحابه جماعة يزيدون على العشرة كمالك وسفيان وابن جريج وشعيب والدراوردى وإسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسحق والوليد بن كثير، لم يذكر أحد منهم فيه البسملة وزادها ابن سمعان وهو ضعيف، والله أعلم.

القرآن - فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه، ولكل واحد حق: فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعيد، والعزم حق الأمر والنهى، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر المنة، والاعتبار حق أخبار الأنبياء .

وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (المدثر: ٨) . خرَّ ميتًا. وكان إبراهيم النخعى إذا سمع قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق : ١) . اضطرب حتى تضرب أوصاله .

قال عبد الله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه. وحق له أن يحترق فى قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر . وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب، ودرجات ذلك لا تنحصر، والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا، ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل، ويفرق بين نغماته فى آيات الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد، كان النخعى إذا مر بمثل قوله عز وجل : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ (المؤمنون: ٩١) . يخفض صوته كالمستحى عن أن يذكره بكل شىء لا يليق به.

وروى أنه : «**يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا**» (٤٦٣) .

أما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور،

---

(٤٦٣) حديث : « يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا» **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمر، وقال الترمذى: حسن صحيح .اهـ.

قال مرتضى : أخرجوه من طريق سفيان عن عاصم بن أبى النجود عن ذر عن ابن عمرو اهـ. وكذلك أخرجه أحمد والحاكم وابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمرو، ورواه ابن أبى شيبة عنه .

قال ﷺ : « **إن الله عز وجل مُقبِل على المصلى ما لم يلتفت** » (٤٦٤) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة، فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه ويقبح التهاون بالمناجَى عند غفلة المناجِى ليعود إليه، والزم الخشوع للقلب فإن الخلاص من الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، قال ﷺ وقد رأى رجلا مصليًا يعبث بلحيته: « أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فإن الرعية بحكم الراعى» ولهذا ورد فى الدعاء : « **اللهم أصلح الراعى والرعية** » (٤٦٥) وهو القلب والجوارح. وكان الصديق رضي الله عنه فى صلواته كأنه وتد ، وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود ، وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يقتضيه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك ، وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثًا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره، وقال عكرمة فى قوله عز وجل :﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٨، ٢١٩) قال: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه .

وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعًا سنة نبيه ﷺ ، ثم تستأنف له ذلا

---

(٤٦٤) حديث : « إن الله يقبل على المصلى ما لم يلتفت » **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى ذر .اهـ. وبنحوه ما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن يوسف بن عبد الله بن سلام بسند منقطع: لا صلاة لملتفت .

قال مرتضى : موقوفا ولفظهم جميعا : « يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارقه ورتل كما كنت ترتل فى دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها » . وأخرجه أحمد أيضا وابن ماجه والعقيلى ومحمد بن نصر عن أبى سعيد بلفظ: « يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه». ورواه ابن أبى شيبة عنه موقوفا .

(٤٦٥) حديث : « اللهم أصلح الراعى والرعية » ، **قال العراقى** : لم أقف له على أصل . اهـ . ثم إن المعروف أن المراد بالراعى والرعية الحاكم والمحكوم عليه .

وتواضعا بركـوعك، وتجتهد فى ترقيق قلبك وتجـديد خشوعك، وتستشعـر ذُلَّكَ وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك، وتسـتعين على تـقدير ذلك فى قلبك بلسانك، فـتسبح ربك وتشـهد له بالعظمـة وأنه أعظم من كـل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لـتؤكـده بالتكـرار، ثم ترتفع من ركوعك راجـيا أنه راحم لك ومـؤكدا للرجـاء فى نفسك بقـولك: سمع الله لمن حـمده، أى أجاب لمن شكره، ثم تردف ذلـك الشكر المتقـاضى للمزيد فتـقول: ربنا لك الحمـد، وتكثر الحـمد بقـولك: ملء السـماوات وملء الأرض، ثم تهـوى إلى السـجود وهو أعلى درجـات الاستكانة فتمكن أعز أعضـائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب، وإن أمكنك ألا تجعل بينهمـا حائلا فتسـجد على الأرض فافـعل فإنه أجلب للخشـوع وأدل على الذل، وإذا وضعت نفسك مـوضع الذل فاعلم أنك وضـعتها مـوضعهـا ورددت الفرع إلى أصله فـإنك من التراب خلقت وإليـه تعود فـعند هذا جدد على قلبك عظمـة الله، وقل: سـبحان ربى الأعـلى وأكده بالتكرار فإن الكرّة الواحدة ضعيفة الأثر ،فـإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك فى رحمة الله فإن رحمتـه تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر، فـارفع رأسك مكبرًا وسائلا حاجتك وقائلا: رب اغـفر وارحم وتجاوز عما تعلم، أو ما أردت من الدعـاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك .

وأما التشهد . . فإذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلى به من الصلوات والطيبـات أى من الأخلاق الطاهرة لله، وكذلك الملك لله وهو مـعنى التحيات، وأحـضر فى قلبك النبى ﷺ وشخصه الكريم وقل: سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، وليصدق أملك فى أنه يبلغـه ويرد عليك ما هو أوفى منه، ثم تسلم على نفـسك وعلى جميع عـباد الله الصالحيـن ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سـلاما وافيًا بعـدد عباده الصالحين ثـم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة، مـجددًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتى الشهادة ومستأنفًا للتحصن بها، ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتـهال وصدق الـرجاء بالإجـابة وأشرك فى دعـائك أبويك وسائر المـؤمنين، واقصـد عند

التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانوِ ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة، وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها ،وقال ﷺ للذى أوصاه: « صل صلاة مودّع»، ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير فى الصلاة وخَفْ ألاّ تقبل صلاتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك فى وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله .

كان يحيى بن وثاب إذا صلّى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة ، وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض ، فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم على صلاتهم يحافظون، والذين هم على صلاتهم دائمون، والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم فى العبودية ، فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغى أن يتحسر وفى مداواة ذلك ينبغى أن يجتهد .

وأما صلاة الغافلين فهى مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض، فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته، واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التى ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار فى القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السماوات والأرض وأسرار الربوبية إنما يُكَاشَفون فى الصلاة لا سيما فى السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ (العلق : ١٩) .

وإنما تكون مكاشفة كل مصلٍّ على قدر صفائه عن كدورات الدنيا، ويختلف ذلك بالقوة والضعف وبالقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشىء بعينه وينكشف لبعضهم الشىء بمثاله، كما كشف لبعضهم الدنيا فى صورة جيفة والشيطان فى صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها، ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله

تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة، ويكون لتعين تلك المعاني فى كل وقت أسباب خفية لا تُحصى، وأشدها مناسبة الهمة فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف، ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا فى المرائى الثقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدأ على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر، ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان فى متسع الهواء، ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السماوات والأرض، وهكذا الإنسان فى كل طور يكاد ينكر ما بعده، ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطواراً فلا ينبغى أن ينكر كل واحد ما وراء درجته، نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ، ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة . ففى الخبر : « **إن العبد إذا قام فى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه، وإن المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ينادى مناد: لو علم هذا المناجى من يناجى ما التفت، وإن أبواب السماء تفتح للمصلين، وإن الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى** » (٤٦٦) ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن

---

(٤٦٦) حديث : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب فيما بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه، وإن المصلى لينتثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد: لو علم المناجى من يناجى ما التفت ، وإن أبواب السماء تفتح للمصلين ، وإن الله عز وجل يباهى ملائكته بعبده المصلى » وفى بعض النسخ : ليباهى ملائكته بعبيده المصلين، ونص القوت: بصفوف المصلين ، أورده صاحب القوت هكذا باختلاف يسير نبهنا عليه، وكذا السهروردى فى العوارف ونص كل منهما : وقد ورد فى الأخبار، ثم ساقاه ، إلا أن صاحب العوارف انتهى إلى قوله: ما التفت أو ما انفتل فجمع بين الروايتين ، وقال العراقى : لم أجده .اهـ.

الكشف الذى ذكرناه، وفى التوراة مكتوب : « يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدىَّ مصليا باكيا، فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى ».

قال: فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنوّ الرب سبحانه من القلب، وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب، ويقال: إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة، كل صف منهم عشرة آلاف، وباهى الله به مائة ألف ملك، وذلك أن العبد قد جمع فى الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود، وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك، فالقائمون لايركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون، فإن ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا :

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (الصافات : ١٦٤) .

وفارق الإنسان الملائكة فى الترقى من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه، وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد إلا رتبته التى هى وقف عليه ،وعبادته التى هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها :

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء :١٩، ٢٠) .

ومفتاح مزيد الدرجات هى الصلوات ، قال الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١، ٢) .

فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهى المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضًا، فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (المؤمنون:٩) .

ثم قال تعالى فى ثمـرة تلك الصفات : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠، ١١) .

فوصـفهم بالفـلاح أولا وبوراثة الفردوس آخـراً، وما عندى أن هذرمـة اللسان مع غـفلة القلب تنتهى إلى هذا الحد، ولذلك قال الله عز وجل فى أضدادهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (المدثر : ٤٢ ، ٤٣) . فالمصلون هم ورثة الفردوس وهـم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوه مـن قلوبهم، نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله، إنه الكريم الـمنان القديم الإحسان، وصلى الله على كل عبد مصطفى .

حكايات وأخبار فى صلاة الخاشعين رضي الله عنهم

اعلم أن الخشـوع ثمرة الإيمان ونتيجـة اليقين الحاصل بجـلال الله عز وجل، ومن رزق ذلك فإنه يكون خـاشعًا فى الصـلاة وفى غير الصـلاة بل فى خلوته وفى بيت الماء عند قـضاء الحاجة، فإن موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العـبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد، فمن هذه المعـارف يتولد الخشوع وليست مختصـة بالصلاة . ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السـماء أربعين سنة حياء من الله سـبحانه وخشوعـا له. وكان الربيع بن خيثم مـن شدة غضه لبصـره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى، وكـان يختلف إلى منزل ابن مسعـود عشرين سنة فإذا رأته جـاريته قالت لابن مسـعود : صديقك الأعمى قـد جاء ، فكان يضحك ابن مسعود من قـولها، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتـراه مطرقا غاضا بصره، وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول :وبشر المـخبتين، أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك، وفى لفظ آخر: لأحبك، وفى لفظ آخر: لضحك. ومـشى ذات يوم مع ابن مسعود فى الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره إلى منـ‍ـزله، فلم يزل مغـشيا عليه إلى مثل الساعة التى

صعق فيها ففاتته خمس صلوات، وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف. وكان الربيع يقول : ما دخلت فى صلاة قط فأهمنى فيها إلا ما أقول وما يقال لى.

وكان عامر بن عبد الله من خاشعى المصلين، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدثت النساء بما يردن فى البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله، وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال: نعم بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى إحدى الدارين، قيل: فهل تجد شيئًا مما نجد من أمور الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فىّ أحب إلىّ من أن أجد فى صلاتى ما تجدون . وكان يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط أسطوانة فى المسجد وهو فى الصلاة. وتآكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه، فقيل: إنه فى الصلاة لا يحس بما يجرى عليه، فقطع وهو فى الصلاة . وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشىء من الدنيا فى الصلاة؟ فقال : لا فى الصلاة ولا فى غيرها. وسئل بعضهم: هل تذكر فى الصلاة شيئًا؟ فقال: وهل شىء أحب إلىّ من الصلاة فأذكره فيها. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله فى الصلاة ليدخل فى الصلاة وقلبه فارغ.

وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس، وروى أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها، فقيل له : خففت يا أبا اليقظان ! فقال: هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : إنى بادرت سهو الشيطان، إن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها**» (٤٦٧) وكان

(٤٦٧) حديث : «إن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها ، فقيل له : خففت يا أبا اليقظان، فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : إنى بادرت سهو الشيطان ، إن رسول الله ﷺ قال :«إن العبد ليصلى الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها » هكذا أورده صاحب القوت ، وأخرجه أحمد بإسناد صحيح وتقدم المرفوع منه وهو عند أبى داود والنسائى .

يقول: « إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقلَ منها ». ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصحابة ﷺ كانوا أخف الناس صلاة، وقالوا : نبادر بها وسوسة الشيطان. وروى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها.

وسئل أبو العالية عن قوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون:٥) .

قال: هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر. وقال الحسن : هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج. وقال بعضهم : هو الذى إن صلاها فى أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها إثمًا. واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه، وإن كان الفقيه يقول: إن الصلاة فى الصحة لا تتجزأ، ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد « جبر نقصان الفرائض بالنوافل » (٤٦٨) . وفى الخبر قال عيسى عليه السلام: يقول الله تعالى : بالفرائض نجا منى عبدى، وبالنوافل تقرب إلىَّ عبدى .

(٤٦٨) حديث : « جبر نقصان الفرائض بالنوافل » كما فى القوت: أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن وجدت كاملة وإلا يقول الله تعالى : انظروا لعبدى نوافل فتتم بها فرائضه من نوافله ، ثم يعمل بسائر الفرائض ، كذلك يوفى كل فرض فى جنسه من النوافل، وقال العراقى : أخرجه أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، وفيه: فإن انتقص من فريضته شىء ، قال الرب عز وجل : انظروا لعبدى هل من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث تميم الدارى رفعه: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة ، وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته : انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فتكملون به فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك ، وأخرجه الحاكم فى الكنى عن ابن عمر: « أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس ، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس ، وأول ما يسألون عن الصلوات الخمس، فمن كان ضيع شيئا منها يقول الله تبارك وتعالى : انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة . . . » الحديث.=

وقـــال النـبى ﷺ : « قـال الله تعالى : لا ينجـو منى عـبدى إلا بأداء مـا افتـرضتـه عليـه»(٤٦٩)، وروى أن النبى ﷺ صلى صلاة فترك من قراءتـها آية فلما انفتل قال: « مـاذا قرأت » ؟ فسكت القوم، فسأل أبى بن كعب ﷺ فقال: قرأت سورة كذا وتركت آية كذا، فما ندرى أنسخت أم رفعت، فقال: « أنت لها يا أبى » ثم أقبل على الآخرين فقال : « ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم، ألا إن بنى إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك : تحضرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغـيبون عنـى بقلوبكم باطل ما تذهبـون إليه » (٤٧٠) وهذا يـدل علـى أن استماع مـا يقرأ الإمام وفهمه بدل عن قـراءة السورة بنفسه ، وقال بعضــهم : إن الرجل يسجد

= وأخرجه الطبرانى فى الكبـير من حديث عبد الله بن قرط رفعه: من صلى صــلاة لم يتمها زيد عليها من سبحاته حتى تتم ، وفى القـوت: قيل: إن الصلوات الخمس يلفق بعضها إلى بعض حتى يتم بها للعبـد صلاة واحدة ، وقيل : من الناس من يصلى خمسـين صلاة فتكمل له بها خمس صلوات ، وإن الله تعالى ليستوفى من العبد ما أمره كما فرضه عليه وإلا تممه من سائر أعماله النوافل ، لأنه ما فرض على العبد إلا ما يطيقه بقوله : إذ لم يكلفه ما لا طاقة له به.

(٤٦٩) حديث : « قال الله عز وجل: لا ينجو منى عبدى إلا بأداء ما افترضت عليه » قال العراقى: لم أجده . ا هـ . وأورده صاحب القـوت بلفظ: وقد روينا مثل قول عيـسى عليه السلام عن نبينا ﷺ يقول الله عز وجل . . . فساقه .

(٤٧٠) حديث : « إن النبى ﷺ صلى صلاة فـترك من قراءته آية فلما انفتل قـال : ماذا قرأت ؟ فسكت القوم ، فسأل أبى بن كعب ﷺ وكان مع القوم ، فقال : قرأت سورة كذا وتركت آية كذا ،فما أدرى أنسخت أم رفعت ، فقـال : انت لها يا أبى، ثم أقبل على الآخرين فقال : ما بال أقوام يحضرون صـلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيـهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كـتاب ربهم ألا إن بـنى إسرائيل كـذا فـعلوا فـأوحى الله تعـالى إلى نبيـهم أن قل لقـومك: تحضـرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغـيبـون عنى بقلوبكم باطل ما تذهـبون » هكذا أورده صاحب القوت بطوله ، وقال العراقى: أخرجه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا، وأبو منصور الديلمى من حديث أبى بن كعب، والنسائى مختـصراً من حديث عبد الرحمن بن ابزى بإسناد صحيح . اهـ. وفى العوارف: قـال رسول الله ﷺ إنكاراً على أهل الوسوسة: هكذا خرجت عظمة الله تعالى من قلوب بنى إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبـه كما يشهد بدنه ، فإن الرجل على صلاته دائم ، ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيًا لاهيًا .اهـ.

السجدة عنده أنه تقرَّب بها إلى الله عز وجل، ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل : وكيف يكون ذلك؟ قال : يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغٍ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه .

فهذه صفة الخاشعين فدلَّت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل فى الصلاة الخشوع وحضور القلب ، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى فى المعاد، والله أعلم، نسأل الله حسن التوفيق .

★ ★ ★

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الباب الرابع : فى الإمامة والقدوة

وفى أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفى القراءة

أما الوظائف التى هى قبل الصلاة فست :

أولاهـا: ألا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى، وفى الحديث : **« ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم: العبد الآبق، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وإمام أمَّ قوما وهم له كارهون »** (٤٧١) وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم، فإن لم يكن شىء من ذلك فليتقدم مهما تقدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة ويكره عند ذلك المدافعة، فقد قيل: إن قوما تدافعوا الإمامة بعد

---

(٤٧١) حديث : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رءوسهم العبد الآبق ، وامرأة زوجها ساخط عليها، وإمام قوم هم له كارهون » **قال العراقى** : أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال: حسن غريب وضعفه البيهقى . ا هـ .

قال مرتضى : أخرجه فى كتاب الصلاة بزيادة: حتى يرجع الآبق، والباقى سواء ، وقال الذهبى : إسناده ليس بالقوى ، وروى بإسنادين آخرين واختلف كلام العراقى ، ففى هذا الكتاب أقر بتضعيف البيهقى ، وفى موضع آخر من شرح الترمذى قال: إسناده حسن، ووجد بخط الحافظ ابن حجر وصححه ابن حبان . ا هـ . وأخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رفعه: ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا: رجل أمّ قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان . قال الحافظ مغلطاى فى شرح السنن: إسناده لا بأس به ، **وقال العراقى** فى شرح الترمذى : إسناده حسن، وأخرج أبو داود وابن ماجه كلاهما فى الصلاة من رواية عبد الرحمن بن زياد الإفريقى عن عمران المغافرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة : الرجل يؤم قومًا وهم له كارهون ، والرجل لا يأتى فى الصلاة إلا دباراً ، ورجل اعتبد محرراً . **قال العراقى** : فى شرح الترمذى: الإفريقى ضعفه الجمهور ، وقال الصدر المناوى: ضعفه الشافعى وغيره ، وفى شرح المهذب: وهو ضعيف ، وأخرج الطبرانى من حديث جنادة: من أمّ قوما وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته .

إقامة الصلاة فخسف بهم ، وما روى من مدافعة الإمامة بين الصحابة ﷺ فسببه إيثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فإن الأئمة ضمناء، وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس .

الثانية : إذا خيِّر المرء بين الأذان والإمامة، فينبغى أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا، ولكن الجمع مكروه بل ينبغى أن يكون الإمام غير المؤذن وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى، وقال قائلون: الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان ولقوله ﷺ : «**الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن**»(٤٧٢) فقالوا: فيها خطر الضمان، وقال ﷺ : « **الإمام أمين فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا** » (٤٧٣) وفى الحديث : « **فإن أتم فله ولهم، وإن نقص فعليه لا عليهم** » (٤٧٤)

---

(٤٧٢) حديث : « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة ، وحكى عن ابن المدينى أنه لم يثبت ، ورواه أحمد من حديث أبى أمامة بإسناد حسن . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه كذلك ابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى السنن والكل عندهم زيادة: اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين ، والمصنف رحمه الله قد فرق الحديث فى موضعين، وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سهل بن سعد رفعه: الإمام ضامن. وتقدم نقله عن القوت ، وله قصة ذكرت .

(٤٧٣) حديث : « الإمام أمير فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا » هكذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة دون قوله : الإمام أمير، وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة .اهـ .

قال مرتضى : كأنه يشير إلى حديث : «إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا » .

(٤٧٤) حديث : « فإن أتم فله ولهم، وإن نقص فعليه ولا عليهم » ولفظ القوت: وفى الحديث: إذا أتم، والباقى سواء. **قال العراقى**: أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عقبة ابن عامر ، وللبخارى من حديث أبى هريرة : يصلون لكم ، فإن أصابوا فلكم ، وإن أخطأوا فلكم وعليهم .اهـ .

قال مرتضى : ورواه ابن ماجه والحاكم من حديث سهل بن سعد: « الإمام ضامن فإن أتم فله ولهم وإن سها فعليه ولا عليهم»، وحديث عقبة الذى أشار إليه ، فقد أخرجه أحمد أيضاً =

ولأنه ﷺ قال : « **اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين** » (٤٧٥) والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة ، وفي الخبر : « **من أمَّ في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ، ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب** » (٤٧٦) ولذلك نقل عن الصحابة ﷺ أنهم كانوا يتدافعون الإمامة، والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ﷺ والأئمة بعدهم، نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر، كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ : « **ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة** » (٤٧٧) ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه، فقد قال ﷺ « **أئمتكم شفعاؤكم - أو قال : وفدكم إلى الله، فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدِّموا خياركم** » (٤٧٨) .

= ولفظهم جميعًا: من أمّ الناس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم ، ومن انتقص من ذلك شيئا فعليه ولا عليهم . وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر: من أمّ قومًا فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول لما ضمن ، وإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينتقص من أجورهم شيء ، وما كان من نقص فهو عليه .

(٤٧٥) حديث : « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين » تقدم تخريجه قريبًا والحديث واحد ، وقد فرقه المصنف في موضعين كما ترى .

(٤٧٦) حديث : « من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ، ومن أذن أربعين عامًا دخل الجنة بغير حساب » **قال العراقي** : أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بالشطر الأول ، قال الترمذي : حديث غريب .اهـ. وقد أورد صاحب القوت الجملتين معًا وتبعه المصنف ، والجملة الأولى التي عزاها لابن عباس أخرجها كذلك أبو الشيخ في كتاب الأذان ولفظهم جميعًا : من أذن سبع سنين محتسبًا كتبت له براءة من النار ، وزاد الترمذي بعد قوله غريب ضعيف فالحديث مذكور هنا بالمعنى ، وأما لفظ: وجبت له الجنة، فعند ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر: من أذن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة .

(٤٧٧) حديث : « ليوم واحد من ذي سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » **قال العراقي** : أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين . اهـ . وهو معنى الخبر المشهور الدائر على الألسنة: عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة .

(٤٧٨) حديث : « أئمتكم شفعاؤكم إلى الله - أو قال وفدكم إلى الله - فإن أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم» ولفظ القوت: وروينا في خبر غريب: أئمتكم وفودكم إلى الله تعالى ... والباقي سواء، **وقال العراقي** : أخرجه الدارقطني والبيهقي وضعف إسناده من حديث ابن عمر، والبغوي وابن قانع والطبراني في معاجيمهم، والحاكم من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع ، وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف .

وقال بعض السلف : ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين؛ لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه ، هذا بالنبوة، وهذا بالعلم ، وهذا بعماد الدين وهو الصلاة . وبهذه الحجـة احتج الصحابة فى تقديم أبى بكر الصدّيق رضي الله عنه وعنهم للخلافة ، إذ قالوا : « نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا » (٤٧٩) .

وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضيه للأذان (٤٨٠) وما روى أنه قال له رجل : يا رسول الله، دلنى على عمل أدخل به الجنة ، قال : « كن مؤذنا » ، قال : لا أستطيع، قال : « كن

(٤٧٩) حديث : « فى تقديم أبى بكر رضي الله عنه للخلافة » ولفظ القوت: فى الخلافة لما أهله رسول الله ﷺ إذ قالوا : نظرنا ، ولفظ القوت: قال : فنظرنا ، فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا ، ولفظ القوت: فرضينا لديننا من رضيه رسول الله ﷺ إمامه ، قال : وبهذه الحجة احتج عمر رضي الله عنه على الأنصار فى بيعة أبى بكر رضي الله عنه ، فقال : أيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله ﷺ إمامه ؟ وبهذا احتج أبو عبيدة رضي الله عنه على أبى بكر كما أخذ بيده وبيد عمر ، وقال: بايعوا أحد هذين فقد رضيت لكم أحدهما ، فقال أبو عبيدة : ما كنت لأصلى أمام من صلى رسول الله ﷺ خلفه ، **وقال العراقى** : تقديم الصحابة أبا بكر ، وقولهم : اخترنا لدنيانا . . . إلخ . أخرجه ابن شاهين فى شرح مذاهب السنة من حديث على ، قال: لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس ، وإنى لشاهد ما أنا بغائب ولا بى مرض، فرضينا لدنيانا ما رضى به النبى ﷺ لديننا . والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبى موسى فى حديث قال فيه : « مروا أبا بكر فليصل بالناس» .

قال مرتضى : وبهذا استدل أبو حنيفة ومحمد فى تقديم الأعلم على الأقرأ لأنه كان ثمة من هو أقرأ من أبى بكر لا أعلم منه لقوله عليه السلام : أقرؤكم أبى ، وقول أبى سعيد : كان أبو بكر أعلمنا، وإنما اختار المشايخ هذا القول لأن الإمامة ميراث نبوى فيختار لها من يكون أشبه به خلقا وخلقًا ، والقراءة يحتاج إليها لركن واحد، والعلم يحتاج إليه الجميع ، والخطأ المفسد للصلاة فى القراءة لا يعرف إلا بالعلم، والله أعلم .

(٤٨٠) حديث : وما قدموا بلالا احتجاجا بأنه رضيه للأذان، **قال العراقى** : أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله ابن زيد فى بدء الأذان وفيه: قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به . . . الحديث . وأما تقديمهم له بعد موته ﷺ فروى الطبرانى أن بلالاً جاء إلى أبى بكر فقال : يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسى فى سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر : أنشدك بالله يا بلال وحرمتى وحقى لقد كبرت سنى وضعفت قوتى واقترب أجلى فأقام بلال معه فلما توفى أبو بكر=

إمامًا » ، قال: لا أستطيع، فقال : « صل بإزاء الإمام » (٤٨١) فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها .

الثالثة : أن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه، ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا (٤٨٢) روى عن رسول الله ﷺ ، وفى الحديث : « **إن العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها** »(٤٨٣) ولا ينبغى أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهى أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة، وقد قيل: كانوا إذا حضر اثنان فى الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس، وقد تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ﷺ ركعة فقام يقضيها، قال : فأشفقنا من ذلك، فقال رسول الله ﷺ : «**قد أحسنتم، هكذا فافعلوا** » (٤٨٤) .

= جاء عمر فقال له مثل ما قال أبو بكر فأبى عليه، فقال عمر: فمن يا بلال ؟ فقال : إلى سعد فإنه قد أذن بقباء على عهد رسول الله ﷺ ، فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه، وفى إسناده جهالة .

(٤٨١) حديث : « قال له رجل : يا رسول الله دلنى على عمل أدخل به الجنة، فقال : كن مؤذنا، فقال: لا أستطيع، فقال له : كن إمامًا، فقال : لا أستطيع، قال : صلّ بإزاء الإمام » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى** : رواه البخارى فى التاريخ والعقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف .

(٤٨٢) حديث : « ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا » أى فيتأكد الحث على المبادرة ، هكذا روى عن رسول الله ﷺ وفى رواية : فضل الصلاة أول الوقت على آخره. . . **قال العراقى** : أخرجه أبو منصور الديلمى من حديث ابن عمر بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك أورده أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب الثواب له .

(٤٨٣) حديث : « إن العبد ليصلى الصلاة ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها» **قال العراقى**: أخرج الدارقطنى من حديث أبى هريرة نحوه بإسناد ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : لفظ الدارقطنى: خير له من أهله وماله .

(٤٨٤) حديث : « وقد تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر وكانوا فى سفر، وإنما تأخر للطهارة، فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ﷺ ركعة =

وقد « تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ﷺ حتى جاء رسول الله ﷺ وهو فى الصلاة فقام إلى جانبه.» (٤٨٥) .وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة، فإذا حضر فلا ينتظر غيره .

الرابعة: أن يؤم مخلصًا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى فى طهارته وجميع شروط صلاته، أما الإخلاص فبألا يأخذ عليها أجرة، فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبى العاص الثقفى وقال: « **اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجراً** » (٤٨٦) فالأذان طريق إلى الصلاة فهى أولى بألا يُؤخذ عليها أجر، فإن أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد الناس فلا يُحكم بتحريمه ولكنه مكروه، والكراهية فى الفرائض أشد منها فى التراويح وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد فى إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة .

وأما الأمانة فهى الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر، فالمترشح للإمامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده، فإنه كالوفد والشفيع للقوم فينبغى أن يكون خير

= فقام يقضيها فأشفقنا من ذلك، فقال : أحسنتم، هكذا فافعلوا » ، يشير بذلك إلى أداء الصلاة فى أول وقتها ولم يؤاخذهم فى عدم انتظارهم له ، هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى:** متفق عليه من حديث المغيرة .اهـ.

قال مرتضى : صلاته ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف فى غزوة تبوك من إفراد مسلم، فيها زيادات حسنة .

(٤٨٥) حديث : « وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر ﷺ حتى جاء ﷺ وهم فى الصلاة فقام إلى جانبه » ، **قال العراقى:** متفق عليه من حديث سهل بن سعد . اهـ .

قال مرتضى : وهى صلاة الظهر يوم الإثنين .

(٤٨٦) حديث : « فقال : واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجراً » ولفظ القوت: أن يتخذ مؤذنا، والباقى سواء ، **قال العراقى :** أخرجه أصحاب السنن والحاكم ، وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص .

قال مرتضى : وأخرجه البيهقى فى السنن من طريق حماد بن سلمة ، أخبرنا الجريرى عن أبى العلاء عن مطرف عن عثمان بن أبى العاص قلت : يا رسول الله اجعلنى إمام قومى ، قال: « أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا ».

القوم، وكـذا الطهارة ظاهرًا عن الحـدث والخبث فإنه لا يطلع عليـه سواه، فـإن تذكر فى أثناء صلاته حدثًا أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحيى بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه، فقد تذكـر رسـول الله ﷺ الجنابة فى أثناء الصـلاة فـاسـتـخلف واغـتـسل ثم رجع ودخل فى الصلاة.(٤٨٧) وقال سفيان : صلِّ خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلنًا بالفسوق أو عاقًا لوالديه أو صاحب بدعة أو عبدًا آبقًا .

الخـامسـة : ألا يكبر حتى تسـتوى الصفوف، فليلتفت يمينا وشمـالا فإن رأى خللا أمر بالتسـوية، قيل: كانوا يتحـاذون بالمناكب ويتضامـون بالكعاب، ولا يكبر حـتى يفرغ المؤذن من الإقامة، والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر اسـتعداد الناس للصلاة ، ففى الخبر : « **ليتـمهل المؤذن بين الأذان والإقامةُ بقدر ما يفرغ الآكل من طعامـه والمعتصر من اعتصاره** » (٤٨٨) وذلـك

(٤٨٧) حديث : « فقد تذكر رسول الله ﷺ أنه جنب أثناء الصلاة فـاستخلف ، ثم خرج فاغتسل ثم رجع فـدخل فى الصلاة » وهكذا أخـرجه أبو داود من حـديث أبى بكرة بإسناد صحـيح ، وليس فيه ذكر الاستخلاف ، وإنما قـال : ثم أومأ إليهم أن مكانكم، نعم ورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى، وعند البخارى استخلاف عمر فى قصة طعنه ، ثم قال صاحب القوت : فإن كان الحادثـة فى الصلاة فعل ذلك ، وإن كان ذكـر أنه دخل فى الصلاة على غير طـهارة خرج ولم يستخلف وابتدأ القوم الصلاة .

(٤٨٨) حديث : « ليـتمهل المؤذن بين الأذان والإقامـة بقدر ما يفـرغ الآكل من طعامه والمعتـصر من اعتصاره » هكذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقى** : أخرجه الترمذى والحاكم من حديث جابر : « يـا بلال ، اجعل بين أذانك وإقـامتك قدر مـا يفرغ الآكل من أكله ، والـشارب من شربه ، والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجتـه » ، قال الترمذى : إسناده مجهول ، وقال الحاكم : ليس فى إسناده مطعون فيه غير عمر بن فائد ، **قال العراقى** : بل فيه عبد المنعم الرياحى منكر الحديث، قاله البخارى وغيره . اهـ .

قـال مـرتضى : وأخرجه كذلك عـبد بن حميد والشاشى وأبو الشيخ فى الأذان والبيهقى وضعفـه وسعيد بـن منصور فى سننه ، كلهم عن جابر بلفظ : « يا بلال إذا أذنت فـترسل فى أذانك ، وإذا أقمت فـاحدر ، واجعل بين أذانك وبين إقـامتك قدر مـا يفرغ الآكل من أكله ، والشارب من شرابه ، والمعتصر إذا دخل لقضـاء الحاجة ، ولا تقوموا حتى ترونى» ، وأخرجه بهذا اللفظ أيضـا أبو الشيخ فى الأذان والبيـهقى عن أبى هريرة إلى قولـه : لقضاء حاجـته ، وأخرج عـبد الله بن أحمـد فى زوائد المسند من حديث أبىّ بن كعـب بلفظ : « يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك نفسا يفرغ الآكل من طعامه فى مهل ، ويقضى المتوضئ حاجته فى مهل» ، والمعتصر هو الذى غلب عليه البول أو الغائط، من اعتصر العنب إذا استخرج ماءه .

لأنه « نهى عن مدافعة الأخبثين (٤٨٩) وأمر بتقديم العَشاء على العِشاء » (٤٩٠) طلبًا لفراغ القلب .

السادسة : أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه ، وينوى الإمامة لينال الفضل فإن لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة وليؤخر المأموم تكبيرة عن تكبيرة الإمام فيبتدئ بعد فراغه، والله أعلم .

وأما وظائف القراءة فثلاث :

أولاها : أن يُسِر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد، ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في جميع الصبح وأوليى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد، ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم، تأمينه بتأمين الإمام معًا لا تعقيبًا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٤٩١)

---

(٤٨٩) حديث : « نهى عن مدافعة الأخبثين » أخرج مسلم من حديث عائشة بلفظ : « لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان » ، كذلك رواه أبو داود ولفظ البيهقى : لا يصلين . وقد تقدم ذلك .

(٤٩٠) حديث : « وأمر بتقديم العشاء على العِشاء » ، بالكسر تقدم أيضا من حديث ابن عمر وعائشة: « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء» المتفق عليه .

(٤٩١) حديث : « ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » اعلم أن فى قراءتها فى الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها أنها واجبة وجوب الفاتحة لكونها آية منها وهو مذهب الشافعى وإحدى الروايتين عن أحمد وطائفة من أهل الحديث، والثانى أنها مكروهة سرًا وجهرًا وهو المشهور عن مالك، والثالث أنها جائزة بل مستحبة وهو مذهب أبى حنيفة والمشهور عن أحمد وأكثر أهل الحديث، ثم مع قراءتها هل يسن الجهر بها أو لا؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها يسن الجهر بها، وبه قال الشافعى ومن وافقه ، والثانى لا يسن وبه قال أبو حنيفة وجمهور أهل الحديث والرأى وفقهاء الأمصار وجماعة من أصحاب الشافعى، وقيل: يخير بينهما وهو قول إسحاق بن راهويه وابن حزم ، قال الزيلعى الحافظ من أصحابنا: وكان بعض العلماء يقول بالجهر سدًا للذرائع ، قال: ويسوغ للإنسان أن يترك الأفضل لأجل تأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفا من التنفير . وقد نص أحمد وغيره على ذلك فى البسملة وفى وصل الوتر وغير ذلك مما فيه العدول عن الأفضل إلى الجائز المفضول مراعاة لائتلاف المأمومين أو لتعريفهم السنة وأمثال ذلك، وهذا أصل كبير فى سد الذرائع . اهـ .

=

والأخبار فيه متعارضة، واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر(٤٩٢) .

= قال مرتضى : وممن قال بسنية الإخفاء بها من الشافعية الإمام أبو طالب المكي صاحب القوت فإنه قال فيه: ولا أستحب للإمام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت آية من سورة الحمد، فأكثر الروايات رأيتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها وأنه الآخر من فعله، وقد يأخذون الآخر فالآخر من فعله صلى الله عليه وسلم ،ولمواطأة فعل أبى بكر وعمر رضي الله عنهما لذلك وهو مذهب الأكثرين من الصحابة والعلماء، وقد روينا عن على وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم كراهة الجهر بها، وقال ابن عباس: ليس من السنة الجهر بها وقال ابن مسعود: من السنة إخفاؤها . ا هـ . والأخبار فيها هل يجهر بها، أم لا متعارضة .

(٤٩٢) « واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر » قال مرتضى: قد أفرد هذه المسألة بالتصنيف جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والبيهقي وابن عبد البر والخطيب البغدادى وآخرون، وقد أذكر هنا أحاديث الطرفين والآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم مقدما أحاديث الجهر مراعاة لمذهب المصنف مع الكلام على كل حديث وأثر مما اقتضاه المقام مع كمال إنصاف وعدم تعصب متوكلا على الله معتمداً على مواهبه جل جلاله ، ومع ذلك فلكل وجهة ولكلٍّ نصيب فيما اجتهد فيه، فأقول: للقائلين بالجهر تسعة أحاديث وخمسة آثار . أما الأحاديث: فأولها وهو أجودها حديث أبى هريرة ، أخرجه البيهقي فى السنن من طريق حيوة بن شريح والليث واللفظ له ، حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن نعيم المجمر ، قال : صليت وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن ، وقال: آمين، وقال الناس : آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر ، وإذا قام من الجلوس قال : الله أكبر ، ويقول إذا سلم : والذى نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال: إسناده صحيح وله شواهد ، وقال فى الخلافيات: رواته كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم فى الصحيح ، وأخرجه النسائى فى سننه فقال: باب الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا شعيب، أخبرنا الليث بن سعد فذكره، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه ، وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، والدارقطنى فى سننه وقال: حديث صحيح ورواته كلهم ثقات، والجواب عنه من وجوه أحدها أنه حديث معلول ، فإن ذكر البسملة فيه مما تفرد به نعيم المجمر من بين أصحاب أبى هريرة وهم ثمانمائة ما بين صاحب وتابع ولا يثبت عن ثقة من أصحاب أبى هريرة أنه حدث عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة فى الصلاة ، وقد أعرض عن ذكر البسملة صاحبا الصحيح، فرواه البخارى من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة كان يكبر فى كل صلاة من المكتوبة وغيرها ، فيكبر حين يقوم ، ثم يكبر حين يركع ، ثم يقول : سمع الله لمن حمده ، ثم يقول : ربنا لك الحمد ، ثم يقول : الله أكبر حين يهوى ساجداً، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود ، ثم يكبر حين يسجد ، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يكبر حين يقوم من الجلوس فى الاثنتين، وذلك فى كل ركعة حتى يفرغ من الصلاة ، ثم يقول حين=

= ينصرف : والذى نفسى بيده إنى لأقربكم شبها بصلاة رسول الله ﷺ إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا ، ورواه مسلم بنحو ذلك، هذا هو الصحيح الثابت عن أبى هريرة .

قال ابن عبد البر: وكأنه كان ينكر على من ترك التكبير فى رفعه وخفضه ، قال : ويدل على أنهم كانوا يفعلون ذلك ما رواه النسائى من طريق ابن أبى ذئب عن سعيد بن سمعان عن أبى هريرة أنه قال : ثلاث كان يفعلهن رسول الله ﷺ تركهن الناس: كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه مدا ، وكان يقف قبل القراءة هنيهة ، وكان يكبر فى كل خفض ورفع . ورواه ابن أبى ذئب فى موطئه كذلك باللفظ المذكور ، ورواه البخارى فى القراءة خلف الإمام، وأبو داود الطيالسى فى مسنده ، وهذا حديث حسن ورواته ثقات وسعيد بن سمعان الأنصارى صدوق وثقه النسائى وابن حبان وليس للتسمية فى هذا الحديث ولا فى الأحاديث الصحيحة عن أبى هريرة ذكر ، وهذا مما يغلب على الظن أنه وهم على أبى هريرة، فإن قيل: قد رواها نعيم المجمر وهو ثقة والزيادة من الثقة مقبولة ، قلنا : ليس ذلك مجمعًا عليه ، بل فيه خلاف مشهور ، فمن الناس من يقبل زيادة الثقة مطلقًا ، ومنهم من لا يقبلها ، والصحيح التفصيل وهو أنها تقبل فى موضع دون موضع ، فتقبل إذا كان الراوى لها ثقة حافظًا ثبتا، والذى لم يذكرها مثله أو دونه فى الثقة ولا تقبل فى موضع آخر لقرائن تخصها ، ومن حكم فى ذلك حكما عاما فقد غلط ، بل كل زيادة لها حكم يخصها ، ففى موضع يجزم بصحتها، وفى موضع يغلب على الظن صحتها ، وفى موضع يتوقف فيها، وزيادة نعيم المجمر التسمية فى هذا الحديث مما يتوقف فيه ، بل يغلب على الظن ضعفه وعلى تقدير صحتها فلا حجة فيها للقائل بالجهر لأنه قال: فقرأ أو فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، وذلك أعم من قراءتها سرًا أو جهرًا ، وإنما هو حجة على من لا يرى قراءتها، فإن قيل : لو كان أبو هريرة أسر بالبسملة وجهر بالفاتحة لم يعبر عن ذلك نعيم بعبارة واحدة متناولة للفاتحة والبسملة تناولا واحدا ولقال: فأسر بالبسملة ثم جهر بالفاتحة، والصلاة كانت جهرية بدليل تأمينه وتأمين المأمومين ، قلنا : ليس الجهر فيه بصريح ولا ظاهر يوجب الحجة ، ومثل هذا لا يُقدَّم على النص الصريح المقتضى للإسرار ، ولو أخذ الجهر من هذا الإطلاق لأخذ منه أنها ليست آية من أم القرآن ، فإن قال : فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ أم القرآن والعطف يقتضى المغايرة.

الوجه الثانى : أن قوله فقرأ أو قال، ليس بصريح أنه سمعها منه إذ يجوز أن يكون أبو هريرة أخبر نعيما بأنه قرأها سرًا ويجوز أن يكون سمعها منه فى مخافتته لقربه منه ، كما روى عنه من أنواع الاستفتاح وألفاظ الذكر فى قيامه وقعوده وركوعه وسجوده .

وقد روى مسلم فى الصحيح عن على أن النبى ﷺ كان يقول إذا قام فى الصلاة : وجهت وجهى ... الحديث ، ولم يكن سماع الصحابة ذلك منه دليلا على الجهر ، وكذا قوله: وكان يسمعنا الآية أحيانًا .

=

= **الوجه الثالث**: أن قوله: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ، إنما أراد به أصل الصلاة ومقاديرها أو هيئتها، وتشبيه الشيء بالشيء لا يقتضي أن يكون مثله من كل وجه بل يكفي في غالب الأفعال، وذلك متحقق في التكبير وغيره دون البسملة، فإن التكبير وغيره من أفعال الصلاة ثابت صحيح عن أبي هريرة، وكان مقصوده الرد على من تركه، أما التسمية ففي صحتها عنه نظر فينصرف إلى الصحيح الثابت دون غيره، وكيف يُظن بأبي هريرة أنه يريد التشبيه في الجهر بالبسملة وهو الراوي عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...» الحديث، وقد سبق ذكره وأنه أخرجه مسلم في صحيحه عن سفيان ومالك وابن جريج كلهم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وأبي السائب كلاهما عنه، فهو ظاهر في أن البسملة ليست من الفاتحة وإلا لابتدأ بها لأن هذا محل بيان واستقصاء لآيات السورة حتى أنه لم يخل منها بحرف، والحاجة إلى قراءة البسملة أمس ليرتفع الإشكال، قال ابن عبد البر: حديث العلاء هذا قاطع تعلق المتنازعين وهو نص لا يحتمل التأويل، ولا أعلم حديثًا في سقوط البسملة أبين منه، واعترض بعض المتأخرين على هذا الحديث بأمرين:

أحدهما: قال: لا تغتر بكون هذا الحديث في مسلم فإن العلاء بن عبد الرحمن تكلم فيه ابن معين، فقال: الناس يتقون حديثه ليس حديثه بحجة، مضطرب الحديث، ليس بذاك هو ضعيف. روى عنه جميع هذه الألفاظ، وقال ابن عدي: ليس بالقوى. وقد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به.

الثاني: قال: وعلى تقدير صحته فقد جاء في بعض الروايات عنه ذكر التسمية كما أخرجه الدارقطني عن عبد الله بن يزيد بن سمعان عن العلاء فذكره، وهذه الرواية وإن كان فيها ضعف ولكنها مفسرة لحديث أنه أراد السورة لا الآية، وهذا القائل حمله الجهل وفرط التعصب على أن ترك الحديث الصحيح وضعفه لكونه غير موافق لمذهبه وقال: لا تغتر بكونه في مسلم مع أنه قد رواه عن العلاء الأئمة الثقات كمالك وأضرابه ممن تقدم ذكرهم آنفا عند ذكر المصنف لهذا الحديث، ولم يذكر هذه الزيادة، والعلاء نفسه ثقة صدوق من رجال الصحيحين وهذه الرواية مما انفرد بها ابن سمعان وهو كذاب، ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة ولا في المصنفات المشهورة ولا المسانيد المعروفة وإنما رواه الدارقطني في سننه وفي كتاب العلل مع أنه نبه في كل منهما على حال ابن سمعان بأنه متروك ضعيف، وحسبك بالأول أن أودعه مسلم في صحيحه، وزيادة ابن سمعان باطلة قطعا زادها خطأ أو عمدًا، فإنه متهم بالكذب مجمع على ضعفه، ومن هنا يظهر أن ما أورده الشهاب السهروردى من طريق آدم بن أبي إياس عن العلاء بمثل زيادة ابن سمعان ينظر فيه إن لم تختلط رواية برواية فإنهم أجمعوا على أن أصحاب العلاء لم يذكر أحد هذه الزيادة في حديث أبي هريرة، ولو كانت رواية آدم ثابتة عندهم ما احتاجوا إلى الاستدلال برواية ابن سمعان، فكيف يعل الحديث الصحيح الذي رواه مسلم بالحديث الضعيف الذي رواه الدارقطني؟ وهلا جعلوا الحديث=

= الصحيح علة للضعيف ومخالفة أصحاب أبى هريرة الثقات لنعيم موجبا لرده إذ مقتضى العلم أن يعل الحديث الضعيف بالحديث الصحيح، والله أعلم .

(تنبيه) : رواية العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رواها ابن عيينة وتابعه شعبة وروح بن القاسم والدراوردى وإسماعيل بن جعفر وجماعة، ورواية العلاء عن أبى السائب عن أبى هريرة رواها مالك وتابعه ابن جريج وابن إسحاق والوليد بن كثير ، وقد جمع مسلم بين الروايتين جمعًا وإفرادًا، وليس هذا الاختلاف علة فإن العلاء سمعه من أبيه ومن أبى السائب ، ولهذا يجمعهما مسلم تارة وتارة يفرد أباه وتارة يفرد أبا السائب، والله أعلم .

ولأبى هريرة حديث آخر أخرجه الخطيب فى الجزء الذى صنفه فى هذا المسألة، فساق من طريق أبى أويس المدنى واسمه عبد الله بن أويس ، قال أخبرنى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا أم الناس جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ورواه الدارقطنى فى السنن وابن عدى فى الكامل فقالا فيه قرأ بدل جهر وكأنه رواه بالمعنى، والجواب: لو ثبت هذا عن أبى أويس فهو غير محتج به لأن أبا أويس لا يحتج بما انفرد به، فكيف إذا انفرد بشىء وخالفه فيه من هو أوثق منه مع أنه تكلم فيه فوثقه جماعة وضعفه آخرون،وممن ضعفه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم الرازى، وممن وثقه الدارقطنى وأبو زرعة وروى له مسلم فى صحيحه، ومجرد الكلام فى الرجل لا يسقط حديثه ولو اعتبرنا ذلك لذهب معظم السنة إذ لم يسلم من كلام الناس إلا من عصمه الله تعالى، بل خرج فى الصحيح لخلق ممن تكلم فيهم، ولكن صاحبى الصحيح إذا أخرجا لمن تكلم فيه فإنهم ينتقون من حديثه ما توبع عليه وظهرت شواهده وعلم أن له أصلا، ولا يروون ما تفرد به سيما إذا خالفه الثقات وهذه الغلة راجت على كثير من الناس ممن استدرك على الصحيحين فتساهلوا فى استدراكهم إذ لا يلزم من كون الراوى محتجًا به فى الصحيح أنه إذا وجد فى أى حديث كأن يكون ذلك الحديث على شرطه وقد يوجد فى الصحيح رجل روى عن معين لضبطه حديثه وخصوصيته به ولم يخرجا حديثه عن غيره لضعفه فيه أو لعدم ضبطه لحديثه أو لكونه غير مشهور عنه فيجىء المستدرك فيخرجه عن غير ذلك المعين ، ثم يقول : هذا على شرط الشيخين أو أحدهما ، وهذا فيه تساهل كبير ينبغى التنبه له ، فحديث أبى أويس هذا لم يترك لكلام الناس فيه ، بل لتفرده به ومخالفة الثقات له وعدم إخراج أصحاب المسانيد والكتب المشهورة والسنن المعروفة، ولرواية مسلم الحديث فى صحيحه من طريقه وليس فيه ذكر البسملة، والله أعلم .

ولأبى هريرة حديث آخر أخرجه الدارقطنى عن خالد بن إلياس عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : علمنى جبريل الصلاة ، فقام فكبر لنا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر به فى كل ركعة ، والجواب: هذا الإسناد ساقط ، فإن خالد بن إلياس - ويقال فيه ابن إياس - مجمع على ضعفه ، بل منكر الحديث متروكه كما=

= قاله أحمد والنسائي ، وقال الحاكم : روى عن سعيد المقبرى وابن المنكدر وهشام بن عروة أحاديث موضوعة ، والصواب فى هذا الحديث وقفه ، وهكذا رواه نوح بن أبى مريم عن المقبرى كما بينه الدارقطنى فى العلل، ولئن سلم فليس فيه دلالة على الجهر ونحن لا ننكر أنها من القرآن ، وإنما النزاع فى الجهر بها ومجرد قراءته ﷺ إياها قبل الفاتحة لا يدل على ذلك، وأيضًا فالمحفوظ الثابت عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة فى هذا الحديث عدم ذكر البسملة ، كما رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه: الحمد لله هى أم القرآن وهى السبع المثانى والقرآن العظيم . ورواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح، ولأبى هريرة حديث آخر أخرجه البيهقى فى السنن من طريق عقبة بن مكرم حدثنا يونس بن بكير عن أبى معشر عن محمد بن قيس عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم فترك الناس ذلك ، هذا هو الصواب . ووهم من قال : مسعر بدل أبى معشر، والجواب على تقدير ثبوت هذا الحديث من رواية أبى معشر كما قال : إنه الصواب ، فقد قال الذهبى فى مختصره : أبو معشر ضعيف واسمه نجيح السندى ، وقد ضعفه البيهقى فى غير موضع من كتابه وكان القطان لا يحدث عنه .

الحديث الثانى : لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه وله ثلاث طرق :

إحداها : رواه الحاكم فى المستدرك عن سعيد بن عثمان حدثنا عبد الرحمن بن سعد المؤذن حدثنا قطر بن خليفة عن أبى الطفيل عن على وعمار أن النبى ﷺ كان يجهر فى المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم، وقال: صحيح الإسناد لا أعلم فى رواته منسوبا إلى الجرح والجواب: قال الذهبى فى مختصره: هذا خبر واه كأنه موضوع لأن عبد الرحمن صاحب مناكير ضعفه ابن معين، وسعيد بن عثمان مجهول وإن كان هو الكريزى فهو ضعيف . اهـ . وعن الحاكم رواه البيهقى فى المعرفة بسنده ومتنه وقال: إسناده ضعيف . اهـ . وقال ابن عبد الهادى: هذا حديث باطل ولعله أدخل على الحاكم .

الثانية : رواه الدارقطنى فى سننه عن أسيد بن زيد عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبى الطفيل عن على وعمار نحوه والجواب: أن عمرو بن شمر وجابرًا الجعفيين لا يحتج بهما ، قال البخارى: عمرو بن شمر منكر الحديث ، وقال النسائى والدارقطنى والأزدى: متروك الحديث، وقال الحاكم كثير الموضوعات، وقال الجوزجانى: زائغ كذاب، وأما جابر الجعفى فقال فيه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه، وأسيد بن زيد كذبه ابن معين وتركه النسائى .

الثالثة : رواه الدارقطنى أيضًا عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب العلوى عن أبيه عن جده على قال : كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى السورتين جميعا، والجواب: أن عيسى هذا متهم بوضع الحديث، وقال ابن حبان والحاكم: روى عن آبائه أحاديث موضوعة لا يحل الاحتجاج به . =

= الحديث الثالث : لابن عباس رضي الله عنه وله أربع طرق :

إحداها : عند الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو بن حسان، حدثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، قال الحاكم : إسناده صحيح وليس له علة قد احتج البخاري بسالم هذا وهو ابن عجلان الأفطس واحتج مسلم بشريك .ا.هـ . والجواب : هذا الحديث غير صريح ولا صحيح ، فأما كونه غير صريح فإنه ليس فيه أنه في الصلاة ،وأما كونه غير صحيح فإن عبد الله بن عمرو بن حسان الواقفي كان يضع الحديث قاله ابن المديني، وقال ابن عدي : أحاديثه مقلوبات ، وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : ليس بشيء كان يكذب، وقول الحاكم: احتج مسلم بشريك، فيه نظر فإنه إنما روى له في المتابعات لا في الأصول .

الثانية : عند الدارقطني عن أبي الصلت الهروي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير عنه قال : كان النبي ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ، والجواب : إن هذا أضعف من الأول ، فإن أبا الصلت عبد السلام بن صالح الهروي متروك، قال أبو حاتم : ليس عندي بصدوق ، وضرب أبو زرعة على حديثه وقال : لا أرضاه، وقال الدارقطني : رافضي خبيث متهم ، وقد خالفه غيره فرواه عن عباد فأرسله وليس فيه أنه في الصلاة ، أخرجه أبو داود ، وفي المراسيل حدثنا عباد بن موسى حدثنا عباد بن العوام عن شريك عن سالم فساقه .

الثالثة : أخرجه البيهقي من طريق إسحاق بن راهويه، أخبرنا المعتمر بن سليمان سمعت إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان يحدث عن أبي خالد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ، يعني كان يجهر بها ، رواه يحيى بن معين عن المعتمر ولفظه: كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم. وله شواهد ذكرتها في الخلافيات. اهـ. والجواب : أولا أن إسماعيل بن حماد لم يكن بالقوي في الحديث، قاله البزار بعد أن أخرج هذا الحديث في مسنده من طريقه ، ورواه العقيلي وأعله بإسماعيل هذا ، وقال : حديثه غير محفوظ وأبو خالد مجهول ، قاله ابن عدي، وسئل عنه أبو زرعة ، فقال : لا أعرفه ولا أدري من هو .

قال مرتضى : لكن البزار قال فيه : أحسبه الوالي، فإن كان كما حسب فاسمه هرمز وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ولا إخاله يخفى على أبي زرعة حيث قال : لا أعرفه ، وثانيا هذا التفسير الذي ذكره ليس من قول ابن عباس وإنما هو من قول غيره من الرواة وهو حديث لا يحتج به على كل حال .

الرابعة : أخرج الدارقطني من طريق عمر بن حفص المكي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ لم يزل يجهر في السورتين ببسم الله الرحمن الرحيم حتى قبض ، =

= والجواب: أن هذا لا يجوز الاحتجاج به ، فإن عمر بن حفص ضعيف، قال ابن الجوزى فى التحقيق : أجمعوا على ترك حديثه وضعفه البيهقى أيضًا فى غير موضع من السنن وأنه لا يحتج به، وقال ابن عبد الهادى: يجاب عن حديث ابن عباس من وجوه :

أحدها : الطعن فى صحته، فإن مثل هذه الأسانيد لا تقوم بها حجة لو سلمت من المعارض، فكيف وقد عارضتها الأحاديث الصحيحة ، وصحة الإسناد تتوقف على ثقة الرجال، ولو فرض ثقة الرجال لم يلزم منه صحة الحديث حتى ينتفى عنه الشذوذ والعلة .

الثانى : أن المشهور فى لفظه: الإستفتاح لا لفظ الجهر.

الثالث : أن قوله جهر إنما يدل على وقوعه مرة لأن كان يدل على وقوع الفعل ، وأما استمراره فيفتقر إلى دليل من خارج، وما روى أنه لم يزل يجهر بها فباطل كما سيأتى .

الرابع : أنه روى عن ابن عباس ما يعارض ذلك، قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الملك بن أبى بشير عن عكرمة عن ابن عباس، قال الجهر: ببسم الله الرحمن الرحيم قراءة الأعراب، وكذلك رواه الطحاوى .

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن عبد البر فى الاستذكار، ثم قال: ويقويه ما رواه الأثرم بسنده إلى عكرمة قال : أنا أعرابى إن جهرت ببسم الله الرحمن الرحيم. والله أعلم .

الحديث الرابع : لابن عمر ﷺ:

قال الدارقطنى : حدثنا عمر بن الحسن بن على الشيبانى حدثنا جعفر بن محمد بن مروان حدثنا أبو طاهر أحمد بن عيسى حدثنا ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر قال: صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، والجواب: أن هذا باطل من هذا الوجه لم يحدث به ابن أبى فديك قط والمتهم به أحمد بن عيسى العلوى المتقدم ذكره . وقد كذبه الدارقطنى نفسه وابن أبى فديك برىء مما نسب إليه، وشيخ الدارقطنى ضعيف أيضا تكلم فيه الدارقطنى نفسه، وشيخه جعفر بن محمد بن مروان لا يحتج به .

الحديث الخامس : للنعمان بن بشير ﷺ:

أخرجه الدارقطنى فى سننه عن يعقوب بن يوسف بن زياد الضبى ، حدثنا أحمد بن حماد الهمدانى عن قطر بن خليفة عن أبى الضحى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : أمنى جبريل عند الكعبة فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والجواب: أن هذا حديث منكر بل موضوع ، ويعقوب بن يوسف الضبى ليس له ذكر فى الكتب المشهورة المصنفة فى الرجال ، ويحتمل أن يكون هذا الحديث من وضعه، وأحمد بن حماد ضعفه الدارقطنى . =

= وسكوت الدارقطني والخطيب وغيرهما من الحفاظ عن مثل هذا الحديث بعد روايتهم له قبيح جدا، ولم يتعلق ابن الجوزى إلا بقطر بن خليفة وهو تقصير منه وكأنه اعتمد على قول السعدى فيه: هو زائغ غير ثقة، وليس هذا بطائل فإن قطر بن خليفة روى له البخارى فى صحيحه ووثقه أحمد والقطان وابن معين، والله أعلم .

الحديث السادس : للحكم بن عمير رضي الله عنه :

قال الدارقطني: حدثنا أبو الشيخ الحسين بن محمد بن بشر الكوفى حدثنا أحمد عن موسى ابن إسحاق حدثنا إبراهيم بن حبيب . حدثنا موسى بن أبى حبيب الطائفى عن الحكم بن عمير - وكان بدريا - قال: صليت خلف النبى ﷺ فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الجمعة . والجواب: هذا حديث باطل من وجوه، أحدها أن الحكم ابن عمير ليس بدريا ولا فى البدريين أحد اسمه كذلك بل لا تعرف له صحبة، فإن موسى بن أبى حبيب الراوى عنه لم يلق صحابيا بل هو مجهول لا يحتج بحديثه، ولعل الصواب وكان بدويا أى نزل البادية فوقع التصحيف ، قال ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل: الحكم بن عمير روى عن النبى ﷺ أحاديث منكرة لا يذكر سماعا ولا لقاء، روى عنه ابن أخيه موسى ابن أبى حبيب وهو ضعيف الحديث، سمعت أبى يذكر ذلك، وقال الدارقطني: موسى بن أبى حبيب شيخ ضعيف الحديث . وقد ذكر الطبرانى فى معجمه الكبير الحكم بن عمير وقال فى نسبته التمالى ، ثم روى له بضعة عشر حديثًا منكرًا وكلها من رواية موسى بن أبى حبيب عنه. وروى له ابن عدى فى الكامل قريبًا من عشرين حديثًا ولم يذكر فيها هذا الحديث، والراوى عن موسى إبراهيم بن إسحاق الكوفى، قال الدارقطني: متروك الحديث ، وقال الأزدى: يتكلمون فيه، ويحتمل أن يكون هذا الحديث صنعته فإن الذين رووا نسخة موسى عن الحكم لم يذكروا هذا الحديث فيها كبقى بن مخلد وابن عدى والطبرانى، وإنما رواه فيما علمنا الدارقطني ثم الخطيب ، ووهم الدارقطني فقال: إبراهيم بن حبيب، وإنما هو إبراهيم بن إسحاق وزاد وهما فقال: الضبى بالضاد والباء ، وإنما هو الصينى بصاد مهملة ونون، والله أعلم .

الحديث السابع : لأم سلمة رضي الله عنها :

رواه الحاكم في المستدرك عن عمر بن هارون عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأ فى الصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية، الحمد لله رب العالمين آيتين، الرحمن الرحيم ثلاث آيات . . . إلخ . قال الحاكم: وعمر بن هارون أصل فى السنة وإنما أخرجه شاهدًا . والجواب: إن هذا ليس بحجة لوجوه، أحدها أنه ليس بصريح فى الجهر ويمكن أنها سمعته سرًا فى بيتها لقربها منه ، الثانى أن مقصودها الإخبار بأنه كان يرتل قراءته ولا يسردها، وقد رواه الحاكم نفسه من حديث همام عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة قالت: كانت قراءة النبى ﷺ مرتلة، فوصفت بسم الله الرحمن الرحيم حرفا=

= حرفـا قراءة بطيئة . ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حـديث يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسـرة حرفًا حرفًا . الثالث أن المحفوظ فيه والمشهـور أنه ليس فى الصلاة وإنما قوله فى الصلاة زيادة من عمـر بن هارون وهو مجروح تكلم فيه غير واحد من الأئمة . قال أحـمد: لا أدرى عنه شيئا، وقال ابن معين: ليس بشىء، وكذبه ابن المبارك، وقال النسائى: متروك الحديث، وقال صالح جزرة كان كذابا . وقد رواه أبو جعفر الطحاوى من حديث حفص بن غيـاث حدثنا أبى عن ابن جريج به مثل حديث عمر بن هارون ، ثم أخرجه عن ابن أبى مليكة به بلفظ السنن . ثم قال: فقد اختلف الذين رووا له فى لفظة فانتفى أن يكون حجة وكـأنه لم يعتد بمتابعة غياث لعمـر بن هارون لشدة ضعف عمر بن هارون . الرابع أن يقال غاية مـا فيه أنه ﷺ جهر بها مرة أو نحـو ذلك وليس فيه دليل على أن كل إمام يجهـر بها فى صلاة الجهر دائمـًا ولو كان ذلك معلوما عندهم لم يخـتلف فيه ولم يقع فيه شك ولم يحـتج أحد إلى أن يسأل عنه ولكان من جنس جهره عليه الســلام بغيرها ولما أنكره عبد الله بن مغفل وعدّه حدثا، ولكان الرجال أعلم به من النساء. والله أعلم .

الحديث الثامن : لأنس بن مالك ﷺ:

رواه الحاكم فى مـستدركـه والدارقطنى فى سننه من حديث مـحمد بن أبـى المتوكل بن أبى السرى، قال : صليت خلف المـعتمر بن سليمـان من الصلوات ما لا أحصيهـا الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها ، وقال المعتمر ما آلو أن أقتدى بصلاة أبـى، وقال أبى: ما آلو أن أقـتدى بصـلاة أنس، وقال أنس: مـا آلو أن أقتـدى بصلاة رسول الله ﷺ . وقال الحاكم : رواته كلهم ثقات ، والجواب: هو معارض بما رواه ابن خزيمة فى مخـتصره والطبرانى فى مـعجمـه عن معتمـر بن سليمان عن أبيـه عن الحسن عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يسر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة وأبا بكر وعمر . اهـ . وفى الصلاة زادها ابن خـزيمة وله طريق آخر عند الحاكم أيضا أخـرجه عن محمـد بن أبى السرى ، حدثنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنا مـالك عن حميد عن أنس ، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعـثمان وعلى فكلهم كانوا يجهرون ببـسم الله الرحمن الرحيم . قال الحـاكم : وإنما ذكرته شاهداً قـال الدهرى فى مختصره : أما استـحى الحاكم أن يورد فى كتابه مثل هذا الحديث الموضوع، فأنا أشهد بالله لله أنه الكذب . وقال ابن عبد الهادى: سقط منه لا ، وله طريق آخـر عند الخطيب عن ابن أبى داود عن ابن أخـى ابن وهب عن عمـه عن النميـرى ومالك وابن عـيينة عن حمـيد عن أنس أن رسول الله ﷺ كـان يجهـر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الفريضـة . قال ابن عبد الهادى : سقط منه لا، كمـا رواه الباغندى وغيره عن ابن أخى ابن وهب هذا هو الصحيح ، وأما الجـهر فلم يحدِّث به ابن وهب قط، وقال ابن عبد البر فى التقصى: روى هذا مـوقوفا فى الموطأ وهو الصواب، ورفعه خطأ من ابن أخى ابن وهـب . اهـ . فصار هذا الذى رواه الخطيب خطأ على خطأ، والصواب فيه عدم الرفع وعدم الجهر، والله أعلم . =

= الحديث التاسع : وهو موقوف، ولكنه فى حكم المرفوع، أخرجه الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك قال : صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التى بعدها حتى قضى تلك القراءة ولم يكبر حين يهوى حتى قضى تلك الصلاة ، فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار: يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت، أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت ؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التى بعد أم القرآن وكبر حين يهوى ساجدًا . اهـ.

قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . ورواه الدارقطنى فقال : رواته كلهم ثقات، اعتمد الشافعى رحمه الله على حديث معاوية هذا فى إثبات الجهر . وقال الخطيب: هو أجود ما يعتمد عليه فى هذا الباب. والجواب عنه من وجوه :

أحدها : أن مداره على عبد الله بن عثمان بن خثيم هو - وإن كان من رجال مسلم - مختلف فيه فلا يقبل ما تفرد به مع أنه قد اضطرب فى إسناده ومتنه وهو أيضا من أسباب الضعف ، أما فى إسناده فإن ابن خثيم تارة يرويه عن أبى بكر بن حفص عن أنس وتارة يرويه عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه، وقد رجح الأولى البيهقى فى كتاب المعرفة لجلالة راويها وهو ابن جريج، ومال الشافعى إلى ترجيح الثانية ورواه ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد ابن رفاعة عن أبيه عن جده فزاد ذكر الجد، كذلك رواه إسماعيل بن عياش وهى عند الدارقطنى، والأولى عنده وعند الحاكم، والثانية عند الشافعى ، وأما الاضطراب فى متنه فتارة يقول : صلى فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التى بعدها، كما تقدم عند الحاكم، وتارة يقول: فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حين افتتح القرآن وقرأ بأم الكتاب، كما هو عند الدارقطنى فى رواية إسماعيل بن عبيد وتارة يقول: فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولا للسورة التى بعدها، كما هو عند الدارقطنى فى رواية ابن جريج ومثل هذا الاضطراب فى السند والمتن مما يوجب ضعف الحديث لأنه مشعر بعدم ضبط .

الوجه الثانى: أن شرط الحديث الثابت ألا يكون شاذا ولا معللا، وهذا شاذ معلل فإنه مخالف لما رواه الثقات الأثبات عن أنس، ومما يرد حديث معاوية هذا أن أنسا كان مقيما بالبصرة ومعاوية لما قدم المدينة لم يذكر أحد فيما علمناه أن أنسا كان معه بل الظاهر أنه لم يكن معه، والله أعلم .

والوجه الثالث : أن مذهب أهل المدينة قديما وحديثا ترك الجهر بها ومنهم من لا يرى قراءتها أصلا ولا يحفظ عن أحد من أهل المدينة بإسناد صحيح أنه كان يجهر بها إلا شىء يسير وله محمل، وهذا عملهم يتوارثه آخرهم عن أولهم فكيف ينكرون على معاوية ما هو سنتهم.. هذا باطل .

=

= والوجه الرابع : أن معاوية لو رجع إلى الجهر بالبسملة كما نقلوه لكان هذا معروفا من أمره عند أهل الشام الذين صحبوه ولم ينقل ذلك عنهم، بل الشاميون كلهم خلفاؤهم وعلماؤهم كان مذهبهم ترك الجهر بها، وما روى عن عمر بن عبد العزيز من الجهر بها فباطل لا أصل له، والأوزاعى إمام الشام ومذهبه فى ذلك مثل مذهب مالك لا يقرؤها سراً ولا جهراً من المستبعد أن يكون هذا حال معاوية، ومعلوم أن معاوية صلى مع النبى ﷺ فلو سمع النبى ﷺ يجهر بالبسملة لما تركها حتى تنكر عليه رعيته أنه لا يحسن الصلاة، وهذه الوجوه من تدبرها علم أن حديث معاوية هذا باطل أو مغير عن وجهه وقد يتمهل فيه ، ويقال: إن كان هذا الإنكار على معاوية محفوظا فإنما هو إنكار لترك إتمام التكبير لا لترك الجهر بالبسملة ، ومعلوم أن ترك إتمام التكبير مذهب الخلفاء من بنى أمية وأمرائهم على البلاد حتى أنه كان مذهب عمر بن عبد العزيز وهو عدم التكبير حين يهوى ساجداً بعد الركوع وحين يسجد بعد القعود، وإلا فلا وجه لإنكارهم عليه ترك البسملة وهو مذهب الخلفاء الراشدين وغيرهم من أكابر الصحابة ومذهب أهل المدينة أيضا، والله أعلم .

ثم إن البيهقى أخرج من طريق الشافعى من طريقين : الأولى قال فيها : أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنى عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه ، أن معاوية قدم المدينة . . . إلخ . الثانية قال فيها : أخبرنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان وإسماعيل عن أبيه عن معاوية مثله ، ثم قال الشافعى : أحسب هذا الإسناد أحفظ من الأول، يعنى به حديث ابن جريج الذى رواه الشافعى عن عبد المجيد بن عبد العزيز عنه ، أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك . . . إلخ . واختلفوا فى معنى قول الشافعى: أحسب هذا الإسناد أحفظ من الأول، فقال ابن الأثير فى شرح مسند الشافعى: لأن الاثنين روياه عن ابن خثيم. اهـ.

قال مرتضى: وهذا ليس بشيء لأن كلا منهما تكلم فيه فإبراهيم بن محمد الأسلمى مكشوف الحال أما يحيى بن سليم الطائفى فقد ضعفه البيهقى نفسه فى مواضع من كتابه ، وقال فيه إنه كثير الوهم سيء الحفظ فكيف يكون هذا الإسناد أحفظ من إسناد ابن جريج مع أن ابن جريج أجل منهما وأحفظ، والذى يظهر لى فى معنى قوله المذكور أنه لاحظ بعض الوجوه التى أوردناها فى سياق حديث ابن جريج فاستبعد ذلك السياق وجعل ما رواه ابن خثيم عن إسماعيل أقوى وأحفظ إذ إسماعيل زرقى مدنى أنصارى وأبوه عبيد بن رفاعة لم تعرف له غيبة عن المدينة فحين قدوم معاوية كان حاضراً ، وروى ما رواه عن مشاهدة، بخلاف أنس بن مالك فإنه كان إذ ذاك بالبصرة فروايته إن صحت فهى مرسلة فتأمل ذلك، وبالجملة فهذه الأحاديث كلها ليس فيها صريح صحيح بل فيها عدمهما أو عدم أحدهما . وكيف تكون صحيحة وفى رواتها الكذابون والضعفاء والمجاهيل ، وكيف يجوز أن يعارض برواية هؤلاء ما رواه الشيخان فى صحيحيهما من حديث أنس الذى تلقاه الأئمة بالقبول ولم يضعفه أحد بحجة إلا من ركب هواه وحمله فرط التعصب على أن علله ورده باختلاف ألفاظه كما سيأتى، مع=

= أنها ليست مختلفة بل يصدق بعضها بعضًا، ومتى وصل الأمر إلى معارضة حديثه بمثل حديث ابن عمر الموضوع أو بمثل حديث عليّ الضعيف فجعل الصحيح ضعيفا والضعيف صحيحا، والمعلل سالما من التعليل والسالم من التعليل معللا - سقط الكلام، وهذا ليس بعدل والله يأمر بالعدل وما تحلى طالب العلم بأحسن من الإنصاف وترك التعصب، والله أعلم .

وأما الآثار الواردة فى ذلك :

فالأول : ما رواه البيهقى فى الخلافيات ، والطحاوى فى كتابه من حديث عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قال: صليت خلف عمر ﷺ فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان أبى يجهر بها .

قال مرتضى: وهذا الأثر مخالف للصحيح الثابت عن عمر أنه كان لا يجهر بها ، وقد روى عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن أبيه عدم الجهر ،وروى الطحاوى بإسناده عن أبى وائل ، قال: كان عمر وعلى لا يجهران ببسم الله الرحمن الرحيم ، وروى الطبرى فى تهذيب الآثار ، فقال : أخبرنا أبو كريب ، أخبرنا أبو بكر ابن عياش عن أبى سعيد عن أبى وائل، قال: لم يكن عمر وعلى يجهران ببسم الله الرحمن الرحيم ولا بآمين ، ومع ذلك فقد اختلف فى هذا الأثر على عمر بن ذر ، قال البيهقى فى كتاب المعرفة: رواه الطحاوى عن بكار ابن قتيبة عن أبى أحمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد، وكذلك رواه خالد بن مخلد عن عمر بن ذر عن أبيه، وكان ذكر أبيه سقط من كتاب البيهقى،فإن ثبت هذا عن عمر فيحمل على أنه فعله مرة أو بعض أحيان لأحد الأسباب المتقدمة، والله أعلم.

والثانى : ما أخرجه الخطيب من طريق الدارقطنى بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم .

قال مرتضى: وهذا باطل، وعثمان بن عبد الرحمن هو الوقاصى أجمعوا على ترك الاحتجاج به ، قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عنه فقال: كذاب ذاهب الحديث ، وقال ابن حبان : يروى عن الثقات الأشياء الموضوعات ، وقال النسائى: متروك الحديث . والله أعلم .

الثالث : ما أخرجه الخطيب أيضًا عن يعقوب بن عطاء بن أبى رباح عن أبيه ، قال : صليت خلف على بن أبى طالب وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم.

قال مرتضى: وهذا أيضًا لا يثبت، وعطاء لم يلحق عليا ولا صلى خلفه قط، والحمل منه على ابنه يعقوب فقد ضعفه غير واحد من الأئمة . وأما شيخ الخطيب فيه أبو الحسين الأهوازى فإنه كان يلقب بجراب الكذب . =

= الرابع : ما أخرجه الخطيب أيضًا من طريق الدارقطني عن الحسن بن أحمد بن عبد الواحد، حدثنا الحسن بن الحسين ، حدثنا إبراهيم بن أبي يحيى عن صالح بن نبهان ، قال: صليت خلف أبي سعيد الخدري وابن عباس وأبي قتادة وأبي هريرة فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم .

قال مرتضى: وهذا أيضا لا يثبت والحسن بن الحسين شيعي ضعيف أو هو مجهول ، وإبراهيم بن أبي يحيى رمي بالرفض والكذب، وصالح بن نبهان مولى التوأمة في إدراكه للصلاة خلف أبي قتادة نظر، وهذا الإسناد لا يجوز الاحتجاج به ، وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر على النبي ﷺ وأصحابه لأن الشيعة ترى الجهر وهم أكذب الطوائف فوضعوا في ذلك أحاديث، وكان أبو علي بن أبي هريرة أحد أعيان أصحاب الشافعي يرى ترك الجهر بها كما تقدم، ويقول: الجهر بها صار من شعار الروافض، وغالب أحاديث الجهر تجد في رواتها من هو منسوب إلى التشيع .

الخامس : ما أخرجه الخطيب أيضا عن محمد بن أبي السري، حدثنا المعتمر عن حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني ، قال: صليت خلف عبد الله بن الزبير فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقال : ما يمنع امراءكم أن يجهروا بها إلا الكبر .

قال مرتضى : قال ابن عبد الهادي: إسناده صحيح لكنه يحمل على الإعلام بأن قراءتها سنة فإن الخلفاء الراشدين كانوا يسرونها فظن كثير من الناس أن قراءتها بدعة فجهر بها من جهر من الصحابة ليعلموا الناس أن قراءتها سنة لا أنه فعله دائما ، وقد ذكر ابن المنذر عن ابن الزبير ترك الجهر. والله أعلم .

أحاديث الإخفاء

الصحيح الثابت منها حديث أنس وحديث عبد الله بن مغفل وحديث عائشة ﵂ ، أما حديث أنس فأخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ متقاربة يصدق بعضها بعضا، فلفظ البخاري ومسلم: كان النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، وهذا أصح الروايات عن أنس ، رواه يزيد بن هارون ويحيى بن سعيد القطان والحسن بن موسى الأشيب ويحيى بن السكن وأبو عمر الحوضي وعمر بن مرزوق وغيرهم عن شعبة عن قتادة عن أنس، وكذلك روى عن الأعمش عن شعبة عن قتادة وثابت عن أنس، وكذلك رواه عامة أصحاب قتادة عن قتادة منهم هشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة وأبان بن يزيد العطار وحماد بن مسلمة وحميد وأيوب السختياني والأوزاعي وسعيد بن بشير وغيرهم ، وكذلك رواه معمر وهمام واختلف عنهما في لفظه ، قال الدارقطني: وهو المحفوظ عن قتادة وغيره عن أنس، وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج هذه الرواية لسلامتها من الاضطراب ،=

= وفى لفظ عنه: صليت خلف النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. رواه كذلك محمد بن جعفر ومعاذ بن معاذ وحجاج بن محمد ومحمد بن بكر البرسانى وبشر بن عمز وقراد أبو نوح وآدم بن أبى إياس وعبيد الله بن موسى وأبو النضر هاشم بن القاسم وعلى بن الجعد وخالد بن زيد المرزقى عن شعبة عن قتادة وأكثرهم اضطربوا فيه ، فلذلك امتنع البخاري من إخراجه . وهو من مفاريد مسلم ورواه النسائى عن شعبة وسعيد بن أبى عروبة معًا عن قتادة عن أنس، وفى لفظ عنه: فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. رواه النسائى فى سننه وأحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والدارقطنى فى السنن، وزاد ابن حبان ويجهرون بالحمد لله رب العالمين ، وفى لفظ عنه: فكانوا يفتتحون القراءة فيما يجهر به بالحمد لله رب العالمين. رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده وفى لفظ عنه: فكانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم . رواه الطبرانى فى معجمه وأبو نعيم فى الحلية وابن خزيمة فى مختصر المختصر والطحاوى فى شرح الآثار ورجال هذه الروايات كلهم ثقات مُخَرَّج لهم فى الصحيحين .

ولحديث أنس طرق أخرى دون ذلك فى الصحة وفيها ما لا يحتج به فتركناها . وصحح الخطيب اللفظ الأول وضعَّف ما سواه لرواته الحفاظ له عن قتادة ولمتابعة غير قتادة له عن أنس فيه، وجعله اللفظ المحكم عن أنس وجعل غيره متشابهًا وحمله على الافتتاح بالسورة يعنى أنهم كانوا يبدءون بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ ما بعدها لا يعنى أنهم يتركون بسم الله الرحمن الرحيم وهكذا ذكره البيهقى عن الشافعى بعد رواية الشافعى الحديث عن سفيان عن أيوب عن قتادة عن أنس، وقد رده شارح العمدة بقوله : هذا ليس بقوى لأنه إن أجرى مجرى الحكاية فهذا يقتضى البداءة بهذا اللفظ بعينه فلا يكون قبله غيره لأن ذلك الغير هو المفتتح به ، وإن جعل اسما فسورة الفاتحة لا تسمى بهذا المجموع ، أعنى الحمد لله رب العالمين بل تسمى بالحمد، فلو كان لفظ الرواية: كان يفتتح بالحمد، لقوى هذا فإنه يدل حينئذ على الافتتاح بالسورة التى البسملة بعضها عند هذا المؤوِّل للخبر .اهـ.

وقال بعض أصحابنا تسمية: هذه السورة بسورة الحمد عرف متأخر، ولكن قد يعكر على شارح العمدة فى قوله: فسورة الفاتحة لا تسمى بهذا المجموع. . .إلخ ، ما أخرجه البخارى فى الصحيح من حديث أبى سعيد بن المعلى ، قال: كنت أصلى فى المسجد فدعانى رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إنى كنت أصلى ،وفيه: ثم قال لى : لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن قلت : ما هى ؟ قال: الحمد لله رب العالمين ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته. فهذا يدل على أن السورة تسمى بهذا المجموع ، وإذا ثبت ذلك صح تأويل الشافعى المذكور جمعا بين الأحاديث وهو قوى، ولكن يعكر على الشافعى حديث أبى سعيد بن المعلى هذا فإنه كما دل على إطلاق السورة على هذا المجموع دل أيضًا على أن البسملة ليست من السورة فإنه قال : هى السبع المثانى، فلو كانت البسملة آية منها كما يقوله=

= الشافعي لكانت ثماني لأنها سبع آيات بدون البسملة ، ومن جعل البسملة منها إما أن يقول هي بعض آية أو يجعل قوله : صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها آية واحدة، والله أعلم .

الحديث الثاني: عن ابن عبد الله بن مغفل ، قال: سمعني أبي وأنا أقول : بسم الله الرحمن الرحيم، فقال : أي بني، إياك والحدث قال : ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام يعني منه ، قال: وصليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً يقولها فلا تقلها أنت، إذا صليت فقل : الحمد لله رب العالمين أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي نعامة واسمه قيس بن عباية ، حدثنا ابن عبد الله بن مغفل فساقوه ، وقال الترمذي: حديث حسن والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ومن بعدهم من التابعين وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك وأحمد وإسحاق لا يرون الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ويقولها في نفسه. ا هـ . وأخرجه البيهقي في السنن من طريق روح ، حدثنا عثمان بن غياث حدثنا أبو نعامة الحنفي عن ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه قال : صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : تابعه الجريري عن أبي نعامة قيس بن عباية وقال : فلم أسمع أحدا منهم جهر بها ، ثم روى من طريق الثوري عن الحذاء عن أبي نعامة الحنفي عن أنس: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر لا يقرءون - يعني لا يجهرون - ببسم الله الرحمن الرحيم . ا هـ .

وقد اعترض على هذا الحديث من وجهين:

الأول : قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث، وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول .ا هـ . والجواب أنه قد روى الطبراني في معجمه عن أبي سفيان طريف بن شهاب عن يزيد بن عبد الله بن مغفل عن أبيه ، قال : صليت خلف إمام فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فلما فرغ من صلاته قال: ما هذا غيب عنا هذه التي أراك تجهر بها فإني قد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بها.

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي نعامة عن بني عبد الله بن مغفل قالوا : كان أبونا إذا سمع أحداً منا يقول بسم الله الرحمن الرحيم، يقول : أي بني، إني صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً منهم يقول : بسم الله الرحمن الرحيم. ورواه الطبراني في معجمه عن عبد الله بن بريدة عن ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه بمثله، فهؤلاء ثلاثة رووا الحديث عن ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه وهم أبو نعامة وعبد الله بن بريدة وأبو سفيان السعدي وهو الذي سمى ابن عبد الله بن مغفل يزيد فقد ارتفعت الجهالة عن ابن عبد الله بن مغفل برواية هؤلاء الثلاثة عنه، وبنوه الذين رووا عنه يزيد وزياد ومحمد، والنسائي وابن حبان=

= وغيرهما يحتجون بمثل هؤلاء إذ لم يرو أحد منهم ما يخالف رواية الثقات . وقد روى الطبراني لزياد ومحمد أحاديث توبع عليها، وبالجملة فالحديث صريح في عدم الجهر بالتسمية والذين تركوا الاحتجاج لتلك الجهالة قد احتجوا في هذه المسألة بما هو أضعف منه، فإن قلت: الذي بين هذا الاسم هو أبو سفيان السعدي كما عند الطبراني ، وهو متكلم فيه ، والخصم لا يعتبره لهذا المعنى ، فالجواب أنه وإن تكلم فيه ولكنه يعتبر به ما تابعه عليه غيره من الثقات ، وهذا القدر يكفي في رفع الجهالة.

الوجه الثاني : قال البيهقي في السنن: وأبو نعامة لم يحتج به الشيخان ، وقال في كتاب المعرفة: هذا الحديث قد تفرد به أبو نعامة ،وأبو نعامة وابن عبد الله بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح ، فالجواب أن الذهبي قال في مختصره : هو بصري صدوق ما علمت فيه جرحا وحديثه في السنن الأربعة . اهـ . وقال ابن معين: هو ثقة وقال ابن عبد البر : هو ثقة عند جميعهم، وقال الخطيب : لا أعلم أحداً رماه ببدعة في دينه ولا كذب في روايته، وفي الميزان : هو صدوق تُكلم فيه بلا حجة. وقول البيهقي : تفرد به أبو نعامة، فيه نظر فقد تابعه عبد الله بن بريدة وهو أشهر من أن يثنى عليه وأبو سفيان السعدي كما تقدم ذلك ، وقوله :لم يحتج بهما صاحبا الصحيح، فليس هذا لازمًا في صحة الإسناد ولئن سلمنا فنقول: إن لم يكن من أقسام الحديث الصحيح فلا ينزل عن درجة الحسن ، وقد حسنه الترمذي، والحديث الحسن يحتج به لاسيما إذا تعددت شواهده وكثرت متابعاته ثم إن قول البيهقي أن الجريري تابع عثمان ابن غياث في سياقه، غير صحيح ، فإن الترمذي ساقه من طريق الجريري باللفظ الذي ذكرناه أولا وكذلك ابن ماجه، والله أعلم .

الحديث الثالث : أخرجه مسلم في صحيحه عن بديل بن ميسرة عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين . واعترض على هذا بأمرين أحدهما أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة . والثاني أنه روى عن عائشة أنه ﷺ كان يجهر، فالجواب أن أبا الجوزاء ثقة كبير لا ينكر سماعه من عائشة ، وقد احتج به الجماعة، وبديل بن ميسرة تابعي صغير مجمع على عدالته وثقته ، وقد حدث بهذا الحديث عن الأئمة الكبار وتلقاه العلماء بالقبول ويكفينا أنه حديث أودعه مسلم في صحيحه ، وأما ما روى عن عائشة من الجهر ففي طريقه الحكم بن عبد الله بن سعد وهو كذاب دجال لا يحل الاحتجاج به ، ومن العجب القدح في الحديث الصحيح والاحتجاج بالباطل .

(فصل) : وأما أقوال التابعين في ذلك فليست بحجة مع أنها قد اختلفت، فروى عن غير واحد منهم الجهر، وروى عن غير واحد منهم تركه ، وفي بعض الأسانيد إليهم الضعف والاضطراب ويمكن حمل جهر من جهر منهم على أحد الوجوه المتقدمة، والواجب في مثل هذه المسألة الرجوع إلى الدليل لا إلى الأقوال ، وقد نقل بعض من جمع في هذه المسألة الجهر =

= عن غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم والمشهور عنهم غيره، كما نقل الخطيب الجهر عن الخلفاء الأربعة ، ونقله البيهقي وابن عبد البر عن عمر وعلى ،والمشهور عنهم تركه كما ثبت ذلك عنهم ، وذكر الترمذى تركه عن الخلفاء الأربعة ، وعن الثورى وابن المبارك وأحمد وإسحاق، وكذلك قال ابن عبد البر لم يختلف فى الجهر بها عن ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس ، قال : ولا أعلم أنه اختلف فى الجهر بها عن شداد بن أوس وابن الزبير ، وقد ذكر الدارقطنى والخطيب عن ابن عمر عدم الجهر ، وكذلك روى الطحاوى والخطيب وغيرهما عن ابن عباس عدم الجهر ، وكذلك ذكر ابن المنذر عن ابن الزبير عدم الجهر ، وذكر ابن عبد البر والخطيب عن عمار بن ياسر الجهر ، وذكر ابن المنذر عنه عدم الجهر ، وذكر البيهقى والخطيب وابن عبد البر عن عكرمة الجهر، وذكر الأثرم عنه عدمه ، وذكر الخطيب وغيره عن ابن المبارك وإسحاق الجهر ، وذكر الترمذى عنهما تركه ، وذكر الأثرم عن إبراهيم النخعى أنه قال : ما أدركت أحدًا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها بدعة ، وذكر الطحاوى عن عروة ، قال: أدركت الأئمة وما يستفتحون القراءة إلا بالحمد لله رب العالمين ، وقال وكيع: كان الأعمش وابن أبى خالد وابن أبى ليلى وسفيان والحسن بن صالح وعلى بن صالح ومن أدركنا من مشيختنا لايجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، وروى سعيد بن منصور فى سننه : حدثنا خالد عن حصين عن أبى وائل قال : كانوا يسرون البسملة والتعوذ فى الصلاة حدثنا حماد بن زيد عن كثير بن شنظير أن الحسن سئل عن الجهر بالبسملة فقال : إنما يفعل ذلك الأعراب . حدثنا عتاب بن بشير أخبرنا خصيف عن سعيد بن جبير قال : إذا صليت فلا تجهر ببسم الله الرحمن الرحيم واجهر بالحمد لله رب العالمين .

(فصل) : ملخص ما قاله صاحب التنقيح: ذكر الأحاديث التى استدل بها الشافعية ، ثم قال : وهذه الأحاديث فى الجملة لا يحسن بمن له علم بالنقل أن يعارض بها الأحاديث الصحيحة ولولا أن تعرض للمتفقه شبهة عند سماعها فيظنها صحيحة لكان الإضراب عن ذكرها أولى، ويكفى فى ضعفها إعراض المصنفين للمسانيد والسنن عن جمهورها ، وقد ذكر الدارقطنى منها طرفا فى سننه فبين ضعف بعضها وسكت عن بعضها .

وقد حكى لنا مشايخنا أن الدارقطنى لما ورد مصر سأله بعض أهلها تصنيف شيء فى الجهر فصنف فيه جزءًا فأتاه بعض المالكية فأقسم عليه أن يخبره بالصحيح من ذلك ، فقال: كل ما روى عن النبى ﷺ فى الجهر فليس بصحيح ، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف، ثم تجرد الإمام أبو بكر الخطيب لجمع أحاديث الجهر فأزرى على علمه بتغطية ما ظن أنه لا ينكشف ، وقد بينا عللها وخللها ، ثم إنا بعد ذلك نحمل أحاديثهم على أحد أمرين : إما أن يكون جهر بها للتعليم ، أو جهر بها جهرًا يسيرًا أو جهر بها جهرًا يسمعه من قرب منه ، والمأموم إذا قرب من الإمام أو حاذاه سمع منه ما يخافته ولا يسمى ذلك جهرًا، كما ورد أنه كان يصلى بهم الظهر فيسمعهم الآية والآيتين بعد الفاتحة أحيانًا . =

= **والثـــانى** : أن يكون ذلك قبل الأمر بتـرك الجهر ، فقد روى أبو داود من مرسل سـعيد بن جبـير أن النبى ﷺ كـان يجهر ببـسم الله الرحمن الرحـيم ، وكان مسـيلمة يدعى رحـمان اليمامة، فقال أهل مكة : إنما يدعو إله اليمامة ، فأمر الله رسوله بإخفائها ، فما جهر بها حتى مات، فهذا يدل على نسخ الجهر.

قال : ومنهم من سلك فى ذلك مسلـك البحث والتأويل ، فقال : إن أحاديث الجـهر تقدم على أحاديث الإخفاء بأشياء ، .

أحدها : بكثرة الرواة، فإن أحاديث الإخفاء رواها اثنان من الصحابة أنس بن مالك وعبد الله بن مغفل ، وأحاديث الجهر رواها أربعة عشر صحابيّا .

والثـــانى : أن أحاديث الإخفـاء شهادة على نفى ، وأحاديث الجهر شـهادة على إثبات ، والإثبات مقدم على النفى ، قالوا : وإن أنسا قد روى عنه إنكار ذلك فى الجملة ، فروى أحمد والدارقطنى من حديث سعيد بن يزيد أبى مسلمة قال : سألت أنسا أكان رسول الله ﷺ يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، أو الحمد لله رب العالمين؟ قال : إنك لتسألنى عن شىء ما أحفظه ، أو ما سألنى عنـه أحد قبلك. قال الدارقطنى : إسناده صـحيح . قلنا : أما اعتـراضهم بكثرة الرواة ، فالاعتماد عليـها لا يكون إلا بعد صحة الدليلين ، وأحاديث الجهر ليس فـيها صحيح صريح ، بخـلاف حديث الإخـفاء فإنه صـحيح صـريح ثابت مُخَرَّج فى الصـحاح والمسـانيد المعروفة والسنن المشهورة ، وأحاديث الجهر - وإن كثـرت رواتها - لكنها كلها ضعيفة وكم من حديث كثرت رواته وتعـددت طرقه وهو حديث ضعيف ، بل قد لا يزيـد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفًا، وإنما يرجح بكثرة الرواة إذا كانت الرواة مـحتجا بهم من الطرفين ، وأحاديث الجهر لم يروها إلا الحاكم والدارقطنى ، فـالحاكم عرف تسـاهله فى التصحيح ، والدارقطنى قـد ملأ كتابه من الأحاديـث الغريبة والشاذة والمعللة ، وأما الشهـادة على النفى فهى - وإن ظهرت فى صورة النفى - فمعناها الإثبات ، مع أن المسألة مختلف فيها على ثلاثة أقوال ، فالأكثرون على تقديم الإثبات ، قالوا : لأن المثبت معه زيادة علم ، وأيضا فالنفى يزيد التأكيد لدليل الأصل ، والإثبـات يفيـد التأسـيس ، والتأسـيس أولى ، الثانى أنهـما سـواء قالوا: لأن النافى مـوافق للأصل، وأيضًا فالظاهر تأخيـر النافى عن المثبت ، إذ لو قدر مقدما عليه لكانت فـائدته التأكيد لدليل الأصل ، وعلى تقدير تأخيره يكون تأسيسًا فالعمل به أولى .

القول الـثالث : أن النافى مقدم على المثبت وإليه ذهب الآمدى وغـيره ، وأما جمعهم بين الأحاديث بأنه لم يسمعـه لبعده وأنه كان صبيًا يومئذ فـمردود لأن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة ولأنس يومئـذ عشر سنين ومات وله عشـرون سنة، فكيف يتصور أن يصلى خلفـه عشر سنين فلا يسـمعه يوما من الدهر يجـهر، هذا بعيد بل مـستحيل ، ثم قـد روى هذا فى زمان رسول الله ﷺ فكيف وهو رجل فى زمن أبى بكر وعمر، وكهل فـى زمن عثمان مع تقدمه فى زمانهم وروايتـه للحديث . وأما ما روى من إنـكار أنس فلا يقاوم ما ثبت عنه خـلافه فى=

الثانيـة : أن يكون للإمام فى القيـام ثلاث سكتات . (٤٩٣) هذا رواه سمـرة بن جندب وعمـران بن الحصين عن رسول الله ﷺ ، أولاهن: إذا كـبر ، وهى الطولى منهن مقـدار ما يقرأ من خلفـه فاتحة الـكتاب وذلك وقت قراءته لدعـاء الاستفـتاح ، فإنه إن لم يـسكت فاتهم الاستمـاع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم ، فـإن لم يقرأ الفاتحة فى سكوته واشتـغلوا بغيرها فذلك عليه لا عليهم .

= الصحيح ويحتمل أن يكون نسى فى تلك الحال لكبره ، وقد وقع مثل ذلك كثيراً كما سئل يوما عن مسألة فقال : عليكم بالحسن فاسألوه فإنه حفظ ونسينا وكم ممن حدث ونسى ، ويحتمل أنه إنما سأله عن ذكرها فى الصلاة أصلا لا عن الجهر بها وإخفائها ، والله أعلم . ا هـ .

وقد طال بنا الكلام فى هذه المسـألة لأنها أكثر دورانا فى المناظرة وهى مـن أعلام المسائل ، وقد نبهت فيـها على فوائد غفل عنها أكثـر أئمتنا فى كتبهم وسبق لى الكلام عليـها فى كتابى «الجواهر المنيـفة فى أصول أدلة مذهب الإمـام أبى حنيفة» ولخصت هناك كـلام الحافظ أبى بكر الحازمى رحمه الله تعالى ، وبالله التوفيق . ا هـ .

(٤٩٣) حديث : « أن يكون للإمام فى القيام ثلاث سكتات » :

أولاهـن : إذا كبر وهى الطولى منهن مقدار ما يـقرأ من خلفه فاتحة الكتاب ، وذلك وقت قراءته دعـاء الاستـفتـاح ، فإنه إن لم يسكت فـاتهم الاستـماع ، فـيكون عليه مـا نقص من صلاتهم ، فـإن سكت الإمام ولم يقرءوا الفـاتحة فى سكوته أو اشـتغلوا بغيـرها ، فذلك وباله عليهم لا عليه .

والسكتة الثانية : إذا فرغ من الفاتحة ليتمم من لم يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى الفاتحة وهى كنصف السكتة الأولى .

الثـالثـة : إذا فرغ من السورة بعد الـفاتحة قبل أن يركع وهى أخفها وذلك بـقدر ما تنفصل القراءة عن التكبـير ، فقـد نهى عن الوصل فيه ، ولـفظ القوت: ذلك لئلا يكون مـواصلا فى صلاته بأن يصل التكبيـر بالقراءة ويصل القراءة بالركوع ، فقـد نهى عن ذلك ، أشار به إلى ما تقدم نقله عن السلف فى تفسير النهى عن المواصلة وإذا تم بيان السكتات الثلاث فاعلم أنه ليس فى حديث سـمرة إلا سكتتـان ، وأما عمـران بن حصين فكان يحفظ سكـتة ، ولذا أنكر على سمـرة ، أما السكتة الأولى فـأخرج الشيخـان من حديث عمـارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبر فى الصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ قلت: بأبى أنت وأمى أرأيتك سكوتك بين التكبـير والقراءة ما تقـول؟ قال : «أقول : اللهم باعـد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد» .

=

= وأخرج البيهقي من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان: أتانا أبو هريرة في مسجد بني زريعة فقال: ثلاث كان رسول الله ﷺ يفعلهن تركها الناس: يرفع يديه إذا دخل في الصلاة مدًّا، ويسكت بعد القراءة هنيهة يسأل الله من فضله، ويكبر إذا ركع وإذا خفض. كذا لفظ يحيى بن سعيد القطان عنه، وقال عامر بن على عن ابن أبي ذئب: وليسكت قبل القراءة، ورواه عبيد الله الحنفي عنه وهذه هي السكتة التي قال عمران بن حصين: حفظتها من رسول الله ﷺ، وأما السكتتان الأخريان فأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث قتادة عن الحسن أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا، فحدث سمرة أنه حفظ من رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبر وسكتة إذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فأنكر عليه عمران بن حصين فكتبا في ذلك إلى أُبي بن كعب، وكان في كتابه إليهما وفي رده عليهما أن سمرة قد حفظ. رواه أبو داود عن مسدد عن يزيد بن زريع عنه، ورواه محمد بن المنهال عن ابن زريع فقال فيه: وسكتة إذا فرغ من قراءة السورة، ولم يذكر الفاتحة.

وأخرج أبو داود وابن ماجه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن قال: قال سمرة: حفظت سكتتين عن رسول الله ﷺ في الصلاة: سكتة إذا كبر الإمام حتى يقرأ، وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب وسورة عند الركوع، فأنكر ذلك عمران بن حصين فكتبوا في ذلك إلى أُبي بالمدينة فصدق سمرة، وقيل عن هشيم عن يونس: وإذا قرأ ولا الضالين سكت سكتة، ولم يذكر السورة، وقال حميد عن الحسن: وسكتة إذا فرغ من القراءة، وأخرج أبو داود أيضا عن طريق الأشعث عن الحسن إذا فرغ من القراءة كلها. فأنت ترى الاختلاف في محل السكتة الثانية، قال البيهقي: ويحتمل أن يكون هذا التفسير - يعني قوله من القراءة كلها - وقع من رواية الحسن فلذلك اختلفوا.

(تنبيه) ذكر العراقي في تخريجه الصغير: أخرج أحمد في مسنده من حديث سمرة، قال: كانت لرسول الله ﷺ سكتتان في صلاته، وقال عمران: أنا أحفظهما عن رسول الله ﷺ ... الحديث، ثم قال: هكذا وجدته في المسند في غير ما نسخة صحيحة منه، والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة، هكذا في غير موضع من المسند والسنن الثلاثة وابن حبان، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر تلميذه على طرة الكتاب حذاء قوله: أنا أحفظهما، صوابه لا.

قال مرتضى: أو ما، وهكذا هو في سنن البيهقي من طريق مكي بن إبراهيم حدثنا ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ كان له سكتتان، فقال عمران: ما أحفظهما عن رسول الله ﷺ، فكتبوا فيه إلى أُبي فكتب أُبي: إن سمرة قد حفظ، قلت لقتادة ما السكتتان ؟ قال: سكتة حين يكبر، والأخرى حين يفرغ من القراءة عند الركوع، ثم قال مرة: أخرى سكتة حين يكبر وسكتة إذا قال: ولا الضالين، وأخرج أبو داود من طريق عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة نحوه قال: فقلت لقتادة ما هاتان السكتتان ؟ فقال: إذا دخل=

السكتة الثانية : إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته، وهى كنصف السكتة الأولى .

السكتة الثالثة : إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها، وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نُهى عن الوصل فيه، ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة فإن لم يسكت الإمام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الإمام، وإن لم يسمع المأموم فى الجهرية لبعده أو كان فى السرية فلا بأس بقراءة السورة .

الوظيفة الثالثة : أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى ما دون المائة فإن الإطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الإسفار، ولا بأس بأن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيراً فيكون أبلغ فى الوعظ وأدعى إلى التفكر وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها، وقد روى أنه ﷺ قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع (٤٩٤) وروى أنه ﷺ قرأ فى الفجر آية من البقرة وهى قوله :

= فى الصلاة وإذا فرغ من القراءة، ثم قال بعد: وإذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين. وقد عرف من سياق هذه الروايات بيان السكتتين المتفق عليهما وبيان الثالثة أيضاً، وتقدم النقل عن الخطيب فى شرح المنهاج أنه ذكر أربع سكتات، الرابعة : هى بين ولا الضالين وآمين ولم يذكرها المصنف، وأن الزركشى عدها خمساً ، الخامسة : هى بين الافتتاح والقراءة، وفى المجموع: تسمية كل من الأولى وهى بعد التكبير، والثانية وهى بعد ولا الضالين سكتة مجاز ، فإنه لا يسكت حقيقة لما تقرر فيها، وعلى قول الزركشى لا مجاز إلا فى سكتة الإمام بعد التأمين والمشهور الأول .

(تنبيه): قال العراقى : وروى الدارقطنى من حديث أبى هريرة وضعفه: من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب فى سكتاته .اهـ.

قال مرتضى: وأخرجه الحاكم كذلك وزاد: ومن انتهى إلى أم القرآن فقد أجزأه .

(تنبيه آخر) : المحدثون لا يثبتون للحسن سماعا من سمرة إلا فى هذا الحديث وحديث العقيقة، ذكره المنذرى فى مختصر السنن .

(٤٩٤) حديث : « قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع» هكذا هو فى القوت . **وقال العراقى :** رواه مسلم عن عبد الله بن السائب ، وقال: سورة المؤمنين ، وقال: موسى وهارون: وعلقه البخارى . اهـ =

لنفسه، فقالوا: نافق الرجل، فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ ، فزجر رسول الله ﷺ معاذًا فقال: « أفتّان أنت يا معاذ، اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها » (٤٩٩) .

= شغل وعارض من حاجة وآفة من حدث بول أو غيره، وتعقب بأن الاحتمال الذى لم يقم عليه دليل لا يترتب عليه حكم ، فإذا انحصر المأمومون ورضوا بالتطويل لا نأمر إمامهم بالتخفيف لعارض لا دليل عليه، والله أعلم .

(٤٩٩) حديث : « كان معاذ بن جبل يصلى بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة» ولفظ القوت: وقد كان معاذ بن جبل يصلى مع رسول الله ﷺ ثم ينصرف إلى قومه صلاة عشاء الآخرة فيصلى بهم ، فافتتح ليلة فى صلاته بسورة البقرة ، فخرج رجل من الصلاة فصلى لنفسه ثم انصرف ، فقال معاذ : نافق الرجل ، فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ فأشكى الرجل وزجر معاذًا وقال : «أفتان أنت يا معاذ ، اقرأ سورة سبح ، والسماء والطارق، والشمس وضحاها» . اهـ .

وقد تصرف المصنف فى ألفاظ هذا الحديث كما ترى ، وأخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأبو داود الطيالسى والبيهقى من حديث جابر، وأخرجه أحمد فى المسند من حديث بريدة الأسلمى، ولفظ البخارى فى الصحيح: حدثنا آدم بن أبى إياس حدثنا شعبة حدثنا محارب بن دثار سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى قال : أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذًا يصلى فترك ناضحه وأقبل على معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذًا نال منه، فأتى النبى ﷺ فشكا إليه معاذًا ، فقال النبى ﷺ : « يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن - ثلاث مرات - فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ، فإنه يصلى وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة » ، وقال أيضًا : حدثنا مسلم حدثنا شعبة عن عمرو عن جابر أن معاذ بن جبل كان يصلى مع النبى ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه ، قال : وحدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال : كان معاذ بن جبل يصلى مع النبى ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه فيصلى العشاء، فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذا تناول منه ، فبلغ النبى ﷺ فقال : فتان فتان فتان، أو قال : فاتنا فاتنا فاتنا ، وأمره بسورتين من المفصل ، وأما حديث بريدة فأخرجه أحمد منفردًا به ولم يخرجه أحد من الستة ولفظه: أن معاذ بن جبل صلى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ فيها : اقتربت الساعة ، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب ، فقال له معاذ قولا شديدا ، فأتى النبى ﷺ فاعتذر إليه ، فقال : إنى كنت أعمل فى نخل وخفت على المال ، فقال رسول الله ﷺ : صل بالشمس وضحاها ونحوها من السور ، وانفرد البيهقى بذكر والسماء والطارق فى حديث جابر، وأخرجه أحمد أيضًا والبزار فى مسنديهما من طريق عمرو بن يحيى المازنى عن معاذ بن رفاعة عن رجل من بنى سليم أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنا نظل فى أعمالنا فنأتى حين نمسى فيأتى معاذ فيطول علينا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معاذ لا تكن فتانا ، إما أن تخفف بقومك أو تجعل صلاتك معى» ولفظ أحمد:=

= « إما أن تصلى معى وإما أن تخفف على قومك » ، وفي هذه الأحاديث الثلاثة فوائد، ففى حديث جابر أربع :

الأولى : فيه حجة للشافعي وأحمد أنه تصح صلاة المفترض خلف المتنفل كما تصح صلاة المتنفل خلف المفترض لأن معاذًا كان قد سقط فرضه بصلاته مع النبى ﷺ فكانت صلاته بقومه نافلة وهم مفترضون، وقد ورد التصريح بذلك فى رواية الشافعي والبيهقي: « هى له تطوع ولهم مكتوبة العشاء » ، قال الشافعى فى الأم : وهذه الزيادة صحيحة وهكذا فى مسند الشافعى وصححها البيهقى أيضًا وغيره ، وخالف فى ذلك ربيعة ومالك وأبو حنيفة، فقالوا : لا تصح صلاة المفترض خلف المتنفل لقوله ﷺ : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه » ، وأجاب عنه القائلون بالصحة بأن المراد الاختلاف فى الأفعال الظاهرة لا فى النيات ، فإن ذلك لا يختلف به ترتيب الصلاة ، وأجاب المخالفون لقصة معاذ بأجوبة منها أنه كان يصلى مع النبى ﷺ بعض الصلوات المكتوبة ثم يرجع إلى قومه فيؤمهم فى صلاة أخرى بعد ذلك ، وهذا ترده رواية مسلم: فيصلى بهم تلك الصلوات. ومنها أن معاذًا كانت صلاته مع النبى ﷺ نافلة وكانت صلاته بقومه هى الفريضة فلحق بالمجملات فلا تكون فيه حجة، ويدل لذلك حديث أحمد والبزار عن رجل من بنى سليم ، والجواب أنه لا يُظن بمعاذ أنه يترك فضيلة صلاة الفرض مع النبى ﷺ وأما حديث أحمد والبزار فمعناه: إما أن تصلى معى مقتصرًا على ذلك ولا تؤم قومك، وكذا قوله : أو تجعل صلاتك معى، وهذا وهو المراد وإلا فهو كان يصلى معه فتعين أن يكون المراد تقتصر على صلاتك معى وليس فيه كون الفرض هى التى كانت مع قومه ، وإذا كان هذا محتملا للتأويل فقول جابر: هى له تطوع، لا يحتمل التأويل وجابر ممن كان يصلى مع معاذ فوجب المصير إليه. ومنها أن حديث: « فلا تختلفوا عليه » ناسخ لقصة معاذ لأنها كانت قبل أحد بدليل أن صاحب الواقعة مع معاذ قتل شهيدًا بأحد وحديث النهى عن الاختلاف رواه أبو هريرة وإنما أسلم بعد خيبر ، والجواب أنه لا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع، فحمل النهى على الاختلاف فى الأفعال الظاهرة فيه إعمال للحديثين فهو أولى من المصير إلى النسخ .

الثانية : فى سياق المصنف : فقالوا : نافق الرجل ، وفى سياق البخارى فقيل : نافقت يا فلان، وهو صريح . وفى صحيح مسلم أن معاذا هو الذى قال إنه منافق ويحتمل أنه قال هو والجماعة، وقيل: ليس هو خبرًا وإنما هو استفهام بغير همزة الاستفهام، قالوا له هذا الكلام على وجه الاستفهام ويدل له سياق مسلم، قال : لا والله، ولآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه . . . الحديث .

الثالثة : كيف أطلقوا فيه القول بأنه منافق ولم يكن كذلك، والجواب أنه كان من المقرر عندهم من علامات النفاق التخلف عن الجماعة فى العشاء ،فأطلقوا عليه اسم النفاق باعتبار أمارته عليه، وما علم معاذ عذره إلا بعد ذلك وكان من براءته من النفاق أن قتل شهيدًا بأحد=

= فكان النبى ﷺ بعد ذلك يقول لمعاذ ما فعل خصمى وخصمك»؟ فكان معاذ يقول: صدق الله وكذبت.. استشهد. ذكره البيهقى.

الرابعة: كيف الجمع بينه وبين ما رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح عن سليمان مولى ميمونة قال: أتيت ابن عمر وهم يصلون، فقلت: ألا تصلى معهم؟ قال: قد صليت إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلوا الصلاة فى يوم مرتين»، أجاب عنه النووى فى الخلاصة بأن قال: قال أصحابنا: معناه لا تجب الصلاة فى اليوم مرتين، فلا يكون مخالفًا لما سبق من استحباب إعادتها، قال: وأما ابن عمر فلم يعدها لأنه كان صلاها جماعة ومذهبه إعادة المنفرد، والله أعلم.

وأما ما يستنبط من حديث بريدة من الفوائد فست:

الأولى: يجوز للمأموم أن يخرج نفسه من الجماعة فإن الرجل ذكر أنه خاف على الماء، ولم ينكر عليه النبى ﷺ ذلك والحكم كذلك وهو أصح القولين، وفيه وجه آخر أنه ليس بعذر، وأما المفارقة لغير عذر ففيه قولان للشافعى أحدهما أنه لا يجوز وتبطل صلاته، والقول الثانى وصححه الرافعى أنه يجوز لأن الاقتداء مستحب فهو بمنزلة الخروج من النافلة.

الثانية: فى سياق المصنف: فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه، وفى سياق بريدة: فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب. هل المراد به أنه بقى على إحرامه وإنما أخرج نفسه من الجماعة فقط أو أنه أبطل إحرامه معه ثم أنشأ إحرامًا منفردًا؟ فظاهر سياق المصنف دال على الاحتمال الأول، وظاهر سياق مسلم فى حديث جابر: فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده، دال على الاحتمال الثانى، فإن كانت القصة واحدة فإنه خرج من الصلاة رأسًا، وإن كانتا واقعتين - وهو الأظهر - فالأمر فى هذه الواقعة على الاحتمال، وقد أشار البيهقى إلى أن رواية مسلم أنه سلم شاذة انفرد بها محمد بن عباد عن سفيان، وغيره من أصحاب سفيان لم يذكرها.

الثالثة: هذا الرجل المبهم فى الحديث اختلف فيه فقيل: اسمه سليم، وقد جاء مبينا فى مسند أحمد، وقيل: اسمه حزم بن أبى كعب، وقد جاء مبينا فى سنن أبى داود، وقال النووى فى الخلاصة: قيل إنه حرام وقيل حارم. اهـ. وقول من قال سليم أصح.

الرابعة: وقع التصريح فى حديث بريدة بصلاة العشاء وهكذا هو فى سياق المصنف، ووقع فى سنن النسائى من رواية محارب بن دثار عن جابر أنها صلاة المغرب وبوّب عليه: القراءة فى المغرب، ورواه البيهقى هكذا ثم قال: كذا قال محارب بن دثار عن جابر المغرب، قال: وقال عمرو بن دينار وأبو الزبير وعبيد الله بن مقسم عن جابر: العشاء، ثم رواه من حديث حزم بن أبى كعب وقال فيه: المغرب، ثم قال: والروايات المتقدمة فى العشاء أصح، والله أعلم. =

وأما وظائف الأركان فثلاث :

أولاها: أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث ، فقد روي عن أنس أنه قال: « ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ فى تمام نعم[(٥٠٠)] ، وروى أيضا أن

= وأما رواية محارب بن دثار عند البخارى فلم يذكر فيها المغرب ولا العشاء ، ورواية النسائى هذه شاذة مخالفة لبقية الطرق الصحيحة .

الخامسة : فى حديث بريدة هذا أن معاذًا قرأ باقتربت ، وفى حديث جابر أنه قرأ البقرة وهو الذى فى سياق المصنف وهو المشهور فى أكثر الروايات ، وللبخارى أيضًا: فقرأ بالبقرة أو النساء، والجمع بين هذه الروايات أن التى قرأها هى البقرة وبه جزم أكثرهم فوجب المصير إلى قولهم، ورواية البخارى أو النسائى شك فى بعض الرواة فلا يصار إليها . وأما رواية اقتربت فإن أمكن الجمع بكونهما واقعتين فلا تعارض ، وإن تعذر الجمع وجب العمل بالأرجح ، ولا شك أن رواية جابر أصح لكثرة طرقها ولكونها اتفق عليها الشيخان فهى أولى بالقبول من رواية بريدة، والله أعلم .

السادسة : قد يستشكل فى الجمع بين حديث بريدة وجابر على تقدير كونهما واقعتين من حيث إنه لا يظن بمعاذ أن يأمره النبى ﷺ بالتخفيف وقراءة ما سمى له من السور فى واقعة، ثم يصنع ذلك مرة أخرى فهذا بعيد جدًا عن معاذ ، وقد أجاب النووي فى الخلاصة بما نصه: ولعله قرأ البقرة فى ركعة فانصرف رجل وقرأ اقتربت فى ركعة أخرى فانصرف آخر، والله أعلم. لكن هذا الجواب لا يتم إلا على تقدير كونهما واقعة واحدة ،فتأمل هذا . وقد وجد هنا فى بعض نسخ الكتاب زيادة وهى قوله بعد هذه القصة: فهم العلماء من هذا الأمر لمعاذ بقراءة قصار السور أن قوله ﷺ : من صلى بالناس فليخفف، إنما عنى التخفيف فى القراءة لا فى الركوع والسجود والطمأنينة ،إذ روى أن صلاته ﷺ كانت مستوية قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه بين السجدتين سواء ، وقال: صلوا كما رأيتمونى أصلى، إلى هنا آخر الزيادة ولم أتقيد بشرحها لكونها سقطت من أكثر النسخ المعتمدة، وقوله: صلوا كما رأيتمونى أصلى، مخرج فى صحيح البخارى فى أثناء حديث مالك بن الحويرث . وقد روى البخارى ومسلم وابن ماجه من حديث أنس: كان النبى ﷺ يوجز الصلاة ويكملها. ولهما أيضا من حديثه: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبى ﷺ . قال الحافظ : وقد نازع ابن دقيق العيد استدلال الفقهاء بهذا الحديث على وجوب جميع أفعاله أى: صلوا كما رأيتمونى أصلى لأن هذا الخطاب إنما وقع لمالك بن الحويرث وأصحابه فلا يتم الاستدلال به إلا فيما يثبت من فعله حال هذا الأمر وأما ما لا يثبت فلا، والله أعلم .

(٥٠٠) حديث : « ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ فى تمام نعم » أخرجه البخارى ومسلم من طريق شريك ، سمعت أنس بن مالك يقول : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة=

أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرًا بالمدينة ، قال :ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب، قال: وكنا نسبح وراءه عشرًا عشرًا[٥٠١] وروى مجملاً أنهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشرًا عشرًا » [٥٠٢] وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر، وهذا وجه الجمع بين الروايات ، وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع: سمع الله لمن حمده .

الثانية : في المأموم ينبغي أن لا يساوي الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر، فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد، هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ ولا يهوى للركوع حتى يستوي الإمام راكعًا » [٥٠٣] .

= ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان يسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه. زاد عبد الرزاق من مرسل عطاء: أو تتركه فيضيع. والمعنى أنه ﷺ كان يخفف الصلاة بقراءة السورة القصيرة ويتمها من غير نقص بل يأتي بأقل ما يمكن من الأركان والأبعاض .

(٥٠١) حديث : أنس بن مالك لما صلي خلف عمر بن عبد العزيز وكان أمير المدينة مروان، قال : ما صليت وراء أحد أشبة صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب ،قال : فكنا نسبح وراءه عشرا عشرا، أي في الركوع والسجود. ولفظ القوت في كتاب الصلاة :ثم التسبيح في السجود إن شاء عشرا أو سبعا أو خمسا وأدناه ثلاث، وليكن الثلاث بعد حصول جبينه على الأرض وقبل رفعه إياه، وإلا كانت واحدة تذهب الأولى في حال وضع الوجه والأخرى في حال رفع الرأس فتحصل تسبيحة واحدة في كل سجدة وهذا غير مستحب أن ينقص عن ثلاث، قال أنس بن مالك وقد صلى خلف عمر بن عبد العزيز بالمدينة : ما رأيت أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من صلاة أميركم هذا الشاب، قال : وكنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا .اهـ . وقال في كتاب الإمامة بعد إيراده قصة معاذ ما نصه: فينبغي أن يعرف هذا الإمام حق الإمامة ويسبح في ركوعه وسجوده سبعا سبعا ليدرك من وراءه خمسا أو ثلاثا لأنهم يركعون ويسجدون بعده ، وروينا أن أنس بن مالك صلى خلف عمر بن عبد العزيز فساقه ، **وقال العراقي** : أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد جيد وضعفه ابن القطان .ا هـ .

(٥٠٢) حديث : « كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشرا عشرا » هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وروينا مجملا، **وقال العراقي** : لم أجد له أصلا إلا في الحديث الذي قبله، وفيه: فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات .اهـ .

(٥٠٣) حديث : « المأموم ينبغي أن لا يسابق الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر، فلا يهوى=

وقد قيل: إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام: طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الإمام .

وقد اختلف فى أن الإمام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة، ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين، فإن حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم .

الثالثة : لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ، ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع، فيقول : اللهم اغفر لنا ، ولا يقول اغفر لى ، فقد كره للإمام أن يخص نفسه . ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله ﷺ فيقول : **« نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ،وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين »** (٥٠٤) وقيل: سمى مسيحًا لأنه يمسح الأرض بطولها ، وقيل: لأنه ممسوح العين أى مطموسها .

= للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد ، هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ » أخرجه البخارى ومسلم من حديث البراء بن عازب .

(٥٠٤) حديث : « نعوذ بك من عذاب جهنم . . . » الحديث ،فقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به، وقال فى موضع آخر من هذا الباب : واستحب أن يقول فى تشهده : أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك مما سألك منه نبيك محمد ﷺ ، وأعوذ بك مما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ ، وأسألك مما سألك به عبادك الصالحون، وإن قال : أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآيتين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ الآية ، ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام مأثور، وإن اقتصر على الاستعاذة بالكلمات التى ذكرناها آنفا أجزأه، وهذا كله من فضائل التشهد ومندوب إليه . ا هـ .

قال مرتضى : هذا الحديث روى من طريق عائشة وأبى هريرة ، فحديث عائشة أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، فالبخارى أخرجه فى الصلاة وفى الاستقراض والباقون فى الصلاة، وحديث أبى هريرة أخرجه البخارى ومسلم والنسائى، وحديث عائشة عند البخارى فى باب الدعاء قبل السلام من طريق شعيب عن الزهرى عن عروة عنها رفعته: كان يدعو فى الصلاة : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك=

وأما وظائف التحلل فثلاث :

أولاها: أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة .

الثانية : أن يثبت عقيب السلام ، كذلك فعل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما(٥٠٥) فيصلى النافلة فى موضع آخر ، فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن . وفى الخبر المشهور:

= من فتنة المحيا وفتنة الممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم . وهكذا أخرجه النسائى من طريق معمر عن الزهرى، وحديث أبى هريرة عند البخارى ومسلم من طريق هشام الدستوائى، عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة : كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات: « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال» ورواه مسلم من طريق الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير بلفظ: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال » ورواه مسلم أيضا من طريق الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة رفعه: إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع . . . فذكرها ، وفى رواية له من هذا الوجه: من التشهد، ولم يذكر الآخر . ورواه مسلم أيضًا من طريق طاوس عن أبى هريرة رفعه بلفظ: عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات . وله عن أبى هريرة طرق أخرى ، وقد عرف مما تقدم من سياق الأئمة لهذا الحديث أن الكلمات المذكورة أربع ففى قول المصنف تبعًا لصاحب القوت بالكلمات الخمس نظرًا لأن الوارد فى هذا الحديث ما ذكرناه، نعم هذا الذى زاده صاحب القوت وتبعه المصنف ، وهو قوله: وإذا أردت بقوم فتنة . . . إلخ. أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس بلفظ : وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون، وللحاكم نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عابس وصححهما، ولكن ليس فيه أنه مقيد بآخر الصلاة .

(٥٠٥) حديث : « الثبوت عقيب السلام » كذلك فعل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ما نصه حديث المكث بعد السلام رواه البخارى من حديث أم سلمة . اهـ . ونقل الكمال بن الهمام من أصحابنا ما نصه: « قام رجل قد أدرك مع النبى ﷺ التكبيرة الأولى ليشفع فوثب عمر رضي الله عنه فأخذ منكبه فهزه . ثم قال: اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنهم لم يكن لهم بين صلاتهم فصل، فرفع النبى ﷺ بصره، فقال : « أصاب الله بك يا ابن الخطاب ».اهـ.

قال مرتضى: هذا الحديث أخرجه أبو داود والبيهقى من طريق الأزرق بن قيس ، قال : صلى بنا إمام لنا يكنى أبا رمثة . . . فساقه.

أنه ﷺ لم يكن يقعد إلا قدر قوله : « **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٥٠٦) .

الثالثة : إذا وثب فينبغى بأن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام ، فقد روى عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلما قالا للإمام: ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئًا واحدًا أنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ، ثم قالا للناس: ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم . ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب . هذه وظيفة الصلوات، وأما الصبح يزيد فيها القنوت فيقول الإمام: اللهم اهدنا ، ولا يقول: اللهم اهدنى، ويؤمن المأموم فإذا انتهى إلى قوله : إنك تقضى ولا يقضى عليك، فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه ، فيقول مثل قوله أو يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك، وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت (٥٠٧) فإذا صح الحديث استحب ذلك ، وإن كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف، وبينهما أيضا فرق وذلك أن للأيدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت فإنه لائق بالدعاء، والله أعلم. فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق .

★ ★ ★

---

(٥٠٦) حديث عائشة رضي الله عنها : أنه ﷺ لم يكن يقعد إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. هو مروى بالمعنى إذ لفظ مسلم: كان يقعد مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يقوم إلى السنة، ولفظ الترمذى: كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول . . . ثم ساقه كما عند المصنف . اهـ . والمراد بالمشهور المعنى اللغوى لا مصطلح أهل الحديث .

(٥٠٧) حديث : « صلاة الصبح يزيد فيها القنوت » المعهود الذى تقدم ذكره آنفا ، واختلف هل شروعه بعد ذكر الاعتدال من الثانية وهو الذى ذكره البغوى فى التهذيب وصوبه الإسنوى ، وقال الماوردى : يحل القنوت إذا فرغ من قوله سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد، فحينئذ يقنت وعليه اقتصر ابن الرفعة ، وقال فى الإقليد : إنه قضية القياس لأن القنوت إذا انضم إلى الذكر المشروع فى الاعتدال طال الاعتدال وهو ركن قصير بلا خلاف، وعمل الأئمة بخلافه لجهلهم بفقه الصلاة فإن الجمع إن لم يكن مبطلا فلا شك أنه مكروه . اهـ .

[illegible] (٢٠٥).

[illegible]

* * *

(٢٠٥) [illegible]

(٢٠٦) [illegible]

الباب الخامس : فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم، عظَّم الله به الإسلام وخصص به المسلمين، قال الله تعالى :

﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ (الجمعة : ٩) .

فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعى إلى الجمعة، وقال ﷺ : « **إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا** » (٥٠٨) وقال ﷺ : « **من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه** » (٥٠٩) .

---

(٥٠٨) حديث : « إن الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا » **قال العراقى** : أخرجه ابن ماجة من حديث جابر بإسناد ضعيف . ا هـ .

قال مرتضى : ولفظ ابن ماجة أن رسول الله ﷺ خطب فقال : « إن الله افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا وفى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة ، فمن تركها استخفافًا بها أو جحودًا بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا بركة حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه » .

(٥٠٩) حديث : « من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طُبع على قلبه » وفى رواية: طبع الله على قلبه، أى ختم عليه وغشاه ومنعه الطاعة أو جعل فيه الجهل والجفاء والقسوة أو صير قلبه منافقا. **قال العراقى** : رواه أحمد واللفظ له، وأصحاب السنن، والحاكم ، وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى . ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه كذلك ابن أبى شيبة وأبو يعلى والطبرانى والبغوى والباورى وأبو نعيم فى المعرفة ، والبيهقى وابن حبان وحسنه الترمذى ، وأما الحاكم فأخرجه فى كتاب الكنى وفى المناقب من المستدرك وليس لأبى الجعد حديث غيره ، كما نقل عن البخارى قال : ولا أعرف له اسمًا ، لكن ذكر العسكرى أن اسمه الأدرع ، وقيل: عمر، وقيل: جنادة صحابى له=

وفى لفظ آخر: « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » (٥١٠).

واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة ، فقال: فى النار ، فلم يزل يتردد إليه شهرًا يسأله عن ذلك وهو يقول: فى النار .

وفى الخبر « أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه » (٥١١) وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدًا لهم، فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم

= حديث قتل يوم الجمل . ا هـ . وقال الحاكم مرة :هو على شرط مسلم وعده الحافظ السيوطى من الأحاديث المتواترة ، وقال الذهبى فى التلخيص : سنده قوي ، وفى بعض رواياتهم: من ترك ثلاث جمع تهاونا . . . والباقى سواء ، ولفظ أبى يعلى وابن حبان: فهو منافق، بدل قوله: طبع الله على قلبه ، وأخرجه ابن أبى شيبة أيضًا عن سمرة بن جندب مرفوعًا بلفظ: طمس على قلبه، وأخرج أحمد والحاكم والسراج وابن الضريس من حديث أبى قتادة مرفوعًا بلفظ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه » . وأخرج النسائى وابن خزيمة والحاكم من حديث جابر مثله ، وأخرج أبو يعلى وابن خزيمة والبيهقى مثله، وأخرج أبو يعلى ومحمد بن نصر من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عمه مرفوعًا: « من ترك الجمعة ثلاثا طبع الله على قلبه وجعل قلبه قلب منافق» ، وأخرج المحاملى فى أماليه والخطيب وابن عساكر من حديث عائشة بلفظ: « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير علة ولا مرض ولا عذر طبع الله على قلبه». وأخرج الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى الأفراد من حديث أسامة بن زيد بلفظ كتب من المنافقين. وعند الديلمى من حديث أبى هريرة: « من ترك الجمعة ولم يكن له فى تركها عذر كتبه الله فى كتابه الذى لا يمحى ولا يبدل منافقًا إلى يوم القيامة » .

(٥١٠) حديث :وفى لفظ آخر: « فقد نبذ الإسلام وراء ظهره » **قال العراقى** : رواه البيهقى فى البعث من حديث ابن عباس . ا هـ .

قال مرتضى : وكذا رواه أبو يعلى ولفظه: من ترك ثلاث جمع متواليات . . . والباقى سواء، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح ، ورواه الشيرازى فى الألقاب بلفظ: من ترك أربع جمع متواليات من غير عذر . . . والباقى سواء .

(٥١١) حديث : « أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه » هكذا هو فى سياق القوت، ومعنى اختلافهم فيه هو أنه هل يلزمهم بعينه أم يسوغ لهم إبداله بغيره من الأيام فاجتهدوا فى ذلك فاخطأوا . ومعنى هداية الله لنا إياه أن نص لنا عليه ولم يكلنا إلى اجتهاد ويدل لقوله: أعطوا الجمعة. ما رواه ابن أبى حاتم عن السدى أن الله فرض على اليهود الجمعة ، فقالوا: يا موسى=

تبع ، وفى حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال: هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك، قلت : فما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه، وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد، قلت : ولِمَ؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم »(٥١٢) .

= إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعل لنا فجعل عليهم ، قال العراقى : الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه. اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه النسائى كذلك، وكلهم من طريق أبى الزناد عن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول – واللفظ للبخارى – إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد». هذا أول حديث فى الباب، وأورده كذلك بعد أبواب من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة نحو ذلك، وأورده أيضًا فى تفسير بنى إسرائيل ، وأخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين عن أبى زرعة الدمشقى عن أبى اليمانى شيخ البخارى قبل سياقه الأول .

(٥١٢) حديث أنس : عن النبى ﷺ أنه قال : « أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء وقال : هذه الجمعة . . . » قال صاحب القوت: وذكرنا الحديث بتمامه فى مسند الألف .

قال مرتضى : وقد ظهر بهذا أن الذى ذكر هنا ليس بتمام السياق وما ذكر تمامه قريبًا ، قال العراقى : رواه الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف . اهـ . ووجدت فى طرة الكتاب أن الطبرانى رواه بإسنادين أحدهما جيد قوى، والبزار وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح عن أنس من حديث طويل. ا هـ . ولفظ الشافعى فى المسند: حدثنى إبراهيم بن محمد قال موسى بن عبيدة : حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : أتى جبريل عليه السلام بمرآة بيضاء فيها وكتة إلى النبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ : ما هذه ؟ فقال : هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع: اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبى ﷺ : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ فى الفردوس واديًا أفيح فيه كثب مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور، عليها مقاعد للنبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذه مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء=

والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم، قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ،ولكم علىَّ ما تمنيتم ولدىَّ مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات، وهو اليوم الذى استوى فيه ربكم على العرش ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة . قال الشافعى : أخبرنا إبراهيم بن محمد قال : حدثنى أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به ، وزاد عليه: ولكم فيه خير ، من دعا فيه بخير هو له ولكم قسم أعطيه ، وإن لم يكن قسم ذخر له ما هو خير منه وزاد فيه أيضًا أشياء .انتهى ما فى المسند . وفى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة فى باب فضل الجمعة. ويومها، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن ليث عن عثمان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أتانى جبريل وفى يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، فقلت : يا جبريل ما هذه ؟ قال : هذه الجمعة ، قال: قلت : وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير ، قال قلت : وما لنا فيها ؟ قال : تكون عيدًا لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعًا لك، قال : قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئًا من أمور الدنيا والآخرة هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ذخر له عنده ما هو أفضل منه أو يتعوذ به من شر هو عليه مكتوب إلا صرف عنه من البلاء ما هو أعظم منه، قال : قلت: وما هذه النكتة فيها؟ قال : هى الساعة، وهى تقوم يوم الجمعة، وهو عندنا سيد الأيام ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد ، قال : قلت مم ذلك قال : لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ فى الجنة واديا من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه تبارك وتعالى ، ثم حف الكرسى بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ، ثم يجىء النبيون حتى يجلسوا عليها وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب ، ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ، ثم يقول : سلونى أعطكم فيسألونه الرضا قال : فيشهدهم أنه قد رضى عنهم ، قال : فيفتح لهم ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال : وذلكم مقدار انصرافكم من يوم الجمعة، قال: ثم يرتفع ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهى درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصم أو درة حمراء أو زبرجدة خضراء فيها غرفها وأبوابها مطرزة، وفيها أنهارها وثمارها متدلية، قال : فليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا إلى ربهم نظرا ليزدادوا منه كرامة . وأبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس رفعه: جاءنى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، قال : فقلت: ما هذه قال : هذه الجمعة وفيها ساعة . ا هـ.

قال مرتضى: ليث ويزيد ضعيفان، وأخرج الخطيب عن ابن عمر قال : نزل جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ وفى يده شبه مرآة فيها نكتة سوداء، فقال: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة .

وقال ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أُدخل الجنة وفيه أُهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء، وهو يوم النظر إلى الله تعالى فى الجنة »[٥١٣] .

وفى الخبر : « إن لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار »[٥١٤] وفى حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام »[٥١٥] وقال ﷺ : « إن

---

(٥١٣) حديث : « خير يوم طلعت عليه - وفى رواية: فيه الشمس يوم الجمعة، وذلك لأنه فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها إلى الأرض » الحديث، هكذا أورده صاحب القوت . وقد ذكر **العراقى** أنه أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة . اهـ. والذى أخرجه مسلم وكذا الإمام أحمد والترمذى وابن مردويه: « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » . وعند مالك فى الموطأ وأحمد أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم كلهم عن أبى هريرة بلفظ: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة . . . الحديث، وهكذا أخرجه الشافعى فى المسند وليس عندهم ذكر يوم المزيد ولا يوم النظر ، وقال الترمذى : صحيح ، وقال الحاكم: على شرطهما ، وأقره الذهبى فى التلخيص ، قال المناوى : واختصاص هذا اليوم بوقوع ما ذكر فيه يدل على غيره بالخيرية لأن خروج آدم فيه من الجنة سبب للخلافة الإلهية فى الأرض، وإنزال الكتب وقيام الساعة سبب تعجيل جزاء الأخيار وإظهار شرفهم، فزعم أن هذه القضايا فيه لا تدل على فضيلة فى حيز المنع .

(تنبيه): فى سياق المصنف: وهو عند الله يوم المزيد . . . إلخ ما فى حديث أنس الذى تقدم ذكره، وصاحب القوت لما ذكر هذا الحديث انتهى به إلى قوله : وفيه تقوم الساعة ، ثم قال : من عنده وهو يوم المزيد عند الله، فظنه المصنف أنه من تتمة الحديث وليس كذلك .

(٥١٤) حديث : « إن لله عز وجل فى كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار » كذا فى القوت، **وقال العراقى** : أخرجه ابن عدى فى الكامل وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس، قال الدارقطنى فى العلل: والحديث غير ثابت .

(٥١٥) حديث أنس : « عن رسول الله ﷺ قال : إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » أى أيام الأسبوع من المؤاخذة، كذا فى القوت. **وقال العراقى** : أخرجه ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة ، ولم أجده من حديث أنس . ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد عن أبى محمد بن صاعد عن إبراهيم بن سعيد الجوهرى عن عبد العزيز بن أبان عن سـ .. الثورى عن هشام عن أبيه عن عائشة بلفظ:=

الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه » (٥١٦).

وقال كعب : إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ، ومن الشهور رمضان ، ومن الأيام الجمعة ، ومن الليالى ليلة القدر ، ويقال: إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول: سلام سلام يوم صالح. وقال ﷺ : **«من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر »** (٥١٧).

= إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام ، وإذا سلم رمضان سلمت السنة. أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال : تفرد به عبد العزيز وهو كذاب ، ورواه أبو نعيم في الحلية ، وقال : تفرد به إبراهيم بن سعيد الجوهرى عن أبى خالد القرشى .ا هـ . يعني به عبد العزيز المذكور ، ورواه البيهقى من طريق أخرى لا تصح أيضًا ، وإنما يعرف هذا من حديث عبد العزيز عن سفيان وهو ضعيف بمرة ، وفى الميزان: عبد العزيز بن أبان أحد المتروكين ، قال يحيى : كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة ،وقال أبو حاتم : لا يكتب حديثه ، وقال البخارى : تركوه، ثم ساق صاحب الميزان له هذا الحديث ،وتعقب الحافظ السيوطي ابن الجوزى فى ذكره إياه فى الموضوعات ورد دعوى تفرد عبد العزيز به ، وأورده من طريق أخرى ليس فى سنده من تكلم فيه ، والله أعلم .

(٥١٦) حديث : « إن الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء. . .» الحديث، قال المناوى : وسره أنه أفضل الأيام عند الله تعالى، ويقع فيه من العبادة والابتهال ما يمنع تسجر النار فيه ، وكذا تكون معاصى أهل الإيمان فيه أقل منها فى غيره حتى أن أهل الفجور ليمتنعون فيه مما لا يمتنعون منه فى غيره ، **وقال العراقى** : أخرجه أبو داود فى السنن عن أبى قتادة وأعله بالانقطاع . ا هـ.

قال مرتضى : ولفظه: إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة. وقد استنبط القرطبى من هذا الحديث جواز النافلة فى يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام .

(٥١٧) حديث : « من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقى فتنة القبر» **قال العراقى** : أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو ضعيف ، وللترمذى نحوه من حديث عبد الله بن عمرو، وقال غريب وليس إسناده بمتصل ، **قال العراقى** : ووصله الترمذى الحكيم فى النوادر بزيادة عياض بن عقبة الفهرى بينهما ، وقيل : لم يسمع عياض أيضًا من عبد الله بن عمرو وبينهما رجل من الصدف، ورواه أحمد من رواية أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو وفيه بقية بن الوليد ، رواه بالعنعنة . ا هـ . ووجد بخط الحافظ ابن حجر فى طرة الكتاب ما نصه: الرواية=





نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمرًا عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٠

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

بيان شروط الجمعة

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات فى الشروط وتتميز عنها بستة شروط :

الأول: الوقت، فإن وقعت تسليمة الإمام فى وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أربعًا، والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف .

الثانى : المكان، فلا تصح فى الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لابد منّ بقعة جامعة لأبنية لا تنقل تجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة، والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه .

الثالث : العدد، فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكوراً مكلفين أحراراً مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفًا ، فإن انفضوا حتى نقص العدد فى الخطبة أو فى الصلاة لم تصح الجمعة بل لابد منهم من الأول إلى الآخر .

الرابع : الجماعة، فلو صلى أربعون فى قرية أو فى بلد متفرقين لم تصح جمعتهم، ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية ، وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام تمها ظهرا .

الخامس : أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى فى ذلك البلد فإن تعذر اجتماعهم فى جامع واحد جاز فى جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة ، وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التى

= التى فيها رجل من الصدف ، رواها حميد بن زنجويه فى الترغيب له من طريق ربيعة بن سيف عن عبد بن مجدم عن رجل من الصدف عن عبد الله بن عمرو ورجح الخطيب هذه الطريق . اهـ .

قال مرتضى : ولفظ أبى نعيم فى الحلية: من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء .وأخرج الشيرازى فى الألقاب من حديث عمر بن الخطاب: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة عوفى من عذاب القبر وجرى له عمله. والله أعلم .

يقع بها التحريم أولا، وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين، فإن تساويا فالمسجد الأقدم، فإن تساويا ففى الأقرب، ولكثرة الناس أيضًا فضل يراعى .

السادس : الخطبتان، فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة ، وفى الأولى أربع فرائض: التحميد وأقله الحمد لله، والثانية الصلاة على النبى ﷺ ، والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى، والرابعة قراءة آية من القرآن، وكذا فرائض الثانية أربع إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة، واستماع الخطبتين واجب من الأربعين .

(وأما السنن) : فإذا زالت الشمس وأذّن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام، فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا، ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كى لا يعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية فى الثانية أيضا ، ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا والإشارة بالجواب حسن ، ولا يشمت العاطسين أيضا . هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم فى قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو فى قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت، لقوله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ (الجمعة : ٩) . ويرخص لهؤلاء فى ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره ، ثم يستحب لهم - أعنى أصحاب الأعذار - تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة، فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر، والله أعلم.

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهى عشر جمل

الأول : أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها - فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة فى يوم الجمعة.

قال بعض السلف : إن لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة . ويغسل فى هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده، ويفرغ قلبه من الأشغال التى تمنعه من البكور إلى الجمعة، وينوى فى هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا وليكن مضموماً إلى يوم الخميس أو السبت لا مفرداً فإنه مكروه، ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة، ويجامع أهله فى هذه الليلة أو فى يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله ﷺ : « **رحم الله من بكَّر وابتكر وغسَّل واغتسل** » (٥١٨) وهو حمل الأهل على الغسل،

(٥١٨) حديث : « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل » لم أجده بهذا اللفظ، والذى عند أحمد بسند جيد وأرباب السنن وابن حبان والحاكم وصححه وتعقب، والطبرانى فى الكبير وحسنه الترمذى والدارمى وابن أبى شيبة وابن سعد وابن زنجويه وابن خزيمة والطحاوى وأبى يعلى والباوردى وابن قانع وأبى نعيم والبيهقى والضياء عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى ﷺ رفعه بلفظ من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واعس واستمع وأنصت ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة وأجر سنة صيامها وقيامها ، ورواه الحاكم أيضًا عن أبى الأشعث عن أوس بن أوس عن ابن عمر ويروى أيضًا عن أوس بن أوس عن أبى بكر الصديق، وعند الطبرانى أيضًا عن أبى الأشعث عن شداد بن أوس، وعند الطبرانى أيضًا فى إحدى رواياته زيادة فى آخر الحديث وهى: وذلك على الله يسير ، وروى الحاكم أيضًا من حديث أوس بن أوس وصححه وتعقب بلفظ: من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا وأنصت واستمع غفر له ما بينه وما بين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد لغا ويروى كذلك عن أنس بلفظ: من غسل واغتسل وبكر وا بتكر وأتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى . رواه الخطيب ويروى كذلك عن أبى طلحة بلفظ: من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام وأنصت ولم يلغ فى يوم الجمعة كتب الله له بكل خطوة خطاها إلى المسجد صيام سنة وقيامها. رواه الطبرانى فى الكبير عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه عن جده .

وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده، وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا : ما هذا اليوم ؟

قال بعض السلف: أوفَى الناس نصيبًا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس، وأخفهم نصيبًا من إذا أصبح يقول: إيش اليوم؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها .

الثـانى : إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر، وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة ،فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى وجوبه، قال ﷺ : «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**» (٥١٩) والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : « **من أتى الجمعة فليغتسل** » (٥٢٠)وقال ﷺ : « من شهد

(٥١٩) حديث : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » أخرجه البخارى عن عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ، وأخرجه أيضا من طريق شعبة، ومسلم وأبو داود والنسائى من طريق سعيد بن هلال وبكير بن الأشبح ثلاثتهم عن أبى بكر بن المنكدر عن عمرو بن سليم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه، إلا أن البخارى قال : عن عمرو بن سليم قال: أشهد على أبى سعيد قال أشهد على رسول الله ﷺ قال : « الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » ، وذكر الاستنان والطيب ، وقد رواه بكير بن الأشبح أيضا من غير ذكر عبد الرحمن فسعيد بن هلال هو المنفرد بزيادة عبد الرحمن واختار البخارى رواية شعبة لأنه ليس فيها ذكر عبد الرحمن وذكر الواسطة عنه الجماعة لا يضر فإنه يحتمل أن يكون عمرو سمع من أبى سعيد وسمع أيضا من ابنه عبد الرحمن بن أبى سعيد، فتارة حدث هكذا، وتارة حدث هكذا ورواه أيضا مالك فى الموطأ والشافعى وأحمد فى مسنديهما وابن ماجة والدارمى وابن الجارود فى المنتقى وابن خزيمة والطحاوى وأخرج ابن حبان هذا الحديث من هذه الطريق ، وزاد فيه: كغسل الجنابة، وأخرج البغوى من حديث أبى الدنيا بلفظ: مسلم بدل محتلم ،لكن قال : غسل الجمعة ولم يقل يوم الجمعة، مولى ابن عمر قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال البخارى : أصح الحديث مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة ست عشرة ومائة، روى له الجماعة .

(٥٢٠) حديث : « من أتى الجمعة فليغتسل» هذا لفظ ابن حبان . وفى لفظ له: من راح إلى الجمعة فليغتسل . وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن الزبير ، وأخرجه ابن أبى شيبة والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر . وأخرجه البزار من حديث بريدة والخطيب من حديث أنس: وأخرجه البخارى ومسلم بلفظ: من جاء منكم الجمعة فليغتسل إلا أنهما أخرجاه من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه. وأما لفظ نافع عن ابن عمر : إذا جاء أحدكم=

الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل »(٥٢١) وكان أهل المدينة إذا تساب المتسابان ، يقول أحدهما للآخر: لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة، وقال عمر لعثمان ﷺ لما دخل وهو يخطب: « أهذه الساعة ! - منكراً عليه ترك البكور - فقال: ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت، فقال : والوضوء أيضا ،وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل» (٥٢٢) .

= الجمعة فليغتسل ، فحديث سالم أخرجه البخارى من طريق شعيب بن أبى حمزة ومسلم من طريق يونس بن يزيد كلاهما عن الزهرى عن سالم ، ورواه الزهرى أيضا عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر عن أبيه رواه مسلم والنسائى، ورواه الزهرى أيضا عن سالم وعبد الله عن أبيهما رواه مسلم والنسائى أيضا ، وهذا يدل على أنه عند الزهرى عنهما . وحكى الترمذى عن البخارى أنه قال : الصحيح حديث الزهرى عن سالم عن أبيه ولهما حديث نافع فأخرجه البخارى من طريق مالك ومسلم من طريق الليث كلاهما عن نافع ولفظ مسلم تقدم ذكره ، وأخرجه الشيرازى فى الألقاب من حديث عثمان بلفظ: « من جاء منكم إلى الجمعة ...» ، وكذلك الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس .

(٥٢١) حديث : « من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » أخرجه ابن حبان فى الصحيح والبيهقى فى السنن من طريق عثمان بن واقد عن نافع عن ابن عمر بلفظ: من أتى ، وفى آخره زيادة: ومن لم يأتها فليس عليه غسل . ولفظ القوت: وروينا عن رسول الله ﷺ : من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا. ولذلك قال مالك للنساء إذا حضرت الجمعة: اغتسلن لها .

قال مرتضى : وهذا مذهب مالك يقول باستحباب الغسل لكل من أراد الإتيان إلى الجمعة سواء كانت واجبة عليه أم غير واجبة كالصبى المميز والمرأة والعبد وغيرهم، كذا حكاه ابن المنذر والقاضى عياض عن مالك ، وروى ابن أبى شيبة عن عبيدة بنت نائل، قالت : سمعت ابن عمر وعنده سعد بن أبى وقاص يقول للنساء: من جاء منكن الجمعة فلتغتسل . وعن طاوس أنه كان يأمر نساءه يغتسلن يوم الجمعة وعن شقيق أنه كان يأمر أهله الرجال والنساء بالغسل يوم الجمعة، وقال ابن حزم : وغسل يوم الجمعة فرض لازم لكل بالغ من الرجال والنساء ، **قال العراقى** : فى شرح التقريب : وهو المشهور من مذهب أصحابنا ، قال: ولنا وجه ثان أنه إنما يستحب لمن تلزمه الجمعة دون النساء والصبيان والعبيد والمسافرين، ووجه ثالث أنه يستحب للذكور خاصة، حكاه النووى فى شرح مسلم . وروى ابن أبى شيبة عن الشعبى: ليس على النساء غسل يوم الجمعة، وبه قال أحمد كما حكاه ابن المنذر ، وفى صحيح البخارى عن ابن عمر معلقا: إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة . وصله ابن أبى شيبة فى مصنفه .

(٥٢٢) حديث : « ... أهذه الساعة - منكرا عليه ترك البكور - فقال: ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت، فقال : والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان=

وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه، وبما روى أنه ﷺ قال: « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » (٥٢٣) ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء

= يأمر بالغسل » أورده صاحب القوت هكذا إلا أنه لم يقل: منكرا عليه ترك البكور، فهى زيادة زادها المصنف تفسيرا للحديث ، وقال بعد قوله: وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال : غسل الجمعة . . . الحديث، وكان يأمر بالغسل . ا هـ . **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى عثمان . ا هـ .

قال مرتضى : هو مصرح به فى رواية مسلم من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة ، وقال البخارى فى الصحيح: حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء ، حدثنا جويرية عن الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم فى الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبى ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إنى شغلت فلم أنقلب إلى أهلى حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت، فقال: والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل .وأخرجه مالك فى الموطأ ومسلم عن يونس بن يزيد كلاهما عن الزهرى ، وأخرجه الترمذى فى الصلاة، وقال البخارى أيضًا :حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن عمر رضي الله عنه بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ دخل رجل فقال عمر: لم تحتبسون عن الصلاة؟ فقال الرجل: ما هو إلا أن سمعت النداء توضأت، فقال : ألم تسمعوا النبى ﷺ يقول: « إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل » ، وأخرجه مسلم فى الصلاة وأبو داود فى الطهارة إلا أن لفظ مسلم ، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

(٥٢٣) حديث : « من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل » أخرجه أحمد وابن أبى شيبة والدارمى وأبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وأبو يعلى وابن جرير فى تهذيبه وابن خزيمة فى صحيحه والطحاوى والبيهقى وابن النجار والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة كلهم من طريق الحسن عن سمرة بن جندب ، قال فى الإمام: من يحمل رواية الحسن عن سمرة على الاتصال يصحح هذا الحديث ، قال الحافظ ابن حجر : وهو مذهب ابن المدينى ، وقيل: لم يسمع منه إلا حديث العقيقة .ا هـ . وسمع منه حديث السكتتين فى الصلاة كما تقدم . وأخرجه ابن ماجة والطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد والبيهقى فى المعرفة والضياء عن أنس وأخرجه عبد بن حميد والطحاوى عن جابر وأما معنى الحديث فقال الزمخشرى: الباء فى قوله فبها متعلقة بفعل مضمر، أى فبهذه الخصلة أو الفعلة تنالوا الفضل، والخصلة هى الوضوء وقوله : ونعمت، أى نعمت الخصلة هى فحذف المخصوص بالمدح ،وقيل: أى فبالرخصة أخذ ونعمت السنة التى ترك، وفيه انحراف عن مراعاة حق اللفظ فإن الضمير الثانى يرجع إلى غير ما يرجع إليه الضمير الأول، « وقال غيره: هو كلام يطلق للتجويز والتحسين أى فأهلا بتلك الخصلة أو الفعلة المحصلة للواجب ونعمت الخصلة هى، أو المعنى: فبالسُّنة أخذ، أى بما جوزته من الاقتصار على الوضوء ونعمت الخصلة هى لأن الوضوء=

على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة ، وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل، فقال له : أللجمعة ؟ فقال : بل عن الجنابة، فقال: أعد غسلا ثانيًا . وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم، وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال: المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ، ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا، وقد جعل فى الشرع قربة فلابد من طلب فضلها ، ومن اغتسل، ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك .

الثالث : الزينة، وهى مستحبة فى هذا اليوم، وهى ثلاث : الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة. أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة، قال ابن مسعود : من قلَّم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء، فإن كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود، فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين فى جواره « وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه »(٥٢٤) روى ذلك فى الأثر. وقال الشافعى ﷺ: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله .

= تطهير للبدن إذ البدن باعتبار ما يخرج منه من الحدث غير متجزئ فكان الواجب غسل جميعه غير أن الحدث الخفيف لما كثر وقوعه كان فى إيجابه حرج فاكتفى الشارع بغسل الأعضاء التى هى الطرف تسهيلا على العباد وجعل طهارة لكل البدن، وقوله : فالغسل أفضل، أى أفضل من الاقتصار على الوضوء لأنه أكمل وأشمل، فالحديث فيه دلالة على ندب الغسل لا إيجابه .

(٥٢٤) حديث : « أحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه » عن الأجانب، كالزعفران وغيره قال: أخرجه أبو داود والترمذى فى الاستئذان وحسنه والنسائى عن أبى هريرة والعقيلى والعراقى والضياء والبزار عن أنس ورجال البزار رجال الصحيح . وأخرجه ابن عساكر عن يعلى بن مرة الثقفى، والعقيلى عن أبى عثمان مرسلا ، وقال: هو أصح . وأخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى سعيد: أطيب الطيب المسك .

وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض، ولا يلبس ما فيه شهرة ،ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ ، والعمامة مستحبة فى هذا اليوم، روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة** » (٥٢٥) فإن أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ،ولكن لا ينزع فى وقت السعى من المنزل إلى الجمعة ولا فى وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر ولا فى خطبته.

الرابع : البكور إلى الجامع، ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة، وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم، وينبغى أن يكون فى سعيه إلى الجمعة خاشعًا متواضعًا ناويا للاعتكاف فى المسجد إلى وقت الصلاة، قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إياه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه ، وقد قال ﷺ : « **من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة ، فإذا خرج الإمام طُويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر، فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شىء** » (٥٢٦) . والساعة الأولى إلى طلوع الشمس ، والثانية إلى ارتفاعها ،

---

(٥٢٥) حديث : « إن الله تعالى وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة ويحضرون صلاتهم بها » هكذا أورده صاحب القوت ونصه: واستحب العمامة يوم الجمعة ، وقد روينا فيها حديثا شاذا عن واثلة بن الأسقع فساقه ،**وقال العراقى** : رواه الطبرانى وابن عدى، وقال : منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة . ا هـ . أخرجه الطبرانى من طريق محمد بن عبد الله الحضرمى عن العلاء بن عمر والحنفى عن أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبى الدرداء ، أيوب بن مدرك قال ابن معين: كذاب، وقال النسائى : متروك له مناكير ، ثم عد من مناكيره هذا الحديث، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وقال: لا أصل له تفرد به أيوب ،قال الأزدى: هو من وضعه، كذبه يحيى وتركه الدارقطنى، وقد روى الطبرانى فى المعجم الكبير من طريق بشر بن عون عن بكار بن تميم عن مكحول عن واثلة رفعه: « إن الله يبعث الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجد . . . فساقه فيحتمل أن يكون هذا الحديث أيضا من طريقه .

(٥٢٦) حديث : « من راح إلى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح فى الساعة=

= الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة » هذا الحديث هكذا ساقه صاحب القوت بطوله فى أول الباب، وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وليس فيه: ورفعت الأقلام، وهذه اللفظة عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

قال مرتضى : قال البخارى فى الصحيح: حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة . . . وساق الحديث إلى أن قال: فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر ، وهكذا هو عند مسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك ورواه النسائى أيضا من طريق محمد بن عجلان عن سمى نحوه وفيه: كرجل قدم دجاجة وكرجل قدم عصفوراً ، وقول البخارى: غسل الجنابة، هو بالنصب صفة لمصدر محذوف أى: غسلا كغسل الجنابة ، وعند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن سمى: فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة، فالتشبيه للكيفية لا للحكم أو أشار به إلى الجماع يوم الجمعة ليكون أغض لبصره وأمكن لنفسه فى الرواح إلى الجمعة ولا تمتد عينه إلى شىء يراه ، وأخرجه مالك فى الموطأ بلفظ : ثم راح فى الساعة الأولى، كما عند المصنف، وفى رواية ابن جريج عند عبد الرزاق: فله من الأجر مثل الجزور ، وقال: البخارى أيضا: حدثنا آدم حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن الأغر عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ، ثم كالذى يهدى بقرة ، ثم كبشًا ، ثم دجاجة ، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر، وأخرج مسلم من طريق سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة بلفظ: على كل باب من أبواب المسجد ملك يكتب الأول فالأول مثل الجزور ، ثم نزلهم حتى صغر إلى مثل البيضة، فإذا جلس الإمام طويت الصحف وحضروا الذكر ، وأخرج أحمد من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طويت الصحف» وعنه عن النبى ﷺ : المهجر إلى الجمعة كالمهدى بدنة والذى يليه كالمهدى بقرة والذى يليه كالمهدى كبشًا حتى ذكر الدجاجة والبيضة، وهما حديثان منفصلان هكذا رواهما أحمد بإسناد واحد وجمع بينهما مسلم والنسائى وابن ماجه فجعلوهما حديثًا واحداً رواه مسلم عن يحيى بن يحيى وعمر الناقد، ورواه النسائى عن محمد بن منصور ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وسهل بن أبى سهل خمستهم عن سفيان بن عيينة زاد ابن ماجه عن أحد شيخيه سهل: فمن جاء بعد ذلك فإنما يجىء لحق الصلاة ، وأخرجه الشيخان والنسائى من طريق الزهرى عن الأغر عن أبى هريرة تمامه كما ذكر ، وفى رواية النسائى: ثم كالمهدى بطة ثم كالمهدى دجاجة ثم كالمهدى بيضة . وأخرج البخارى القطعة الأولى بسنده من طريق الزهرى عن أبى سلمة والأغر عن أبى هريرة ، وقد علم من هذا التفصيل أن الذى أورده المصنف ملفق من الأحاديث .

والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلهما قليل ، ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه ، قال ﷺ : « **ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن: الأذان ، والصف الأول ، والغدو إلى الجمعة**»(٥٢٧) .

وقال أحمد بن حنبل ؓ: أفضلهن الغدو إلى الجمعة . وفى الخبر: « **إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم** » (٥٢٨) وجاء فى الخبر: « **إن الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة، فيسأل بعضهم بعضًا عنه: ما فعل فلان وما الذى أخّره عن وقته؟ فيقولون :**

---

(٥٢٧) حديث : « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الإبل فى طلبهن: الأذان والصف الأول والغدوّ إلى الجمعة » أى البكور إليها ، **قال العراقى :** أخرجه أبو الشيخ فى ثواب الأعمال من حديث أبى هريرة: ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذت إلا بالاستهام عليها للخير والبر . . . الحديث، وقال : والتهجير إلى الجمعة ، وفى الصحيحين من حديثه: لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه . اهـ .

قال مرتضى : وهو فى تاريخ ابن النجار من حديثه بلفظ: ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذت إلا بسهمه حرصًا على ما فيهن من الخير والبركة : التأذين بالصلاة والتهجير بالجماعات، والصلاة فى أول الصفوف .

(٥٢٨) حديث : « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » هكذا أورده صاحب القوت، وقال عمر - يروى فى خبر، **قال العراقى :** أخرجه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بإسناد ضعيف-: إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التى يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بأبواب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلامًا من ذهب . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بلفظ: إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحف من نور وأقلام من نور . . . الحديث ، وأما صدر الحديث ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة بلفظ: إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول . . . كما تقدم، والحديث المذكور فيه صفة الصحف وأن الملائكة المذكورين من غير الحفظة.

اللهم إن كان أخّره فقر فأغنه ، وإن كان أخّره مرض فاشفه ، وإن كان أخّره شغل ففرغه لعبادتك، وإن كان أخّره لهو فأقبل بقلبه إلى طاعتك » (٥٢٩) .

وكان يُرى فى القرن الأول سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك، فقيل: أول بدعة حدثت فى الإسلام ترك البكور إلى الجامع ، وكيف لا يستحيى المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ؟! وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ؟! ويقال: إن الناس يكونون فى قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ، ودخل ابن مسعود ﷺ بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول فى نفسه معاتبًا : لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد.

الخامس : فى هيئة الدخول ، ينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس (٥٣٠) ولا يمر بين أيديهم، والبكور يسهل ذلك عليه . فقد ورد وعيد شديد فى تخطى الرقاب وهو أنه يجعل

---

(٥٢٩) حديث : « إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه: ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته؟ فيقولون : اللهم إن كان أخره فقر فأغنه ، وإن كان أخره مرض فاشفه، وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك، وإن كان أخره لهو فأقبل عليه حتى يقبل بقلبه إلى طاعتك » هكذا نقله صاحب القوت ، **وقال العراقى** : أخرجه البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن ، واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرًا ، فإن لم يرد به حديثًا مرفوعًا فليس من شرطنا، وإنما ذكرناه احتياطًا . اهـ .

قال مرتضى : كذا فى بعض نسخ الكتاب ، وفى الآثار ووجد فى بعضها : وجاء فى الخبر، ومثله فى القوت،والحديث قد أخرجه ابن خزيمة فى الصحيح من هذا الطريق بلفظ : فيقول بعض الملائكة لبعض : ما حبس فلانًا ؟ فتقول : اللهم إن كان ضالا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه، وإن كان مريضًا فعافه .

(٥٣٠) حديث : « فينبغى أن لا يتخطى رقاب الناس » **قال العراقى** : أخرجه الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أيضًا أحمد والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن كلهم من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه، ولفظهم جميعًا: من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ=

جسـرا يوم القيـامة يتـخطاه الناس ، وروى ابن جريج مـرسلا أن رسول الله ﷺ بيـنما هو يخطب يوم الجمـعة إذ رأى رجلا يتـخطى رقاب الناس حتى تـقدم فجلس ، فلمـا قضى النبى ﷺ صلاته عـارض الرجل حتى لقيه، فـقال: « **يا فلان ، مـا منعك أن تجمع اليـوم معنا** » ؟ قال: يا نبي الله قد جمعت مـعكم، فقال النبي ﷺ : « ألم نرك تتخطى رقاب الناس» (٥٣١) أشار به إلى أنه أحبط عمله . وفي حديث مسند أنه قال : « **ما منعك أن تصلى معنا**»؟ قال : أولم ترنى يا رسول الله؟ فقال ﷺ : « **رأيتك تأنيت وآذيت** » (٥٣٢) أى تأخرت عن البكور

= جسرًا إلى جهنم. أى: من تجاوز رقابهم بالخطو إليهـا جعل جسرًا يمر عليه من يساق إلى جهنم جزاء لكلٍّ بمثل عمله .

(٥٣١) حديث : « ابن جـريج مرسلا » هكذا هو فى القـوت وفيه تسـامح ، فإن المرسل عندهم هو الذى سقط فيه ذكر الصحابى ، وهذا قد سقط فـيه اثنان فإنه يروى عن التابعين فهو معضل فى مصطلحهم « أن النبى ﷺ بينا - وفى القوت: بينمـا - هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فقال : يا فـلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا . . . » الحديث، **قـال العــراقى** : أخرجه أبو داود والنسـائى وابن حبان والحاكم من حديث عـبد الله بن بسر مختصراً . ا هـ .

قال مـرتضى : ورواه أيضًا ابن ماجه وصحـحه هو والحاكم ، وفى الطبرانى: قال لرجل : رأيتك تتـخطى رقـاب الناس وتؤذيهم، مـن آذى مسلـمًا فـقـد آذانى، ومن آذانى فـقـد آذى الله . وأخرجه الطحاوى فى معانى الآثار ، فقال : حدثنا بحر بن نصر حدثنا ابن وهب ، قال: سمعت معاوية بن صالح يحدث عن أبى الزاهريـة عن عبد الله بن بسر قال : كنت جالسًا إلى جنبه يوم الجـمعة فقـال : جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجـمعة ، فقـال له رسول الله ﷺ : « اجلس فقد آذيت وآنيت» ، قال أبو الزاهرية : فكنا نتحدث حتى يخرج الإمام .

قـال مـــرتضى : وفيـه دليل لأبى حنيفـة حيث إن النبى ﷺ أمره بالجـلوس فلم يأمره بالصلاة، وهو يخالف حديث سليك الغطفانى الآتى ذكـره والعمل عندنا على حديث عبد الله ابن بسر، والله أعلم . وأخرجه ابن أبى شيبة من مرسل الحسن فقال : حدثنا هشيم عن يونس ومنصور عن الحسن قال : بينا النبى ﷺ يخطب إذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم جمعة حـتى جلس قريبًـا من النبى ﷺ ، فلمـا قضى صـلاته قـال له النبى ﷺ : يا فلان أمـا جمعت، قال : يا رسول الله أما رأيتنى؟ قال: قد رأيتك .

(٥٣٢) فى حديث مسند : «أنه قال له : ما منعك أن تـصلى معنا؟ قال : أولم ترنى؟ فقال : رأيتك آنيت وآذيت » هكذا هو فى القـوت بعـينه، وقال فى مـعناه : أى تأخـرت عن البكور وآذيت الحضور .

وآذيت الحضور، ومهما كان الصف الأول متروكا خاليًا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة، قال الحسن : تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم ، وإذا لم يكن فى المسجد إلا من يصلى فينبغى أن لا يسلم لأنه تكليف جواب فى غير محله .

السادس : أن لا يمر بين يدى الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يمروا بين يديه - أعنى يدى المصلى - فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهى عنه، قال ﷺ : **«لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدى المصلى »**.(٥٣٣) وقال ﷺ : **« لأن يكون الرجل رمادًا رمديدًا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى »** (٥٣٤) وقد روى فى حديث آخر فى المار والمصلى حيث صلى على الطريق أو قصر فى الدفع، فقال : **« لو يعلم المار بين يدي المصلى ما عليه في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرًا له من أن يمر بين يديه »** (٥٣٥)

(٥٣٣) حديث : « لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدى المصلى » **قال العراقى** : رواه البزار من حديث زيد بن خالد، وفى الصحيحين: أن يقف أربعين ، قال ابن النضر : لا أدرى أربعين يوما أو شهرًا أو سنة ، ولابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة: مائة عام .اهـ.

قال مرتضى : وحديث أبى جهم أخرجه أيضًا الأربعة فى السنن وهو فى الموطأ لمالك ومن حديثه فى المعجم الصغير للطبرانى: لكان أن يقوم حولا خيرًا له من الخطوة التى خطاها .

قال الطبرانى : تفرد به أبو قتيبة عن سفيان، وأخرجه أحمد وابن ماجة من حديث أبى هريرة: لو يعلم أحدكم ما له فى أن يمر بين يدى أخيه معترضًا فى الصلاة كان لأن يقيم مائتى عام خير له من الخطوة التى خطا. ولفظ زيد بن خالد رواه أيضًا أحمد وابن ماجة والدارمى والرويانى والضياء لكنهم قالوا: لأن يقوم، بدل يقف .

(٥٣٤) حديث : « لأن يكون الرجل رمادًا رمديدًا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدى المصلى » كذا فى القوت، **قال العراقى** : أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن عبد البر فى التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمرو، وزاد: متعمدًا . ا هـ .

(٥٣٥) حديث : « لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يديه » أورده صاحب القوت من حديث زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه، **وقال العراقى** : رواه هكذا أبو العباس محمد بن إسحق السراج فى مسنده من حديث زيد بن خالد بإسناد صحيح . ا هـ. ولكن فى المعجم الصغير للطبرانى: لو يعلم المار بين يدى الرجل وهو يصلى ماذا عليه لكان أن يقف . . . الحديث .

والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد المصلى فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه، قال ﷺ : « ليدفعه ، فإن أبىَ فليدفعه ، فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان »(٥٣٦) . وكان أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه ويدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبى ﷺ أمره بذلك ، فإن لم يجد أسطوانة فلينصب بين يديه شيئًا طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده .

السابع : أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه، وفى الحديث : « **من غسَّل واغتسل وبكَّر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام** »(٥٣٧) وفى لفظ آخر: « **غفر الله له إلى الجمعة الأخرى** » ، وقد اشترط فى بعضها: « **ولم يتخط رقاب الناس** » (٥٣٨) .

---

(٥٣٦) حديث : « الأسطوانة والحائط والمصلِّى حد للمصلِّى ، فمن اجتاز به فينبغى أن يدفعه، قال ﷺ : ليدفعه فإن أبَى فليقاتله فإنه شيطان » كذا فى القوت من حديث عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه مرفوعا والحديث متفق عليه عن أبى سعيد ولم يذكر المصنف الحديث بتمامه وهو فى الصحيحين وأخرجه الطحاوى عن يونس عن ابن وهب أن مالكا أخبره عن زيد بن مسلم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان أحدكم يصلى فلا يدعن أحدًا يمر بين يديه وليدراه ما استطاع ، فإن أبىَّ فليقاتله فإنما هو شيطان » ، وأخرجه أيضًا من طريق عطاء بن يسار عن زيد بن أسلم مثله ، ومن طريق حميد بن هلال عن أبى صالح عن أبى سعيد نحوه، وأخرج أيضًا من طريق الضحاك بن عثمان عن صدقة عن ابن عمر بلفظ: فإن أبىَ فليقاتله فإن معه القرين .

(٥٣٧) حديث : « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام » كذا فى القوت ، **قال العراقى :** أخرجه الحاكم من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه البيهقى كذلك وصححه الحاكم وتعقبه الذهبى، ولفظ حديثهم: من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا وأنصت واستمع غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد لغا . وفى لفظ آخر غفر الله له إلى الجمعة الأخرى ، وفى القوت: غفر له بالبناء للمفعول ، رواه الخطيب عن أنس ولفظه: من غسل واغتسل وبكر وابتكر وأتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى .

(٥٣٨) حديث : « وقد اشترط فى بعضها: ولم يتخط رقاب الناس » كذا فى القوت، **قال العراقى :** أخرجه أبو داود والحاكم من حديث أبى سعيد وأبى هريرة، وقال: على شرط مسلم . اهـ . =

ولا يغفل فى طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور :

أولها : أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكراً يعجز عن تغييره من لبس حرير من الإمام أو غيره أو صلى فى سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم ،فعل ذلك جماعة من العلماء طلبًا للسلامة. قيل لبشر بن الحارث: نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف، فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد . وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه .

ونظر سفيان الثورى إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبى جعفر المنصور، فلما فرغ من الصلاة قال: شغل قلبى قربك من هذا، هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ، ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد، فقال : يا أبا عبد الله أليس فى الخبر: « أُدْنُ واستمع » ؟ (٥٣٩) فقال: ويحك، ذاك للخلفاء الراشدين المهديين، فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل .

= **قال مرتضى :** وأخرجه الطحاوى كذلك من حديثهما ، قال : حدثنا ابن أبى داود حدثنا الذهبى حدثنا ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وعن أبى أمامة أنهما حدثاه عن ابن أبى سعيد ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيبًا إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى أتى المسجد فلم يتخط رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة التى قبلها » . تابعه على ذلك حماد بن سلمة عن محمد بن إبراهيم نحوه ، ومعناه عند البخارى من حديث سلمان: لا يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس طيبًا ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى. وعند ابن خزيمة فى رواية الليث عن ابن عجلان: ما بينه وبين الجمعة التى قبلها، فقوله : فلا يفرق، أى لا يتخطى، فصحَّ عند أبى داود من حديث ابن عمرو: ثم لم يتخط رقاب الناس، وكذا عند الطحاوى من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده .

(٥٣٩) حديث : « ادن فاستمع» **قال العراقى :** أخرجه أبو داود من حديث سمرة: احضروا الذكر وادنوا من الإمام. وتقدم بلفظ الخبر: ودنا واستمع، وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد.ا هـ .

قال مرتضى : وأخرج من حديث سمرة أيضا أحمد والحاكم والبيهقى، ولفظ البيهقى: احضروا الجمعة وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخر فى الجنة وإن دخلها .=

وقال سعيد بن عامر: صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف، فلما صلينا قلت له أليس يقال: « **خير الصفوف أولها** » (٥٤٠) قال: نعم، إلا أن هذه الأمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فإنما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه. وروى بعض الرواة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، فمن تأخر على هذه النية إيثاراً وإظهاراً لحسن الخلق فلا بأس، وعند هذا يقال: الأعمال بالنيات.

ثانيها: إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الأول محبوب وإلا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة، كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ فى المساجد، والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه، وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب، ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع، فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة.

= وفى رواية لأحمد: فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة حتى أنه يتخلف عن الجنة وإنه لمن أهلها. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى فى التلخيص وسكت عليه أبو داود ولكن تعقبه المنذرى بأن فيه انقطاعا، وقال الذهبى فى تعقبه على البيهقى: فيه الحكم بن عبد الملك، قال ابن معين: ليس بشىء.

(٥٤٠) حديث سعيد بن عامر: « صليت إلى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر الصف، فلما صلينا قلت له: أليس يقال: خير الصفوف أولها » وهذا لم يتعرض له العراقى لكون المصنف أورده بلفظ يقال. وقد أخرج مسلم والأربعة من حديث أبى هريرة، والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وابن عدى والبزار من حديث فاطمة بنت قيس، والطبرانى أيضا عن ابن عباس وابن ماجه عن أنس، والطبرانى فى الأوسط عن عمر بلفظ: خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها. وأخرجه ابن أبى شيبة من حديث جابر: خير صفوف الرجال مقدمها وشرها مؤخرها، وخير صفوف النساء مؤخرها وشرها مقدمها. فقال نعم، إلا أن هذه أمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم، فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد فى صلاة غفر لمن وراءه من الناس، وإنما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله إليه. وروى بعض الرواة أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول ذلك، **قال العراقى**: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق نحوه.

وثالثها : أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع، وكان الثورى يقول: الصف الأول هو الخارج بين يدى المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال: الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى، وتكره الصلاة فى الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب .

الثامن : أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة ، وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل، ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه، وقد روى عن على وعثمان ﷺ أنهما قالا : من استمع وأنصت فله أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ، ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد ، وقال ﷺ : « **من قال لصاحبه والإمام يخطب: أنصت أو صه فقد لغا، ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له** »(٥٤١) وهذا يدل على أن الإسكات

(٥٤١) حديث : « من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو صه فقد لغا ، ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له » هكذا أورده صاحب القوت بتمامه، **قال العراقى** : أخرجه الترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة دون قوله: من لغا فلا جمعة له. قال الترمذى : حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين: إذا قلت لصاحبك - ولأبى داود من حديث على من قال صه - فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له . اهـ .

قال مرتضى : وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله مرسلا بمثلى حديث الترمذى ، وأخرج من طريق سعيد بن أبى هند عن حميد ابن عبد الرحمن مثله، وأخرج من طريق ابن أبى أوفى ، قال : ثلاث من سلم منهن غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى من أن يحدث حدثًا لا يعنى أذى من بطنه أو أن يتكلم أو يقول صه، وأخرج من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : إذا قال يوم الجمعة والإمام يخطب صه . وأخرج أيضا من طريق مجاهد عن عامر عن ابن عباس رفعه: « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً، والذى يقول له أنصت ليست له جمعة ». وأخرجه أيضا أحمد والبزار وسياق البخارى أخرجه أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة وأبو داود والنسائى وابن ماجه والطحاوى ، وروى أحمد أيضا من حديث ابن عباس: والذى يقول له أنصت فلا جمعة له .

ينبغى أن يكون بإشارة أو رمى حصاة لا بالنطق . وفى حديث أبى ذر أنه لما سأل أبيا والنبى ﷺ يخطب، فقال : متى أنزلت هذه السورة؟ فأومأ إليه أن اسكت، فلما نزل رسول الله ﷺ قال له أبىّ اذهب فلا جمعة لك، فشكاه أبو ذر إلى النبى ﷺ فقال: « صدق أبىّ »(٥٤٢) .

---

(٥٤٢) حديث : « لما سأل أبيّا والنبى ﷺ يخطب فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فأومأ إليه أن اسكت، فلما نزل النبى ﷺ قال أبىّ له: اذهب فلا جمعة لك، فشكاه أبو ذر إلى النبى ﷺ فقال: صدق أبىّ » . هكذا أورده صاحب القوت، **قال العراقى :** أخرجه البيهقى وقال فى المعرفة : إسناده صحيح، ولابن ماجه من حديث أبىّ بن كعب بإسناد صحيح أن السائل له أبو الدرداء أو أبو ذر ولأحمد من حديث أبى الدرداء أنه سأل أبيّا، ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبد الله بن مسعود ولأبى يعلى من حديث جابر ، قال: قال سعد بن أبى وقاص لرجل : لا جمعة لك ، فقال له النبى ﷺ : لم يا سعد ؟ قال : لأنه كان يتكلم وأنت تخطب، قال : صدق سعد .ا هـ .

قال مرتضى : والظاهر أن القصص مختلفة ، قال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف : حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن جابر قال : قال سعد لرجل يوم الجمعة : لا صلاة لك ، فقال النبى ﷺ : لمَ يا سعد ؟ قال : إنه تكلم وأنت تخطب ، فقال : صدق سعد. وحدثنا هشيم حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبى أن أبا ذر أو الزبير بن العوام سمع أحدهما من النبى ﷺ أنه يقرؤها وهو على المنبر يوم الجمعة قال : فقال لصاحبه : متى أنزلت هذه الآية ؟ قال : فلما قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب : لا جمعة لك ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فقال: صدق عمر . وقال أبو جعفر الطحاوى : حدثنا أبو بكرة وابن مرزوق قال: حدثنا مكى ابن إبراهيم حدثنا عبد الله بن سعيد هو ابن أبى هند عن حرب بن قيس عن أبى الدرداء قال : جلس رسول الله ﷺ فى يوم الجمعة على المنبر يخطب الناس فتلا آية وإلى جنبى أبىّ بن كعب ، فقلت له : يا أبى متى أنزلت هذه الآية ؟ فأبى أن يكلمنى حتى إذا نزل رسول الله ﷺ عن المنبر قال : ما لك من جمعتك إلا ما لغوت ، فلما انصرف رسول الله ﷺ جئته فأخبرته ، فقلت : يا رسول الله إنك تلوت آية وإلى جنبى أبىّ فسألته : متى أنزلت هذه الآية؟ فأبى أن يكلمنى حتى نزلت زعم أنه ليس لى من جمعتى إلا ما لغوت ، فقال : «صدق، فإذا سمعت إمامك يتكلم فاسكت حتى ينصرف». وحدثنا أحمد بن داود وحدثنا عبد الله بن محمد التميمى أخبرنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمر وعن أبى سلمة عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ كان يخطب يوم الجمعة فقرأ سورة ، فقال أبو ذر لأبىّ بن كعب : متى نزلت هذه السورة؟ فأعرض عنه ، فلما قضى رسول الله ﷺ : « قال لأبى ذر : ما لك من صلاتك إلا ما لغوت فدخل أبو ذر على النبى ﷺ فأخبره بذلك، فقال رسول الله ﷺ : «صدق أبىّ » . وهذه الرواية الأخيرة موافقة لسياق المصنف . ويقرب من هذه القصة ما أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فقال : حدثنا على بن مسهر عن داود بن أبى هند عن بكر بن عبد الله=

وإن كان بعيداً من الإمام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لأن كل ذلك يتسلسل ويفضى إلى هينمة حتى ينتهى إلى المستمعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم ، فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب، وإذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية ،وقال علىّ كرم الله وجهه : تكره الصلاة فى أربع ساعات : بعد الفجر ، وبعد العصر ، ونصف النهار ، والصلاة والإمام يخطب .

التاسع : أن يراعى فى قدوة الجمعة ما ذكرناه فى غيرها ، ومن سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة ،فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم، وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا ، وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة ، وكان حرزاً له من الشيطان ، ويستحب أن يقول بعد الجمعة : اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك . يقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، فقد روى ابن عمر ﷺ أنه ﷺ كان يصلى بعد الجمعة ركعتين (٥٤٣) .

= عن علقمة بن عبد الله قال : قدمنا المدينة يوم الجمعة فأمرت أصحابى أن يترجلوا فأتيت المسجد فجلست قريبًا من ابن عمر فجاء رجل من أصحابى فجعل يحدثنى والإمام يخطب فقلنا كذا وكذا، فلما أكثر قلت له : اسكت، فلما قضينا الصلاة ذكرت ذلك لابن عمر فقال : أما أنت فلا جمعة لك، وأما صاحبك فحمار كان وفى كل هذه الأخبار دليل لأبى حنيفة ومالك فى حرمة الكلام والصلاة والإمام يخطب، ثم إن هذا الذى تقدم فيما إذا كان فى الصف الأول أو الثانى قريبًا من الإمام .

(٥٤٣) حديث ابن عمر : « أن النبى ﷺ كان يصلى بعد الجمعة ركعتين » ، رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه كلهم من طريق نافع عنه ، ولفظ البخارى: وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين. وعند أبى داود فى بعض طرقه وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال : كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلى بعدها ركعتين فى بيته، ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك . ورواه الليث عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فيسجد سجدتين فى بيته ، ثم قال : كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك. رواه مسلم، وأخرج ابن أبى شيبة من طريق الزهرى عن سالم عن ابن عمر رفعه: كان يصلى بعد الجمعة ركعتين. ومن طريق حميد بن هلال عن عمران بن حصين أنه كان يصلى بعد الجمعة ركعتين ، وأخرج عن أبى بكر بن عياش عن منصور عن إبراهيم قال : صل بعد الجمعة ركعتين ، ثم صل بعدهما ما شئت . وعن غندر عن عمران عن أبى مجلز، قال : إذا سلم=

وروى أبـو هريرة أربعا (٥٤٤).

وروى على وعبـد الله بن عباس ﷺ سـتًا (٥٤٥)، والكل صحـيح فى أحوال مخـتلفة والأكمل أفضل .

= الإمام صل ركعتين وإذا رجع صل ركـعتين. وقال الترمذى فى جامعـه بعد أن ذكر حديث ابن عمـر : كان يصلى بعـد الجمعـة ركعـتين. والعمل على هذا عند بعض أهل العلـم وبه يقول الشافـعى وأحمد . ا هـ . ونقل النووى فى الـروضة عن ابن القاص وآخـرين من أنه يحصل الاستحباب بركـعتين، نص عليه فى الأم وسيأتى القول باستحباب الأربعـة،والنصان محمولان على الأكمل والأقل صرح به صـاحب التهذيب ويوافقه قول النووى فى التـحقيق أنها فى ذلك كالظهر .

(٥٤٤) حديث : « أنه ﷺ كـان يصلى أربعا » أى بعد الجـمعة لا يفـصل بينهن بتسليم، أخـرجه مسلم وأبو بكر بن أبى شيبة والترمذى والطحاوى من طريق سهيل عن أبيه عنه رفعه بلفظ: من كان مصلـيًا بعد الجمعـة فليصل أربعا . وقد روى ذلك عـن ابن مسعود وغيـره من التابعين ، أخرج ابن أبى شيبة من طريق عبد الله بن حبيب قـال: كان عبد الله يصلى بعد الجمعة أربعا. ومن طريق أبى عبـيدة عن عبـد الله أنه كان يصلى بعد الجـمعة أربعـا، ومن طريق العلاء بن المسيب عن أبيه قال : كان عبد الله يصلى بعد الجمعة أربعا. ومن طريق حماد عن إبراهيم عن علقمـة أنه كان يصلى أربعا بعـد الجمعـة لا يفصل بينهن ، ومن طريق عن أبى حـصين قال: رأيت الأسود بن يزيد صلى بعد الجمعة أربعا . وعن حفص عن الأعمش عن إبراهيم ، قال : كانوا يصلون بعدها أربعا ، وعن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن حماد قال : كان يستحب فى الأربع التى بعد الجمعة أن لا يسلم بينهن ، وعن وكيع عن مسعر عن أبى بكر بن عمرو بن عتبة عن عبد الرحمن بن عبد الله أنه كان يصلى بعـد الجمعة أربعًا . وقال الترمذى فى جامعه بعد روايته حديث أبى هريرة : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم . ا هـ .

قال مرتضى : وهو قول أبى حنيفة ومحمد بن الحسن والحسن بن حيى وابن المبارك ، وقال إسحـاق: إن صلى يوم الجمعـة فى المسجد صلى أربعـا ، وإن صلى فى بيته صلى ركـعتين . ونقل النووى فى الروضة عن ابن القاص وآخرين استـحباب أربع بعدها، وقال : نص عليه فى الأم . ا هـ . وهو رواية عن أحمد .

(٥٤٥) حديث : « كان يصلى ستا » أى بعد الجمعة ،أى بتقديم ركعتين على الأربع ركعات . أخرج أبو داود من حديث ابن عمر أنه كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ، ثم تقدم فصلى أربعا ، وإذا كـان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فـصلى ركعتين ، ولم يصل فى المسجد، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن . . فقال : كان النبى ﷺ يفعل ذلك ، وقال ابن أبى شيبة : حدثنا أبو الأحوص عن عطاء ، قال : كان ابن عمر إذا صلى الجمعة صلى بعدها ست ركعات: ركعتين ثم أربعا. =

العاشر : أن يلازم المسجد حتى يصلى العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل، يقال: من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة، فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يغنى فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرًا لله عز وجل، مفكرًا فى آلائه شاكرًا الله تعالى على توفيقه، خائفًا من تقصيره، مراقبًا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة. ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا، قال ﷺ : **«يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم ، ليس لله تعالى فيهم حاجة، فلا تجالسوهم »** (٥٤٦).

= وقول المصنف: وروي علي وابن عباس . . . إلخ ، أما قول علي فأخرجه البيهقى موقوفًا عليه ، **قاله العراقى** .

قال مرتضى : هو فى المصنف لابن أبى شيبة عن هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن قال : قدم علينا ابن مسعود فكان يأمرنا أن نصلى بعد الجمعة أربعًا ، فلما قدم علينا على أمرنا أن نصلى ستًا ، فأخذنا بقول على وتركنا قول عبد الله،قال: كان يصلى ركعتين ثم أربعًا ، حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن عبد الله بن حبيب قال : كان عبد الله يصلى أربعا، فلما قدم على صلى ستا، ركعتين وأربعًا، وروى ذلك أيضا عن أبى موسى الأشعرى وغيره، قال ابن أبى شيبة : حدثنا على بن مسهر عن الشيبانى عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه أنه كان يصلى بعد الجمعة ست ركعات ، وحدثنا وكيع عن زكريا عن محمد بن المنتشر عن مسروق ، قال : كان يصلى بعد الجمعة ستًا، ركعتين وأربعًا ، وهو قول عطاء والثورى وأبى يوسف ورواية عن أبى حنيفة وأحمد والشافعى على التخيير منهما نقله الخوارزمى من الشافعية فى الكافى (والكل صحيح) ثبت فى الأخبار مروى عن الصحابة قولا وعملا .

(٥٤٦) حديث : « يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم فى أمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم» **قال العراقى** : أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا ، وأسنده الحاكم فى حديث أنس وصحيح إسناده ولابن حبان نحوه من حديث ابن مسعود. اهـ.

قال مرتضى : لفظ حديث ابن مسعود : سيأتى على الناس زمان يقعدون فى المجالس حلقا حلقا إنما نهمتهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة ولفظ حديث أنس عند الحاكم يأتى على الناس زمان يتحلقوني فى مساجدهم وليس همهم إلا الدنيا ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم ، ولفظ البيهقى المرسل مثل ما ساقه المصنف غير أنه قال : فلا تجالسوهم ، فليس لله فيهم حاجة وأورد ابن الحاج فى المدخل حديثًا مرفوعًا بلفظ : إذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام ، فتقول الملائكة له : اسكت يا ولى الله . فإن زاد فتقول له : اسكت يا بغيض الله ، فإن زاد فتقول له : أسكت عليك لعنة الله ، والله أعلم .

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذى يعم جميع النهار، وهى سبعة أمور

الأول : أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ، ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير فى كلامهم، ولا ينبغى أن يخلو المريد فى جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو فى خير ، ولا ينبغى أن يحضر الحِلَق قبل الصلاة ، وروى عبد الله بن عمر ﷺ أن النبى ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة (٥٤٧) إلا أن يكون عالما بالله يُذكِّر بأيام الله ويفقه فى دين الله، يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع ، واستماع العلم النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل ، فقد روى أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة (٥٤٨) . قال أنس بن مالك فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (الجمعة : ١٠) . أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم ، وزيارة أخ فى الله عز وجل .

---

(٥٤٧) حديث : « نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، ولم أجده من حديث ابن عمر . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة أيضًا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولفظه: نهى رسول الله ﷺ عن التحلق للحديث يوم الجمعة قبل الصلاة. ولعل الذى عند المصنف تحريف وقع من النساخ فنقصوا واوا بعد عمر، على أنه قد روى ابن أبى شيبة جواز ذلك عن السائب وعبد الله بن بسر وابن عمر وأبى هريرة .

(٥٤٨) حديث : « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » تقدم فى كتاب العلم، وفى خبر آخر: لأن يتعلم أحدكم بابًا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة ، قيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن أيضًا؟ قال : وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم. وتقدم ذلك وأمثاله فى كتاب العلم .

وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا فى مواضع، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ (سبأ : ١٠) يعنى العلم .

فتعلم العلم فى هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات، والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونها بدعة ويخرجون القصاص من الجامع .

بكّر ابن عمر رضي الله عنه إلى مجلسه فى المسجد الجامع فإذا قاص يقص فى موضعه فقال : قم عن مجلسى ، فقال: لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه ، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه، فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته، فقد قال ﷺ : « **لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا**» (٥٤٩) وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه ، وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ، ثم طرده .

الثانى : أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففى الخبر المشهور: « **إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئًا إلا أعطاه** » (٥٥٠) وفى خبر آخر: « **لا يصادفها عبد يصلى** » (٥٥١) واختلف فيها فقيل: إنها عند طلوع الشمس، وقيل: عند الزوال،

(٥٤٩) حديث : « لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه » أخرجه مالك والبخارى ومسلم والترمذى، وأخرجه أحمد والبخارى من حديثه بلفظ: لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه .

(٥٥٠) حديث : « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه» **قال العراقى** : أخرجه الترمذى وحسنه، وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى لكن لفظه: لا يسأل الله العبد فيها شيئا إلا آتاه إياه . وهو فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة دون ذكر الصلاة ، وفى مسند أحمد من حديث جماعة من الصحابة .

(٥٥١) حديث : « لا يصادفها عبد يصلى » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ.=

وقيل: مع الأذان ، وقيل : إذا صعد الإمام المنبر وأخذ فى الخطبة ، وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة، وقيل: آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار ، وقيل: قبل غروب الشمس، وكانت فاطمة ﷺ تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة وتأثره عن أبيها ﷺ (٥٥٢) وعليها وقال بعض العلماء: هى مبهمة فى جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعى على مراقبتها، وقيل: إنها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر ، وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره، ولكن ينبغى أن يصدق بما قال ﷺ : « **إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها**»(٥٥٣) ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغى

= **قال مرتضى** : قال البخارى فى الصحيح : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة ، فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى فيها شيئا إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها . وأخرجه مسلم والنسائى فى الجمعة، قال الولى العراقى: فى شرح التقريب: قوله: وهو قائم يصلى، ذكر ابن عبد البر أن هذه رواية عامة من روى الموطأ ما عدا قتيبة وأبا مصعب ومطرفًا وابن أبى أويس والتنيسى فلم يقولوا: وهو قائم .اهـ. وأخرج الشيخان والنسائى وابن ماجه من طريق أيوب السختيانى، والشيخان أيضًا من طريق سلمة بن علقمة ومسلم والنسائى من طريق عبد الله بن عون ثلاثتهم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة بلفظ : « إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلى يسأل الله خيرًا إلا أعطاه إياه»، قال: بيده يقللها أى يزهدها، هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى من طريق سلمة بن علقمة بعد قوله: وقال بيده، ووضع أنملة على بطن الوسطى والخنصر قلنا : يزهدها ، وزاد مسلم من طريق محمد بن زياد عن أبى هريرة بلفظ : إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه ، قال : وهى ساعة خفيفة .

(٥٥٢) حديث : « وكانت فاطمة ﷺ تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة هى المنتظرة » وتأثر عن أبيها ﷺ ، وذكر الدارقطنى فى العلل أنها ﷺ قالت : قلت للنبى ﷺ : أى ساعة هى؟ قال : إذا تدلى نصف الشمس للغروب ، فكانت فاطمة تقول لغلام لها : اصعد إلى الظراب فإذا رأيت الشمس قد تدلى نصف عينها فأخبرنى حتى أدعو . وأخرجه أيضًا البيهقى فى الشعب .

(٥٥٣) حديث : « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » **قال العراقى** : أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر والطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ، ولابن عبد

أن يكون العبد فى جميع نهاره متعرضـا لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشىء من تلك النفحات .

وقد قال كعب الأحبار : إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة. (٥٥٤) وذلك عند الغروب، فقال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يوافقها عبد يصلى**» ولات حين صلاة ! فقال كعب: ألم يقل رسول الله ﷺ : « **من قعد ينتظر الصلاة فهو فى الصلاة**»؟ قال: بلى، قال: فذلك صلاة : فسكت أبو هريرة . وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل، وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما .

= البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المفرج من حديث أبى هريرة ، واختلف فى إسناده . ا هـ .

قال مرتضى : وعزاه الحافظ السيوطى إلى الطبرانى فى الكبير عن محمد بن مسلمة فوهم، وإنما هو فى الأوسط كما قاله العراقى، ويحتمل أن يكون فى كل منهما فليحرر، ولفظه عنده: إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدًا. وقال أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى الدرداء ﷺ : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا شيخ منا يقال له الحكم ابن فضيل عن زيد بن أسلم قال : قال أبو الدرداء: التمسوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من شاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم . ا هـ . وقال المناوى فى شرحه على الجامع: النفحة الدفعة من العطية، والمراد بالنفحات هنا أى تجليات مقربات يصيب بها من شاء من عباده ، وتلك النفحات من باب خزائن المنن فإن خزائن الثواب بمقدار الجزاء بخلاف خزائن المنن، وأبهم وقت الفتح هنا ليتعرض فى كل وقت فمن داوم الطلب يوشك أن يصادف وقت الفتح فيظفر بالغنى الأكبر ويسعد السعد الأفخر، وكم من سائل سأل فَرُدَّ مرارًا فإذا وافق المسئول قد فتح له لا يرده وإن كان قد رده قبل. اهـ.

(٥٥٤) حديث : « إنها فى آخر ساعة من يوم الجمعة » .

قال مرتضى : وهو قول عبد الله بن سلام ، كما هو عند أبى داود والنسائى والحاكم وروى سعيد بن منصور فى سننه من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التى فى يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة وهذا هو القول العاشر ، وروى أبو داود والنسائى والحاكم فى المستدرك من طريق=

الثالث : يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ فى هذا اليوم، فقد قال ﷺ : «**من صلى عليَّ فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة**» (٥٥٥) قيل : يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال : « **تقول: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى، وتعقد واحدة** » وإن قلت: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء، وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيًا عن أمته ، وصل عليه وعلى جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين . تقول هذا سبع مرات . فقد قيل: من قالها فى سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ ، وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة ،فقال: « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف » (٥٥٦) زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد

= الجلاح مولى عبد العزيز عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رفعه : يوم الجمعة اثنتا عشرة - يريد ساعة - لا يوجد مسلم يسأل الله تعالى إلا آتاه الله فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر. قال ابن عبد البر: قيل إن قوله فالتمسوها ... إلخ، من كلام أبى سلمة .

(٥٥٥) حديث : « من صلى عليّ فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله من ذنوبه ثمانين سنة، قيل: يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : تقول: اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى، وتعقد واحدة » **قال العراقى** : أخرجه الدارقطنى من رواية ابن المسيب ، قال : وأظنه عن أبى هريرة ، وقال : حديث غريب ، وقال ابن النعمان : حديث حسن . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه الأزدى فى الضعفاء والدارقطنى فى الأفراد من حديث أبى هريرة بلفظ: الصلاة عليّ نور فى الصراط فمن صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عامًا. ولفظ القوت: ويكثر من الصلاة على النبى ﷺ فى ليلة الجمعة ويوم الجمعة وأقل ذلك أن يصلى عليه ثلاثمائة مرة . وقد جاء فى الخبر، ثم ذكره كما ذكر المصنف إلا أن فيه: قيل : كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا ... ثم قال بعده: واعقدوا واحدة وقال : وبهذه الصيغة أورده القطب الجزولى فى دلائله فى أول الحزب الرابع بلفظ: عبدك ورسولك النبى الأمى .

(٥٥٦) حديث : « اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك ...» الحديث . **قال العراقى** : أخرج ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة على النبى ﷺ من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه الطبرانى فى الكبير والبغوى من حديث رويفع بن ثابت: من قال=

المرسلين، وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين ، قائد الخير وفاتح البر ، ونبى الرحمة وسيد الأمة ، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا تزلف به قربه وتقرّ به عينه، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة، اللهم أعط محمدًا سُؤْله وبلِّغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع ، اللهم عظِّم برهانه وثقل ميزانه وأبلغ حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته ، اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا على سنته وتوفنا على ملته، وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين، آمين يا رب العالمين .

وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة فى التشهد كان مصليا وينبغى أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب فى هذا اليوم .

الرابع : قراءة القرآن : فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة، فقد روى عن ابن عباس وأبى هريرة رضي الله عنهما أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرؤها إلى مكة، وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال(٥٥٧)

= اللهم صلى على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى. وعن أحمد وابن قانع من حديث بلفظ : من صلى على محمد وقال اللهم أنزله . . . إلخ.

(٥٥٧) حديث : « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة . . . » الحديث . لفظ القوت : وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : من قرأ . . . فساقه ، والمصنف تبعه فى هذا السياق بتمامه ، **وقال العراقى** : لم أجده فى حديثهما وللبيهقى نحوه من حديث أبى سعيد . اهـ.

قال مرتضى : أما حديث أبى هريرة فوجدته عند الديلمى فى مسند الفردوس ، أخرجه من حديثه يرفعه بلفظ: من قرأ سورة الكهف فى ليلة الجمعة أعطى نورًا من حيث مقامه إلى مكة وصلت عليه الملائكة حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجنون والجذام وفتنة الدجال. قال الحافظ ابن حجر : فيه إسماعيل بن أبى زياد متروك كذبه الدارقطني، وأما حديث ابن عباس فأخرجه أبو الشيخ الأصبهانى ، لكن لفظه يخالف سياق=

= المصنف ، قال : من قرأ عشر آيات من سورة الكهف ملئ من قرنه إلى قدمه إيمانًا ، ومن قرأها في ليلة جمعة كان له نور كما بين صنعاء وهذى ، ومن قرأها في يوم جمعة قدم أو أخر حفظ إلى الجمعة الأخرى فإن خرج الدجال فيما بينهما لم يتبعه. وأما حديث أبي سعيد الذى أشار إليه العراقى ، وقال: روى نحوه، فلفظه: عند الحاكم في التفسير والبيهقى في السنن بلفظ : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين . أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد ، عن هشيم عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد ، وقال : صحيح ، وقال الذهبي: بل نعيم بن حماد ذو مناكير ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار: هو حديث حسن ، وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف . اهـ .

قال مرتضى أيضًا : وعند البيهقى أيضًا من حديث أبي سعيد بلفظ: من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه. وهكذا رواه الطبرانى في الأوسط والحاكم وابن مردويه والضياء . وفي شعب الإيمان للبيهقى من حديث أبي سعيد مرفوعا وموقوفا: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق.

قال مرتضى : وقفه سعيد بن منصور والدارمي على أبي سعيد ، وقال البيهقى: رواه عن الثورى عن أبي هاشم موقوفا ، ورواه يحيى بن أبي كثير عن شعبة عن أبي هاشم مرفوعا ، قال الذهبي في المهذب: ووقفه أصح ، وقال الحافظ ابن حجر: رجال الموقوف في طرقه كلها أكثر من رجال المرفوع ، وقد روى ذلك أيضا من حديث على، وابن عمر عن عائشة ومعاذ بن أنس وعبد الله بن عقيل ، أما حديث على فأخرجه ابن مردويه والضياء بلفظ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون ، فإن خرج الدجال عصم منه ، وأورده عبد الحق في أحكامه وقال : سنده مجهول .وأما حديث ابن عمر فأخرجه ابن مردويه ، ومن طريقه الضياء بلفظ: من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين. وأما حديث عائشة فأخرجه ابن مردويه بلفظ: من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ، ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كانت له نورًا من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة . وأخرجه من وجه آخر قالت عائشة رفعته: ألا أخبركم بسورة عظمتها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ العشر الأواخر منها عند نومه بعثه الله أى الليل شاء ، قالوا : بلى يا رسول الله، قال: سورة أصحاب الكهف .

وأما حديث معاذ عن أنس فأخرجه أحمد والطبرانى في الكبير وابن السنى وابن مردويه بلفظ: من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من قدمه إلى رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نورًا ما بين الأرض والسماء . وروى في الباب عن أبي الدرداء أخرجه الترمذى ، =

ويستحب أن يختم القرآن فى يوم الجمعة وليلتها إن قدر، وليكن ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر إن قرأ بالليل أو فى ركعتى المغرب أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم . وكان العابدون يستحبون أن يقرءوا يوم الجمعة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ألف مرة ، ويقال : إن من قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة ، وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة، وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وإن قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن ، وليس يروي عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا فى يوم الجمعة وليلتها ، « كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورتى الجمعة والمنافقين» (٥٥٨) وروى أنه ﷺ « كان يقرؤها فى ركعتى الجمعة،وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان »(٥٥٩) .

= وقال: حسن صحيح، ولفظه: من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال . ويروى: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال . وهكذا أخرجه أبو عبيد فى الفضائل وأحمد ومسلم والنسائى وابن حبان وروى اللفظ الأخير أيضا عن ثوبان ، وهكذا هو عند النسائى وأبى يعلى والروياني والضياء ، وأما حديث عبد الله بن مغفل فأخرجه ابن مردويه عنه رفعه: البيت الذى تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة .

(٥٥٨) حديث : « كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، وكان يقرأ فى صلاة العشاء الأخيرة سورة الجمعة وسورة المنافقين » **قال العراقى** : أخرجه ابن حبان والبيهقى من حديث جابر بن سمرة ، وفى ثقات ابن حبان: المحفوظ عن سماك مرسلا. **قال العراقى** : قلت: لا يصح مسنداً ولا مرسلا . ا هـ .

«وروى أنه ﷺ كان يقرؤهما» أى هاتين السورتين الجمعة والمنافقين «فى ركعتى الجمعة» يعنى صلاتها، كذا فى القوت، أخرجه الشافعى عن إبراهيم بن محمد حدثنى عبد الله بن أبى لبيد عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة .

(٥٥٩) حديث : « وكان يقرأ فى الصبح يوم الجمعة بسجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان» كذا فى القوت . **قال العراقى** : أخرجه مسلم من حديث ابن عباس وأبى هريرة . ا هـ .

قال مرتضى : الذى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أنه كان يقرأ فى صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى. وأخرج الشافعي عن عبد العزيز بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه=

= عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبى هريرة : أنه قرأ فى الجمعة بسورة الجمعة ، وإذا جاءك المنافقون قال عبيد الله : فقلت له : قد قرأت بسورتين كان علىّ يقرأ بهما فى الجمعة ، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهما ، وقال الشافعى أيضا : أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثنى مسعر بن كدام عن معبد بن خالد عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ فى الجمعة بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وقال ابن الحاج فى المدخل: يقرأ الإمام فى الجمعة فى الأولى بعد أم القرآن بسورة الجمعة ، وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل: المنافقون ، وقيل : سبح اسم ربك الأعلى ، وقيل : هل أتاك حديث الغاشية وهو الأكثر، ولم يختلف المذهب فى الأولى أنه لا يقرأ فيها إلا بسورة الجمعة وقد سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة فى الجمعة ، فقال: يقرأ مثل ما قرأ إمامه بسورة الجمعة، فقيل له : أقراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة سنة؟ قال : ما أدرى ما سنته ولكن من أدركنا كان يقرأ بها فى الركعة الأولى من الجمعة . اهـ . ثم قال : وإن كان قد ورد أن النبى ﷺ قرأ فى الأولى منها بـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وفى الثانية بـ ﴿هَلْ أَتَاكَ ﴾ لكن الذى واظب عليه النبى ﷺ واستقر عليه عمل السلف هو ما تقدم ذكره ، وإذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة فى الركعة الأولى منها مما لا ينبغى فيحذر من ذلك جهده، قال : وبعض الأئمة فى هذا الزمان يقرأ فى الأولى بآخر سورة الجمعة وفى الثانية بآخر المنافقين ، وهذا راجع إلى ما تقدم من قصر الصلاة وإطالة الخطبة ، وما كان السلف يقرءون إلا سورة كاملة بعد الفاتحة، وإن كان الشافعى رحمه الله تعالى قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السور فذلك من باب الجواز، والأفضل الاتباع .اهـ .

(فصل) قال الشيخ الأكبر قدس سره فى كتاب الشريعة والحقيقة: من الناس من رأى أنها كسائر الصلوات لا يعين فيها قراءة سورة بعينها بل يقرأ ما تيسر ، ومن الناس من اقتصر على ما قرأ به رسول الله ﷺ فى هذه الصلاة غالبًا مما قد ثبتت به الرواية عنه وهى سورة الجمعة فى الركعة الأولى والمنافقون فى الثانية ، وقد قرأ سورة الغاشية بدلا من المنافقين ، وقد قرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى ، وفى الثانية بالغاشية، والذى أقول به أن لا توقيت والاتباع أولى .

الاعتبار المناجى هو الله والمناجى هو العبد، والقرآن كلامه وكل كلامه طيب، والفاتحة لابد منها والسورة منزلة من المنازل عند الله، والقرآن قد ثبت فضل بعضه على بعض بالنسبة لما لنا فيه من الأجر فإن قصدت المناسبة فسورة « الجمعة » وفيها الاقتداء بالرسول و«سبح اسم ربك الأعلى » تنزيه الحق عما يظهر فى هذه العبادة من الأفعال إذ سمى نفسه تعالى أنه يصلى فتسبيحه عن التخيل الذى تتخيله النفس من قوله يصلى فناسب «سبح اسم ربك الأعلى »، و«المنافقون» و « هل أتاك حديث الغاشية » مناسب لما تقتضيه الخطبة من الوعد والوعيد فتكون=

الخامس: الصلوات : يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلِّى أربع ركعات يقرأ فيهن : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مائتى مرة ، فى كل ركعة خمسين مرة ، فقد نقل عن رسول الله ﷺ أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (٥٦٠) ولا يدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف، أمر رسول الله ﷺ بذلك (٥٦١) وفى حديث غريب

= القراءة فى الصلاة تناسب ما ذكره الإمام فى الخطبة والله يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ والله أعلم .

(٥٦٠) حديث : « إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلى أربع ركعات يقرأ فيهن: قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة ، فقد نقل عن رسول الله ﷺ أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » أى بواسطة الغير . ولفظ القوت: « وإذا دخل الجامع فليصل أربع ركعات يقرأ فيهن: «قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة، ففيه أثر عن رسول الله ﷺ أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة أو يرى له» . اهـ. **وقال العراقى:** أخرجه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر ، وقال: غريب جداً . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك وقال : لا يصح . اهـ. ، وأما فضل من قرأ « قل هو الله أحد » مائتى مرة فى صلاة أو غيرها ، فقد أخرج البزار وابن الضريس فى فضائل القرآن وسمويه من حديث أنس : من قرأ قل هو الله أحد مائتى مرة غفر له ذنوب مائتى سنة . وعند ابن عساكر من رواية أبان عن أنس : كفر عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والأموال.

(٥٦١) حديث : « لا يدع ركعتى التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف، أمر رسول الله ﷺ بذلك » ولفظ القوت: وإذا دخل الجامع فلا يقعدن حتى يصلى ركعتين قبل أن يجلس، وكذلك إن دخل والإمام يخطب صلاهما خفيفتين وإن سمعه، لأمر النبى ﷺ بذلك . اهـ. **وقال العراقى:** أخرجه مسلم من حديث جابر وللبخارى الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف . اهـ.

قال مرتضى : حديث جابر لفظه: دخل رجل يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب ، فقال له: صليت؟ قال : لا، قال : صل ركعتين. اتفق عليه الشيخان وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، وفى رواية مسلم: قم فصل الركعتين. واتفق عليه الأئمة الخمسة من طريق حماد بن زيد بلفظ: قم فاركع ، وقال الترمذى : هذا حديث صحيح أصح شىء فى هذا الباب . واتفق عليه الشيخان والنسائى من طريق شعبة بلفظ: أن النبى ﷺ خطب فقال : «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصل ركعتين» ، لفظ مسلم، وأخرجه مسلم والنسائى والطحاوى من طريق ابن جريج، وأخرجه مسلم من طريق أيوب السختيانى خمستهم عن عمرو بن دينار=

= عن جابر، وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه والطحاوي من طريق ابن الزبير عن جابر قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقعد سليك قبل أن يصلي فقال له النبي ﷺ: أركعت ركعتين؟ قال: لا، قال: قم فاركعهما. وأخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه والطحاوي من طريق أبي سفيان عن جابر قال: جاء سليك الغطفاني في يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس، فقال رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين خفيفتين ثم ليجلس»، هذا لفظ الطحاوي، ولفظ مسلم: فليركع ويتجوز فيهما، وفي رواية ابن ماجة أصليت قبل أن تجيء، وروى ابن حبان في صحيحه من طريق أبي إسحاق: حدثني أبان بن صالح عن مجاهد عن جابر قال: دخل سليك الغطفاني المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب الناس، فقال له رسول الله ﷺ: اركع ركعتين ولا تعودن لمثل هذا، فركعهما ثم جلس. قال ابن حبان: أراد به الإبطاء، وروى الطحاوي من طريق الأعمش، قال: سمعت أبا صالح يذكر حديث سليك الغطفاني ثم سمعت أبا سفيان بعد يقول: سمعت جابر بن عبد الله يقول: جاء سليك الغطفاني في يوم جمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له رسول الله ﷺ: قم يا سليك فصل ركعتين خفيفتين تجوز فيهما، ثم قال: «إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليصل ركعتين خفيفتين يتجوز فيهما». وفي المعجم الكبير للطبراني من رواية منصور بن أبي الأسود عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: دخل النعمان بن قوقل ورسول الله ﷺ على المنبر يخطب يوم الجمعة فقال له النبي ﷺ: صل ركعتين تجوز فيهما، فإذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين وليخففهما. والكلام على هذا الحديث من وجوه: الأول قول المصنف: أمر رسول الله ﷺ بذلك، ولم يذكر الذي أمره وهو الرجل المبهم، واختلف فيه فقيل: هو سليك، كما في أكثر الروايات، وقيل: النعمان بن قوقل كما عند الطبراني، ولا مانع أن يكونا واقعتين فمرة مع سليك ومرة مع ابن قوقل. أشار إليه العراقي في شرح الترمذي. وحكى ابن بشكوال في المبهمات قولا آخر أنه أبو هدبة. اهـ.

قال مرتضى: وهو كنية سليك لأنه هو سليك بن هدبة الغطفاني وكانوا يكنون باسم آبائهم، وقد وقع التصريح باسم أبيه هكذا عند الطحاوي من طريق هشام بن حسان عن الحسن عن سليك ابن هدبة الغطفاني أنه جاء ورسول الله ﷺ يخطب ... فساق الحديث، وبسليك فسر حديث أبي سعيد الخدري فيما رواه الطحاوي من طريق ابن عجلان عن عياض ابن عبد الله عنه قال: إن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ على المنبر، فناداه رسول الله ﷺ فما زال يقول: ادن حتى دنا فأمره فركع ركعتين قبل أن يجلس وعليه خرقة خلق، ثم صنع مثل ذلك في الثانية فأمره بمثل ذلك، ثم صنع مثل ذلك في الثالثة فأمره بمثل ذلك، وقال رسول الله ﷺ: تصدقوا، فالقوا الثياب، فأمره رسول الله ﷺ فأخذ ثوبين، فلما كان بعد ذلك أمر الناس بأن يتصدقوا فألقى رجل أحد ثوبيه فغضب رسول الله ﷺ وأمره أن يأخذ ثوبه.

=

= **الثاني**: يستفاد من الحديث استحباب تحية المسجد للداخل يوم الجمعة والإمام يخطب، وهو مذهب الشافعي وأحمد ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن البصري وحكاه ابن المنذر عن مكحول وابن عيينة وأبي عبد الرحمن المقرى والحميدى وإسحاق وأبى ثور وطائفة من أهل الحديث، وقال به محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة، وأبو القاسم السيورى عن مالك، وحكاه ابن حزم عن جمهور أهل الحديث .

وذهب آخرون إلى أنه لا يفعلها ، وهو قول مالك وأبي حنيفة وسفيان الثورى ، ورواه ابن أبي شيبة عن على وابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وعروة ابن الزبير ومحمد بن سيرين وشريح القاضى والزهرى ، وحكاه ابن المنذر عن النخعى وقتادة والليث وسعيد بن عبد العزيز وحكاه الطحاوى عن الشعبى والزهرى وأبى قلابة الجرمى وعقبة ابن عامر وثعلبة بن أبي مالك القرظى ومجاهد ﷺ ، ثم إن القائلين بهذا القول اقتصر أكثرهم على الكراهة ، وبه جزم ابن قدامة فى المغنى ناقلا له عن مالك والليث وأبى حنيفة وطائفة من السلف، وقال القاضى أبو بكر بن العربى: الجمهور على أنه لا يفعل ، والصحيح أن الصلاة حرام إذا شرع الإمام فى الخطبة ، وذهب أبو مجلز لاحق بن حميد إلى أنه مخير بين فعل التحية وتركها ، فقال : إن شئت ركعت ركعتين ، وإن شئت جلست. رواه ابن أبي شيبة فى مصنفه .

فهذه أربعة مذاهب : الاستحباب ، والكراهة ، والتحريم ، والتخيير .

الثالث : قال أبو جعفر الطحاوى: حجة أهل المقالة الأولى أنه قد يجوز أن يكون رسول الله ﷺ أمر سليكا بما أمر به من ذلك فقطع بذلك خطبته إرادة منه أن يعلم الناس كيف يفعلون إذا دخلوا المسجد ثم استأنف الخطبة، ويجوز أيضًا أن يكون بنى على خطبته وكان ذلك قبل أن ينسخ الكلام فى الصلاة ثم نسخ الكلام فى الصلاة فنسخ أيضًا فى الخطبة، وقد يجوز أن يكون ما أمره به من ذلك كما قاله أهل المقالة الأولى ، ويكون سنة معمولا بها ، فنظرنا هل شيء يخالف ذلك، فإذا بحر بن نصر قد حدثنا ، قال : حدثنا ابن وهب ثم ساق حديث عبد الله بن بسر الذى تقدم وفيه قوله ﷺ : اجلس فقد آذيت وآنيت، قال : أفلا ترى أن رسول الله ﷺ أمر هذا الرجل بالجلوس فلم يأمره بالصلاة وهذا يخالف حديث سليك، وفى حديث أبي سعيد الذى تقدم ما يدل على أن هذا كان فى حال إباحة الأفعال فى الخطبة قبل أن ينهى عنها، ألا تراه يقول : فألقوا ثيابهم ، وقد أجمع المسلمون أن نزع الرجل ثوبه والإمام يخطب مكروه وأن مسه الحصى والإمام يخطب مكروه، وأن القول لصاحبه أنصت والإمام يخطب مكروه ، فدل ذلك على أن ما كان أمر به رسول الله ﷺ سليكا والرجل الذى أمر بالصدقة عليه كان فى حال الحكم فيها فى ذلك خلاف الحكم فيما بعد، وقد تواترت الروايات عن رسول الله ﷺ بأن من قال لصاحبه أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغا ، فإذا كان قول الرجل لصاحبه حينئذ أنصت لغوًا كان قول الإمام: قم فصل، لغوًا أيضًا ، فثبت=

= بذلك أن الوقت الذى كان فيه من رسول الله ﷺ الأمر لسليك بما أمر به كان الحكم فيه فى ذلك خلاف الحكم فى الوقت الذى جعل مثل ذلك لغواً . وقد روى عن رسول الله مثل ذلك ثم ساق قصة أبى الدرداء مع أبىّ بن كعب وسؤاله له عن آية تلاها رسول الله ﷺ فى الخطبة أنها متى نزلت وسكوت أبىّ عن الجواب وقوله له بعد ذلك: ما لك من خطبتك إلا ما لغوت، وقوله ﷺ : «صدق أبىّ» وكذا قصة أبى ذر مع أبىّ ﷺ مثل ذلك ، وقد تقدم ذكرهما آنفًا، قال : فقد أمر رسول الله ﷺ بالإنصات عند الخطبة وجعل حكمها فى ذلك كحكم الصلاة وجعل الكلام فيها لغواً ، فثبت بذلك أن الصلاة فيها مكروهة ، فإذا كان الناس منهيين عن الكلام ما دام الإمام يخطب ، كان كذلك الإمام منهيًا عنه ما دام يخطب بغير الخطبة ، ثم ساق حديث سلمان وأبى سعيد وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وأوس بن أوس ﷺ ، وفى كل ذلك الأمر بالإنصات ، وتقدم ذكرها ، قال : ففى كل ذلك دليل أن موضع كلام الإمام ليس بموضع صلاة فهذا حكم هذا الباب من طريق تصحيح معانى الآثار ثم ذكر وجهه من طريق النظر ، وقال فى آخر سياقه: وهذا قول أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى ، فما نقلناه أولا أن محمد بن الحسن مع الشافعى فى الاستحباب فيه نظر، ولعله رواية عنه غير مشهورة فى المذهب .

فإن قلت : فما تقولون فى حديث أبى قتادة وجابر: « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» فالجواب: ليس فى ذلك دليل على ما ذكرت ، إنما هذا على من دخل المسجد فى حال تحل فيها الصلاة ليس على من دخله فى حال لا تحل فيها الصلاة ، ألا ترى أن من دخل المسجد عند طلوع الشمس أو عند غروبها أو فى وقت من الأوقات المنهى عن الصلاة فيها ، أنه لا ينبغى له أن يصلى وأنه ليس ممن أمره النبى ﷺ أن يصلى ركعتين لدخول المسجد لأنه قد نهى عن الصلاة حينئذ، فكذلك الذى دخل المسجد والإمام يخطب ليس له أن يصلى وليس ممن أمره النبى ﷺ بذلك، وإنما يدخل فى أمر رسول الله الذى ذكرت كل من لو كان فى المسجد قبل ذلك فآثر أن يصلى كان ذلك له فأما من لو كان فى المسجد قبل ذلك لم يكن له أن يصلى حينئذ فليس بداخل فى ذلك وليس له أن يصلى قياسًا على ما ذكرنا من حكم الأوقات المنهى عن الصلاة فيها التى وصفنا، والله أعلم .

وأجاب عن هذا أصحاب الشافعى بجواز تحية المسجد فى أوقات النهى لكونها ذات سبب، فإنها لو تركت فى حال لكانت هذه الحال أولى الأحوال بذلك لأنه مأمور فيها بالإنصات لاستماع الخطبة ، فلما ترك لها استماع الخطبة وقطع النبى ﷺ لأجلها دل على تأكدها وأنها لا تترك فى وقت من الأوقات إلا عند إقامة المكتوبة، وأجابوا عن الأول وهو كونه منسوخًا بأن سليكا لم ينقل تقدم إسلامه ولا يعرف له ذكر إلا فى هذا ، والظاهر أن إسلامه متأخر مع قبيلة غطفان ولو قدر تقدم إسلامه فالجمعة إنما صلاها النبى ﷺ بعد الهجرة اتفاقًا وتحريم الكلام كان بمكة حين قدم ابن مسعود من الهجرة بمكة وحديثه فى الصحيحين ، وإنما هاجر ابن مسعود=

أنه ﷺ سكت للداخل حتى صلاهما [٥٦٢] فقال الكوفيون: إن سكت له الإمام صلاهما، ويستحب فى هذا اليوم أو فى ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور: الأنعام والكهف وطه

= إلى الحبشة الهجرة الأولى باتفاق أهل السير ورجعوا وهو بمكة ، قال ابن حبان فى الصحيح : كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

قال مرتضى : وفيه اختلاف بين أهل المغازى والذى ذكره أبو الفرج بن الجوزى أن ابن مسعود لما عاد من الحبشة إلى مكة رجع فى الهجرة الثانية إلى النجاشى ثم قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز لبدر . وذكر صاحب التمهيد أن تحريم الكلام فى الصلاة كان بالمدينة لأن سورة البقرة مدنية ، وقال الخطابى : إنما نسخ الكلام بعد الهجرة بمدة يسيرة وفى المقام تفصيل آخر أوردته فى كتابى الجواهر المنيفة فى أصول أدلة مذهب الإمام أبى حنيفة .

الرابع: أنه جاء فى بعض روايات حديث جابر جاء سليك الغطفانى ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقعد سليك، وفى بعض الروايات فجلس سليك، وفيه: ثم قم اركع ركعتين، فتعلق به بعض أصحابنا أن هذا مخالف لمذهب الشافعى ، فإنهم يقولون : إن ركعتى التحية تفوت بالجلوس وأيضًا فإن الذى يمنع الصلاة إنما يمنعها لأجل الخطبة والنبى ﷺ فى تلك الساعة لم يكن يخطب لأنه كان قاعدًا والجمعة لا يخطب لها قاعدًا . وأجابوا عن الأول: سلمنا أن ركعتى التحية تفوت بالجلوس لكن بشرط أن يكون عالمًا بمشروعية التحية وأطال الفصل ، وأما إذا كان جاهلا بمشروعيتها فى هذه الحالة ولم يطل الفصل فإنها لا تفوت بالجلوس ، قال النووى فى شرح المهذب : أطلق أصحابنا فواتها بالجلوس وهو محمول على العالم بأنها سنة وأما الجاهل فيتداركها على قرب لهذا الحديث ، قال ابن العراقى : وفى معنى الجاهل الناسى فلو جلس ناسيًا ولم يطل الفصل استحب له الإتيان بها كما صرح به أبو الفضل ابن عبدان ، وقال النووى : إنه المختار المتعين . اهـ .

وقضية سليك يحتمل جلوسه إما للجهل بسُنيتها أو للنسيان لها ، والحديث دال على إحدى الحالتين نصا وعلى الأخرى قياسًا وسيأتى لذلك زيادة فى الباب الذى يليه . وأما الجواب عن الثانى فلم أره لأصحاب الشافعى ولم يتعرضوا له والذى يظهر أن الروايات كلها وهو يخطب فتحمل هذه الرواية التى يقول فيها : وهو قاعد ، على بقية الروايات التى فيها: وهو يخطب، جمعًا بين الآثار. والله أعلم .

الخامس : المراد بالتخفيف فى الركعتين - كما قال الزركشى - الاقتصار على الواجبات لا الإسراع، قال : ويدل لذلك ما ذكروه من أنه إذا ضاق الوقت وأراد الوضوء اقتصر على الواجبات . اهـ.

(٥٦٢) وفى حديث غريب: « أنه ﷺ سكت للداخل حتى فرغ» من ركعتى التحية ولفظ القوت إلا أنه قد جاء فى حديث غريب أن النبى ﷺ سكت له حين صلاهما . اهـ. **قال العراقى** :=

ويس ، فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك، ولا يدع قراءة هذه الأربع سور فى ليلة الجمعة ففيهما فضل كثير، ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن من القرآن فهو له بمنزلة الختمة، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص ، ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح كما سيأتى فى باب التطوعات وكيفيتها لأنه ﷺ قال لعمه العباس : « صلها فى كل جمعة » وكان ابن عباس ﷺ لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها .(٥٦٣) والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة، وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم، وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار .

= أخرجه الدارقطنى من حديث أنس، وقال : أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مرسل .اهـ .

قال مرتضى : قال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف: حدثنا هشيم أخبرنا أبو معشر عن محمد بن قيس أن النبى ﷺ حيث أمره أن يصلى ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ من ركعتيه ثم عاد إلى خطبته . اهـ. وأما حديث الدارقطنى فمن طريق عبيد بن محمد العبدى ، حدثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن أنس، قال : دخل رجل المستجد ورسول الله ﷺ يخطب فقال له النبى ﷺ : قم فاركع ركعتين وأمسك عن الخطبة حتى فرغ من صلاته، ثم قال : أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه ، ثم أخرجه عن أحمد بن حنبل حدثنا معتمر عن أبيه، قال : جاء رجل . . . الحديث . وفيه ثم انتظره حتى صلى ، قال : وهذا المرسل هو الصواب . اهـ. فقال الكوفيون أى فقهاء الكوفة : إن سكت له الإمام صلاهما زاد صاحب القوت ولعل سكوت رسول الله ﷺ مخصوص . اهـ. وهذا قد رده العراقى ، قال سكوته ﷺ له حتى فرغ لا يصح كما ذكره الدارقطنى وغيره، ولو كان المسوّغ للصلاة إمساكه عن الخطبة، لقال: إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليمسك له الخطيب عن الخطبة حتى يركع .

(٥٦٣) حديث : « روى أنه ﷺ قال لعمه العباس : صلها فى كل جمعة ، وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها » ولفظ القوت : وإن صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهى ثلاثمائة تسبيحة فى أربع ركعات فقد أكثر وأطاب ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمه العباس : صلها فى كل جمعة مرة ، وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس أنه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم جمعة بعد الزوال وأخبر بفضلها ما يجل عنه الوصف .اهـ. **وقال العراقى :** أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس ، وقال العقيلى وغيره: ليس فيها حديث صحيح ا هـ . وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج الرافعى: أما صلاة التسبيح فرواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة كلهم عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم عن موسى بن عبد العزيز عن الحكم بن =

السادس : الصدقة مستحبة فى هذا اليوم خاصة، فإنها تتضاعف، إلا على من سأل والإمام يخطب وكان يتكلم فى كلام الإمام فهذا مكروه ،وقال صالح بن محمد: سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جانب أبى فأعطى رجل أبى قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبى. وقال ابن مسعود: إذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق أن لا يعطى، وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه . ومن العلماء من كره الصدقة على السُّؤَّال فى الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائما أو قاعدًا فى مكانه من غير تخطٍّ ، وقال كعب الأحبار: من شهد

= أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ للعباس: « يا عباس يا عماه ألا أمنحك ألا أحبوك. . . »، الحديث بطوله ، وصححه أبو على بن السكن والحاكم وادعى أن النسائى أخرجه فى صحيحه عن عبد الرحمن بن بشر قال: وتابعه إسحاق بن إسرائيل عن موسى، وأن ابن خزيمة رواه عن محمد ابن يحيى عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه مرسلا، وإبراهيم ضعيف . قال المنذرى : وفى الباب عن أنس وأبى رافع وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهم وأمثلها حديث ابن عباس .اهـ . قال الحافظ : وفيه عن الفضل ابن عباس ، فحديث أبى رافع أخرجه الترمذى، وحديث عبد الله بن عمر رواه الحاكم وسنده ضعيف، وحديث أنس رواه الترمذى أيضا ، وفيه نظر لأن لفظه لا يناسب ألفاظ صلاة التسبيح وقد تكلم عليه شيخنا فى شرح الترمذى، وحديث الفضل بن عباس ذكره الترمذى، وحديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود ،قال الدارقطنى: أصح شىء فى فضائل سور القرآن قل هو الله أحد، وأصح شىء فى فضل الصلاة صلاة التسبيح، وقال أبو جعفر العقيلى: ليس فى صلاة التسبيح حديث يثبت ، وقال أبو بكر بن العربى: ليس منها حديث صحيح ولا حسن، وبالغ ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات، وصنف أبو موسى المدينى جزءًا فى تصحيحه فتباينا، والحق أن طرقه كلها ضعيفه وأن حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن إلا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع ، والشاهد من وجه معتبر ومخالفة هيئتها لهيئة باقى الصلوات، وموسى بن عبد العزيز وإن كان صادقا صالحا فلا يحتمل عنه هذا التفرد ،وقد ضعفها ابن تيمية والمزى وتوقف الذهبى فيما حكاه عنهم ابن عبد الهادى فى أحكامه . وقد اختلف كلام النووى فوهاها فى شرح المهذب فقال:حديثها ضعيف ، وفى استحبابها نظر لأن فيها تغييرًا لهيئة الصلاة المعروفة فينبغى أن لا تفعل وليس حديثها بثابت،وقال فى تهذيب الأسماء واللغات: قد جاء فى صلاة التسبيح حديث حسن فى كتاب الترمذى وغيره ، وذكره المحاملى وغيره من أصحابنا وهى سنة حسنة، ومال فى الأذكار أيضًا إلى استحبابها بل قواه واحتج له،والله أعلم. اهـ .

قال مرتضى : وهذا تحقيق فى الغاية وما وراء عبادان قرية على أنه سيأتى عند ذكر المصنف إياها فى التطوعات تحقيق وبيان لبعض طرقها ومن رواها من طريق عكرمة وأبى الجوزاء إن شاء الله تعالى .

الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ، ثم يقول: اللهم إنى أسألك باسمك : بسم الله الرحمن الرحيم، وباسمك الذى لا إله إلا هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ،لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه . وقال بعض السلف : من أطعم مسكينًا يوم الجمعة ، ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدًا، ثم قال حين يسلم الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم، أسألك أن تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له .

السابع : أن يجعل يوم الجمعة للآخرة، فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا، ويكثر فيه من الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر .

فقد روى أنه من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه (٥٦٤) وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت . وكره بعض السلف شراء الماء فى المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا فى المسجد ، فإن البيع والشراء فى المسجد مكروه ، وقالوا: لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل فى المسجد .

وبالجملة ينبغى أن يزيد فى الجمعة فى أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبدًا استعمله فى الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله فى الأوقات الفاضلة بسيىء الأعمال ليكون ذلك أوجع فى عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت . ويستحب فى الجمعة دعوات، وسيأتى ذكرها فى كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى، وصلى الله على كل عبد مصطفى .

★ ★ ★

(٥٦٤) حديث : « من سافر فى ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه » أى كاتب اليمين والشمال ، **قال العراقى :** رواه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث أبى هريرة بسند ضعيف جدا . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عمر بلفظ: دعت عليه الملائكة أن لا يصحب ، وأورده الضياء فى أحكامه ، وقال: فى سنده ابن لهيعة ، وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى عن حسان بن علية ، قال : إذا سافر يوم الجمعة دعى عليه أن لا يصاحب ولا يعان على سفره . ا هـ . وأخرجه البخارى من حديث ابن عمر بلفظ: من سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة لا يصحب فى سفره ولا يعان على حاجته .

الباب السادس: فى مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها فأما المسائل التى تقع نادرة فقد استقصيناها فى كتب الفقه

(مسألة) الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة، وذلك فى دفع المار وقتل العقرب التى تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثًا فقد كثرت وبطلت الصلاة، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما ، وكذلك حاجته إلى الحك الذى يشوش عليه الخشوع ، كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث فى الصلاة، وابن عمر كان يقتل القملة فى الصلاة حتى يظهر الدم على يده ، وقال النخعى: يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها ، وقال ابن المسيب: يأخذها ويخدرها ثم يطرحها ، وقال مجاهد: الأحب إلىَّ أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى ثم يلقيها وهذه رخصة، وإلا فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب ، وقال : لا أعوِّد نفسى ذلك فيُفسد علىَّ صلاتى، وقد سمعت أن الفساق بين يدى الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ، ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولى وإن عطس حمد الله عز وجل فى نفسه ولا يحرك لسانه وإن تجشأ فينبغى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغى أن يسويه ، وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة .

(مسألة) الصلاة فى النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلا، وليست الرخصة فى الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفى معناها المداس ، صلى رسول الله ﷺ فى نعليه ثم نزع ، فنزع الناس نعالهم ، فقال: « **لمَ خلعتم نعالكم** » ؟ قالوا : رأيناك خلعت فخلعنا، فقال: ﷺ : « **إن جبريل عليه السلام أتانى فأخبرنى أن بهما خبثًا، فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثًا فليمسه بالأرض وليصل فيهما** » (٥٦٥) ، وقال

(٥٦٥) حديث : « صلى رسول الله ﷺ فى نعليه » **قال العراقى** : رواه أحمد واللفظ له، وأبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد . اهـ. =

بعضهـم: الصلاة فى النعلين أفضل لأنه ﷺ قال: « لمَ خلعتم نعالكم » وهذه مبالغة فإنه ﷺ سألهم ليبين لهم سبب خلعه، إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب أن النبى ﷺ خلع نعليه . (٥٦٦) فإذا قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغى أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتًا إليهما ، ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إذا صلَّى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه** » (٥٦٧) ، وقال أبو هريرة لغيره: اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما. «**ووضعهما رسول الله ﷺ على يساره**» (٥٦٨) وكان إمامًا، فللإمام أن يفعل ذلك إذ لا

= **قال مرتضى** : وكذا أبو بكر بن أبى شيبة من طريق أبى نضرة عنه بطوله هكذا، ومن طريق أخرى عن عبد الرحمن بن أبى يعلى مختصرا وأخرج أيضا من طريق يزيد بن إبراهيم اليسرى عن الحسن رفعه: تعاهدوا نعالكم فإن رأى أحدكم فيهما أذى فليمطه وإلا فليصل فيهما .

(٥٦٦) حديث: عن عبد الله بن السائب أن النبى ﷺ خلع نعليه. **قال العراقى: أخرجه** مسلم. اهـ.

قال مرتضى : وجدت بخط الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر الحريرى ابن خال القطب الخيضرى ما نصه: ليس فى صحيح مسلم ذكر خلع النبى ﷺ نعليه ألبتة إنما وقع ذلك زيادة فى حديثه الذى فى صحيح مسلم ذكرها أحمد فى مسنده ولفظه: حضرت النبى ﷺ يوم الفتح وصلى فى قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره ، ثم استفتح سورة المؤمنون فمسلم لم يذكر هذه الزيادة وإنما لفظه: صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهارون أخذت النبى ﷺ سعلة فركع . حررت ذلك من الأصول فليعلم . ا هـ .

(٥٦٧) حديث : « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود بسند صحيح وضعفه المنذرى وليس بجيد . ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه ابن أبى شيبة عن المقبرى عن أبى هريرة، وأخرجه الحاكم وصححه وقال : على شرط مسلم، وأقره الذهبى، ولفظه: إذا صلى أحدكم فليلبس نعليه أو ليخلعهما بين رجليه ولا يؤذى غيره. وقال أبو هريرة لغيره: اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما . وهذا القول أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه قال: قلت لأبى هريرة كيف أصنع بنعلى إذا صليت قال : اجعلهما . . فساقه .

(٥٦٨) حديث : « وضعهما رسول الله ﷺ على يساره » أخرجه أحمد وابن أبى شيبة وأبو داود=

يقف أحد على يساره ، والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه، ولكن قدام قدميه، ولعله المراد بالحديث . وقد قال جبير بن مطعم: وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة .

(مسألة) إذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل، وما لا يحصل به صوت لا يعد كلامًا وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه، إذ روى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدًا، ثم حكها بعرجون كان في يده ، وقال: « ائتوني بعبير » فلطخ أثرها بزعفران ، ثم التفت إلينا وقال: « **أيكم يحب أن يبزق في وجهه** » ؟ فقلنا: لا أحد، قال: « **فإن أحدكم إذا دخل في الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة** »(٥٦٩) ، وفي لفظ آخر: « واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى، فإن بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا » ودلك بعضه بعضًا .

= والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن السائب: حضرت رسول الله ﷺ يوم الفتح وصلى في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره . . . الحديث، وقد تقدمت الإشارة إليه آنفا، وكان الحافظ العراقي رحمه الله تعالى قد قال أولاً في المغني أنه أخرجه مسلم، ثم لما قرئ عليه الكتاب ثانيًا بحضور جماعة من الفضلاء ضرب على قوله مسلم وأصلحه فقال: أبو داود والنسائي وابن ماجه كما رأيته بخطه، والله أعلم .

(٥٦٩) حديث : « رأى في القبلة نخامة فغضب غضبًا شديدًا ، ثم حكها بعرجون كان في يده وقال: ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران، ثم التفت إلينا وقال: أيكم يحب أن يبزق في وجهه » الحديث، هكذا ساقه صاحب القوت بتمامه ، **وقال العراقي** : أخرجه مسلم من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر . ا هـ .

قال مرتضى : قد عقد البخاري في الصحيح لبيان هذه الروايات سبعة أبواب فقال: باب حك البزاق باليد من المسجد، حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه فقام فحكه بيده فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه » ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ، ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا . وهذا الحديث أخرجه أيضا مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، ثم قال: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأى بصاقا في جدار القبلة فحكه ، ثم أقبل على الناس فقال: « إذا كان أحدكم يصلي=

= فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى» . حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ رأى فى جدار القبلة مخاطًا أو بصاقًا أو نخامة فحكه ، ثم قال . . . ، باب حك المخاط بالحصى من المسجد ، حدثنا موسى بن إسماعيل أخبرنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة وأبا سعيد حدثاه أن رسول الله ﷺ رأى نخامة فى جدار المسجد فتناول حصاة فحكها ، فقال: « إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى». وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضا. ثم قال: باب لا يبصق عن يمينه فى الصلاة، حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة وأبا سعيد أخبراه أن رسول الله ﷺ رأى نخامة فى حائط المسجد فتناول رسول الله ﷺ حصاة فحكها ، ثم قال : « إذا تنخم أحدكم فلا يتنخم قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى». حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة أخبرنى قتادة سمعت أنسا قال: قال النبى ﷺ : «لا يتفلن أحدكم بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت رجله». باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا قتادة سمعت أنس بن مالك قال : قال النبى ﷺ : « إن المؤمن إذا كان فى الصلاة فإنما يناجى ربه ، فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه». حدثنا على حدثنا سفيان حدثنا الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن أبى سعيد أن النبى ﷺ رأى نخامة فى قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن يبزق الرجل بين يديه أو عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى . باب كفارة البزاق فى المسجد، حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا قتادة سمعت أنس بن مالك قال : قال النبى ﷺ : « البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» وهذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود . باب دفن النخامة فى المسجد، حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام سمع أبا هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجى الله ما دام فى مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها، باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه، حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا زهير حدثنا حميد عن أنس أن النبى ﷺ رأى نخامة فى القبلة فحكها بيده ورئى منه كراهية أو رؤئى كراهيته لذلك وشدته عليه ، وقال : « إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنما يناجى ربه أو ربه بينه وبين قبلته فلا يبزقن فى قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه » ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض، قال : أو يفعل هكذا ». هذا آخر سياق البخارى فى الصحيح وأخرج الإمام أحمد والأربعة أصحاب السنن وابن حبان والحاكم من حديث طارق بن عبد الله المحاربى بلفظ: إذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك إن كان فارغا وإلا فتحت قدمك اليسرى. وأخرجه البزار بلفظ: إذا أردت أن تبزق، ولم يقل إذا صليت .

(مسـألة) لوقوف المقتدى سنة وفرض ، أما السنة فـأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخراً عنه قليـلا، والمرأة الواحدة تـقف خلف الإمام فـإن وقفت بجـنب الإمام لم يضـر ذلك ولكن خالفت السنـة، فإن كان مـعها رجل وقف الرجل عن يمين الإمـام وهى خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً، بل يدخل فى الصف أو يجرٌ إلى نفسه واحداً من الصف، فإن وقف منفردًا صـحت صلاته مع الكراهية . وأما الـفرض فاتصال الصف، وهو أن يكون بين المقـتدى والإمام رابطة جامعة فإنهـما فى جماعة، فإن كانا فى مسجد كـفى ذلك جامعًا لأنه بنى له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام . صلى أبو هريرة ﷺ على ظهر المسجد بصلاة الإمـام ، وإذا كان المأموم على فناء المسجـد فى طريق أو صحراء مـشتركة وليس بينهـما اختلاف بناء مـفرق فيكفى القرب بقـدر غلوة سهم وكفى بها رابطة إذ يصل فـعل أحدهما إلى الآخر، وإنما يشترط إذا وقف فى صحن دار على يمين المسـجد أو يساره وبابها لاطئ فى المسجد فالشرط أن يمد صف المسـجد فى دهليزها من غير انقطاع إلـى الصحن، ثم تصح صلاة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عـليه ، وهكذا حكم الأبنية المختلفة ، فـأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء .

(مسـألة) المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فـهو أول صلاته، فليوافق الإمام وليبن عليه وليقنت فى الصبح فى آخـر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام، وإن أدرك مع الإمـام بعض القيام فلا يشتغل بالدعـاء وليبدأ بالفاتحة وليخفـفها ،فإن ركع الإمام قبل تمامهـا وقدر على لحوقه فى اعتداله من الركوع فليتم، فإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق، وإن ركع الإمام وهو فى السورة فليقطعهـا ،وإن أدرك الإمام فى السجود أو التشهد كبر للإحرام ، ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه فى الركوع فإنه يكبر ثانيا فى الهوى لأن ذلك انتقال محسوب له، والتكبيرات للانتقالات الأصلية فى الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة، ولا يكون مدركا للركعـة ما لم يطمئن راكعًا فى الركوع والإمام يعـد فى حد الراكعين، فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حدّ الراكعين فاتته تلك الركعة .

(مسـألة) من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فـليصل الظهر أولا ثم العصر، فإن ابتدأ بالعصـر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شـبهة الخلاف، فإن وجـد إمامًا فليصل الـعصر، ثم ليصل الظهر بعـده فإن الجماعة بالأداء أولى، فإن صلى منفردًا فـى أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى فى الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهـما شاء، فإن نوى فائتة أو تطوعا جاز، وإن كان قد صلى فى الجماعة فأدرك جماعـة أخرى فلينوِ الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له، وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة .

(مسـألة) من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قـضاء الصلاة ولا يلزمه . ولو رأى النجاسة فى أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم ، والأحب الاستئناف، وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبـر جبريل عليـه السلام رسول الله ﷺ بأن عليـهما نجـاسة فإنه ﷺ لم يسـتأنف الصلاة .

(مسـألة) من ترك التشـهد الأول أو القنوت أو ترك الصـلاة على رسول الله ﷺ فى التشهد الأول أو فعل فعلا سهـوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده، أو شك فلم يدر أصلى ثلاثًا أو أربعًا؛ أخذ باليقين وسجـد سجدتى السهو قبل السلام، فإن نسى فبعد الـسلام مهما تذكر على القرب . فإن سـجد بعد السلام وبعـد أن أحدث بطلت صلاته، فإنه لما دخل فى السـجود كأنه جعل سلامه نسيانًا فى غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات .

(مسـألة) الوسوسة فى نية الصلاة سببها خـبل فى العقل أو جهل بالشرع، لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره فى حق القصد ، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن أنتصب قائمًا تعظيما لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهى كـان سفها فى عقله ، بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التـعظيم فتقيمه ويكون معظما إلا إذا قام لشغل آخر أو فى غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرًا أداء فرضا فى كونه امتثالا كاشـتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الإقبال بـالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر

سواء وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فإنه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ، ثم هذه الصفات لابد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ، ثم لا يطول حضورها فى النفس فى لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها ، إما تلفظًا باللسان وإما تفكراً بالقلب، فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية، فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلى فى وقت فأجبت وقمت، فالوسوسة محض الجهل، فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع فى النفس فى حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد فى الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها، وفرق بين حضور الشىء فى النفس وبين تفصيله بالفكر، والحضور مضاد للعزوب والغفلة وإن لم يكن مفصلا، فإن من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد فى حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علومًا هى حاضرة وإن لم تكن مفصلة، فإن من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان، وإن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود، فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له: هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر؟ فقال: ما عرفته قط؛ كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله: إنى أعلم الحادث، ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس، فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال، ولو كلف نفسه ذلك فى القيام لأجل العالم لتعذر عليه، فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه فى النية كامتثال أمر غيره ، ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول: لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل فى نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك فى أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك، ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأموراً به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة فى النية ، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغى أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد فى الوسوسة،

وقد ذكرنا فى الفتاوى وجوهًا من التحقيق فى تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها ، أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها .

(مسألة) ينبغى أن لا يتقدم المأموم على الإمام فى الركوع والسجود والرفع منهما ولا فى سائر الأعمال ولا ينبغى أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء ، فإن ساواه عمدًا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه، فإن تقدم عليه ففى بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم فى الموقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء فى الفعل لا فى الموقف فالتبعية فى الفعل أهم، وإنما شرط ترك التقدم فى الموقف تسهيلا للمتابعة فى الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم، فالتقدم عليه فى الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوًا، ولذلك شدد رسول الله ﷺ النكير فيه فقال : « **أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار** » (٥٧٠) وأما التأخير عنه بركن

---

(٥٧٠) حديث : « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»، **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : اتفق عليه الستة، ولفظ البخارى : « أما يخشى أحدكم - أو لا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار - أو يجعل الله صورته صورة حمار» ، أخرجه عن حجاج، عن شعبة، عن محمد بن زياد عن أبى هريرة، ولفظ أبى داود : أما يخشى الذى يرفع رأسه والإمام ساجد . . . رواه عن حفص بن عمر عن شعبة فهو نص فى السجود، فيحمل ما رواه البخارى على ما رواه أبو داود ويلتحق به الركوع لكونه فى معناه، وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه لا يجوز تخصيص رواية البخارى برواية أبى داود لأن الحكم فيهما سواء، ولو كان الحكم مقصورًا على الرفع من السجود لكان لدعوى التخصيص وجه، قال: وتخصيص السجدة بالذكر فى رواية أبى داود من باب الاكتفاء كقوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ ولم يعكس الأمر لأن السجود أعظم ، وعند مسلم: أن يجعل الله وجهه وجه حمار، وعند ابن حبان: أن يحول الله رأسه رأس كلب. والظاهر أن الاختلاف حصل من تعدد الواقعة أو من تصرف الرواة، وأخرج الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر بن سمرة : أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه فى الصلاة أن لا يرجع إليه بصره . واختلف فى هذه الأحاديث فقيل: ذلك حقيقة، وقيل: بل هو مجاز عن البلادة والجهل والخسة، والأخير رجحه المصنف كما سيأتى، ثم إن ظاهر الأحاديث المذكورة يقتضى تحريم الفعل المذكور المتوعد عليه بالمسخ وخطف البصر، وبه جزم النووى فى المجموع لكن تجزئ=

واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع، ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته، وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول .

(مسألة) حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة فى صلاته أن يغيره وينكر عليه، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلّمه، فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف، ومنع المنفرد من الوقوف خارج الصف ،والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور، فقد قال ﷺ : « **ويل للعالم من الجاهل حيث لا يُعلمه** » (٥٧١) وقال ابن مسعود ﷺ : من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه فى وزرها. وعن بلال بن سعد أنه قال: الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة. وجاء فى الحديث : أن بلالا كان يسوّى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة (٥٧٢) وعن عمر ﷺ قال : تفقدوا إخوانكم فى الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم. والعتاب إنكار

= الصلاة وأبطلها أحمد والظاهرية ، وقال ابن مسعود لرجل سبق إمامه فى الصلاة : لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت ، وقال صاحب الفيض: ليس للتقدم على الإمام سبب إلا الاستعجال ودواؤه أن يستحضر أنه لا يسلم قبله .

(٥٧١) حديث : « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه » **قال العراقى :** أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف .اهـ .

قال مرتضى : لفظ الحديث عنده: ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم، وهكذا رواه أيضا أبو يعلى الموصلى ، وأما قوله: حيث لا يعلمه، فليس من أصل الحديث .

(٥٧٢) حديث : « إن بلالا كان يسوّى الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة » ، **قال العراقى :** لم أجده .اهـ .

قال مرتضى : ووجدت فى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة ما نصه: حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن عمران عن سويد عن بلال قال : كان يسوى مناكبنا بأقدامنا فى الصلاة . وحدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبى عثمان قال : ما رأيت أحدًا كان أشد تعاهدًا للصف من عمران، كان يستقبل القبلة حتى إذا قلنا قد كبر التفت فنظر إلى المناكب والأقدام، وإن كان ليبعث رجالا يطردون الناس حتى يلحقوهم بالصفوف. وحدثنا وكيع عن عمران بن حدير عن أبى عثمان قال: كنت فيمن يقيم عمر بن الخطاب قدامه لإقامة الصف .

على من ترك الجماعة ولا ينبغى أن يتساهل فيه، وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذى يتأخر عن الجماعة دون الحى ، ومن دخل المسجد ينبغى أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه فى زمن رسول الله ﷺ حتى قيل له: تعطلت الميسرة فقال ﷺ : « **من عمَّر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر** » (٥٧٣) ومهما وجد غلاما فى الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يُخرجه إلى خلف ويدخل فيه، أعنى إذا لم يكن بالغًا . وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التى تعم بها البلوى، وسيأتى أحكام الصلوات المتفرقة فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

* * *

(٥٧٣) حديث : « تزاحم الناس على يمين الصف فى زمن رسول الله ﷺ حتى قيل له: تعطلت الميسرة ، فقال ﷺ : من عمَّر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر » **قال العراقى :** أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بسند ضعيف . اهـ .

قال مرتضى : ولفظ ابن ماجه كتب الله له كفلين من الأجر. وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس: من عمَّر جانب المسجد الأيسر لقلة أهله فله أجران .

الباب السابع: فى النوافل من الصلوات

اعلم أن مـا عدا الفـرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام : سنن ومستحبات وتطوعـات ، ونعنى بالسنن مـا نُقل عن رسـول الله ﷺ المواظبـة عليـه كالرواتـب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة. ونعنى بالمستحبـات ما ورد الخبر بفضله ولم يُنقل المواظبة عليه كـما سننقله فى صلوات الأيام والليالى فى الأسبوع وكالصـلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثـاله. ونعنى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد فى عـينه أثر ولكنه تطوع به العبـد من حيث رغب فـى مناجاة الله عـز وجل بالصلاة التى ورد الشرع بفضلها مطلقا، فكأنه متبرع به إذ لم يُندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن نُدب إلى الصلاة مطلقا ، والتطوع عبارة عن التبرع .

وسـميت الأقسـام الثـلاثة نوافل من حـيث إن النفل هو الزيادة وجـملتـهـا زائدة على الفرائض، فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقـاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة فى الألفاظ بعد فهم المقاصد، وكل قسم من هذه الأقسام تتفـاوت درجاته فى الفضل بحسب ما ورد فيه من الأخبـار والآثار المعرّفة لفضله، وبحسب طول مواظبة رسـول الله ﷺ عليه، وبحسب صحة الأخبار الواردة فيـه واشتهارها، ولذلك يقال: سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد، وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ، ثم الكسوف ، ثم الاستسـقاء، وأفضل سنن الانفراد الوتر ، ثم ركعتا الفجـر ، ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها .

واعلم أن النوافل باعتبـار الإضافة إلى متعلقاتهـا تنقسم إلى ما يتعلق بأسبـاب كالكسوف والاستسقاء ، وإلى ما يتعلق بأوقـات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة، فالجملة أربعة أقسام .

القسم الأول : مايتكرر بتكرر الأيام والليالى، وهى ثمان: خمس هى رواتب الصلوات الخمس، وثلاثة وراءها وهى صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد

(الأولى): راتبة الصبح ،وهى ركعتان، قال رسول الله ﷺ : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (٥٧٤) ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير فى أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ، ويعرف بالقمر فى ليلتين من الشهر، فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثنى عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت فى بعض البروج وشرح ذلك يطول ، وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح .

ويفوت وقت ركعتى الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس، ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض فإن دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة، فإنه ﷺ قال : «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » (٥٧٥) ، ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما

---

(٥٧٤) حديث : قال ﷺ : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » **قال العراقى** : أخرجه مسلم من حديث عائشة . اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه كذلك الترمذى والنسائى ولم يخرجه البخارى واستدركه الحاكم فوهم ، وقال الطحاوى : حدثنا فهد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ... فساقه، وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى أسامة عن شعبة عن قتادة مثله إلا أنه لم يقل: وما فيها.

(٥٧٥) حديث : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » **قال العراقى** : أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه أحمد بلفظ: إلا التى أقيمت ،وابن حبان بلفظ: إذا أخذ المؤذن فى الإقامة، وأخرجه الأربعة مثل لفظ مسلم، وفى الباب عن ابن عمر وغيره. وأما ما جاء فى بعض الروايات زيادة :إلا ركعتى الفجر، فقال البيهقى: لا أصل لها ، وقال الكمال بن الهمام=

وصلاهما، والصحيح أنهما أداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة، فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة، وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة .

(الثانية) : راتبة الظهر، وهي ست ركعات: ركعتان بعدها وهي أيضًا سنة مؤكدة، وأربع قبلها وهي أيضًا سنة ، وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل** » (٥٧٦) وكان ﷺ لا يدع

= من أصحابنا : وأشدها كراهة أن يصلي عند إقامة المكتوبة مخالطًا للصف كما يفعله كثير من الجهلة ، ونقل المناوي في شرح الجامع الصغير نقلا عن المطامح أن هذه المسألة وقعت لأبي يوسف حين دخل مسجد المدينة والإمام يصلي الصبح فصلى ركعتي الفجر ثم دخل مع الإمام، فقال له رجل من العامة يا جاهل الذي فاتك من أجر فرضك أعظم مما أدركت من ثواب نفلك. اهـ .

قال مرتضى : أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن الشعبي عن مسروق أنه دخل المسجد والقوم في صلاة الغداة ولم يكن صلى الركعتين فصلاهما في ناحية ثم دخل مع القوم في صلاتهم، وعن سعيد بن جبير أنه جاء إلى المسجد والإمام في صلاة الفجر فصلى الركعتين قبل أن يلج المسجد عند باب المسجد ، وعن أبي عثمان النهدي قال : رأيت الرجل يجيء وعمر بن الخطاب في صلاة الفجر فيصلي الركعتين في باب المسجد ثم يدخل مع القوم في صلاتهم. وعن مجاهد قال : إذا دخلت المسجد والناس في صلاة الصبح ولم تركع ركعتي الفجر فاركعهما وإن ظننت أن الركعة الأولى تفوتك. وعن دبرة قال : رأيت عمر يفعله، وعن إبراهيم أنه كره إذا جاء والإمام يصلي أن يصليهما في المسجد ، وقال : يصليهما في باب المسجد أو في ناحية. وعن أبي الدرداء قال : إني لأجيء إلى القوم وهم صفوف في صلاة الفجر فأصلي الركعتين ثم أنضم إليهم. فهذه الآثار دالة على جواز فعل أبي يوسف وكفى له بهؤلاء قدوة ،فالذي قال له يا جاهل هو الجاهل بالسنة، ولا ينبغي لصاحب المطامح ولا المناوي الذي نقله أن يسكت على مثل هذا فإن الإزراء بمقام المجتهدين مما يضر بالدين. والله أعلم .

(٥٧٦) حديث : « من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل» **قال العراقي:** ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغًا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة . اهـ. =

أربعًا بعد الزوال، يطيلهن ويقول : «إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل » (٥٧٧) رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ، ودل عليه أيضا ما روت أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنه قال : « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بَنى له بيت في الجنة » (٥٧٨) ركعتين قبل الفجر وأربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين

= **قال مرتضى :** وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن بديل ، قال حدثني أبطن الناس بعبد الله بن مسعود أنه كان يصلي في بيته إذا زالت الشمس أربع ركعات يطيل فيهن فإذا تجاوب المؤذنون خرج فجلس في المسجد حتى تقام الصلاة .

(٥٧٧) حديث : « كان رسول الله ﷺ لا يدع أربعًا بعد الزوال يطيلهن » **قال العراقي :** أخرجه أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وابن ماجه مختصراً وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن .اهـ .

قال مرتضى : قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق عن المسيب بن رافع قال أبو أيوب الأنصاري : يا رسول الله ما أربع ركعات تواظب عليهن قبل الظهر؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تفتح عند زوال الشمس فلا ترتج حتى تقام الصلاة فأحب أن أقوم » . حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن علي بن الصلت عن أبي أيوب عن النبي ﷺ نحوه . اهـ . وقال الطحاوي: حدثنا علي بن شيبة حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عبيدة الضبي وحدثنا ربيع الجيزي حدثنا علي ابن معبد حدثنا عبيد الله بن عمر وعن زيد بن أبي أنيسة عن عبيدة وحدثنا ابن مرزوق حدثنا أبو عامر حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عبيدة: يصلي بعدها أربعًا لا يطيل فيهن. وحدثنا يزيد بن هارون عن الأصبغ عن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير أنه كان يصلي بعدها أربعًا. وحدثنا وكيع عن عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر أنه كان يصلي بعدها أربعا .

(٥٧٨) حديث أم حبيبة أم المؤمنين : « من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتًا في الجنة » هكذا أخرجه مسلم مختصرا ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يزيد ابن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن المسيب بن رافع عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن النبي ﷺ : «من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة سجدة سوى المكتوبة بنى الله له بيتًا في الجنة ». ورواه أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد فوقفه على أم حبيبة قالت : من صلى في يوم ثنتي عشرة سوى المكتوبة بني له بيت في الجنة. وحدثنا عبدة ابن حميد عن داود ابن أبي هند عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ : « من صلى يوم ثنتي عشرة سجدة بنى الله له بيتًا في الجنة ». وقد روى بهذا اللفظ أيضا من حديث عائشة وأبي هريرة، قال أبو بكر بن=

= أبي شيبة: حدثنا وكيع عن مصرف بن واصل عن عبد الملك بن ميسرة عن عائشة قالت : من صلى أول النهار ثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة. وحدثنا غندر عن شعبة عن منصور عن أبي عثمان مولى المغيرة بن شعبة عن أبي هريرة قال : ما من عبد مسلم يصلي في يوم اثنتي عشرة ركعة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة. وأخرجه النسائي والعقيلي من حديثه بلفظ: من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعًا بنى الله له بيتًا في الجنة. وأخرجه أحمد وابن زنجويه وأبو داود وابن ماجه وابن جرير من حديث أم حبيبة مثله ، وأحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي موسى الأشعري ، وأخرج ابن عساكر في التاريخ من حديث أم حبيبة بلفظ : من صلى ثنتي عشرة ركعة مع صلاة النهار بنى الله له بيتًا في الجنة . وأخرج الطبراني في الكبير من حديثها بلفظ : من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة ، ومن بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة . وقد ورد تعيين أوقات الركعات في حديث أم حبيبة عند النسائي والحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم فقال : ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب ، وعند ابن جرير وابن حبان والطبراني وابن عساكر في حديثهما : أربع ركعات قبل الظهر واثنتان بعدها واثنتان قبل العصر واثنتان بعد المغرب واثنتان قبل الصبح. وهذا التفاوت في السياق لا يضر ولعل الحكمة في ابتداء أربع الظهر لأنها أول صلاة صليت بعد الافتراض والسنة تبع للفرض ولذا اختاره صاحب المبسوط من أصحابنا وأخرجه كذلك ابن زنجويه والترمذي وقال: حسن صحيح من حديثهما . وقد روى هذا التعيين أيضًا في غير حديث أم حبيبة، قال أبو بكر ابن أبي شيبة: حدثنا إسحاق ابن سليمان عن مغيرة بن زياد عن عطاء عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : « من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنة بنى الله له بيتًا في الجنة: أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر » .

قال مرتضى : وهكذا أخرجه الترمذي وقال: غريب، والنسائي وابن ماجه وابن جرير ، وليس فيه ذكر للركعتين قبل العصر.

قال مرتضى : قال الحافظ ابن حجر : ومغيرة بن زياد قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الترمذي : تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وقال أحمد: ضعيف وكل حديث رفعه فهو منكر، وقال النسائي : هذا خطأ ولعل عطاء قال عن عنبسة ، فتصحف بعائشة يعني أن المحفوظ حديث عنبسة عن أخته أم حبيبة ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة: ركعتين قبل الفجر ، وركعتين قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر ، وركعتين أظنه قال: قبل العصر ، وركعتين بعد المغرب، وأظنه قال : وركعتين بعد العشاء.

قال مرتضى : وأخرجه ابن ماجه من رواية محمد بن سليمان الأصبهاني هكذا، وكذا النسائي من هذا الوجه لكن بدون تعدادها ،وقال: هذا خطأ ومحمد بن سليمان ضعيف ،=

بعد المغرب ، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات(٥٧٩) فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال: تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ ، ولكن حدثتني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج، وقال في حديثه: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربع ويدخل وقت ذلك بالزوال، والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل، فلاتزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو

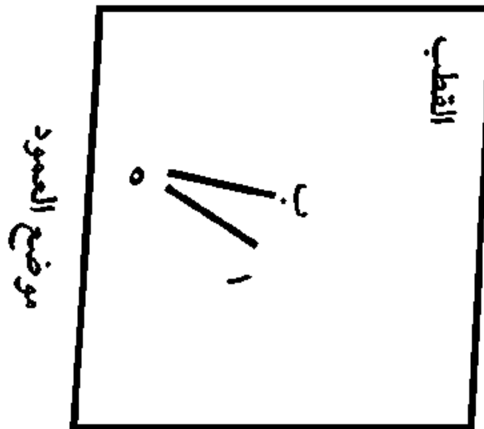
= وكذا قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ والحديث بأم حبيبة أشبه، كذا في شرح التقريب ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبد الأعلى عن الجريري عن ابن بريدة عن كعب ، قال: ثنتا عشرة ركعة من صلاها في يوم سوى المكتوبة دخل الجنة أو بني له بيت في الجنة ركعتان قبل الغداة وركعتان من الضحى وأربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب .

(٥٧٩) حديث ابن عمر : « حفظت عن رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات » **قال العراقي :** متفق عليه واللفظ للبخاري ولم يقل كل يوم .اهـ. قال البخاري في الصحيح: باب التطوع بعد المكتوبة، حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله ، أخبرني نافع عن ابن عمر قال : صليت مع النبي ﷺ سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة: ،فأما المغرب والعشاء ففي بيته، وحدثتني أختي حفصة أن النبي ﷺ كان يصلي سجدتين خفيفتين بعد ما يطلع الفجر وكانت ساعة لا أدخل على النبي ﷺ فيها ، وقال بعد أربعة أبواب: باب الركعتين قبل الظهر : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل صلاة الصبح وكانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها، حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين .اهـ.

وفي هذا الحديث رواية أحد الأخوين عن الآخر نظير حديث أم حبيبة فإنه من رواية عنبسة عنها وهما أخوان، وفيه رواية الأقران فإن حفصة وابن عمر صحابيان فاضلان ، وفي سياق الحديث الأول ركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد الجمعة وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الصبح ، فهذه عشر ركعات لأن الركعتين بعد الجمعة لا تجتمعان مع الركعتين بعد الظهر إلا لعارض بأن يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها، **قال الولي العراقي :** قلته تفقها، وفي سياق حديثه الثاني ليس فيه ذكر ركعتي الجمعة .

قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل، فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل فى الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعًا أن الزوال فى علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس ،والقدر الباقى من الظل الذى منه يأخذ فى الزيادة يطول فى الشتاء ويقصر فى الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدى ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين، ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالى بالليل ويضع على الأرض لوحًا مربعًا وضعًا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر إلى الضلع الذى يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين، أى لا يكون الخط مائلا إلى أحد الضلعين ثم تنصب عمودًا على اللوح نصبًا مستويا فى موضع علامة ه وهو بإزاء القطب فيقع ظله على اللوح فى أول النهار مائلا إلى جهة المغرب فى صوب خط ا ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر، ويكون موازيا للضلع الشرقى والغربى غير مائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربى فالشمس فى منتهى الارتفاع، فإذا انحرف الظل عن الخط الذى على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس، وهذا يدرك بالحس تحقيقا فى وقت هو قريب من أول الزوال فى علم الله تعالى ، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر، فهذا القدر لا بأس بمعرفته فى علم الزوال وهذه صورته :

جانب المشرق



جانب المغرب

(الثالثة): راتبة العصر ،وهى أربع ركعات قبل العصر، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **رحم الله عبداً صلى قبل العصر أربعًا** » (٥٨٠) ففعل ذلك على رجاء الدخول فى دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحبابًا مؤكدًا فإن دعوته تستجاب لا محالة، ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر .

(الرابعة) : راتبة المغرب، وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما . وأما ركعتان قبلهما بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأُبىّ بن كعب وعبادة بن الصامت وأبى ذر وزيد بن ثابت وغيرهم، قال عبادة أو غيره: كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ السوارى يصلون ركعتين (٥٨١) ، وقال بعضهم: « كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل: أصليتم المغرب؟(٥٨٢)

---

(٥٨٠) حديث : « رحم الله عبدًا صلى أربعًا قبل العصر » **قال العراقى** : أخرجه أبو داود والترمذى وابن حبان من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : حسنه الترمذى وصححه ابن حبان ولفظهم جميعًا: رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا. وقال ابن القيم: اختلف فيه فصححه ابن حبان وضعفه غيره. وقال ابن القطان: سكت عنه عبد الحق متسامحًا فيه لكونه من رغائب الأعمال، وفيه محمد بن مهران وهّاه أبو زرعة ، وقال الفلاس: له مناكير منها هذا الخبر، قال ابن قدامة: هذا الحديث فيه ترغيب فيها ولكنها لم تعد من السنن الرواتب بدليل أن ابن عمر راويه لم يحافظ عليها .

(٥٨١) حديث : « كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ السوارى » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس لا عبادة .اهـ.

قال مرتضى : وقال أبو بكر بن أبى شيبة: حدثنا الثقفى عن حميد عن أنس قال : سئل عن الركعتين قبل المغرب، قال: رأيتهم إذا أذن المؤذن ابتدروا السوارى فصلوا ، حدثنا غندر عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبى فزارة قال : سألت أنسًا عن الركعتين قبل المغرب فقال : كنا نبتدرهما على عهد رسول الله ﷺ .

(٥٨٢) حديث : « كنا نصلى الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا قد صلينا المغرب فيسأل: أصليتم المغرب » ، **قال العراقى** : أخرجه مسلم من حديث أنس .اهـ. وقال البخارى فى الصحيح: باب الصلاة قبل المغرب ، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث عن الحسين عن ابن بريدة حدثنى عبد الله بن مغفل المزنى عن النبى ﷺ قال : صلوا قبل صلاة المغرب قال=

وذلك يدخل فى عمـوم قوله ﷺ : « **بين كل أذانين صـلاة لمن شاء** » (٥٨٣) وكان أحـمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما، فقـيل له فى ذلك فقال: لم أر الناس يصلونهما فتركتهما، وقال: لئن صلاهما الرجل فى بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن .

= فى الثالثة: لمن شاء، كـراهية أن يتخذها الناس سنة . حدثنا عبد الله بن يزيد حـدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى يزيد بن أبى حبيب قـال: سمعت مرثد بن عبد الله اليزنى قـال : أتيت عقبة ابن عامـر الجهنى فقـلت : ألا أعجبك من أبى تميم يركع ركـعتين قـبل صلاة المغرب ، فـقال عقبـة: إنا كنا نفعله على عهـد رسول الله ﷺ ، قلت: فما يمنعك الآن؟ قـال: الشغل اهـ. والحديث الأول قد أخرجه أبو داود أيضا .

(٥٨٣) حديث : « قال ﷺ : بين كل أذانين صلاة » ، أى وقت صلاة ونكرت لتناول كل عدد نواه المصلى من النفل وإنما لم يجر على ظاهره لأن الصلاة بين الأذانين مفروضة والخبر نطق بالتخيير بقوله: لمن شـاء أن يصلى فذكره دفـعًا لتوهم الوجـوب أخرجه أحـمد وأبو بكر بن أبى شيـبة والستة كلهم من حديث عبد الله بن مغفل، قـال ابن أبى شيبة: حدثنا وكيع عن كهمس عن ابن بريدة عن عـبد الله بن مغـفل رفعـه: بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صـلاة بين كل أذانين صلاة لمن شـاء، حدثنا عبد الأعلـى عن الجريرى عن ابن بريدة مثله وهكذا هو عند البـخارى تكرار القول ثلاث مـرات وفى آخره لمن شاء وقـال البزار فى مـسنده : حدثنا عـبد الواحد بن غياث عن حيان بن عبيد الله عن عـبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه مثله إلا أنه قال: إلا المغرب أى فإنه ليس بين أذانها وإقامـتها صلاة بل يندب المبادأة إلى المغرب فى أول وقتهـا فلو استمرت المواظبة على الاشتغال بغيرها كان ذلك ذريعة إلى مخالفة إدراك أول وقتها، وبه تمسك أبو حنيفة فكره النفل قبلها وخص به خبـر عبد الله بن مغفل، وأخرج أبو داود بإسناد حسن من حديث ابن عمـر قال : ما رأيت أحدًا يصلى ركعتين قـبل المغرب على عهد رسول الله ﷺ ، وقال البـزار بعد أن ذكر الحديث المذكـور: لا نعلم رواه إلا حيان وهو بصرى مشهـور لا بأس بها اهـ. وقال الهيثمى : ضعفـه ابن عدى وقيل: إنه اختلط وحكم ابن الجوزى بوضعه ، وقال: تفرد به حبان، كـذبه الفلاس وتعقبه الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ، فـقال : الذى كذبه الفلاس غـير هذا ، **وقـال الولى العـراقى:** ولا خلاف فى اسـتحباب جـميع النوافل المذكورة فى الأحـاديث إلا فى الركعتين قـبل المغرب ففيهما وجهان لأصحابنا أشهرهما لا يستحب، والصحيح عند المحققين استحبابهما .اهـ.

قـال مـرتضى : والذى صححه الـنووى أنهما سنة للأمر بهما فى حـديث ابن مغفل عند البخارى ، وقال مـالك بعدم السنية ، وقال فى المجموع واسـتحبابهما قـبل الشروع فى الإقامة فإن شرع فيها كره الشروع فى غير المكتوبة .

وقـال النخـعى : إنهما بدعة لأنهـما تؤديان إلى تأخير الفرض عن أول وقتـه وهذا قد منعه النووى فى شرح مسلم وحكمـة استحبابهمـا كما قال ابن الجوزى وغيره ، رجـاء إجابة الدعاء=

ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار فى الأراضى المستوية التى ليست محفوفة بالجبال ،فإن كانت محفوفة بها فى جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق، قال ﷺ : « **إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم**»(٥٨٤) والأحب المبادرة فى صلاة المغرب خاصة،وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه ، وأخَّر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة، وأخَّرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين .

(الخامسة) : راتبة العشاء الآخرة ، وهى أربع ركعات بعد الفريضة ، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام (٥٨٥) واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة (٥٨٦) ، ركعتان

= لأنه بين الأذانين لا يرد، وكلما كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر ومجموع الأحاديث يدل على استحباب تخفيفهما كركعتى الفجر .

(٥٨٤) حديث : « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عمر .اهـ .

قال مرتضى : أخرجه الستة سوى ابن ماجه ، وفى بعض رواياتهم زيادة: وغربت الشمس، مع أن ما قبله كان إيماء إلى اشتراط تحقق كمال الإقبال والإدبار وأنهما بواسطة الغروب لا غيره فالأمور الثلاثة وإن كانت متلازمة لكن قد يعرض لبعضها انفكاك فيظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون إقباله حقيقة، كأن يكون بمحل لا يشاهد غروبها فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء .

(٥٨٥) حديث عائشة : « كان يصلى بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام » أخرجه أبو داود فى سننه بلفظ: ما صلى رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل عليّ إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات ... الحديث، وفى صحيح البخارى وغيره عن ابن عباس قال : بت عند خالتى ميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ وكان النبى ﷺ عندها فصلى النبى ﷺ العشاء ، ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام ... الحديث . وسيأتى بقية لهذه الأربع ركعات فى كتاب الأوراد وسبق فى حديث ابن عمر وغيره أنه كان يصلى بعد العشاء ركعتين ،ولذا قال صاحب الهداية من علمائنا لما عد الرواتب: وأربع قبل العشاء وأربع بعدها وإن شاء ركعتين.

(٥٨٦) حديث : الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح، وأربع=

قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث بعد العشاء الآخرة وهى الوتر، ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال ﷺ: « الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٥٨٧) فإذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته فى الخير، فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض، وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر.

= قبل الظهر، وركعتان، بعدها وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء والوتر. وهذا على قول من قال: الوتر ركعة واحدة، وفى نسخة: وثلاث بعد العشاء الآخرة وهو الوتر، قال الرافعى: فأما الرواتب فالوتر وغيره، فأما غير الوتر فاختلف الأصحاب فى عددها فقال الأكثرون: عشر ركعات: ركعتان قبل الصبح وركعتان قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء، ومنهم من نقص ركعتى العشاء، نص عليه فى البويطى وبه قال الخضرى، ومنهم من زاد على العشر ركعتين أخريين قبل الظهر، ومنهم من زاد على هذا أربعا قبل العصر، ومنهم من زاد على هذا أخريين بعد الظهر، فهذه خمسة أوجه لأصحابنا وليس خلافهم فى أصل الاستحباب بل فى أن المؤكد من الرواتب ماذا، مع أن الاستحباب يشمل الجميع، ولهذا قال صاحب المهذب وجماعة: أدنى الكمال عشر ركعات وهو الوجه الأول، وأتم الكمال ثمانى عشرة ركعة وهو الوجه الخامس، وفى استحباب ركعتى العصر وجهان وبالاستحباب قال أبو إسحاق الطوسى وأبو زكريا السكرى. اهـ. وصححه النووى فى الروضة عملا بحديث ابن مغفل فى صحيح البخارى، **وقال الولى العراقى** قال: أصحابنا وغيرهم: اختلاف الأحاديث فى أعداد الرواتب محمول على توسعة الأمر فيها وأن لها أقل وأكمل فتحصل السنة بالأقل ولكن الاختيار فعل الأكثر الأكمل. اهـ. وزاد المحاملى فى اللباب والنووى فى شرح المهذب ركعتين قبل العشاء وحكاه الماوردى عن البويطى ويدل له حديث: بين كل أذانين صلاة، وعد القاضى أبو بكر البيضاوى فى التبصرة من الرواتب أربعًا بعد المغرب وهو غريب، نقله الولى العراقى.

قال مرتضى: ليس بغريب فقد أخرج أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف عن وكيع عن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ابن عمر قال: من صلى أربعًا بعد المغرب كان كالمعقب غزوة بعد غزوة.

(٥٨٧) حديث: « الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » **قال العراقى**: أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى ذر. اهـ.

قال مرتضى: قال الحافظ: هو خبر مشهور، رواه أحمد والبزار من حديث عبيد ابن الخشخاشى عن أبى ذر بلفظ: فمن شاء استقل ومن شاء استكثر، ورواه ابن=

(السادسة): الوتر ، قال أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، وفى الثانية : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وفى الثالثة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٥٨٨) .

= حبان فى صحيحه من حديث أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر فى حديث طويل ، ورواه الطبرانى فى المطولات عن ابن عائذ عن أبى ذر ومن طريق يحيى بن سعيد السعيدى عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر وأعله ابن حبان فى الضعفاء بيحيى بن سعيد وخالف الحاكم فأخرجه فى المستدرك من حديثه وله شاهد من حديث أبى أمامة رواه أحمد بسند ضعيف. اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة بسند فيه عبد المنعم بن بشير بلفظ : فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر ، وأما الحديث الطويل الذى أشار إليه الحافظ فقد أخرجه أيضًا فى الحلية من طريق إبراهيم بن هشام النسائى عن أبيه عن جده يحيى بن يحيى السعدى عن أبى إدريس عن أبى ذر ، قال : دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال : « يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما»، قال : فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه فقلت : يا رسول الله إنك أمرتنى بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : « خير موضوع استكثر أو استقل . . . » ثم ساق الحديث بطوله وأشار إلى بقية طرقه ، فقال : ورواه المختار بن غسان عن إسماعيل بن مسلم عن أبى إدريس، ورواه على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن أبى ذر، ورواه عبيد بن الخشخاشي عن أبى ذر، ورواه معاوية بن صالح عن محمد بن أيوب عن ابن عائذ عن أبى ذر،ورواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر بطوله تفرد به يحيى بن سعيد العبشمى. اهـ .

(٥٨٨) حديث : « كان رسول الله ﷺ يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ فى الأولى سبح اسم ربك الأعلى، وفى الثانية قل يا أيها الكافرون ،وفى الثالثة قل هو الله أحد » **قال العراقى** : أخرجه ابن عدى فى ترجمة محمد بن أبان ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند صحيح . اهـ .

قال مرتضى : وأخرج حديث ابن عباس أيضا أبو بكر بن أبى شيبة عن إسرائيل، وأخرجه الطحاوى عن محمد بن خزيمة حدثنا عبد الله بن رجاء أخبرنى إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل سياق حديث أنس، وأخرجه ابن أبى شيبة أيضا عن يونس عن أبى إسحاق مثله وعن شاذان حدثنا شريك عن مخول عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه، وأخرجه الطحاوى عن روح بن الفرج حدثنا لوين حدثنا شريك عن مخول مثله . وقد روى ذلك عن جماعة من الصحابة غير ابن عباس. أخرج الطحاوى عن فهد حدثنا الحمانى حدثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن عمران=

= ابن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بسبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد. وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن شبابة عن شعبة عن قتادة بلفظ : كان يوتر بسبح اسم ربك الأعلى ولم يذكر الباقي . وأخرج الطحاوي عن أبي المطرف بن أبي الوزير حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ الوتر فقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد ، فلما فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاثا يمد صوته بالثالثة ، وأخرجه عن حسين بن نصر حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن زبيد مثله وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عن زبيد مثله وعن هشيم عن عبد الملك عن زبيد مثله إلا أنه لم يذكر مد الصوت في الثالثة، وقال ابن أبي شيبة أيضًا حدثنا محمد بن أبي عبيدة حدثني أبي عن الأعمش عن طلحة عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أُبيّ بن كعب أن النبي ﷺ كان يوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . ويقول في آخر صلاته : سبحان الملك القدوس ثلاثًا .

قال مرتضى : وقد روى الطحاوي في حديث عبد الرحمن بن أبزى المتقدم من طريق أحمد ابن يونس عن محمد بن طلحة عن زبيد مثل الأول إلا أنه قال: وفي الثانية قل للذين كفروا وفي الثالثة الله الواحد الصمد .

قال مرتضى : هكذا كانت قراءة ابن مسعود كان يقرأ : قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون إلى آخرها بدل قل يا أيها الكافرون. وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عبد الملك بن عمير قال : كان ابن مسعود يوتر بثلاث يقرأ في كل ركعة منهن بثلاث سور من آخر المفصل في تأليف عبد الله، وأخرج من طريق زاذان أن عليا كان يفعل ذلك، وأخرج الطحاوي من طريق أبي إسحق عن الحارث عن علي رفعه: كان يوتر بسبع سور من المفصل: في الركعة الأولى ألهاكم التكاثر وإنا أنزلناه وإذا زلزلت، وفي الثانية والعصر وإذا جاء نصر الله وإنا أعطيناك الكوثر، وفي الثالثة قل يا أيها الكافرون وتبت وقل هو الله أحد . وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق أنس بن سيرين أن عمر كان يقرأ بالمعوذتين في الوتر. وأخرج الطحاوي عن حسين ابن نصر حدثنا سعيد بن عفير حدثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعتين اللتين كان يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون ويقرأ في التي هي الوتر قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس. وأخرج عن بكر بن سهل الدمياطي حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا يحيى بن أيوب مثله وهذا الحديث مُخَرَّج في سنن أبي داود و الترمذي وابن ماجه من حديث عائشة. ورواه أيضًا الحاكم والدارقطني وابن حبان كلهم من طريق يحيى ابن سعيد عن عمرة عن عائشة وتفرد به يحيى بن أيوب عنه ، وفيه مقال لكنه صدوق . =

وجاء في الخبر أنه ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسًا [٥٨٩] ، وفي بعضها متربعًا، وفي بعض الأخبار: إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد، يقرأ فيهما: إذا زلزلت الأرض، وسورة التكاثر[٥٩٠]، وفي رواية أخرى: قل يا أيها الكافرون .

= **(تنبيه):** قال الحافظ: قال إمام الحرمين: رأيت في كتاب معتمد أن عائشة روت ذلك، وتبعه الغزالي فقال : قيل إن عائشة روت ذلك وهذا دليل على عدم اعتنائهما معا في الحديث، كيف يقال ذلك في حديث في سنن أبي داود التي هي أم الأحكام.اهـ . وأخرج الطحاوي عن أبي زرعة الدمشقي ، حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أبي إدريس عن أبي موسى عن عائشة رفعته: كان يقرأ في وتره في ثلاث ركعات قل هو الله أحد والمعوذتين. ونقل الكمال بن الهمام عن إسحاق بن راهويه قال: أصح شيء ورد في قراءته ﷺ في الوتر: سبح والكافرون وقل هو الله أحد، وزيادة المعوذتين أنكرها أحمد وابن معين.

قال مرتضى : فهذا سر اقتصار أئمتنا في الثالثة على الإخلاص .

(٥٨٩) حديث : « كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين» ، **قال العراقي :** أخرجه مسلم من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه الطحاوي من طريق الحسن عن سعد بن هشام الأنصاري بلفظ أنه سأل عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالت: كان يصلي العشاء ثم يتجوز بركعتين، وقد أعد سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه فيتسوك ويتوضأ فيصلي ركعتين ، ثم يقوم فيصلي ثماني ركعات يسوى بينهن في القراءة ، ثم يوتر بالتاسعة، فلما أسنَّ رسول الله ﷺ وأخذه اللحم جعل تلك الثماني ستا ثم يوتر السابعة ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس. وأخرجه أيضا من طريق أبي سلمة عن عائشة وفيه: ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس، قال الطحاوي: هاتان الركعتان جالسا يحتمل أن تكونا بدلا مما كان يصليه قبل أن يبدن قائمًا وهو ركعتان .

(٥٩٠) حديث : « إذا أراد أن يدخل إلى فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة ألهاكم » ، **قال العراقي :** أخرجه البيهقي من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه: زحف إليه، ولا ذكر ألهاكم التكاثر .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه كذلك أحمد .

ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة(٥٩١).

---

(٥٩١) حديث : « وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة واحدة » رواه الشيخان عن ابن عمر ومسلم عن عائشة، **قاله العراقى** .

قال مرتضى : أما حديث ابن عمر فله طرق كثيرة :

إحداها : ما أخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخارى والنسائى من طريق شعيب بن أبى حمزة، ومسلم والنسائى من طريق عمرو بن الحارث، والنسائى من طريق محمد بن الوليد الزبيدى، أربعتهم عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال : سمعت النبى ﷺ سئل كيف نصلى بالليل؟ قال : «ليصل أحدكم مثنى مثنى فإذا خشى الصبح فليوتر بواحدة» .

الثانية : نافع عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل، فقال رسول الله ﷺ : « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى». أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والطحاوى من طريق مالك عن نافع، ورواه الترمذى وابن ماجه من طريق الليث عن نافع، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن محمد بن سعيد وابن عون عن نافع ، ورواه الطحاوى أيضا عن ابن عون ويحيى بن أبى كثير عن نافع .

الثالثة: عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثله، أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والطحاوى من طريق مالك بن دينار .

الرابعة : عبد الله بن شقيق عن ابن عمر مثله، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن هشيم عن خالد عنه، رواه الطحاوى من هذا الطريق أيضا وأخرجا أيضا من طريق هشيم عن أبى بشر عنه، وأخرج الطحاوى أيضًا من طريق بديل بن ميسرة وأيوب كلاهما عنه.

الخامسة : أبو سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عمر مثله، رواه الطحاوى من طريق يحيى بن أبى كثير عنه .

السادسة : حميد بن عبد الرحمن عن ابن عمر مثله، رواه الطحاوى من طريق الزهرى عنه.

السابعة : طاوس عن ابن عمر مثله، رواه الطحاوى من طريق عمرو بن دينار وحبيب بن أبى ثابت كلاهما عنه ، وأما حديث عائشة فأخرجه أيضا أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا شبابة بن سوار حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن عروة عنها أن النبى ﷺ كان يوتر بركعة وكان يتكلم بين الركعتين والركعة ، ثم الإيتار بركعة واحدة هو مذهب مالك والشافعى وأحمد والجمهور، ورواه البيهقى فى سننه عن عثمان وسعد بن أبى وقاص وتميم الدارى وأبى موسى الأشعرى وابن عمر وابن عباس وأبى أيوب الأنصارى ومعاوية وأبى حليمة معاذ بن الحارث=

وثلاث (٥٩٢). وخمس (٥٩٣).

= القارى قيل له صحبة ، ورواه ابن أبى شيبــة عن أكثر هؤلاء ، وعن ابن مسعود وحذيفة وعطاء ابن أبى رباح والحسن البـصرى، وحكاه ابن المنذر عن أبى بكر وعـمر وعثـمان وزيد بن ثابت وابن الزبير وعائشة وسعيد بن المسيب والأوزاعى وإسحاق وأبى ثور .

(٥٩٢) حديث : « وثلاث » رواه أحمد عن أنس ورواه النسائى من حـديث عائشة: كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن. ورواه الطحاوى من طريق سعد بن هشام عنـها هكذا ، وزاد سعد فى حديثها أنه كان لا يسلم إلا فى آخرهن ،وروى ذلك عن ابن عباس وعمران بن الحصين وزيد بن خالد الجهنى وأبى أمامـة وأم الدرداء وعبد الرحمن بن أبزى وعـمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والمسور بن مخرمـة وابن مسعود وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وأبى العـالية وعمر بن عبـد العزيز، قال الطحـاوى : حدثنا ربيع بن المؤذن حدثنا ابن وهب أخـبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه، قال: أثبت عمر بن عبد العزيز الوتر بالمدينة بقول الفقهاء ثلاثا لا يسلم إلا فى آخرهن ، حدثنا أبو العـوام عبد الله بن عبد الجبـار المرادى حدثنا خالد بن نزار الأيلى ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن السبـعة: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمـد وأبى بكر بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبـد الله وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد فى مشيخة سواهم أهل فقه وصلاح وفضل وربما اختلفوا فى شىء فنأخذ بقول أكبـرهم وأفضلهم رأيًا فكان مما وعـيتـه عنهم على هذه الصفـة أن الوتر ثلاث لا يسلم إلا فى آخرهن . اهـ . وروى ابن أبى شـيبة عن أكـثر هؤلاء ، وعن جابر بن زيد وعلقـمة وإبراهيم النخعى وسعيد بن جبير ومكحول وحـماد وأبى سلمة والحسن البصرى قال :حدثنا حفص عن عمر وعن الحسن قال: أجمع المسلمون على أن الوتر ثلاث لا يسلم إلا فى آخرهن.

قال مرتضى : قد ذكر فى الباب الذى قبله عن أبى أمامة عن ابن عون أن الحسن كان يسلم فى ركعتى الوتر فهو مخالف للذى ذكره بعد، وأيضا قوله: أجمع المسلمون، هذا لا يصح من الحسن ، وراويه عنه عـمر وهو ابن عـبيد المبـتدع المعتـزلى الضال، ولا يحـفظ عن أحد من التابعين حكاية الإجمـاع فى مسألة من المسائل، **قال الولى الـعراقى :** سمـعت والذى يقول ذلك. اهـ .

قال مرتضى: ويمكن أن يجاب أنه لا يمنع من تسليمه فى ركعتيه أن يقول الوتر ثلاث ، وأما الإجماع الذى ذكره فيحتمل أنه عنى به إجماع الفقهاء السبعة كما قدمناه بالسند عن الطحاوى، فتأمل .

(٥٩٣) حديث : « وخمـس»، رواه مسلم من حديث عائشـة: يوتر من ذلك بخمس لا يجلس فى شىء إلا فى آخرها. ورواه أبـو بكر بن أبى شيبــة عن إسمـاعيل بن زيد ، قـال: كان زيد بن ثابت يوتر بخمس ركـعات لا ينصرف فيهـا ، وكذا عن عثمان بن عـروة عن أبيه أنه كان يوتر بخمس لا ينصرف فيها ، وعن أبى أيوب قال : قال لى رسول الله ﷺ : « أوتر بخمس فإن=



بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجي الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١١

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

وهكذا بالأوتار (٥٩٤) ، إلى إحدى عشرة ركعة (٥٩٥)

= لم تستطع فبثلاث فإن لم تستطع فبواحدة فإن لم تستطع فأوم إيماء ». وروى الطحاوى من طريق هشام عن أبيه عروة عن عائشة رفعته: كان يوتر بخمس سجدات لا يجلس بينها حتى يجلس فى الخامسة . قال : وقد تفرد هشام بهذا عن أبيه عروة، وما رواه العامة عن عروة وغيره عن عائشة بخلاف ذلك .

(٥٩٤) حديث : « وهكذا بالأوتار » أما الإيتار بسبع فرواه مسلم وأبو داود والنسائى واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا فى السادسة، ثم ينهض ولا يسلم فيصلى السابعة ، وروى الطحاوى من طريق أبى سلمة والأعرج عن أبى هريرة رفعه قال: لا توتروا بثلاث وأوتروا بخمس أو سبع، ولا تشبهوا بصلاة المغرب. وروى من طريق الزهرى عن عطاء عن أبى أيوب رفعه: الوتر حق فمن شاء فليوتر بسبع، ومن شاء بخمس ، ومن شاء بثلاث، ومن شاء بواحدة. ومن طريق يحيى بن الجزار عن أم الدرداء قالت: كان رسول الله ﷺ يوتر بثلاث عشرة ركعة فلما كبر وضعف أوتر بسبع. ومن طريق الحكم عن مقسم عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ يوتر بسبع وبخمس لا يفصل بينهن بسلام ولا بكلام. ومن طريق الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إنى لأكره أن يكون وترا ثلاثًا ولكن سبعًا أو خمسًا وترًا .

وأما الإيتار بتسع ففى حديث عائشة عند مسلم وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة والطحاوى من طريق يحيى بن الجزار عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع فلما أسن وثقل أوتر بسبع. وأخرج ابن أبى شيبة من طريق سعيد بن جبير والحسن قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع ركعات فلما أسن وبدن أوتر بسبع وركعتين وهو جالس. وأخرج الطحاوى عن عبد الله ابن شقيق ، قال : سألت عائشة عن تطوع رسول الله ﷺ فقالت : كان إذا صلى بالناس العشاء يدخل فيصلى ركعتين، قالت : وكان يصلى من الليل تسع ركعات منهن الوتر فإذا طلع الفجر صلى ركعتين فى بيتى ، ثم يخرج فيصلى بالناس صلاة الفجر. وأخرج من طريق الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبى ﷺ كان يوتر بتسع ركعات. وأخرج من طريق على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : أمرنى العباس أن أبيت بآل النبى ﷺ وتقدم إلى أن لا تنام حتى تحفظ لى صلاة رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه: حتى صلى ست ركعات وأوتر بثلاث .

(٥٩٥) حديث : « إلى إحدى عشرة ركعة » رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة: كان يوتر بأربع وثلاث، وست وثلاث، وثمان وثلاث، وعشر وثلاث. وأخرج الطحاوى من طريق سعد بن هشام عنها رفعته: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم صلى ثمانى ركعات ثم أوتر. فهذا محتمل لأن يكون جميع ما صلى إحدى عشرة ركعة ويحتمل ثلاث عشرة على ما سيأتى. ومن طريق أبى سلمة بن عبد الرحمن عنها قالت : ما كان ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلى أربعًا فلا تسأل عن حسنهن=

والرواية مترددة فى ثلاث عشرة (٥٩٦)

= وطولهن ، ثم يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثا ... الحديث . ومن طريق عن الزهرى عن عروة عنها رفعته قالت : كان يصلى من الليل إحدى عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة فإذا فرغ منها اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن فيصلى ركعتين خفيفتين ، ومن طريق يونس وعمرو بن الحارث وابن أبى ذئب عن الزهرى عن عروة عنها رفعته قالت : كان يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية ، فإذا سكت المؤذن وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج معه. ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: بت فى بيت خالتى ميمونة فصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم جاء فصلى أربعًا ، ثم قام فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين ثم نام ، ففيه أنه صلى إحدى عشرة ركعة منها ركعتان بعد الوتر، ومن طريق كريب عن ابن عباس بلفظ : صلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين، ثم ركعتين ثم أوتر بثلاث . ومن طريق مالك عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال : أمر عمر بن الخطاب أبيّ بن كعب وتميما الدارى أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة ، قال : فكان القارئ يقرأ بالمئين حتى يعتمد على العصا من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا فى وقوع الفجر .

(٥٩٦) قوله : «والرواية مترددة فى ثلاث عشرة » تبع المصنف فيه شيخه إمام الحرمين حيث حكى ترددًا فى ثبوت النقل فى الإيتار بثلاث عشرة . وقد رواه أبو داود والطحاوى عن عائشة فى حديثها المتقدم: كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث. وعند الترمذى والنسائى من حديث أم سلمة: كان يوتر بثلاث عشرة، قال الترمذى : حسن، ولمسلم من حديث عائشة: كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ،زاد فى رواية: بركعتى الفجر.

قاله العراقى : وبهذا يظهر وجه التردد فى قول المصنف، قال الحافظ : وهو معترض بالأحاديث الواردة فيه .اهـ . وفى حديث عائشة من طريق سعد بن هشام عند الطحاوى الذى تقدم بلفظ: كان يصلى ركعتين ثم ثمانى ثم يوتر، يحتمل أنه كان يوتر بثلاث مستأنفات متتابعات فيكون جميع ما صلى ثلاث عشرة ركعة وعند مسلم والطحاوى من طريق أبى سلمة عنها: كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة يصلى ثمانى ركعات ، ثم يوتر بركعة ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع، ويصلى بين أذان الفجر والإقامة ركعتين، وفى بعض طرق هذا الحديث: كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة منها ركعتان وهو جالس ويصلى ركعتين قبل الصبح فذلك ثلاث عشرة ركعة، وقد وقع التصريح بأن الركعتين اللتين كان يصليهما بين الأذان والإقامة محسوبة فيها، فى طريق أخرى عن أبى سلمة عنها: كانت صلاته فى رمضان وغيره ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر وفى بعضها التصريح بأن الركعتين اللتين كان يصليهما جالسًا محسوبة فيها على إحدى عشرة . وفى حديث معاوية بن صالح عن عبد الله بن أبى قيس قلت لعائشة : بكم كان يوتر رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان=

وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (٥٩٧) وكانت هذه الركعات - أعني ما سمينا جملتها وتراً - صلاته بالليل وهو التهجد ، والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد .

وفي الأفضل خلاف، فقيل: إن الإيتار بركعة فردة أفضل إذ صح أنه ﷺ كان يواظب على الإيتار بركعة فردة ، وقيل: الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الإمام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة، فإن صلى موصولا نوى بالجميع الوتر ، وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح، لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترًا وأن يكون موترًا لغيره مما سبق قبله، وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح، أي لا ينال فضيلة الوتر « الذي هو خير له من حُمر النعم » كما ورد به الخبر(٥٩٨)

= يوتر بأربع وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة . وفي حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة . وروى عكرمة بن خالد عنه أنه بات عند خالته ميمونة وفيه: فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء . وفي حديث عبد الله بن قيس بن مخرمة عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ ، قال : فتوسدت عتبته أو فسطاطه فصلى رسول الله ﷺ ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما ثم أوتر، فذلك ثلاث عشرة ركعة .

(٥٩٧) حديث : « وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة » رواه ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا: كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل. ووجه شذوذه ما ثبت بالطرق الصحيحة عن عائشة أنه ﷺ لم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ركعة ، فالقائل بهذا يضيف الركعتين اللتين كان يصليهما بعد العشاء والركعتين اللتين كان يصليهما بعد الوتر فيتحصل بذلك سبع عشرة ركعة لكن فيه تلفيق بين الروايات بالنظر إلى مجموعها ، وقال الحافظ ابن حجر: وفي قوله : ولا بأكثر من ثلاث عشرة في حديث عائشة عند أبي داود والاستدلال به فيه نظر فقد نقل المنذرى القول بأن أكثر ما روى عنه في صلاة الليل سبع عشرة وهي عدد ركعات اليوم والليلة . وروى ابن حبان وابن المنذر والحاكم من طريق عراك عن أبي هريرة رفعه: أوتروا بخمس أو بسبع أو بتسع أو بإحدى عشرة أو بأكثر من ذلك .اهـ.

(٥٩٨) حديث : « لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم كما ورد به الخبر » **قال العراقي:**=

وإلا فركعة فردة صحيحة فـى أى وقت كان، وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق

= أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث خارجة بن حذافة: إن الله أمدكم بصلاة وهى خير لكم من حمر النعم. وضعفه البخارى وغيره . ا هـ .

قال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة والدارقطنى والحاكم وصححه ، وقال: إنما تركاه لتفرد التـابعى عن الصحابى، وخارجة بن حذافة العـدوى القرشى هو الذى كان يعد بألف فارس، قتله عمرو بن بكر الخارجى ليـلة قتل على ﷺ يظنه عمرو بن العاص، قال أبو بكر بن أبى شيبـة فى المصنف: حدثنا يزيد بن هارون عن محمـد بن إسحاق عن يزيد ابن أبى حبيب عن عـبد الله بن راشد الزوفى عن عبد الله بن مـرة الزوفى عن خارجة بن حذافـة العدوى قال: خـرج علينا رسول الله ﷺ صلاة الغـداة ، فقال : «لقـد أمدكم الليلة بصلاة هى خيـر لكم من حمر النعم» قال : قلنا: مـا هى يا رسول الله؟ قال : « الوتر فيما بين صلاة العـشاء إلى طلوع الفجر». وحدثنا أبو خالد الأحمـر عن حجاج عن عمرو بن شعـيب عن أبيه عن جده قـال : قال رسول الله ﷺ: « إن الله زادكم صـلاة إلى صلاتكم وهى الوتر» . وحدثنا وكـيع عن سفيان عن حمـاد قال: أخبرنى مـخبر عن عبد الـله بن عمر قال: ما أحب أنى تركت الوتر ولا أن لى حمر النعم .اهـ.

قـال الدارقطنى : عبد الله بن راشد وعبد الله بن مـرة لا يحتج بهما ولا يعرف سماع لابن مرة عن خارجة ، وقال ابن عدى: لـيس له إلا هذا الحديث . وفى الميزان للذهبى: حديثه عن خارجة لم يصح، وقال ابن حبان: منقطع ومتن باطل .

قال مرتضى : وذكر الذهبى فى الكاشف: عبد الله بن راشد الحميرى الزوفى عن عبد الله ابن أبى مرة فى الوتر وعنه يزيد بن أبى حبيب وخالد بن يزيـد ، وقال أيضًا : عبد الله بن مُرة أو ابن أبى مرة الزوفى شهـد فتح مصر ونزلها وسمـع من خارجة بن زيد فى الوتر، وعنه عبـد الله بن راشد ورزين الزوفيـان سنده منقطع . وأما معنى الحـديث: أمدكم أى زادكم كما فى روايـة أخرى، يقال : مد الجيش وأمـده إذا زاده وألحق به ما يكثره فـالإمداد اتباع الثانى للأول تقوية وتأكـيدًا له من المدد، وحمر النعم هى أعـز أموال العرب وأنفسهـا فجعلت كناية عن خير الدنيا كله كـأنه قيل: هذه الصلاة خير مما تحبون من عرض الدنيـا وزينتها لأنها ذخيـرة للآخرة والآخـرة خير وأبقى، قـال القاضى: ولا دلالة فـيه على الوجـوب إذ الإمداد والزيادة يحتمل كونه على سبيل الوجوب وكونه على الندب ، وقال غيره: ليس فيه دلالة على الوجوب إذ لا يلزم أن يكون المزاد من جنس المزيد .

قـال مـرتضى : وأبى أصحابنا فى الـزيادة أنها لا تكون إلا من جنس المزيد عليه وقضـيته الفرضية إلا أنه لـيس مقطوعا به فرجع الأمر إلى الوجوب وزيادة على ذلك فى قوله وهى الوتر زيادة تعريف وزيادة التـعريف زيادة وصف وهو الوجوب لا أصله وفى بعض طرقه: فـحافظوا عليها، فهو أمر بأدائها والأمر للوجوب .

فى الفعل ولأنه يتقدم ما يصير به وتراً، فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر ، وإن نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وتراً وإنما الوتر ما بعده، ولكن الأظهر أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر، ولكن للوتر معنيين أحدهما أن يكون فى نفسه وتراً والآخر أن ينشأ ليجعل وتراً بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وتراً، والركعتان من جملة الثلاث إلا أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة ، وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر، والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها، والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وتراً بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغى أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد، وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد .

(السابعة): صلاة الضحى ، فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها . أما عدد ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثمانى ركعات ، روت أم هانئ أخت علىّ بن أبى طالب ﷺ أنه ﷺ صلَّى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن (٥٩٩) ولم ينقل هذا القدر غيرها، فأما

(٥٩٩) حديث أم هانئ : أنه ﷺ صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن، ولم ينقل هذا العدد غيرها . **قال العراقى** : متفق عليه دون زيادة: أطالهن وأحسنهن، وهى منكرة .اهـ .

قال مرتضى : لفظ البخارى: حدثنا آدم،حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى يقول : ما حدثنا أحد أنه رأى النبى ﷺ يصلى صلاة الضحى غير أم هانئ فإنها قالت : إن النبى ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمانى ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود. وأخرجه مالك فى الموطأ ومسلم من طريق أبى مرة عنها نحوه .وأخرجه ابن خزيمة من طريق كريب عنها ، وزاد: يسلم من كل ركعتين ، وفى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة:حدثنا وكيع حدثنا ابن أبى خالد عن أبى صالح مولى أم هانئ قالت : دخل علىّ رسول الله ﷺ بيتى يوم فتح مكة فوضعت له ماء فاغتسل، ثم صلى ثمانى ركعات صلاة الضحى لم يصلهن قبل يومه ولا بعده. قال وكيع: حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبى ليلى قال : لم يخبرنا أحد من الناس أن النبى ﷺ صلى الضحى إلا أم هانئ فإنها قالت : دخل علىّ رسول الله ﷺ بيتى يوم فتح مكة فاغتسل ، ثم صلى ثمانى ركعات فخفف فيهن الركوع والسجود لم أره صلاهن قبل يومئذ ولا بعده. ابن عيينة عن يزيد عن ابن أبى ليلى قال : أدركت الناس وهم متوافرون أو متوافون فلم يخبرنى أحد أن النبى ﷺ صلى الضحى إلا أم هانئ فإنها أخبرتنى أنه صلاها ثمانى=

عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت أنه ﷺ كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه (٦٠٠) فلم تحد الزيادة، أى أنه كان يواظب على الأربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات ، وروى فى حديث مفرد أن النبى ﷺ كان يصلى الضحى ست ركعات (٦٠١) وأما وقتها فقد روى على

= ركعات. أبو خالد عن أبى إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى مرة مولى أم هانئ عن أم هانئ أن النبى ﷺ صلى الضحى ثمانى ركعات .اهـ. ولفظ مسلم من حديثها: ما رأيت النبى ﷺ صلى صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود. وبمجموع الروايات ظهر أن تلك الزيادة منكرة كما **قاله العراقى:** وكان المراد بذلك فى المتفق عليه من حديث أم هانئ فلا يعارض ذلك فى حديث غيرها، من ذلك ما رواه البزار فى مسنده من حديث سعد بن أبى وقاص أنه أطال القراءة والركوع، لكن فى سنده عبد الله بن شبيب وهو متروك ، وقال ابن أبى شيبة فى المصنف: ابن نمير عن محمد بن إسحاق عن حكم بن حكيم عن على بن عبد الرحمن عن حذيفة رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بنى معاوية فصلى الضحى ثمانى ركعات طول فيهن ، وقد ثبت بحديث حذيفة عدد الثمانى وممن روى عنه أنه كان يصلى ثمانى ركعات سعد بن مالك رضي الله عنه، رواه ابن أبى شيبة من طريق سعيد بن عمر قال : صليت وراء سعد بن مالك وهو يسبح الضحى فركع ثمانى ركعات أعدهن لا يقعدن فيهن حتى قعد فى آخرهن فتشهد ثم سلم فانطلق ، ومنهم عائشة رضي الله عنها، رواه ابن أبى شيبة من طريق ابن رميثة عن جدته قالت : دخلت على عائشة وهى تصلى الضحى فصلت ثمانى ركعات. ومن طريق القعقاع بن حكيم عن جدته رميثة قالت : دخلت على عائشة بيتًا كانت تخلو فيه فرأيتها صلت من الضحى ثمانى ركعات ، ومنهم أم سلمة رضي الله عنها، رواه ابن أبى شيبة من طريق شعبة عن رجل عنها أنها كانت تصلى الضحى ثمانى ركعات وهى قاعدة .

(٦٠٠) حديث عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت أنه ﷺ كان يصلى الضحى أربعًا ويزيد ما شاء الله. أخرجه مسلم من حديث معاذة أنها سألت عائشة : كم كان النبى ﷺ يصلى الضحى ؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما شاء الله . وكذلك رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى فى الشمائل .

(٦٠١) حديث : « كان يصلى الضحى ست ركعات » **قال العراقى :** أخرجه الحاكم فى فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث أنس ،وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على كما سيأتى فى الذى بعده، وقد روى أيضًا من فعل عائشة ، رواه ابن أبى شيبة فى المصنف من طريق تميمة بنت دهشم أنها رأت عائشة صلت من الضحى ست ركعات .

ﷺ أنه ﷺ كان يصلى الضحى ستًا فى وقتين (٦٠٢) إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من أوراد النهار كما سيأتى، وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعًا فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح، والثانى إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب ، وهذا أفضل الأوقات ، ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة .

(الثامنة) : إحياء ما بين العشاءين، وهى سنة مؤكدة، ومما نقل عدده من فعل رسول الله ﷺ بين العشاءين ست ركعات (٦٠٣)، ولهذه الصلاة فضل عظيم ، وقيل : إنها المراد بقوله

---

(٦٠٢) حديث : « إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام فصلى ركعتين » **قال العراقى** : أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على: كان نبى الله ﷺ إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات. لفظ النسائى، وقال الترمذى: حسن .اهـ.

قال مرتضى : وفى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحاق عن عاصم بن حمزة قال : قال ناس من أصحاب على لعلى: ألا تحدثنا بصلاة رسول الله ﷺ بالنهار التطوع، قال : فقال على : إنكم لن تطيقوها ، قال : فقالوا: أخبرنا بها فنأخذ منها ما أطقنا ، قال : فقال : كان إذا ارتفعت الشمس من مشرقها فكانت كهيئتها من المغرب من صلاة العصر صلى ركعتين ، فإذا كانت من المشرق وكهيئتها من الظهر من المغرب صلى أربع ركعات وصلى قبل الظهر أربع ركعات يسلم فى كل ركعتين على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين .

(٦٠٣) حديث : « صلى بين العشاءين ست ركعات » **قال العراقى** : رواه ابن منده فى الصحابة والطبرانى فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وللترمذى وضعفه من حديث أبى هريرة: من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة .اهـ.

قال مرتضى : أما حديث عمار بن ياسر فلفظه: من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر. وحديث أبى هريرة المتقدم ذكره قد أخرجه ابن ماجه أيضا، وقال الترمذى : غريب . وقد ورد فى فضل من صلى بعد المغرب ركعتين فأكثر أحاديث ، وأنا=

عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة : ١٦) . وقد روى عنه ﷺ أنه قال : «من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين» (٦٠٤).

= أوردها على الترتيب: أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال : حدثنا عبد العزيز بن عمر، قال : سمعت مكحولا يقول: قال رسول الله ﷺ : « من صلى ركعتين بعد المغرب- يعني قبل أن يتكلم - رفعت صلاته في عليين ».

قال مرتضى : وأخرجه سعيد بن منصور في سننه ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن مكحول بلاغا ولم يقولا يعني ، وأخرج ابن النجار في التاريخ عن أنس: من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى بالحمد وقل يا أيها الكافرون ، وفي الركعة الثانية بالحمد وقل هو الله أحد؛ خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها . وأخرج ابن شاهين عن أبي بكر ﷺ : من صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم أسكنه الله في حظيرة القدس، فإن صلى أربعًا كان كمن حج حجة بعد حجة ، فإن صلى ستًا غفر له ذنوب خمسين عامًا . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر: من صلى بعد المغرب أربع ركعات كان كمن عقب غزوة بعد غزوة في سبيل الله. وأخرج ابن صهري في أماليه وابن عساكر في التاريخ عن ابن عمر: من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة. وفيه محمد بن غزوان الدمشقي منكر الحديث . وأخرج الديلمي عن ابن عباس: من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدًا رفعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وهي خير من قيام نصف ليلة . وأخرج أبو محمد السمرقندي في فضائل قل هو الله أحد ، عن أبان عن أنس: من صلى بعد المغرب ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد أربعين مرة صافحته الملائكة ، ومن صافحته الملائكة يوم القيامة أمن الصراط والحساب والميزان . وأخرج ابن ماجه عن عائشة: من صلى ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة. وفي السداسيات لنظام الملك عن أبي هدبة عن أنس: من صلى عشرين ركعة بين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد حفظه الله في نفسه وأهله وماله ودنياه وآخرته. وأخرجه أبو محمد السمرقندي في فضائل قل هو الله أحد عن جرير بلفظ: بنى الله له في الجنة قصرين لا فضل فيهما ولا وهم. وفيه أحمد بن عبيد صدوق له مناكير .

(٦٠٤) حديث : « من صلى ما بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين » **قال العراقي :** رواه ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنكدر مرسلا . اهـ .

قال مرتضى : وكذا رواه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل عنه مرسلا، وفي القوت: أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي ﷺ قال: من صلى. . .ثم ساقه .اهـ. وأبو صخر هو حميد بن زياد الخراط المدني اختلف فيه ، والمراد بالأوابين هم الرجاعون إلى الله بالتوبة والإخلاص في الطاعة وترك متابعة الهوى، أو المسبحون أو المطيعون ، وإنما أضاف=

وقال ﷺ : « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقًا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام، ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الأرض لوسعهم »(٦٠٥). وسيأتى بقية فضائلها فى كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

★ ★ ★

= الصلاة فى هذا الوقت إليهم لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة خصوصًا إذا كان ذا كسب وحرفة أو إلى الاشتغال بالأكل والشرب كما جرت به عادة أهل الزمان فصرفها حين ذاك إلى الطاعة والاشتغال فيه بالصلاة أوبٌ من مراد النفس إلى مرضاة الرب تعالى ، وقد لوحظ هذا المعنى أيضًا فى صلاة الضحى فإنها بإزاء هذا الوقت فلذلك ورد: صلاة الضحى صلاة الأوابين، فافهم .

(٦٠٥) حديث : « من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة كان حقًا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة . . . » الحديث . **قال العراقى** : أخرجه أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغًا من حديث ابن عمر . ا هـ .

قال مرتضى : أورده صاحب القوت عن سعيد بن جبير عن ثوبان رفعه: من عكف نفسه. . . الحديث .

القسم الثاني: ما يتكرر بتكرر الأسابيع

وهى صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد :

(يوم الأحد): روى أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : **« من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبى وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر »** (٦٠٦) .

---

(٦٠٦) حديث : « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب » قال صاحب القوت : روى سعيد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فساقه هكذا، والمراد بسعيد هو المقبرى، **وقال العراقى** : رواه أبو موسى المدينى فى كتاب وظائف الليالى والأيام من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . ا هـ .

قال مرتضى : أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا الحسن بن إبراهيم أخبرنا محمد بن الحسن العلوى أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر حدثنا أبو الفضل الشيبانى حدثنا أبو الحسن بن أبى الحديد حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى أبو صخرة حميد بن زياد عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: من صلى يوم الأحد أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ فى كل ركعة الحمد مرة وآمن الرسول إلى آخرها مرة كتب الله له بكل نصرانى ونصرانية ألف حجة وألف عمرة وبكل ركعة ألف صلاة وجعل بينه وبين النار ألف خندق وفتح له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقضى حوائجه يوم القيامة، ثم قال : وهذا موضوع فيه جماعة مجاهيل . ا هـ . وأورده الحافظ السيوطى فى اللآلىء المصنوعة من طريق الجوزقانى ، أخبرنا محمد بن الحسن العلوى بالسند والمتن، إلا أنه قال فى شيخ ابن وهب أبو صخر حميد بن زياد، وزاد فى المتن بعد عمرة: وألف غزوة، وأقره على قوله أنه موضوع فيه مجاهيل .

قال مرتضى: الحكم على هذا الحديث بالوضع ليس بسديد، وغاية ما يقال إنه ضعيف، وأبو صخر حميد بن زياد روى له الجماعة إلا البخارى والنسائى وهو حميد بن زياد بن أبى المخارق المدنى ويعرف بالخراط، سكن مصر . ويقال فيه أيضا: حميد بن صخر، سئل عنه أحمد فقال: ليس به بأس . واختلف فيه قول ابن معين فقال مرة: هو=

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له، فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ، ثم تشهد وسلم ، ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقًا على الله أن يقضي حاجته » (٦٠٧) .

(يوم الإثنين): روى جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من صلى يوم الإثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة مرة، فإذا سلَّم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى ذنوبه كلها » (٦٠٨)، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى يوم

= ثقة لا بأس به، وقال مرة: أبو صخر حميد بن زياد ضعيف ، وقال النسائي: حميد بن صخر ضعيف، وقال بعضهم : هما اثنان ، وقال ابن عدي: حميد بن زياد أبو صخر الخراط هو عندي صالح الحديث وإنما أنكر عليه هذان الحديثان: المؤمن بألف وفي القدرية، وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيما، ثم قال في موضع آخر: حميد بن صخر سمعت ابن حماد يقول: حميد بن صخر يروى عنه حاتم بن إسماعيل ضعيف، قاله النسائي . وروى له ثلاثة أحاديث ليس فيها الحديثان المتقدمان ، ثم قال : ولحاتم ابن إسماعيل عن حميد بن صخر أحاديث غير ما ذكرته ، وفي بعض هذه الأحاديث عن المقبري ويزيد الرقاشي ما لا يتابع عليه . ا هـ . فالقول ما قاله الحافظ العراقي أن سنده ضعيف ، لا قول ابن الجوزي أنه موضوع وشتان بين الموضوع والضعيف، فافهم .

(٦٠٧) حديث : « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات . . . » الحديث هكذا أورده صاحب القوت قال في أوله: وروينا عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ فساقه، وفيه: ثم تشهد وسلم ، ثم قام فصلى ركعتين ،وفيه سأل الله حاجته،وزاد في آخره: ويبرئه مما كانت النصارى عليه ، **وقال العراقي:** هذا الحديث أيضا ذكره أبو موسى المديني بغير إسناد . ا هـ . ولم يورده ابن الجوزي ولا السيوطي .

(٦٠٨) حديث: « من صلى يوم الإثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة الحديث، قال صاحب القوت : رواه أبو الزبير عن جابر وساق الحديث كما هنا ، **وقال العراقي :** رواه أبو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعًا وهو حديث منكر. =

= **قال مرتضى** : أورده ابن الجوزى فى الموضوعات بزيادة على ما ذكره صاحب القوت والمصنف قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا الحسين بن إبراهيم هو الجوزقانى أخبرنا محمد ابن طاهر الحافظ أخبرنا على بن أحمد البندار (ح) وأنبأنا على بن عبيد الله قال : أخبرنا ابن بندار حدثنا المخلص حدثنا البغوى حدثنا مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم ابن عبد الله عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : من صلى يوم الإثنين أربع ركعات. . . ثم ساقه إلى قوله : غفر الله ذنوبه كلها، وزاد: وأعطاه الله قصراً فى الجنة من درة بيضاء فى جوف القصر سبعة أبيات طول كل بيت ثلاثة آلاف ذراع وعرضه مثل ذلك، البيت الأول من فضة بيضاء والبيت الثانى من ذهب والبيت الثالث من لؤلؤ والبيت الرابع من زمرد والبيت الخامس من زبرجد والبيت السادس من در والبيت السابع من نور يتلألأ وأبواب البيوت من العنبر، على كل باب ألف ستر من زعفران وفى كل بيت ألف سرير من كافور فوق كل سرير ألف فراش فوق كل فراش حوراء خلقها الله تعالى من أطيب الطيب، من لدن رجليها إلى ركبتيها من الزعفران الرطب ومن لدن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن لدن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن لدن عنقها إلى مفرق رأسها من الكافور الأبيض على كل واحدة منهن سبعون ألف حلة من حلل الجنة كأحسن ما رأيت. ثم قال : هذا حديث موضوع بلا شك وكنت أتهم به الحسين بن إبراهيم ، والآن فقد زال الشك لأن الإسناد كلهم ثقات، وإنما هو الذى قد وضع هذا وعمل هذه الصلوات كلها وقد ذكر صلاة ليلة الثلاثاء وصلاة يوم الثلاثاء وصلاة ليلة الأربعاء وصلاة يوم الأربعاء وصلاة ليلة الخميس وصلاة ليلة الجمعة وكل ذلك من هذا الجنس الذى تقدم فأضربت عن ذكره إذ لا فائدة فى تضييع الزمان بما لا يخفى وضعه ولقد كان لهذا الرجل - يعنى به الجوزقانى - حظ من علم الحديث فسبحان من يطمس على القلوب . اهـ .

وأورده الحافظ السيوطى فى اللآلىء المصنوعة هكذا بإسناد الجوزقانى وبتعلية ابن الجوزى ونقل عبارته التى أوردتها ، **وقال: قلت** : قال الحافظ ابن حجر فى اللسان: العجيب أن ابن الجوزى يتهم الجوزقانى بوضع هذا المتن على هذا الإسناد ويسرده من طريقه الذى هو عنده مركب ثم يعليه بالإجازة عن على بن عبد الله وهو ابن الزعفران عن على بن بندار وهو ابن البشرى ولو كان ابن البشرى حدث به لكان على شرط الصحيح إذ لم يسبق للجوزقانى الذى اتهمه به فى الإسناد مدخل وهذه غفلة عظيمة فلعل الجوزقانى دخل عليه إسناد فى إسناد لأنه كان قليل الخبرة بأحوال المتأخرين وجل اعتماده فى كتاب الأباطيل على المتقدمين إلى عهد ابن حبان وأما من تأخر عنه فيعل الحديث بأن رواته مجاهيل وقد يكون أكثرهم مشاهير وعليه فى كثير منه مناقشات، والله أعلم .اهـ.

قال مرتضى : والذى ظهر لى من مجموع ما ذكر يروى عن جابر عن النبى ﷺ بواسطة أبى الزبير عنه كما فى القوت، وعن جابر عن عمر عن النبى ﷺ كما عند أبى موسى، وعن=

الإثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة ، فإذا فرغ قرأ : قل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة واستغفر اثنتى عشرة مرة، ينادى به يوم القيامة: أين فلان بن فلان؟ ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل ، فأول ما يُعطَى من الثواب ألف حُلة ويتوج ويقال له: ادخل الجنة، فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ » (٦٠٨ مكرر) .

= ابن عمر كما عند الجوزقانى فالذى رواه أبو الزبير عن جابر القدر الذى ذكره المصنف تبعًا لصاحب القوت وليست فيه الزيادة المذكورة التى فى حديث ابن عمر، فلعل إنكار ابن الجوزى على الجوزقانى بسبب تلك الزيادة التى لا تخفى على من له مساس بالعلم أنها موضوعة على النبى ﷺ ، إذًا حديث أبى الزبير عن جابر لا نحكم عليه بأنه موضوع بل ضعيف، والله أعلم .

(٦٠٨مكرر) حديث : « من صلى يوم الإثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة، فإذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة واستغفر الله اثنتى عشرة مرة » هكذا أورده صاحب القوت ، وقال ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . . . فساقه ، **وقال العراقى** : رواه أبو موسى المدينى بغير إسناد وهو منكر .اهـ.

ورأيت طرة بخط الإمام شمس الدين الحريرى ابن خال القطب الخيضرى على هامش نسخة الإحياء ما نصه: قد صنف الشيخ أبو الحسن على بن يوسف الهكارى المعروف بشيخ الإسلام كتابًا سماه بفضائل الأعمال وأوراد العمال، ذكر فيه عجائب وغرائب من هذه الأحاديث ومن غيرها مرتبة على الليالى والأيام بأسانيد مظلمة إذا نظر العارف فيها قضى العجب وساقها بأسانيد له . وقد ذكره الذهبى في ميزانه ، وذكر عن ابن عساكر أنه لم يكن موثوقًا به وذكره ابن السمعانى فى الأنساب وذكر شيوخه ووفاته بعد الثمانين وأربعمائة فلعل الغزالى نقل عنه .اهـ.

قال مرتضى : هذا الرجل قد ذكره الذهبى أيضًا فى العبر ،فقال: شيخ الإسلام الهكارى أبو الحسن على بن أحمد بن يوسف الأموى من ذرية عتبة بن سفيان بن حرب وكان صالحًا زاهدًا ربانيا ذا وقار وهيبة وأتباع ومريدين دخل فى الحديث وسمع من أبى عبد الله بن نظيف الفراء وأبى القاسم بن بشران وطائفة ، قال ابن ناصر: توفى فى أول سنة ٤٨٦ ، وقال ابن عساكر: لم يكن موثقًا فى روايته قال الذهبى: مولده سنة ٤٠٩ .ا هـ . وأما ما ذكر من أن الغزالى أخذ منه فليس ببعيد ولكن الصحيح أن الغزالى فى سياق ما يذكر فى كتابه من هذه الأحاديث وغيرها تابع لأبى طالب المكى صاحب القوت قاصر نظره عليه لا يكاد يتعداه كما يعلم ذلك من نظر فى الكتابين، والله أعلم .

(يوم الثلاثاء): روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال ﷺ : « **من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار - وفي حديث آخر: عند ارتفاع النهار- يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي، مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما، فإن مات إلى سبعين يومًا مات شهيدًا وغفر له ذنوب سبعين سنة** »(٦٠٩).

(يوم الأربعاء): روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، والمعوذتين ثلاث مرات ، نادى منادٍ عند العرش: يا عبد الله استأنف العمل فقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورُفع له من يومه عمل نبي** »(٦١٠) .

---

(٦٠٩) حديث : « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار. . . » هكذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقي** : رواه أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه .اهـ. وأشار ابن الجوزي إلى أن صلاة يوم الثلاثاء من وضع الجوزقاني ولم يذكرها.

(٦١٠) حديث : « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات . . . » الحديث أورده صاحب القوت من غير ذكر المعوّذتين ، **وقال العراقي:** رواه أبو موسى المديني وقال : رواته ثقات والحديث مركب .

قال مرتضى : بل فيه ابن حميد غير مسمي وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين .اهـ.

وقال : قال الذهبي في الكاشف: محمد بن حميد الرازي الحافظ عن يعقوب التميمي وجرير وعنه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومحمد بن جرير وخلق وثقه جماعة وقال يعقوب ابن شيبة: كثير المناكير ، وقال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة ،مات سنة ٢٤٨ وقال في الديوان: محمد بن حميد بن حيان الرازي عن ابن المبارك كذبه أبو زرعة ، وقال صالح جزرة : ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن الشاذكوني . اهـ . وأشار ابن الجوزي إلى أن صلاة يوم الأربعاء من وضع الجوزقاني ولم يذكرها .

(يوم الخميس) :عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسى مائة مرة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ، ويصلي على محمد مائة مرة، أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان، وكان له من الثواب مثل حاج البيت، وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة** »(٦١١).

(يوم الجمعة) : روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « **يوم الجمعة صلاة كله، ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا كتب الله له مائتى حسنة ومحا عنه مائة سيئة، ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة، ومن صلى ثمانى ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ، ومن صلى ثنتى عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتى حسنة ومحا عنه ألفين ومائتى سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتى درجة** »(٦١٢) ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال : « **من دخل الجامع يوم الجمعة**

---

(٦١١) حديث : « من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب. . .» الحديث . كذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقى** : رواه أبو موسى المدينى بسند ضعيف .اهـ. وأشار ابن الجوزى إلى أن صلاة يوم الخميس من وضع الجوزقانى ولم يذكرها، وقوله منظور فيه .

(٦١٢) حديث : « يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام . . .» الحديث. أورده في القوت وقال : روينا عن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يوم الجمعة صلاة كله . . . فساق الحديث. **وقال العراقى** : لم أجد له أصلا وهو باطل . اهـ .

ووجدت في طرة الكتاب ما نصه: هو في قربان المتقين لأبى نعيم بمعناه وإسناده متروك.اهـ. وأورد ابن الجوزى حديثًا آخر في فضل سبحة الضحى يوم الجمعة ، أخرجه من طريق ابن الضريس عن الفضيل بن عياض الثورى عن مجاهد عن ابن عباس رفعه: من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد عشر مرات والمعوذتين عشراً عشراً وقل هو الله أحد عشراً وقل يا أيها الكافرون عشراً وآية الكرسى عشراً ، فإذا فرغ يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم=

فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ فى كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له » (٦١٣).

= سبعين مرة ، ثم يقول : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنوب وأتوب إليه سبعين مرة فمن فعل هكذا على ما وصف دفع الله عنه شر الليل والنهار وشر أهل السماء وأهل الأرض وشر كل سلطان جائر وشيطان مارد والذى بعثنى بالحق لو كان عاقا لوالديه لرزقه الله برهما وغفر له. ثم ذكر من هذا الجنس ثوابًا طويلا يضيع الزمان بذكره إلى أن قال : والذى بعثنى بالحق إن له ثوابًا كثواب إبراهيم وموسى وعيسى ويحيى ولا تقطع له طريق ولا يفرق له متاع ، ثم قال : هذا حديث موضوع بلا شك قبح الله واضعه، فما أبرد هذا الوضع وأسمجه وفيه مجاهيل أحدهم قد عمله .اهـ.

(٦١٣) حديث : « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ فى كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » أورده صاحب القوت هكذا . **وقال العراقى :** رواه الدارقطنى فى غرائب مالك ، وقال : لا يصح، وعبد الله بن واصف مجهول ورواه الخطيب فى الرواة عن مالك ، وقال : غريب جدا لا أعلم له وجهًا غير ذلك .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن الجوزى فى الموضوعات فقال : أخبرنا محمد بن ناصر أخبرنا أبو على بن البناء أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمران العلاف أخبرنا أبو القاسم القاضى حدثنا على بن بندار حدثنا أبو سالم محمد بن سعيد حدثنا الحسن عن وكيع بن الجراح عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة واحدة وخمسا وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق وفى الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الناس خمسًا وعشرين مرة فإذا سلم قال : لا حول ولا قوة إلا بالله خمسين مرة فلا يخرج من الدنيا حتى يرى ربه عز وجل فى المنام ويرى مكانه فى الجنة أو يرى له . ثم قال: هذا حديث موضوع وفيه مجاهيل لا يعرفون ، وأورده السيوطى وأقره على ذلك ولا أدرى ما معنى قوله فيه مجاهيل، ليث بن أبى سليم معروف والكلام فيه مشهور وشيخه مجاهد من المشاهير والحسن الذى روى عن وكيع هو الحسن بن على الهذلى الحلوانى الخلال الحافظ روى له الجماعة خلا النسائى ومحمد بن سعيد هو المصلوب الشامى تكلم فيه ، فغاية ما يقال إن الحديث ضعيف فيه ليث والمصلوب وإنما ذكرت هذا الحديث هنا لأنه أقرب إلى سياق الحديث الذى أورده المصنف تبعًا لصاحب القوت ولو اختلفا فى المخرج والعدد، والله أعلم .

وأورد ابن الجوزى أيضًا من وجه آخر عن أبان بن أبى عياش عن أنس مرفوعًا: من كانت له إلى الله حاجة فليقدم بين يدى نجواه صدقة ثم يدخل يوم الجمعة إلى الجامع فيصلى اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى عشر ركعات فى كل ركعة الحمد مرة وآية الكرسى عشر مرات ويقرأ فى =

(يوم السبت) : روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات فإذا فرغ قرأ آية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ، ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء » (٦١٤).

= الركعتين فى كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة ثم يجلس ويسأل الله حاجته فليس يرده من عاجله أو آجله إلى قضاها له. أبان متروك.

قال مرتضى : قال أحمد : تركوا حديثه وبالغ فيه شعبة حتى قال : لأن يزنى الرجل خير له من أن يروى حديثه، والرجل قد أخرج له أبو داود فى السنن فلا يدخل حديثه فى هذا الموضوع، والله أعلم.

(٦١٤) حديث : « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات. . . » أورده صاحب القوت فقال: سعيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ . . . فساقه ، ولم يتعرض له العراقى فى كتابه.

وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فقال أخبرنا إبراهيم بن محمد الطيبى ، أخبرنا الحسن ابن إبراهيم يعنى الجوزقانى أخبرنا محمد بن عبد الغفار، أخبرنا على بن محمد بن أحمد ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الحنفى أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الفرضى البصرى حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حمويه العسكرى، حدثنا أبو أيوب سليمان ابن عبد الحميد، حدثنا يحيى بن صالح حدثنا إسحاق بن يحيى حدثنا الزهرى عن أبى سلمة أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة الحمد مرة، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته قرأ آية الكرسى مرة كتب الله له بكل يهودى ويهودية عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وبنى الله له بكل يهودى ويهودية مدينة في الجنة وكأنما أعتق بكل يهودى ويهودية رقبة من ولد إسماعيل وكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأعطاه بكل يهودى ويهودية ثواب ألف شهيد ونور الله قلبه وقبره بألف نور وألبسه ألف حلة وستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، وكان يوم القيامة تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء يأكل ويشرب معهم ويدخل الجنة معهم وزوجه الله بكل حرف حوراء وأعطاه الله بكل آية ثواب ألف صديق وأعطاه بكل سورة من القرآن ثواب ألف رقبة من ولد إسماعيل وكتب له بكل يهودى ونصرانى حجة وعمرة ، ثم قال موضوع فيه جماعة مجهولون، قال يحيى: إسحاق بن يحيى ليس بشىء ، وقال أحمد متروك .اهـ.

=

(وأما الليالي) : **(ليلة الأحد)**: روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه ﷺ قال : « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة ، واستغفر الله عز وجل مائة مرة ، واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة، وصلى على النبي مائة مرة ، وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله ، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته ، وإبراهيم خليل الله ، وموسى كليم الله ، وعيسى روح الله، ومحمداً حبيب الله، كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولداً ومن لم يدع لله ولداً، وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمنين، وكان حقًا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين »(٦١٥) .

= وأورده الحافظ السيوطي بهذا السند من طريق الجوزقاني وأقر ابن الجوزي على ما قاله ، وإسحاق المذكور هو ابن يحيى بن طلحة بن عبيد الله . روى عن أعمامه موسى وإسحاق وعائشة وعنه معن بن عيسى وعده ضعيف توفي سنة ست عشرة . روى له الترمذي وابن ماجه والراوي عند يحيى بن صالح الوساطي حافظ ثقة وسليمان بن عبد الحميد البهراني شيخ أبي داود ضعيف فغاية ما يقال في مثل هذا أنه ضعيف لا موضوع وأين المجاهيل فيه فافهمه وأخرج ابن الجوزي حديثًا آخر في صلاة يوم السبت بالسند الآتي : في صلاة ليلة السبت عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا من صلى يوم السبت عند الضحى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة أعطاه الله بكل ركعة ألف قصر من ذهب مكللا بالدر والياقوت في كل قصر أربعة أنهار : نهر من ماء ، ونهر من لبن ، ونهر من خمر ، ونهر من عسل على شط تلك الأنهار أشجار من نور على كل شجرة بعدد أيام الدنيا أغصان على كل غصن بعدد الرمل والثرى ثمار غبارها المسك وتحت كل شجرة مجلس مظلل بنور الرحمن يجتمع أولياء الله تحت تلك الأشجار طوبى لهم وحسن مآب، ثم قال : هذا حديث موضوع وأقره السيوطي ويأتي الكلام على إسناده في صلاة ليلة السبت .

(٦١٥) حديث : « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة » ، أورده صاحب القوت هكذا فقال: عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك مرفوعا فساقه ، وفيه: وصلى على مائة مرة وفيه بعدد من دعا بدل ادعى .

وقال العراقي : رواه أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر ، وروى أيضا من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا .اهـ.

قال مرتضى : أما أربع ركعات فأورده ابن الجوزي في الموضوعات، فقال : أخبرنا إبراهيم ابن محمد أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني ، أخبرنا أحمد بن نصر ، أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن حمدان ، أخبرنا أحمد بن عمر ، حدثنا أبو الحسن أحمد=

(ليلة الإثنين): روى الأعمش عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **من صلى ليلة الإثنين أربع ركعات يقرأ فى الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ، ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسًا وسبعين مرة ، واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسًا وسبعين مرة ، ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل** »(٦١٦) وهى تسمى صلاة الحاجة .

= ابن يونس، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاذوية ، حدثنا محمد بن أبى على ، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سلمة بن وردان عن أنس مرفوعا: من صلى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة أعطاه الله يوم القيامة ثواب من قرأ القرآن عشر مرات ، وعمل بما فى القرآن، ويخرج يوم القيامة من قبره ووجهه مثل القمر ليلة البدر ويعطيه الله بكل ركعة ألف مدينة من لؤلؤ فى كل مدينة ألف قصر من زبرجد فى كل قصر ألف دار من الياقوت فى كل دار ألف بيت من المسك فى كل بيت ألف سرير فوق كل سرير حوراء بين يدى كل حوراء ألف وصيفة وألف وصيف ، ثم قال : هذا حديث مظلم موضوع الإسناد، غامة من فيه مجهول قال يحيى: وسلمة بن وردان ليس بشىء، وقال أحمد بن حنبل: هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان : لا يحتج به، قال أبو حاتم الرازى: وأحمد بن محمد بن عمر كان يضع الحديث كذبًا .اهـ.

قال مرتضى : سلمة بن وردان من رجال الترمذى وابن ماجه سمع أنسا وعنه ابن المبارك والقعنبى وإسماعيل بن أبى أويس ضعفه أحمد كذا فى الكاشف للذهبى ، وقال فى الديوان: ضعفه الدارقطنى وغيره . وأما أحمد بن محمد بن عمر هو ابن يونس اليمامى وضاع، ابن صاعد كان كذابًا .

صلاة أخرى لليلة الأحد أربع ركعات، فبسند ابن الجوزى المتقدم إلى أحمد بن محمد بن عمر، أخبرنا أبو العشاس الفارسى حدثنا أبو أحمد حاتم بن عبد الله بن حاتم ، حدثنا الربيع ابن سليمان المرادى حدثنا عبد الله بن وهب حدثنى مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا: من صلى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد حرم الله لحمه على النار وبعثه الله تعالى يوم القيامة وهو آمن من العذاب ويحاسب حسابًا يسيرًا ويمر على الصراط كالبرق اللامع، ثم قال : وهذا أيضًا موضوع وأكثر رواته مجهول ولم يروه قط مالك ولا ابن وهب ولا الربيع وأورده السيوطى بالسياق المتقدم وقال: أحمد كذاب وشيخه وشيخ شيخه مجهولان .

(٦١٦) حديث : « من صلى ليلة الإثنين أربع ركعات » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى :**=

(ليلة الثلاثاء): « من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم » (٦١٧) .

= هكذا رواه أبو موسى المدينى عن الأعمش بغير إسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشى عن أنس حديثًا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر .اهـ.

قال مرتضى : هذه الست ركعات أخرج حديثها ابن الجوزى فى الموضوعات ، فقال بسنده المتقدم إلى أحمد بن عبد الله الجويبارى عن بشر بن السرى عن الهيثم عن يزيد عن أنس مرفوعًا: « من صلى ليلة الإثنين ست ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وعشرين مرة قل هو الله أحد ويستغفر بعد ذلك سبع مرات أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد وألف زاهد ويتوّج يوم القيامة بتاج من نور يتلألأ ولا يخاف إذا خاف الناس ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ». ثم قال : هذا موضوع وفى إسناده يزيد والهيثم وبشر كلهم مجروح والجويبارى كذاب، وأورده السيوطى وأقره عليه وسيأتى الكلام على بشر فى صلاة ليلة السبت ، وذكر صاحب القوت أيضًا عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى ليلة الإثنين ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة جعل الله عز وجل اسمه فى أصحاب الجنة وإن كان من أصحاب النار، وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة، وإن مات ما بين الإثنين والإثنين مات شهيدًا » .

(٦١٧) حديث : « يصلى ركعتين فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسى ويستغفر الله خمس عشرة مرة » .
هكذا فى سائر النسخ الموجودة بين أيدينا وهو غلط عظيم، وهذه الصلاة فى القوت هى صلاة يوم الإثنين من رواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة كما ذكرتها قبل هذه والظاهر أن هذا من تخبيط النساخ، وذكر صاحب القوت صلاة ليلة الثلاثاء بما نصه فى الخبر: من صلى ليلة الثلاثاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإذا جاء نصر الله عشر مرات بنى الله تعالى له بيتًا فى الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات .ا هـ. ولا يطلع على هذا التخبيط إلا من عرف مأخذ هذا الكتاب فإنك ترى المصنف لا يكاد يتعدى فى تقليده لما فى القوت وينقص من سياقه كثيرًا فيما يتعلق بالآثار والذى يزيد عليه بالنسبة لما ينقصه إما قليلاً أو مساويا له، ولم يتنبه لذلك الحافظ العراقى فقال فى صلاة ليلة الثلاثاء: رواه أبو موسى المدينى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثًا فى صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة . اهـ. وقال ابن الجوزى: المتهم بصلاة ليلة الثلاثاء هو الجوزقانى وهو الذى وضع حديثها .

روى عن عمر رضي الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة » .

(ليلة الأربعاء) : روى عن النبى ﷺ أنه قال « **من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات، وفى الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات، ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات، ثم يصلى على محمد ﷺ عشر مرات؛ نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة**» (٦١٨) ، وفى حديث آخر: « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ فى آخر الركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد؛ يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » . روى عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: **قال رسول الله ﷺ :« من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية، فإذا فرغ من صلاته يقول: جزى الله محمداً عنا ما هو أهله؛ غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار**»(٦١٩) .

(٦١٨) حديث : « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات . . . » الحديث، كذا وجد فى بعض نسخ الكتاب وفى بعض بإسقاط هذا الحديث وهو مذكور فى القوت غير أنه لم يذكر الاستغفار والتسليم وقال فى أوله فى الخبر: من صلى ليلة الأربعاء إلى آخره. **وقال العراقى:** حديث صلاة ليلة الأربعاء ركعتين لم أجد فيه إلا حديث جابر فى صلاة أربع ركعات فيها،رواه أبو موسى المدينى وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة .اهـ. وأشار ابن الجوزى إلى أن صلاة ليلة الأربعاء من وضع الجوزقانى .

(٦١٩) حديث : « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك إلى آخر الآية . . .» هذا الحديث لم يذكره صاحب القوت وإنما اقتصر على الحديث المتقدم، **وقال العراقى:** رواه أبو موسى المدينى بسند ضعيف جداً. انتهى .

ووجد فى بعض نسخ الإحياء ما نصه :« ليلة الأربعاء » روت فاطمة رضي الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفى الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلى على محمد ﷺ عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك=

(ليلة الخميس): قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبى ﷺ : « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات ،فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وإن كان عاقًا لهما، وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصدِّيقين والشهداء(٦٢٠).

(ليلة الجمعة): قال جابر: قال رسول الله ﷺ : « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتى عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها » (٦٢١).

وقال أنس: قال النبى ﷺ : « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة فى جماعة وصلى ركعتى السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة فكأنما

= يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة » . وفى حديث آخر ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ فى آخر ركعتين آية الكرسى ثلاثين مرة وفى الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار. هذا نص النسخة الخاصة وهى من وقف المرحوم الجمالى يوسف ناظر الخاص تغمده الله برحمته وعليها جل اعتماد المصريين وفى غيرها من النسخ الاقتصار على حديث فاطمة رضي الله عنها وفى بعضها الجمع بينه وبين الحديث الأول . والله أعلم .

(٦٢٠) حديث : « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى » هكذا هو فى القوت ، عن أبى صالح عن أبى هريرة وفيه: فقد أدى حقهما **وقال العراقى:** رواه أبو موسى المدينى وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر .اهـ. وأشار ابن الجوزى إلى أن حديث هذه الصلاة من وضع الجوزقانى.

(٦٢١) حديث: « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ...» **قال العراقى:** باطل لا أصل له.اهـ. وقال صاحب القوت: رواه أبو جعفر محمد بن على بن الحسين عن جابر عن النبى ﷺ فساقه، وفى كلام ابن الجوزى ما يدل على أنه من وضع الجوزقانى .

أحيا ليلة القدر» (٦٢٢) وقال ﷺ : « أكثروا من الصلاة عليَّ فى الليلة الغراء و اليوم الأزهر: ليلة الجمعة ويوم الجمعة »(٦٢٣).

---

(٦٢٢) حديث : « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات » أورده صاحب القوت وقال : وروينا عن كثير بن سليم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ . . فساقه مثله ، **وقال العراقى** : الحديث باطل لا أصل له .اهـ . وذكر ابن الجوزى صلاة أخرى لليلة الجمعة من حديث أنس قال : روى عبد الله بن داود الواسطى التمار عن حماد بن سلمة عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك مرفوعا: من صلى ركعتين فى ليلة جمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب وخمس عشرة مرة إذا زلزلت أمنه الله عز وجل عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ، ثم قال : هذا لا يصح ، قال ابن حبان: عبد الله ابن داود منكر الحديث جداً لا يجوز الاحتجاج بروايته فإنه يروى المناكير عن المشاهير . اهـ . وقال الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير : أخرجه أبو سعد الإدريسى فى تاريخ سمرقند وابن النجار والديلمى عن أنس .اهـ. **وقال الحافظ العراقى** في المغني والحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ، ورواه المظفر بن الحسين الأرجانى فى كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن المظفر فى كتاب وصول القرآن للميت ، إلا أن ابن المظفر قال فى حديثه: خمسين مرة ، ورواه الديلمى أيضًا من هذا الوجه ، ومن حديث ابن عباس أيضًا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح فى صلوات أيام الأسبوع ولياليه شيء، والله أعلم .اهـ .

قال مرتضى : وحديث ابن عباس الذى أشار إليه العراقى هو ما قاله الديلمى ، أخبرنا ابن مهرة ، أخبرنا ابن مهران عن المغيرة بن عمرو بن الوليد ، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد الجندى ، أخبرنا يونس بن محمد العذنى ، حدثنا محمد بن الوليد ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن طاوس عن ابن عباس رفعه: من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة وإذا زلزلت الأرض خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة. أورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ، ثم قال : وأورده الحافظ ابن حجر فى أماليه من هذا الطريق ، وقال: غريب وسنده ضعيف وفيه من لا يعرف ، والله أعلم .

(٦٢٣) حديث : « أكثروا من الصلاة عليَّ فى الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة » هكذا أورده صاحب القوت ، **وقال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ، ضعفه ابن معين وابن حبان . ا هـ . وقال الحافظ ابن حجر : متفق على ضعفه ، وقول المصنف: ليلة الجمعة ويوم الجمعة، ليس من لفظ الحديث وإنما زاده صاحب القوت للبيان فتبعه المصنف .

وإنما سمى يوم الجمعة أزهر لكونه يضيء لأهله لأجل أن يمشوا فى ضوئه يوم القيامة، ويدل عليه ما عند الحاكم من حديث أبى موسى : إن الله تعالى يبعث يوم الجمعة يوم القيامة زهراء=

(ليلة السبت): قال أنس : قال رسول الله ﷺ : « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بنى له قصر فى الجنة، وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود، وكان حقًا على الله أن يغفر له »(٦٢٤) .

★ ★ ★

= منيرة لأهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها . . . الحديث ، قال الحاكم: هو شاذ صحيح السند، وأقره الذهبى ،ثم إن الحديث المذكور أخرجه أيضًا ابن عدى عن أنس والبيهقى عن أبى هريرة وسعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى وخالد بن معدان مرسلا وعند البيهقى أيضًا عن أنس بلفظ : أكثروا من الصلاة علىّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة. فيه درست بن زياد وهو ضعيف ، ويزيد الرقاشى وهو متروك .

(٦٢٤) حديث : « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة . . . » أورده صاحب القوت عن كثير بن شنظير عن أنس بن مالك مثله ، **وقال العراقى** : لم أجد له أصلا .

قال مرتضى : وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات من وجه آخر عن يزيد الرقاشى عن أنس فقال: أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الطيبى الفقيه أخبرنا أبو عبد الله الحسين ابن إبراهيم بن الحسين الجوزقانى أخبرنا محمد بن أحمد أخبرنا أبو عمرو محمد بن يحيى ابن الحسن العاصمى حدثنا أبو نصر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن يزيد بن شيبان حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن محبوب حدثنا أبى حدثنا العباس بن حمزة حدثنا أحمد بن عبد الله بن خالد النهروانى عن بشر بن السرى عن الهيثم عن يزيد عن أنس بن مالك مرفوعا: من صلى ليلة السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة وقل هو الله أحد خمسًا وعشرين مرة حرم الله جسده على النار، ثم قال: هذا حديث لا أصل له وغالب رواته مجهولون ويزيد الرقاشى ضعيف والهيثم متروك، قال الحميدى: وبشر بن السرى لا يحل أن يكتب عنه وأحمد بن عبد الله هو الجويبارى الكذاب الوضاع .اهـ. وأقره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة .

وقال مرتضى: لكن البشر بن السرى أبو عمر والأفوه نزيل مكة قال الحافظ ابن حجر: هو ثقة من رجال الصحيح وإنما تكلم فيه الحميدى لأجل المعتقد وقد رجع عنه .اهـ. ويعنى بالمعتقد التجهم وقال أحمد: حدثنا بشر بن السرى ـــ وكان متقنًا للحديث ـــ عجبًا عن سفيان الثورى وذكر عنه حديثًا ثم ذكر حديث ناضرة إلى ربها ناظرة فقال: ما أدرى ما هذا، إيش هذا فوثب به الحميدى وأهل مكة وأسمعوه كلامًا شديدًا فاعتذر بعد فلم يقبل منه وزهد الناس فيه، قال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم :ثبت صالح وقال ابن عدى: له غرائب من الحديث عن الثورى ومسعود وغيرهما وهو حسن الحديث، ممن يكتب حديثه وتقع فى أحاديثه من النكرة لأنه يروى عن شيخ محتمل، فأما هو فى نفسه فلا بأس به روى له الجماعة، والله أعلم .

القسم الثالث : ما يتكرر بتكرر السنين

وهى أربعة : صلاة العيدين ، والتراويح ، وصلاة رجب ، وشعبان.

الأولى صلاة العيدين : وهى سنة مؤكدة من شعائر الدين وينبغى أن يراعى فيها سبعة أمور :

الأول : التكبير ثلاثًا نسقا فيقول :الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع فى صلاة العيد، وفى العيد الثانى يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الأقاويل، ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد .

الثانى : إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه فى الجمعة، والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال، وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج .

الثالث : «أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله ﷺ» (٦٢٥).

---

(٦٢٥) حديث : « يخرج من طريق ويرجع من طريق أخرى هكذا فعل رسول الله ﷺ»
قال العراقى : أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى: أخرجه أحمد والترمذى والحاكم من حديثه أيضًا، وأخرجه البخارى من حديث جابر وقال: حديث جابر أصح. ورواه أبو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، وابن ماجه من حديث سعد القرظى وأبى رافع وابن قانع، وأبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن حاطب، والبزار عن سعد قال الرافعى: صح أن النبى ﷺ كان يذهب إلى العيد من طريق ويرجع من أخرى واختلف فى سببه فقيل: ليتبرك به أهل الطريقين، وقيل ليستفتى فيهما، وقيل: ليتصدق على فقرائهما، وقيل: ليزور قبور أقاربه فيهما، وقيل لتشهد له الطريقان، وقيل: ليزداد غيظ المنافقين، وقيل: لئلا تكثر الزحمة، وقيل: يقصد أطول الطريقين فى الذهاب وأقصرهما فى الرجوع وهذا أظهرها، ثم من شاركه فى المعنى استحب ذلك له وكذا من لم يشارك على الصحيح الذى اختاره الأكثرون وسواء فيه الإمام والمأموم، قال=

«كان ﷺ يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور» (٦٢٦).

= النووى: وإذا لم يعلم السبب استحب التأسى قطعًا. ا هـ. من الروضة. وقال فى المجموع: وأصح الأقوال فى حكمته أنه كان يذهب فى أطولهما تكثيرًا للأجر ويرجع فى أقصرهما لأن الذهاب أفضل من الرجوع وأما قول إمام الحرمين وغيره إن الرجوع ليس بقربة فعورض بأن أجر الخطا يكتب فى الرجوع أيضًا كما ثبت فى حديث أبىّ بن كعب عند الترمذى وغيره، أو خالف لتشهد له الطريقان أو أهلهما من الجن و الإنس ثم ذكر أكثر ما تقدم فى الروضة إلى أن قال: أو ليزور قبور آبائه أو ليصل رحمه أو للتفاؤل بتغيير الحال إلى المغفرة والرضا أو لإظهار شعار الإسلام فيهما أو لغيظ اليهود أو ليرهبهم بكثرة من معه أو حذرًا من إصابة العين فهو فى معنى قول يعقوب عليه السلام لبنيه عليهم السلام: لا تدخلوا من باب واحد ثم قال: ومن لم يشاركه فى المعنى ندب له ذلك تأسيًا به ﷺ كالرمل والاضطباع، واستحب فى الأم أن يقف الإمام فى طريق رجوعه إلى القبلة ويدعو وروى فيه حديثًا. اهـ. فالمذكور فى الروضة معان ثمانية وفى المجموع خمسة، صار الجميع ثلاثة عشر معنى، وقيل: إنما خالف حذرًا من كيد المنافقين فى طريقه أو لأنه كان يتصدق فى ذهابه بجميع ما معه فيرجع فى أخرى لئلا يسأله سائل، واختار الشيخ أبو حامد وابن الصلاح أن مخالفته ﷺ كانت لتخفيف الزحام لوروده فى رواية، والله أعلم.

(٦٢٦) حديث: «وكان ﷺ يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور» جمع عاتق بلا هاء وهى التى عتقت أى بلغت أو خرجت عن خدمة أبويها ومن أن يملكها زوج (وذوات الخدور) أى الستور.

قال العراقى: متفق عليه من حديث أم عطية. اهـ. قال البخارى: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابن أبى عدى عن ابن عون عن محمد قال: قالت أم عطية: أمرنا أن نخرج فنخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور فأما الحيض فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزلن مصلاهم. وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة والبخارى وابن خزيمة من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن يوم الفطر ويوم النحر قالت أم عطية: فقلنا: أرأيت إحداهن لا يكون لها جلباب قال: فلتلبسها أختها من جلبابها. ومعنى قوله من جلبابها أى من جنس جلبابها ويؤيده رواية ابن خزيمة: من جلابيبها، أى مما لا تحتاج إليه أو هو على سبيل المبالغة أى يخرجن ولو كان ثنتان فى ثوب واحد. قال ابن بطال: فيه تأكيد خروجهن للعيد لأنه إذا أمر مَن لا جلباب لها فمن لها جلباب أولى. ا هـ. والحديث عام سواء كن شواب أو ذوات هيئات أم لا والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمَن عليها وبها الفتنة فلا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال فى الطرق ولا فى المجامع، والمروى عن أبى حنيفة أن ملازمات البيوت لا يخرجن، وفى شرح الرافعى أن الصيدلانى ذكر أن الرخصة فى خروج النساء إلى المساجد وردت فى ذلك الوقت، وأما اليوم فيكره لأن الناس قد تغيروا، وروى فى هذا المعنى عن عائشة. اهـ. قال الحافظ ابن حجر كأنه يشير إلى حديث عائشة: لو أدرك النبى ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد وهو متفق عليه. ا هـ. =

الرابـع : المستحب الخروج إلى الصحـراء إلا بمكة وبيت المقدس، فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسـجد ، ويجوز في يوم الصـحو أن يأمر الإمـام رجلا يصلى بالضعـفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين .

الخـامس : يراعى الوقت ، فوقت صلاة العيـد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، ووقت الذبح للضـحايا ما بين ارتفـاع الشمس بقـدر خطبتين وركـعتين إلى آخر اليـوم الثالث عـشر، ويستحب تعـجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخـير صلاة الفطر لأجل تفريق صـدقة الفطر قبلها، هذه سنة رسول الله ﷺ (٦٢٧) .

= وقد عقد أبو بكر بن أبى شيبة بابًا فـيمن رخص في خروج النساء إلى العيدين، ونقل ذلك عن ابن عباس وأم عطية تقدم حديثهما وعن أبى بكر ﷺ، قال: حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العـيـدين وعن علـى مـثله بزيادة : ولم يكن يرخص لـهن في شيء من الخـروج إلا إلى العيدين .

وعن نافع قال : كان عبد الله بن عمر يُخرج إلى العيدين من استطاع من أهله، وعن عائشة قالت : كانـت الكعاب تخرج لرسول الله ﷺ من خـدرها في الفطر والأضحى، وعن عبد الرحمن بن الأسود أن علقمة والأسود كانا يخرجان نساءهما في العيدين ويمنعانهن من الجمعة، ثم قـال: باب من كره خروج النساء إلى العيدين فذكـر عن جرير عن منصور عن إبراهيم قال : يكره خروج النساء في العيدين، ومن وجـه آخر قال : كره للشابة أن تخرج إلى العيـدين وعن نافع أن ابن عمر كان لا يخـرج نساءه في العيدين، وعن عـروة أنه كان لا يدع امرأة من أهله تخـرج إلى فطر ولا إلى أضحى، وعن عبـد الرحمن بن القاسم قـال: كان القاسم أشد شيء على العواتق لا يدعهن يخرجن في الفطر والأضحى .

(٦٢٧) حديث : « ويستـحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخيـر صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قـبلها هذه سنة رسول الله ﷺ » **قال العـراقى** : رواه الشافـعى من رواية ابن الحويرث مرسلا أن النبى ﷺ كتب إلى عمـرو بن حزم وهو بنجران أن عجِّل الأضحى وأخِّر الفطر . اهـ.

قال مرتضى : رواه الشافعى عن إبراهيم بن محمد وهو ضعيف مكشوف الحال، وقال البيـهقى: لم أره أصلا في حـديث عمرو بن حزم ، قـال الحافظ: وفى كتـاب الأضاحى للحســن بن أحمـد البناء من طريق وكـيع عن المعلى بن هـلال عن الأسود بن قـيس عن جندب قال: كان الـنبى ﷺ يصلى بنا يوم الفطر والشمس على قيـد رمحين والأضحى على قيد رمح. والله أعلم .

السادس : فى كيفية الصلاة ، فليخرج الناس مكبرين فى الطريق، وإذا بلغ الإمام المصلَّى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل، ثم ينادى مناد: الصلاة جامعة، ويصلى الإمام بهم ركعتين يكبر فى الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات، يقول بين كل تكبيرتين: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ويقول: وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ﴿ قٓ ﴾ فى الأولى بعد الفاتحة و ﴿ اقْتَرَبَتِ ﴾ فى الثانية، والتكبيرات الزائدة فى الثانية خمس سوى تكبيرتى القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه، ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة، ومن فاتته صلاة العيد قضاها .

السابع : أن يضحى بكبش : « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين، وذبح بيده وقال : بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضحِّ من أمتى » (٦٢٨) وقال ﷺ : « من رأى

---

(٦٢٨) حديث : « ضحَّى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده وقال: بسم الله والله أكبر هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى » وفى بعض النسخ: ضحى بكبش، **وقال العراقى**: متفق عليه دون قوله هذا عنى ... إلخ، من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبى داود والترمذى من حديث جابر، وقال الترمذى: غريب منقطع .اهـ.

قال مرتضى : والذى فى المتفق عليه بزيادة أقرنين بعد أملحين، والأملح الذى فيه بياض وسواد، وقول الترمذى أنه غريب منقطع يشير إلى أنه من رواية عمرو مولى المطلب عن المطلب ورجل من بنى سلمة عن جابر وفيه أنه دعا بكبش فذبحه وقال عنى وعمن لم يضح من أمتى. قال الترمذى: ويقال المطلب لم يسمع من جابر وذكر فى موضع آخر من كتابه: قال محمد: لا أعرف للمطلب سماعًا من أحد من الصحابة إلا قوله: حدثنى من شهد خطبة النبى ﷺ وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لا نعرف له سماعا من أحد من الصحابة. انتهى. كلام الترمذى .

وقال مرتضى : كذا قاله أبو حاتم، وقال محمد بن سعد: لا يُحتج بحديث المطلب لأنه يرسل عن النبى ﷺ كثيرًا وليس له لقاء .اهـ. ومع هذا فمولى المطلب قال فيه ابن معين: ليس بالقوى وليس بحجة أى فلا يصح الاحتجاج بحديثه فافهم ذلك. وأخرج مسلم من حديث عائشة أن النبى ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ فى سواد وينظر فى سواد ويبرك فى السواد فأتى به ليضحى به فقال : يا عائشة هلمى المدية ثم استحديها بحجر ففعلت ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه ثم قال: بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن أمة محمد ثم ضحى.=

هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئًا » (٦٢٩) قال أبو أيوب الأنصارى: « كان الرجل يضحى على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون » (٦٣٠) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت

= وزاد النسائى : ويأكل فى سواد، وروى أصحاب السنن من حديث أبى سعيد وصححه الترمذى وابن حبان وهو على شرط مسلم قاله صاحب الاقتراح ويروى عن عائشة وأبى هريرة أنه ﷺ ضحى بكبشين موجوءين رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى والحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عنهما هذه رواية الثورى، ورواه زهير بن محمد عن ابن عقيل عن أبى رافع أخرجه الحاكم، ورواه حماد بن سلمة عن ابن عقيل عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه أخرجه البيهقى ورواه أحمد والطبرانى من حديث أبى الدرداء، والموجوءين المنزوعى الأنثيين ، وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى من حديث عبادة بن نسى عن أبيه عن عبادة بن الصامت خير الضحية الكبش الأقرن. وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى عن أبى عياش عن جابر أن النبى ﷺ ضحى بكبشين أملحين فلما وجههما قال : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . ﴾ الآيتين. وأبو عياش لا يُعرف .

وقول المصنف: وقال بسم الله والله أكبر هو مأخوذ من الحديث الذى أخرجه مسلم عن عائشة وفى بعض رواياته فسمى وكبر أى قال بسم الله والله أكبر. قال عياض فى الإكمال: ولا خلاف أن بسم الله يجزئ منها . قال ابن حبيب : وكذا لو قال الله أكبر فقط ولا إله إلا الله ولكن ما مضى عليه العمل من بسم الله والله أكبر، وقال نحوه محمد بن الحسن وقوله فى الحديث: اللهم تقبل إلخ أجازة أكثر العلماء اقتداء بفعله ﷺ وكره أبو حنيفة أن يقول شيئًا من ذلك عند الذبح والتسمية ولا بأس به قبل ذلك وكره مالك قولهم: اللهم منك وإليك وقال: هذه بدعة ،وأجاز ذلك الحسن وابن حبيب قال القاضى فى الإكمال: وفى قوله اللهم تقبل إلخ حجة لمالك ومن وافقه فى تجويز الرجل الذبح عنه وعن أهل بيته الضحية وإشراكهم فيها مع استحباب مالك أن تكون واحدة عن كل واحد وكان الثورى وأبو حنيفة وأصحابه يكرهون ذلك وقال الطحاوى: لا يجزئ وزعم أن الحديث فيه منسوخ أو مخصوص .اهـ.

(٦٢٩) حديث: « من رأى هلال ذى الحجة وأراد أن يضحى فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أم سلمة .اهـ .

قال مرتضى : وفى لفظ لمسلم: إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من شعره وبشره شيئًا. قال الحافظ: واستدركه الحاكم فوهم وأعله الدارقطنى بالوقف رواه الترمذى وصححه .اهـ .

(٦٣٠) **قال أبو أيوب الأنصارى:** « كان الرجل يضحى على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته فيأكلون ويطعمون » **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه من حديثه، قال الترمذى: حسن صحيح .اهـ.

فيه الرخصة بعد النهى عنه. وقال سفيان الثورى: يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات، وقال: هو من السنة (٦٣١) .

الثانية التراويح : وهى عشرون ركعة، وكيفيتها مشهورة، وهى سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين ،واختلفوا فى أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد ، وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال : أخاف أن توجب عليكم (٦٣٢) وجمع عمر ؓ الناس

(٦٣١) **قال سفيان الثورى** : « يستحب أن يصلى بعد عيد الفطر اثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ستا وقال هو من السنة » **قال العراقى** : لم أجد له أصلا فى كونه سنة وفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا فى قول التابعى من السنة كذا والصحيح أنه موقوف، فأما قول تابع التابعين كذلك كالثورى فإنه مقطوع .اهـ.

قال مرتضى : لكن أخرج أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف عن جماعة من السلف أنهم كانوا يصلون بعد العيد أربعا، منهم ابن مسعود وعلى وبريدة ؓ وسعيد بن جبير وإبراهيم وعلقمة والأسود ومجاهد وعبد الرحمن بن أبى ليلى والحسن وابن سيرين وقد تقدم شىء من ذلك عنهم .

(٦٣٢) حديث : « خرج رسول الله ﷺ فى صلاة التراويح ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج، وقال: أخاف أن توجب عليكم » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ: خشيت أن تفرض عليكم .اهـ.

قال مرتضى :لفظ المتفق عليه من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ خرج ليلة فى جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته ،فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف علىّ مكانكم ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك. وعند البخارى من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ صلى فى المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال : قد رأيت الذى صنعتم ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم. وفى مسند أحمد من حديث عائشة: كان الناس يصلون فى المسجد فى رمضان بالليل ارزا ما يكون مع الرجل الشىء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو السبعة أو أقل أو أكثر يصلون بصلاته، قالت: فأمرنى رسول الله ﷺ أن أنصب حصيرا على باب حجرتى ففعلت فخرج إليهم بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من فى المسجد فصلى وذكرت=

عليها فى الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحى، فقيل: إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولأنه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع، وقيل: الانفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين، فإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة، وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معًا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة، ولقوله ﷺ : « **فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت** » (٦٣٣) وروى أنه

= القصة بمعنى ما تقدم من حديثها أو قريب منه، ورواه أبو داود قريبا منه وفيه قال: يعنى النبى ﷺ - أيها الناس أما - والله ما بت ليلتى هذه بحمد الله غافلا ولا خفى علىّ مكانكم وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا ناس فى رمضان يصلون فى ناحية المسجد، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل هؤلاء أناس ليس معهم قرآن وأبى بن كعب يصلى وهم يصلون بصلاته فقال النبى ﷺ : أصابوا ونعم ما صنعوا. وفى إسناده مسلم بن خالد الزنجى ضعفه المحدثون، والشافعى يوثقه .

(٦٣٣) حديث : « فضل صلاة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت » .

قال العراقى : رواه آدم بن أبى إياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى ﷺ موقوفا، وفى سنن أبى داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت: صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا إلا المكتوبة .اهـ .

قال مرتضى : ولفظ أبى يعلى فى مسنده: صلوا أيها الناس فى بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة. وروى الدارقطنى فى الأفراد من حديث أنس وجابر: صلوا فى بيوتكم ولا تتركوا النوافل فيها. وروى الطبرانى فى الكبير من حديث صهيب بن النعمان: فضل صلاة الرجل فى بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة. وفى رواية: فضل صلاة التطوع، ورواه أبو الشيخ فى الثواب بلفظ: صلاة التطوع حيث لا يراه من الناس أحد مثل خمس وعشرين صلاة حيث يراه الناس . قال الذهبى فى التجريد: صهيب بن النعمان له حديث رواه عنه هلال بن يساف فى الطبرانى تفرد به قيس بن الربيع . اهـ . وقال الهيثمى فيه محمد بن مصعب القرقسانى ضعفه ابن معين وغيره ووثقه أحمد، وعند ابن السكن عن ضمرة بن حبيب عن أبيه بلفظ: فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده خمس وعشرون درجة وفضل صلاة التطوع فى البيت على فعلها فى المسجد كفضل صلاة الجماعة على المنفرد .

=

ﷺ قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى، وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله »(٦٣٤) - عز وجل - وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه

= **وقال مرتضى :** وضمرة بن حبيب الزبيدى الحمصى عن عوف وشداد بن أوس وأبى أمامة وعنه أرطاة بن المنذر ومعاوية بن صالح وطائفة وثَّقه ابن معين روى له الأربعة أصحاب السنن، وقوله عن أبيه هكذا هو فى نسخ الجامع الصغير للسيوطى، وقال فى الجامع الكبير: رواه ابن عساكر عن عبد العزيز بن ضمرة بن حبيب عن أبيه عن جده، وقال أبو بكر بن أبى شيبة في المصنف: حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: تطوع الرجل فى بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الرجل فى جماعة على صلاته وحده .

(٦٣٤) حديث : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة فى غيره من المساجد، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى، وأفضل من ذلك كله رجل يصلى فى زاوية بيته ركعتين لا يعلم بهما إلا الله » **قال العراقى :** أخرجه أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب الثواب من حديث أنس: صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة، وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، والصلوات بأرض الرباط تعدل بألفى صلاة، وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل. وإسناده ضعيف، وذكر أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الأوزاعى قال: دخلت على يحيى فأسند لى حديثا فذكر الحديث الذى ذكره المصنف إلا أنه قال فى الأول: ألف، وفى الثانى مائة . اهـ.

قال مرتضى : أما صدر الحديث الذى أورده المصنف فقد رواه أبو يعلى والطحاوى وابن حبان والضياء من حديث أبى سعيد: صلاة فى هذا المسجد أفضل من مائة صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام. وأما حديث: صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، فأخرجه أحمد وابن أبى شيبة وابن منيع والرويانى وابن خزيمة وأبو نعيم عن جبير بن مطعم ورواه الأولان أيضًا وأبو مسلم وأبو داود والنسائى عن ابن عمر، ورواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان عن أبى هريرة، ورواه ابن أبى شيبة ومسلم والنسائى عن ابن عباس عن ميمونة أم المؤمنين، ورواه أحمد وأبو يعلى والضياء عن سعد بن أبى وقاص، ورواه الشيرازى فى الألقاب عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه ابن أبى شيبة عن عائشة، ورواه أحمد وأبو عوانة والطبرانى والحاكم والبارودى وابن قانع والضياء عن يحيى بن عمران بن عثمان بن أرقم الأرقمى عن عمه عبد الله بن عثمان عن جده عثمان بن أرقم عن الأرقم، ومما يناسب لما أورده المصنف ما رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن حفص بن غياث عن عاصم عن أبى عثمان قال: اشترى رجل حائطا فى المدينة فربح فيه=

فى الجمع ويأمن منه فى الوحدة، فهذا ما قيل فيه، والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر ﷺ ، فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التى تظهر، وأما الالتفات إلى الرياء فى الجمع والكسل فى الانفراد فعدول عن مقصود النظر فى فضيلة الجمع من حيث إنه جماعة، وكأن قائله يقول: الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء، فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب فى الوحدة، فيجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد، ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الأخير من رمضان .

أما صلاة رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى علىَّ سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله ، ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال فى السجدة الأولى ثم يسأل حاجته فى سجوده فإنها تقضى** » ، قال رسول الله ﷺ : « **لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار** » (٦٣٥) . فهذه

= مائة نخلة كاملة، فقال النبى ﷺ : الا أخبركم بأفضل من هذا، رجل توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فى غار أو سفح جبل أفضل ربحا من هذا .

(٦٣٥) حديث « صلاة رجب » **قال العراقى** : أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع . ا هـ. وقال ابن الجوزى: موضوع على رسول الله ﷺ وقد اتهموا به ابن جهضم ونسبوه إلى الكذب، وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول رجاله مجهولون وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم. اهـ. وأقره الحافظ السيوطى على ما قال فى اللآلىء المصنوعة قال ابن=

= الجوزى: ولقد أبدع من وضعها فإنه يحتاج من يصليها أن يصوم وربما كان النهار شديد الحر فإذا صام لم يتمكن من الأكل حتى يصلى المغرب ثم يقف فيها ويقع فى ذلك التسبيح الطويل والسجود الطويل فيتأذى غاية الأذى وإنى لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه بل هذه عند العوام أعظم وأحلى فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات . ا هـ. وممن حكم بوضعها الإمام سراج الدين أبو بكر الطرطوشى من أئمة المالكية والعز بن عبد السلام وفتوى الأخير فيها ومعارضته لابن الصلاح وأمر سلطان دمشق بمنع الناس عنها جماعة مشهور، ولفظ الطرطوشى: صلاة الرغائب موضوعة على رسول الله ﷺ وكذب عليه وكذا حكم بوضعها الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه العلم المشهور فى الأيام والشهور، وكذا الإمام النووى فقال: هذه الصلاة بدعة مذمومة منكرة قبيحة ولا تغتر بذكرها فى كتاب قوت القلوب والإحياء وليس لأحد أن يستدل على شرعيتها بما روى عنه ﷺ أنه قال: الصلاة خير موضوع فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجوه، وقد صح النهى عن الصلاة فى الأوقات المكروهة .اهـ. واقتفاهم فى ذلك العلامة البرهان الحلبى شارح المنية من أصحابنا المتأخرين فنقل أن التنفل بالجماعة إذا كان على سبيل التداعى مكروه ماعدا التراويح والكسوفين والاستسقاء، ورتب على ذلك أن صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب بالجماعة بدعة مكروهة ونقل عن حافظ الدين البزازى شرعا فى نفل وأفسداه واقتدى أحدهما بالآخر فى القضاء لا يجوز لاختلاف السبب وكذا اقتداء الناذر بالناذر لا يجوز، ومن هذا كره الاقتداء فى صلاة الرغائب وصلاة البراءة وليلة القدر ولو بعد النذر إلا إذا قال نذرت كذا ركعة بهذا الإمام بالجماعة لعدم إمكان الخروج عن العهدة إلا بالجماعة ولا ينبغى أن يتكلف الالتزام ما لم يكن فى مصدر الأول كل هذا التكليف لإقامة أمر مكروه وهو أداء النفل بالجماعة على سبيل التداعى فلو ترك أمثال هذه الصلوات تارك ليعلم الناس أنه ليس من الشعائر فحسن .اهـ. ثم نقل عن ابن الجوزى والطرطوشى ما أسلفنا ذكره ثم قال: وقد ذكروا لكراهتها وجوها منها فعلها بالجماعة وهى نافلة ولم يرد بها الشرع ومنها تخصيص سورتى الإخلاص والقدر ولم يرد به الشرع ومنها تخصيص ليلة الجمعة دون غيرها وقد ورد النهى عن تخصيص ليلة يوم الجمعة دون غيرها ، وقد ورد النهى عن تخصيص يوم بصيام وليلته بقيام، ومنها أن العامة يعتقدونها فرضا وكثير منهم يتركون الفرائض ولا يتركونها وهى المصيبة العظمى، ومنها أن فعلها يغرى قاصد وضع الأحاديث بالوضع والافتراء على النبى ﷺ : ومنها أن الاشتغال بعد السور مما يخل بالخشوع وهو مخالف للسنة ومنها أن فى صلاة الرغائب مخالفة للسنة فى تعجيل الفطر، ومنها أن سجدتيها مكروهتان إذ لم يشرع التقرب بسجدة منفردة بلا ركوع غير سجدة التلاوة عند أبى حنيفة ومالك وعند غيرهما غيرهما وغير سجدة الشكر، ومنها أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين لم ينقل عنهم فعل هذه الصلاة فلو كانت مشروعة لما فاتت السلف وإنما حدثت بعد الأربعمائة .اهـ. =

صلاة مستحبة وإنما أوردناها فى هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد، ولكن رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها .

وأما صلاة شعبان : فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات، وكان

= وهو كلام حسن وإن كان فى بعض ما أورده من الوجوه محل نظر وتأمل، ففى أداء النفل جماعة اختلاف فى المذهب وقد سبق النسفى البزازى بالجواز وتخصيص بعض السور فى بعض صلوات معينة قد ورد به الشرع ومن طالع كتب الحديث عرف ذلك،وكذا تخصيص بعض الليالى بالقيام وبعض الأيام بالصيام ورد به الشرع، وإن قلنا بالكراهة فهى تنزيهية كما صرح به العلماء وكون أن العامة يعتقدونها فرضا لازما لا يتجه به الكراهة فإنهم إذا فهموا من ذلك خلاف ما يفهمه الخاصة كان ذلك لتقصيرهم وسوء فهمهم فطريقهم أن يسألوا ويتفهموا، وما علينا من العامة إذا غلطوا فى فهمهم ولو جئنا ننظر إلى هذا لغيرنا أوضاعا شرعية كثيرة، وكون أن فعلها يغرى واضع الأحاديث على وضعها فهذا قد قفل بابه من بعد الثلاثمائة فلا تكون هذه الملاحظة وجها لكراهتها وكون أن الاشتغال بعد السور مما يخل بالخشوع ففيه خلاف والأشهر جوازه فى النوافل، وما ذكر أن تعجيل الإفطار فيها مما يخالف السنة هو غريب بل السنة قاضية على استحباب التعجيل فى الإفطار وكراهة تأخيره إلى اشتباك النجوم، وأما كراهة السجدة المنفردة فمسلم إلا أن المدعى يقول لم لا يجوز أن تكون هذه السجدة شكرا لنعمة الله تعالى على رأى من يجوز ذلك، وقوله إن الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم ينقل عنهم أنهم صلوها فاعلم أنه لا يلزم من عدم فعلهم لها على الطريقة المعهودة كراهتها أو عدم ورودها ثم هى من التطوعات من شاء صلاها ومن شاء تركها، وقوله إنما حدث بعد الأربعمائة وكأنه يريد شهرة أمرها عملا وإلا فأبو طالب المكى قد نوه بشأنها فى قوت القلوب ووفاته سنة ٣٨٣ وينظر إلى قول ابن الجوزى حيث قال: إن المتهم بوضعها على بن عبد الله بن جهضم وليس هو فى سند أبى طالب المكى بل هو إن لم يكن متأخراً عنه فى الزمن فهو معاصر له وهو مع ذلك ليس من الوضاعين، قال الذهبى فى الديوان: ليس بثقة، فغاية ما يقال فى حديثه أنه ضعيف لا موضوع فكم من رجل غير ثقة وحديثه لا يدخل فى حيز المنكر، وإن كان المتهم بوضعها آخر غير ابن جهضم فلا أدرى، وباقى رجاله من فوق ابن جهضم على بن محمد بن سعيد البصرى وأبوه وخلف بن عبد الله لم أر من ذكرهم فى الضعفاء فتأمل ذلك بإنصاف، والله أعلم . وقد ذكر ابن الجوزى أيضًا فى الموضوعات صلاة لأول ليلة فى رجب وصلاة لنصف رجب أعرضنا عن ذكرهما لأن المشهور بالرغائب هى الصلاة التى ذكرها المصنف لا غير .

السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة، روى عن الحسن أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى ﷺ أن من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة (٦٣٦).

★ ★ ★

(٦٣٦) حديث : « صلاة شعبان» **قال العراقى** : حديث صلاة ليلة النصف باطل، ولابن ماجه من حديث على: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها. وإسناده ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه وزاد: فإن الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء فيقول: ألا مستغفر أغفر له، ألا مسترزق أرزقه حتى يطلع الفجر. وفى إحياء ليلة النصف أحاديث وردت من طرق كثيرة وأما حديث صلاتها الذى أورده المصنف فقد أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات فقال : أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا أبو على الحسن ابن أحمد بن الحسن الحداد أخبرنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرى أخبرنا أبو عمرو عبد الرحمن بن طلحة الطلحى أخبرنا الفضل بن محمد الزعفرانى حدثنا هارون بن سليمان حدثنا على بن الحسن عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد عن على بن أبى طالب رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال يا على من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ما من عبد يصلى بهذه الصلاة إلا قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة ثم أطال فى الثواب من هذا الجنس قدر صفحة تركت ذكره، ثم قال: هذا حديث لا شك أنه موضوع ورواته مجاهيل وفيهم ضعفاء .

القسم الرابع من النوافل : مايتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسع

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك، فنذكر منها ما يحضرنا الآن .

« الأولى صلاة الخسوف » : قال رسول الله ﷺ : **« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فانزعوا إلى ذكر الله والصلاة »** (٦٣٧) قال

---

(٦٣٧) حديث : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فانزعوا إلى ذكر الله والصلاة » أخرجه البخارى ومسلم فى الصلاة، كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة، ولفظ البخارى: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان أبو معاوية عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم ، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله. وأخرجه أبو بكر بن شيبة فى المصنف عن مصعب بن المقدام: أخبرنا زائدة قال : قال زياد بن علاقة سمعت المغيرة بن شعبة يقول: انكسفت الشمس فى عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينكشف. وأخرجه البخارى فى باب الدعاء في الخسوف عن أبى الوليد حدثنا زائدة حدثنا زياد ابن علاقة فساقه مثله سواء إلا أنه قال: حتى ينجلى، وهذه الصلاة رواها البخارى فى صحيحه أيضًا من حديث أبى بكرة وابن مسعود وابن عمر وعائشة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأسماء بنت أبى بكر وأبى موسى الأشعرى فهؤلاء مع المغيرة بن شعبة تسعة. وفى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة من حديث ابن مسعود والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمرو وابن عباس وعائشة وجابر والسائب بن مالك وعلى بن أبى طالب وأبى بكرة وأسماء وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وابن عمر والمغيرة بن شعبة ﷺوفى سياق أحاديثهم طول كثير ولكن نشير إلى بعض ذلك ففى حديث أبى بكرة عند البخارى: إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم. وفى رواية أخرى عنه: لا ينكسفان لموت أحد ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده. وفى حديث ابن مسعود عنده: لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا وفى رواية أخرى عنه: فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة. وفى حديث ابن عمر عنده: لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل فإذا رأيتموهما فصلوا. وفى حديث عائشة عنده:=

ذلك لما مات ولده إبراهيم وكسفت الشمس، فقال الناس: إنما كسفت لموته . والنظر فى كيفيتها ووقتها : أما الكيفية فإذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى: الصلاة جامعة، وصلى الإمام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلهما أطول من أواخرهما ، ولا يجهر فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفى الثانية الفاتحة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد، ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ، ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية وفى الثانى قدر ثمانين وفى الثالث قدر سبعين وفى الرابع قدر خمسين ، وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة، ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها ليلية. فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء، ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة، وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لأن الليل كله سلطان القمر، فإن انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة، ومن أدرك الركوع الثانى مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول .

= لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا. وفى رواية أخرى لها عنده: لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة. وفى حديث ابن عباس عنده: فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله. وفى حديث أبى موسى: هذه الآيات التى يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوّف الله بها عباده فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره. وحديث أبى بكرة أخرجه أيضًا مسلم والنسائى وابن ماجه وحديث ابن عمر أخرجه أيضًا مسلم والنسائي وحديث عبد الله بن عمر وعند مسلم والنسائى وحديث عائشة عند مسلم وأبى داود وابن ماجه وفى حديث عبد الله بن عمر وعند أبى بكر بن أبى شيبة فإذا انكسفت إحداهما فافزعوا إلى المساجد. وفى حديث عائشة عنده: فإذا رأيتموهما فصلوا وتصدقوا. وفى حديث جابر عنده: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم ابن النبى ﷺ فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم فقام النبى ﷺ . . . فذكر الحديث بطوله وفيه: لا ينكسفان لموت نفس فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا حتى ينجلى. وفى حديث أبى بكرة عنده: فإذا كان كذلك فصلوا حتى ينجلى. وحديث جابر عند مسلم وحديث على عند أحمد وحديث ابن عمر عند البزار، وأخرج النسائى عن أبى هريرة والطبرانى عن أم سفيان .

« **الثانيـة صلاة الاسـتسـقاء** » : فـإذا غارت الأنهـار وانقطعت الأمطار أو انهـارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولا بصـيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالـم والتوبة من المعـاصى ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجـائز والصبيان مـتنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد، وقيل : يستحب إخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله ﷺ : « **لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا** »(٦٣٨) ولو خرج أهل الذمة أيضا متـميزين لم يمنعوا ، فـإذا اجتمعوا فـى المصلى الواسع من الصحراء نودى : الصلاة جـامعة، فصلى بهم الإمام ركـعتين مثل صلاة العيـد بغير تكبير ثم يخطب خطبـتين وبينهما جلسة خفـيفة وليكن الاستغفار مـعظم الخطبتين، وينبغى فى وسط الخطبة الثانية « أن يستـدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال ، هكذا فعل رسول الله ﷺ » (٦٣٩)

---

(٦٣٨) حديث : « لولا صبيـان رضع، ومشايخ ركع، وبهائم رتع، لصب عليكم البـلاء صبًا » **قال العراقى** : أخرجه البيهقى وضعفه من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى: أخرجه أبو يعلى أيضًا من حديث أبى هريرة، وأخرجه الطيالسى والطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى أيضًا وابن منـده وابن عدى وآخرون كلهم من حديث هشام بن عمار عن عبد الرحـمن بن سعد بن عمار عن مـالك بن عبيدة بن مانع الـديلمى عن أبيه عن جده، ولفظهم: لولا عـباد لله ركع، وصـبيـة رضع، وبهائم رتع لصب عليكـم العذاب صبًـا وعند بعضهم البلاء بدل العذاب، وعند الطبرانى والبيهقى زيادة: ثم رص رصًا، قال الذهبى فى المهذب: حديث ضعيف مـالك وأبوه مجهولان، وقال الهيثمى بعد مـا عزاه للطبرانى: فيه عبد الرحمن بن سـعد بن عمار وهو ضعيف . اهـ . وأخـرج ابن ماجه من حديث عطاء ابن أبى رباح عن ابن عمر مرفـوعا فى حديث أوله: يا معشر المهـاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن فـذكرها . . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعـوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا. ولفظ حـديث أبى هريرة عند البيهقى: لولا شبـاب خشَع وبهائم رتع وشـيوخ ركع وأطفـال رضع لصب عليكـم العذاب صـبًـا. وفى سنده إبراهيم بن خـيثم قـال النسائى: مـتروك، وقـال الأزدى: كذاب ،ذكره صـاحب الميزان وذكر له هـذا الحديث، وعند البخارى مرفوعـا: هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم. وأخرج الحاكم بإسـناد صحيح أن نبيًا من الأنبياء استسقى فإذا هو بنملة رافعة ببعض قوائمهـا إلى السماء فقال: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل النملة .

(٦٣٩) حديث : « يستدبر الناس ويسـتقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفـاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله ﷺ » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد . اهـ.

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال، وما على الشمال على اليمين، وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هى حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب، ويقول فى الدعاء: اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا ، اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا. ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات .

« **الثالثة صلاة الجنائز** » : وكيفيتها مشهورة ، وأجمع دعاء مأثور ما روى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال : رأيت رسول الله ﷺ صلى على جنازة فحفظت من دعائه : «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقّه من الخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس. وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» حتى قال عوف: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت (٦٤٠).

= **قال مرتضى** : لفظ البخارى: باب تحويل الرداء فى الاستسقاء: حدثنا إسحاق حدثنا وهب أخبرنا شعبة عن محمد بن أبى بكر عن عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد أن النبى ﷺ استسقى فقلب رداءه. وأخرج أيضًا فى أول الاستسقاء وفى الدعوات ومسلم فى الصلاة وكذا أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ولفظ البخارى: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الله بن أبى بكر عن عباد بن تميم عن عمه قال: خرج النبى ﷺ يستسقى وحول رداءه، وقال البخارى أيضًا: حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال عبد الله بن أبى بكر سمع عباد بن تميم يحدث أباه عن عمه عبد الله بن زيد أن النبى ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين. وأخرجه الترمذى أيضًا وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان وغيره ومثله فى حديث أنس عند الطبرانى فى الأوسط ولفظه: واستقبل القبلة وحول رداءه ثم نزل فصلى ركعتين . وقد ورد التصريح بما قاله المصنف فى التفاؤل فيما أخرج الدارقطنى بسند رجاله ثقات مرسلا عن جعفر بن محمد عن أبيه بلفظ: حول رداءه ليتحول القحط. وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه من حديث جابر بلفظ: وحول رداءه ليتحول القحط إلى الخصب، وفى مسند إسحاق: ليتحول السنة من الجدب إلى الخصب، ذكره من قول وكيع قال فى الروضة : وهل ينكسه مع التحويل، قولان، الجديد نعم والقديم لا، وقد أشار المصنف إلى بيان كيفية التحويل والتنكيس معتمدا على القول الجديد .

(٦٤٠) حديث : « صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر=

ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغي أن يراعي ترتيب الصلاة في نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى، فالتكبيرات في الأركان الظاهرة جدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات . هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا . والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بإيرادها، وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض

= لي وله وارحمني وارحمه وعافني وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار. قال عوف: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت» هكذا في سائر نسخ الكتاب، **قال العراقي :** أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلي .اهـ. أي نص مسلم: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه . . . إلخ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي أيضًا وقد وجدت أيضًا في بعض نسخ الكتاب موافقا لما عند الجماعة وكأنه تصليح النساخ والدعاء الذي ذكره الشافعي التقطه من عدة أحاديث قاله البيهقي. وما ذكره في الروضة عن أبي هريرة رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم قال: وله شاهد صحيح فرواه من حديث أبي سلمة عن عائشة نحوه وأعله الدارقطني بعكرمة بن عمار وقال: إنه يتهم في حديثه ، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة فقال: الحفاظ لا يذكرون أبا هريرة إنما يقولون أبو سلمة عن النبي ﷺ مرسلا .اهـ . ورواه أحمد والنسائي والترمذي من حديث أبي إبراهيم الأشهلي عن أبيه مرفوعا مثل حديث أبي هريرة قال البخاري: أصح هذه الروايات رواية أبي إبراهيم عن أبيه نقله عن الترمذي قال فسألته عن أبيه فلم يعرفه، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: أبو إبراهيم مجهول وقد توهم بعض الناس أنه عبد الله بن أبي قتادة وهو غلط لأن إبراهيم من بني عبد الأشهل وأبو قتادة من بني سلمة ، وقال البخاري: أصح حديث في هذا الباب حديث عوف بن مالك وقال بعض العلماء : اختلاف الأحاديث في ذلك محمول على أنه كان يدعو على ميت بدعاء وعلى آخر بغيره والذي أمر به أصل الدعاء، ثم قال في الروضة: وإن كان طفلا اقتصر على رواية أبي هريرة ويضم إليه: اللهم اجعله فرطا لأبويه وسلفا وذخرا وعظة واعتبارا وشفيعا وثقل به موازينهما وأفرغ الصبر على قلوبهما ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما أجره وأما التكبيرة الرابعة فلم يتعرض الشافعي لذكر عقبها ونقل البويطي عنه أن يقول عقبها : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده كذا نقله الجمهور عنه وهذا الذكر ليس بواجب قطعا وهو مستحب على المذهب، وأما السلام فالأظهر أنه يستحب تسليمتان وقال في الإملاء : تسليمة يبدأ بها إلى يمينه ويختمها ملتفتا إلى يساره فيدير وجهه وهو فيها هذا نصه وقيل يأتي بها تلقاء وجهه بغير التفات وإذا اقتصر على تسليمة فهل يقتصر على السلام عليكم أو يزيد ورحمة الله فيه تردد حكاه أبو علي .

الكفايـات وإنما تصير فـلا فى حق من لم تتعين علـيه بحضـور غيـره ثم ينال بها فـضل فرض الكفاية، وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفلٍ لا يسقط به فـرض عن أحد، ويستحب طلب كـثرة الجمع تبركا بـكثرة الهمم والأدعيـة واشتماله على ذوى دعـوة مستجـابة، لما روى كريب عن ابن عبـاس أنه مات له ابن فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال: تقول هم أربعون ؟ قلت : نعم ، قال : أخرجوه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل مسلم يموت فـيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشـركون بالله شيئا إلا شـفعهم الله عز و جل فيه** »(٦٤١) وإذا شيع جنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتدأ قال: السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منـا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. والأولى أن لا ينصـرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قـام عليه وقال : اللهم عبـدك رد إليك فارأف به وارحمـه، اللهم جاف الأرض عن جنبـيه وافتح أبواب السـماء لروحه وتقبله منك بقـبول حسن، اللهم إن كان محسنا فـضاعف له فى إحسانه وإن كان مـسيئا فتجاوز عنه .

« **الرابعة تحـية المسـجد** » : ركعتان فـصاعدا سنة مؤكدة ، حتى أنهـا لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجـمعة مع تأكد وجوب الإصـغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفـرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل، إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد

(٦٤١) حديث : « ما من رجل مسلم يموت فيقـوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله تعالى شيئا إلا شفعهم الله تعالى فيه » **قال العراقى** : أخرجه مسلم .اهـ.

قال مرتضى : رواه كذلك أحمد وأبو داود والبيهقى فى السنن، وفى رواية لهم خلا مسلم: ما من مسلم يموت ، وفى آخره إلا شفعوا فيه، وفى معناه ما أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث مـيمونة ما من مـسلم يصلى عليه أمة إلا شـفعوا فيـه وعند النسائى والبيـهقى من حديثهما: ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه، وأخرج أحمد ومسلم والنسائى وابن حبان والبيهقى من حديث أنس وعائـشة: ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه. وأخرج أحمد وأبو داود والطبرانى من حديث مالك ابن هبيـرة: ما من مسلم يموت فيـصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب، وأخرجه الترمذى وحسنه بلفظ: من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب .

قياما بحق المسجد : ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يقولها أربع مرات ، يقال إنها عدل ركعتين فى الفضل، ومذهب الشافعى رحمه الله أنه لا تكره التحية فى أوقات الكراهية وهى بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال وقت الطلوع والغروب لما روى أنه ﷺ صلى ركعتين بعد العصر فقيل له : أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : « **هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلنى عنهما الوفد** » (٦٤٢) فأفاد هذا الحديث فائدتين :

إحداهما : أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلف العلماء فى أن النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء وإذا

---

(٦٤٢) حديث : « صلى ركعتين بعد العصر فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ فقال :هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلنى عنهما الوفد » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث أم سلمة، ولمسلم من حديث عائشة: كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما . . . الحديث .اهـ.

قال مرتضى : لفظ البخارى فى باب إذا كلم وهو يصلى فأشار بيده واستمع: حدثنا يحيى ابن سليمان حدثنى ابن وهب أخبرنى عمرو عن بكير عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر أرسلوه إلى عائشة ﵂ فقالوا اقرأ عليها السلام منا جميعا وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما وقد بلغنا أن النبى ﷺ نهى عنهما ، قال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما، فقال كريب: فدخلت على عائشة فبلغتها ما أرسلونى به فقالت: سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها فردونى إلى أم سلمة بمثل ما أرسلونى به إلى عائشة فقالت أم سلمة ﵂ : سمعت النبى ﷺ ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم دخل علىّ وعندى نسوة من بنى حرام من الأنصار فأرسلت إليه الجارية فقلت : قومى جنبه قولى له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما فإن أشار بيده فاستأخرى عنه ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه فلما انصرف قال : يا بنت أبى أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتانى ناس من عبد القيس فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان . وأخرجه كذلك فى المغازى ومسلم وأبو داود فى الصلاة وأورده معلقًا مختصرًا فى الباب الذى يليه، وأيضًا فى باب ما يصلى بعد العصر من الفوائت، وأخرج فى هذا الباب من طريق عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أنه سمع عائشة تقول: والذى ذهب به ما تركهما حتى لقى الله، تعنى الركعتين بعد صلاة العصر. ومن طريق هشام بن عروة عنها قالت له : يا بن أختى ما ترك النبى ﷺ السجدتين بعد العصر عندى قط. ومن طريق أبى إسحاق قال : رأيت الأسود ومسروقا شهدا على عائشة قالت : ما كان النبى ﷺ يأتينى بعد يوم العصر إلا صلى ركعتين .

انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفى بدخول المسجد وهو سبب قوى ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء فى هذه الأوقات لأن لها أسبابها.

الفائدة الثانية : قضاء النوافل إذ قضى رسول الله ﷺ ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة ﵂ : كان رسول الله ﷺ « **إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتى عشرة ركعة** » (٦٤٣) .

وقد قال العلماء : من كان فى الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ، ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله ﷺ فى وقت الكراهة، نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغى أن لا يرخص لنفسه فى تركه بل يتداركه فى وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدَّعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه ﷺ قال : « **أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل** » (٦٤٤) فيقصد به أن لا يفتر فى دوام عمله وروت عائشة ﵂ عن النبى ﷺ أنه قال : « **مَنْ عَبَدَ الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل** » (٦٤٥) فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه .

---

(٦٤٣) حديث عائشة : « كان رسول الله ﷺ إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة لتهجده بسبب النوم أو المرض صلى بدل ما فاته منه من النهار اثنتى عشرة ركعة » **قال العراقى** : أخرجه مسلم .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه أبو داود أيضا ولفظه: كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة .

(٦٤٤) حديث : « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث عائشة .اهـ .

(٦٤٥) حديث : « من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله » **قال العراقى** : رواه ابن السنى فى كتاب رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وسيأتى هذا الحديث أيضا فى آخر الباب الأول من الأوراد، وجدت فى حاشية كتاب المغنى ما نصه: مصلح فى نسخة من عود الله تعالى بالواو بدل عبد .

الخامسة : ركعتان بعد الوضوء: مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعى فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال ﷺ : « **دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال : بم سبقتني إلى الجنة ؟ فقال بلال : لا أعرف شيئا إلا أنى لا أحدث وضوءاً إلا أصلى عقيبه ركعتين** » (٦٤٦) .

---

(٦٤٦) حديث : « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال: بم سبقتنى إلى الجنة؟ فقال: لا أعرف شيئا إلا أنى لا أحدث وضوءاً إلا أصلى عقيبه ركعتين » وفى بعض النسخ هنا زيادة : أو كما قال، وهى زيادة حسنة يؤتى بها للتأدب مع كلام رسول الله ﷺ ، **قال العراقى :** أخرجاه من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : أخرجاه من طريق أبى زرعة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: يا بلال أخبرنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دُف نعليك بين يدى فى الجنة، قال : ما عملت عملا أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهورا فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لى أن أصلى . هذا بلفظ البخارى، وقال مسلم: فإنى سمعت خشف نعليك . . . الحديث، وقال: من أنى لا أتطهر طهورا تاما . . . الحديث. وفى الصحيحين من حديث جابر رفعه: دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت : من هذا؟ فقال : هذا بلال . . . الحديث، وقد ظهر بذلك أن قول العراقى: أخرجاه من حديث أبى هريرة أى بمعناه ولفظ الحديث الذى فى سياق المصنف هو عند الترمذى من حديث بريدة الأسلمى قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال :« يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة ، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى؟ فقال : ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين، فقال رسول الله ﷺ : بهذا » . قال الترمذى: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضا الإمام أحمد فى المسند وابن حبان والحاكم فى المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين وقد انفرد الترمذى بهذا السياق خاصة دون بقية الستة، وعند الترمذى أيضا فى هذا الحديث فقال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابنى حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علىَّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ : بهما . وقوله: بم سبقتنى هكذا فى نسخ المسند على الصواب ويوجد فى نسخ سنن الترمذى بإثبات الألف بعد الميم وهو ضعيف ولغة القرآن حذف الألف كقوله تعالى: ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ ، و ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فإن قيل: هل يظهر لمجازاته بهذا على هذا الفعل مناسبة؟ فالجواب: نعم له مناسبة وهو أن بلالا كان يديم الطهارة فمن لازمه أنه كان كذلك فإنه يعرج روحه إلى أعلى الجنة ويؤمر بالسجود تحت العرش، ولسبق بلال رضي الله عنه مناسبة أخرى وهو سبقه إلى الإسلام وعذب فى ذات الله فصبر فجوزى بذلك، وفى حديثه هذا استحباب صلاة ركعتين عقب الوضوء واستحباب دوام الطهارة وأنه يستحب الوضوء عقب الحدث وإن لم يكن وقت صلاة ولم يرد الصلاة وهو المراد=

السادسة : « ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه » روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء » (٦٤٧) ومعنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان «عند الإحرام»(٦٤٨) وركعتان « عند ابتداء السفر » (٦٤٩) وركعتان «عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت » (٦٥٠) فكل ذلك مأثور من فعل رسول

= بقوله ﷺ : « ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » فالظاهر أن المراد دوام الوضوء لا الوضوء الواجب فقط عند الصلاة، والله أعلم .

(٦٤٧) حديث : « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء » **قال العراقي :** رواه البيهقي في الشعب من رواية معاذ بن فضال الزهراني عن يحيى بن أيوب عن بكر بن عمرو عن صفوان بن سليم، قال بكر: حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره . ا هـ .

قال مرتضى : ورواه البزار كذلك من هذا الطريق إلا أنه قدم الجملة الأخيرة، وقال: لا نعلمه روى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله موثقون، قال السيوطي :ووجدت له شاهدا، قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عثمان بن أبي سودة أن النبي ﷺ قال: صلاة الأوابين وصلاة الأبرار ركعتان إذا دخلت بيتك وركعتان إذا خرجت. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثنا علي بن خشرم حدثنا عيسى بن يونس عن رجل عن عثمان بن أبي سودة قال : كان يقال: صلاة الأوابين ركعتان حين يخرج من بيته وركعتان حين يدخل. وعثمان تابعي ثقة .اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: هو - أي حديث البزار - حديث حسن ولولا شك بكر لكان على شرط الصحيح وبه يعرف استرواح ابن الجوزي في الحكم عليه بوضعه، ثم **قال العراقي :** وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة: إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين، فإن الله جاعل له من ركعتيه خيرا. قال ابن عدي: وهو بهذا الإسناد منكر وقال البخاري لا أصل له .اهـ .

قال مرتضى : وأخرجه أيضا العقيلي والبيهقي وقال: أنكره البخاري بهذا الإسناد. لكن له شاهد، يعني به حديث بكر عن صفوان المتقدم ذكره، والمراد بالبيت محل الإقامة من نحو منزل أو خلوة أو مدرسة، وقوله أنكره البخاري بهذا الإسناد يريد بذلك أن في سنده إبراهيم بن يزيد بن قديد رواه عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة، وعنده مناكير عن الأوزاعي منها هذا الحديث، قاله الأزدي ولكن قال الحافظ في اللسان: إبراهيم هذا ذكره ابن حبان في الثقات .

(٦٤٨ - ٦٥٠) أحاديث : « وفي معنى هذا كل أمر يبتدئ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند=

= الإحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت، فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله ﷺ » . **قال العراقي** : أما حديث ركعتي الإحرام فرواه البخاري من حديث ابن عمر، وحديث ركعتين عند ابتداء السفر رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس : ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره . . . الحديث وهو ضعيف . اهـ. ووجدت في هامش الكتاب بخط الشيخ شمس الدين الحريري ما نصه : لا ينطبق هذا الحديث على صلاة ركعتين وإنما يحتج لذلك بالحديث الذي رواه الطبراني في كتابه المناسك من حديث المطعم بن المقدام الصنعاني مرسلا حدثنا موسى بن إبراهيم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن المطعم بن المقدام قال : قال رسول الله ﷺ : ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا .

قال مرتضى : هو في المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة بهذا الإسناد مرفوعا إلى النبي ﷺ بلفظ : ما خلف عبد على أهله . . . والمطعم بن المقدام تابعي كبير روى عن مجاهد والحسن، وثقه ابن معين، وقد أورده السيوطي في جامعه هكذا بلفظ : ما خلف عبد على أهله . . . الحديث، وعزاه لأبي بكر بن أبي شيبة وأنه مرسل، وقول المناوي في شرحه وفيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة أورده الذهبي في الضعفاء . اهـ. غير ظاهر فإن هذا الرجل ليس في سند أبي بكر بن أبي شيبة بل هو رواه عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن المطعم ، والظاهر أنه الراوي عن أبي بكر بن أبي شيبة وكأنه ابن أخيه فإن كان هو ضعيفا فسند شيخه سالم من الضعف، وقد أورده النووي في الأذكار وقال : قال بعض أصحابنا : يستحب أن يقرأ في الأولى بعد الفاتحة الكافرون وفي الثانية الإخلاص، وقال بعضهم : يقرأ فيهما المعوذتين وإذا سلم قرأ آية الكرسي ولإيلاف، ووجدت بخط الشيخ شمس الدين المذكور ما نصه : وقد ذكر هذا الحديث النووي في الأذكار ووقع له تصحيف عجيب جدا فقال : لما روينا عن المقطم الصحابي فصحف المطعم بالمقطم والصنعاني بالصحابي ولم يقع للشيخ رحمه الله تعالى في كتبه نظيره قط مع تحريه، وقد رأيناه بخطه وفي عدة نسخ معتمدة ومنها مقروء عليه . اهـ.

قال مرتضى : وقد نبه عليه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار وقد عرف مما تقدم أن إيراد الحافظ العراقي حديث الخرائطي المذكور غير منطبق مع كلام المصنف وقد ذكره المصنف بلفظ الخرائطي في كتابه هذا في كتاب آداب السفر، كما سيأتي ومما يطابق سياق المصنف أيضا ما رواه البزار من حديث أنس مرفوعا : كان إذا نزل منزلا لم يرتحل منه حتى يصلي فيه ركعتين، وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال إذا خرجت فصل ركعتين وأخرج عن أبي معاوية عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى، وأخرج عن حميد بن عبد الرحمن عن زهير عن أبي إسحاق قال: رأيت الحارث بن أبي ربيعة صلى حين أراد أن يخرج إلى باضميري في=

الله ﷺ ، وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين، وكذلك فى كل أمر يحدثه وبداية الأمور ينبغى أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل، وهى على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل، قال ﷺ : « **كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر** » (٦٥١) .

= الحجر ضحى ركعتين وصلى معه نفر منهم الأسود بن يزيد، ثم **قال العراقى** : وأما حديث ركعتين عند الرجوع من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك . اهـ. يشير إلى ما أخرجاه من حديث رفعه: أن لا يقدم من سفر إلا نهارا فى الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه. هذا لفظ مسلم وأخرجه ابن أبى شيبة عن أبى أسامة عن ابن جريج عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مثله ولم يقل: ثم جلس فيه: وفى المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن جابر قال: لما قدمنا مع رسول الله ﷺ قال لى: يا جابر هل صليت؟ قلت : لا، قال : فصل ركعتين ، حدثنا وكيع عن كامل بن العلاء عن أبى صالح أن عثمان كان إذا قدم من سفر صلى ركعتين. حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن مقاتل بن بشير العجلى عن رجل يقال له موسى أن ابن عباس قدم من سفر فى بيته فصلى ركعتين على طنفسة .

(٦٥١) حديث : « كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر » الكلام على هذا الحديث من وجوه : الأول رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأبو عوانة فى مسنده والبيهقى والبغوى كلهم من حديث أبى هريرة ولفظهم: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع. وعند ابن ماجه بالحمد، وعند البغوى بحمد الله، غند عبد القادر الرهاوى فى الأربعين له بلفظ : لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع. وعنده أيضا فى الأربعين المذكورة بلفظ: بحمد الله والصلاة على فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة . وهكذا رواه الديلمى أيضا وابن المدينى وابن مندوه وآخرون، ولفظ أبى داود: كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم. وهكذا رواه العسكرى فى الأمثال، ولفظ البيهقى: بالحمد لله رب العالمين أقطع. وروى أبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون فى فضائل على بلفظ: كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به ويصلى علىّ فيه فهو أقطع أكتع ممحوق من كل بركة. وكل هؤلاء عن أبى هريرة ﷺ واشتهر الحديث به، وقد روى ذلك أيضا عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه بلفظ ابن ماجه السابق: كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع. أخرجه الطبرانى فى الكبير والرهاوى فى الأربعين . الثانى: الحديث الذى رواه ابن ماجه والبيهقى قال ابن الصلاح: حسن وتبعه النووى قال : وإنما لم يصح لأن فى سنده قرة بن عبد الرحمن ضعفه ابن معين وغيره، وأورده الذهبى فى الضعفاء وقال أحمد : منكر الحديث جدا، ولم يخرج له مسلم إلا فى الشواهد، وقال النووى فى الأذكار بعد سياقه هذا الحديث: والذى خرجه عبد القادر الرهاوى فى أربعينه ما نصه: وروينا هذه الألفاظ فى الأربعين للرهاوى وهو حديث حسن وقد روى موصولا ومرسلا،=

الثانية : ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة، فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوِّج: الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوَّجتك ابنتى ، ويقول القابل : الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ ، قبلت النكاح . وكانت عادة الصحابة ﵃ فى ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد .

الثالثة: ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والإحرام وما يجرى مجراه ، فيستحب تقديم ركعتين عليه ، وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فإنه نوع سفر قريب .

السابعة: صلاة الاستخارة : فمن همَّ بأمر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف أنَّ الخير فى تركه أو فى الإقدام عليه فقد أمره رسول الله ﷺ « بأن يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل ياأيها الكافرون وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد ، فإذا فرغ دعا وقال : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى وبارك لى فيه ثم يسره لى ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفنى عنه واصرفه عنى واقدر لى الخير أينما كان إنك على كل شىء قدير » . (٦٥٢) رواه جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ

= قال: ورواية الموصول جيدة الإسناد وإذا روى الحديث موصولا ومرسلا فالحكم للاتصال عند الجمهور . اهـ . وأما الحديث الذى فيه زيادة الصلاة عند الرهاوى فقد قال بنفسه بعدما أخرجه: غريب تفرد بتلك الصلاة فيه سهيل بن أبى زياد وهو ضعيف جدا لا يعتد بروايته ولا بزيادته .اهـ.

(٦٥٢) حديث: « صلاة الاستخارة» أمر رسول الله ﷺ بأن يصلى ركعتين من غير الفريضة يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفى الثانية الفاتحة والإخلاص . . . الحديث. **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث جابر، وقال أحمد : حديث منكر . اهـ .

قال مرتضى : رواه الجماعة إلا مسلما وروى ابن أنس فى عمل يوم وليلة والديلمى فى الفردوس من حديث أنس: إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذى=

يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، وقال ﷺ : إذا همَّ أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء: من أعطى أربعًا لم يمنع أربعا : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب .

الثامنة : صلاة الحاجة : (٦٥٣) فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح في دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة ، فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال : إن من الدعاء الذي لا يُرد أن يصلى العبد ثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد، فإذا فرغ خرَّ ساجدا ثم قال: سبحان الذى لبس العز وقال به: سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرَّم به، سبحان الذى أحصى كل شيء بعلمه، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى المن والفضل، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد وعلى آل محمد، ثم يسأل حاجته التى لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل » قال وهيب : بلغنا أنه كان يقال : لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل .

= يسبق إلى قلبك فإن الخيرة فيه. قال الحافظ ابن حجر في الفتح بعد ما عزاه لابن السنى: هذا الحديث لو ثبت لكان هو المعتمد لكن سنده واه جدا .اهـ. وكأنه يشير إلى أن في سنده إبراهيم بن البراء قال الذهبى: اتهموه بالوضع . وقال النووى فيه: إنه يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له صدره لكنه لا يقدم على ما كان له فيه هوى قبل الاستخارة قال: والأكمل الاستخارة عقيب ركعتين بنيتها ويحصل أصل السنة بمجرد الدعاء .

(٦٥٣) حديث : « صلاة الحاجة» **قال العراقى** : رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين جدا وفيهما عمر بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى . اهـ .

قال مرتضى : عمر بن هارون أبو حفص البلخى الحافظ روى عنه أبو داود وجماعة، قال الذهبى في الكاشف: قال ابن حبان: مستقيم الحديث، وقد روى له الترمذى وابن ماجه فمثل هذا لا يترك حديثه على أن الذى أورده المصنف من كتاب الحلية سنده قوى محمد بن يزيد بن خنيس راويه عن وهيب قال أبو حاتم: شيخ صالح كتبنا عنه، وأحمد بن إبراهيم الدورقى إمام=

= مشهور وثقه غير واحد وأحمد بن الحسين بغدادى وثقه الحاكم . ثم قال العراقى: وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن أبى أوفى، وقال الترمذى: حديث غريب وفى إسناده مقال . اهـ. قال الترمذى: حدثنا على بن عيسى بن يزيد البغدادى حدثنا عبد الله بن بكر السهمى عن فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبى ﷺ ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين. قال الترمذى: هذا حديث غريب وفائد يضعف فى الحديث ، وقال أحمد: متروك . انتهى لفظ الترمذى. وفى اللآلئ المصنوعة للحافظ السيوطى عقيب هذا الكلام :

قال مرتضى : أخرجه الحاكم فى المستدرك، وقال أبو الورقاء: فائد مستقيم الحديث، وقد أخرجه ابن النجار فى تاريخ بغداد من وجه آخر عن فائد بزيادة فى آخره فقال : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عيسى بن بركة الجصاص أخبرنا أبو الحسن على بن أنوشتكين بن عبد الله الجوهرى أخبرنا أبو الغنائم محمد بن على بن ميمون الربسى أخبرنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن قدوية المعدل أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أبى السرى البكائى أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى حدثنا حسين بن محمد ابن شيبة حدثنا عبد الرحمن بن هارون العنانى حدثنا فائد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله ابن أبى أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ فليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم يقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا غما إلا كشفته ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين. قال رسول الله ﷺ : لتطلب الدنيا والآخرة فإنهما عند الله. وقال الحافظ ابن حجر: وجدت له شاهدا من حديث أنس وسنده ضعيف أيضا. قال الطبرانى فى الدعاء: حدثنا جبرون بن عيسى حدثنا يحيى بن سليمان المغربى حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رفعه: إذا طلبت حاجة فأردت أن تنجح فقل : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم لا تدع لى=

= ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين. وأبو معمر ضعيف جدا، قال الحافظ ابن حجر: وللحديث طريق أخرى عن أنس في مسند الفردوس من رواية شقيق البلخي الزاهد عن أبي هاشم عن أنس بمعناه وأتم منه، لكن أبو هاشم واسمه كثير بن عبد الله كأبي معمر في الضعف وأشد، قال : وجاء عن أبي الدرداء مختصرا بسند حسن أخرجه أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد التميمي عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : من توضأ فأسبغ وضوءه ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا. وأخرجه أحمد أيضا والبخاري في التاريخ من وجه آخر عن يوسف بنحوه، وأخرجه الطبراني من وجه ثالث عنه أتم منه.لكن سنده أضعف .اهـ. قال الحافظ السيوطي: وحديث أبي هاشم عن أنس قال الديلمي: أخبرنا أبي أخبرنا أبو الحسن الهكاري حدثنا علي بن الحسين بن علي الحسني وذكر أن له مائة وخمسا وخمسين سنة حدثني شيخي شقيق بن إبراهيم البلخي حدثنا أبو هاشم الأبلي عن أنس رفعه: من كانت له حاجة إلى الله فليسبغ الوضوء وليصل ركعتين يقرأ في الأولى بالفاتحة وآية الكرسي وفي الثانية بالفاتحة وآمن الرسول ثم يتشهد ويسلم ويدعو بهذا الدعاء : اللهم يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد ويا قريبا غير بعيد ويا شاهدا غير غائب ويا غالبا غير مغلوب يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السماوات والأرض أسألك باسمك الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب من خشيته أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا، فإنه تقضى حاجته . اهـ .

قال مرتضى : أبو الحسن الهكاري شيخ والد الديلمي قد تكلم فيه ابن عساكر، وقال: لم يكن موثوقا به كما تقدم في ترجمته في صلاة يوم الإثنين، وفي كيفية صلاة الحاجة روايات مختلفة ومنها ما تقدم، ذكره المصنف في صلاة ليلة الإثنين ومنها ما قدمناه في صلاة يوم الجمعة ومنها ما نقله الحافظ السخاوي في القول البديع عن عبد الرزاق الطبسي في كتاب الصلاة له عن مقاتل بن حيان في قصة طويلة: من أراد أن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويبلغه أمله وأمنيته ويقضي حاجته ودينه ويشرح صدره ويقر عينه فليصل أربع ركعات متى شاء وإن صلاها في جوف الليل أو ضحوة النهار كان أفضل يقرأ في كل ركعة الفاتحة ومعها في الأولى يس وفي الثانية ألم السجدة وفي الثالثة الدخان وفي الرابعة تبارك فإذا فرغ من صلاته وسلم فليستقبل القبلة بوجهه ويأخذ في قراءة هذا الدعاء فيقرؤه مائة مرة لا يتكلم بينها فإذا فرغ سجد سجدة فيصلي على النبي ﷺ وعلى أهل بيته مرات ثم يسأل الله حاجته فإنه يرى الإجابة من قريب ثم ساق الدعاء . اهـ . وهو مشهور يعرف بدعاء مقاتل بن حيان ويقال إن فيه الاسم الأعظم ومنها ما نقله أبو العباس الشرجي من متأخري أصحابنا في كتاب الفوائد عن بعضهم قال: من كانت له إلى الله حاجة فليصل أربع ركعات يقرأ في الأولى الفاتحة وسورة الإخلاص عشر مرات وفي الثانية الفاتحة وسورة الإخلاص عشرين مرة وفي الثالثة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثين مرة وفي الرابعة الفاتحة وسورة الإخلاص أربعين مرة وبعد الفراغ يقول: اللهم بنور=

= وجهك وجلالك وبهذا الاسم الأعظم وبنبيك محمد ﷺ أسألك أن تقضى حاجتى وتبلغنى سؤلى وأملى. ويدعو بهذا الدعاء فإنه يستجاب له وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم الله الله لا إله إلا الله الأحد الصمد الله الله لا إله إلا الله بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام اللهم إنى أسألك بأسمائك المطهرات المعروفات المكرمات الميمونات المقدسات التى هى نور على نور ونور فوق نور ونور تحت نور ونور السماوات والأرض ونور العرش العظيم أسألك بنور وجهك وبقوة سلطانك المبين وجبروتك المتين الحمد لله الذى لا إله إلاهو بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله يا رب يا رب يا رب يا رباه يا رباه يا رباه اغفر لى ذنوبى وانصرنى على أعدائى واقض حاجتى فى الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، قال: وعن محمد بن درستويه قال: رأيت فى كتاب الإمام الشافعى رحمه الله بخطه: صلاة الحاجة لألف حاجة علَّمها الخضر عليه السلام لبعض العباد يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب والكافرون عشر مرات وفى الثانية فاتحة الكتاب والإخلاص عشر مرات ثم يسجد بعد السلام ويصلى على النبى ﷺ فى سجوده عشر مرات ويقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عشر مرات، ويقول: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ عشر مرات ثم يسأل الله حاجته فإنها تقضى إن شاء الله تعالى. قال الشيخ أبو القاسم الحكيم: بعثت إلى العابد رسولا يعلمنى هذه الصلاة فعلمنيها فصليتها وسألت الله تعالى الحكمة فأعطانيها وقضى لى ألف حاجة فقال الحكيم: من أراد أن يصليها يغتسل ليلة الجمعة ويلبس ثيابًا طاهرة ويأتى بها عند السحر وينوى بها قضاء الحاجة تقضى حاجته إن شاء الله تعالى. وهذه كيفية أخرى منقولة من كتاب آداب الفقراء للشيخ أبى القاسم القشيرى رحمه الله: يتوضأ لها وضوءا جديداً ثم يصلى أربع ركعات بتشهدين وتسليمتين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً . . . ﴾ الآية عشرا وفى الثانية بعد الفاتحة ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. . . ﴾ الآية عشراً وفى الثالثة بعد الفاتحة ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ . . . ﴾ الآية عشراً وفى الرابعة بعد الفاتحة ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا . . . ﴾ الآية عشراً ثم يسجد بعد الفراغ ويقول فى سجوده: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى آخرها إحدى وأربعين مرة ثم يسأل الله حاجته تقضى بإذن الله تعالى. وأخرج البيهقى فى الدلائل و النسائى فى اليوم والليلة والنميرى من طريق أبى أمامة عن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فى حاجة فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته قال عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فتقضى لى حاجتى واذكر حاجتك ثم رح حتى أروح فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم=

التاسعة : صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب، ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : « **ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته : تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائمًا عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع من السجود فتقولها جالسًا عشراً ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً ، ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً ، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة ، فإذا لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي السنة مرة** » (٦٥٤) وفي رواية أخرى أنه يقول

= أتى باب عثمان بن عفان فجاءه البواب فأخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال: ما فهمت حاجتك حتى كان الساعة وما كانت لك من حاجة فسل ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يتلفت إليّ حتى كلمته فقال له عثمان بن حنيف: ما كلمته ولا كلمني ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير البصر فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتجلي لي عن بصري، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي. قال عثمان. فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر . ورواه أيضا الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وأحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف نحوه . والله أعلم .

(٦٥٤) حديث : « صلاة التسبيح» هذا حديث صحيح غريب جيد الإسناد والمتن وأخرجه الدارقطني بهذا السياق فقال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث حدثنا عبد الرحمن بن بشر فساقه مثله سواء، ورواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن بشر وإسحاق بن أبي إسرائيل كلاهما عن موسى بن عبد العزيز به. وأخرجه الحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد عن أحمد بن محمد ابن عمر الزاهد عن أحمد بن محمد الشرقي عن عبد الرحمن بن بشر، ثم قال عقبة: قال=

= أبو حامد بن الشرقى: سمعت مسلم بن الحجاج وكتب معى هذا عن عبد الرحمن بن بشر يقول: لا يروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا . اهـ . وأما رجال الإسناد فعكرمة احتج به البخارى فى صحيحه كثيرا وجمهور أهل الحديث ، وتكلم فيه بما هو مندفع باحتجاج البخارى به وكان من بحور العلم . والحكم بن أبان وثقه يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلى وجماعة واحتج به النسائى وغيره ، وقال النسائى: ثقة ولينه ابن المبارك وكان الإمام أحمد ممن يحتج به، وقال العجلى :كان ثقة صاحب سنة إذا هدأت العيون يقف فى البحر إلى ركبتيه يذكر الله تعالى حتى يصبح. وأما موسى بن عبد العزيز فشيخ قليل الحديث قال ابن معين والنسائى: ليس به بأس ولم يضعفه أحد وساقه ابن الجوزى من طريق الدارقطنى وقال فى آخره: لا يثبت، موسى بن عبد العزيز مجهول عندنا . اهـ . وهذا مردود عليه فقد أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وصححه وطريق هؤلاء ليست ضعيفة فضلا عن أن يقال موضوعة. وقوله: موسى بن عبد العزيز مجهول عندنا، فاعلم أن الجهل عند المحدثين على قسمين: جهل العين وجهل الحال، وموسى المذكور ليس بمجهول العين ولا مجهول الحال، غاية ما قيل فيه إنه شيخ قليل الحديث وهذا لا يثبت جهلا فيه كيف، وقد روى عنه بشر بن الحكم وابنه عبد الرحمن وإسحاق بن أبى إسرائيل وزيد بن المبارك الصنعانى ومحمد بن أسد، وتقدم قول ابن معين والنسائى: ليس به بأس، وهذا يفيد الاحتجاج بالرجل ورفع الجهالة عنه بلا خلاف وقد رد الأئمة عليه فى إيراده هذا الحديث من هذا الطريق فى الموضوعات وأورد الحافظ ابن حجر هذا الحديث فى كتاب الخصال المكفرة وقال: رجال إسناده لا بأس بهم: عكرمة احتج به البخارى والحكم صدوق وموسى بن عبد العزيز قال فيه ابن معين: لا أرى به بأسا وقال النسائى نحو ذلك، وقال ابن المدينى: ضعيف: فهذا الإسناد من شرط الحسن فإن له شواهد تقويه وقول ابن الجوزى إن موسى مجهول مردود عليه لأن من يوثقه ابن معين والنسائى لا يضره أن يجهل حاله من جاء بعدهما، أحسن أسانيده ما أخرجه الدارقطنى من حديث العباس، والترمذى وابن ماجه من حديث أبى رافع، ورواه أبو داود من حديث ابن عمرو بإسناد لا بأس به ، ورواه الحاكم من حديث ابن عمر، وله طرق أخرى .اهـ. وقال فى أمالى الأذكار :حديث صلاة التسبيح من حديث عبد الله بن عباس وغيره ثم ذكرهم على ما سيأتى ثم قال: فأما حديث ابن عباس فأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم والحسن بن على المعمرى فى كتاب اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم عن موسى بن عبد العزيز عن الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا إسناد، وقال الحاكم: وأخبرناه أيضا أبو بكر بن قريش عن الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه، وزاد الحاكم أن النسائى أخرجه فى كتابه الصحيح عن عبد الرحمن ولم نر ذلك فى شىء من نسخ السنن لا الصغرى ولا الكبرى وأخرجه الحاكم والمعمرى أيضا من طريق بشر بن الحكم والد عبد الرحمن عن موسى بالسند المذكور، وأخرجاه أيضا وابن شاهين فى كتاب الترغيب من طريق إسحق بن أبى إسرائيل عن موسى وقال ابن شاهين: سمعت أبا بكر بن أبى داود يقول: سمعت أبى=

فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ، ثم يسبّح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقى كما سبق عشراً عشراً ، ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن إذ ورد أن « **صلاة الليل مثنّى مثنى وإن زاد بعد التسبيح قوله: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن** »(٦٥٥) فقد ورد ذلك فى بعض الروايات فهذه الصلوات

= يقول: أصح حديث فى صلاة التسبيح حديث ابن عباس هذا، وقال الحاكم: ومما يستدل به على صحته استعمال الأئمة له كابن المبارك، قال الترمذى: وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيه، وقال الحاكم فى موضع آخر، أصح طرقه ما صححه ابن خزيمة فإنه أخرجه هو وإسحاق بن راهويه قبله من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس . ا هـ . وقال صاحب القوت: وقد روينا فيها روايتين إحداهما حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فساقه ولم يجاوز الشهر، ثم قال بعد ذلك: حدثناه عن أبى داود السجستانى يقال: ليس فى صلاة التسبيح حديث أصح من هذا، فذكر فى هذه الرواية أنه يسبح فى القيام خمس عشرة بعد القراءة وأنه يسبح عشرا بعد السجدة الثانية فى الركعة الأولى قبل القيام كأنه يجلس جلسة قبل أن ينهض وفى الركعة الثانية أيضا كذلك قبل التشهد .

(٦٥٥) حديث : « صلاة الليل مثنى مثنى » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث ابن عمر . ا هـ .

قال مرتضى : أخرجاه وأبو داود والنسائى من طريق مالك عن نافع وعبد الله بن دينار كلاهما عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى. ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق الليث عن نافع ، وأخرج مسلم والنسائى وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخارى والنسائى من طريق شعيب بن أبى حمزة، ومسلم والنسائى من طريق عمرو بن الحارث، والنسائى من طريق محمد بن الوليد الزبيدى أربعتهم عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال: سمعت النبى ﷺ سئل: كيف نصلى بالليل؟ قال: ليصل أحدكم مثنى مثنى فإذا خشى الصبح فليوتر بواحدة. وقوله مثنى مثنى أي اثنين اثنين وهو ممنوع من الصرف للعدل والوصف. وفى صحيح مسلم عن عقبة بن حديث فقيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ فقال: يسلم من ركعتين. فإن قلت : إذا كان مدلول مثنى اثنين فهلا اقتصر على مرة واحدة وما فائدة تكرير ذلك؟ قلت: هو مجرد تأكيد ، وقوله مثنى محصل للغرض وفيه أن الأفضل فى نافلة الليل أن يسلم من كل ركعتين وهو قول مالك والشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد=

= والجمهور، رواه ابن أبى شيبة عن أبى هريرة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وعكرمة وسالم ابن عبد الله بن عمر ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعى وغيرهم وحكاه ابن المنذر عن الليث ابن سعد وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبى ليلى وأبى ثور وداود، وقال الترمذى فى جامعه: والعمل على هذا عند أهل العلم أن صلاة الليل مثنى مثنى، وهو قول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق . ا هـ . وقال أبو حنيفة: الأفضل أن يصلى أربعًا أربعًا وإن شاء ركعتين وإن شاء ستا وإن شاء ثماني وتكره الزيادة على ذلك ودليله ما رواه الشيخان من حديث عائشة: كان يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن . . . الحديث ، وأجاب بعض المالكية عن هذا الحديث بأن القول إذا عارضه الفعل قدم القول لاحتمال الفعل التخصيص، وقد استدل بمفهوم حديث ابن عمر الذى أورده المصنف على أن نوافل النهار لا يسلم فيها من كل ركعتين بل الأفضل أن يصليها أربعًا أربعًا بهذا قال أبو حنيفة وصاحباه ورجح ذلك بفعل ابن عمر راوى الحديث فقد صح عنه: كان يصلى بالنهار أربعًا أربعًا ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عنه وعن نافع مولاه وإبراهيم النخعى ويحيى بن سعيد الأنصارى وحكاه ابن المنذر عن إسحاق بن راهويه وحكاه ابن عبد البر عن الأوزاعى وذهب مالك والشافعى وأحمد والجمهور إلى أن الأفضل فى نوافل النهار أيضا التسليم من كل ركعتين ورواه ابن أبى شيبة عن أبى هريرة والحسن وابن سيرين وسعيد بن جبير وحماد بن أبى سليمان وحكاه ابن المنذر عن الليث وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبى ليلى وأبى يوسف ومحمد وأبى ثور وداود والمعروف عن أبى يوسف ومحمد فى نوافل النهار ترجيح أربع على ركعتين كما تقدم وأجابوا عن مفهوم حديث ابن عمر بجوابين أحدهما أنه مفهوم لقب وليس بحجة عند الأكثرين، وثانيهما أنه خرج جوابا لسؤال من يسأل عن صلاة الليل فكان التقييد بصلاة الليل ليطابق الجواب السؤال لا لتقييد الحكم بها، كيف وقد تبين من رواية أخرى أن حكم المسكوت عنه وهو صلاة النهار مثل حكم المنطوق به وهو صلاة الليل، وأما فعل راوى الحديث ابن عمر وهو صلاته بالنهار أربعا فقد عارضه قوله: إن صلاة الليل والنهار مثنى مثنى، وأيضًا فالعبرة عند الجمهور بما رواه الصحابى لا بما رآه وفعله، قلت: الذى عارضه هو ما رواه أصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من طريق شعبة عن يعلى بن عطاء عن على بن عبد الله البارقى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: صلاة الليل والنهار مثنى مثنى. وهذا قد اختلف فيه فمنهم من صححه ومنهم من نفاه وأنكره، وممن صححه البخارى والحاكم وابن خزيمة وابن حبان، وقال النسائى: هذا خطأ، وكذلك أنكره يحيى بن معين وكان شعبة أحد رواته ينفيه وربما لم يرفعه، وقال الخطابى : روى هذا الحديث عن ابن عمر جماعة من أصحابه لم يذكر فيها أحد صلاة النهار إلا أن سبيل الزيادات أن تقبل، وقال الدارقطنى: المحفوظ عن ابن عمر مرفوعًا : صلاة الليل مثنى مثنى، وكان ابن عمر يصلى بالنهار أربعًا وإنما تعرف صلاة النهار عن يعلى بن عطاء عن على الأزدى عن ابن عمر وخالفه نافع وهو أحفظ منه وقال ابن قدامة فى المغنى حديث البارقى قد تفرد بزيادة لفظة النهار من بين سائر الرواة، وقد رواه عن ابن عمر=

المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد، وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية، وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء ، فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ، وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء ، وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة ، الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه: أتوضأ لصلاتي ، وفي صلاته يقول : أصلي لوضوئي ، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب، فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها ففي النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاث:

أحداها: التوقي من مضاهاة عبدة الشمس .

والثانية : الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال ﷺ : « **إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها** » (٦٥٦) ونهى عن الصلوات في هذه الأوقات ونبه به على العلة .

= نحو من خمسة عشر لم يقل ذلك أحد سواه وكان ابن عمر يصلي أربعًا فدل ذلك على ضعف روايته، والله أعلم.

(٦٥٦) حديث : « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان» **قال العراقي** : رواه النسائي من حديث عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه وإنما هو عبد الرحمن ولم ير النبي ﷺ .اهـ. والمعنى مقارنة الشيطان الشمس في هذه=

والثالثة : أن سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل، ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعى، والإنسان حريص على ما منع منه ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر، ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال ومُلال، ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعًا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فإن القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها ولو واظب على الشىء الواحد لتسارع إليه الملل فإذا

= الأوقات وعليه حمل الخطابى ما رواه البخارى فى صفة إبليس وجنوده من رواية عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر: فإنها تطلع بين قرنى شيطان أو الشيطان، وكذلك عند مسلم من رواية هشام بلفظ: فإنها تطلع بقرنى شيطان ، وأشار بذلك إلى العلة فى النهى عن الصلاة فى هاتين الحالتين، وقيل: معنى قرن الشيطان قوّته من قولك : أنا مقرن لهذا الأمر أى مطيق له قوى عليه وذلك لأن الشيطان إنما يقوى أمره فى هذه الأوقات لأنه يسول لعبدة الشمس أن يسجدوا لها فى هذه الأوقات، وقيل : قرنه حزبه وأصحابه الذين يعبدون الشمس، وقيل: فى هذا تمثيل وتشبيه وذلك أن تأخير الصلوات إنما هو من تسويل الشيطان لهم وتزيينه ذلك فى قلوبهم وذوات القرون إنما تعالج الأشياء أو تدفعها بقرونها، وقيل: إن الشيطان يقابل الشمس عند طلوعها وينتصب دونها حتى يكون طلوعها بين قرنيه وهما جانبا رأسه فينقلب سجود الكفار للشمس عبادة له انتهى كلام الخطابى. وقال عياض: ومعنى قرنى الشيطان هنا يحتمل الحقيقة والمجاز وإلى الحقيقة ذهب الداودى وغيره ولا بعد فيه، وقد جاءت آثار مصرحة بغروبها على قرنى الشيطان وأنها تريد عند الغروب السجود لله تعالى فيأتى شيطان بعدها فتغرب بين قرنيه، ويحرقه الله وقد قيل: إن الشيطان حينئذ يجعلها بين قرنيه ليغالط نفسه فيمن يعبدها ويسجد لها عند طلوعها وغروبها وإنهم إنما يسجدون له، وقيل: قرنه علوه وارتفاعه بهذا ، وقيل: معناه المجاز والاتساع وأن قرنى الشيطان أو قرنه الأمة التى تعبد الشمس وتطيعه فى الكفر بالله وإنها كانت تسجد لها ويصلى من يعبدها من الكفار حينئذ نهى النبى ﷺ عن التشبه بهم ويعضد هذا التأويل قوله فى بعض طرق هذا الحديث: فإنها تطلع على قرن الشيطان ويصلى لها الكفار ،وفى رواية: يسجد لها الكفار، وقيل: قرنه قوته وسلطانه وهو عبادة من عبدها حينئذ ممن أطاعه، وقال الحربى فى غريب الحديث: قرنا الشيطان ناحيتا رأسه، وقال: هذا مثل أى حين يتسلط الشيطان، وصحح النووى الوجه الأخير فى كلام الخطابى وعزا للخطابى الجزم بالوجه الرابع، وقد عرفت أنه حكى هنا خمسة أوجه من غير ترجيح، والله أعلم .

كانت هذه أمورا مهمة فى النهى عن ارتكـاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أُخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها ، فهـذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصـلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فـأما ما ضعف عنها فلا ينبغى أن يصادم به مقصود النهى، هذا هو الأوجه عندنا، والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الصلاة من كتـاب « إحياء علوم الدين »، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكـاة بحمد اللـه وعونه وحسن توفـيقه ، والحـمد لله وحده ، وصـلاته على خيـر خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

★ ★ ★

كتاب أسرار الزكاة

وفيه أربعة فصول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى . الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى، ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق فى رزقه وأكدى إظهاراً للامتحان والابتلاء، ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى، والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى .

(أما بعد) : فإن الله تعالى جعل الزكاة أحد مبانى الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام، فقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ (النور: ٥٦) . وقال ﷺ : « **بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ...** »(٦٥٧) . وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة : ٣٤) . ومعنى الإنفاق فى سبيل الله إخراج حق

---

(٦٥٧) حديث : « بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ... » إلى آخر الخبر وقد تقدم فى كتاب العلم من حديث ابن عمر أخرجاه فى الصحيحين، وقال الجلال الخبازى من أصحابنا فى حواشى شرح الهداية ما نصه الزكاة فرض لأنه ثبت بدليل مقطوع به وهو قوله تعالى : ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ غير أنه مجمل والحكم فيه أنه يتوقف فيه مع الإيمان أن ما أراد الله تعالى حق والله تعالى فوض البيان إلى النبى ﷺ بقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ والنبى ﷺ بين بقوله: يا على ليس عليك فى الذهب شىء حتى يبلغ عشرين مثقالا. فيكون أصل الزكاة ثابتا بكتاب الله تعالى ووصفها ثابتا بالحديث، فإطلاق من أطلق لفظ الوجوب باعتبار أن وصفه ثبت بالحديث . اهـ .

=

الزكاة ، قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش فمر أبو ذر فقال: بشِّر الكانزين بكيٍّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكيٍّ في أقفائهم يخرج من جباهم . وفي رواية: أنه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ، وقال أبو ذر : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال : « **هم الأخسرون ورب الكعبة** » ، فقلت: ومن هم؟ قال : « **الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس**»(٦٥٨) .

= قال مرتضى : وفي سنن أبي داود عن حبيب المالكي قال : قال رجل لعمران بن حصين: يا أبا نجيد إنكم لتحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: أوجدتم في كتاب الله في كل أربعين درهما درهم وفي كل كذا وكذا شاة شاة وفي كذا وكذا بعيرًا كذا وكذا ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ قال : لا ، قال : فعمن أخذتم هذا ؟ أخذتموه عنا وأخذناه عن نبي الله ﷺ . وذكر أشياء نحو هذا .

(٦٥٨) حديث أبي ذر : « انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال : هم الأخسرون ورب الكعبة، فقلت: ومن هم؟ قال :هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ،كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس » هذا لفظ مسلم ومن طريق أخرى وذكر نحو ما تقدم غير أنه قال: والذي نفسي بيده ما على الأرض رجل يموت فيدع إبلا أو بقرا أو غنما لم يؤد زكاتها . وفي بعض طرق البخاري: هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة ، قلت : ما شأنيَ أترى بي شيئا ما شأني؟ فجلست وهو يقول فما استطعت أن أسكت وتغشاني ما شاء الله فقلت: من هم بأبي أنت . . . الحديث، أخرجه في كتاب الأيمان والنذور وذكر الوعيد على من كانت له إبل أو بقر أو غنم ولم يؤد حقها من حديث أبي ذر بمثل ما ذكره مسلم في ذلك، ثم قال: رواه بكير عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . وأخرج مسلم من حديث أبي ذر قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال لي رسول الله ﷺ : يا أبا ذر قال: قلت: لبيك يا رسول الله، قال ما أحب أن أحدًا ذاك عندي ذهب أمسى ثالثه عندي منه دينار إلا دينار أرصده في دين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وحثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله: قال: ثم مشينا فقال: يا أبا ذر، فقلت : لبيك يا رسول الله، قال : إن=

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٢

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

= الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا مثل ما صنع في المرة الأولى. الحديث . وأخرج أيضا من حديثه قال : خرجت ليلة من الليالي فإذا برسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال: من هذا فقال أبو ذر : جعلني الله فداك، قال يا أبا ذر: تعال قال: فمشيت معه ساعة، فقال: إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرًا فنفح به عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا . قال: فمشيت معه ساعة ، الحديث . وأخرج أحمد وهناد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد بلفظ: هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وقليل ما هم. وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث عبد الرحمن بن أبزى وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أبا ذر اعقل ما أقول لك إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال كذا وكذا. . .الحديث، وروى مسلم من طريق زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه ثم أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل: يا رسول الله، فالإبل؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها عليها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أدخر ما كانت لا يفقد فيها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر وغنم لا يؤدي منها حقها إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ثم ذكر الخيل والحمر. وفي رواية له: ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها ولم يقل فيها . أخرج البخاري من هذا الحديث ذكر الخيل إلخ ، وذكر في الوعيد على من لم يؤد زكاته من رواية شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه : تأتي على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها. وروى مسلم عن الزبير سمع جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر تثير عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحًا=

= فاه فإذ أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فأنا غنى عنه فإذا رأى أنه لابد منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل، قال أبو الزبير: سمعت عبيد بن عمير يقول هذا القول ثم سألنا جابر بن عبد الله عن ذلك فقال مثل قول عبيد بن عمير، وفى لفظ آخر عن جابر رفعه: ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن ولا من صاحب مال لا يؤدى زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيث ذهب وهو يفر منه يقال: هذا مالك الذى كنت تبخل به فإذا رأى أنه لابد منه أدخل يده فى فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل. ولم يخرج البخارى عن جابر فى هذا شيئًا وخرج عن أبى هريرة رفعه: كنز أحدكم يوم القيامة شجاع أقرع . وعنه رفعه: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعنى بشدقيه ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية. وزاد فى طريق أخرى: والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه ، وقال رسول الله ﷺ: إذا مارب النعم لم يعط حقها تسلطت عليه يوم القيامة تخبط وجهه بأخفافها. ذكر هذه الزيادة فى كتاب الخيل .

(تنبيه) : فيه فائدتان متعلقتان بحديث مسلم الذى أورده المصنف:

الأولى قوله: حتى يقضى بين الناس، قال العراقى : فى شرح الترمذى : يمكن أن يؤخذ منه أن مانع الزكاة آخر من يقضى فيه وأنه يعذَّب بما ذكر حتى يفرغ من القضاء بين الناس فيقضى فيه بالنار أو الجنة، ويحتمل أن المراد حتى يشرع فى القضاء بين الناس ويجىء القضاء فيه إما فى أوائلهم أو وسطهم أو آخرهم على ما يريد الله، وهذا أظهر .اهـ. قال ولده فى شرح التقريب: قد يشير إلى الأول قوله : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ويقال: إنما ذكر فى معرض استيعاب ذلك اليوم بتعذيبه لجواز أن يكون القضاء فيه فى آخر الناس وإن احتمل أن يكون فصل أمره فى وسطه أو أوله، والله اعلم .

الثانية: فيه أن هذا الوعيد فى حق المسلمين والكفار فإن فى رواية أخرى من هذا الحديث عند مسلم : فيرى سبيله إما إلى الجنة هو المسلم والذى إلى النار فيحتمل أن يكون على سبيل التأبيد فيها فهو الكافر ويحتمل أن يكون على سبيل التعذيب والتمحيص ثم دخول الجنة وهو المسلم ، وفى دخول المسلم فى هذا الوعيد رد على المرجئة حيث يقولون: إنه لا يضر مع الإسلام معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. والكتاب والسنة مشحونان بما يخالف قولهم واعتذروا عن ذلك بأن المراد به التخويف لينزجر الناس عن المعصية وليس على حقيقته وظاهره وهو باطل، ولو صح قولهم لارتفع الوثوق عما جاءت به الشرائع واحتمل فى كل منها ذلك وهذا يؤدى إلى هدم الشرائع وسقوط فائدتها، والله أعلم .اهـ.

وإذا كان هذا التشديد مُخرَّجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة ، مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها، وينكشف ذلك فى أربعة فصول :

(الفصل الأول) : فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها .

(الثانى) : فى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة .

(الثالث) : فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه .

(الرابع) : فى صدقة التطوع وفضلها.

الفصل الأول
فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع :

(زكاة النعم والنقدين ، والتجارة ، وزكاة الركاز ، والمعادن ، وزكاة المعشرات ، وزكاة الفطر).

النوع الأول : زكاة النعم

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون، هذا شرط من عليه ، وأما المال فشروطه خمسة: أن يكون نعما ، سائمة، باقية حولا ، نصابًا كاملا ، مملوكا على الكمال .

الشرط الأول: كونه نعما فلا زكاة إلا فى الإبل والبقر والغنم أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها .

الثانى: السوم فلا زكاه فى معلوفة وإذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها .

الثالث: الحول قال رسول الله ﷺ : « **لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول** » (٦٥٩) ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول، ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول .

---

(٦٥٩) حديث : « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث على بإسناد جيد وابن ماجه من حديث عائشة بإسناد ضعيف . اهـ .

قال مرتضى : هذا لفظ ابن ماجه وفى إسناده جارية بن أبى الرحال قال ابن حجر : هو ضعيف، وقال البيهقى : ليس بحجة ، ورواه الدارقطنى هكذا من حديث أنس وفى سنده حسان بن سياه وكذا ابن عدى فى الكامل فى ترجمته وضعفه ، وأما لفظ أبى داود فى أثناء=

الرابع : كمال الملك والتصرف، فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لأنه الذى حجر على نفسه فيه ، ولا تجب فى الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما مضى عند عوده ، ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيا به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة.

الخامس: كمال النصاب .

(أما الإبل) فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسًا ففيها جذعة من الضأن، والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية، أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة، وفى عشر شاتان وفى خمس عشرة ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه، وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية، فإن لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادرا على شرائها، وفى ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة، فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة، فإذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون، فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان، فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون ، فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون .

(وأما البقر) فلا شىء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية، ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة، ثم فى ستين تبيعان، واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع .

= حديث طويل رواه عن عاصم بن حمزة وعن الحارث الأعور عن على : « ليس فى مالٍ زكاة حتى يحول عليه الحول» واختلف فى رفعه ووقفه، فجرير بن حازم قال : كان ابن وهب يزيد فى الحديث عن النبى ﷺ وشعبة وسفيان وغيرهما لم يرفعوه ، قال المنذرى: والحارث وعاصم ليس بحجة ففى قول العراقي بإسناد جيد نظر.وأراد بالمال النامى كالمواشى والنقود لأن نماءها لم يظهر إلا بمضى مدة الحول عليها وأما الزرع والثمار فلا يراعى فيها الحول وإنما ينظر إلى وقت إدراكها واستحصادها فيخرج الحق منها ،قال الخطابى فى معالم السنن ومثله للمناوى فى شرح الجامع قال: هذا فيما يرصد للزيادة والنماء أما ما هو نماء فى نفسه كحب وثمر فلا يعتبر فيه الحول عند الشافعى . اهـ .

(وأما الغنم) فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز، ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة .

وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة، وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم، وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يربحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معًا ويكون إنزاء الفحل معًا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ومهما نزل فى واجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت مخاض فى النزول ولكن يضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما، وله أن يصعد فى السن ما لم يجاوز الجذعة فى الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة، ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال .

النوع الثانى : زكاة المعشرات

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة منٍّ، ولا شيء فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن، ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة منٍّ تمرًا أو زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف، ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة منٍّ من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع منه . هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فإن اجتمعا فالأغلب يعتبر ، وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا

يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب، فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا إن القسمة بيع بل يرخص فى مثل هذا للحاجة، ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وأن يشتد الحب ووقت الأداء بعد الجفاف.

النوع الثالث : زكاة النقدين

فإذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما، ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة، وتجب على من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة ،وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب فى الحلى المباح وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

النوع الرابع : زكاة التجارة

وهى كزكاة النقدين وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقدين الذى بها اشترى البضاعة إن كان النقد نصابًا ، فإن كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يُقَوَّم ، فإن كان ما به الشراء نقدًا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد، ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيئا ، ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة، والأَوْلَىَ أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة هذا هو الأقيس .

النوع الخامس : الركاز والمعدن

والرِّكاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الإسلام ملك فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس، والحول غير معتبر والأَوْلَى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس ببعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين، وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين، وعلى هذا يعتبر النصاب ، وفى الحول قولان وفى قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر ، وفى النصاب قولان والأشبه - والعلم عند الله تعالى - أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات ، والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فإنها ظنون قريبة من التعارض، وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه .

النوع السادس : فى صدقة الفطر

وهى واجبة على لسان رسول الله ﷺ : «**على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات**» (٦٦٠) بصاع رسول الله ﷺ وهو منوان وثلثا منٍّ يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه، فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف، ولا يجوز إخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد، قال ﷺ : «**أدوا صدقة الفطر عمن تمونون**» (٦٦١) وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد

---

(٦٦٠) حديث : « وجوب صدقة الفطر على كل مسلم » أخرجاه من حديث ابن عمر قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان . . . الحديث .

(٦٦١) حديث : « أدوا زكاة الفطر عمن تمونون » هكذا أورده الرافعى فى شرح الوجيز وهو ملفق=

= من حديثين أوله من حديث ثعلبة بن صغير الماضي ذكره ولفظه: أدوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر. وقد ذكرهما فيما سبق، أخرجه عبد الرزاق وأبو داود والطبراني والحاكم وأخرجه من حديث ابن عمر: أمر رسول الله ﷺ بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون. قال الحافظ في تخريج الرافعي: أخرجه الدارقطني والبيهقي من طريق الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر .اهـ. وقال العراقي : رواه الدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر، وقال البيهقي: إسناده غير قوي .اهـ. وأخرج ابن أبي شيبة عن حفص عن الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر نحوه ، وزاد أن ابن عمر كان يعطيه عمن يعول ومماليك نسائه إلا مكاتبين كانا له لم يكن يعطي عنهما والضحاك بن عثمان وثقه ابن معين وقال أبو حاتم: صدوق وقال ابن سعد: كان ثبتا، وقد أخرج له مسلم، وما ظهر لي معنى قول البيهقي إسناده غير قوي، وقد أخرج ابن أبي شيبة أيضا عن وكيع عن هشام بن عروة عن فاطمة عن أسماء أنها كانت تعطي صدقة الفطر عمن تمون من أهلها الشاهد والغائب. ثم قال الحافظ في التخريج المذكور عن حديث ابن عمر السابق : رواه الدارقطني من حديث علي وفيه ضعف ورواه الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا .اهـ . وفي شرح التقريب وعبر ابن حزم هنا بعبارة بشعة فقال : وفي هذا المكان عجب وهو أن الشافعي رحمه الله لا يقول بالمرسل ثم أخذها هنا بأبين مرسل في العالم من رواية ابن أبي يحيى .اهـ . قال الولي: ولم ينفرد به ابن أبي يحيى فقد رواه غيره وقد روى من حديث ابن عمر كما تقدم ثم إن المعتمد القياس على النفقة مع ما انضم إلى ذلك من فعل راوي الحديث . ففي الصحيحين عنه أنه كان يعطي عن الصغير والكبير قال نافع: حتى إن كان بنيا .اهـ.

قال مرتضى : وأراد ابن حزم بابن أبي يحيى هو شيخ الشافعي إبراهيم بن محمد الأسلمي المدني فإنه كان يعرف بابن أبي يحيى، كان الشافعي يوثقه وكان أحمد يتحامل عليه وتركه أبو داود وغيره، وقول الولي: لم ينفرد به ابن أبي يحيى فقد رواه غيره يشير إلى ما في السنن للبيهقي ورواه حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال: فرض رسول الله ﷺ على كل صغير أو كبير أو عبد ممن تمونون صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من زبيب عن كل إنسان . وفيه انقطاع وروى الثوري في الجامع عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبيه قال: من جرت عليه نفقتك نصف صاع بر أو صاع من تمر وهذا موقوف وعبد الأعلى ضعيف . اهـ . قال النووي في شرح المهذب بعد أن ذكر من خرّج هذا الحديث :فالحاصل أن هذه اللفظة: « ممن تمونون » ليست بثابتة كذا نقله عنه الولي في شرح التقريب .

وقال : هي من طريق جعفر بن محمد بالوجهين متكلم فيه بالإرسال والانقطاع وهو ظاهر إما عن طريق الضحاك عن نافع عن ابن عمر فلا وجه لإسقاطها لثقة رواتها كما أشرنا إلى=

الكافر، وإن تبرعت الزوجـة بالإخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الإخـراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد « وقد قدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفـقتها على نفقة الخادم » (٦٦٢) فهذه أحكام فـقهية لابد للغنى من مـعرفتـها وقـد تعرض له وقـائع نادرة خارجة عن هـذا فله أن يتكل فيـها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

★ ★ ★

= ذلك، وقد عقد البيهقى على هذا الحديث باب إخـراج الفطر عن نفسه وغيره ممن تلزمه مؤنته، وقال الـشيخ عـلاء الدين على بن عثـمان من أصـحابنا وهو من شـيوخ الحـافظ العراقـى ما نصه: وقـوله ﷺ فى الصحـيح على الذكر والأنثى من حديث ابن عـمر دليل على سـقوط صدقة الزوجة عن الزوج ووجـوبها عليها فلا تسقط عنها إلا بـدليل ولأنه يلزمها الإخراج عن عبيدها فكان يلزمها عن نفسها أولى ويلزم الشافعى رحمه الله الإخراج عن أجيره ورقيقه الكافر لأنه يمونهما . ا هـ .

(٦٦٢) حديث : « قـدم رسول الله ﷺ نفقة الـولد على نفقة الزوجة. ونـفقة الزوجة على نفـقة الخادم » قال العراقى : رواه أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة بسند صحيح، وابن حبان والحاكم وصححه، ورواه النسائى وابن حبان أيضًا بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى . ا هـ.

قال مـرتضى : رواه النسائى من طريق ابن عجلان عن سعـيد المقبرى عن أبى هريرة بلفظ: قال رجل :يا رسـول الله عندى دينار، قـال: تصدق به على نفـسك، قال: عندى آخـر، قال تصدق به على زوجـتك، قال: عندى آخر ، قـال: تصدق به على ولدك، قـال: عندى آخر، قـال: تصدق به على خـادمك، قال: عنـدى آخر، قـال: أنت أبصر به. وهذا الذى قـال به العراقى .

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثانى
فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور :

(الأول) النية : وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فإن كان له مال غائب فقال : هذا عن مالي الغائب إن كان سالما وإلا فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه، ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى، ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ، ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة، وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية .

(الثانى) : البدار عقيب الحول، وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله، ومن أخَّر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق، وإن أخَّر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه، وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين، ومهما عجَّل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة .

(الثالث): أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورِق عن ذهب ولا ذهب عن ورِق وإن زاد عليه فى القيمة، ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى ﷺ يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فإن سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل

للحظوظ والأغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا إذ لاحظ للجمرة فى وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لايعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر، وأكثر أعمال الحج كذلك، ولذلك قال ﷺ فى إحرامه : « **لبيك بحجة حقًا تعبدًا ورقًا** »(٦٦٣) تنبيها على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه .

القسم الثانى : من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين وردَ المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته، ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس .

والقسم الثالث : هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول، فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعى رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الأفهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الإسلام ، ولا شك فى أن على المكلف تعباً فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتى، والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات،

---

(٦٦٣) حديث : « لبيك بحجة حقا تعبدًا ورقًا » **قال العراقى :** أخرجه البزار والدارقطنى فى العلل من حديث أنس . ا هـ .

قال مرتضى : ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديثه أيضًا، ولفظه: لبيك حجا حقا تعبدا ورقًا .

ومن أوضحها أن الشرع أوجب فى خمس من الإبل شاة فعدل من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين، فلِمَ لَمْ يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ولِمَ قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها فى معناها فهذا وأمثاله من التخصيصات تدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج، ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه .

(الرابع) : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر : فإن أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها، وفى النقل تخييب للظنون فإن فعل ذلك أجزأه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى، فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف على الغرباء فى تلك البلدة .

(الخامس) : أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلد فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ الآية (التوبة : ٦٠) فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك، والعبادات ينبغى أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان فى أكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة، ويوجد فى جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعنى أبناء السبيل، وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون، فإن وجد خمسة أصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسمين ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى أن ينقص فى كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرًا ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد فإن عسر عليه ذلك لقلة

الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بما لهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لابد منه .

بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف :

(الوظيفة الأولى) : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها جعلت من مبانى الإسلام مع أنها تصرف مالى وليست من عبادة الأبدان ، وفيه ثلاثة معان :

الأول : أن التلفظ بكلمتى الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، فإن المحبة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقته المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب واستنزلوا عن المال الذى هو مرموقهم ومعشوقهم ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة : ١١١) . وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون، ولما فُهم هذا المعنى فى بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم؟ فقال: أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع « ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك** » ؟ فقال: مثله ، وقال لأبى بكر رضي الله عنه : « **ما أبقيت لأهلك** » ؟ قال: الله ورسوله، فقال ﷺ : «**بينكما ما بين كلمتيكما**»(٦٦٤) فالصديق وفَّى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله.

(٦٦٤) حديث : « جاء أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال النبى ﷺ ماذا أبقيت لأهلك ؟ فقال: مثله، وقال لأبى بكر: ماذا أبقيت لأهلك قال الله ورسوله » . **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر إلا أنه ليس فيه : « فقال النبى ﷺ بينكما ما بين كلمتيكما» .

القسم الثانى: درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم، المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة، وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن فى المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد ، قال الشعبى بعد أن قيل له: هل فى المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم أما سمعت قوله عز وجل: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(البقرة :١٧٧). واستدلوا بقوله عز وجل: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣). وبقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾(المنافقون : ١٠). وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل فى حق المسلم على المسلم ، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذى يصح فى الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال: ليس على الموسر إلا بتسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه، ويحتمل أن يقال: يلزمه بذله فى الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه، والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهى درجة .

القسم الثالث : الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهى أقل الرتب، وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة، قال الله تعالى : ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴾ (محمد : ٣٧) . يحفكم أى يستقص عليكم ، فكم

= **قال مرتضى:** لفظ أبى داود من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله قال :وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شىء أبدًا .اهـ.

قال مرتضى : وروى عن يونس عن الحسن مرسلا أنه قال لهما ما بين صدقتكما كما بين كلامكما .

بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معانى أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال .

المعنى الثانى : التطهير من صفة البخل ، فإنه من المهلكات، قال ﷺ : « **ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه** » (٦٦٥) وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر : ٩) . سيأتى فى ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصى منه، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشىء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادًا، فالزكاة بهذا المعنى طهرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

المعنى الثالث : شكر النعمة، فإن لله عز وجل على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله .

(الوظيفة الثانية) : فى وقت الأداء : ومن آداب ذوى الدين التعجيل عن وقت الوجود إظهارًا للرغبة فى الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات، وعلما بأن فى التأخير آفات ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخَّر عن وقت الوجوب ،ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغى أن يغتنم فإن ذلك لَمَّة الملك، وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته

(٦٦٥) حديث : « ثلاث مهلكات: شُح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه » رواه أبو الشيخ فى كتاب التوبيخ والبزار وأبو نعيم والبيهقى والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وسنده ضعيف، وقد تقدم هذا الحديث للمصنف فى كتاب العلم وتكلمنا عليه .

وذلك كشهر المحرم فإنه أول السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد « **كان ﷺ أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئًا** » (٦٦٦) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن ، وكان مجاهد يقول : لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان. وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهى العشر الأول والأيام المعدودات وهى أيام التشريق، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر وأفضل أيام ذى الحجة العشر الأول .

(الوظيفة الثالثة) : الإسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، قال ﷺ : « **أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر** » (٦٦٧) وقال بعض العلماء : « **ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة** » (٦٦٨) وقد روى أيضا مسندا وقال ﷺ : « **إن العبد ليعمل عملا فى السر**

---

(٦٦٦) حديث : « كان ﷺ أجود الخلق فى رمضان وكان فيه كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئًا» **قال العراقى** : أخرجاه من حديث ابن عباس .

وقال مرتضى : لفظ البخارى فى أول كتابه: حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهرى وحدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة. هكذا أخرجه البخارى فى أربعة مواضع من الصحيح: فى باب الوحى وفى صفة النبى ﷺ وفى فضائل القرآن وبدء الخلق، وأخرجه مسلم فى الفضائل النبوية .

(٦٦٧) حديث : « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير فى سر » **قال العراقى** : رواه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبى ذر ولأبى داود والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة: أى الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل .اهـ.

وقال مرتضى : وعند الطبرانى من حديث أبى إمامة أفضل الصدقة سر إلى فقير وجهد من مقل وعند ابن أبى حاتم وابن المنذر من حديثه قال: قلت : يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال : جهد مقل أو سر إلى فقير ثم تلا : ﴿إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ الآية وأما حديث أبى هريرة فقد أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة وسكت عليه وأقره المنذرى وأخرجه الحاكم فيها وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبى ولفظه : أفضل الصدقات جهد المقل وابدأ بمن تعول .

(٦٦٨) حديث : « ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة » هكذا هو فى القوت إلا أن لفظه: وقد=

فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء» (٦٦٩) وفى الحديث المشهور : « **سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه** » (٦٧٠) وفى الخبر : « صدقة السر تطفئ غضب

= روينا مسندًا من طريق . اهـ. **وقال العراقى**: رواه أبو نعيم فى كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وأخرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم أيضًا فى الحلية كلاهما من طريق قطنى ابن إبراهيم النيسابورى عن الجارود بن يزيد عن سفيان بن أشعث عن ابن سيرين عن أنس مرفوعًا بلفظ: ثلاث من كنوز البر : إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى . . . الحديث، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال: تفرد به الجارود وهو متروك، وتعقبه الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة بأنه لم يتهم بوضع بل هو ضعيف .

(٦٦٩) حديث : « إن العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره نقله من السر وكتب فى العلانية فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء » هكذا فى القوت إلا أنه قال : وروينا فى الخبر فساقه وفيه: فإن تحدث فجيء من السر والعلانية فكتب رياء والباقى سواء ، **وقال العراقى** : رواه الخطيب فى التاريخ من حديث أنس بإسناد ضعيف . اهـ . قال صاحب القوت : فلو لم يكن فى إظهار الصدقة مع الإخلاص بها إلا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم، فقد جاء فى الأثر : صدقة السر تفضل على صدقة العلانية سبعين ضعفا .

(٦٧٠) حديث : « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه » ولفظ القوت : وفى الحديث المشهور: سبعة فى ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه ، وفى لفظ آخر: وأخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه. وهذا من المبالغة فى الوصف وفيه مجاوزة الحد فى الإخفاء أى أن يخفى من نفسه فكيف غيره .اهـ. **قال العراقى** : أخرجاه من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : قال البخارى : باب صدقة السر ، وقال أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ : ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه. ولم يذكر فى هذا الباب سوى هذا المعلق، ثم أورد بعد بابين: باب صدقة اليمين ، حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه . وهكذا رواه مسلم إلا أن عنده اختلافًا فى السياق فى=

الرب » (٦٧١) وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٧١) . وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ : « **لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان**»(٦٧٢) والمتحدث بصدقته يطلب السمعة، والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء، والإخفاء والسكوت هو المخلص منه . وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى، وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى، وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه، كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازًا من الرياء والسمعة، ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لايعرف أولى إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس فى معرفة المتوسط إلا

= مواضع منه ، قال: الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، وقال : حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، والمعروف ما ذكره البخارى وغيره: لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، وفى رواية لمسلم وتفرد بها : ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، وفى حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسناد حسن: يظلهم الله فى ظل عرشه، وعند الجوزقى من طريق حماد ابن يزيد عن عبد الله بن عمر ﷺ : وشاب نشأ فى عبادة الله حتى توفى على ذلك ، وفى حديث سلمان عند سعيد بن منصور وشاب أفنى شبابه ونشاطه فى عبادة الله ، وزاد حماد بن زيد كما عند الجوزقى: ففاضت عيناه من خشية الله ، قال ابن بطال: قوله حتى لا تعلم شماله . . . إلخ .

(٦٧١) حديث : « صدقة السر تطفئ غضب الرب » **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى الثواب والبيهقى فى الشعب من حديث أبى سعيد وكلاهما بسند ضعيف، وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة: إن الصدقة لتطفئ غضب الرب. ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضًا .اهـ .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الصغير عن عبد الله بن جعفر العسكرى فى السرائر، عن أبى سعيد ،ولفظ الترمذى وابن حبان عن أنس: إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء. وقال الترمذى: غريب ، قال عبد الحق: راويه أبو خلف منكر الحديث.

(٦٧٢) حديث : « لا يقبل الله من مسمّع ولا مراء ولا منان » هكذا هو فى القوت، **قال العراقى** : لم أظفر به هكذا .اهـ.

الرياء، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال. وحب الجاه أشد استيلاء علي النفس من حب المال، وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر فى حكم المثال عقربًا لادغا أو صفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها، فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى، وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات .

(الوظيفة الرابعة): أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء، ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء، فقد قال الله عز وجل : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ (البقرة : ٢٧١) . وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان، وهذا لأن فى الإظهار محذورا ثالثًا سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير فإنه ربما يتأذى بأن يُرى فى صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره، وهو كإظهار الفسق على من تستر به فإنه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه، فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها، وبمثل هذا المعنى قال ﷺ : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له »[(٦٧٣)] وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (فاطر: ٢٩).

---

(٦٧٣) حديث : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » **قال العراقى** : رواه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف . اهـ .

قال مرتضى : ولفظ ابن عدى فى الكامل من خلع ، وأخرجه أيضًا الخرائطى فى مساوئ الأخلاق وأبو الشيخ فى الثواب والبزار والبيهقى والخطيب وابن عساكر والديلمى والقضاعى=

ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان فى بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال .

(الوظيفة الخامسة) : أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى ، قال الله تعالى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ (البقرة : ٢٦٤) واختلفوا فى حقيقة المن والأذى، فقيل: المنّ أن يذكرها والأذى أن يظهرها ، وقال سفيان : مَنْ مَنَّ فسدت صدقته، فقيل له : كيف المن؟ فقال: أن يذكره ويتحدث به، وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر، وقيل: المن أن

= وابن النجار والقشيرى فى الرسالة كلهم من حديث أنس ، وقال البيهقى: فى إسناده ضعف، وإن صح حمل على فاسق معلن بفسقه .اهـ. قال الذهبى فى المهذب: أحد رواته أبو سعيد الساعدى مجهول ، وفى الميزان: ليس بعمدة ثم أورد له هذا الخبر .اهـ. ورواه الهروى فى ذم الكلام وحسنه، وقد رد عليه الحافظ السخاوى فى المقاصد والحاصل أن جميع طرق هذا الحديث ضعيفة ، فطريق أبى الشيخ والبيهقى فيه ابن الجراح عن أبى سعد الساعدى وقد ذكر حاله وطريق ابن عدى فيه الربيع بن بدر عن أبان وهذا أضعف من الأول، ولكن للحديث شواهد تقويه من غير هذه الطرق ، فقد أخرج الطبرانى وابن عدى فى الكامل والقضاعى من حديث جعدبة بن يحيى عن العلاء بن بشر عن ابن عيينة عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده مرفوعا : ليس لفاسق غيبة ، قال الدارقطنى : وابن عيينة لم يسمع من بهز، وأورده البيهقى فى الشعب ونقل عن شيخه الحاكم أنه غير صحيح ولا يعتمد، وأخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول والعقيلى وابن عدى وابن حبان والطبرانى والبيهقى من طريق الجارود بن يزيد عن بهز ، فهذا الإسناد بلفظ: انزعوا عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس. وهذا أيضا لا يصح فإن الجارود ممن رمى بالكذب ، وقال الدارقطنى : هو من وضعه وقد روى أيضًا من طريق يعمر عن بهز بهذا الإسناد؛ أخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق عبد الوهاب الصغانى عنه وعبد الوهاب كذاب، وللحديث طرق أخرى عن عمر بن الخطاب رواه يوسف بن أبان حدثنا الأبرد بن حاتم أخبرنى منهال السراج عن عمر قال السخاوى ، وبالجملة فقد قال العقيلى : ليس لهذا الحديث أصل من حديث بهز ولا من حديث غيره ولا يتابع عليه من طريق تثبت ، وأخرج البيهقى فى الشعب بسند جيد عن الحسن أنه قال : ليس فى أصحاب البدع غيبة ومن طريق ابن عيينة أنه قال : ثلاثة ليس لهم غيبة: الإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذى يدعو الناس إلى بدعته. ومن طريق زيد بن أسلم قال : إنما الغيبة لمن يعلن بالمعاصى .

يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة، وقد قال ﷺ : « **لا يقبل الله صدقة منان** » (٦٧٤) .

وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح، فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعمًا عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به، فحقه أن يتقلد منه الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل، فى قبض حق الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ : « **إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل**» (٦٧٥) فليتحقق أنه مسلِّم إلى الله عز وجل حقه، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه أما هو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره، ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير

---

(٦٧٤) حديث : « لا يقبل الله صدقة منان » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى:** لم أجده هكذا. انتهى .

وقال مرتضى : ومما يناسب الاستدلال به من الأحاديث الواردة فى المنان الذى يمن بعطائه ما أخرجه أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبى ذر: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذى لا يعطى شيئًا إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . وفى فوائد رستة عن أبى هريرة: ثلاثة لا يحجبون من النار: المنان وعاق والديه ومدمن الخمر. وعند الطبرانى فى الكبير من حديث أبى إمامة: ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلا : عاق ومنان ومكذب بالقدر . وعنده أيضا من حديث ابن عمر: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: المنان بعطائه والمسبل إزاره خيلاء ومدمن الخمر. وعند مسلم والنسائى والحاكم من حديثه بلفظ: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى . فهذه الأحاديث تصلح للاحتجاج لما ساقه المصنف فى الباب على أنه يفهم من سياق ما أوردناه من حديث ابن عمر عند الطبرانى صحة ما أورده المصنف باللفظ المذكور فتأمل .

(٦٧٥) حديث : « إن الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل أن تقع فى يد السائل » **قال العراقى** : رواه الدارقطنى فى الأفراد من حديث ابن عباس وقال: غريب من حديث عكرمة عنه والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف .اهـ. وأورده صاحب القوت ولفظه: قبل أن تقع بيد السائل .اهـ.

نفسه محسنًا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارًا لحب الله تعالى أو تطهيرًا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا على نعمة المال طلبًا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه مُحْسِنًا إليه ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه مُحْسِنًا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الأمور فهذه كلها ثمرات المنة ومعنى المنة فى الباطن ما ذكرناه، وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف، وباطنه وهو منبعه أمران أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخُلق لا محالة ، والثانى رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفًا فهو شديد الحمق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها، وأما الثانى فهو أيضًا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ، ولذلك قال ﷺ : « **هم الأخسرون ورب الكعبة** »، فقال أبو ذر: مَنْ هم ؟ قال: « **هم الأكثرون أموالا ...** » الحديث .

ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة، وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم إليه، فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فإذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضة الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء والقبول والمنة ، فهذا منشأ المن والأذى ، فإن قلت: فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنًا ؟ فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن

يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوًا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك .

فإن قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه؟ فاعلم أن له دواء باطنًا ودواء ظاهرًا، أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التى ذكرناها فى فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه فى تطهيره بالقبول، وأما الظاهر فالأعمال التى يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التى تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما ستأتى أسراره فى الشطر الأخير من الكتاب ، ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير ويمتثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهيةً لو رده، وكان بعضهم يبسط كفيه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هى العليا، وكانت عائشة وأم سلمة ﷺ إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا، فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله، وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ﷺ وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة، ومن حيث الباطن المعارف التى ذكرناها . هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم، ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل، وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله ﷺ : « **ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها** »[٦٧٦] وهذا كقوله ﷺ : «**لا يتقبل الله صدقة منان** » وكقوله عز وجل : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٤) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر، وقد أشرنا إلى معناه فى كتاب الصلاة.

(٦٧٦) حديث : « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها » تقدم الكلام عليه فى كتاب الصلاة .

(الوظيفة السادسة) : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها، والعُجْب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾ (التوبة : ٢٥) ويقال: إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل: لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور: تصغيره وتعجيله وستره، وليس الاستعظام هو المن والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى بل العُجْب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل، أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحيى منه فكيف يستعظمه، وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا يصرفه؟ فالمال لله عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلِمَ يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه . وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخَجِل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ (محمد : ٣٧) .

(الوظيفة السابعة): أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإذا كان المُخْرَج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقًا فلا يقع الموقع، وفى حديث أبان عن أنس بن مالك : «طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية »(٦٧٧) وإذا

---

(٦٧٧) حديث أنس : « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية » هكذا فى القوت.
قال العراقى : رواه ابن عدي والبزار بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وضعفه من قبل راويه عن أنس وتقدم الكلام فيه وأخرج البغوى والماوردى وابن قانع والطبرانى والبيهقى وتمام وابن عساكر عن ركب المصرى ﷺ رفعه: طوبى لمن تواضع فى غير معصية، وذل فى نفسه فى غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه فى غير معصية،=

لم يكن المُخْرَج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره، هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ (البقرة : ٢٦٧) أى : لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم. وفى الخبر : «**سبق درهم مائة ألف درهم**» (٦٧٨) . وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أجل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشىء مما يحبه، وبذلك ذم الله تعالى قومًا جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا ﴾ (النحل : ٦٢) وقف بعض القراء على النفى تكذيبًا لهم، ثم ابتدأ وقال : ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ (النحل : ٦٢) أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

(الوظيفة الثامنة): أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة . ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية، فإن فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى سته :

= وخالط أهل العفة والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق المال من فضله وأمسك الفضل من قوله .

(٦٧٨) حديث :« سبق درهم مائة ألف درهم » **قال العراقى** : رواه النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة .

وأخرج ابن المنذر عن أبى هريرة قال : لدرهم طيب أحب إلىّ من مائة ألف وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الآية . وبه تظهر مناسبة إيراد هذا الخبر بعد هذه الآية، ثم إن هذه الجملة هكذا أوردها صاحب القوت واقتصر عليها وقلده المصنف.

(الأولى) : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة، قال ﷺ : «لا تأكل إلا طعام تقي ، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(٦٧٩). وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته بإعانتك إياه، وقال ﷺ : « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين» وفي لفظ آخر : « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى »(٦٨٠). وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم، فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل، فقال: لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت هَم أحدهم فلأن أرد همة واحد إلى الله عز وجل أحب إليَّ من أن أعطي ألفًا ممن همته الدنيا، فذُكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال: هذا ولي من أولياء الله تعالى، وقال: ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حُكي أن هذا الرجل اختل حاله وهمَّ بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال: اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك، وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه .

(الصفة الثانية): أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية، وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له: لو عممت، فقال : إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل .

---

(٦٧٩) حديث : « لا تأكل إلا طعام تقي، ولا يأكل طعامك إلا تقي» **قال العراقي** : رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ: لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن المبارك وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء، وقال الترمذي: حسن وفي الرياض: إسناده لا بأس به ، وقال الحاكم: صحيح ، وأقره الذهبي إلا أن لفظهم: لا تصاحب، فالجملة الأخيرة من الحديث هي الموافقة لحديث أبي سعيد وإنما نهى عن مؤاكلة غير التقي لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى المخالطة بل هي أوثق عرى المداخلة ومخالطة غير التقي تخل بالدين وتوقع في الشبهة والمحظورات فكأنه نهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو من فساد إما بمتابعة فعل أو مسامحة في إغضاء عن منكر فإن سلم من ذلك فلا يخطئه فتنته الغيرية .

(٦٨٠) حديث : « أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى» **قال العراقي** : رواه ابن المبارك أخبرنا جويبر عن الضحاك مرسلا . اهـ. وفي بعض نسخ الكتاب وفي لفظ آخر بدل قوله وفي خبر آخر، وهكذا هو نص القوت .

(الصفة الثالثة): أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفى وصية لقمان لابنه « لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ». ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخَّر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله، فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه، والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع، وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة، وقد روى أنه ﷺ : « **بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول: احفظ ما يقول، فلما أخذ قال: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره، ثم قال: اللهم إنك لم تنس فلانا - يعنى نفسه - فاجعل فلانا لا ينساك - يعنى بفلان نفسه - فأخبر رسول الله ﷺ ذلك فَسُرَّ وقال ﷺ : علمت أنه يقول ذلك** »(٦٨١).

---

(٦٨١) حديث : « بعث معروفا إلى بعض الفقراء وقال للرسول: احفظ ما يقول، فلما أخذ قال: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره، ثم قال: اللهم إنك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانًا لا ينساك يعنى بفلان نفسه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسر به وقال: قد علمت أنه يقول ذلك » .

هكذا هو فى القوت إلا أنه قال: فلما أوصلها إليه قال :الحمد لله . . . إلخ وقال فى أوله: وجه رسول الله ﷺ إلى بعض الفقراء بمعروف . . . والباقى سواء، وقال: وقد روى ذلك عن عمر وأبى الدرداء مع حدير رضي الله عنهم . اهـ .

وقال العراقى : لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر رواه ابن منده فى الصحابة ولم يسق فيه هذه اللفظة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا وقد روينا من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء أشياء فقال: اللهم إنك لم تنس حديرا فاجعل =

فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده . « وقال ﷺ لرجل : تب، فقال : أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ : عرف الحق لأهله»(٦٨٢) .

ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه : قومي فقبلي رأس رسول الله ﷺ ، فقالت : والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله، فقال ﷺ : « دعها يا أبا بكر » ، وفي لفظ آخر أنها رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه : « بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك » (٦٨٣) فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله ﷺ ، ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين، قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾
(الزمر: ٤٥)

= حديرا لا ينساك . وقيل: إن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا بردة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين وذكره في الصحابة أبو أحمد الحاكم وابن عبد البر، وروى ابن الجوزي في صفوة الصفوة من طريق الخلال قصة حدير هذا .اهـ.

(٦٨٢) حديث : « قال لرجل: تب، فقال: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ : عرف الحق لأهله » هكذا هو في القوت وقال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث الأسود ابن سريع بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم في التوبة والبيهقي والضياء عنه ولفظهم جميعا قال: جيء بأسير إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ : تب، فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ : « عرف الحق لأهله خلوا سبيله ». وقال الحاكم: صحيح ورده الذهبي وقال : فيه محمد بن مصعب ضعفوه ،وقال الهيتمي: فيه عند أحمد والطبراني محمد ابن مصعب وثقه أحمد وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٦٨٣) حديث : « ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه قومي فقبلي رأس رسول الله ﷺ ، فقالت : والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ : دعها يا أبا بكر » قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة بلفظ: فقال أبواي: قومي فقبلي رأس رسول الله ﷺ ، فقلت: أحمد الله لا إياكما ، وللبخاري تعليقا: فقال أبواي: قومي إليه، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما لكن أحمد الله. وله ولمسلم فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. وللطبراني من حديث ابن عمر قال أبو بكر: قومي فاحتضني رسول الله ﷺ فقالت: لا والله لا أدنو منه. رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وفي لفظ آخر: لا بحمدك .

ومن لم يُصَفَّ باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره، فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه .

(الصفة الرابعة): أن يكون مستترا مخفيا حاجته، لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل، قال الله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (البقرة : ٢٧٣) أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم ، أعزة بصبرهم ، وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

(الصفة الخامسة): أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ٢٧٣) أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ٢٧٣). لأنهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الأطراف، فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها «وكان ﷺ يعطى العطاء على مقدار العيلة» (٦٨٤) وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال: كثرة العيال وقلة المال.

(الصفة السادسة): أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم، وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى، قال علىّ رضي الله عنه : « لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحبُّ إلىَّ من أن أتصدق بعشرين درهما، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلىَّ من أن أتصدق

(٦٨٤) حديث : « كان ﷺ يعطى العطاء على قدر العيلة، ويعطى المتأهل ضعف ما يعطى العزب، ويعطى صاحب العيال ضعفى ما يعطى المتزوج، ويعطى كل رجل على قدر أهل بيته»، هذا لفظ القوت، **قال العراقى** : لم أجد له أصلا. ولأبى الدرداء من حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفىء قسمه فى يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا .وقال أحمد حديث حسن .اهـ. ، وأخرجه أبو داود كذلك ولا شك أن هذا بمعنى ما ذكره صاحب القوت وتبعه الغزالى وفى المنتقى لابن الجارود من حديث عوف بن مالك: كان رسول الله ﷺ إذا جاه فىء، وفيه: فدعيت فأعطانى حظين وكان لى أهل .

بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إليَّ من أن أعتق رقبة ». والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يُقدَّمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى أن يطلب أعلاها فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى، ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ، فإن أحدُ أجْرَيْه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاده فى طاعته ، وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثانى ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل، فإن أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون الثانى، فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد ههنا وفى سائر المواضع، والله أعلم .



الفصل الثالث

فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مُطَّلبِى، اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل ، ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمى ولا إلى مطلبى، أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض وليهما، فلنذكر صفات الأصناف الثمانية :

(الصنف الأول : الفقراء) والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين، وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خُف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير، لأنه فى الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه، فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلو، والغالب أنه لا يوجد مثله، ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر، فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير، وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته، وإن كان متعبداً يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك، قال ﷺ : « **طلب الحلال فريضة بعد الفريضة**» (٦٨٥) وأراد به السعى فى الاكتساب، وقال

(٦٨٥) حديث : « طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » قال العراقى : رواه الطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ. =

عمر ﷺ: « كسب فى شبهة خير من مسألة » . وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير .

(الصنف الثانى: المساكين) والمسكين هو الذى لا يفى دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين ،وقد لا يملك إلا فأسًا وحبلا وهو غنى والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعنى ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض: التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ويمنع اسم المسكنة ،وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين . وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة، وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به، فإن كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغى أن يضبط مدة الحاجة، والأقرب أن يقال ما لا يحتاج إليه فى السنة

= وقال مرتضى : ولفظهما: كسب الحلال، وهكذا رواه القضاعى فى مسند الشهاب كلهم من طريق عباد بن كثير عن الثورى عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به مرفوعا وقال الهيثمى: تفرد به عباد وهو ضعيف، وقال أبو أحمد الفراء: يسأل عن حديث عباد فى الكسب فإذا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: إن كان قاله . قال الحافظ السخاوى فى المقاصد: وله شواهد بعضها يؤكد بعضا، منها: طلب الحلال واجب على كل مسلم . رواه الطبرانى فى الأوسط والديلمى عن أنس وإسناد الطبرانى حسن، ومنها: طلب الحلال جهاد . رواه القضاعى فى مسند الشهاب من طريق محمد بن الفضل عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس وهو عند أبى نعيم فى الحلية ومن طريق الديلمى عن ابن عمر وقد روى فى حديث ابن مسعود السابق أيضا بلفظ: طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة أى بعد المكتوبات الخمس. وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام الكلام على هذا إن شاء الله تعالى .

فهو مستغنى عنه، فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فإذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة، فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه ، وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما، فإن قال : إحداهما أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما، قلنا: اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه ، وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط ، وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الأخرى، وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له فى فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه يحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها، وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب فى التحديات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات، والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها إلا الاحتياط، والله أعلم .

(الصنف الثالث: العاملون) وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل، فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح .

(الصنف الرابع: المؤلفة قلوبهم على الإسلام) وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم .

(الصنف الخامس: المكاتبون) فيدفع إلى السيد سهم المكاتب، وإن دفع إلى المكاتب جاز، ولا يدفع السيد إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له .

(الصنف السادس: الغارمون) والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أو مباح وهو فقير، فإن استقرض فى معصية فلا يعطى إلا إذا تاب، وإذا كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة .

(الصنف السابع: الغزاة) الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم- وإن كانوا أغنياء - إعانة لهم على الغزو .

(الصنف الثامن: ابن السبيل) وهو الذى شَخَصَ من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيراً وإن كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته .

فإن قلت: فيم تعرف هذه الصفات؟ قلنا: أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه، وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز فإن لم يفِ به استرد، وأما بقية الأصناف فلابد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق، وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتى .

بيان وظائف القابض وهى خمس

(الأولى) : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحداً ، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحداً وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) . ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر، ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم، وفائدته تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة، فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقًا وعونًا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوّى

به على طاعة الله فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله كان كافرًا لأنعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه .

(الثانية) : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقًا وواسطة وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال ﷺ : « **من لم يشكر الناس لم يشكر الله** » (٦٨٦) . وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٤) إلى غير ذلك وليقل القابض فى دعائه طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار، وزكّى عملك فى عمل الأخيار، وصلّى على روحك فى أرواح الشهداء . وقد قال ﷺ : « **من أسدى إليكم معروفا فكافئوه**

(٦٨٦) حديث : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله» **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد، وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال الترمذى: حسن صحيح . اهـ .

وقال مرتضى : أخرجه الترمذى فى البر وأخرجه أحمد وقال الهيثمى: سنده حسن، والضياء فى المختارة وابن جرير فى التهذيب والحارث بن أبى أسامة كلهم من حديث أبى سعيد به مرفوعا ،وفى الباب عن أبى هريرة أخرجه ابن جرير، وعن جابر أخرجه الطبرانى فى الكبير والديلمى، وعن النعمان أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب، وقد أفرد الحافظ الدمياطى طرقه فى جزء، كذا قال الحافظ السخاوى فى المقاصد.

وقال مرتضى : والمراد بقول العراقى نحوه وقول السخاوى فى الباب هو حديث: لا يشكر الله من لا يشكر الناس، الذى رواه أحمد وأبو داود وابن جرير وابن حبان وصاحب الحلية والبيهقى عن أبى هريرة ، وقد أخرجه الطبرانى والضياء من حديث جرير وأخرجه هناد والبيهقى من حديث أبى سعيد وأخرجه أحمد أيضا من حديث الأشعث بن قيس، وأخرجه الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى الأفراد عن بشر بن أبى المليح عن أسامة عن أبيه عن جده، قال الدارقطنى: تفرد به بشر ولم يرو عنه غير عباد بن سعيد، وأما حديث النعمان بن بشير الذى أخرجه الطبرانى فلفظه: لا يشكر الله عز وجل من لا يشكر الناس، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب واختلفوا فى ضبط هذا الحديث قال ابن العربى روى برفع الله والناس وبضمهما ورفع أحدهما ونصب الآخر **قال العراقى** : والمعروف المشهور فى الرواية بضمهما ويشهد رواية عبد الله بن أحمد من لم يشكر للناس لم يشكر لله .اهـ.

فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه» (٦٨٧) . ومن تمام الشكر أن يستتر عيوب العطاء إن كان فيه عيب، ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع، ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه، فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام، وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض، والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذُ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل، فإن من لا يرى الواسطة فقد جهل، وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا.

(الثالثة) : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حِلّ تورَّع عنه، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ،ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحًا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به، على ما سيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام، وذلك إذا عجز عن الحلال، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام .

(الرابعة) : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح، ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق، فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدَّين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل، وإن أعطى زيادة أبَى وامتنع إذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به، وإن كان مسافرًا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده، وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه الغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير

(٦٨٧) حديث : « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ: من صنع . اهـ.

وقال مرتضى : وأخرج البيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ: من صنع إليه معروف فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره فمن ذكره فقد شكره . وأما لفظ: من أسدى، فهو من حديث آخر أخرجه الشيرازى فى الألقاب عن ابن عباس رفعه: من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب .

ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر، والورع ترك ما يريبه، إلى ما لا يريبه وإن أخذ منه بالمسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبادل بما يكفى ويفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتهاده، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه، وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو ممقوت فى الشرع، ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل، ومن حيث إن رسول الله ﷺ «**ادخر لعياله قوت سنة**» (٦٨٨) فهذا أقرب ما يحدُّ به حد الفقير والمسكين، ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى، ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أنه ﷺ «**نهى عن السؤال مع الغنى، فسئل عن غناه فقال ﷺ: غداؤه وعشاؤه**» (٦٨٩).

---

(٦٨٨) حديث: «ادخر لعياله قوت سنة» **قال العراقى**: أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة. وللطبرانى في الأوسط من حديث أنس كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى. قال الذهبى: حديث منكر. اهـ.

وقال مرتضى: وفى حديث عمر بن الخطاب ومخاصمة على وابن عباس فى أموال بنى النضير ما نصه: قال: فإنى سأخبركم عن هذا الفىء، ثم ساق وفيه: ولقد قسمها بينكم وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال فكان ينفق منه على أهله رزق سنة ثم يجمع ما بقى منه مجمع مال الله عز وجل . . . الحديث، وفى رواية وكان ينفق منها على أهله، فهذا يؤيد ما أخرجه الطبرانى فتأمل.

(٦٨٩) حديث: «نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ﷺ: غداؤه وعشاؤه» **قال العراقى**: رواه أبو داود وابن حبان بلفظ: من سأل وله ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم. اهـ.

وقال مرتضى: وفى رواية: وعنده ما يغنيه، وفيه قالوا: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال:=

وقال آخرون : يأخذ إلى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة، إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء، فقالوا : له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة .

وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه ﷺ قال : «من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش، فسئل: وما غناه؟ قال: خمسون درهما أو قيمتها من الذهب »(٦٩٠). وقيل: راويه ليس بقوي، وقال قوم: أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه ﷺ قال : « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال » (٦٩١). وبالغ

= قدر ما يغديه أو يعشيه. وهكذا رواه أحمد وابن خزيمة وابن جرير والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي، وقال الطحاوي في تبيين المشكل: حدثنا أبو البشر الرقي حدثنا أيوب بن سويد عن عبد الرحمن عن يزيد بن جابر حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي كبشة السلوي قال: حدثني سهل ابن الحنظلية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سأل الناس عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، قلت: يا رسول الله وما ظهر غنى ؟ قال : أن يعلم أن عند أهله ما يغديهم أو ما يعشيهم. وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند من حديث علي: من سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم ، قالوا : ما ظهر غنى؟ قال : عشاء ليلة .

(٦٩٠) حديث : « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش، فسئل: ما غناه؟ قال: خمسون درهما أو قيمتها من الذهب » قال العراقي : رواه أصحاب السنن، وقال الترمذي: حسن . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أحمد وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي، وروى أحمد هذا الحديث أيضا بلفظ: من سأل مسألة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كدوحا في وجهه، ولا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما أو عوضها من الذهب. ورواه ابن أبي شيبة عن علي وعبد الله جميعا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما أو عوضها من الذهب وعن إبراهيم النخعي وسفيان والحسن البصري وحماد مثله وقال الطحاوي: حدثنا الحسن بن نصر حدثنا الفريابي (ح) وحدثنا ابن مرزوق حدثنا أبو عاصم قالا جميعا عن سفيان عن حكيم بن جبير عن محمد ابن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود رفعه: لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه إلا جاءت شينا أو كدوحا أو خدوشا في وجهه يوم القيامة، قيل: يا رسول الله وماذا غناه؟ قال: خمسون درهما أو حسابها من الذهب. حدثنا أحمد بن خالد البغدادي حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا يحيى بن آدم حدثنا سفيان فذكر بإسناده مثله، غير أنه قال: كدوحا في وجهه ولم يشك، وزاد فقيل لسفيان: لو كانت عن غير حكيم، فقال: حدثنا زبيد عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد مثله .

(٦٩١) حديث عطاء بن يسار منقطعا أنه ﷺ قال : « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال »=

آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار ما يشترى به ضيعة فيستغنى بها طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره لأن هذا هو الغنى، وقد قال عمر رضي الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا، حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الإعتدال : « ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال : جعلته صدقة فقال ﷺ : «اجعله فى قرابتك فهو خير لك فأعطاه حسان وأبا قتادة » (٦٩٢)

= قال العراقى : رواه أبو داود والنسائى من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته، وأخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد .اهـ.

وقال مرتضى : قال الطحاوى يونس حدثنا ابن وهب أن مالكا حدثه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن رجل من بنى أسد قال: نزلت أنا وأهلى ببقيع الغرقد فقال لى أهلى: اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئا نأكله ، وجعلوا يذكرون حاجتهم فذهب إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلا يسأله ورسول الله ﷺ يقول: لا أجد ما أعطيك فولى الرجل وهو مغضب وهو يقول لعمرى إنك لتفضل من شئت فقال رسول الله ﷺ إنه ليغضب علىّ لا أجد ما أعطيه من سأل منكم وعنده أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا. قال الأسدى: فقلت للقمة لنا خير من أوقية . قال: والأوقية أربعون درهما ، قال: فرجعت ولم أسأله ، فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك بشعير وزبيب فقسم لنا منه حتى أغنانا الله تعالى .

وأما حديث أبى سعيد فقد أخرجه أيضا ابن خزيمة والدارقطنى بلفظ: من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف . ورواه الطحاوى من طريق عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه غير أنه قال : فهو ملحف، وأخرج النسائى والبيهقى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: من سأل وله أربعون درهما فهو الملحف، وروى أحمد والبيهقى عن رجل من بنى أسامة بلفظ: من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا .

(٦٩٢) حديث : « ولما شغل أبا طلحة بستانه قال: جعلته صدقة، فقال ﷺ : اجعله فى قرابتك فهو خير لك، فأعطاه حسان وأبا قتادة» أخرجه البخارى ومسلم والنسائى، قال البخارى فى باب الزكاة على الأقارب: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالى إلىّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال: فقال رسول الله ﷺ : بخ،=

فحائط من نخل لرجلين كثير مغن ، وأعطى عمر رضي الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئر لها، فهذا ما حكى فيه. فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضا مائل إلى الإسراف، والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة، فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق، وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جُزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورِع : « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك » (٦٩٣) كما قال ﷺ . إذ الإثم حزاز القلوب، فإذا وجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فإن لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات، والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة .

(الخامسة) : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثُّمُن فلا يأخذه منه فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه، وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لا يراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم، وسيأتى ذكر مضار السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى .

★ ★ ★

= ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه، وجزم التيمى بأن المراد ببيرحاء البستان معللا بأن بساتين المدينة تدعى بآبارها، وقال عياض: هو اسم أرض لأبى طلحة بالمدينة ، وأهل الحديث يحسبون أنها بئر من آبار المدينة وفى بعض طرق البخارى: بخ يا أبا طلحة، ذلك مالك رابح قبلناه منك ورددناه عليك فاجعله فى الأقربين، فتصدق به أبو طلحة على ذوى رحمه، قال: وكان منهم حسان وأبى قال: فباع حسان حصته من معاوية وخرجه فى الوصايا بلفظ: اجعلها لفقراء قرابتك . ثم قال البخارى: وحسان يجتمع مع أبى طلحة فى الأب الثالث ومع أبى فى الجد السابع .

وقال مرتضى : وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحسان هو ابن ثابت بن المنذر بن حرام فهو ابن عم أبى طلحة القريب، وأبو قتادة هو الحارث بن ربعى بن بلذمة بن خناس يجتمع مع أبى طلحة فى الجد الأعلى فهو ابن عمه البعيد .

(٦٩٣) حديث : « استفت قلبك . . . » تقدم فى كتاب العلم .

الفصل الرابع

صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

(من الأخبار) قوله ﷺ : « تصدَّقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » (٦٩٤).

وقال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» (٦٩٥).

وقال ﷺ : « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أُحد»(٦٩٦).

---

(٦٩٤) حديث : « تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » قال العراقى: رواه ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن: « استتر من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . وللبزار وأبى يعلى من حديث أبى بكر: « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان» . وإسناده ضعيف، وللترمذى وصححه وللنسائى فى الكبراء وابن ماجه من حديث معاذ: « والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار » . اهـ .

(٦٩٥) حديث : « اتقوا النار ولو بشق تمرة . . . الحديث» قال العراقى : خرجاه من حديث عدى ابن حاتم . اهـ .

وقال مرتضى : ورواه أيضا النسائى ورواه أحمد عن عائشة والبزار والطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس والبزار عن النعمان بن بشير وعن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وأبى أمامة، والحديث متواتر، وفى حديث آخر: « إن الكلمة الطيبة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة » . رواه مسلم، وأخرج مسلم أيضا عن عدى بن حاتم مرفوعا: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » .

(٦٩٦) حديث : « ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيبا - إلا كان الله=

وقال ﷺ لأبى الدرداء : « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف » (٦٩٧) .

وقال ﷺ : «ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته» (٦٩٨) .

= عز وجل هو يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربى أحدكم فصيله أو فلوه، حتى تبلغ التمرة مثل أحد » .

قال العراقى : رواه البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبراء واللفظ له وابن ماجه من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخارى معلقا فى كتاب التوحيد بلفظ : من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا طيب. وأخرجه فى كتاب الزكاة موصولا بلفظ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ». وأخرجه مسلم بلفظ : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله » وفى لفظ آخر : « لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبال أو أعظم » . وفى رواية: من الكسب الطيب فيضعها فى حقها . وأخرجه البزار من حديث عائشة بلفظ : فيتلقاها الرحمن بيده. وعند الترمذى من حديث أبى هريرة : حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد .

(٦٩٧) حديث : « قال لأبى الدرداء: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف » قال العراقى : رواه مسلم من حديث أبى ذر، قال: ذلك له، وما ذكره المصنف أنه قال لأبى الدرداء وهم . اهـ .

وقال مرتضى : هكذا وقع فى سائر نسخ الكتاب وهو تابع لما فى القوت وهكذا هو فيه، ولعله وقع تصحيف من النساخ فإن اللفظتين متقاربتان ثم إن لفظ مسلم : إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك، أورده فى البر والصلة لكن من حديث أبى هريرة لأبى ذر، وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة وأحمد والبزار من حديث جابر بلفظ: إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق فإنه أوسع وأبلغ بالجيران .

(٦٩٨) حديث : « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته » أما إحسان العبد الصدقة وصفة كمالها فإن يخرجها بانشراح صدر ومن أطيب ماله والمسارعة فيها خوف الحوادث وعدم التكبر فى رؤيتها وعدم استعظامها ، إلى غير ذلك من الأحاديث التى ذكرت فى سياق المصنف، والمراد بتركته أولاده، ومعنى إحسان الله الخلافة فيهم أن يخلفه فى أولاده وعياله=

وقال ﷺ : « كل امرئ في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس » (٦٩٩) .

وقال ﷺ : « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » (٧٠٠) .

وقال ﷺ : « صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل » (٧٠١) .

= بالحفظ لهم والحراسة والحديث قال العراقي : رواه ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه . اهـ .

وقال مرتضى : ابن شهاب هو الزهرى ، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريقه عن أنس، كذا قاله الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير .

(٦٩٩) حديث : « كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس ». قال العراقي : رواه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم من حديث عقبة بن عامر . اهـ .

وقال مرتضى : ولفظ الحاكم: حتى يفصل، وأقر الذهبى على تصحيحه، وقال فى المذهب: إسناده قوى، وقد رواه أحمد أيضا ورجاله ثقات، قال الهيثمى: ومعنى الحديث أن المتصدق يكفى المخاوف ويصير فى كنف الله وستره، يقال: أنا فى ظل فلان أى فى ذراه وحماه أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير لها ظل يخلق الله وإيجاده، كما قيل فى نظائره من ذبح الموت ووزن الأعمال ، وقال بعض السلف: لا يأتى عليّ يوم إلا أتصدق ولو ببصلة أو لقمة. وعند الطبرانى فى الكبير من حديث عقبة بن عامر مرفوعا بلفظ: « إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة فى ظل صدقته ». وفى إسناده ابن لهيعة .

(٧٠٠) حديث : « الصدقة تسد سبعين بابا من الشر » قال العراقي : رواه ابن المبارك فى البر من حديث أنس بسند ضعيف: « إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء » .

وقال مرتضى : قد رواه الطبرانى فى الكبير عن رافع بن خديج بلفظ المصنف وهكذا فى نسخ المعجم : من السوء، وفى بعضها: من الشر، قال الهيثمى: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف، وأورده الخطيب فى تاريخه فى ترجمة الحارث الهمدانى عن أنس رفعه: « الصدقة تمنع سبعين بابا من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص» . والحارث هو ابن النعمان ضعيف. وروى القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة : الصدقة تمنع ميتة السوء. قال العامرى: صحيح ، وورد بأن فيه من لا يعرف، كذا قال الحافظ ابن حجر، والمراد بميتة السوء سوء الخاتمة ووخامة العاقبة أعاذنا الله منها وسائر المسلمين .

(٧٠١) حديث : « صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل » وهذا قد تقدم الكلام عليه فى الفصل الثانى وأنه رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى، وروى الترمذى عن أنس ابن مالك مرفوعا :« إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ». وقال :حسن غريب.

وقال ﷺ : « ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة » (٧٠٢) .

ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد بإعطائه عمارة دينه « وسئل رسول الله ﷺ : أى الصدقة أفضل؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان » (٧٠٣) . « وقد قال ﷺ يوما لأصحابه : تصدقوا ، فقال رجل: إن عندى ديناراً، فقال : أنفقه على نفسك، فقال: إن عندى آخر، قال : أنفقه على زوجتك، قال: إن عندى آخر، قال: أنفقه على ولدك، قال : إن عندى آخر، قال : أنفقه على

(٧٠٢) حديث : « ما المعطى من سعة بأفضل أجراً من الذى يقبل من حاجة » والحديث رواه صاحب القوت عن عائذ بن شريح عن أنس .

قال العراقى : رواه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: وكذا رواه أبو نعيم فى الحلية ولفظه ولفظ الطبرانى فى الأوسط وكذا لفظ ابن حبان: « ما الذى يعطى بأعظم أجراً من الذى يقبل إذا كان محتاجا » . وفى مسند الطبرانى فقال: قال الهيثمى: فيه عائذ بن شريح صاحب أنس وهو ضعيف، وقال الذهبى فى الميزان: قال أبو حاتم: فى حديثه ضعف، وقال ابن طاهر: ليس بشىء، وفيه أيضا يوسف بن أسباط متروك وهذان أيضا فى مسند أبى نعيم، وأما لفظ الطبرانى فى الكبير الذى أشار إليه العراقى: ما المعطى من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا. وقوله: بسند ضعيف، أى فيه مصعب بن سعيد وهو ضعيف، قاله الهيثمى .

(٧٠٣) حديث : « سئل ﷺ : أى الصدقة أفضل؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح. . .الحديث» .

قال العراقى: أخرجاه من حديث أبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائى كذلك إلا أن فى سياقهم تفاوتا، فلفظ مسلم: أى الصدقة أعظم ؟ فقال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان. وفى لفظ آخر: أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال : أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت شحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان. وفى رواية: أى الصدقة أفضل؟ تفرد مسلم بقوله: أما وأبيك لتنبأنه، وبقوله: وتأمل البقاء، وفى بعض طرق البخارى :وأنت صحيح حريص، ذكره فى الوصايا، وبه يظهر لك أن السياق الذى ساقه المصنف ملفق من روايات .

خادمك، قال: إن عندى آخر، قال عليه السلام: أنت أبصر به » (٧٠٤).

وقال عليه السلام: «لا تحل الصدقة لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس » (٧٠٥).

---

(٧٠٤) حديث : « وقال عليه السلام لأصحابه: تصدقوا تصدقوا ، فقال رجل : إن عندى دينارا، فقال: أنفقه على نفسك، فقال: إن عندى آخر ،قال: أنفقه على زوجك، فقال: إن عندى آخر، قال: أنفقه على ولدك، قال: إن عندى آخر، قال: أنفقه على خادمك، قال: إن عندى آخر، قال : أنت أبصر به » .

قال العراقى : رواه أبو داود إلخ، والنسائى واللفظ له، وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة، وقد تقدم قبل بيسير . اهـ .

وقال مرتضى: تقدم فى أول الباب وفيه تقديم نفقة الولد على نفقة الزوجة وهنا بعكسه وتقدم الكلام عليه، وأخرج مسلم من حديث الليث عن ابن الزبير عن جابر مرفوعا: « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك، فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا ، يقول بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ». وهكذا أخرجه النسائى أيضا .

(٧٠٥) حديث: «لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هى أوساخ الناس » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة . اهـ .

وقال مرتضى : ورواه أحمد والطحاوى كذلك، ولفظ مسلم من طريق مالك عن الزهرى أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن الحارث ابن ربيعة حدثه قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا : والله لو بعثنا هذين الغلامين – قال: لى وللفضل ابن العباس – إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فأمّرهما على هذه الصدقة ، فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس قال: فبينما هما على ذلك جاء على بن أبى طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك، فقال على : لا تفعلا فوالله ما هو بفاعل، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال : والله ما تصنع هذا إلا نفاسه منك علينا فوالله لقد نلت صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نفسناه عليك، قال على: أرسلوهما فانطلقا واضطجع على قال: فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ، ثم قال: أخرجا ما تصضرران ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب ابنة جحش، قال: فتواكلنا ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك كما يؤدى الناس ونصيب ما يصيبنا، قال : فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه، قال: وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه قال: ثم قال : إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس، ادعوا لى محمأة وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءا له فقال لمحمأة: انكح هذا الغلام ابنتك=

وقال: «ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام» (٧٠٦) .

وقال ﷺ : «لو صدق السائل ما أفلح من رده» (٧٠٧) .

= للفضل بن عباس فأنكحه، وقال لنوفل بن الحارث: انكح هذا الغلام لى فأنكحنى، وقال لمحمأة: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا. قال الزهرى : ولم يسمه لى، وفى طريق أخرى لمسلم: فألقى على رداءه ثم اضطجع عليه فقال: أنا أبو حسن القوم والله لا أريم مكانى حتى يرجع إليكما أبناؤكما بخبر ما بعثما به إلى رسول الله ﷺ ثم قال لنا : إن هذه الصدقات إنما هى أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وفيه: ثم قال رسول الله ﷺ : ادعوا لى محمأة بن جزء وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله ﷺ يستعمله على الأخماس. ولم يخرج البخارى هذا الحديث ولا أخرج عن عبد المطلب بن ربيعة فى كتابه شيئا، وقد أخرج تحريم الصدقة على آل محمد من حديث أبى هريرة وأخرجه الطحاوى من طريق جريرة بن أسماء عن مالك عن الزهرى كسياق مسلم الأول سواء، وأخرج الترمذى والنسائى والحاكم والطحاوى عن أبى رافع مولى النبى ﷺ : «إن الصدقة لا تحل لنا وإن مولى القوم منهم» .

(٧٠٦) حديث : «ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام» قال العراقى : رواه العقيلى فى الضعفاء عن عائشة . اهـ.

قال مرتضى : وفى بعض رواياته :ولو بمثل رأس الذباب، وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال: لا يصح، والمتهم به إسحاق بن نجيح، قال أحمد: هو من أكذب الناس، وقال يحيى: كان يضع،وقال الذهبى: آفته من عثمان الوقاصى، وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن علية عن خباب بن المختار عن عمرو بن سعيد أن سائلا سأل حميد بن عبد الرحمن، فساق الحديث وفيه: فقال حميد: كان يقال: ردوا السائل ولو بمثل رأس القطاة.

(٧٠٧) حديث : «لو صدق السائل ما أفلح من رده» قال العراقى : رواه العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة، قال العقيلى: لا يصح فى هذا الباب شيء، وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه العقيلى أيضا من حديث ابن عمرو، وفى الاستذكار لابن عبد البر روى من جهة جعفر بن محمد عن أبيه عن جده به مرفوعا ومن جهة يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة مرفوعا أيضا بلفظ: «لولا أن السؤّال يكذبون ما أفلح من ردهم» . وحديث عائشة عند القضاعى بلفظ: ما قدس بدل ما أفلح، قال ابن عبد البر : وأسانيدها ليست بالقوية. قال الحافظ السخاوى : وسبقه ابن المدينى فأدرجه فى خمسة أحاديث قال إنه لا أصل لها، ثم نقل عن العقيلى ما تقدم أنه لا يصح فى هذا الباب شيء. هكذا ذكره الذهبى فى الميزان عنه، وأما قوله: وللطبرانى نحوه إلخ، فلفظه: لولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من=

وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام . « وكان نبينا ﷺ : لا يكل خصلتين إلى غيره : كان يضع طهوره بالليل ويخمره، وكان يناول المسكين بيده» (٧٠٨) .

وقال ﷺ : «ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ، إنما المسكين المتعفف ، اقرءوا إن شئتم : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (البقرة: ٢٧٣) » (٧٠٩) .

= ردهم ، وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف قاله الهيثمى، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ونازعه الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة .

(٧٠٨) حديث : « وكان نبينا ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره: كان يضع طهوره بالليل ويخمره، وكان يناول المسكين بيده » قال العراقى : رواه الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وأعله الحافظ مغلطاى فى شرح ابن ماجه بأن فيه علقمة بن أبى جمرة وهو مجهول، ومطهر بن الهيثم متروك، ولفظه : كان لا يكل طهوره إلى أحد ولا صدقته التى يتصدق بها بل يكون هو الذى يتولاها بنفسه .

(٧٠٩) حديث : « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم: لا يسألون الناس إلحافا » قال العراقى: متفق عليه من حديث عائشة .

قال مرتضى: هكذا قال من حديث عائشة والذى فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة من طريق شعبة عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ فساقه، وسياق المصنف أقرب إلى سياق مسلم بل هو هو، فإنه قال عن أبى هريرة مرفوعا: « ليس المسكين بالذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان، إن المسكين المتعفف، اقرءوا إن شئتم: لا يسألون الناس إلحافا » وفى لفظ آخر: « ليس المسكين بهذا الطوّاف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا» ولفظ البخارى: « ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذى ليس له غنى ويستحيى ، أو لا يسأل الناس إلحافا » وأخرجه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى والطحاوى كلهم من حديث أبى هريرة، فألفاظه متقاربة بعضها من بعض .

وقال ﷺ : « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة »(٧١٠) .

(الآثار) قال عروة بن الزبير: لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لمرقع .

وقال مجاهد فى قول الله عز وجل : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان: ٨) .

فقال: وهم يشتهونه .

وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر بن عبد العزيز: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه.

وقال ابن أبى الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء، وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا، وإنها لتفك لحى سبعين شيطانا.

وقال ابن مسعود: إن رجلا عَبَدَ الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة .

وقال لقمان لابنه: إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة. وقال يحيى بن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة. وقال عبد العزيز بن أبى رواد : كان يقال: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المرض ، وكتمان الصدقة، وكتمان المصائب، وروى مسندا.

---

(٧١٠) حديث : « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان فى حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة» قال العراقى : رواه الترمذى وحسنه، والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : رواه الترمذى فى أثناء أبواب الحوض وقال: حسن غريب، ومن طريقه الحاكم وصححه بلفظ: « ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان فى حفظ من الله تعالى ما دام عليه منه خرقة » وعند أبى الشيخ فى كتاب الثواب عن ابن عباس: « من كسا مسلما ثوبا لم يزل فى ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك ». وعند ابن النجار بلفظ : «من كسا مسلما ثوبا كان فى حفظ من الله ما بقى عليه منه خرقة » .

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة : أنا أفضلكن . وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران : ٩٢). والله يعلم أنى أحب السكر.

وقال النخعى: إذا كان الشىء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب. وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله، ومن سقى لله عز وجل سقاه الله، ومن كسا لله عز وجل كساه الله .

وقال الحسن: لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض .

وقال الشعبى: من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه .

وقال مالك: لا نرى بأسًا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص .

ويقال: إن الحسن مرَّ به نخَّاس ومعه جارية، فقال للنخاس: أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين؟ قال: لا، قال: فاذهب فإن الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة .

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الإخلاص فى ذلك: فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل ، ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل، ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه.

أما الإخفاء ففيه خمسة معان

الأول: أنه أبقى للستر على الآخذ فإن أخذه ظاهرًا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف .

الثانى : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة، والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى . وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث فى جيرانى حسداً . وقال بعض الزهاد: ربما تركت استعمال الشىء لأجل إخوانى، يقولون: من أين له هذا ؟

وعن إبراهيم التيمى أنه رُئى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه: من أين لك هذا ؟ فقال: كسانيه أخى خيثمة، ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته .

الثالث: إعانة المعطى على إسرار العمل، فإن فضل السر على الجهر فى الإعطاء أكثر، والإعانة على إتمام المعروف معروف، والكتمان لا يتم إلا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى ، ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئًا ظاهراً فرده إليه ودفع إليه آخر شيئًا فى السر فقبله، فقيل له فى ذلك فقال: إن هذا عمل بالأدب فى إخفاء معروفه فقبلته، وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه. وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا فى الملأ فرده، فقال له : لِمَ ترد على الله عز وجل ما أعطاك ؟ فقال: إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى، ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك. وقبل بعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك فقال: عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية، وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك. وقال الثورى: لو علمت أن أحدكم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته .

الرابع : أن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهانا، وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ، ويقول: إن فى إظهاره إذلالا للعلم وامتهانا لأهله، فما كنت بالذى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله .

الخامس : الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال ﷺ : « **من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها** » (٧١١) . وبأن يكون وَرِقًا أو ذهبًا لا يخرج عن كونه هدية، قال ﷺ :

(٧١١) حديث : « من أهدى إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها » هكذا أورده صاحب القوت.=

«أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورَقا أو يطعمه خبزاً »(٧١٢) .فجعل الورَق هدية بانفراده، فما يعطى فى الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة .

= قال العراقى : رواه العقيلى وابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط والبيهقى من حديث ابن عباس، وقال العقيلى: لا يصح فى هذا المتن حديث . اهـ.

وقال مرتضى : ولفظهم كلهم : « من أهديت إليه هدية . . . » وهو أيضا فى مسند عبد بن حُميد ومصنف عبد الرزاق من حديث ابن عباس وفى مسند إسحاق بن راهويه والغيلانيات لأبى بكر الشافعى ومعجم الطبرانى من حديث الحسن بن على وعند العقيلى من حديث عائشة كلهم به مرفوعا، وقال العقيلى : لا يصح فى هذا الباب عن النبى ﷺ شىء وأورده البخارى فى الصحيح معلقا ، فقال : ويذكر عن ابن عباس أن جلساءه شركاؤه فيها وأنه لم يصح ، قال الحافظ السخاوى : ولكن هذه العبارة من مثله لا تقتضى البطلان بخلافها من العقيلى، وعلى كل حال فقد قال شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر: إن الموقوف أصح - والله أعلم .

(٧١٢) حديث : « أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا » هكذا أورده صاحب القوت، وقوله: ورقا هكذا بالنصب فى سائر الكتاب ونسخ القوت، ووجدت بخط الحافظ العراقى فى نسخة المغنى: صوابه ورق .

قال مرتضى : ووجهه أنه مرفوع على الخبر وعلى تقديره يبقى المبتدأ بلا خبر فتأمل .

قال العراقى: رواه ابن عدى وضعفه من حديث ابن عمران: « أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا» . ولأحمد والترمذى وصححه من حديث البراء : « من منح منحة ورق أو منحة لبن أو أهدى زقاقا فهو كعتاق نسمة » . اهـ.

وقال :حديث ابن عمر يصلح أن يكون شاهدا للجملة الثانية وهو ظاهر، ولقائل أن يقول : خص الخبز مع أن إطعام اللحم وغيره من الأطعمة يدخل فى الفضيلة، فالجواب: إنما خصه لعموم تيسير وجوده حتى لا يبقى للمرء عذر فى ترك الأفضل عن الإخوان، ويصلح أن يكون أيضا شاهدا للجملة الأولى فإن الديون لا تقضى غالبا إلا بدفع النقود. ثم إن حديث ابن عمر المذكور أخرجه البيهقى وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج من حديث أبى هريرة: سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ فقال: « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تقضى عنه دينا أو تطعمه خبزا » وفى سند البيهقى عمار بن محمد فيه نظر والوليد بن شجاع قال أبو حاتم: لا يحتج به. وأما حديث البراء فيصلح ان يكون شاهدا للجملة الأولى خاصة وقد رواه ابن حبان كذلك وصححه البغوى تبعا للترمذى، وقال الهيثمى: رجال أحمد رجال الصحيح ،ومعنى منحة ورق القرض، هكذا فسره الزمخشرى، ومعناه: إعطاء الدراهم قرضا فهو كالهدية والمراد بمنحة اللبن أن يعير أخاه ناقته أو شاته يحلبها مرة ثم يردها، وأما قوله: أو=

أما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة.

والثانى : إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبرى عن الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق، قال بعض العارفين لتلميذه: أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذًا فإنك لا تخلو عن أحد رجلين: رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك، أو رجل تزداد فى قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذى يريده أخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه.

الثالث: هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل، والسر والعلانية فى حقه واحد، فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم: كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية، والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال بل ينبغى أن يكون النظر مقصورًا على الواحد الفرد. حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال: لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد، فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه ردَّ الدجاجة، فسألهم فقالوا: فعلنا ما أمرنا به الشيخ، فقال الشيخ للمريد: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟فقال ذلك المريد : لم أقدر على مكان لا يرانى فيه أحد فإن الله يرانى فى كل موضع، فقال الشيخ: لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل .

الرابع : إن الإظهار إقامة لسنة الشكر، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى:١١). والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النساء: ٣٧).

= أهدى كذا وقع فى بعض نسخ المغنى وفى بعضها: هدى بالتخفيف من الهداية، وفى بعضها: هدأ من التهدئة للمبالغة من الهداية أو فى الهدية. رقاق بالكسر : جمع رق وهو السقاء .

وقال ﷺ : «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحَب أن تُرى نعمته عليه» (٧١٣) .

وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا فى السر فرفع به يده وقال: هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل، والسر فى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت فى الملأ فخذ ثم ارذد فى السر . والشكر فيه محثوث عليه، قال ﷺ : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ : « من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه خيراً وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه » . «ولما قال المهاجرون فى الشكر: يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال ﷺ : كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة» (٧١٤) .

فالآن إذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسألة بل هو اختلاف حال، فكشف الغطاء فى هذا أنَّا لا نحكم حكما باتّا بأن الإخفاء أفضل فى كل حال أو الإظهار أفضل ،بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان، والمكر والخداع أغلب فى معانى الإخفاء منه فى الإظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما، فأما مدخل الخداع فى الإسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه

---

(٧١٣) حديث : « إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن تُرى عليه » قال العراقى : رواه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح وحسنه الترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . اهـ .

(٧١٤) حديث : « لما قالت المهاجرون فى الشكر: يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال ﷺ : كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به أى ذلك هو مكافأة » هكذا أورده صاحب القوت، قال العراقى : رواه الترمذى وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم وصححه . اهـ. قال صاحب القوت: وهذا هو الأقرب إلى قلوب الموحدين من العارفين لأنه مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم لاستواء ظروف الأيدى عندهم من العبيد ونفاذ نظرهم إلى المعطى الأول فاستوت علانيتهم وسرهم فى الأخذ من يده .

من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء وإلى المعطى بعين المنعم المحسن، فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس، والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله، فإنه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقي انتهاك الستر أو إعانة المعطى على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه، فإن إذلال العلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو، والغيبة محذورة من حيث إنها تعرُّض لعرض مصون لا من حيث أنها تعرُّض لعرض زيد على الخصوص، ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ ، وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطبيب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله، وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة، ويقول له: الشكر من السنة والإخفاء من الرياء، ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه، ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب فى عطائه وبين يدى جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون فى إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفى ولا يشكر، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة وإلا فهو مغرور، ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى، فينظر فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي أن يخفى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم، وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال ﷺ للرجل الذى مدح بين يديه : «**ضربتم عنقه، لو سمعها ما أفلح**» (٧١٥) . مع أنه

---

(٧١٥) حديث : «قال ﷺ للرجل الذى مدح بين يديه: ضربتم عنقه » ولفظ القوت : « مدح رجل رجلا عند النبى ﷺ فقال : ضربت عنقه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث=

ﷺ كان يثنى على قـوم فى وجوههم لثقتـه بيقينهم وعلمـه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخـير، فقال لواحد: « إنه سيـد أهل الوبر » (٧١٦).

وقال ﷺ فـى آخر : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » (٧١٧).

= أبى بكرة بلفظ : « ويحك قـطعت عنق صاحـبك » وزاد الطبـرانى فى رواية : « والله لو سمعها ما أفلح » أبدا وفى سنده على بن زيد بن جـدعان تُكلم فيه، وله نحوه من حديث أبى موسى . اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الطبرانى فى معجمه الكبير: أخيك بدلاً من صاحبك، وفيه بعد قوله: أبدا، إذا أثنى أحدكم على أخيه فليقل: إن فلانا ولا أزكى على الله أحدا .

(٧١٦) حديث: كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير، فقـال لواحد : « إنه سيد أهل الوبر » كذا فى القوت. قال العـراقى : رواه البغوى والطبـرانى وابن نافع فى معاجمهـم وابن حبان فى الثقات من حـديث قيس بن عاصم المنقرد أن النبى ﷺ قال له ذلك . اهـ.

وقـال مـرتضى : ترجمه المزى فى تهـذيب الكمال فقال: وفد سنة تسع وكان شـريفا عاقلا جوادا، قال النبى ﷺ : « هذا سيد أهل الوبر » . نزل البصرة .

(٧١٧) حديث : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » قال العراقى: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر ورواه أبو داود فى المراسيل من حديث الشـعبى مرسلا بسند صحيح، وقـال: روى متصلا وهو ضعيف، والحاكم نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه وصحح إسناده . اهـ.

وقـال مـرتضى : وحديث ابن عمر فيـه محمد بن الصباح ومحمد بن عجـلان تُكلم فيهما وأخرجـه البزار وابن خزيمة والطبرانى فى الكـبير وابن عدى والبـيهقى عن جرير بن عـبد الله البجلى أنه قدم عـلى رسول الله ﷺ فبسط له رداءه ثم قال له ذلـك، ورواه البزار أيضا من حديـث أبى هريرة، وابن عدى من حـديث شهـر عن معـاذ بن جبل وأبى قـتادة الأنـصارى، والحاكم عـن جابر بن عبـد الله ، والطبـرانى أيضا عن ابن عـباس وعن عـبد الله بن ضـمرة البجلى، وابن عسـاكر رواه عن أنس وعدى بن حاتم، ورواه الدولابى فى الكنى وابن عـساكر أيضا عن ابن راشد عبد الرحمن بن عبـيد ،لفظ هؤلاء الثلاثة: إذا أتاكم شريف قوم . . . قال الذهبى فى مختـصر المدخل: طرقه كلها ضـعيفة وله شاهد مـرسل .اهـ. وحكم ابن الجوزى بوضعـه وقد تعقبـه الحافظ العراقى وتلمـيذه الحافظ ابن حجـر وتلاهما الحافظ السـيوطى بأنه ضعيف لا موضـوع، وفى بعض رواياته: إذا أتاكم كريم قوم فأكرمـوه. ذكره ابن الأثير وقال: الهاء فيه للمبالغة .

وسمع كلام رجل فأعجبه فقال ﷺ : « إن من البيان لسحرا » (٧١٨) .

وقال ﷺ : « إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير »(٧١٩).

وقال ﷺ : « إذا مدح المؤمن ربَا الإيمان فى قلبه » (٧٢٠) .

وقال الثورى : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس ، وقال أيضا ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل علىّ فاشكر وإلا فلا تشكر. ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه فإن إعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع، ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عباده العمر كله وتتعطل، وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يُتحدث به ولا يُرى، نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(٧١٨) حديث : « وسمع كلام الرجل فأعجبه فقال: إن من البيان لسحرا » **قال العراقى** : أخرجه البخارى من حديث ابن عمر . اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخارى فى النكاح والطب ورواه أيضا مالك فى الموطأ وأحمد وأبو داود فى الأدب والترمذى فى البر كلهم عن ابن عمر، ووهم فى المشارق حيث عزاه إلى على فإن البخارى لم يخرجه عنه وقد تقدم معنى الحديث فى كتاب العلم .

(٧١٩) حديث : « إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير » **قال العراقى** : رواه الدارقطنى فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة، وقال: لا يصح عن الزهرى، وروى عن ابن المسيب مرسلا .

(٧٢٠) حديث: « إذا مُدح المؤمن ربَا الإيمان فى قلبه » **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث أسامة ابن زيد بسند ضعيف . اهـ .

وقال مرتضى :وكذا رواه الحاكم ولفظهما : «إذا مُدح المؤمن فى وجهه ربَا الإسلام فى قلبه» والمراد بالمؤمن الكامل الذى عرف نفسه وأمن عليها من نحو كبر وعجب ورياء بل يكون ذلك سببا لزيادته فى العمل الصالح المؤدى لزيادة إيمانه، فأما من ليس بهذه الصفات فالمدح عليه من أعظم الآفات المفضية بإيمانه إلى الخلل والحرج .

بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل؛ فإن فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقًا عليهم ولأنه ربما لا يكمل فى أخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع، وقال قائلون: يأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على واجب، ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا، ولأن الزكاة لا مِنة فيها وإنما هى حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين، ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعا ، وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإن الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرًا، ولأن مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته، والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية، فإن كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة، فإذا علم أنه مستحق قطعا كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعًا، فإذا خُير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة، فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقيها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين، وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما يتفاوت، وأخذ الزكاة اشد فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال، والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السماوات والأرضين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين، والحمد لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

★ ★ ★

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتاب أسرار الصوم

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده .

الفصل الثانى : فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة .

الفصل الثالث : فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد **محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّاً ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

حـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٣

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أسرار الصوم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه، ورد أمله وخيب ظنه إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجُنَّة وفتح لهم به أبواب الجنة وعرَّفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة، والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول الراجحة وسلم تسليما كثيرا . . أما بعد، فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ : « **الصوم نصف الصبر** » (٧٢١) . وبمقتضى قوله ﷺ : « **الصبر نصف الإيمان**» (٧٢٢) . ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الاركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ : « **كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به** » (٧٢٣) .

---

(٧٢١) حديث : « الصوم نصف الصبر» **قال العراقى:** رواه الترمذى وحسنه من حديث رجل من بنى سليم، وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

وقال مرتضى: ولفظ ابن ماجه: « الصيام نصف الصبر» . وعند البيهقى من حديث أبى هريرة هكذا لكن بزيادة: « وعلى كل شىء زكاة وزكاة الجسد الصيام».

(٧٢٢) حديث : « الصبر نصف الإيمان » **قال العراقى** : رواه أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن. اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه البيهقى من هذا الوجه بزيادة: « واليقين الإيمان كله ». وقال: تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد بن خالد المخزومى والمحفوظ عن ابن مسعود من قوله غير مرفوع. اهـ. ويعقوب قال الذهبى : ضعفه أبو حاتم وغير واحد .

(٧٢٣) حديث : قال الله تعالى : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » **قال العراقى** : أخرجاه من حديث أبى هريرة. اهـ

=

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) .

والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله ﷺ : « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى، فالصوم لى وأنا أجزى به » (٧٢٤) .

وقال ﷺ : « للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون » (٧٢٥) .

= وقال مرتضى: لفظ مسلم عن أبى هريرة قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لى وأنا أجزى به » . وفى رواية أخرى له عنه قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به ، والصيام جنة». وفى رواية أخرى له عنه: « كل عمل ابن آدم تضاعف له الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى» . وهكذا هو عند ابن ماجه من رواية الأعمش عن أبى صالح عنه، زاد ابن ماجة بعد قوله: إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله . وأخرج مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد قالا : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : إن الصوم لى وأنا أجزى به يدع شهوته . . . » وعند البخارى من طريق الأعرج عن أبى هريرة فى أثناء حديث: « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به » وفى بعض طرقه: « لكل عمل كفارة والصوم لى » .

(٧٢٤) حديث : « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول الله تعالى: إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، والصوم لى وأنا أجزى به » أخرجه الشيخان وهو بعض حديث من الذى تقدم، وفى رواية لهما: والذى نفس محمد بيده، وفى لفظ لمسلم والنسائى : أطيب عند الله يوم القيامة. وليس فى شىء من طرق البخارى: يوم القيامة، ولمسلم بعد قوله: وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى، ولمسلم أيضا: ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك، وفى رواية همام عن أبى هريرة: والذى نفس محمد بيده إن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يذر شهوته وطعامه وشرابه من جراى، فالصيام لى وأنا أجزى به.(من جراى أى من أجلى ، انظر مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٣١٣ - المصحح) .

(٧٢٥) حديث : «للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون » أخرجاه من حديث سهل بن سعد قاله العراقى.

وقال مرتضى : لفظ مسلم: « إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » . وهكذا أخرجه أحمد، وفى بعض طرق البخارى : « فى الجنة ثمانية=

وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه، وقال ﷺ: «للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه» (٧٢٦) .

وقال ﷺ : « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم » (٧٢٧) .

وقال ﷺ : « نوم الصائم عبادة » (٧٢٨) .

= أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» . وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث سهل بن سعد بلفظ: « لكل باب من أبواب البر باب من أبواب الجنة، وإن باب الصيام يدعى الريان ». أخرج أبو بكر بن أبى شيبة من حديث أبى هريرة رفعه: «لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون بذلك العمل ولأهل الصيام باب يقال له الريان » وفى كتاب الشريعة: اعلم أن الشرع قد نعت الصوم من طريق المعنى بالكمال الذى لا كمال فوقه حتى أفرد له الحق بابا خاصا وسماه باسم خاص يقتضى الكمال يقال له باب الريان منه يدخل الصائمون .

(٧٢٦) حديث : « للصائم فرحتان: فرحة عند الإفطار، وفرحة عند لقاء ربه » أخرجه الشيخان والنسائى من طريق عطاء بن أبى رباح عن أبى صالح السمان عن أبى هريرة، ولهما أيضا: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه » وفى لفظ للنسائى: إذا أفطر فرح بفطره ، ولمسلم وابن ماجه من طريق الأعمش عن أبى صالح: للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه عز وجل» . وهذا أقرب إلى سياق المصنف، وفى لفظ لمسلم : « إن للصائم فرحتين، إذا أفطر فرح، وإذا لقى الله عز وجل فرح » وفى لفظ له: وإذا لقى الله عز وجل فجزاه فرح، وفى كتاب الشريعة: وفرحه بالفطر فى الدنيا من حيث إيصال حق النفس الحيوانية إلى تطلب الغذاء لذاتها فلما رأى افتقار نفسه الحيوانية إليه وجودها بما أوصل إليها من الغذاء قام فى هذا المقام بصفة حق فأعطى بيدى الله كما رأى عند اللقاء بعين الله فلهذا فرح بفطره كما فرح بصومه . اهـ .

(٧٢٧) حديث : «لكل شيء باب وباب العبادة الصوم» لأنه يصفى الذهن ويكون سببا لإشراق النور على القلب فينشرح الصدر للعبادة وتحصل الرغبة فيها: **قال العراقى** : رواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى: ورواه هناد عن ضمرة بن حبيب مرسلا، ضمرة تابعى ثقة ولفظه: « إن لكل شيء بابا وباب العبادة الصيام » .

(٧٢٨) حديث : « نوم الصائم عبادة » وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور. رواه البيهقى والديلمى وابن النجار من حديث عبد الله بن أبى أوفى الأسلمى، قال البيهقى عقب إيراده: معروف بن حسان أى أحد رجاله ضعيف وسليمان بن عمر النخعى=

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « إذا دخل شهر رمضان فُتحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين ، ونادى منادٍ : يا باغي الخير هلمَّ ، ويا باغي الشر أقصر » (٧٢٩).

وقال وكيع في قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ (الحاقة : ٢٤) . هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب .

= أضعف منه . اهـ. وقال العراقي : سليمان النخعي أحد الكذابين . اهـ. قال المناوى في شرح الجامع: وفيه أيضا عبد الملك بن عمير قال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن معين: مختلط، ثم اعترض المناوى على صاحب الجامع وقال: عجبا منه كيف يذكر هذه الطريق الضعيفة بمرة ويترك طريقا خالية عن كذاب أوردها الزين العراقي في أماليه من حديث ابن عمر . اهـ .

وقال مرتضى: الذى قاله الزين العراقي رويناه في أمالي ابن ملة من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فإنهم لم يذكروا لأبي المغيرة رواية إلا عنه. اهـ. وقال : وهو كذلك ذكره الذهبي وغيره .

(٧٢٩) حديث أبي هريرة : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » أخرجه البخارى ومسلم هكذا، وفي لفظ آخر لمسلم: إذا جاء بدل إذا دخل، وفي لفظ له: إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين. وهكذا رواه أحمد وابن أبي شيبة، وعند البخارى في بعض طرقه: فتحت أبواب السماء، وزاد الترمذى وابن ماجه والحاكم: «ونادى مناد: يا باغي الخير هلم ، ويا باغي الشر أقصر». أي أمسك كما في رواية النسائي، قال الترمذى: غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وصحح البخارى وقفه على مجاهد، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أيوب يحدث عن أبي قلابة عن أبي هريرة قال: قال نبي الله ﷺ وهو يبشر أصحابه: « قد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين » . وحدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن عرفجة قال: كنت عند عتبة بن فرقد وهو يحدثنا عن فضل رمضان فدخل علينا رجل من أصحاب النبي ﷺ فسكت عنه وكأنه هابه فلما جلس قال له عتبة: يا أبا فلان حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادى مناد كل ليلة، يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر».

وقال مرتضى : وهكذا رواه النسائي بهذه الزيادة عن عرفجة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وروى ابن أبي شيبة أيضا من حديث أنس مرفوعا: « هذا رمضان قد جاء، تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين » .

وقد جمع رسول الله ﷺ فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم فقال : «**إن الله تعالى يباهى ملائكتـه بالشاب العابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المبذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى** » (٧٣٠) .

وقال ﷺ فى الصائم : « **يقول الله عز وجل : انظروا يا ملائكتى إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى** »(٧٣١) .

وقيل فى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧).

قيل : كان عملهم الصيام لأنه قال : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) . فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير، وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ، ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين: أحدهما أن الصوم كف وترك وهو نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل، فإنه عمل فى الباطن بالصبر المجرد . والثانى أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان

---

(٧٣٠) حديث : « إن الله تعالى يباهى ملائكته بالشاب العابد ويقول : أيها الشاب التارك شهوته لأجلى المبذل شبابه لى أنت عندى كبعض ملائكتى» **قال العراقى** : رواه ابن عدى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى: وأخرج ابن السنى فى اليوم والليلة والديلمى من حديث طلحة أحد العشرة بلفظ : « إن الله يباهى بالشاب العابد الملائكة يقول: انظروا إلى عبدى ترك شهوته من أجلى». وفيه يحيى بن بسطام وهو ضعيف ويزيد بن زياد الشامى وهو متروك ولذا ذكر بعضهم فى معنى إضافة الصوم إلى الله تعالى أن الصائم على صفة الملائكة فى ترك الطعام والشراب والشهوات وهو القول السادس، وأخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة قال الله تعالى : عبدى المؤمن أحب إلىّ من بعض ملائكتى. وفيه إشارة إلى المباهاة المذكورة .

(٧٣١) حديث : «يقول الله تعالى: يا ملائكتى انظروا إلى عبدى ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى» **قال العراقى**: لم أجده . اهـ.

قال مرتضى : هو من حديث طلحة عند ابن السنى الذى قدمناه قبل هذا .

لعنه الله الشهوات وإنما تقوّى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال ﷺ : « **إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع**» (٧٣٢). ولذلك قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « **داومى قرع باب الجنة** » قالت : بماذا ؟ قال ﷺ : « **بالجوع** » (٧٣٣) .

وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات، فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له، قال الله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧) . فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١) . وإنما التغيير تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه ، وقال ﷺ : «**لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات**» (٧٣٤) . فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جُنَّة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول :

(٧٣٢) حديث: « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث صفية دون قوله « فضيقوا مجاريه بالجوع » .

قال مرتضى : وذكره المصنف أيضا بهذه الزيادة مرسلا فى شرح عجائب القلب وهو فى كتاب الشريعة بلفظ: فسدوا مجاريه بالجوع والعطش . وأغلب الظن أن هذه الزيادة وقعت تفسيرا للحديث من بعض رواته فألحقها به من روى عنه، وأما الجملة الأولى منه فأخرجها الشيخان وأبو داود وابن ماجه، وأول الحديث أنه ﷺ انطلق مع صفية فمر به رجلان من الأنصار فدعاهما فقال: إنها صفية، قالا: سبحان الله . . . فذكره، وأخرج الشيخان أيضا وأحمد وأبو داود من حديث أنس بن مالك، وقد تقدم لهذا الحديث ذكر فى كتاب العلم .

(٧٣٣) حديث : قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « داومى قرع باب الجنة بالجوع » **قال العراقى :** لم أجده أصلا .اهـ. وهو فى كتاب عوارف المعارف من قول عائشة بلفظ: أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم، قالوا: كيف نديم؟ قالت : بالجوع والعطش والظمأ .

(٧٣٤) حديث : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم . . . » الحديث، **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه. اهـ.

الفصل الأول : فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

(الأول): مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غُمَّ فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ،ونعنى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد، ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ،ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم، وإن لم يقض القاضى به فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه، وإذا رُئى الهلال ببلدة ولم يُر بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل، وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب .

(الثانى): النية، ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه، وهو الذى عنينا بقولنا: كل ليلة، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع، وهو الذى عنينا بقولنا: مبيتة، ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم، أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية، أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية، ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك، كما لو قال فى وسط رمضان: أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان، ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته، ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها .

(الثـالـث) : الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكـر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسـعوط والحقنة، ولا يفـسد بالفصـد والحجامـة والاكتحـال وإدخال الميل في الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه ما بلغ المثانة، وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقّصر، وهو الذي أردنا بقولنا: عمـدا ، فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحـتراز عن الناسي فإنه لا يفطر، أما من أكل عامدا في طرفي النهـار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فـعليه القضاء، وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتهاد .

(الـرابـع): الإمساك عن الجمـاع، وحدّه مغيب الحشفة، وإن جـامع ناسيا لم يفطر، وإن جامع ليـلا أو احتلم فأصبح جنبـا لم يفطر، وإن طلع الفجر وهو مخـالط أهله فنزع في الحال صح صومه، فإن صبر فسد ولزمته الكفارة .

(الخـامس): الإمساك عن الاستمناء، وهو إخراج المني قصـدا بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر، ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه فلا بأس بالتـقبيـل وتركه أولى، وإذا كان يخـاف من التقبـيل أن ينزل فقبّل وسـبق المني أفطر لتقصيره .

(السادس): الإمساك عن إخراج القيء، فالاستقاء يفسد الصوم، وإن ذرعه القيء لم يفسد صومـه، وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صـدره لم يفسد صـومه رخصة لعـموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك .

وأما لوازم الإفطار فأربعة

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبها بالصائمين :

(أمـا القضـاء) : فوجوبه عـام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغـير عذر ، فالحائض تقضي الصـوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضـاء عليهم، ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا .

(وأما الكفارة) : فلا تجب إلا بالجماع ، وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة ، فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فإطعام ستين مسكينا مدا مدا .

(وأما إمساك بقية النهار) : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها، ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين، ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك، والصوم فى السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائما .

(وأما الفدية) : فتجب على الحامل، والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مدّ حنطة لمسكين واحد مع القضاء، والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا.

(وأما السنن فست) : تأخير السحور، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة، وترك السواك بعد الزوال ، والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة، ومدارسة القرآن، والاعتكاف فى المسجد لا سيما فى العشر الأخير فهو عادة رسول الله ﷺ : « **كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر** » (٧٣٥) . ودأب وأدأب أهله أى أداموا النصب فى العبادة إذ فيها ليلة القدر والأغلب أنها فى أوتارها، وأشبه الأوتار ليلة إحدى، وثلاث وخمس وسبع، والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر، كان ﷺ « **لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارّا** » (٧٣٦). وينقطع التتابع بالجماع

---

(٧٣٥) حديث : «كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب معه أهله » **قال العراقى**: متفق عليه من حديث بلفظ: أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر.

(٧٣٦) حديث: «كان رسول الله ﷺ لا يخرج إلا لحاجة الإنسان» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عائشة . اهـ.

قال مرتضى: وهو فى السنن أيضا بلفظ: كان إذا اعتكف لا يدخل البيت إلا لحاجة=

ولا ينقطع بالتقبيل، ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع ولا ينقطع المتتابع بخروج بعض بدنه، كان ﷺ : «يدنى رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهى فى الحجرة» (٧٣٧) . ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد .

= الإنسان. وعند الدارقطنى من رواية ابن جريج عن الزهرى من حديثها وأن السنة للمعتكف الا يخرج إلا لحاجة الإنسان، ولفظ الإنسان ليس فى صحيح البخارى، يريد بحاجة الإنسان البول والغائط هكذا فسره الزهرى وقوله : « ولا يسأل عن المريض إلا مارا » قال العراقى : رواه أبو داود بنحوه بسند لين . اهـ.

وقال مرتضى : أى فى اعتكافه ولا يعرج عليه، قال الحافظ ابن حجر: رواه أبو داود من فعل عائشة، وكذلك أخرجه مسلم وغيره وقال ابن حزم : صح ذلك عن على . اهـ. وفى سنن أبى داود من حديث عائشة مرفوعا : « كان يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يعرج يسأل عنه » .

(٧٣٧) حديث : « كان ﷺ يدلى رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها » أخرجه النسائى من طريق عبد الرزاق وأخرجه البخارى من طريق هشام وهو ابن يوسف الصنعانى كلاهما عن معمر وأخرجه الأئمة الستة من طريق الليث بن سعد والترمذى والنسائى أيضا من طريق مالك ثلاثتهم عن الزهرى كلهم بلفظ إنها كانت تُرجّل رسول الله ﷺ وهو معتكف يناولها رأسه وهى فى حجرتها وهو فى المسجد. ورواه عن الزهرى أيضا غير واحد وله عن عائشة طرق أخرى فى الصحيحين وغيرهما وفى رواية الليث عند الأئمة الستة وكذا فى رواية الترمذى من طريق مالك عن عروة وعمرة كلاهما عن عائشة، وأخرج مسلم فى صحيحه وغيره رواية مالك وفيها عن عروة عن عمرة فهذه ثلاثة أوجه من الاختلاف فيه على مالك هل رواه الزهرى عن عروة أو عن عروة وعمرة أو عن عروة عن عمرة، وقال الترمذى : هكذا روى غير واحد عن مالك يعنى عن عروة وعمرة وروى بعضهم عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عمرة عن عائشة، والصحيح عن عروة وعمرة عن عائشة، وهكذا روى الليث بن سعد عن ابن شهاب عن عروة عن عمرة خبر مالك وعبيد الله بن عمرو، قال أبو داود: ولم يتابع أحد مالكا على عروة عن عمرة ، وقال الدارقطنى فى العلل: رواه عبيد الله بن عمر وأبو أويس عن الزهرى عن عروة عن عمرة عن عائشة، وكذلك رواه مالك فى الموطأ ورواه عنه القعنبى ويحيى بن يحيى يعنى النيسابورى ومعن بن عيسى وأبو مصعب ومحمد بن الحسن وروح بن عبادة وخالد ابن مخلد ومنصور بن سلمة وإسحاق بن الطباع، وخالفهم عبد الرحمن بن مهدى والوليد بن مسلم وعيسى بن خالد والحجبى فرووه عن مالك عن الزهرى عن عمرة عن عائشة ولم يذكر فيه عروة ، وروى عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، فَوَهِمَ فيه وَهْما قبيحا فقال: عن=



= مالك عن سهيل بن أبى صالح عن عروة عن عمرة عن عائشة، ورواه ابن وهب عن مالك والليث بن سعد ويونس بن يزيد عن الزهرى عن عروة عن عمرة عن عائشة، قال ابن عبد البر: أدخل حديث بعضهم فى بعض وإنما يعرف جمع عروة وعمرة ليونس والليث لا لمالك، وكذا قال البيهقى كأنه حمل رواية مالك على رواية الليث ويونس ثم قال الدارقطنى، وكذلك قال شبيب بن سعيد عن يونس وكذا قال القعنبى وابن رمح عن الليث عن الزهرى وكذا قال عبد العزيز عن الحصين عن الزهرى كلهم قالوا عن عروة وعمرة عن عائشة، ورواه زياد بن سعيد والأوزاعى ومحمد بن إسحاق ومحمد بن ميسرة وهو ابن أبى حفصة وسفيان بن حسين وعبد الله بن بديل بن ورقاء عن الزهرى عن عروة عن عائشة، وقال ابن عبد البر: كذا رواه جمهور رواة الموطأ عن عروة عن عمرة وهو المحفوظ لمالك عند أكثر رواته، وقال أكثر أصحاب ابن شهاب عنه عن عروة عن عائشة ثم حكى عن عبد الرحمن بن مهدى أنه قال: قلت لمالك: عن عروة عن عمرة وأعدت عليه، فقال: الزهرى عن عروة عن عمرة أو الزهرى عن عمرة ثم حكى ابن عبد البر عن محمد بن يحيى الذهلى أنه ذكره فى علل حديث الزهرى عن جماعة من أصحابه منهم يونس والأوزاعى والليث ومعمر وسفيان بن حسين والزبيدى، ثم قال: اجتمع هؤلاء كلهم على خلاف مالك فجمع يونس والليث عروة وعمرة واجتمع معمر والأوزاعى وسفيان بن حسين على عروة عن عائشة، قال: والمحفوظ عندنا حديث هؤلاء، قال: والذى أنكر على مالك ذكر عمرة لا غير لأن ترجيل عائشة رسول الله ﷺ وهو معتكف لا يوجد إلا فى حديث عروة وحده، **قال الولى العراقى**: وجد من حديث عمرة أيضا وقد تقدم أن جماعة رووه عنهما وهو فى الصحيحين من طريق الليث عنهما كما تقدم، قال ابن عبد البر: وقد رواه عنه ابنه هشام بن عروة عن أبيه كلاهما فى الصحيحين من طريق الليث عنهما كما تقدم، قال ابن عبد البر: وقد رواه عنه ابن هشام وتميم بن سلمة وفى حديثهما : وأنا حائض، وليس ذلك فى حديث الزهرى من وجه يثبت، **قال الولى العراقى** فى الرواية التى تقدم ذكرها من صحيح البخارى من طريق معمر عن الزهرى فيهما وهى حائض، وقد رواه غير البخارى أيضا بهذا اللفظ والله أعلم.
قال ابن عبد البر: وقد رواه الأسود بن يزيد عن عائشة مثل رواية هارون سواء إلا فى حديث الأسود، يخرج إلى رأسه وفى حديث عروة يدنى، **قال الولى العراقى** : رواية الأسود وهشام بن عروة عن أبيه كلاهما فى الصحيحين ، وقد رواه عن عروة أيضا ، وفيه: وأنا حائض . محمد بن عبد الرحمن بن نوفل رواه مسلم فى صحيحه وغيره .

الفصل الثانى : فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص .

أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله.

وأما صوم الخصوص : فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وأما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر، وبالفكر فى الدنيا إلا دنيا تراد للدين فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا، حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين، ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا فإنه إقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل: ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام:٩١) ،وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور :

(الأول): غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل ما يُذم ويُكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل، قال ﷺ : « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه**» (٧٣٨) .

---

(٧٣٨) حديث: « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله آتاه إيمانا يجد حلاوته فى قلبه » رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة رضي الله عنه وأورده ابن الجوزى فى كتابه تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر بلفظ: النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه ابتغاء مرضاة الله أعطاه الله إيمانا فى قلبه يجد حلاوته .

وروى جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة** » (٧٣٩)

(الثاني): حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان، وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه، وروى ليث عن مجاهد: خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب . وقال ﷺ : « **إنما الصوم جُنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم، إني صائم** » (٧٤٠) . وجاء في

(٧٣٩) حديث جابر عن أنس: « خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » إلى حليلته أو غيرها هكذا في نسخ القوت كلها وروى جابر عن أنس. وقال **العراقي** : رواه الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس، وقوله: جابر تصحيف، قال أبو حاتم الرازي: هذا كذب . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس من حديث جابان عن أنس بلفظ: خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء فساقه، ورواه الأزدي عن عيسى بن سليمان عن داود بن رشيد عن بقية عن محمد بن حجاج عن جابان عن أنس أورده في ترجمة محمد بن الحجاج الحمصي وقال: لا يكتب حديثه، وقال الذهبي في الكاشف: محمد بن الحجاج عن جابان عن أنس متكلم فيه، وقول أبي حاتم هذا كذب يشير إلى أنه رواه عن بقية أيضا سعيد ابن عنبسة كذبه ابن معين، وقال ابن الجوزي: هذا موضوع عن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيه وجابان متروك الحديث .اهـ. أما طريق داود بن رشيد عن بقية فإسناده متقارب وليس فيه من رمى بالكذب إلا أنه ضعيف لضعف محمد بن حجاج، والله أعلم .

(٧٤٠) حديث: «إنما الصوم جُنة، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم » أخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك وكذا أبو داود، وأخرجه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينة، وأخرجه مسلم من رواية المغيرة الحزامي ثلاثتهم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يجهل ولا يرفث . . . » والباقي سواء، وليس في رواية أبي داود قوله: الصيام جنة، ولا في طريق سفيان، وذكر ابن عبد البر في التمهيد الاختلاف على مالك في ذكر قوله: الصيام جنة وأنه رواها عنه القعنبي ويحيى وأبو مصعب وجماعة ولم يذكرها ابن بكير وأخرجه الشيخان والنسائي من رواية عطاء بن أبي رباح عن أبي صالح عن أبي هريرة في أثناء حديث، وأخرج الترمذي من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في أثناء حديث : « والصوم جنة من النار، وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم». وقال: حديث أبي هريرة حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفي رواية لمسلم في=

الخبـر : « أن امرأتين صامتـا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهـما الجوع و العطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فـبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذناه فى الإفطار فأرسل إليـهما قدحا وقال ﷺ : قل لهما قـيآ فيه ما أكلتما فقاءت إحـداهما نصفه دما عبيطا ولحـما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى مـلأتاه ؛ فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ : هاتان صامـتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما ، قـعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » (٧٤١) .

(الثـالث) : كفُّ السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حـرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سوّى الله عز وجل بين المستـمع وآكل السحت فقال تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة : ٤٢) .

وقال عـز وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ (المائدة : ٦٣) . فالسكوت على الغيبة حرام .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ (النساء : ١٤٠) ولذلك قال ﷺ : « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » (٧٤٢) .

= أثناء حديث : « والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحـدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قـاتله فليقل إنى امرؤ صـائم إنى صائم » . وله أيضـا عن أبى هريرة رواية : إذا أصبح أحدكم يوما صائما . . . والباقى كسياق المصنف .

(٧٤١) حديث : « أن امرأتين صامـتا على عهد رسول الله ﷺ فأجـهدهما الجوع والعطش . . . » هكذا أورده صاحب القـوت والعوارف ، وقـال العـراقى : رواه أحمد من حديث عـبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول .

(٧٤٢) حديث : « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » قال العراقى : غريب ، وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف : نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة . اهـ .

قـال مـرتضى : رواه فى الكبـير وكـذا الخطيب فى التاريخ بـلفظ : نهى عن الغناء وعن الاستماع إلى الغناء وعن الغيبة والاستماع إلى الغيـبة وعن النميمة والاستماع إلى النميمة . قال الهيثمى : فى سندهما فرات بن السائب وهو متروك .

وروى جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **خمس يفطرن الصائم: الكذب، والغيبة، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة** » (٧٣٩).

(الثـــانى): حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغـيبة والنميمة والفحش والجـفاء والخصومة والمراء وإلزامه السكوت وشـغله بذكر الله سبـحانه وتلاوة القرآن فـهذا صوم اللسان، وقـد قال سفيـان : الغيبة تفسـد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه، وروى ليث عن مجـاهد: خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب . وقال ﷺ : « **إنما الصوم جُنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امـرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صـائم، إنى صائم** » (٧٤٠) . وجـاء فى

(٧٣٩) حديث جابر عن أنس: « خمس يفطرن الصائم: الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » إلى حليته أو غيرها هكذا فى نسخ القوت كلها وروى جابر عن أنس. **وقال العـراقى** : رواه الأزدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس، وقـوله: جابر تصحيف، قال أبو حاتم الرازى: هذا كذب . اهـ .

قـال مـرتضى : ورواه كذلك الديلمى فى مـسند الفردوس من حديـث جابان عن أنس بلفظ: خمس خصـال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء فـساقه، ورواه الأزدى عن عيسـى بن سليمان عن داود بن رشيد عن بقية عن محمد بن حجاج عن جابان عن أنس أورده فى ترجمـة محمد بن الحجاج الحمـصى وقال: لا يكتب حديثه، وقال الذهبى فى الكاشف: محـمد بن الحجاج عن جابان عن أنس متكلم فيـه، وقول أبى حاتم هذا كذب يشير إلى أنه رواه عن بقية أيـضا سعيد ابن عنبسة كذبه ابـن معين، وقال ابن الجوزى: هذا موضوع عن سعـيد إلى أنس كلهم مطعون فيه وجابان متـروك الحديث .اهـ. أما طريق داود بن رشيد عن بقية فإسناده مـتقارب وليس فيه من رمى بالكذب إلا أنه ضعيف لضعف محمد بن حجاج، والله أعلم .

(٧٤٠) حديث: «إنما الصوم جُنة، فـإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجـهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صـائم إنى صائم » أخرجه البخارى والنسـائى من طريق مالك وكذا أبو داود، وأخرجه مـسلم والنسائى من طريق سفيان بن عـيينة، وأخرجه مسلم من رواية المغـيرة الحزامى ثلاثتهم عن أبى الزناد عن الأعـرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: الصيـام جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يـجهل ولا يرفث . . .» والباقى سواء، وليس فى رواية أبى داود قوله: الصيام جنة، ولا فى طريق سـفيان، وذكر ابن عبد الـبر فى التمهيد الاخـتلاف على مالك فى ذكر قوله: الصـيام جنة وأنه رواها عنه القعنبى ويحـيى وأبو مصعب وجماعـة ولم يذكرها ابن بكير وأخرجه الشيـخان والنسائى من رواية عطاء بن أبى رباح عن أبى صالح عن أبى هريرة فى أثناء حديث، وأخرج التـرمذى من رواية على بن زيد عن سعيـد بن المسيب عن أبى هريرة فى أثناء حديث : « والصـوم جنة من النار، وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صـائم فليقل إنى صائم». وقال: حـديث أبى هريرة حسن صحيح غـريب من هذا الوجه، وفى رواية لمسلم فى=

الخبـر : « أن امرأتين صامتـا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهـما الجوع و العطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذناه فى الإفطار فأرسل إليـهما قدحا وقال ﷺ : قل لهما قيآ فيه ما أكلتما فقاءت إحـداهما نصفه دما عبيطا ولحـما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى مـلأتاه ؛ فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ : هاتان صامـتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما ، قـعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم » (٧٤١) .

(الثـالث) : كفُّ السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حـرم قوله حرم الإصغاء إليه ،ولذلك سوّى الله عز وجل بين المستـمع وآكل السحت فقال تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (المائدة : ٤٢) .

وقال عـز وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ (المائدة : ٦٣) . فالسكوت على الغيبة حرام .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ (النساء : ١٤٠) ولذلك قال ﷺ : « **المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم** » (٧٤٢) .

= أثناء حديث: « والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحـدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قـاتله فليقل إنى امرؤ صـائم إنى صائم » . وله أيضـا عن أبى هريرة رواية: إذا أصبح أحدكم يوما صائما . . . والباقى كسياق المصنف .

(٧٤١) حديث : « أن امرأتين صامـتا على عهد رسول الله ﷺ فأجـهدهما الجوع والعطش . . . » هكذا أورده صاحب القـوت والعوارف، **وقـال العـراقى** : رواه أحمد من حديث عـبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول .

(٧٤٢) حديث : « المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم » **قال العراقى**: غريب، وللطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة .اهـ.

قـال مـــرتضى : رواه فى الكبـير وكـذا الخطيب فى التاريخ بـلفظ: نهى عن الغناء وعن الاستماع إلى الغناء وعن الغيبة والاستماع إلى الغيـبة وعن النميمة والاستماع إلى النميمة. قال الهيثمى: فى سندهما فرات بن السائب وهو متروك .

(الرابع) : كفُّ بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام، فمثال هذا الصائم مثل من يبنى قصرا ويهدم مصرًا، فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله، وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها، والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله، وقد قال ﷺ : « **كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش** »(٧٤٣). فقيل: هو الذى يفطر على الحرام، وقيل: هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام، وقيل: هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

(الخامس): ألا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ألا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه، ويستديم فى كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان ألا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء، وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شىء من

---

(٧٤٣) حديث : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة، وفى رواية : « كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » .

الملكوت وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام، وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل .

(السادس): أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقرَّبين أو يرد عليه فهو من الممقوتين، وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه مرَّ بقوم وهم يضحكون فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك، وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك، فقال : إنى أُعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه، فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم، فإن قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء: صومه صحيح، فما معناه: فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التى أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات، بحسب الإمكان فإنهم منزهون عن الشهوات والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى

يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يُقرب من الله عز وجل كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثَمَّ بالمكان بل بالصفات، وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار، ولو كان لمثله جدوى فأى معنى لقوله ﷺ: « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » . ولهذا قال أبو الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم، ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين، ولذلك قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم. والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله، ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل، ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال، وقد قال ﷺ : « **إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته** » (٧٤٤) . ولما تلا ﷺ قوله عز وجل : ﴿  إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النساء : ٥٨) وضع يده على سمعه وبصره فقال : «**السمع أمانة، والبصر أمانة** » (٧٤٥) . ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ : « **فليقل إنى صائم** » أى إنى أودعت لسانى لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك، فإذا قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا، ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات، فإليك الخيرة فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب .

★ ★ ★

(٧٤٤) حديث : «إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث: والأمانة فى الصوم، وإسناده حسن **قاله العراقى** .

(٧٤٥) حديث: لما تلا ﷺ قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ (النساء:٥٨) وضع يده على سمعه وبصره فقال: «السمع أمانة والبصر أمانة». رواه أبو داود من حديث أبى هريرة دون قوله: السمع أمانة، **قاله العراقى** .

الفصل الثالث: فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع .

أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة، وكان رسول الله ﷺ « **يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان** » (٧٤٦) . وفى الخبر: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم** » (٧٤٧) . لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته .

وقال ﷺ : « **صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره ، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام** » (٧٤٨) .

---

(٧٤٦) حديث : «كان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان » رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة ﵂، وروى الترمذى والبيهقى من حديث أنس: أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان .

(٧٤٧) حديث : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » رواه مسلم من حديث أبى هريرة بزيادة : وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. وفى لفظ آخر له عن أبى هريرة أيضا يرفعه: قال : سئل أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة، وأى الصيام أفضل بعد شهر رمضان فقال أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة فى جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم. ولم يخرج البخارى هذا الحديث .

(٧٤٨) حديث : « صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين من غيره، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام » **قال العراقى**: لم أجده هكذا، وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس: من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما . اهـ . وعزاه السيوطى فى جامعيه إلى معجمه الكبير .

وفى الحديث: « **من صام ثلاثة أيام من شهر حرام: الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام** » (٧٤٩) .

وفى الخبر: «**إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان**» (٧٥٠) . ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فجائز « فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة» (٧٥١) . «وفصل مرارا كثيرة» (٧٥٢) . ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة

---

(٧٤٩) حديث: « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام » **قال العراقى**: رواه الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس . اهـ. ورواه ابن شاهين فى الترغيب وابن عساكر فى التاريخ وسنده ضعيف بلفظ: من صام فى كل شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب له عبادة سبعمائة سنة. ورواه الطبرانى فى الأوسط من طريق يعقوب عن موسى المدينى عن مسلمة عن أنس بلفظ: كتب له عبادة سنتين. ويعقوب مجهول ومسلمة ضعيف .

(٧٥٠) حديث: « إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان» **قال العراقى**: رواه الأربعة من حديث أبى هريرة وصححه الترمذى . اهـ.

قال مرتضى: هذا لفظ ابن ماجه إلا أنه قال: يجىء رمضان. ورواه أحمد أيضا ولفظ أبى داود: إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان. وفى لفظ الترمذى والنسائى: إذا بقى النصف من شعبان، وعند النسائى: فكفوا عن الصيام، ورواه ابن حبان بلفظ: فأفطروا حتى يجىء، وفى رواية له: لا صوم بعد نصف شعبان حتى يجىء رمضان. ورواه ابن عدى بلفظ: إذا انتصف شعبان فأفطروا. ورواه البيهقى بلفظ: إذا مضى النصف من شعبان فأمسكوا حتى يدخل رمضان. وقال الترمذى بعد أن أخرجه: حسن صحيح ، وتبعه الحافظ السيوطى وتعقبه مغلطاى بقول أحمد: هو غير محفوظ، وروى البيهقى عن أبى داود عن أحمد: منكر، وقال الحافظ ابن حجر: كان ابن مهدى يتوقاه .

(٧٥١) حديث: « وصل شعبان برمضان جائز ، فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة » **قال العراقى**: رواه الأربعة من حديث أم سلمة: لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان . ولأبى داود والنسائى نحوه من حديث عائشة.

(٧٥٢) حديث: « وفصل بينهما مرارا كثيرة» **قال العراقى**: رواه أبو داود من حديث عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره، فإن غُمَّ عليه عد ثلاثين يوما ثم صام. وأخرجه الدارقطنى وقال: إسناده صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

إلا أن يوافق وردًا له ، وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان، فالأشهر الفاضلة : ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان ، والأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد، وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج .

وفي الخبر : « **ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة، وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله تعالى؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده واهريق دمه**»(٧٥٣) . وأما ما يتكرر في الشهر : فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

---

(٧٥٣) حديث : « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل ليلة القدر» **قال العراقي** : رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة دون قوله : « قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا من عقر جواده وأهريق دمه » وعند البخاري من حديث ابن عباس: ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه العشر، قالوا : ولا الجهاد ؟قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الترمذي وابن ماجه: « ما من أيام أحب إلى الله تعالى أن يتعبد له فيها أحب من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة ، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس قال: وسألت محمدا يعني البخاري عنه فلم يعرفه، قال الصدر المناوي وغيره : والنهاس ضعفوه فالحديث معلول، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح تفرد به مسعود بن واصل عن النهاس ومسعود ضعيف ضعفه أبو داود، والنهاس قال القطان: متروك، وقال ابن عدي :لا يساوي شيئا ، وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج به وأورده في الميزان من مناكير مسعود عن النهاس، وقال: مسعود ضعفه الطيالسي والنهاس فيه ضعف .

وأما في الأسبوع: فالإثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات .

وأما صوم الدهر فإنه شامل للكل وزيادة، وللسالكين فيه طرق: فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته (٧٥٤) والصحيح أنه إنما يكره لشيئين : أحدهما ألا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله، والآخر أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين ﷺ، وقال ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري : « **من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم** » (٧٥٥). وعقد تسعين، ومعناه لم يكن له فيها موضع . ودونه درجة أخرى

---

(٧٥٤) حديث : « كراهة صوم الدهر » **قال العراقي** : رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله ابن عمر، وفي حديث له: لا صام من صام الأبد . ولمسلم من حديث أبي قتادة، قيل: يا رسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال: لا صام ولا أفطر. وللنسائي نحوه من حديث ابن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير. اهـ.

قال مرتضى: أخرجه مسلم من طريق عطاء بن أبي رباح عن أبي العباس الشاعر عن عبد الله بن عمر، وقال : بلغ النبي ﷺ أني أسرد الصوم وأصلي الليل فإما أرسل إليّ وأما لقيته، وفي هذا الحديث فقال النبي ﷺ : لا صام من صام الأبد ثلاثا. وفي بعض روايات البخاري: الدهر بدل الأبد، وأخرج مسلم من حديث أبي قتادة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف نصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ من قوله فلما رأى عمر غضبه قال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله كيف من يصوم الدهر كله ؟ قال : لا صام ولا أفطر، أو قال: لم يصم ولم يفطر. وفي لفظ آخر: فسئل عن صيام الدهر، وأما حديث عبد الله بن الشخير فأخرجه أحمد وابن حبان بلفظ: من صام الأبد فلا صام ولا أفطر، وعن عمران بن حصين نحوه .

(٧٥٥) حديث : « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم » **قال العراقي** : رواه أحمد والنسائي في الكبرى وابن حبان وحسنه أبو يعلى الطوسي . اهـ.

وقال مرتضى : قال حبان أحد رواته: هو محمول على من صام الدهر الذي فيه أيام العيد والتشريق، وقال البيهقي وقبله ابن خزيمة: يعني ضيقت عنه فلم يدخلها، وفي الطبراني عن ابن الوليد ما يومئ إلى ذلك .

وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم، فقد قال ﷺ : «عُرضت عليَّ مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت: أجوع يوما وأشبع يوما، أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت» (٧٥٦) .

وقال ﷺ : « أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما » (٧٥٧) .

---

(٧٥٦) حديث : « عرضت عليَّ مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت: أجوع يوما وأشبع يوما، أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت» قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي أمامة بلفظ: عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا. وقال: حسن . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وتمامه عندهما بعد قوله: ذهبا فقلت: لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك. وهو من رواية ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زهر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة، وقول الترمذي: حسن، فيه نظر؛ فقد قال العلائي: فيه ثلاثة ضعفاء: عبيد الله بن زهر وعلي بن زيد والقاسم .

(٧٥٧) حديث : « أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما » رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمر وقال الترمذي: حسن صحيح. وزادوا بعده: وكان لا يفر إذا لاقى. وفيه إشارة إلى أنه لأجل تقويه بالفطر كان لا يفر من عدوه إذا لاقاه للقتال، فلو أنه سرد الصوم ربما أضعف قوته وانتهك جسمه ولم يقدر على قتال الأبطال، فصوم يوم وفطر يوم جمع بين القربتين وقيام بالوظيفتين: « والمراد بالأخوة هنا في النبوة والرسالة وأخرجه مسلم من حديثه، وفيه قال له ﷺ : « صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام ». وفي لفظ له أيضا قال: نعم صوم داود نبي الله عليه السلام فإنه كان أعبد الناس، قال: قلت : يا نبي الله وما صوم داود؟ قال : كان يصوم يوما ويفطر يوما » . وفي لفظ آخر من حديثه قلت: وما صوم نبي الله داود؟ قال: نصف الدهر، وفي لفظ آخر له من طريق عطاء عن ابن العباس الشاعر عنه في هذا الحديث قال: نعم صيام داود عليه السلام، قال: وكيف كان داود يصوم يا نبي الله، قال: كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى. وأخرجه أيضا من حديثه مرفوعا : « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوما ويفطر يوما » . وفي لفظ آخر رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عنه عن النبي ﷺ قال: « أحب الصيام إلى الله صيام داود: كان يصوم نصف الدهر» وأخرج بإسناد آخر عنه أيضا مرفوعا : لا صوم فوق صوم داود، شطر الدهر: صيام يوم وإفطار يوم. =

ومن ذلك منازلته ﷺ لعبد الله بن عمـرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول : إني أطيق أكثر من ذلك، فقال ﷺ : « **صم يوما وأفطر يوما** » . فقال : إني أريد أفضل من ذلك ، فقال ﷺ : « **لا أفضل من ذلك** » (٧٥٨) .

= وعنه أيضا قال له رسول الله ﷺ : « صم أفضل الصيام عند الله صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما » . وأخرجه البخاري بهذا اللفظ، وفي لفظ له قال له : صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه. وله ألفاظ آخر والمعنى واحد .

(٧٥٨) حديث : « منازلته ﷺ لعبـد الله بن عمرو بن العاص» أبو محمد ويقـال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه وكان من علماء الصحابة ومن العُبَّـاد مات بمصر وقيل بالطائف سنة ٦٥ «في الصوم وهو يقول إني أريد أفضل من ذلك، فقال ﷺ : صم يوما وأفطر يوما، فقال: إني أريد أفضل من ذلك، فقال ﷺ : لا أفضل من ذلك » رواه البخاري ومسلـم من حديثه ففي سياق مسلم من حديثه قال: أخـبر رسول الله ﷺ أنه يقول لأقومن الليل ولأصومن النهار مـا عشت، فقال ﷺ : فإنك لا تسـتطيع ذلك صم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فـإن الحسنة بعشر أمـثالها وذلك مثل صـيام الدهر، قال : قلت : فإني أطيق أفـضل من ذلك، قال: صم يوما وأفـطر يومين، قال: قلت: فـإني أطيق أفضل من ذلك يا رسـول الله، قال: صم يـومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ : لا أفضل من ذلك. وعنه قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال : فإمـا ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إليّ فأتيتـه فقال : ألم أخـبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت: يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير . . فساق الحديث، وفيه قال: قلت : يا نبي الله إني أطيق أفـضل من ذلك، وفي لفظ آخر له عنه: قـال رسول الله ﷺ : اقرأ القرآن في كل شـهر قال: قلت : إني أجد قوة، قال: فـاقرأ في سبع ولا تزد على ذلك. ومن طريق عطاء عن ابن العـباس الشاعر عـنه قال: بلغ النبي ﷺ أني أصوم أسـرد الصوم وأصلي الليل فإما أرسل إليَّ وإما لقيتـه فقال لي: ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي الليل فلا تفـعل فإن لعينك حظا ولنفسك حظا ولأهـلك حظا، فصم وأفطر وصل ونم وصم من كل عشرة أيام يومـا ولك أجر تسعة قـال: إني أجدني أقوى يا نبي الله، قال: فـصم صيام داود. وعنه أيضا في هذا الحديث قال لي رسول الله ﷺ : يا عـبد الله بن عمرو إنك لتصوم الدهر وتقـوم الليل وإنك إذا فعلت ذلك هجـمت له العين ونهكت، لا صـام من صام الأبد، صـوم ثلاثة أيام من الشهر صوم الشهر قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم صوم داود. وفي لفظ آخر من حديثه قال: إن رسول الله ﷺ ذُكر له صـومي فدخل عليّ فألقيت إليه وسادة من أدم حشوها ليف فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه فقال لي : أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام، قلت: يا رسـول الله، قال: خمسة ، قلت: يا رسول الله، قـال : سبعة، قلت: يا رسول الله، قال: تسـعة، قلت : يا رسول الله، قال: أحد عـشر، قلت: يا رسول الله، فقـال النبي ﷺ : لا صوم فوق صوم داود. وفي سـياق البخاري من حديـثه: قال لي=

وقد روى أنه ﷺ « **ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان** » (٧٥٩) . بل كان يفطر منه، ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين، وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع فى الأوقات الفاضلة، وإن صام الإثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث، وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال فى أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل ، والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الإفطار بالصوم، وإذا فهم المعنى وتحقق جده فى سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه، وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا، ولذلك روى أنه ﷺ «**كان يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويفطر حتى يقال لا يصوم ، وينام حتى يقال لا يقوم ، ويقوم حتى يقال لا ينام** » (٧٦٠) وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات، وقد كره

= رسول الله ﷺ : كيف تصوم ؟ قال: كل يوم، قال: كيف تختم؟ قال : كل ليلة، قال: صم كل شهر ثلاثة أيام، واقرأ القرآن فى كل شهر، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام فى الجمعة واقرأ القرآن فى كل شهر، قال: أطيق أكثر من ذلك، قال: أفطر يومين وصم يوما، قال: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم أفضل الصوم . . . الحديث .

(٧٥٩) حديث : « ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان » **قال العراقى** : أخرجه من حديث عائشة . اهـ.

قال مرتضى: هو سياق حديث ابن عباس عند مسلم قال: ما صام رسول الله ﷺ شهرا كاملا قط غير رمضان .وفى طريق أخرى: شهرا متتابعا منذ قدم المدينة، وأخرجه البخارى ولم يقل: منذ قدم المدينة، وأما حديث عائشة فلفظه عند مسلم عن عبد الله بن شقيق قلت لعائشة: هل كان النبى ﷺ يصوم شهرا معلوما سوى رمضان؟ قالت: والله إن صام شهرا معلوما سوى رمضان حتى مضى لوجهه ولا أفطر حتى يصيب منه. وفى لفظ آخر : أكان النبى ﷺ يصوم شهرا كله؟ قالت: ما علمته صام شهرا كله إلا رمضان . . . الحديث، وفى لفظ آخر قالت: وما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان .

(٧٦٠) حديث : « كان يصوم حتى يقال إنه لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم » رواه مسلم من حديث عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت: كان يصوم حتى تقول قد صام قد صام، ويفطر حتى تقول قد أفطر قد أفطر. وفى لفظ آخر عن أبى سلمة عنها قالت : كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر. وفى لفظ آخر: كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم ،وأخرجه من حديث ابن عباس قال: وكان يصوم إذا صام=

الغلماء أن يوالى بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات، ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به، والله أعلم بالصواب .

تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، على جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم ،وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج، والله المعين لا رب غيره ، وما توفيقى إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



= حتى يقول القائل لا والله لا يصوم، وفى لفظ آخر: يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم. ورواه البخارى مثل ذلك، وأخرج مسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى يقال: قد صام قد صام، ويفطر حتى يقال: قد أفطر قد أفطر ورواه البخارى من حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه شيئا، ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئا .

كتاب أسرار الحج

وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول : في فضيلة الحج .

الباب الثاني : في ترتيب الأعمال الظاهرة .

الباب الثالث : في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أسرار الحج

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنًا ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا ، والصلاة على محمد نبى الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد .. فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣) .

وفيه قال ﷺ : « **من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا** » (٧٦١) . فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر

(٧٦١) حديث: « من مات ولم يحج» أى مع إمكانه أو مات عن عدم الإمكان بعد وجوده كان عاصيا لله تعالى من حين أمكنه إلى حين موته ولم يكن كامل الإسلام؛ لأن الله سبحانه أكمل الإسلام بالحج وإليه الإشارة من باب التغليظ والزجر بقوله: « فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » . **قال العراقى** : رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى نحوه وقال : فى إسناده مقال . اهـ.

قال مرتضى : قد روى هذا الحديث عن أبى أمامة أيضا ولفظه عند الدارمى والبيهقى : «من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج ... » والباقى سواء عن سعيد بن منصور وأبى يعلى : « من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج ... » الحديث ، وعند صاحب القوت : « من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالى مات يهوديا أو نصرانيا » . وعند أحمد والبيهقى أيضا : « من كان ذا يسار فمات ولم يحج ... » والباقى مثل سياق المصنف، وأما حديث على عند الترمذى فقد روى مرفوعا وموقوفا ولفظه : « من ملك زادا أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، وذلك أن الله تعالى يقول فى=

بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانـها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها ، وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

(الباب الأول): فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق، وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

(الباب الثانى): فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع.

(الباب الثالث): فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة .

فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان .

= كتابه : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمـــران : ٩٧).وقال الترمذى : ضـعيف، وأخرجه ابن جرير والبيهـقى كذلك والموقوف إسناده حسن، وقال المنذرى: طريق أبى أمامة على ما فيها أصلح من هذه .

الباب الأول

فى فضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها وفيه فصلان

الفصل الأول

فى فضائل الحج، وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى، وشد الرحال إلى المساجد

فضيلة الحج

قال الله عز وجل: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج:٢٧) .

وقال قتادة : لما أمر الله عز وجل إبراهيم ﷺ وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذِّن فى الناس بالحج؛ نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه .

وقال تعالى : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ (الحج: ٢٨) . قيل : التجارة فى الموسم والأجر فى الآخرة ، ولما سمع بعض السلف هذا قال : غُفر لهم ورب الكعبة ، وقيل فى تفسير قوله عز وجل : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الأعراف: ١٦) . أى طريق مكة، يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها. وقال ﷺ : **« من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**(٧٦٢) .

---

(٧٦٢) حديث: « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» **قال العراقى:** أخرجاه من حديث أبى هريرة. اهـ.

وقال مرتضى: وأخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والطبرانى والدارقطنى ولفظهم: « من=

وقال أيضا ﷺ : « ما رُئي الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام » (٧٦٣). إذ يقال : « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفِّرها إلا الوقوف بعرفة » (٧٦٤). وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله ﷺ ، وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفه فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له: ما الذى أبكى عينك؟ قال: خروج الحاج إليه بلا تجارة، أقول: قد قصدوه أخاف ألا يخيبهم فيحزننى ذلك، قال : فما الذى أنحل جسمك؟ قال: صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىَّ، قال : فما الذى غيَّر لونك؟ قال: تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلىَّ، قال: فما الذى قصف ظهرك؟ قال: قول العبد: أسألك حسن الخاتمة أقول: يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن، وقال ﷺ : « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: ادخل الجنة» (٧٦٥).

= حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » . إلا أن الطبرانى والدارقطنى زادا: من حج أو اعتمر لله، ولفظ الشيخين: من حج فلم يرفث ولم يفسق، وفى لفظ لمسلم: من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، وعند الترمذى بلفظ: من حج ولم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه، وقال: حسن صحيح .

(٧٦٣) حديث : « ما رُئي الشيطان فى يوم هو أصغر وأدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة» قال العراقى : رواه مالك عن إبراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا.

وقال مرتضى: ولفظ مالك: « ما رُئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة » وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رُئي يوم بدر: « وقيل : وما رُئي يوم بدر؟ قال: أما أنه رأى جبريل يزع الملائكة» . والدحر الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال، وفى رواية: أدحر ولا أرحق، والرحق الطرد والإبعاد وأفعل التى هى للتفضيل من دحر ورحق كأشهر واجن من شهر وجن، ومعنى يزع الملائكة أى يقودهم والوازع القائد .

(٧٦٤) حديث: « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة » وقد أسنده جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب إلى رسول الله ﷺ أى من طريق آبائه هكذا نقله صاحب القوت ولفظه وقد رفعه جعفر بن محمد فأسنده، وقال العراقى: لم أجد له أصلا .اهـ.

(٧٦٥) حديث : « من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر » كذا فى=

وقال ﷺ : « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها، وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة » (٧٦٦) .

وقال ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ، إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شَفعوا شُفِّعوا» (٧٦٧) . وفي حديث مسند

= النسخ ، وفي القوت: والمعتمر إلى يوم القيامة. وقال العراقي : أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى: ولفظه في الشعب: « من خرج حاجا أو معتمرا أو غازيا ثم مات في طريقه كتب الله له أجر الغازي والحاج والمعتمر إلى يوم القيامة ». «ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: ادخل الجنة » قال العراقي : رواه الدارقطني والبيهقي من حديث عائشة نحوه بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا العقيلي وابن عدي وأبو نعيم في الحلية ولفظهم: « من مات في هذا الوجه حاجا أو معتمرا لم يعرض ولم يحاسب وقيل له : ادخل الجنة » ورواه البيهقي أيضا من حديثها : «بلفظ من مات في طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة ولم يحاسبه» . وكذا رواه الحارث بن أسامة وابن عدي عن جابر ، وروى الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن وضعفه من حديث سلمان بلفظ: « من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين » .

(٧٦٦) حديث : « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها، وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة » هكذا هو في القوت، وقال العراقي : أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ: الحج المبرور ، وقال النسائي : الحجة المبرورة ،وعند ابن عدي: حجة مبرورة . اهـ.

قال مرتضى: لفظ البخاري ومسلم : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. وروى أحمد من حديث جابر، والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

(٧٦٧) حديث : « الحجاج والعُمار وفد الله تعالى وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شَفعوا شُفِّعوا » هكذا هو في القوت وقال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة دون قوله : وزواره ، ودون قوله : إن سألوه أعطاهم وإن شَفعوا شُفِّعوا، وله من حديث ابن عمر :وسألوه فأعطاهم، ورواه ابن حبان . اهـ. ولفظ حديث ابن عمر عند البيهقي : إن الحجاج والعمار وفد الله، إن سألوا أعطوا وإن أنفقوا أخلف لهم، وعنده بلفظ: يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا، الدرهم ألف ألف. وعند البزار من حديث جابر: دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم .

من طريق أهل البيت عليهم السلام : « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له » (٧٦٨) .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة : ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين » (٧٦٩) .

---

(٧٦٨) حديث : مسند من طريق أهل البيت : « أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له » ولفظ القوت: ولقى رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة إلى مزدلفة. فقال: من أعظم الناس جرما يا أبا عبد الرحمن فى هذا الموقف؟ فقال: من قال إن الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء . وقد روينا فيه حديثا مسندا من طريق أهل البيت وساقه كما للمصنف. اهـ . وقال العراقي : رواه الخطيب فى المتفق والمفترق والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف .

(٧٦٩) حديث : « ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين » قال العراقى : رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن وقال ابن حاتم حديث منكر .اهـ

قال مرتضى : قد وقع لى هذا الحديث مسلسلا بالمكيين أخبرنى به شيخنا المرحوم عبد الخالق ابن أبى بكر المزجاني الحنفى وقد أقام بمكة مدة وبها توفى فى آخر حجاته قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفى المكى (ح) وأخبرنى أعلى من ذلك بدرجة عمر بن أحمد ابن عقيل الحسينى المكى قالا: أخبرنا الحسن بن على بن يحيى الحنفى المكى عن زين العابدين عبد القادر بن يحيى بن مكرم الطبرى عن أبيه عن جده يحيى عن جده المحب الأخير الطبرى عن عم والده أبى اليمن محمد الطبرى عن والده أحمد بن إبراهيم الطبرى عن أبيه أخبرنا عبد الرحمن بن أبى حرمى المكى أخبرنا الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشى المكى أخبرنا قاضى الحرمين أبو المظفر محمد بن على الشيبانى المكى قراءة عليه أخبرنا جدى الحسين بن على المكى أخبرنا أبو الفتح خلف بن هبة الله سماعا عليه بالمسجد الحرام أخبرنا أبو عمر الحسن بن أحمد العبقسى المكى حدثنا محمد بن نافع الخزاعى المكى حدثنا إسحاق بن محمد الخزاعى المكى حدثنا أبو الوليد محمد بن عبيد الله الأزرقى المكى المؤرخ عن جده عن سعيد بن سالم القداح أبو المكى عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس رفعه: ينزل الله على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة: ستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين . هكذا أخرجه العز بن فهر وجار الله بن فهر فى مسلسلاتهما، ورواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة، وقال البلقينى فى فتاويه المكية : لم أقف له على إسناد صحيح، وقال التقى الفاسى : لا تقوم به حجة، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه توقف فيه لكن حسنه المنذرى والعراقى والسخاوى، وإذا اجتمعت طرق هذا الحديث ارتقى إلى مرتبة الحسن إن شاء الله=

وفى الخبر : « **استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجلِّ شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه** » (٧٧٠) . ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة .

وفى الخبر : « **من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ، ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه** » (٧٧١) . ويقال: إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف وقال بعض السلف: إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم فى الدنيا ، وفيه حج رسول الله ﷺ « **حجة الوداع** » (٧٧٢) . وكان واقفا إذ نزل قوله عز وجل : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) . قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا

= تعالى ، وفى المناسك للمحب الطبرى عن ابن عباس مرفوعا: ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة: ستون منها للطائفين بالبيت، وأربعون للعاكفين حول البيت، وعشرون للناظرين إلى البيت. وفى رواية قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة . . . » الحديث. وقال فيه: وأربعون للمصلين ولم يقل للعاكفين، قال: أخرجهما أبو ذر الهروى والأزرقى .

(٧٧٠) حديث : « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه » هكذا هو فى القوت إلا أنه قال: من أقل شيء، وهكذا هو فى بعض نسخ هذا الكتاب، **وقال العراقى** : رواه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر: استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

قال مرتضى : ورواه بهذا اللفظ أيضا الطبرانى فى المعجم الكبير لكنه لا يوافق سياق المصنف فى كل من الوجوه كما لا يخفى .

(٧٧١) حديث : « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة، ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه » أورده صاحب القوت وقال: روى ذلك عن الحسن بن على قال لأصحابه ورفعه إلى رسول الله ﷺ . اهـ. **وقال العراقى** : لم أجده هكذا، وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر: من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة، لفظ الترمذى وحسنه . اهـ.

قال مرتضى : وقال الحافظ ابن حجر: حديث الطواف فى المطر رواه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف بالمعنى .اهـ. وقال: ولفظه عن أبى عقال قال: طفت مع أنس بن مالك .

(٧٧٢) حديث : « حج رسول الله ﷺ حجة الوداع » وكان واقفا إذ نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ =

لجعلناها يوم عيد، فقال عمر ﷺ : أشـهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين: يوم عرفة ويوم جمعة على رسـول الله ﷺ وهو واقف بعرفة ، وقال ﷺ : « **اللهم اغـفر للحـاج ولمن استغفر له الحاج**(٧٧٣) . ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله ﷺ حججا قال:

= ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) . «قال أهل الكتـاب» ولفظ القوت: وقـال علماء أهل الكتـاب : لو أنزلت علينا هذه الآية لجـعلناها يوم عيد. ولفظ القوت: يومـها عيدا ، قال عمر ﷺ: أشهـد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين :يوم عرفة ويوم جـمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفـة. هكذا فى القوت وقد أخرجه البخارى ومـسلم والترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حسن صـحيح، ولفظ البخارى: حدثنا الحسن بن الصباح أنه سمع جعفر بن عوف حدثنا أبو العميس أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلا من الـيهود قال له: يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرءونهـا علينا معاشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليـوم عيدا ،قال : أى آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ قال عمر: لقد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى أنزلت فيه على النبى ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

قـال الحـافظ : والرجل المذكور هو كعب الأحـبار قبل أن يسلم كمـا قاله الطبرانى فى الأوسط وغـيره كلهم من طريق رجـاء بن أبى سلمـة عن عبـادة بن نسى عن إسحـاق بن قبيصة بن ذؤيب عن كعب أنه قال لعـمر . . . الحديث، وإنما لم يقل: جعلناه عيداً ليطابق جوابه السؤال لأنـه ثبت فى الصحيح أن النزول كان بعـد العصر ولا يتحقـق العيد إلا من أول النهار ولا ريب أن اليوم الثانى ليوم عرفة عيد للمسلمين، فكأنه قال: جعلناه عيدا بعد إدراكنا استحقاق ذلك اليـوم للتعبد فيه، قال :وعندى أن هذه الرواية اكتـفى فيها بالإشارة وإلا فرواية إسحاق بن قبيصة نص على المراد ولفظه: يوم جـمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد. وللطبـرانى: وهما لنا عيد، فظهر أن الجواب تضـمن أنهم اتخذوا ذلك اليوم عيدا واتخذ اليهود يوم عرفة عيداً لأنه ليلة العيد .اهـ. وقال النووى: فقد اجتمع فى ذلك فضيلتان وشرفان ومعلوم تعظيمنا كلا منهما فإذا اجتمعا زاد التعظيم .

(٧٧٣) حديث : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » **قال العراقى**: رواه الحاكم من طريق أبى هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم . اهـ.

قال مـرتضى: وتُعقب بأن فيه شريكا القاضى ولم يخرج له مسلم إلا فى المتابعات، وقد أخرجه البيهـقى والخطيب كذلك وفى بعض الروايات قال ذلك ثلاثا فيتأكد طـلب الاستغفار من الحاج ليدخل فى دعائه ﷺ وظاهره طلب ندب الاستـغفار منه فى سائر الأوقات لكن سيـأتى فى قوله قـول عمر ﷺ أن غـاية طلبه إلى عـشرين ربيع الأول، وقـال الحافظ ابن رجب: فإن تأخر وصوله إلى وطنه فإلى وصوله .

فرأيت رسـول الله ﷺ فى المنام فقـال لى: يا ابن موفق حـججت عنى؟ قلـت: نعم، قال: ولبيت عنى؟ قلت: نعم، قال: فإنى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب. وقال مجاهد وغيره من العلماء: إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبـان الحُمر واعتنقوا المشاة اعتناقا، وقال الحسن: من مات عقـيب رمضان أو عقـيب غزو أو عقيب حج مات شـهيدا. وقال عـمر رضي الله عنه: الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهـر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول، وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادروا ذلك قبل أن يتـدنسوا بالآثام، ويروى عن على بن موفق قال: حجـجت سنة فلما كان ليلة عرفـة نمت بمنى فى مسجد الخـيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قـد نزلا من السماء عليهـما ثياب خضر فنادى أحدهمـا صاحبه: يا عبد الله، فقال الآخر: لـبيك يا عبد الله، قال: تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه الـسنة؟ قال: لا أدرى، قال :حج بيت ربنا ستـمائة ألف، أفتدرى كم قبل منهم؟ قال: لا، قال: ستة أنفس، قال: ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتمـمت غما شديدا وأهمني أمرى ،فقلت: إذا قبل حج سـتة أنفس؟ فأين أكون أنا فى ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشـعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قُبل منهم فغلبنى النوم فـإذا الشخصان قد نزلا على هيئـتهما فنادى أحدهما صـاحبه وأعاد الكلام بعـينه، ثم قال: أتدرى مـاذا حكم ربنا عز وجـل فى هذه الليلة؟ قال: فـإنه وهب لكل واحد من الـستة مائة ألف، قـال: فانتبـهت وبى من السرور ما يجل عـن الوصف. وعنه أيضا رضي الله عنه قال: حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت: اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حـجته، قال : فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقـال لى : يا علىّ تتسـخى علىّ وأنا خلقت السخـاء والأسخيـاء وأنا أجود الأجـودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين، قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته .

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال ﷺ : « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة، وإن الكعبة تُحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها » (٧٧٤) .

وفى الخبر : « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة، وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق » (٧٧٥) .

---

(٧٧٤) حديث : « إن الله تعالى قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة الف فإن نقصوا أكملهم الله تعالى بالملائكة ،وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلوا معها » هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقى: لم أجد له أصلا . اهـ.

(٧٧٥) حديث :« إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يُبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق » هكذا هو فى القوت، وقال العراقى: رواه الترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عباس: الحجر الأسود من الجنة، لفظ النسائى وباقى الحديث رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عباس أيضا، والحاكم من حديث أنس: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة. وصحح إسناده، ورواه الترمذى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو . اهـ.

قال مرتضى: وأخرج الأزرقى موقوفا على ابن عباس قال: ليس فى الأرض من الجنة إلا الحجر الأسود والمقام فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ، ولولا ما مسهم من أهل الشرك ما مسهم ذو عاهة إلا شفاه الله. ولفظ الترمذى عن ابن عباس مرفوعا فى الحجر: والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق. وفى لفظ ابن حبان: له لسان وشفتان، ورواه أحمد فقال: يشهد لمن استلمه بحق . ولفظ حديث عبد الله ابن عمر وعند أحمد : له لسان وشفتان، وعنه أيضا: الحجر الأسود من حجارة الجنة لولا ما تعلق به من الايدى الفاجرة ما مسه أكمه ولا أبرص ولا ذو داء إلا برئ . أخرجه سعيد بن منصور وعن مجاهد: يأتى الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة . أخرجه الأزرقى، وعبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة لولا أن الله طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب. أخرجه أحمد وابن حبان وأخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .

وكان ﷺ « يقبله كثيرا »(٧٧٦).

وروى أنه ﷺ : « سجد عليه » (٧٧٧).

« وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن » (٧٧٨).

---

(٧٧٦) حديث : «وكان رسول الله ﷺ يقبله كثيرا » هكذا في القوت، قال العراقي : أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا، وللنسائي أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا إن رآه خاليا .اهـ.

(٧٧٧) حديث : « وروى أنه ﷺ سجد عليه » كذا في القوت بلفظ: وروينا أنه سجد عليه . وقال العراقي: ورواه البزار والحاكم من حديث عمر وصححا إسناده .اهـ.

وقال مرتضى: وأخرج الدارقطني عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد على الحجر، وأخرج الشافعي في مسنده عنه بلفظ: قبّل الركن وسجد عليه ثلاث مرات، وأخرج البيهقي عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب قبّل وسجد عليه، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا، وأخرج الشافعي والبيهقي والأزرقي عنه أنه ﷺ قبّل الحجر ثلاثا وسجد عليه إثر كل تقبيلة، قال الطبري في المناسك: وكره مالك السجود على الحجر وقال: هو بدعة، وجمهور أهل العلم على جوازه والحديث حجة على المخالف .

(٧٧٨) حديث : « وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل المحجن » هكذا في القوت ولم يخرجه العراقي ، وهو في الصحيحين من حديث أبي الطفيل وجابر، فلفظ أبي الطفيل عند مسلم: كان يقبل الركن بمحجن معه ويقبل المحجن، ولم يقل البخاري: ويقبل المحجن، ولا أخرجه عن أبي الطفيل، ولفظ جابر عند البخاري: طاف رسول الله ﷺ على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يعطف المحجن ويقبله. وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر أن رجلا سأله عن استلام الحجر فقال: كان أحدنا إذا لم يخلص إليه قرعه بعصا، وقبله عمر ﷺ ثم قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك لما قبلتك . أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر، ولفظ مسلم قال: قبّل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبلتك وعن عبد الله بن سرجس قال : رأيت الأصلع - يعني عمر - يُقبل الحجر ويقول: والله إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك، وعن سويد بن غفلة قال: رأيت عمر قبل الحجر والتزمه وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيا .لم يخرج البخاري في هذا الحديث التزام الحجر ولا قال: رأيت الأصلع، وفي بعض روايات البخاري: ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك ثم بكى حتى علا نشيجه أي صوته فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه فقال : يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات هكذا في القوت، وأخرجه الشامي في مسنده وأبو ذر الهروي من حديث ابن عمر قال: استقبل النبي ﷺ بيده الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى=

وقبّله عمر ﷺ ثم قال: إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبلتك ، ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه، فقال: يا أبا الحسن ههنا تُسكب العبرات وتستجاب الدعوات، فقال على ﷺ : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع، قال : وكيف ؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على

= فالتفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال: يا عمر ما هذا؟ قال عمر: ههنا تسكب العبرات (فقال على ﷺ : يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال:وكيف؟ قال : إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء وعلى الكافرين بالجحود) كذا فى القوت إلا أنه لم يقل عليهم وقال للمؤمن وعلى الكافر، وقال العراقى: هذه الزيادة فى هذا الحديث أخرجها الحاكم وقال: ليس من شرط الشيخين . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الأزرقى هذا الحديث بتلك الزيادة ولفظه: فقال على : بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع، قال :ويم ؟ قال: بكتاب الله عز وجل، قال: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل ؟ قال: قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ (الأعراف: ١٧٢) قال: فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من ظهره فقررهم أنه الرب وأنهم العبيد ثم كتب ميثاقهم فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له : افتح فاك، قال: فألقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع، فقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، قال: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا حسن. وأخرج الدولابى فى الذرية الطاهرة عن الحسين بن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : لما أخذ الله ميثاق الكتاب جعله فى الحجر فمن الوفاء بالبيعة استلام الحجر . وفى مثير العزم لابن الجوزى عن ابن عباس عن النبى ﷺ : أن الله لما أخذ من بنى آدم ميثاقهم جعله فى الحجر ، وقال الطبرى فى مناسكه: وإنما قال عمر ما قال فى تقبيل الحجر - والله أعلم - لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فأراد عمر أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله عز وجل والوقوف عند أمر نبيه ﷺ وأن ذلك من شعائر الحج التى أمر الله بتعظيمها وأن استلامه مخالف لفعل الجاهلية فى عبادتهم الأصنام لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى فنبه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد وأنه لا ينبغى أن يعبد إلا من يملك الضرر والنفع وهو الله جل وعلا . اهـ. (قيل فذلك هو معنى قول الناس) فى الدعاء (عند الاستلام: اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك) يعنون هذا الكتاب والعهد ، كذا فى القوت، وهذا الدعاء أخرجه أبو ذر الهروى بزيادة: الله أكبر فى أوله عن على ﷺ كما سيأتى.

الكافر بالجحود ، قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام: اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك. وروى عن الحسن البصرى رضي الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم، وكذلك كل حسنة بمائة ألف، ويقال: طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عُمر تعدل حجة وفى الخبر الصحيح: «**عمرة فى رمضان كحجة معى**»(٧٧٩) .

وقال ﷺ : « **أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين** » (٧٨٠) .

---

(٧٧٩) حديث : « عمرة فى رمضان كحجة » أخرجاه من حديث عطاء: سمعت ابن عباس يحدثنى قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس فنسيت اسمها: ما منعك أن تحجى معنا ؟ قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان فحج أبو ولدها وابنها على ناضح وترك لنا ناضحا ننضح عليه، قال : فإذا جاء رمضان فاعتمرى فإن عمرة فيه تعدل حجة. وقال البخارى: حجة أو نحوا معا، قال: وخرج أيضا هذا الحديث من طريق جابر تعليقا، ولمسلم من طريق أخرى : فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة (معى) وسمى المرأة أم سنان، وقد أخرج البخارى هذا الطريق وقال أم سنان الأنصارية . **قال العراقى** : ورواه الحاكم بزيادتها من غير شك . اهـ.

قال مرتضى: وأخرجه بتلك الزيادة الطبرانى والبزار وسمويه فى الفوائد عن أنس وفى طريق سمويه داود بن يزيد الأودى ضعيف، وعزاه ابن العربى فى شرح الترمذى إلى أبى داود بغير شك وقال إنه صحيح، وقد روى من غير تلك الزيادة عن أم معقل ووهب بن خنبس أخرجه ابن ماجه، وحديث الزبير بن العوام أخرجه الطبرانى في الكبير، وحديث على وأنس أخرجه البزار وأما الحديث الذى أورده البخارى تعليقا أخرجه أيضا أحمد وابن ماجه، وحديث ابن عباس الذى أخرجه الشيخان أخرجه أيضا أحمد وأبو داود وابن ماجه، ومعنى تعدل حجة أى تماثلها فى الثواب لأن الثواب يفضل بفضل الوقت، وقال الطيبى: هذا من باب المبالغة وإلحاق الناقص بالكامل ترغيبا وبعثا عليه وإلا كيف يفضل ثواب العمرة ثواب الحج . اهـ. فعلم أنها لا تقوم مقامه فى إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يخرج عن حج الفرض، وفيه أن الشىء يشبه الشىء ويجعل عدله إذا أشبهه فى بعض المعانى لا كلها وأن ثواب العمل زيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلص النية وأن افضل أوقات العمرة رمضان، نقله المناوى فى شرح الجامع .

(٧٨٠) حديث : « أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى، ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين » كذا أورده صاحب القوت . **وقال العراقى**: رواه الترمذى وحسنه وابن حبان من حديث ابن عمر . اهـ.

قال مرتضى: ولفظهما: أنا أول من تنشق الأرض عنه ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم أنتظر أهل مكة .

وفى الخبر : « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة ، فقالوا : بر حجك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام » (٧٨١) .

وجاء فى الأثر أن الله عز وجل ينظر فى كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليــه من أهل الحرم أهل المسجـد الحرام، فمن رآه طائفا غـفر له، ومن رآه مصليا غفر له، ومن رآه قائما مستـقبل الكعبة غفر له. وكوشف بعض الأولياء رضي الله عنه قال: إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عـبادان ساجدة لجدة، ويقال: لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهـذا البـيت رجل من الأبدال، ولا يـطلع الفـجـر من ليلة إلا طاف به واحـد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفـعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفـعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا ، وهذا إذا أتى عليهـا سبع سنين لم يحججها أحـد، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يُذكر منه كلمة، ثم يرجع الناس إلى الأشعـار والأغانى وأخبار الجاهلية، ثم يخـرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيـقتله، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتـوقع ولادتها، وفى الخبر : «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُرفع، فقد هُدم مرتين ويُرفع فى الثالثة » (٧٨٢) .

---

(٧٨١) حديث : « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا له: بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام » هكذا أورده صاحب القوت، **وقال العراقى** : رواه المفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال: لا يصح، ورواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفًا على ابن عباس .اهـ.

قال مـرتضى: ورواه الشافعى مرفوعا على محـمد بن كعب القرظى، وأما لفظ حديث ابن عباس عند الأزرقى على ما نقله الطبـرى فى مناسكه قال: حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعا فلقيته الملائكة فى الطواف فقالوا: بر حجك يا آدم إنا حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام، قال: فما كنتم تقولون فى الطواف؟ قـالوا: كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبـر، قال آدم : فزيدوا فـيها ولا حول ولا قـوة إلا بالله. يذكر عن بعض الصحـابة وقرَّاء الكتب السالفة: كـأنى أنظر إليه حبشـيا أصلع أجدع قائمـا عليها - يعنى الكعبة - يهدمها بمعوله حجرا حجرا .

(٧٨٢) حديث : « استكثروا من الطواف بهذا البيت قـبل أن يرفع فقد هُدم مرتين ويرفع فى الثالثة » **قال العـراقى** : رواه البزار وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر: استمتعوا فى هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثـالثة. وقد تقدم قريبا ثم قال صـاحب القوت: ورفعه الذى=

وروى عن على رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « قال الله تعالى : إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره »(٧٨٣) .

فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة :

(الأول) : خوف يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام، وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم. ولذلك هَمَّ عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال: خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت .

(الثانى): تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى ينوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا، وقال بعضهم: تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر ، وقال بعض السلف: كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به، ويقال: إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل .

(الثالث): الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإن ذلك مخطر وحرى بأن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع ، وروى عن وهيب بن الورد المكى قال: كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول: إلى الله أشكو ثم إليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة تُرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قُطع منه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ

= ذكرناه يكون بعد هدمه لأنه يبنى بعد ذلك حتى يعود إلى مثل حاله ويحج مرارا ثم يرفع بعد ذلك .

(٧٨٣) حديث : « ويروى عن على رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: قال الله تعالى : إنى إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره » قال صاحب القوت: رويناه عن ابن رافع عن على، وقال العراقى: ليس له أصل .

﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: ٢٥) . أى أنه على مجرد الإرادة ويقال : إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: الاحتكار بمكة من الإلحاد فى الحرم وقيل الكذب أيضا، وقال ابن عباس: لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب إلىّ من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة (وركية منزل بين مكة والطائف). ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة، وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض، وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ،ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع، فمعنى قولنا: إن ترك المقام به أفضل، أى بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ،وكيف لا ولما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال : « **إنك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلىّ ولولا أنى أُخرجت منك لَمَا خرجت** » (٧٨٤). وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه.

(٧٨٤) حديث : « لما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال: إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلىّ ولولا أنى أُخرجت منك لما خرجت » .

قال العراقى : رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء . اهـ.

قال مرتضى: وعبد الله بن عدى هذا زهرى له صحبة، روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير وهو من رجال الترمذى والنسائى وابن ماجه، ولفظ الترمذى والنسائى أن عبد الله بن عدى سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته على الحزورة من مكة وهو يقول لمكة: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت. وأخرجه ابن حبان فى التقاسيم والأنواع وسعيد بن منصور فى سننه، قال الطبرى فى مناسكه : وذكره رزين عن الموطأ من حديث أبى سلمة عن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم أره فى موطأ يحيى بن يحيى، وأخرجه أحمد وقال :وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة ،وأخرجه رزين أيضا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة وقف عند الحزورة وقال: ما أطيبك من بلد وأحبك إلىّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك. وعلم عليه علامة الموطأ ولم أره فى موطأ يحيى بن يحيى . اهـ.

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ فالأعمال فيها أيضا مضاعفة، قال ﷺ : «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» (٧٨٥). وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال . وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » (٧٨٦).

(٧٨٥) حديث : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وكذا أن الأعمال في المدينة كفضل الصلاة كل عمل بألف عمل، والحديث قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة ، ورواه مسلم من حديث ابن عمر . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد أيضا والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر، ورواه مسلم أيضا من حديث ميمونة، وأحمد أيضا من حديث جبير بن مطعم وسعد وأرقم ولفظهم كلهم : أفضل بدل خير، وزاد مسلم والنسائي في بعض روايات حديث أبي هريرة: فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد. وأخرجه أحمد وابن ماجه من حديث جابر بزيادة: وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه. وأخرجه أحمد وابن حبان من حديث ابن الزبير بزيادة: وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة. وأخرجه البيهقي من حديث ابن عمر بزيادة: وصيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواه، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف جمعة فيما سواها. وعنده من حديث جابر بلفظ :الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ،والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام،وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام .

(٧٨٦) حديث : ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » قال صاحب القوت :رويناه عن عطاء عن ابن عباس مرفوعا هكذا. وقال العراقي : الحديث غريب بجملته هكذا ، ولابن ماجه من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت المقدس: آئتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، وله من حديث أنس: صلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة. ليس في إسناده من يضعف ،وقال الذهبي: إنه منكر . اهـ.

وقـال ﷺ : « من صبـر على شدتـها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة » (٧٨٧) .

وقـال ﷺ : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بهـا أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة» (٧٨٨) .

= **قال مـرتضى** : أخرجه ابن مـاجه من حديث هشام بن عمار حـدثنا أبو الخطاب الدمشقى حدثنا رزيق أبو عبد الله الألهانى عن أنس قـال: قال رسول الله ﷺ : صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسـجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصـلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسـمائة صلاة، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسـين ألف صلاة، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة. رزيق الألهـانى ضعفه ابن حبـان الراوى له عنه أبو الخطاب إن كان هو معروف الخياط فـقد ذكر ابن عدى هذا الحديث فى ترجمته، وإن كان هو عمـار الدمشقى كـذ عند الطبرانى فـهو مجـهول، وعند البيهـقى من حديث جابر: صـلاة فى المسجد الحـرام مائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة، وصلاة فى بيت المقـدس خمسمائة صلاة . وعند الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء مثله إلا أنه قال: الصلاة، وفى الحلية لأبى نعيم من حديث أنس: الصلاة فى المسجد الحـرام مائة ألف صلاة، والصلاة فى مسجدى عـشرة آلاف صلاة، والصلاة فى مسجد الرباطات ألف صلاة .

(٧٨٧) حديث رسـول الله ﷺ : « لا يصبـر على شدتهـا ولأوائها أحد إلا كنت له شـفيـعا يوم القيامة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد قاله العراقى، ولمسلم أيضا من حديث سعـد: لا يثبت أحد على لأوائها وجـهدها إلا كنت له شفيعـا أو شهيدا يوم القيـامة. وأخرجه التـرمذى بلفظ المصنف وأخرجه مالـك نحوا من سياق مسلم، وقـال الطيبى: قوله: شهيدا أو شفيعا ليست أو هنا للشك خلافا لمن ذهب إليه إذ قد رواه جابر وأبو هريرة وأبو سعيد وسعد وأسماء بنت عُميس بهذا اللفظ ويبعد اتفاق الكل على الشك، بل الظاهر أنه ﷺ قاله كذلك فتكون أو للتقـسيم، ويمكن أنه ﷺ شفيع لبعض أهل المدينة وشهيد لـبعضهم وإما أن يكون شهيدا للطائعين شفيعا للعاصين أو شهيـدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن مات بعده أو غير ذلك مما الله أعلم به،وفى تخصـيص هذه الشفاعة أو الشهادة تخـصيص زائد بزيادة منزلة لهم وقد تكون أو بمعنى الواو وإن كانت للشك، فإن كانت اللفظة الصـحيحة الشهادة فلا إشكال إذ هى زائدة على الشفاعة المؤخـرة، وإن كانت الشفاعة فاختـصاص أهل المدينة بها يدل على أنها شفاعة أخرى خاصة إما لزيادة الدرجات أو لتخفيف الحساب أو غير ذلك . اهـ .

(٧٨٨) حديث : قـال ﷺ : « من استطـاع أن يموت بالمدينة فليمت فـإنه لم يمت بها أحـد إلا كنت له شفـيعا يوم القيـامة » **قـال العـراقى** : رواه الترمذى وابـن ماجه من حديث ابن عـمر، وقال الترمذى: حسن صحيح.

قال مـرتضى: ورواه أحمد كذلك بسند رجاله رجال الصـحيح خلا عبد الله بن عكرمة ولم يتكلم فى أحد بسوء ، قاله الهيثمى، وكذا رواه ابن أبى شـيبة فى المصنف وابن حبان والبيهقى=

وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال ﷺ : « **لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى** » (٧٨٩) . وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء، وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها، قال ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا**» (٧٩٠) . والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر، وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل، نعم لو كان في موضع لا مسجد

= ولفظهم كلهم: من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها. والأقرب إلى سياق المصنف حديث صمية التيلية: من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة. هكذا رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن ورويا مثل ذلك عن سبعية الأسلمية ورواه الطبراني خاصة من حديث يتيمة من ثقيف كانت عند رسول الله ﷺ : وعند ابن حبان عن صمية المذكورة بلفظ : من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها فإنه من يمت بها تشفع وتشهد له.

(٧٨٩) حديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى » **قال العراقي** : الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد . اهـ. ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد وعبيد بن حميد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد ورواه ابن ماجه أيضا من حديث عبد الله بن عمرو ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي بصرة الغفاري، ورواه ابن النجاري في تاريخه من حديث عبادة بن الصامت، ورواه الباوردي والطبراني أيضا من حديث أبي الجعد الضمري، وعند ابن عساكر في التاريخ من حديث ابن عمر بلفظ: لا تشد المطي، وعند أحمد وأبي يعلى وابن خزيمة والطبراني والضياء من حديث أبي سعيد بلفظ: لا تشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد.

(تنبيه) : قال عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بعده، ثم اختلفوا في أيهما أفضل: فذهب عمر وبعض الصحابة إلى تفضيل المدينة وهو قول مالك وأكثر المدنيين، وذهب أهل الكوفة إلى تفضيل مكة وبه قال ابن حبيب وابن وهب من أصحاب مالك وإليه ذهب الشافعي ولكلٍّ دليل، والله أعلم .

(٧٩٠) حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا » رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي وقد تقدم في قواعد العقائد .

فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء، ثم ليت شعرى: هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام؟ فالمنع من ذلك فى غاية الإحالة، فإذا جوَّز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد، هذا فى الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له، قال ﷺ : **«البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى»**(٧٩١). فى الخبر : **« من بورك له فى شىء فليلزمه ، ومن جُعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه »**(٧٩٢) . وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه

---

(٧٩١) حديث : « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله، فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى » ولفظ القوت: وبعد المساجد الثلاثة فأى موضع صلح فيه قلبك وسلم لك دينك واستقام فيه حالك فهو أفضل المواضع لك .وقد جاء: البلاد بلاد الله تعالى والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى. **وقال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : رواه أحمد بلفظ: فحيثما أصبت خيرا فأقم. رواه من طريق أبى يحيى مولى آل الزبير عن الزبير ، قال الهيثمى: فى سنده من لم أعرفه وتبعه السخاوى وغيره، ومعنى هذا الحديث فى قوله تعالى: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (العنكبوت: ٥٦) وجرى إلى ما ذهب إليه المصنف هنا الزمخشرى فى الكشاف فقال: معنى الآية أنه إذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش أمر دينه كما يحب فليهاجر لبلد آخر يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا، قال: وقد جربنا فلم نجد أعون على ذلك من مكة. اهـ.

(٧٩٢) حديث : « من بورك له فى شىء فليلزمه » كذا فى النسخ وفى بعضها: من رزق له، وهى نسخة العراقى، وعبارة القوت: من خفر له وهى بمعنى بورك، **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه من طريق الديلمى وغيره، رواه البيهقى كذلك لكن فى سنده محمد ابن عبد الله الأنصارى وهو ضعيف عن فروة بن يونس وقد ضعفه الأزدى عن هلال بن جبير وفيه جهالة ، وفى بعض روايات البيهقى : من رزقه الله رزقا فى شىء فليلزمه (ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه) **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ: إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى=

بيــده، فقلت: إلى أين يا أبا عبــد الله؟ قال: إلى بلد أمــلأ فــيه جــرابى بدرهم، وفى حكاية أخرى: بلغنى عن قرية فيــها،رخص أقيم فيها قال: فقلت: وتفعل هــذا يا أبا عبد الله؟ فقال: نعم ، إذا سمــعتَ برخص فى بلد فاقــصده فإنــه أسلم لدينك وأقل لهمك، وكــان يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فــيه على الخاملين فكيف بالمشهورين، هذا زمــان تَنَقُّل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بــدينه من الفتن، ويحكى عنه أنه قال: والله ما أدرى أى البلاد أسكــن، فقيل له: خراسان، فقال: مذاهب مختلفة وآراء فــاسدة، قيل: فالشام، قال: يشار إليك بالأصابع - أراد الشهرة - قــيل : فالعراق ، قال: بــلد الجبابرة، قيل: مكة، قــال: مكة تذيب الكيس والبدن، وقال له رجل غريب: عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى، قال: أوصيك بثلاث: لا تصلين فى الصف الأول، ولا تصــحبن قرشيــا، ولا تُظهرن صــدقة. وإنما كــره الصف الأول لأنه يشتــهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع .



= يتغير له أو يشكر له . اهــ. وأورد صاحب القوت الجملتين مــعا فى حديث وتبعه المصنف كما ترى وهما حديثان لكن مخرجهما واحد .

الفصل الثانى

فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

(أما الشرائط): فشرط صحة الحج اثنان: الوقت والإسلام فيصح حج الصبى ويُحرم بنفسه إن كان مميزا ويُحرم عنه وليُّه إن كان صغيرا ، ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره ، وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة وجميع السنة وقت العمرة، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى.

(وأما شروط وقوعه من حجة الإسلام فخمسة) : الإسلام، والحرية، والبلوغ، والعقل، والوقت، فإن احرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزاهما عن حجة الإسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة، وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت .

(وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ) : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقدِّم، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف، ثم النذر، ثم النيابة، ثم النفل، وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه .

(وأما شروط لزوم الحج فخمسة) : البلوغ، والإسلام، والعقل، والحرية، والاستطاعة، ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة، ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطَّابا لزمه الإحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج .

(وأما الاستطاعة فنوعان) :

أحدهما : المباشرة وذلك له أسباب : أما فى نفسه فبالصحة، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر، وأما فى المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة، وأن يملك ما يقضى به ديونه، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة .

وأما النوع الثانى: فاستطاعة المعضوب بماله، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الإسلام لنفسه، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزَّمِن صار به مستطيعا، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا؛ لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للوالد وبذل المال فيه منة على الوالد، ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر ، فإن تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه، وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه، وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه، ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا، وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعى ومجاهد وطاوس: لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه، وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يُصلّ عليه، وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزكّ ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠) قال: الحج .

« **وأما الأركان التى لا يصح الحج بدونها فخمسة»** : الإحرام، والطواف، والسعى بعده، والوقوف بعرفة، والحلق بعده على قول، وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف، والواجبات المجبورة بالدم ستة: الإحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة، والرمى فيه الدم قولا واحدا ، وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين، وفى القول الثانى : فيها دم على وجه الاستحباب.

« وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة » :

الأول: الإفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدِّم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر، وأفضل الحل لإحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية، وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع .

الثاني: القِران ، وهو أن يجمع فيقول: لبيك بحجة وعمرة معا، فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين، وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة .

الثالث: التمتع، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا إلا بخمسة شرائط :

أحدها : ألا يكون من حاضرى المسجد الحرام، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة.

الثانى: أن يقدم العمرة على الحج.

الثالث: أن تكون عمرته فى أشهر الحج.

الرابع: ألا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج.

الخامس: أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد، فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن، وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القِران والتمتع سواء، والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القِران .

« وأما محظورات الحج والعمرة فستة » :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغى أن يلبس إزارا ورداء ونعلين، فإن لم يجد نعلين فمكعبين، فإن لم يجد إزارا فسراويل، ولا بأس بالمنطقة والاستظلال

فى المحمل ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فإن إحـرامه فى الرأس ،وللمرأة أن تلبس كل مَخيط بعد ألا تستتر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها .

الثانى : الطِّيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا، فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاة .

الثالث : الحلق والقلم وفيهما الفدية أعنى دم شاة، ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر .

الرابـع : الجماع وهو مفسد قبل التحلـل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه، وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه .

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء فهو محرَّم وفيه شاة، وكذا فى الاستمناء، ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد.

السادس: قتل صيد البر، أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام، فإن قتل صيدا فعليه مثله من النَّعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .



الباب الثانى

فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الأولى فى السير من أول الخروج إلى الإحرام وهى ثمان :

«الأولى فى المال» : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ،ويرد ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء، ويتصدق بشىء قبل خروجه ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها، فإن اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه .

« الثانية فى الرفيق » : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه، إن نسى ذكَّره وإن ذكر أعانه، وإن جَبُنَ شجعه وإن عجز قواه، وإن ضاق صدره صبَّره، ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فإن الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا، والسُّنة فى الوداع أن يقول : **«أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »** (٧٩٣) . وكان ﷺ يقول لمن أراد السفر : **« فى حفظ الله وكنفه، زودَّك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت»** (٧٩٤) .

---

(٧٩٣) حديث : « أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم » هكذا هو فى نسخة بضمير الجمع وفى بعضها بالإفراد، **قال العراقى**: رواه أبو داود والترمذى وصححه النسائى من حيث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا: أدن منى حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك النسائى فى اليوم والليلة والبخارى فى التاريخ وأحمد فى المسند وقال الترمذى: صحيح غريب، وأخرج أبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن يزيد الخطمى رفعه: كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم .

(٧٩٤) حديث: كان ﷺ يقول لمن أراد السفر : « فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى وغفر ذنبك=

« **الثالثة في الخروج من الدار** » : ينبغي إذا همَّ بالخروج أن يصلي ركعتين أولا ، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص، فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة، وقال : اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة، اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر ، وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب، اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك .

«**الرابعة**» : إذا حصل على باب الدار قال : بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ،رب أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَذِل أو أُذَل أو أَزِل أو أُزَل أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجهل أو يُجهل عليَّ ،اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك، فإذا مشى قال : اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا اهتم به وما أنت أعلم به مني، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت. ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه .

= ووجَّهك للخير أينما توجهت » **قال العراقي**: رواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند الترمذي وحسنة دون قوله: في حفظ الله وكنفه . اهـ.

قال مرتضى: ورواه الطبراني في الكبير من حديث قتادة بن هشام الرهاوي أنه لما ودعه النبي ﷺ قال له: جعل الله التقوى زادك وغفر لك ذنبك ووفقك إلى الخير حيثما تكون. وأخرجه البغوي من حديث أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد سفرا فزودني، قال : زودك الله التقوى وغفر ذنبك، قال: زودني، قال: ويسر لك الخير حيثما كنت. وقد أخرجه الترمذي كذلك وأخرج الدارمي والخرائطي في مكارم الأخلاق والمحاملي في الدعاء بلفظ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إني أريد السفر فقال: متى؟ قال: غدا إن شاء الله تعالى فأتاه فأخذ بيده فقال له . . . الحديث .

«الخامسة في الركوب» : فإذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا إن شاء الله لمنقلبون، اللهم إني وجهت وجهى إليك وفوضت أمرى كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبى ونعم الوكيل. فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات، وقال: الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور .

« السادسة فى النزول » : والسُّنة ألا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل، قال ﷺ : « **عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار** » (٧٩٥) . وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه، اصرف عنى شر شرارهم .فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، فإذا جنَّ عليه الليل يقول: يا أرض ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دبَّ عليك، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد ، وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم .

«السابعة فى الحراسة» : ينبغى أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع، ويكون بالليل متحفظا عند النوم فإن نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه، وإن نام

(٧٩٥) حديث: « عليكم بالدلجة » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث أنس دون قوله: ما لا تطوى بالنهار ، وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا .اهـ.

قال مرتضى: أسنده ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث عبد الله بن سعد الأسلمى ورواه الحاكم فى الحج والجهاد، والبيهقى بدون تلك الزيادة ،وقال الحاكم: على شرطهما، وأقره الذهبى فى موضع وقال فى موضع آخر إن سلم من مسلم بن خالد بن يزيد اليعمرى فجيد، وأما سند أبى داود فحسن .

فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه هكذا كان ينام رسول الله ﷺ فى سفره(٧٩٦) ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج، والأحب فى الليل أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة (٧٩٧) فإن قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله والإخلاص والمعوذتين، وليقل: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، حسبى الله توكلت على الله، ما شاء الله لا يأتى بالخيرات إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى الذى لا يموت، اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يُرام، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين .

« **الثامنة** » : مهما علا نشز من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول: اللهم لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال . ومهما هبط سبح، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال: سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السماوات بالعزة والجبروت .

---

(٧٩٦) حديث : «فإن نام فى أول الليل افترش ذراعه، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه فى كفه، هكذا كان ينام رسول الله ﷺ فى أسفارة » **قال العراقى** : رواه أحمد والترمذى فى الشمائل من حديث أبى قتادة بسند صحيح، وعزاه أبو مسعود والدمشقى والحميدى إلى مسلم ولم أره فيه . اهـ.

قال مرتضى : وجدت بخط الشيخ زين الدين القرشى الدمشقى المحدث فى هامش نسخة العراقى ما نصه: ليس هو بصحيح فى مسلم وإنما هو زيادة وقعت فى حديث أبى قتادة الطويل فى نوم النبى ﷺ وأصحابه فى الوادى، فأصل الحديث فى مسلم دون هذه الزيادة التى وقعت فى بعض رواياته فى السند، وعزاه ابن الجوزى فى جامع المسانيد بجميع رواياته إلى مسلم وليس كذلك، ولفظ هذه الزيادة: كان رسول الله ﷺ إذا عرّس وعليه ليل توسد بيمينه، وإذا عرس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده .

(٧٩٧) حديث : « أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر، ذاك هو السُّنة » **قال العراقى**: رواه البيهقى من طريق ابن إسحق من حديث جابر فى حديث فيه، فقال الانصارى للمهاجرى: أى الليل أحب إليك ان أكفيك، أوله أو آخره؟ فقال : لا بل اكفنى أوله، فاضطجع المهاجرى . . . الحديث، والحديث عند أبى داود لكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى .

الجملة الثانية فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهى خمسة :

« الأول » : أن يغتسل وينوى به غسل الإحرام، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة .

« الثانى » : أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الإحرام فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام فقد رُئى بعض المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الإحرام مما كان استعمله قبل الإحرام (٧٩٨) .

« الثالث » : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فعند ذلك ينوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو إفرادا كما أراد، ويكفى مجرد النية لانعقاد الإحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وإن زاد قال: لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .

« الرابع » : إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول: اللهم إنى أريد الحج فيسِّره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى، اللهم إنى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك ووفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلنى منهم ،اللهم فيسر لى أداء ما نويت من الحج، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى

---

(٧٩٨) حديث : « رُئى وبيص المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الإحرام مما كان استعمل قبل الإحرام » قال العراقى : متفق عليه من حديث عائشة، قالت : كنت أنظر إلى وبيص المسك ... الحديث .

قال مرتضى: وثمامة فى مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم، هذا لفظ مسلم، ولفظ البخارى : الطيب بدل المسك ومفارق بدل مفرق، وزاد النسائى وابن حبان: بعد ثلاث وهو محرم، وفى رواية لمسلم كان إذا أراد أن يحرم تطيب بأطيب ما يجد ثم أرى وبيص المسك فى رأسه ولحيته بعد ذلك .

ودمي وعصبي ومخي وعظامي، وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة. ومن وقت الإحرام عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها .

« **الخامس** » : يستحب تجديد التلبية في دوام الإحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر **«فإنه لا ينادي أصم ولا غائبا»** (٧٩٩) كما ورد في الخبر، ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك، أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد

---

(٧٩٩) حديث : قال ﷺ : « لا ينادي أصم ولا غائبا » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي موسى .اهـ.

قال مرتضى: أخرجه البخاري من طريق سفيان الثوري ومسلم من طريق حفص بن غياث ومحمد بن فضيل وأبو داود من طريق أبي إسحاق الفزاري وابن ماجه من رواية جرير كلهم عن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن أبي موسى قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأشرفنا على واد ، فقالوا : لا إله إلا الله والله أكبر، وجعلوا يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ : يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا وهو معكم. وأخرجه مسلم أيضا عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عاصم وأخرجه أحمد عن أبي معاوية الضرير، وأخرجه عبد بن حميد عن حسين الجعفي عن زائدة كلاهما عن عاصم مثله إلا أن في رواية زائدة : أنه معكم، وأخرجه مسلم أيضا من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فكان الرجل إذا علا ثنية أو عقبة قال: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال النبي ﷺ : إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا. أخرجه الترمذي والنسائي وابن خزيمة جميعا عن محمد بن بشار عن مرحوم بن عبد العزيز عن أبي نعامة السعدي عن أبي عثمان مثله إلا أن في لفظ أبي نعامة: فلما أشرفنا كبّر الناس تكبيرة رفعوا بها أصواتهم. والباقي سواء وترجم البخاري في الصحيح باب رفع الصوت بالإهلال، وأورد فيه حديث أنس: صلى النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين وسمعتهم يصرخون بهما جميعا. وفي المصنف لابن أبي شيبة من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم. وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن أبي حازم: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا الروحاء حتى تبح أصواتهم. وأخرج سعيد بن منصور من حديث أبي الزبير عن جابر وعن ابن عمر أنه كان يرفع صوته بالتلبية حتى سمع دوي صوته من الجبال. وأخرج البيهقي عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ فما بلغنا الروحاء حتى سمعنا عامة الناس وقد بحت أصواتهم. وعن أنس مثله، فهذه الأخبار كلها تدل على جواز رفع الصوت حتى يبح، والمعتمد عند الفقهاء حديث أبي موسى المتقدم .

الميقات، وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء قال: « **لبيك إن العيش عيش الآخرة** » (٨٠٠) .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف وهى ستة :

« **الأول** » : أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة، والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة :

الأول: الإحرام من الميقات، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم، ثم للوقوف بعرفة، ثم للوقف بمزدلفة، ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ولا غسل لرمى جمرة العقبة، ثم لطواف الوداع، ولم ير الشافعى رضي الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة.

« **الثانى** » : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة: اللهم هذا حرمك وأمنك فحَرِّم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار وأمِّنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك .

« **الثالث** » : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء - بفتح الكاف - عدل رسول الله ﷺ من جادة الطريق إليها (٨٠١) فالتأسى به أولى، وإذا خرج خرج من ثنية كدى - بضم الكاف - وهى الثنية السفلى والأولى هى العليا .

(٨٠٠) حديث : « كان رسول الله ﷺ إذا أعجبه شيء قال: لبيك إن العيش عيش الآخرة » **قال العراقى** : رواه الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال: لبيك اللهم لبيك، قال: إنما الخير خير الآخرة . اهـ.

قال مرتضى: رواه من حديث عكرمة عن ابن عباس ورواه كذلك ابن خزيمة والبيهقى ورواه سعيد بن منصور من حديث عكرمة مرسلا قال: نظر ﷺ إلى من حوله وهو واقف بعرفة فقال: فذكره ،وأما الشافعى فإنه رواه فى المسند عن سعيد بن سالم عن ابن جريج عن حميد الأعرج عن مجاهد قال : كان النبى ﷺ يظهر من التلبية : لبيك اللهم لبيك . . . الحديث ، قال: حتى إذا كان يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو فيه فزاد فيها: لبيك إن العيش عيش الآخرة .كذا فى تخريج الحافظ، وأخرج أبو ذر الهروى فى مناسكه من حديث أنس أن النبى ﷺ أحرم من ذى الحليفة فلما انبعثت به راحلته لبى وتحته قطيفة تساوى درهمين فلما رأى كثرة الناس رأيته تواضع فى رحله وقال: لاعيش إلا عيش الآخرة .

(٨٠١) حديث : « دخل ﷺ مكة من جانب الأبطح وهو ثنية كداء - بفتح الكاف والمد - عدل=

« **الرابع** » : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل: لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة، اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم .

« **الخامس** »: إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل: بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، فإذا قرب من البيت قال: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك، وليرفع يديه وليقل: اللهم إنى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى، الحمد لله الذى بلّغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين، اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك .

« **السادس** » : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول: اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة ،فإن لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

= رسول الله ﷺ من الطريق إليها فالتأسى به ﷺ أولى ، وإذا خرج خرج من كدى- بضم الكاف - وهى الثنية السفلى » مما يلى باب العمرة .

قال مرتضى: يشير إلى ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى، وفى رواية: من كداء من الثنية العليا التى بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ دخل عام الفتح من كدى وخرج من كداء من أعلى مكة، وفى رواية: دخل عام الفتح من كداء من أعلى مكة، زاد أبو داود: ودخل فى العمرة من كدى، قال هشام: وكان عروة يدخل على كليهما من كداء وكدى وأكثر ما يدخل من كدى وكان أقربهما من منزله، وقال مسلم: أكثر ما يدخل من كداء .

الجملة الرابعة فى الطواف:

فإذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة:

«الأول» : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة، فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه الأيمن ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها.

« الثانى »: إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فإنه أفضل، ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فإنه من البيت وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف .

« الثالث »: أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف: بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ ، ويطوف، فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول: اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار - وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام - اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم، وحرِّم لحمى ودمى على النار وأمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة، ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد، فإذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم اسقنى بكأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدًا، فإذا بلغ الركن الشامى قال : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز

عما تعلم إنك أنت الأعـز الأكرم، فإذا بلغ الركن اليمانى قـال: اللهم إنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فـتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة ، ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحـمتك، فتنـة القبر وعـذاب النار فإذا بلغ الحجـر الأسود قال : اللهم اغـفر لى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدَّين والفقـر وضيق الصدر وعذاب القبر، وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط .

« الـرابـع »: أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعـة الأخرى على الهيئـة المعتادة، ومعنى الرمل الإسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفـوق المشى المعتاد، والمقصود منه ومن الاضطبـاع إظهار الشطارة والجلادة والقـوة هكذا كان القـصد أولا قطعا لطـمع الكفار وبقـيت تلك السنة (٨٠٢) والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فإن لـم يمكنه للزحمة فالرمل مع

(٨٠٢) حديث : مشروعـية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقـيت تلك السنة، أما الرمل ففى الصحيـحين عن ابن عباس: قدم رسول الله ﷺ وأصـحابه مكة فقال المشـركون : إنه يقدم عليكم قوم قـد وهنتهم حـمى يثرب ولقوا منهـا شدة، فجلسـوا مما يلى الحجـر وأمرهم النبى ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا مـا بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقـال المشركون: هؤلاء الذين زعمـتم أن الحمى قد وهنـتـهم، هؤلاء أجلد منا، وفى رواية: كانوا إذا تغيـبوا من قريش مشوا ثم يطلعون عليهم يرملون تقول قريش: كأنهم الغزلان، وفى رواية لأحمد: فأطلع الله نبيه على ما قـالوا فأمرهم بذلك. وفى رواية للبخارى من حديث عـمر: ما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به للمشركين وقد أهلكهم الله، ثم قـال: شىء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب أن نتركه ، وأمـا الاضطباع ففى رواية لأبى داود من حديث ابن عبـاس أن النبى ﷺ وأصحابه اعتـمروا من الجعـرانة فرملوا بالبـيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثـم قذفوها على عـواتقهم اليـسرى وللطبـرانى من هذا الوجـه :واضطبعـوا، وروى أبو داود أيضا وابن مـاجه والحـاكم وصححه من حـديث عمر قال: فيم الرملان الآن وكشف المنـاكب وقد أعز الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومـع ذلك لا ندع شيئـا كنا نفعله على عـهد رسول الله ﷺ ، وقـد رواه البزار والبيـهقى كذلك من رواية أسلم مـولى عمر عن عـمر وروى مسلم من حـديث جابر أن النبى ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمـه ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا، ورواه أيضا من حديث ابن عمر أنه ﷺ رمل من الحجر ، وحديـث جابر بهذا اللفظ وأخرجه أحمد من الحجر ثلاثا ومـشى أربعا ،ورواه ابن ماجه من حديث أبى الطفيل، وإذا فـهمت هذا فاعلم أن فى الرمل صورا إحـداها حيث يسن الرمل فـإنما يسن فى الأشواط الثلاثة الأول، وأمـا الأربعة الأخيرة فالسنة فيها الهينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٤

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

البعد أفضل فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب إلى البيت فى المزدحم وليمش أربعا، وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبّل يده، وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان، وروى أنه ﷺ كان يستلم الركن اليمانى (٨٠٣) ويقبّله (٨٠٤) ويضع خده عليه (٨٠٥) ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى .

«الخامس»: إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل: اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما آتيتنى، اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك، ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصلِّ على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه: تنحوا عنى حتى أقرَّ لربى بذنوبى .

« السادس » : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف، قال الزهرى : مضت السنة أن يصلى

---

(٨٠٣) حديث : « استلامه ﷺ للركن اليمانى ويقبله ويضع خده عليه » أما استلامه فمتفق عليه من حديث ابن عمر بألفاظ منها: لم أر رسول الله ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين. ولمسلم من حديث ابن عباس: لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين .

(٨٠٤) حديث : « وأما تقبيله له » فمتفق عليه من حديث عمر كما تقدم، وللبخارى من حديث ابن عمر : رأيت رسول الله ﷺ يقبله ويستلمه. وله فى التاريخ من حديث ابن عباس: كان النبى ﷺ إذا استلم الركن اليمانى قبله .

(٨٠٥) وأما « وضع الخد عليه » فرواه الدارقطنى والحاكم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قبّل الركن ووضع خده عليه. قال الحاكم: صحيح الإسناد، قال العراقى: فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور .

وقال مرتضى : وأخرجه الأزرقى عن مجاهد: كان النبى ﷺ يستلم الركن اليمانى ويضع خده عليه .

لكل سبع ركعتين (٨٠٦)، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز (٨٠٧) فعل ذلك رسول الله ﷺ ، وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل: اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى واغفر لى فى الآخرة والأولى، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك، وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين، اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين، اللهم فكما هديتنى إلى الإسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن، ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف، قال ﷺ : « **من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة** » (٨٠٨) وهذه كيفية الطواف والواجب من

(٨٠٦) حديث : قال الزهرى : « مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين » **قال العراقى** : ذكره البخارى تعليقا: السنة أفضل لم يطف النبى ﷺ أسبوعيا إلا صلى ركعتين. وفى الصحيحين من حديث ابن عمر: ما قدم رسول الله ﷺ أسبوعا إلا صلى ركعتين. وفى الصحيحين من حديث ابن عمر: قدم ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين . اهـ.

قال مرتضى: لفظ البخارى عن الزهرى وقد قيل له إن عطاء يقول: تجزئ المكتوبة عن ركعتى الطواف، فقال: السنة أفضل . . . ثم ساقه .

(٨٠٧) حديث: « قرانه ﷺ بين أسابيع » **قال العراقى** : رواه ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة. ورواه العقيلى فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد: ثم صلى لكل أسبوع ركعتين، وفى إسنادهما عبد السلام بن أبى الجنوب منكر الحديث . اهـ..

قال مرتضى : وأخرج أبو عمرو بن السماك فى السابع من أجزائه المشهورة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: طاف النبى ﷺ ثلاثة أسابيع جميعا ثم أتى المقام فصلى خلفه ست ركعات يسلم من كل ركعتين يمينا وشمالا، قال أبو هريرة: إنما أراد أن يعلمنا. وأخرج أبو ذر الهروى فى منسكه عن محمد بن السائب بن بركة عن أمه أنها كانت تطوف مع عائشة ومعها عائلة بنت خالد بن سعيد بن العاص وأم عبد الوهاب بن عبد الله بن ربيعة فلما أكملت سبعها تعوذت بين الركنين ثم استلمت الحجر ثم أنشأت فى سبع أخر فلما فرغت منه تعوذت بين الركن والباب، ثم أنشأت فى سبع أخر فلما فرغت منه تعوذت بين الركن والباب، ثم أنشأت فى سبع أخر فلما فرغت منه انطلقت إلى صفة زمزم فصلت ركعتين ثم تكلمت فصلت ركعتين .

(٨٠٨) حديث : « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة » **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه وقال الآخر : إن من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة، وللبيهقى فى الشعب: من طاف سبعا وركع ركعتين كان كعتاق رقبة. اهـ.=

جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدئ بالحجر الأسود ويجعل البيت، على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحِجر وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات .

الجملة الخامسة فى السعى :

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ،فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل،« رقى رسول الله ﷺ حتى بدت له الكعبة » (٨٠٩). وابتداء

= **قال مرتضى** : وعند الترمذى فى هذا الحديث زيادة وهى قوله: وسمعته يقول: لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا حط الله بها عنه خطيئة وكتبت له حسنة. وأخرجه البخارى ومسلم بتغيير بعض اللفظ وتقديم وتأخير وأخرج ابن حبان هذه الزيادة وزاد: ورفع له بها درجة، وحديث ابن ماجه أخرجه أبو سعيد الجندى فى تاريخ مكة وقال: كعتق رقبة نفيسة من الرقاب، ولفظ النسائى: من طاف سبعا فهو كعتق رقبة، وأخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم بزيادة: وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدل محرر. وأخرج أبو سعيد الجندى عن جابر ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت. وأخرجه الواحدى مسندا فى تفسيره الوسيط وهو حديث غريب من حديث أبى معشر عن محمد بن المنكدر عن جابر وأخرج سعيد بن منصور عن مولى لأبى سعيد قال: رأيت أبا سعيد يطوف بالبيت وهو متكئ على غلام له يقال له طهمان وهو يقول : لأن أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرا وأصلى ركعتين أحب إلىّ من أن أعتق طهمان.

(٨٠٩) حديث: « رقى رسول الله ﷺ فيه حتى بدت له الكعبة » **قال العراقى**: رواه مسلم من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، وله من حديث أبى هريرة: أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج سعيد بن منصور عن نافع قال : كان عبد الله بن عمر يخرج إلى الصفا فيبدأ به فيرقى حتى يبدو له البيت فيستقبله ولا ينتهى فى كل ما حج واعتمر حتى يرى البيت من الصفا والمروة ثم يستقبله منهما، وقال أصحابنا: ويخرج إلى الصفا من أى باب شاء وإنما خرج النبى ﷺ من باب بنى مخزوم لأنه كان أقرب الأبواب إلى الصفا لا أنه سنة هذه عبارة الهداية، وأخرج الطبرانى عن ابن عمر أن النبى ﷺ خرج من المسجد إلى الصفا من باب بنى مخزوم، وإسناده ضعيف ولكن له شاهد عن عطاء مرسل عند ابن أبى شيبة وهو صحيح وأخرج أحمد والنسائى وابن حبان بلفظ: لما قدم رسول الله ﷺ مكة طاف بالبيت=

السعى من أصل الجبل كافٍ وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى ألا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى، وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول: الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها ،على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون،اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة، ويصلى على محمد ﷺ ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدئ السعى وهو يقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام، فإذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ثم يعود إلى الهينة، فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعى مرة واحدة، فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتين يفعل ذلك سبعا ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ويسكن فى موضع السكون كما سبق، وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان، والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف، وإذا سعى فينبغى ألا يعيد السعى بعد الوقوف ويكتفى بهذا

= سبعا ثم خرج إلى الصفا من الباب الذى يخرج إليه منه، قال ابن عمر: هو سنة. فقول صاحب الهداية لا أنه سنة مخالف لما روى ابن عمر لكنه موافق لكلام أهل المذهب ، ففى البدائع وغيره أن الخروج من باب الصفا ليس بسنة بل هو مستحب فيجوز الخروج من غيره بدون الإساءة والله أعلم .

ركنا فإنه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان .

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله :

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف، وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة، فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى مِنى يوم التروية والمبيت بها وبالغد ومنها إلى عرفة لإقامة فرض الوقوف بعد الزوال، إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغى أن يخرج إلى مِنى ملبيا، ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه، والمشى من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد، فإذا انتهى إلى مِنى قال: اللهم هذه منى فامنن علىَّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك، وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك، فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك، اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل، فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنَمرة قريبا من المسجد، فثمَّ ضرب رسول الله ﷺ قبته (٨١٠) ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن، ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى الموقف

(٨١٠) حديث : « ضرب رسول الله ﷺ قبته بنمرة » وعبارة الرافعى: فإذا انتهوا إلى نمرة ضربت قبة الإمام بهـا، روى أن النبى ﷺ مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وأمر بقبّة من شعر تضرب له بنمرة فنزل بها.

قال مرتضى : رواه مسلم من حديث جابر الطويل ولفظه فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة... الحديث، وعند أحمد وأبى داود من حديث ابن عمر قال: غدا رسول الله ﷺ حتى صلى الصبح فى صبيحة يوم عرفة حتى أتى عرفة فنزل بنمرة وهو منزل الإمام الذى ينزل به بعرفة ... الحديث .

فليقف بعـرفة ولا يقفن فى وادى عـرنة، وأما مسجـد إبراهيم عليه السلام فـصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقـف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتـميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فُرشت ثَمَّ ، والأفضل أن يقف عند الصـخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبـا ، وليكثر من أنواع التحميـد والتسبيح والتهليل والثـناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبـة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعـاء أخرى، وينبـغى ألا ينفصـل من طرف عرفـة إلا بعد الغروب ليـجمع فى عرفـة بين الليل والنهار، وإن أمكنه الوقـوف يوم الثامن سـاعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الفوات، ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعـليه أن يتحلل من إحرامه بأعمال العمـرة ثم يريق دما لأجل الفوات ثم يقضى العام الآتى، وليكن أهم اشـتغاله فى هذا اليوم الدعاء فـفى مثل تلك البقعـة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات، والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ (٨١١) وعن السلف فى يوم عرفة

---

(٨١١) حديث : « الدعاء المأثور فى يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . . الحديث » أى المروية (عن رسول الله ﷺ) عن (السلف) الصالح (فى يوم عـرفة) أعم من أن يكون غدوته أو عشيته (فليقل :لا إله إلا الله وحده لا شريك له) رواه مالك فى الموطأ عن زياد بن أبى زياد المخزومى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، كأمير وآخره زاى منقوطة ولا نظير له فى الأسماء، وهو خزاعى تابعى ثقـة: أن رسول الله ﷺ قال: أفضل الدعـاء دعاء يوم عرفة وأفـضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، هكذا أخرجه مالك واتفق عليه رواة الموطأ وأخرجه البيـهقى كذلك فى كتاب الدعوات الكبير، قـال: وروى بسند آخر ضعيف وقال ابن عبد البر فى التمهيد: لم نجده موصولا من هذا الوجه، قال الحافظ: وكأنه عنى وجود وصلة بذكر الصحابى الذى حدث به طلحة وإلا فـقد وجد موصولا من طريق مالك بسند آخر إلى أبى هريرة كمـا سيأتى ذكره، وقال التـرمذى: حدثنا أبو عمرو مـسلم بن عمرو حدثنا عبد الله بن نافع عن حماد بن أبى حمـيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : خيـر الدعاء دعاء يوم عرفة ،وخير مـا قلت أنا والنبيـون مـن قبـلى: لا إله إلا الله وحده لا شـريك له (له الملك وله الحمد) وهو على كل شىء قـدير. هذا حديث غريب أخرجه الترمذى هكذا وقال: غريب من هذا الوجـه وحماد بن أبى حميد هو محمد بن أبى حـمـيد وهو أبو إبـراهيم الأنصـارى المدنى وليس هو بالقـوى عند أهل الحـديث . اهـ. وأخرجـه أحمد عن روح بن عـبادة عن محـمد بن أبى حمـيد هكذا هو فى رواية روح ورواه المحاملى فى الادعاء عن الصغانى عن النضر بن شمـيل أخبرنا أبو إبراهيم عن عمرو بن شعيب قاسم الراوى محمد كـما فى رواية روح ولقبه حماد كما فى رواية التـرمذى وكنيته أبو إبراهيم كما عنـد المحاملى وقد أشار إلى ذلك التـرمذى وقال الطبرانى فى المناسك: حـدثنا الفضل بن=

أولى ما يدعو به فليقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لساني نورا ،اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري، وليقل: اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول، وخير مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي

= هارون البغدادي صاحب أبي ثور حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي حدثنا فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال: كان عامة دعاء النبي ﷺ والأنبياء قبله عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. هذا حديث غريب أخرجه إسماعيل بن محمد الطلحي في الترغيب والترهيب من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلي وقال: هذا إسناد حسن، قال الحافظ : فرج ضعيف، فكأنه حسنه بشواهده، وقوله: (يحيي ويميت) رواه المحاملي في الدعاء من وجه آخر منقطع من حديث علي وفي سنده راو ضعيف ولفظه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وقوله: (وهو حي لا يموت) هذه الزيادة لم أجدها في سياق هذه الأحاديث المذكورة هنا وقوله: (بيده الخير وهو على كل شيء قدير) هو في حديث علي الذي أشرنا إليه، قال المحاملي في الدعاء: حدثنا أبو هشام الرفاعي ويوسف بن موسى قالا : حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن علي رضي الله عنه فساقه، وموسى بن عبيدة هو الربذي ضعيف ، وقد سقط من السند بعده عن أخيه عبد الله بن عبيدة فقد أخرجه البيهقي في السنن من طريق عبيد الله بن موسى عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله ابن عبيدة،ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده وابن أبي شيبة في المصنف عن وكيع وثبت في روايتهما ذكر عبد الله بن عبيدة، قال الحافظ: وعبد الله لم يسمع من علي فهذا وجه الانقطاع، ورواه الدارقطني من وجه آخر منقطع أيضا : حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا عفان بن مسلم حدثنا قيس بن الربيع حدثنا الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي عشية عرفة . . . فساقه مثل رواية النضر عند المحاملي لكن فيه: بيده الخير، وأخرج بعضه ابن خزيمة في الصحيح من حديث علي وقيس بن الربيع ضعفوه واعتذر عنه ابن خزيمة كونه في محض الدعاء ، وأخرجه البيهقي من طريقه في فضائل الأوقات مطولا، وأما حديث أبي هريرة الذي تقدم الوعد بذكره فأخرجه ابن عدي قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن الهيثم وصالح بن أحمد بن يونس قالا : حدثنا علي ابن حرب حدثنا عبد الرحمن بن يحيى المدني حدثنا مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير قال ابن عدي: هذا بهذا السند منكر عن مالك لم يروه غير عبد الرحمن وهو غير معروف . اهـ. وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك عن يعقوب ابن إبراهيم العسكري عن علي بن حرب تفرد به عبد الرحمن .

وإليك ثوابى، اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ومن شر ما يلج فى النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر ،اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك، اللهم اهدنى بالهدى واغفر لى فى الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول ما لديه، أعطنى العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين والسماوات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى إليك ألا تنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا، اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذلّ لك جسده ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين ، إلهى من مدح لك نفسه فإنى لائم نفسى، إلهى أخرست المعاصى لسانى فما لى وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل، إلهى إنى أعلم أن ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين، إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى ورحمتك وسعت كل شىء وأنا شىء، إلهى إن ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم، إلهى أنت أنت وأنا أنا، أنا العوّاد إلى الذنوب وأنت العوّاد إلى المغفرة ، إلهى إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون، إلهى تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت إلى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علىّ وأكرم عفوك عنى، فبوجوب حجتك علىّ وانقطاع حجتى عنك وفقرى إليك وغناك عنى إلا غفرت لى يا خير من دعاه داعٍ وأفضل من رجاه راجٍ بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج وهب لى ما سألت وحقق رجائى فيما تمنيت، إلهى دعوتك بالدعاء الذى علّمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه، إلهى ما أنت صانع العشية بعبد مُقرّ لك بذنبه، خاشع لك بذلته، مستكين بجرمه، متضرع إليك من عمله ،تائب إليك من اقترافه، مستغفر لك من ظلمه، مبتهل إليك فى العفو عنه ، طالب إليك نجاح حوائجه ، راجٍ إليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كل

حى وولى كل مؤمن، من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك، اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وما عندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا، يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يُؤتى ولا حاجب يُرشى يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا، اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة، اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راجٍ ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفوا، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا، إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السماوات والأرضون بأدلتك، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساء عبادك حلمت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا سترت وإن أذنبوا عفوت وغفرت، وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا أقبلنا إليك قربت وإذا ولينا عنك دعوت، إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال : ٣٨) . فرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الإسلام، إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائك ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول: يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ولا تضجره مسألة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك، وليدع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه

وجميع المؤمنين والمؤمنات، وليلح فى الدعاء وليعظم المسألة فإن الله لا يتعاظمه شىء، قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة: اللهم لا ترد الجميع من أجلى، وقال بكر المزنى قال رجل: لما نزلت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم.

الجملة السابعة: فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف:

فإذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس فإن رسول الله ﷺ نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل (٨١٢) وقال: « **اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطأوا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما** »

---

(٨١٢) حديث: « نهى النبى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل » **قال العراقى**: رواه النسائى والحاكم وصححه من حديث أسامة بن زيد: عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس فى إيضاع الإبل. وقال الحاكم: ليس فى إيضاع الإبل، وقال الحاكم: ليس البر فى إيجاف الخيل والإبل، وللبخارى من حديث ابن عباس: فإن البر ليس بالإيضاع. اهـ.

قال مرتضى: وردت فى صفة سيره ﷺ أحاديث، منها عند البخارى ومسلم عن أسامة أنه سأل عن رسول الله ﷺ حين أفاض من عرفة قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص. وقد رواه بعض رواة الموطأ فرجة بالراء وهى بمعناها وفى هذا دلالة على أن السكينة المأمور بها فى الحديث بعده إنما هى من أجل الرفق بالناس فإن لم يكن زحام سار كيف شاء، وأما حديث ابن عباس فأخرجاه بلفظ: أن النبى ﷺ دفع فسمع من ورائه زجرا شديدا وضربا للإبل فأشار بسوطه إليهم، وقال: أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع. وعند أبى داود: فإن البر ليس بالإيجاف، وفيه دليل على استحباب الرفق فى الدفع بالإبل والإبقاء عليهم لئلا يجحفوا بأنفسهم. وقوله: عليكم بالسكينة، قيل: إنما قال ذلك فى ذلك الوقت الذى لم يجد فجوة، وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه قال: سرت مع عمر حين أفاض فما كان يزيد على العنق، قال: وسمعته يقول: لا تزيدوا على العنق وروى عنه أنه كان يوضع وينشد: إليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها. وأخرج عن ابن الزبير أنه كان يوضع أشد الإيضاع أخذ ذلك عن عمر، وهكذا أخرجه الهروى والزمخشرى عن عمر وأخرجه الطبرانى فى المعجم عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفات وهو يقول: إليك تعدو قلقا وضينها. وأخرج أبو داود عن على رضي الله عنه أن النبى ﷺ جعل يعنق على ناقة والناس يضربون الإبل يمينا وشمالا ولا يلتفت إليهم، ويقول: السكينة أيها الناس، وأخرجه الترمذى أتم منه وقال: حسن صحيح، قال بعضهم: رواية من روى يلتفت إليهم بإسقاط « لا » أصح فإنه كان ينظر إليهم وهم يضربون الإبل يشير إليهم يمينا وشمالا: السكينة السكينة.

فإذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرم فليدخل بغسل، وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم، ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية، فإذا بلغ المزدلفة قال: اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتلفة فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين، ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين، فإن ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر، وتكليف إيقاعها فى الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض، فإذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى، ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة ، ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه، ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها، ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الإسفار ويقول: اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ، ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع فى المشى، ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبى تارة ويكبِّر أخرى فينتهى إلى مِنى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى إلى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح، وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس، ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة: الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان، اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك، فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض

الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله ، وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وبك وإليك، تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم، والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاء ، والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة، والضأن أفضل من المعز، قال رسول الله ﷺ « **خير الأضحية الكبش الأقرن** »[(٨١٣)]. والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء، وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين، وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء، والجدع فى الأنف والأذن القطع منهما، والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم، والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق، والخرقاء من أسفل، والمقابلة المخروقة الأذن من قدام، والمدابرة من خلف، والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال. ثم ليحلق بعد ذلك، والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدئ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى ويقول: اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة، والمرأة تقصر الشعر، والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد، ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة، وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أى وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الإحرام فلا تحل له النساء إلى أن يطوف، فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحاج، وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم، فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد

(٨١٣) حديث : « خير الأضحية الكبش الأقرن » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت ، والترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة قال الترمذى: غريب، وعفير يضعف فى الحديث .

طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة: الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن، ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاثة مع الذبح، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف، والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ (٨١٤)، ففى الحج أربع خطب، خطبة يوم السابع، وخطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر، وخطبة يوم النفر الأول ، وكلها عقيب الزوال، وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة، ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون، فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ويرمى إليها سبع حصيات، فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبلا القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح، ووقف مستقبلا القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول، ويصبح فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ، ثم هو مخيَّر بين المقام بمنى وبين العودة إلى مكة فإن خرج من مِنى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى واحدًا وعشرين حجرا كما سبق، وفى ترك المبيت والرمى إراقة دم ليتصدق باللحم ،وله أن يزور البيت فى ليالى مِنى بشرط ألا يبيت إلا بمنى، كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك (٨١٥) ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام فى مسجد الخيف فإن فضله عظيم، فإذا

---

(٨١٤) حديث : « الخطبة المدح والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهى خطبة وداع رسول الله ﷺ » رواه البخارى من حديث أبى بكر: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر، وله من حديث ابن عباس: خطب الناس يوم النحر، وفى حديث علّقه البخارى ووصله ابن ماجه من حديث ابن عمر: وقف النبى ﷺ يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال : أى يوم هذا . . . وفيه: ثم ودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع .

(٨١٥) حديث : « زيارة البيت فى ليالى مِنى والمبيت بمنى » وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط=

أفاض من مِنى فالأولى أن يقيم بالمحصب من مِنى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة (٨١٦) رواه جماعة من الصحابة ﷺ ، فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

= ألا يبيت إلا بمنى، كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، رواه أبو داود فى المراسيل من حديث طاوس قال: أشهد أن رسول الله ﷺ كان يفيض كل ليلة من ليالى منى، قال أبو داود: وقد أسند، **قال العراقي :** وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى، وفيه عمر بن رياح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد، ولأبى داود من حديث عائشة أن النبى ﷺ مكث بمنى ليالى أيام التشريق .

(٨١٦) حديث : « نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة » إذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهى السنة، روى ذلك عن جماعة من الصحابة فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه، وعبارة الرافعى: واعلم أن الحاج إذا فرغ من رمى اليوم الثالث من أيام التشريق فيستحب له أن يأتى المحصب وينزل به ليلة الرابع عشر ويصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وروى أن النبى ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ثم ركب إلى البيت فطاف به ثم دخل مكة، ولو ترك النزول به يلزمه شيء، روى عن عائشة ﷺ أنها قالت : نزل رسول الله ﷺ المحصب وليس سنة من شاء نزله ومن لم يشأ لم ينزله وحد المحصب من الأبطح ما بين الجبلين إلى المقبرة يسمى به لاجتماع الحصى فيه لحمل السبيل فإنه موضع منهبط .اهـ. قال الحافظ: رواه البخارى عن أنس بلفظ: « أن النبى ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب » ورواه من حديث ابن عمر بلفظ : « صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ثم ركب إلى البيت فطاف به » وأما حديث عائشة فلم أره هكذا، ولمسلم عنها: نزول الأبطح ليس بسنة. ولهما عن عروة: أنها لم تكن تفعل ذلك يعنى نزول الأبطح، وتقول :إنما نزل رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح لخروجه . اهـ. أما حديث عروة عن عائشة فرواه مسلم والنسائى من هذا الوجه من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سالم أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وابن عمر كانوا ينزلون بالأبطح، قال الزهرى: وأما عروة عن عائشة فإنها لم تكن تفعل ذلك الحديث واقتصر النسائى على ذكر ابن عمر وأخرجه الأئمة الستة من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: نزول الأبطح ليس بسنة إنما نزله رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح لخروجه إذا خرج. هذا لفظ مسلم والباقى بمعناه، ولم يقل البخارى والترمذى: ليس بسنة ،ورواه النسائى وابن ماجه من رواية إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: أدلج رسول الله ﷺ من البطحاء ليلة النفر إدلاجًا، قال النووى: المحصب والحصبة والأبطح والبطحاء وخيف بنى كنانة اسم لشيء واحد . اهـ. وروى البخارى عن خالد بن الحارث قال: سئل عبيد الله عن التحصيب فحدثنا عن نافع قال: نزل بها رسول الله ﷺ وعمر وابن عمر، وعن نافع أن ابن عمر كان يصلى بها الظهر والعصر أحسبه قال والمغرب، قال خالد :لا أشك فى العشاء ويهجع هجعة ويذكر ذلك عن النبى ﷺ ، ثم إن النزول به مستحب عند الأئمة الأربعة وهو عند الحجازيين آكد منه عند الكوفيين قاله ابن=

الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع :

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الإحرام كما سبق فى الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية، وينو العمرة ويلب ويقصد مسجد عائشة ﵁ ويصل ركعتين ويدع بما شاء ،ثم ليعد إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا، فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته ، والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت، فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا، قيل لبعضهم: هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقال: والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا. وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل: اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم، وارزقنى الإخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة. قال ﷺ: « ماء زمزم لما شرب له » (٨١٧) . أى يشفى ما قصد به .

= عبد البر ، وقول المصنف: روى ذلك عن جماعة من الصحابة فالمراد بهم أبو بكر وعمر وابن عمر كما فى صحيح مسلم وعثمان كما عند الترمذى وابن ماجه، وقد روى إنكاره عن عائشة وابن عباس وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير، والله أعلم.

(٨١٧) حديث : « ماء زمزم لما شرب له » أى يشفى ما قصد به رواه أحمد وابن أبى شيبة وابن ماجه والبيهقى من حديث عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر رفعه بلفظ المصنف، قال البيهقى: تفرد به عبد الله وهو ضعيف، ثم زواه البيهقى بعد ذلك من حديث إبراهيم بن طهمان عن أبى الزبير لكن الثانية مردودة ففى رواية ابن ماجه التصريح، ورواه البيهقى فى شعب الإيمان والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبى الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال البيهقى: غريب تفرد به سويد، قال الحافظ: وهو ضعيف جدا وإن كان مسلم قد أخرج له فإنما أخرج له فى المتابعات وأيضا كان قد أخذه عنه قبل أن يعمى ويفسد حديثه، وكذا أمر أحمد بن حنبل ابنه بالأخذ عنه كان قبل عماه ولما أن عمى صار يلقن فيتلقن حتى قال يحيى بن معين: لو كان لي فرس ورمح لغزوت سويدا من شدة ما كان يذكر له عنه من المناكير، قال الحافظ: وقد خلط فى هذا الإسناد أخطأ فيه على ابن المبارك وإنما رواه ابن المبارك عن ابن المؤمل عن أبى الزبير، كذلك رويناه فى فوائد أبى بكر بن المقرى من طريق صحيحة فجعله سويد عن ابن أبى الموالى عن ابن المنكدر، واغتر الحافظ الدمياطى بظاهر هذا الإسناد فحكم بأنه على رسم الصحيح لأن ابن=

الجملة التاسعة فى طواف الوداع :

مهما عَنَّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت، ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع، فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع، ويقول: اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سَخَّرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك، هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم اصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك أبدا ما أبقيتنى واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير ،اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك

= أبى الموالى انفرد به البخارى وسويدا انفرد به مسلم وغفل عن أن مسلمًا إنما خرَّج لسويد ما توبع عليه لا ما انفرد به فضلا عما خولف فيه، وله طريق أخرى من حديث أبى الزبير عن جابر أخرجهما الطبرانى فى الأوسط فى ترجمة على بن سعيد الرازى وله طريق أخرى من غير حديث جابر رواه الدارقطنى والحاكم من طريق محمد بن حبيب الجارودى عن سفيان بن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهى خدمة جبريل وسقيا إسماعيل . وهكذا أخرجه سعيد بن منصور موقوفا وأخرجه أبو ذر الهروى فى منسكه مرفوعا وقال الحاكم فى المستدرك بعد إيراده : هو صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودى، **قال العراقى** : قال ابن القطان: سلم منه فإن الخطيب قال فيه: كان صدوقا، قال ابن القطان: لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزى . اهـ.

قال مرتضى: قال الذهبى فى ترجمة الجارودى: إن محمد بن هشام هذا معروف موثق يقال له ابن أبى الدميك، وبخط الحافظ ابن حجر: ومحمد بن هشام لا بأس به لكنه شذ والمحفوظ مرسل، كذا رواه الحميدى وغيره عن سفيان ، وقال فى تخريج الرافعى: والجارودى صدوق إلا أن روايته شاذة فقد رواه حفاظ أصحاب ابن عيينة الحميدى وابن أبى عمر وغيرهما عن ابن عيينة عن ابن نجيح عن مجاهد قوله ، ومما يقوى رواية ابن عيينة ما أخرجه الدينورى فى المجالسة من طريق الحميدى قال: كنا عند ابن عيينة فجاء رجل فقال: يا أبا محمد الحديث الذى حدثتنا عن ماء زمزم صحيح؟ قال: نعم قال : فإنى شربته الآن لتحدثنى مائة حديث فقال: اجلس، فحدثه مائة حديث. والله أعلم .

الحرام، وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة. والأحب ألا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها :

قال ﷺ : « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى »(٨١٨) .

وقال ﷺ : « من وجد سعة ولم يفد إلىَّ فقد جفانى »(٨١٩) .

وقال ﷺ : « من جاءنى زائراً لا يهمه إلا زيارتى كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا »(٨٢٠) .

---

(٨١٨) حديث : « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » **قال العراقى** : رواه ابن عدى والطبرانى والدارقطنى والبيهقى وضعفه من حديث ابن عمر . اهـ.

قال مرتضى: ورواه البزار وأبو يعلى وابن عدى والدارقطنى من طريق حفص بن أبى داود عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر، ومن هذا الوجه رواه البيهقى ووجه تضعيفه أن راويه حفصا ضعيف الحديث وإن كان أحمد قال فيه: صالح . وأما الطبرانى فرواه فى الأوسط من طريق الليث ابن بنت الليث بن أبى سليم عن عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبى سليم عن ليث بن أبى سليم وفى هذا الإسناد من لا يعرف . وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمرو مرفوعا: « من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى » . وكذلك لفظ الدارقطنى وأبى الشيخ والطبرانى وابن عدى والبيهقى . وزاد ابن الجوزى فى مثير العزم: وصحبنى، وعن حاطب بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ : «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين» . والبيهقى وأبو بكر الدينورى فى المجالسة يوم القيامة أخرجه الدارقطنى وابن نافع وابن الجوزى فى الموضوعات، وقال ابن حبان: فى سنده النعمان بن شبل وهو يأتى عن الثقات بالطامات، وقال الدارقطنى: الطعن فى هذا الحديث على ابن ابنه محمد بن مهر بن النعمان على النعمان .

(٨١٩، ٨٢٠) حديث : « من وجد سعة ولم يفد إلىَّ فقد جفانى » **قال العراقى** : رواه ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر بلفظ : « من حج ولم يزرنى فقد جفانى» وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى البخارى فى تاريخ المدينة من حديث أنس : « ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر ». اهـ.

قال مرتضى : وحديث ابن عمر رواه أيضا الديلمى وعبد الواحد التميمى الحافظ فى كتاب=

= جواهر الكلام فى الحكم والإحكام من كلام سيد الأنام . وقد رد الحافظ السيوطى على ابن الجوزى فى إيراده فى الموضوعات وقال: لم يصب. وحديث أنس أخرجه أبو محمد بن عساكر فى فضائل المدينة : « من جاءنى زائراً لا يهمه إلا زيارتى كان حقا علىّ أن أكون له شفيعا » .
قال العراقى: رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن. اهـ.

قال مرتضى : ورواه الدارقطنى والخلعى فى فوائده بلفظ: لم تنزعه حاجة إلا زيارتى. وتصحيح ابن السكن إياه وإيراده له فى أثناء الصحاح له وكذا صححه عبد الحق فى سكوته عنه والتقى السبكى فى رد مسألة الزيارة لابن تيمية باعتبار مجموع الطرق، وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح المعبرى قال: حدثنى رجل من آل عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زارنى لا يهمه إلا زيارتى كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين» . فهذه ثلاثة أحاديث أوردها المصنف . وفى الباب أحاديث أخر منها عن أنس ﷺ قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة أظلم منها كل شىء، ولما دخل المدينة أضاء منها كل شىء، فقال رسول الله ﷺ : « المدينة فيها قبرى وبها بيتى وتربتى وحق على كل مسلم زيارتها » . أخرجه أبو داود وعنه أيضا : « من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » أخرجه البيهقى وابن الجوزى فى مثير العزم وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور: حدثنا سعيد بن عثمان الجرجانى حدثنا ابن أبى فديك أخبرنى أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبى عن أنس فساقه، وسليمان ضعفه ابن حبان والدارقطنى وعن رجل من آل حاطب رفعه : من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة الحديث أخرجه البيهقى وهو مرسل والرجل المذكور مجهول، وزاد عبد الواحد التميمى فى جواهر الكلام: « من زارنى إلى المدينة . . .» ورواه عن أنس وعن أبى هريرة مرفوعا : «من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا بخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره » أخرجه ابن أبى شيبة وابن ماجه والحاكم والبيهقى وعن ابن عباس : « من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتب له حجتان مبرورتان » . أخرجه الديلمى وعن ابن عمر رفعه : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » أخرجه الحكيم الترمذى وابن عدى والدارقطنى والبيهقى من طريق موسى بن هلال العبدى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، وموسى قال أبو حاتم: مجهول أى العدالة، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من طريقه، وقال : إن صح الخبر فى القلب من إسناده شيئا ثم رجح أنه من رواية عبد الله بن عمر العمرى المكبر الضعيف لا المصغر الثقة وجزم الضياء فى الإحكام وقبله البيهقى بأن عبد الله بن عمر المذكور فى هذا الإسناد هو المكبر وإذا فهمت ذلك فاعلم أن زيارة قبر النبى ﷺ من أهم القربات ويندب أن ينوى الزائر مع التقرب بزيارته ﷺ التقرب بالمسافرة إلى مسجده الشريف بالصلاة فيه كيلا تفوته فضيلة الرحال، وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبى ﷺ وأحسن ما علل به وجه الكراهة ما روى من قوله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . فكره إضافة هذا=

فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ﷺ فى طريقه كثيرا، فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب. وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه، فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلى بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يغير المسجد، وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه، ثم يأتى قبر النبى ﷺ فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه، وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبِّله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبى الله، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا ماحى، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا حاشر، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا مطهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح البر، السلام عليك يا نبى الرحمة، السلام عليك يا هدى الأمة، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته، وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك

= اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بأولئك سدًا للذريعة وحسما للباب، فعلى هذا إذن قال زرنا النبى ﷺ .

من الجهالة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم. وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول: السلام عليك من فلان، السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ورأس عمر رضي الله عنه، عند منكب أبى بكر رضي الله عنه ، ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله ﷺ والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى عن دينه، ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول : اللهم إنك قد قلت وقولك الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ٦٤) . اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتُبْ اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين، ثم يأتى الروضة ويصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ : « **ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى** » (٨٢١) ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده

(٨٢١) حديث : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » وقوله ﷺ : « منبرى على حوضى » جعل المصنف كل واحد حديثا منفردا والذى فى الصحيحين كلاهما حديث واحد، ولذا **قال العراقى** : متفق عليهما من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد . اهـ. قال الحافظ ابن حجر: إنما اتفق عليهما بلفظ بيتى لا قبرى . اهـ.

قال مرتضى : وبيته قبره جاء هكذا كما عند المصنف فى بعض روايات هذا الحديث، وعند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه رفعه: «ما بين منبرى إلى حجرتى روضة من رياض الجنة وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة » . وعنده أيضا فى رواية من حديث عبد الله بن زيد مرفوعا: « ما بين هذه البيوت - يعنى بيوته - إلى منبرى روضة من رياض الجنة » . وعنده أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : «قواعد منبرى رواتب فى الجنة » .

=

على الرمانة السفلى التى كان رسـول الله ﷺ يضع يده عليها عند الخطبة (٨٢٢) ويستـحب له أن يأتى أُحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبى ﷺ ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ، ويزور قبـر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن على رضي الله عنهما وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ، ويصلى فى مسجد

= **(تنبيـه)** قوله: ما بين بيـتى ومنبرى روضة، يحتمل أن يكون ذلك الموضـع ينتقل بعينه إلى الجنة، ويحتمل أن يريد العـمل فيه بطاعة الله تعالى يكون سببـا لنيل ذلك، كذا ذكره الخطابى وابن عبـد البر وذكر الأخيـر عن بعض العلماء: لما كـان جلوسه وجلوس الناس إليه يتـعلمون القرآن والدين والإيمان هناك شبـه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتنى فيـه وأضافه إلى الجنة لأنها تئول إلى الجنة، وقـول: ومنبرى على حوضى، قيل يحتمل أن منبـره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو الأظهـر وعليه أكثـر الناس، وقيل إن هناك منبرا على حـوضه وقيل إن قصـد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة تورد الحوض وتوجب الشرب منه. والله أعلم.

(٨٢٢) حديث : « وضـعه ﷺ يده عند الخـطبة على رمـانة المنبر» وقـد غير منـبره الشريـف بعد المصنف بل وقيل أيضـا بعد إصابة الحـريق فى المسجد الشريـف سنة أربع وخمسين وستـمائة بمسجد ومنبر آخر كما ذكره المؤرخون، **وقال العراقى :** وضعه ﷺ يده عند الخطبة لم أقف له على أصل، وذكر محمد بن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما رسول الله ﷺ بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان . اهـ.

قال مـرتضى : بل وجدت له أصلا قال ابن سعد فى الطبقـات: أخبرنا عبد الله بن سلمة القعنبى وخالد بن مـخلد الجبلى قالا: حدثنا أبو عوانة عبـد العزيز مولى الهـذيل عن يزيد بن عبد الله بـن قسيط قال: رأيت أناسا مـن أصحاب رسول الله ﷺ إذا دخلوا المسـجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التى تلى القـبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعـون، قال أبو عبد الله: ذكر عبد اللـه بن سلمة الصلعاء ولم يذكرها خـالد بن مخلد ، وذكر حافظ الشـام بن ناصر الدين الدمشقى فى عـرف العنبر فى وصف المنبر ما نصه : وفى غالب طرق أحـاديث المنبر أن درجه ثلاث درج بالمقـتد وكان له رمـانتان والتى تلى الحـجرة الشـريفة منهـما هى التى كان يمـسكها النبى ﷺ بيمينه إذا استقبل الناس على المنبـر ويقال لها الصلعاء، وذكر ابن النجار فى تاريخ المدينة أن طول رمـانتى المنبر اللتين كـان النبى ﷺ يمسكهـما بيـديه الكريمتين إذا جلس شـبر وأصبـعان. اهـ. والمنبـر الذى كان فى زمن المصنف هو من عـمل بعض خلفاء بنى العـباس ثم احـترق فى سنة ٦٥٤ فـأرسل صاحب اليـمن الملك المظفـر يوسف بن رسول سنة ٦٥٦ منبـرا رمانتاه من الصندل فنصب إلى سنة ٦٦٦ فأرسل صاحب مـصر الظاهر بيبرس منبرا طوله أربعة أذرع ومن رأسه إلى قـبته سبـعة أذرع وهو ودرجاته سبـعة بالمقعد، ثم جـدده الملك الأشرف قايتباى ثم بعد ذلك جدده ملوك الروم. والله أعلم.

فاطمة ﵂ ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ فذلك كله في البقيع، ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة» (٨٢٣)

---

(٨٢٣) حديث: «من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة» **قال العراقي**: رواه النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح. اهـ.

قال مرتضى: وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن سهل بن حنيف مرفوعا بلفظ: «من توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة». وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى في مسجد قباء ركعتين كانت له عمرة». وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والطبراني أيضا بلفظ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل عمرة». وأخرج الخطيب عن أبي أمامة ﵁ مرفوعا بلفظ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامدا إلى مسجد قباء لا ينزعه إلا الصلاة فيه فصلى فيه ركعتين كانتا عدل عمرة». وأخرج أبو نعيم في المعرفة بلفظ: «ثم خرج إلى مسجد قباء لا يخرجه إلا الصلاة فيه انقلب بأجر عمرة» رواه عن سليمان بن محمد الكرماني عن أبيه وقال: صوابه عن محمد بن سليمان الكرماني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أسيد بن ظهير والطبراني في الكبير عن سهل بن حنيف مرفوعا بلفظ: «من أتى مسجد قباء فصلى فيه كان كعمرة» وهو عند أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث أسيد بن ظهير بلفظ: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» قال الترمذي: لا نعلم لأسيد بن ظهير شيئا يصح غير هذا الحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء كل سبت كان يأتيه راكبا وماشيا. وأخرجه أبو داود بزيادة: ويصلى ركعتين، وعن نافع قال: لم يكن ابن عمر يأتي ماشيا من المساجد التي بالمدينة غير مسجد قباء. أخرجه أبو محمد بن عساكر في فضائل المدينة، وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن أبي غزية قال: كان عمر بن الخطاب يأتي قباء يوم الإثنين والخميس فجاء يوما فلم يجد أحدا من أهله، فقال: والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر في أصحابه ينقلون حجارته على بطونهم يدسسه رسول الله ﷺ بيده وجبريل يؤم به البيت، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل. وأخرج أيضا عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال: والله لأن أصلى في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن عاصم قال: أخبرنا أنه من صلى في المساجد الأربعة غفر له قال له أبو أيوب: يا ابن أخي أدلك على ما هو أيسر من ذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». والمراد بالمساجد الأربعة المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الأقصى ومسجد قباء، وفيما ذكر دليل على فضل هذا المسجد واستحباب زيارته في يوم السبت، وقد كره ابن مسلمة من أصحاب مالك ذلك مخافة أن يتخذ سنة في ذلك اليوم ولعله لم يبلغه الحديث=

«ويأتي بئـر أريس» التي يقال إن النبي ﷺ تفل فـيها [(٨٢٤)] وهي عند المسجد فيـتوضأ منها ويشرب من مائهـا ويأتي مسجد الفـتح وهو على الخندق، وكذا يأتي سائر المسـاجد والمشاهد، ويقال إن جميع المشاهد والمسـاجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقـصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به ﷺ [(٨٢٥)] وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم،

= وفيـه دليل على جواز تخصيص بعض الأيام بـبعض القربات أو بزيارة الإخوان أو تَفَـقُّد بعض أمورهم ويجعله يوم راحة من أشغال العامة وإحجام نفـسه سبتا كان أو غيره ما لم يتمالأ الناس كلهم على يوم واحد يظنه الجهال سنة وهذا الذي كرهه ابن مسلمة .

(٨٢٤) حديث : « أن النبي ﷺ تفل في بئر أريس » **قال العراقي** : لم أقف له على أصل .

(٨٢٥) حديث: « الآبار التي كـان النبي ﷺ يتوضـأ منها ويغتـسل ويشرب منهـا وهي سبع آبار» وتلك الآبار السـبع هي بئر أريس وبئـر حاء وبئر رومـة وبئر عـرس وبئر بضاعـة وبئر البـصة واختلف في السابعة فقيل هي بئر السقيـا أو العهن أو بئر جمل، فحديث بئر أريس رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري في حديث فيه متى دخل بئر أريس قال: فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ. . . الحديث، وحديث بئرحاء متفق عليه من حديث أنس قـال: كان أبو طلحـة أكثر أنصـاري بالمدينة نخلا وكان أحـب أمواله إليه بيـرحاء وكانت مـستـقبلة المسجـد وكان رسول اللـه ﷺ يدخلها ويشرب من مـاء فيـها طيب . . . الحديث، وقد تقـدم ذكره في كتاب الزكاة مفـصلا مشروحا، وحديث بئـر رومة رواه الترمذي والنسـائي من حديث عثـمان أنه قـال : « أنشدكم بالله والإسـلام هل تعلمون أن رسـول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئـر رومة فقال: من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين . . . » الحـديث، قال التـرمذي: حـسن صحـيح، وفي رواية لهمـا : « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتـها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل . . . » الحديث، قال: حسن صحيح، وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي: كان لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القـربة بمد . . . الحديث قال نصـر: بئر رومة بوادي العـقيق وماؤها أعذب، وبئـر غرس بالفتح جزم به ابن الأثيـر وغيره وصوبه السيد السمـهودي في تواريخه وحكى عن خط المراغي بالضم وكذلك ضبطه الحـافظ الذهبي الجاري على الألسنة وقد تعقبه الحـافظ ابن حجر وصوب الفتح ، ومما يروى في فـضل هذه البئر ما رواه ابن عبـاس مرفوعا : « غـرس من عيون الجنة» ويروى عن ابن عمر قـال : قال رسول الله ﷺ وهو جالس على شفيـر بئر غرس: « رأيت الليلة أني جالس على عين من عيـون الجنة » يعني هذه البئر وعن عمـير بن الحـاكم مرسلا قال رسول الله ﷺ : « نعم البئـر بئر غرس » هيَ من عيون الجنة، وروى ابن حبـان في الثقات من حديث أنس أنه قال : « ائتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها=

= ويتوضـأ » ولابن ماجه بإسناد جيد من حديث على مرفوعا : « إذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من مـاء غرس » ، وفى تاريخ المدينة لابن النجار بسند ضعيف مرسل أن النبى ﷺ توضأ منها وبزق فيها وغُسِّل منها حين توفى . وأما بئر بضاعة فبالضم وتكسر حكاهما الجمهور والصاغانى وقال غيرهما: المحفوظ بالضم نسبة إلى امرأة اسمها كذلك، والكسر نقله ابن فارس أيضا وحكى ابن الأثير عن بعضهم بالصاد المهملة أيضـا وهى التى كان يطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن، وحـديثهما رواه أصحـاب السنن من حديث أبى سعيـد الخدرى أنه قيل لرسول الله ﷺ : أيتوضـأ من بئر بضاعة . . . الحديث، قال يحيى بـن معين: إسناده جيد، وقال الترمذى : حسن ،وللطبرانى من حـديث أسيد: بصق النبى ﷺ فى بئر بضاعة، ورواه ابن النجار فى تاريخـه من حديث سهل بن سـعد، وقد تقـدم ذكر هذه البئر فى أوائل كـتاب أسرار الطهارة ونـقل الإمام أبو جعفر الطحـاوى فى شرح مشكل الآثار عن أبى جـعفر بن أبى عمران عن أبى عبد الله محمد بن شجـاع الثلجى عن الواقدى إن بئر بضاعة كانت طريقا للماء فى البساتين، وقـد رد عليه البيهقى فى السنن بأن الواقـدى لا يحتج به فيما يسنده فكيف فـيما يرسله وأن الثلجى متكلم فيه، وأجاب عنه العينى بأن هذا تحامل من البيهقى على الطحاوى مع ما نقل عن أبى مصعب الزبيرى فى الواقدى أنه ثقة مـأمون، والحال أنه مخبر عن مشاهدة لأنه من أهل المدينة وهو أخـبر بحـالها وحـال أماكنهـا من غيـره ولولا أنه هو والثلجى ثقتـان عند الطحاوى ما روى عنهما فى معرض الاستدلال وتضعيف غيره إياهما لا يلزمه على ما عرف فى موضـعه، والله أعلم. وحديث بئـر البصة رواه ابن عدى من حـديـث أبى سعيـد الخدرى أن رسول الله ﷺ جاءه يـوما فقال : هل عندكم من سـدر أغسل به رأسى فإن اليوم الجـمعة؟ قال: نعم، فأخرج له سدرا وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعـره وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف. وحـديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة أن النبى ﷺ كان يستعـذب له من بيوت السقيا، زاد البزار فى مسنده: أو من بئر السقـيا، ولأحمد من حـديث على: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسـقيا التى كانت لسعـد بن أبى وقاص قال رسول الله ﷺ : ائتونى بوضوء، فلمـا توضأ قام . . . الحديث، وقـد ذكرت فى شرحى على القـاموس أن السقـيا موضع بين المدينة ووادى الصـفراء وقـيل على يومين من المدينة، وقـيل ما فى رأس رملة من إبط الـدهناء، وفى كتـاب المقصـور والممدود لأبى على القالى: مـوضع فى بلاد عذرة يقال له سقيا الجـزل قريب من وادى القرى. وأما بئر العـهن فذكر ابن النجار فى تاريخ المدينة أنهـا بالعالية يزرع عليهـا وعندها سدرة وأقره المطرى وقـال إنها مليـحة جـدا منقـورة فى الجبل ولا تكاد تـنزف أبدا . وأما بئـر جمل فـفى الصحيحـين من حديث أبى الجهم: أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئـر جمل . . . الحديث. وصله البخارى وعلقه مسلم والمشهور أن الآبار بالمدينة سبع وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى ﷺ قال فى مرضـه :«صبوا على من سبع قـرب من آبار شتى . . .» الحديث وهو عند البخارى دون قوله: من آبار شتى .

قال ﷺ : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » (٨٢٦) وقال ﷺ : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » (٨٢٧) ثم إذا فرغ من اشتغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف يعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله ﷺ ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة فى سفره ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أن زيدت المقصورة فى المساجد، فإذا خرج فليخرج برجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحُطَّ أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين . وليتصدق على جيران رسول الله ﷺ بما قدر عليه وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا .

فصل فى سنن الرجوع من السفر

كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض (٨٢٨) ثلاث تكبيرات ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد

---

(٨٢٦) حديث : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » تقدم الكلام عليه قريبا، وفى هذا الحديث والذى بعده الحث على الصبر على سكناها وكراهية الخروج منها.

(٨٢٧) حديث : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » تقدم الكلام عليه كذلك وأنه من رواية جابر وأبى هريرة وأبى سعيد وسعد بن أبى وقاص وأسماء بنت عميس، ورواه بهذا السياق، وأن أو ليست هنا للشك إذ يبعد اتفاق الكل واتفاق رواتهم على الشك ووقوعه بصيغة واحدة وقد أشرت إليه هناك .

(٨٢٨) حديث : « كان النبى ﷺ إذ قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض » الحديث، **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله (وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) رواه المحاملى فى الدعاء بإسناد جيد .

وقال مرتضى : أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من طريق مالك ،وأخرج مسلم والترمذى من طريق أيوب السختيانى، ومسلم والنسائى من طريق عبيد الله بن عمر ،ومسلم وحده من طريق الضحاك بن عثمان كلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا=

وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، وفي بعض الروايات: كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه، وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول: اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقا حسنا (٨٢٩) ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلا، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ (٨٣٠) فإذا دخل بيته قال: توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا، فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما تلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

★ ★ ★

= قفل من غزو أو حج أو عمرة ... فساقوه مثل سياق المصنف إلا أنه عندهم ثم يقول بدل ويقول: ولفظ عبيد الله: كان إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج إذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا والباقي مثله، وفي حديث أيوب عند مسلم التكبير مرتين، وفي رواية الترمذي بدل ساجدون سائحون، وعنده أيضا فعلا فدفدا من الأرض أو شرفا، وقال: حسن صحيح .

(٨٢٩) حديث : « إرسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة » **وقال العراقي** : لم أجد فيه ذكر الإرسال، وفي الصحيحين من حديث جابر : « كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل، فقال: امهلوا حتى ندخل ليلا أي مساء كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ». بل الأولى أن يبات خارجًا في البلد إن أمكن أو في بيوت بعض الأصحاب حتى يصبح فيأتيهم بعد الإخبار «فإذا دخل البلد فيقصد المسجد أولا» المراد به مسجد الحي .

(٨٣٠) حديث : « ليصل فيه ركعتين فهي السنة كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ » تقدم ذلك في كتاب أسرار الصلاة .

الباب الثالث

فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

(الأول) : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره، وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت : إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقراؤهم للسمعة (٨٣١).

(٨٣١) حديث : « إذا كان آخر الزمان خرج الناس فى الحج أربعة أصناف : سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة » هكذا هو فى القوت ، **وقال العراقى :** رواه الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين، ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال : « تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة ». اهـ.

قال مرتضى : وهكذا أخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم بلفظ : « يأتى على الناس زمان » فساقه، والديلمى في مسند الفردوس، وأما الذى فى المائتين للصابونى قال: أخبرنا أبو سور الرستمى أنبأنا أبو نصر المطرى حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى الخالدى حدثنا أبو الليث نصر بن خلف بن سيار حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الهيثم الضرير المعلم حدثنا أبو زكريا يحيى بن نصر حدثنا على بن إبراهيم عن ميسرة بن عبد الله الشترى عن موسى بن جابان عن أنس قال: لما حج النبى ﷺ حجة الوداع أخذ بحلقة باب الكعبة ثم قال : « يأيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا فإنى مخبركم باقتراب الساعة : ألا من اقتراب الساعة إقامة الصلاة. . . » فساق الحديث بطوله ، وأورده أيضا من طريق سليمان بن أرقم عن الحسن عن أنس، ومن طريق جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى عن أنس ودخل محدث بعضهم فى بعض اختلفت ألفاظهم والمعنى واحد، ومتن الحديث بطوله لإبراهيم بن الهيثم الضرير وفى كل مرة يقول سليمان: وإن هذا لكائن فى أمتك يا نبى الله؟ ويقول ﷺ : إى والذى نفسى بيده عندها يكون كذا وكذا، وقد رأيت الحافظ العراقى اختصر المائتين فى نحو عشر ورقات فذكر هذا الحديث فيما رأيته بخطه، وقال أبو عثمان الصابونى بعد أن أورد هذا الحديث: هذا حديث غريب لم أكتبه إلا من هذا الطريق عن هذا الشيخ، والله أعلم .

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين، فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه، وفى مثله ينزل قول رسول الله ﷺ: « **يُدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة: الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه** » (٨٣٢) ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى ألا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فإن الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين. ولا يعطى الدين بالدنيا. وفى الخبر: « **مَثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها** » (٨٣٣). فمن كان مثاله فى أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس بحج لأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم .

(الثانى) : ألاَّ يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق، فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف فى حيلة الخلاص فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قالوه إن ترك التنقل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هذه بدعة أحدثت وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل: إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر، فإنه لو قعد فى البيت أو رجع

---

(٨٣٢) حديث : « يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة: الموصى بها والمنفذ لها ومن حج عن أخيه » **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث جابر بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ القوت: وفى الخبر : « يؤجر فى الحجة الواحدة ثلاثة ويدخل الجنة الموصى بها والمنفذ للوصية والحاج الذى يقيمها لأنه ينوى خلاص أخيه المسلم والقيام بفرضه ».

(٨٣٣) حديث : « مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ». **قال العراقى** : رواه ابن عدى من حديث معاذ وقال: مستقيم الإسناد منكر المتن .

من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار .

(الثالث) : التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد، وأعنى بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين، فأما كثرة البذل فلا سرف فيه إذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم، قال ابن عمر ﷺ: من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ،وكان يقول: أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا. وقال ﷺ: « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فقيل له: يا رسول الله، ما بر الحج؟ فقال: طيب الكلام وإطعام الطعام » (٨٣٤) .

(الرابع) : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن، والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعى إلى المحظور محظور، والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل، والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق، وقد قال سفيان: من رفث فسد حجه، وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج، والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف

---

(٨٣٤) حديث : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه من حديث أبى هريرة، وأوله: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما . والمبرور هو الذى لا يخالطه إثم، وقيل المتقبل وقيل الذى لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وقوله ليس له جزاء إلخ أى لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب بل لابد أن يبلغ به الجنة، وقد رويت زيادة فى هذا الحديث وهى : قيل يا رسول الله وما بر الحج؟ قال: طيب الكلام وإطعام الطعام. وهو بهذه الزيادة رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله بسند لين ورواه الحاكم مختصرا وقال: صحيح الإسناد، **قاله العراقى.**

وقال مرتضى: هكذا هو عند المخلص الذهبى بلفظ: إطعام الطعام وطيب الكلام. ولفظ أحمد: إطعام الطعام وإفشاء السلام .

الأذى بل احتمال الأذى، وقيل: سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، فقال: ما أراك تعرفه .

(الخامس) : أن يحج ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل، أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال: يا بَنِى، حجوا مشاة فإن للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة بمائة ألف. والاستحباب فى المشى فى المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى مِنى آكد منه فى الطريق، وإن أضاف إلى المشى الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم فى معنى قوله عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: ١٩٦) .وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه، وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغى أن يُفَصَّل ويقال: من سهل عليه المشى فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل ،كما أن الصوم للمسافر أفضل و للمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق، وسئل بعض العلماء عن العمرة أى يمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم، فقال: إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى، وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه، ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة، فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه .

(السادس): ألا يركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة ألا يستمسك عليها لعذر، وفيه معنيان :

أحدهما : التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه.

والثانى: اجتناب زى المترفين المتكبرين،حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلِقة قيمتها أربعة دراهم (٨٣٥)،وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه

---

(٨٣٥) حديث : « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة=

وشمـائله(٨٣٦).وقـال ﷺ : « خـذوا عنى مناسككم »(٨٣٧). وقيل إن هذه المحامـل أحدثها الحجَّاج وكان العلماء فى وقـته ينكرونهـا، فروى سفـيان الثورى عن أبيـه أنه قال: برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت فى جميعهم إلا محملـين، وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقـول: الحاج قليل والركوب كـثير، ثم نظر إلى رجل مـسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال: هذا نعم من الحجاج .

(السابع) : أن يكون رث الهيئة، أشعث أغبر ،غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفـاخر والتكاثر فيـكتب فى ديوان المتكبرين المترفـهين ويخرج عن حـزب الضعفـاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد أمـر ﷺ بالشعث والاحتفاء (٨٣٨).ونهى عن التنعم والرفـاهية فى حديث فضالـة بن عبيد (٨٣٩) .

= دراهم » والقطيفة كساء له خمل أى هدب، **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .اهـ.

قال مـرتضى : ورواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضـا وعند أبى ذر الهروى بلفظ: حج النبى ﷺ على رحل رث عليه قطيفة لا تساوى أربعـة دراهم، وقال: « اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة » ، وقد تقدم ذلك قريبا .

(٨٣٦) حديث : « وطاف ﷺ على الراحلة فـى حجة الوداع » متـفق عليه من حديث ابن عـباس وحديث جابر الطويل وتقدم قريبا، وفى الباب عن عائشة وأبى الطفيل عند مسلم، وعن صفية بنت شيبة عند أبى داود عن عبد الله بن حنظلة فى علم الحلال وإنما فعل ذلك لبيان الجواز .

(٨٣٧) حديث : « خذوا عنى مناسككم » رواه مسلم والنسائى واللفظ له من حديث جابر .

(٨٣٨) حديث : « أمر ﷺ بالشعث والاحتفاء » أما الشعث محركة فهو انتشار الشعر لقلة التعاهد به، والاحتفاء المشى حافيا. **قال العراقى** : رواه البغوى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى حدرد مرفوعا: (تمعـددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة). وفـيه اختلاف أى فى الالفاظ: رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف .

(٨٣٩) حديث : « ونهى عن التنعم والرفـاهية فى حديث فضـالة بن عبيد رضي الله عنه » كـذا فى القوت، وهو صحابى شهد أحدا والحديبية وولى قضاء دمشق سنة ثلاث وخمسين . **قال العراقى:** رواه أبو داود بلفظ أن النبى ﷺ كان ينهى عن كثير من الإرفـاه، ولأحمد من حديث معاذ: إياك والتنعيم الحديث. =

وفى الحديث : « إنما الحاج الشعث التفث » [(٨٤٠)]. ويقول الله تعالى :

« انظروا إلى زوار بيتى قد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق » [(٨٤١)].وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ (الحج: ٢٩) . والتفث الشعث والاغبراء وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: اخلولقوا واخشوشنوا، أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الأشياء، وقد قيل: زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف، فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم، فقد روى أنه ﷺ كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب، فقال ﷺ : « **أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم، قالوا: فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل** » [(٨٤٢)] .

= **وقال مرتضى** : وقال أحمد فى المسند: حدثنا يزيد أنبأنا عاصم عن أبى عثمان أن عمر رضي الله عنه قال: ائتزروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف والسراويلات والقوا الركب وعليكم بالهدية وارموا الأغراض وذروا التنعم وزى العجم وإياكم والحرير .

(٨٤٠) حديث : « إنما الحاج الشعث التفل » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر، وقال الترمذى : غريب، وفى نسخة التفث بدل التفل .

(٨٤١) حديث: ويقول الله عز وجل لملائكته : « انظروا إلى زوار بيتى فقد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق » رواه الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله: من كل فج عميق، وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو **قاله العراقى**.

قال مرتضى: رواه ابن حبان فى الصحيح وكذا أحمد من حديث أبى هريرة بلفظ: انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غبرا. وأخرجه ابن حبان أيضا من حديث جابر وفيه: من كل فج عميق، ومثله لأبى ذر الهروى فى منسكه من حديث أنس بلفظ: انظروا إلى عبادى شعثا غبرا يضربون إلىّ من كل فج عميق فاشهدوا أنى قد غفرت لهم . . . الحديث .

(٨٤٢) حديث : « كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال: أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم، قالوا: فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل » **قال العراقى**: رواه أبو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم .

(الثامن) : أن يرفق بالدابة فلا يُحَمّلها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها ،كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود، وكانوا لا يقفون عليها الوقف الطويل، قال ﷺ : « **لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى** »(٨٤٣) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة (٨٤٤)وفيه آثار عن السلف، وكان بعض السلف يكترى بشرط ألا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى، وكل من آذى بهيمة وحمّلها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة، قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت: يا أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أكن أحمّلك فوق طاقتك. وعلى الجملة فى كل كبد حراء أجر، فليراع حق الدابة وحق المكارى، جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك :احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله ، فقال: حتى أستأمر الجمّال فإنى قد اكتريت. فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فإنه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا .

(التاسع) : أن يتقرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه، ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا ،قيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ (الحج: ٣٢) . إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدى والأضحية والرقبة، فإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله وروى ابن عمر أن عمر ﵁ أهدى بُخْتِية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها

---

(٨٤٣) حديث : « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى » رواه أحمد من حديث سهل بن معاذ عن أبيه بسند ضعيف، ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه **قاله العراقى**.

وقال مرتضى: ورواه كذلك ابن حبان .

(٨٤٤) حديث : «ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية ويروحهما بذلك فهو سنة» **قال العراقى:** روى الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى ﷺ كان إذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الأدب وقال: مشى قليلا وناقته تقاد .

ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك، وقال: بل أهدها [٨٤٥] وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قل. وسئل رسول الله ﷺ: ما بر الحج ؟ فقال: « **العج والثج** » [٨٤٦] والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن، وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما عمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا**» [٨٤٧] وفى

---

(٨٤٥) حديث : « ابن عمر أن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة » فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل النبى ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك، وقال: بل اهدها. **قال العراقى:** رواه أبو داود وقال: انحرها . اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ أبى داود عن ابن عمر أن عمر أهدى بختية فأعطى ثلاثمائة دينار فقال: يا رسول الله إنى هديت بختية فأعطيت بها ثلاثمائة دينار أفأبيعها وأشترى بثمنها بدنا؟ قال: لا انحرها إياها .

(٨٤٦) حديث : « سئل رسول الله ﷺ : ما بر الحج؟ فقال: العج والثج » قال صاحب القوت: رواه ابن المنكدر عن جابر قال : والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن. **وقال العراقى :** رواه الترمذى واستغربه وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر، وقال الباقون: إن الحج أفضل . اهـ. وقال الحافظ فى تخريج الرافعى: أفضل الحج العج والثج. رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم والبيهقى من حديث أبى بكر رضي الله عنه واستغربه الترمذى وحكى الدارقطنى الاختلاف فيه وقال: الأشبه بالصواب رواية من رواه عن الضحاك عن عثمان عن ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبى بكر فقد أخطأ وقد قال الدارقطنى: قال أهل النسب : من قال سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع فقد وهم وإنما هو عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، وفى الباب عن جابر أشار إليه الترمذى ووصله أبو القاسم فى الترغيب والترهيب وإسناده فى مسند أبى حنيفة من روايته عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عنه، وهو عند ابن أبى شيبة عن أسامة عن أبى حنيفة، ومن طريق أبى أسامة أخرجه أبو يعلى فى مسنده .

(٨٤٧) حديث : « عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ما عمل ابن آدم يوم النحر أفضل من إهراق دم ». **قال العراقى :** رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه ابن حبان، وقال البخارى إنه مرسل ووصله ابن خزيمة . اهـ. =

الخبـر : « لكم بكل صوفة من جلدهـا حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنهـا لتوضع فى الميزان فأبشروا » [(٨٤٨)] وقال ﷺ : « استنجدوا هداياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة » .

(العـاشر): أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى وبما أصـابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك فإن ذلك من دلائل قبول حجه، فإن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبـيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم، وهو بمثابـة الشدائد فى طريق الجهاد فله بكل أذى احتـمله وخسران أصابـه ثواب فلا يضيع منه شىء عند الله عـز وجل، ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة .

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم. أعنى فـهم موقع الحج فى الدين ، ثم الشوق إليـه ، ثم العزم عليه، ثم قطع العـلائق المانعة منه، ثم شراء ثوب الإحرام ثم شراء الزاد ثـم اكتراء الراحلة، ثم الخروج ثم المسير فى البادية، ثم الإحرام من الميقات بالتلبـية، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق، وفى كل واحد من هذه الأمـور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبـر وتنبيه للمريد الصادق

= **وقال مرتضى** : إلا أن عند الترمذى بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإهراق الدم إراقته، والهاء فى هراق بدل من الهمزة فى أراق، والحديث عام فى الهدى والأضحية .

(٨٤٨) حديث : « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة، وبكل قطرة من دمها حسنة، وإنها لتوضع فى الميزان فأبشروا » كذا فى القوت، **وقال العراقى** : رواه ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد بن أرقم، ورواه أحمد فى حديث فيه : بكل شـعرة حسنة، قالوا: فالصوف؟ قال: بكل شعرة من الصـوف حسنة، وفى رواية البيهقى: بكل قطرة حـسنـة، وقال البخـارى: لا يصح، وروى أبو الشيـخ فى كتاب الضـحايا من حديث على: أمـا إنها يجـاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك، يقوله لفاطمة رضي الله عنها . اهـ.

وقـال مـرتضى : وفى المستـدرك للحاكم وصحـحه من حديث عمـران بن حصين رضي الله عنه: اشهدى أضحيتك فإنه يغفر لك عند كل قطرة تقطر من دمها، وقولى إن صلاتى . . . الحديث.

وتعريف وإشارة للفطن، فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

(أما الفهم):فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى، إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات؛ ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق، وانحازوا إلى قُلَلِ الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة؛ طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ «المائدة : ٨٢» . فلما اندرس ذلك ، وأقبل الخلق على اتباع الشهوات، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه ؛ بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة ،وتجديد سنة المرسلين في سلوكها ، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ : « **أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف** » (٨٤٩) . يعني الحج وسئل ﷺ عن السائحين فقال: « **هم الصائمون** » (٨٥٠) .

فأنعم الله عزّ وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم . فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه بمقصد العبادة، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة

---

(٨٤٩) حديث : « سأله أهل الملل عن السياحة والرهبانية في دينه فقال ﷺ : أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف » يعني الحج، رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة، فقال: إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله . رواه الطبراني بلفظ : « إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو ». وللبيهقي في الشعب من حديث أنس: رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله. وكلاهما ضعيف، وللترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني، فقال: عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف. وهذا قد تقدم قريبا .

(٨٥٠) حديث : « سئل ﷺ عن السائحين فقال هم الصائمون » رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال: المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا، هكذا قاله العراقي، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر على هامش نسخة المغني ما نصه: لعله موقوف.

الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل، والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عزّ وجل بأفعال هى هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عزّ وجل، فأما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون فى الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينًا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قال ﷺ فى الحج على الخصوص: « **لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا** »(٨٥١).ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها، وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق، وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات، وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى.

(وأما الشوق) : فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وإنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عزّ وجل وزائر له، وإن من قصد البيت فى الدنيا جدير بألا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عزّ وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها، وإنها إن

(٨٥١) حديث : « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » تقدم الكلام عليه فى كتاب الزكاة .

أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم، فالشوق إلى لقاء الله عزّ وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة، والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل.

(وأما العزم) : فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات، متوجه إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره . وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة . وليتحقق أنه لا يُقْبل مِنْ قصده وعمله إلا الخالص، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه . والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم، وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

(وأما قطع العلائق) : فمعناه ردّ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى . فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له: إلى أين تتوجه، أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ومستهين به ومهمل له؟! أوَلا تستحيى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك؟ فإن كنت راغبا فى قبول زيارتك؛ فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولاً من جميع المعاصى. ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك ؛ لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل ذلك ، لم يكن لك من سفرك أولاً إلا النصب والشقاء ، وآخراً إلا الطرد والرد، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر الا يعود إليه، وليكتب وصيته لأولاده وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه، وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغى ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر .

(وأمـا الزاد):فليطلبه من موضع حلال ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر . وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت . ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له، فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

(وأمـا الـراحلـة) : إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عزّ وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة، وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر إلى الآخرة، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه، وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل، وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن .

(وأما شـراء ثوبى الإحرام) : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدى ويتزر بثوبى إحرام عند القرب من بيت الله عزّ وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عزّ وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذا ليس فيه مخيط كما فى الكفن .

(وأما الخـروج من البلد):فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا، فليُحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة مَنْ يقصد، وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له الذين نُودوا فأجابوا وشُوّقوا فاشتاقوا واستُنْهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم، وليُحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا بأعماله فى

الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافدا إليه إذ قال جل جلاله : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (النساء : ١٠٠)

(وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات):فلتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته، وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزودًا لمخاوف القبر .

(وأما الإحرام والتلبية من الميقات) : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عزّ وجل، فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك: لا لبيك ولا سعديك، فكن بين الرجاء والخوف مترددا، وعن حولك وقوتك متبرئا ، وعلى فضل الله عزّ وجل وكرمه متكلا، فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر، قال سفيان بن عيينة: حج على بن الحسين ﷺ فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى، فقيل له: لم لا تلبى؟ فقال : أخشى أن يقال لى: لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه. وقال أحمد بن أبى الحوارى: كنت مع أبى سليمان الدارانى رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال: يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام: مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فإنى أذكر من ذكرني منهم باللعنة، ويحك يا أحمد بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عزّ وجل: لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك، فما نأمن من أن يقال لنا ذلك. وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ (الحج : ٢٧) . ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه، منقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا .

(وأما دخـول مكة):فليتذكر عندها أنه قد انتـهى إلى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عزّ وجل وليخش ألا يكون أهلا للقـرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقـا للمقت ، وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا فـالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعى وزمام المستجير اللائذ غير مضيع .

(وأما وقوع البـصر على البيت) : فينبغى أن يحضـر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيـمه إياه، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم، واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القـيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين، ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة.

(وأمـا الطواف بالبـيت) : فاعلم أنه صلاة فـأحضر فى قلبك فيـه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة، واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البـيت حتى لا تبتـدئ الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كـما تبتـدئ الطواف من البيت وتختم بالـبيت، واعلم أن طواف الشريف هو طـواف القلب بحضرة الربوبيـة وأن البيت مـثال ظاهر فى عالـم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشـهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبـصر وهو فى عالم الغـيب، وإن عالم الملك والشهـادة مدرجـة إلى عالم الغيب والملكوت لـمن فتح الله له الباب، وإلى هـذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور فى السمـاوات بإزاء الكعبة فإن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت، ولما قصرت رتبـة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشـبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم (٨٥٢) . والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى .

(٨٥٢) حديث : « من تشبه بـقوم فهو منهم ». **قال العـراقى** : رواه أبو داود من حديث ابن عـمر بسند صحيح . اهـ.

قال مرتضى : ورواه البزار عن ابن عبيدة بن حذيفة عن أبيه .

(وأما الاستلام) : فاعتقد عنده إنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت، وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه** » (٨٥٣) .

(وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم) : فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ، ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت، ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه، المتضرع إليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وإنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل .

(وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت) : فإنه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى إظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى، وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران .

(وأما الوقوف بعرفة) : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة

---

(٨٥٣) حديث : « ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها كما يصافح الرجل أخاه » . **قال العراقى** : تقدم فى العلم من حديث ابن عمرو .اهـ. قال الشيخ زين الدين الدمشقى الواعظ: لكن حديث ابن عباس هذا لم يتقدم ولفظه عن ابن عباس قوله : « إن هذا الركن يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه » . رواه ابن أبى عمر العدنى فى مسنده، وروى الطبرانى عنه أنه قال: الركن - يعنى الحجر - يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه بيده، ما حاذى به عبد مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه. لكن فى رواية الطبرانى ابن يزيد وهو ضعيف .

واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول ، وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة، فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض، ولا ينفك الموقف عن طبقة الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم، ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد .

(وأما رمى الجمار) : فاقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه، ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع يدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله، فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان، واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه.

(وأما ذبح الهدى) : فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدى وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار فهكذا ورد الوعد(٨٥٤) . فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم .

(٨٥٤) حديث : « ذبح الهدى وأرجو أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً من أجزائه من النار » فهكذا

(وأما زيارة المدينة) : فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعل إليها هجرته وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضي الله عنهما، ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند ترداداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل، وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها وتصور خشوعه وسكينته فى المشى وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعه ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته، فوق صوته ثم تذكر ما مَنَّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأَعْظِمْ تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم ، ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك، كما قال ﷺ : « **يرفع الله إلىَّ أقواما فيقولون: يا محمد يا محمد ، فأقول: يا رب أصحابى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول: بعداً وسحقا** » (٨٥٥). فإن تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ألا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة، فإذا

= ورد الوعد، **قال العراقى:** لم أقف له على أصل، وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى مسعود فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها يغفر لك ما سلف من ذنوبك، يقوله لفاطمة رضي الله عنها وإسناده ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الحاكم نحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وقد تقدم ذلك فى أواخر الباب الثالث .

(٨٥٥) حديث : « يرفع إلىَّ أقوام فيقولون: يا محمد يا محمد، فأقول: يا رب أصحابى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: بعدا وسحقا ». **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الدارقطنى فى الأفراد من حديثه بلفظ: لأنازعن رجالا عن الحوض فيختلجون دونى فأقول: أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا ؛

بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه ﷺ ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة ،وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حُكى عن أبى سلمان أنه قال: حج أويس القرنى رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له: هذا قبر النبى ﷺ ؛ فغشى عليه فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذُّ لى بلد فيه محمد ﷺ مدفون.

(وأما زيارة رسول الله ﷺ) : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة فى ألا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بُعْد مائلا بين يديه فكذلك فافعل، فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود، واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك، فمثِّل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك، فقد روى عنه ﷺ أن الله تعالى وكَّل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته (٨٥٦) ، هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة، وقد قال ﷺ : « من صلى علىَّ مرة واحدة صلى الله عليه عشرا » (٨٥٧).فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ، ثم ائت منبر الرسول ﷺ وتوهم صعود النبى ﷺ المنبر

---

(٨٥٦) حديث : « إن الله تعالى وكَّل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته» . **قال العراقى:** رواه النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود بلفظ إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغون من أمتى السلام . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد .

(٨٥٧) حديث : « من صلى علىَّ مرة صلى الله عليه عشرا » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمر . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة، ورواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمرو وأبى موسى وعن أنس عن أبى طلحة بزيادة : فليكثر عبد من ذلك أو ليقل. وروى الطبرانى عن أبى أمامة بزيادة بها ملك موكل حتى يبلغنيها .

ومثّل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار ﷺ وهو ﷺ يحثهم على طاعـة الله عز وجل بخطبته، وسل الله عزّ وجل ألا يفرق فى القـيامة بينك وبينه، فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج فإذا فـرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقـبل منه حـجه وأثبت فى زمـرة المحـبوبين أم رد حـجـه وألحق بالمطرودين، وليتعرف ذلك من قربه وأعماله فإن صادف قـلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبـه تولاه وأظهر عليه آثار محبتـه وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله، فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول، وإن كان الأمر بخـلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب أسرار الحج ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

★ ★ ★

كتاب آداب تلاوة القرآن

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول : فى فضل القرآن وأهله .

الباب الثانى : فى ظاهر آداب التلاوة .

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة .

الباب الرابع : فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب تلاوة القرآن

الحمد لله الذى امتنَّ على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام، فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور، مَنْ خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير، لا تنقضى عجائبه ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد، ولا يُخْلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد، هو الذى أرشد الأولين والآخرين، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن: ١، ٢) . فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩). ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة، وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب :

(الباب الأول) : فى فضل القرآن وأهله .

(الباب الثانى): فى آداب التلاوة فى الظاهر .

(الباب الثالث): فى الأعمال الباطنة عند التلاوة .

(الباب الرابع): فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب تلاوة القرآن

الحمد لله الذى امتنَّ على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام، فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما فى الصدور، مَنْ خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير، لا تنقضى عجائبه ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد، ولا يُخْلِقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد، هو الذى أرشد الأولين والآخرين، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن: ١، ٢) . فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩). ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة، وذلك لابد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب :

(الباب الأول) : فى فضل القرآن وأهله .

(الباب الثانى): فى آداب التلاوة فى الظاهر .

(الباب الثالث): فى الأعمال الباطنة عند التلاوة .

(الباب الرابع): فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

الباب الأول : فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن

قال ﷺ : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحد أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى »(٨٥٨) .

وقال ﷺ : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره » (٨٥٩) .

وقال ﷺ : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » (٨٦٠) .

---

(٨٥٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله » . **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر وبسند ضعيف . اهـ .

قال مرتضى: رواه فى الكبير ورواه كذلك محمد بن نصر فى كتاب قيام الليل وأبو بكر بن أبى شيبة لكنه موقوف على ابن عمرو ولفظهم جميعا: « من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله » الحديث رواه الخطيب كذلك عن ابن عمر .

(٨٥٩) حديث : « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره » **قال العراقى** : رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا، وللطبرانى من حديث ابن مسعود .

(٨٦٠) حديث : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » **قال العراقى** : رواه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى نحوه من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ، ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف . اهـ .

وقال مرتضى : لكن لفظ الطبرانى من حديث عقبة وعصمة: ما أكلته النار .وفى رواية: ما أحرقته النار. وعند البيهقى عن عصمة بن مالك بلفظ: لو جمع القرآن فى إهاب ما أحرقه الله بالنار .اهـ.

وقال ﷺ : «أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن » (٨٦١) .

وقال ﷺ أيضا : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا» (٨٦٢) .

وقال ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه» (٨٦٣) .

---

(٨٦١) حديث: « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن » لأنه أصل العلوم وأسها وأهمها، فالاشتغال به أفضل من غيره من سائر الأذكار إلا ما ورد فيه نص خاص فى وقت مخصوص، **قال العراقى:** رواه أبو نعيم فى فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس بإسناد ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى : رواه البيهقى كذلك، ورواه ابن نافع عن أسيد عن جابر التميمى والسنجرى فى الإبانة عن أنس بلفظ: العبادات قراءة القرآن .

(٨٦٢) حديث : وقال ﷺ : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليهم هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تنطق بهذا » **قال العراقى :** رواه الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه كذلك ابن خزيمة فى التوحيد والعقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل وابن مردويه والبيهقى فى الشعب بلفظ: قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام، وتتكلم بدل تنطق والباقى سواء .

(٨٦٣) حديث : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث عثمان بن عفان . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح، وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عثمان، ورواه البخارى والترمذى عن على بن أبى طالب والخطيب عن عبد الله بن عمر وابن مردويه فى كتاب أولاد المحدثين وابن النجار عن ابن مسعود ، ورواه ابن الضريس والبيهقى عن عثمان بزيادة: وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وذلك لأنه منه .وعند الطبرانى عن ابن مسعود: خيركم من قرأ القرآن وأقرأه. ورواه البيهقى عن أبى أمامة بزيادة : إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له .

وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » (٨٦٤) .

وقال ﷺ : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل، ورجل أمَّ به قوما

(٨٦٤) حديث : « يقول الله تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث أبي سعيد: من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. وقال: حسن غريب، ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف.

وقال مرتضى : رواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل عن شهاب بن عباد عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمدانى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد، قال الترمذى: غريب، وفى بعض النسخ: حسن غريب، وقال الدارمى فى سننه: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجمان حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد . . . فساقه مثل سياق الترمذى، وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن حميد ثنا حامد بن شعيب حدثنا الحسن بن حمدان ثنا محمد بن الحسين بن أبي يزيد فساقه أيضا كسياق الترمذى والدارمى وقال الطبرانى فى الدعاء: ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ومحمد بن عبد الله الحضرمى قالا: حدثنا الحسن بن حمدان حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد فساقه بلفظ: من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى . . . والباقى سواء، وقال البزار: حدثنا محمد بن عمر الكردى وقال العقيلى فى الضعفاء: حدثنا بشر بن موسى قال: ثنا الحسن بن عبد الأول بن محمد بن الحسن، وقال الدارقطنى: تفرد به محمد بن الحسن عن عمرو بن قيس وكذا قاله البزار أيضا، قال الحافظ ابن حجر: هو وعطية ضعيفان إلا أنهم لا يخرجون لهما إلا فى المتابعات، قال ابن عدى فى محمد بن الحسن: مع ضعفه يكتب حديثه، هذا ما يتعلق بحديث الترمذى، وقال الطبرانى فى الدعاء: حدثنا على بن عبد العزيز ثنا عثمان ابن زفر ويحيى هو ابن عبد الحميد الحمانى: وقال الطبرانى أيضا: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمى ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد قالوا: ثنا صفوان بن أبي الصهباء التيمى عن بكير بن عتيق عن سالم عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل: إذا شغل عبدى ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. ورواه البخارى هكذا فى كتاب خلق أفعال العباد فقال :حدثنا ضرار بن صرد، وقال فى التاريخ: قال لى ضرار بن صرد . . . فذكره، ورواه البزار عن رافع بن سهل عن عثمان بن زفر، ورواه العسكرى فى فضائل القرآن عن يوسف بن يعقوب الواسطى، ورواه ابن شاهين في الترغيب عن البغوى كلاهما عن يحيى الحمانى، ووقع فى رواية ابن شاهين وحده بلفظ المصنف، والله أعلم .

وهم به راضون ... » (٨٦٥) .

وقال ﷺ : « أهل القرآن أهل الله وخاصته » (٨٦٦) .

وقال ﷺ : « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت » (٨٦٧) .

وقال ﷺ : « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » (٨٦٨) .

(الآثار): قال أبو أمامة الباهلى: اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن. وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين ،وقال أيضا : اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر

---

(٨٦٥) حديث : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأمّ به قوما هم به راضون ... الحديث » أى إلى آخر الحديث، وقد تقدم الكلام عليه فى باب الإمامة من كتاب الصلاة.

(٨٦٦) حديث : « أهل القرآن » هم « أهل الله وخاصته » **قال العراقى :** رواه النسائى فى الكبرى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس بإسناد حسن . اهـ.

وقال مرتضى: وكذا أحمد وأخرجه أبو القاسم بن حيدر فى مشيخته عن على بن أبى طالب .

(٨٦٧) حديث : « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت » **قال العراقى :** رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: وفى المعجم الصغير للطبرانى: وجلاؤها الاستغفار .

(٨٦٨) حديث : « لله أشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته » هى أمته المغنية: **قال العراقى:** رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد.اهـ.

وقال مرتضى : رواه من طريق الأوزاعى عن إسماعيل بن عبد الله بن فضالة بن عبيد عن فضالة بن عبيد، وقال الحاكم: على شرطهما، ورده الذهبى فقال: بل منقطع، ورواه البيهقى كذلك بلفظ: الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته. وفيه حل سماع الغناء من قينته ونحوها لأن سماع الله لا يجوز أن يقاس على محرم، وخرج بقينته قينة غيره فلا ينبغى سماعها بل يحرم إن خاف فتنة .

حسنات، أما إنـى لا أقول الحرف الم، ولكن الألف حرف، واللام حـرف والميم حرف . وقال أيضا : لا يسـأل أحدكم عن نفسـه إلا القرآن، فإن كـان يحب القرآن ويعـجبه فـهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ، وإن كان يبغض القرآن فـهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ . وقال عمرو بن العاص: كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومـصباح فى بيوتكم، وقال أيضا : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه. وقال أبو هريرة : إن البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهلـه وكثر خيره وحضرته الملائكة وخـرجت منه الشيـاطين، وإن البيـت الـذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين.

وقال أحـمد بن حنـبل: رأيت الله عز وجل فى المنام فـقلت : يا رب ما أفـضل ما تقـرب به المتقـربون إليك؟ قال: بكلامى يا أحمـد، قال: قلت: يا رب بفهم أو بغـير فهم، قـال: بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى: إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمـعوه قط. وقال الفضيل بـن عياض: ينبغى لحامل القـرآن ألا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه، وقال أيضا: حامل القرآن حامل راية الإسـلام فلا ينبغى إن يلهو مع من يلهـو ولا يسهو مع من يسهـو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن . وقال سفيان الثورى: إذا قرأ الرجل القرآن قبّله الملك بين عينيه. وقال عمرو بن مـيمون: من نشر مصحـفا حين يصلى الصبح فقرأ منـه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جـميع أهل الدنيا. ويروى أن خالد بن عقبة جـاء إلى رسول الله ﷺ وقال : اقرأ علىّ القرآن فقرأ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ الآية (النحل: ٩٠) . فقال له: أعد، فأعاد، فـقال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر(٨٦٩). وقال الحسن : والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة.

---

(٨٦٩) حديث : « إن خالد بن عـقبة جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: اقرأ علـىَّ، فقرأ عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (النحل : ٩٠) فقال : أعد، فـأعاد فقال: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعـلاه لمثمر وما يقول هذا بشر » **قال العـراقى:** ذكره ابن عبـد البر فى الاستيعاب بغـير إسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حـديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال : الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عـقبة، وكذا ذكره ابن إسحق فى السيرة بنحوه . اهـ.

وقـال مـرتضى: وهذه الآية فيها الإيـجاز الجامع وهو أن يحتوى اللفظ على معـان متعددة فالعدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفـى الإفراط والتفريط المؤتى به إلى جميع الواجبات=

وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح حتى مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء . وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساك: ما ههنا أحد تستأنس به؟ فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال: هذا. وقال على بن أبى طالب ﷺ: ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم: السواك والصيام وقراءة القرآن .

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك: رُب تال للقرآن والقرآن يلعنه، وقال ميسرة: الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر، وقال أبو سليمان الدارانى: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن، وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له: مالك ولكلامى. وقال ابن الرماح: ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة. وقال ابن مسعود: ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا .

وقال ﷺ : « **أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها**» (٨٧٠) .

= فى الاعتقاد والأخلاق والعبودية والإحسان هو الإخلاص فى واجبات العبودية لتفسيره فى الحديث: أن تعبد الله كأنك تراه أى تعبده مخلصا فى نيتك واقفا فى الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى وإيتاء ذى القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا فى الأوامر وأما النواهى فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعا وبالبغى إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية، ولهذا قال ابن مسعود: ما فى القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية. أخرجه الحاكم فى المستدرك، وروى البيهقى فى الشعب عن الحسن أنه قرأها يوما ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير والشر فى آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئا إلا جمعه .

(٨٧٠) حديث : « أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة . اهـ. =

وقال ﷺ : « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه » (٨٧١).

وقال ﷺ : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » (٨٧٢).

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء: إن العبد ليتلوا القرآن فيلعن نفسه وهو لا

= **وقال مرتضى** : ورواه الطبرانى فى الكبير مثل رواية أحمد ورواه كذلك البيهقى فى السنن وفى الشعب عن ابن عمر ورواه كذلك ابن عدى فى ترجمة الفضل بن مختار والحاكم فى تاريخ نيسابور فى ترجمة عبد الله بن خالد التميمى عن عصمة بن مالك، قال الهيثمى: أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات وسند الطبرانى فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف، ولفظهم كلهم أكثر منافقى أمتى، وهكذا أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف قال حدثنا زيد بن الحارث قال حدثنى عبد الرحمن بن شريح حدثنا شرحبيل بن يزيد بن يزيد العامرى قال: سمعت محمد بن صدقة الصوفى يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول اللهﷺ يقول . . . فساقه .

(٨٧١) حديث : « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرؤه » وفى رواية: فلست تبارى، أى لإعراضك عن متابعته لم تظفر بفوائده وعوائده فيعود حجة عليك وخصما، فقراءته بدون ذلك لقلقة لسان بل جار إلى النيران إذ من لم ينته بنهيه فقد جعله وراء ظهره، ومن جعله خلفه ساقه إلى النيران ،فلابد لقارئه من الاهتمام بامتثال أوامره ونواهيه، **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: وكذا أبو نعيم ومن طريقهما أخرجه الديلمى وفيه إسماعيل بن عياش، قال الذهبى فى الضعفاء: ليس بقوى، وقال ابن عدى : لا يحتج به، ومما يؤيد معنى ما ذكرته فى تفسير الحديث المذكور ما رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس رفعه: من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له. ورواه نحو ذلك البيهقى من حديث أبى هريرة .

(٨٧٢) حديث : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » قال الطيبى: من استحل ما حرم الله فقد كفر مطلقا وإنما خص القرآن لعظمه وجلالته : **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث صهيب وقال : ليس إسناده بالقوى . اهـ .

وقال مرتضى: ورواه الطبرانى فى الكبير والبغوى ، والبيهقى وقال البغوى حديث ضعيف، ورواه عبد بن حميد عن أبى سعيد .

يعلم يقول: ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه، ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم. وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار. وقال ابن مسعود: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به. وفى حديث ابن عمر وحديث جندب ﷺ : لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغى أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل. وقد ورد فى التوراة: يا عبدى أما تستحيى منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابى أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك، يا عبدى يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف، وها أنذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك (٨٧٣) .

★ ★ ★

(٨٧٣) حديث : « قال ابن عمر وحديث جندب: لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن » الحديث، هكذا نقله صاحب القوت ، أخرجه النحاس فى كتابه فقال: حدثنا محمد بن جعفر الأنبارى حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن القاسم بن عوف النكرى قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد عشنا برهة فى دهرنا . . . فساقه، ثم قال: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن، وقوله: لقد عشنا . . . إلخ يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة . اهـ. قال السيوطى: هذا الأثر أخرجه البيهقى فى سننه عن على فى قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل:٤) وقد تقدم شيء من ذلك فى كتاب العلم مفصلا ثم قال صاحب القوت بعد إيراده الكلام السابق ما نصه: وهذا كما قال لأن المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لأوامره والانتهاء عن زواجره إذ حفظ حدوده مفترض ومسئول عنه العبد ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد إذا لم يحفظ ما وسعه منه .

الباب الثانى : فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

(الأول فى حال القارئ): وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون إما قائمـا وإما جالسا ، مـستقبل القبلة مطرقا رأسـه غير متـربع ولا متكئ ولا جالس على هيـئة التكبر، ويكون جلوسـه وحده كجلوسه بين يدى أسـتاذه، وأفضل الأحوال أن يقـرأ فى الصلاة قائما وأن يكون فى المسجد فذلك من أفضل الأعمال، فـإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضـا فضل ولكنه دون ذلك ، قـال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمـران : ١٩١) . فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكـر ثم القعود ثم الذكر مضطجعـا، قال على ﷺ : من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حـسنة، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخـمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غـير وضـوء فعـشر حسنات، ومـا كان من القـيام بالليل فـهو أفـضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو ذر الغفارى ﷺ إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل .

(الثانى فى مـقدار القراءة) : وللقراء عادات مختلفة فى الاسـتكثار والاختصار، فمنهم من يختم القرآن فى اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث، ومنهم من يختم فى الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله ﷺ : « **من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقهه** » (٨٧٤) . وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل، وقد قالت عائشة ﷺ لما

---

(٨٧٤) حديث : « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه » **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى . اهـ.

وقـال مـرتضى : رواه الترمذى والنسـائى من رواية سعيد بن أبى عـروبة عن قتادة عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشـخير عن عبد الله بن عمرو رفعه بلـفظ: لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث، ورواه أحـمد عن عفـان بن مسلم ويزيد بـن هارون كلاهما عن هـمام بن يحيى عن قتادة ورواه أبو داود والدارمى عن محمـد بن المنهال عن يزيد بن زريع عن سعيد بن=

سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا : إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت. وأمر النبى ﷺ عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع(٨٧٥). وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون

= أبى عروبة، ورواه أبو داود الطيالسى عن همام بن يحيى وقد جاء فى كراهية قراءته فى أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة منهم معاذ بن جبل، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أبى العالية عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يكره أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث. وأخرجه ابن أبى داود من رواية سفيان الثورى وخالد بن عبد الله كلاهما عن هشام بن حسان، ومنهم عبد الله بن مسعود أخرج سعيد بن منصور وابن أبى داود من طريق أبى الأحوص عنه قال: لا تقرءوا القرآن فى أقل من ثلاث، وأخرج ابن أبى داود أيضا من طرق عنه من قوله ومن فعله، وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج هو ابن محمد ويزيد هو ابن هارون الأول عن شعبة والثانى عن سفيان الثورى كلاهما عن على بن بذيمة عن أبى عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود عن ابن مسعود قال: من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو راجز. وأخرجه ابن أبى داود من رواية شعبة وسفيان من طرق أخرى عن أبى إسحاق عن عبيدة، وروى سعيد بن منصور من طرق جماعة من التابعين أنهم كانوا يقرءون فى ثلاث منهم إبراهيم النخعى وأبو إسحاق السبيعى والمسيب بن رافع وطلحة بن مصرف وحبيب بن أبى ثابت، وقد جاء ذلك فى حديث مرفوع قال الدارمى: حدثنا عبد الله ابن سعيد حدثنا عقبة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنى عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمرنى رسول الله ﷺ ألا أقرأ القرآن فى أقل من ثلاث. عبد الرحمن بن زياد فيه مقال ولكن يتقوى حديثه بشواهد .

(٨٧٥) حديث : « أمر النبى ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يختم القرآن فى كل سبع »
قال العراقى: متفق عليه من حديثه . اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخارى عن إسحاق بن منصور، ومسلم عن القاسم بن زكريا كلاهما عن عبيد الله بن موسى عن شيبان بن عبد الرحمن ثنا يحيى بن أبى كثير ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال - أعنى يحيى - وأحسبنى سمعته من أبى سلمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لى رسول الله ﷺ : اقرأ القرآن فى شهر، قلت: إنى أجد قوة: قال: اقرأه فى عشر ، قلت: إنى أجد قوة، قال: اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك وله شاهد من حديث غريب قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم حدثنا أبو حاتم الرازى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا ابن لهيعة حدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أبيه عن قيس بن أبى صعصعة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله فى كم أقرأ القرآن؟ قال: فى خمس عشرة ، قال : إنى أجدنى أقوى من ذلك، قال : اقرأه فى جمعة. وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن عن يحيى بن بكر عن ابن لهيعة وأخرجه محمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل وأبو بكر ابن أبى داود فى كتاب الشريعة جميعا عن محمد بن يحيى عن سعيد بن أبى مريم،=

القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأُبى بن كعب ، ففى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة ، والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأول مبالغة فى الاستكثار ، وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما فى الأسبوع مرة والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث ، والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار، ويجعل ختمه بالنهار يوم الإثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل يختتمه ، فإن الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار، والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرآن فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل.

(الثالث فى وجه القسمة) : أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرآن (٨٧٦) سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة القرآن أحزابا فروى أن عثمان كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى

= وأخرجه أبو على بن السكن فى كتاب الصحابة عن إبراهيم بن حمدويه عن أبى حاتم الرازى قال ابن السكن وابن أبى داود: ليس لقيس غيره، زاد الأخير وهو الضارى شهد بدرا، وزاد ابن السكن: لم يروه غير ابن لهيعة .

(٨٧٦) حديث : « روى أن عثمان كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الإثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس» وقال صاحب القوت: روينا عن يحيى بن الحارث الزمارى عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عثمان بن عفان يفتتح . . . فساقه .

قال مرتضى: وأخرجه أيضا ابن أبى داود فى كتاب الشريعة من طريق القاسم هذا بسند لين وثبت أن عثمان كان يختم القرآن فى ركعة كما تقدمت إليه الإشارة ،قال أبو عبيد: حدثنا هاشم حدثنا منصور عن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين دخلوا عليه ليقتلوه: إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيى الليل فى ركعة يجمع فيها القرآن .وأخرجه الطبرانى من وجه آخر عن ابن سيرين بنحوه، وهذا يدل على أنه كانت له أحوال مختلفة فى ختم القرآن .

المائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الإثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس. وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب، وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق إلى آخره، فهكذا حزبه الصحابة ﷺ وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله ﷺ وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء، فما سوى هذا محدث .

(الرابع فى الكتابة) : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه ، وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء، وروى عن الشعبى وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك، وكانوا يقولون: جردوا القرآن، والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى إحداث زيادات وحسما للباب وتشوقا إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييرا وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن، كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح : إنها من محدثات عمر ﷺ وإنها بدعة حسنة، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها، وبعضهم كان يقول: أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى ،وقال الأوزاعى: عن يحيى بن أبى كثير كان القرآن مجردا فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا :لا بأس به فإنه نور له، ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا : لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح، قال أبو بكر الهذلى: سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية، قال: أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء: دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط، وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءًا وإلى أقسام أخر .

(الخامس الترتيل) : هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر، والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة ﵂ قراءة رسول الله ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا (٨٧٧). وقال ابن عباس ﵄: لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة، وقال أيضا : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا، وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله، فقال: هما فى الأجر سواء. واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال .

(السادس البكاء): البكاء مستحب مع القراءة ،قال رسول الله ﷺ : « **اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا** » (٨٧٨).

---

(٨٧٧) حديث : « نعتت أم سلمة قراءة النبى ﷺ بأنها مفسرة حرفا حرفا » **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال: حسن صحيح . اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن خزيمة والحاكم والدارقطنى وغيرهم عن أم سلمة أن النبى ﷺ كان يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية . . . الحديث، والمعنى أن قراءته ﷺ كانت ترتيلا لا هذرا ولا عجلة بل مفسرة الحروف مستوفية ما تستحقه من مد وغيره لأنه كان يقطعها آية آية .

(٨٧٨) حديث : « اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » **قال العراقى :** رواه ابن ماجه من حديث سعد بن أبى وقاص بإسناد جيد . اهـ.

وقال مرتضى : رواه عن عبد الله بن أحمد عن الوليد بن مسلم حدثنا إسماعيل بن رافع حدثنى ابن أبى مليكة عن عبد الرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن مالك ﵁ بعدما كف بصره فأتيته مسلما فانتسبت له فقال: مرحبا يا ابن أخى بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن فليس منا. ورواه أبو يعلى الموصلى عن عمرو الناقد عن الوليد ابن مسلم، ورواه محمد بن نصر فى قيام الليل عن الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم وإسماعيل بن رافع ضعيف وقد تابعه عبد الرحمن المليكى وهو مثله فى الضعف عن ابن أبى مليكة ولكن خالف فى اسم ابن السائب، أخرجه أبو عوانة ومحمد بن نصر وابن أبى داود من طريق المليكى فقال الأولان: عن عبد الله بن السائب عن سعد وقال ابن أبى داود فى=

وقال ﷺ : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»(٨٧٩).

وقال صالح المرى: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فيبك قلبه. وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء، قال ﷺ : « **إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا** »(٨٨٠) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد و الوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى

= روايته: عن عبد الله بن عبد الله بن السائب بن نهيك، وبعض رواته قال: عبيد الله بن أبى نهيك، والاضطراب فيه فى اسم التابعى ونسبه واختلف عليه أيضا فى اسم شيخه فالأكثر أنه سعد بن مالك وهو ابن أبى وقاص، وقيل عن سعيد بدل سعد، وقيل عن أبى لبابة، وقيل عن عائشة، والراجح قول من قال عن سعد، وله شاهد عند الطبرانى قال: حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العبسى حدثنا حبان بن نافع حدثنا صخر حدثنا سعيد بن سالم القداح حدثنا صخر بن الحسن حدثنا بكر بن خنيس حدثنا أبو شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إنى قارئ عليكم من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة، فقرأ من عند قوله: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...** ﴾ الآية (الزمر : ٦٧). فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكى فلم نبك، فقال: إنى سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك. أبو شيبة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطى وقد روى بعض هذا المتن هشام عن أبى شيبة وهو أوثق من بكر بن خنيس فارسله، قال أبو عبيد : حدثنا هشام عن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الملك بن عمير، قال: قال رسول الله ﷺ : إنى قارئ عليكم سورة من بكى فله الجنة، فقرأ فلم يبكوا حتى أعاد الثانية فقال: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا.

(٨٧٩) حديث : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أبى هريرة. اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم من رواية عمرو بن دينار والليث بن سعد كلاهما عن ابن أبى مليكة عن عبيد الله بن أبى نهيك عن سعد ابن أبى وقاص، وأخرجه أبو داود أيضا عن أبى لبابة بن عبد المنذر، والحاكم أيضا عن ابن عباس وعائشة، وقد ذكر الاختلاف فيه قريبا فى الحديث الذى قبله إذ هذا الحديث عند بعضهم بعض الحديث المتقدم وسيأتى تحقيق معناه فى الأدب العاشر قريبا.

(٨٨٠) حديث : « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا » **قال العراقى :** رواه أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف. اهـ. =



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٥

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب .

(السابع أن يراعى حق الآيات) : فإذا مرَّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة، وفى القرآن أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان وليس فى ص سجدة، وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : ﴿ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة : ١٥) . فيقول : اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك، وإذا قرأ قوله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (الإسراء : ١٠٩) . فيقول : اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك، وكذلك كل سجدة ، ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فإذا تطهر يسجد، وقد قيل فى كمالها إنه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد، فإنه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر ، وتكبيرة الهوى أقرب للبداية ، وما عدا ذلك ففيه بُعْد، ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما .

(الثامن أن يقول فى مبتدأ قراءته) : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون، وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله ،وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به

= **وقال مرتضى** : تقدم قريبا أن أبا يعلى رواه من حديث سعد بن مالك بلفظ: إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا. وتقدم الاختلاف فيه ،وقال أبو بكر الآجرى فى فوائده: حدثنا جعفر الفريابى حدثنا إسماعيل بن سيف بن عطاء الرياحى حدثنا عدن بن عمرو حدثنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ رفعه : اقرءوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن. وأخرجه أبو يعلى عن إسماعيل بن سيف على الموافقة، وعند الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رفعه: أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به .

وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم، وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبَّح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مر بمرجو سأل وإن مر بمخوف استعاذ ،يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله نعوذ بالله، اللهم ارزقنا، اللهم ارحمنا. قال حذيفة: صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح(٨٨١)، فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه عند ختم القرآن: « **اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماما ونورا وهدى ورحمة ، اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل**

---

(٨٨١) حديث : قال حذيفة : « صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ بسورة البقرة فقرأها ثم النساء فقرأها ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا فكان لا يمر بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح » هكذا رواه مسلم فى صحيحه مع اختلاف لفظ، ولفظه: كان إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ. وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قمت مع النبى ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ. وروى أحمد وأبو داود عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال: سبحان ربى الأعلى. وعند أبى داود والترمذى فى حديث: من قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ : لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل: بلى، ومن قرأ : و المرسلات فبلغ: فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل: آمنا بالله. وروى الترمذى والحاكم عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها ليلة الجن على الجن فكانوا أحسن موردا منكم كنت كلما أتيت على قوله: فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا: ولا بشىء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد. وروى ابن أبى داود فى كتاب الشريعة عن إبراهيم النخعى عن علقمة قال: صليت إلى جنب عبد الله فافتتح سورة طه فلما بلغ: رب زدنى علما قال: رب زدنى علما . وروى ابن مردويه والديلمى وابن أبى الدنيا بسند ضعيف عن جابر أن النبى ﷺ قرأ : وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب الآية، فقال: اللهم أمرت بالدعاء وتكفلت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنك تبعث من فى القبور. وروى أبو داود وغيره عن وائل بن حجر: سمعت أن النبى ﷺ قرأ ولا الضالين فقال: آمين يمد بها صوته .ورواه الطبرانى بلفظ : قال آمين ثلاث مرات، ورواه البيهقى بلفظ: قال رب اغفر لى آمين، ويروى عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال: آمين، وعن ميسرة أن جبريل لقن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة آمين .

وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين » (٨٨٢) .

(التاسع في الجهر بالقراءة) : ولا شك في أنه لابد أن يجهر به إلى حد يُسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولابد من صوت فأقله ما يُسمع نفسه فإن لم يُسمع نفسه لم تصح صلاته ،فأما الجهر بحيث يُسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر، ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه ﷺ قال: « **فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية** » (٨٨٣).وفي لفظ آخر : « **الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسرّ بالصدقة** » . وفي الخبر العام: « **يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا**» (٨٨٤).وكذلك قوله ﷺ : « **خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي** »(٨٨٥) . وفي

(٨٨٢) حديث : كان ﷺ يقول عند ختم القرآن: « اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله إماما ونورا وهدي ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وآناء النهار، واجعله حجة لي يا رب العالمين » **قال العراقي** : رواه أبو منصور المظفر ابن الحسين الأرجاني في فضائل القرآن، وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلا .

(٨٨٣) حديث : « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » كذا في القوت، ولم يرد بهذا اللفظ ولكن معناه في الحديث الذي يليه .

(٨٨٤) حديث : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسرّ بالصدقة » **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر . اهـ.

وقال مرتضى: وفي السند إسماعيل بن عياش ضعفه قوم ووثقه آخرون، ورواه أيضا الحاكم عن معاذ بن جبل ووجه الشبه أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل لخائفه وبه يظهر صحة معنى الحديث الأول، وروى الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود: وفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. ورواه ابن المبارك في الزهد مثله : « وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا » هكذا في القوت. **وقال العراقي**: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة . اهـ.

وقال مرتضى: وضعفه البيهقي، ولفظه في الشعب يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا. وقد رواه ابن أبي الدنيا كذلك في كتاب الدعاء .

(٨٨٥) حديث : « خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي » كذا في القوت، **قال العراقي** : رواه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص . اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه البيهقي أيضا ونعيم بن حماد في الفتن والعسكري في الأمثال=

الخبر: « لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » (٨٨٦). وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلى فَمُرْه أن يخفض من صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: يا أيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة. ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبى ﷺ سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوَّب ذلك (٨٨٧). وقد قال ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل يصلى

= وعبد بن حميد وأبو عوانة كلهم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن سعد غير أنه بتقديم الجملة الثانية على الأولى، ومحمد بن عبد الرحمن هذا وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وبقية رجاله عند أحمد وابن حبان رجال الصحيح، وهذا الحديث قد عُدَّ من الحكم والأمثال، وأخرج الخطيب عن المحاسبى فى تفسير قوله: خير الرزق ما يكفى، أنه قوت يوم بيوم ولا يهتم لرزق غد، وبهذا الحديث استدل أصحابنا على ندب الإسرار لتكبير العيد .

(٨٨٦) حديث : « لا يجهر بعضكم على بعض فإن ذلك يؤذى المصلى » رواه الخطيب عن جابر قال: (فى القراءة بين المغرب والعشاء) وهذه عبارة القوت وليست الجملة من أصل الحديث، وظنها العراقى كذلك فقال: رواه أبو داود من حديث البياضى ودون قوله: بين المغرب والعشاء، والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعده، وفيه الحارث الأعور وفيه ضعف .

وقال مرتضى : وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال : اعتكف رسول الله ﷺ فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: إلا أن كلكم مناج لربه فلا يؤذى بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض فى القراءة .

(٨٨٧) حديث : « سمع جماعة من الصحابة يجهرون بالقراءة فى صلاة الليل فصوب ذلك » أى رآه صوابا إما بسكوته أو باستحسانه، وهذه العبارة انتزعها المصنف من كتاب القوت ونصه: وعلى ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة فى صلاة الليل فيصوب ذلك لهم ويسمع إليهم . **وقال العراقى:** فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله ﷺ : رحم الله فلانا . . . الحديث، ومن حديث أبى موسى: قال لى رسول الله ﷺ : لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة . . . الحديث ،وفى حديث أيضا إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن . . . الحديث .

وقال مرتضى: وهذه الأخبار قد يذكرها المصنف فيما بعد ويأتى الكلام عليها .

فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته» (٨٨٨) . ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه ﷺ مختلفى الأحوال فمر على أبى بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى، ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ، ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال: أخلط الطيب بالطيب؛ فقال ﷺ : « **كلكم قد أحسن وأصاب»**(٨٨٩) . فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل، لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله، ولأنه يرجو

---

(٨٨٨) حديث : « إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته » كذا فى القوت، **قال العراقى** : رواه بنحوه بزيادة أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو منكر ومنقطع .

(٨٨٩) حديث : « مَرَّ رسول الله ﷺ على ثلاثة من أصحابه مختلفى الأحوال ، فمر على أبى بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى، ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان - أى أنبه النائم - وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال: أخلط الطيب بالطيب، فقال ﷺ : كلكم قد أحسن وأصاب » . هكذا أورده وقد تقدم فى كتاب الصلاة أنه ﷺ سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال: أخلط الطيب بالطيب، فقال: أحسنت. وقد رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح نحوه وقد تقدم الكلام عليه ، وهذا يدل على جواز قراءة آية آية من كل سورة، وقد نقل القاضى أبو بكر بن العربى الإجماع على عدم جواز ذلك ، قال البيهقى: وأحسن ما يحتج به هنا أن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبى ﷺ وأخذه عن جبريل، والأولى بالقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول، وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم. وعد الحليمى خلط السورة بالسورة من ترك الأدب واحتج بما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ مَرَّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فسأله، فقال: أخلط الطيب بالطيب، فقال: اقرأ السورة على وجهها أو قال على نحوها، وهو مرسل صحيح ووصله أبو داود وعن أبى هريرة بدون آخره، وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر عن عمر مولى غفرة وهى أخت بلال أن النبى ﷺ قال لبلال: إذا قرأت السورة فأنفذها. ثم قال أبو عبيد: الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة كما أنكر رسول الله ﷺ على بلال، فتأمل ذلك مع سياق المصنف .

بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكوا أعمال الأبرار وتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور، ولهذا نقول: قراءة القرآن فى المصاحف أفضل إذ يزيد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه، وقد قيل: الختمة فى المصحف بسبع لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة، وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف، ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضي الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى: شغلكم الفقه عن القرآن إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح .

(العاشر): تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنّة، قال ﷺ: « **زينوا القرآن بأصواتكم** » (٨٩٠). وقال عليه السلام: « **ما أذن الله لشيء إذنه لحسن**

(٨٩٠) حديث: قال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم » **قال العراقى**: رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب . اهـ.

وقال مرتضى: قال أبو داود الطيالسى فى مسنده: حدثنا شعبة عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « زينوا القرآن بأصواتكم » وهو حديث حسن صحيح أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد كلاهما عن شعبة مطولا، وأخرجه البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد عن محمود بن غيلان عن أبى داود الطيالسى، وأخرجه أبو داود والنسائى من رواية الأعمش، وأحمد أيضا والنسائى من رواية منصور كلاهما عن طلحة بن مصرف ، وأخرجه النسائى أيضا وابن ماجه من رواية يحيى بن سعيد، وله طريق أخرى عن البراء بلفظ: « حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » . رواه ابن أبى داود عن إسحاق بن إبراهيم بن زيد عن محمد بن بكير، وقد روى هذا الحديث أيضا عن أبى هريرة بلفظ المصنف، قال جعفر بن محمد: حدثنا أبو بكر بن أبى عثمان حدثنا يحيى بن بكير حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عنه ذكره البخارى فى أواخر كتاب التوحيد من صحيحه معلقا، وقال فى كتاب خلق أفعال العباد: روى سهيل بن أبى صالح فذكره ، وأخرجه ابن أبى داود عن البخارى عن يحيى بن بكير، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عمر بن محمد البحيرى عن البخارى، وقد روى هذا الحديث أيضا عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس كلاهما عن البزار وسند كل منهما ضعيف، وعن ابن عباس عند الطبرانى وفى سنده انقطاع، وعند الدارقطنى فى الإفراد وسنده حسن.

الصوت بالقرآن» (٨٩١). وقال ﷺ : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** » فقيل: أراد به الاستغناء، وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة، وروى أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال ﷺ : «**ما حبسك؟**» قالت : يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلا، ثم رجع فقال ﷺ : «**هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله**» (٨٩٢). واستمع ﷺ أيضا ذات ليلة

---

(٨٩١) حديث : « ما أذن الله تعالى لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن » . **قال العراقي : متفق عليه** من حديث أبي هريرة: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » . زاد مسلم: « لنبي حسن الصوت بالقرآن » وفي رواية له : « كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن » . اهـ . وقال أبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم : حدثنا عبد الله بن أحمد بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سليمان بن داود الرشديني حدثنا عبد الله بن وهب حدثني عمر بن مالك وحيوة بن شريح كلاهما عن ابن الهاد وهو يزيد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » . وهو حديث صحيح رواه مسلم عن أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عبد الله بن وهب، وأخرج أيضا عن بشر بن الحكم عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن يزيد بن الهاد، وأخرج البخاري من وجه آخر عن ابن الهاد، وأخرجه أبو داود عن الرشديني عن عبد الله بن وهب، وأخرج الشيخان أصل هذا الحديث من طريق أخرى عن أبي سلمة دون قوله: حسن الصوت، وفي بعضها: يجهر به .

(٨٩٢) حديث : « أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال لها رسول الله ﷺ : « ما حبسك » ؟ فقالت: يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال: « هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله» هكذا أورده صاحب القوت، **قال العراقي:** رواه ابن ماجه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات . اهـ.

وقال مرتضى : قال ابن ماجه حدثنا العباس بن محمد الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط يحدث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : أبطأت على رسول الله ﷺ بعد العشاء - تعني في المسجد - ثم جئت، فقال: أين كنت؟ قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليها فقال : هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا. هذا حديث حسن أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم، ورجاله رجال الصحيحين لكن عبد الرحمن بن سابط كثير الإرسال، وقد أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد عن=

إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر ﷺ فوقفوا طويلا ثم قال ﷺ: « من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» (٨٩٣) .

وقال ﷺ لابن مسعود: « اقرأ عليّ » فقال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ فقال ﷺ: « أنى أُحب أن أسمعه من غيرى » فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان (٨٩٤) .

= حنظلة شيخ الوليد فأرسله، قال ابن سابط إن عائشة سمعت سالما، وابن المبارك أتقن من الوليد ابن مسلم، قال الحافظ: وقد صححه الحاكم وخفيت عليه علته لكن وجدت له طريقا أخرى أخرجها البزار من رواية الوليد بن صالح بن أبى أسامة عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة فذكر الحديث دون القصة، وقال: تفرد به أبو أسامة، قال الحافظ: وإذا انضم إلى السند الذى قبله تقوى به وعرف أن له أصلا ولا يبعد تصحيحه، وسالم المذكور من المهاجرين الأولين وكان مولى امرأة من الأنصار أعتقته قبل الإسلام فحالف أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ولما نزلت: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٥). قيل له مولى أبى حذيفة وهو أحد الأربعة الذين أمر ﷺ بأخذ القرآن عنهم وهو فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، واستشهد سالم وأبو حذيفة معا باليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنهم أجمعين .

(٨٩٣) حديث : استمع ﷺ ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر ﷺ فوقفوا طويلا ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » كذا فى القوت، **قال العراقى** : رواه أحمد والنسائى فى الكبرى من حديث عمر وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال : من أحب أن يقرأ القرآن . . . الحديث ، وقال الترمذى : حسن صحيح . اهـ.

وقال مرتضى : لفظ المصنف ساقه الطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن عمر وبلفظ: من أحب، أخرجه أحمد وابن ماجه والطبرانى فى الكبير والحاكم عن أبى بكر وعمر، ورواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود، ورواه أحمد أيضا وابن منده عن عمرو بن المصطلق، ورواه أبو نصر السجزى فى الإبانة، والخطيب وابن عساكر عن ابن عمر، ورواه الطبرانى أيضا فى الكبير عن عمار بن ياسر، ورواه أبو يعلى أيضا والعقيلى عن أبى هريرة، وروى ابن عساكر من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده بلفظ : من أحب أن يسمع القرآن جديدا غضا كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود .

(٨٩٤) حديث : قال ﷺ لابن مسعود: « اقرأ عليّ فقال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى، فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان» أى تسيلان بالدموع، كذا فى القوت وذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ٤١) . وسيأتى للمصنف إعادة ذلك قريبا، **قال العراقى: متفق** عليه من حديث ابن مسعود . =

واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى فقال: « لقد أوتي هذا من مزامير آل داود » فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبّرته لك تحبيرا (٨٩٥) .

= **وقال مرتضى** : وزاد صاحب القوت هنا ما نصه: وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ بين يديه ويقول له: رتل فداك أبي وأمي، وكان حسن الصوت بالقرآن . اهـ. قال أبو نعيم في المستخرج :حدثنا أحمد بن جعفر بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا أبو ربيعة واسمه زيد بن عوف وحدثنا سعيد بن زربي حدثنا حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم يعني النخعي عن علقمة قال: كنت رجلا حسن الصوت فكان عبد الله ابن مسعود يرسل إليّ فآتيه فاقرأ فيقول: رتل فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: حسن الصوت زينة القرآن. وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن أسيد بن عاصم عن زيد بن عوف، وأخرجه أيضا عن أبيه، وأخرجه البزار عن محمد بن يحيى كلاهما عن مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن زربي، قال البزار: تفرد به سعيد وليس بقوي، قال الحافظ: وأبو ربيعة فيه مقال لكنه توبع، وقد أخرجه الطبراني وابن عدي وغيرهما من طرق عن سعيد، ووقع في رواية الطبراني من الزيادة قال علقمة: فكنت إذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فإني سمعت . . . فذكره .

(٨٩٥) حديث : استمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى الأشعري فقال: « لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود، فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبّرته لك تحبيرا » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي موسى .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه النسائي من حديث عروة عن عائشة أن النبي ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود. وقال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا طلحة بن يحيى عن خاله أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ ذات يوم : لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود، قلت: يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا. أخرجه عن داود بن رشيد عن يحيى بن سعيد ،وقال أبو نعيم أيضا : حدثنا حبيب ابن الحسن حدثنا يوسف القاضي حدثنا عمرو بن مرزوق، وقال الدارمي: حدثنا عثمان بن عمر قال حدثنا مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لقد أوتي الأشعري أو أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود . أخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله ابن نمير عن أبيه عن مالك بن مغول، وقال أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده: حدثنا شريح بن يونس حدثنا خالد بن نافع عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ وعائشة مرا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته، فلما أصبح أتى أبو موسى رسول الله ﷺ فذكر له فقال : أما أني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيرا. أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة خالد بن نافع وهو مختلف=

ورأى هيثم القارئ رسول الله ﷺ فى المنام قال: فقال لى: أنت الهيثم الذى تزين القرآن بصوتك ؟ قلت: نعم، قال : جزاك الله خيرا. وفى الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا

= فيه، وقال محمد بن أبى عمر المدنى فى مسنده: حدثنا بشر بن السرى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ أن أبا موسى كان يقرأ ذات ليلة فجعل أزواج النبى ﷺ يستمعن لقراءته فلما أصبح أخبر بذلك فقال : لو علمت لحبرته تحبيرا أو لسوقتكن تسويقا. أخرجه أحمد بن منيع فى مسنده ومحمد بن سعد فى الطبقات جميعا عن يزيد بن معروف، زاد ابن سعد وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة وزاد فيه: وكان حلو الصوت، والمراد بالمزمار فى الحديث الصوت الحسن وأصله الآلة التى يزمر بها، شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار، وآل داود هنا داود نفسه ولفظ الآل مقحم، وقيل معناه هنا الشخص وداود هذا هو النبى ﷺ وقد كان إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقراءة ،وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا عبد الله بن محمد البغوى حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى وحدثنا صفوان بن عيسى حدثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى قال: صلى بنا أبو موسى الأشعرى صلاة الصبح فما سمعت صوت صنج ولا بربط كان أحسن صوتا منه . هذا موقوف صحيح أخرجه أبو عبيد فى الفضائل ومحمد بن سعد فى الطبقات كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا سليمان التيمى، **قال الولى العراقى:** فى شرح التقريب :استدل بهذا الحديث على أنه لا بأس بالقراءة بالألحان وبه قال أبو حنيفة وجماعة من السلف ،وقال بكراهتها مالك وأحمد والجمهور، ونقل المزنى والربيع المرادى عن الشافعى أنه لا بأس بها ونقل عنه الربيع الجيزى أنها مكروهة، قال بعض الأصحاب: وليس فى هذا اختلاف ولكن موضع الكراهة أن يفرط فى المد وفى إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء أو يدغم فى غير موضع الإدغام فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة، وكذا حمل الحنابلة نص إمامهم على الكراهة على هذه الصورة وهى كراهة تنزيه ، وقال النووى فى الروضة : الصحيح أنه إذا فرط على الوجه المذكور فهو حرام، صرح به صاحب الحاوى فقال: هو حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم ، وهذا مراد الشافعى بالكراهة، وذكر الإسنوى فى المهمات أن تصحيح النووى فى هذه المسألة ضعيف مخالف لكلام الشافعى والأصحاب فلا معول عليه، قال: ثم إن القول بالتفسيق بتقدير التحريم مشكل لا دليل عليه بل الصواب على هذا التقدير أن يكون صغيرة . اهـ. وقال أبو العباس القرطبى بعد ذكره الخلاف فى ذلك: ولاشك أن موضع الخلاف فى هذه المسألة إنما هو إذا لم يغير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان أو يبهم معناه بترديد الأصوات فلا يفهم معنى القرآن فإن هذا مما لا أشك فى تحريمه فأما إن سلم من ذلك وحذا به حذو أساليب الغناء والتطريب والتحزين فقط فقال مالك : ينبغى أن تنزه أذكار الله وقراءة القرآن عن التشبه بأحوال المجون والباطل فإنها حق وجد وصدق والغناء هزل ولهو ولعب، وهذا الذى قاله مالك وجمهور العلماء هو الصحيح . اهـ. وفى الحديث منقبة لأبى موسى الأشعرى، وفيه جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا لم يخش من ذلك مفسدة بحصول العجب للممدوح، والله أعلم .

اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضي الله عنه: ذكِّرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط، فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول: أولسنا فى صلاة، إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت: ٤٥). وقال ﷺ : « من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة » (٨٩٦). وفى الخبر : كتب له عشر حسنات، ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع .

★ ★ ★

(٨٩٦) حديث : « من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » وفى الخبر: كتب له عشر حسنات، هذا لفظ القوت وسياقه، **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث أبى هريرة: من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا إلى يوم القيامة، وفيه ضعف وانقطاع . اهـ.

وقال مرتضى: قال الهيثمى: فيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره، وقد رواه ابن مردويه أيضا من هذا الطريق إلا أنه قال: نورا يوم القيامة، وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس: من استمع إلى كتاب الله عز وجل كان له بكل حرف حسنة. وعند ابن عدى والبيهقى من حديثه: من استمع حرفا من كتاب الله طاهرا كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات .... الحديث، وروى الديلمى عن أنس: من استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة .

الباب الثالث : فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلى عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى .

(فالأول): فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معانى كلامه الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر إذا يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق، ولهذا عبَّر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به. ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك أنه دعا بعضَ الملوكِ حكيمٌ إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه، فقال الملك: أرأيت ما تأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله؟ فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير

والأصوات القريبة من أصواتها لكى يطيقوا حملها، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوءة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا، فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها، والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل وهو القاضى العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره، وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها، وكالنجوم الزاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشريان الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغى أن يقتصر عليه .

(الثانى): التعظيم للمتكلم، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٧٩) . وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمسّ جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربى . . . هو كلام ربى، فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضر عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله العرش والكرسى والسماوات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ،وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله وإن

عاقب فبعدله وأنه الذى يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى، وهذا غاية العظمة والتعالى، فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام .

(الثالث) : حضور القلب وترك حديث النفس، قيل فى تفسير : ﴿ يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ (مريم : ١٢). أى بجد واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره ،وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تُحَدِّث نفسك بشيء؟ فقال: أوَ شيء أحب إلىَّ من القرآن حتى أحدث به نفسى. وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية، وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر فى غيره وهو فى متنزه ومتفرج، والذى يتفرج فى المنتزهات لا يتفكر فى غيرها فقد قيل إن فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات، فالميمات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصيره، والمسبحات عرائس القرآن، والحاميمات ديابيج القرآن، والمفصل رياضه، والخانات ما سوى ذلك، فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه فى الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره .

(الرابع) : التدبر وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر فى غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر، ولذلك سن فيه الترتيل لأن الترتيل فى الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن، قال على ﷺ: لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها، وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقى فى تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه، وكذلك إن كان فى تسبيح الركوع وهو متفكر فى آية قرأها إمامه فهذا وسواس، فقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه قال: الوسواس يعترينى فى الصلاة، فقيل: فى أمر الدنيا؟ فقال : لأن تختلف فىَّ الأسنة أحب إلىَّ من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى عز وجل وأنى كيف أنصرف، فعدَّ ذلك وسواسا وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه ، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به

عن الأفضل، ولما ذكر ذلك للحسن قال: إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا، ويروى أنه ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (٨٩٧). وإنما رددها ﷺ لتدبره في معانيها، وعن أبي ذر قال: « قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ الآية (المائدة: ١١٨)» (٨٩٨).

وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ الآية (الجاثية: ٢١).

---

(٨٩٧) حديث: « أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة » كذا في القوت، **قال العراقي:** رواه أبو ذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. انتهى.

وقال مرتضى: كأنه يشير إلى أنه أخرجه من طريق أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه أخلاق النبي ﷺ من طريق روح بن مسافر عن محمد بن الملائي عن أبيه عن أبي هريرة أو عن محمد عن أبي هريرة قال: صحبت النبي ﷺ في سفر في ليلة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فبكى حتى سقط فقرأها عشرين مرة كل ذلك يبكي حتى يسقط، ثم قال في آخر ذلك: لقد خاب من لم يرحمه الرحمن الرحيم. روح أبو بشر كناه البخاري وغيره وكناه لوين أبا المعطل وهو أحد المتروكين تركه ابن المبارك وأحمد وابن معين، قال ابن حبان: لا تحل.

(٨٩٨) حديث: عن أبي ذر قال: « قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (المائدة: ١١٨) ». **قال العراقي:** رواه النسائي وابن ماجه بسند صحيح. اهـ.

وقال مرتضى: قال الضياء المقدسي صاحب المختارة: أخبرنا أبو زرعة اللفتواني أخبرنا الحسين بن عبد الملك أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن أخبرنا جعفر بن عبد الله حدثنا محمد بن هارون حدثنا محمد بن بشار وعمرو بن علي قالا حدثنا يحيى بن سعيد، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا مروان بن معاوية ويحيى بن سعيد قالا: حدثنا قدامة بن عبد الله، وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن قدامة العامري عن حسبرة بنت دجاجة العامرية قالت: حدثنا أبو ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح يقوم بها ثم يركع ويسجد، فقال القوم لأبي ذر: آية آية، فقال: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. هذا لفظ أبي عبيد وساقه الإمام أحمد مختصرا وأعاده مطولا جدا، وأخرجه أيضا عن واسع عن قدامة نحو رواية أبي عبيد، وأخرجه ابن خزيمة وابن ماجه جميعا عن يحيى بن حكيم عن يحيى بن سعيد نحو رواية أبي عبيد، وله شاهد أخرجه أحمد أيضا من حديث أبي سعيد مختصرا، وأخرجه سعيد بن منصور من مرسل أبي المتوكل الناجي ورواته ثقات.

وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس:٥٩)،وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر، وكان بعضهم يقول: آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعدلها ثوابا، وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال: إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها، وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها ، وقال بعض العارفين: لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه، وكان هذا أيضا يقول: أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة.

(الخامس) : التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار: أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١١) . وكقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ (الحشر: ٢٣) . فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين، وإليه أشار علىّ ﷺ بقوله: ما أسر إلىَّ رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه(٨٩٩) . فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم، وقال ابن مسعود ﷺ: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن، وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورا لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السماوات والأرض وغيرها، فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ

(٨٩٩) حديث : « ما أسر إلىَّ رسول الله ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا بأن يؤتى الله تعالى فهما فى كتابه» **قال العراقى** : رواه النسائى من رواية أبى جحيفة قال: سألنا عليا ﷺ فقلنا: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟ فقال: لا والذى خلق الجنة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عز وجل فهما فى كتابه . . . الحديث، وهو عند البخارى بلفظ: « هل عندكم شيء مما ليس فى القرآن » وقال مرة: ليس عند الناس، ولأبى داود والنسائى: فقلنا: هل عهد عندك رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس؟ فقال: لا، إلا ما فى كتابى . . . الحديث، ولم يذكر الفهم فى القرآن .

الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته، فينبغي أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه فى كل شىء إذ كل شىء فهو منه وإليه وبه وله، فهو الكل على التحقيق، ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه، ومن عرفه عرف أن كل شىء ما خلا الله باطل و أن كل شىء هالك إلا وجهه، لا أنه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض، وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ (الواقعة : ٦٣)، ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ (الواقعة : ٥٨)، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ (الواقعة: ٦٨)، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ (الواقعة :٧١). فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى، بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلطة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة ، كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (يس: ٧٧) . فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع.

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام، فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا ، وإذا سمع نصرته فى آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما فى القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف : ١٠٩) . ولذلك قال على رضي الله عنه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب، فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (محمد: ١٦). والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم ، وقد قيل: لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد .

(السادس): التخلى عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معانى القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن، قال ﷺ : « **لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت**» [(٩٠٠)]. ومعانى القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت .

وحجب الفهم أربعة :

أولها : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تتكشف له المعانى، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال: كيف

---

(٩٠٠) حديث : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت» تقدم تخريجه فى كتاب الصوم، وقد ثبت بالحديث حومات الشياطين على قلوب الآدميين والحجب كناية عن ذلك .

يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك، فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله، ولمثل هذا قالت الصوفية : إن العلم حجاب، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيقي الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب، وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلا فى القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه، ولو استقر فى نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث ولتواصل، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل، وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد .

ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه، فالقلب مثل المرآة والشهوة مثل الصدأ ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة، ولذلك قال ﷺ : « **إذا عظَّمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى** »(٩٠١).قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرآن، وقد شرط الله عز وجل الإنابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق: ٨) • وقال عز وجل :

(٩٠١) حديث : « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى » **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل بن عياض قال: ذكر عن نبى الله ﷺ . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى هريرة بلفظ: إذا عظمت أمتى الدنيا نزع منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى، وإذا تساءت أمتى سقطت من عين الله .

﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ (غافر : ١٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : ٩) . فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب .

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار؛ فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول على ﷺ : إلا أن يؤتى الله عبداً فهما فى القرآن، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

(السابع): التخصيص، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى ﷺ وأمته ، ولذلك قال تعالى : ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾(هود :١٢٠).فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى، وكيف لا يُقدِّر هذا والقرآن ما أُنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ (البقرة : ٢٣١) . وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠) . ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : ٤٤) . ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ (محمد : ٣) . ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ (الزمر: ٥٥) . ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٠) . ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٨) . وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود، قال تعالى :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (الانعام : ١٩) . قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه إليه ليتأمل ويعمل بمقتضاه، ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها فى الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات والسنن المتبعات، وكان مالك بن دينار يقول؟ ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال تعالى : ﴿ هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء : ٨٢) .

(الثامن): التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾ (طه:٨٢). ثم أتبع ذلك بأربعة شروط : ﴿ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه: ٨٢) . وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ﴾ (العصر : ١-٣). ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الاعراف : ٥٦). فالإحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن، ولذلك قال الحسن: والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقلّ فرحه، وكثر بكاؤه وقَل ضحكه، وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته. وقال وهيب بن الورد: نظرنا فى هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح ، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر

فى باطنه حياء من قبيح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: « اقرأ علىَّ » . قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١) . رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لى : « حسبك الآن » (٩٠٢) . وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية، ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد، ومنهم من مات من سماع الآيات فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه، فإذا قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام : ١٥) . ومن لم يكن خائفا كان حاكيا وإذا قال: ﴿ عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة : ٤). ومن لم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا ، وإذا قال : ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ﴾ (إبراهيم : ١٢) . فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة ، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود: ١٨) . وفى قوله تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣) . وفى قوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء : ١) . وفى قوله : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (النجم: ٢٩) . وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات : ١١) . إلى غير ذلك من الآيات، وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة : ٧٨)،يعنى التلاوة المجردة، وقوله عز وجل : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف : ١٠٥) . لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات فى السماوات والأرض، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى:

---

(٩٠٢) حديث : قال رسول الله ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه : « اقرأ علىَّ، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى قال : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ٤١) . رأيت عينيه تذرفان، أى تفيضان بالدمع، فقال لى: حسبك الآن » . أى أمسك عن القراءة. تقدم تخريج الحديث فى الباب الذى قبله .

ما لك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى إن لم تتب إلىَّ . ومثال العاصى إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب إليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت، ولذلك قال يوسف بن أسباط: إنى لأهم بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار. والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران : ١٨٧) . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « **اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه** » (٩٠٣). وفى بعضها : « **فإذا اختلفتم فقوموا عنه** » قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ (الأنفال : ٢) .

وقال ﷺ : « **إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى** » (٩٠٤).

---

(٩٠٣) حديث : «اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه ،وفى بعضها : إذا اختلفتم فيه فقوموا عنه » هكذا أورده فى القوت بالروايتين، **قال العراقى** : متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى باللفظ الثانى دون قوله: ولانت جلودكم . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد والنسائى ورواه مسلم أيضا والطبرانى عن أبى بكر، ورواه النسائى أيضا عن معاذ بن جبل، ومعنى الحديث: دوموا على قراءته ما دامت قلوبكم تألف القراءة بنشاط وخواطركم مجموعة .

(٩٠٤) حديث : « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى » ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه ولا يقربه حتى يعنى فيه وينظر إليه فعندها عرف سر الخطاب واطلع على باطن الكتاب، **قال العراقى:** رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث جابر . اهـ.

قال مرتضى : ورواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة والبيهقى فى السنن والخطيب فى التاريخ عن ابن عباس، ورواه السجزى فى الإبانة والخطيب أيضا عن ابن عمر ورواه الديلمى عن عائشة كلهم بلفظ أحسن الناس قراءة الذى إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله . أما حديث جابر الذى أشار إليه العراقى فرواه ابن ماجه عن بشر بن معاذ حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع عن أبى الزبير عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إن أحسن=

وقـــال ﷺ : « لا يسمع الـقرآن من أحد أشـهى منه ممن يخشى الـله عز وجل»(٩٠٥).

= الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعت قراءته حسبت أنه يخشى الله. ورواه الآجرى فى فوائده عن عمر بن أيوب السقطى حدثنا القواريرى حدثنا عبد الله بن جعفر فذكر مثله وأخرجه ابن أبى داود من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر وهو المدينى والد على، وفيه وفى شيخه إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع ضعف وهذا معنى قول العراقى بسند ضعيف، وأما حديث ابن عمر فروى من طرق منها مرسل رواه سفيان الثورى عن ابن جريج عن ابن أبى طاوس عن أبيه وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ : من أحسن الناس صوتا بالقرآن؟ قال: الذى إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله، وقال الدارمى: حدثنا جعفر حدثنا مسعر عن عبد الكريم عن طاوس بنحوه، وهكذا أخرجه محمد بن نصر من رواية وكيع عن مسعر وهو مرسل حسن السند، وجاء من وجه آخر عن طاوس موصولا قال عبد بن حميد: حدثنا عثمان بن عمر حدثنا مرزوق أبو بكر عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سئل: أى الناس أحسن قراءة؟ قال: الذى إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل. أخرجه محمد بن نصر عن محمد بن يحيى عن عمر بن أبى عمر عن مرزوق، وأخرجه ابن أبى داود فى كتاب الشريعة عن عبد الله بن محمد عن أبى نعيم عن مرزوق مولى طلحة الباهلى، وثقه أبوزرعة الرازى، ومنها قال الطبرانى: حدثنا أحمد بن زهير حدثنا محمد ابن معمر حدثنا حميد بن حماد عن مسعر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قيل للنبى ﷺ : من أحسن الناس صوتا بالقرآن . . . فذكر مثله، وأخرجه البزار عن محمد بن معمر وأخرجه ابن أبى داود من وجه آخر عن حميد بن حماد، قال البزار: لم يتابع حميد عليه وإنما رواه مسعر عن عبد الكريم، يعنى كما تقدم مرسلا، وحديث طاوس شاهد من مرسل الزهرى، قال عبد الله بن المبارك: حدثنى يونس بن يزيد عن الزهرى بلغنا عن النبى ﷺ قال: أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله .

(٩٠٥) حديث : « لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل » **قال العراقى:** رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكر أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرآن. اهـ.

وقال مرتضى: ولم يذكر صحابيه، وقد رواه ابن المبارك عن طاوس مرسلا، ورواه السجزى فى الإبانة عن طاوس عن أبى هريرة، فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به، والاهتداء بأنواره، وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بالحروف خفيفة ولذلك قال بعض القراء: قرأت القرآن، ولفظ القوت: وحدثنى شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال: قرأت القرآن على شيخ لى ثم لما ختمته عليه رجعت إليه لأقرأ ثانيا فانتهرنى وقال: جعلت القراءة علىَّ عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك، ولقد كان شغل الصحابة ﷺ فى الأحوال والأعمال لا فى الأقوال فمات ﷺ عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف منهم فى اثنين، ففى الصحيحين من حديث أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أُبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد=

فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة ، ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لى ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرنى، وقال: جعلت القرآن علىَّ عملاً اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك، وبهذا كان شغل الصحابة ﷺ فى الأحوال والأعمال فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم، إلا ستة اختلف فى اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) . قال : يكفى هذا وانصرف ، فقال ﷺ : « انصرف الرجل وهو فقيه» (٩٠٦) .

= وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى، وزاد ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الشعبى مرسلا: وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد، وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر: واستقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب، وقال صاحب القوت عن بعضهم: ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد وختم ابن عباس على أبى وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفة على أبى هريرة وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. رواه ابن الأنبارى فى المصاحف بسنده إلى عمر ﷺ قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها . . . الحديث، وسنده ضعيف، وكان الذى يحفظ الحزب منه وهو السبع أو البقرة والأنعام يعد من علمائهم، روى الترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال: ما معك يا فلان ؟ قال: معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت أميرهم . . . الحديث . وروى أحمد فى مسنده من حديث أنس قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فى أعيننا ، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمانى سنين. رواه مالك فى الموطأ .

(٩٠٦) حديث : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبى ﷺ وهو يقرأ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) . فقال: يكفينى هذا فانصرف، فقال النبى ﷺ: « انصرف الرجل وهو فقيه» .
قال العراقى : رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أقرئنى يا رسول الله . . . الحديث، وفيه: فأقرأه رسول الله ﷺ إذا زلزلت الأرض زلزالها حتى فرغ منها، فقال الرجل. . . إلخ.=

وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى مَنَّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤)، وبقوله عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه : ١٢٦)، أى تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فإن المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر، وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعانى، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ .

(التاسع) : الترقى وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث:

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال .

الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصوراً لهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين، وعن الدرجة العليا أخبرنا جعفر بن محمد الصادق ﷺ قال: والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون، وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : ما زلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته، ففى مثل هذه الدرجة تعظيم الحلاوة ولذة المناجاة، ولذلك قال بعض الحكماء: كنت

= ولأحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة، وقال: حتى لا أبالى ألا أسمع غيرها .

أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله ﷺ يتلو على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه . وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة ترتقى إلى مشاهدة المتكلم فى الكلام، ولذلك قال ثابت البنانى: كابدت القرآن عشرين سنة. وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات : ٥٠). ولقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ (الذاريات : ٥١).فمن لم يره فى كل شىء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفى، بل التوحيد الخالص ألا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل .

(العاشر) : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ، ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى، فقيل له: هذا الظلم فما بال الكفر، فتلا قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم : ٣٤).وقيل ليوسف بن أسباط :إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال :بماذا أدعو . . أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة. فإذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه، فإن من شهد البعد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها، ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه، ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت، قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد قال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت، فقال: لولا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك إنى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلى

روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت، وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها، ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا، إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل .

★ ★ ★

الباب الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول: عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه، فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ: « من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (٩٠٧).وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا إلى أنه كفر، فإن صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره، وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ؟ فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم يرد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه، بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم، قال على ﷺ: إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن (٩٠٨).فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما

(٩٠٧) حديث : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب العلم ،وروى النقاشنى فى مقدمة تفسيره عند أبى عصمة عن زيد العمى عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رفعه: من فسر القرآن برأيه فأصاب تكتب عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم، فإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار. وروى عن الحسن عن أبى هريرة: من فسر القرآن على رأيه فإن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ محى النور من قلبه. ومن حديث جندب ابن عبد الله رفعه : من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، وليس فى الكتب الستة إلا حديث ابن عباس وهو الذى ذكرناه قبل، وحديث جندب بمعنى ما هنا، وحديث جندب رواه الترمذى وقال: غريب، ورواه النسائى وابن جرير والبغوى وابن الأنبارى فى المصاحف والطبرانى وابن حبان، ويروى عن ابن عباس أيضا مرفوعا: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. رواه الترمذى وصححه وابن الأنبارى والطبرانى والبيهقى، وروى الديلمى من حديث أبى هريرة: من فسر القرآن برأيه وهو على وضوئه فليعد وضوأه .

(٩٠٨) حديث : قال على ﷺ : « إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن » وقد تقدم فى الباب الذى قبله.

ذلك الفهم، وقال ﷺ : « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » (٩٠٩) . ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير، فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع، وقال على كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب، فما معناه وتفسير ظاهرها فى غاية الاقتصار ،وقال أبو الدرداء :لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها، وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر، وقال آخرون: القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع، وترديد رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة (٩١٠).لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير ، وقال ابن مسعود ﷺ: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن، وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر، وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففى القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره، ولذلك قال ﷺ : « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه» (٩١١) . وقال ﷺ فى حديث على كرم

---

(٩٠٩) حديث : « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا » رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود مرفوعا ، وتقدم ذلك فى قواعد العقائد بلفظ: ظاهرا وباطنا، ويروى أيضا ذلك عن ابن مسعود موقوفا عليه أى من قوله ولم يرفعه ، ذكره صاحب القوت وهو - أى ابن مسعود - من علماء التفسير.

(٩١٠) حديث : « وترديد رسول الله ﷺ لبسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة » لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر فى بادئ الرأى ولا يحتاج مثله ﷺ إلى تكرير، وتقدم تخريجه قريبا .

(٩١١) حديث : « اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه » هكذا هو فى القوت، والمعنى: دوموا على قراءته والتمسوا معانيه الغريبة بالاستنباط والفهم. **قال العراقى** : رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وأبو يعلى الموصلى والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بلفظ: أعربوا، وسنده ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه الحاكم كذلك وقال :صحيح عند جماعة، وقد رد عليه الذهبى فى=

الله وجـهـه: « والذى بعثنى بالحق نبـيا لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتـها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قـبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم، من خالفه من الجبـابرة قصمه الله عز وجل ، ومن ابتغى العلم فى غـيره أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين ونـوره المبين وشفاؤه النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقـوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد ...» (٩١٢) الحديث .

= التلخيص فقـال: مجمع على ضعفـه، وقال الهيثمى: فـيه متروك، وقال الصـدر المناوى: فيه ضعيفـان، وأورده السيوطى فى الإتقان وقال: ليس المراد به الإعـراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن لأن القراءة مع فقده ليـست قراءة ولا ثواب فيها، وعلى الخائض فى ذلك التثبت والرجوع إلى كـتب أهل الفن وعدم الخـوض بالظن، وقد أفـرد بالتصنيف في غـريبه جماعة كأبى عبيدة وأبى عمر الزاهد وابن دريد، ومن أشـهرها كتاب العزيز فقد أقام فى تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنبارى ومن أحسنها المفردات للراغب .

(٩١٢) حديث : قـال ﷺ فى حديث على ﷺ : « والذى نفسى بيـده » ولفظ القوت: والذى بعثنى بالحق نبيا « لتفـترقن أمتى عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبـعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالـى فإن فيه نبأ ما كان قبلكم وبيان ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى- أى طلب - العلم فى غيره أضله الله تعالى، هو حبل الله المتين - أى القوى - ونوره المبين - أى الظاهر - وشفاؤه النافع - من سـائر الأمراض - وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبـعه لا يعوج - أى لا يقبل العوج - فـيقام - أى فيحتاج إلى إقـامته - لا يزيغ - أى لا يميل - فيستـقيم ولا تنقضى عجائبـه ولا يخلقه كثرة الترديد » إلى آخـر الحديث. أورده صاحب القوت بتمامـه فقال: هو الذى سمعته الجن فـما تناهى أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا: يا قومنا إنا سمـعنا قرآنا عجبا يهـدى إلى الرشـد، من قـال به صـدق ومن عـمل به أُجـر ومن تمسك به هدى إلى صـراط مستقيم. إلى هنا آخر الحديث. وقد بنـى المصنف على هذا خطبته من أولها إلى آخرها تضمينا له إياها كما أشرنا إليه هناك ووعدنا بذكر هذا الحديث، **قال العراقى** : هو عند الترمذى دون ذكر افتراق الأمة بلفظ: ألا ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم . . . فذكره مع اختلاف وقال: غريب وإسناده مجهول . اهـ.

قـال مـرتضى : هو من حديث الحارث الأعـور، قال الذهبى : حديثه فى فـضائل القرآن منكر، وأورده السيوطى فـى النوع الخامس والستين من الإتقان بلفظ: سـتكون فتن، قيل: وما المخرج منهـا؟ قال: كتاب الـله فيه نبأ مـا قبلكم وخبـر ما بعدكم وحكم مـا بينكم ، وقال : أخرجه الترمذى وغيره، قال صاحب القوت: قد روينا معناه فى حديث حذيفة .

وفى حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال: فقلت: يا رسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال: « **تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك** » قال: فأعدت عليه ذلك ثلاثا ، فقال ﷺ ثلاثا : « **تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة** » (٩١٣).وقال على كرم الله وجهه: من فهم القرآن فسر به جمل العلم، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة : ٢٦٩). يعنى الفهم فى القرآن ، وقال عز وجل : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (الأنبياء : ٧٩) - سمي ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم، فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، فأما قوله ﷺ من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه ﷺ ، وقول أبى بكر رضي الله عنه : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيي (٩١٤) ، إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر، وباطل قطعا أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد فى القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :

أحدها : أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله ﷺ ومسندًا إليه وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن ، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهما فينبغى ألا

---

(٩١٣) حديث : « حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده، قال: قلت: يا رسول الله فما تأمرنى إن أدركت ذلك؟ قال: تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك، قال: فأعدت عليه ثلاثا، فقال ﷺ تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة، ثلاثا» **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى وفيه: تعلم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاثا .

(٩١٤) حديث : « من فسر القرآن برأيه ونهيه ﷺ عنه» وقول أبى بكر رضي الله عنه حين سئل عن قوله تعالى: وفاكهة وأبا ،فقال: أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيي رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن من طريق إبراهيم التيمى عنه بلفظ: إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم. وروى أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: وفاكهة وأبا فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ،ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، فهؤلاء الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا فى ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئا .

يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة ﷺ .

والثانى : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقى فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن «ألر» هى حروف من الرحمن، وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا .

والثالث: أنه ﷺ دعا لابن عباس ﷺ وقال: « **اللهم فقّهه فى الدين وعلمه التأويل**»(٩١٥) . فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك .

والرابع: أنه قال عز وجل : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣) . فأثبت لأهل العلم استنباطا ،ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله، وأما النهى فإنه ينزل على أحد وجهين :

أحدهما : أن يكون له فى الشىء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه، وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه، الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب

(٩١٥) حديث : دعا لابن عباس وقال: « اللهم فقّهه فى الدين وعلمه التأويل » رواه الطبرانى عن ابن عباس ولفظه: أنه كان فى بيت خالته ميمونة ﷺ فوضع للنبى ﷺ طهورا، فقال النبى ﷺ : من وضعه؟ قيل: ابن عباس، قال: فضرب على منكبى وقال . . . فذكره، وقد تقدم فى الباب الثانى من كتاب العلم، وقال له أيضا: اللهم آته الحكمة، وفى رواية : اللهم علمه الحكمة ،وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قال: دعا رسول الله ﷺ لابن عباس: اللهم بارك فيه وانشر فيه .

برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ: « تسحروا فإن فى السحور بركة » (٩١٦). ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول: قال الله عز وجل: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (النازعات : ١٧) ، ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون ، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى، ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى .

والوجه الثانى: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى، فالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط، والغرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعى فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لابد منها للفهم وما لابد فيه من السماع فنون كثيرة منها الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ (الإسراء : ٥٩). معناه: آية

(٩١٦) حديث : « تسحروا فإن فى السحور بركة » رواه أحمد والشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس، ورواه النسائى أيضا عن أبى هريرة وابن مسعود وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب العلم .

مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا؟ وأنهم ظلموا، غيرهم أو أنفسهم، وقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (البقرة : ٩٣) . أي حب العجل فحذف الحب ، وقوله عز وجل : ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء : ٧٥) . أي ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة ، وقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (يوسف : ٨٢) . أي أهل القرية وأهل العير فالأهل فيهما محذوف مضمر ، وقوله عز وجل : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف: ١٨٧) . معناه خفيت على أهل السماوات والأرض والشيء إذا خفي ثقل فابدل اللفظ به وأقيم في مقام على وأضمر الأهل وحذف، وقوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: ٨٢). أي شكر رزقكم ، وقوله عز وجل : ﴿ وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٩٤). أي على ألسنة رسلك فحذف الألسنة ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر : ١). أراد القرآن وما سبق له ذكر، وقال عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ (ص: ٣٢) . أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ (الزمر: ٣). أي يقولون : ما نعبدهم ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (النساء : ٧٨ ، ٧٩) . معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (النساء : ٧٨). وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية. ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (التين: ٢).أي طور سيناء ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ (الصافات: ١٣٠). أي على إلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود « سلام على إدراسين » ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ (يونس: ٦٦) . معناه : وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن ، وقوله عز وجل : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ

﴿ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ (الأعراف : ٧٥). معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا، ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (طه : ١٢٩) . معناه : لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما، ولولاه لكان نصبا كاللزام ، وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾ (الاعراف : ١٨٧) . أى يسألونك عنها كأنك حفى بها ، وقوله عز وجل : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (الأنفال: ٤، ٥).فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق : قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، أى فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ (الممتحنة : ٤). ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف، أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح ونظائرها، قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ (النحل : ٧٥) . أراد به النفقة مما رزق ، وقوله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ (النحل : ٧٦) . اى الأمر بالعدل والاستقامة ، وقوله عز وجل : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ (الكهف : ٧٠) . أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق ، وقوله عز وجل : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ (الطور: ٣٥) . اى من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء .

وأما القرين فكقوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (ق:٢٣، ٢٤) . أراد به الملك الموكل به ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ ﴾ (ق: ٢٧) . أراد به الشيطان .

وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه : الأمة الجماعة كقوله تعالى : ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ (القصص : ٢٣)، وأتباع الأنبياء كقوله : نحن من أمة محمد ﷺ ، ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ (النحل : ١٢٠). والأمة الدين كقوله

عز وجل : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (الزخرف: ٢٢) . والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل : ﴿ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ (هود: ٨). وقوله عز وجل: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف: ٤٥).والأمة القامة يقال: فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد، قال ﷺ : «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» (٩١٧).والأمة الأم يقال: هذه أمة زيد، أى أم زيد. والروح أيضا ورد فى القرآن على معان كثيرة فلا نطول بإيرادها، وكذلك قد يقع الإبهام فى الحروف مثل قوله عز وجل: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (العاديات: ٤، ٥).فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهى الموريات أى أثرن بالحوافر نقعا ، والثانية كناية عن الإغارة وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فأغاروا بجمعهم، وقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ (الأعراف : ٥٧).يعنى السحاب، فأخرجنا به من كل الثمرات يعنى الماء، وأمثال هذا فى القرآن لا ينحصر ومنها التدريج فى البيان كقوله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (البقرة : ١٨٥).إذ لم يظهر به أنه ليل أونهار وبان بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ (الدخان: ٣).ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر : ١).وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع، فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه، مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور على علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا

(٩١٧) حديث : « يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده » **قال العراقى** : رواه النسائى فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر بإسنادين جيدين . ا هـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث سعيد بن زيد، وأبو يعلى والبغوى وابن عدى وتمامه من حديث جابر بلفظ : سئل النبى ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : يبعث يوم القيامة أمة وحده بينى وبين عيسى .

يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى، ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال: ١٧) . فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض فإنه إثبات للرمى ونفى له وهما متضادان فى الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه، الذى لم يرم رماه الله عز وجل، وكذلك قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (التوبة : ١٤) . فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ، وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال، فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال: ١٧) . ولعل العمر لو أنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغنى عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ فى سجوده: « **أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك** » (٩١٨) . أنه قيل له: اسجد واقترب، فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسخط وصفان، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات فقال: أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: لا أُحصى ثناء عليك، ثم علم أن ذلك قصور فقال : أنت كما أثنيت على نفسك. فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة

---

(٩١٨) حديث : قوله ﷺ فى سجوده: « أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك » الحديث رواه الستة إلا البخارى من حديث عائشة رضي الله عنها .

بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره، فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر، والله أعلم .

تم كتاب آداب التلاوة، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم .

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات، والله المستعان لا رب سواه .

★ ★ ★

[illegible]

وفيه خمسة مطالب

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأذكار والدعوات

الحمد لله الشاملة رأفته، العامة رحمته، الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة :١٥٢)، ورغبهم فى السؤال والدعاء بأمره فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) . فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة : ١٨٦) . والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلّم تسليما كثيرا.

أما بعد.. فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى، فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الأذكار، وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة :

(الباب الأول): فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا.

(الباب الثانى): فى فضيلة الدعاء وآدابه ، وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ .

(الباب الثالث): فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها .

(الباب الرابع) : فى أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة .

(الباب الخامس) : فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

الباب الأول فى فضيلة الذكر وفائدته

على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة (من الآيات) قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة : ١٥٢) - قال ثابت البنانى رحمه الله : إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ، ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : إذا ذكرته ذكرنى .

وقال تعالى : ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الاحزاب : ٤١) .

وقال تعالى : ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ (البقرة : ١٩٨) .

وقال عز وجل : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة : ٢٠٠) .

وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران : ١٩١).

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء : ١٠٣) .

قال ابن عباس ﷺ : أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية .

وقال تعالى فى ذم المنافقين : ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء : ١٤٢) .

وقال عز وجل : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف : ٢٠٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت : ٤٥) .

قال ابن عباس ﷺ : له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه، والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه. إلى غير ذلك من الآيات .

(وأما الأخبار) فقد قال رسول الله ﷺ : « **ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم** » (٩١٩) .

وقال ﷺ : « **ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين** » (٩٢٠).

وقال ﷺ : « **يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي** » (٩٢١) .

---

(٩١٩) حديث : قال رسول الله ﷺ : «ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم» **قال العراقي** : رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقالا : في وسط الشجر، الحديث .اهـ.

قال مرتضى: المذكور هنا قطعة من الحديث ولفظه : ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصرير، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وعجم، وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله عز وجل مقعده من الجنة. وقول العراقي بسند ضعيف أي لأن فيه عمران بن مسلم القصير قال في الميزان: قال البخاري: منكر الحديث، ثم أورد له هذا الحديث، ولكن ذكر السيوطي في الجامع الكبير أنه رواه ابن صصرى في أماليه وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وقال: حديث صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ . اهـ.

(٩٢٠) حديث : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين » هكذا في سائر نسخ الكتاب ولم يتعرض له العراقي وكأنه لم يكن عنده ، وفي نسخة أخرى: كالحي بين الأموات، وهو قطعة من حديث ابن عمر عند الجماعة وهو الذي تقدم قبله بلفظ: مثل الذي يقاتل عن الفارين، وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود : ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين، وعند البيهقي في السنن من حديث ابن عمر في إحدى رواياته: كالمقاتل عن الفارين، الحديث .

(٩٢١) حديث : « يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » **قال العراقي** : رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة، والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد .اهـ.

=

وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع» (٩٢٢).

وقال ﷺ : «من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » (٩٢٣).

وسئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل »(٩٢٤).

= قال مرتضى : وعلقه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة بصيغة الجزم، ورواه ابن حبان أيضا من حديث أبى الدرداء ، وابن عساكر عن أبى هريرة، وعند مسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى . . . الحديث بطوله .

(٩٢٢) حديث : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » رواه أحمد عن معاذ بن جبل، قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبى زياد راويه لم يدرك معاذا أى فهو منقطع.

قال مرتضى : زياد بن أبى زياد إنما رواه عن أبى بحرية عن معاذ فعلى هذا لا انقطاع إلا أنه رواه موقوفا، ورواه مالك فى الموطأ عن زياد عن معاذ موقوفا ولم يذكر أبا بحرية واسمه عبد الله بن قيس شامى ثقة تابعى، وأما المرفوع فرواه عثمان بن أبى شيبة من طريق أبى الزبير عن طاوس عن معاذ وهو منقطع أيضا لأن طاوسا لم يلق معاذا، وقد روينا فى هذا الحديث زيادة وهى قوله: (قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع) وهكذا رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بإسناد حسن قال الهيثمى: وقد رواه الطبرانى أيضا عن جابر مثله بسند رجاله رجال الصحيح، ورواه الفريابى كذلك فى كتاب الذكر عن أبى خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد عن ابن الزبير عن جابر مرفوعا مثل سياق حديث طاوس عن معاذ ، ومعنى كون الذكر أنجى من العذاب لأن حظ أهل الغفلة يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات حين عمروها بذكره وسائر ما عداه هدر وكيف ونهارهم شهوة ونومهم استغراق وغفلة فيقدمون على ربهم فلا يجدون عندهم ما ينجيهم إلا ذكر الله تعالى .

(٩٢٣) حديث : « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » رواه ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى فى الكبير من حديث معاذ بسند ضعيف، ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس، وهو عند الترمذى بلفظ: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب العلم، والمراد برياض الجنة حلق الذكر .

(٩٢٤) حديث : «وسئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ فقال: أن تموت ولسانك رطب بذكر=

وقال ﷺ : « أصبح وأمسِ ولسانك رطب بذكر الله عـز وجل تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة » (٩٢٥) .

وقال ﷺ : « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً » (٩٢٦) .

= الله عـز وجل » قال العـراقى: رواه ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والـبيهقى فى الشعب من حديث معاذ . اهـ.

قـال مـرتضى : قال الطبراني: حـدثنا إدريس بن عبد الكريم الحداد حـدثنا عاصم بن على حدثنا عبد الرحـمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بين نفيـر عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أى الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: أن تموت ولسانـك رطب من ذكر الله عـز وجل. ورواه الفريابى فى الذكـر عن عبد الـرحـمن بن إبراهيم الدمـشقى الحـافظ عن الوليد بن مـسلم عن عـبد الرحـمن بن ثابت مثله، وله شـاهد موقوف على أبى الدرداء أخرجه الفريابى من طريق معـاوية بن صلح عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفـير عن أبيه عـنه قال: إن الذين لا تزال ألسنـتـهم رطبة من ذكـر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون . وأخرج الترمذى والنسائى والفـريابى أيضا من طريق معاوية بن صلح عن عمرو بن قيس عن عـبد الله بن بشـر المازنى رضي الله عنه أن أعرابيـا أتى النبى ﷺ فقـال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثـرت علىَّ فأنبئنى بأمر أتشبث به، فقال: لا يـزال لسانك رطبا من ذكر الله. ورواه الطبرانى كذلك فى الدعاء .

(٩٢٥) حـديث : « أصبح وأمس ولـسانك رطب بذكـر الله عـز وجل تصبـح وتمسى وليس عليك خطيئة» قال العراقى: رواه أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس: من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة. وفيه من لا يعرف .

(٩٢٦) حديث : « لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن إعطاء المال سحا » وحطم السيوف كسرها من كثـرة القتال، وسحا أى فيضا ، قال العـراقى : روينـاه من حديث أنس بسند ضعيف فى الأصل وهو معروف من قول ابن عـمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد . اهـ.

قال مرتضى : رواه الديلمى عن أنس مرفوعا إلى قوله: فى سبيل الله. إلا أنه قال خير بدل أفضل ، وبتمامـه رواه ابن شاهين في الترغيب فى الذكر عن ابن عمـر مرفوعا، ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة عنه موقوفا .

وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى : إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه ، وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإذا مشى إليّ هرولت إليه » (٩٢٧) .

يعني بالهرولة سرعة الإجابة.

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله - من جملتهم - رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ...» (٩٢٨).

وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : وما ذاك يا رسول الله؟ قال : ذكر الله عز وجل دائما» (٩٢٩) .

---

(٩٢٧) حديث : « قال الله عز وجل : إذا ذكرني عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب إليّ شبرا تقربت منه ذراعا ، وإذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا مشى إليّ هرولت إليه » قال المصنف : (يعنى بالهرولة سرعة الإجابة) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ: يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ... الحديث .

(٩٢٨) حديث : قال ﷺ : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله » متفق عليه من حديث أبى هريرة، وقد تقدم تخريجه وتفصيله فى كتاب الزكاة .

(٩٢٩) حديث : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا :وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل دائما » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى الدرداء . اهـ.

. **قال مرتضى:** رواه جعفر الفريابى فى كتاب الذكر فقال: حدثنا أحمد بن خالد الخلال ويعقوب بن حميد قال الأول حدثنا مكى بن إبراهيم وقال الثانى حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن قالا: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبى هند عن زياد بن أبى زياد المخزومى عن أبى بحرية عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه إلا أنه قال: من إنفاق الذهب=

وقال ﷺ : قال الله عز وجل : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » (٩٣٠) .

(وأمـــا الآثار):فقد قال الفـضيل: بلغنا أن الله عز وجل قال: عبدى اذكـرنى بعد الصبح ساعة وبعد العـصر ساعة أكفك ما بينهما . وقـال بعض العلماء : إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه

= والورق ومن أن تلقوا، ولـم يقل فى آخره دائما، وهو حـديث مختـلف فى رفعه ووقـفه وفى إرساله ووصله أخـرجه أحمد عن مكى بن إبـراهيم وأخرجه ابن ماجـه عن يعقوب بن حمـيد وأخرجه الحـاكم من وجه آخر عن مكى بن إبراهيم وأخرجـه أحمد أيضا عن يحيى بن سـعيد القطان والترمذى من رواية الـفضل بن موسى كلاهما عن عـبد الله بن سعيد، قـال الترمذى: رواه بعضهم عن عـبد الله بن سعيد فأرسله، قـال الحافظ: ورواه مالك فى الموطأ عن زياد بن أبى زياد قـال أبو الدرداء . . . فذكـره موقـوفا ولم يذكـر أبا بحرية فى سنده، وقـد وقع هذا الحديـث أيضـا من وجه آخـر عن أبى الدرداء موقوفا أخـرجه الفـريابى من طـريق صـالح بن أبى عريب عن كثـير بن مرة قال: سمعت أبـا الدرداء يقول . . . فذكره نحوه بتمـامه ورجاله ثقات.

(٩٣٠) حديث : « قال الله عز وجل: من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »

قال العراقى: رواه البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وصـفوان بن أبى الصـهـباء ذكـره ابن حبـان فى الضـعفـاء وفى الثقـات أيضا . اهـ.

قال مرتضى : ورواه البخارى أيضا فى خلق أفعال العباد، ورواه البيهقى أيضا فى السنن عن عمر وعن جابر أيضا عنهما ، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف عن عمرو بن مرة مرسلا بلفظ فـوق بدل أفضل، وتقـدم للمصنف فى الكتـاب الذى قبله بلفظ: أعـطيته أفـضل ثواب الشاكرين، وهكذا رواه ابـن الأنبارى فى الوقف وابن شاهين فى الترغيب فـى الذكر وأبو نعيم فى المعرفة وأبو عمـرو الدانى فى طبقات القراء عن أبى سعيد الخـدرى ولفظه: يقول الله تبارك وتعالى: مـن شغله القرآن عن دعـائى ومسـألتى . . . إلخ. ولفظ الدارمى والترمـذى والحكيم والبيـهقى من حـديث أبى سعـيد : يقـول الرب تبارك وتعـالى: من شغله القـرآن عن ذكرى ومسألتى والباقى كسياق المصنف، **وقول العراقى:** وصفوان بن أبى الصهباء . . . إلخ .

وقال مرتضى: اقتصر المزى فى ترجمة صفوان على توثيق ابن حبان له، وزاد الذهبى تضعيفه له أيضا فجمع العـراقى بين القولين واستدركه مغلطاى وزاد أن ابن شـاهين ذكره فى الثقات: وأن ابن خلفون قال فى الثقات أرجو أن يكون صدوقـا، وأن ابن معين وثقه فى رواية أبى سعيد بن الأعرابى عن عباس الدورى عنه وقد تقدم تحقيق هذا الحديث فى آخر كتاب الحج فراجعه .

وأنيسه . وقال الحسن : الذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . والله تعالى أعلم .

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » (٩٣١).

وقال ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم قد بُدِّلت لكم سيئاتكم حسنات » (٩٣٢).

---

(٩٣١) حديث : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حُفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » **قال العراقي:** رواه مسلم من حديث أبي هريرة . اهـ.

قال مرتضى: رواه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق هو السبيعي قال: سمعت الأغر يقول: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ». وأخرجه أبو داود والطيالسي عن شعبة وأخرجه أبو عوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب عن الطيالسي وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحسن: حدثنا يوسف القاضي حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة، وأخرجه مسلم أيضا والترمذي من رواية الثوري، والنسائي من رواية عثمان بن زريق، و ابن حبان من رواية أبي الأحوص كلهم عن أبي إسحاق، وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة أخرجها مسلم في أثناء حديث من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: « من نفّس عن مؤمن كربة . . . » فذكر الحديث، وفيه: « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » . وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة وابن حبان أيضا وابن شاهين في الترغيب وقال : حسن صحيح، عن ابن مسعود وأبي هريرة معا بمثل سياق مسلم وأوله موافق لما أورده المصنف .

(٩٣٢) حديث : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد=

وقال أيضا ﷺ : « ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة»(٩٣٣) .

وقال داود عليه السلام : إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فإنها نعمة تنعم بها علىّ .

وقال ﷺ : « المجلس الصالح يكفّر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء»(٩٣٤)

وقال أبو هريرة ﷺ : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم. وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون، فتقول الدنيا: دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك . وعن أبى هريرة ﷺ أنه دخل السوق فقال: أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم

= من السماء: قوموا مغفورا لكم وقد بدلت لكم سيئاتكم حسنات » **قال العراقى:** رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف من حديث أنس . اهـ.

قال مرتضى: هو مركب من حديثين الأول عن أنس عند أحمد وأبى يعلى والطبرانى فى الأوسط والضياء فى المختارة بلفظ: ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم. والثانى عن سهل بن الحنظلية عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن والضياء .

(٩٣٣) حديث : « ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا علىّ إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة » **قال العراقى :** رواه الترمذى وحسّنه من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : رواه عن أبى هريرة وأبى سعيد معا بلفظ: « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ». وعند ابن ماجه وابن شاهين من حديث أبى هريرة : « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا فيه ربهم ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ترة عليهم يوم القيامة إن شاء آخذهم الله وإن شاء عفا عنهم » .

(٩٣٤) حديث : « المجلس الصالح يكفّر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء » **قال العراقى :** ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل، ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسنادا . اهـ.

يروا ميـراثا، فقالوا : يا أبا هريرة، ما رأينـا ميراثًا يقسم فى المسـجد قال: فمـاذا رأيتم؟ قالوا: رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن، قال: فذلك ميراث رسول الله ﷺ (٩٣٥).

وروى الأعمش عن أبى صـالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخـدرى عنه ﷺ أنه قال :

«إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض، فضلا عن كتاب الناس، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلمـوا إلى بغيتكم، فيجيئون فيحـفون بهم إلى السماء، فيـقول الله تبارك وتعـالى: أى شىء تركـتم عـبـادى يصنعـونـه؟ فيـقـولون: تـركناهم يحـمـدونك ويمجـدونك ويسبحونك، فيقول الله تبارك وتعالى : وهـل رأونى؟ فيقولون : لا، فيقول جل جلاله: كيف لو رأونى ؟ فيـقولون : لو رأوك لكانوا أشد تسـبيحـا وتحميدا وتمجـيدا، فيـقول لهم : من أى شىء يتعوّذون ؟ فيقولون : من النار، فيقول تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون: لا ، فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها ؟ فيقـولون: لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا، فيـقول الله عز وجل : وأى شىء يطلبون؟ فيقولون : الجنة ، فيقول تعـالى : وهل رأوها ؟ فيقولون: لا ، فيقول تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فـيقولون : لو رأوهـا لكانوا أشد علـيهـا حرصـا، فـيقـول جل جـلاله : إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقولون : كان فـيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول الله عز وجل : هم القوم لا يشقى جليسهم» (٩٣٦).

(٩٣٥) حديث : « أبو هريرة ﷺ أنه دخل السوق فقال: أراكم ههنا وميراث محمد ﷺ يقسَّم فى المسجد، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السـوق فلم يروا ميراثا فقالوا : يا أبا هريرة ما رأينا فى المسجد مـيراثًا يقسم، قال: فمـا رأيتم؟ قالوا : رأينا قوما يذكـرون الله عز وجل ويقرءون القرآن، قال: فذلك مـيراث محمد ﷺ » **قال العـراقى :** رواه الطبرانى فى المعجم الصـغير بإسناد فيه جهالة وانقطاع .

(٩٣٦) حديث: الأعـمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سـعيد الخـدرى ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: « إن لله عز وجل ملائكة سياحـين فى الأرض فضلاً عن كتاب الناس . . . » الحديث . **قـال العـراقى :** رواه الترمذى من هذا الـوجه والحديث فى الصحيـحين من حديث أبى هريرة وحده ،وقد تقدم فى الباب الثالث من كتاب العلم . اهـ.

قال مـرتضى : يشير إلى أن البخـارى أخـرجـه من رواية الأعمـش عـن أبى صـالـح عن أبى هريرة بتمام السيـاق، وأشار إلى طريق سهيل تعليقا، وأخرجه مسـلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب بن خالد عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لـله ملائكة سيـارة يلتمـسون مجـالس الذكر فـإذا أتوا عليهم حـفوا=

فضيلة التهليل

قال ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(٩٣٧).

وقال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » (٩٣٨).

= بأجنحتهم ما بينهم وسماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبّحونك ويحمدونك ويكبرونك ويهللونك ويسألونك جنتك ويستعيذونك من نارك، قال : وهل رأوا جنتى ونارى؟ قالوا: لا، فقال: فكيف لو رأوهما، أشهدكم أنى قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، فيقال: إن فيهم رجلا ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول لهم: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » . ورواه الفريابى عن أمية بن بسطام عن يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن سهيل، وأخرجه أبو عوانة فى الصحيح عن عباس الدورى عن أمية بن بسطام، وأخرجه أبو داود الطيالسى عن وهيب عن سهيل، وروى البزار عن أحمد بن مالك القشيرى، وأبو نعيم فى الحلية من طريق الحسن بن سفيان عن محمد ابن أبى بكر كلاهما عن زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس مرفوعا. إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم وبعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة سبحانه فيقولون وهو أعلم: أتينا على عباد من عبادك يعظّمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول : غشوهم رحمتى هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

(٩٣٧) حديث : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» تقدم الكلام عليه مفصلا فى الباب الثانى من كتاب الحج .

(٩٣٨) حديث : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » رواه مالك فى الموطأ عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ وفيه: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا من عمل أكثر من ذلك أخرجه البخارى عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى ابن يحيى كلاهما عن مالك، وأخرجه الترمذى عن إسحاق بن موسى عن معن بن عيسى، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن زيد بن الحباب كلاهما عن مالك .

وقال ﷺ : « ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء» (٩٣٩).

وقال ﷺ : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » (٩٤٠).

وقال ﷺ أيضا لأبى هريرة : « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك»(٩٤١).

---

(٩٣٩) حديث : « ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم مفصلا فى كتاب الطهارة .

(٩٤٠) حديث : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور، كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » **قال العراقى :** رواه أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : هو فى المعجم الكبير للطبرانى وكذا فى الأوسط بلفظ فى الموت ولا فى القبور ولا فى النشور. قال الهيثمى: رواه الطبرانى من طريقين إحداهما وهى المذكورة هنا يحيى الحمانى، وفى الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف . اهـ. وأورده ابن الجوزى فى الواهيات وأعله .

(٩٤١) حديث : « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها لا توضع فى ميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السماوات والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك » **قال العراقى :** هذه الوصية لأبى هريرة موضوعة، وآخر الحديث رواه المستغفرى فى كتاب الدعوات: ولو جعلت لا إله إلا الله ،وهو معروف من حديث أبى سعيد: لو أن السماوات السبع وعامرهن والأرضين السبع فى=

وقال ﷺ : « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك»(٩٤٢) .

وقال ﷺ :« يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تهدم الذنوب هدما » قلت : يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « هى أهدم وأهدم »(٩٤٣) .

وقال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة»(٩٤٤).

= كفة مالت بهن لا إله إلا الله. رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه. اهـ.

قال مرتضى: وروى الديلمى عن أبى هريرة: ولو جعلت لا إله إلا الله فى كفة وجعلت السماوات والأرض فى كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله. وروى الطبرانى عن ابن عباس فى أثناء حديث : والذى نفسى بيده لو جىء بالسماوات والأرضين ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى لرجحت بهن .

(٩٤٢) حديث : « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر له ذلك » **قال العراقى:** غريب بهذا اللفظ، وللترمذى من حديث لأنس: يقول الله: يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة. وقال: حسن، ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أنس: يا رب ما جزاء من هلَّل مخلصا من قلبه قال: جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب. وفيه انقطاع .

(٩٤٣) حديث : « يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما، قلت: يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء؟ فقال: هى أهدم وأهدم » **قال العراقى :** رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة ، وفيه موسى ابن وردان مختلف فيه ، رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف، ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا .

قال مرتضى : ولفظ الديلمى فى الفردوس: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان، قالوا: فكيف هى للأحياء؟ قال: أهدم وأهدم. وروى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رفعه: لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة، قالوا: يا رسول الله فمن قالها فى صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب .

(٩٤٤) حديث : « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » **قال العراقى :** رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف . اهـ.

وقال ﷺ : «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبَى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله، فقيل: يا رسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله»(٩٤٥).

فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها، فإنها كلمة التوحيد وهى كلمة الإخلاص وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة، وقال الله عز وجل : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن : ٦٠) . فقيل: الإحسان فى الدنيا قول لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة، وكذا قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس : ٢٦) .

وروى البراء بن عازب أنه ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة » (٩٤٦).

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من قال فى يوم مائتى مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لم

= **قال مرتضى** : وكذلك رواه أبو نعيم فى الحلية والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول زادوا فى روايتهم قيل: وما إخلاصها ؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله. رواه ابن النجار فى تاريخه من حديث أنس بزيادة :قيل: أفلا أبشر الناس؟ قال: لا إنى أخاف أن يتكلوا . ورواه بلفظ المصنف البزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى، والبغوى والطبرانى فى الكبير عن أبى شيبة الخدرى .

(٩٤٥) حديث : « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد شرود البعير على أهله، فقيل: يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله » رواه البخارى بلفظ: كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى. زاد الحاكم وصححه :وشرد شرود البعير على أهله . قال البخارى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى .

(٩٤٦) حديث : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو نسمة » **قال العراقى** : رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما، وهو عند أحمد دون قوله: عشر مرات .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أبو داود الطيالسى وابن أبى شيبة والنسائى وأبو يعلى والرويانى وابن حبان والطبرانى فى الصلاة والضياء فى المختارة بلفظ: كعدل نسمة .

يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله » (٩٤٧) .

وقال ﷺ : **« من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت فى الجنة »** (٩٤٨) .

ويروى: إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها (٩٤٩).

وفى الصحيح عن أبى أيوب عن النبى ﷺ أنه قال: **« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس**

---

(٩٤٧) حديث : عمرو بن شعيب أنه ﷺ قال: « من قال فى يوم مائتى مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله » **قال العراقى** : رواه أحمد بلفظ: مائة مرة، وكذا رواه الحاكم فى المستدرك وإسناده جيد وكذا هو فى بعض نسخ الإحياء . اهـ.

قال مرتضى : هكذا هو فى رواية أحمد والحاكم ورواه الطبرانى فى الكبير نحوه، والذى رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة والخطيب عن عمرو بن شعيب بلفظ: مائة مرة إذا أصبح ومائة إذا أمسى لم يجئ أحد بأفضل من عمله إلا من عمل أفضل من ذلك. ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف عن أبى الدرداء موقوفا عليه مثله ورواه إسماعيل عن عبد الغافر فى الأربعين له عن عمرو بن شعيب بلفظ: ألف مرة جاء يوم القيامة فوق كل عمل إلا عمل نبى أو رجل زاد فى التهليل .

(٩٤٨) حديث : « قال عمر رضي الله عنه من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير؛ كتب له ألف ألف حسنة ومُحيت عنه ألف ألف سيئة وبُنى له بيت فى الجنة » رواه ابن ماجه والحكيم الترمذى وابن السنى من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده لكنه مرفوع وضُعِّف زاد الحكيم فى روايته: ورفعت له ألف ألف درجة. وهو فى الأربعين لإسماعيل ابن عبد الغافر الفارسى من حديث ابن عمر بدون هذه الزيادة، ورواه ابن السنى عن ابن عباس رفعه بلفظ: كتب له ألفى ألف حسنة .

(٩٤٩) حديث : « ويروى أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محيت حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جانبها » **قال العراقى:** رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف .

من ولد إسماعيل عليه السلام » (٩٥٠) .

وفى الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: « من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،ثم قال: اللهم اغفر لى، غفر له أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قُبِلت صلاته » (٩٥١) .

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال ﷺ : « من سبَّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر» (٩٥٢).

---

(٩٥٠) حديث: عن أبى أيوب عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام » رواه البخارى ومسلم هكذا، وعند الترمذى والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن بلفظ: كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل. ورواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف وعبد بن حُميد بلفظ: كن له كعدل عشر رقاب. وعند ابن حبان: كان له عدل نسمة. ورواه ابن أبى شيبة عن ابن مسعود موقوفا، وفى رواية لأحمد والطبرانى والضياء: كتب الله له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له كعتق عشر رقاب وكن له مسلمة من أول النهار إلى آخره ولم يعمل يومئذ عملا يقهقرهن .

(٩٥١) حديث : « عن عبادة بن الصامت : من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ،ثم قال: اللهم اغفر لى أو دعا استُجيب له، فإن توضأ وصلى قُبلت صلاته » رواه أحمد والدارمى والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والطبرانى فى الكبير .

(٩٥٢) حديث : « من سبَّح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد ثلاثا وثلاثين، وكبَّر ثلاثا وثلاثين، وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر » رواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبى هريرة=

وقال ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » (٩٥٣).

وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : تولّت عنى الدنيا وقلّت ذات يدى، فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون » ؟ قال: فقلت : وماذا يا رسول الله ؟ قال: « قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله، مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح ؛ تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبّح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه » (٩٥٤) .

وقال ﷺ : « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض ، فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى ، فإذا قال الحمد لله الثالثة ، قال

= بلفظ: خطاياه بدل ذنوبه ، وعند النسائى من حديثه: من سبح فى دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة وهلل مائة تهليلة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

(٩٥٣) حديث : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حُطت خطاياه ولو كانت مثل زَبد البحر » رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف وأحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٩٥٤) حديث : « وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: تولت عنى الدنيا وقلّت ذات يدى، فقال له ﷺ :فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون، قال: قلت : وما هى يا رسول الله ؟ فقال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله، مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى يوم القيامة لك ثوابه » **قال العراقى** : رواه المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر، وقال: غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا فى حديث مالك، ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر أن نوحا قال لابنه: آمرك بلا إله إلا الله . . . الحديث، ثم قال: سبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق. وإسناده صحيح . اهـ.

قال مرتضى: وروى ابن السنى والديلمى من حديث ابن عباس: من قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله، مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب. ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب وقد تقدم ذلك فى كتاب الجمعة.

الله عز وجل: سل تعط » (٩٥٥).

وقال رفاعة الزرقى : كنا يوما نصلى وراء رسول الله فلما رفع رأسه من الركوع وقال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراء رسول الله ﷺ : ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله ﷺ عن صلاته قال : « من المتكلم آنفا » ؟ قال : أنا يا رسول الله، فقال ﷺ : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا » (٩٥٦).

وقال رسول الله ﷺ : « الباقيات الصالحات هن: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» (٩٥٧).

---

(٩٥٥) حديث : «إذا قال العبد: الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، وإذا قال: الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض، وإذا قال: الحمد الله الثالثة قال الله عز وجل: سل تعطه » **قال العراقى:** غريب بهذا اللفظ لم أجده .

(٩٥٦) حديث : «كنا يوما نصلى وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: من المتكلم آنفا؟ قال له: أنا يا رسول الله، قال: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول » هذا حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ عن نعيم المجمر عن على بن يحيى عن أبيه هو ابن خلاد بن رافع عن رفاعة بن رافع الزرقى ﷺ قال: جاء يوما فصلى وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة وقال: سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد . . . فساق الحديث كما هو عند المصنف. وقد أخرجه البخارى وأبو داود عن القعنبى ، وأخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى، والنسائى من رواية عبد الله بن القاسم، وابن خزيمة من رواية ابن وهب، أربعتهم عن مالك. وأخرجه ابن حبان عن عمر بن سعيد بن سنان عن أبى مصعب عن مالك، والسر فى هذا العدد بالخصوص أن الكلمات التى نطق بها بضعة وثلاثون حرفا، وعند ابن ماجه والطبرانى عن وائل بن حجر: لقد فتحت لها أبواب السماء فما نهنهها شىء دون العرش يعنى قوله: الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. وعند النسائى عن وائل بن حجر أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول فى الصلاة : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فقال: لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما نهنهها شىء دون العرش .

(٩٥٧) حديث : « الباقيات الصالحات هن: لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » **قال العراقى:** رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم

وقال ﷺ : « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر » (٩٥٨).

رواه ابن عمر. وروى النعمان بن بشير عنه ﷺ أنه قال : « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دَوِيٌّ كدوى النحل يذكرن بصاحبهن، أو لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به » (٩٥٩).

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس » وفى رواية أخرى زاد : « لا حول ولا قوة إلا بالله » وقال: « هى خير من الدنيا وما فيها » (٩٦٠).

= وصححه من حديث أبى سعيد، والنسائى والحاكم من حديث أبى هريرة دون قوله: ولا حول ولا قوة إلا بالله . اهـ.

(٩٥٨) حديث : « ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر» . رواه ابن عمر هكذا فى سائر النسخ والصواب ابن عمرو. **قال العراقى**: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح على شرط مسلم ،وهو عند الترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر مثل سياق المصنف وكلهم رووه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وروى ابن السنى وأبو نعيم وابن حبان وابن جرير وابن عساكر عن أبى هريرة رفعه: من قال حين يأوى إلى فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زَبد البحر .

(٩٥٩) حديث : النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتمجيده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه، أوَلاَ يحب أحدكم أن لا يزال عند الله عز وجل ما يذكر به » **قال العراقى** : رواه ابن ماجه و الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم .

(٩٦٠) حديث : روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس » وفى رواية وزاد: « ولا حول ولا قوة إلا=

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٦

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وقال ﷺ : « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحـان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت » (٩٦١) .

رواه سمرة بن جندب . وروى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ كان يقول : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها » (٩٦٢) .

= بالله، وقال : خير من الدنيا وما فيها » قال العراقى : رواه مسلم باللفظ الأول، والمستغفرى فى الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبى ﷺ : قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فـيها ،قال: أنت أغنم القوم. وهو مرسل جيد الإسناد . اهـ.

قال مـرتضى : وباللفظ الأول أيضا رواه أبو بكر بن أبى شيبة والتـرمذى وابن حبان ومسلم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة وأبى كريب قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة، ورواه النسائى فى الكبرى عن أحمد بن حرب عن أبى معاوية .

(٩٦١) حديث : « أحب الكلام إلى الله عز وجل أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت ». رواه سمرة بن جندب الفزارى نزيل البصرة وفيها توفى سنة ٥١ ، وهذه الرواية أخرجـها ابن حبـان عن مكحـول عن أحمـد بن عبـد الرحـمـن الكـزبرانى، عن عبد الصمـد بن عبد الوارث عن أبيه عن الربيع بن عميلة عن سـمرة بن جندب، ورواه أحمد عن حسن بن موسى ويحيى بن آدم، ومسلم عـن أحمد بن عبد الله بن يونس، وأبو داود عن أبى جعفـر النفيلى أربعتهـم عن زهير بن معاوية عن منصـور عن هلال بن يسار عن الربيع بن عميلة عن سـمرة بلفظ : لا إله إلا الله والله أكبـر وسبحان الله والحمـد لله، لا يضرك بأيهن بدأت وأخرجه مسلم أيضا من رواية روح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد كلاهما عن منصور ابن المعتمر، وقد صحح ابن حبان الروايتين .

(٩٦٢) حديث : « الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسـبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يحيى بن إسحاق وعـفان كلاهما عن أبان بن يـزيـد عن يحيى بن أبى كثيـر عن زيد بن سـلام عن جده أبى سلام عن أبى مالك، وأخرجه مسلم والترمذى جميعا عن إسحاق بن منصور عن حبان بن هلال، وأخرجه النـسائى عن عمرو بن على عن عـبد الرحمن بن مهدى كـلاهما عن أبان بن يزيد ،وقد تقدم ذلك الحديث فى كتاب الطهارة .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »(٩٦٣).

وقال أبو ذر رضي الله عنه : قلت لرسول الله ﷺ : أى الكلام أحب إلى الله عز وجل ؟ قال ﷺ : « ما اصطفى الله عز وجل لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »(٩٦٤).

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة ، وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك...»(٩٦٥).

(٩٦٣) حديث : قال أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » هذا حديث صحيح ختم به البخارى الصحيح وذكره أيضا فى الدعوات وفى الإيمان والنذور، أخرجه هو ومسلم جميعا عن أبى خيثمة زهير بن حرب، وأخرجه البخارى أيضا عن قتيبة وأحمد بن أشكاب ، ومسلم أيضا عن محمد بن عبد الله بن نمير وأبى كريب ومحمد بن صريف، والترمذى عن يوسف بن عيسى، والنسائى عن محمد بن آدم ومحمد بن حرب، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى بن محمد عشرتهم عن محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة، ورواه أحمد عن محمد بن فضيل بسنده .

(٩٦٤) حديث: قال أبو ذر : قلت لرسول الله ﷺ : أى الكلام أحب إلى الله عز وجل؟ قال: « ما اصطفى الله عز وجل لملائكته :سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » هذا حديث صحيح رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف قال: حدثنا يحيى بن أبى بكير حدثنا شعبة عن الجريرى عن أبى عبد الله الجسرق عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرنى أى الكلام أحب إلى الله بأبى أنت وأمى، قال: ما اصطفى الله لملائكته: سبحان ربى وبحمده سبحان ربى العظيم. ورواه أبو نعيم فى المستخرج عن أبى بكر الطلحى عن عبيد بن غنام عن أبى بكر بن أبى شيبة بسنده نحوه، ولفظه: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى، قلت: بلى، قال : إن أحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله وبحمده. وأخرجه الترمذى عن أحمد بن إبراهيم الدورقى عن إسماعيل بن إبراهيم، عن الجريرى، وأخرجه الحاكم من رواية يحيى بن محمد بن يحيى عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى عن إسماعيل بن إبراهيم ووهم فى استدراكه فإن مسلما أخرجه ولعله قصد الزيادة التى فيه ،وأخرجه النسائى من طرق فى اليوم والليلة فيه اختلاف على الجريرى وغيره، وأخرجه الطبرانى فى الدعاء عن أبى مسلم الكشى عن الحجبى، وأخرجه أبو نعيم فى المستخرج عن فاروق الخطابى عن أبى مسلم الكشى .

(٩٦٥) حديث : قال أبو هريرة :قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل اصطفى من الكلام=

وذكر إلى آخر الكلمات. وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: « **من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة فى الجنة** » (٩٦٦) .

وعن أبى ذر رضي الله عنه أنه قال : قال الفقراء لرسول الله ﷺ : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال: « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به، إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ، ويضع أحدكم اللقمة فى فىّ أهله فهى له صدقة وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال ﷺ: « **أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر** » ؟ **قالوا : نعم، قال: « كذلك إن وضعها فى الحلال كان له فيها أجر**»(٩٦٧) .

= سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » . **قال العراقى** : رواه النسائى فى اليوم والليلة ، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم من حديث أبى هريرة وأبى سعيد إلا أنهما قالا فى ثواب الحمد لله: كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة . اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه أحمد والضياء فى المختارة ، قال الهيثمى: ورجال أحمد رجال الصحيح، وأقر الذهبى فى التلخيص قول الحاكم أنه على شرط مسلم.

(٩٦٦) حديث : « من قال: سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة فى الجنة » **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال: حسن، والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم . اهـ.

قال مرتضى : رواه الترمذى عن أحمد بن منيع عن روح بن عبادة عن حجاج بن أبى عثمان عن أبى الزبير عن جابر، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير. وأخرجه هو والنسائى من وجه آخر عن حجاج ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة أبى الزبير، ورواه ابن أبى شيبة وابن منيع وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم والضياء فى المختارة كلهم عن جابر بلفظ: سبحان الله العظيم وبحمده . ورواه ابن أبى شيبة عن أبى عمر موقوفًا، وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور والديلمي من حديث أنس : « من قال: سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة فى الجنة أصلها من ذهب وفرعها در وطلعها كثدى الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منه شىء عاد كما كان » . وروى أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث معاذ بن أنس من قال: « سبحان الله العظيم نبت له غرس فى الجنة . . . » الحديث .

(٩٦٧) حديث : أبو ذر رضى الله عنه أنه قال: « قال الفقراء لرسول الله ﷺ : ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم . . . » رواه=

وقال أبو ذر ﷺ : قلت لرسول الله ﷺ : سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول ، وينفقون ولا ننفق ، فقال رسول الله ﷺ : **« أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك، تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين »** (٩٦٨).

وروت بسرة عن النبي ﷺ أنه قال : **«عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات»** (٩٦٩).

= مسلم في صحيحه بهذا اللفظ وله وأبي داود والنسائي وابن خزيمة وأبي عوانة وابن حبان من طريق أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر مرفوعا : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

(٩٦٨) حديث : قال أبو ذر : قلت لرسول الله ﷺ : سبق أهل الأموال بالأجر ، يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال ﷺ : « افلا أدلك على عمل إذا أنت فعلته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك، تسبح بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين مرة » . **قال العراقي** : رواه ابن ماجه إلا أنه قال: قال سفيان: لا أدرى أيتهن أربع ولا حمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين، وإسنادهما جيد، ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء : وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكره المصنف .اهـ.

قال مرتضى : حديث أبي الدرداء هذا أخرجه النسائي في اليوم والليلة بلفظ المصنف وعنده مثله عن كعب بن عجرة.

(٩٦٩) حديث : روت بسرة عن النبي ﷺ أنه قال: « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات» رواه عبد بن حميد عن محمد بن بشر عن هانئ بن عثمان عن حميضة بنت ياسر عن يسيرة وكانتا من المهاجرات قالت: قال رسول الله ﷺ : عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات وأخرجه أحمد وابن سعد في الطبقات عن محمد بن بشر، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد بهذا الإسناد وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هانئ بن عثمان، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، وذكر حميضة في ثقات التابعين ولا نعرف عنها راويا إلا ابنها هانئ بن عثمان وهو كوفي روى عنه جماعة . وأخرج أبو داود عن مسود عن عبد الله بن داود الحربي حدثنا هانئ بن عثمان الجهني عن أمه حميضة بنت ياسر عن جدتها يسيرة رضي الله عنها أنها حدثتها أن النبي ﷺ أمرهن أن يراعين التسبيح والتهليل والتقديس وأن يعقدن الأنامل فإنهن مسئولات=

يعني بالشهادة في القيامة. وقال ابن عمر: رأيته ﷺ يعقد التسبيح (٩٧٠).

وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى: « **إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر ، قال الله عز وجل: صدق عبدى لا إله إلا أنا و أنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له،قال تعالى: صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله،يقول الله سبحانه: صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بى، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار** » (٩٧١).

= ومستنطقات. وأخرجه أبو عبد الله بن منده عن خيثمة بن سليمان عن إسحاق بن سيار عن الحزيبى ، وورواه الحاكم من وجه آخر عن الحزيبى، قال المصنف فى تفسير قوله مستنطقات (يعنى بالشهادة فى القيامة) يعنى يستنطقن ويستشهدن فى يوم القيامة .

(٩٧٠) حديث : قال ابن عمر : « رأيته ﷺ يعقد التسبيح » **قال العراقى** : إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص، كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم . اهـ. رواه أبو داود عن عبيد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن قدامة فى آخرين قالوا : حدثنا هشام بن على حدثنا الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح، وقال فى آخره: زاد محمد بن قدامة: بيمينه. وأخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى جميعا عن محمد بن عبد الأعلى، زاد النسائى والحسين بن محمد الدارع كلاهما عن عثام بن على، وأخرجه الحاكم من طريق عثام ومن طريق شعبة عن الأعمش عن عطاء بن السائب، وأخرجه الطبرانى فى الدعاء عن عمرو بن أبى الطاهر عن يوسف بن عدى عن عثام بن على بسنده، قال الحافظ: ومعنى العقد المذكور فى الحديث إحصاء العدد وهو اصطلاح العرب بوضع بعض الأنامل على بعض عقد أنملة أخرى فالآحاد والعشرات باليمين والمئون والآلاف باليسار .

(٩٧١) حديث : « إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله عز وجل : صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: صدق عبدى لا إله إلا أنا لا شريك لى ،وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله سبحانه: صدق عبدى لا حول ولا قوة إلا بى، ومن قالهن عند الموت لا تمسه النار » **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال :حسن، والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وصححه. انتهى.

قال مرتضى : لفظ الترمذى: من قال: لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، يقول الله: لا إله إلا أنا وأنا وحدى، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله : لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى، وإذا=

وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة» فقيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : « يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة »(٩٧٢).

وقال ﷺ : « يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى أَوَلا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال : بلى، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله »(٩٧٣).

= قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولاحول ولا قوة إلا بالله، قال الله : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى، وكان يقول: من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار .

(٩٧٢) حديث : روى مصعب بن سعد عن ابيه عن النبى ﷺ أنه قال : « أيعجز أحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل له: كيف ذلك ؟ فقال ﷺ : يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف سيئة » **قال العراقى** : رواه مسلم إلا أنه قال: أو تحط: وقال الترمذى: وتحط، كما قال المصنف وقال: حسن صحيح . اهـ.

قال مرتضى: رواه عبد بن حُميد عن جعفر بن عون عن موسى الجهنى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ قالوا : وكيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال يسبِّح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة . وهكذا أخرجه أحمد عن عبد الله بن نمير ويعلى بن عبيد ويحيى القطان، وأخرجه مسلم من رواية مروان بن معاوية ومن رواية على بن مسهر وابن نمير، وأخرجه الترمذى والنسائى من رواية يحيى القطان خمستهم عن موسى الجهنى، وأخرجه أبو عوانة عن محمد بن إسحاق الصغانى، وأبو نعيم من رواية محمد بن أحمد بن أبى المثنى كلاهما عن جعفر بن عون عن موسى الجهنى، وقد حكى النووى قول الحميدى أنه فى مسلم من جميع الروايات بلفظ: أو تحط، وأن البرقانى ذكر أن شعبة وغيره رووه عن موسى الجهنى بلفظ: وتحط. قال الحافظ: ورواية شعبة عند أحمد والنسائى بالواو كما قال، وهو عند أحمد عن الثلاثة المذكورين فى موضعين أحدهما بلفظ: وتُمحى عنه ألف سيئة، والثانى باللفظ الذى ذكره مسلم، والله أعلم.

(٩٧٣) حديث : « يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى: أَوَلاَ أدلك على كنز من كنوز الجنة قال: بلى قال :لا حول و لا قوة إلا بالله » هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه الأئمة الستة من طرق متعددة إلى أبى عثمان النهدى واسمه عبد الرحمن بن مل، منها للبخارى عن موسى بن إسماعيل عن عبد الواحد بن زياد عن عاصم الأحول، ومنها لمسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى معاوية ومحمد بن فضيل كلاهما عن عاصم ، الأول عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير=

وفى رواية أخرى: ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالى: أسلم عبدى واستسلم** »(٩٧٤)

= فقال النبى ﷺ: « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم» قال: فسمعنى وأنا أقول :لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ،قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله». ورواه المحاملى عن يعقوب بن إبراهيم عن أبى معاوية ، وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول فذكره، وقال أبو بكر الشافعى : حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى الأشعرى قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر فرقينا عقبة أو ثنية وكان الرجل إذا علاها قال: لا إله إلا الله والله أكبر . . . فذكر الحديث بنحوه، أخرجه البخارى عن محمد بن مقاتل عن عبد الله ابن المبارك عن سليمان التيمى وخالد الحذاء فرقهما كلاهما عن أبى عثمان النهدى، وأخرجه مسلم عن أبى كامل الجحدرى عن يزيد بن زريع، وأخرجه أبو داود عن مسدد ، وأبو عوانة عن إسحاق بن يسار عن محمد بن عبد الله الأنصارى عن سليمان التيمى، وقال المحاملى فى الدعاء: حدثنا محمد ابن الوليد حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى حدثنا خالد الحذاء عن أبى عثمان عن أبى موسى الأشعرى قال : قال لى رسول الله ﷺ: يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنز الجنة قلت : بلى، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله. أخرجه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم والنسائى فى الكبرى عن عمرو بن على كلاهما عن الثقفى، وقال المحاملى أيضا: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا مرحوم بن عبد العزيز العطار حدثنا أبو نعامة السعدى عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى الأشعرى قال : كنا مع النبى ﷺ فى غزاة فقال: يا عبد الله ابن قيس . . . فذكر مثله، أخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى جميعا عن محمد بن بشار عن مرحوم، ومن طرقه ما أخرجه أحمد وأبو داود من رواية حماد ابن سلمة عن ثابت البنانى وعلى بن زيد والجريرى، وما أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد عن أيوب السختياني، وما أخرجه مسلم والنسائى من رواية عثمان بن غياث خمستهم عن أبى عثمان منهم من طوله ومنهم من اختصره، والله أعلم .

(٩٧٤) حديث : قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش، قول لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالى: أسلم عبدى واستسلم » **قال العراقى** : رواه النسائى فى اليوم والليلة ، وللحاكم: من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: أسلم عبدى واستسلم. وإسناده صحيح .اهـ .

وقال ﷺ : « من قال حين يصبح: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة » (٩٧٥) وفي رواية: من قال ذلك رضى الله عنه (٩٧٥م) . وقال مجاهد: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، قال الملك: هُديت، فإذا قال: توكلت على الله، قال الملك: كُفيت، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الملك: وُقيت ،فتتفرق عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هُدى وكُفى ووُقى لا سبيل لكم إليه (٩٧٦) .

---

(٩٧٥) حديث : « من قال حين يصبح: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا كان حقًا على الله أن يرضيه يوم القيامة» **قال العراقي:** رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث خادم النبي ﷺ ورواه الترمذي من حديث ثوبان وقال: حسن وفيه نظر ففيه سعيد بن المرزبان ضعيف جدًا .اهـ .

قال مرتضى : رواه عبد الرزاق وأحمد وابن ماجه وابن سعد والروياني والبغوي وأبو نعيم عن أبي سلام عن رجل خدم النبي ﷺ ورواه ابن قانع عن أبي سلام عن سابق خادم النبي ﷺ ورواه الطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي سلام عن خادم النبي ﷺ كلهم بلفظ من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وأما حديث ثوبان عند الترمذي فكما ساقه المصنف إلا أنه قال من قال حين يمسي بدل حين يصبح وروى ابن النجار عن ثوبان بمثل سياق المصنف إلا أنه زاد بعد قوله نبيا وبالقرآن إمامًا والباقي سواء .

(٩٧٥م) حديث : « من قال ذلك ، رضى الله عنه » وروى الطبراني عن المقدومي من قال إذا أصبح رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا فأنا الزعيم ولآخذن بيده حتى أدخله الجنة وروى ابن أبي شبة في المصنف عن عطاء بن يسار مرسلاً من قال حين يمسي رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الإيمان .

(٩٧٦) حديث : قال مجاهد بن جبير التابعي مرسلا : « إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هُديت فإذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وُقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هُدى وكُفى ووُقى » .

قال مرتضى : المشهور أن هذا من مرسل عون بن عبد الله بن عتبة أن النبي ﷺ قال إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله حسبي الله توكلت على الله قال الملك كُفيت وهُديت ووُقيت إسناده قوى علي أنه قد روى ذلك مرفوعًا من حديث أنس قال الطبراني في الدعاء حدثنا الحسين بن إسحاق والتستري حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأقوى قال حدثنا أبي قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن جريج عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من قال بسم الله توكلت علي الله لا حول ولا قوة إلا بالله=

فإن قلت : فما بال ذكـر الله سبحانه مع خفـته على اللسان وقلة التعب فيـه صار أفضل وأنفع من جـملة العبـادات مع كثـرة المشقـات فيـها ؟ فـاعلم أن تحقـيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة، والقـدر الذى يسمح بذكره فى علم المعـاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، فـأما الذكر باللسان، والقلب لاهٍ فـهو قليل الجدوى(٩٧٦م) وفى الأخبار ما يدل عليه أيضـا . وحضور القلب فى لحظة الذكر والـذهول عن الله عز وجل مع الاشتغـال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حـضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثـر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية، وللذكر أول وآخر: فـأوله يوجب الأُنس والحب وآخـره يوجـبه الأُنـس والحب ويصدر عـنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فإن المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفـا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفِّق للمـداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور ولا ينبـغى أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غـير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحـيث لا يصبر عنه فإن من أحب شيئا أكثـر من ذكره ومن أكثر ذكر شىء وإن كان تكلفا أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصـير الموجب موجبا والثمر مثمرا ، وهذا معـنى قول بعضهم: كابدت القرآن عشـرين سنة. ثم تنعمت به عـشرين سنة . ولا يصدر التنعـم إلا من الأنس والحب ولا يصدر

= فإنه يقال له حينئذ هُديت ووُقيت وكُفيت وتنحى عنه الشيطان ورواه أيضًا من طريق حجاج بن محمد عن ابـن جريج نحوه لكن زاد فى أوله إذا خرج من بيته وقـال فى آخره ويلقى الشيطانَ شيطان آخر فيـقول كيف لك برجل هُدىً ووُقىً وكُفىً وهو حديث حسن أخـرجه الترمذى عن سعيد بن يحـيى وأخرجه ابن السنى عن المسيب بن واضح عن الحجاج بن محـمد وأخرجه أبو داود عن إبراهيم بن الحـسن الخثعـمى والنسائى عن عـبد الله بن محـمد بن تميم كـلاهما عن حجاج بن محمد وأخرجه ابن حبان عن محـمد بن المنذرى بن سعيد عن سعيد بن يحيى وقال الترمـذى حسن غريب لا نعـرفه إلا من هذا الوجه قال الحـافظ رجاله رجال الصـحيح ولذلك صححه ابن حبـان لكن خفُيت عليه علته قال البخارى: لا أعـرف لابن جريج عن إسحاق إلا هذا ولا أعرف له منه سماعًا وقال الدارقطنى رواه عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج قال حدث عن إسحاق قال وعبد المجيد أثبت الناس فى ابن جريج والله أعلم .

(٩٧٦م) حديث : أبى هريرة : « واعلموا أن الله لا يقبل الدعـاء من قلب لاه » رواه الترمذى وقال: حسن، والحاكم وقال: حديث مستقيم الإسناد ، والمراد بالدعاء هنا الذكر.

الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا، فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف، هي النفس ما عودتها تتعود أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل، فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلّي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه، ولذلك قال ﷺ : « **إن روح القدس نفث في روعي: أحبب ما أحببت فإنك مفارقه**»(٩٧٧) أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثَر ما في القبور ويُحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت، وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ : « **القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة** »(٩٧٨) وبقوله ﷺ : « **أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر** »(٩٧٩) وبقوله

---

(٩٧٧) حديث : « إن روح القدس نفث في روعي : أحبب ما أحببت فإنك مفارقه » تقدم ذلك في الباب السابع من كتاب العلم بلفظ أحبب من أحببت وتقدم أنه رواه الطبراني في الأوسط والأصغر من حديث علي بسند ضعيف .

(٩٧٨) حديث : « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » **قال العراقي** : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال: غريب، **قال العراقي** : قلت: فيه عبيد الله ابن الوليد الوصافي ضعيف . اهـ. وكذلك رواه الطبراني من حديثه بتقديم وتأخير بسند ضعيف، ورواه أيضا في معجمه الأوسط في ترجمة مسعود بن محمد الرملي من حديث أبي هريرة وسنده ضعيف أيضا .

(٩٧٩) حديث : «أرواح الشهداء في حواصل طير خُضر» وفي نسخة: طيور خضر تعلق من ثمر الجنة. رواه الترمذي عن كعب بن مالك ﵁، ورواه مسلم من قول أبي مسعود وسيأتي قريبا .

ﷺ لقتلى بدر من المشركين : « **يا فلان يا فلان وقد سماهم النبى ﷺ ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا** »؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا » ؟ فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يسمعون وأنَّى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا »(٩٨٠) والحديث في الصحيح، هذا قوله عليه السلام فى المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ : « **أرواحهم فى حواصل طيور خُضر معلقة تحت العرش**». وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافى ذكر الله عز وجل، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآية (آل عمران : ١٦٩، ١٧٠).

ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة، ونعنى بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره، فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقًا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا فى صف القتال فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته، وقد هون على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى، فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر : « **ألا أبشرك يا جابر** » ؟ قال : بلى بشَّرك الله بالخير، قال : « **إن الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه**

(٩٨٠) حديث : قوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين : « يا فلان يا فلان - وقد سماهم النبى ﷺ بأسمائهم- هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا؟ فسمع عمر رضى الله عنه قوله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنَّى يجيبون وقد جيفوا؟ فقال ﷺ والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لكلامى منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » . والحديث فى الصحيح ، أى رواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس . هذا قوله عليه السلام فى المشركين وأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « إن أرواحهم فى حواصل طير خضر معلقة تحت العرش» أما المؤمنون فرواه ابن ماجه من حديث كعب بن مالك أن أرواح المؤمنين فى طير خضر تعلق بشجر الجنة، ورواه النسائى بلفظ: إنما نسمة المؤمن طائرة. ورواه الترمذى بلفظ: أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق بثمر الجنة. وقال: حسن صحيح. وقد تقدم للمصنف قريبا، وأما الشهداء فرواه مسلم من حديث أبى مسعود ولم يرفعه وسيذكر قريبا .

وبينه ستر فقال تعالى: تمنَّ عليَّ يا عبدى ما شئت أعطيكه، فقال: يا رب أن تردنى إلى الدنيا حتى أُقتل فيك وفى نبيك مرة أخرى، فقال عز وجل: سبق القضاء منى بأنهم إليها لا يرجعون » [(٩٨١)] ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه، فإذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه فى الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك[(٩٨٢)] كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كلمته، فهذه الحالة هى التى عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة، وحالة الشهيد توافق معنى قولك: لا إله إلا الله، فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله؛ إذ لا مقصود له سواه، ومن يقل ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر، ولذلك فضَّل رسول الله ﷺ قول لا إله إلا

---

(٩٨١) حديث : « ألا أبشِّرك يا جابر، قال : بلى بشرك الله بالخير، قال : إن الله عز وجل أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال الله تعالى: تمنَّ عليَّ يا عبدى ما شئت أعطيكه، فقال : يا رب تردنى إلى الدنيا حتى أُقتل فيك وفى نبيك ﷺ مرة أخرى، فقال الله عز وجل: سبق القضاء منى أنهم إليها لا يرجعون » **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال: حسن، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث جابر . اهـ.

(٩٨٢) حديث : « إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك » والحمية والعصبية كما ورد به الخبر بل محض حب الله تعالى وإعلاء كلمته ، روى البخارى ومسلم من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل يرى مكانه فى سبيل الله، قال: « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » . **قاله العراقى.**

وقال مرتضى: كذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى .

الله على سائر الأذكار(٩٨٣) وذكر ذلك مطلقـا فى مواضع الترغـيب ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والإخلاص، فقال مرة: من قال لا إله إلا الله مخلصا، ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمـقال. فنسـأل الله تعالى أن يجـعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الـله حالا ومقـالا وظاهرا وباطنا حتى نودِّع الدنيا غير ملتفتين إليها بل مـتبرمين بها ومحبين للقاء الله، فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كـره لقاء الله كره الله لقاءه، فهذه مرامـز إلى معانى الذكر التى لا يمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

★ ★ ★

(٩٨٣) حديث : « فضَّل رسول الله ﷺ قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار » **قال العراقى:** رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والنسائى فـى اليوم والليلة من حديث جـابر رفعه: **أفضـل الذكـر لا إله إلا الله** .اهـ.

وقال مرتضى: وتمام الحديث: وأفضل الدعـاء الحمد لله. أخرجه التـرمذى والنسائى فى الكبرى جميعا عن يحيى بن حبيب قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المدنى عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فذكره ،وأخرجه ابن حبان عن محمد بن على الأنصـارى عن يحيى بن حبيب، وأخرجه ابن ماجـه عن عبد الرحمن بن إبراهيم والحـاكم من رواية إبراهيم بن المنذر كلاهمـا عن موسى بن إبـراهيم، قال التـرمذى: حسن غريب لا نعـرفه إلا من حديث موسى، وقد روى على بن المدينى وغـيره هذا الحديث عن موسى، قال الحـافظ: ولم أقف فى موسى على تجريح ولا تعديل إلا أن ابن حـبان ذكره فى الثقـات وقال : يخطئ، وهذا عجب منه لأن مـوسى مقل فإذا كـان يخطئ مع قلة روايته فكيف يوثق ويصحح حـديثه، فلعل من صححـه أو حسَّنه تسمح لكون الحديث مـن فضائل الأعمال، والله أعلم .

الباب الثانى فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ (البقرة:١٨٦).

وقال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف:٥٥).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠).

وقال عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء: ١١٠) .

وروى النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال : إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية (غافر: ٦٠)(٩٨٤) .

وقال ﷺ : « الدعاء مُخ العبادة » (٩٨٥) .

---

(٩٨٤) حديث : «الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ :﴿ ادعونى أستجب لكم ....﴾ الآية» **قال العراقى:** رواه أصحاب السنن والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وقال الترمذى: حسن صحيح.اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه كذلك أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة والبخارى فى الأدب المفرد وابن حبان فى صحيحه وقال البزار لا يروى إلا عن النعمان بن بشير مرفوعا وقال النووى أسانيده كلها صحاح ويروى هى العبادة قال الخطابى أنه على معنى الدعوة أو المسألة والمعنى أنه معظم العبادة أو أفضلها .

(٩٨٥) حديث : « الدعاء مخ العبادة » **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث أنس وقال: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال : « **ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء** » (٩٨٦). وقال ﷺ : « **إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يُغفر له، وإما خير يُعجل له، وإما خير يدَّخر له** » (٩٨٧) . وقال أبو ذر رضي الله عنه: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح. وقال ﷺ : « **سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يُسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج** »(٩٨٨) .

---

(٩٨٦) حديث : « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء » لدلالته على قدرة الله و عجز الداعي. **قال العراقي:** رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب والبيهقي في السنن وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه، وقال ابن القطان : رواته كلهم ثقات وما موضع في إسناده ينظر فيه إلا عمران وفيه خلاف، هو عمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود ومشاه أحمد .

(٩٨٧) حديث : « إن العبد لا يخطئه من الدنيا إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له وإما خير يُعجل له وإما خير يُدخر له » وفي نسخة: وإما شر يعزل عنه بدل الجملة الثالثة. **قال العراقي:** رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس ، وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد : إما أن تُعجل له دعوته وإما أن تُدخر له في الآخرة وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها. اهـ.

وقال مرتضى: وروى الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والبيهقي في السنن والطبراني في الكبير والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بمأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل - الحديث، وروى ابن زنجويه في فوائده عن محمد بن يوسف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي ﷺ قال: ما على الأرض رجل مسلم يدعوه إلا آتاه الله عز وجل إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. ورواه أحمد والترمذي أيضا عن جابر بلفظ : ما من أحد يدعو بدعاء، والباقي كسياق ابن زنجويه .

(٩٨٨) حديث : « سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يُسأل وأفضل العبادة الانتظار بالفرج » وفي رواية: انتظار الفرج ، والمعنى: أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة فيزيد في خضوعه وتذلله وعبادته التي يحبها الله تعالى. **قال العراقي:** رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: حماد بن واقد ليس بالحافظ. **قال العراقي :** وضعفه ابن معين وغيره . اهـ . =

آداب الدعاء وهى عشرة

(الأول) : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة :كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، قال تعالى : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات:١٨). وقال ﷺ : « **ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل: من يدعونى فأستجيب له، من يسألنى فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له** » (٩٨٩). وقيل: إن يعقوب عليه السلام إنما قال : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (يوسف: ٩٨)، ليدعو في وقت السحر ، فقيل: إنه قام فى وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إليه: أنى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء .

= **وقال مرتضى:** فى الدعوات ورمز السيوطى إلى صحته وحسنه الحافظ ابن حجر، وكذلك رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى السنن، وروى ابن جرير عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسمه بلفظ: وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج. وقد روى آخر الحديث وهو قوله: أفضل العبادة انتظار الفرج، البيهقى فى السنن والقضاعى عن أنس .

(٩٨٩) حديث : « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » رواه مالك والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه ينزل الله فى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر رواه أحمد والدارمى وابن خزيمة وابن السنى والطبرانى والضياء ورواه الحاكم عن نافع بن جبير عن أبى هريرة قال حمزة الكنانى الحافظ لم يقل فيه أحد عن نافع عن أبيه غير حماد بن سلمة ورواه ابن عيينة فقال عن نافع عن رجل من الصحابة وهو أشبه بالصواب وروى مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر وعند مسلم أيضا ينزل الله تبارك وتعالى فى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له أو يسألنى فأعطيه ثم يبسط يديه فيقول من يقرض غير عديم ولا ظلوم وروى الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه رفعه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول ألا عبد من عبادى يدعونى فأستجيب له ألا ظالم لنفسه يدعونى فأغفر له ألا مقتر رزقه ألا مظلوم يدعونى فأنصره ألا عان يدعونى فأفك عانته فيكون كذلك يصبح الصبح ثم يعلو عز وجل على كرسيه وروى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أبى إمامة ﷺ رفعه: ينزل الله فى آخر =

(الثانى): أن يغتنم الأحوال الشريفة، قال أبو هريرة ﷺ: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله تعالى،وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت فى خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات .

وقال ﷺ: « **الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد** » (٩٩٠).وقال ﷺ أيضا: « **الصائم**

= ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرنى فأغفر له ألا سائل يسألنى فأعطيه ألا داع يدعونى فأستجيب له حتى يطلع الفجر وذلك قول الله ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾. فيشهده الله وملائكة الليل والنهار وعند ابن النجار من حديث أبى هريرة مرفوعا ينزل الله فى كل ليلة إلى السماء حين يبقى نصف الليل الآخر أو ثلث الليل الآخر فيقول من ذا الذى يدعونى؟ فأستجيب له من ذا الذى يسألنى؟ فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى؟ فأغفر له حتى ينصدع الفجر وينصرف القارئ من صلاة الفجر .

(٩٩٠) حديث : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد » **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة والترمذى وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه النسائى فى اليوم والليلة بإسناد اخر جيد وابن حبان والحاكم وصححه . اهـ.

وقال مرتضى: قال الطبرانى فى الدعاء حدثنا اسحق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن زيد العمى عن ابن إياس هو معاوية بن قرة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن الثورى وأخرجه الترمذى والنسائى فى الكبرى جميعا عن محمود بن غيلان عن وكيع وابن أحمد الزبيرى وأبى نعيم زاد الترمذى وعبد الرزاق أربعتهم عن الثورى وسكت عليه أبو داود أما لحسن رأيه فى زيد العمى وأما لشهرته فى الضعف وأما لكونه من فضائل الأعمال وضعفه النسائى وأما الترمذى فقال هذا حديث حسن وقد رواه أبو إسحاق يعنى السبيعى عن يزيد بن أبى مريم عن أنس قال ابن القطان وإنما لم يصححه لضعف زيد العمى وأما يزيد فهو موثق وينبغى أن يصحح من طريقه وقال المنذرى طريق يزيد / أجود من طريق معاوية وقد رواه قتادة عن أنس موقوفا ورواه سليمان التيمى عن أنس مرفوعا . اهـ. قال الحافظ: « وقد نقل النووى أن الترمذى صححه ولم أر ذلك فى شيء من النسخ التى وقفت عليها ».وكلام ابن القطان والمنذرى يعطى ذلك ويبعد أن الترمذى يصححه مع تفرد زيد العمى به وقد ضعفوه، نعم طريق يزيد صححها ابن خزيمة وابن حبان ولفظه: « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد فادعوا». =

لا تُرد دعوته » (٩٩١) . وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها . وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة، قال أبو هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: « **أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء**» (٩٩٢) . وروى ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « **إني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم**» (٩٩٣) .

(الثالث) : أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه، روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس(٩٩٤) . وقال سلمان: قال رسول الله ﷺ : « **إن ربكم حي كريم يستحي من عبيده**

= هكذا أخرجه ابن خزيمة بهذه الزيادة عن أحمد بن المقدام العجلي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس وأخرجه من طرق أخرى عن أبي إسحاق وعن يونس بن أبي إسحق بدون تلك الزيادة وأخرجه النسائي عن إسماعيل بن مسعود عن يزيد بن زريع بمثله وأخرجه ابن حبان عن أبي يعلى الموصلي عن محمد بن المنهال عن يزيد بن زريع ووقع في رواية مستجاب بدل لا يرد والله أعلم .

(٩٩١) حديث : « الصائم لا تُرد دعوته» **قال العراقي** : رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

(٩٩٢) حديث : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(٩٩٣) حديث : « نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه ربكم وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم » رواه مسلم أيضا .

(٩٩٤) حديث : « أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس » فاستدل به على سنية الاستقبال والحديث رواه مسلم في صحيحه دون قوله يدعو وقال مكانه واقفا وللنسائي من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات وهذا يصلح أن يكون دليلا للرفع مطلقا من غير تقييد وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الحج .

إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفرا »(٩٩٥) . وروى أنس أنه ﷺ كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعه(٩٩٦) . وروى أبو هريرة ﷺ أنه ﷺ مرَّ على إنسان يدعو ويشير بأصبعيه السبابتين فقال ﷺ : « أحد أحد »(٩٩٧) . أى اقتصر على الواحدة.

وقال أبو الدرداء ﷺ : ارفعوا هذه الأيدى قبل أن تغل بالأغلال .

---

(٩٩٥) حديث : قال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » أى خالية، **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه و الحاكم وقال إسناده صحيح على شرطهما . اهـ.

وقال مرتضى: هذا لفظ أبى داود إلا أنه قال إذا رفع يديه إلى السماء ولفظ الترمذى أن يردهما خائبتين .

(٩٩٦) حديث : « وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعيه » **قال العراقى:** رواه مسلم دون قوله ولا يشير بأصبعيه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء .اهـ. لفظ مسلم كان لا يرفع يديه فى شيء من الدعاء إلا فى الاستسقاء حتى يرى بياض أبطيه قال القاضى عياض وهذا يدل على رفعهما فوق الصدر وحذو الأذنين لأن رفعهما مع الصدر لا يكشف بياض الأبط .

(٩٩٧) حديث : روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو وهو يشير بأصبعيه السبابتين فقال صلى الله عليه وسلم: «أحد أحد» **قال العراقى :** رواه الترمذى وقال حسن وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد . اهـ. وقال المصنف معنى أحد (أى اقتصر على الواحدة) أى أشر بأصبع واحد فإن الذى تدعوه واحد قال الزمخشرى: أراد وحد فقلبت الواو همزة كما قيل أحد واحدى وأحاد فقد تقلب بهذا القلب مضمومة ومكسورة ومفتوحة. اهـ. وحديث أبى هريرة هذا لفظه أن رجلا كان يدعو بأصبعيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحد أحد » وقال الترمذى : حسن غريب وصححه الحاكم وأقره الذهبى وقال الهيتمى رجاله ثقات ويروى هذا الحديث أيضا عن أنس وفيه التصريح بذكر الرجل المبهم رواه أحمد ولفظه مر النبى صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يدعو بأصبعين فقال له صلى الله عليه وسلم: « أحد يا سعد » قال الهيتمى لم يسم تابعيه وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم فى المستدرك عن سعد بن أبى وقاص قال: مر النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أدعو بأصبعين فقال: «أحد أحد» وأشار بالسبابة ثم إن عدم الإشارة فى الدعاء بأصبعين عده الحليمى والطرطوشى والزركشى من شروط الدعاء لا من آدابه وقالوا من شرطه أن لا يشير إلا بالسبابة من يده اليمنى فقط وأخرج أبو داود عن ابن عباس مرفوعا المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوها والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة والابتهال أن تمد يديك جميعا .

ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء، قال عمر ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه [٩٩٨]، وقال ابن عباس: كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه [٩٩٩]. فهذه هيئات اليد، ولا يرفع بصره إلى السماء، قال ﷺ: « **لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم** »[٩٩٩م].

---

(٩٩٨) حديث عمر رضي الله عنه: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه » **قال العراقي:** رواه الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرك وسكت عليه وقال ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى: ولفظ المستدرك عن ابن عباس في أثناء حديث « وامسحوا بهما وجوهكم » ولعل هذا غير ما ذكره العراقي ومن آداب الدعاء أن يجعل بطون الكف إلى الوجه وظهورهما إلى الأرض.

(٩٩٩) حديث: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضم كفيه جعل بطونهما مما يلي وجهه» **قال العراقي:** رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى: ورواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم ويستثنى من ذلك ما يشتد فيه الأمر ففي صحيح مسلم أنه ﷺ لما استسقى أشار بظهر كفيه إلى السماء وهو المراد بالرهب في قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا قالوا: الرهب بسط الأيدي وظهورهما إلى الأرض والرغب بسطهما وظهورهما إلى السماء واستحب الخطابي كشفهما غير ساتر لهما بثوب أو غطاء.

(٩٩٩م) حديث: « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » **قال العراقي:** رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء في الصلاة. اهـ.

قال مرتضى: وكذلك رواه النسائي والطبراني في الكبير وفي رواية « أو ليخطفن الله أبصارهم » وروى أحمد ومسلم وأبو داود من حديث جابر بن سمرة: « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم » وقد ظهر بتلك الزيادة أن النهي خاص في الصلاة فلا يتم به استدلال المصنف كما لا يخفى على أنه ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس ما يدل على جواز رفع البصر إلى السماء في حال الدعاء وهو ما رواه عبد بن حميد عن أبي نعيم عن إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل عنه إنه بات في بيت النبي ﷺ فقام من الليل ثم خرج فنظر في السماء ثم تلا إلى آخر الحديث وأخرجه البخاري كذلك قال النووي في الأذكار في باب ما يقول إذا استيقظ من الليل وخرج من بيته يستحب له أن ينظر إلى السماء ويقرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثبت في الصحيحين إنه ﷺ كان يفعله إلا النظر إلى السماء فهو في صحيح البخاري دون مسلم قال الحافظ: بل ثبت ذلك في مسلم أيضا وسبب خفاء ذلك على الشيخ أن مسلمًا جمع طرق الحديث كعادته فساقها في=

(الرابع) : خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعرى قال: قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبَّر وكبَّـر الناس ورفعوا أصواتهم، فقال النبى ﷺ : « **يـا أيهـا الناس : إن الـذى تدعـون ليس بأصم ولا غـائب إن الـذى تدعـون بينكم وبـين أعناق** ركابكم» (١٠٠٠) . وقالت عائشة رضي الله عنها فى قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (الإسراء: ١١٠) أى بدعائك (١٠٠١). وقد أثنى الله عـز وجل على نبيه زكريا عليـه السلام حيث قال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ (مريم: ٣)، وقال عز وجل: ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الأعراف: ٥٥) .

= كتاب الصلاة وأفرد طريقا منها فى كتاب الطهارة وهى التى وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء ووقع ذلك أيضا فى طريقين آخرين مما ساقه فى كـتاب الصلاة لكنه اقتصر فى كل منهما على بعض المتن فلم يقع عنده فيهما التصريح بهـذه اللفظة وهى فى نفس الأمر عنده فيهما وأما البخـارى فلم يقع عنده التقـيـيـد بكون ذلك عند الخروج من البـيـت وليس فى شىء من الطرق الثلاثة التى أشرت إليها التصـريح بالقراءة إلى آخر السورة وإنما وقع ذلك من طرق أخرى ليس فيها النظر إلى الـسماء لكن الحديث فى نفس الأمر واحد فذكـر بعض الرواة ما لم يذكر بعض والله أعلم .

قال مـرتضى : وروى الطبرانى من حديث أم سلمة رضى الله عنهـا قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى صباحا إلا رفع بصره إلى السماء وقال الحديث وقد تقدم .

(١٠٠٠) حديث : عن أبو موسى الأشعرى قال : قدمنا مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبَّر وكبـر الناس ورفعوا أصواتهم فقـال ﷺ : « يا أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم » **قال العراقى** : متفق عليه مع اختلاف لفظه واللفظ الذى ذكره المصنف لأبى داود . اهـ.

وقال مرتضى : أخرجه الستة من طرق متعددة إلى أبى عثمان النهدى عن أبى موسى وقد تقدم ذكرها قريبـا فى فضيلة الحوقلة ومن ألفاظه كنا مع النبى ﷺ فى سـفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال الـنبى ﷺ : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنـكم تدعون سميـعا قريبا وهو مـعكم » ومنها كنا مع النبى ﷺ فى سفر فـرقينا عقبة أو ثنية فكان الرجل إذا علاها قال: لا إله إلا الله والله أكبر الحديث.

(١٠٠١) حديث : عن عائشة رضى الله عنها « فى قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أى بدعائك » أخرجـه البخارى ومسلم ، قال البخـارى فى كتاب التفسـير حدثنا طلق بن غنام حدثنا زائدة عـن هشام بن عروة عن أبيـه عن عائشـة رضى الله عنها فى قـوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ** ﴾ الآية قالت : نزلت فى الدعاء وقال البخارى أيضـا فى كتاب التوحيد حدثنا=

(الخامس): أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فإن حال الداعى ينبغى أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه، قال ﷺ: « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء » (١٠٠٢).وقد قال عز وجل: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف:٥٥). قيل: معناه التكلف للإسجاع ، والأولى ألا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدى فى دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روى عن معاذ ﷺ أن العلماء يُحتاج إليهم فى الجنة إذ يقال لأهل الجنة: تمنوا ، فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء. وقد

= عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة وقال أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف حدثنا وكيع كلاهما عن هشام بن عروة بنحوه وأما مسلم فأخرجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع وأبى أسامة وأخرجه من طرق أخرى عن هشام وهو من أفراده وقد جاء عن ابن عباس فى نزولها سبب آخر قال كان النبى ﷺ وهو بمكة إذا صلى رفع صوته فإذا سمع المشركون القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون ولا تخافت بها فلا تسمع أصحابك وابتغ بين الجهر والمخافتة أخرجه البخارى عن يعقوب بن إبراهيم وعن مسدد وحجاج بن منهال وعمرو بن زرارة وأخرجه عن محمد بن الصباح وعمرو الناقد وأخرجه الترمذى وابن خزيمة عن أحمد بن منيع وأخرجه النسائى وابن خزيمة أيضا عن يعقوب بن إبراهيم سبعتهم عن هشام عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأخرجه الترمذى أيضا من رواية أبى داود الطيالسى عن هشام وشعبة فرقهما كلاهما عن أبى بشر لكن لم يذكر شعبة ابن عباس فى السند، بل أرسله وقد أخرجه النسائى من رواية الأعمش عن أبى بشر موصولا أيضا وأخرجه ابن مردويه فى التفسير من رواية يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس وزاد فيه فنزلت واذكر ربك فى نفسك فكان لا يسمع أصحابه فشق عليهم فنزلت « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ » وقد رجح بعضهم السبب الثانى ويمكن الجمع بأن تكون الآية فى الأمرين معا والله أعلم .

(١٠٠٢) حديث : « سيكون قوم يعتدون فى الدعاء » قال العراقى : وفى رواية والطهور رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل . اهـ .

وقال مرتضى: وذكر صاحب القوت فى كتاب العلم قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام وسمعه يسجع فى كلامه هذا الذى يبغضك إلىَّ لا قضيت لك حاجة أبدا وكان قد جاءه يسأله حاجة فقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أوتى امرؤ شرا من طلاقة لسان » وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة حين سجع فوالى بين ثلاث كلمات وقال: إياك والسجع يا ابن رواحه فكان السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذى أمره بدية الجنين لما قال كيف أودى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل هذا يطل فقال رسول الله ﷺ أسجع كسجع الأعراب وهذا الكلام قد تقدم بتفصيله فى كتاب العلم فراجعه .

قال ﷺ: « إياكم والسجع فى الدعاء، حسب أحدكم أن يقول: اللهم إنى أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» (١٠٠٣). وفى الخبر: « سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور» . ومرَّ بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له : أعلى الله تبالغ، أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا جيدين، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة ، اللهم وفقنا للخير، والناس يدعون من كل ناحية وراءه، وكان يعرف بركة دعائه .

وقال بعضهم :ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. ويقال إن العلماء والأبدال لايزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها، ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يخبر فى موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك .

واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففى الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة، كقوله ﷺ: «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركَّع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد » (١٠٠٤). وأمثال ذلك، فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل .

(١٠٠٣) حديث : « إياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » **قال العراقى :** غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فأنى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك ولابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلخ . اهـ.

وقال مرتضى: وسيأتى هذا الدعاء للمصنف فى الباب الثالث أطول من هذا .

(١٠٠٤) حديث : « أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد » ففى كل من الخلود والشهود والسجود والعهود والودود تقارب **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب **قال العراقى:** وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى سيئ الحفظ . اهـ.

(السادس) : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ (الانبياء: ٩٠). وقال عز وجل: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (الاعراف: ٥٥). وقال ﷺ : « **إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه**» (١٠٠٥) .

(السابع) : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاه فيه ، قال ﷺ : « **لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له**» (١٠٠٦) .

وقال ﷺ : « **إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء** » (١٠٠٧) .

= **وقال مرتضى** : وكذا رواه محمد بن نصر فى الصلاة والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الدعوات وأول الدعاء اللهم ياذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد إلخ وفيه أنك تفعل ما تريد وهو دعاء طويل .

(١٠٠٥) حديث : « إذا أحب الله عبدا » أراد به الخير ووفقه «ابتلاه» أى اختبره وامتحنه بنحو مرض أو هم أو ضيق « حتى يسمع تضرعه » . **قال العراقى**: رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس « إذا أحب الله عبدا صب الله عليه البلاء صبا » الحديث وفيه دعه فإنى أحب صوته وللطبرانى من حديث أبى أمامة إن الله تعالى يقول للملائكة: « انطلقوا إلى عبدى صبوا عليه البلاء وفيه فإنى أحب أن أسمع صوته » . وسندهما ضعيف . اهـ.

قال مرتضى: ورواه البيهقى والديلمى أيضا من حديث أبى هريرة بلفظ ليسمع تضرعه وفى بعض ألفاظه فإذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل رب اقض حاجته فيقول دعوا عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته .

(١٠٠٦) حديث : « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له » رواه ابن أبى شيبة عن أبى هريرة بلفظ لا يقل أحدكم اغفر لى إن شئت وليعزم فى المسألة فإنه لا مكره له ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه بلفظ : «لا يقولن أحدكم اللهم أغفر لى إن شئت اللهم أرحمنى إن شئت اللهم ارزقنى إن شئت وليعزم المسألة فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له» .

(١٠٠٧) حديث : « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء » **قال العراقى**: رواه ابن حبان من حديث أبى هريرة .

وقال ﷺ : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل » (١٠٠٨) .

وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ (الحجر : ٣٦ ، ٣٧) .

(الثامن) : أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود : كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا وينبغي. ألا يستبطئ الإجابة لقوله ﷺ : « **يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول : قد دعوت فلم يستجب لى، فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما**»(١٠٠٩).وقال بعضهم: إنى أسأل الله عزوجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا أرجو الإجابة : سألت الله تعالى أن يوفقنى لترك ما لا يعنينى .

(١٠٠٨) حديث : قال ﷺ : « ادعوا الله » أى اسألوه من فضله « وأنتم موقنون » أى جازمون «بالإجابة» وقال الطيبى فيه الأمر بالدعاء باليقين والمراد النهى عن التعرض لما هو مناف للإيقان من الغفلة واللهو والأمر بضدهما من إحضار القلب والجد فى الطلب فإذا حصل، حصل اليقين ونبه على ذلك بقوله : « واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » أى لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن خدمة مولاه مشغول القلب بما أهمه من دنياه **قال العراقى**: رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال: غريب ورواه الحاكم وقال مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة **قال العراقى** : لكنه ضعيف فى الحديث انتهى وسبقه شيخه الحافظ الذهبى فتعقب على الحاكم بقوله صالح متروك تركه النسائى وغيره وقال البخارى منكر الحديث وقال أحمد هو صاحب قصص لا يعرف الحديث وتلاهما الحافظ ابن حجر فقال: صالح وإن كان صالح ضعيفا فى الحديث ومن ثم تركه الجميع ومن قال بحسنه فضلا عن صحته فقد وهم.اهـ.

(١٠٠٩) حديث : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجّل فيقول دعوت فلم يستجب لى» **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وفى رواية لمسلم قيل يا رسول الله وما الاستعجال قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء وذكر مكى أن المدة بين دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد والبشارة أربعون سنة وتقدم أن دعاء يعقوب عليه السلام فى استغفاره لبنيه أجيب به بعد أربعين سنة وقال الزركشى: ومثل=

وقال ﷺ : « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل: الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل: الحمد لله على كل حال »(١٠١٠) .

(التاسع) : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال، قال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول: سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب.(١٠١١).وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبى ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما . وروى فى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدئوا بالصلاة علىّ فإن الله تعالى أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى »(١٠١٢). رواه أبو طالب المكى .

= ذلك نقل ابن عطية عن ابن جريج وحمد بن علي والضحاك أن دعوة موسى عليه السلام على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة وقال ابن هبيرة من حديث أنس قنت النبى ﷺ شهرا يدعو على رعل وذكوان .

(١٠١٠) حديث : « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه فى ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال » فإن أحوال المؤمن كلها خير وقضاء الله له بالسراء والضراء رحمة ونعمة ولو انكشف له الغطاء لفرح بالضراء أكثر من السراء وهو أعلم بمصالح عباده **قال العراقى:** رواه البيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا بإسناد ضعيف . اهـ.

قال مرتضى: وروى البيهقى فى الأسماء والصفات من حديث حبيب بن أبى ثابت قال حدثنا شيخ لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه شيء يكرهه قال: « الحمد لله على كل حال وإذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات » .

(١٠١١) حديث : سلمة بن الأكوع رضى الله عنه « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب » **قال العراقى** : رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد **قال العراقى** : فيه عمر بن راشد اليمانى ضعفه الجمهور . اهـ.

قال مرتضى : أورده صاحب القوت فى الفصل الخامس من الباب الأول بلفظ كان إذا افتتح دعاءه افتتحه بقوله فذكره .

(١٠١٢) حديث : أبو سليمان الدارانى : « من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع » وفى رواية يرد ما بينهما أو رده الجزولى فى أول دلائله بلفظ فليكثر بدل=

(العاشر) : وهو الأدب الباطن وهو الأصل فى الإجابة : التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب فى الإجابة فيروى عن كعب الأحبار أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى ببنى إسرائيل يستسقى بهم فلم يسقوا، حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام، فقال موسى: يا رب، ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل إليه : يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نماما، فقال موسى لبنى إسرائيل: توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة، فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث .

وقال سعيد بن جبير :قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى إسرائيل فاستسقوا، فقال الملك لبنى إسرائيل : ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه، قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه .

= فليبدأ والمعنى أن الكريم لا يناسبه أن يقبل الطرفين ويرد الوسط قال الزركشى واستشكل بعض مشايخنا قول الدارانى بأن قولنا اللهم صلى على محمد دعاء والدعاء متوقف على القبول وفيه نظر . اهـ.

قال مرتضى : ويروى عن الدارانى أيضا بلفظ إذا أردت أن تسأل الله حاجة فصل على محمد ثم سل حاجتك ثم صل على النبى صلى الله عليه وسلم فإن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة والله عز وجل أكرم من أن يرد ما بينهما أخرجه النميرى بالوجهين كذا فى القول البديع للحافظ السخاوى، **قال العراقى** : لم أجده مرفوعًا وإنما هو موقوف على أبى الدرداء رضى الله عنه.

قال مرتضى : وهو وإن كان موقوفًا فهو شاهد لقول الدارانى، ومما يؤيده أيضًا ما أخرجه أبو داود عن فضالة قال: سمع النبى ﷺ رجلاً يدعو فى صلاته لم يمجد الله ويصلى على النبى ﷺ فقال: عجل هذا، ثم دعاه فقال: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعوا بما شاء، ورواه النسائى وزاد فسمع النبى ﷺ رجلاً يصلى فمجد الله وحمده وصلى على النبى ﷺ فقال: ادع تجب وسل تعط، ومما يدل على إجابة الدعاء بعد التحميد ما روى عن أنس قال: جاءت أم سليم فقالت: يا رسول الله علمنى كلمات ادعو بهن فقال: تسبحين عشرًا وتحمدين عشرًا وتكبرين عشرًا ثم تسألين حاجتك فإنه يقول قد فعلت، رواه صاحب التنصرة، وأخرجه الترمذى عن معاذ سمع النبى ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: قد استجيب لك فسل، وفى المستدرك عن أبى أمامة رفعه: إن لله ملكًا موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثًا قال له الموكل: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل، والمعنى فيه أن ذكر الله بالثناء والتعظيم كالاكسير العظيم للنفس فى تصفيتها واشراقها حتى يكون الماهوب أقرب إليها، فلهذا قدم الثناء على الدعاء.

وهو فى السماء؟ فقال: أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء .

وقال سفيان الثورى: بلغنى أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام : لو مشيتم إلىَّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فإنى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم .

وقال مالك بن دينار: أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم: أن أخبرهم أنكم تخرجون إلىَّ بأبدان نجسة وترفعون إلىَّ أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام، الآن قد اشتد غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بُعدا .

وقال أبو الصديق الناجى: خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمرَّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

وقال الأوزاعى: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر ،ألستم مقرين بالإساءة ؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول: ما على المحسنين من سبيل، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا .

وقيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربك، فقال: إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجارة. وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقى فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنبا فليرجع ، فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة إلا واحد، فقال له عيسى عليه السلام : أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما علمت من شىء غير أنى كنت ذات يوم أصلى فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها ، فقال له عيسى عليه السلام : فادع الله حتى أؤمِّن على دعائك، قال: فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا .

وقال يحيى الغسانى : أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم ، فخرجوا حتى يستسقوا بهم. فقال أحدهم: « اللهم إنك أنزلت فى توراتك، أن

نعفو عمن ظلمنا. اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا. وقال الثانى: « اللهم إنك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا. اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: «اللهم إنك أنزلت فى توراتك، أن لا نرد المساكين ؛ إذا وقفوا بأبوابنا. اللهم إنا مساكينك، وقفنا ببابك، فلا ترد دعاءنا. فسقوا وقال عطاء السلمى: منعنا الغيث فخرجنا نستسقى. فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر ، فنظر إلىَّ فقال: يا عطاء، أهذا يوم النشور أو بُعثر ما فى القبور. فقلت: لا ولكنا مُنعنا الغيث ، فخرجنا نستسقى فقال: يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت: بل بقلوب سماوية. فقال: هيهات يا عطاء، قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهى وسيدى ومولاى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك، إلا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا؛ تحيى به العباد وتروى به البلاد . يا من هو على كل شىء قدير قال عطاء : فما استتم الكلام، حتى أرعدت السماء، وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القِرب ؛ فولّى وهو يقول :

أفلح الزاهدون والعابدونا ... إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا ... فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى ... حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن المبارك: قدمت المدينة فى عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم. إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش. قد اتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبى. فسمعته يقول: إلهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد حبست عنا غيث السماء ؛ لتؤدب عبادك بذلك. فأسألك يا حليما ذا أناة، يا من لا تعرف عباده منه إلا الجميل. أن تسقيهم الساعة الساعة. فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام ، وأقبل المطر من كل جانب .

قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل فقال: مالى أراك كئيبا؛ فقلت أمر سبقنا إليه غيرنا، فتولاه دوننا. وقصصت عليه القصة. فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه. ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ استسقى بالعباس ﷺ فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء، إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة . وقد توجه بى القوم إليك؛ لمكاني من نبيك ﷺ وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى. لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة . فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الأصوات بالشكوى . وأنت

تعلم السر وأخفى . اللهم فأغثهم بغياثك. قبل أن يقنطوا؛ فيهلكوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال: فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وفضله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وروى أنه ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه. فقال ﷺ : « إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال: أما ترضى يا محمد ، أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلّم عليك أحد من أمتك، إلا سلمت عليه عشرا »(١٠١٣).

وقال ﷺ : « من صلى عليَّ ؛ صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ ، فليقلل عند ذلك أو ليكثر » (١٠١٤) .

(١٠١٣) حديث : « أنه ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال: إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال : أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا » **قال العراقي:** رواه النسائي وابن حبان من حديث أبي طلحة بإسناد جيد .

(١٠١٤) حديث : « من صلى عليَّ صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر» هكذا في سائر نسخ الكتاب ووقع في سائر نسخ الدلائل: عند ذلك أو ليكثر وهو تصحيف **قال العراقي** : رواه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة بإسناد ضعيف والطبراني في الأوسط بإسناد حسن . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه البيهقي من حديث عامر بن ربيعة بلفظ من صلى عليَّ صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر وفي رواية له من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا فليكثر على عبد من الصلاة أو ليقل وعن أبي طلحة بلفظ من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرا فليكثر عبد من ذلك أو ليقل وروى الطبراني في الكبير عن عامر ابن ربيعة « من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه فأكثروا أو أقلوا » وهكذا رواه الحاكم في=

وقال ﷺ : « إن أولى الناس بى أكثرهم علىَّ صلاة » (١٠١٥) .

وقال ﷺ : « بحسب المؤمن من البخل أن أُذكر عنده فلا يصلى علىّ » (١٠١٦) .

وقال ﷺ : « أكثروا من الصلاة علىَّ يوم الجمعة» (١٠١٧) .

= الكنى وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر وروى أبو داود الطيالسى وأحمد وعبد بن حُميد والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والضياء من حديثه بلفظ « ما من عبد يصلى علىَّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلى فليقل العبد من ذلك أو ليكثر » .

(١٠١٥) حديث : « إن أولى الناس بى أكثرهم علىَّ صلاة » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وابن حبان . اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه البخارى فى التاريخ وقال ابن حبان صحيح وقال إن لم يكن المراد بهم تباع الأثر وعملة السنة فلا أدرى من هم أى لكثرة اشتغالهم بذكره صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه .

(١٠١٦) حديث : « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى علىَّ » **قال العراقى**: رواه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا والنسائى وابن حبان من حديث أخيه الحسين ابن على « البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل على » ورواه الترمذى من حديث الحسين بن على عن أبيه وقال حسن صحيح . اهـ.

وقال مرتضى : وحديث الحسين بن على أخرجه أيضا أحمد والحاكم فى الدعاء وقال صحيح من رواية عبد الله بن الحسين بن على عن أبيه عن جده وقد أطنب إسماعيل القاضى فى تخريج هذا الحديث فى تأليف له ولا ينقص عن درجة الحسن وفى بعض روايات هذا الحديث البخيل الذى من ذكرت عنده.

(١٠١٧) حديث : « أكثروا من الصلاة علىَّ يوم الجمعة » **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم وحكى عن أبيه أنه حديث منكر . اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن ماجه من حديث أبى الدرداء بزيادة « فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة » ورواه البيهقى من حديث أنس بزيادة « وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « من صلى عليَّ من أُمتى كُتب له عشر حسنات ومُحيت عنه عشر سيئات» (١٠١٨).

وقال ﷺ : « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلِّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى » (١٠١٩).

(١٠١٨) حديث : « من صلى عليَّ من أمتى كتبت له عشرحسنات ومُحيت عنه عشر سيئات » قال العراقى : رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عمير بن نيار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله فى السنن ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر نحو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات. اهـ.

وقال مرتضى : حديث أنس رواه أحمد والبخارى فى الأدب وأبو يعلى والحاكم والبيهقى والضياء بلفظ « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات» وروى أحمد وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ «من صلى عليَّ مرة واحدة كتب الله له بها عشرحسنات» وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان عنه أيضا بلفظ « من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا» وهكذا رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وعن عبد الله بن عمرو وعن أبى موسى وعن أنس عن أبى طلحة .

(١٠١٩) حديث : « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلَّت له شفاعتى » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبى ﷺ وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة فى حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وللمستغفرى فى الدعوات بسند ضعيف من حديث أبى رافع كان رسول الله ﷺ إذا سمع فذكر حديثا فيه فإذا قال قد قامت الصلاة قال: «اللهم رب هذه الدعوة التامة » الحديث : وزاد وتقبل شفاعته فى أمته ، ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمر : « وإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى » .اهـ.

وقال مرتضى: حديث جابر الذى رواه البخارى لفظه من قال - حين يسمع النداء -: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » . وهكذا رواه أحمد ومسلم و أصحاب=

وقال رسول الله ﷺ : « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » (١٠٢٠) .

وقال ﷺ : « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » (١٠٢١) .

= السنن الأربعة وابن خزيمة و ابن حبان ورواه الدارقطني في الأفراد من حديث بلفظ « من قال إذا سمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة آت محمدا الوسيلة وابعثه المقعد المقرب الذي وعدته وجبت له الجنة » ورواه أحمد وابن السني والطبراني في الأوسط من حديثه بلفظ من قال حين ينادي المنادي بالصلاة اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عني رضا لا تسخط بعده أبدا استجاب الله له دعوته .

(١٠٢٠) حديث : « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » **قال العراقي:** رواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أيضا أبو القاسم التميمي في الترغيب والخطيب في شرف أصحاب الحديث وابن بشكوال بسند ضعيف وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير أنه لا يصح وفي لفظ لبعضهم لم تزل الملائكة تستغفر له وفي آخر من كتب في كتابه صلى الله عليه وسلم لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه وعن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من كتب عني علما فكتب معه صلاة عليَّ لم يزل في أجر ما قرئ ذلك الكتاب». وأخرجه الدارقطني وابن بشكوال من طريقه وابن عدي وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». أخرجه أبو القاسم التميمي في ترغيبه ومحمد بن الحسن الهاشمي وقال ابن كثير لا يصح وقال الذهبي أحسبه موضوعا وقال الحافظ السخاوي روى مرفوعا من كلام جعفر الصادق قال ابن القيم وهو الأشبه يرويه محمد بن حميد عنه قال : « من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحا ما دام اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب» . نقله السخاوي في القول البديع والكتاب أعم من أن يكون كتاب علم يدرس فيه أو صحيفة يرسلها إلى أخيه والصلاة عليه فيه أعم من أن تكون بالكتابة أو بالنطق أو بالجمع بينهما وهو الأفضل وقد ذكر صاحب الدلائل عن بعض الصالحين قال كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي . فقلت فيم؟ فقال كنت إذا كتبت اسم محمد ﷺ في كتاب صليت عليه فأعطاني ربي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال مرتضى : وسيأتي لذلك مزيد بيان قريبا.

(١٠٢١) حديث : « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » تقدم الكلام عليه في آخر كتاب الحج .

وقال ﷺ : « ليس أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحى حتى أرد عليه السلام »(١٠٢٢).

وقيل له يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال : « قولوا اللهم صلّ على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد »(١٠٢٣). وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سُمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكى، ويقول: بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحنّ الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠). بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب ، فقال تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة: ٤٣). بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده، أن بعثك آخر الأنبياء

(١٠٢٢) حديث : « ليس أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله علّى روحى حتى أردّ عليه السلام » **قال العراقى:** رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بسند جيد . اهـ.

(١٠٢٣) حديث : وقيل يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى حميد الساعدى . اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الشيخين اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهكذا رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وقد روى مثل ذلك عن كعب بن عجرة رواه المذكورون خلا مالكا بلفظ: « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» ورواه كذلك عبد الرزاق فى المصنف وابن حبان فى الصحيح ورواه النسائى وحده عن طلحة أحد العشرة وروى عبد الرزاق عن محمد بن عبد الله بن زيد بلفظ قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم وقد روى فى الباب عن أبى سعيد وغيره .

وذكرك فى أولهم ، فقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأحزاب:٧).الآية بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده، أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك. وهم بين أطباقها يعذبون يقولون: ﴿ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ (الأحزاب: ٦٦).بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار ،فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء ؟ صلى الله عليك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر. فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ؟ ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله إحياء الموتى، فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك ؟ وهى مشوية . فقالت لك الذراع : لا تأكلنى فإنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح:٢٦)، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت: **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد اتبعك فى قلة سنك، وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنّه وطول عمره .ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل . بأبى أنت وأمى يا رسول الله . لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم[(١٠٢٤)].وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبى

(١٠٢٤) حديث : عمر فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والإسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالأبطح وكلام الشاة المسمومة وأنه دُمى وجهه وكُسرت رباعيته فقال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون، وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولعق أصابعه، **فأما حديث** حنين الجزع **قال العراقى**: هو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخر فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر. **وحديث**: نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره. **وحديث**: الإسراء **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح. **وحديث**: كلام الشاة المسمومة رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع. **وحديث**: إنه دمى=

ﷺ فيه ولا أسلم فرأيت النبيﷺ في المنام فقال لي : « **أما تتم الصلاة علىّ في كتابك**» فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه . وروى عن أبي الحسن الشافعي قال رأيت النبي ﷺ : في المنام فقلت يا رسول الله بم جوزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال ﷺ : « **جوزى عنى أنه لا يوقف للحساب** » .

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٣٥) . وقال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٣٥). الآية وقوله عزّ وجل : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١١٠).

= وجهه وكُسرت رُباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد. **وحديث: اللهم** اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة. والحديث في الصحيح عن ابن مسعود أنه ﷺ حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه. **وحديث:** لبس الصوف رواه أبو داود من حديث سهل بن سعد وابن عساكر من حديث أبي أيوب. **وحديث:** ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد. **وحديث:** وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخاري من حديث أنس: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط **قاله العراقي**.

قال مرتضى: وروى ابن سعد في الطبقات عن محمد ابن مقاتل عن ابن المبارك عن سفيان أن الحسن قال: لما بعث الله محمدا ﷺ قال هذا نبيى هذا خيارى اتسوا به ثم ذكر الحديث، وفيه يجلس بالأرض ويأكل طعامه بالأرض ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف بعبده ويلعق أصابعه وكان يقول من رغب عن سنتي فليس مني، وروى أيضا من حديث أنس قال : كان ﷺ يقعد على الأرض ويأكل على الأرض ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف، وروى عنه من وجه آخر أنه ﷺ : كان يركب الحمار يردف بعبده، وروى عن حمزة بن عبد الله بن عتبة كان ﷺ يركب الحمار عريا ليس عليه شيء، **وحديث:** ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك... رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك ﷺ **قاله العراقي** .

قال مرتضى: ورواه ابن سعد من مرسل الحسن كما تقدم قريبا .

وقال عزَّ وجل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر: ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران: ١٧).

وكان ﷺ: « **يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم** » (١٠٢٥).

وقال ﷺ: « **من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب** » (١٠٢٦).

وقال ﷺ: « **إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة** » (١٠٢٧).

هذا مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقال ﷺ: « **إنه ليغان على قلبى حتى أنى لأستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة** » (١٠٢٨).

(١٠٢٥) حديث: « سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم » **قال العراقى:** رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم.

(١٠٢٦) حديث: « من أكثر من الاستغفار جعل الله عزَّ وجل له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان. اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد وابن السنى فى اليوم والليلة والبيهقى فى السنن.

(١٠٢٧) حديث: « إنى لأستغفر الله سبحانه وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة » **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث أبى هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين مرة وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره.

(١٠٢٨) حديث: « إنه ليغان على قلبى حتى أنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث الأغر. اهـ.

وقال مرتضى: وهو المزنى له صحبة روى عنه معاوية بن قرة وأبو بردة وقد أورده هكذا أحمد والنسائى وابن ماجه بلفظ «وإنى لأستغفر الله فى اليوم».

وقال ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زَبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا » (١٠٢٩).

وقال ﷺ فى حديث آخر : « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الزحف » (١٠٣٠)

(١٠٢٩) حديث : « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له عز وجل ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو كعدد ورق الشجر أو كعدد أيام الدنيا » رواه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى . **قال العراقى**: الوصافى وإن كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه البخارى فى التاريخ دون قوله حين يأوى إلى فراشه وقوله ثلاث مرات . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أحمد وأبو يعلى ولفظ الترمذى: من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو فساقه كسياق المصنف إلا أنه قال بعد قوله زَبد البحر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا ورواه ابن عساكر من حديثه بلفظ : « من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغثاء البحر وعدد نجوم السماء » ورواه ابن السنى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر وابن النجار من حديث أنس بنحوه إلا أنه قال من قال صبيحة الجمعة قبل الغداة وفيه ولو كانت أكثر من زَبد البحر وفى الإسناد حنيف بن عبد الرحمن الجزرى مختلف فيه .

(١٠٣٠) حديث : « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف » رواه أبو داود والترمذى من حديث زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقال غريب **قاله العراقى**.

وقال مرتضى : ورجاله موثقون ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرطهما . اهـ. وقال لفظ الحاكم من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثا والباقى سواء، ولفظ الترمذى بعد قوله وأتوب إليه غفر له وإن كان فاراً من الزحف ولم يذكر ثلاثا وبلفظ الترمذى رواه ابن سعد فى الطبقات والبغوى وابن منده والباوردى والطبرانى فى الكبير والضياء وابن عساكر كلهم عن بلال بن زيد عن أبيه عن جده قال البغوى ولا أعلم له غيره ورواه ابن عساكر عن أنس ورواه أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن مسعود ومعاذ موقوفا عليهما .

وقال حذيفة : « كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت : يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال النبي ﷺ : فأين أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » (١٠٣١).

وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ : « إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » (١٠٣٢).

وكان ﷺ يقول في الاستغفار: « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدّي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر

(١٠٣١) حديث : « كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار فقال النبي ﷺ : فأين أنت من الاستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » **قال العراقي :** رواه النسائي في اليوم والليلة وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أبو داود والطيالسي وهناد وأحمد وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في السنن وأبو يعلى والروياني والضياء وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن محمد بن مهران حدثنا محمد بن العباس بن أيوب حدثنا الحسن بن يونس حدثنا محمد بن كثير حدثنا عمرو ابن قيس الملائي عن أبي إسحاق عن عبيد بن المغيرة عن حذيفة قال أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن لي لسانا ذربا على أهلي قد خشيت أن يدخلني النار قال: فأين أنت من الاستغفار إني أستغفر الله في كل يوم مائة مرة، وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص حدثنا أبو إسحاق عن أبي المغيرة عن حذيفة قال شكوت إلى رسول الله ﷺ ذرب لساني فقال: « أين أنت من الاستغفار إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » .

(١٠٣٢) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ :« إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار » **قال العراقي:** متفق عليه دون قوله فإن التوبة إلخ وزاد وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه وللطبراني في الدعاء فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له .اهـ.

وقال مرتضى: يشير إلى قصة أهل الإفك قال لها ما قال حين قال أهل الإفك ما قالوا إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي فإن العبد . . الحديث بطوله وقد رواه الجماعة إلا الترمذي .

لى ما قدمت و ما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير » (١٠٣٣).

وقال على رضي الله عنه : كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته .

قال وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ **يقول : « ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له »** (١٠٣٤).

ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (آل عمران ١٣٥) . الآية وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : **« إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه »** (١٠٣٥).

(١٠٣٣) حديث : « كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم . اهـ.

وقال مرتضى: رواه فى كتاب الدعوات من الصحيح ورواه كذلك البيهقى وغيره .

(١٠٣٤) حديث : « ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهر ثم يقوم فيصلّى ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له » . **قال العراقى :** رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذى . اهـ.

وقال مرتضى : قال الترمذى حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان ابن المغيرة ورواه أبو داود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وأحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان وصححه والدارقطنى فى الأفراد وابن السنى فى عمل اليوم والليلة والبيهقى فى السنن والضياء والحميدى والعوفى وعبد بن حُميد وابن منيع كلهم عن على عن أبى بكر رضي الله عنهما وفى الحديث إن من شرط الدعاء تقديم عمل صالح أمام الدعاء .

(١٠٣٥) حديث : « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فإذا زاد زادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذى ذكره الله عز وجل : ﴿ **بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ » **قال العراقى :** رواه الترمذى وصححه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان والحاكم . اهـ.

=

فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين : ١٤) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول : يا رب أنى لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك » (١٠٣٦) .

وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » (١٠٣٧) .

وقال ﷺ : « إذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربًا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي إعمل ما شئت فقد غفرت لك » (١٠٣٨) .

= **وقال مرتضى:** ورواه كذلك أحمد وعبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ إن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء . إلخ وفيه فإن عاد زادت والباقي سواد وأخرج ابن المنذر عن إبراهيم التيمي نحو ذلك وأخرج هو وابن جرير عن ابن عباس في قوله ران أي «طبع» وأخرج سعيد بن منصور .

(١٠٣٦) حديث : أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أنَّى لي هذه فيقول الله عز وجل: باستغفار ولدك لك » **قال العراقي :** رواه أحمد بإسناد حسن .

وقال مرتضى : ويؤيده ما روى أبو نعيم في الحلية من طريق قتادة عن أنس رفعه سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره : من علَّم علما أو طوى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورَّث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر الله له بعد موته .

(١٠٣٧) حديث : عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا» . **قال العراقي :** رواه ابن ماجه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه البيهقي في السنن بهذا الإسناد .

(١٠٣٨) حديث : « إذا أذنب العبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب، عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك » **قال العراقي:** متفق عليه من حديث أبي هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك أخرجه النسائي ولفظهم جميعا عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أي عبد أصاب ذنبا وربما قال أذنب ذنبا فقال رب أذنبت ذنبا=

وقال ﷺ : « ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » (١٠٣٩) .

وقال ﷺ : « أن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا ، يارب فاغفر لى فقال الله عز وجل: قد غفرت لك » (١٠٤٠) .

وقال ﷺ : «من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر » (١٠٤١) .

= وربما قال أصبت ذنبا فاغفره لى فقال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال: علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله وربما قال ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لى فيقول : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثا فليعمل ما شاء .

(١٠٣٩) حديث : « ما أصرَّ من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » فإن رحمة الله لا نهاية لها ولا غاية **قال العراقى:** رواه أبو داود والترمذى من حديث أبى بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى. اهـ.

وقال مرتضى: قال الزيلعى إنما لم يكن قويا لجهالة مولى أبى بكر الراوى عنه لكن جهالته لا تضر إذ تكفيه نسبته إلى الصديق .اهـ. قال المناوى وفيه أيضا عثمان بن واقد ضعَّفه أبو داود نفسه .

قال مرتضى : عثمان بن واقد لم أر له ذكرا فى كتاب الضعفاء للذهبى ولا فى ذيله ولعله عثمان بن فائد فلينظر ذلك.

(١٠٤٠) حديث: « إن رجلا لم يعمل خيرا قط نظر إلى السماء فقال إن لى ربا » فأقر بربوبيته وشهد بوحدانيته ثم قال : « يا رب اغفر لى فقال الله عز وجل قد غفرت لك » **قال العراقى:** لم أقف له على أصل.اهـ.

وقال مرتضى : وجدت بخط ابن الحريرى قال وجدت بخط الشيخ المحدِّث زين الدين الدمشقى الواعظ ما نصه أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بسند ضعيف من حديث أبى هريرة .

(١٠٤١) حديث: «من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر» . **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه فى الصغير أيضا وفى الإسناد إبراهيم بن هراسة وهو متروك قاله الهيتمى فهذا معنى **قول العراقى:** بسند ضعيف وروى الحاكم وأبو نعيم فى الحلية والطبرانى من حديث قُبيصة عن جابر بن مرزوق عن عبد الله العمرى عن أبى طوالة عن أنس=

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى »(١٠٤٢).

وقال ﷺ : « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غُفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل»(١٠٤٣)

وروى أن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء على نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعها إلا أنت(١٠٤٤).

= مرفوعا من أذنب ذنبا فعلم أن له ربا إن شاء الله أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقا على الله أن يغفر له وفى جابر بن مرزوق نكرة.

(١٠٤٢) حديث : « يقول الله عزَّ وجل يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيته » . **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى ذر وقال الترمذى حسن وأصله عند مسلم بلفظ آخر. اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أبو هناد وأبو داود وروى أحمد بعضه وقد وقع لنا مسلسلا بالشاميين بلفظ مسلم وأوله يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى الحديث بطوله وروى الطبرانى والحاكم عن ابن عباس رفعه قال الله عزَّ وجل من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالى ما لم يشرك بى شيئا .

(١٠٤٣) حديث: « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غُفرت له ذنوبه وإن كانت كمدب النمل» . **قال العراقى:** رواه البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفر الله لك فذكره بزيادة لا إله إلا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة . اهـ.

وقال مرتضى: وروى ابن النجار من حديث ابن عباس من قال لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوءا وظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم غُفرت ذنوبه ولو كان فارا من الزحف ورواه الديلمى من حديثه مثله بلفظ فاغفر لى إنك أنت خير الغافرين غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زَبد البحر .

(١٠٤٤) حديث : « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىَّ وأبوء على=

(الآثار) : قال خالد بن معدان: يقول الله عزّ وجل إن أحب عبادى إلىّ المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم، وقال قتادة رحمه الله: القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار، وقال علىّ كرم الله وجهه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هى قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه، وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله : لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لى وتب علىّ. وقال الفضيل رحمه الله: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين. وقالت رابعة العدوية رحمها الله: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، وقال بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم . وسُمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلىّ بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك يا من إذا وعد وفّى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين. وقال أبو عبد الله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزَبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت

= نفسى بذنبى فقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت إنه لا يغفر الذنوب جميعا إلا أنت » **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ودون قوله ذنوبى ما قدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة والترمذى والنسائى وابن حيان والطبرانى وقال صاحب سلاح المؤمن وليس لشداد بن أوس فى الصحيحين سوى حديثين أحدهما هذا والآخر فى مسلم « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » ولفظ الجماعة عن النبى ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن يقول اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » إذا قال حين يمسى فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة وإذا قال حين يصبح فمات من يومه بمثله . وفى رواية للجماعة : « من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله تعالى: اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىّ فاستعنتُ بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم. ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخَضِرْ عليه الصلاة والسلام.

* * *

الباب الثالث

فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساءً وبعقب كل صلاة

فمنها دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما: بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح، قال: « اللهم إنى أسألك رحمة من عندك، تَهدى بها قلبى وتجَمع بها شملى ،وتَلم بها شعثى، وتَرد بها الفتن عنى، وتُصلح بها دينى، وتحفظ بها غائبى وتَرفع بها شاهدى وتُزكى بها عملى وتُبيض بها وجهى وتُلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء ، اللهم أعطنى إيمانًا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء، والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء، اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى وقَلَّت حيلتى وقصرعملى وافتقرت إلى رحمتك فأسألك يا كافى الأمور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإنى أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد، سبحان الذى لبس العز وقال به، سبحان الذى

تعطَّف بالمجد وتكرم به، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى الفضل والنعم، سبحان ذى العزة والكرم، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه، اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا في دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى، اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا»(١٠٤٥).

دعاء عائشة رضى الله عنها

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « **عليك بالجوامع الكوامل ، قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله. ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلّه عاجله وآجله. ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة ، وما قرب إليها من قول وعمل. وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل . وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لى من أمر، أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين** » (١٠٤٦) .

(١٠٤٥) حديث : ابن عباس «اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى. . .الحديث» **قال العراقى:** الحديث بطوله رواه الترمذى وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومة فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى.اهـ.

. **وقال مرتضي :** وأورده بطوله صاحب القوت فقال: رواه ابن ليلى عن داود بن على عن أبيه عن ابن عباس. اهـ. وبسياق المصنف رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة والبيهقى فى كتاب الدعوات كلهم من طريق داود بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده وداود هذا عم المنصور ولى المدينة والكوفة للسفاح حدث عنه الكبار كالثورى والأوزاعى ووثقه ابن حبان وغيره وقال لابن معين أرجو أنه لا يكذب إنما يحدث بحديث واحد كذا روى عثمان بن سعيد عنه وأورده ابن عدى فى الكامل وساق له بضعة عشر حديثا ثم قال عندى لا بأس برواياته عن أبيه عن جده واحتج به مسلم وخرج له الأربعة .

(١٠٤٦) حديث : قوله ﷺ لعائشة « عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى أسألك من الخير=

دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله ﷺ : « يا فاطمة، ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله » (١٠٤٧).

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه

علّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول : « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك ، وإبراهيم خليلك وموسى نجيك، وعيسى كلمتك وروحك، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى ، وزبور داود، وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين، وبكل وحي أوحيته، أو قضاء قضيته ، أو سائل أعطيته، أو غني أفقرته ،أو فقير أغنيته، أو ضال هديته، وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى ﷺ ، وأسألك باسمك الذي بثت به أرزاق العباد. وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته على السماوات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك . وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزّل في كتابك من لدنك من

= كله عاجله وآجله . . . الحديث » **وقال العراقي:** رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديثها . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند وابن عساكر في التاريخ .

(١٠٤٧) حديث : دعاء فاطمة رضي الله عنها عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله » هكذا ساقه في القوت **قال العراقي** : رواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين اهـ.

وقال مرتضي : ورواه كذلك ابن عدى في الكامل والبيهقي في السنن. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء حدثني الحسن بن الصباح حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عثمان بن موهب قال سمعت أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها فساقه مثله .

النور المبين . وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار، وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك، وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن، والعلم به. وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى. وتستعمل به جسدى، بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين(١٠٤٨) .

دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه

روى أنه قال له رسول الله ﷺ : «**يا بريدة، ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ، ثم لم ينسهن إياه أبدا**» قال : فقلت : بلى يا رسول الله، قال: « قل: اللهم إنى ضعيف فقوِّ فى رضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى، اللهم إنى ضعيف فقونى، وإنى ذليل فأعزنى، وإنى فقير فاغننى يا أرحم الراحمين » (١٠٤٩) .

(١٠٤٨) حديث : « علَّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ... الحديث » . **قال العراقى :** رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة أن أبا بكر أتى النبى ﷺ فقال إنى أتعلم القرآن وينفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر. اهـ.

وقال مرتضى: وقد روى فى دعاء أبى بكر رضي الله عنه غير ما أورده المصنف فمن ذلك ما رواه الترمذى وقال: حسن غريب من حديث عبد الله بن عمر وقال : قال رسول الله ﷺ لأبى بكر: « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة لاإله إلا أنت رب كل شىء ومليكه أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف علىٰ نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم » وروى ابن أبى شيبة وأحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وأبو عوانة وابن حبان والدارقطنى فى الأفراد عن أبى بكر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ﷺ علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم وروى أحمد وابن منيع والشاشى وأبو يعلى وابن السنى فى اليوم والليلة والضياء عن أبى بكر رضى الله عنه قال أمرنى رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعى من الليل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم.

(١٠٤٩) حديث : « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن إياه ... الحديث » **قال العراقى:** رواه الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد. اهـ.

=

دعاء قُبيصة بن المخارق

إذ قال لرسول الله ﷺ : علّمنى كلمات ينفعنى الله عز وجل بها؛ فقد كبر سنى وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها . فقال عليه السلام: « أما لدنياك فإذا صليت الغداة، فقل ثلاث مرات: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج، وأما لآخرتك فقل: اللهم اهدنى من عندك وأفض علىّ من فضلك وانشر علىّ من رحمتك وأنزل علىّ من بركاتك» ثم قال ﷺ : « **أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء** » (١٠٥٠) .

= **وقال مرتضى:** وكذلك رواه أبو يعلى ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وفى الإسناد أبو داود الأعمى وهو متروك ولفظهم ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيرا يعلمهن إياه ثم لا ينسيه أبدا قل اللهم إنى ضعيف فقوِّ برضاك ضعفى وخذ إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضائى اللهم إنى ضعيف فقونى وأنى ذليل فأعزنى وأنى فقير فارزقنى .

(١٠٥٠) حديث : قبيصة بن المخارق قال لرسول الله ﷺ : « علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبر سنى وعجزت . . . الحديث» . **قال العراقى :** رواه ابن السنى فى اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد مختصرا من حديث قبيصة وفيه رجل لم يسم.اهـ.

قال مرتضى: وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير وفى كتاب الدعوات مختصرا من حديث ابن عباس والطبرانى أيضا وابن شاهين من حديث قبيصة ولفظهم يا قبيصة قل ثلاث مرات إذا صليت الغداة وفيه فإنك إذا قلت ذلك أمنت بإذن الله من العمى والجذام والبرص وقل اللهم اهدنى من عندك إلى قوله من بركاتك وفى كتاب الدعاء لابن أبى الدنيا حدثنا أحمد ابن حاتم عن زافر بن سليمان بن بكر بن خنيس عن نافع عن عطاء عن ابن عباس أن رجلا من بني هلال يدعى قبيصة أتي النبى ﷺ فقال يا رسول الله كبرت سنى ودق عظمى وضعفت عن عمل كنت أعمله من حج أو جهاد أو صوم فجئتك لتعلمنى كلمات ينفعنى الله بهن فى الدنيا والآخرة فقال: « ما قلت يا قبيصة فأعاد قال: والذى بعثنى بالحق ما حولك من شجر ولا مدر إلا وقد بكى لمقالتك هات حاجتك قال: جئتك لتعلمنى كلمات ينفعنى الله بهن فى الدنيا والآخرة قال : أما الدنيا فقل سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله يصرف عنك ثلاث بلايا عظام من الجنون والجذام والبرص وأما لآخرتك فقل

دعاء أبي الدرداء رضى الله عنه

قيل لأبى الدرداء ﷺ : « قد احترقت دارك، وكانت النار قد وقعت فى محلته، فقال : ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول : ما كان الله ليفعل ذلك ، ثم أتاه آت فقال: يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت، قال : قد علمت ذلك ، فقيل له : ما ندرى أى قوليك أعجب ، قال : إني سمعت رسول الله ﷺ قال : « من يقول هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهى : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » (١٠٥١) .

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح: « اللهم إن هذا خلق جديد؛ فافتحه عليَّ بطاعتك، واختمه لى بمغفرتك ،ورضوانك وارزقنى فيه حسنة ؛ تقبلها منى وزكّها، وضعفها لى. وما عملت فيه من

= إذا أصبحت اللهم اهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وانشر علينا رحمتك وأنزل علينا بركاتك قال فقبض على أصابعه هكذا فقال أبو بكر : يا رسول الله قد قبض على أصابعه قال: لئن وافى بهن يوم القيامة لتفتحن عليه أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » .

(١٠٥١) حديث : « قيل لأبى الدرداء احترقت دارك فقال: ما كان الله ليفعل ذلك. . .الحديث » هكذا أورده صاحب القوت فقال: روى عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال: أتى أبو الدرداء فقيل له : احترقت دارك فقال: ما كان الله عز وجل ليفعل فساقه **وقال العراقى:** رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديثه من قال حين يصبح ربى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما أعوذ بالذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم لم يصبه فى نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه .

سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم » . قال: ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول: « اللهم إنى أصبحت، لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيد غيرى، وأصبحت مرتهنا بعملى. فلا فقير أفقر منى . اللهم لا تشمت بى عدوى ، ولا تسوء بى صديقى، ولا تجعل مصيبتى فى دينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همى، ولا تسلط علىّ من لا يرحمنى يا حى يا قيوم » .

دعاء الخضر عليه السلام

يقال إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة من الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله » . فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى .

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان: قال لى معروف الكرخى رحمه الله: « ألا أعلِّمك عشر كلمات خمس للدنيا، وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن؛ وجد الله تعالى عندهن. قلت: اكتبها لى، قال: لا ولكن أرددها عليك كما رددها علىّ بكر بن خنيس رحمه الله: حسبى الله لدينى، حسبى الله لدنياى، حسبى الله الكريم لما أهمنى، حسبى الله الحليم القوى لمن بغى علىّ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء، حسبى الله الرحيم عند الموت، حسبى الله الرءوف عند المسألة في القبر، حسبى الله الكريم عند الحساب، حسبى الله اللطيف عند الميزان، حسبى الله القدير عند الصراط، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم». وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال: من قال فى كل يوم سبع مرات: « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم؛ كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا » .

دعاء عتبة الغلام

وقد رُئِيَ فى المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات: « اللهم يا هادى المضلين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين. واجعلنا مع الأخيار المرزوقين ، الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين » .

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضى الله عنها : لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدمﷺ ؛ طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء. ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال: « اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى؛ فاعطنى سؤلى وتعلم ما في نفسى؛ فاغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك إيمانا يباشر قلبى، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته علىّ، والرضا بما قسمته لى يا ذا الجلال والإكرام ». فأوحى الله عز وجل إليه: « أنى قد غفرت لك، ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له، وكشفت غمومه وهمومه ،ونزعت الفقر من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وجاءته الدنيا وهى راغمة؛ وإن كان لا يريدها » .

دعاء على بن أبى طالب رضى الله عنه

رواه عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن الله تعالى يمجِّد نفسه كل يوم، ويقول : إنى أنا الله رب العالمين، إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم، إنى أنا الله لا إله إلا أنا العلى العظيم، إنى أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد، إنى أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور، إنى أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإلىّ يعود، العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار، الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، الفرد الوتر، عالم الغيب والشهادة ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم، أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى ، القادر**

الرزاق فوق الخلق والخليقة . وذكر قبل كل كلمة إني أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه في الأول، فمن دعا بهذه الأسماء فليقل: إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا، فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى» (١٠٥٢).

دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه

روي أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قُتل شهيدا ببلاد الروم فقال : « ما أفضل ما رأيت ثمَّ من الأعمال؟ قال: رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان، وهي هذه: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق، وزنة ما خلق، وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ، ومثل ذلك، وأضعاف ذلك، وعدد خلقه، وزنة عرشه، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته، ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي، وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي، في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة،

(١٠٥٢) حديث : « إن الله تعالى يمجّد نفسه كل يوم فيقول إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم. . . الحديث » **وقال العراقي** : الحديث بطوله لم أجد له أصلا .

قال مرتضى: لكن وجدت في الحلية في ترجمة وهب بن منبه ما يقرب ذلك، حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا أحمد ابن صالح حدثنا أسد بن موسى عن يوسف بن زياد عن أبي إلياس بن بنت وهب قال: وذكر وهب أن الله تعالى لما فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله، وذكر عظمته وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيته فأنصت كل شيء وأطرق له كل شيء خلقه فقال: أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى، وأنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأمثال العُلى، أنا الله لا إله إلا أنا ذو المنّ والطول والآلاء والكبرياء، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السماوات والأرض ومن فيهن، ملأت كل شيء عظمتي. وقهر كل شيء ملكي. وأحاطت بكل شيء قدرتي، وأحصى كل شيء علمي، ووسعت كل شيء رحمتي، وبلغ في كل شيء لطفي . . فساقه بطوله.

وساعة من الساعات ، وشم ونفس من الأنفاس، وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا، وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك . لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره » .

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى إبراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى : « مرحبا بيوم المزيد، والصبح الجديد، والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد . . اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد: أصبحت بالله مؤمنا، وبلقائه مصدقا ، وبحجته معترفا، ومن ذنبى مستغفرا ، ولربوبية الله خاضعا، ولسوى الله من الآلهة جاحدا وإلى الله فقيراً. وعلى الله متكلا، وإلى الله منيبًا أشهد الله، وأشهد ملائكته، وأنبياءه ورسله ، وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما، وأن الجنة حق، وأن النار حق، والحوض حق، والشفاعة حق ، ومنكرا ونكيرا حق، ووعدك حق، ووعيدك حق ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور. على ذلك أحيا، وعليه أموت وعليه أبعث، إن شاء الله، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى، وأنا عبدك وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت، ومن شر كل ذى شر، اللهم إنى ظلمت نفسى. فاغفر لى ذنوبى، فإنه لا يغفر الذنوب، إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها ، فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله بيديك. أنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك. آمنت اللهم بما أرسلت من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرًا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يا رب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد، وأسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا، لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ، ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ، ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله، وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولا تضلنى وإن كنت ظالما، سبحانك سبحانك، يا على يا عظيم

يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السماوات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبَّحت له السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك يا حى يا قيوم، يا عليم يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير» .

★ ★ ★

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكى وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء، كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك أعقاب صلواتك : « سبحان ربى العلىِّ الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شىء قدير » (١٠٥٣).

وقل : «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا »(١٠٥٤) ثلاث مرات.

(١٠٥٣) حديث : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شىء قدير » فمن قالها عشر مرات كن له كعدل عشر رقاب كما رواه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد والطبرانى عن أبى أيوب وكتب الله له بكل كلمة عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره كما رواه أحمد والضياء عنه وكن له حرزا من الشيطان كما رواه ابن صصرى فى أماليه عن أبى هريرة وحرزا من المكروه ولم تلحقه فى يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله كما رواه ابن السنى عن معاذ ولم يسبقها عمل ولم تبق منها سيئة كما رواه ابن عساكر عن أبى أُمامة وكان قائلها من أفضل الناس عملاً إلا رجلا يفضله يقول أفضل مما قال كما رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أو كتب له بها مائة حسنة ومحى عنه بها مائة سيئة وكانت كعدل رقبة كما رواه ابن السنى عن أبى هريرة أو كن له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل كما رواه الطبرانى عن أبى أيوب وأدخله الله بها جنات النعيم كما رواه الطبرانى عن ابن عمر. وحديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء، كما رواه الحاكم فى مستدركه.

(١٠٥٤) حديث : « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ثلاث مرات فمن قالهن حين يصبح ويمسى كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة » كما رواه عبد الرزاق

وقل: « اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشـر الشيطان وشركه »(١٠٥٥).

وقل : « اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خـلفي وعن يميني وعن شـمالي ومن فـوقي وأعـوذ بـك أن أغـتـال من تحـتي»(١٠٥٦).

= وأحمد وأبو داود والنسـائي وابن ماجه وابن سعد الروياني والبغـوي والحاكم وأبو نعيم في الحليـة عن أبي سلام عن رجل خـدم النبي ﷺ وقد تقـدم ذكره والاخـتلاف في راويه في الباب الأول من الأذكار .

(١٠٥٥) حديث : « اللـهم فاطر السمـاوات والأرض عالم الغـيب والشهـادة رب كل شيء ومليكه اشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه» **قال العراقي:** رواه أبو داود والترمذي وصـححه وابن حبـان والحاكم وصححـه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: قل اللهم . . فذكره .

وقال مـرتضى: وأخرجه الترمذي أيضا وقال حـسن غريب من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا بكر قل فساقه وفي آخره وأن اقترف على نفسي أو أجره إلى مسلم وروى أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلى وابـن السني في عمل اليوم والليلة والضياء عن أبي بكر قـال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقـول إذا أصبـحت وإذا أمسـيت وإذ أخذت مضجعي مـن الليل اللهم فاطر السماوات والأرض. . إلخ وفيه الزيادة المذكـورة وقد تقدم في الباب قبله عند ذكـر دعاء أبي بكرٍ رضي الله عنه ورواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شـيبة وابن السني من حديث ابن مرة بدون تلك الزيادة .

(١٠٥٦) حديث : « اللـهم إني أسألك العفـو والعافـية في ديني ودنيـاي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمـتك أن أغتال من تحتي » **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسـائي وابن مـاجه والحـاكم وصحح إسناده من حـديث ابن عـمر قـال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح دون قوله وأقل عثراتي .اهـ.

وقال مـرتضى: ورواه البزار في مسنده عن ابن عبـاس ولفظه اللهم إني أسألك العفة في ديني ودنياي وأهلي ومـالي اللهم أستر عـوراتي وآمن روعتي واحفظني. . إلخ وفيـه وأعوذ بك أن أغتال من تحتي وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف .

اللهم : « لا تؤمِّنى مكرك ولا تولِّنى غيرك ولا تَنزع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين » (١٠٥٧).

وقل اللهم : « أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١٠٥٨) ثلاث مرات .

وقل : « اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا إله إلا أنت» (١٠٥٩) ثلاث مرات .

(١٠٥٧) حديث : « اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا تنزع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين » **قال العراقى :** رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولنى غيرك بإسناد ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى : ورواه ابن النجار كذلك ولفظهما من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين اللهم ابعثنا فى أحب الأوقات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا إلا بعث الله إليه ملكا فى أحب الساعات فيوقظه الحديث وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا الحرث بن موسى الطائى حدثنا حبيب أبو محمد قال : إذا آوى العبد إلى فراشه قال: اللهم لا تنسنى ذكرك فساق الحديث بطوله كسياق الجماعة .

(١٠٥٨) حديث : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » تقدم أنه رواه البخارى من حديث شداد بن أوس ورواه كذلك ابن سعد فى الطبقات ورواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه من قال حين يصبح أو حين يمسى فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة ورواه ابن السنى وأبو يعلى عن سليمان بن بريدة عن أبيه من قال ذلك فى نهاره فمات من يومه ذلك مات شهيداً ومن قالها ليلا فمات من ليلته تلك مات شهيداً.

(١٠٥٩) حديث : « اللهم عافنى فى بدنى وعافنى فى سمعى وعافنى فى بصرى لا إله إلا أنت ثلاث مرات» **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى بكرة وقال النسائى جعفر بن ميمون ليس بالقوى. اهـ.

=

وقل : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقًا إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدى أو يُعتدى علىَّ أو أكسب خطيئة أو ذنبًا لا تغفره »(١٠٦٠) .

« اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة فى الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبًا خاشعًا سليما وخلقًا مستقيما ولسانًا صادقًا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب»(١٠٦١) .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير وعلى كل غيب شهيد(١٠٦٢) .

= **وقال مرتضى:** رواه أيضا الحاكم وعندهم فى الدعاء بعد قوله: فى بصرى زيادة اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر .

(١٠٦٠) حديث : « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء » **قال العراقى:** رواه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت فى أثناء حديث وقال صحيح الإسناد.اهـ.

وقال مرتضى: ورواه وكذا ابن ماجه من حديث عمار بن ياسر والحديث طويل ولفظه اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق وسيأتى للمصنف قريبًا .

(١٠٦١) حديث : «اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة فى الرشد » الحديث إلى قوله: «وأنت علام الغيوب» **قال العراقى:** رواه الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قال: بل هو منقطع وضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه ابن حبان فى صحيحه وقوله وخلقًا مستقيما رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

(١٠٦٢) حديث : « اللهم اغفر لى ما قدَّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت » الحديث إلى قوله « وعلى كل غيب شهيد » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أبى موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

قال مرتضى : وأوله عندهما اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اغفر لى ما قدمت وما أخرت الحديث وروى الحاكم عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من=

اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنة الخلد (١٠٦٣).

« اللهم إنى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علىَّ وتغفر لى وترحمنى وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » (١٠٦٤).

= مجلس حتى يقول اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى وقال صحيح على شرط البخارى .

(١٠٦٣) حديث : « اللهم إنى أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد» **قال العراقى:** رواه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد وللنسائى من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد وأسألك نعيمًا لا ينفد وقرة عين لا تنقطع .اهـ.

وقال مرتضى : هو فى أثناء حديث طويل يأتى ذكر بعضه ومضى ذكر بعضه رواه أحمد والحاكم عن عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به وأما حديث ابن مسعود فرواه أيضا ابن حبان فى صحيحه واللفظ للنسائى عن أبى عبيدة واسمه عامر عن أبيه عبد الله بن مسعود أنه سئل ما الدعاء الذى دعوت به ليلة قال لك رسول الله ﷺ سل تعطه قال: قلت اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبينا محمد ﷺ فى أعلى درجة الجنة درجة الخلد .

(١٠٦٤) حديث : « اللهم إنى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علىَّ وتغفر لى وترحمنى وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث معاذ اللهم إنى أسألك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عائش قال أبو حاتم ليست له صحبة .اهـ.

وقال مرتضى: لفظ الترمذى عن معاذ قال احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجوز فى صلاته فلما سلم دعا بصوته قال: لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال أما إنى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فإذا أنا بربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة فقال: يا محمد فقلت لبيك ربى قال فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدرى قالها ثلاثًا قال: فرأيته وضع كفيه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثديى فتجلى لى كل شىء=

« اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » (١٠٦٥).

« اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا والآخرة » (١٠٦٦).

= عرفت فقال : يا محمد قلت لبيك قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات رب قال: ما هي قلت: مشي الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكراهات قال: ثم فيم قال: قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال: سل قال: اللهم أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك فقال: رسول الله ﷺ إنها حق فادرسوها ثم تعلموها قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى الحاكم عنه في المستدرك فعل الدعاء من حديث ثوبان وقال صحيح على شرط البخاري وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كان من دعاء داود عليه السلام يقول: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلّغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي ومن الماء البارد قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عليه السلام يحدث عنه قال: كان أعبد البشر رواه الترمذي واللفظ له وقال حسن غريب ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد وعن عبد الله بن يزيد الخطمي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني حبه فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب رواه الترمذي وقال حسن غريب .

(١٠٦٥) حديث : « اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي » الحديث إلى قوله : «واجعلنا هداة مهتدين» **قال العراقي** : رواه النسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله ﷺ يدعو به .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه كذلك أحمد وابن حبان في صحيحه وهذا السياق للنسائي وروى في المستدرك من حديث عطاء بن السائب عن أبيه وقال صحيح الإسناد .

(١٠٦٦) حديث : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك » الحديث **قال العراقي**: رواه الترمذي وقال حسن والنسائي في اليوم والليلة والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بذلك .اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٧

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

« اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك»(١٠٦٧).

«اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحًا وأوسطه فلاحًا وآخره نجاحًا، اللهم اجعل أوله رحمة وآخره تكرمة ومغفرة»(١٠٦٨).

= **وقال مرتضى** : رواه الترمذى فى الدعوات عن على بن حجر عن ابن المبارك عن يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبى عمران عن ابن عمر وقال حسن وأقره النووى وفيه قال ابن عمر قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات ورواه عنه أيضا النسائى عن سويد بن نصر عن ابن المبارك وعبيد الله بن زحر ضعفوه قال صاحب المنار فالحديث لأجله حسن لا صحيح ورواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء عن داود بن عمر والضبى عن ابن المبارك ولكن عند الجماعة زيادة بعد قوله مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وقد تقدم شىء من ذلك فى آخر دعاء سيدنا عيسى عليه السلام .

(١٠٦٧) حديث : « اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحًا» الحديث إلى قوله: « واجعلنا أخشى لك من سواك» **قال العراقى** : هذا الدعاء لم أقف له على أصل.اهـ.

وقال مرتضى: ولكن يشهد له ما رواه أبو نعيم فى الحلية عن الهيثم بن مالك الطائى رفعه اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلىّ واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندى واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عينى من عبادتك وما رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة اللهم اجعلنى أخشاك حتى كأنى أراك الحديث .

(١٠٦٨) حديث : « اللهم اجعل أول يومنا هذا إصلاحًا وأوسطه فلاحًا وآخره نجاحًا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة » **قال العراقى**: رواه عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أبى أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحًا وإسناده ضعيف .

وقال مرتضى: والشطر الأول رواه أيضا أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء عن ابن أخى ابن وهب عن عمه عن الليث بن سعد وعقبة بن نافع عن إسحق بن أسيد عن أنس بن مالك قال كلمات لا يدرى أحد ما فيهن من الخير من قال حين يصبح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا رسول الله ﷺ اللهم اجعل أول يومى هذا نجاحًا وأوسطه رباحًا وآخره فلاحًا .

«الحمـد لله الذي تواضع كل شيء لعظمتـه وذل كل شيء لعزته وخـضع كل شيء لملكه واستـسلم كل شيء لقدرته والحمـد لله الذى سكن كل شيء لهيبـته وأظهر كل شيء بحكمـته وتصاغر كل شيء لكبريائه»(١٠٦٩).

«اللهم صل على محمد وعـلى آل محمد وأزواج محمد وذريتـه وبارك على محمد وعلى آله وأزواجـه وذريتـه كـمـا باركت عـلى إبراهيم وعلى آل إبراهيـم فى العـالمين إنك حـمـيـد مجيد»(١٠٧٠).

«اللهم صل على محمـد عبدك ونبيك ورسولك النبـى الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين»(١٠٧١).

(١٠٦٩) حديث : « الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستـسلم كل شيء لقدرته والحـمد لله الذى سكن كل شيء لهـيبتـه وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه » **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذى سكن كل شيء لهـيبته . . . إلخ وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضًا .اهـ.

وقال مرتضى: من حديث أم سلمة في المعجم الكبير للطبرانى بلفظ من قال حين يصبح الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته كتبت له عـشر حسنات وحديث ابن عمر هو أيضا فى المعجم الكـبير ورواه ابن عـساكر فى التـاريخ بلفظ من قال الحمـد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته والحـمد لله الذى ذل كل شيء لعزته والحمـد لله الذي خضع كل شيء لملكه والحمد لله الذى استـسلم كل شيء لقدرته فقـالها يطلب بها ما عنده كـتب الله له بها ألف حسنة ورفع له بها ألف درجة ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة وفيه أيوب بن نهيك منكر الحديث وقال الذهبي: في الديوان روى عن مجاهد تركوه .

(١٠٧٠) حديث : « اللهم صل على محـمد وعلى آله وأزواجه وذريته وبارك على محـمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهـيم فى العالمين إنك حميد مجيـد » هكذا أورده القاضي عياض فى الشفاء وهى أول صيغة ساقها فى الدلائل بدون قوله وعلى آله وتقدم فى الباب الثانى .

(١٠٧١) حديث : « اللهـم صل على محمـد عبـدك ونبيك ورسولك النبـى الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين » **قال العراقى:** لم أجـده مجمـوعًا وللبخـارى من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ولابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث أبى مسعود اللهم صل على محمد النبى الأمى قال الدارقطنى إسناده حسن وقال الحاكم صحـيح وقال البيهقى فى المعرفـة إسناده صحيح وللنسائى من حديث جـابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند البخارى وابعثه مقامًا محمودًا بهذا اللفظ .

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (١٠٧٢).

نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه(١٠٧٣).

اللهم بقدرتك عليَّ تُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عنى إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها عليّ إنك أنت الملك الجبار (١٠٧٤).

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملتُ سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى ولا يغفر الذنوب إلا أنت(١٠٧٥).

(١٠٧٢) حديث : « اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل .

قال مرتضى: وروى الحكيم الترمذى عن أبى هريرة وأبو نعيم فى الحلية عن الأوزاعى مرسلاً اللهم إنى أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال الحديث .

(١٠٧٣) حديث : « نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه» **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم إنى أسألك فواتح الخير وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلاموسى بن عقبة .اهـ.

وقال مرتضى: ورواية الحاكم فى المستدرك عن أم سلمة عن النبى ﷺ هذا ما سأل محمد ربه اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه فساقه وفى آخره آمين وقال صحيح الإسناد .

(١٠٧٤) حديث : « اللهم بقدرتك عليَّ تب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم وبحلمك عليَّ اعف عنى إنك أنت الغفار وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت الرحمن وبملكك لى ملكنى نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار» **قال العراقى** : لم أقف له على أصل.

(١٠٧٥) حديث : « سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . **قال العراقى** : رواه البيهقى فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبى إنك أنت ربى وقد تقدم فى الباب الثانى .اهـ. =

اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى(١٠٧٦).

اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى عليه وقنّعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحًا تقبله منى(١٠٧٧).

أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة(١٠٧٨).

= **وقال مرتضى:** وروى جعفر الفريابى فى الذكر عن أبى سعيد الخدرى من قال فى مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ختمت بخاتم فلم يكسر إلى يوم القيامة وروى النسائى والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والضياء عن نافع بن جبير ابن مطعم عن أبيه من قال سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فإن قالها فى مجلس ذكر كانت له كالطابع يطبع عليه ومن قالها فى مجلس لغو كانت كفارة له.

(١٠٧٦) حديث : « اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى » **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث عمران بن حصين أن النبى ﷺ علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم من حديث حصين وأبو عمران وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

وقال مرتضى: وفى الإصابة للحافظ ابن حجر فى ترجمة والد عمران هوحصين بن عبيد ابن خلف الخزاعى روى النسائى عن ربعى عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى النبى ﷺ قبل أن يسلم فقال: يا رسول الله فما أقول الآن وأنا مسلم قال: قل اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت وسنده صحيح .

(١٠٧٧) حديث : «اللهم ارزقنى حلالاً لا تعاقبنى عليه وقنعنى بما رزقتنى واستعملتنى به صالحًا تقبله منى » **قال العراقى:** رواه الحاكم من حديث ابن عباس كان النبى ﷺ يدعو اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف لى على كل غائبة بخير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ.

وقال مرتضى: رواه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا كما ذكره ابن أبى شيبة فى المصنف وسعيد بن منصور فى السنن والأزرقى فى تاريخ مكة عن ابن جبير قال كان من دعاء ابن عباس الذى لا يدع بين الركن والمقام أن يقول : رب قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير ولفظ سعيد والأزرقى واحفظنى فى كل غائبة لى بخير إنك على كل شىء قدير .

(١٠٧٨) حديث : « أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة » **قال العراقى:** رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا=

يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ،ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان إلى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران : ١٩٤) . قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) ... إلى آخر السورة (١٠٧٩).

= الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة وفي رواية للبيهقي في الدعوات سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية . اهـ.

قال مرتضى: ورواه أحمد والحميدي والعوفي والترمذي وقال حسن غريب والضياء عن أبي بكر سلوا الله العفو والعافية فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية وما رواه البيهقي في الدعوات فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد والحاكم وعند البيهقي أيضا من حديث أبي بكر سلوا الله اليقين والعافية .

(١٠٧٩) حديث : « يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك » **قال العراقي** : رواه أبو منصور الديلمي في مسنده الفردوس من حديث علي بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن عيسى بن أبي حرب والمغيرة بن محمد عن عبد الأعلى بن حماد عن الحسن بن الفضيل بن الربيع عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن الفضل بين الربيع عن جعفر بن محمد الصادق في حديث طويل ذكر فيه هذه الجملة ورواه عن عبد الله عن جده وقد وقع لي مسلسلا بقول كل راوٍ كتبته دعاه هو في جيبي ذكرناه في المسلسلات .

رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات(١٠٨٠).

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (١٠٨١).

(١٠٨٠) حديث : « ربِّ اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرًا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات» **قال العراقى:** رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن من حديث أبى أسيد الساعدى قال رجل من سلمة هل بقى على من برّ أبوىّ شىء قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبى الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه من كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفى حديث ابن حبان من حديث أبى سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها زكاة. اهـ.

وقال مرتضى: وروى الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت مرفوعا من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وروى أيضًا عن أبى الدرداء مرفوعا: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعًا وعشرين مرة أو خمسًا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الدين.

(١٠٨١) حديث : « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح . اهـ.

قال مرتضى: وروى أبو حفص الملا فى سيرته عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يقول فى سعيه ربِّ اغفر واهدنى السبيل الأقوم وروى أيضًا عن امرأة من بنى نوفل أن النبى ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم وأخرج سعيد بن منصور فى السنن عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود أنه اعتمر فلما خرج إلى الصفا فذكر الحديث وفيه فسعى وسعيت معه حتى جاوز الوادى وهو يقول ربِّ اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم وأخرج أيضًا عن شقيق قال: كان عبد الله إذا سعى فى بطن الوادى قال: ربِّ اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم وقد تقدم ذلك فى كتاب الحج .

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم : -

«اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر»(١٠٨٢) .

« اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع» (١٠٨٣) .

« اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، اللهم إنا نسألك قلوبًا أوَّاهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم إنى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار» (١٠٨٤) .

(١٠٨٢) حديث: « اللهم إنى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر » . . . إلخ . **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث سعد بن أبى وقاص. اهـ.

وقال مرتضى: قال البخارى فى صحيحه حدثنى إسحاق بن إبراهيم أخبرنا الحسن عن زائدة عن عبد الملك عن مصعب عن أبيه قال: تعوذوا بكلمات كان النبى ﷺ يتعوذ بهن اللهم إنى أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر .

(١٠٨٣) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع. . . إلخ» **قال العراقى:** رواه أحمد والحاكم من حديث معاذ وذا مستقيم الإسناد .

(١٠٨٤) حديث: « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع » . . . . الحديث **قال العراقى :** رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفرقًا فى أحاديث جيدة الإسناد ففى صحيح مسلم التعوذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب لها من حديث زيد بن أرقم وسيأتى .اهـ.

وقال مرتضى: وفى صحيح البخارى التعوذ من الكسل والهرم ومن عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة المسيح الدجال من حديث عائشة وروى الترمذى والنسائى عن ابن عمرو وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة والنسائى عن أنس التعوذ من قلب=

« اللهم إنى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبراً وأعوذ بك من أن أموت فى تطلب الدنيا »(١٠٨٥) .

«اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم »(١٠٨٦) .

« اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء الأهواء»(١٠٨٧) .

= لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وعلم لا ينفع وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة .

(١٠٨٥) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم . . . الحديث » . **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصحح إسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا وتقدم عن البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا. اهـ.

وقال مرتضى: ولفظهم سوى أبى داود اللهم إنى أعوذ بك من التردى والهرم والغرق والحرق وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا وراويه أبو اليسر بياء تحتية وسين مهملة محركة من مسلمة الفتح وقتل يوم اليمامة ولفظ أبى داود كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم إنى أعوذ بك من الهدم وأعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم والباقى سواء وفى رواية للحاكم ولأبى داود والغم كما فى سياق المصنف .

(١٠٨٦) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم » . هكذا فى نسخ الكتاب وكذلك فى القوت وتبعه صاحب العوارف **وقال العراقى:** هكذا هو فى غير نسخة علمت وأعلم وإنما هو عملت وأعمل كذا رواه مسلم من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر ما أعلم وشر ما لم أعلم.اهـ. وكذلك رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه ولفظهم أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل وما ذكره المصنف من تقديم اللام على الميم هو هكذا فى رواية للنسائى من شر ما علمت ولم أعلم كذا ذكره ابن الإمام فى سلاح المؤمن فلا حاجة إلى الاستدلال بخبر مرسل مع وجود هذه الرواية فى إحدى الستة وروى أبو داود والطيالسى من حديث جابر بن سمرة اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم وهذا أيضًا شاهد جيد لرواية النسائى فنسبة الشيخ المناوى المصنف إلى المخالفة فيه نظر لا يخفى .

(١٠٨٧) حديث : « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء . . . الحديث » .=

« اللهم إنى أعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء»(١٠٨٨) .

« اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال» (١٠٨٩) .

= **قال العراقى:** رواه الترمذى وحسنه الحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك . اهـ .

وقال مرتضى : وكذا رواه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الصحيح ولفظهم جميعًا عن زياد بن علاقة عن عمه قطبة بن مالك رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء ورواه الحاكم وزاد فى آخره والأدواء وقال صحيح على شرط مسلم وليس لقطبة فى الكتب الستة سوى حديثين أحدهما هذا .

(١٠٨٨) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء . . . الحديث» **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ .

وقال مرتضى : وكذلك رواه النسائى فالبخارى رواه فى كتاب القدر وغيره ومسلم فى الدعوات كلهم بلفظ تعوذوا بالله بدل اللهم إنى أعوذ بك .

(١٠٨٩) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدَّين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال » . **قال العراقى:** رواه النسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول أعوذ بالله من الكفر والدَّين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة قال فيه شر فتنة المسيح الدجال . اهـ .

قال مرتضى : والتعوذ من الفقر والفاقة والذلة جاء فى حديث أبى هريرة عند أبى داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وعند الطبرانى فى السنة من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من . . وعند الحاكم من حديث أبى بكر فى حديث اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت وللجماعة من حديث عائشة وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وعند الحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه من حديثها وأعوذ بك من الفقر والكفر و عند البخارى والترمذى والنسائى من حديث مصعب بن سعد عن أبيه وأعوذ بك من فتنة الدنيا ومن فتنة الدجال وأعوذ بك من عذاب القبر وحديث أبى سعيد الذى عند النسائى فيما أشار إليه العراقى لفظه سمعت رسول الله ﷺ يقول أعوذ بالله من الكفر والدين فقال رجل يا رسول الله أيعدل الدين بالكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هذا لفظ النسائى ورواه الحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح الإسناد .

« اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وشر لسانى وقلبى وشر منِّى »(١٠٩٠) .

« اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحول» (١٠٩١) .

«اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيىء الأسقام »(١٠٩٢) .

(١٠٩٠) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ومن شر لسانى . . . الحديث » .
قال العراقى : رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى والحاكم وصحح إسناده من حديث شكل بن حميد العبسى . اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الترمذى قال شكل بن حميد قلت يا رسول الله علمنى تعوذا أتعوذ به قال فأخذ بكفى فقال: قل اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر منِّى يعنى فرجه وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال بن يحيى . اهـ. كلام الترمذى وشكل بالتحريك له صحبه ولم يرو عنه إلا ابنه شتير قال صاحب سلاح المؤمن وليس لشكل فى الكتب الستة إلا هذا الحديث .

(١٠٩١) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحول » .
قال العراقى : رواه النسائى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم . اهـ.

وقال مرتضى : واللفظ للحاكم وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه فساقه ورواه ابن ماجه أيضا فى صحيحه .

(١٠٩٢) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق . . . الحديث » . **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى مقتصرين على الأربعة الأخيرة والحاكم بتمامه من حديث أنس وقال صحيح: على شرط الشيخين . اهـ.

قال مرتضى: أصل الحديث عند البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى بلفظ كان نبى الله ﷺ يقول اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وزاد الحاكم وابن حبان فيه والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام وسيئ الأسقام هذا لفظ الحاكم وبمثله رواه البيهقى فى كتاب الدعوات=

«اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحوُّل عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك» (١٠٩٣) .

« اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيخ الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم » (١٠٩٤) .

= وروى أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وروى أحمد وأبو داود والنسائى من حديث أنس اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيئ الأسقام .

(١٠٩٣) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فُجاءة نقمتك ومن جميع سخطك » . **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث ابن عمر .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أبو داود والنسائى ولفظهم سواء إلا عند أبى داود وتحويل عافيتك .

(١٠٩٤) حديث : «اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر . . . الحديث » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها ولأبى داود من حديث أنس اللهم إنى أعوذ بك من صلاة لا تنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وله وللنسائى بإسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر .اهـ.

قال مرتضى : وحديث زيد بن أرقم المشار إليه رواه أيضا الترمذى والنسائى ولفظه لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبز اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ورواه كذلك أحمد وعبد بن حُميد وتقدم مثل هذه الجمل الأخيرة من حديث ابن مسعود قال كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع» وفيه زيادة تقدم ذكرها وروى الترمذى والبيهقى من حديث على كان أكثر من دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر » قال الترمذى وليس إسناده بالقوى وحديث عمر بن الخطاب الذى أشار إليه العراقى قد رواه أيضًا ابن ماجه وابن حبان فى الصحيح ولفظ أبى داود كان النبى ﷺ يتعوذ من خمس من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنه الصدر وعذاب القبر .

« اللهم أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر » (١٠٩٥).

« اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدَّين وغلبة العدو وشماتة الأعداء » (١٠٩٦).

وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين ،،

★ ★ ★

(١٠٩٥) حديث : « اللهم إنى أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عائشة . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الترمذى بتقديم وتأخير والنسائى وابن ماجه مختصرا والحاكم بزيادة ولفظ الجماعة أن النبى ﷺ كان يقول: « اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال » الحديث وفى الصحيح قال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف .

(١٠٩٦) حديث : «اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء. . .الحديث». **قال العراقى** : رواه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم .اهـ.

وقال مرتضى: ولفظه أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدَّين وغلبة العدو وشماتة الأعداء وكذا رواه أحمد والطبرانى ورواه ابن خبان فى صحيحه ولفظه غلبة العباد .

الباب الخامس

فى الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعيــة الوضوء في كتاب الطهارة فإذا خرجت إلــى المسجد فقل : « اللهم اجعل فى قـلبى نورا وفى لسانى نورا واجـعل فى سمــعى نورا واجعل فى بصـرى نورا واجعل خلفي نورا وأمامى نورا واجعل من فـوقى نورا اللهم أعطنى نوراً » . وقل أيضًا : « اللهم إنى أسألك بحق الســائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك فإنى لم أخــرج أشراً ولا بطـراً ولا ريـــاء ولا سمعــة خرجت اتقاء ســخطك وابتغاء مرضــاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغـفر لى ذنوبى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١٠٩٧) .

(١٠٩٧) حديث : « اللهم إنى أســألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك فـإنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمـعة خـرجت اتقــاء سخطك وابتغاء مرضــاتك فأسألك أن تنقذنى مــن النار . . . الحديث » **قال العراقى:** رواه ابن ماجه من حديث أبى ســعيد الخدرى بإسناد حسن. اهــ.

وقال مــرتضى: رواه ابن ماجه عن محمــد بن يزيد بن إبراهيم عن فضيل بن مرزوق عن عطية هو العوفى عن أبى ســعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم إذا خرج من بيته إلى الصلاة فـقال: اللهم إنى أسألك بحق الســائلين عليك وبحق ممشاى هذا فـإنى لم أخرج أشراً . . . وساقــه كسياق المصنف ثم قال وكل الله بــه سبعين ألف ملك يستغـفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضى صلاته وأخـرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق وهو في كتاب الدعاء للطبرانى عن بشر بن موســى عن عبد الله بن صالح العجلى عن فضيل ابن مرزوق ورواه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد من رواية محمد بن فضيل بن غزوان ومن رواية أبى خالد الأحمر وأخرجه أبو نعيم الأصبهانى من رواية أبى نعيم الكوفى كلهم عن فضيل بن مرزوق، وعطية العوفى صدوق فى نفسه حسن له الترمذى عدة أحاديث بعضها من أفراده وإنما ضعف من قبل التـشيع ومن قبل التدليس، وقــد روى نحـو هذا عن بلال رضى الله عنه قال أبو بكر بن السنى حدثنا محمد بن عبد الله البغوى حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا على بن ثابت=

فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل: « بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل عليَّ » (١٠٩٨).

« بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله التكلان على الله » (١٠٩٩).

إذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل: « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك » (١١٠٠).

= الجزرى عن الوازع بن نافع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله ﷺ عن بلال ﷺ مؤذن النبى ﷺ قال كان النبى ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجى هذا فإنى لم أخرجه أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك أن تعيذنى من النار وتدخلنى الجنة وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد من هذا الوجه وقال تفرد به الوازع وقد قال أبو حاتم وغيره إنه متروك وقال ابن عدى أحاديثه كلها غير محفوظة .

(١٠٩٨) حديث : « رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علىّ . . . الحديث » **قال العراقى:** رواه أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال الترمذى: حسن صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والحاكم وصححه وابن عساكر فى التاريخ إلا أنه زاد أو أبغى أو يبغى علىَّ وفى بعض رواياتهم زيادة أن أزل أو أُضل قبل قوله أن أظلم وفى رواية للنسائى كان إذا خرج من بيته قال بسم الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نُزل أو نُضل أو نَظلم أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل علينا .

(١٠٩٩) حديث: « بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله التكلان على الله » . **قال العراقى:** رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف.اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك أخرجه الحاكم وابن السنى وروى الطبرانى فى الكبير من حديث بريدة الأسلمى ﷺ رفعه كان إذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولاقوة إلا بالله اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل علىّ أو أَبغى أو يُبغى علىّ وقد تقدم ذكر أدعية الخروج فى كتاب الحج وبسطت عليه الكلام هناك .

(١١٠٠) حديث : « اللهم صل على محمد وسلم اللهم إغفر لى جميع ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك» **قال العراقى:** رواه الترمذى وابن ماجة من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال

= الترمذي: حسن وليس إسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد أبو داود في أوله فليسلم على النبي ﷺ . اهـ.

وقال مرتضى: أما حديث فاطمة ﵂ فقال الطبراني في الدعاء أخبرنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسن عن فاطمة الكبرى ﵂ قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: اللهم صل على محمد وسلم واغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال مثلها لكنه يقول أبواب فضلك وقد روى من وجه آخر فيه الحمد والتسمية والصلاة والتسليم قال أبو بشر الدولاني حدثنا محمد ابن عوف حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن فاطمة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال بسم الله والحمد لله وصلى الله على النبي وسلم اللهم اغفر لي فذكر مثل الذي قبله لكن قال سهل بدل افتح في الموضعين ورواة هذا الإسناد ثقات إلا أن فيه الانقطاع الذي يأتي ذكره وقد شذ صالح بن موسى الطلحي فرواه عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن أبيها الحسين بن على عن أبيه على بن أبي طالب أخرجه أبو يعلى من طريقه وصالح ضعيف وقد روى هذا الحديث من وجه آخر قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي أنبأنا سعيد بن الحسن عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن جدتها فاطمة ﵂ بنت رسول الله ﷺ ووقع في رواية النسائي باعدني وفي نسخة أعذني وهي رواية ابن ماجه وابن السني وفي رواية ابن خزيمة وابن حبان أجرني ورجال هذا الحديث من رجال الصحيح لكن أعله النسائي فأخرجه من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب الأحبار أنه قال له أوصيك باثنتين فذكر هذا الحديث بنحوه ومن طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن كعب كذلك قال النسائي ابن أبي ذئب أثبت عندنا من الضحاك بن عثمان وعن محمد بن عجلان وحديثه أولى بالصواب قال الحافظ ورواية ابن عجلان أخرجها عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما كذلك وأخرجه عبد الرزاق عن أبي معشر عن سعيد المقبري أن كعبا قال لأبي هريرة فذكره فهؤلاء ثلاثة خالفوا الضحاك في رفعه وزاد ابن أبي ذئب في السند راويًا وخفيت عليه العلة على من صحح الحديث من طريق الضحاك وفي الجملة هو حسن لشواهده والله أعلم وأما حديث عبد الله بن عمرو فقال أبو داود في السنن حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا دخل المسجد أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم قال: أقط قال : نعم قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم ومعنى قوله أقط ما بلغك إلا هذا خاصة والهمزة للاستفهام والمشهور في طاء قط التخفيف=

وقدّم رجلك اليمنى فى الدخول فإذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: « لا أربح الله تجارتك » (١١٠١) .

وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل: « لا ردها الله عليك » (١١٠٢) .

= وأما حديث أنس فأخرجه ابن السنى عن الحسن بن موسى الريفى حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى حدثنا إبراهيم بن محمد بن البخترى شيخ صالح بغدادى حدثنا عيسى بن يوسف عن معمر عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صلى على محمد وإذا خرج قال بسم الله اللهم صلى على محمد .

(١١٠١) حديث : « إذا رأيت فى المسجد من يبيع فيه أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لا ردّ الله عليك، أمر بذلك رسول الله ﷺ » **قال العراقى :** حديث لا أربح الله رواه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة وحديث لا رد الله عليك رواه مسلم من حديث أبى هريرة. اهـ.

وقال مرتضى : حديث الضالة رواه مسلم عن زهير بن حرب ورواه أبو داود عن عبيد الله القواريرى كلاهما عن عبد الله بن يزيد المقرى عن حيوة بن شريح قال سمعت أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقول أخبرنى أبو عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من سمع رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا وأخرجه الفاكهى فى تاريخ مكة عن ابن أبى ميسرة عن المقرى وأخرجه مسلم أيضا وابن حبان من رواية عبد الله بن وهب عن حيوة وفى الباب عن بريدة الأسلمى وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وسعد بن أبى وقاص وعصمة وابن مسعود ﷺ أما حديث بريدة فأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن أبى هناد عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا قام فى المسجد فقال : من دعا إلى الجمل الأحمر فقال: النبى ﷺ لا وجدت فإنما بنيت المساجد لما بنيت والمعنى من يعرف الجمل فدعا صاحبه وأخرجه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وقد رواه سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد بلفظ من يعرف الجمل الأحمر أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الرزاق عن الثورى وأما حديث أنس فأخرجه النسائى عن إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه قال قلت لأبى قرة : أذكر موسى بن عقبة عن عمرو بن أبى عمرو عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ينشد ضالة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا وجدت؟ فأقر به أبو قرة وقال: نعم وهو فى مسند إسحاق بن راهويه هكذا وأخرجه البزار من وجه آخر عن عمرو بن أبى عمرو.

(١١٠٢) حديث : القول إذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد « لا ردها الله عليك » .

قال مرتضى: أما حديث جابر فأخرجه النسائى عن محمد بن وهب بن أبى كريمة عن محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن أبى الزبير عن جابر قال: سمع ﷺ

أمر به رسول الله ﷺ : فإذا صليت ركعتي الصبح فقل: « بسم الله اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . . الدعاء إلى آخره»(١١٠٣) .

= رسول الله ﷺ رجلا ينشد ضالة فى المسجد فقال: لا وجدت وأما حديث سعد فأخرجه البزار وهو بنحو حديث أنس وأما حديث عصمة فأخرجه الطبرانى ولفظه قولوا لا ردها الله عليك وأما حديث ابن مسعود فأخرجه أبو العباس السراج عن عثمان بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عاصم الأحول عن أبى عثمان قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فغضب وسبه فقال له الرجل ما كنت فاحشا فقال بهذا أمرنا وأخرجه ابن خزيمة فى الصحيح من طريق محمد بن فضيل بهذا السند وأخرجه البزار من وجه آخر عن عاصم الأحول قال فى آخره بهذا أمرنا إذا وجدنا من ينشد ضالة فى المسجد أن نقول له لا وجدت وفى الباب أيضا عن عبد الله بن عمرو وثوبان جد محمد بن عبد الرحمن وسيذكره قريبا وأما حديث لا أربح الله فقال الدارمى حدثنا الحسن بن أبى يزيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا يزيد بن حقيقة عن محمد بن عبد الرحمن عن ثوبان عن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا أداها الله لك أخرجه الترمذى عن الحسن بن على الخلال عن عارم وأخرجه النسائى عن إبراهيم بن يعقوب عن علي بن المدينى وأخرجه ابن خزيمة عن أبى خليفة عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى أربعتهم عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردى وأخرجه ابن حبان عن ابن خزيمة والحاكم من رواية عارم وقال صحيح على شرط مسلم ورواه ابن السنى والطبرانى فقال عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال من رأيتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك ثلاث مرات هذا الحديث غريب تفرد بوصله محمد بن حميد عن عباد بن كثير عن يزيد بن حقيقة وقد رواه أبو خيثمة الجمعى عن عباد بن كثير لكن لم يقل عن جده والآفة فيه من عباد وهو ضعيف جدا وقد خالف فيه الدراوردى وهو ثقة وسنده هو المعروف وأخرج ابن خزيمة فى الصحيح عن بندار ويعقوب بن إبرهيم وأخرجه أبو عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قالوا حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن حسيلة قال: نهى رسول الله ﷺ عن البيع والشراء فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة وأخرجه أصحاب السنن من طرق عن محمد بن عجلان وثوبان المذكور أولا ليس هو المشهور بل هو آخر لا يعرف إلا فى هذا الإسناد ولا روى عن عبد الرحمن بن ثوبان إلا ابنه محمد فهو فى عداد المجهولين والله أعلم .

(١١٠٣) حديث : « إذا صليت ركعتى الصبح فقل اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . الدعاء إلى آخره » كما أوردناه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ رواه الترمذى وقد تقدم قريبًا .

وقدِّم رجلك اليمنى فى الدخول فإذا رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: « لا أربح الله تجارتك » (١١٠١) .

وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل: « لا ردها الله عليك » (١١٠٢) .

= وأما حديث أنس فأخرجه ابن السنى عن الحسن بن موسى الريفى حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى حدثنا إبراهيم بن محمد بن البخترى شيخ صالح بغدادى حدثنا عيسى بن يوسف عن معمر عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم صلى على محمد وإذا خرج قال بسم الله اللهم صلى على محمد .

(١١٠١) حديث : « إذا رأيت فى المسجد من يبيع فيه أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك وإذا رأيت من ينشد ضالة فى المسجد فقل لا ردّ الله عليك، أمر بذلك رسول الله ﷺ » **قال العراقى :** حديث لا أربح الله رواه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة وحديث لا رد الله عليك رواه مسلم من حديث أبى هريرة. اهـ.

وقال مرتضى : حديث الضالة رواه مسلم عن زهير بن حرب ورواه أبو داود عن عبيد الله القواريرى كلاهما عن عبد الله بن يزيد المقرى عن حيوة بن شريح قال سمعت أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقول أخبرنى أبو عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من سمع رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا وأخرجه الفاكهى فى تاريخ مكة عن ابن أبى ميسرة عن المقرى وأخرجه مسلم أيضا وابن حبان من رواية عبد الله بن وهب عن حيوة وفى الباب عن بريدة الأسلمى وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وسعد بن أبى وقاص وعصمة وابن مسعود ﷺ أما حديث بريدة فأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن أبى هناد عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا قام فى المسجد فقال : من دعا إلى الجمل الأحمر فقال: النبى ﷺ لا وجدت فإنما بنيت المساجد لما بنيت والمعنى من يعرف الجمل فدعا صاحبه وأخرجه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وقد رواه سفيان الثورى عن علقمة بن مرثد بلفظ من يعرف الجمل الأحمر أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الرزاق عن الثورى وأما حديث أنس فأخرجه النسائى عن إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه قال قلت لأبى قرة : أذكر موسى بن عقبة عن عمرو بن أبى عمرو عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ينشد ضالة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا وجدت؟ فأقر به أبو قرة وقال: نعم وهو فى مسند إسحاق بن راهويه هكذا وأخرجه البزار من وجه آخر عن عمرو بن أبى عمرو.

(١١٠٢) حديث : القول إذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد « لا ردها الله عليك » .

قال مرتضى: أما حديث جابر فأخرجه النسائى عن محمد بن وهب بن أبى كريمة عن محمد بن سلمة عن أبى عبد الرحيم عن زيد بن أبى أنيسة عن أبى الزبير عن جابر قال: سمع=

أمر به رسول الله ﷺ : فإذا صليت ركعتى الصبح فقل: « بسم الله اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . . الدعاء إلى آخره»(١١٠٣) .

= رسول الله ﷺ رجلا ينشد ضالة فى المسجد فقال: لا وجدت وأما حديث سعد فأخرجه البزار وهو بنحو حديث أنس وأما حديث عصمة فأخرجه الطبرانى ولفظه قولوا لا ردها الله عليك وأما حديث ابن مسعود فأخرجه أبو العباس السراج عن عثمان بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عاصم الأحول عن أبى عثمان قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة فى المسجد فغضب وسبه فقال له الرجل ما كنت فاحشا فقال بهذا أمرنا وأخرجه ابن خزيمة فى الصحيح من طريق محمد بن فضيل بهذا السند وأخرجه البزار من وجه آخر عن عاصم الأحول قال فى آخره بهذا أمرنا إذا وجدنا من ينشد ضالة فى المسجد أن نقول له لا وجدت وفى الباب أيضا عن عبد الله بن عمرو وثوبان جد محمد بن عبد الرحمن وسيذكره قريبا وأما حديث لا أربح الله فقال الدارمى حدثنا الحسن بن أبى يزيد حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا يزيد بن حنقيقة عن محمد بن عبد الرحمن عن ثوبان عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا أداها الله لك أخرجه الترمذى عن الحسن بن على الخلال عن عارم وأخرجه النسائى عن إبراهيم بن يعقوب عن علي بن المدينى وأخرجه ابن خزيمة عن أبى خليفة عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى أربعتهم عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردى وأخرجه ابن حبان عن ابن خزيمة والحاكم من رواية عارم وقال صحيح على شرط مسلم ورواه ابن السنى والطبرانى فقال عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال من رأيتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك ثلاث مرات هذا الحديث غريب تفرد بوصله محمد بن حميد عن عباد بن كثير عن يزيد بن حقيقة وقد رواه أبو خيثمة الجمعى عن عباد بن كثير لكن لم يقل عن جده والآفة فيه من عباد وهو ضعيف جدا وقد خالف فيه الدراوردى وهو ثقة وسنده هو المعروف وأخرج ابن خزيمة فى الصحيح عن بندار ويعقوب بن إبرهيم وأخرجه أبو عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قالوا حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا محمد بن غلجان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن حسيلة قال: نهى رسول الله ﷺ عن البيع والشراء فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة وأخرجه أصحاب السنن من طرق عن محمد بن عجلان وثوبان المذكور أولا ليس هو المشهور بل هو آخر لا يعرف إلا فى هذا الإسناد ولا روى عن عبد الرحمن بن ثوبان إلا ابنه محمد فهو فى عداد المجهولين والله أعلم .

(١١٠٣) حديث : « إذا صليت ركعتى الصبح فقل اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى . . الدعاء إلى آخره » كما أوردناه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ رواه الترمذى وقد تقدم قريبًا .

كما أوردناه عن ابن عباس ﷺ عن النبى صلى الله عليه وسلم فإذا ركعت فقل فى ركوعك: « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين»(١١٠٤).

وإن أحببت فقل : « سبحان ربى العظيم ثلاث مرات » (١١٠٥) .

(١١٠٤) حديث : « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث على.

وقال مرتضى : هذا السياق للطبرانى فى الدعاء رواه من طريق جنادة بن مسلم عن عبد الله بن معمر عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن عبد الله بن أبى رافع عن على ﷺ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ركع إلا أنه لم يقل ولك خشعت وقال عظامى بدل عظمى ورواه الطبرانى من طريق عبد العزيز الماجشون عن عمه عن عبيد الله ابن أبى رافع عن على قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع قال اللهم لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى ورواه أحمد عن حنجيدة بن المثنى عن عبد العزيز الماجشون وأخرجه مسلم من وجه آخر عن عبد العزيز الحديث الطويل الذى فيه دعاء الافتتاح وجهت وجهى .

(١١٠٥) حديث : « سبحان ربى العظيم ثلاث مرات ». **قال العراقى :** رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع .اهـ.

وقال مرتضى: رواه الطيالسى عن ابن أبى ذئب عن إسحاق بن يزيد الهذلى عن عوف بن عبد الله بن أبى عتبة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من قال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاث مرات فقد تم ركوعه وذلك أدناه أخرجه أبو داود عن عبد الملك بن مروان الأهوازى عن الطيالسى وأخرجه الترمذى من طريق عيسى بن يونس وابن ماجه من طريق وكيع كلاهما عن ابن أبى ذئب قال الترمذى: وليس إسناده بمتصل عوف لم يلق عبد الله بن مسعود وكذا قال البيهقى لكن عبر بقوله لم يدرك وساق له شاهدًا من حديث أبى جعفر محمد بن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: سبحوا ثلاث تكبيرات ركوعًا وثلاث تسبيحات سجودًا وهذا مرسل أو معضل لأن أبا جعفر من صغار التابعين وجل روايته عن التابعين وقال الطبرانى والزيادة التى فى حديث ابن مسعود وهى قوله وذلك أدناه لا تروى إلا فى هذا الحديث تفرد بها ابن أبى ذئب قال الحافظ ووقع فى رواية الشافعى فى المرسل الذى ساقه البيهقى شاهدًا لحديث ابن مسعود ما يشعر بهذه الزيادة قال أخبرنا ابن أبى يحيى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جاءت الخطابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم=

أو «سبوح قدوس رب الملائكة والروح »(١١٠٦) .

فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد» (١١٠٧).

= فقالوا: إنا لا نزال سفرًا فكيف نصنع بالصلاة فقال: سبحوا ثلاث تسبيحات ركوعًا وثلاث تسبيحات سجودًا وقد ورد التثليث فيه فى عدة أخبار بدون تلك الزيادة أخرج الطبرانى فى الدعاء حدثنا معاذ بن المثنى وبكر بن سهل ومحمد بن الفضل السقطى وعبيد بن غنام قال الأول حدثنا مسدد والثانى حدثنا نعيم بن حماد والثالث حدثنا سعيد بن سليمان والرابع حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قالوا: حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبى ليلى هو محمد بن عبد الرحمن عن الشعبى عن صلة بن زفر عن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثًا وفي سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثًا وهو حديث حسن وأخرجه ابن خزيمة عن يعقوب بن إبراهيم الدورقى ومسلم بن جنادة وأخرجه المعمرى فى اليوم والليلة عن عثمان بن أبى شيبة وأخرجه الدارقطنى عن البغوى عن عبد الله بن عمر بن أبان كلهم عن حفص بن غياث وزاد الدارقطنى فى روايته وبحمده فى الموضعين وابن أبى ليلى ضعيف من قبل حفظه وقد خالفه السرى بن إسماعيل وهو مثله أو دونه فرواه الشعبى عن مسروق عن ابن مسعود قال من السنة فذكر مثله لكن لم يقل ثلاثًا وأخرج البزار من حديث أبى بكرة كاللفظ الأول ذكر فيه ثلاثًا ولم يقل وبحمده وأخرج الدارقطنى مثله من حديث جبير بن مطعم ومن حديث عبد الله بن أقرم وفى سند كل منهما ضعف .

(١١٠٦) حديث : «سبوح قدوس رب الملائكة والروح » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث عائشة . اهـ.

وقال مرتضى: قال أحمد حدثنا عمرو بن الهيثم حدثنا هشام هو الدستوائى عن قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عائشة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ركوعه وسجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح أخرجه مسلم وأبو داود من رواية هشام ورواه شعبة عن قتادة مقتصرًا على الركوع وأشار إلى رواية هشام بزيادة السجود ورواه معمر عن قتادة بالشك وقد تابع هشامًا على الجمع بينهما سعيد بن أبى عروبة .

(١١٠٧) حديث : « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » رواه البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهرى قال حدثنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركوع ثم يقول وهو قائم ربنا لك الحمد وأخرجه مسلم من رواية عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهرى ومن رواية هجين بن المثنى عن الليث عن عقيل عن الزهرى إلا أنه قال: ربنا ولك باثبات الواو وهذه الرواية علقها البخارى لعبد الله بن صالح عن الليث عقب رواية يحيى بن بكير ووصلها من طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى وأخرجها النسائى من رواية يونس بن يزيد عن الزهرى وهى عند أحمد من رواية معمر عن الزهرى ووقع بالواو أيضا فى حديث رفاعة بن=

«ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد»(١١٠٨) « أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١١٠٩) .

= رافع عند البخاري كما سبق للمصنف في الباب الأول من هذا الكتاب لكنه ليس من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ووقع من غير واو في حديث أبي سعيد وعلى وابن أبي أوفى وابن عباس وكلها في مسلم واختلف في تخريج الواو فقيل هي عاطفة على شيء محذوف وعلى ذلك اقتصر ابن دقيق العيد وقيل هي خالية وبذلك جزم ابن الأثير في النهاية وقيل هي زائدة وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلا في كتاب الصلاة فراجعه إن شئت وقال عبد بن حميد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش عن عبيد بن الحسن عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد.

(١١٠٨) حديث : «ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد»، رواه مسلم وأبو داود من طريق أبي معاوية ووكيع كلاهما عن الأعمش ورواه أحمد عن وكيع ورواه أبو داود أيضا عن محمد بن عيسى عن محمد بن عبيد وقال أبو داود بعد تخريجه رواه شعبة وسفيان الثوري عن عبيد بن الحسن لم يذكر فيه بعد الركوع . اهـ. قال الحافظ : والأعمش حافظ فزيادته معتمدة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة حدثنا عمى عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن على بن أبي طالب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال فساقه بمثل الحديث السابق إلا أن فيه زيادة بعد قوله وملء الأرض وملء ما بينهما رواه مسلم والنسائي من طريق عبد الرحمن بن مهدى ومسلم أيضا من طريق أبي النضر وأبو داود من طريق معاذ بن معاذ والترمذى من طريق سليمان بن داود أربعتهم عن عبد العزيز وأخرجه الترمذى أيضًا عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسى وأخرجه الدارمي عن يحيى بن حسان عن عبد العزيز وقال الدارمي: أيضا أخبرنا مروان بن محمد حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثنا عطية بن قيس عن قزعة بن يحيى عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فذكر مثل حديث ابن أبي أوفى وزاد بعد قوله من شيء بعد .

(١١٠٩) حديث : « أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وهو حديث صحيح أخرجه مسلم عن الدارمي وأخرجه أحمد عن الحكم بن نافع وأبو داود وابن خزيمة من رواية أبي مسهر وعبد الله بن يوسف وأبو داود أيضا من رواية بشر بن بكر والنسائي من رواية مخلد بن يزيد خمستهم عن سعيد بن عبد العزيز ووقع في رواية بعضهم اللهم ربنا وذكر أبو داود في رواية عبد الله بن يوسف ربنا ولك الحمد بزيادة واو وقال الطبراني في الدعاء حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسى حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قزعة عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده اللهم ربنا ولك الحمد فذكر =

وإذا سجدت فقل : « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى وهذا ما جنيت على نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١١١٠).

= الحديث مثله لكنه قال لا نازع لما أعطيت ولا ينفع ذا الجد منك أخرجه أبو داود عن محمد بن محمد بن مصعب وابن خزيمة عن زكريا بن يحيى بن إبان والطحاوى عن مالك بن عبد الله ابن سيف والبيهقى من طريق المقدام بن داود أربعتهم عن عبد الله بن يوسف وقد جاء هذا الدعاء مختصراً من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والحسن بن سفيان وأبو نعيم كلهم من طريق هشام بن حسان عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس .

(١١١٠) حديث : « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين » .

لفظ مسلم تبارك الله من غير فاء وبالفاء رواية الحاكم من حديث عائشة على ما سيأتى ذكره ورواه أبو نعيم فى المستخرج عن حبيب بن الحصين حدثنا يوسف القاضى حدثنا محمد ابن أبى بكر المقدسى ورواه الطبرانى فى الدعاء عن على بن عبد العزيز حدثنا أبوغسان مالك ابن إسماعيل وحجاج بن المنهال قالا حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة حدثنا الماجشون وقال العدنى فى مسنده حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن خالد الحذاء عن أبى العالية عن عائشة ﵂ أن النبى ﷺ كان يقول فى سجود القرآن بالليل سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ورواه أحمد عن هشام عن خالد الحذاء نحوه وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة كلهم عن بندار عن عبد الوهاب الثقفى وأخرجه ابن خزيمة والحاكم من رواية وهب بن خالد وخالد بن عبد الله الواسطى كلاهما عن خالد الحذاء قال ابن خزيمة وخالد الحذاء لم يسمع من أبى العالية بل بينهما قال الحافظ كأنه يشير إلى ما رواه إسماعيل ابن علية فقال عن خالد الحذاء عن رجل عن أبى العالية عن عائشة وخفيت علته على الترمذى فصححه واغتر ابن حبان بظاهره فأخرجه فى صحيحه عن ابن خزيمة وتبعه الحاكم فى تصحيحه وكأنهما لم يستحضرا كلام إمامهما فيه وذكر الدارقطنى الاختلاف فيه وقال الصواب رواية إسماعيل وأخرجه من طريق محمد بن المثنى عن عبد الوهاب الثقفى فذكر الحديث بتمامه سندا ومتنا وقال بعد قوله فتبارك الله أحسن الخالقين وأخرجه من طريق أخرى عن محمد بن المثنى بدون هذه الزيادة «اللهم سجد لك سوادى وخيالى وبك آمن فؤادى أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى هذا ما جنيت على نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلاأنت » قال=

أو تقول: « سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات»(١١١١)

فإذا فرغت من الصلاة فقل: « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » (١١١٢).

وتدعو بسائر الأدعية التى ذكرناها فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفّر لغو المجلس

= **العراقى:** رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الحاكم فى المستدرك كما ساقه المصنف إلا أنه لم يذكر وأبوء بذنبى وبعده عنده وهذا ما جنيت على نفسى يا عظيم يا عظيم اغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم وأخرجه البزار من حديثه أن النبى ﷺ قال فى سجوده فذكره وله شاهد من حديث عائشة أخرجه أبو يعلى من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم أعوذ برضاك من سخطك فساقه وزاد فى آخره سجد لك سوادى وآمن بك فؤادى وسنده ضعيف وعطاء هو الخراسانى لم يدرك عائشة.

(١١١١) حديث : « سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات » . **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وهو منقطع .اهـ.

وقال مرتضى: سبق فى أذكار الركوع أن الترمذى بعدما أورده - قال ليس إسناده بمتصل عون لم يلق ابن مسعود وكذلك قال البيهقى إلا أنه عبر بقوله لم يدرك وتقدم أيضا حديث الشعبى عن صلة بن زفر عن حذيفة قال كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثا وفى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثا وعند أبى داود من حديث عقبة بن عامر كان صلى الله عليه وسلم إذا سجد قال سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثا وعنده أيضا من طريق سعيد الجريرى عن أسعد عن أبيه أو عمه قال رمقت صلاة رسول الله ﷺ فكان يمكث فى ركوعه وسجوده بقدر ما يقول سبحان الله وبحمده ثلاثا .

(١١١٢) حديث : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » . **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث ثوبان.اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ولفظهم جميعا كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قال الوليد فقلت للأوزاعى : كيف الاستغفار قال: تقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله .

فقل: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » (١١١٣).

فإذا دخلت السوق فقل: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » (١١١٤).

« بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينًا فاجرة أو صفقة خاسرة » (١١١٥).

(١١١٣) حديث: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » . **قال العراقي:** رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن. اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك الحاكم في المستدرك ولفظ النسائي كان رسول الله ﷺ بآخرة إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال فذكره قال: قلنا يا رسول الله إن هذه كلمات أحدثتهن قال: أجل أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد هي كفارات المجلس وقوله بآخره أي في آخر الأمر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل إن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم إلى قوله وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان وقال الترمذي واللفظ له حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(١١١٤) حديث : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » . **قال العراقي :** رواه الترمذي من حديث عمر وقال غريب: والحاكم من حديثه ومن حديث ابن عمر وقال صحيح على شرط الشيخين. اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الترمذي من قال حين يدخل السوق لا إله إلا الله إلى قوله قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وهكذا رواه ابن ماجه وزاد في رواية أخرى وبنى له بيتًا في الجنة ورواه كذلك الحكيم الترمذي كلهم من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده وزاد الحكيم ورفعت له ألف ألف درجة ورواه إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين له عن ابن عمر بدون هذه الزيادة ورواه الحاكم في مستدركه من عدة طرق وفي بعضها أن محمد بن واسع أحد رواته قال فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت له : أتيتك بهدية فحدثته بالحديث فكان قتيبة بن مسلم يركب في مركبه حتى يأتي السوق فيقولها ثم ينصرف .

(١١١٥) حديث: « بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من=

فإن كان عليك دين فقل: « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك[(١١١٦)] .

فإذا لبست ثوبًا جديدًا فقل: « اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صُنع له وأعوذ بك من شرِّه وشر ما صُنع له»[(١١١٧)] .

= شرها وشر ما فيها اللهم إنى أعوذ بك من أن أصيب فيها يمينًا فاجرة أو صفقة خاسرة » . **قال العراقى** : رواه الحاكم من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة **قال العراقى** : فيه أبو عمرو جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه. اهـ.

وقال مرتضى: لفظ الحاكم كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال فساقه ووجدت بخط الحافظ السخاوى ما نصه قد رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث محمد بن أبان الجعفى متابعا له عن علقمة بن مرثد وابن أبان ضعيف .

(١١١٦) حديث : « اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث على بن أبى طالب. اهـ.

وقال مرتضى: أخرجه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن يحيى بن حسان عن أبى معاوية حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن يسار بن الحكم عن شقيق أبى وائل قال أتى عليًا ؓ رجل فقال يا أمير المؤمنين أنا عجزت عن مكاتبتى فأعنى فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان مثل جبل صبير دينًا لأداه الله عنك قال: قل اللهم اكفنى فساقه وأخرجه الحاكم من رواية يحيى بن يحيى النيسابورى عن أبى معاوية وأخرجه الطبراني فى الدعاء فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان حدثنا أبو معاوية.

(١١١٧) حديث : « اللهم كسوتنى هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ».

وهو استعماله فى المعصية وظاهر سياق المصنف ندب الذكر المذكور لكل من لبس ثوبًا جديدًا والظاهر ولو لبس غير جديد بدليل رواية ابن السنى فى اليوم والليلة إذا لبست ثوبا فتأمل **قال العراقى:** رواه أبوداود والترمذى وقال حسن والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى سعيد الخدرى ورواه ابن السنى بلفظ المصنف .اهـ.

قال مرتضى: لفظ أبى سعيد عند الجماعة كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وقد رواه كذلك الحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الترمذى واللفظ له حديث =

وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه فقل: « اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله » (١١١٨) .

وإذا رأيت الهلال فقل: « اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط، ربى وربك الله » (١١١٩) .

= حسن وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وأقره النووى زاد أبو داود وقال أبو نضرة وكان أصحاب النبى ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل : تبلى ويخلف الله، ورواه كذلك أحمد وابن السنى فى اليوم والليلة وفى الباب عن أبى أمامة ﷺ قال: لبس عمر بن الخطاب ﷺ ثوبًا جديدًا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيًا وميتًا رواه الترمذى واللفظ له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وعن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال من أكل طعامًا الحديث وفيه من لبس ثوبًا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه أبو داود واللفظ له والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط البخارى وقال الترمذى: حسن غريب .

(١١١٨) حديث : « لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله » . **قال العراقى:** رواه ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة والبيهقى فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عقبة بن عامر فجعله مسندًا . اهـ.

وقال مرتضى: وأما ما اشتهر على الألسنة عند نعيق الغراب خير خير فلا أصل له فى السنة وورد اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك وذكر الحافظ السخاوى في المقاصد عن عكرمة قال كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس فمر غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولاشر وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة مرفوعًا كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة .

(١١١٩) حديث : « إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله . اهـ.

وقال مرتضى: لفظه أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلام والإسلام ربى وربك الله وقال حسن غريب رواه من طريق سليمان بن سفيان عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده ورواه ابن حبان فى صحيحه وزاد بعد قوله والإسلام والتوفيق لما تحبُّ وترضى وبمثل رواية ابن حبان رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر إلا أن فى سنده عثمان بن إبراهيم الحاطبى وهو ضعيف ورواه الدارمى فى=

ويقول : « هلال رُشد وخير، آمنت بخالقك » (١١٢٠) .

«اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر» (١١٢١) .

وتكبر قبله أولا ثلاثا .

= مسنده عن ابن عمر إلا أنه زاد فى أوله الله أكبر وروى ابن السنى في اليوم والليلة عن جزء ابن أنس السلمى رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والسكينة والعافية والرزق الحسن إلا أن الذهبى قال إن جزأ لا صحبة له.

(١١٢٠) حديث: « هلال رشد وهلال خير آمنت بخالقك » **قال العراقى:** رواه أبو داود مرسلاً من حديث قتادة أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد ثلاثًا آمنت بالذى خلقك ثلاثًا وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال أبو داود وليس فى هذا عن النبى ﷺ حديث مسند صحيح .اهـ.

وقال مرتضى: ولفظ أبى داود عن قتادة قال: بلغنا عن النبى ﷺ أنه كان يقول إذا رأى الهلال هذا هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاثًا ثم يقول الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ورواه أيضًا ابن السنى عن أبى سعيد الخدرى قال ابن القيم إسناده لين وروى الطبرانى فى الكبير عن رافع بن خديج بإسناد حسن أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد اللهم إنى أسألك من خير هذا ثلاثًا .

(١١٢١) حديث : « اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من يوم الحشر » . **قال العراقى:** رواه ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من يسم قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم.اهـ.

وقال مرتضى: وقال الحافظ ابن حجر غريب ورجاله موثقون إلا من لم يسم ورواه أيضا عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى فى الكبير بلفظ كان ﷺ إذا رأى الهلال قال: الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أسألك فساقاه وروى الطبرانى أيضًا فى الكبير عن رافع بن خديج بلفظ اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره ثلاث مرات ومن أحاديث الباب ما رواه ابن السنى عن عبد الله بن مطرف رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال هلال خير الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا أسألك من خير هذا الشهر ونوره وبركته وهداه وظهوره ومعافاته وعن على رضي الله عنه أنه كان يقول إذا رأى الهلال اللهم ارزقنا نظره وخيره وبركته وفتحه ونوره ونعوذ بك من شره وشر ما بعده رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وعن الحسين بن على قال: سألت هشام بن حسان أى شيء كان الحسن يقول إذا رأى الهلال قال: كان يقول اللهم اجعله شهر بركة ونور وأجر ومعافاة اللهم إنك قاسم فيه بين عبادك خيراً فاقسم لى فيه من خير ما تقسم بين عبادك الصالحين رواه أيضا ابن أبى شيبة فى المصنف .

وإذا هبت الريح فقل: « اللهم إنى أسألك خير هذه الريح وخيـر ما فيها وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به »(١١٢٢).

وإذا بلغك وفاة أحد فقل: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٦) ، ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ (الزخرف: ١٤). اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله»(١١٢٣).

(١١٢٢) حديث: « إذا هبت الريح فقل اللـهم إنى أسألك خير هذا الريح وخيـر ما أرسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فـيها وشر ما أرسلت به » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وقـال حسن صحيح والنسائي فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب .اهـ.

وقال مرتضى: لفظ الترمذى لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هـذه الريح وخير ما فيـها وخير مـا أمرت به ونعوذ بك من شرها وشـر ما فيهـا وشر ما أمرت به ورواه أيضا ابن السنى فى اليوم والليلة ورواه عبد الله بن أحمد والروياني والدارقطنى فى الأفراد والحاكـم وأبو الـشيـخ فى العظمـة وابن أبى شيبـة عن أبى بن كـعب رفعـــه بلفظ لا تسبوا الريح فإنها مـن روح الله تعالى وسلوا الله خيرها وخير ما فيـها وخير ما أرسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر مـا فيها وشر ما أرسلت به ورواه ابن أبى شيبة أيـضا والبيهقى فى السنن عنه موقوفًا وعند عبد بن حُميد من حديثه أن ريحًا هاجت على عهد رسول الله ﷺ فسبها رجل فقال: لا تسبها فإنها مأمورة ولكن قل : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أمـرت به وأعوذ بك من شـرها وشر مـا فيـها وشـر ما أمرت بـه وعن عائشـة ﵂ قالت: كان ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إنى أسألك خيرها وخـير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشـر ما فيها وشر ما أرسلـت به مختصر رواه أحمد ومـسلم والترمذى والنسائى وأخـرجه الطبرانى فى الـدعاء من حديث ابن عـباس وزاد فى آخره اللهم اجـعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا اللهم اجعلها رحمـة ولا تجعلها عذابًا وروى ابن أبى شيبة وأحمد وابن ماجه من حـديث أبى هريرة رضى الله عنه رفعه قال لا تسبـوا الريح فإنها من روح الله تأتى بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله خيرها وتعوذوا بالله من شرها ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم نحوه وروى الشافعي والبيهـقى فى المعرفة عن صفوان بن سليم مرسلا لا تسبوا الريح وعوذوا بالله من شرها وفى الباب عن عقبة بن عامر ﵁ قال: بينا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول يا عقـبة تعوذ بهما فما تعوذ متـعوذ بمثلهما رواه أبو داود وعن سلمة بن الأكوع ﵁ يرفعه إلى النبى ﷺ قال كان إذا اشتد الريح يقول: اللهم لقحًا لا عقيما رواه ابن حبان فى صحيحه .

(١١٢٣) حديث : « إذا بلغك وفـاة أحد فقل: إنا لله وإنا إليـه راجعون وإنا إلى ربنا لمـنقلبون اللهم=

وتقول عند التصدق: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة : ١٢٧) .

وتقول عند الخسران: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (القلم : ٣٢) .

وتقول عند ابتداء الأمور : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف: ١٠) .

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (طه: ٢٥).

وتقول عند النظر إلى السماء: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩١) .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ (الفرقان: ٦١) .

وإذا سمعت صوت الرعد فقل: «سبحان من ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ (الرعد :١٣) »(١١٢٤) .

= اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » وفي بعض النسخ زيادة واغفر لنا وله **قال العراقي:** رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس دون قوله واغفر لنا وله ولأبي داود والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان من حديث أم سلمة إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه . اهـ. ولفظ حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقالا لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة الحديث ورواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وعنها ﵂ قالت : لما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات قال قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة قالت: فقلت: فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً ﷺ ورواه الجماعة إلا البخاري وعنها ﵂ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله على مصيبته وأخلف له خيراً منها قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: ما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ انفرد به مسلم .

(١١٢٤) حديث : « إذا سمعت صوت الرعد فقل: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » **قال العراقي:** رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفًا ولم أجده مرفوعًا . اهـ. =

فإن رأيت الصواعق فقل: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»(١١٢٥).

قال كعب فإذا أمطرت السماء فقل: « اللهم سقيًا هنيئًا وصيبًا نافعًا »(١١٢٦).

= وقال مرتضى: ولفظه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ووجدت بخط من نقل عن خط الشيخ زين الدين الدمشقى الواعظ ما نصه هو مرفوع فى تفسير ابن جرير من حديث أبى هريرة بالشطر الأول لكن الراوى له عن أبى هريرة مبهم لم يسم فإنه قال عن رجل عنه .

(١١٢٥) حديث : « إذا رأيت الصواعق فقل: اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» خص القتل بالغضب والإهلاك بالعذاب لأن نسبة الغضب إلى الله تعالى استعارة والمشبه به الحالة التى تعرض للملك عند انفعاله وغليان دم القلب ثم الانتقام من المغضوب عليه وأكثر ما ينتقم به القتل فرشح الاستعارة به عرفًا وإلا الهلاك والعذاب جاريان على الحقيقة فى حق الحق ولما لم يكن تحصيل المطلوب إلا معافاة الله قال: وعافنا قبل ذلك **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال: غريب والنسائى فى اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السنى بإسناد حسن . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد وسنده جيد والحاكم فى المستدرك وقال صحيح وأقره الذهبى ولفظهم واحد، كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: فذكروه قال الصدر المناوى وقد عزاه النووى فى خلاصته لرواية البيهقى وقال فيه الحجاج بن أرطاه وهو قصور فإن الحديث فى الترمذى من غير طريق الحجاج . اهـ. وذكر فى الأذكار بعد عزوه للترمذى إسناده ضعيف وكأنه نظر إلى ما ذكرناه قال الحفاظ هو حديث غريب أخرجه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والحجاج صدوق لكنه مدلس وقد صرح بالتحديث فكيف يطلق الضعف على هذا وهو متماسك والله أعلم .

(١١٢٦) حديث : « إذا مطرت السماء فقل اللهم سقيًا هنيًا وصيبًا نافعًا » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال: اللهم اجعله صيبًا نافعًا ولابن ماجه سيبًا بالسين وله وللنسائى فى اليوم والليلة اللهم اجعله صيبًا هنيئًا وإسنادهما صحيح . اهـ.

وقال مرتضى : قوله نافعًا تتميم فى غاية الحسن لأن لفظة صيبًا مظنة للضرر والفساد قال الزمخشرى : الصيب المطر الذى يصوب أى ينزل ويقع وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتكثير دل على أنه نوع من المطر شديد هائل فتممه بقوله نافعًا صيانة عن الإضرار والفساد ونحوه قوله .

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى

لكن نافعًا فى الحديث أوقع وأحسن من مفسدها . اهـ. قال ابن سيده فى المحكم صاب=

اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب (١١٢٧).

فإذا غضبت فقل : « اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم»(١١٢٨).

فإذا خفت قومًا فقل: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » (١١٢٩).

فإذا غزوت فقل: « اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل» (١١٣٠).

= المطر صوبًا وانصاب كلاهما انصب ومطر صوب وصيب وصيوب وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الصيب هنا المطر .اهـ. والسيب بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتية هو العطاء وروى عن عائشة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى سحابًا مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه وإن كان في صلاة حتى يستقبله فيقول إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به فإن أمطر قال: اللهم سيبًا نافعًا اللهم سيبًا نافعًا وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ للترمذي .

(١١٢٧) حديث : « اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب » . **قال العراقي:** رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً .اهـ.

(١١٢٨) حديث : « فإذا غضبت فقل: اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم » **قال العراقي:** رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بإسناد ضعيف.اهـ

وقال مرتضى: ولفظ ابن السني كان إذا غضبت عائشة عرك بأنفها وقال: يا عويش قولي اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ورأيت بخط الحافظ السخاوي ما نصه هو في مسند أحمد من حديث سلمة في حديث طويل وسنده حسن..

(١١٢٩) حديث : « إذا خفت قومًا فقل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » خص النحر لأنه أسرع وأقوى في الدفع والتمكن من المدفوع والعدو إنما يستقبل نحره عند المناهضة في القتال أو للتفاؤل بنحرهم أي قتلهم **قال العراقي:** رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم وابن حبان في صحيحيهما ولفظ الأربعة سواء أن النبي ﷺ كان إذا خاف قومًا قال : اللهم فذكروه وقال الحاكم صحيح من شرط الشيخين وأقره الذهبي وفي لفظ لابن حبان كان إذا أصاب قومًا ورواه أيضا أحمد والبيهقي قال النووي في الأذكار والرياض أسانيده صحيحه.

(١١٣٠) حديث : « إذا غزوت فقل: اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل» أي عدوك وعدوي **قال**=

وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل « ذكر الله من ذكرني بخير»(١١٣١).

فإذا رأيت استجابة دعائك فقل : « الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات » ، وإذا أبطأت فقل : « الحمد لله على كل حال» (١١٣٢).

= **العراقي:** رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أنس قال الترمذي: حسن غريب. اهـ.

وقال مرتضى: لفظ أبي داود كان إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أحول وبك أصول وبك أقاتل ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم وابن حبان والضياء في المختارة وفي رواية للنسائي من حديث صهيب رب بك أقاتل وبك أحاول ولا حول ولاقوة إلا بك فأما أبو داود والترمذي وكذلك أبو يعلى فرووه عن نصر بن على الجهضمي عن أبيه عن المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس ورواه أبو يعلى أيضا عن موسى بن محمد عن عبد الرحمن بن مهدى عن المثنى بن سعيد ورواه ابن حبان عن الحسن بن سفيان والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن أحمد كلاهما عن نصر بن على وأخرجه النسائي من طريق أزهر بن القاسم وأبو عوانة في صحيحه من طريق مسلم بن قتيبة كلاهما عن المثنى والزيادة المذكورة في رواية أبي داود لم تقع عند غيره وقد أخرجه أبو عوانة عن أبي داود بالزيادة وهو في مسند الحارث من طريق أبي مجاز عن أنس بدون تلك الزيادة .

(١١٣١) حديث : « إذا طنت أذنك فصل على محمد ﷺ وقل ذكر الله بخير من ذكرني » **قال العراقي:** رواه الطبراني وابن عدى وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة وكذا العقيلي والخرائطي في مكارم الأخلاق وآخرون كلهم بلفظ إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصلي عليَّ وليقل ذكر الله بخير من ذكرني بخير والسند ضعيف بل قال العقيلي : إنه ليس له أصل كذا في المقاصد للسخاوى لكن قال الهيثمي إسناد الطبراني في الكبير حسن وهذا يبطل من زعم ضعفه فضلاً عن وضعه كابن الجوزى والعقيلي ونقل المناوى في شرحه على الجامع أنه رواه ابن خزيمة في صحيحه باللفظ المذكور عن أبي رافع وهو ممن التزم تخريج الصحيح فاعرف ذلك .

(١١٣٢) حديث : « إذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله » رواه الحاكم في المستدرك من حديث عائشة بلفظ كان رسول الله ﷺ يقول ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه فشفي من مرض أو قدم من سفر يقول الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات وروى ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال: الحمد لله على كل حال وقد تقدم هذا الحديث في الدعاء.

وإذا سمعت أذان المغرب فقل: « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى» (١١٣٣) .

وإذا أصابك هم فقل اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىَّ حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميَّت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علَّمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى قال صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدًا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرحًا، فقيل له : يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها». وإذا وجدت وجعًا فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحًا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها » (١١٣٤) .

(١١٣٣) حديث: « إذا سمعت أذان المغرب فقل: اللهم هذا استقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لى » . **قال العراقى:** رواه أبو داود والترمذى وقال غريب والحاكم من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فإنها عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة .

(١١٣٤) حديث : « إذا أصابك هم فقل: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فىَّ حكمك نافذ فىَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وأنزلته فى كتابك أو أعطيته أحدًا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدا حزن فقال: هذا إلا اذهب الله عز وجل همه وأبدل مكانه فرحًا فقيل يا رسول الله أفلا نتعملها فقال ﷺ ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » . **قال العراقى:** رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط مسلم أن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف فى سماعه عن أبيه .اهـ.

وقال مرتضى : رواه أحمد عن يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق أخبرنا أبو سلمة الجهنى عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب مسلما قط هم أو حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك فساقه إلا انه قال عدل بدل نافذ وأو أنزلته بأو بدل الواو وأو علمته بدل أعطيته وجلاء حزنى وذهاب همى وقال فى آخره وأبدل مكان حزنه فرحًا وقال: أفلا نتعلمهن قال: بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن وأخرجه الحاكم فى المستدرك وابن=

وقال : « بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»(١١٣٥) .

= أبى الدنيا فى كتاب الدعاء عن سعيد بن سليمان أخبرنا فضيل بن مرزوق ووقع فى رواية سعيد عند الحاكم فقط القرآن العظيم وقول الحاكم إن سلم من إرسال عبد الرحمن إلخ تعقبه الذهبى فى مختصره فقال فى السند أبو سلمة الجهنى ما روى عنه إلا فضيل بن مرزوق ولا يعرف اسمه ولا حاله قال الحافظ ابن حجر ولكنه لم ينفرد به وذكره مع ذلك ابن حبان فى الثقات ثم ساق الحافظ سنده إلى على بن المنذر قال حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبى ﷺ إذا أصاب أحدكم هم أو حزن فليقل فذكره مثل حديث أبى سلمة وزاد بعد قوله وابن أمتك وفى قبضتك وقال فى آخره فما قالها عبد قط إلا أذهب الله همه وقال فيه ينبغى لكل مسلم و الباقى سواء أخرجه أبو يعلى عن محمد بن منهال عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق وأخرجه ابن السني عن أبى يعلى وعبد الرحمن بن إسحاق واسطى صدوق وحديث أبى سلمة الجهنى رواه أيضا الطبرانى فى الدعاء عن عمر بن حفص السدوسى عن عاصم بن على عن فضيل بن مرزوق وأخرجه ابن شاذان فى الفوائد عن أبى بكر العباداني عن محمد بن عبد الملك الدقيقى عن يزيد بن هارون وأخرجه أبو يعلى عن أبى هيثمة وأخرجه ابن أبى عاصم عن رزق الله بن موسى كلاهما عن يزيد بن هارون وقد روى هذا الحديث أيضا عن أبى موسى ﷺ قال الطبرانى فى الدعاء حدثنا أحمد بن على الجارودى حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا على بن ثابت الجزرى عن منصور بن برقان عن عياض الكوفى عن عبيد الله بن زيد عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ من أصابه هم أو حزن فليدع بهؤلاء الكلمات يقول اللهم أنا عبدك وابن عبدك فذكر مثل حديث ابن مسعود وفى آخره بعد قوله وذهاب همى قال قائل يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات قال: أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن وعلمهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه وأخرجه ابن السنى فى اليوم والليلة من رواية مخلد بن يزيد الحرانى عن جعفر بن برقان .

(١١٣٥) حديث : « إذا وجدت قرحة فى جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى إنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا» .

رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة وكذلك رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه بلفظ كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا ولفظ مسلم كان إذا اشتكى الإنسان الشىء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبى ﷺ بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا قال ابن أبى شيبة يشفى وقال زهير ليشفى.اهـ. والأكمل إكمال البسملة وقال الشرجى فى كتاب الفوائد من أصابه جراح فى جسده فليقل بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ثم يأخذ ترابا طاهرا ويطرح منه على الجرح قليلا=

وإذا وجدت وجعًا في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل: «بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » (١١٣٦) .

فإذا أصابك كرب فقل: « لا إله إلا الله العلي الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم » (١١٣٧) .

= قليلاً وهو يقول أصاب النبي ﷺ في بعض غزواته جراح فما ضرب ولا أقاح وكذلك تكون أيها الجراح بسم الله ربنا تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا يقول ذلك ثلاث مرات كل مرة يتفل وينفخ في الجرح يبرأ بإذن الله تعالى .

(١١٣٦) حديث : « إذا وجدت وجعًا في جسدك فضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» وهذا العلاج من الطب الإلهى لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعى لاستقصاء إخراج المادة وفى السبع خاصية لا توجد فى غيرها **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفى. اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان وكلهم فى الطب إلا النسائى ولفظهم شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعًا أجده فى جسدى منذ أسلمت فقال ضع يدك . . الحديث وفى رواية ضع يمينك على المكان الذى تشتكى فامسح بها سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقوته من شر ما أجد فى كل مسحة وهكذا رواه ابن حبان والطبرانى والحاكم فى الجنائز وابن السنى فى اليوم والليلة .

(١١٣٧) حديث : « إذا أصابك كرب فقل لا إله إلا الله العلى الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عباس .اهـ.

وقال مرتضى : رواه مسلم والترمذى وأبو بكر بن خزيمة عن محمد بن بشار حدثنا معاذ ابن هشام هو الإستوانى حدثنا أبى عن قتادة عن أبى العالية عن ابن عباس أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم رواه البخارى عن مسلم ابن إبراهيم حدثنا هشام لكن لم يسقه بتمامه وأخرجه تاما عن مسدد عن يحيى القطان عن هشام ورواه مسلم عن عبد بن حميد حدثنا محمد بن بشر حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة أن أبا العالية الرياحى حدثهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهن أو كان يقولهن عند الكرب فذكر مثله لكن قال رب السماوات السبع وأخرجه البخارى من رواية يزيد ابن زريع عن سعيد وروى عبد بن حميد أيضا عن يزيد بن هارون أخبرنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى العالية عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال كلمات الفرج لا إله إلا الله=

وإن أردت النوم فتوضأ أولاً ثم توسَّد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبِّر الله تعالى أربعًا وثلاثين وسبِّحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثًا وثلاثين » (١١٣٨).

= الحليم العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله هو رب السماوات السبع ورب العرش الكريم وأخرجه ابن خزيمة عن الحسن عن محمد الزعفرانى عن يزيد بن هارون وأخرجه ابن أبى الدنيا فى الدعاء عن أبى خيثمة عن يزيد بن هارون إلا أنه قدم الجملة الثانية على الأولى وأخرجه الطبرانى فى الدعاء عن بشر بن موسى عن الحسن بن موسى وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد كلاهما عن حماد بن سلمة عن يوسف بن عبد الله بن الحارث عن أبى العالية عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قال : لا إله إلا الله الحليم العظيم فذكر الحديث وزاد فى آخره ثم يدعو وأخرجه أبو عوانة والنسائى جميعا عن محمد بن إسحاق الصغانى عن الحسن بن موسى وقد روى هذا الحديث بزيادة أخرى قال البخارى فى كتاب الأدب المفرد حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا عبد الملك ابن الخطاب حدثنى راشد أبو محمد عن عبد الله بن الحارث سمعت ابن عباس يقول: كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب فذكر مثل رواية هشام التى تقدم ذكرها أولا وزاد فى آخره اللهم اصرف عنى شره وقد روى هذا الحديث أيضا من غير طريق ابن عباس قال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنى سعيد بن منصور حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن محمد بن عجلان عن محمد بن كعب عن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب ﷺ قال : لقننى رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات إن نزل بى شدة أو شر أن أقولهن لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالى تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين فكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على المذعور ويعلمها المعتزبة من بناته قال وحدثنا محمد بن موسى الفلكى حدثنا روح بن عبادة عن أسامة بن زيد عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شاد عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب ﷺ قال علمنى رسول الله ﷺ إذا نزل بى كرب أن أقول لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين قال وحدثنى الحسين بن على العجلى حدثنا محمد بن فضيل عن مسعود عن أبى بكر بن حفص عن حسين بن حسن قال زوج عبد الله بن جعفر ابنته فخلا بها قال الحسن فلقيتها فقلت ما قال لك قالت قال لى يا بنية إذا نزل بك الموت أو أمر تفظعين به فقولى لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين قال الحسن فأتيت الحجاج فقلتهن فقال لقد جئتنى وأنا أريد أن أضرب عنقك فما من أحد أحب إلىَّ منك فسلنى ما شئت .

(١١٣٨) حديث : « إن أردت النوم فتوضأ أولاً ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة . . . الحديث»
قال العراقى : متفق عليه من حديث على .اهـ.

وقال مرتضى: لفظ هذا الحديث عن على أن فاطمة ﷺ أتت النبى ﷺ تسأله خادمًا=

ثم قل : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إنى لا أستطيع أن أبلغ ثناءً عليك ولو حصرت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك»(١١٣٩)

اللهم باسمك أحيا وأموت (١١٤٠) .

= فقال ألا أخبرك ما هو خير لك منه تسبحين الله عند منامك ثلاثا وثلاثين وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين وتكبرين الله أربعا وثلاثين ثم قال سفيان إحداهن أربعا وثلاثين فما تركتها بعد، قيل ولا ليلة صفين قال: لا ولا ليلة صفين رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وفى رواية للبخارى أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى فى يدها من الرحى فأتت النبى ﷺ تسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقول فقال مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكم فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهذا خير لكما من خادم وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال التسبيح أربعا وثلاثين وفى بعض طرق النسائى التحميد أربعا وثلاثين وهو الموافق لما أورده المصنف هنا زاد أبو داود فى بعض طرقه : قالت رضيت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١١٣٩) حديث : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثنائى عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك » **قال العراقى** : رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع .اهـ.

وقال مرتضى : تقدم هذا الدعاء فى آخر تلاوة القرآن وذكرت هناك ما يتعلق بمعناه وهو من أذكار السجود مروى عن عائشة رضي الله عنها رواه مسلم من طريق الأعرج عن أبى هريرة عنها وفيه بعد قوله منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وله طرق أخرى منها عند ابن خزيمة من رواية النضر عن عروة عنها نحو حديث أبى هريرة عنها لكن قال فى آخره أثنى عليك ولا أبلغ كل ما فيك وسنده صحيح ومنها فى الخلفيات حديث أبى هريرة عنها لكن قال فى آخره أثنى عليك ولا أبلغ كل ما فيك وسنده صحيح ومنه فى الخلفيات من طريق علىّ بن الحصين عنها وقال فى آخره لا أحصى أسماءك ولا ثناء عليك وسنده ضعيف .

(١١٤٠) حديث : « اللهم باسمك أحيا وأموت » . **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء .اهـ.

وقال مرتضى : رواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن حذيفة قال: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه قال : باسمك أموت وأحيا وإذا نام قال : الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور رواه أحمد والترمذى عن البراء : ورواه أيضا أحمد=

اللهم رب السماوات والأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين واغننى من الفقر (١١٤١) .

« اللهم إنك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها»(١١٤٢) .

« اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (١١٤٣)» .

= والشيخان عن أبى ذر كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول باسمك أحيا أموت وباسمك أموت والباقى كسياق حذيفة .

(١١٤١) حديث : « اللهم رب السماوات والأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين واغننى من الفقر » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

وقال مرتضى : ولفظه عن سهيل قال كان ابن صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول اللهم رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول .. فساقه إلخ إلا أنه قال فى آخره اقض عنا الدين واغننا من الفقر رواه الجماعة إلا البخارى وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء حدثنا أبو هشام الرفاعى حدثنا أبو أسلمة حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ﷺ قال جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى النبى صلى الله عليه وسلم تسأله خادمًا فقال ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم فساق الحديث وفيه ذكر هذا الدعاء بمثل سياق الجماعة وقد قدمت ذكره قريبا عند دعاء الدين .

(١١٤٢) حديث : « اللهم إنك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها ... » صدر الحديث التالى تخريجه .

(١١٤٣) حديث : « اللهم إنى أسألك العافية » قال العراقى : رواه مسلم من حديث ابن عمر .اهـ.

=

« باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى » (١١٤٤) .

«اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك»(١١٤٥) .

اللهم أسلمت نفسى إليك ووجَّهت وجهى إليك وفوَّضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت(١١٤٦) .

= **وقال مرتضى:** وكذلك رواه النسائى من طريق خالد سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللهم أسألك العافية فقال له رجل سمعت هذا من عمر فقال من خير من عمر من رسول الله ﷺ .

(١١٤٤) حديث : « باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى » **قال العراقى:** رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فاغفر لها وقال البخارى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين .اهـ.

وقال مرتضى: لفظ حديث أبى هريرة إذا جاء أحدكم إلى فراشه فلينفضه بضعة ثوبه ثلاث مرات وليقل باسمك ربى . . الحديث ورواه الجماعة ولفظ مسلم فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الإيمن وليقل سبحانك ربى لك وضعت جنبى وباقية مثله، وفى رواية للبخارى فارحمها بدل فاغفر لها كما ذكره الشيخ وروى أبو داود من حديث أبى الأزهر الإنمارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: بسم الله وضعت جنبى اللهم اغفر لى ذنبى وأخسىء شيطانى وفك رهانى واجعلنى فى الندى الأعلى ورواه الحاكم فى المستدرك وقال فيه وثقل ميزانى واجعلنى فى الملأ الأعلى .

(١١٤٥) حديث: « اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك » **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند أبى داود من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه الترمذى من حديث حذيفة وصححه ومن حديث البراء وحسنه .اهـ.

وقال مرتضى: ولفظ حديث حفصة رضى الله عنها قالت كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات هذا لفظ أبى داود وكذا رواه النسائى ورواه الترمذى من حديث البراء بمعناه وقال ليس غريبا من هذا الوجه، ورواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء من طريق قتادة عن أنس بمثل حديث حفصة .

(١١٤٦) حديث : « اللهم أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة=

ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى (١١٤٧) .

= إليك لا ملجأ ولامنجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث البراء . اهـ .

قال مرتضى : لفظ حديث البراء قال : قال النبى ﷺ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضجع على شقك الإيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهى إليك فساقه إلى قوله أرسلت ثم قال: بعده فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددتها على النبى ﷺ فلما بلغت آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت ورسولك قال لا ونبيك الذى أرسلت رواه الجماعة و فى رواية للبخارى أيضا فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً وفى رواية للبخارى أيضا كان رسول الله ﷺ إذا أوى على فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك فذكر مثله غيرأنه قال وبنبيك كما هو فى سياق المصنف وفى رواية لأبى داود قال لى رسول الله ﷺ إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك ثم ذكر نحوه وفى رواية للنسائى كان النبى ﷺ إذا أوى إلى فراشه توسد يمينه ثم قال بسم الله فذكره بمعناه .

(١١٤٧) حديث : « اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال لديك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى » **قال العراقى**: رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا فى أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا . اهـ .

قال مرتضى: هكذا هو لفظ العراقى والصواب من قول حبيب أبى محمد أى المعروف بالعجمى قال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا الحارث بن موسى الطائى حدثنا حبيب أبو محمد قال إذا أوى العبد إلى فراشه قال: اللهم لا تنسنى ذكرك ولا تؤمنّى مكرك ولا تجعلنى من الغافلين ونبهنى لأحب الساعات إليك أذكرك فتذكرنى وأدعوك فتستجيب لى وأسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى بعث الله إليه ملكا فنبهه فإن هو قام فتوضأ فسأل ذلك وإلا صعد ذلك الملك فصلى ثم يبعث إليه ملكاً آخر فيفعل مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً آخر فيفعل مثل ذلك وكان صلاة الأملاك له حتى يصبح قال أحمد بن إبراهيم وحدثنى أخى أن معتمر بن سليمان حدثهم بهذا الحديث عن أبى عبد الحارث بن موسى قال وأثنى عليه خيرا . اهـ . وروى ابن النجار عن ابن عباس بنحو سياق الديلمى ولفظه من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك فساقه إلى قوله الغافلين ثم قال اللهم ابعثنا فى أحب الساعات إليك وفيه إلا بعث الله إليه ملكا فى أحب الساعات إليه=

فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل: « الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » (١١٤٨) .

أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله(١١٤٩) .

أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين (١١٥٠) .

= فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فيعبد الله في السماء ثم يعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبه ويعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبيه فإن قام بعد ذلك ودعا استجيب له فإن لم يقم كتب الله له ثواب أولئك الملائكة وقد تقدم الكلام على أول هذا الحديث مختصراً في أول هذا الكتاب .

(١١٤٨) حديث : « إذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور» هو من بقية الحديث الذى رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن حذيفة ومسلم عن البراء وقد تقدم قريباً .

(١١٤٩) حديث : « أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والقوة والقدرة لله » **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان فى السماوات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله .اهـ.

وقال مرتضى: حديث ابن مسعود هذا رواه أيضا أبو داود والترمذى والنسائى كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله وإذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك لله.

(١١٥٠) حديث : « أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلما وما كان من المشركين » **قال العراقى :** رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعًا .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير ولفظ النسائى كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين رواه من طرق ورجال إسناده رجال الصحيح والحنيف الصحيح هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه قاله=

« اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » (١١٥١) .

« اللهم إنى أسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءًا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى» (١١٥٢) .

« اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا » (١١٥٣) .

= الهروى، وفى المحكم لابن سيده: الحنيف المسلم هو الذى يتحنَّف عن الأديان أى يميل إلى الحق وقيل هو المخلص وكلمة الإخلاص هى قول لا إله إلا الله .

(١١٥١) حديث : « اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور » **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن الأربعة وابن حبان وحسنه الترمذى إلا أنهم قالوا وإليك النشور ولابن السنى وإليك المصير .اهـ.

وقال مرتضى: لم يذكر صاحبيه وقد أخرجه الأربعة من حديث أبى هريرة وكذا ابن حبان فى صحيحه وأبو عوانة فى مسنده الصحيح وهذا لفظه أن النبى ﷺ كان إذا أصبح يقول اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير .

(١١٥٢) حديث : « اللهم إنا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءًا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وقولك الحق : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ **قال العراقى** : لم أجد أوله وللترمذى من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوءًا أو نجره إلى مسلم رواه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى بإسناد جيد .اهـ.

وقال مرتضى : رواه الترمذى من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله مرنى بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت فساقه وقد انفرد الترمذى بهذه الزيادة وقد رواه أبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان بدون هذه الزيادة وقد تقدم ذكره فى دعاء أبى بكر رضي الله عنه **وأما قول العراقى**: رواه أبو داود عن أبى مالك قال الأشعرى فإن لفظه عند أبى داود أن رسول الله ﷺ قال إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده فإذا أمسى فليقل مثل ذلك .

(١١٥٣) حديث : « اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين واغننى من الفقر وقوّنى على الجهاد فى سبيلك» وسنده ضعيف **قاله العراقى** . =

« أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه » (١١٥٤) .

« بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله »(١١٥٥)

«رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا » (١١٥٦) .

= **وقال مرتضى:** روى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد - قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو . . . الحديث، ووجدت بخط الشمس الداودى ما نصه أخرجه ابن أبى شيبة من حديث مسلم بن سيار مرسلا ومالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلاً أيضا .

(١١٥٤) حديث : « اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شره وشر ما فيه » وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده أعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده وفى حديث أبى مالك الأشعرى الذى تقدم قريبا اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم وفى آخره وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وفى اليوم والليلة الحسن بن على المعمرى اللهم إنى أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند مسلم فى المساء خير ما فى هذه الليلة الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضا .

(١١٥٥) حديث : « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله » **قال العراقى :** رواه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر وإلياس عليهما السلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى آمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسن بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الإسناد منكر. اهـ.

وقال مرتضى: وقد تقدم الكلام على هذا مفصلا عند ذكر دعاء الخضر عليه السلام .

(١١٥٦) حديث : « رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا من قالها حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة» رواه أبو داود والنسائى والحاكم من حديث أبى سلام ممطور الحبشى ورواه الترمذى من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ثوبان وقال حسن غريب وقد وقع فى إسناد هذا الحديث اختلاف كثير تقدم بعضه فى الباب الأول وروى ابن أبى شيبة عن عطاء بن يسار مرسلا من قال حين يمسى رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا فقد أصاب حقيقة الإيمان .

« ربنا عليك توكلنا وإليك المصير ». وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك « أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » (١١٥٧).

(١١٥٧) حديث: « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتى إن ربى على صراط مستقيم» . **قال العراقى:** رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين . . الحديث وفيه وإن قالهن حيث يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حبيش فى حديث أن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ من شر ما نزل من السماء . . الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة إلى آخر الحديث وقد تقدم فى الباب الثالث .اهـ.

قال مرتضى: وبقية حديث عبد الرحمن بن عوف عند أبى الشيخ بعد قوله الثقلين الجن والإنس وإن لدغ لم يضره شيء حتى يمسى وروى ابن عدى فى الكامل والسجزى فى الإبانة من حديث أبى هريرة من قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات لم تضره عقرب حتى يمسى ومن قالها حين يمسى لم تضره حتى يصبح ورواه الجماعة إلا البخارى من حديث بلفظ جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال: أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك شيء وفى رواية للترمذى من قالها ثلاث مرات حين يمسى لم تضره همة تلك الليلة قال سهل فكان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها فى كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعًا وهذا حديث حسن والكلمات قال الهروى وغيره هي القرآن وقال أبو داود فى سننه باب فى القرآن وذكر فيه حديث تعويذ النبى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين بكلمات الله التامة والتامات قيل هى الكاملات ومعنى كمالها أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل فى كلام الناس وقيل هى النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ منه وأخرج ابن أبى الدنيا فى الدعاء عن أبى هريرة حدثنا كعب قال إنا نجد مكتوبا فى التوراة غير المبدلة إن الشيطان لا يطيف بعبد من لدن يمسى حتى يصبح يقول هذه الكلمات اللهم إنى أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر الشامة والهامة وأعوذ باسمك وكلماتك التامة من عذابك وشر عبادك اللهم إنى أعوذ باسمك وكلماتك التامة من الشيطان الرجيم اللهم إنى أسألك باسمك وكلماتك التامة من خير ما نسأل وخير ما نعطى وخير ما تبدى وخير ما تخفى اللهم إنى أعوذ باسمك وبكلماتك التامة من شر ما تجلي به النهار وإن كان الليل قال من شر ما دجى به الليل=

وإذا نظر فى المرآة قـال : « الحمـد لله الذى سـوّى خلقى فـعدّله وكـرم صورة وجـهى وحسنها وجعلنى من المسلمين » (١١٥٨).

وإذا اشتريت خادمًا أو غلامًا أو دابة فخذ بناصيته وقل « اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جُبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جُبل عليه » (١١٥٩).

= وأخرج أيضا من طريق إبراهيم بن أبى بكر قـال سمعت كعبا يقـول لولا كلمات أقولهن حين أصبح وأمسى لجعلتنـى اليهود من الحمر الناهقة والكلاب النابحـة والذئاب العادية أعوذ بوجه الله الجليل وبكلماته التامة الذى لا يخفـر جاره الذى يمسك السماوات والأرض ومن فيهن أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، وأخرج أيضـا من طريق عمرو بن مرة قال قلت لسعيـد بن المسيب أخبرنى بشىء أقوله إذا أصبحـت قال: قل أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السـامة والهامة ومن شر ما خلقت أى رب ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتـها وشر هذا اليوم إن كان نهاراً أو شر هذه الليلة إن كـان مساء وشر ما بعدها وشر الدنيا وشواغلها.

(١١٥٨) حـديث : « إذا نظرت وجهك فى المرآة فـقل الحـمد لله الذى سـوى خلقى فـعدّله وكـرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين » وإنما ندب النظر إلـيها ليقوم بواجب الحمد على حسن الخَلق والخُلق لأنهما نعمتـان يجب الشكر عليهما، **قال العـراقى:** رواه الطبـرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف .اهـ.

وقال مـرتضى: وكذلك رواه البيهقى فى الشعب وسنده أيضا ضعيف ولفظه كان إذا نظر وجهه فى المرآة قال الحمد لله إلخ وروى أبو يعلى والطبـرانى فى الكبير من حديث ابن عباس كان إذا نظر فى المرآة قـال الحمد لله الذى حسّـن خَلقى وزان منى ما شان من غيـرى الحديث وعن ابن مسعود ﷺ كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم أنت حسنت خلقى رواه ابن حبان فـى صحيحه ورواه البـيهقى فى كتـاب الدعوات من حديث عـائشة ﷺ كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم إذا نظر إلى وجهه فى المرآة قال فذكـره وأخرجه أبو بكر بن مردويه فى كتاب الأدعية من حـديث أبى هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر فى المرآة قال: اللهم كما أحسنت خلقى فأحسن خلقى وحرم وجهى على النار .

(١١٥٩) حديث : « إذا اشتريت خادمًا أو غلامًا أو دابة فخـذ بناصيتها وقل: اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه » **قال العراقى :** رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد .اهـ.

وقال مـرتضى: ولفظه إذا اشترى أحدكم الجارية أو الغلام أو الدابة فليـأخذ بناصيته وليقل اللهم إنى أسألك خـيره .. الحديث وفي آخره وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بـذروة سنامه وليقل=

« وإذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير» (١١٦٠).

وإذا قضيت الدَّين فقل للمقضى له : « بارك الله لك فى أهلك ومالك»(١١٦١) .

إذ قال صلى الله عليه وسلم : « إنما جزاء السلف الحمد والأداء » فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة .

فإن قلت : فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردَّ له؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ، واستجلاب الرحمة . كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب

= مثل ذلك رواه كذلك النسائى وهذا لفظه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على ما ذكرناه من رواية الأئمة الثقات عن عمرو بن شعيب وفى روايته ورواية لأبى داود وليدع بالبركة .

(١١٦٠) حديث : «إذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير» **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال الترمذى: حسن صحيح .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك أخرجه الطبرانى فى الدعاء وأخرج الترمذى عن عقيل بن أبى طالب أنه تزوج امرأة فقيل له بالرفاء والبنين فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا تزوج أحدكم فقولوا له بارك الله فيك وبارك عليك كذا أورده الحافظ ابن حجر فى جزء التهنئة .

(١١٦١) حديث : « إذا قضيت الدين فقل للمقضى له بارك الله لك فى أهلك ومالك » . إذ قال رسول الله ﷺ : « إنما جزاء السلف الحمد والأداء » ، **قال العراقى :** رواه النسائى من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال : استقرض منى النبى ﷺ أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلىّ فقال فذكره وإسناده حسن .اهـ.

قال مرتضى : قد رواه أيضًا أحمد وابن ماجة كلهم من رواية إبراهيم بن اسماعيل بن عبد الله أو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبى ربيعة عن أبيه عن جده بلفظ والوفاء بدل والأداء وهذا الاستقراض كان فى غزوة حنين وعبد الله بن أبى ربيعة هذا مخزومى وأبو ربيعة إسمه عمرو بن المغيرة ولاه النبى ﷺ الجند فبقى عليها إلى أواخر أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه ومات بقرب مكة . وفى الباب عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : كان لرجل على النبى ﷺ سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال أعطوه فطلبوه سنه فلم يجدوا إلا سنا فوقها فقال أعطوه فقال أوفيتنى أوفى الله بك قال النبى ﷺ : « إن خياركم احسنكم قضاء » رواه الجماعة إلا أبا داود وفى رواية للبخارى أيضًا أوفيتنى وفىّ الله بك وفى أخرى له أوفاك الله .

لخروج النبات مـن الأرض. فكما أن الترس يدفع السهم فـيتدافعان، فكذلـك الدعاء والبلاء يتعالجان. وليس من شـرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السـلاح. وقد قال تعالى: ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (النســاء:٧١). وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر، فيـقال إن سبق القضاء بالنبات؛ نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسبـاب بالمسببات، هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب. وترتـيب تفصيل المسببات على تفاصـيل الأسباب على التدريج، والتقدير هو القدر الذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم فى الدعاء من الفـائدة ما ذكرناه فى الذكر فإنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العـبادات؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: « **الدعـاء مخ العبادة** ».

والغالب علـى الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكـر الله عز وجل؛ إلا عند إلمام حـاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر؛ فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار البـلاء موكـلا، بالأنبيـاء عليهم السـلام، ثم الأولياء ثم الأمـثل فالأمـثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسـيانه، وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه اسـتغنى، فهذا ما أردنا أنا نورده من جـملة الأذكار والدعوات، والله الموفق للخير، وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيـادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان.

تم كتـاب الأذكـار والدعـوات بكمـاله، يتلوه إن شـاء الله تعـالى كـتـاب الأوراد
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وفيه :

الباب الأول : فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

الباب الثانى : فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً. ونذكره ذكراً لا يغادر فى القلب استكباراً ولا نفوراً ونشكره؛ إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً، ونصلى على نبيه الذى بعثه بالحق بشيراً ونذيراً، وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا فى عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما فى الدين هاديا وسراجا منيراً .

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم، ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا؛ محترزين من مصايدها ومعاطبها . ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها. فالناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار . والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رءوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى فى دار السلام مع الملك الكبير، والنعيم المقيم، وخسرانه البعد من الله تعالى، مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم فى دركات الجحيم. فالغافل فى نفس من أنفاسه؛ حتى ينقضى فى غير طاعة تقربه من الله زلفى، متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى . ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل؛ شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات، وظائف الأوراد؛ حرصا على إحياء الليل

والنهار فى طلب القرب من الملك الجبار ، والسعى إلى دار القرار. فصار من مهمات علم طريق الآخرة، تفصيل القول فى كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التى سبق شـرحها على مقادير الأوقات . ويتضح هذا الفهم بذكر بابين :

(الباب الأول) : فى فضيلة الأوراد وترتيبها فى الليل والنهار .

(الباب الثانى) : فى كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به .

الباب الأول

فى فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هى الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة ،علموا أنه لا نجاة إلا فى لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبًا لله تعالى، وعارفا بالله سبحانه، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام المحبوب، والمواظبة عليه. وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه، وفى صفاته وأفعاله : وليس فى الوجود سوى الله تعالى وأفعاله . ولن يتيسر دوام الذكر والفكر؛ إلا بوداع الدنيا، وشهواتها ،والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة . وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار فى وظائف الأذكار والأفكار. والنفس لماجبلت عليه من السآمة والملال، لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر؛ بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال . وإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا ؛ فمن ضرورة اللطف بها؛ أن تروح بالتنقل من فن إلى فن، ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها، وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها . فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر، ينبغى أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا، فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا، وشهواتها المباحة مثلا . والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع . إذ يكون الوقت متساويا . فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا . ويصفو فى طلبها القلب ويتجرد وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا فى بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب؛ فليستغرق أوقاته فى الطاعة، ومن أراد أن تترجح كفة

حسناته وتثقل موازين خيراته؛ فليستوعب فى الطاعة أكثر أوقاته. فإن خلط عملا صالحا، وآخر سيئا فأمره مخطر، ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر. فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه. فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله؛ فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله، واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٧، ٨).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٥، ٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ (ق: ٣٩، ٤٠).

وقال سبحانه: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ (الطور: ٤٨، ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (المزمل: ٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه: ١٣٠).

وقال عزّ وجل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (هود: ١١٤).

ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩).

وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (السجدة: ١٦).

وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٤).

وقال عز وجل: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات: ١٧، ١٨).

وقال عز وجل: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم: ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (الانعام: ٥٢).

فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:

«أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى» (١١٦٢).

وقد قال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (الرحمن: ٥).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٤٥، ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ (يس: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (الأنعام: ٩٧).

فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان: ٦٢).

(١١٦٢) حديث: «أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله تعالى» **قال العراقي:** رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله ... إلخ.

وقال مرتضى: روياه بلفظ إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله وقال الهيثمي رجال الطبراني موثقون وقال المنذري رواه ابن شاهين وقال: انفرد به ابن عيينة عن مسعر وهو حديث غريب صحيح وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه.

أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما ما فات فى الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (الإسراء: ١٢) .

وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد، وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان، وما بين العصر إلى المغرب وردان، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر. فلنذكر فضيلة كل ورد، ووظيفته، وما يتعلق به (فالورد الأول) ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس:- وهو وقت شريف، ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به .

إذ قال : ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير: ١٨) .

وتمدحه به إذا قال : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ (الانعام: ٩٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (الفلق:١).

وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٤٦) .

وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم: ١٧) .

وبقوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (ق : ٣٩) .

وقوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه: ١٣٠).

وقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٥).

فأما ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه فينبغى أن يبتدئ بذكر الله تعالى فيقول: « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ... » إلى آخر الأدعية. والآيات التى ذكرناها فى دعاء الا ستيقاظ من كتاب الدعوات، وليلبس ثوبه وهو فى الدعاء وينوى به ستر عورته ؛ امتثالا لأمر الله تعالى ؛ واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ، ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء؛ إن كان به حاجة إلى بيت الماء ، ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التى ذكرناها فيه فى كتاب الطهارة عند الدخول والخروج . ثم يستاك على السنة . كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التى ذكرناها فى الطهارة . فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات ؛ لكى نذكر فى هذا الكتاب أوجه التركيب والترتيب فقط - فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتى الفجر - أعنى السنة فى منزله - كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ (١١٦٣).

ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما فى البيت أو المسجد، الدعاء الذى رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى إلى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ، ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ، ولا يسعى إلى الصلاة سعيا .

بل يمشى وعليه السكينة والوقار(١١٦٤).

كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد .

ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره فى كتاب الجمعة ثم يصلى ركعتى الفجر إن لم يكن صلاهما فى البيت ويشتغل

(١١٦٣) حديث : « صلاة ركعتى الصبح فى المنزل » متفق عليه من حديث حفصة .

(١١٦٤) حديث : « المشى إلى الصلاة وعليه السكينة » متفق عليه من حديث أبى هريرة .

بالدعاء المذكور بعدهما وإن كان قد صلى ركعتى الفجر صلى ركعتى التحية وجلس منتظراً للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح (١١٦٥) ولا ينبغى أن يدع الجماعة فى الصلاة عامة . وفى الصبح والعشاء خاصة ، فلهما زيادة فضل (١١٦٦) .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صلاة الصبح : «**من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألف ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة**» (١١٦٧) .

(١١٦٥) حديث : « التغليس فى الصبح » متفق عليه من حديث عائشة .

(١١٦٦) حديث : « فى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل » فقد روى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا : من صلى الغداة والعشاء الآخرة فى جماعة لا تفوته ركعة كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وروى ابن حبان فى صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا: من صلى العشاء والغداة فى جماعة فكأنما قام الليل وعند أحمد ومسلم والبيهقى من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف ليلة ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله . هذا فضل من صلاهما فى جماعة .

(١١٦٧) حديث : « أنس فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة الفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة». **قال العراقى** : لم أجد له أصلا بهذا السياق وفى شعب الإيمان للبيهقى من حديث أنس بسند ضعيف «ومن صلى المغرب فى جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة» . اهـ .

وقال مرتضى : بل له أصل أخرجه ابن عساكر فى التاريخ عن محمد بن شعيب بن شابور عن سعيد بن خالد بن أبى طويل عن أنس بمثل سياق المصنف سواء إلا أنه قال بعد قوله مبرورة: «وليس كل حج مبروراً فإن جلس حتى يركع ولم يقل الضحى كتب له بكل حسنة الفا ألف حسنة ومن صلى صلاة الفجر ....» الحديث وفيه بعد قوله مبرورة وليس كل معتمر مبروراً ولكن سعيد راويه عن أنس قال أبو حاتم منكر الحديث لا يشبه حديثه حديث أهل الصدق وأحاديثه عن أنس لا تعرف وقال أبو زرعة: حدث عن أنس بمناكير وقال روى عن أنس ما لا يتابع عليه ومحمد بن شعيب لا شيء كذا فى الجامع الكبير لجلال=

وكان من عادة السلف، دخول المسجد قبل طلوع الفجر . قال رجل من التابعين : دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقنى . فقال لى : يا ابن أخى لأى شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة ؟ فقلت لصلاة الغداة. فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله تعالى أو قال مع رسول الله ﷺ (١١٦٨) .

وعن على رضي الله عنه أن النبى ﷺ طرقه وفاطمة رضى الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال على فقلت: يا رسول الله . إنما أنفسنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف ﷺ ، فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ، ويقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف : ٥٤) (١١٦٩) .

ثم ينبغى أن يشتغل بعد ركعتى الفجر ، ودعائه بالاستغفار، والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة » ثم يصلى الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة فى الصلاة والقدوة فإذا فرغ منها قعد فى المسجد إلى طلوع الشمس فى ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال ﷺ : « **لأن أقعد فى مجلس أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب**»(١١٧٠) .

= السيوطى وأما الذي أورده فى شعب الإيمان فقد أخرجه أيضا الديلمى عن أنس بزيادة : وكأنما قام ليلة القدر، وروى الترمذى من حديثه بلفظ : من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة، وقال حسن غريب .

(١١٦٨) حديث: أبى هريرة «كنا نعد خروجنا وقعودنا فى المجلس فىَ هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل .

(١١٦٩) حديث : على: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال: ألا تصلون قال على : فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله» . **قال العراقى**: الحديث متفق عليه.

(١١٧٠) حديث : « لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربع رقاب». رواه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه وتقدم فى الباب الثالث من العلم .

وروى أنه ﷺ : « كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس » (١١٧١) . وفى بعضها ويصلى ركعتين أى بعد الطلوع وقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى .

وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول : **«إنه قال يا ابن آدم اذكرنى بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس »** (١١٧٢) .

(١١٧١) حديث : « كان إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس » رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة ﷺ وفى بعض الأخبار : «ويصلى ركعتين» أى بعد الطلوع فقد روى الترمذى من حديث أنس وحسنه «من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وقد تقدم قريبًا وقد روى فى فضل ذلك ما لا يحصى ولفظ القوت وجاء من فضائل الجلوس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وفى صلاة ركعتين بعد ذلك ما يجل وصفه اختصرنا ذكره .اهـ. فمن ذلك ما رواه أبو داود والطبرانى من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه مرفوعا «من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيرا غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر» وعن على ﷺ «من صلى الفجر ثم جلس فى مصلاه يذكر الله صلت عليه الملائكة اللهم اغفر له اللهم ارحمه» رواه أحمد وابن جرير وصححه البيهقى وعن الحسن بن على ﷺ «من صلى الصبح ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار سترا » رواه البيهقى وفى رواية له بعد قوله الشمس ثم قال « يصلى ركعتين حرمه الله على النار أن تلفحه» وعن أبى أمامة وعقبة بن عامر ﷺ «من صلى الصبح فى مسجد جماعة ثم مكث حتى سبح سبحة الضحى كان له كأجر حاج ومعتمر تام له حجه وعمرته» رواه الطبرانى فى الكبير عنهما معا وعن أبى أمامة ﷺ وحده « من صلى صلاة الغداة فى جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام ركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة» رواه الطبرانى فى الكبير وعن سهل بن معاذ عن أبيه «من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة» ورواه ابن السنى وابن النجار وعن عائشة ﷺ «من صلى الفجر فقعد فى مقعده فلم يلغ بشىء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه ابن السنى .

(١١٧٢) حديث : « أن النبى ﷺ كان فيما يذكر من رحمة الله يقول إنه يقول : يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» أورده صاحب القوت فقال وروينا عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال فذكره **وقال العراقى** : رواه ابن المبارك فى الزهد مرسلا هكذا .اهـ.

وقال مرتضى : وقد روى ذلك مرفوعًا عن ابن عباس تقدمت الإشارة إليه فى الكتاب الذى قبله .

بل ينبغى أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها فى سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله: «سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب».

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهوحى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (١١٧٣).

(١١٧٣) حديث: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير». **قال العراقى**: تقدم من حديث أبى أيوب تكرارها عشراً دون قوله يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير فإنها فى اليوم والليلة للنسائى من حديث أبى ذر دون قوله وهو حى لا يموت وهى كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبرانى فى الدعاء من حديث عبد الله بن عمرو تكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف.

وقال مرتضى: تكرارها عشراً بدون تلك الزيادة قد جاء أيضا من حديث أبى هريرة عند البخارى ومسلم والنسائى بلفظ كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل وحديث أبى أيوب المذكور رواه أيضا الترمذى والطبرانى والبيهقى ورواه ابن أبى شيبة عن ابن مسعود موقوفا ورواه أحمد والطبرانى والضياء بزيادة فى آخره ورواه عبد بن حميد من غير قيد عشرة وروى ابن صصرى فى أماليه من حديث أبى أمامة من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير عشر مرات فى دبر صلاة الغداة كتب الله له بكل واحدة منها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكانت له خيراً من عشر محررين يوم القيامة ومن قالها فى دبر صلاة العصر كان له مثل ذلك وروى ابن السنى والطبرانى فى الكبير من حديث معاذ ؓ من قال حين ينصرف من صلاة الغداة قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير عشر مرات أعطى بهن سبعا .. الحديث وروى ابن النجار من حديث عثمان ؓ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير حين يصلى الصبح وقبل أن يثنى قدمه عشر مرات كتب له عشر حسنات الحديث وروى الترمذى عن عمارة بن شبيب السبائى من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير عشر مرات الحديث وقال حسن غريب وقد روى بقيد العشرة عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ كأبى=

ثم يبدأ بالأدعية التى أوردناها فى الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغى أن يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا فى القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالى فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة .

(الأولى) : قوله : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

(الثانية) : قوله : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » (١١٧٤).

= الدرداء عند الطبرانى وابن عساكر وعبد الرحمن بن غنم عند أحمد وقيل هو مرسل وابن عياش عند ابن السنى وغير هؤلاء وأما تكرارها مائة ففى حديث أبى هريرة عند أحمد والشيخين والترمذى وابن ماجة وأبى حيان وحديث عبد الله بن عمرو عند ابن السنى والخطيب وعن أبى الدرداء عند ابن أبى شيبة موقوفًا وعن أبى أمامة عند الطبرانى والضياء وأما تكرارها ألفا ففى حديث عبد الله بن عمرو عند إسماعيل بن عبد الغافر فى الأربعين .

(١١٧٤) حديث : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ».
قال العراقى : رواه النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها .اهـ.

قال مرتضى: وكذلك رواه أحمد ولكن ليس عندهم القيد بعشر مرات ولفظهم بعد قوله الصالحات التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله ورواه كذلك الحاكم أيضا عن أبى هريرة وروى ابن السنى والحسن بن شبيب المعمرى فى اليوم والليلة وأبو الشيخ وابن النجار عن أنس من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات قام مغفورًا له .

(الثالثة) : قوله ﷺ : « سبُّوح قدوس رب الملائكة والروح » (١١٧٥) .

(الرابعة) : قوله : « سبحان الله العظيم وبحمده » (١١٧٦) .

(الخامسة) : قوله ﷺ : « أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة» (١١٧٧) .

(١١٧٥) حديث : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » **قال العراقى** : لم أجدها مكررة ولكن عند مسلم من حديث عائشة أنه ﷺ كان يقولها فى ركوعه وسجوده ، وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح .

(١١٧٦) حديث : « سبحان الله العظيم » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .اهـ.

قال مرتضى: وكذلك رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وأحمد والترمذى و ابن ماجه وابن حبان ولفظهم جميعا سبحان الله وبحمده ورواه بلفظ المصنف أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن حبان من قال ذلك حين يصبح ويمسى مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك أو زاد عليه وروى العقيلى من حديث ابن عمر من قال سبحان الله وبحمده كتب له عشر حسنات ومن قالها عشراً كتب الله له مائة حسنة ومن قالها مائة كتب الله له ألف حسنة ومن زاد زاده الله الحديث وروى الديلمى من حديث عبد الله بن عمرو من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة وروى الترمذى وأبو يعلى وابن حبان عن جابر من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة .

(١١٧٧) حديث : « استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة » **قال العراقى** : رواه المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه الترمذى من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ، ولم يقل الطبرانى أكثر . ولمسلم من حديث الأعرابى : لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة ، تقدمت هذه الأحاديث فى الباب الثانى من الأذكار .

وقال مرتضى : أوسعت الكلام هناك فراجعه .

(السادسة) : قوله : « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١١٧٨) .

(السابعة) : قوله: « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » (١١٧٩) .

(الثامنة) : قوله : « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » (١١٨٠) .

(١١٧٨) حديث : « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » **قال العراقى** : لم أجد تكرارها فى حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات والرفع من الركوع.

(١١٧٩) حديث : « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » **قال العراقى:** رواه المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على: من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبى نعيم في الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيهما حاجة إلا قضاها وفيه مسلم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن على . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه الشيرازى فى الألقاب من طريق ذى النون المصرى عن مسلم الخواص عن مالك بلفظ كان له أمانًا من الفقر وأنسًا من وحشة القبر والباقى سواء رواه الرافعى فى تاريخ قزوين من طريق الفضل بن غانم عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن على قال الفضل بن غانم لو رحل الإنسان فى هذا الحديث إلى خراسان كان قليلا ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى محمد عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد الواسطى حدثنا إسحق بن زريق حدثنا مسلم الخواص عن مالك ابن أنس فساقه سياق الخطيب عن مسلم الخواص عن مالك به .

(١١٨٠) حديث: قوله « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قال ذلك حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال الترمذى حسن صحيح غريب .ا هـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن السنى وأبو نعيم فى الحلية والضياء ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف بلفظ من قال ذلك إذ أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات لم يصبه فى يومه ولا فى ليلته شيء.

(التاسعة) : « اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم » (١١٨١).

(العاشرة) : « قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » (١١٨٢).

(١١٨١) حديث: قوله « اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد » **قال العراقى** : ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر وقد ورد تكرار الصلاة عند الصباح والمساء من غير تعيين الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع .اهـ.

(١١٨٢) حديث : قوله « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اللهم إنى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين الف ملك . . الحديث ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبى داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو .اهـ.

وقال مرتضى: وبمثل سياق ابن أبى الدنيا رواه ابن السنى أيضا وأما حديث معقل بن يسار فإن تمامه بعد قوله سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا وقد رواه أيضا أحمد والبيهقى .وفى نسخة الإحياء المطبوعة وارد « سليم الخواص » ووجد فى إتحاف السادة المتقين .

قال مرتضى: « مسلم الخواص » وأحال إلى حلية الأولياء، وفى الحلية : « سالم الخواص » . والصواب ما فى الحلية . وهو سالم بن ميمون الخواص ، من عباد أهل الشام، وممن غلب عليه الصلاح فأغفل إتقان الحديث وأخطأ كثيرا . انظر اللباب فى تهذيب الأنساب ١/ ٣٩١ و ٣٩٢، كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية ص ٤٤ أنه أحد « أربعة رفعهم الله بطيب المطعم » .

فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرًا واحدًا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حيالها وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستجيب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد(١١٨٣) .

وآية الكرسى (١١٨٤) .

(١١٨٣) حديث : « فضل سورة الحمد » .

قال مرتضى: وهو أشهر أسمائها ويليه سورة الفاتحة والشافية والمنجية والواقية والكافية وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثانى وسورة الصلاة وغيرها مما هو مذكور فى محله أما فضل هذه السورة فروى أحمد والبخارى والدارمى وأبو داود والنسائى وابن جرير وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فدعانى النبى ﷺ فلم أجبه فقال: ألم يقل الله ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ثم قال ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيده فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته وأخرج الدارمى وحسنه والنسائى وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن الضرير في فضائل القرآن وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق العلاء عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثل أم القرآن وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيت وأخرج مسلم والنسائى والطبرانى والحاكم عن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل في الأرض قط قال: فأتى ﷺ فقال أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته .

(١١٨٤) حديث : « فضل آية الكرسى » **قال العراقى :** روى مسلم من حديث أبى بن كعب: يا أبا المنذر اتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قال: قلت ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحديث وللبخارى من حديث أبى هريرة فى توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله ﷺ : أما إنه قد صدقك وهو كذوب .

وقال مرتضى: وعن أبى أمامة رضى الله عنه مرفوعا من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت رواه النسائى والرويانى وابن حبان والدارقطنى فى الأفراد والطبرانى والضياء عن عبد الله بن عمرو ﷺ من قرأ آية الكرسى لم يتول قبض=



نُورُ اليَقِينِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

ج٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٨

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وخاتمة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) (١١٨٥).

و ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٨) (١١٨٦).

و ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ (آل عمران: ٢٦). الآيتين (١١٨٧).

= نفسه إلا الله تعالى ورواه الحكيم الترمذى عن زيد المروزى معضلا بمعناه وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن عمران بن حصين ﷺ مرفوعا فاتحة الكتاب وآية الكرسى لا يقرأهما عبد فى دار فتصيبهم فى ذلك اليوم عين أنس ولا جن وأخرج أبو الشيخ فى الثواب وابن مردويه والديلمى عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ أربع أنزلن من تحت العرش من كنز لم ينزل منه شىء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسى وخواتيم البقرة والكوثر.

(١١٨٥) حديث: « خواتيم البقرة من قوله ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ » **قال العراقى**: روى البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود ﷺ من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه.

وقال مرتضى: ورواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وابن حبان وأخرج الدارمى وابن الضريس عن ابن مسعود قال من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسى وآيتين بعدها وثلاث من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شىء يكرهه من أهله ولا ماله ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق وأخرج الدارمى وابن المنذر والطبرانى عن ابن مسعود قال: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة فى ليلته لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث خواتيمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.

(١١٨٦) حديث: فضل « شهد الله » **قال العراقى**: روى أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا من قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلا قوله ﴿الإِسْلَامُ﴾ ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لنا عند الله وديعة جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلىّ عهداً وأنا أحق من وفَّى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة قال ابن عدى فيه عمر بن المختار وهو يروى الأباطيل.

قال مرتضى: ووجدت بخط الحافظ ابن حجر فى المسند من طريق ابن عتبة بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود عن عم أبيه عبد الله بن مسعود نحوه بزيادة وفيه انقطاع.

(١١٨٧) حديث: فضل ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ الآيتين. **قال العراقى**: روى المستغفرى فى الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إلى قوله=

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة: ١٢٨) . إلى آخرها (١١٨٨) .

وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ (الفتح : ٢٧). إلى آخرها (١١٨٩) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ (الإسراء : ١١١) الآية (١١٩٠) .

وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر (١١٩١) .

= ﴿الإسلام﴾ و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال: لا يقرؤكن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث بن عمير وفى ترجمته ذكره ابن حبان فى الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروى عن الأثبات الموضوعات **قال العراقى** : وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائى وروى له البخارى تعليقًا .

(١١٨٨) حديث: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخرها **قال العراقى:** روى الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمنى رسول الله ﷺ ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفى آخره فقل ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ إلى آخر السورة وذكره أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرآن فى رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله ﷺ قال : من لزم قراءة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ إلى آخر السورة لم يمت هدمًا ولا غرقًا ولا ضربًا بحديد وهو ضعيف .

(١١٨٩) حديث : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ إلى آخرها **قال العراقى** : لم أجد فى فضل هذه الآية حديثًا يخصها لكن فى فضل سورة الفتح روى حديث عن أبى بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبى ﷺ ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وهو حديث موضوع .

(١١٩٠) حديث : قوله تعالى :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية **قال العراقى** : روى أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدًا الآية كلها وإسناده ضعيف .

(١١٩١) حديث: «خمس آيات من أول الحديد وثلاث آيات من آخر سورة الحشر» **قال العراقى** : ذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرآن من حديث على إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ومن آخر سورة الحشر من قوله ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ إلى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد . =

وإن قرأ المسبعات العشر التى أهداها الخضير عليه السلام إلى إبراهيم التيمى - رحمه الله - ووصاه أن يقولها غدوة وعشية ، فقد استكمل الفضل وجمع له (١١٩٢).

= قال مرتضى : وأخرج ابن النجار فى تاريخه من طريق محمد بن على الملطى عن خطاب بن سنان عن قيس بن الربيع عن ثابت بن ميمون عن محمد بن سيرين قال: نزلنا نهر يترى فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا: ارحلوا فإنه لم ينزل هذا المنزل أحد إلا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت للحديث الذى حدثنى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره تلك الليلة سبع ضارى ولا لص طارى وعوفى فى نفسه وأهله حتى يصبح فلما أمسينا لم أنم حتى رأيتهم قد جاءوا أكثر من ثلاثين مرة مخترطين بسيوفهم فما يصلون إلىَّ فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ منهم فقال: يا هذا إنسى أم جنى قلت: بل إنسى قال فما بالك لقد أتيناك أكثر من سبعين مرة كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من الحديد فذكرت له هذا الحديث وهن أربع آيات من أول البقرة إلى ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وثلاث آيات من سورة الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ إلى قوله ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ وآخر بنى إسرائيل ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ إلى آخرها وعشر آيات من أول الصافات إلى ﴿لازِبٍ﴾ وآيتان من الرحمن ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ إلى ﴿ تَنتَصِرَانِ﴾ ومن آخر الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ إلى آخرها وآيتان من ﴿قُلْ أُوحِيَ ﴾ . . . ، ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً ﴾ إلى ﴿شَطَطًا﴾ فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال لى كنا نسميها آيات الحرز ويقال إن فيها شفاء من مائة داء الجنون والجذام والبرص وغير ذلك قال محمد بن على فقرأتها على شيخ لنا قد فلج حتى أذهب الله عنه ذلك .

(١١٩٢) حديث : « إن قرأ المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام إلى أبى إسحاق إبراهيم ابن يزيد بن شريك التيمى» تيم الرباب الكوفى العابد مكث ثلاثين يومًا لم يأكل روى عنه الأعمش وغيره مات ولم يبلغ أربعين سنة توفى سنة ٩٣ هـ. روى له الجماعة ووصاه أن يقولها غدوة وعشية وقال له الخضر أعطانيها محمد ﷺ وذكر من فضلها وعظيم شأنها ما يجل عن الوصف وأنه لا يداوم على ذلك إلا عبد سعيد قد سبقت له من الله الحسنى - فقد استكمل الفضل ومن داوم عليه جمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة المتفرقة فقد روى عن سعد بن سعيد عن أبى طيبة الجرجانى واسمه عيسى بن سليمان عن كرز بن وبرة الحارثى قال وكان من الأبدال ترجمه أبو نعيم فى الحلية فقال: كان يسكن جرجان كوفى الأصل له الصيت البليغ والمكان الرفيع فى النسك والتعبد كان يغلب عليه المؤانسة والمساعدة روى عن طاووس وعطاء والربيع بن خيثم ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وعنه محمد ابن الفضل بن عطية وأبو طيبة الجرجانى ومحمد بن سوقة وابن المبارك وفضيل بن غزوان=

ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال: أتاني أخ لي من أهل الشام ؛ فأهدى لي هدية . وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية، فإنها نعمت الهدية فقلت: يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية؟ قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت: أفلم تسأل إبراهيم من أعطاها إياها ؟ قال: بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد ، فجاءني رجل فسلم عليَّ، وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ، ولا أحسن منه ثيابا ، ولا أشد بياضا ، ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت؟ ومن أين جئت؟ فقال : أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني؟ فقال : جئتك للسلام عليك، وحبا لك في الله عندي هدية وأريد أن أهديها لك فقلت ما هي؟ قال: أن تقول قبل طلوع الشمس، وقبل انبساطها على الأرض، وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ، وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات . وتقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا ، وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا . وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا. وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين ، والدنيا ، والآخرة ما أنت له أهل . ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حليم جواد كريم رءوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت: أخبرني بثواب ذلك . فقال: إذا لقيت محمدا ﷺ فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه، كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها، ووصف أمورا عظيمة مما رآه في

= وأبو سليمان المكتب وأبو شبرمة وغيرهم قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز الحديث قال العراقي : ليس له أصل ، ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته اهـ.

وقال مرتضى : وهي مسألة شهيرة الاختلاف بين المحدثين والسادة الصوفية، والكلام عليها طويل الذيل، وقد أورد الحافظ ابن حجر طرفا منه في الإصابة في ترجمة الخضر عليه السلام، وهذا أيضا على قواعد المحدثين لا يستقيم ، فإنها رؤية منامية ، وسعد بن سعيد الجرجاني قال البخاري : لا يصح حديثه، وأبو طيبة ضعفه يحيى بن معين، وكرز بن وبرة عن رجل من الشام مجهول لا يدري من هو، ولكن مثل هذا يغتفر في فضائل الأعمال، لا سيما وقد تلقته الأمة بالقبول ، والله أعلم .

الجنة. قال فسألت الملائكة فقلت: لمن هذا ؟ فقالوا للذى يعمل مثل عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها ، وسقوه من شرابها . قال : فأتانى النبى ﷺ ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علىّ وأخذ بيدى فقلت : يا رسول الله الخضر أخبرنى: أنه سمع منك هذا الحديث . فقال: صدق الخضر . صدق الخضر، وكل ما يحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى فى الأرض . فقلت: يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله، ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى . هل يعطى شيئا مما أعطيته؟ فقال والذى بعثنى بالحق نبيا إنه ليعطى العامل بهذا، وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته، ويأمر صاحب الشمال، أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة . والذى بعثنى بالحق نبيا، ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا، ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان إبراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم، ولم يشرب . فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة . فإن أضاف إليها شيئا مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن . فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر . كما ذكرنا فضله وآدابه فى باب التلاوة .

وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه، وسيأتى تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته فى كتاب التفكر من ربع المنجيات ، ولكن مجامعه ترجع إلى فنين :

أحدهما : أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة، بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ، ويرتب وظائفه فى يومه الذى بين يديه، ويدبر فى دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله؛ ليصلحه ويحضر فى قلبه النيات الصالحة من أعماله فى نفسه وفى معاملته للمسلمين.

الفن الثانى : فيما ينفعه في علم المكاشفة، وذلك بأن يتفكر مرة فى نعم الله تعالى، وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة؛ لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو فى عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه، ويزيد خوفه منها ،ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة، يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وإنما نستقصى ذلك فى كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين :

أحدهما : زيادة المعرفة : إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف .

والثانى : زيادة المحبة : إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة. فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدى ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التى هى أقوى من البصر الظاهرلأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد حجبها التى استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا. قال صلى الله عليه وسلم : « **إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره** » (١١٩٣) .

(١١٩٣) حديث : « إن لله سبعين حجابًا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره » وتقدم للمصنف فى قواعد العقائد بلفظ ما أدركه بصره وروى أبو الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابًا من نور وسنده ضعيف وفيه أيضا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل هل ترى ربك قال إن بينى وبينه لسبعين حجابا من نور وفى المعجم الكبير للطبرانى من حديث سهل ابن سعد دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ولحديث أبى موسى حجابه لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولابن ماجه كل شيء أدركه بصره **قاله العراقى**، وتقدم ذلك .

وقال مرتضى: وحديث سهل بن سعد الذى أورده فى المعجم الكبير قد رواه أيضا أبو يعلى والعقيلى كلهم عن ابن عمر وسهل بن سعد معًا وللحديث بقية بعد قوله وظلمة فما من نفس تسمع شيئًا من حسن تلك الحجب إلا زهقت ، رواه الطبرانى فى الأوسط=

وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة فى الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو فى الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أوّل بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل ﷺ فى ترقيه وقال فلما جنّ عليه الليل أى أظلم عليه الأمر رأى كوكبًا أى وصل إلي حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنواراً ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ (النور: ٣٥) الآية .

ولنتجاوز هذه المعانى فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافى وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد فى علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربع أعنى الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم وهو الجنة التى تضيق مجارى الشيطان المعادى الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار (١١٩٤) .

وهو الأولى إلا أنه يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به .

= والخطيب والديلمى ورواه أحمد والضياء بزيادة فى آخره ويروى ليس المعاين كالمخبر كذلك رواه ابن خزيمة والطبرانى والضياء عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن جده .

(١١٩٤) حديث : « كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ يشتغلون فى هذا الوقت بالأذكار » **قال العراقى :** تقدم حديث جابر بن سمرة عند مسلم فى جلوسه ﷺ إذا صلى الفجر فى مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو فى قوله كما تقدم من حديث أنس .اهـ.

(الورد الثانى) : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة وهو الربع وفى هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان .

إحداهما : صلاة الضحى وقد ذكرناها فى كتاب الصلاة وأن الأولى أن يصلى ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلى أربعًا أو ستًا أو ثمانيًا إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذى أراد الله تعالى بقوله : ﴿ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ (ص: ١٨) .

فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التى على وجه الأرض فإنها تمنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى: ١، ٢) .

وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه - وهم يصلون عند الإشراق - فنادى بأعلى صوته « ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » (١١٩٥) .

فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتى الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال فى ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتى الإشراق تقع فى مبتدأ وقت الإذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال

(١١٩٥) حديث : « خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند مسلم دون ذكر الإشراق.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد وابن أبى شيبة وعبد بن حميد والطيالسى والدارمى وابن خزيمة وابن حبان ورواه عبد بن حميد أيضا وسمويه فى فوائده عن عبد الله بن أبى أوفى بلفظ صلاة الأوابين حين ترمض الفصال وروى الديلمي عن أبى هريرة مرفوعًا صلاة الأوابين صلاة الضحى .

ﷺ : « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها »[(١١٩٦)]. فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب .

(الوظيفة الثانية فى هذا الوقت) : الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فإن لم يكن شىء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التى قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها إن شاء فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتى الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر .

(الورد الثالث) : من ضحوة النهار إلى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم.

(الوظيفة الرابعة) : فى هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران :

أحدهما : الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فإن كان تاجرا فينبغى أن يتجر بصدق وأمانة ، وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة، ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله، ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه؛ فليرجع إلى بيت ربه وليتزود لآخرته. فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت، فقد قيل: لا يوجد المؤمن إلا فى ثلاث مواطن، مسجد يعمره ، أو بيت يستره ، أو حاجة لابد له منها .

(١١٩٦) حديث : « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها » الحديث بتمامه تقدم فى كتاب الصلاة .

وقل من يعرف القدر فيما لابد منه؛ بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد أنه لابد لهم منه وذلك؛ لأن الشيطان يعدهم الفقر، ويأمرهم بالفحشاء، فيصغون إليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر. والله يعدهم مغفرة منه، وفضلا؛ فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه .

الأمر الثاني : القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل، كما أن التسحر سنة يستعان به على صيام النهار . فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير، وربما خالط أهل الغفلة. وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم. وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها . فكيف بالغافل الفاسق ؟ قال سفيان الثوري - رحمه الله - : « كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلبًا للسلامة » فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة، ونية قيام الليل كان نومه قربة، ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة . فإن ذلك من فضائل الأعمال . وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب ، واشتغل بالصلاة والذكر، فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عزّ وجل واشتغالهم بهموم الدنيا، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل. فإن الليل وقت الغفلة بالنوم، وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى ، والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ (الفرقان: ٦٢) . أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما .

(الورد الرابع): ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته. وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فإذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الإظهار الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم: ١٨).

« وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة » (١١٩٧)، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار، نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضي الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذى صحت به الأخبار .

(١١٩٧) حديث: « الصلاة أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة » هذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار ونقل أنها تصلى بتسليمة واحدة هكذا نقله بعض العلماء وكأنه يريد به صاحب القوت فإنه نقله هكذا وقال صاحب العوارف ويصلى فى أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ .اهـ. وإليه الإشارة بما رواه مسلم عن عائشة كان يصلى فى بيته قبل الظهر أربعًا بل روى الشيخان كان لا يدع أربعا قبل الظهر وهذا نص فى تأكد الأربعة فقيل إن المراد بذلك هى صلاة الزوال ولكن طعن فى تلك الرواية التى يقول فيها إنها أربع ركعات موصولة وفى نسخة إنه يصلى مثنى كسائر النوافل وهو الذى صحت به الأخبار من ذلك ما رواه البخارى والترمذى من حديث ابن عمر كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وبعد العشاء ركعتين الحديث والأفضل فى صلاة النهار عند الشافعى أن يسلم منها من كل ركعتين وأجابوا عن صلاة الليل مثنى مثنى بأنه محمول على أن الليل أولى بذلك وأفضل لا أنه خاص به .

(التنبيه) : الحديث الذى أشار إليه المصنف بأن فى رواته من طعن فيه وهو حديث أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه رفعه أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل وابن ماجه وابن خزيمة فى الصلاة عنه وفيه عبيدة بن مصعب الكوفى ضعفه أبو داود وقال المنذرى لا يحتج بحديثه وقال يحيى القطان وغيره الحديث ضعيف وقال فى موضع آخر فى إسناد أبى داود احتمال للتحسين .

وقال مرتضى : والحافظ السيوطى رمز لصحته ولكن فى الميزان ضعفه أبو حاتم والنسائى وفى مسند الترمذى قرثع الضبى ذكره ابن حبان فى الضعفاء وروى البزار نحوه من حديث ثوبان أنه ﷺ كان يستحب أن يصلى بعد نصف النهار فقالت عائشة رضي الله عنها أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله إلى خلقه بالرحمة وهى صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم وروى الترمذى من حديث عبد الله بن السائب أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحتسب بمثلهن فى السحر وما من شىء إلا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أى صاغرون قال ابن حجر فى شرح الشمائل وهذه الأربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس لأن انتصافه مقابل لانتصاف الليل وبعد زوالها تفتح أبواب السماء وهو نظير النزول الإلهى المنزه عن الحركة والانتقال وسائر سمات الحدوث إذ كل منهما وقت قربة ورحمة .

«وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء» (١١٩٨). كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوع، وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المثين أو أربعا من المثاني فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغي أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعًا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت .

(الورد الخامس) : ما بعد ذلك إلى العصر، ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير. ويكون في انتظار الصلاة معتكفا، فمن فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة ،وكان ذلك سنة السلف، وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة . فإن كان بيته أسلم لدينه، وأجمع لهمه؛ فالبيت أفضل في حقه. فإحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كإحياء الورد الثالث في الفضل . وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال؛ إذ يكره نومتان بالنهار. قال بعض العلماء : « ثلاث يمقت الله عليها، الضحك بغير عجب ،والأكل من غير جوع، والنوم بالنهار من غير سهر بالليل » . والحد في النوم؛ أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار جميعا، فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح، كما أن الطعام غذاء الأبدان، وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتعود السهر تدريجًا فقد

(١١٩٨) حديث : « التطويل في الركعات الأربع» .

قال مرتضى: روى أنس ﷺ قال من صلى قبل الظهر أربعًا غفر له ذنوبه يومه ذلك رواه الخطيب وابن عساكر وعن عمر الأنصاري عن أبيه رفعه «من صلى قبل الظهر أربعا كن له كعتق رقبة من بني إسماعيل» رواه ابن أبي شيبة والطبراني وعن صفوان ﷺ من صلى أربعا قبل الظهر كان له أجره كأجر عتق رقبة أو قال أربع رقاب من ولد إسماعيل رواه الطبراني وعن البراء ﷺ «من صلى قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بهن في ليلته» رواه الطبراني أيضًا .

يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التى ذكرها الله تعالى إذ قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥) . وإذا سجد لله عزّ وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات ؟!

(الورد السادس) : إذا دخل وقت العصر؛ دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر:١) . هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله : ﴿وَعَشِيًّا﴾ (الروم:١٨) . وفى قوله : ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص:١٨) . وليس فى هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة ، كما سبق فى الظهر، ثم يصلي الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رءوس الحيطان، وتصفر والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم. إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج فى هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة .

(الورد السابع): إذا اصفرت الشمس ؛ بأن تقرب من الأرض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التى على وجه الأرض ويرى صفرة فى ضوئها دخل وقت هذا الورد . وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ؛ لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع. وهو المراد بقوله تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧) . وهذا هو الطرف الثانى المراد بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ (طه: ١٣٠) . قال الحسن : « كانوا أشد تعظيمًا للعشى منهم لأول النهار » وقال بعض السلف : « كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة » فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه فى الورد الأول مثل أن يقول : « أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده » مأخوذ من قوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر: ٥٥) . والاستغفار على الأسماء التى فى القرآن أحب كقوله : « أستغفر الله إنه كان غفارًا ، أستغفر الله إنه كان توابًا ، ربّ اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، فاغفر لنا

وارحمنا وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين » ، ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ (الشمس: ١) . ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (الليل:١) . والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال: « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك » كما سبق ثم يجيب المؤذن، ويشتغل بصلاة المغرب، وبالغروب تكون قد انتهت أوراد النهار؛ فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله، ويحاسب نفسه . فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمسه فيكون مغبونًا . وإنه كان شرًا منه يكون ملعونًا . فقد قال ﷺ : « لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا » (١١٩٩) .

فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة؛ فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه وإن تكن الأخرى فالليل خلفه النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها .

بيان أوراد الليل وهي خمسة

(الأول) : إذا غربت الشمس؛ صلى المغرب، واشتغل بإحياء ما بين العشاءين، فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة ، وقد أقسم الله تعالى به؛ فقال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ (الانشقاق : ١٦) . والصلاة فيه هي، ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ ﴾ (طه: ١٣٠) . وهي صلاة الأوابين ، وهي المراد بقوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة : ١٦) . روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال ﷺ : الصلاة بين العشاءين ثم قال ﷺ : « عليكم بالصلاة بين العشاءين ، فإنها تذهب

(١١٩٩) حديث : « لا بُورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرًا » تقدم في الباب الأول من كتاب العلم ، إلا أنه قال علما بدل خيرًا .

بملاغات النهار وتهذب آخره» (١٢٠٠).

والملاغات جمع ملغاة من اللغو ، وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل ، فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة : ١٦) . وسيأتى فضل إحياء ما بين العشاءين فى الباب الثانى . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أولا ، يقرأ فيهما : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (الكافرون:١) . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص:١) . ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل، ثم يصلى أربعا يطيلها، ثم يصلى إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له وإن كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها فى بيته إن لم يكن عزمه العكوف فى المسجد، وإن عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء .

(الورد الثانى) : يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة ، إلى حد نومة الناس، وهو أول استحكام الظلام، وقد أقسم الله تعالى به إذ قال: ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ (الانشقاق: ١٧) . أى وما جمع من ظلمته وقال: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ (الإسراء:٧٨) . فهناك يغسق الليل ، وتستوسق ظلمته، وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور:

(١٢٠٠) حديث : « الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره» **قال العراقى :** قال المصنف : أسنده ابن أبى الزناد إلى رسول الله ﷺ .

قال مرتضى: إنما هو إسماعيل بن أبى زياد الشامى بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبى زياد الشامى عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبرى عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش اهـ.

وقال مرتضى: هو فى كتاب الديلمى ومهذرة آخره وقد ذكر الذهبى إسماعيل هذا فى ديوان الضعفاء وأنه روى عن أبى عون وأنه كان ممن يضع الحديث ونقله عن الدارقطنى وذكر إسماعيل بأن أبى زياد آخر ويعرف بالشفرى قال ابن معين وهو كذاب ولكن المراد هو الأول والمعروف الشامى، ورواه ابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء أى الآية ورواه وحسنه بلفظه نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة .اهـ.

الأول : أن يصلى سوى فرض العشاء أربعًا قبـل الفرض؛ إحياء لما بين الأذانين وستا بعد الفرض ركـعتين، ثم أربعا ويقـرأ فيهـا من القرآن الآيات المخـصوصة كـآخر سورة البـقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها.

والثانى: أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر (١٢٠١) . فإنه أكثر ما روى أن النبى ﷺ صلى بها من الليل والأكـياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والأقـوياء من آخره والحزم التقديم فإنه ربما لا يسـتيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عـادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلاثمائة آية من السور المخـصوصة التى كان النبى ﷺ يكثر قراءتها مثل يس . وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة (١٢٠٢) .

(١٢٠١) حديث : « الوتر ثلاث عشر ركعة » يعنى بالليل. لا فى خبر مقطوع وهو سبع عشرة ركعة والمشهور أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة وثلاث عـشرة وربما حسبوا فيها ركعتى الفجر هذا لفظ القوت وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب الصلاة **وقال العراقى**: روى أبو داود من حديث عائشة لم يكن يوتر بما نقص من سبع لا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة، وللبخارى من حديث ابن عـباس كانت صلاته ثلاث عـشرة ركعة يعنى بالـليل ولمسلم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركـعة وفى رواية للشيخين منها ركعـتا الفجر ولهما أيضـا ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة .

وقال مرتضى: وقد أوسعت الكلام عليه فى كتاب الصلاة .

(١٢٠٢) حديث : « إكثاره ﷺ من قراءة يس والسجدة وسورة الدخـان وتبارك - الملك - والزمر والواقعة » ولفظ القوت واسـتحب له أن يقرأ فى ركوعه هذا ثلاثمائة آية فصاعدًا فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ودخل فى أحوال العابدين فإن قـرأ فى ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعـراء ففيهـما ثلاثمائة آية فإن لم يـحسن قراءتهما قـرأ خمسًا من المفـصل فهى ثلاثمائة آية سورة الواقعة وسورة ن وسـورة الحاقة وسورة المدثر وسورة المعارج فإن لم يحسن فإن من سورة الطارق إلى خاتمة القرآن ثلاثمائة آية ولا أسـتحب للعبد أن ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآى فى هذا العدد من الركوع بعد عشاء الآخرة فإن قرأ فى هذا الورد الثانى بعد عشاء الآخرة وقبل أن ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الأجر وكتب من القانتين وأفـضل الآى أطولها لكثرة الحـروف وإن إقتصـر على قصار الآى عند فـتوره أدرك الفضل لحـصول العدد ومن سورة الملك إلى خـاتمة القرآن ألف آية فإن لم يحـسن ذلك قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتين وخمسين مرة فى ثلاث عشرة ركعـة فإن فيها ألف آية فهذا فضل عظيم و فى الخبر من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصرا فى الجنة ولا يدع أن يقرأ=

فإن لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلاثة أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ . فى كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك - الملك - (١٢٠٣) .

والزمر. والواقعة وفى رواية الزمر وبنى إسرائيل (١٢٠٤) .

= هذه الأربع سور فى كل ليلة سورة يس والسجدة وسورة الدخان وتبارك الملك فإن ضم إليهن الزمر والواقعة فقد أكثر وأحسن . اهـ.

وقال مرتضى: سورة الفرقان سبع وسبعون آية وسورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية جميع ذلك ثلاثمائة آية وأربع آيات والمعروف أن سورة الشعراء مائتا آية وسبع آيات فيكون الجميع مائتين وأربعا وثمانين آية وأما سورة الواقعة فعند أهل المدينة تسع وتسعون آية وعند أهل البصرة سبع وتسعون آية وعند أهل الكوفة ست وتسعون آية وسورة ن اثنان وخمسون آية وسورة الحاقة مثلها وسورة المدثر خمس وخمسون آية وقوله وسورة الواقعة هكذا ذكره الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره فى كتابه الغنية والمراد بها سأل سائل قال بعض العلماء وإنها سورة المرسلات لأن فيها قوله إنما توعدون لواقع والمعارج ثلاث وأربعون آية وقيل أربع وأربعون والمرسلات خمسون آية و قيل ثلاث وخمسون وقد نقل صاحب العوارف كلام صاحب القوت واختصره وقال فإن لم يحفظ القرآن يقرأ فى كل ركعة خمس مرات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى عشر مرات إلى أكثر وأما ما ذكره صاحب القوت فى فضل من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات فقد رواه أحمد والطبرانى وابن السنى عن معاذ بن أنس بزيادة فقال عمر إذا نستكثر فقال ﷺ الله أكثر وأطيب .

(١٢٠٣) حديث : « كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك » كذا فى القوت **قال العراقى :** روى الترمذى من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك اهـ.

وقال مرتضى: وعن أبى فروة الأشجعى ﷺ من قرأ ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام رواه الديلمى وعن البراء رضى الله عنه رفعه من قرأ آ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ السجدة وتبارك قبل أن ينام نجا من عذاب القبر ومن الفتانين رواه أبو الشيخ والديلمى وفيه سوار بن مصعب متروك وعن عائشة ﷺ من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك واقتربت كن له نوراً ورواه أبو الشيخ فى الثواب وقول المصنف أشهرها أى أشهر الأحاديث الثلاثة والمراد بالشهرة : الشهرة اللغوية .

(١٢٠٤) حديث: « كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى إسرائيل » رواه الترمذى من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر وقال حسن غريب .

وفى أخرى أنه كان يقرأ . المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية(١٢٠٥).

وكان العلماء يجعلونها ستًا فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ فى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم . كان يحب سبح اسم ربك الأعلى (١٢٠٦).

وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص (١٢٠٧).

فإذا فرغ قال : سبحان الملك القدوس ثلاث مرات .

الثالث : الوتر وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة ﷺ : « أوصانى رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر » (١٢٠٨).

وإن كان معتادًا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال ﷺ : **« صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة»** (١٢٠٩).

(١٢٠٥) حديث : « كان يقرأ المسبِّحات فى كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية » رواه الترمذى وأبو داود وقال حسن والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية **قاله العراقى**.

(١٢٠٦) حديث : « كان يحب ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ » **قال العراقى** : رواه أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: لفظهما كان يحب هذه السورة : سبح اسم ربك الأعلى وفى السند ثور ابن أبى فاختة وهو متروك .

(١٢٠٧) حديث : « كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ والإخلاص » . **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث أبى ابن كعب بإسناد صحيح وتقدم فى الصلاة من حديث أنس .

(١٢٠٨) حديث : « أوصانى رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر » متفق عليه بلفظ أن أوتر قبل أن أنام .

(١٢٠٩) حديث : « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عمر .

=

وقالت عائشة رضي الله عنها: « أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر» (١٢١٠) .

وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وتراً بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ماروى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به، وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهى (١٢١١) .

فلا ينبغي أن ينقض وروى مطلقا أنه ﷺ قال : « **لا وتران في ليلة** »(١٢١٢) .

= **قال مرتضى:** أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من طريق مالك عن سالم عن ابن عمر ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق الليث عن نافع عن ابن عمر أن رجلا سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل فقال صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجة من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري والنسائي من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحرث ، والنسائي من طريق محمد بن الوليد الزبيدي أربعتهم عن الزهري عن سالم عن ابن عمر .

(١٢١٠) حديث : « أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر » رواه البخاري ومسلم.

(١٢١١) حديث : « النهى عن نقض الوتر » **قال العراقي:** قال المصنف : صح فيه نهى .

قال مرتضى : وإنما صح من قول عابد بن عمرو وله صحبة كما رواه البخاري وقول ابن عباس كما رواه البيهقي ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة .

(١٢١٢) حديث: أنه ﷺ قال: « لا وتران في ليلة » أي إن نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه الأول **قال العراقي:** رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث طلق ابن علي .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد وقال عبد الحق صحيح وقوله لا وتران هذا على لغة من ينصب المثنى بالألف كقراءة من قرأ إن هذان لساحران واستشكل بأن المغرب وتر وهذا وتر فيلزم وقوع وترين في ليلة ورد بأن المغرب وتر النهار وهذا وتر الليل وبأن المغرب الوتر المفروض وهذا وتر النفل وقال الولي العراقي : في شرح التقريب لو أوتر ثم أراد التنفل لم يشفع وتره على الصحيح المشهور عند أصحابنا وغيرهم وقيل يشفعه بركعة ثم يصلي وإذا لم =

ولمن يتردد فى استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم « **كان رسول الله ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما** » (١٢١٣) .

ويقرأ فيهما إذا زلزلزت وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفى رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وإفراد العبادة لله تعالى فقيل إن استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة فى آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعًا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكى وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول فكونه شافعا إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ﷺ إيتاره قبلهما وإعادته الوتر فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا إن لم يستيقظ وشفعا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روى أنه ﷺ : « **ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة** » (١٢١٤) .

وقد قال: « **للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد**» (١٢١٥) . وذلك يدل على صحة النافلة نائما .

(الورد الثالث): النوم ولا بأس أن يعد ذلك فى الأوراد فإنه إذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل: « إن العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى

= يشفعه فهل يعيد الوتر آخرا فيه خلاف عند المالكية وقال الشافعى لا يعيد لحديث لا وتران فى ليلة .اهـ.

(١٢١٣) حديث : « كان النبى ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما » تقدم فى كتاب الصلاة أنه رواه مسلم من حديث كان يصلى بعد الوتر جالسًا ركعتين ورواه أحمد من حديث أبى أمامة والبيهقى من حديث أنس بنحوه وليس فيه يزحف إلى فراشه .

(١٢١٤) حديث: « ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا إلا المكتوبة » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث عائشة لما بدن رسول الله ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالسًا .

(١٢١٥) حديث : « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد » **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث عمران بن حصين انتهى .

شعاره ملك فإن تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله » (١٢١٦) .

وفى الخبر « إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش » (١٢١٧) .

هذا فى العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار فى النوم ولذلك قال ﷺ : « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » (١٢١٨) .

وقال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئا وأتفوق القرآن فيه تفوقًا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال «معاذ أفقه منك» (١٢١٩) .

(١٢١٦) حديث: « إذا نام العبد على طهارة ذاكرًا لله عز وجل يكتب مصليًا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فإن تحرك فى نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له » **قال العراقى :** رواه ابن حبان من حديث ابن عمر من بات طاهراً بات فى شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً.

وقال مرتضى: وكذلك رواه ابن عساكر والضياء ورواه الدارقطنى فى الأفراد من حديث أبى هريرة .

(١٢١٧) حديث : « إذا نام العبد على طهارة رفعت روحه إلى العرش » **قال العراقى:** رواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى الدرداء ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عبد الله ابن عمرو بن العاص. **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث على: ما من عبد ولا أمة ينام فيستثقل نومًا إلا عرج بروحه إلى العرش فالذى لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التى تكذب وسنده ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه الحاكم وصححه وتعقب لفظه فيمتلئ نومًا فيستثقل .

(١٢١٨) حديث : « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح » **قال العراقى:** المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم .

وقال مرتضى: تقدم أنه من رواية البيهقى عن عبد الله بن أبى أوفى ولفظه نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق كرز بن عميرة عن الربيع بن خيثم عن أبى مسعود مرفوعًا نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وقد يشهد للجملة الأولى ما رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث سلمان ﷺ نوم على علم خير من صلاة على جهل .

(١٢١٩) حديث : « قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام=

وآداب النوم عشرة :

الأول : الطهـارة والسواك : قـال ﷺ : « **إذا نام العبد على طهـارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صـادقة وإن لـم ينم على الطهارة قـصرت روحه عن البلوغ فـتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق** » (١٢٢٠) . وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجاب الغيب.

الثـــانى : أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى القيـام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كـذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله ﷺ : « أنه كـان يستاك فى كل ليلة مرارًا عند كل نومة وعند التنبه منها » (١٢٢١) .

وإن لم تتيسـر له الطهارة يستحب له مـسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فـليقعد وليسـتقبل القبلة وليشـتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعـالى وقدرته فذلك يقوم مقـام قيام الليل وقال ﷺ : « **من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى**»(١٢٢٢) .

= منه شيئًا وأتفوق القـرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتـسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال معاذ أفقه منك» **قال العراقى :** متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى ﷺ ولا قوله معاذ أفقه منك وإنما زاد فيه الطبرانى فكان معاذ أفضل منه .

(١٢٢٠) حديث : « إذا نام العبـد على طهارة عرج بروحه إلى العـرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصـرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغـاث أحلام لا تصدق » **قـــال العـــراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث على : ما من عبد ولا أمـة ينام فيستثقل نوما إلا عرج بروحـه إلى العرش فالذى لا يستيقظ إلا عنـد العرش فتلك الرؤيا التى تكذب وسنده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحاكم وصححه وتعقب ولفظه فيمتلئ نومًا فيستثقل .

(١٢٢١) حديث : « كان يسـتاك فى كل ليلة مرارًا عند كل نومة وعند التنبـه منها » رواه مسلم عن ابن عباس أنه كان ﷺ يستاك من الليل مرارًا وتقدم ذلك فى كتاب الطهارة.

(١٢٢٢) حديث : « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى » **قال العراقى:** رواه النسائى وابن ماجة من حديث أبى الدرداء بسند صحيح . =

الثـالث : أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض فى النوم فإن من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم.

الرابع : أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال ﷺ : « **من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له بما اجترم** » (١٢٢٣) .

= **وقال مرتضى:** وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى ورواه ابن حبان والحاكم والطبرانى أيضا من حديث أبى ذر وأبى الدرداء معًا، روى أبو نعيم فى الحلية من حديث عمر بن الخطاب ﷺ من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله بها عليه وله أجر حزبه.

(١٢٢٣) حديث : « من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم » أى اكتسب من الجرم **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يهم بظلم أحد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه كذلك ابن عساكر فى التاريخ من طريق عيينة بن عبد الرحمن عن إسحق بن مسرة عن أنس وإسحق قال فى الميزان عن الأزدى متروك الحديث وساق له فى اللسان هذا الحديث ثم قال عيينة ضعيف جدا وأعاده فى اللسان فى ترجمة عمار بن عبد الملك وقال أتى عنه بقية بعجائب منها هذا الخبر ورواه الخطيب فى التاريخ بلفظ من أصبح وهو لا ينوى ظلم أحد أصبح وقد غفر له ما جنى وفى رواية وإن لم يستغفر وقد رواه أيضا الديلمى والمخلص والبغوى وابن عساكر أيضا وابن أبى الدنيا والمخلص فى فوائده والبغوى من طريق أبى بسطام عن أنس ومعنى الحديث من أصبح عازمًا على ترك ظلم الخلق مع قدرته على الظلم لكنه عقد عزمه على ذلك امتثالا لأمر الشارع وابتغاء مرضاته أما من أصبح لا ينوى ظلم أحد لشهرة أو غفلة أو عجز أو شغل عنهم فلا ثواب له لأنه لم ينو طاعة ومن عزم فثواب عزمه غفران ما يطرأ من جناية لعدم العصمة فيغفر له بسالف نيته ويحتمل أنه على ظاهره فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر بهذا عبداً طهر الله قلبه وصفى باطنه بمعرفة الله وخوفه ومراقبته عن وسخ الأخلاق الدنية من نحو حقد وغل فإن حدث منه زلة لعدم العصمة غفر له وإن لم يستغفر لأنه مختاره ومحبوبه والغفران نعته والله أعلم.

الخـامس : أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تلكفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا وإليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد .

السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس ﷺ يكره النوم قاعداً وفى الخبر : لا تكابدوا الليل(١٢٢٤) .

وقيل لرسول الله ﷺ : إن فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال: « **ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد** »(١٢٢٥) .

وقال ﷺ : « **تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا** »(١٢٢٦) .

(١٢٢٤) حديث : « لا تكابدوا الليل » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى:** رواه الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود: لا تغالبوا هذا الليل .اهـ.

وقال مرتضى : رواه الديلمى من حديث أبان عن أنس بلفظ لا تكابدوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه وإذا تعسر أحدكم فلينم على فراشه فإنه أسلم وأبان ضعيف .

(١٢٢٥) حديث : قيل للنبى ﷺ إن فلانة تصلى بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال : « يصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس . اهـ.

وقال مرتضى: لفظ الصحيحين عن أنس دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا فقالوا لزينب تصلى فإذا كسلت أو فترت مسكت به فقال حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أحدكم أو فتر فليقعد وهكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ومعنى قوله فليقعد أى يتم صلاته قاعداً وإذا فتر بعد فراغ بعض تسليماته فليأت بما بقى من نفله قاعداً أو فليقعد حتى يحدث له نشاط .

(١٢٢٦) حديث : « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله عز وجل لن يمل حتى تملوا » رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائى من حديث عائشة بلفظ اكلفوا .

وقال ﷺ : «خير هذا الدين أيسره» (١٢٢٧) .

وقيل له ﷺ : « إن فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال: لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى» (١٢٢٨) .

وقال ﷺ : « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله» (١٢٢٩) .

(١٢٢٧) حديث : « خير هذا الدين أيسره » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى** : رواه أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم فى العلم .

قال مرتضى: ورواه البخارى فى الأدب والطبرانى ولفظهم خير دينكم أيسره ورواه الطبرانى أيضا عن عمران بن حصين فى الأوسط وابن عدى والضياء عن أنس وروى ابن عبد البر فى كتاب العلم عن أنس خير دينكم أيسره وخير الصلاة الفقه وقد تقدم الكلام عليه فى الصلاة .

(١٢٢٨) حديث : قيل له إن فلانا يصلى فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال ﷺ : « لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتى فمن رغب عنها فليس منى » كذا فى القوت بلفظ فلان يصلى الليل لا ينام ويصوم النهار لا يفطر والباقى سواء **وقال العراقى** : رواه النسائى من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتى . . الخ . وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتى فليس منى وهى متفق عليها من حديث أنس . اهـ .

(١٢٢٩) حديث: « ألا تشادوا هذا الدين فإنه متين من يشاده يغلبه ولا تبغض إليك عبادة الله عز وجل » هكذا هو فى القوت إلا أنه قال ولا تبغض إلى نفسك والباقى سواء وهما حديثان فروى البخارى من حديث أبى هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وروى البيهقى من حديث جابر أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله **قال العراقى** : لا يصح إسناده .

وقال مرتضى: رواه البيهقى من طرق وفيه اضطراب روى موصولا ومرسلا ومرفوعا وموقوفًا واضطرب فى الصحابى أهو جابر أو عائشة أو عمرو ورجح البخارى فى تاريخ إرساله وروى البزار فى مسنده من حديث جابر بلفظ إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى وفى سنده متروك وروى أحمد من حديث أنس إن هذا الدين متين فأوغلوا فيها برفق والإيغال الدخول فى الشىء والمعنى لا تحملوا أنفسكم ما لا تطيقون فتعجزوا وتتركوا العمل .

السابع : أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقى على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة والثانى استقبال اللحد وهوأن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن .

الثامن: الدعاء عند النوم فيقول : « باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات » (١٢٣٠) المأثورة التى أوردناها فى كتاب الدعوات ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (البقرة :١٦٣) .

إلى قوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) .

يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (الأعراف: ٥٤) .

إلى قوله: ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦) .

وآخر بنى إسرائيل : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ﴾ (الإسراء: ١١٠) الآيتين .

فإنه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له « ويقرأ المعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فعل رسول الله ﷺ » (١٢٣١) .

وليقرأ عشراً من أول الكهف وعشرا من آخرها (١٢٣٢).

(١٢٣٠) حديث : الدعاء المأثور عند النوم « باسمك اللهم ربى وضعت جنبى . . . الحديث » إلى آخر الدعوات المأثورة التى أوردناها فى الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات .

(١٢٣١) حديث : « قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده » متفق عليه من حديث عائشة .

(١٢٣٢) حديث : « ليقرأ عشرًا من أول الكهف وعشرًا من آخرها » فقد روى ابن مردويه من حديث عائشة من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال ومن قرأ خاتمتها=

وهذه الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة .

التاسع : أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ (الزمر: ٤٢) .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ (الأنعام : ٦٠) .

فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله فى النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسنه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بنى إن كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت فى ليلته تلك اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه »(١٢٣٣) الدعاء إلى آخره كما ذكرناه فى كتاب الدعوات .

فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب.

= عند رقاده كان له نوراً من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة وروى أحمد والطبرانى وابن السنى من حديث معاذ بن أنس من قرأ أول الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض إلى السماء وروى أحمد ومسلم والنسائى وابن حبان من حديث أبى الدرداء من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال .

(١٢٣٣) حديث : عائشة كان آخر ما يقوله حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى: «اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم » الحديث تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة .

العاشر : الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار(١٢٣٤).

وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فإنها علامة تنكشف عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ.

(الورد الرابع) : يدخل بمضى النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال: ﴿ وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى: ٢) .

أى إذا سكن وسكونه هدوء فى هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله ﷺ أى الليل أسمع فقال جوف الليل (١٢٣٥).

وقال داود ﷺ إلهى إنى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فإن من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلوا بك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله ﷺ أى الليل

(١٢٣٤) حديث : « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار».
قال العراقى: رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة .

(١٢٣٥) حديث : « سئل النبى ﷺ أى الليل أسمع فقال جوف الليل » **قال العراقى:** رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث عمرو بن عنبسة .

وقال مرتضى: ورواه محمد بن نصر بلفظ صلاة الليل مثنى مثنى وجوف الليل أجوبه دعوة رواه أحمد أيضا وفيه أبو بكر بن أبى مريم ضعيف .

أفضل فقال: « **نصف الليل الغابر** »(١٢٣٦) يعنى الباقى .

وفى آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا (١٢٣٧) .

وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوأ كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله ﷺ فى قيامه للتهجد « اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض

(١٢٣٦) حديث : « سئل رسول الله ﷺ أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر » **قال العراقى:** رواه أحمد وابن حبان من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو ابن عنبسة .

(١٢٣٧) حديث : « اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ونزول الجبار إلى سماء الدنيا » . **قال العراقى:** أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود يا جبريل أى الليل أفضل قال ما أدرى غير أن العرش يهتز فى السحر وفى رواية عن الجريرى عن سعيد بن أبى الحسن قال: إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى ينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهومنكر .اهـ.

وقال مرتضى: وهذا الحديث الذى أورده عن أبى الدرداء رواه أيضا الطبرانى فى كتاب السنة من طريق الليث بن سعد قال حدثنى زياد بن محمد الأنصارى عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء وقد رواه ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى فى الكبير وابن مردويه فى التفسير من حديث أبى أمامة ﷺ بلفظ ينزل الله تعالى فى آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله فى الساعة الأولى منهن فى الكتاب الذى لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر فى الساعة الثانية فى جنة عدن وهى مسكنه الذى يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرنى فاغفر له ألا سائل يسألنى فأعطيه ألا داع يدعونى فأستجيب له حتى يطلع الفجر وذلك قول الله عز وجل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً فليشهد الله وملائكته الليل والنهار .

ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » (١٢٣٨) .

اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (١٢٣٩) .

اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت (١٢٤٠) .

(١٢٣٨) حديث : القول فى قيامه للتهجد « اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السماوات والأرض ولك الحمد أنت زين السماوات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق » وفى نسخة زيادة والبعث حق وفى آخره والنشور حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السماوات والأرض ولك الحمد أنت زين السماوات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق .

وقال مرتضى : وروى ابن ماجة من حديث أبى موسى كان ﷺ يقول : اللهم اغفر لى ما قدمت فساقه إلا أنه قال بدل لا إله إلا أنت وأنت على كل شىء قدير بزيادة فى أوله.

(١٢٣٩) حديث : « اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » **قال العراقى:** روى أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبى ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسى تقواها . . . الحديث.

قال مرتضى : وقد تقدم فى كتاب الدعوات ورواه أحمد أيضا وعبد بن حميد ومسلم والنسائى من حديث زيد بن أرقم بزيادة فى أوله وآخره .

(١٢٤٠) حديث : « اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث على أنه ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة فى أوله.

وقال مرتضى: ورواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بلفظ واهدنى لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدى لصالحها إلا أنت وفى أوله زيادة اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها اللهم .

أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين (١٢٤١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ إذا قام من الليل أفتتح صلاته قال: « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»(١٢٤٢) .

ثم « يفتتح الصلاة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح فى صلاة رسول الله ﷺ بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلا ثلاث عشرة ركعة » (١٢٤٣) .

وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يجهر فى قيام الليل أم يسر؟ فقالت: ربما جهر وربما أسر (١٢٤٤) .

(١٢٤١) حديث : « أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رءوفا رحيما يا خير المسئولين وأكرم المعطين » رواه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة وقد تقدم فى الحج **قاله العراقى** .

(١٢٤٢) حديث : عائشة إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض». الحديث رواه مسلم .

(١٢٤٣) حديث : « صح فى صلاة النبى ﷺ أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركع ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة». **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهنى .

وقال مرتضى: لفظ مسلم فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر .

(١٢٤٤) حديث : « سئلت عائشة رضي الله عنها أكان يجهر النبى ﷺ فى قيام الليل أم يسر فقالت ربماجهر وربما أسر » . رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه بإسناد صحيح .

وقال ﷺ : « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة » (١٢٤٥) .

وقال : « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » (١٢٤٦) .

وأكثر ما صح عن رسول الله ﷺ في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة .

ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل.

(الورد الخامس) : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فإن الله تعالى قال: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات: ١٨). قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء ﷺ ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال إن لنفسك عليك حقا وإن لضيفك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان (١٢٤٧) .

(١٢٤٥) حديث : « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة » متفق عليه وقد تقدم قريبا بلفظ فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى ولفظ المصنف أورده الطبراني في الكبير ومحمد بن نصر في الصلاة بزيادة فإن الله وتر يحب الوتر .

(١٢٤٦) حديث : « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » **قال العراقي:** رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل ورواه أيضا عن محمد بن سيرين مرسلا أي فكما جعلت اخر صلاتكم بالنهار وترا فاجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا وأضيفت إلى النهار لوقوعها عقبه قال ابن المنير إنما شرع لها التسمية بالمغرب لأنه اسم يشعر بمسماها وبابتداء وقتها .

(١٢٤٧) حديث : « زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام » . . . الحديث وفي آخره فقال صدق سلمان. هكذا هو في القوت **وقال العراقي:** رواه البخاري من حديث أبي جحيفة .

=

وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ (الطور: ٤٩) .

ثم يقرأ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (آل عمران: ١٨) إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولوا العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفانى عليها اللهم احطط عنى بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً واحفظها علىَّ وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلَّت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر من جمع بين هذه الأربع فى يوم غفر له(١٢٤٨) .

= **وقال مرتضى:** وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن عطاء حدثنا أحمد ابن عمرو البزار حدثنا السرى بن محمد الكوفى حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا عمار بن زريق عن أبى صالح عن أم الدرداء عن أبى الدرداء أن سلمان دخل عليه فرأى امرأته رثة الهيئة فقال مالك فقالت إن أخاك لا يريد النساء إنما يصوم النهار ويقوم الليل فأقبل على أبى الدرداء فقال: إن لأهلك عليك حقا فصل ونم وصم وأفطر فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال لقد أوتى سلمان من العلم حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن حمزة حدثنا أحمد بن على ابن المثنى حدثنا زهير بن حرب حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال جاء سلمان يزور أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال ما شأنك فقالت إن أخاك ليست له حاجة فى شىء من الدنيا يقوم الليل ويصوم النهار فلما جاء أبو الدرداء رحب به سلمان وقرب إليه الطعام فقال له سلمان أطعم فقال: إنى صائم فقال سلمان: أقسمت عليك إلا ما طعمت قال: ما أنا بآكل حتى تأكل قال فأكل معه وبات عنده فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ثم قال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا أعط كل ذى حق حقه صم وافطر وقم ونم وأت أهلك فلما كان عند وجه الصبح قال قم الآن فقاما فتوضآ وصليا ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلى النبى ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان فقال رسول الله ﷺ إن لجسدك عليك حقا مثل ما قال سلمان .

(١٢٤٨) حديث : « من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له » وفى رواية دخل الجنة . **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة .
=

وفى رواية دخل الجنة فإن أنفق بعضهـا وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله ﷺ : « الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس» .

ولقوله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

ودفعت عائشة ﵂ إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئًا فقال لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت (١٢٤٩) .

وفى الخبر : «يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة » (١٢٥٠) . يعنى المفصل وفى جسده ثلاثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك إلى الطريق صدقة وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله .

= **وقال مرتضى:** وروى الطبرانى فى الكبير وأبو سعد السمان فى مشيخته من حديث أبى أمامة رضى الله عنه من صلى يوم الجمعة وصام يومه وعاد مريضا وشهد جنازة وشهد نكاحًا وجبت له الجنة.

(١٢٤٩) حديث : « ما سأله أحد شيئا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو يسكت .

(١٢٥٠) حديث : « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث أبى ذر .

قال مرتضى: ولفظه يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما فى الضحى وهكذا رواه الحاكم وأبو عوانة وابن خزيمة وروى مسلم أيضا من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا أنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا من طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار ورواه هكذا أبو الشيخ فى العظمة وروى أبو داود وابن حبان من حديث بريدة ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ =

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه إما عابد وإما عالم وإما متعلم وإما وال وإما محترف وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره .

(الأول) : العابد وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة ﷺ من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا، وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة وأقل ما نقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بضعهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فإن قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإيناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد

= يقول فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة قالوا فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله قال فى النخامة فى المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك وقد أخرج أبو داود حديث أبى ذر بألفاظ مختلفة .

روى عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطىء البحر فسمع صوتًا عاليًا بالتسبيح ولم ير أحداً فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت : فما ثواب من قاله قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سحبان الحنان المنان سحبان الله المسبح فى كل مكان فهذا وأمثاله إذاسمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعًا فيلازمه وأيًا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه .

(الثانى) : العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتيوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعًا وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فإن استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه فى الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار فى الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل

طلوع الشمس فى عمل اللسان وورده الثانى فى عمل القلب بالفكر إلى الضحوة ووره الثالث إلى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة ووره الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثًا للصلاة وهو الوسط وثلثًا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء، والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم.

(الثالث) : المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالمًا بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات ففى حديث أبى ذر رضي الله عنه أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض»(١٢٥١).

وقال ﷺ : « **إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر** »(١٢٥٢).

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من

(١٢٥١) حديث: أبى ذر رضي الله عنه : « أن حضور مجلس ذكر افضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض » تقدم للمصنف فى كتاب العلم بلفظ حضور مجلس عالم وتقدم أن ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات من حديث عمر **وقال العراقى** : لم أجده من طريق أبى ذر .

(١٢٥٢) حديث : « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها قيل: يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر » رواه الترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ إذا مررتم وتقدم للمصنف كذلك فى كتاب العلم .

منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبى فقال: أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبًا يا مسكينة فقالت: هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال: هيه : فقالت: ما نسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا .

(الرابع) : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق و الاشتغال بالكسب ولكن ينبغى أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورًا فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغى أن يعود إلى ترتيب الأوراد وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر .

(الخامس): الوالى مثل الإمام والقاضى والمتولى لينظر فى أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر ﷺ يفعله إذ قال: ما لى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه .

(السادس): الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شىء إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدًا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٤٩، ٥٠) .

وتحقق فيهم قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ (الكهف: ١٦).

وإليه الإشارة بقوله: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الصافات: ٩٩) .

وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغى أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيستعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٤).

فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفى الخبر « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة » (١٢٥٣) .

(١٢٥٣) حديث : « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة » . **قال العراقى:** رواه ابن شاهين واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده : الإيمان ثلاثمائة=

وقال بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله فإذن الناس وإن اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (الإسراء : ٥٧).

وإنما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله، وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لابد وأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره، والأصل فى الأوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرًا محسوسًا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » (١٢٥٤) .

= وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة ». وقال الطبرانى والبيهقى ثلاثمائة وثلاثون وفى إسناده جهالة . اهـ.

وقال مرتضى: وهذا نص اللالكائى فى كتاب السنة أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا على ابن عبد الله بن بشير حدثنا عمرو بن على حدثنا المنهال بن بحر أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن أبى السنان عن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد قال: حدثنى أبى عن جدى عبيد وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال : الإيمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة من وافى الله بشريعة دخل الجنة . اهـ.

وقال مرتضى: كذلك وقد رواه أيضا ابن السكن وأبو نعيم من هذا الطريق وعبيد له صحبة وحديثه عند ولده قال ابن السكن وقال ابن حبان : فى ترجمة حفيده المغيرة بن عبد الرحمن فى الثقات روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده فى أهل الشام وقال ابن عبد البر روى عن النبى ﷺ فى الإيمان حديثه عند حماد بن سلمة يشير إلى هذا الحديث .

(١٢٥٤) حديث : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » العمل المداوم عليه لأن النفس تألفه فيدوم بسببها الإقبال على الحق ولأن تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل والحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته» [(١٢٥٥)] .

ولذلك قال ﷺ : « **من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله**» [(١٢٥٦)] .

وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركًا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد كى لا يقتدى به [(١٢٥٧)] . روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما .

فإن قلت فهل لغيره أن يقتدى به في ذلك من أن الوقت وقت كراهية، فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذراً من الملال لا يتحقق فى حقه فلا يقاس عليه فى ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به ﷺ .

★ ★ ★

(١٢٥٥) حديث : « سئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبى ﷺ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته » أى احكم عمله بأن يعمل فى كل شيء بحيث يدوم دوام أمثاله رواه مسلم وأبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٢٥٦) حديث : قال ﷺ : « من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى» تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة **قاله العراقى** .

قال مرتضى: وتقدم أيضا أنه رواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين .

(١٢٥٧) حديث : « ركعتين شغله عنها الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد كى لا يقتدى به » وروت ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقى الله عز وجل وكان النبى ﷺ يصليهما ولا يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمته . اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ حديث أم سلمة أن النبى ﷺ صلى ركعتين بعد العصر فلما انصرف قال لى سألت عن الركعتين بعد العصر إنه أتانى ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلونى عن اللتين بعد الظهر فهما هاتان بعد العصر هكذا هو سياق الشيخين وهذا مختصر وأما لفظ حديث عائشة عندهما ما ترك النبى ﷺ السجدتين بعد العصر عندى قط وعند مسلم كان يصلى ركعتين قبل العصر ثم إنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها وذكر ابن حزم أن حديث هاتين الركعتين نقل نقل تواتر فوجب العلم .

الباب الثانى

فى الأسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب إحياؤها وفى فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة : « **إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم** » (١٢٥٨) .

فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين فى الجنة قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « **من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر** » (١٢٥٩) .

(١٢٥٨) حديث : عن عائشة : « إن أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم » . أورده صاحب القوت عن هشام بن عروة عن أبيه عنها **قال العراقى:** رواه أبو الوليد: يونس بن عبيد الله الصفار في كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرًا وإسناده ضعيف . اهـ.

(١٢٥٩) حديث : روت أم سلمة كذا فى النسخ والصواب روى أبو سلمة عن أبى هريرة كما هو نص القوت: عن أبى هريرة رضى الله عنهما صوابه عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة وكأنه صلى ليلة القدر» . ولفظ القوت أو كأنه **قال العراقى:** رواه الترمذى وابن ماجه بلفظ اثنتى عشرة سنة وضعفه الترمذى وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كما رواه أبو الوليد الصفار والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدًا رفعت له فى عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر بالمسجد الأقصى وسنده ضعيف . اهـ.

=

وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : «من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآنا كان حقًا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم» (١٢٦٠) .

وقال ﷺ : «من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصراً فى الجنة» فقال عمر رضي الله عنه إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله فقال: «الله أكثر وأفضل أو قال: أطيب»(١٢٦١) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشىء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الأولى فاتحة

= **وقال مرتضى:** لفظ الحديث الذى رواه الترمذى وضعفه من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة وسبب ضعفه أن فيه عمر ابن أبى خثعم قال البخاري منكر الحديث وضعفه جدا وقال ابن حبان لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح يضع الحديث على الثقات وأما حديث ابن عباس الذى رواه الديلمى ففيه زيادة بعد قوله الأقصى وهى خير من قيام نصف ليلة .

(١٢٦٠) حديث : سعيد بن جبير عن ثوبان بن يجدد مولي رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قراءة كان حقًا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسًا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم » هكذا أورده صاحب القوت **قال العراقى :** لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر .اهـ.

وقال مرتضى: وبخط الحافظ ابن حجر أسنده الديلمى من حديث ثوبان .

(١٢٦١) حديث : « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة » . فقال عمر رضي الله عنه : إذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال ﷺ : الله أكثر وأفضل أو قال أطيب **قال العراقى:** رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عبد الكريم بن الحرث مرسلا. اهـ.

وقال مرتضى: ورواه محمد بن نصر فى الصلاة له من روايته مرسلا مختصرا ولم يذكر قول عمر والحديث بتمامه أورده صاحب القوت من طريق محمد بن أبى الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث أن رسول الله ﷺ فساقه وعبد الكريم بن الحرث الحضرمى المصرى العابد من رجال مسلم والنسائى روى عن المستورد بن شداد وجماعة وعنه الليث وبكر بن مضر توفى سنة ١٣٦ قاله الذهبى فى الكاشف .

الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ١٦٣: ١٦٤) إلى آخر الآية .

وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المجادلة : ١٧) .

وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ٢٨٤). إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وصف من ثوابه فى الحديث ما يخرج عن الحصر (١٢٦٢) .

(١٢٦٢) حديث: أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم فيما بين ذلك بشىء من أمر الدنيا يقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السماوات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد ويقرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها إلى قوله : أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله عز وجل : لله ما فى السماوات وما فى الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابها فى الحديث ما يخرج عن الحصر » أورده صاحب القوت من حديث أبى عائشة السغدى وأبى حفص العوفى كلاهما عن أنس وقول المصنف فى ثوابها فى الحديث ما يخرج عن الحصر يشير إلى ما أورده صاحب القوت بنى له فى جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت فى كل مدينة ألف قصر وفى كل قصر ألف دار فى كل دار ألف حجرة فى كل حجرة ألف صفة فى كل صفة منها ألف خيمة فى كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور فوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشىء إلا زادت عليه جمالا وكمالا لا يراها ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا افتتن لحسنها إلى آخر ما ذكره قدر الصفحة من الكتاب تركته لطوله ولأن لوائح الوضع ظاهرة عليه . **وقال العراقى:** رواه أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى: زياد بن ميمون البصرى صاحب الفاكهة روى عن أنس ويقال عن زياد بن أبى عمار وزياد بن أبى حسان اعترف بالكذب وتاب وقال عدوا إنى كنت يهوديا ثم عاد وقال محمود بن غيلان . =

وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال «قلت للخضر عليه السلام علمنى شيئا أعمله في كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقم على صلاتك التى أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له : أحب أن تعلمنى ممن سمعت هذا فقال إنى حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إياه » (١٢٦٣) .

ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد فى فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد الله مولى رسول الله ﷺ : « هل كان رسول الله ﷺ

= **قال مرتضى** : لأبى داود فزياد بن ميمون قال لقيته أنا وعبد الرحمن بن مهدى فسألناه فقال عدوا إن الناس لا يعلمون أنى لم ألق أنسا لا تعلما أنتما ثم بلغنا أنه يروى عنه فأتيناه فقال عدوا إن رجلاً أذنب ذنبا فيتوب ألا يتوب الله عليه قلنا: نعم فإنى أتوب ما سمعت من أنس شيئا وكان بعد يبلغنا أنه يروى عنه فتركناه .

(١٢٦٣) حديث : عن كرز بن وبرة : « قلت للخضر علمنى شيئا أعمله فى كل ليلة فقال إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء » . . . الحديث.

قال مرتضى : هكذا أورده صاحب القوت بتمامه وتقدم أن سعد بن سعيد الجرجانى قال فيه البخارى إنه لا يصح حديثه ولم يثبت عند المحدثين فى لقاء النبى ﷺ شيء نفيًا ولا إثباتًا ولذا **قال العراقى**: فى تخريجه هذا الحديث باطل لا أصل له .

يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء » (١٢٦٤) .

وقال ﷺ : « **من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين**» (١٢٦٥) .

وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيته يصلى فسألته فقال: نعم هى ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هى ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة: ١٦) .

وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لأبى سليمان الدارانى أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيى ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت: إن لم يتيسر قال: أفطر وصل ما بينهما .

(١٢٦٤) حديث : عبيد مولى رسول الله ﷺ قيل له : « هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال: ما بين المغرب والعشاء » . **قال العراقى:** رواه أحمد : وفيه رجل لم يسم .اهـ.

وقال مرتضى: قال أحمد حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن عبيد مولى النبى ﷺ أنه سئل أكان رسول الله ﷺ يأمر بالصلاة بعد المكتوبة أو سوى المكتوبة قال: نعم بين المغرب والعشاء ومن طريق شعبة عن سليمان قرأ علينا رجل فى مجلس أبى عثمان النهدى فحدثنا عن عبيد مولى النبى ﷺ أخرجه ابن منده من هذا الوجه إلى سليمان فقال عن شيخ عن عبيد وأخرج أيضا هو وابن السكن من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمى سمعت رجلا يحدث فى مجلس أبى عثمان عن عبيد لم يذكر بينهما أحدًا قال ابن عبد البر لم يسمع سليمان عن عبيد بينهما رجل والله أعلم .

(١٢٦٥) حديث : « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين » . روى هذا الحديث محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة وابن المبارك فى الرقائق كلاهما عن محمد بن المنكدر مرسلا ولفظ القوت أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبى ﷺ وقد تقدم فى كتاب الصلاة .

فضيلة قيام الليل

أما من الآيات فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ (المزمل : ٢٠) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (المزمل : ٦) .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة: ١٦).

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ (الزمر : ٩) الآية .

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ (الفرقان: ٦٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الأخبار) قوله ﷺ : **« يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى إنحلت عقدة فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »** (١٢٦٦) .

وفي الخبر أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال **« ذاك رجل بال الشيطان في أذنه »** (١٢٦٧) .

(١٢٦٦) حديث : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث » . الحديث رواه مالك وأحمد والستة خلا الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه فرواه البخاري وأبو داود من طريق مالك ورواه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينة كلاهما عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ على قافية رأس أحدكم بالليل حبلا فيه ثلاث عقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيرًا .

(١٢٦٧) حديث : « ذكر عنده ﷺ رجل نام الليل حتى أصبح فقال: ذاك بال الشيطان في أذنه » الحديث . رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجة عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وفى الخـبر: « **إن للشيطان سعوطًا ولعوقًا وذرورًا فإذا أسـعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح** » (١٢٦٨) .

وقال ﷺ : « **ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم** » (١٢٦٩) .

وفى الصحيح عن جابر أن النبى ﷺ قال إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وفى رواية يسأل الله تعـالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة: « قام رسول الله ﷺ حـتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا » (١٢٧٠) .

(١٢٦٨) حديث : « إن للشيطان سـعوطًا ولعوقًا وذرورًا » **قال العراقى :** رواه الطبرانـى من حديث أنس إن للشيطان لعوقًا وكحلا فإذا لعق الإنسان من لعقوقه ذرب لسانه بالشر وإذا كحله من كـحله نامت عيـناه عن الذكر ورواه البـزار من حـديث سمـرة بن جندب وسندهمـا ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : حديث أنس رواه البيهقى أيضا ولفظه إن للشيطان كحلا ولعوقًا ونشوقًا أما لعـوقه فالكذب وأمـا نشوقـه فالغضب وأمـا كحله فالنوم وفـيه عاصـم بن على شيخ البخارى قال يحيى لا شيء وضعفه ابن مـعين قال الذهبى وذكر له ابن عدى أحاديث مناكير والربيع بن صبيح ضـعفه النسائى وقواه أبو زرعـة ويزيد الرقائى قال النسائى وغيـره متروك وأما حـديث سمرة فـأخرجه أبو بكر بـن أبى الدنيا فى مكايد الشيـطان والبيهـقى أيضا إن للشيطان كـحلا ولعوقا فـإذا كحل الإنسان من كـحله نامت عيناه عن الذكر وإذا لعـقه من لعوقـه ذرب لسانه بالشـر وفيه الحكم بن عـبد الملك القرشى ضـعيف وفـيه أيضا أبو أمـية الطرطوسى متهم أى بالوضع وفـيه أيضا الحسن بن بشر الكوفى أورده الذهبى فى الضـعفاء وقال ابن خـراش منكر الحديث إشـعار بأن لزوم الذكـر يطرد الشيطان ويجلو مـرآة القلب وينور البـصيـرة ولا يتمكن منه إلا الذيـن اتقوا فـالتقـوى باب الذكر والذكـر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله عز وجل .

(١٢٦٩) حديث: « ركعتان يركعـهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الـدنيا وما فيها » من النعيم «ولولا أنى أشق على أمتى لفرضتها عليهم » . **قال العراقى:** رواه آدم بن أبى إياس فى الثواب ومحمـد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسـان بن عطية مرسلا ووصله الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح . اهـ.

وقال مرتضى : حسان بن عطية أبو بكر المحاربى عن أبى أمامة وسعيد بن المسيب وعنه الأوزاعى وأبو غسان ثقة عابد نبيل لكنه قد رمى روى له الجماعة قاله الذهبى فى الكاشف.

(١٢٧٠) حديث : قال المغيرة بن شعبة « قام ﷺ حتى تفطرت قدماه . . . . » الحديث متفق عليه .

ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم: ٧) .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيًا وميتًا ومقبورًا ومبعوثًا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا » (١٢٧١) .

وقال ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم » (١٢٧٢) .

(١٢٧١) حديث : « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيًا وميتًا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك ... الحديث » . **قال العراقى :** هذا باطل لا أصل له.

وقال مرتضى: هذا الحديث من جملة الأحاديث التى يقول فيها يا أبا هريرة افعل كذا كذا ويا أبا هريرة لا تفعل كذا وكذا والنسخة بتمامها حكموا بوضعها وقد مر من هذه النسخة حديث فى فضل التهليل نبهنا هناك على وضعه .

(١٢٧٢) حديث : قال ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفر للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم » **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه الطبرانى والبيهقى من حديث أبى أمامة بسند حسن وقال الترمذى إنه أصح .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد والنسائى وابن ماجة و ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أبى إدريس الخولانى عن أبى أمامة قال الترمذى : وهذا أصح من حديث أبى إدريس عن بلال ورواه ابن عساكر عن أبى إدريس عن أبى الدرداء رواه السنى عن جابر وليس عندهم قبلكم ورواه الطبرانى فى الكبير وابن السنى وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر عن سلمان بلفظ عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة إلى الله ومرضاة للرب ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد ورواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى أمامة بلفظ : عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات وروى الديلمى عن عبد الله بن عمرو بلفظ : عليكم بصلاة الليل ولو ركعة فإن صلاة الليل منهاة عن الإثم وتطفىء غضب الرب تبارك وتعالى وتدفع عن أهلها حر النار يوم القيامة .

وقال ﷺ : « **ما من امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه** » (١٢٧٣) .

وقال ﷺ لأبى ذر : « **لو أردت سفراً أعددت له عدة قال نعم قال: فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال: بلى بأبى أنت وأمى قال: صم يومًا شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها**» (١٢٧٤) .

وروى أنه : « كان على عهد النبى ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: إذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هل سألت الله الجنة قال يا رسول الله إنى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة » (١٢٧٥) .

(١٢٧٣) حديث : « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » . **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم وسماه النسائى فى رواية: الأسود بن يزيد لكن فى طريقه أبو جعفر الرازى قال النسائى وليس بالقوى ورواه النسائى وابن ماجة من حديث أبى الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم فى الباب قبله .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه ابن ماجة ولفظه فيغلب عليها نوم إلا كتب الله له والباقى سواء.

(١٢٧٤) حديث : قال ﷺ لأبى ذر ﷺ : « لو أردت سفراً أعددت له عدة» وهذا فى أسفار الدنيا « قال: نعم قال: فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال: بلى بأبى أنت وأمى قال: صم يومًا شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق صدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها» **قال العراقى:** رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الأزدى .اهـ.

(١٢٧٥) حديث : « كان على عهد النبى ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: إذا كان ذلك فآذنونى أى أعلمونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هلا سألت الله الجنة قال:=

ويروى : « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل » (١٢٧٦) .

قال نافع: كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول : نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من دارى أم وجدت جواراً خيراً لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقًا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق فقال «**سينهاه ما يعمل**»(١٢٧٧) .

وقال ﷺ : « **رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح فى وجهها الماء** » ، وقال ﷺ : « **رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء** » (١٢٧٨) .

= يا رسول الله إنى لست هناك ولا يبلغ عملى ذلك فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزل جبريل عليه السلام فقال أخبر فلانًا أن الله عز وجل أجاره من النار وأدخله الجنة » **قال العراقى:** لم أقف له على أصل . . .

(١٢٧٦) حديث : « أن جبريل قال للنبى ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل ». **قال العراقى:** متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد ولفظهم نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل رواه عن ابن عمر عن حفصة عن النبى ﷺ فحفصة هى التى أخبرت عبد الله بقوله ﷺ المذكور .

(١٢٧٧) حديث : « قيل لرسول الله ﷺ إن فلانًا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق فقال النبى ﷺ سينهاه ما يعمل » **قال العراقى:** رواه ابن حبان من حديث أبى هريرة .اهـ. وفيه الإشارة إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

(١٢٧٨) حديث : قال ﷺ : « رحم الله رجلا قام من الليل يصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح» أى رش « فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم=

وقال ﷺ : « **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات** »(١٢٧٩) .

وقال ﷺ : « **أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل** »(١٢٨٠) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل** »(١٢٨١) .

(الآثار) : روى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ويقال إن سفيان الثورى رحمه الله شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلى إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم

= أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » **قال العراقى:** رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد والنسائى وابن ماجة وابن جرير والحاكم .

(١٢٧٩) حديث : « من أستيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » **قال العراقى:** رواه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح . اهـ.

وقال مرتضى: رواه الحاكم والبيهقى بلفظ فصليا ركعتين جميعًا كتبا ليلتئذ والباقى سواء.

(١٢٨٠) حديث : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » **قال العراقى:** الحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة بسند صحيح بلفظ : أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة فى جوف الليل . وكذلك رواه أبو داود والنسائى ومسند الإمام أحمد وكذلك رواه الحاكم بلفظ : أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل . وكذلك رواه البيهقى بلفظ : أفضل الصلاة بعد المفروضة والباقى سواء .

(١٢٨١) حديث : «من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه ما بين صلاة الفجر والظهر كتب له كما لو قرأه من الليل» . **قال العراقى :** رواه مسلم .

وقال مرتضى: وكذلك رواه أحمد والدارمى وابن خزيمة وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وأبو يعلى وابن حبان عن ابن عمر ولفظ حديث عمر عند أبى نعيم فى الحلية من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله به عليه وله أجر .

العابدين وقال الحسن رحمه الله ما نعلم علمـا أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فـراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبداً وكان عـبد العزيز بن أبى رواد إذا جن عليه الليل يأتى فـراشه فيمـر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن فى الجنة لألين منك ولا يزال يصلى الليل كله وقال الفضـيل إنى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفـتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهـمتى وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحـرم به قيام الليل وقال الفضـيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيـام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلى الليل كله فإذا كان فى السحر قال إلهى ليس مثلى يطلب الجنة ولكن أجرنى برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إنى لأضـعف عن قيـام الليل فـقال له: يا أخى لا تعص الـله تعالى بالنهـار ولا تقم بالليل وكـان للحسن بن صالح جارية فباعها من قـوم فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة فـقالوا: أصبحنا أطلع الفـجر فقالت: وما تصلون إلا المكـتوبة قالوا: نعم فرجـعت إلى الحسن فقـال: يا مولاى بعتنى من قـوم لا يصلون إلا المكتوبة ردنى فـردها وقال الربيع بت فى منزل الشافعى ﷺ ليالى كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبـا حنيفة ﷺ ستة أشهر فـما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكـان أبو حنيفة يحيى نصف الليل فمر بقوم فقالوا : إن هذا يحيى الليل كله فقال إنى أستحى أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيى الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار ﷺ بات يردد هذه الآية ليلة حـتى أصبح ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (الجاثية: ٢١) الآية .

وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتـوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فـخنقته العبرة فجـعل يقول اللهم حرم شيبة مـالك على النار إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكـن النار فأى الرجلين مالك وأى الـدارين دار مالك فلم يزل ذلك قولـه حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا فى المنام بجارية كأحسن مايكون وفى يدها رقعة فقالت لى أتحسن تقرأ فقلت: نعم فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجداً ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها : من أنت قالت: حوراء فقلت: زوجيني نفسك فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت: وما مهرك قالت: طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء وروى في بعض الكتب القديمة عن الله أنه قال إن عبدي الذي هو عبدي حقّا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة .

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطنًا (فأما الظاهرة) فأربعة أمور : -

(الأول): أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

(الثـانى) : أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعـيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم .

(الثالث): أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سُنة [(١٢٨٢)] . للاستعانة على قيام الليل .

(الرابع): أن لا يحتقب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة، قال: رجل للحسن: يا أبا سعيد، إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم؟ فـقال: ذنوبك قيـدتك. وكان الحسن رحـمه الله إذا دخل السوق فـسمع لغطهم ولغوهم يقول : أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون. وقال الثورى: حرمت قيام الليل خمسـة أشهر بذنب أذنبتـه، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلا يبكى فـقلت فى نفسى : هذا مراء. وقال بعضـهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت: أتاك نعى بعض أهلك؟ فقال: أشد، فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد، قلت: فـما ذاك؟ قال: بابى مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبى البارحـة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الخير يدعو إلى الخـير والشر يدعو إلى الشر، والقليل من كل واحـد منهما يجـر إلى الكثير. ولذلك قال أبو سليـمان الدارانى لا تفوت أحدا صلاة الجـماعة إلا بذنب، وكان يقول: الاحتلام بالليل عـقوبة والجنابة بعد، وقال بعض العلماء: إذا صمت يـا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شىء تفطر فإن العـبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عمـا كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى فالـذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحـرام وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه إلى الخيـر ما لا يؤثر غيرها ويعـرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتـجربة بعد شهـادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة أو يـفعل فعلة فـيحرم بهـا قيام سـنة، وكما أن الصـلاة تنهى عن الفحـشاء والمنكر فكذلك الفحـشاء تنهى عن الصلاة وسائـر الخيرات. وقال بعض السـجانين: كنت سجانًا نيـفًا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء فى جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر .

(١٢٨٢) حديث : « الاستعانة بقـيلولة النهار على قيام الليل » **قال العـراقى**: رواه ابن ماجـة من حديث ابن عباس وقد تقدم .

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور

(الأول): سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر فى صلاته إلا فى مهماته ولا يجول إلا فى وساوسه وفى مثل ذلك يقال:

يخبرنى البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضًا فنائم

(الثانى): خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر فى أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته : إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال: إن صهيبًا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصرى رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعًا

وأنشدوا أيضًا:

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
إن فى القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادًا ممهدًا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

(الثـــالث): أن يعرف فضل قـيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حـتى يستحكم به رجاؤه وشوقـه إلى ثوابه فيهيجـه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجـات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فـمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظـره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فـقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قـدمت صليت إلى الصبح قال و الله إنى كنت أتفكر فى حوراء من حـور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فـقمت طول ليلتى شوقًا إليها .

(الرابـع) : وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه فى قـيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو مطلع عليـه مع مشـاهدة ما يخطـر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعـالى خطاب معه فإذا أحب الـله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتـحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيـام ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العـقل والنقل فأما العقل فليعتـبر حال المحب لشخص بسبب جـماله أو لملك بسبب إنعامه وأمـواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله .

فـإن قلت : إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وإن الله تعـالى لا يُرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء سـتر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجـاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخـر سواه وكان يتنعم بإظهار حبـه عليه وذكره بلسانه بمسـمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده .

فإن قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى، فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقـيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه كيف والموقن يسـمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فـيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به فى رجاء إنعامه والرجاء فى حق الله تعالى أصدق ومـا عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بـعرض الحاجات عليه فى الخلوات وأما النقل فيـشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واسـتقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف ومـا تأملته بعد وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسـبقنى إلى الفجر

ومرة يقطعنى عن الفكر، وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحى به قط. وقال على بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزننى شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وقال أيضا: لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذل المناجاة ليست من الدنيا إنما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم، وقال ابن المنكدر: ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة فى الجماعة. وقال بعض العارفين: إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارًا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لى عبادًا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون لى وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال: يا رب وما علامتهم قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فبين صارخ وباكى، وبين متأوه وشاكى، بعينى ما يتحملون من أجلى، وبسمعى ما يشتكون من حبى، أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم أفترى من أقبلت بوجهى عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه وقال مالك بن دينار رحمه الله: إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتى الإشارة إليه فى كتاب المحبة، وفى الأخبار عن الله عز وجل أى عبدى أنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه

يا بنى إن لله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا سيدى تركتنى لا أنام بالليل ولا بالنهار، واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفى الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه**»(١٢٨٣) .

وفى رواية أخرى : يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب :

(الأولى): إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار فى وقت اشتغال النار وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى أبو طالب المكى أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل ابن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد ابن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم .

(١٢٨٣) حديث : جابر : « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» رواه مسلم .

(المرتبــة الثانيــة) : أن يقوم نصف الليل وهذا لا يـنحصر عدد المواظبـين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الأخيـر منه حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل .

(المرتبة الثالثة): أن يقوم ثلث الليل فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير وبالجملة نوم آخر الليل مـحبوب لأنه يـذهب النعاس بالغداة وكـانوا يكرهون ذلك ويقلل صفـرة الوجه والشهرة به فلو قام أكـثر الليل ونام سحرًا قلت صفرة وجهه وقل نعـاسه وقالت عائشة ﵂ : «كـان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخـر الليل فـإن كانت له حـاجـة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة » (١٢٨٤) .

وقالت أيضا ﵂ : « ما ألفيته بعد السحر إلا نائما » (١٢٨٥) .

حتى قال بعض السـلـف هذه الضجعـة قبل الصبـح سُنة، منهم أبو هريرة ﵁ وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشـفة والمشاهدة من وراء حـجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفـيه استراحـة تعين على الورد الأول من أوراد النهـار وقـيام ثلث الليل مـن النصف الأخيـر ونوم السدس الأخير قيام داود صلى الله عليه وسلم.

(١٢٨٤) حديث : « كان رسـول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حـاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع فى مصـلاه حتى يأتيه بلال - المؤذن ﵁ - فيـؤذنه بالصلاة » . **قـال العـراقى:** رواه مسلم من حديث عائشة كـان ينام أول الليل ويحيى آخره ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حـاجته ثم ينام وقال النسائى فإذا كان من السـحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كانت له حـاجة ألم بأهله ولأبى داود كان إذ قضى صلاته من آخـر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثنى وإن كنت نائمة أيقظنى وصـلى ركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلى ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فإن كنت مـستيـقظة حدثنى وإلا اضطجع حـتى يؤذن بالصلاة وقـال مسلم إذا صلى ركعتى الفجر .

(١٢٨٥) حديث : عائشة ﵂ : « مـا ألفيته بعد السحـر الأعلى إلا نائمًا » تعنى رسول الله ﷺ كذا فى القوت **قال العراقى :** متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائما لم يقل البخارى الأعلـى وقال ابن ماجة ما كنت ألفى أو ألقى النبى ﷺ من آخر الليل إلا وهو نائم عندى . اهـ. وفـى القوت وفى الخبر الآخـر كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه إلى الصلاة فقد كانوا يستحبون هذه بعد الوتر قبل صلاة الصبح .

(المرتبة الرابعة) : أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه .

(المرتبة الخامسة): أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما يتيسر لنبى يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ (١٢٨٦) .

وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين ﷺ وكان بعض السلف يقول هى أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لى عينا فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه (١٢٨٧) .

(١٢٨٦) حديث : « قيامه من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فينام فإذا قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم، فيكون له فى الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وهو من أشد الأعمال وأفضلها، وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل الأفكار والتذكرة » وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ قائمًا إلا رأيته ولا كنت تريد أن تراه نائمًا إلا رأيته **قال العراقى:** روى أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجة من حديث أم سلمة كان يصلى وينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح . وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه . . الحديث . اهـ.

قال مرتضى : وللنسائى كان يصلى العتمة ثم يسبح ثم يصلى بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم إنه يستيقظ من نومه ذلك فيصلى مثل ما نام وصلاته تلك الأخيرة تكون إلى الصبح .

(١٢٨٧) حديث : « قيام رسول الله ﷺ نصف الليل أو ثلثه أو سدسه » وفى بعض النسخ أو ثلثيه بعد قوله أو ثلثه : مختلف ذلك فى الليالى. **قال العراقى:** رواه الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ. . . الحديث وفى رواية للبخارى فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء . . . الحديث ولأبى داود حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ . . . الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل .

يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ (المزمل : ٢٠) .

فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ» (١٢٨٨) .

يعني الديك وهكذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال : « راعيت صلاة رسول الله ﷺ في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانًا ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكًا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال: ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة »(١٢٨٩) .

(المرتبة السادسة) : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة (١٢٩٠) .

(١٢٨٨) حديث : عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ » **قال العراقي:** متفق عليه .

وقال مرتضى: ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي .

(١٢٨٩) حديث : روى غير واحد من الصحابة وقع في بعض النسخ وروى واقد وأخاله تصحيفًا أنه قال: « راعيت صلاة رسول الله ﷺ ليلا فنام بعد العشاء زمانًا ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال : ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ إنك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه مسواكًا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت قد صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت قد نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة » **قال العراقي:** رواه النسائي من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ قال : قلت وأنا في سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبن رسول الله ﷺ فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة فذكر الحديث وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخرة الرحل وهذا يدل على أنه أيضًا كان في سفر .

(١٢٩٠) حديث : « صل من الليل ولو قدر حلب شاة » . **قال العراقي :** رواه أبو يعلى من=

فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذى بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفى الليل وهذه هى المرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما فى المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الإحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فقد قال ﷺ «للعامل من هذه الليالى حسنات مائة سنة فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله

= حديث ابن عباس فى صلاة مرفوعًا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبى الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلا لابد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة .اهـ

وقال مرتضى: أورد هذا الأثر صاحب القوت وقال هذا يكون مقدار أربع ركعات ويكون مقدار ركعتين .اهـ. وروى ابن أبى شيبة والبيهقى ومحمد بن نصر فى الصلاة عن الحسن مرسلا صلوا من الليل ولو أربعًا صلوا من الليل ولو ركعتين ما من أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم مناد يا أهل البيت قوموا لصلاتكم وإياس بن معاوية المذكور هو المزى ومرسله رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم بلفظ لابد من صلاة بليل ولو حلب ناقة ولو حلب شاة وما كان بعد صلاة العشاء الأخيرة فهو من الليل .



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد **محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

١٩

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائمًا فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية » (١٢٩١) .

وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال ﷺ : « من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » (١٢٩٢) .

(١٢٩١) حديث : « ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قال النبي ﷺ للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائمًا فإن الله سبحانه يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية» **قال العراقى:** ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الأيام والليالى أن أبا محمد الجبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعًا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان. اهـ.

وقال مرتضى : وروى الديلمى من طريق خالد بن الهياج بن بسطام عن أبيه عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان ﷺ رفعه فى رجب يوم وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة وهى لثلاث بقين من رجب فى ذلك اليوم بعث الله محمدًا نبيًا قال السيوطى فى ذيل الموضوعات هياج: تركوا حديثه .

(١٢٩٢) حديث : « من أحيا ليلة العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » **قال العراقى:** رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة . اهـ.

وقال مرتضى: رواه من طريق بقية عن أبى أمامة بلفظ من قام ليلتى العيد لله محتسبًا لم يمت قلبه حين تموت القلوب وبقية صدوق لكنه كثير التدليس وقد رواه بالعنعنة ورواه ابن شاهين بسند فيه ضعيف ومجهول ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبادة بن الصامت بلفظ من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب فسياق المصنف أشبه بهذا السياق من سياق ابن ماجة وفى السند عمر بن هارون البلخى ضعيف ، وقال الحافظ : حديث مضطرب الإسناد وقد خولف فى صحابية وفى رفعه ورواه الحسن بن سفيان عن عبادة أيضا وفيه بشر بن رافع متهم بالوضع وقال النووى فى الأذكار يستحب إحياء ليلتى العيد بالذكر والصلاة وغيرهما من الطاعات لهذا الحديث فإنه وإن كان ضعيفًا لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها قال والأظهر أنه يحصل الإحياء بمعظم الليل. اهـ. وروى ابن عساكر =

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة** » (١٢٩٣) .

ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والأيام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة** » (١٢٩٤) .

= فى التاريخ من حديث معاذ بن جبل ﷺ من أحيا الليالى الأربع وجبت له الجنة: ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر قال الحافظ حديث غريب وعبد الرحيم بن زيد العمى راويه متروك وسبقه ابن الجوزى فقال حديث لا يصح وعبد الرحيم قال يحيى كذاب وقال النسائى متروك وقال الشافعى بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال أول ليلة من رجب وليلة نصف شعبان وليلتى العيد وليلة الجمعة .

(تنبيه) : قال صاحب القوت وقد قيل إن هذه يعنى ليلة النصف من شعبان هى التى قال الله تعالى : فيها يفرق كل أمر حكيم. وإنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل والله أعلم والصحيح من ذلك عندى أنه فى ليلة القدر وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد له إذ فى أول الآية إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم فالقرآن إنما أنزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئًا لقوله عز وجل إنا أنزلناه فى ليلة القدر .اهـ.

(١٢٩٣) حديث : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله عز وجل له صيام ستين شهراً وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد ﷺ بالرسالة » . **قال العراقى:** رواه أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه .اهـ.

وقال مرتضى : وقد سبق فى حديث سلمان فى ذلك اليوم بعث الله محمداً ﷺ نبيًا.

(١٢٩٤) حديث : « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » .

قال مرتضى : هكذا أورده صاحب القوت وقد تقدم فى الباب الخامس من الصلاة أورد هناك مقتصراً على الجملة الأولى ورواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية والدارقطنى فى الإفراد وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من حديث عائشة . **قال العراقى** هناك: ولم أجده من حديث أنس .اهـ. قال الدارقطنى فى الإفراد حدثنا أبو=

وقال بعض العلماء من أخذ مهنأه في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنأه في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء، ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

تم بحمد الله (كتاب ترتيب الأوراد)

يتلوه إن شاء الله تعالى (كتاب آداب الأكل)

★ ★ ★

= محمد بن صاعد حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن عبد العزيز بن أبان عن الثوري عن هشام عن أبيه عن عائشة وأما أبو نعيم فقال في الحلية : بعد أن أخرجه تفرد به إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي خالد القرشي وأما البيهقي فأورده من طريقين وقال لا يصح وإنما يعرف من حديث عبد العزيز بن أبان عن سفيان وهو ضعيف بمرة وهو عن الثوري باطل ليس له أصل وأعله ابن الجوزي بعبد العزيز فأورده في الموضوعات وقال تفرد به وهو كذاب وقال الذهبي في الميزان هو أحد المتروكين قال يحيى: كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة وقال أبو حاتم لا يكتب حديثه وقال البخاري تركوا حديثه وساق له هذا الخبر ونازع السيوطي ابن الجوزي في دعوى تفرد عبد العزيز به وأورد له طريقًا أخرى في اللآلئ المصنوعة .

فهرس ربع العبادات

الموضوع **الصفحة**

الكتاب الأول من ربع العبادات

الموضوع الصفحة

الكتاب الثانى من ربع العبادات

الموضوع **الصفحة**

الكتاب الثالث من ربع العبادات

الكتاب الرابع من ربع العبادات

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع — الصفحة

الكتاب السادس من ربع العبادات

الكتاب السابع من ربع العبادات

الموضوع **الصفحة**

الكتاب الثامن من ربع العبادات

الكتاب التاسع من ربع العبادات

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الكتاب العاشر من ربع العبادات

كتاب آداب الأكل

وهو الكتاب الأول من ربع العادات

وفيه أربع أبواب :

(البـاب الأول) : فيما لابد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل .

(الباب الـثانى) : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل .

(الباب الـثالث) : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين .

(البـاب الرابع) : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل

وهو الأول من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات، فخلق الأرض والسماوات، وأنزل الماء الفرات من المعصرات، فأخرج به الحب والنبات، وقدر الأرزاق والأقوات، وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات، والصلاة على محمد ذى المعجزات الباهرات، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات، وتتضاعف بتعاقب الساعات، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى فى دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين. وعليه نبه رب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (المؤمنون: ٥١) . فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى، فلا ينبغى أن يترك نفسه مهملا سدى، يسترسل فى الأكل استرسال البهائم فى المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه، ينبغى أن تظهر أنوار الدين عليه؛ وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التى يزم العبد بزمامها، ويلجم المتقى بلجامها، حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام فى إقدامها وإحجامها، فيصير بسببها مدفعة للوزر، ومجلبة

للأجر، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس. قال ﷺ : « **إن الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها إلى فمه وإلى فىّ امرأته**» (١٢٩٥) . وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين، مراعيا فيه آدابه ووظائفه، وها نحن نرشد إلى وظائف الدين فى الأكل؛ فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيئاتها فى أربعة أبواب، وفصل فى آخرها.

الباب الأول : فيما لابد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل .

الباب الثانى : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل .

الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين .

الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

(١٢٩٥) حديث : قال ﷺ : « إن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى فى امرأته» **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث لسعد بن أبى وقاص : « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك » .

الباب الأول

فيما لابد للمنفرد منه

وهو ثلاثة أقسام : قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول

فى الآداب التى تتقدم على الأكل

وهى سبعة :

الأول : أن يكون الطعام - بعد كونه حلالاً فى نفسه - طيبا فى جهة مكسبه، موافقا للسنة والورع، لم يكتسب بسبب مكروه فى الشرع، ولا بحكم هوى ومداهنة فى دين، على ما سيأتى فى معنى الطيب المطلق فى كتاب الحلال والحرام، وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب؛ وهو الحلال، وقدم النهى عن الأكل الباطل على القتل ؛ تفخيما لأمر الحرام، وتعظيما لبركة الحلال.

فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء : ٢٩) .

إلى قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء : ٢٩) .الآية.

فالأصل فى الطعام كونه طيباً، وهو من الفرائض وأصول الدين .

الثانى : غسل اليد ، قال ﷺ : « **الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر، وبعده ينفى اللمم**»(١٢٩٦) . وفى رواية : « **ينفى الفقر قبل الطعام وبعده** » . ولأن اليد لا تخلو عن لوث

(١٢٩٦) حديث : قال ﷺ : « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر، وبعده ينفى اللمم» أى الجنون .
قال العراقى : رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا، وفى رواية من حديث ابن عباس «الوضوء ينفى الفقر قبل الطعام وبعده» لأن فى ذلك شكر للنعمة، وفاء بحرمة الطعام ، والشكر يوجب المزيد، رواه الطبرانى فى الأوسط من طريق=

فى تعاطى الأعمـال ، فغسلها أقـرب إلى النظافة والنزاهة ، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة ، فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجرى منه مجرى الطهارة من الصلاة .

الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض؛ فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعـه عـلى المائدة؛ « كـان رسـول الله ﷺ إذا أتى بطـعـام وضـعـه على الأرض»(١٢٩٧) .

فهذا أقـرب إلى التواضع ، فإن لم يكن فـعلى السفرة؛ فإنهـا تذكر السفر، ويتـذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التـقوى. وقال أنس بن مالك رحمه الله : « ما أكل رسول الله ﷺ على خـوان ولا فـى سكرجـة . قـيل : فـعلى مـاذا كنتم تـأكلون ؟ قـال : على السفرة»(١٢٩٨) .

= نهشل، عن الضحـاك ، عن ابن عباس بلفظه : « الوضوء قبل الطعام وبعـده ينفى الفقر ، وهو من سنن المرسلين ». قال الهيثمى : نهشل بن سعيد متروك ، **وقال العراقى** : ضعيف جداً والضـحاك لم يسمع ابن عبـاس ، وقال ولده الولى العراقى : سنده ضـعيف ولكن له شواهد، وهى وإن كـانت ضعيـفة أيضا لكنهـا تكسبه فـضل قوة، منها مـا تقدم من رواية موسى الرضا ، ومنهـا ما رواه أبو داود والترمذى عن سلمان : « بركة الطعـام الوضوء قبله والوضوء بعده ».

وقال مـرتضى: وهذا الحديث الأخير رواه كذلك أحـمد والحاكم ، كلهم فى الأطعمة ، عن سلمان قال : قرأت فى التوراة : بركة الطعام الوضوء قبله، فذكرته للنبى ﷺ فذكره والحديث ضـعفه أبو داود ، وقال التـرمذى : لا نعرفه إلا من حـديث قيس بن الربيع وهو مضـعف . وقال الحاكم تفـرد به قيس . وقال الذهبى : هو مع ضـعف قيس فيـه إرسال. لكن قال الحـافظ المنذرى : قيس وإن كان فيـه كلام لسوء حفظه لا يخـرج الإسناد عن حد الحسن . وروى الحاكم فى تاريخه من رواية الحكم بن عبد الله الأيلى ، عن الزهرى ، عن سعـيد بن المسـيب ، عن عائشة مـرفوعا : « الـوضوء قبل الطعـام حسنة ، وبعـد الطعام حسنات » .

(١٢٩٧) حديث : « كان رسول الله ﷺ إذا أتى بـطعام وضعه على الأرض » . **قال العـراقى** : رواه أحمـد فى كتاب الزهد من رواية الحـسن مرسلا ، ورواه البـزار من حديث أبى هريرة نحوه ، وفيه مجاعة وثقة أحمد وضعفه الدارقطنى اهـ.

قال مـرتضى : وروى الطبرانى من حديث ابن عـباس : « كان يجلس على الأرض ، ويأكل على الأرض» . وقد تقدم الكلام عليه فى الباب الثاني من كتاب الدعوات .

(١٢٩٨) حـديث : « ما أكل رسـول الله ﷺ على خوان ولا فى سـكرجة قـيل فعلى مـاذا كنتم تأكلون ؟ قال : على السفر » . =

وقيل : أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ : الموائد، والمناخل ، والأشنان(★)، والشبع.

واعلم أنا وإن قلنا : الأكل على السفرة أولى، فلسنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم؛ إذ لم يثبت فيه نهى ، وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهيًا ؛ بل المنهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته، بل الإبداع قد يجب فى بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب ، وليس فى المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل، وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه. والأربع التى جمعت فى أنها مبدعة ليست متساوية، بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة ، والأشنان أتم فى التنظيف ، وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم ، أو لا يتيسر ، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة فى النظافة ، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا. وكانت مناديلهم أخمص أقدامهم، وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا، وأما المنخل، فالمقصود منه تطييب الطعام، وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم المفرط، وأما المائدة فتيسير للأكل، وهو أيضًا مباح ، ما لم ينته إلى الكبر والتعاظم ، وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة؛ فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات ، وتحريك الأدواء فى البدن، فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات .

الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة فى أول جلوسه، ويستديمها كذلك ؛ « كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى »(١٢٩٩)

= **قال مرتضى** : الخوان بالكسر، ويضم : هو المائدة ما لم يكن عليها طعام، معرب، يعتاد بعض المترفهين الأكل عليه احترازا عن خفض رءوسهم، **قال العراقى** : رواه البخارى .

وقال مرتضى : وكذا رواه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه ، قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن المثنى : حدثنا معاذ بن هشام : حدثنى أبى ، عن يونس بن الفرات، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا سكرجة قال فعلى ماذا كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر ولفظ الترمذى : فعلى ما كانوا يأكلون ؟

(★) الأشنان بضم الهمزة وكسرها وهو شىء من العطر أبيض دقيق يغسل به الأيدى (انظر لسان العرب جـ/ ١ ص ٨٦) هذه الإضافة (★)ومضاعفاتها إضافات توضيحية ليست بالأصل (أحمد محمد الحافظ).

(١٢٩٩) حديث : « كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه ، وجلس على ظهر قدميه ، =

وكان يقول : « **لا آكل متكئا** » (١٣٠٠) .

« **إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد** » (١٣٠١) .

والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضًا ، ويكره الأكل نائمًا ومتكئا، إلا ما يتنقل به من الحبوب ، وروى عن على كرم الله وجهه أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ، ويقال : منبطح على بطنه، والعرب قد تفعله .

= وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى» **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بسر فى أثناء حديث : أتوا بتلك القصعة ، فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ .... الحديث وله والنسائى من حديث أنس : رأيته يأكل وهو مقع من الجوع . وروى أبو الحسن بن المقرى فى الشمائل من حديثه : كان إذا جلس على الطعام استوفز على ركبته اليسرى، وأقام اليمنى، ثم قال : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأفعل كما يفعل العبد». وإسناده ضعيف اهـ.

وجدت فى الإحياء طبعة الحلبى (٢/ ٤) وطبعة الشعب (١/ ٦٥٠) عبد الله بن بشير، وكلاهما خطأ. والصواب عبد الله بن بسر صحابى ترجمته فى أسد الغابة ٣/ ١٨٦، والتصحيح من بذل المجهود فى حل أبى داود ١٦/ ١٠١هذه الإضافة ليست بالأصل .

قال مرتضى : ورد بسند حسن : أهديت النبى ﷺ شاة ، فجثا علي ركبته يأكل، فقال له أعرابى : ما هذه الجلسة ؟ فقال : « إن الله جعلنى كريما ، ولم يجعلنى جبارا عنيدا ». وإنما فعل ﷺ ذلك تواضعا لله تعالى، ومن ثم قال : « إنما أنا عبد ، أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد » . وفى خبر مرسل أو معضل عن الزهرى : أتى النبى ﷺ ملك لم يأته قبلها، فقال : إن ربك يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا أو نبيًا ملكا فنظر إلى جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه: أن تواضع . فقال : « لا ؛ بل عبدا نبيا » . قال : فما أكل متكئا قط. لكنه أخرج ابن أبى شيبة عن مجاهد : أنه أكل متكئًا مرة .

(١٣٠٠) حديث : كان ﷺ يقول : « لا آكل متكئا » . **قال العراقى** : أخرجه البخارى من حديث أبى جحيفة .

قال مرتضى : أخرجه ابن شاهين عن عطاء بن يسار أن جبريل رأى النبى ﷺ يأكل متكئا فنهاه .

(١٣٠١) حديث : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » **قال العراقى** : تقدم قبله ، من حديث أنس بلفظ : « وأفعل » بدل : « وأجلس » ، رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله : « واجلس » .

الخامس : أن ينوى بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ؛ ليكون مطيعا بالأكل ، ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل. قال إبراهيم بن شيبان : منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئًا لشهوتى، ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل، فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة، لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع؛ فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها، فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة، وإيثار القناعة على الاتساع ، قال رسول الله ﷺ : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن لم يفعل فثلث طعام، وثلث شراب وثلث للنفس** » (١٣٠٢) .

ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع، فيكون الجوع أحد ما لابد من تقديمه على الأكل. ثم ينبغى أن يرفع اليد قبل الشبع، ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب، وسيأتى فائدة قلة الأكل، وكيفية التدريج فى التقليل منه، فى كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات .

السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام، ولا يجتهد فى التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم، بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم، وقد ورد الأمر بإكرام الخبز(١٣٠٣) .

(١٣٠٢) حديث : قال ﷺ : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ... » الحديث . **قال العراقى** : هذا الحديث رواه الترمذى وقال : حسن والنسائى وابن ماجه من حديث المقدام بن معد يكرب .

وقال مرتضى : وكذا رواه ابن المبارك فى الزهد ، وأحمد، وابن سعد، وابن جرير، والطبرانى ، والحاكم ، وابن حبان ، والبيهقى ، وقال الحاكم : هو صحيح، وسيأتى الكلام على هذا الحديث فى كتاب كسر الشهوتين عند ذكر فوائد الجوع .

(١٣٠٣) حديث : « أكرموا الخبز » ، **قال العراقى** : رواه البزاز والطبرانى وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

وقال مرتضى : ومن اكرامه أن لا ينتظر به الأدم والحديث المذكور رواه البيهقى والحاكم من حديث عائشة من طريق غالب القطان عن كريمة بنت همام عنها قال الحاكم : صحيح وأقره الذهبى وفيه قصة ورواه البغوى فى معجمه وابن قتيبة فى غريبه عن ابن عباس .

فكل ما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغى أن يستحقر، بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان فى الوقت متسع، قال ﷺ : « **إذا حضر العَشَاءُ والعِشَاءُ فابدءوا بالعَشَاءَ** »(١٣٠٤) .

وكان ابن عمر رضي الله عنه ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه ، ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام، ولم يكن فى تأخير الطعام ضرر، فالأولى تقديم الصلاة . فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان فى التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت، تاقت النفس أو لم تتق؛ لعموم الخبر ، ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا .

السابع : أن يجتهد فى تكثير الأيدى على الطعام، ولو من أهله وولده، قال ﷺ : «**اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه** »(١٣٠٥) .

وقال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده. وقال ﷺ : « **خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى** »(١٣٠٦) .

(١٣٠٤) حديث : قال ﷺ : « إذا حضر العَشَاءُ والعِشَاءُ فابدءوا بالعَشَاء » . **قال العراقى** : تقدم فى الصلاة، والمعروف « وأقيمت الصلاة » .

وقال مرتضى : الحديث فى الصلاة ، ورواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر وعائشة، والمعروف من روايته : « إذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » .

(١٣٠٥) حديث : قال ﷺ : « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه » **قال العراقى** : رواه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب بإسناد حسن اهـ.

وقال مرتضى : روياه فى الأطعمة ، ورواه أيضا أحمد وابن حبان والحاكم فى الجهاد بزيادة: «واذكروا اسم الله» . والأمر للندب ، وفى الحديث قصة، وهى : قال رجل : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ! فقال : « لعلكم تفترقون على طعامكم ، اجتمعوا . . . الحديث . وقال ابن عبد البر : إسناده ضعيف ، وعن عمر رضي الله عنه مرفوعا : « كلوا جميعا ولا تفرقوا ، فإن البركة مع الجماعة » . رواه ابن ماجه، ورواه العسكرى فى الوعظ بلفظ : « وإن البركة فى الجماعة » وأما حديث أنس : « كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده» . **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

(١٣٠٦) حديث : قال ﷺ : « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » . لم يتكلم عليه كل من العراقى والزبيدى لسقوطه فى نسخة العراقى .

القسم الثانى

فى آداب حالة الأكل

وهو أن يبدأ ببسم الله فى أوله ، وبالحمد لله فى آخره. ولو قال مع كل لقمة : بسم الله، فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى : بسم الله، ومع الثانية : بسم الله الرحمن، ومع الثالثة : بسم الله الرحمن الرحيم . ويجهر به ليذكر غيره، ويأكل باليمنى ، ويبدأ بالملح ويختم به، ويصغر اللقمة، ويجود مضغها، وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى، فإن ذلك عجلة فى الأكل. وأن لا يذم مأكولا؛ « **كان ﷺ لا يعيب مأكولا؛ كان إذا أعجبه أكله، وإلا تركه** » (١٣٠٧) .

وأن يأكل مما يليه إلا الفاكهة ؛ فإن له أن يجيل يده فيها؛ قال ﷺ : « **كل مما يليك** » (١٣٠٨) .

ثم كان ﷺ يدور على الفاكهة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : « **ليس هو نوعا واحدا** » (١٣٠٩) .

(١٣٠٧) حديث : عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « كان ﷺ لا يعيب مأكولاً ؛ كان إذا أعجبه أكله وإلا تركه» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(١٣٠٨) حديث : قال ﷺ : « كل مما يليك » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الترمذى فى الشمائل بلفظ : « يا بنى ، فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» .

(١٣٠٩) حديث : « كان ﷺ يدور على الفاكهة فقيل له فى ذلك فقال : « ليس هو نوعًا واحدًا». **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عكراش بن ذؤيب وفيه فجالت يد رسول الله ﷺ فى الطبق فقال : « يا عكراش ، كل من حيث شئت ؛ فإنه غير لون واحد». قال الترمذى : غريب. ورواه ابن حبان فى الضعفاء، وروى الخطيب فى ترجمة عبيد بن القاسم عن عائشة مرفوعا: كان إذا أتى بطعام أكل مما يليه، وإذا أتى بالتمر جالت يده فيه .

« وأن لا يأكل من ذورة القصعة ولا من وسط الطعام » (١٣١٠) .

بل يأكل من استدارة الرغيف، إلا إذا قل الخبز فيكسر الخبز، «ولا يقطع بالسكين»(١٣١١) .

ولا يقطع اللحم أيضا ؛ فقد نهى عنه وقال : «انهشوه نهشا » (١٣١٢) .

ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به، قال ﷺ : «أكرموا الخبز، فإن الله تعالى أنزله من بركات السماء » (١٣١٣) .

(١٣١٠) حديث : قال ﷺ : «لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام» روى ابن ماجه من حديث ابن عباس « إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه » . ورواه البيهقى من حديثه بلفظ : « كلوا فى القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل فى وسطها » . وعن عبد الله بن بسر مرفوعا « كلوا من حواليها، وذروا ذروتها يبارك فيها » . رواه أبى داود وابن ماجه . وعن واثلة بن الأسقع رفعه : « كلوا بسم الله من حواليها ، واعفوا عن رأسها فإن البركة تأتيها من فوقها » . رواه ابن ماجه .

(١٣١١) حديث : « النهى عن قطع الخبز بالسكين » **قال العراقى** : رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى هريرة وفيه نوح بن أبى مريم وهو كذاب ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

(١٣١٢) حديث : « النهى عن قطع اللحم بالسكين » ، **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث عائشة وقال : « انهشوه نهشا » . وقال النسائى : منكر ، والترمذى وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية : « وانهشوا اللحم نهشًا » وسنده ضعيف .

وقال مرتضى : الحديث رواه الترمذى وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية بسند ضعيف .

(١٣١٣) حديث : « أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء » يعنى المطر . رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن الحجاج بن علاط بن خالد بن نويره السلمى البهزى ورواه ابن منده فى تاريخ الصحابة والمخلص والبغوى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه وكذا رواه أبو نعيم فى المعرفة والحلية ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وتبعه السيوطى والحق أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة مضطربة وبعضها أشد فى الضعف من بعض ولكن له شواهد فالحكم عليه بالوضع غير جيد فمن تلك الشواهد ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى سكينة : أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله تعالى . وفى بعض نسخ الطبرانى فمن أكرم الخبز فقد أكرم الله تعالى وفيه خلف بن يحيي وهو ضعيف ومنها ما رواه الطبرانى أيضا وعنه أبو نعيم فى الحلية من طريق إبراهيم بن أبى علية قال سمعت=

ولا يمسح يده بالخبز. وقال ﷺ : « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها ، وليمط ما كان بها من أذى، ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة » (١٣١٤) .

ولا ينفخ فى الطعام الحار فهو منهى عنه (١٣١٥) بل يصبر إلى أن يسهل أكله .

= عبد الله بن أبى حرام يقول قال رسول الله ﷺ : « أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السماء والأرض وفيه غياث بن إبراهيم وضاع وفى بعض رواياته فإنه من بركات السماء والأرض ورواه البزار نحو ذلك بزيادة فيه ومنها ما رواه ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس قال لا أعلم إلا أنه رفعه قال أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والأرض ومنها ما يروى عن ابن عباس أيضا مما رفع ما استخف قوم بحق الخبز إلا ابتلاهم الله بالجوع ومنها ما رواه المخلص وتمام وغيرهما من حديث نمير بن الوليد ابن نمير بن أوس الدمشقى عن أبيه عن جده عن أبى موسى الأشعرى رفعه أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم وأعظم الشواهد حديث عائشة أكرموا الخبز قد تقدم ذكره وأنه رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن قال الحاكم صحيح الإسناد عن عائشة قال الحافظ ابن حجر فهذا شاهد صالح.

(١٣١٤) حديث : قال ﷺ : « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها ، وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان . . » الحديث **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أنس وجابر اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ حديث جابر : « إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها ، فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة ، كذلك رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه ، وعند أحمد والشيخين وأبى داود وابن ماجه من حديث ابن عباس بالجملة الأولى فقط، ورواه أحمد ومسلم والترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ : « إذا أكل أحدكم طعاما فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة » . وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير عن زيد بن ثابت ، وفى الأوسط عن أنس .

(١٣١٥) حديث : « النهى عن النفخ فى الطعام والشراب » . **قال العراقى** : رواه أحمد فى مسنده من حديث ابن عباس . وهو عند أبى داود والترمذى وصححه وابن ماجه ، إلا أنهم قالوا: فى الإناء وللترمذى وصححه من حديث أبى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب اهـ.

وقال مرتضى : حديث ابن عباس عند الطبرانى بزيادة والتمرة وألحق بها الفاكهانى الكتاب تنزيها. وفى سنده محمد بن جابر وهو ضعيف ، والتنفس فى معنى النفخ .

وقال مرتضى أيضا : ففى حديث عائشة مرفوعا : « النفخ فى الطعام يذهب بالبركة ».

ويأكل من التمر وترا سبعا، أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين، أو ما اتفق، ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق، ولا يجمع فى كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها، وكذا كل ماله عجم وثفل، وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه فى القصعة . بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله ، وأن لا يكثر الشرب فى أثناء الطعام ، إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه، فقد قيل : إن ذلك مستحب فى الطب وإنه دباغ المعدة .

وأما الشرب : فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ، ويقول : بسم الله . يشربه مصا لا عبًا؛ قال ﷺ : **« مصوا الماء مصًا ولا تعبوه عبًا، فإن الكباد من العب »** (١٣١٦) .

ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا ، « **فإنه ﷺ نهى عن الشرب قائمًا**» (١٣١٧) .

وروى «**أنه ﷺ شرب قائمًا**» (١٣١٨) ولعله كان لعذر .

(١٣١٦) حديث : « مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا » .

قال مرتضى : أى لا تشربوه بكثرة من غير تنفس، هكذا رواه البيهقى من حديث أنس بسند بين. **وقال العراقى** : رواه أبو منصور والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأول ، ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء بن أبى رباح : « إذا شربتم فاشربوا مصا» اهـ.

وقال مرتضى : وفى بعض روايات حديث أنس وعلى زيادة .

(١٣١٧) حديث : « النهى عن الشرب قائما » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أنس وأبى سعيد وأبى هريرة .

(١٣١٨) حديث : « أنه ﷺ شرب قائما » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم .اهـ .

وقال مرتضى : رواية الشيخين : أتيت النبى ﷺ بدلو من ماء زمزم ، فشرب وهو قائم. وروى البخارى عن على أنه شرب قائما ثم قال : إن أناسا يكرهون الشرب قائما، وإن النبى ﷺ صنع مثل ما صنعت. وروى عاصم عن الشعبى ، أن ابن عباس حدثهم قال : سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم، قال عاصم : فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير. أخرجه البخارى، ورواه ابن حزم عنه، قال المحب الطبرى فى مناسكه: ويجوز أن يكون الأمر على ما حلف عليه عكرمة ، وهو أنه شرب وهو على الراحلة ، ويطلق عليه قائم، ويكون ذلك مراد ابن عباس من قوله قائما ، فلا يكون بينه وبين النهى عن الشرب قائما تضادر، وهذا هو الذى عناه المصنف .

ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه، وينظر فى الكوز قبل الشرب، ولا يتجشأ، ولا يتنفس فى الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد، ويرده بالتسمية ، وقد قال ﷺ بعد الشرب: «**الحمد لله الذى جعله عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا**»(١٣١٩) .

والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمنة وقد شرب رسول الله ﷺ لبنا ، وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله، وأعرابى عن يمينه، وعمر ناحيته، فقال عمر رضي الله عنه : أعط أبا بكر، فناول الأعرابى ، وقال الأيمن فالأيمن. ويشرب فى ثلاثة أنفاس، يحمد الله فى أواخرها، ويسمى الله فى أوائلها، ويقول فى آخر النفس الأول : الحمد لله. وفى الثانى يزيد : رب العالمين . وفى الثالث يزيد : الرحمن الرحيم. فهذا قريب من عشرين أدبا فى حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

القسم الثالث

ما يستحب بعد الطعام

وهو أن يمسك قبل الشبع، ويلعق أصابعه، ثم يمسح بالمنديل، ثم يغسلها : ويلتقط فتات الطعام، قال ﷺ : « **من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده** » (١٣٢٠) .

(١٣١٩) حديث : كان ﷺ يقول بعد الشرب : « الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين .

وقال مرتضى : ولفظه : « الحمد لله الذى سقانا .. إلخ » ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية ، كلاهما من طريق الفضل عن جابر الجعفى ، عن أبى جعفر . قال ابن القيم : غريب : قال الحافظ فى تخريج الأذكار: هو مع إرساله ضعيف من أجل الجعفى .

(١٣٢٠) حديث : قال ﷺ : « من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده » .

قال مرتضى : هكذا هو فى القوت . **قال العراقى :** رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب ، من حديث جابر بلفظ : « أمن من الفقر والبرص والجذام، وصرف عن ولده الحمق » . وله من حديث الحجاج بن علاط السلمى : « أعطى سعة فى الرزق ، ووقى الحمق فى ولده وولد ولده» . وكلاهما منكر جدا . اهـ.

=

ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، أما المخرج بالخلال فيرميه، وليتمضمض بعد الخلال ، ففيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام، أن يلعق القصعة ويشرب ماءها، ويقال : من لعق القصعة وغلسها وشرب ماءها كان له عتق رقبة، وإن التقاط الفتات مهور الحور العين، وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه ، فيرى الطعام نعمة منه، قال الله تعالى : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٧٢).

ومهما أكل حلالا قال : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وتنزل البركات ، اللهم أطعمنا طيبا، واستعملنا صالحا . وإن أكل شبهة فليقل : الحمد لله على كل حال، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك.

ويقرأ بعد الطعام: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص : ١). و ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ (قريش:١) .

ولا تقوم عن المائدة حتى ترفع أولا. فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل : اللهم أكثر خيره، وبارك له فيما رزقته، ويسر له أن يفعل فيه خيرا، وقنعه بما أعطيته، واجعلنا وإياه من الشاكرين. وإن أفطر عند قوم فليقل : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة ، وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ؛ ليطفئ بدموعه وحزنه حر

= **قال مرتضى** : قد روى فى الباب من طرق مختلفة ، منها ما رواه الخطيب فى المؤتلف ، عن هدية بن خالد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رفعه : « من أكل ما تحت المائدة أمن من الفقر » . قال الحافظ ابن حجر فى أطراف المختارة : سنده فى هدبة على شرط مسلم والمتن منكر ، فينظر فيمن دون هدبة . ومنها عن ابن عباس مرفوعا : «من أكل ما يسقط من الخوان نفى عنه الفقر، ونفى عن ولده الحمق » رواه أبو الحسن بن معروف فى فضائل بنى هاشم ، والخطيب وابن النجار فى تاريخهما . ومنها عن الحجاج ابن علاط السلمى رفعه : « من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل فى سعة من الرزق ، ووقى الحمق فى ولده وولد ولده » . رواه الباوردى . ومنها عن عبد الله بن أم حرام الأنصارى رفعه : « من أكل ما يسقط من السفرة غفر له » رواه الطبرانى والبزار ، وفيه غياث بن إبراهيم ضعيف . ومنها عن أبى هريرة رفعه : « من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة، وعوفى من الحمق من ولده وولد ولده » . رواه ابن عساكر ، وفيه إسحاق بن نجيح كذاب ، ومنها عن ابن عباس أيضا : « من أكل ما يسقط من الخوان فرزق أولادا كانوا صباحا » . رواه الشيرازى فى الألقاب ، والخطيب وابن عساكر .

النار التي تعرض لها؛ لقوله ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١٣٢١) .

وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو . وليقل إذا أكل لبنا : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه فإن أكل غيره قال : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه» (١٣٢٢) .

(١٣٢١) حديث : قال ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » .

قال مرتضى : وكذا في القوت . **قال العراقي :** والحديث رواه البيهقي في الشعب بلفظ: « سحت » وهو عند الترمذي وحسنه بلفظ : « لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » اهـ .

قال مرتضى : وسيأتي هذا الحديث في كتاب الحلال والحرام. ووجد بخط الحافظ أنه رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي بكر وعائشة وجابر بلفظ : « كل جسد نبت من سحت » . ونحوه من حديث ابن عباس في الصغير للطبراني اهـ.

قال مرتضى : رواه البيهقي وأبو نعيم من حديث زيد بن أرقم، عن أبي بكر ﷺ قال زيد : كان لأبي بكر مملوك لا يعنلى عليه فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة ثم قال : من أين جئت به ؟ قال : مررت بقوم في الجاهلية ، فرقيت لهم ، فأعطوني . قال : أف لك، كدت أن تهلكني . فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج . قيل له : لا تخرج إلا بالماء. فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له : كل هذا من أكل لقمة؟ قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : .. فذكره. وفي الإسناد عبد الواحد بن واصل ، أورده الذهبي في الضعفاء وقال : ضعفه الأزدي وعبد الواحد بن زيد، قال البخاري والنسائي : متروك . وروى ابن جرير من حديث ابن عمر: «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به » . قيل : وما السحت : قال : الرشوة في الحكم .

(١٣٢٢) حديث : القول عند أكل اللبن : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه . . . . الحديث » .
قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث ابن عباس : « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: « اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » .

وقال مرتضى : فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه ووجه ذلك أنه يجزئ مكان الطعام والشراب ، كما ورد ذلك في حديث ابن عباس ، فلا خير من اللبن ، وبهذا يندفع قول بعضهم : هل يلحق ما عدا اللبن من الأشربة به أو بالطعام؟ ووجه اندفاعه أن الحديث صريح في تخصيص ذلك باللبن ، قال ابن عباس : دخلت أنا ورسول الله ﷺ وخالد بن الوليد علي ميمونة ، فجاءتنا بإناء من لبن ، فشرب رسول الله ﷺ ، وأنا عن يمينه ، وخالد عن شماله، فقال لي : « الشربة لك ، فإن شئت آثرت بها=

فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه. ويستحب عقيب الطعام أن يقول: الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا. يا كافى من كل شىء، ولا يكفى منه شىء، أطعمت من جوع، وآمنت من خوف ، فلك الحمد ، آويت من يتم، وهديت من ضلالة، وأغنيت من عيلة، فلك الحمد، حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه، كما أنت أهله ومستحقه، اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحًا، واجعله عونا لنا على طاعتك ، ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك .

وأما غسل اليدين بالأشنان، فكيفيته أن يجعل الأشنان فى كفه اليسرى، ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس ، فيمسح به شفتيه، ثم ينعم غسل الفم بأصبعه ، ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا، ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله .

★ ★ ★

= خالدا » . فقلت: ما كنت أوثر على سؤرك أحدا. ثم قال رسول الله ﷺ : « من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه . ومن سقاه لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه » . وقال ﷺ : « ليس شىء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن». رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى واللفظ له : هذا حديث حسن . وروى النسائى الفصل الأول منه، قاله صاحب سلاح المؤمن ، ورواه كذلك أحمد وابن سعد وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ، وفى بعض ألفاظهم : « إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيرا منه » .

الباب الثانى

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الأكل وهى سبعة

الأول : أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم، بكبر سن أو زيادة فضل، إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغى أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له .

الثانى : ألا يسكتوا على الطعام، فإن ذلك من سيرة العجم ، ولكن يتكلمون بالمعروف ، ويتحدثون بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها .

الثالث : أن يرفق برفيقه فى القصعة ؛ فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله ؛ فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا، بل ينبغى أن يقصد الإيثار، ولا يأكل تمرتين فى دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم، فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه فى الأكل وقال له: كل ، ولا يزيد فى قوله .. كل ، على ثلاث مرات، فإن ذلك إلحاح وإفراط. « **كان رسول الله ﷺ إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث** » (١٣٢٣) .

«وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثا» (١٣٢٤) .

(١٣٢٣) حديث : « كان ﷺ إذا خوطب فى شىء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث جابر فى حديث طويل له ومن حديث ابن أبى حدرد أيضا وإسنادهما حسن.

(١٣٢٤) حديث : « كان ﷺ يكرر الكلام ثلاثا » .

قال مرتضى : ويعيد القول ثلاثا ، كذا في القوت . **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أنس : « كان يعيد الكلمة ثلاثا » اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الترمذى والحاكم بزيادة : لتعقل عنه أى الكلمة التى يتكلم بها، كان يعيدها ثلاث مرات ليتدبرها السامعون ، ويرسخ معناها في القوة العاقلة .

فليس من الأدب الزيادة عليه، فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع؛ قال الحسن بن على رضى الله عنهما : الطعام أهون من أن يحلف عليه .

الرابع : ألا يحوج رفيقه إلى أن يقول له : كل ، قال بعض الأدباء : أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده فى الأكل، وحمل عن أخيه مؤنة القول . ولا ينبغى أن يدع شيئًا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه، فإن ذلك تصنع، بل يجرى على المعتاد، ولا ينقص من عادته شيئًا فى الوحدة ، ولكن يعود نفسه حسن الأدب فى الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع . نعم لو قلل من أكله إيثارًا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهوحسن ، وإن زاد فى الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فى الأكل فلا بأس به، بل هو حسن، وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى أخوانه ويقول : من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما، وكان يعد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم، وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط فى الانبساط . وقال جعفر بن محمد ﷺ : أحب إخوانى إلىّ أكثرهم أكلا ، وأعظمهم لقمة، وأثقلهم على من يحوجنى إلى تعهده فى الأكل . وكل هذا إشارة إلى الجرى على المعتاد وترك التصنع . وقال جعفر رحمه الله أيضًا : تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله فى منزله .

الخامس : أن غسل اليد فى الطست لا بأس به، وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده ، وإن أكل مع غيره فلا ينبغى أن يفعل ذلك ، فإذا قدم الطست إليه غيره إكراما له فليقبله ، اجتمع أنس بن مالك وثابت البنانى ﷺ على طعام، فقدم أنس الطست إليه، فامتنع ثابت ، فقال أنس : إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها؛ فإنما يكرم الله عز وجل ، وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير، فصب الرشيد على يده فى الطست ، فلما فرغ قال: يا أبا معاوية ، تدرى من صب على يدك ؟ فقال : لا . قال : صبه أمير المؤمنين . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أكرمت العلم وأجللته ، فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله. ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة، فهو أقرب إلى التواضع ، وأبعد عن طول الانتظار، فإن لم يفعلوه فلا ينبغى أن يصب ماء كل واحد، بل يجمع الماء فى الطست

قال ﷺ : « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » (١٣٢٥) .

قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر ابن عبد العزيز إلي الأمصار: لا يرفع الطست من بين يدى قوم إلا مملوءة، ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود : اجتمعوا على غسل اليد فى طست واحد، ولا تستنوا بسنة الأعاجم. والخادم الذى يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما، وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع ، وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسًا ، فقام المصبوب عليه ، فقيل له : لم قمت ؟ فقال : أحدنا لابد وأن يكون قائما. وهذا أولى ؛ لأنه أيسر للصب والغسل، وأقرب إلى تواضع الذى يصب، وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر، فإن العادة جارية بذلك، ففى الطست إذًا سبعة آداب : ألا يبزق فيه، وأن يقدم به المتبوع ، وأن يقبل الإكرام بالتقديم، وأن يدار يمنة ، وأن يجتمع فيه جماعة ، وأن يجمع الماء فيه ، وأن يكون الخادم قائمًا، وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق، حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه، وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه، هكذا فعل مالك بالشافعى رضي الله عنه فى أول نزوله عليه وقال : لا يروعك ما رأيت منى ، فخدمة الضيف فرض .

السادس : ألا ينظر إلى أصحابه، ولا يراقب أكلهم فيستحيون، بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه، ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده، بل يمد اليد ويقبضها ، ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا ، فإن كان قليل الأكل توقف فى الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا فى الطعام أكل معهم أخيرا، فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعا للخجلة عنهم .

(١٣٢٥) حديث : قال ﷺ : « اجمعوا وضوأكم جمع الله شملكم » .

قال مرتضى : والوضوء بالفتح اسم الماء الذى يتوضأ به. **قال العراقى** : رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث أبى هريرة بإسناد لا بأس به، وجعل ابن طاهر مكان أبى هريرة إبراهيم وقال : إنه معضل وفيه نظر .

السـابع : ألا يفعل ما يستقذره غيره ، فـلا ينفض يده فى القصعة ، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة فى فيه، وإذا أخرج شيئًا من فـيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره، ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل، ولا الخل فى الدسومة ، فقد يكرهه غيره، واللقمة التى قطعها بسنه لا يغمص بقيتها فى المرقة والخل، ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات .

★ ★ ★

الباب الثالث

فى آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير ، قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس ، فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله : كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة ، إلا نفقة الرجل على إخوانه فى الطعام، فإن الله يستحيى أن يسأله عن ذلك ، هذا مع ما ورد من الأخبار فى الإطعام، قال ﷺ : « **لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع** »(١٣٢٦) .

وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكله جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك** » (١٣٢٧) .

فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك .

وفى الخبر : « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه » (١٣٢٨) .

(١٣٢٦) حديث : قال ﷺ : « لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع» **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف .
وقال مرتضى : ورواه كذلك الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول بلفظ : « إن الملائكة تصلى» . وجزم المنذرى بضعفه ، وأخرجه أيضا البيهقى فى الشعب وقال : تفرد به بندار ابن على .

(١٣٢٧) حديث : « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .

(١٣٢٨) حديث : « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه » .

=

وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك، ويقلل إذا أكل وحده. وفي الخبر: « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحور، وما أفطر عليه، وما أكل مع الإخوان»(١٣٢٩) .

وقال على رضي الله عنه : لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم المرء طيب زاده فى سفره، وبذله لأصحابه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق . وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون علي قراءة القرآن ، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، وقيل : اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا. وفى الخبر: « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة : يا ابن آدم، جعت فلم تطعمنى . فيقول : كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ، ولو أطعمته كنت أطعمتنى » (١٣٣٠) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم الزائر فأكرموه » (١٣٣١) .

---

* **قال مرتضى** : ولفظ القوت : وفى خبر عن بعض السلف . **وقال العراقى** : وفى الحديث الذى بعده بمعناه .

(١٣٢٩) حديث : « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد : أكلة السحر، وما أفطر عليه، والأكل مع الإخوان » .

قال مرتضى : هكذا فى القوت . **قال العراقى** : رواه الأزدى في الضعفاء من حديث جابر: « ثلاثة لا يسألون عن النعيم : الصائم والمفطر والرجل يأكل مع ضيفه » . أورده فى ترجمة سليمان بن داود الجزرى وقال فيه : منكر الحديث ، والديلمى فى مسند الفردوس نحوه من حديث أبى هريرة اهـ.

(١٣٣٠) حديث : قال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة : يا ابن آدم ، جعت فلم تطعمنى فيقول : كيف أطعمك وأنت رب العالمين : فيقول جاع أخاك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت . . . » الحديث هكذا أورده فى القوت . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ : «استطعمتك فلم تطعمنى ».

(١٣٣١) حديث : « إذا جاءكم الزائر فأكرموه» **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أنس ، وهو حديث منكر، قاله ابن أبي حاتم فى العلل اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن لال من طريقه وفيه يحيى بن مسلم قال الذهبى : ضعفه الجماعة .

وقال ﷺ : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، هى لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام » (١٣٣٢) .

وقال ﷺ : « خيركم من أطعم الطعام » (١٣٣٣) .

وقال ﷺ : « من أطعم أخاه حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه بعدّه الله من النار بسبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » (١٣٣٤) .

وأما آدابه : فبعضها فى الدخول وبعضها فى تقديم الطعام .

(١٣٣٢) حديث : قال ﷺ : « إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هى لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام » فى رواية : « لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » وفى أخرى . «واصل» بدل « تابع ». وفى أخرى زيادة « أفشى السلام » . **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث على وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وابن حبان والبيهقى من حديث أبى مالك الأشعرى، قال الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق ووثقه ابن حبان. ووقعت فى رواية البيهقى زيادة ؛ قال : يا رسول الله ، وما إطعام الطعام ؟ قال : « من قات عياله». قيل : وما وصال الصيام ؟ قال : « من صام رمضان ثم أدرك رمضان فصامه » . قيل: وما إفشاء السلام ؟ . قال : « مصافحة أخيك » . قيل : وما الصلاة والناس نيام ؟ قال : « صلاة العشاء الآخرة » . اهـ . وهو وإن ضعفه ابن عدى لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها ، ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره والله أعلم .

(١٣٣٣) حديث : قال ﷺ : « خيركم من أطعم الطعام » **قال العراقى :** رواه أحمد، والحاكم ، من حديث صهيب ، وقال : صحيح الإسناد اهـ.

وقال مرتضى : ولكن بزيادة : « ورد السلام » . هكذا رواه أبو الشيخ فى الثواب فى جزئه، وأبو يعلى وابن عساكر ، كلهم من طريق حمزة بن صهيب عن أبيه .

(١٣٣٤) حديث : « من أطعم أخاه حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، بعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » . **قال العراقى :** رواه الطبرانى وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله ﷺ . وقال الذهبى : غريب منكر اهـ.

وقال مرتضى : هذا لفظ الحاكم ، ورواه أيضا النسائى والبيهقى والخرائطى فى مكارم=

آداب الدخول للطعام

أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل ؛ فإن ذلك من المفاجأة ، وقد نهى عنه، قال الله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ (الأحزاب : ٥٣) . يعنى : منتظرين حينه ونضجه .

وفى الخبر: « **من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقًا وأكل حراما** » (١٣٣٥) .

ولكن حتى الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام ألا يأكل ما لم يوذن له ، فإذا قيل له : كل، نظر: فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كان يقولونه حياء منه فلا ينبغى أن يأكل ، بل ينبغى أن يتعلل . أما إذا كان جائعًا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ، ولم يتربص به وقت أكله، فلا بأس به، « قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا» (١٣٣٦) .

= الأخلاق، كلهم بلفظ : « من أطعم أخاه من الخبز حتى يشبعه ، وسقاه من الماء حتى يرويه» وفيه : «كل خندق مسيرة سبعمائة عام » .

(١٣٣٥) حديث : « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما » . **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث عائشة نحوه وضعفه، ولأبى داود من حديث ابن عمر: « من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا » . وإسناده ضعيف اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ البيهقى « من دخل على قوم لطعام لم يدع إليه فأكل دخل فاسقا ، وأكل ما لا يحل له » . وهكذا رواه ابن النجار أيضا، وأما لفظ أبى داود فأوله : « من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل على غير دعوة . . » إلخ وقد رواه البيهقى أيضا .

(١٣٣٦) حديث : « قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الأنصارى لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا » . **قال العراقى** : أما قصة أبى الهيثم فرواها الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حسن غريب صحيح. والقصة عند مسلم ، لكن ليس فيها ذكر لأبى الهيثم ، وإنما قال : رجل من الأنصار . وأما قصة أبى أيوب فرواها الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ .

والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام ، وهى عادة السلف . وكان عون بن عبد الله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ، ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر، ولآخر سبعة يدوز عليهم فى الجمعة ، فكان إخوانهم يعطونهم بدلا عن كسبهم، وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم .

فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه ، إذ المراد من الإذن الرضا ، لا سيما فى الأطعمة ، وأمرها على السعة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض ، فأكل طعامه مكروه، ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب ، وقد قال تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ (النور : ٦١) - ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة ، وكان الطعام من الصدقة ، فقال : « بلغت الصدقة محلها » (١٣٣٧) .

وذلك لعلمه بسرورها بذلك ، لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن، فإن لم يعلم فلابد من الاستئذان أولا ثم الدخول، وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن ، كان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول : هكذا كنا .

وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائمًا يأكل من متاع بقال فى السوق ، يأخذ من هذه الجونة تينة، ومن هذه قسبة (*) ، فقال له هشام : ما بدا لك يا أبا سعيد فى الورع ، تأكل متاع

(١٣٣٧) حديث : دخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال : « بلغت الصدقة محلها » وذلك لعلمه بسرورها بذلك .

قال مرتضى : هكذا أورده صاحب القوت . وهما قصتان . قال العراقى : رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة : أهدى لبريرة لحم ، فقال النبى ﷺ : « هو لها صدقة ولنا هدية» وأما قوله: « بلغت محلها » فقاله في الشاة التى أعطيتها نسيبة من الصدقة، وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

(*) قسبة : القسب بفتح القاف وسكون السين : التمر اليابس يتفتت فى الفم صلب النواة (لسان العرب ٥/ ٣٦٢٢) (هذه الإضافة ليست بالأصل) .

الرجل بغير إذنه ؟! فقال : يا لكع أتل علىّ آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ (النور: ٦١) فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد ؟ قال: من استروحت إليه النفس، واطمأن إليه القلب. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثورى، فلم يجدوه ، ففتحوا الباب، وأنزلوا السفرة، وجعلوا يأكلون، فدخل الثورى وجعل يقول : ذكرتمونى أخلاق السلف، هكذا كانوا. وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم، فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه فى المنزل ، فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها، وإلى خبز قد خبزه، وغير ذلك ، فحمله كله، فقدمه إلى أصحابه، وقال: كلوا . فجاء رب المنزل ، فلم ير شيئا ، فقيل له : قد أخذه فلان. فقال: قد أحسن . فلما لقيه قال : يا أخى ، إن عادوا فعد . فهذه آداب الدخول .

آداب تقديم الطعام

الأدب الأول : وأما آداب التقديم ، فترك التكلف أولا ، وتقديم ما حضر . فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك ، فيشوش على نفسه ، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته، ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغى أن يقدم، دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل ، فقال: لولا أنى أخذته بدين لأطعمتك منه، و قال بعض السلف فى تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت ، بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم: ما أبالى بمن أتانى من إخوانى، فإنى لا أتكلف له، إنما أقرب ما عندى ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لى فيتكلف لى ، فقلت له : إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا، فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه ؟ فإما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء ، فقطع التلكف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله وتؤذى قلوبهم . وروى أن رجلا دعا عليا ﷺ ، فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط: لا تدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر ما فى البيت، ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل ما فى البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه، وقال بعضهم : « دخلنا على جابر بن

عبد الله، فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم»(١٣٣٨) .

وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر ، وإن استزرت فلا تبق ولا تذر . وقال سلمان : « أمرنا رسول الله ﷺ ألا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا » (١٣٣٩) .

وفى حديث يونس النبى ﷺ أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا ، وجز لهم بقلا كان يزرعه ، ثم قال لهم : كلوا، لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم. وعن أنس بن مالك ﷺ وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون: لا ندرى أيهما أعظم وزرا؛ الذى يحتقر ما يقدم إليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه .

(١٣٣٨) حديث : « دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم » **قال العراقى** : رواه أحمد دون قوله : لولا أنا نهينا ، وهى من حديث سلمان الفارسى ، وسيأتى بعده ، وكلاهما ضعيف ، وللبخارى عن عمر بن الخطاب : نهينا عن التكلف اهـ.

قال مرتضى : الحديث بتمامه فى مسند الإمام أبى حنيفة الحارثى قال : أخبرنا محمد بن سعيد : أخبرنا المنذر بن محمد : حدثنى أبى : حدثنا سليمان بن أبى كريمة : حدثنى أبو حنيفة ومسعر بن كدام ، عن جابر ﷺ ، أنه دخل عليه يوما وقرب إليه خبزا وخلا ثم قال: إن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف ، ولولا ذلك لتكلفت لكم، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نعم الإدام الخل » . وأخرج أبو محمد التميمى فى جزء له من طريق عبيد الله بن الوليد الرصافى، عن محارب بن دثار قال : جاء إلى جابر رجال من أصحاب النبى ﷺ ، فقرب إليهم خبزا وخلا فقال : كلوا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم الإدام الخل » . وزاد فى رواية : « وهلاك بالمرء أن يحتقر ما فى بيته يقدمه لأصحابه وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم لهم » .

(١٣٣٩) حديث: قال سلمان : « أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم ما حضرنا » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق ، ولأحمد : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا ، أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك. وللطبرانى: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا اهـ .

قال مرتضى : حديث سلمان عند الحاكم فى الأطعمة بلفظ نهى عن التكلف للضيف . قال الذهبى : سنده لين .

الأدب الثـانى : وهو للزائر ، ألا يقترح ، ولا يتحكم بشىء بعينه ، فربما يشق على المزور إحضاره ، فإن خيره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه، كذلك السنة ففى الخبر أنه **«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما»** (١٣٤٠) .

وروى الأعمش عن أبى وائل أنه قال : مضيت مع صاحب لى نزور سلمان ، فقدم إلينا خبز شعير وملحا جريشا، فقال صاحبى : لو كان هذا الملح سعتر كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا، فلما أكلنا قال صاحبى : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان : لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتى مرهونة . هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له، فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعى رضي الله عنه ذلك مع الزعفرانى ، إذ كان نازلا عنده ببغداد ، وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية ، فأخذ الشافعى الرقعة فى بعض الأيام، وألحق بها لونا آخر بخطه، فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون أنكر وقال : ما أمرت بهذا . فعرضت عليه الرقعة ملحقا فيها خط الشافعى، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه. وقال أبو بكر الكتانى : دخلت على السرى، فجاء بفتيت ، وأخذ يجعل نصفه فى القدح ، فقلت له : أى شىء تعمل وأنا أشربه كله فى مرة واحدة ؟ فضحك وقال : هذا أفضل لك من حجة . وقال بعضهم : الأكل على ثلاثة أنواع ؛ مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

الأدب الثالث : أن يشتهى المزور أخاه الزائر ، ويتلمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح ، فذلك حسن ، وفيه أجر وفضل جزيل. قال رسول الله ﷺ : « من صادف من أخيه شهوة غفر له ، ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى »(١٣٤١) .

(١٣٤٠) حديث : « ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عائشة ، وزاد : ما لم يكن إثما ، ولم يذكرها مسلم فى بعض طرقه اهـ.

(١٣٤١) حديث : « من صادف من أخيه شهوة غفر له، ومن سرأخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل » **قال العراقى :** رواه البزار والطبرانى من حديث أبى الدرداء : « من وافق من أخيه شهوة=

وقال ﷺ فيما رواه جابر : « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنات ، جنة الفردوس ، وجنة عدن، وجنة الخلد »(١٣٤٢).

الأدب الرابع : أن لا يقول له : هل أقدم لك طعامًا ؟ بل ينبغى أن يقدم إن كان . قال الثورى : إذا زارك أخوك فلا تقل له : أتأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم ، فإن أكل وإلا فارفع. وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعامًا فلا ينبغى أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم . قال الثورى : إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك ، وقال بعض الصوفية : إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعامًا ، وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة، فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب .

★ ★ ★

= غفر له». قال ابن الجوزى : حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر الصديق : « من سر مؤمنا فإنما سر الله .. » الحديث قال العقيلى : باطل لا أصل له.

وقال مرتضى : رواه الطبرانى فى الكبير من طريق نصر بن نجيح الباهلى، عن عمرو بن حفص النهدى، عن زياد النميرى ، عن أنس ، عن أبى الدرداء ، قال الذهبى فى الضعفاء: هذا إسناد مجهول . وقال الهيثمى : زياد النميرى وثقه ابن حبان وقال : يخطئ، وضعفه غيره، وفيه من لم أعرفه. هكذا قال ، فالذى يظهر من سياقهم أن هذا الحديث ضعيف شديد الضعف، وقول ابن الجوزى إنه موضوع فيه نظر .

(١٣٤٢) حديث : جابر : « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنات ، جنة الفردوس ، وجنة عدن، وجنة الخلد » . **قال العراقى :** ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من رواية محمد بن نعيم، عن أبى الزبير، عن جابر، وقال أحمد بن حنبل : هذا باطل كذب اهـ . ويروى عن أبى هريرة مرفوعا: « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » رواه البيهقى . وعن معاذ: « من أطعم مؤمنا حتى يشبعه من سغب أدخله الله بابا من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله » رواه الطبرانى . وعن أبى سعيد : « من أطعم مسلما جائعا اطعمه الله من ثمار الجنة». رواه أبو نعيم في الحلية وعن عبد الله بن جراد : « من أطعم كبدا جائعا أطعمه الله من أطيب طعام الجنة » . رواه الديلمى .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الرابع

فى آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولا ، ثم الإجابة ، ثم الحضور، ثم تقديم الطعام، ثم الأكل، ثم الانصراف ، ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى .

فضيلة الضيافة : قال ﷺ : **« لا تكلفوا للضيف فتبغضوه ؛ فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أبغضه الله »**(١٣٤٣) .

وقال ﷺ : **« لا خير فيمن لا يضيف »**(١٣٤٤) .

ومر رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة ، فلم يضيفه، ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له .

(١٣٤٣) حديث : قال ﷺ : « لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله، ومن أبغض الله فقد أبغضه الله » **قال العراقى :** رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان : « لا يتكلفن أحدا لضيفه مالا يقدر عليه » . وفيه محمد بن الفرج الأزرق تكلم فيه اهـ .

وقال مرتضى : ورواه البيهقى كذلك وعند ابن عساكر فى التاريخ : « لا تكلفوا للضيف». وعن أبى قرصافة مرفوعا : « يا عائشة لا تتكلفى للضيف فتمليه، ولكن أطعميه مماتأكلين ». رواه أبو عبد الله محمد بن باكوبه الشيرازى والرافعى من طريق عياض بن أبى قرصافة عن أبيه .

(١٣٤٤) حديث :قال ﷺ : « لا خير فيمن لا يضيف » **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى ، قال المنذرى : رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة .

فقال ﷺ : « انظروا إليهما! إنما هذه الأخلاق بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه خلقًا حسنًا فعل » (١٣٤٥) .

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : « إنه نزل به ﷺ ضيف فقال : قل لفلان اليهودى : نزل بى ضيف ، فأسلفنى شيئا من الدقيق إلى رجب » فقال اليهودى : والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال : « والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض ، ولو أسلفنى لأديته، فاذهب بدرعى وارهنه عنده » (١٣٤٦) .

وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغذى معه، وكان يكنى أبا الضيفان ، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده إلى يومنا هذا : فلا تنقضى ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة، وقال قوام الموضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف .

وسئل رسول الله ﷺ : ما الإيمان ؟ فقال : « إطعام الطعام، وبذل السلام » (١٣٤٧) .

(١٣٤٥) حديث : مر رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ، ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ : « انظروا إليها إنما هذه أخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل » **قال العراقى :** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية ابن المنهال مرسلا .

(١٣٤٦) حديث : أبى رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : «قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيئًا من الدقيق إلى رجب . . . » الحديث . **قال العراقى :** رواه إسحاق بن راهوية فى مسنده ، والخرائطي فى مكارم الأخلاق ، وابن مردويه فى التفسير بسند ضعيف اهـ .

قال مرتضى : وورواه الترمذى فى الشمائل، وقال الشراح : اسم هذا اليهودى أبو الشحم، من الأوس ، رهنها عنده فى ثلاثين صاعا من شعير، رواه الشيخان ، وروى الترمذى : بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله، وأنه لم يفكها حتى مات ﷺ .

(١٣٤٧) حديث : « سئل رسول الله ﷺ ما الإيمان ؟ فقال : إطعام الطعام وبذل السلام » **قال العراقى :** رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ : أى الإسلام خير؟ قال: « تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وقال ﷺ فى الكفارات والدرجات : « **إطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام**»(١٣٤٨) .

وسئل عن الحج المبرور فقال : « **إطعام الطعام، وطيب الكلام** » وقال أنس ﷺ : كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة فى فضل الضيافة والإطعام لا تحصى، فلنذكر آدابها .

أما الدعوة : فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق ، قال ﷺ : « **أكل طعامك الأبرار** » (١٣٤٩) .

فى دعائه لبعض من دعا له، وقال ﷺ : « **لا تأكل إلا طعام تقى، ولا يأكل طعامك إلا تقى** » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال ﷺ : « **شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء** » (١٣٥٠) .

(١٣٤٨) حديث : قال ﷺ فى الكفارات والدرجات : « إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» **قال العراقى :** رواه الترمذى وصححه، والحاكم من حديث معاذ ﷺ ، وقد تقدم بعضه فى الباب الرابع من الأذكار، وهو حديث : « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات» .

(١٣٤٩) حديث :قال ﷺ : « أكل طعامكم الأبرار » فى دعائه لبعض من دعا **قال العراقى :** رواه أبو داود من حديث أنس بإسناد صحيح: قال أنس : جاء النبى ﷺ إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت ، ثم أكل ، ثم قال النبى ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة » . رواه أبو داود والنسائى واللفظ لأبى داود ، وقد تقدم قريبا .

(١٣٥٠) حديث :قال ﷺ : « شر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وقال مرتضى : وعند مسلم « يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها » رواه البخارى مرفوعا بلفظ : « ويترك الفقراء » وهو عند الطبرانى والديلمى من حديث ابن عباس بلفظ : «يدعى إليه الشبعان ويحبس عنه الجائع » . والمراد بالوليمة وليمة العرس ، لأنها المعهودة عندهم، سماه شرا على الغالب فإنهم يخصون بها الأغنياء .

وينبغى ألا يهمل أقاربه فى ضيافته ؛ فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم. وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه، فإن فى تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين، وينبغى ألا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر ، بل استمالة قلوب الإخوان، والتسنن بسنة رسول الله ﷺ فى إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغى ألا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغى ألا يدعو إلا من يحب إجابته، قال سفيان: من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة ، فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان ؛ لأنه حمله على الأكل مع كراهة ، ولو علم ذلك لما كان يأكله. وإطعام التقى إعانة على الطاعة ، وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك : أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال : لا ؛ إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم .

وأما الإجابة فهى سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع قال ﷺ : « لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أُهدى إلىّ ذراع لقبلت » (١٣٥١) .

آداب إجابة الدعوة إلى الطعام

وللإجابة خمسة آداب :

الأول : ألا يميز الغنى بالإجابة عن الفقير، فذلك هو التكبر المنهى عنه، ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المرقة ذل. وقال آخر: إذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى .

ومن المتكبرين ممن يجيب الأغنياء دون الفقراء، وهو خلاف السنة، « **كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين** » (١٣٥٢) .

(١٣٥١) حديث : قال ﷺ : « لو دعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(١٣٥٢) حديث : « كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين » هكذا هو فى القوت **قال**=

ومر الحسن بن على رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل وهم يأكلون ، وهو على بغلته ، فسلم عليهم فقالوا له : هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال : نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض ، وأكل ، ثم سلم عليهم وركب وقال : قد أجبتكم فأجيبونى . قالوا : نعم. فوعدهم وقتا معلوما ، فحضروا ، فقدم إليهم ، فاخر الطعام وجلس يأكل معهم، وأما قول القائل إن من وضعت يدى فى قصعته فقد ذلت له رقبتى، فقد قال بعضهم : هذا خلاف السنة ، وليس كذلك ، فإنه ذل إذا كان الداعى لا يفرح بالإجابة، ولا يتقلد بها منه ، وكان يرى ذلك يدًا له على المدعو ، ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أن الداعى له يتقلد منه ، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة ، فهذا يختلف باختلاف الحال، فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام « وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته » (١٣٥٣) .

بل الأولى التعلل ، ولذلك قال بعض الصوفية : لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك ، وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه . وقال سرى السقطى رحمه الله : آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة، ولا لمخلوق فيها منة .

= **العراقى:** رواه ابن ماجه والترمذى من حديث أنس دون ذكر المسكين وضعفه الترمذى وصححه الحاكم اهـ .

قال مرتضى : ورواه ابن سعد فى الطبقات وعند الحاكم كان يواف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك .

(١٣٥٣) حديث : « ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا » **قال العراقى :** رواه أبو داود من حديث ابن عباس ، أن النبى ﷺ نهى عن طعام المتبارين . قال أبو داود : أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس ، وروى العقيلى في الضعفاء : نهى النبى ﷺ عن طعام المتباهين ، والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء ، قاله أبو موسى المدينى .

وقال مرتضى : رواه الحاكم أيضا بزيادة : أن يؤكل وقال : صحيح وأقره الذهبى فى التلخيص ، لكن فى الميزان : صوابه مرسل .

فإذا علم المدعو أنه لا منة فى ذلك فلا ينبغى أن يرد، وقال أبو تراب النخشبى رحمة الله عليه : عرض علىّ طعام فامتنعت ، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما، فعلمت أنه عقوبته . وقيل لمعروف الكرخى رضي الله عنه : كل من دعاك تمر إليه ؟ فقال : أنا ضيف ، أنزل حيث أنزلونى.

الثانى : أنه لا ينبغى أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة ، كما لا يمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لا ينبغى أن يمتنع لأجل ذلك؛ يقال فى التوراة أو بعض الكتب : سر ميلا عد مريضا، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة ، سر أربعة أميال زر أخا فى الله. وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى، فهو أولى من الميت ، وقال ﷺ : « **لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت** »(١٣٥٤) .

وهو موضع على أميال من المدينة، «**أفطر فيه رسول الله ﷺ فى رمضان لما بلغه**»(١٣٥٥) .

وقصر عنده فى سفره (١٣٥٦) .

(١٣٥٤) حديث : « لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت » **قال العراقى** : ذكر الغميم فيه لا يعرف والمعروف : « لو دعيت إلى كراع » . كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذى من حديث أنس : « لو أهدى إلى كراع لقبلت » اهـ .

(١٣٥٥) حديث : « أفطر رسول الله ﷺ فى رمضان لما بلغ كراع الغميم» **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث جابر فى عام الفتح .

(١٣٥٦) حديث : « قصره عنده فى سفر عند كراع الغميم » كذا فى القوت **قال العراقى** : لم أقف له على أصل، وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر : كان يقصر الصلاة بالعقيق؛ يريد : إذا بلغه . وهذا يرد الأول؛ لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال ، وقيل أكثر ، وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم اهـ .

وقال مرتضى : وعبارة القاموس : وكراع الغميم موضع على ثلاثة أميال من عسفان . وزاد فى العباب للصغانى : والغميم واد أضيف إليه الكراع ، ووقع فى التكملة للصغانى : المذكور على ثمانية أميال. وذكر شيخنا المرحوم أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسى، سقى الله جدثه صوب الغفران ، فى حاشيته على القاموس : صوابه على ثلاثة أميال من مكة انتهى والغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة قاله نصر ، وقد تبع المصنف صاحب القوت فى هذا السياق على عادته فى هذا الكتاب ، وبنى على هذه الزيادة الأصل الثانى من آداب الإجابة، وهو الإجابة إلى الموضع البعيد ، وهذه لو ثبت لفظ الغميم وقد عرفت ما فيه فليتأمل .

الثـالـث : ألا يمتنع لكونه صائما ، بل يحضر ، فإن كان يسر أخاه إفطاره فليفطر ، وليحتسب فى إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب فى الصوم وأفضل ، وذلك فى صوم التطوع ، وإن لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر ، وإن تحقق أنه متكلف فليتعلل ، وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: « **تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم** »(١٣٥٧) .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار، فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق، فثوابه فوق ثواب الصوم، ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب، وقد قيل: الكحل والدهن أحد القراءين .

الرابع : أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة ، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال، أو كان يقام فى الموضع منكر، ومن فرش ديباج ، أو إناء فضة، أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو سماع شىء من المزامير والملاهى، أو التشاغل بنوع من اللهو، والعزف ، والهزل، واللعب ، واستماع الغيبة والنميمة، والزور ، والبهتان ، والكذب، وشبه ذلك ، فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها، ويوجب تحريمها أو كراهيتها. وكذلك إذا كان الداعى ظالما، أو مبتدعا، أو فاسقا ، أو شريرا، أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر .

الخامس : ألا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن، فيكون عاملا فى أبواب الدنيا، بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملا للآخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ فى قوله : «**لو دعيت إلى كراع لأجبت** » وينوى الحذر من معصية الله تعالى لقوله ﷺ : «**من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله** »(١٣٥٨) .

(١٣٥٧) حديث : قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم : « تكلف لك أخوك وتقول إنى صائم » **قال العراقى :** رواه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى : صنعت لرسول الله ﷺ طعاما، فأتانى هو وأصحابه ، فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : إنى صائم . فقال رسول الله ﷺ : « دعاكم أخوكم وتكلف لكم . . . » الحديث ، وللدارقطنى نحوه من حديث جابر ، ولا يصحان اهـ.

(١٣٥٨) حديث : قال ﷺ : « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة .

=

وينوى إكـرام أخيه المؤمـن ، اتباعا لـقوله ﷺ : « من أكـرم أخـاه المؤمـن فكأنما أكـرم الله»(١٣٥٩) .

وينوى إدخـال السرور عـلى قلبه ، امـتـثالا لقـوله ﷺ : « من سـر مـؤمنـا فـقـد سـر الله»(١٣٦٠) .

= قـال مـرتضى : لفظ مـسلم من حديث أبى هريرة فى أثناء حـديث : « ومن لم يجب الدعوة فـقد عـصى الله ورسوله » رواه البـخارى مـوقوفا وقـد تقدم ذكـره قريبـا عند ذكر الوليمة.

(١٣٥٩) حديث : قال ﷺ : « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكـرم الله » . وفى نسخة « فإنما يكرم الله تعـالى » . **قال العـراقى :** رواه الأصبهانى فى الترغـيب والترهيب من حديث جابر ، والعقيلى فى الضعفاء من حديث أبى بكر ، وإسنادهما ضعيف اهـ.

وقال مـرتضى : ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جـابر بلفظ : « من أكرم امرأ مسلما فإنما يكرم الله تعالي » . وروى ابن النجار في تاريخه من حديث ابن عمر بلفظ «من أكرم أخاه فـإنما يكرم الله تعالى » ولا سيما إذا كـان الداعى مع كونه أخاه في الإيمان يكون ذا سن فى الإسلام ، فعن أنس مـرفوعا « من أكرم ذا سن فى الإسلام كأنه قـد أكرم نوحا فى قـومه، ومن أكـرم نوحا فى قـومه فـقد أكـرم الله تعالى » . رواه أبو نعـيم والديلمى والخطيب وابن عسـاكر ، وفيه يعـقوب بن تحية الواسطى : لا شيء . وبكر بن أحـمد بن محمد الواسطى مجهول . وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وتعقب .

(١٣٦٠) حديث: قال ﷺ : «من سر مؤمنا فقد سر الله» **قال العراقى:** تقدم فى الباب الذى قبله.

وقـال مـــرتضى : وعن أبى هريرة : « أفـضل الأعمـال أن تدخل على أخـيك المومن سرورا، أو تقـضى عنه دينا، أو تطعـمه خـبزا » . رواه ابن أبى الدنيـا فى قضـاء الحوائج والبـيـهقى فى الـسنن ورواه ابن عدى من حـديث ابن عـمـر، وروى الطبـرانى فى مكارم الأخلاق من حـديث أبى هريرة: « أفضل الأعـمال بعد الإيمان بالـله التودد إلى الناس » . وعن ابن عباس مرفوعا : « من أدخل على مومن سرورا فقد سرني ، ومن سرنى فقد اتخذ عند الله عهدا ، ومن اتخذ عند الله عهدا فلن تمسه النار أبدا » . رواه الدارقطنى فى الأفراد وأبو الشيخ فى الثواب ، قال الدارقطنى: تفرد بـه زيد بن سعيد الواسطى . قال الذهبى فى معجـمه : هذا خبر منكر ورواته ثقـات أعلام، فالآفة زيد هذا ، ولم أر أحـدا ذكره بجرح ولا تعديـل ، وعنه أيضا : « من أدخل على أخـيه المسلم فـرحا أو سرورا فى دار الـدنيا، خلق الله عز وجل من ذلك خلقـا تدفع به عنه الآفات فى دار الدنيا، وإذا كان يوم القـيامة كان قريبا منه، فإذا مربه هول يفزعه قـال له : لا تخف . فيقول له : فمن أنت ؟ فيقول : أنا الفرح أو السرور الذى أدخلته على أخيك فى دار الدنيا » . رواه الخطيب وابن النجار .

وينوى مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين فى الله، إذ شرط رسول الله ﷺ فيه التزاور والتباذل لله (١٣٦١) .

وقد حصل البذل من أحد الجانبين، فتحصل الزيارة من جانبه أيضا. وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ، ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجرى مجراه ، فهذه ست نيات، تلحق إجابته بالقربات آحادها ، فكيف مجموعها؟ وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية حتى فى الطعام والشراب ، وفى مثل هذا قال ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » (١٣٦٢) .

(١٣٦١) حديث : قال ﷺ : « وجبت محبتى للمتزاورين فىّ ، وللمتباذلين فىّ» **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه .

وقال مرتضى : يشير بذلك إلى حديث أبى هريرة : « وجبت محبتى للمتزاورين في ، والمتباذلين فى» . رواه مسلم وعند أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث معاذ : «قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتباذلين فى ، والمتزاورين فى» وعندهم أيضا ما عدا البيهقى من حديث عبادة بن الصامت : « قال الله تعالى : حقت محبتى للمتحابين فى ، وحقت محبتى للمتواصلين فى ، وحقت محبتى للمتباذلين فى . . . الحديث» .

(١٣٦٢) حديث : قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وقال مرتضى : أخبرناه القطب نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الشافعى الأزهرى، والشيخ الفقيه أبو المعالى الحسن بن على أحمد المنطاوى رحمهما الله تعالى، لقراءته على كل واحد منهما وهما يسمعان فى مجلسين مفترقين .

قال الأول : أخبرنا عبد العزيز بن إبراهيم الزيادى قراءة عليه وهو يسمع.

وقال الثانى : أخبرنا عبد الجواد بن القاسم الميدانى قرأت عليه قالا : أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء البابلى : أخبرنا على بن يحيي الزيادى : أخبرنا المسند يوسف بن عبد الله الأرميونى : أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد=

= الرحمن السخاوى : أخبرنا الحافظ شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى : أخبرنا الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى : قال : أخبرنا المسند أبو الفتح محمد ابن محمد بن إبراهيم الميدومى : أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم : أخبرنا عبد الوهاب ابن على وعبد الرحمن بن أحمد الحموى والمبارك بن المعطرش قالوا : أخبرنا هبة الله بن محمد : أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم البزار أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعى قال : حدثنا عبد الله بن روح المدائني ومحمد بن رمح البزار قالا : حدثنا يزيد بن هارون : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن محمد بن إبراهيم التيمى ، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . . . الحديث»، هذا حديث فرد صحيح أخرجه الأئمة الستة ، فأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ، كلاهما عن يزيد بن هارون فوقع بدلا لهما عاليا، واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفى، وأخرجه البخارى وأبو داود من رواية الثورى ، ومسلم من طريق الليث وابن المبارك وأبى خالد الأحمر وحفص بن غياث ، والترمذى من رواية عبد الوهاب الثقفى، والنسائى من طريق مالك وحماد بن زيد وابن المبارك وأبى خالد الأحمر، وابن ماجه أيضا من رواية الليث ، عشرتهم عن يحيى بن سعيد الأنصارى. أورده البخارى فى سبع مواضع من كتابه الصحيح : فى بدء الوحى ، والإيمان ، والنكاح ، والهجرة ، وترك الحيل، والعتق ، والنذور، ومسلم فى الجهاد ، وأبو داود فى الطلاق . والترمذى فى الجهاد . والنسائى فى الإيمان. وابن ماجه فى الزهد. وهذا الحديث من أفراد الصحيح ، لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من حديث عمر، ولا عن عمر إلا من رواية علقمة ، ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم التيمى ، ولا عن التيمى إلا من رواية يحيى بن يحيى بن سعيد الأنصارى، قال أبو بكر البزار فى مسنده : لا نعلم روى هذا الكلام إلا عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الإسناد. وقال الخطابى: لا أعلم خلافا بين أهل الحديث فى أنه لم يصح مسندا عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من رواية عمر. وقال الترمذى بعد تخريجه : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سعيد اهـ وقد روى هذا الحديث أيضا من غير طريق عمر بن الخطاب ، فرواه أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب ﷺ ، فحديث أبى سعيد رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن مالك عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن أبى يسار عنه. قال : وتفرد به ابن أبى رواد وحديث أبى هريرة رواه الرشيدى العطار فى بعض تخاريجه، وهو وهم أيضا . وحديث أنس رواه ابن عساكر من رواية يحيى بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أنس بن مالك وقال : هذا حديث غريب جدا والمحفوظ حديث عمر. وحديث على رواه محمد بن ياسر الجيانى بإسناد ضعيف . وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم ، أن موس بن عقبة رواه=

والنية إنما تؤثر فى المباحات والطاعات ، أما المنهيات فلا ، فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية، ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات، بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة ، وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية، فتؤثر النية فى هذين القسمين لا فى القسم الثالث .

آداب الحضور لمنزل الداعى والجلوس فيه

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة ؛ بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبته فإنه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد، فمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع ؛ قال ﷺ : « **إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس** » (١٣٦٣) .

= عن نافع وعلقمة ، وأما من تابع يحيى بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم فى تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه بن سعيد ، عن محمد بن إبراهيم التيمى وقال : هو غلط. وذكر الدارقطنى أنه رواه حجاج بن أرطأة عن محمد بن إبراهيم وأنه رواه سهل بن حقير عن الدراوردى وابن عيينة ، وأنس بن عياض عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن محمد بن إبراهيم ، ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة ، وإنما رووه عن يحيى بن سعيد . وقال الحافظ أبو موسى المدينى : أنه رواه عن يحيى بن سعيد سبعمائة رجل . وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام، حتى قيل فيه : إنه ثلث العلم ، وقيل : ربعه ، وقيل : خمسه والكلام علي فوائده وما يستنبط منه من الأحكام طويل الذيل، قد أفرد بتأليف لا نطيل به هنا ، فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظر منتهى الآمال للحافظ السيوطى ، فإنه قد جمع وأوعى .

(١٣٦٣) حديث :قال ﷺ : « إن من التواضع لله الرضا بالدون فى المجلس» **قال العراقى :** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق، وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين ، من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى السنن بلفظ : « بالدون من شرف المجالس » . وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله ، قال الهيثمي : لم أعرفه ولا والده وبقية رجاله ثقات اهـ. وقال المناوى فيه أيضا سليمان بن أيوب الطلحى قال في اللسان : صاحب مناكير وقد وثق . وقال ابن عدى : عامة أحاديثه لا يتابع عليها ثم أورد له أخبارا هذا منها .

ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة الذى للنساء وسترهم، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام، فإنه دليل على الشره ، ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس، وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء، كذلك فعل مالك بالشافعى ﷺ ، وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال : الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى ؛ لأنه يدعو الناس إلى كرمه، وحكمه أن يتقدم بالغسل ، وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه، وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر، وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والمنكر : فرش الديباج ، واستعمال أوانى الفضة والذهب، والتصوير على الحيطان ، وسماع الملاهى والمزامير، وحضور النسوة المتكشفات الوجوه، وغير ذلك من المحرمات ، حتى قال أحمد رحمه الله : إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغى أن يخرج ولم يأذن فى الجلوس إلا فى ضبة . وقال : إذا رأى كلة فينبغى أن يخرج ؛ فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه، ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا . وكذلك قال : يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة . وقال : إذا اكترى بيتا فيه صورة ، أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغى أن يحكها ، فإن لم يقدر خرج ، وكل ما ذكره صحيح ، وإنما النظر فى الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهى إلى التحريم ؛ إذ الحرير يحرم على الرجال، قال رسول الله ﷺ : « **هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثها**»(١٣٦٤) .

(١٣٦٤) حديث : قال رسول الله ﷺ : « هذان حرام على ذكور أمتى » : **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على ، وفيه أبو أفلح الهمذانى ، جهله ابن القطان، والنسائى والترمذى وصححه من حديث أبى موسى نحوه، **قال العراقى** : الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبى هند وأبى موسى ، فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم اهـ.

وقال مرتضى : وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده صورتان، إحداهما من ذهب والأخرى من حرير ، فقال : « هذان حرام على الذكور من أمتى حلال للإناث » .

وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور، ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة ، بل الأولى إباحته، لموجب قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ (الأعراف : ٣٢) . لا سيما فى وقت الزينة، إذا لم يتخذ عادة للتفاخر، وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه، ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء، والحيطان فى معنى النساء، إذ لسن موصوفات بالذكورة .

آداب إحضار الطعام

الأول : تعجيل الطعام، فذلك من إكرام الضيف ، وقد قال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » (١٣٦٥) .

ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير ، إلا أن يكون المتأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس فى التأخير ، وأحد المعنيين فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (الذاريات : ٢٤) .

(١٣٦٥) حديث : قال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى شريح .اهـ. فى الإحياء طبعة الشعب (١/ ٦٧٢) وطبعة الحلبى (٢/ ١٦) : (أبى سريح) ، وكلاهما خطأ، والتصويب كما ورد فى صحيح البخارى (٨/ ٣٩) كتاب الأدب، باب (٨٥) : إكرام الضيف (هذه الإضافة ليست بالأصل) .

وقال مرتضى : هو قطعة من الحديث أوله : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » . وآخره : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . وهكذا رواه أيضا أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث أبى شريح وأبى هريرة ، وروى هذه الجملة فقط مع زيادة أخرى أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى، وتلك الزيادة يأتى ذكرها فى آخر هذا الباب ، وعند الطبرانى فى أثناء حديث ابن عمر بلفظ « ومن كان يؤمن بالله ورسوله » . وروى أحمد فى أثناء حديث رجال من الصحابة بلفظ : « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليكرم ضيفه » .

إنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم، دل عليه قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (هود : ٦٩) .

وقوله : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (الذاريات : ٢٦)

والروغان الذهاب بسرعة، وقيل في خفية . وقيل : جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلا لأنه عجله ولم يلبث. قال حاتم الأصم: « العجلة من الشيطان إلا في خمسة ، فإنها من سنة رسول الله ﷺ : إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب » (١٣٦٦) .

(١٣٦٦) حديث: حاتم الأصم « العجلة من الشيطان إلا في خمسة ، فإنها من سنة رسول الله ﷺ : إطعام الطعام ، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب » .

قال مرتضى : رواه أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال : سمعت نصر بن أبي نصر يقول : سمعت أحمد بن سليمان الكفرساني يقول : وجدت في كتابي عن حاتم الأصم قال : كان يقال : العجلة من الشيطان إلا في خمس : إطعام الطعام إذا حضر الضيف ، وتجهيز الميت إذا مات ، وتزويج البكر إذا أدركت ، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب . اهـ. **قال العراقي** : رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد : « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » . وسنده ضعيف . وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص : « التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة » . قال الأعمش : لا أعلم إلا أنه رفعه.

هذا وهم من الحافظ العراقي رحمه الله . فالحديث بدون كلمة (خير) ، وهو في سنن أبي داود (٤/ ٣٥٣) كتاب الأدب، باب (١١) : في المرفق . وفي بذل المجهود في حل أبي داود ١٩/ ٦٥، ٦٦ (هذه الإضافة ليست بالأصل).

وروى المزي في التهذيب ، في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع، عن مشيخة من قومه، أن النبي ﷺ قال : «الأناة في كل شيء إلا في ثلاث : إذا صيح في خيل الله ، وإذا نودي للصلاة ، وإذا كانت الجنازة . . . الحديث » . وهذا مرسل . وللترمذي من حديث علي : « ثلاثة لا تؤخرها : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفؤا » وسنده حسن . اهـ .

قال مرتضى : حديث سهل به سعد رواه أيضا العسكري وغيره من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه، عن جده ، وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن ، وضعفه من قبل حفظه، فهذا معنى قول العراقي : وسنده ضعيف . وأما حديث سعد بن أبي وقاص فرواه أبو داود في الأدب، والحاكم في الإيمان ، والبيهقي في السنن، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما. وقال المنذري : لم يذكر الأعمش فيه من حدثه ولم يجزم=

ويستحب التعجيل فى الوليمة ، قيل : الوليمة فى أول يوم سنة ، وفى الثانى معروف ، وفى الثالث رياء .

الثـــانى : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكـهة أولا إن كانت ، فذلك أوفق فى الطب، فإنها أسرع استحالة ، فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة، وفـى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (الواقعة : ٢٠) .

ثم قال : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة : ٢١) .

= برفعه ، ومن شـواهد الباب حديث أنس : « التأنى من الله والعـجلة من الشيطان » . رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، ومن طريقه أبو يعلى وابن منيع والحرث بن أبى أسامة فى مسانيدهم من رواية سنان بن سعـد ورواه البيهقى فـسماه سعـد بن سنان، وسعد ضعـيف ، وقيل لم يسمع من أنس ، وحديث ابن عـباس مرفوعا : « إذا تأنيت أصـبت أو كدت تصيب، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ » . رواه البيهقى من طريق محمد بن سواد ، عن سعيد ابن سماك بن حرب، عن أبيه، عن عكرمة ، عنه. وسعيد قال فيه ابن أبى حاتم. متروك. وحديث عقبة بن عامر مرفوعا: « من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد». رواه الطبـرانى والعسكرى والقـضاعى من طريق ابن لهـيعـة عن مشرح بن هاعـان عنه، وروى العسكرى من حديث سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلا : « التأنى من الله والعجلة من الشيطان فتـبينوا » . وأما حديث علي عند الترمـذى فلفظه « ثلاث لا تؤخرهن: الصلاة إذا أتت » . هكذا بفوقيتين بخط العراقى ، وقال التوربشتى : هو تصحيف ، والمحفوظ: آنت بالمد والنون على زنة حـانت . « والجنازة إذا حضـرت ، والأيم إذا وجدت كفـؤا» . هكذا أخرجـه في الصلاة . رواه الحاكم في النـكاح وصححـه . وقال الترمـذى : غريب وليس سنده بمتصل ، وهو من رواية وهب، عن سعـد بن عبد الله الجهنى ، عن محـمد بن عمر ابن على ، عن أبيه عن على . قـال الذهبى : وسعيد مـجهول ، وقد ذكـره ابن حبان فى الضعفاء . اهـ. وجزم الحافظ ابن حجر في تخريج الهداية بضعف سنده ، وقال فى تخريج الرافعى : رواه الحاكم من هذا الوجه، فـجعل محله سعيد بن عبـد الرحمن الجمحى، وهو من أغاليطه الفاحشـة . اهـ. ولما رواه البيهقى فى سننه عن سعيـد عن عبد الله هذا قال : وفى الباب أحاديـث كلها واهية أمثلها هـذا ، وبه عرف ما فى جزم الحافظ العـراقى بحسنه والله أعلم. وفى هذا الحديث قـصة ، وهى ما أخـرجه ابن دريد والعسكرى ، أن مـعاوية رضي الله عنه قال يوما وعنده الأحنف بن قيس ما يعدل الأناة شىء. فقال الأحنف : إلا فى ثلاث، تبادر بالعمل الصالح أجلك ، وتعجل إخراج ميتك ، وتنكح كفؤا يملك . فقال رجل : إنا لا نفتـقر فى ذلك إلى الأحنف . قال : فلم ؟ قـال : لأنه عندنا عن رسول الله ﷺ ، حدثنا على فذكره .

ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد ، فقد قال عليه السلام : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » (١٣٦٧) .

فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات ، ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى فى ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ؛ أى المحنوذ ، وهو الذى أجيد نضجه، وهو أحد معنى الإكرام ؛ أعنى تقديم اللحم، وقال تعالى فى وصف الطيبات : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ (البقرة : ٥٧) . المن: العسل ، والسلوى: اللحم . سمى سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الإدام، ولا يقوم غيره مقامه، ولذلك قال ﷺ : « سيد الإدام اللحم » ثم قال بعد ذكر المن والسلوى : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة : ١٧٢) فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الدارانى رضي الله عنه : أكل الطيبات يورث الرضا عن الله، وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل؛ قال المأمون : شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الأدباء : إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم فى ضيافة ، فقال بعض الحكماء : لم نكن نحتاج إلى هذا ؛ إذا كان خبزك جيداً ، وماؤك بارداً ، وخلك حامضًا ، فهو كفاية ، وقال بعضهم : الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين، ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل، فذلك أيضا مستحب ، ولما فيه من التزين بالخضرة، وفى الخبر : إن المائدة التى أنزلت على بنى إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث ، وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح، وسبعة أرغفة ، على كل رغيف زيتون وحب رمان، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة .

(١٣٦٧) حديث : قال ﷺ : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . هذا حديث لم يخرجه الحافظ العراقى . والحديث رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك .وهو مذكور فى سنن ابن ماجه (١/ ١٠٩٢) برقم ٣٢٨١ بهذا اللفظ. ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالصحة . وذكر الحافظ ابن حجر الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٣) أن الحديث رواه الطبرانى عن عبد الرحمن بن عوف ورجاله رجال الصحيح إلا أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط عن مصعب بن سعد عن سعد ورجاله رجال الصحيح ، وعن قرة بن إياس وإسناده حسن (هذا التخريج غير موجود بالأصل) .

الثالث : أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفى منها من يريد ، ولا يكثر الأكل بعده، وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده، وهو خلاف السنة ، فإنه حيلة فى استكثار الأكل، وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة، ويصففون القصاع من الطعام على المائدة؛ ليأكل كل واحد مما يشتهى، وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره، ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه. ويحكى عن بعض أصحاب المروءات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان ، وقال بعض الشيوخ : قدم إلى بعض المشايخ لونا بالشام، فقلت : عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرا. فقال وكذا عندنا بالشام. ولم يكن له لون غيره، فخجلت منه. وقال آخر: كنا جماعة فى ضيافة ، فقدم إلينا ألوان من الرءوس المشوية طبيخا وقديدا ، فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لونا أو حملا ، فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا إلى بعض ، فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا : إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان. قال : وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا إلى السحور . فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده .

الرابع : ألا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدى عنها، فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه ، أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل، فيتنغص عليه بالمبادرة ، وهى من التمكن على المائدة التى يقال: إنها خير من لونين . فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ، ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان. حكى عن الستورى - وكان صوفيا مزاحا - فحضر عنده واحد من أبناء الدنيا على مائدة ، فقدم إليهم حمل ، وكان فى صاحب المائدة بخل ، فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال : يا غلام، ارفع إلى الصبيان، فرفع الحمل إلى داخل الدار، فقام الستورى يعدو خلف الحمل، فقيل له : إلى أين ؟ فقال : آكل مع الصبيان . فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل .

ومن هذا الفن ألا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم، فإنهم يستحيون ؛ بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا، كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون ، فإذا قاربوا

الفراغ جثا على ركبتيه ، ومد يده إلى الطعام وأكل وقال : بسم الله، ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم. وكان السلف يستحسنون ذلك منه .

الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية ، فإن التقليل عن الكفاية نقص فى المروءة ، والزيادة عليه تصنع ومراءاة ، لا سيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل ، إلا أن يقدم الكثير، وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ، ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم ، إذ فى الحديث: « لا يحاسب عليه » . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته ، فقال سفيان : يا أبا إسحاق، أما تخاف أن يكون هذا سرفا ؟ فقال إبراهيم: ليس فى الطعام سرف .

فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف؛ قال ابن مسعود ﷺ : نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه. وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة ، ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدى رسول الله ﷺ فضلة طعام قط؛ لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ، ولا يأكلون تمام الشبع .

وينبغى ان يعزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شىء منه، فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم، وتنطلق فى الضيفان ألسنتهم، ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم، وذلك خيانة فى حقهم .

وما بقى من الأطعمة فليس للضيفان أخذه، وهو الذى تسميه الصوفية : الزلة ، إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض، أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به، فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغى أن يؤخذ، وإذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء، فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثّين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٠

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

آداب الانصراف

الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار، وهو سنة ، وذلك من إكرام الضيف، وقد أمر بإكرامه ، قال عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» وقال عليه السلام : « **إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار** » قال أبو قتادة : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ ، فقام يخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « **كلا ؛ إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم** » .

وتمام الإكرام طلاقة الوجه، وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة، قيل للأوزاعي رحمه الله: ما كرامة الضيف ؟ قال: طلاقة الوجه، وطيب الحديث. وقال يزيد بن أبي زيادة: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا، وأطعمنا طعاما حسنا.

الثاني : أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير؛ فذلك من حسن الخلق والتواضع ، قال ﷺ : « **إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(١٣٦٨) .

ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول، فلما سمع حضر، وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا ، فخرج إليه صاحب المنزل ، وقال : قد خرج القوم . فقال : هل بقي بقية؟ قال : لا . قال : فكسرة إن بقيت قال : لم تبق ، قال : فالقدر أمسحها . قال : قد غسلتها. فانصرف بحمد الله تعالى، فقيل له في ذلك ، فقال : قد أحسن الرجل ، دعانا بنية، وردنا بنية . فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه

(١٣٦٨) حديث : قال ﷺ : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

قال مرتضى : نقله صاحب القوت وقال عن بعضهم : هذا الرجل يسأل إخوانه أن يفطر معهم نهارا، ويسهر معهم ليلا ، ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقا معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم . اهـ. والحديث رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف بلفظ : « درجة القائم بالليل ، الظامئ بالهواجر». ورواه أيضا الحاكم من حديث أبي هريرة وقال : صحيح على شرطهما ، وأقره الذهبي في التلخيص.

صبى إلى دعـوة أبيه أربع مـرات فرده الأب فى المرات الأربع، وهو يرجع فى كل مـرة تطييـبا لقلب الصبى بالحـضور ولقلب الأب بالانصراف. فـهذه نفوس قد ذللت بالتـواضع لله تعالى، واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد فى كل رد وقبول عـبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجرى من العـباد من الإذلال، كما لا تسـتبشر بما يجـرى منهم من الإكرام، بل يرون الكل من الواحد القهار، ولذلك قال بعضهم : أنا لا أجيب الدعوة إلا لأنى أتذكر بها طعام الجنة أى هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه .

الثالث : ألا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه، ويراعى قلبه فى قدر الإقامة، وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام، فربما يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه، قال ﷺ : « **الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فصدقة** » (١٣٦٩) .

(١٣٦٩) حديث : قال ﷺ : « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى شريح الخزاعى .

وقال مرتضى : الحديث رواه البخارى عن أبى شريح الكعبى وأحمد وأبو داود عن أبى هريرة بلفظ : « فما كان وراء ذلك فهو صدقة » . ولا يقال قضية جعله ما زاد على الثلاث صدقة أن ما قبلها واجب ، لأنا نقول إنما سماه صدقـة للتنفير عنه، إذ كثير من الناس سيما الأغنياء يأنـفون من أكل الصدقـة . ورواه بلفظ المصنف أحمـد وأبو يعلى عن أبى سعـيد، والبزار عن ابن عـمر، والطبـرانى فى الأوسط عن ابن عباس وفـيه رشـدين بن كريب وهو ضعيف . **وقول العراقى :** إنه متفق عليه من حديث أبى شريح ، كأنه يريد معناه لا لفظه. ورواه البزار أيضا من حديث ابن مسعـود بزيادة : « وكل معروف صدقة » . ورجال إسناده ثقات . وروى البـارودى وابن قانع والطبرانـى فى الكبير والضـياء فى المختـارة من حديث الثلب بن ربيعـة رضي الله عنه بلفظ : « الضيـافة ثلاث ليال حق لازم ، فـما في سوى ذلك فـهو صدقة » . قـال المنذرى : إسناده فيه نظر . وقال الهيـثمى : فيه من لم أعرفـه. وقد أخذ بظاهره أحمد فأوجبها، وحـمله الجمهور على أنه كان ذلك فى صدر الإسلام ثم نسخ، وأن الكلام فى أهل الذمة المشروط عليهم ضيافـة المار، أو فى المضطرين ، أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقـبض الزكاة من جهة الإمام ، ورواه أبو بكر بن أبى الدنيـا فى قرى الضيف عن أبى هريرة بلفـظ المصنف بزيادة : « وعلى الضـيف أن يـتحـول بـعـد ثلاثة أيام » . وعند الطبرانى فى الكبير من حديث طارق بن أشيم بلفظ : « فما كان فوق ذلك فهو معروف » .

نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله المقام إذ ذاك، ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل، قال رسول الله ﷺ : « فراش للرجل، وفراش للمرأة ، وفراش للضيف ، والرابع للشيطان » (١٣٧٠) .

فصل يجمع آدابا ومناهى طبية وشرعية متفرقة

الأول : حكى عن إبراهيم النخعى أنه قال: الأكل فى السوق دناءة (١٣٧١) .

(١٣٧٠) حديث : قال ﷺ : « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان » .

قال العراقى: رواه مسلم من حديث جابر .

وقال مرتضى : أخرجه أحمد ومسلم فى اللباس ، وأبو داود والنسائى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(١٣٧١) حديث : « الأكل فى السوق دناءة » .

قال مرتضى : تبع المصنف فى سياقه صاحب القوت ولفظه ، وفى خبر سعيد بن لقمان، عن عبد الرحمن الأنصارى، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأكل فى السوق دناءة » . ثم قال : هذا غريب مسنده وليس بذلك الصحيح أنه من قول التابعين إبراهيم النخعى ومن دونه . اهـ .

وقال مرتضى : روى من حديث أبى هريرة ومن حديث أبى أمامة ، والذى أشار إليه صاحب القوت فقد أخرجه ابن عدى فى الكامل فقال : حدثنا القاسم بن زكريا : حدثنا محمد بن عبيد : حدثنا محمد بن الفرات : حدثنى سعيد بن لقمان فساقه. قال ابن الجوزى بعد إيراده إياه من طريق ابن عدى : لا يصح ؛ محمد بن الفرات كذاب. وله طريق أخرى عند الخطيب فى التاريخ قال : أنبأنا محمد بن على بن يعقوب : حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن خزبان الصفار : حدثنا أبو بشر الهيثم بن سهل : حدثنا مالك بن سعيد ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة مرفوعا مثله . قال ابن الجوزى : الهيثم ضعيف .

وأما حديث أبى أمامة فروى من طريقين :

إحداهما : قال ابن عدى في الكامل : سمعت عمران السجستانى يقول : حدثنا سويد ابن سعيد : حدثنا بقية ، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم ، عن أبى أمامة رفعه : «الأكل فى السوق دناءة » . قال ابن الجوزى : القاسم وجعفر مجروحان .

والثانية : قال العقيلي فى الضعفاء : حدثنا أحمد بن داود : حدثنا محمد بن سليمان=

وأسنده إلى رسول الله ﷺ ، وإسناده غريب . وقد نقل ضده عن ابن عمر، رضي الله عنهما ، أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام (١٣٧٢) .

= الونى : حدثنا بقية ، عن عمر بن موسى الوجيهى ، عن القاسم ، عن أبى أمامه مرفوعا مثله قال ابن الجوزى : الوجيهى كذاب . قال العقيلى : لا يثبت فى هذا الباب شىء .

قال مرتضى : بل ثبت فيه حديث أبى هريرة وهو الذى أوردناه من طريق الخطيب، وهو أمثلها، وغاية ما يقال فيه إنه ضعيف لضعف الهيثم ، فقد قال الدارقطنى : الهيثم بن سهل التسترى ضعيف . اهـ. ومما رأيت أحدا وصفه بالكذب ، ففى إيراد ابن الجوزى إياه فى الموضوعات مناقش فيه ، وكذا قول المصنف تبعا لصاحب القوت : إنه من قول إبراهيم النخعى ليس بصحيح، وإن كان سمع منه فمن باب الرواية لا أنه من أقواله، وقول صاحب القوت : وليس بذاك ، يشير إلى أن الراوى عن سعيد بن لقمان - وهو محمد بن الفرات- كذاب كما تقدم، وهو قول أحمد وأبى بكر بن أبى شيبة . وقال الدارقطنى : ليس بالقوى، وقد يقال إنه روى عن أبى داود صاحب السنن أنه سئل عنه فقال: روى عن محارب بن دثار أحاديث موضوعة . وهذا الحديث ليس من روايته عن محارب ، فلا يدخل فى خبر الموضوع ، فقد يكون الراوى قد تكلم فى روايته عن أشخاص خاصة مع أنه له أحاديث عن غيره تكون صالحة، وهذا دقيق جدا وتمييزه صعب ، ولما ذكرناه اقتصر الحافظ العراقى فى تخريج هذا الكتاب على تضعيف هذا الحديث ولم يحكم بوضعه فقال : رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث أبى هريرة . اهـ.

(١٣٧٢) حديث : « كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام » **قال العراقى** : رواه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان . اهـ.

قال مرتضى : أى فدل ذلك على جواز الأكل فى السوق ، وهذا عندى فيه نظر ، إذ غايته أنه أخبر أنهم كانوا يأكلون وهم يمشون ويشربون وهم قيام ، ولا ينكر عليهم فى فعلهم ذلك منكر، أى فليس الأكل ماشيا والشرب قائما منكرا ، بل هو معروف ، إذ لو كان منكرًا لما سكت عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وليس فى هذا ما يدل على جواز الأكل فى السوق إلا من طريق العموم، وإلا فليس كل مشى مشيا إلى السوق ، إذ يحتمل أنه يأكل وهو يمشى فى بيته إلى المسجد أو غير ذلك ، ويصدق على ما إذا كان يمشى وهو فى بيته خطوات من غير أن يخرج من بابه، على أنه ليس كل طريق سوقا ، إنما السوق موضع البيع والشراء ، والأخذ والعطاء، والتجارات والأرباح ، فلا يكون ضد حديث أبى هريرة السابق فتأمل ذلك ، وفى قوله : ونشرب ونحن قيام. إشارة إلى جواز الشرب قياما، وسبق النهى عنه، وأن الكباد منه، وسبق كذلك الجمع بينهما فراجعه .

ورئى بعض المشايخ من المتصوفة المعروفين يأكل فى السوق ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ويحك ، أجوع فى السوق وآكل فى البيت . فقيل : تدخل المسجد . قال : أستحى أن أدخل بيته للأكل فيه.

ووجه الجمع أن الأكل فى السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن، وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه. وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص ، فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك فى الشهادة، ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله فى ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا .

الثانى : قال على ﷺ : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء، ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئًا يكرهه، واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، والبسقارجات (*) تعظم البطن وترخى الأليتين ، ولحم البقر داء، ولبنها شفاء، وسمنها دواء، والشحم يخرج مثله من الداء، ولن تستشفى النفساء بشىء أفضل من الرطب، والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم، ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر بالغداء، وليكرر العشاء، وليلبس الحذاء، ولن يتداوى الناس بشىء مثل السمن وليقل غشيان النساء، وليخف الرداء ، وهو الدين(**) .

الثالث : قال الحجاج لبعض الأطباء: صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها. قال: لا تنكح من النساء إلا فتاة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه، ولا تشربن دواء إلا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ، ولا تأكلن طعاما إلا أجدت

(*) البسقارجات : بكسر الموحدة وسكون السين المهملة لفظة فارسية معناها مرقة اللحم والدجاج .

(**) قال الأزهرى سماه رداء لأن الرداء يقع على المنكبين ومجتمع العنق والدين أمانة والعرب تقول هذا لك في عنقى .

مضغة وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه، فإذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا ، ولا تحبس الغائط والبول ، وإذا أكلت بالنهار فنم ، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة .

وفى معناه قول العرب : تغد تمد ، تعش تمش، يعنى تمدد، كما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ (القيامة : ٣٣) . أى يتمطط .

ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه .

الرابع : فى الخبر : « قطع العروق مسقمة ، وترك العشاء مهرمة » (١٣٧٣) .

(١٣٧٣) حديث : « قطع العروق مسقمة وتركت العشاء مهرمة » . **قال العراقى** : رواه ابن عدى فى الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأول ، والترمذى من حديث أنس بالشطر الثانى، وكلاهما ضعيف . وروى ابن ماجه الشطر الثانى من حديث جابر . اهـ.

وقال مرتضى : الشطر الأول رواه الديلمى بزيادة لفظ : « قطع العرق مسقمة ، والحجامة خير منه » . والشطر الثاني عند الترمذى : « تعشوا ولو بكف من حشف ، فإن ترك العشاء مهرمة » . رواه من طريق محمد بن يعلى الكوفى ، عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشى ، عن عبد الملك بن علان، عن أنس ، ثم قال : هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعنبسة ضعيف وعبد الملك بن علان مجهول . اهـ. **وقال العراقى** : فى شرحه على السنن : مداره على عنبسة ، وهو متفق على ضعفه ، وقال النسائى : هو متروك . وقال أبو حاتم: وضاع . ومن ثم حكم ابن الجوزى والصغانى بوضعه ، قال الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة : لحديث أنس طريق آخر، ورواه ابن النجار فى تاريخه قال: قرات على أبى بكر محمد بن حامد الضرير المقرى بأصبهان ، عن أبى نصر أحمد بن عمر الغازى ، حدثنا أبو القاسم أحمد بن على النيسابورى : حدثنا أبو أحمد عبد الله بن أحمد الفرضى : حدثنا عبد الصمد بن على الطستى : حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو محمد الطائى: حدثنى أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الوليد الأنماطى : حدثني أبو شعيب صالح ابن دينار السوسى : حدثنا يحيى بن سعيد القطان : حدثنا أبو الهيثم القرشى ، عن موسى، عن عقبة ، عن أنس رفعه : «ترك العشاء مهرمة، تعشوا ولو بكف من حشف ». قال : وقد روى أيضا من حديث جابر، وقال ابن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله الرقى: حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الله بن باباه المخزومى : حدثنا عبد الله بن ميمون ، عن محمد بن المنكدر ، وعن جابر رفعه : «لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر ، فإن تركه يهرم » اهـ.

والعرب تقول : ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة ؛ يعنى الإلية . وقال بعض الحكماء لابنه : يا بنى ، لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك، أى تتغذى؛ إذ به يبقى الحلم، ويزول الطيش ، وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى فى السوق .

وقال حكيم لسمين : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فمم هى ؟ قال : من أكل لباب البر ، وصغار المعز ، وأدهن بجام بنفسج ، وألبس الكتان .

الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض ، هكذا قيل ؛ وقال بعضهم : من أحتمى فهو على يقين من المكروه ، وعلى شك من العوافى، وهذا حسن فى حال الصحة.

ورأى رسول الله ﷺ صبيا يأكل تمرا وإحدى عينيه رمداء ، فقال : « أتأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال : يا رسول الله، إنما آكل بالشق الاخر يعنى جانب السليمة ، فضحك رسول الله ﷺ » (١٣٧٤) .

السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت، ولما جاء نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه السلام : « **إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم، فاحملوا إليهم ما يأكلون**» (١٣٧٥) .

(١٣٧٤) حديث : « رأى رسول الله ﷺ صهيبا وإحدى عينيه رمدة ، وهو يأكل التمر، فقال: تأكل التمر وأنت رمد؟ فقال : يا رسول الله، إنما أمضغ بالشق الآخر . فضحك رسول الله ﷺ منه » **قال العراقى :** رواه ابن ماجه من حديث صهيب بإسناد جيد انتهى .

وقال مرتضى : قال ابن حجر المكى فى شرح الشمائل : قال بعض الأطباء : أنفع ما يكون الحمية للناقه من المرض ، لأن التخليط يوجب انتكاسه، وهو أصعب من ابتداء المرض، والحمية للصحيح مضرة كالتخليط للمريض والناقه ، وقد تشتد الشهوة والميل إلى ضار فيتناول منه يسيرا فتقوى الطبيعة على هضمه فلا يضر، بل ربما ينفع، بل قد يكون أنفع من دواء يكرهه المريض، ولذا أقر ﷺ صهيبا وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة، وخبره فى ابن ماجه: قدمت على النبى ﷺ وبين يديه خبز وتمر، فقال : « ادن وكل » فأخذت تمرا فأكلت : فقال : أتأكل تمرا وبك رمد ؟ » فقلت : يا رسول الله ، أمضغ من الناحية الأخرى . فتبسم ﷺ . ففيه إشارة إلى الحمية وعدم التخليط وأن الرمد يضره التمر ما لم تصدق الشهوة. اهـ.

(١٣٧٥) حديث : قال ﷺ : « إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم، فاحملوا إليهم ما=

فذلك سنة، وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه، إلا ما يـهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغى أن يؤكل معهم .

السابع : لا ينبغى أن يحضر طعام ظالم ، فإن أكره فليقلل الأكل، ولا يقصد الطعام الأطيب. رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فـقال : كنت مكرها ، فقال : رأيتك تقصد الأطيب وتكبير اللقمة وما كنت مكرها عليه .

وأجبر السلطـان هذا المزكى على الأكل فقال : إما أن آكل وأخلى التـزكية، أو أزكى ولا آكل ، فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه .

وحكى أن ذا النون المصرى حـبس ولم يأكل أياما فى السـجن، فكانت له أخت فى الله، فبـعثت إليه طعامـا من مغزلها على يد السـجان، فامتـنع فلم يأكل ، فعاتبتـه المرأة بعد ذلك، فقال: كان حلالا ولكن جاءنى على طبق ظالم. وأشار به إلى يد السجان، وهذا غاية الورع .

الثامن : حكى عن فتح الموصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائرا، فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمـد الجلاء خادمه، وقال : اشتر به طعاما جيدا وأدما طيـبا. قال : فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبى ﷺ لشىء : « **اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه** » .

سوى اللبن ، فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيـدا، فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقى، فقال بشر : أتدرون لم قلت اشتر طعاما طيبـا ، لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر. أتدرون لم لم يقل لى : كل ؟ لأنه ليس للضـيف أن يقول لصـاحب الدار كل . أتدرون لم حـمل ما بقى؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل .

وحكى أبو على الروذبارى رحـمه الله عـز وجل أنه اتخذ ضـيافـة ، فأوقـد فيـها ألف سراج، فـقال له رجل : قد أسـرفت . فقال له : ادخل ، فكـل ما أوقدته لغـير الله فأطفـئه. فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع .

= يأكلـون » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن، ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

واشترى أبو علي الروذباري أحمالا من السكر، وأمر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر، عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها .

التاسع : قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أنحاء: **الأكل بإصبع من المقت** ، وبإصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنة (١٣٧٦) .

وبأربع وخمس من الشره. وأربعة أشياء تقوى البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع ، ولبس الكتان. وأربعة توهن البدن : كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر: الجلوس تجاه القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس. وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذر ،

(١٣٧٦) حديث : « الأكل بأصبع من المقت وبأصبعين من الكبر وبثلاثة أصابع من السنة وبأربع وخمس من الشره » .

قال مرتضى : بعض ذلك قد ورد مرفوعا . **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث كعب ابن مالك : كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع . وروى ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس موقوفا : كل بثلاث أصابع فإنه من السنة . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الطبراني فى الكبير من حديث ابن عباس مرفوعا : « يا ابن عباس: لا تأكل بأصبعين فإنها أكلة الشيطان وكل بثلاث أصابع » ورواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من حديثه مرفوعا : « لا تأكلوا بهاتين » وأشار بالإبهام والمشيرة « كلوا بثلاث فإنها سنة ، ولا تأكلوا بخمس فإنها أكلة الأعراب » . وروى أبو أحمد الفطرى فى جزئه وابن النجار من حديث أبى هريرة رفعه « الأكل بأصبع واحدة أكل الشيطان ، وبالاثنين أكل الجبابرة، وبالثلاث أكل الأنبياء » . وروى الترمذى فى الشمائل : كان يأكل بأصابعه الثلاث . قال الشارح : الإبهام والسبابة والوسطى ، يبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثا ، إذ هى أطول ، فيقبض فيها من الطعام أكثر من غيرها، أو لأنها أطولها أول ما ينزل في الطعام، ثم بالسبابة ثم بالإبهام لخبر الطبراني فى الأوسط : رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث : بالإبهام والتى تليها والوسطى ، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها: الوسطى ثم التى تليها ثم الإبهام. وفى الأحاديث ندب الأكل بالثلاث، ومحله إن كفت، وإلا فكما فى المائع زاد بحسب الحاجة وإنما اقتصر ﷺ على الثلاثة لأنه الأنفع .

والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة، والقعود فى استدبار القبلة، وأربعة تزيد فى الجماع: أكل العصافير ، وأكل الأطريفل الأكبر، وأكل الفستق ، وأكل الجرجير. والنوم على أربعة أنحاء : فنوم على القفا ؛ وهو نوم الأنبياء عليهم السلام ، يتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ونوم على اليمين ، وهو نوم العلماء والعباد، ونوم على الشمال ، وهو نوم الملوك؛ ليهضم طعامهم، ونوم على الوجه، وهو نوم الشياطين. وأربعة تزيد فى العقل : ترك الفضول من الكلام ، والسواك ، ومجالسة الصالحين ، والعلماء. وأربعة هن من العبادة : لا يخطو خطوة إلا على وضوء ، وكثرة السجود ، ولزوم المساجد ، وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا : عجبت لمن يدخل الحمام على الريق، ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت ؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت ؟ وقال لم أر شيئًا أنفع فى الوباء من البنفسج ، يدهن به ويشرب ، والله أعلم بالصواب .

تم بحمد الله (كتاب آداب الأكل)

يتلوه إن شاء الله تعالى (كتاب آداب النكاح)

★ ★ ★

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات

وفيه ثلاثة أبواب :

(البـاب الأول) : فى الترغيب فيه وعنه .

(الباب الـثانى) : فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين .

(الباب الـثالث) : فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب النكاح

وهو الكتاب الثانى من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى لا تصادف سهام الأوهام فى عجائب صنعه مجرى، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى فهى تتوالى عليهم اختيارا وقهرا، ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبرا، واستبقى بها نسلهم إقهارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا، فحرم بسببها السفاح وبالغ فى تقبيحه ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرا، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدما وكسرا، ثم بث بذور النطف فى أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبرا، تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل فصوله وأبوابه والقدر المهم من أحكامه ينكشف فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى الترغيب فيه وعنه .

الباب الثاني : فى الآداب المرعية فى العقد والعاقدين .

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق .

الباب الأول

فى الترغيب فى النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا فى فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلى لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلى لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع، وقال آخرون الأفضل تركه فى زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولا ما ورد من الأخبار والآثار فى الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه فى حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

الترغيب فى النكاح

أما من الآيات ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ (النور : ٣٢) وهذا أمر.

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ (البقرة : ٢٣٢) .

وهذا منع من العضل ونهى عنه وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ (الرعد : ٣٨) .

فذكر ذلك فى معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أولياءه بسؤال ذلك فى الدعاء فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان : ٧٤) الآية .

ويقال إن الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين فقالوا إن يحيى ﷺ قد تزوج ولم يجامع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لغض البصر وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له .

وأما الأخبار فقوله ﷺ : « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى » .

وقال ﷺ : « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستنّ بسنتى » (١٣٧٧) .

وقال أيضا ﷺ : « تناكحوا تكثروا فإن أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط »(١٣٧٨) .

وقال أيضا عليه السلام : « من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستنّ بسنتى » (١٣٧٩) .

وقال ﷺ : « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا »(١٣٨٠) .

(١٣٧٧) حديث: قال ﷺ : « النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى » **وقال العراقى:** رواه أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن .

وقال مرتضى : ولفظه من أحب فطرتى فليستن بسنتى ورواه بتمامه البيهقى وابن عساكر من حديث أبى هريرة ورواه كذلك البيهقى أيضا والضياء من حديث عبيد بن سعيد وقال البيهقى هو مرسل قال الهيتمى ورجاله ثقات .

(١٣٧٨) حديث : قال ﷺ : « تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » **قال العراقى :** رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر بسند ضعيف . اهـ .

وقال مرتضى: ورواه كذلك عبد الرزاق فى مصنفه من حديث سعيد بن أبى هلال مرسلا بسند ضعيف وروى أحمد وابن حبان من حديث أنس تزوّجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء وللطبرانى من حديث معقل بن يسار نحوه ولأحمد عن الصنابحى أنا فرطكم وأنا مكاثر بكم وللطبرانى والحاكم عن عياض بن غنم لا تزوجن عجوزا ولا عاقراً فإنى مكاثر بكم الأمم وأما قوله : «حتى بالسقط » فقد رواه بهذه الزيادة البيهقى فى المعرفة من طريق الشافعى بلاغا **قاله العراقى** .

وقال مرتضى : وهذه اللفظة قد جاءت أيضا فى حديث معاوية بن حيدة عند الطبرانى وغيره كما سيأتى في آفات النكاح لكن أوّله خير نسائكم الودود الولود الخ وقد وقع فى القوت حتى بالسقط والرضيع وهو غريب والسقط بالكسر الولد ذكرا كان أو أنثى يسقط قبل تمامه وهو مستبين الخلق .

(١٣٧٩) حديث : قال ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى» هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** متفق على أوّله من حديث أنس من رغب عن سنتى فليس منى وباقيه تقدم قبله بحديث .

(١٣٨٠) حديث : قال ﷺ : « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا » قال صاحب القوت رواه=

وهذا ذم لعلة الامتناع لا لأصل الترك وقال ﷺ : « من كان ذا طَول فليتزوج »(١٣٨١) .

وقال : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء » (١٣٨٢) .

= الحسن عن أبي سعيد عن النبي ﷺ **وقال العراقي:** رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف والدارمي في مسنده والبغوي في معجمه وأبو داود في المراسيل من حديث أبي نجيح السلمي صحابيان أحدهما عمرو بن عبسة والآخر العرباض بن سارية وأبو نجيح المكي والد عبد الله بن يسار فلينظر أيهم الذي ذكره العراقي وعند الطبراني من حديث أبي نجيح من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى ورواه البيهقي عن أبي المفلس مرسلًا بلفظ فلم ينكح فليس منا ورواه أيضا عن أبي نجيح ورواه البغوى عن أبي المفلس عن أبي نجيح بلفظ من كان موسرا فلينكح ومن لم ينكح فليس منا .

(١٣٨١) حديث : قال ﷺ : « من كان منكم ذا طول فليتزوج » **قال العراقي** رواه ابن ماجة من حديث عائشة بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد من حديث عثمان بلفظ : من كان منكم وفي آخره فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا فإن الصوم له وجاء وسيأتي الكلام عليه في الذي يليه.

(١٣٨٢) حديث : قال ﷺ : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء » . **قال العراقي:** الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود .

قال مرتضى : أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة من طريق علقمة قال كنت أمشي مع عبد الله بن مسعود بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك جارية شابة لعلها أن تذكرك مامضى من زمانك فقال عبد الله : أما إن قلت ذاك فقد قال لنا رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ، وفي رواية للنسائي ذكر الأسود معه أيضًا وقال إنه غير محفوظ وأخرجه الشيخان والترمذي والنسائي من رواية الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي عن أبي مسعود فكان للأعمش فيه إسنادان وليس هذا اختلافا عليه ورواه النسائي من طريق أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة قال كنت مع ابن مسعود وهو عند عثمان فقال عثمان خرج رسول الله ﷺ على فتية فقال من كان منكم ذا طول فليتزوج . . . . الحديث جعله من مسند عثمان والمعروف أنه من مسند ابن مسعود ، ورواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة من حديث أنس بلفظ : عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد فى العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع فى الصوم وقال ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » (١٣٨٣) وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد .

وقال ﷺ : « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله » (١٣٨٤) .

وقال ﷺ : « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى » (١٣٨٥) .

(١٣٨٣) حديث : قال ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » **قال العراقي:** رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ونقل عن البخارى أنه لم يعده محفوظا قال أبو داود أنه أخطأ ورواه الترمذى أيضا من حديث أبى حاتم المزنى وحسنه ورواه أبو داود فى المراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته . اهـ .

وقال مرتضى : أبو حاتم المزنى صحابى له هذا الحديث الواحد قال البخارى ولا أعلم له غيره . اهـ . قيل اسمه عقيل بن ميمون وقيل لاصحبة له وقال الصيدلانى لا يعرف إلا بكنيته اختلف فى صحبته وقد أخرجه البيهقى من طريقه ورواه ابن عدى فى الكامل من طريق صالح المسبحى عن الحكم بن خلف عن عمار بن مطر عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال الذهبى فى الميزان عمار هالك وقال أبو حاتم كان يكذب وقال ابن عدى أحاديثه بواطيل وقال الدارقطنى ضعيف .

(١٣٨٤) حديث : قال ﷺ : « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله » وهذا أدنى حال تنال به الولاية لأنها مقامات لكل مقام عمل من الصالحات **قال العراقى :** رواه أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس بلفظ من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه . اهـ .

وقال مرتضى : والطبرانى والحاكم والبيهقى بلفظ من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه ورواه أبو داود والطبرانى والبيهقى أيضا من حديث أبى أمامة وليس فيه وأنكح لله .

(١٣٨٥) حديث : قال ﷺ : « من تزوّج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله فى الشطر الثانى » **قال العراقى:** رواه ابن الجوزى فى العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ فقد استكمل نصف الإيمان وفى المستدرك وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه .. الحديث . اهـ .

وقال مرتضى : وهكذا رواه البيهقى أيضا ولفظهما فى الشطر الباقى وفى الكامل لابن=

وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما ، وقال ﷺ : « **كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له** » (١٣٨٦) .

الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح ، وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : « لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور » ، فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النسك وتتمة له، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهورة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما ويقول إن أردتم النكاح انكحتكم فإن العبد إذا زني نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقي الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجوني فإني أكره أن ألقي الله عزبا وهذا منهما يدل على أنهما رأيا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد .

وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله ﷺ : « **ألا تتزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأنقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تتزوج قال : فقلت : يا رسول الله زوجني قال : اذهب إلى بني فلان فقل إن رسول**

= عدي في ترجمة عبد الواحد بن زيد العمي عن أبيه عن أنس رضي الله عنه بلفظ من تزوّج فقد أعطى نصف العبادة وعبد الواحد ضعيف .

(١٣٨٦) حديث : قال ﷺ : « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له » الحديث بتمامه تقدم في كتاب العلم وقد رواه مسلم والثلاثة بنحوه من حديث أبي هريرة بلفظ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد رواه أيضا البخاري في الأدب المفرد .

الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى فتاتكم قال : فقلت : يا رسول الله لا شىء لى فقال لأصحابه اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له : أولمْ وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة » (١٣٨٧) .

وهذا التكرير يدل على فضل فى نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض العباد فى الأمم السالفة فاق أهل زمانه فى العبادة فذكر لنبى زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشىء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبى عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكنى فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجك ابنتى فزوجه النبى عليه السلام ابنته .

وقال بشر بن الحارث : فضل علىّ أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ، ولاتساعه فى النكاح وضيقى عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج فى اليوم الثانى لوفاة أم ولده عبد الله وقال أكره أن أبيت عزبا، وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو

(١٣٨٧) حديث : « كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله ﷺ : ألا تتزوج فقال : يا رسول الله أنا فقير لا شىء لى وانقطع عن خدمتك فسكت ثم عاد له الكلام ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابى وقال : والله لرسول الله أعلم بما يصلحنى فى دنياى وآخرتى وما يقربنى إلى الله منى لأن قال لى الثالثة لأفعلن فقال له ثالثة ألا تتزوج فقلت : يا رسول الله زوجنى فقال اذهب إلى بنى فلان فقل إن رسول الله يأمركم أن تزوجونى فتاتكم قال : فقلت يا رسول الله لا شىء لى فقال لأصحابه اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا فذهب به إلى القوم فأنكحوه فقال أولم فجمع له الأصحاب شاة للوليمة فأصلح طعاما دعا عليه رسول الله ﷺ وأصحابه » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ربيعة الأسلمى فى حديث طويل وهوصاحب القصة بإسناد حسن .اهـ.

وقال مرتضى : رواه فى المسند من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب وهو ربيعة بن كعب بن يعمر أبو فراس الأسلمى حجازى قال الواقدى وكان من أهل الصفة ولم يزل مع رسول الله ﷺ إلى أن قبض فخرج من المدينة فنزل فى بلاد أسلم على بريد من المدينة وبقى إلى أن مات بالحرة سنة ٦٣ فى ذى الحجة كذا فى الإصابة .

مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال: ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨). فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك فقد روى أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال: رفعت منازلى فى الجنة وأشرف بى على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وفى رواية قال لى ما كنت أحب أن تلقانى عزبا قال فقلنا له ما فعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال بصبره على بنياته والعيال .

وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا ﷺ كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء. وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة فقال : لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه قال فما الذى يمنعك من النكاح فقال مالى حاجة فى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب .

وأما ما جاء فى الترهيب عن النكاح :

فقد قال ﷺ : «خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد» (١٣٨٨) .

(١٣٨٨) حديث : قال ﷺ : « خير الناس بعد المائتين » وفى بعض الروايات فى رأس المائتين ولفظ الذهبى فى كتاب الضعفاء فى المائتين « الخفيف الحاذ » وفى رواية كل خفيف الحاذ المراد خفيف الظهر من العيال والمال « الذى لا أهل له ولا ولد » . **قال العراقى:** رواه أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابى فى العزلة من حديثه وحديث أبى أمامة وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : رواه أبو يعلى من حديث رواد بن الجراح عن سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة مرفوعًا به وعلقه رواد ولذا قال الخليل ضعفه الحفاظ وخطؤه .اهـ. ومن هذا الطريق رواه البيهقى فى الشعب والخطيب والديلمى وقال الزركشى غير محفوظ والحمل فيه على رواد قال الدارقطنى هو متروك وقال البيهقى تفرد به رواد عن سفيان وقال البخارى اختلط وقال أحمد حديثه من المناكير وقال الذهبى فى الضعفاء وهذا الحديث مما يغلط فيه ونقل فيه قول الدارقطنى قال ووثقه يحيى بن معين وقال له حديث واحد منكر عن سفيان وساق هذا الخبر وعند ابن عساكر بلفظ يأتى على الناس زمان أفضل أهل ذلك الزمان=

وقال ﷺ : « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك» (١٣٨٩)

وفى الخبر : « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين » (١٣٩٠) .

= كل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله ومن خفيف الحاذ قال : قليل العيال وأما حديث أبى أمامة الذى أشار إليه العراقى فقد روى بمعناه ولفظه أن أغبط أوليائى المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر والعلانية وكان غامضًا فى الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافًا فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيتى .

قال مرتضى : رواه الترمذى من طريق على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة مرفوعًا وقال على ضعيف وقد أخرجه أحمد والبيهقى فى الزهد والحاكم فى الأطعمة من مستدركه وقال هذا اسناده للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه . قال السخاوى ولم ينفرد به على بن يزيد فقد أخرجه ابن ماجة فى الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن مرة عن أيوب بن سليمان عن أبى أمامة ولفظه أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ وذكر نحوه ولحديث الباب شواهد كثيرة كلها واهية منها ما رواه الحرث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعًا سيأتى على الناس زمان تحل فيه العزبة لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق .... الحديث ومنها ما رواه الديلمى من حديث زكريا بن يحيى الصوفى عن ابن ابن لحذيفة عن أبيه عن جده مرفوعًا خير نسائكم بعد ستين ومائة العواقر وخير أولادكم بعد أربع وخمسين البنات ومنها ما روى الخطيب من حديث ابن مسعود إذا أحب الله العبد إقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد .

(١٣٨٩) حديث : قال ﷺ : « يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر يكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك » **قال العراقى** : رواه الخطابى فى العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبيهقى نحوه من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف . اهـ .

وقال مرتضى : ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخليلى والرافعى كلهم عن ابن مسعود بلفظ يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر كالثعلب بأشباله وذلك فى آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت العزبة يكون فى ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه إن كان له أبوان فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فإن لم تكن له زوجة ولا ولد فعلى يدى الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التى يهلك فيها ورواه الحارث بن أبى أسامة نحوه .

(١٣٩٠) حديث : « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين » هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال : وقال بعض الحكماء فساقه . =

وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهنّ خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى .

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الحوارى تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قولة أبي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة : الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الأولى : الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذى يشتهيه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهاراً للقدرة وإتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا .

= **وقال مرتضى** : وقد جاء الشطر الأول مرفوعا **قال العراقي** : رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث على والديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمرو بن هلال المزنى كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين .اهـ. وقال رواه الديلمي من طريق بكر بن عبد الله المزنى عن أبيه .

الأول : موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان .

والثانى : طلب محبة رسول الله ﷺ فى تكثير من به مباهاته .

والثالث : طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده .

والرابع : طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله .

أما الوجه الأول : فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمه ، وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ لها فى الأنثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق فى الإعراب عن مراد خالقها وتنادى أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله ﷺ بالمراد حيث قال : « **تناكحوا تناسلوا** » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة فى إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الشرع الأمر فى القتل للأولاد وفى الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح ساع فى إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام وحث عليه وعبر عنه بعبارة القرض فقال : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (البقرة : ٢٤٥) .

فإن قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غنى عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم . فاعلم أن هذه

الكلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافى إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصى مكروهة وهى مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهى مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر والشر فلا نقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ (الزمر : ٧) .

فكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء فإنه تعالى يقول : « **ما ترددت فى شيء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من الموت** » (١٣٩١) .

فقوله لابد له من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور فى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ (الواقعة : ٦٠) .

وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ (الملك : ٢) .

ولا مناقضة بين قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ (الواقعة : ٦٠) .

(١٣٩١) حديث : « قال الله تعالى : ما ترددت فى شيء كترددى فى قبض روح عبدى المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد من الموت » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة وانفرد به خالد بن مخلد القطوانى وهو متكلم فيه .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن عثمان بن كرته حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رفعه : أن الله تعالى قال: من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب ثم ساق الحديث وفى آخره وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته وأخرجه البخارى بطوله في الرقائق من هذا الطريق بهذا الإسناد قال فى الميزان حديث غريب جدا ولولا هيبة الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه وانفراد شريك به وليس بالحافظ ولم يرد هذا المعنى إلا بهذا الإسناد ولا خرجه غير البخارى .اهـ. أى من الأئمة الستة وقد ظهر لك من السياق أن قوله ولابد من الموت ليس عند البخارى نبه عليه الحافظ ابن حجر على حاشية المغنى ومثله بدون هذه الزيادة فى حديث ابن عباس رواه الطبرانى فى الكبير نعم رواه أبو نعيم فى الحلية وابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء والحكيم وابن مردويه والبيهقى .

وبين قوله : « وأنا أكره مساءته » ولكن إيضاح الحق فى هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلة فى علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذى منع من إفشائه فلنقصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح والإحجام عنه فإن أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم ﷺ عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ فى الطاعون زوّجونى لا ألقى الله عزبا .

فإن قلت : فما كان معاذ يتوقع ولدا فى ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه . فأقول الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك أمر لا يدخل فى الاختيار، إنما المعلق باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه والباقى خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضا فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى إن الممسوح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا فى حقه على الوجه الذى يستحب للأصلع إمرار الموسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع فى الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنة فى حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب فى حق القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة .

الوجه الثانى : السعى فى محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى عن عمر

ﷺ أنه كان ينكح كثيرا ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار فى مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام : « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد »(١٣٩٢) .

وقال : « خير نسائكم الولود الودود »(١٣٩٣) .

وقال : « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد »(١٣٩٤) .

وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل فى اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحصين وغضّ البصر وقطع الشهوة .

(١٣٩٢) حديث : قال ﷺ : « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد » **قال العراقى** : رواه أبو عمرو النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا اهـ.

قال مرتضى : هو فى القوت ولفظه حصير فى البيت خير من امرأة لا تلد .

(١٣٩٣) حديث : قال ﷺ « خير نسائكم الولود الودود » كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث ابن أبى أدية الصدفى قال البيهقى روى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا .

وقال مرتضى : قد روى هذا الحديث بزيادة المواسية المواتية إذا اتقين الله وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الاعصم رواه البيهقى هكذا من حديث ابن أبى أدية ورواه البغوى فى معجم الصحابة كذلك وقال هو من أهل مصر قال : ولا أدرى اله صحبة أم لا ولذا قال السيوطى فى الجامع الصغير بعد أن رمز للبيهقى عن ابن أبى أدية مرسلا وكلام الحافظ لا يشعر إلا أنه مرفوع وقد روى أيضا عن سليمان بن يسار مرسلا والودود هى المتحببة إلى زوجها والولود هى الكثيرة الولادة .

(١٣٩٤) حديث : قال ﷺ : « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » **قال العراقى** : رواه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح . اهـ .

وقال مرتضى : ورواه كذلك الطبراني في الكبير والديلمى وتمام وابن عساكر وجد بهز هو معاوية بن حيدة له صحبة وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة علي بن الربيع عن بهز اهـ. ولكن هؤلاء كلهم رووا هذا الحديث بزيادة بعد قوله لا تلد وإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط لا يزال محبنطئا على باب الجنة الخ وسأذكره فيما بعد قال المناوى فى شرح الجامع قوله سوداء بالهمز بعد الدال وهى القبيحة الوجه يقال رجل أسود وامرأة سوداء .

الوجه الثالث : أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح .

وفى الخبر : « **إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور** »(١٣٩٥) .

وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فإنه مؤمن والصلاح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لا سيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى .

ولذلك قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور : ٢١) .

أى ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم .

الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة** »(١٣٩٦) .

وفى بعض الأخبار : « **يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك** »(١٣٩٧) .

(١٣٩٥) حديث: « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور » **قال العراقى** : رويناه فى الأربعين المشهورة من رواية أبى هدية عن أنس فى الصدقة عن الميت وأبو هدية كذاب .اهـ.

(١٣٩٦) حديث : قال ﷺ : « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة » ولفظ القوت يجر أبويه بسرره إلى الجنة . **قال العراقى** : رواه ابن ماجة من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ أن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته وكلاهما ضعيف .

وقال مرتضى : أما حديث على فرواه ابن ماجه من طريق عابس بن ربيعة عنه بلفظ إن السقط ليراغم ربه إذا دخل أبواه النار فيقال أيها السقط الراغم ربه أدخل أبويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة وفى السند مندل العنزى ضعفه أحمد .اهـ.

(١٣٩٧) حديث : « يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك » وهذا عند مسلم من رواية أبى هريرة .

وقال أيضا ﷺ : « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا » أى ممتلئا غيظا وغضبا : « ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة »(١٣٩٨) .

وفى خبر آخر : « إن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب . فيقال للملائكة: اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الخزنة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ما هذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا : لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى : تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم فأدخلوهم الجنة » (١٣٩٩) .

(١٣٩٨) حديث : قال ﷺ : « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا» من احبنطى افعنلى من ملحقات المزيد على الثلاثى بثلاثة « أى ممتلئا غيظا وغضبا » وممتنعا من دخول الجنة امتناع طلب لا امتناع إباء « ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح وللنسائى من حديث أبى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا أنتم وآباؤكم وإسناده جيد . اهـ .

وقال مرتضى : حديث بهز بن حكيم قد رواه الطبرانى فى الكبير وجماعة فقد ذكرهم ولفظه سوداء ولود خير من حسناء لم تلد وإنى مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط لا يزال محبنطئا على باب الجنة يقال ادخل الجنة فيقول يا رب وأبواى فيقال له ادخل الجنة أنت وأبواك وقد تقدمت الجملة الأولى من هذا الحديث قريبا ووجدت بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى هذا الحديث قد رواه ابن عدى فى الكامل من طريق حسان ابن سياه عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود مرفوعا وتفرد به حسان وخالفه أبو بكر بن عياش فرواه عن عاصم عن رجل لم يسمه عن عبد الله قال الدارقطنى وهو صحيح .

(١٣٩٩) حديث : « إن الأطفال يجتمعون فى موقف يوم القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذرارى المؤمنين ادخلوا الجنة لا حساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فتقول لهم الخزنة إن آباءكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون ويطالبون بها قال : فيتضاغون- أى يتصايحون - ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه للملائكة وهو أعلم=

وقال ﷺ : « من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار » (١٤٠٠) .

وقال ﷺ : « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان » (١٤٠١) .

= بهم ما هذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى للملائكة تخللوا الجمع - أى ادخلوا فى خللهم - فخذوا بأيدى آبائهم فادخلوهم الجنة معهم » هكذا أورده صاحب القوت بطوله وقال فى أوله ورويناه فى خبر غريب فساقه **وقال العراقى :** لم أجد له أصلا يعتمد عليه .

(١٤٠٠) حديث : قال ﷺ : « من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار » الحظار بالكسر جمع حظيرة اسم لما حظر به الغنم و غيرها من الشجر ليمنعها ويحفظها وقد حظرها حظرا من باب قتل واحتظرها عملها . **قال العراقى:** رواه البزار والطبرانى من حديث زهير ابن أبى علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إنه مات لى اثنان سوى هذا فقال لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد. ولمسلم من حديث أبى هريرة وفى المرأة التى قالت دفنت ثلاثة قال لقد احتظرت بحظار شديد من النار .اهـ.

وقال مرتضى : حديث زهير بن أبى علقمة رواه أيضا البغوى والباوردى وابن قانع وأبو مسعود الرازى فى مسنده والضياء وحديث أبى هريرة رواه النسائى أيضا .

(١٤٠١) حديث : قال ﷺ : « من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان » هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبى سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه اهـ.

وقال مرتضى : وبهذه الزيادة رواه أحمد أيضا من حديث محمود بن لبيد عن جابر مرفوعا بلفظ من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة قالوا يا رسول الله واثنان قال واثنان ورواه كذلك البخارى فى الأدب المفرد وابن حبان والضياء وقد روى قوله أدخله الله الجنة بفضل رحمته من حديث أبى ثعلبة الأشجعى وقال غيره من مات له ولدان فى الإسلام أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهما رواه ابن سعد وأحمد والبغوى والباوردى والطبرانى ويروى عن عبد الرحمن بن بشير الأنصارى رفعه من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل يعنى الجواز على الصراط رواه الطبرانى في الكبير وعن أنس مرفوعا من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار رواه أبو عوانة فى الصحيح ورواه الدارقطنى فى الأفراد عن الزبير بن العوام وأما حديث أبى سعيد الذى أشار إليه العراقى فلفظه أيما امرأة مات لها ثلاثة كن لها حجابا من النار .

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجونى زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ما كاد أن يقطع عنقى وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذ وِلدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى أحدهم وقلت اسقنى فقد أجهدنى العطش فقال : ليس لك فينا ولد إنما نسقى آباءنا فقلت : ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين .

وأحد المعانى المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٢٣) . تقديم الأطفال إلى الآخرة .

فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد .

الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : « **من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر** » وإليه الإشارة بقوله : « **عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء** » وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته وليس من يجيب مولاه رغبة فى تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا فى ذاته بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمرى فى الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاء وهو ما فى قضائها من اللذة التى لا توازيها لذة لو دامت فهى منبهة على اللذات الموعودة فى الجنان إذ الترغيب فى لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع فلو رغب العنين فى لذة الجماع أو الصبى فى لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة فى دوامها فى الجنة ليكون باعثا على عبادة الله

فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هى الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة فى اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعِنة وهم غالب الخلق فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى: «إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» . وإن كان ملجما بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه فى أكثر الأوقات وقد يعرض له ذلك فى أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدى أخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب فى حق الله كاللسان فى حق الخلق ورأس الأمور للمريد فى سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة فى حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف فى البدن وفساد فى المزاج ولذلك قال ابن عباس ﷺ لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة فى معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البقرة : ٢٨٦) هو الغلمة ، وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا فى معنى قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨) إنه لا يصبر عن النساء .

وقال فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس ﷺ : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (الفلق: ٣) قال: قيام الذكر وهذه

بليّة غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهى مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهى أقوى آلة الشيطان على بنى آدم .

وإليه أشار عليه السلام بقوله : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن**»(١٤٠٢) .

وإنما ذلك لهيجان الشهوة وقال ﷺ فى دعائه : « **اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وشر منيى** » (١٤٠٣) .

وقال : « **أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى**» (١٤٠٤) .

فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية . فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا فى معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا : يصيبنا من ذلك كثير فقال : لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت لكنى ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلى ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبى معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما الذى تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما

(١٤٠٢) حديث : قال ﷺ : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب منكن » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبى سعيد ولم يسق مسلم لفظه .اهـ.

وقال مرتضى : وعند أبى داود من حديث ابن عمر أغلب لذى لب منكن .

(١٤٠٣) حديث : قال ﷺ فى دعائه : « اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى وشر منيى » **قال العراقى**: تقدم فى الدعوات .

وقال مرتضى: رواه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث شكل بن حميد العبسى مرفوعا اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر منيى . وتقدم أن المراد منه من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع فى الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة .

(١٤٠٤) حديث : قال ﷺ فى دعائه : « أسألك أن تطهر قلبى وتحفظ فرجى » **قال العراقى** : رواه البيهقى فى الدعوات من حديث أم سلمة بإسنادين .اهـ .

يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو خفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنيد يقول أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك « **أمر رسول الله ﷺ كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله** » (١٤٠٥) لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس.

وروى جابر ﷺ أن النبى ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ﷺ : « **إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذى معها** » (١٤٠٦) .

وقال عليه السلام : « **لا تدخلوا على المغيبات وهى التى غاب زوجها عنها فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم** » (١٤٠٧) .

(١٤٠٥) حديث : « أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث أبى كبشة الأنمارى حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال وإسناده جيد .اهـ.

(١٤٠٦) حديث جابر : « أن النبى ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال إن المرأة إذا أقبلت أقبلت فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذى معها » **قال العراقى** : رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والنسائى كلهم فى النكاح بلفظ إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه .

(١٤٠٧) حديث : قال ﷺ : « لا تدخلوا على المغيبات - وهى التى غاب زوجها عنها - فإن الشيطان يجرى من ابن آدم لأحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال : ومنى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم» . **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث جابر وقال غريب ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخلن رجل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل واثنان .اهـ.

وقال مرتضى: لفظ الترمذى لا تلجوا والباقى سواء ولفظ مسلم الا لا يدخلن الخ وروى البزار الحديث بتمامه عن جابر بلفظ لا تدخلوا على هؤلاء المغيبات والباقى سواء وأما قوله إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم روى هذا القدر فقط أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس والشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية بنت حيى .

قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضي الله عنه وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروي أنه جامع ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس : « خير هذه الأمة أكثرها نساء » (١٤٠٨) .

ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة وفى اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التى تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال : نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إلىَّ به فقال : إنى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال : أفٍّ وتفٍّ نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمناء باليد وأفحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة فى شيء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه كما يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الإباحة المطلقة

(١٤٠٨) حديث : قال عليه السلام : « خير هذه الأمة أكثرها نساء » كذا فى القوت **قال العراقى :** يعني النبى عليه السلام رواه البخارى.

وقال مرتضى : قال البخارى فى صحيحه حدثنا على بن الحكم حدثنا أبو عوانة عن رقبة عن طلحة اليامى عن سعيد بن جبير قال لى ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء قال الشارح لأنه كان له تسع نسوة والتقييد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام لأنه كان أكثر النساء وقيل المعني خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيرنا من يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل . اهـ.

ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فإذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر فرب شخص فترت شهوته لكبر سنّ أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال إن الحسن بن علي كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن : « أشبهت خَلقي وخُلُقي» (١٤٠٩) .

وقال ﷺ : « حسن مني وحسين من علي » (١٤١٠) .

فقيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله ﷺ وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة .

(١٤٠٩) حديث : قال ﷺ للحسن : « أشبهت خَلقي وخُلُقي » الأول بفتح فسكون والمراد به الخلقة الظاهرة والثاني بضمتين والمراد به الأوصاف الباطنة هكذا أورده صاحب القوت قال العراقي: المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء والحسن أيضا كان يشبه النبي ﷺ كما هو متفق عليه في حديث أبي جحيفة وللترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن انتهى وأن الحسن كان يشبه النبي ﷺ من رأسه إلى سرته والحسين من سرته إلى قدميه .

(١٤١٠) حديث : قال ﷺ : « حسن مني وحسين من علي » كذا في القوت قال العراقي: رواه أحمد من حديث المقدام بن معد يكرب بسند جيد .اهـ.

وقال مرتضى : وعن يعلى بن مرة حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه والطبراني والحاكم وابن سعد وأبو نعيم في فضائل الصحابة ورواه مع زيادة ابن عساكر من حديث أبي رمثة .

الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذا روحت باللذات فى بعض الأوقات قويت ونشطت وفى الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب ونبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك :

قال الله تعالى : ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (الأعراف : ١٨٩) .

وقال على رضي الله عنه : روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت ، وفى الخبر : « **على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات** » (١٤١١) .

ومثله بلفظ آخر : « **لا يكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم** » (١٤١٢) .

(١٤١١) حديث : « على العاقل أن تكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن فى هذه الساعة عونا على تلك الساعات » أورده صاحب القوت **قال العراقى :** رواه ابن حبان من حديث أبى ذر فى حديث طويل أن ذلك فى صحف إبراهيم . اهـ .

وقال مرتضى : هذا الحديث الطويل أخرجه أبو نعيم فى الحلية من طرق عن إبراهيم بن هشام الغسانى عن أبيه عن جده عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر قال : دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فساق الحديث وفيه قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال : كانت أمثالا كلها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها فى صنع الله وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب .

(١٤١٢) حديث : قال ﷺ : « لا يكون العاقل ظاعنا إلا فى ثلاث تزود للمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم » كذا أورده صاحب القوت **قال العراقى :** رواه ابن حبان من حديث أبى ذر فى حديث طويل أن ذلك فى صحف إبراهيم . اهـ .

وقال مرتضى : وهو الحديث الذى سقناه من كتاب الحلية وهكذا سياقه سواء وقال : وقد رواه المختار بن غسان عن إسماعيل بن مسلم عن أبى إدريس ورواه على بن يزيد عن القاسم =

وقال عليه الصلاة والسلام : «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كان فترته إلى سنتى فقد اهتدى » (١٤١٣) .

والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوة وذلك فى ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجم نفسى بشىء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفى بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة»(١٤١٤) .

= عن أبى أمامة عن أبى ذر ورواه عبيد بن الخشخاش عن أبى ذر ورواه معاوية بن صالح عن محمد بن أيوب عن أبى عائذ عن أبى ذر رواه ابن جريج عن علاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر بطوله .

(١٤١٣) حديث : قال ﷺ : « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى» كذا أورده صاحب القوت **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى من حديث عبد الله ابن عمرو وللترمذى نحو من هذا من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : لفظ الطبرانى فقد أفلح بدل اهتدى رواه البيهقى من حديث ابن عمر بلفظ إن لكل عمل شرة والباقى سواء كما ساقه المصنف مع زيادة ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك قال الهيتمى رجاله رجال الصحيح ووجدت بخط الإمام شمس الدين الداودى ما نصه أصل هذا الحديث فى صحيح البخارى وأخرجه الإسماعيلى فى مستخرجه .اهـ.

(١٤١٤) حديث : « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلنى على الهريسة » فى المصباح الهريسة فعيلة بمعنى مفعولة قال ابن فارس الهرس دق الشىء ولذلك سميت الهريسة ففى النوادر الهريس الحب المدقوق فإذا طبخ فهو الهريسة بالهاء. **قال العراقى** : حديث الهريسة رواه ابن عدى من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلى من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن أبى الدنيا فى الضعفاء والأزدى فى الضعفاء من حديث أبى هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال العقيلى باطل .اهـ.

وقال مرتضى : قد كثر الكلام فى حديث الهريسة وأما مورد طرقه التي ذكروها فقال العقيلى فى الضعفاء حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا سعيد بن المعلى حدثنا محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن معاذ بن جبل قال : قلت: يا رسول الله هل أتيت من الجنة بطعام قال : نعم أتيت الهريسة فأكلتها فزادت فى قوتى قوة أربعين أو فى نكاح أربعين قال وكان معاذ لا يعمل طعاما إلا بدأ بالهريسة قال هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمى وكان صاحب هريسة وغالب طرقه تدور عليه وسرقه منه كذابون وقال أبو نعيم فى الطب النبوى حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن جعفر الخشاب حدثنا أحمد بن مهران=

= حدثنا الفضيل بن جبير حدثنا محمد بن الحجاج عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال قيل يا رسول الله هل أتيت من طعام الجنة بشيء قال : نعم أتاني جبريل بهريسة فأكلتها فزادت في قوتي قوة أربعين رجلا في النكاح وقال الخطيب حدثنا أحمد بن محمد الكاتب أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن المقري وقال العقيلي حدثنا إدريس بن عبد الكريم قالا حدثنا يحيى بن أيوب العابد حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي حدثنا عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : « **أطعمني جبريل الهريسة ليشتد بها ظهري لقيام الليل** » قال السيوطي وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن يحيى بن أيوب به وقال الخطيب أنبأنا على بن محمد بن على الأيادي ومحمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق قالا حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ حدثنا داود بن مهران حدثنا محمد بن حجاج من أهل واسط عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبي ليلى وربعي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل أطعمني هريسة أشد بها ظهري لقيام الليل أخرجه ابن السني في الطب من طريق داود به قال الخطيب وهكذا رواه الحسن بن على عن أبي المتوكل عن يحيى بن أيوب عن محمد بن الحجاج إلا أنه قال عن ابن أبي ليلى عن النبي ﷺ وعن ربعي بن حذيفة عن النبي ﷺ وقال الخطيب أخبرني الأزهري أنبأنا على بن عمر الحافظ حدثنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل الضبي حدثنا أبو الحسن على بن إبراهيم الواسطي حدثنا أبو الحسن منصور بن المهاجر البزدري حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن يعلى بن مرة قال : قال رسول الله ﷺ أمرني جبريل عليه السلام بأكل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها على الصلاة وقال العقيلي حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو بلال الأشعري حدثنا بسطام عن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة وعبد الرحمن ابن أبي ليلى قالا قال رسول الله ﷺ : «**أمرني جبريل بالهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل**» وقال ابن عدي حدثنا الحسن بن أبي معشر حدثنا أيوب الوراق حدثنا سلام بن سليمان عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا أتاني جبريل بهريسة من الجنة فأكلتها فأعطيت قوة أربعين رجلا في الجماع نهشل كذاب وسلام متروك فنرى أن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له إسنادا وقال الأزدي حدثنا عبد العزيز بن محمد بن زبالة حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثنا عمرو بن بكر عن ارطأة عن مكحول عن أبي هريرة قال شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل ثم قال أين أنت من أكل الهريسة فإن فيها قوة أربعين رجلا قال الأزدي إبراهيم ساقط فنرى أنه سرقه وركب له إسنادا قال السيوطي إبراهيم روى له ابن ماجه وقال في الميزان قال أبو حاتم وغيره صدوق وقال الأزدي وحده ساقط قال ولا يلتفت إلى قول الأزدي فإن في مساءته بالجرح وهنًا . اهـ . وحينئذ فهذا الطريق أمثل طرق الحديث وقد أخرجه من هذا الطريق ابن السني وأبو نعيم في الطب وله طرق أخرى عن أبي هريرة قال أبو نعيم في الطب حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا ابن ناجية حدثنا سفيان بن وكيع=

وهذا إن صح لا محمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الأنس وقال عليه الصلاة والسلام : «حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة »(١٤١٥) .

= حدثنا أبي حدثنا أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رفعه أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل وأخرجه الخطيب في رواية مالك من طريق الحسن بن عاصم حدثنا الصباح بن عبد الله حدثنا مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعا أمرني جبريل بأكل الهريسة لأشد بها ظهري وأتقوى على عبادة ربي قال الخطيب هذا الحديث باطل والحسن بن عاصم هو أبو سعيد العدوي وكان كذابا يضع الحديث وأخرجه أيضا من طريق موسى بن إبراهيم الخراساني عن مالك بالسند السابق بلفظ لأشد بها ظهري لقيام الليل وقال موسى بن إبراهيم مجهول والحديث باطل وأخرجه أبو نعيم في الطب من طريق يعقوب بن الوليد عن أبي أمية بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده مرفوعا أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري والله أعلم قال المصنف مشيراً إلى ما وقع من الاختلاف في هذا الحديث .

(١٤١٥) حديث: قال ﷺ : « حبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة»، **قال العراقي:** رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد جيد وضعفه العقيلي اهـ .

قال مرتضى: أورده السيوطي في الجامع الصغير وقال حم ن ك هو عن أنس وقال في الجامع الكبير حم ن وابن سعد ع ك هو وسمويه ض عن أنس ولفظ الجميع حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة والكلام على هذا الحديث من جهة التخريج على وجوه الأول قال السخاوي في المقاصد ما اشتهر على الألسنة من زيادة لفظ ثلاث لم أقف عليه إلا في موضعين من الإحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال إنه لم يرد فيه لفظ ثلاث قال وزيادته محيلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا . اهـ. ووجدت بخط الكمال الدميري ما نصه لفظة ثلاث ليس في النسائي ولا أدري ما حالها عند الحاكم وهي زيادة مفسدة للمعنى وقد أجاب عنها جماعة فلم يتقنوا وقاس الزمخشري عليها فيه آيات بينات وقد أخطأ في القياس . اهـ. ما وجدته وسكت العراقي هنا ولم ينبه على هذه الزيادة رأيا للاختصار واتكالا على الاشتهار مع أنه ذكر في أماليه أن هذه اللفظة ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنى وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف لم تقع في شيء من طرقه وهي تفسد المعنى إذا لم يذكر بعدها إلا الطيب والنساء .

وقال مرتضى : وهذا يستقيم على رواية وجعلت وأما على سياق المصنف فلا وقال في تخريج الرافعي تبعا لأصله قد اشتهر لفظ ثلاث وشرحه الإمام ابن فورك في جزء مفرد وكذلك ذكره الغزالي ولم نجده في شيء من طرقه المسندة **وقال الولي العراقي في أماليه** ليست=

فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب إتعاب نفسه فى الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهى خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى إنها تطرد فى حق الممسوح ومن لا شهوة له إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك . وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجارى والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له .

الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأوانى وتهيئة أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش فى منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل

= هذه اللفظة في شيء من كتب الحديث وهى مفسدة للمعنى، **الثانى:** روى النسائى هذا الحديث من طريق سيار عن جعفر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب إلى النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة وكذلك رواه الحاكم فى مستدركه بدون لفظ جعلت وقال إنه صحيح على شرط مسلم ورواه الطبرانى في الأوسط والصغير من طريق الأوزاعى عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس ورواه مؤمل بن أهاب فى جزأيه قال حدثنا سفيان عن جعفر به فساقه كسياق النسائى وكذلك رواه ابن عدى فى الكامل من طريق سلام بن أبى خبزة حدثنا ثابت البنانى وعلى بن زيد كلاهما عن أنس وهو عند النسائى أيضا من طريق سلام ابن المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما وأبو عوانة فى مستخرجه الصحيح والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى سننه وآخرون، **الثالث:** عزا الديلمى إلى النسائى بلفظ حبب إلى كل شيء وحبب إلى النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة قال السخاوى لم أره كذلك ، **الرابع:** رمز السيوطى فى جامعه حم يقتضى أن أحمد رواه فى مسنده وصرح بذلك أيضا السخاوى كما ذكرناه قال المناوى وهو باطل فإنه لم يخرجه فيه وإنما خرجه فى كتاب الزهد فعزوه إلى المسند سبق ذهن أو قلم قال وقد نبه عليه السيوطى بنفسه فى حاشية البيضاوى، **الخامس:** أفاد ابن القيم أن أحمد رواه فى الزهد بزيادة لطيفة وهى أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن وقال كذلك الزركشى وقد تعقبه السيوطى بقوله إنه مر على كتاب الزهد مرارا فلم يجد فيه لكن فى زوائده لابنه أحمد عن أنس مرفوعا قرة عينى فى الصلاة وحبب إلى النساء والطيب الجائع يشبع والظمآن يروي وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء فلعله أراد هذا الطريق . اهـ .

وقال مرتضى : وهذا قد رواه الديلمى كذلك والله أعلم .

فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (البقرة : ٢٠١) .

قال المرأة الصالحة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته** » (١٤١٦) .

فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل : ٩٧) .

قال الزوجة الصالحة .

(١٤١٦) حديث : قال ﷺ : « ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » الحديث **قال العراقي** : رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه واللفظ له من حديث ثوبان وفيه انقطاع .اهـ.

وقال مرتضى : رواه كذلك أحمد وأبو نعيم في الحلية قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير بن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال كنا مع رسول الله ﷺ في مسير بسير ونحن معه إذ قال المهاجرون لو نعلم أي المال خير إذا نزل في الذهب والفضة ما أنزل فقال عمر إن شئتم سألت لكم رسول الله ﷺ عن ذلك فقالوا أجل فانطلق إلى رسول الله ﷺ فاتبعته على قعود لي فقال يا رسول الله إن المهاجرين لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا لو علمنا الآن أي المال خير فقال ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على إيمانه رواه أبو الأحوص وإسرائيل عن منصور مثله ورواه عمرو بن مرة عن سالم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا فأي المال نتخذ قال عمر أنا أعلم لكم فأوضع على بعيره فأدركه وأنا في أثره فقال يا رسول الله أي المال نتخذ فقال ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة تعينه على الآخرة رواه الأعمش عن سالم نحوه .اهـ.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإنّ منهن غنما لا يحذى منه ومنهنّ غلا لا يفدى منه وقوله لا يحذى أى لا يعتاض عنه بعطاء .

وقال ﷺ : « **فُضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى أعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير** »(١٤١٧) .

فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التى يقصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل فى هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فإن ذلك مما يحتاج إليه فى دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل .

(١٤١٧) حديث : قال ﷺ : « فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وأزواجى عونا لى على الطاعات وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير» كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن الوليد بن أبان القلانسى قال ابن عدى كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال : وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير . اهـ .

وقال مرتضى : وبإسناد الخطيب أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس والبيهقى فى الدلائل بلفظ فضلت على آدم بخصلتين كان شيطانى كافرا فأعاننى الله عليه حتى أسلم وكن أزواجى عونا لى وكان شيطان آدم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيئته ومحمد بن الوليد القلانسى قال أبو عروبة كذاب ومن أباطيله هذا الخبر ونظرا إلى قوله وقول ابن عدى السابق أورده ابن الجوزي في الواهيات والصحيح أن الحديث ضعيف لضعف محمد بن الوليد ولا يدخل فى حيز الموضوع وأما حديث ابن مسعود فقد رواه أيضا أحمد ورواه مسلم أيضا من حديث عائشة بلفظ ما منكم من أحد إلا ومعه شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ورواه الطبرانى فى الكبير عن أسامة بن شريك ورواه أيضا ابن حبان والبغوي من حديث شريك بن طارق نحوه وقال البغوى لا أعلم له غيره .

الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه الأعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة** » ثم قال : « **ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(١٤١٨) .

وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن رَفَّهَ نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علىَّ أحمد بن حنبل بثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام: « **ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فىِّ امرأته** » (١٤١٩) .

(١٤١٨) (أ) حديث : قال ﷺ : « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » وفى نسخة العراقى يوم من ملك عادل وفى رواية أخرى يوم من أمام عادل. **قال العراقى** : رواه الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه إسحاق بن راهويه فى مسنده بلفظ ستين وفى آخره زيادة وحد يقام فى الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاما .

(ب) حديث : « الا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته » متفق عليه من حديث ابن عمر فى أثناء حديث طويل .

(١٤١٩) حديث : قال ﷺ : « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر فى رفعه اللقمة إلى فىِّ امرأته » كذا فى القوت. **قال العراقى** : رواه البخارى ومسلم من حديث أبى مسعود إذا أنفق الرجل إلى أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد بن أبى وقاص ومهما أنفقته فهو لك صدقة حتى اللقمة التى ترفعها إلى فىِّ امرأتك .اهـ.

قال مرتضى : وحديث أبى مسعود رواه كذلك أحمد والنسائى واسم أبى مسعود عقبة ابن عمرو البدرى .

وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال : وما هو؟ قال: كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم ، قالوا : فما هو؟ قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال ﷺ : « من حَسُنَت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين » (١٤٢٠) .

وفي حديث آخر : « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال » (١٤٢١) .

وفي الحديث : « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهمّ العيال ليكفرها عنه » (١٤٢٢) .

(١٤٢٠) حديث : « من حسنت صلاته وكثرت عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين » كذا في القوت . **قال العراقي** : رواه أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه سمويه في فوائده لكن بتقديم قل ماله على كثر عياله .

(١٤٢١) حديث : « إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال » كذا في القوت. **قال العراقي** : رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : رواه في الزهد بلفظ إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال وإنما كان ضعيفا لأن في سنده حماد بن عيسى وموسى بن عبيدة ضعيفان قال السخاوي لكن له شواهد والمراد بالمتعفف المبالغ في العفة عن السؤال مع وجود الحاجة لطموح بصر بصيرته عن الخلق إلى الخالق وإنما يسأل إن سأل على سبيل التلويح الخفي وقوله أبا العيال يعني بذلك الكافل لهم أبًا كان أوجدًا أو أمًّا أو جدة أو نحو أخ أو ابن عم لكن لما كان القائم على العيال يكون أبا غالبا ذكره وفي ضمنه إشعار بأنه يندب للفقير ندبا مؤكدا أن يظهر التعفف والتحمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستره والله أعلم قال صاحب القوت ومن السنة في ذلك أن الاهتمام في مصالحهم والغم على نوائبهم زيادة في حسناته لأنه عمل من أعماله .

(١٤٢٢) حديث : قال ﷺ : « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالهم ليكفرها » وفي بعض النسخ بهم **قال العراقي** : رواه أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه . اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ أحمد إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه قال المنذري رواته ثقات إلا ليث بن أبي سليم وثقه قوم وضعفه آخرون .

وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الغم بالعيال وفيه أثر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من الذنوب ذنوب لا يكفِّرها إلا الهم بطلب المعيشة» (١٤٢٣) .

وقال ﷺ : « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له»(١٤٢٤) .

(١٤٢٣) حديث : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة ». **قال العراقي** : رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : رواه من طريق يحيى بن بكير عن مالك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال الحافظ ابن حجر إسناده إلى يحيي واه وقال شيخنا الهيثمي فيه محمد بن سلام المصرى قال الذهبى حدث عن يحيى بن بكير بخبر موضوع .اهـ . وورواه كذلك ابن عساكر في تاريخه ولفظهم جميعا إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج قيل وما يكفرها قال: يكفرها الهموم في طلب المعيشة وفي رواية عرق الجبين بدل الهم وروى الديلمي من حديث أبي هريرة أن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم يعني في المعيشة .

(١٤٢٤) حديث : قال ﷺ : « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبته إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » **قال العراقي** : رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عند ابن ماجه بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سنده اختلاف .اهـ.

وقال مرتضى : وروى أحمد وأبو يعلى وأبو الشيخ والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وقام عليهن كان معي في الجنة هكذا وأشار بأصابعه الأربعة وروى الطبراني في الأوسط من حديث جابر من كان له ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات فكفلهن وعالهن وجبت له الجنة قال وثنتين قال وثنتين ، وفي لفظ أيضًا : من كان له ثلاث بنات يكفلهن ويوليهن ويزوجهن وجبت له الجنة قال وثنتين ، قال وثنتين وعند الدارقطني في الإفراد من حديثه من كان له ثلاث بنات يعولهن ويرحمهن فله يمين الجنة وروى أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير من حديث عقبة فيما مر من كان له بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة وروى أحمد والترمذي وابن حبان والضياء من حديث أبي سعيد من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة : « من كان له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وطعامهن وشرابهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن قيل وثنتين قال=

كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أرْوَح لقلبى وأجمع لهمى ثم قال رأيت فى المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون فى الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو المشئوم فيقول الآخر نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك إلى أن مر بى آخرهم وكان غلاما فقلت له : يا هذا من هذا المشئوم الذى تومئون إليه فقال : أنت فقلت : ولم ذاك قال كنا نرفع عملك فى أعمال المجاهدين فى سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين فما ندرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجونى زوجونى فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث، وفى أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على يونس النبى عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فإنى سألت الله تعالى : وقلت ما أنت معاقب لى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفى الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة فى نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه فى بداية الطريق فلا يبعد أن يرى هذا طريقا فى المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله

= وثنتين قيل وواحدة قال وواحدة » وحديث ابن عباس الذى رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق لفظه : « من عال ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى ينفيهن عنه أوجب الله له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له قيل أو اثنتين قال : أو اثنتين وهذا السياق أقرب إلى سياق المصنف .

وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التى لا يتعدى خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية فى أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير فى الباطن وحركة بفكر القلب فى العلوم والمكاشفات فلا ينبغى أن يتزوج لهذا الغرض فإن الرياضة هو مكفى فيها وأما العبادة فى العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح فى الدين التى بها يحكم له بالفضيلة .

أما آفات النكاح فثلاث :

الأولى : وهى أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لا سيما فى هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا فى التوسع للطلب والإطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب فى أمن من ذلك وأما المتزوج ففى الأكثر يدخل فى مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفى الخبر : « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا تبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل فى القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون : يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علّمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه » (١٤٢٥) .

وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه يعنى العيال وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله** » (١٤٢٦) .

(١٤٢٥) حديث : « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهن . . الحديث » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل .اهـ.

وقال مرتضى : أما السؤال عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه وارد فى الأخبار .

(١٤٢٦) حديث : قال ﷺ : « لا يلقى الله تعالى أحد بذنب أعظم من جهالة أهله » **قال العراقى:** ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى سعيد ولم يجده ولده أبو منصور فى مسنده.

فهذه آفة عـامة قل من يتخلص منها إلا من له مال مـوروث أو مكتسب من حلال يفى به وبأهله وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومـقتـدر على كسب حـلال من المباحـات باحتطاب أو اصطياد أو كـان فى صناعة لا تتـعلق بالسلاطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السـلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقـال هو أفضل فى زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأتان فلا ينتهى عنها بالضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى .

الآفـة الثـانيـة : القصور عن القيـام بحقهن والصبر على أخلاقـهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى فى العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفى هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام : « **كفى بالمرء إثما أن يضيِّع من يعول** » (١٤٢٧) .

وروى أن الهارب من عـياله بمنزلة العـبد الهارب الآبق لاتقـبل له صلاة ولا صيـام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القـيام بحقهن وإن كان حاضرا فهو بمنزلـة هارب فقد قال تعالى : ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم : ٦) .

(١٤٢٧) حديث : قـال ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع مـن يعول » هكذا فى القوت والضيـعة التفريط فيما له غناء وثمرة إلى أن لا يكون له غناء ولا ثمـرة وعال اليتيم عولا إذا كفله وقام به **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر . اهـ.

قال مـرتضى : ولم يذكر راويه وهو عبد الله بن عمـرو بن العاص وكذلك رواه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه وأقره الذهبى وقـال فى الروض إسناده صحيح رواه البيهقى وذكر له سببـا وهو أن ابن عمرو كان ببـيت المقدس فأتاه مولى لـه فقال أقيم هنا رمـضان قال هل تركت لأهلك ما يقوتهم قال : لا قال : سمعت النبى ﷺ يقول فذكره ورواه الطبرانى فى الكبيـر عن ابن عمر والدارقطنى فى الأفراد عن ابن مـسعود ومعنى من يقـوت أى من يلزمه قوته وهذا صريح فى وجوب نفقة من يقوت لتعليقه الإثم على تركه لكن إنما يتصور ذلك فى موسر لا معسر فـعلى القادر السعى على عياله لئلا يضيعهم فـمع الخوف على ضياعهم وهو مضـطر إلى الطلب لهم لكن لا يطلب لهم إلا قـدر الكفاية وأمـا لفظ مسلم الذى أشـار له العراقى فهو ما رواه فى كـتاب الزكاة أن ابن عمرو جاءه قهرمانه فـقال أعطيت الرقيق قوتهم قال: لا قال : فـانطلق فاعطهم فإن رسـول الله ﷺ قال: كفى إثما أن تحبس عمن تملك قوته .

أمرنا أن نقيهم النار كما نقى أنفسنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء إن كثرت كثر الأمر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .

لن يسع الفأرة جحرها علقت المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم رحمه الله وقال لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن أي من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال : وهل رأيت ذا عيال أفلح وكان سفيان يقول:

يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن وقَّاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة : وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشئوم على صاحبه ولست أعني بهذا أن يدعوا إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الإغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان في التمتع بهن ويثور من

النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله من تعود أفخاذ النساء لم يجئ منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أي يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ويعرض المريد عليه نفسه فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصين بالعشيرة فلا يماري في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغي أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الأمرين أمر الولد فإن النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجام التقوى رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما وفيه عصيانه وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام إلا أن

يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى العفو أقرب وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

فإن قلت : فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرقًا للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجرى مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل .

فإن قلت : فلمَ ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلمَ استكثر رسولنا ﷺ من الأزواج؟ فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة (١٤٢٨) .

(١٤٢٨) حديث : « كان ﷺ أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح وأعطى من كل منهما الحظ الأوفر ولقد كان مع تسع من النسوة في عصمته وهن سودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وأم حبيبة وجويرية وصفية وميمونة ﷺ » قال البخاري في صحيحه حدثنا مسدد حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس ﷺ قال إن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة هكذا أخرجه في كتاب النكاح وقال في كتاب الغسل=

متخليا لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون فى الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم وكان رسول الله ﷺ لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى : « فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته » (١٤٢٩) .

ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقى ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغى أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى ﷺ فإنه أخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر معها طلب الحلال أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة فآثر التخلى للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم فى طيب المكاسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه، ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح فى بعضها أفضل وتركه فى بعضها أفضل فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل فى كل حال والله أعلم .

* * *

= وهن إحدى عشرة لكن قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه وجمع ابن حبان فى صحيحه بين الروايتين يحمل ذلك على حالتين وقال الحافظ ابن حجر تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليبًا . اهـ.

(١٤٢٩) حديث : « كان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أنس يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها .

الباب الثانى

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أما العقد فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأول : إذن الولى فإن لم يكن فالسلطان .

الثانى : رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن يزوجها غير الأب والجد.

الثالث : حضور شاهدين ظاهرى العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة .

الرابع : إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولى أو وكيلهما .

وأما آدابه : فتقديم الخطبة مع الولى لا فى حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا فى حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١٤٣٠) .

(١٤٣٠) حديث : « نهى رسول الله ﷺ عن الخطبة على الخطبة » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب أو يأذن له .اهـ.

وقال مرتضى : وعن أبى هريرة مرفوعًا نهى أن يبيع حاضر لباد أو تناجشوا أو يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبيع على بيع أخيه الحديث رواه الأئمة الستة من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة وفى رواية للبخارى وغيره ولا تناجشوا وروى مالك والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه ورواه النسائى وابن ماجه أيضا من حديث ابن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث سمرة وروى بزيادة حتى يأذن ورواه الباوردى من حديث وائل بن عمرو بن حبيب السكسكى عن أبيه عن جده وهو هكذا فى بعض روايات مسلم ويروى حتى ينكح أو يترك وهكذا هو عند البخارى والنسائى من حديث الأعرج عن أبى هريرة ويروى إلا أن يأذن له رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والنسائى من حديث ابن عمر وهو فى بعض روايات مسلم وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه=

ومن آدابه : الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المُزَوِج : الحمد لله والصلاة على رسول الله ، زوجتك ابنتي فلانة، ويقول الزوج: الحمد لله والصلاة على رسول الله، قبلت نكاحها على هذا الصداق.

وليكن الصداق معلوما خفيفا، والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب .

ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أحرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما .

ومن الآداب : إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوى بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التى ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد فى المسجد وفى شهر شوال قالت عائشة ﵂: **«تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال»** (١٤٣١).

= ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر ورواه البيهقى فى السنن وقال فيه حتى يذر فى كل من الجملتين.

(١٤٣١) حديث : عائشة ﵂ قالت : « تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى بى فى شوال » **قال العراقى :** رواه مسلم .اهـ. ونقله ابن الصلاح وكذلك نقله النووى فى شرح مسلم عن الأصحاب ويروى أنها كانت تأمر النساء بذلك وكانت تقول أيكن أحظى منى تشير إلى حظوتها برسول الله ﷺ وقد أخرج ابن عبد البر فى التمهيد من حديثها قالت : تزوج بى رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست أو سبع وبنى بى وأنا ابنة تسع سنين هكذا رواه هشام بن عروة عن أبيه عنها قال : وفى رواية الأسود عنها أن رسول الله ﷺ تزوجها وهى ابنة تسع سنين وقال عبد الله بن محمد بن عقيل تزوجها وهى بنت عشر سنين قال ابن عبد البر هذا أكثر ما قيل فى سنها حين نكاحها قال: ويحمل هذا القول عندنا على البناء بها ورواية هشام ابن عروة أصح ما قيل فى ذلك من جهة النقل والله أعلم .

وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان :

أحدهما : للحل .

والثاني: لطيب المعيشة وحصول المقاصد .

النوع الأول : ما يعتبر فيها للحل : وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر :

الأول : أن تكون منكوحة للغير .

الثاني : أن تكون معتدة للغير سواء كان عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت فى استبراء وطء عن ملك يمين .

الثالث : أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر .

الرابع : أن تكون مجوسية .

الخامس : أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبى وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده .

السادس : أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله ﷺ ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدمت كلتا الخصلتين لم يحل نكاحها وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف .

السابع : أن تكون رقيقة والناكح حرا قادرا على طول الحرة أو غير خائف من العنت .

الثامن : أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للناكح ملك يمين .

التاسع : أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أو فصوله أو فصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعنى بالأصول الأمهات والجدات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن .

العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم .

الحادى عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أوجدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل أو وطئهن بالشبهة فى عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبه عقد فمجرد العقد علي المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل .

الثانى عشر : أن تكون المنكوحة خامسة أى يكون تحت الناكح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة فإن كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة .

الثالث عشر : أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما .

الرابع عشر : أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثا فهى لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح .

الخامس عشر : أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبدا بعد اللعان .

السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل .

السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ .

الثامن عشر : أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ :

التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله ﷺ ممن توفى عنها أو دخل بها فانهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد فى زماننا فهذه هى الموانع المحرمة .

أما الخصال المطيبة للعيش التى لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة .

الأولـى : أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذى جاء إلى رسول الله ﷺ «**وقال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال إني أحبها قال أمسكها**»(١٤٣٢) .

وإنما أمره بإمساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (التحريم : ٦) .

وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله ﷺ في التحريض على ذات الدين فقال : «**تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك**»(١٤٣٣) .

(١٤٣٢) حديث : «الرجل الذى جاء إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله لي امرأة لا ترد يد لامس» أى لا تمنع منه واللمس أعم من الغمز «قال : طلقها» أى فارقها بالطلاق «قال : أحبها» أى لجمالها «قال: أمسكها» **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس قال النسائي ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال حديث منكر وذكره ابن الجوزى في الموضوعات .

(١٤٣٣) حديث : قال ﷺ : «تنكح المرأة لمالها ولجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك» . **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي هريرة .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه في النكاح وقد عد جمع هذا الحديث من جوامع الكلم ثم إن سياقهم جميعا : تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك .

(تنبيه) : قال الماوردى إن كان عقد لأجل المال وكان أقوى الدواعي إليه فالمال إذا هو=

وفي حديث آخر : « من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » (١٤٣٤) .

وقال ﷺ : « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها ولعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها » (١٤٣٥) .

وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونا علي الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له .

= المنكوح فإن اقترن بذلك أحد الأسباب الباعثة على الائتلاف جاز أن يثبت العقد وتدوم الألفة وأن تجرد عن غيره فاخلق بالعقد أن ينحل وبالألفة أن تزول سيما إذا غلب الطمع وقل الوفاء وإن كان العقد رغبة في الجمال فذلك أدوم ألفة من المال لأن الجمال صفة لازمة والمال صفة زائلة فإن سلم الجمال من الإدلال المفضى للملل دامت الألفة واستحكمت الوصلة وقد كرهوا الجمال البارع لما يحدث عنه من شدة الإدلال المؤدى إلى قبضة الإذلال والله أعلم .

(١٤٣٤) حديث : قال ﷺ : « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها » كذا في القوت **وقال العراقي:** رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه ابن حبان في الضعفاء اهـ.

وقال مرتضى: ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه إلا أنه قال ويصل رحمه كان ذلك منه وبورك له فيها وبارك الله لها فيه .

(١٤٣٥) حديث :قال ﷺ : « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها » **قال العراقي :** رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

وقال مرتضى: لفظ ابن ماجه لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي بلفظ لا تنكحوا النساء لحسنهن والباقي سواء وعن سعيد بن منصور في السنن بلفظ لا تنكحوا المرأة لحسنها فعسى حسنها أن يرديها ولا تنكحوا المرأة لمالها فعسى مالها أن يطغيها وانكحوها لدينها فلأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل من امرأة حسناء ولا دين لها .

الثانية : حسن الخلق وذلك أصل مهم فى طلب الفراغة والاستعانة على الدين فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة . أما الأنانة فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح المراضة أو نكاح المتمارضة لا خير فيه ، المنانة التى تمنّ على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضا مما يجب اجتنابه ، والحداقة التى ترمى إلى كل شىء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه ؛ والبراقة تحتمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شىء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبى الطعام إذا غضب عنده ، والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام : « **إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين** » (١٤٣٦) .

وحكى أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام فى سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز ، فأما المختلعة فهى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب ، والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا ، والعاهرة الفاسقة التى تعرف بخليل وخدن وهى التى قال الله تعالى : ﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ (النساء : ٢٥) ، والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال والنشز العالى من الأرض .

وكان على رضي الله عنه يقول : شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد

(١٤٣٦) حديث : قال ﷺ : « إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين » **قال العراقى** : روى الترمذى وحسنه من حديث جابر «وأن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » ولأبى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمر أن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها .

بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح .

الثـالـثـة : حسن الوجـه فذلك أيضا مطلوب إذ به يحـصل التحصـن والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبًا كيف والغـالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالهـا ليس زاجرا عن رعاية الجمال بل هو زجـر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفســاد فى الدين فإن الجـمال وحده فى غـالب الأمر يرغب فى النكاح ويهـون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى مـعنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالبـا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال : « **إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فينظر إليها فـإنه أحرى أن يؤدم بينهما** » (١٤٣٧) . أى يؤلف بينهما من وقـوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للمبالغة فى الائتلاف .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن فى أعين الأنصار شينا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن**»(١٤٣٨) .

(١٤٣٧) حديث : « إذا أوقع الله فى نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما»، **قال العراقى** : رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فإنه أحرى وللترمـذى وحسنه والنسائى وابن ماجـه من حديث المغيرة بن شـعبة أنه خطب امرأة فـقال له النبى ﷺ انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما .اهـ.

قال مرتضى : وأورد صاحب القوت قبل هذا الحديث ما نصه وإن نظر إلى وجهها مثل التزويج أو إلى ما يدعوه إليه منها فـلا بأس بذلك فقد روينا جواز ذلك عن العلماء وعن زيد ابن أسلم فى قـوله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قال الوجـه والكفين وفى ذلك أخبار مأثورة منها حديث محمد بـن مسلمة قال: رأيته يتطارد بنظره فتاة من الحى حتى توارت فى النخل فـقلنا لم تفعل هذا وأنت من أصـحاب رسول الله ﷺ فـقال رسـول الله أمرنا بذلك فقال إذا أوقع الله فى قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إليها منها ما يدعوه إليها .اهـ .

(١٤٣٨) حديث : قال ﷺ : « إن فى أعين الأنصار شينًا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة نحوه . اهـ.

قال مرتضى : زاد صاحب القوت وفى لفظ آخر فليغض بصره.

قيل كان في أعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من القبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر ﷺ وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهيبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما من أنتما فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فإن تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسبحان الله فقالوا : بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال اسكت فقد صدقت افنكحك الصدق ، والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والإغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قد يعين علي الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة

الطرف عليه فهى على صورة الحور العين فإن اللـه تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة فى قوله : ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن : ٧٠) .

أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفى قوله : ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ (الرحمن : ٥٦) .

وفى قوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٧) .

العروب هى العاشقة لزوجها المشتهـية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله** » (١٤٣٩) .

وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج .

الرابعة : أن تكون خفيفة المهر . قال رسول الله ﷺ : «**خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا** » (١٤٤٠) .

(١٤٣٩) حديث : قال ﷺ : « خير نسائكم التى إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه النسائى من حديث أبى هريرة نحوه بسند صحيح وقال : ولا تخالفه فى نفسـها ولا مالها وعند أحمد فى نفسها وماله ولأبى داود نحوه من حديث ابن عباس .اهـ .

وقال مرتضى : لفظ أحمد خير النساء التى تسـره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فى نفسهـا ولا ماله بما يكره وهكذا رواه النسـائى والحاكم وعند الطبرانى فى الكبـير من حديث عبـد الله بن سلام خير النسـاء من تسرك إذا أبصرت وتطيـعك إذا أمرت وتحفظ غيـبتك فى نفسها ومالك .

(١٤٤٠) حديث : قال ﷺ : « خير النساء أحسـنهن وجوها وأرخصهن مهورا » **قال العـراقى** : رواه ابن حبان من حديث ابن عـباس خيرهن أيسرهن صداقًا ولـه من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صـداقها وروى أبو عمر النوقانى فى كتـاب معاشرة الأهلين أن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهرا .اهـ.

=

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢١

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وقد نهى عن المغالاة فى المهر(١٤٤١).

« تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف » (١٤٤٢).

« وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير » (١٤٤٣).

« وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق » (١٤٤٤)

« وكان عمر ﷺ ينهى عن المغالاة فى الصداق ويقول ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم » (١٤٤٥).

= وقال مرتضى: ومما يدل لحديث عائشة حديث عقبة بن عامر عند أبى داود والديلمى خير النكاح أيسره فإنه يحتمل المعنيين المذكورين فى حديث عائشة أقله مهرا وأسهله إجابة وحديث ابن عباس أخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير.

(١٤٤١) حديث : « نهى رسول الله ﷺ عن المغالاة فى المهر » رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفًا على عمر وصححه الترمذى.

(١٤٤٢) حديث : « تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث البيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من أدم حشوها ليف » أى داخلها محشو بليف النخل كذا هو فى القوت. **قال العراقى** : رواه أبو داود والطيالسى والبزار من حديث أنس تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البزار ورأيته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحي قيمته أربعون درهمًا ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصحح إسناده وابن حبان مختصرا .اهـ.

(١٤٤٣) حديث: « أولم ﷺ على بعض نسائه بمدين من شعير » رواه البخارى من حديث عائشة.

(١٤٤٤) حديث : « أولم ﷺ على أخرى بمدى تمر ومدى سويق » كذا فى القوت **قال العراقى** : روى الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجىء بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس فى شىء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين .

(١٤٤٥) حديث: عمر بن الخطاب يقول : « ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم » كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح .

ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ . وقد « **تزوج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم** »(١٤٤٦) .

وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضي الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به (١٤٤٧) .

(١٤٤٦) حديث : « تزوج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم » ولفظ القوت وروينا عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت مهور أصحاب رسول الله ﷺ اثنتى عشرة أوقية ونصفا وقد كان يزوج أصحابه على وزن نواة من ذهب والنواة عندنا صغيرة وهى نواة التمر الصيحانية يقال قيمتها خمسة دراهم وفى خبر: زوج رسول الله ﷺ بعض أصحابه على نواة من ذهب قومت ثلاثة دراهم .اهـ. **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك تقويمها بخمسة دراهم رواه البيهقى.اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخارى فى البيوع وفى النكاح ولفظه فقال مهيم يا عبد الرحمن فقال تزوجت البارحة قال : فما سقت لها قال وزن نواة من ذهب قال أولم ولو بشاة.

(١٤٤٧) حديث : « زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة على درهمين ثم حملها إليه فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها » نقله صاحب القوت ، ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس به ، ولفظ القوت ولا أكره التزويج على عشرة دراهم وهو أكثر الاستحباب فى القلة ليخرج بذلك من اختلاف العلماء ولا استحب أن ينقص المهر من ثلاثة دراهم وهذا هو القول الأوسط من مذاهب فقهاء الحجاز.اهـ. وقوله للخروج من خلاف العلماء يشير إلى أنهم قد اختلفوا فى تعيين المهر فقال مالك مقدر بربع دينار أو ثلاثة دراهم وقال ابن شبرمة أقله خمسة دراهم وقال : إبراهيم النخعى أقله أربعون درهما وعنه عشرون درهمًا وقال سعيد بن جبير أقله خمسون درهمًا وقال الشافعى وأحمد ما جاز أن يكون ثمنًا جاز أن يكون مهراً وقال أبو حنيفة أقله عشرة دراهم سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة حتى يجوز وزن عشرة تبراً وإن كانت قيمته أقل بخلاف نصاب السرقة وقال بعض الظاهرية ما جاز أن يملك بالهبة أو بالميراث جاز أن يكون صداقا وإن لم يصلح ثمنًا فى البيع كحب حنطه أو شعير ودليل أبى حنيفة حديث جابر لا مهر أقل من عشرة دراهم رواه الدارقطنى وفيه بشر بن عبيد وحجاج بن أرطاة وهما ضعيفان عند المحدثين لكن البيهقى رواه من طرق وضعفها والضعيف إذا روى من طرق يصير فى عداد ما يحتج به ذكره النووى فى شرح المهذب وحديث على موقوفا عليه أقل ما تستحل به المرأة عشرة دراهم رواه البيهقى وابن عبد البر والكلام على صحيح الفريقين نفيا وإثباتا مبسوط فى كتب الفروع .

وفى الخبر : « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها - أى الولادة - ويسر مهرها» (١٤٤٨) .

وقال أيضا : « أبركهن أقلهن مهرا » (١٤٤٩) .

وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغى أن ينكح طمعا فى المال قال الثورى إذا تزوج وقال أى شىء للمرأة فاعلم أنه لص وإذا أهدى إليهم فلا ينبغى أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادى فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام : « تهادوا تحابوا » (١٤٥٠) .

(١٤٤٨) حديث : قال ﷺ : « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أى الولادة ويسر مهرها » كذا فى القوت وزاد فقال وقال عروة وأقول إن من شؤمها كثرة صداقها **قال العراقى:** رواه أحمد والبيهقى من حديث عائشة من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة وإسناده جيد .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم وقال على شرط مسلم وأقره الذهبى وفى رواية لهم بلفظ أن من يمن المرأة وعند أبى نعيم فى الحلية من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وقال الهيثمى فى مسند أحمد أسامة بن زيد بن أسلم بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات .

(١٤٤٩) حديث : قال ﷺ : « أبركهن أقلهن مهرًا » كذا فى القوت **قال العراقى :** رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث عائشة أن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوهًا وأقلهن مهرًا وقد تقدم ولأحمد والبيهقى أن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا وإسناده جيد . اهـ.

وقال مرتضى : ويروى أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة وفى لفظ مهوراً وقد رواه الحاكم كذلك وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى .

(١٤٥٠) حديث : قال ﷺ : « تهادوا تحابوا » قال الحافظ تبعًا للحاكم إن كان بالتشديد فمن المحبة وإن كان بالتخفيف فمن المحاباة ويشهد للأول الخبر الآخر تهادوا تزدادوا حبا **قال العراقى :** رواه البخارى فى الأدب المفرد والبيهقى من حديث أبى هريرة بسند جيد .اهـ.

وقال مرتضى : وقال الحافظ سنده حسن وقد رواه كذلك أبو يعلى والنسائى فى الكنى ويروى بزيادة وتصافحوا يذهب عنكم الغل رواه ابن عساكر ورواه أحمد والترمذى بلفظ =

وأما طلب الزيادة فداخل فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ (المدثر : ٦) .

أى تعطى لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾ (الروم : ٣٩) .

فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن فى الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة فى النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح .

الخامسة : أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام : « **عليكم بالولود الودود**»(١٤٥١)

= تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر الحديث وفيه أبو بشر ضعيف ورواه الطبرانى عن حديث عائشة بزيادة وهاجروا تورثوا أبناءكم مجدا . . . الحديث وعند ابن عساكر هكذا إلا أنه قال تزدادوا حبًا بدل تحابوا وعند القضاعى فإن الهدية تذهب بالضغائن ويروى عن أنس بلفظ تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة الحديث وعند الطبراني قبل السخيمة وتورث المودة فى الله الحديث وحديث أبى هريرة أخرجه أيضا الطيالسى وابن عدى وحديث عائشة أخرجه أيضا الحربى فى الهدايا والعسكرى فى الأمثال وفى الباب عن عبد الله بن عمرو رواه الحاكم فى علوم الحديث وعن أم حكيم بنت وداع رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير والديلمى والبيهقى فى الشعب وعن ابن عمر رواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب وعن عطاء الخراسانى رفعه مرسلاً رواه مالك فى آخر الموطأ والفاظ الكل مختلفة وقد أشرنا إلى بعضها والله الموفق .

(تنبيه) : أمرنا بدوام المهاداة ندبًا لتتزايد المحبة بين المؤمنين فإن الشيء متى لم يزدد دخله النقصان على مر الزمان ويحتمل ازدياد الحب عند الله تعالى لمحبتهم بعضهم بعضًا بقرينة خبر إن المتحابين فى الله على منابر من نور والله أعلم .

(١٤٥١) حديث : قال ﷺ : « عليكم بالولود الودود » **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار تزوجوا الولود الودود وإسناده صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : روياه فى النكاح بلفظ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها فنهاه وقال الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم ورواه الطبرانى من حديث أنس ورجاله ثقات والودود هى المتحببة إلى زوجها بنحو تلطف فى الخطاب وكثرة الخدمة وأدب وبشاشة وإنما قيد فى الحديث بقيدين لأن الولود إذا لم تكن ودود لا يرغب الرجل فيها والودود غير الولود لا تحصل المقصود .

فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فإنها تكون ولودا فى الغالب مع هذين الوصفين .

السادسة: أن تكون بكرا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا : « **هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك** » (١٤٥٢) .

وفى البكارة ثلاث فوائد :

إحداها : أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر فى معنى الود وقد قال ﷺ : «عليكم بالودود » والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف ، وأما التى اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التى تخالف ما ألفته فتقلى الزوج .

ثانيها : أن ذلك أكمل فى مودته لها فإن الطبع ينفر عن التى مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع فى هذا أشد نفورا .

ثالثها : أنها لا تحن إلى الزوج الأول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا .

السابعة : أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربى بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام : « **إياكم وخضراء**

(١٤٥٢) حديث : قال ﷺ لجابر وقد نكح ثيبًا : «هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك» **قال العراقى:** متفق عليه من حديث جابر .اهـ.

وقال مرتضى : أورده البخارى فى البيوع والاستقراض والشروط والجهاد والنكاح مطولاً ومختصراً قال له ما يعجلك قلت حديث عهد بعرس قال بكرًا أم ثيبًا قلت ثيب قال فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك . . . . الحديث وعند الطبرانى من حديث كعب بن عجرة أنه ﷺ قال لرجل فذكر الحديث نحو حديث جابر وفيه وتعضها وتعضك وكلمة هلا للتحضيض واسم امرأة جابر المذكور سلمة بنت مسعود الانصارية قاله ابن سعد وروى البخارى أيضا من حديثه قال تزوجت فقال لى رسول الله ﷺ أمالك وللعذارى ولعابها هكذا روى بالكسر وهو مصدر من الملاعبة فهى بمعنى الأول وفى رواية المستملى ولعابها بالضم والمراد به الريق وفيه إشارة إلى مص لسانها أو رشف شفتها وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل وليس ببعيد كما قاله القرطبى ويؤيده أنه بمعنى آخر غير المعنى الأول .

الدمن فقيل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء » (١٤٥٣).

وقال عليه السلام: «تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع » (١٤٥٤).

الثامنة : أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال ﷺ : « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا»(١٤٥٥).

(١٤٥٣) حديث : قال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء » الدمن جمع دمنة كسدرة وسدر وهى آثار الناس وما سودوه والخضراء هى النبات الذى ينبت فيها وتسمية تلك الحسناء بها من باب التشبيه وضرب المثل **قال العراقى** : رواه الدارقطنى فى الأفراد والرمهرمزى فى الأمثال من حديث أبى سعيد الخدرى قال الدارقطنى تفرد به الواقدى وهو ضعيف .

(١٤٥٤) حديث : قال ﷺ : « تخيروا » أى تكلفوا طلب ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها عن الخبث والفجور ذكره الزمخشرى «لنطفكم» أى لا تضعوها إلا فى أصل طاهر «فإن العرق نزاع» أن ينزع إلى أصل أمه وطباعها قيل ويدخل فيه تخير المرضعة فى أصلها وأهلها وخلقها **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصراً دون قوله فإن العرق نزاع وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا فى المجد الصالح فإن العرق دساس وروى أبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق جساس وكلها ضعيفة .اهـ.

وقال مرتضى : وظهر من سياقه أن الحديث مركب من حديثين الجملة الأولى منه عند ابن ماجه والثانية بلفظ دساس وجساس عند من ذكر ولم يورد شاهداً لقوله نزاع وابن ماجه قد رواه بزيادة فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم وكذلك رواه أيضا الحاكم والبيهقى وعند ابن عدى وابن عساكر بزيادة فإن النساء يلدن أشباه أخوانهن وأخواتهن وفى الحلية لأبى نعيم من حديث أنس بزيادة واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشره وروي البيهقى من حديث ابن عباس الناس معادن والعرق دساس وأدب السوء كعرق السوء .

(١٤٥٥) حديث : « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلف ضاويًا» أصله ضاووى ووزنه فاعول «أى نحيفا» قليل الجسم وجارية ضاوية كذلك كذا فى الصحاح قال ابن الصلاح لم أجد لهذا الحديث أصلا معتمدا **قال العراقى** : إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا فى النزائع رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب وقال ويقال اغتربوا لا تضووا وللطبرانى من حديث طلحة بن عبد الله الناكح فى قومه كالمعشب فى داره وفى إسناده سليمان بن أيوب الطلحى قال ابن عدى عامة أحاديثه لا يتابعه عليها أحد ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده وقال أحاديثه عندى صحاح ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة .اهـ.

=

أى نحيفا وذلك لتأثيره فى تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد فأما المعهود الذى دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هى الخصال المرغبة فى النساء ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خُلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها أو كان لا يكافئها فى نسبها قال عليه السلام : **«النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته»** (١٤٥٦) .

والاحتياط فى حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة فممن أزوجها ؟ قال : ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام : **« من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها »** (١٤٥٧) .

* * *

= **وقال مرتضى** : وفى الصحاح للجوهرى فى الحديث اغتربوا لا تضووا أى تزوجوا فى الأجنبيات ولا تتزوجوا فى العمومة وذلك أن العرب تزعم أن ولد الرجل من قرابته يجىء ضاويا نحيفا غير أنه يجىء كريما على طبع قومه قال الشاعر :

ذاك عبيد قد أصاب ميا يا ليته ألحقها صبيا فحملت فولدت ضاويا .اهـ.

وما رواه إبراهيم الحربى رواه أبو نعيم فى فضل النفقة على البنات كذا بخط الحافظ ابن حجر قال المصنف فى سبب الضوى .

(١٤٥٦) حديث : قال ﷺ : « النكاح رق » أى بمنزلته وقد ورد فى الخبر تعبيرهن بالعوانى هن الأسارى «فلينظر أحدكم أين يضع كريمته» **قال العراقى** : رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق قال البيهقى وروى ذلك مرفوعًا والموقوف أصح . اهـ.

(١٤٥٧) حديث : قال ﷺ : « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها » **قال العراقى** : رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ورواه فى الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح .اهـ.

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

الباب الثالث

فى آداب المعاشرة وما يجرى فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثنى عشر أمرا فى الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب فى النشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق .

الأدب الأول : الوليمة :

وهى مستحبة قال أنس رضي الله عنه : رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال : « **بارك الله لك أولم ولو بشاة** » (١٤٥٨) .

« **وأولم رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق** » (١٤٥٩) .

(١٤٥٨) حديث: أنس رضي الله عنه : « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال ما هذا قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال : بارك الله لك أولم ولو بشاة » رواه البخارى فى النكاح حدثنا محمد بن كثير عن سفيان عن حميد قال سمعت أنس بن مالك قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى وعند الأنصارى امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال : بارك الله لك فى أهلك ومالك دلونى على السوق فأتى السوق فربح شيئًا من أقط وشيئا من سمن فرآه النبى ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال : مهيم فقال : تزوجت قال فما سقت قال وزن نواة من ذهب قال أولم ولو بشاة وأخرجه أيضا فى البيوع ورواه مسلم كذلك ورواه البخارى فى باب كيف يدعى للمتزوج من حديث أنس بلفظ المصنف وروى أيضا فى باب الصفرة للمتزوج بلفظ وبه أثر صفرة .

(١٤٥٩) حديث : « أولم رسول الله ﷺ على صفية بنت حيى بن أخطب بسويق وتمر» رواه الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم .

وقال ﷺ : «طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمَّع سمَّع الله به» (١٤٦٠) ولم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب .

وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » (١٤٦١) وروى أبو هريرة ﷺ أنه عليه السلام أمر بذلك .

ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام : «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت»(١٤٦٢) .

(١٤٦٠) حديث : قال ﷺ : « طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة » فلا تجب له الإجابة مطلقًا وقيل تجب إن لم يدع فى الأول أو دعى وامتنع لعذر ودعى فى الثانية ورجحه من الشافعية الأذرعى «وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به» فتكره الإجابة إليه تنزيهًا وقيل تحريما قال النووى إذا أولم ثلاثا فالإجابة فى اليوم الثالث مكروهة وفى الثانى لا تجب قطعًا ولا يكون ندبها فيه كندبها فى اليوم الأول . اهـ. وتعدد الأوقات كتعدد الأيام وقال العمرانى إنما تكره إذا كان المدعو فى الثالث هو المدعو فى الأول وكذا صوره الرويانى ووجهه بأن اطلاق كونه رياء يشعر بأن ذلك صنع للمباهاة والفخر وإذا كثر الناس فدعا كل يوم فرقة فلا مباهاة وقد تقدم ذلك فى كتاب آداب الأكل والحديث أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وضعفه وقال : لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب، لفظ الترمذى وهو ضعيف كثير المناكير والغرائب .اهـ. وتبعه عليه عبد الحق فى الأحكام جازمًا به وأعله ابن القطان بعلة أخرى وهى عطاء بن السائب فإنه مختلط وقال الحافظ سماعه من عطاء بعد الاختلاط وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس طعام يوم فى العرس سنة وطعام يومين فضل وطعام ثلاثة أيام رياء وسمعة وسنده ضعيف .

(١٤٦١) حديث : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير» وروى أبو هريرة ﷺ أنه ﷺ قال ذلك، رواه أبو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وقد تقدم فى كتاب الدعوات فيستحب الدعاء للزوجين بالبركة بعد العقد فيقال بارك الله لك كما عند البخارى من حديث أنس وبارك عليك الله وجمع بينكما فى خير كما فى الترمذى وقال حسن صحيح ويكره أن يقال بالرفاء والبنين لأنه من ألفاظ الجاهلية .

(١٤٦٢) حديث :قال ﷺ : « فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت » **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبغوى والطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى وأبو نعيم في المعرفة ولفظهم جميعًا ضرب الدف والصوت فى النكاح ومحمد بن حاطب صحابى جمحى والدف بالضم ويفتح والمراد بالصوت اعلانه باضطراب الأصوات فيه وذكر الله تعالى وبعض الناس يذهب به إلى السماع .

وقال رسول الله ﷺ : « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف » (١٤٦٣) .

وعن الربيع بنت معوذ قالت : « جاء رسول الله ﷺ فدخل عليَّ غداة بنى بى فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما فى غد ، فقال لها : اسكتى عن هذه وقولى الذى كنت تقولين قبلها » (١٤٦٤) .

الأدب الثانى : حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء : ١٩) .

(١٤٦٣) حديث : قال ﷺ : « اعلنوا هذا النكاح » أى اظهروه إظهاراً للسرور فرقا بينه وبين غيره من المآدب وليس المراد الوطء هنا بدليل تعقيبه بقوله : «واجعلوه فى المساجد» مبالغة فى إظهاره وإشهاره فإنها أعظم محافل أهل الخير والفضل «واضربوا عليه بالدفوف» جمع دف وهو ما يضرب لحادث سرور أو لعب **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى .اهـ.

وقال مرتضى : رواه الترمذى من طريق عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة وقال عيسى هذا ضعيف .اهـ. **فقول العراقى** وحسنه فيه نظر وجزم البيهقى بضعفه وقال ابن الجوزى ضعيف جدا وقال الحافظ فى الفتح سنده ضعيف وقال فى تخريج الهداية ضعيف لكن توبع عند ابن ماجه .اهـ. وقد روى عن عبد الله بن الزبير مرفوعا اعلنوا النكاح وهكذا رواه أحمد وابن حبّان والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والبيهقي تفرد به عامر عن أبيه .

(١٤٦٤) حديث : الربيع بنت معوذ ﵂ قالت : «جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بُنى بى فجلس على فراشي وجويريات يضربن بدفهن ويندبن من قتل إلى أن قالت إحداهن: وفينا نبى يعلم ما فى غد، فقال: اسكتى عن هذه وقولى ما كنت تقولين قبلها » **قال العراقى**: رواه البخارى وقال يوم بدر ووقع فى بعض نسخ الأحياء يوم بعاث وهو وهم .اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخاري فى غزوة بدر وفى النكاح قال : فى كتاب النكاح باب ضرب الدف فى النكاح والوليمة حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء جاء النبى ﷺ فدخل حين بُنى على فجلس على فراشي كمجلسك منى فجعلت جويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال : دعى هذه المقالة وقولى بالذى كنت تقولين . اهـ.

وقال فى تعظيم حقهن : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء : ٢١).

وقال : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ (النساء : ٣٦) قيل هى المرأة .

وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول : « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون .. الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم – يعنى أسراء – أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»(١٤٦٥) .

وقال عليه السلام : « **من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون**»(١٤٦٦) .

(١٤٦٥) حديث : قال ﷺ : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم يعني أسرى أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » هكذا أورده صاحب القوت بتمامه **قال العراقى** : رواه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبى ﷺ وهو فى الموت جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان فى حجة الوداع رواه مسلم فى حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله .... الحديث .اهـ .

وقال مرتضى: وروى ابن سعد والطبرانى فى الكبير من حديث كعب بن مالك الله الله فيما ملكت أيمانكم البسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول وروى البخاري فى الأدب المفرد من حديث على: اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعند الخطيب من حديث أم سلمة اتقوا الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة وروى البيهقى فى السنن من حديث أنس اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فى الضعيفين المرأة الأرملة والصبى اليتيم وأما الذى فى حديث جابر الطويل عند مسلم وغيره فاتقوا الله فى النساء فإنكم اخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غيرمبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستحللتم فروجهن بكلمة الله قيل هى قوله تعالى : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وقيل بإباحة الله المنزلة فى كتابه التزويج وإذنه فيه وقيل بكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يحل لمن كان مشركا أن يتزوج مسلمة .

(١٤٦٦) حديث : « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه=

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد « **كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل** » (١٤٦٧).

« **وراجعت امرأة عمر ﷺ عمر في الكلام فقال : أتراجعيني يالكعاء فقالت : إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر : خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة**» (١٤٦٨).

= السلام علي بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ما أعطى آسية امرأة فرعون » **قال العراقي** : لم أقف له على أصل .

(١٤٦٧) حديث : « كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل » كذا في القوت **قال العراقي** : متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب في الحديث الطويل في قوله وإن تظاهرا عليه.

(١٤٦٨) حديث : « راجعت امرأة عمر عمر ﷺ في الكلام فقال لها : أتراجعيني يالكعاء ، فقالت: إن أزواج رسول الله ﷺ راجعنه وهوخير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت أي إن راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة أبي قحافة » يعني عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة ينسبها لجدها « فإنها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة » **قال العراقي** : هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله يالكعاء ولا قولها هو خير منك وروى البخاري عن ابن عباس عن عمر ﷺ أنه دخل على حفصة فقال يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة قال عمر فقصصت علي رسول الله ﷺ فتبسم وقال في باب موعظة الرجل ابنته وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من آداب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت ولم تنكر أن أراجعك فوالله أن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وأن أحداهن لتهجره اليوم حتي الليل فأفزعني ذلك فقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت على ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أى حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل قالت : نعم فقلت : قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة .

وروى أنه دفعت إحداهن فى صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك (١٤٦٩).

« وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ : تكلمين أو أتكلم فقالت : بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال يا عدية نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبى ﷺ لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا » (١٤٧٠).

وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده **« أنت الذى تزعم أنك نبى الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما »** (١٤٧١).

وكان يقول لها **« إنى لأعرف غضبك من رضاك قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت : لا وإله إبراهيم قالت: صدقت إنما أهجر اسمك»**(١٤٧٢).

(١٤٦٩) حديث : « دفعت أحداهن » أى من الزوجات « فى صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها فقال ﷺ دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك » نقله صاحب القوت **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .

(١٤٧٠) حديث : « جرى بينه ﷺ وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكمًا » يحكم فى القضية « واستشهده » أى طلب منه أن يشهد « فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أنت أو أتكلم فقالت : بل تكلم أنت ولا تقول إلا حقا فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى دمى فمها» أى خرج الدم من فمها « وقال يا عدية نفسها » تصغير عدوة « أو يقول غير الحق فاستجارت عائشة برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبى ﷺ لم ندعك لهذا أو قال لم نرد منك هذا » نقله صاحب القوت **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الأوسط والخطيب فى التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف .

(١٤٧١) حديث: عائشة رضي الله عنها قالت له مرة فى كلام غضبت عنده : « أنت الذى تزعم أنك نبى الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك منها حلما وكرما » نقله صاحب القوت **وقال العراقى:** رواه أبو يعلى فى مسنده وأبو الشيخ فى كتاب الأمثال من حديث عائشة بسند ضعيف .

(١٤٧٢) حديث : كان ﷺ يقول لعائشة: « إنى لأعرف غضبك علىّ من رضاك قالت: وكيف تعرفه؟ قال: إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت : لا وإله إبراهيم قالت: صدقت إنما أهجر اسمك» هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** متفق عليه من حديثها .اهـ. =

ويقال: « إن أول حب وقع فى الإسلام حب النبى ﷺ لعائشة ﵂ » (١٤٧٣) .

وكان يقول لها « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك » (١٤٧٤) .

وكان يقـول لنسائه : « لا تؤذونى فى عائشة فـإنه والله ما نزل علىّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها»(١٤٧٥) .

= **وقال مـرتضى :** أخرجه البخارى فى النكاح ومسلم فـى الفضائل ولفظ البخارى حدثنا عبيد بن إسمـاعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عـائشة ﵂ قالت قال لى رسول الله ﷺ إنى لأعلم إذا كنت علىّ راضـية وإذا كـنت علىّ غضـبى قالت : فـقلت من أين تعرف ذلك فقـال : أما إذا كنت عنى راضية فـإنك تقولين لا ورب محمـد وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم قالت : قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك .اهـ.

(١٤٧٣) حديث : « إن أول حب وقع فـى الإسلام حب النبى ﷺ عائشـة ﵂ » أما كـونه كان يحبها فقد ثبت ذلك فى أخبار منهـا فى المتفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال: أى الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة .... الحديث وأما كونه أول فقد **قال العراقى :** رواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما فى الحديث الآخر أن ابن الزبيـر أول مولود ولد فى الإسـلام يريد بالمدينة وإلا فمـحبـة النبى ﷺ لخديجـة أمر معروف تشهد له الأحاديث الصحيحة .

(١٤٧٤) حديث : كان ﷺ يقول لعائشة ﵂ : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » وفيه تطييب لنفسها وإيضاح لحسن مـعاشرته لها« غير أنى لا أطلقك » اسـتثنى الحالة المكروهة تطييبًـا لها وطمأنينة لقلبها ودفـعًا لإيهام عموم التـشبيه بجملة أحـوال أبى زرع إذ لم يكن فيه ما تذمـه النساء سوى ذلك. **قال العراقى:** هو متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب اهـ.

وقال مـرتضى : ورواه بهذه الزيادة أيضا اسماعـيل بن أويس ولفظ الزبير إلا أنه طلقها وأنا لاأطلقك وفى رواية الهـيثم بن عدى بـعد قوله أم زرع فى الألفـة والوفاء لا فى الفـرقة والجلاء وفى سنن النسائى ومـعجم الطبرانى قالت عائشة يا رسـول الله بل أنت خير من أبى زرع لأم زرع وفى رواية الزبيـر بأبى وأمى لأنت خير لى مـن أبى زرع لأم زرع وهذا الحديث مشـهور بحديث أم زرع والمرفـوع منه هذه الجملة وفيـه كلام أودعتـه فى الشرح الذى أمليت عليه.

(١٤٧٥) حديث : كان ﷺ يقـول لنسائه: « لا تؤذونى فى عائشة فـإنه والله ما أنزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » رواه البخاري من حديث عائشة .

=

وقال أنس رضي الله عنه : «كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان»(١٤٧٦).

الثالث : أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه ﷺ : « كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام : هذه بتلك » (١٤٧٧) .

وفي الخبر أنه «كان ﷺ من أفكه الناس مع نسائه»(١٤٧٨).

= **قال مرتضى** : رواه من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب منه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحد هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ اخرها حتى إذا كان في يومها بعث الهدية فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس من أراد أن يهدي هدية فليهد إليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة فقال لها لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة ، الحديث بطوله .

(١٤٧٦) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان » **قال العراقي** : رواه مسلم بلفظ ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ زاد علي بن عبد العزيز البغوي والصبيان .اهـ.

وقال مرتضى : وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث أنس كان أرحم الناس بالصبيان والعيال قال النووي هذا هو المشهور وروى بالعباد كل منهما صحيح وواقع وفي فوائد أبي الدحداح عن علي كان أرحم الناس بالناس .

(١٤٧٧) حديث : « كان ﷺ يسابق عائشة في العدو فسبقته يومًا وسبقها في بعض الأيام فقال هذه بتلك » . **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح.

(١٤٧٨) حديث : « أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه » كذا في القوت **قال العراقي** : رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي سنده ابن لهيعة .اهـ. أي وقد تفرد به وقد رواه ابن عساكر أيضا دون قوله مع نسائه ووجد في بعض نسخ مسند البزار زيادة مع نسائه والفكاهة بالضم المزاح ورجل فكه ذكره الزمخشري .

وقالت عائشة ﵂ : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﷺ : أتحبين أن ترى لعبهم ؟ قالت : قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت : نعم فأشار إليهم فانصرفوا » (١٤٧٩) .

فقال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » (١٤٨٠) .

(١٤٧٩) حديث : قالت عائشة ﵂ : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء» وذلك فى المسجد النبوى « فقال لى ﷺ : أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت : نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضع ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت : نعم فأشار إليهم فانصرفوا » **قال العراقى :** متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قالا كان يوم عيد ودون قولها اسكت وفى رواية للنسائى فى الكبرى قلت : لا تعجل مرتين وفيه ياحميراء وسنده صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : قد رواه البخارى فى مواضع من الصحيح وفى بعضها قالت : رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو وفى لفظ له الحديثة السن تسمع اللهو حريصة على اللهو ولأحمد فى مسنده الحريصة للهوى وقول المصنف ووضع ذقنى على يده قد اختلفت ألفاظ البخارى ففى لفظ بين أذنه وعاتقه وفى أخرى خدى على خده وفى أخرى فوضعت رأسى على منكبه وكلها فى الصحيح ولا تنافى بينها فإنها إذا وضعت رأسها على منكبه صارت بين أذنه وعاتقه فإن تمكنت من ذلك صار خدها على خده وإن لم تتمكن قارب خدها خده .

(١٤٨٠) حديث : قال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » **قال العراقى :** رواه الترمذى والنسائى واللفظ له والحاكم وقال رواته ثقات على شرط الشيخين .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أحمد والبخارى وأبو داود وابن حبّان والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله وألطفهم بأهله ورواه البزار من حديث أنس بزيادة فيه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد بزيادة أخرى كذلك وقد ذكره السيوطى وغيره فى الأحاديث المتواترة ولفظ الترمذى وابن حبّان والحاكم وصححاه بدون قوله وألطفهم بأهله وخياركم خياركم لنسائه وقال الترمذى حسن صحيح .

وقال عليه السلام : « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى »(١٤٨١) .

وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته : ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى وإذا كان فى القوم وجد رجلا .

وفى تفسير الخبر المروى : « إن الله يبغض الجعظرى الجواظ »(١٤٨٢) .

قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ ﴾ (القلم : ١٣) .

قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله .

(١٤٨١) حديث : قال ﷺ : « خياركم خياركم لنسائه وأنا خياركم لنسائى » **قال العراقى** : رواه الترمذى وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائى وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى .

(١٤٨٢) حديث : « إن الله يبغض الجعظرى الجواظ » قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وهو فى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعى ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر ولأبى داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى . اهـ.

وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ﴾ بعد قوله : ﴿ زَنِيمٍ﴾ قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وما ملكت يمينه كذا فـى القوت وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء ألا أخبرك بأهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منوع . . . . الحديث وقد قيل فى معني الجعظرى هوالضخم المختال فى مشيه أو الأكول أو الفاجر أو الفظ الغليظ والجواظ قيل هو الذى لا يمرض والذى يتمدح بما ليس فيه أو عنده أو الذى يجمع ويمنع أو السمين الثقيل من التنعم وحديث حارثة بن وهب الخزاعى رواه أيضا أحمد وعبد بن حميد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

والعتل قيل هو الشديد الجافى أو الجموع المنوع أو الأكول الشروب وهذه الأوصاف قد جاءت مسندة مرفوعة من حديث عبد الرحمن بن غنم عند أحمد لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى والعتل الزنيم هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد الطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف .

وقال عليه السلام لجابر : « **هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك** » .

ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : والله لقد كان ضحوكا إذا ولج، سكيتا إذا خرج، آكلا ما وجد، غير مسائل عما فقد .

الرابع : أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض. قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار .

وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام: « **تعس عبد الزوجة** » (١٤٨٣) .

وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قيل : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء : ١١٩) .

إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ (يوسف : ٢٥).

فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها . قال الشافعى رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطى أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك

(١٤٨٣) حديث : « تعس عبد الزوجة » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : رواه من طريق أبى بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح عنه وفى لفظ للعسكرى من طريق الحسن عن أبى هريرة لعن بدل تعس .

برفقك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختيار الأزواج وكانت المرأة تقول لابنتها اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه فإن سكت فكسرى العظام بسيفه فإن سكت فاجعلى الأكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة .

وقال عليه السلام : « **مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب** »(١٤٨٤) والأعصم يعنى الأبيض البطن .

وفى وصية لقمان لابنه يا بنى اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل الشيب واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر .

وقال عليه السلام : « **استعيذوا من الفواقر الثلاث وعدّ منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب** » وفى لفظ آخر : « **إن دخلت عليها سبّتك وإن غبت عنها خانتك** »(١٤٨٥) .

(١٤٨٤) حديث : قال ﷺ : « مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائتى غراب يعنى الأبيض البطن » هكذا هو فى القوت **قال العراقى:** رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائى .اهـ.

وقال مرتضى : أما حديث أبى إمامة الذى عند الطبرانى فى الكبير فلفظه بعد قوله كمثل الغراب الأعصم قيل : يا رسول الله وما الغراب الأعصم قال : هو الذى إحدى رجليه بيضاء وفى سنده مطرح بن يزيد قال الهيثمى وهو مجمع على ضعفه وأما حديث عمرو بن العاص فرواه أيضا الطبرانى فى الكبير والحاكم ولفظهم لا يدخل الجنة من النساء إلا كقدر هذا الغراب الأعصم من هذه الغربان وروى أحمد أيضا من حديث عمارة بن خزيمة لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب الأعصم من الغربان وعند الطبرانى أيضا من حديث عبادة بن الصامت مثل المرأة المؤمنة كمثل الغراب الأبلق فى غربان سود لا ثانية لها ولا شبه لها . . . . الحديث .

(١٤٨٥) حديث :قال ﷺ : « استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهم المرأة السوء فإنها المشيبة»=

وقد قال عليه السلام فى خيرات النساء : «إنكن صواحبات يوسف » (١٤٨٦).

يعنى إن صرفكن أبا بكر عن التقدم فى الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم : ٤).

أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه(١٤٨٧) .

= لزوجها «قبل الشيب» وفى لفظ آخر إن دخلت عليك لسبتك وإن غبت عنها خانتك » فى مالك أو فى خروجها من غير إذن أو غير ذلك وفى رواية وأن غبت عنها لم تأمنها وبقية الحديث : جار فى إقامة إن رأى حسنة دفنها وأن رأى سيئة أذاعها وإمام إن أحسنت لم يرض عنك وأن أسأت قتلتك **قال العراقى** : رواه الديلمى فى مسند الفردوس باللفظ الأول من حديث أبى هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر فذكر منها وامرأة أن حضرتك آذتك وإن غبت عنها خانتك وسنده حسن .اهـ.

وقال مرتضى : قال الهيتمى فيه محمد بن عصام بن يزيد ذكره ابن أبى حاتم فلم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله وثقوا ولفظه: إمام إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر وجار إن رأى خيرا دفنه وإن رأى شرا أشاعه والباقى مثل سياق المصنف باللفظ الثانى .

(١٤٨٦) حديث : قال ﷺ : « فى خيرات النساء إنهن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس» متفق عليه من حديث عائشة وحفصة **قاله العراقى** وفى رواية للترمذى فى الشمائل أو صويحبات وكل منهما جمع صاحبه لكن الثانى قليل.

يعنى أن صرفكن أبا بكر رضي الله عنه عن التقدم لإمامة الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وتزيين وإغواء كما أن زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك غواية وهوى ففيه اعتذار ليوسف وإيقاع اللوم عليها كذا فى القوت.

وأخرج الحديث مطولا الترمذى فى الشمائل وروى الشيخان بعضه ومنه هذا القول المذكور هنا وفيه أن عائشة أجابته بأن أبا بكر أسيف لا يقدر على أن يقوم مقامك وأنه كرر ذلك فكررت الجواب فقال ما قال، وفى البخارى فمر عمر فليصل بالناس وأنها قالت لحفصة أنها تقول ما قالت عائشة فقال لها إنكن لأنتن صواحب يوسف فقالت لها حفصة ما كنت لأصيب منك خيرا .

(١٤٨٧) حديث : « قال الله تعالى فى نسائه ﷺ حين أفشين » أى أظهرن « سر رسول الله ﷺ : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أى مالت » إلى الهوى فأمرهما بالتوبة للميل إلى هواهما « وقال ذلك فى خير أزواجه » وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما فما ظنك بما شاكلته الجهالة ووصفه الهوى والضلالة **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عمر .

وقال عليه السلام : « **لا يفلح قوم تملكهم امرأة**»(١٤٨٨) .

وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فإذاً فيهن شرّ وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها .

الخامس : الاعتدال فى الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد « **نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء**»(١٤٨٩) وفى لفظ آخر أن تبغت النساء .

ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة : « **لا تطرقوا النساء ليلا فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد فى منزله ما يكره**» (١٤٩٠) .

(١٤٨٨) حديث :قال ﷺ : « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » نقله صاحب القوت وفى نسخة تملكتهم **قال العراقى**: رواه البخارى من حديث أبى بكرة نحوه .اهـ.

وقال مرتضى : يشير بذلك إلي أنه رواه بلفظ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وهكذا رواه أحمد والترمذي والنسائي وفى رواية ملكوا قاله لما بلغه أن فارسا ملكوا البوران ابنة كسرى .

(١٤٨٩) حديث : « نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء » وفي لفظ آخر أن يتعنت النساء أى أن يفعل ما يوقعهن فى العنت أى المشقة **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر أن يتطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخارى على ذكر النهى عن الطروق ليلا .اهـ.

(١٤٩٠) حديث : « لما قدم رسول الله ﷺ من سفر قال قبل دخوله المدينة لا تطرقوا النساء ليلاً فجاء رجلان فسبقاه فرأى كل واحد منهما فى منزلة ما يكره » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد .اهـ.

وقال مرتضى : وأما قوله لا تطرقوا النساء ليلا فقد رواه الطبراني فى الكبير من حديث ابن عباس وفى الصحيحين من حديث جابر نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا وتقدم فى الذى قبله وفى الصحيح حديث جابر المذكور فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى تدخلوا ليلا أى عشاء لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة وفى لفظ آخر له قال له إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة .

وفى الخبر المشهور : « **المرأة كالضلع إن قوّمته كسرته فدعه تستمتع به على عوج**»(١٤٩١) .

وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال ﷺ : « **إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة** » (١٤٩٢) .

لأن ذلك من سوء الظن الذى نهينا عنه فإن بعض الظن إثم وقال على رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك وأما الغيرة فى محلها فلابد منها وهى محمودة وقال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم عليه**»(١٤٩٣) .

(١٤٩١) حديث : « المرأة كالضلع » بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام وسكونها والفتح أفصح « فإن قومته كسرته فدعه تستمع به علي عوج » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة اهـ.

وقال مرتضى : رواه الطبرانى فى باب المداراة مع النساء قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ورواه مسلم من رواية سفيان عن أبى الزناد أن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة وفى صحيح ابن حبان عن سمرة بن جندب مرفوعًا أن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها وفى غرائب مالك للدارقطنى نحو لفظ البخارى إلا أنه قال على خليقة واحدة وإنما هى كالضلع والعوج كعنب هكذا هو فى رواية البخارى وعند أبى ذر بفتح العين والأكثر على الكسر وقيل بينهما فرق وقال البخارى أيضا فى باب الوصلة للنساء بعد أن ساق سنده إلى أبى هريرة مرفوعًا وفيه واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه فإن دنيت تقيمه كسرته وإن تركته ولم تقمه لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً .

(١٤٩٢) حديث : قال ﷺ : « غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » كذا فى القوت **قال العراقى**: رواه أبو داود والنسائى وابن حبّان من حديث جابر بن عتيك .اهـ.

(١٤٩٣) حديث : قال ﷺ : « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى والمؤمن يغار .اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخارى فى باب الغيرة قال حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان عن يحيى عن أبى سلمة أنه سمع أبا هريرة عن النبى ﷺ أنه قال إن الله يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه وفى رواية أبى ذر أن لا يأتى بزيادة لا وكذا هو فى رواية النسفى وأفرط الصغانى فقال: كذا للجميع والصواب حذف لا كذا قال الحافظ فى الفتح وما أدرى ما=

وقال عليه السلام : «أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى» (١٤٩٤).

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة.

وقال رسول الله ﷺ : «رأيت ليلة أسرى بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت : لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله» (١٤٩٥).

= أراد بالجميع بل أكثر رواة البخارى على حذفها وفاقًا لما رواه غير البخارى كمسلم والترمذى وغيرهما .

(١٤٩٤) حديث : قال ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير منى » رواه البخارى ومسلم فى حديث المغيرة بن شعبة فأورده البخارى فى باب الغيرة معلقا وفى كتاب الحدود موصولاً قال وزاد عن المغيرة قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فقال النبى ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد أنا أغير منه والله أغير منى» وفى حديث ابن عباس عند أحمد واللفظ له وأبى داود والحاكم لما نزلت هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الآية قال سعد بن عبادة أهكذا أنزلت فلو وجدت لكاع يفتخذها رجل لم يكن لى أن أحركه ولا أهيجه حتى آتى بأربعة شهداء فوالله لا آتى بأربعة شهداء حتى يقضى حاجته فقال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا عذراء ولا طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته فقال سعد والله إنى لأعلم يا رسول الله أنه لحق من عند الله ولكننى عجبت فقال النبى ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير منى».

(١٤٩٥) حديث : قال ﷺ : « رأيت قصرا فى الجنة وفيه جارية فقلت : لمن هذا فقيل : لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر رضي الله عنه وقال عليك أغار يا رسول الله » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث دون ذكر ليلة أسرى بى ولم يذكر الجارية فذكر الجارية فى حديث آخر متفق عليه من حديث أبى هريرة بينا أنا ثم رأيتني . . . . الحديث . اهـ.

وقال مرتضى : حديث جابر أخرجه البخارى فى كتاب المناقب وكتاب النكاح وهذا لفظه فى باب الغيرة حدثنا محمد بن أبى بكر المقدسى حدثنا معتمر عن عبيد الله عن محمد ابن المنكدر عن جابر عن النبى ﷺ قال دخلت الجنة أو أتيت الجنة فأبصرت قصرا فقلت لمن هذا قالوا لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فلم يمنعنى إلا علمى بغيرتك قال عمر بن الخطاب يا رسول الله بأبى أنت وأمى يا نبى الله أو عليك أغار وأما حديث أبى هريرة فقال=

وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام: « **إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطن** » (١٤٩٦) .

= حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري أخبرني ابن المسيب عن أبي هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس فقال رسول ﷺ بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا قال هذا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً فبكى عمر وهو في المجلس ثم قال أو عليك يا رسول الله أغار وفي البخاري أيضا في المناقب من حديث جابر مرفوعاً دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا قال هذا بلال ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت لمن هذا فقال لعمر فأردت أن أدخله فانظر إليه فذكرت غيرتك فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعليك أغار وهذا أقرب إلى سياق المصنف وروي الترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً ثم ساق الحديث وفيه فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل من العرب قلت : أنا عربي لمن هذا القصر قالوا لرجل من المسلمين من أمة محمد قلت : فأنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر فقال يا رسول الله ما كنت لأغار عليك .... الحديث قال الترمذي حسن صحيح غريب وأخرجه ابن حبّان والحاكم وصححاه وأخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس وأخرجه أحمد وأبو يعلى والروياني وأبو بكر في الغيلانيات والشافعي من حديث معاذ وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي .

(١٤٩٦) حديث : قال ﷺ : « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة الأولى والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل » **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسائي وابن حبّان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث .اهـ.

وقال مرتضى : ويروى نحو ذلك عن عقبة بن عامر مرفوعًا قال : غيرتان إحداهما يحبها الله والأخرى يبغضها الله الغيرة في الريبة يحبها الله والغيرة في غير الريبة يبغضها الله والمخيلة إذا تصدق الرجل يحبها الله والمتخيلة يبغضها الله عز وجل رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم في الزكاة وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح غير عبد الله بن يزيد الأزرق وهو ثقة قال الحافظ ابن حجر وهذا الحديث ضابط الغيرة التي يلام صاحبها والتي لا يلام فيها .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب»(١٤٩٧) .

والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهى لا تخرج إلى الأسواق .

وقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام : « أى شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض » (١٤٩٨) فاستحسن قولها .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ : يسدون الكوى والثقب فى الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها وقال عمر ﷺ : « أعروا النساء يلزمن الحجال» (١٤٩٩) وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا .

(١٤٩٧) حديث : قال ﷺ : « إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب » **قال العراقى:** تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن محمد بن الحنفية .اهـ .

وقال مرتضى : ومنكوس القلب هو الديوث وقيل المخنث .

(١٤٩٨) حديث : قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة ﷺ : « أى شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ واستحسن كلامها» **قال العراقى:** رواه البزار والدارقطنى فى الإفراد من حديث على بسند ضعيف .

(١٤٩٩) حديث : قال عمر ﷺ : « أعروا النساء » أى جردوهن ثياب الزينة والتفاخر « يلزمن الحجال» أى لا تلبسوهن الثياب الفاخرة فيطلبن البروز فيترتب عليه مفاسد شتى مما ينغص عيش الزوج معها وفى رواية الحجاب بدل الحجال والمعنى متقارب ثم إن هذا القول عن عمر هكذا روي موقوفًا عليه ولذلك **لم يتعرض له العراقى** لأنه ليس علي شرطه وقد روى هذا مرفوعًا أخرجه الطبرانى فى الكبير عن بكر بن سهل الدمياطى عن شعيب بن يحيي عن يحيى ابن أيوب ابن عمرو بن الحرث عن مجمع بن كعب عن مسلمة عن مخلد ﷺ رفعه فذكره وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال شعيب غير معروف وقال إبراهيم الحربى لا أصل لهذا الحديث وتبعه على ذلك السيوطى فى اللآلئ المصنوعة غير متعقب له ولعله لم يطلع على تعقب الحافظ ابن حجر على ابن الجوزى بأن ابن عساكر خرجه من وجه آخر فى آماليه وحسنه قال وبكر بن سهل وإن ضعفه جمع لكنه لم ينفرد به كما ادعاه ابن الجوزى فالحديث إلى الحسن أقرب .

وكان قد أذن رسول الله ﷺ للنساء فى حضور المسجد (١٥٠٠) .

والصواب الآن المنع إلا العجائز بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « **لو علم النبى ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج** »(١٥٠١) .

ولما قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده: بلى والله لنمنعهنّ فضربه وغضب عليه وقال تسمعنى أقول قال رسول الله ﷺ لا تمنعوا فتقول : بلى** » (١٥٠٢) .

وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير إظهار العذر .

وكذلك « **كان رسول الله ﷺ قد أذن لهن فى الأعياد خاصة أن يخرجن** » (١٥٠٣) .

(١٥٠٠) حديث : « أذن رسول الله ﷺ للنساء فى حضور المساجد » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عمر إئذنوا للنساء بالليل إلى المساجد .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(١٥٠١) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « لو علم النبى ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من الخروج » **قال العراقى**: متفق عليه قال البخارى لمنعهن المساجد وقال مسلم المسجد .

(١٥٠٢) حديث : قال عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده» أى ولد عمر « بل نمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعنى أقول قال رسول الله ﷺ لاتمنعوا فتقول بلى » **قال العراقى** : متفق عليه .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وابن حبّان وأخرجه ابن جرير فى تهذيبه عن عمر بن الخطاب ورواه مسلم عن ابن عمر بلفظ لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنكم وعند ابن ماجه لا تمنعوا إماء الله أن يصلين فى المسجد ورواه أحمد وأبو داود والطبرانى والحاكم والبيهقى بلفظ لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن وفى الباب عن أبى هريرة لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن لا تخرجوهن تفلات رواه أحمد وأبو داود والبيهقى وابن جرير فى التهذيب ورواه أحمد أيضا وابن منيع وابن حبان والطبرانى والضياء من حديث زيد ابن خالد .

(١٥٠٣) حديث : « كان رسول الله ﷺ قد أذن لهن فى الأعياد خاصة أن يخرجن » **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أم عطية .اهـ .

ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغى أن لا تخرج إلا لمهم فإن الخروج للنظارات والأمور التى ليست مهمة تقدح فى المروءة وربما تفضى إلى الفساد فإذا خرجت فينبغى أن تغض بصرها عن الرجال ، ولسنا نقول إن وجه الرجل فى حقها عورة كوجه المرأة فى حقه بل هو كوجه الصبى الأمرد فى حق الرجل . فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فإن لم تكن فتنة فلا إذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة فى حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة .

السادس : الاعتدال فى النفقة فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الإنفاق ولا ينبغى أن يسرف بل يقتصد قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف : ٣١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (الإسراء : ٢٩).

وقد قال رسول الله ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله»** (١٥٠٤).

وقال ﷺ : **« دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»** (١٥٠٥) .

(١٥٠٤) حديث : قال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث عائشة وصححه بزيادة وأنا خيركم لأهلى وقد تقدم .

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن حبان وابن جرير والبيهقى بزيادة ورواه ابن ماجه وابن سعد من حديث ابن عباس وزاد ابن أبى سعد أيضا من حديث عبد الله بن شداد والخطيب عن أبى هريرة والطبرانى عن معاوية ورواه بزيادة وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ورواه ابن عساكر من حديث على وفيه إبراهيم الأسلمى وهو ضعيف .

(١٥٠٥) حديث : قال ﷺ : « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذى تنفقه على أهلك » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الدارقطنى فى الإفراد بلفظ دينار أنفقته على نفسك دينار أنفقته على والديك دينار أنفقته على ابن لك ودينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته على أهلك وهو أحسنها أجرا .

وقيل كان لعلى رضي الله عنه أربع نسوة فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم، وقال الحسن رضي الله عنه كانوا فى الرجال مخاصيب وفى الأثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله فى كل جمعة فالوذجة وكأن الحلاوة وإن لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير فى العادة .

وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ولا ينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فإن كان مزمعا على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة .

وأهم ما يجب عليه مراعاته فى الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها وقد أوردنا الأخبار الواردة فى ذلك عند ذكر آفات النكاح .

السابع : أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها فى الحيض وما لا يقضى فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (التحريم : ٦) .

فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول فأما الذى لابد من إرشاد النساء إليه فى أمر الحيض بيان الصلوات التى تقضيها فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فإن كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها فى السؤال

فأخبرها بجواب المفتى فليس لها الخروج فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها فى الإثم .

الثامن : إذا كان له نسوة فيبنغى أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن : **«فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ»**(١٥٠٦) .

فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله ﷺ : **« من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى – وفى لفظ ولم يعدل بينهما – جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»**(١٥٠٧) .

وإنما عليه العدل فى العطاء والمبيت وأما فى الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء : ١٢٩) .

(١٥٠٦) حديث : « إن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن » أى ضرب القرعة بأن يكتب أسماءهن فى رقاع بحضرتهن ثم يرمى الرقاع مرة واحدة ويخلطها مع البعض ثم يمد يده فيأخذ ورقة فأيهن طلع اسمها أخذها وذلك تطييبا لخاطرهن « كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ » كان يقرع بين أزواجه إذا أراد سفرا أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة .

وقال مرتضى : وكذا أبو داود وابن ماجه ولفظهم جميعا كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه .

(١٥٠٧) حديث : قال ﷺ : « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهن دون الأخرى » وفى لفظ لم يعدل بينهما « جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » **قال العراقى :** رواه أصحاب السنن وابن حبّان من حديث أبى هريرة قال أبو داود فمال مع إحداهما وقال الترمذى فلم يعدل بينهما . اهـ .

وقال مرتضى : وكذلك رواه الطيالسى وأحمد والبيهقى بلفظ من كانت وفى لفظ عندهم فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل وعند ابن جرير يميل مع إحداهما على الأخرى وفيه ساقط بدل مائل .

أى لا تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع ، وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن فى العطاء والبيتوتة فى الليالى ويقول : « **اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك** » (١٥٠٨) .

يعنى الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه . وسائر نسائه يعرفن ذلك « **وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول أين أنا غدا ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولونى إلى بيت عائشة** » (١٥٠٩) .

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها «**كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته**

(١٥٠٨) حديث : « كان رسول الله ﷺ يعدل بينهن فى العطاء والبيتوتة فى الليالى ويقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك » **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن وابن حبّان من حديث عائشة نحوه .

وقال مرتضى : وكذا أحمد ولفظهم جميعًا كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى الحب ولفظ القوت يعنى فى المحبة والجماع « وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه » كما جاء فى الخبر عن عمرو بن العاص أنه قال أى الناس أحب إليك يا رسول الله قال أبو بكر قال : ومن النساء : قال بنته . . . . الحديث رواه البخارى ومسلم وقد تقدم ذلك .

(١٥٠٩) حديث : « كان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول أين أنا غداً ففطنت امرأة منهن فقالت : إنه يسأل عن يوم عائشة فقلن يا رسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك فقلن نعم قال فحولونى إلى بيت عائشة » كذا نقله صاحب القوت **قال العراقى** : رواه ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين أن النبى ﷺ كان يحمل فى ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل قال أين أنا غداً فقالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة . . . . الحديث وللبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض فى بيتى فأذن له . اهـ.

أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة» (١٥١٠) .

ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء فى غير نوبتها فجامعها طاف فى يومه أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما روى عن عائشة ﵂: **« أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة واحدة»** (١٥١١) .

وعن أنس أنه عليه السلام: **« طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار»** (١٥١٢) .

(١٥١٠) حديث : « كان يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر فى زمرة نسائه وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فاراد أن يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت أريد أن أحشر فى أزواجك . . . . الحديث . اهـ.

وقال مرتضى : وروى البخاري فى كتاب النكاح من حديث عطاء قال حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف فقال هذه زوجة النبى ﷺ فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا فإنه كانت عند النبى ﷺ تسع وكان يقسم لواحدة وكذلك أخرجه مسلم والنسائى وقد كان سودة آخر أمهات المؤمنين موتا رضى الله عنها .

(١٥١١) حديث : قالت عائشة ﵂ :« أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة واحدة » **قال العراقى:** متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرمًا ينضخ طيبا .

(١٥١٢) حديث : قال أنس ﵁ : « أنه ﷺ طاف على تسع نسوة ضحوة نهار » ولفظ القوت فى ضحوة **قال العراقى** : رواه ابن عدى فى الكامل وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة .اهـ.

وقال مرتضى : قال البخارى فى كتاب النكاح حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة ورواه فى كتاب الغصب وهن إحدى عشرة لكن قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه وجمع ابن حبان فى صحيحه بين الروايتين بالحمل على حالتين وقد تقدم شىء من ذلك قريبا .

التاسع : فى النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبهما جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلابد من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد بعث عمر ﷺ حكما إلى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال إن الله تعالى يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ (النساء : ٣٥) .

فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء . فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغى أن يتدرج فى تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينجع ولاها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة إلى ثلاثة ليال فإن لم ينجع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمى لها جسما ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه .

وقد قيل لرسول الله ﷺ : « **ما حق المرأة على الرجل ؟ قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا فى المبيت**»(١٥١٣) .

(١٥١٣) حديث : « ما حق المرأة على الرجل فقال : يطعمها إذا أطعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح لها وجها ولا يضربها إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا فى بيتها » ولفظ القوت ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجر إلا فى البيت **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح وفى رواية لأبى داود ولا يقبح الوجه ولا يضرب .اهـ.

وقال مرتضى : وبمثل رواية النسائى رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقي كلهم من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبى وصححه الدارقطنى فى العلل وأورده البخارى معلقًا قوله ولا يقبح أى لا يسمعها المكروه ولا يشتمها ولا يقل قبحك الله وفى رواية إذا أطعمت وإذا اكتسيت وفى رواية للبخاري غير أن لا يهجر إلا فى البيت .

وله أن يغضب عليها ويهجرها فى أمر من أمور الدين إلي عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله ﷺ إذ أرسل إلى زينت بهدية فردتها عليه فقالت له التى هو فى بيتها لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك أى أذلتك واستصغرتك فقال ﷺ : « **أنتن أهون على الله أن تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن** » (١٥١٤).

العاشر : فى آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى وقال عليه السلام : « **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان** » (١٥١٥).

وإذا قربت من الانزال فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد الله الذى : ﴿ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ (الفرقان : ٥٤) ، الآية .

وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراما للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب « **كان رسول الله ﷺ يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة : عليك بالسكينة** » (١٥١٦).

(١٥١٤) حديث : « هجره ﷺ نساءه شهرًا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التى في بيتها لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك » أى أزلتك واستصغرتك .... الحديث هكذا هو في القوت . **قال العراقى :** ذكره ابن الجوزى فى الوفاء بغير إسناد وفى الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن وفى رواية آلى عليهن شهرًا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرًا .اهـ.

(١٥١٥) حديث :قال ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان » . **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عباس .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الطيالسى وأحمد والأربعة أصحاب السنن وابن حبّان باللفظ الذى ذكرته .

(١٥١٦) حديث : « كان رسول الله ﷺ يغطى رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة : عليك بالسكينة» نقله صاحب القوت **قال العراقى :** رواه الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

وفى الخبر « **إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين** » (١٥١٧) أى الحمارين .

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال ﷺ : «**لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام**» (١٥١٨).

وقال ﷺ : « **ثلاث من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثانى أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه** » (١٥١٩).

ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن على ومعاوية وأبى هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقا لأحد التأويلين من قوله ﷺ « **رحم الله من غسل واغتسل ... الحديث** » (١٥٢٠).

(١٥١٧) حديث : « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين » الحديث . **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف.

(١٥١٨) حديث : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة . . . » الحديث . **قال العراقى** : رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر .اهـ.

(١٥١٩) حديث :قال ﷺ : « ثلاث خصال من العجز فى الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرفه اسمه ونسبه والثانى أن يكرمه فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه » . **قال العراقى** : رواه الديلمى من حديث أنس أخصر منه وهو بعض الحديث الذى قبله .اهـ.

وقال مرتضى : ولكل من الجمل الثلاث شواهد فى أخبار الجملة الأولى فى مسلسلات مسعود بن سليمان بلفظ من الجفاء أن يلقى الرجل أخاه فلا يسأله عن اسمه ونسبه وكنيته وشاهد الجملة الثانية ثلاث لا ترد الدهن والوسادة واللبن رواه الترمذى عن ابن عمر وشواهد الجملة الثالثة سيأتى ذكرها قريبا .

(١٥٢٠) حديث : « رحم الله من غسل واغتسل . . . . الحديث » تقدم فى الباب الخامس من الصلاة بلفظ « رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل . . . إلخ » رواه أصحاب السنن من حديث=

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف فى طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا إلى الإنزال والتوافق فى وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحى وينبغى أن يأتيها فى كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذا عدد النساء أربعة فجاز التأخر إلى هذا الحد، نعم ينبغى أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها فى التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها فى المحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام فى الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها فى غير المأتى إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى فى غير المأتى دائم فهو أشد تحريما من إتيان الحائض وقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ (البقرة : ٢٢٣) . أى : أى وقت شئتم وله أن يستمنى بيديها وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهى سوى الوقاع وينبغى أن تتزر المرأة بإزار من حقوها إلى فوق الركبة فى حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها فى المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانيا بعد أخرى فليغسل فرجه أولا وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول ويكره الجماع فى أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولا وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر : قلت للنبى ﷺ : أينام أحدنا وهو جنب قال : «**نعم إذا توضأ**»(١٥٢١) .

ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها : « **كان النبى ﷺ ينام جنبا لم يمس ماء**» (١٥٢٢) .

= أوس بن أوس « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر » . . . . الحديث وتقدم الكلام عليه هناك .

(١٥٢١) حديث : قال ابن عمر رضي الله عنه : قلت للنبى ﷺ أينام أحدنا وهو جنب قال « نعم إذا توضأ» **قال العراقى** : متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لا أن عبد الله هو السائل .اهـ. فالحديث من رواية ابن عمر عن أبيه .

(١٥٢٢) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها: « كان النبى ﷺ ينام جنبا لم يمس ماء » **قال العراقى** : رواه =

ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجه فراشه أو لينفضه فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءا وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنابتها .

ومن الآداب : أن لا يعزل بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم « **فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهى كائنة**» (١٥٢٣) هكذا قال رسول الله ﷺ .

فإن عزل فقد اختلف العلماء فى إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ومن قائل يباح فى المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فإنها تطلق لنهى التحريم ولنهى التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد فى المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر فى مكة مقيما بها أن لا يحج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة فى الولد ولما روى عن النبى ﷺ : « **إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله فقُتل** » (١٥٢٤) .

= أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم ونقل البيهقى عن الحافظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية .اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه كذلك أحمد والنسائى ولفظهم كان ينام وهو جنب ولا يمس ماء وفى رواية يجنب قال ابن القيم هذه الرواية غلط عند أئمة الحديث وقال الحافظ ابن حجر قال أحمد ليس بصحيح وأبو داود وهم ويزيد بن هارون خطأ وأخرجه مسلم كان ينام وهو جنب دون قوله ولم يمس ماء وكأنه حذفها عمدا .اهـ. وأنت خبير ان المراد بقوله لم يمس ماء أى للغسل وهذا لا يمنع كونه ﷺ كان يتوضأ وحيث إنه صحيح من جهة الرواية فالمعنى كذلك صحيح لأنه فعل ذلك تشريعا لامته غير أن هذا التأويل لا يناسب سياق المصنف فتأمل .

(١٥٢٣) حديث : من الآداب أن لا يعزل بل يسرح الماء إلى محل الحرث وهو الرحم « فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى سعيد .

وقال مرتضى : ولفظه عندما سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال : أو أنكم لتفعلون قالها ثلاثا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هى كائنة وعند مسلم أيضا من حديثه لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر .

(١٥٢٤) حديث : « إن الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعة أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله=

وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقوية على الجهاد والذى إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الإمناء فى الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهى إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولا فرق إذا الولد يتكون بوقوع النطفة فى الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المنى فى الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثانى والثانى كالأول وليس هذا كالإجهاض والوأد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة فى الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش فى الجناية بعد الانفصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى فى الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التشريح إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط فى خثور دم الحيض وانعقاده كالإنفحة للبن إذ بها ينعقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن فى الانعقاد فيجرى الماآن مجرى الإيجاب والقبول فى الوجود الحكمى فى العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة فى الفقار لا يتخلق منها الولد

= فقتل قيل كيف ذلك يا رسول الله فقال أنت خلقته أنت رزقته أنت هديته عليك محياه عليك مماته قالوا بل الله خلقه وهداه وأحياه وأماته قال : فأقر قراره » هكذا هو فى القوت بتمامه ، **وقال العراقى :** لم أجد له أصلا .

وقال مرتضى : بل له أصل من حديث أبى ذر يقول فيه فى أثناء حديث قال رسول الله ﷺ فضعه فى حلاله وجنبه حرامه وإقراره فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر» أخرجه ابن حبّان فى صحيحه مستدلا به على تحريم العزل .

فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلى .

فإن قلت : فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى.

فأقول النيات الباعثة عن العزل خمس :

الأولى : فى السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه .

الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منهيا عنه .

الثالثة : الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب فى الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منهى عنه فإن قلة الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل فى التوكل والثقة بضمان الله حيث قال : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود : ٦) .

ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا نقول إنه منهى عنه .

الرابعة : الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد فى تزويجهن من المعرة كما كانت من عادة العرب فى قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا فى العزل والفساد فى اعتقاد المعرة فى سنة رسول الله ﷺ أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافا من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح .

الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها فى النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض

ولا يدخلن الخلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهم على عائشة ﵂ لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة .

فإن قلت : فقد قال النبي ﷺ : **«من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا»** (١٥٢٥) .

قلت فالعزل كترك النكاح وقوله « ليس منا » أي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل .

فإن قلت : فقد قال ﷺ في العزل : « **ذاك الوأد الخفي** وقرأ : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير : ٨) » (١٥٢٦) .

وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة في الإباحة وقوله الوأد الخفي كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما .

فإن قلت : فقد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصغر فإن الممنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه علي ﵁ لما سمعه وقال : لا تكون موؤدة إلا بعد سبع أي بعد سبعة أطوار وتلا الآية الواردة

(١٥٢٥) حديث : قال ﷺ : « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثا » أي قاله ثلاث مرات تقدم ذلك من حديث الحسن عن أبي سعيد في أوائل كتاب النكاح دون قوله ثلاثا .

(١٥٢٦) حديث : قال ﷺ في العزل لما سئل عنه: « ذلك الوأد الخفي وقرأ ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾» وهو في الصحيح **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث جذامة بنت وهب .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن مردويه والبيهقي . **قال العراقي:** في شرح الترمذي هي أخت عكاشة وحديثها فرد وقد اختلف في زيادة العزل فيه فلم يخرجه مالك .

وفي الصحيح أيضا أخبار صريحة في الإباحة من حديث جابر بطرقه الكثيرة وسيأتي ذكره في آخر الفصل ومنها حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة يشير إلى أن حديث جذامة قد عورض بأحاديث وقد صرح البيهقي بذلك فقال عورض بحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن العزل قال إن اليهود تزعم العزل هي الموؤدة الصغرى كذبت يهود . قال البيهقي ويشبه أن يكون حديث جزامة على طريق التنزيه .اهـ. وجزم الطحاوي بأنه منسوخ وتعقب عكسه ابن حزم .

فى أطوار الخلقة وهى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ﴾ (المؤمنون : ١٢، ١٣) .

إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ (المؤمنون : ١٤) .

أى نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى فى الآية : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير : ٨) .

وإذا نظرت إلى ما قدمناه فى طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب على وابن عباس رضي الله عنهما فى الغوص على المعانى ودرك العلوم كيف وفى المتفق عليه فى الصحيحين عن جابر أنه قال : « **كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل** » (١٥٢٧) .

وفى لفظ آخر : «**كنا نعزل فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا** » (١٥٢٨) .

وفيه أيضا عن جابر أنه قال : « **إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال إن لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها**» (١٥٢٩) . كل ذلك فى الصحيحين .

(١٥٢٧) حديث : قال جابر رضي الله عنه : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » أخرجه الأئمة الستة خلا أبا داود من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن جابر وأخرجه البخارى أيضا من طريق ابن جريج ومسلم من طريق معقل بن عبيد الجزرى وكلاهما عن عطاء عن جابر ليس فيه والقرآن ينزل .

(١٥٢٨) حديث : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا » وهذا اللفظ أخرجه مسلم وحده من رواية حماد بن هشام عن أبيه عن أبى الزبير عن جابر وانفرد مسلم أيضا بزيادة لو كان شيئا ينهى عنه لنهانا عنه القرآن .

(١٥٢٩) حديث : جابر رضى الله عنه أنه قال: « إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال إن لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحبل فقال ﷺ أعزل عنها إن شئت فإنها سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد أخبرتكم أنه سيأتيها ما قدر لها » رواه مسلم وأبو داود من رواية زهير عن أبى الزبير عن جابر بلفظ أن رجلاً من الانصار وفيه وأنا أكره أن تحمل وفيه فسيأتيها ما قدر لها وفيه قد=

الحادى عشر: فى آداب الولادة وهى خمسة :

الأول : أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فإنه لا يدرى الخيرة له فى أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له، أو يتمنى أن يكون بنتا بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال ﷺ : « **من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة**»(١٥٣٠) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: قال رسول الله ﷺ : « **ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة** » (١٥٣١) .

= أخبرتك (كل ذلك في الصحيحين) أى ما تقدم من حديث جابر من حيث المجموع وإلا فهذا الحديث الأخير تفرد به مسلم عن البخارى .

(تنبيه) : ومن أحاديث الإباحة قال جابر قلنا يا رسول الله إنا كنا نعزل فزعمت اليهود أنها الموؤدة الصغرى فقال كذبت اليهود أن الله إذا أراد أن يخلقه لم يمنعه رواه الترمذى والنسائى من طريق محمد بن عبد الله بن ثوبان عن جابر ونحوه لأصحاب السنن من حديث أبى سعيد وقد تقدم وللنسائى من حديث أبى هريرة وقد تقدم أيضا وقال أبو سعيد رضي الله عنه أنهم سألوا رسول الله ﷺ فى العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر رواه مسلم ورواه النسائى من حديث أبى صرمة وربما احتج بحديث مسلم من منع العزل مطلقا وفهم من لا ، النهى عما يسأل عنه وحذف قوله لا فكأنه قال لا تعزلوا وعليكم أن لا تفعلوا تأكيداً لذلك النهى هكذا ذكره القرطبى في شرح مسلم وقال الأكثرون ليس هذا نهيًا وإنما معناه ليس عليكم جناح أو ضرر أن لا تفعلوه قال البيهقى رواة الإباحة أكثر وأحفظ والله أعلم .

(١٥٣٠) حديث : قال ﷺ : « من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها النعمة التى أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : وفى رواية فأدّبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله التى أسبغ عليه كانت له منعة وسترا من النار .

(١٥٣١) حديث : قال ابن عباس رضي الله عنه : قال ﷺ : « ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة» **قال العراقى** : رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد .اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ الطبرانى فى الكبير ما من أحد ترك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه وصحبهما إلا أدخلتاه الجنة .

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ : « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين » (١٥٣٢) .

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ : «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخصّ به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه»(١٥٣٣) .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار»(١٥٣٤) .

وقال أبو هريرة : قال ﷺ : « من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل : وثنتان يا رسول الله ؟ قال : وثنتان فقال رجل أو واحدة ؟ فقال: وواحدة » (١٥٣٥) .

(١٥٣٢) حديث : قال أنس ؓ : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذى بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن غريب . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الترمذى من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو فى الجنة كهاتين ورواه كذلك ابن ماجه وابن عوانة ورواه ابن حبان عن ثابت عن أنس بلفظ من عال ابنتين أو أختين أو ثلاثا حتى يئسن أو يموت عنهن كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وكذلك رواه عبد بن حميد وعند الإمام أحمد من حديث ابن عباس من كان له ابنتان فأحسن صحبتهما دخل بينهما الجنة .

(١٥٣٣) حديث : قال أنس ؓ : قال رسول الله ﷺ : « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه ». **قال العراقى**: رواه الخرائطى بسند ضعيف .

(١٥٣٤) حديث: قال أنس ؓ : قال رسول الله ﷺ : « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالإناث دون الذكور فإنه من فرح أنثى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار » **قال العراقى** : رواه الخرائطى بسند ضعيف جدا وابن عدى فى الكامل، قال ابن الجوزى حديث موضوع .

(١٥٣٥) حديث : قال أبو هريرة ؓ: قال رسول الله ﷺ : « من كان له ثلاث بنات أو=

الأدب الثانى : أن يؤذن فى أذن الولد :

روى رافع عن أبيه قال : « رأيت النبى ﷺ قد أذن فى أُذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها » (١٥٣٦) .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (١٥٣٧) .

= أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن » أى شدتهن ومكابدتهن « أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتين يا رسول الله قال وثنتين فقال رجل أو واحدة قال أو واحدة » **قال العراقى** : رواه الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد .اهـ.

وقال مرتضى : وعند الخرائطى زيادة وسرائهن بعد ضرائهن ويروي بمعناه من حديث أبى سعيد بلفظ من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة رواه أحمد والترمذى وابن حبان والضياء وروى الحاكم فى الكنى من حديث أبى عرس بسند فيه مجهول وضعيف بلفظ من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وأطعمهن وكساهن كن له حجابا من النار وفى حديث أنس من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وقام عليهن كان معى فى الجنة هكذا وأشار بأصابعه الأربعة رواه أحمد وأبو يعلى وأبو الشيخ والخرائطى فى مكارم الأخلاق .

(١٥٣٦) حديث: رافع عن أبيه قال : « رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أُذن الحسين رضي الله عنه حين ولدته فاطمة رضي الله عنها » **قال العراقى** : رواه أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذى وصححه إلا أنهما قالا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطان .اهـ.

وقال مرتضى : هكذا فى نسخ الكتاب رافع عن أبيه وهو غلط ولم أجد لرافع ذكرا فى الكتب الستة وإنما هو من رواية عبد الله بن أبى رافع عن أبيه وعبد الله له صحبة أيضا ولفظ أبى داود والترمذى أذن فى أُذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة .

(١٥٣٧) حديث : قال ﷺ : « من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان » هى التابعة من الجن **قال العراقى** : رواه أبو يعلى الموصلى وابن السنى فى اليوم والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث الحسين بن على بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن عساكر فى التاريخ ولفظهم جميعا لم تضره أم الصبيان وفى سنده مرزان بن سالم النضارى وهو متروك وأورده الذهبى فى الميزان فى ترجمة يحيى ابن العلاء النجلى ونقل أحمد أنه كذاب وضاع وأورد له هذا الحديث .

ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه: « **والختان في اليوم السابع** »(١٥٣٨) ورد به الخبر .

الأدب الثالث: أن تسميه اسما حسنا:

فذلك من حق الولد وقال ﷺ : « **إذا سميتم فعبّدوا** »(١٥٣٩).

وقال عليه الصلاة والسلام: « **أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن** »(١٥٤٠).

(١٥٣٨) حديث : « الختان في اليوم السابع » يشير إلى ما رواه الطبراني في الصغير بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ورواه الحاكم وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة **قاله العراقي** .

(١٥٣٩) حديث : قال ﷺ : « إذا سميتم فعبدوا » أي إذا أردتم تسمية نحو ولد أو خادم فسموه بما فيه عبودية الله تعالى كعبد الله وعبد الرحمن لأن التعبد الذي بين العبد وربه إنما هو العبودية المحضة والاسم مقيض لمسماه فيكون عبد الله وقد عبده بما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل كونها لغيره تعالى **قال العراقي** : رواه الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه معاذ وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده .اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أيضا الحسن بن سفيان في مسنده ومسدد والحاكم في الكنى وأبو نعيم وابن منده ولفظ الطبراني في معجمه الكبير من طريق مسدد حدثنا أبو أمية بن يعلى عن أبيه عن عبد الملك بن أبي زهير الثقفي عن أبيه مرفوعا بهذا وكذا أورده أبو أحمد والحاكم في الكنى في ترجمة أبي زيد الثقفي والد أبي بكر بإسناد معضل وقال ابن الأثير قد ذكروا زهير ابن عثمان الثقفي فلا أدري أهو هذا أم غيره قال الحافظ في الإصابة بل هو غيره وفي مسند الحسن بن سفيان من طريق عمرو بن عمران عن شيخ كان بالمدينة عن عبد الملك بن زهير عن أبيه به وقال ابن منده رواه أبو أمية بن يعلى فقال عن عبد الملك بن زهير عن أبيه عن جده وهذا مخالف لرواية الطبراني فإنه لم يقل عن جده ولكنه قال عبد الملك بن أبي زهير وأبو أمية بن يعلى ضعيف وفي مسند الحسن بن سفيان شيخ مجهول وأبو زهير اختلف في اسمه فقيل معاذ وقيل عمار ورواه الديلمي من حديث معاذ بن جبل والله أعلم .

(١٥٤٠) حديث : قال ﷺ : « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث ابن عمر .اهـ.

وقال مرتضى : رواه من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وكذلك رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وفي الباب عن ابن مسعود بلفظ أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له وأصدق الأسماء همام وحارث رواه الشيرازي في الألقاب والطبراني في الكبير وإسناده =

وقال : « سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي » (١٥٤١) .

وقال العلماء كان ذلك في عصره ﷺ إذ كان ينادى يا أبا القاسم والآن فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته وقد قال ﷺ : « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي» (١٥٤٢) .

= ضعيف بسبب محمد بن محصن العكاشي فإنه متروك وروى أحمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن سيرة الجعفي مرفوعا لا تسمه عزيزا ولكن سم عبد الرحمن فإن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن والحارث وفي رواية للطبراني لا تسم عبد العُزى وسم عبد الله فإن خير الأسماء عبد الله وعبيد الله والحارث وهمام قال السخاوى في المقاصد وأما ما يذكر على الألسنة من خير الأسماء ما حمد وما عبد فما علمته .اهـ.

(١٥٤١) حديث : قال ﷺ : « سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي » . **قال العراقي** : متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا .اهـ.

وقال مرتضى : المتفق عليه من حديث جابر فيه زيادة فإني إنما بعثت قاسما أقسم بينكم والسبب لهذا أنه ﷺ كان في السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبي ﷺ فقال إنما دعوت هذا فذكره وأما صدر الحديث المذكور هنا بدون زيادة فقد أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وسموا ضبط بفتح السين وتشديد الميم المضمومة ولا تكنوا بفتح فسكون فضم بضبط السيوطي فهو من كنى يكنى كناية فوهم من ضبطه بضم ففتح فتشديد نون مضمومة من كنى يكنى تكنية فهو كقوله لا تزكوا ولا تصلوا وهكذا ضبط حديث لا تصروا الأبل من التصرية ومنهم من ضبطه بالفتح مع التشديد وذلك بحذف إحدى التاءين والكنية بالضم ما صدرت بأب أو أم وهي تارة تكون للتعظيم والتوصيف كأبي المعالي وتارة للنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة وأبي شريح وتارة ما يناسب كأبي هريرة وتارة للعلمية الصرفة كأبي عمرو وأبي بكر ولما كان ﷺ يكنى أبا القاسم لأنه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى بما يوحى إليه وينزلهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل وقسم الغنائم ولم يكن أحد منهم يشاركه في هذا المعنى منع أن يكنى بها غيره بهذا المعنى أما لو كنى به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه القاسم أو للعلمية المجردة جاز ويدل عليه التعليل المذكور للنهي .

(١٥٤٢) حديث : قال ﷺ : « لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي » **قال العراقي** : رواه أحمد وابن حبّان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي .اهـ.

وقال مرتضى : أما أحمد فرواه من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري البخاري ولد في عهده ﷺ ولا رؤية له ولا رواية بل رواه عن عمه رفعه وقد قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح وأما حديث جابر الذي حسنه الترمذي فقد حسنه أيضا الطيالسي وأحمد وأخرجه أيضا أحمد وأبو يعلى وابن حبان من حديث أبي هريرة وأخرجه ابن سعد في=

وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام : «**إن عيسى لا أب له**» [(١٥٤٣)] فيكره ذلك .

والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول أنت ضيعتني وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال ﷺ : «**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آباكم فأحسنوا أسماءكم**»[(١٥٤٤)] .

= الطبقات من حديث البراء ورواه ابن سعد أيضا عن أبي هريرة بلفظ لا تسموا باسمي وتكنوا بكنيتي نهى أن يجمع بين الاسم والكنية .

(١٥٤٣) حديث : سمى رجل ولده أبا عيسى فقال ﷺ : « إن عيسى لا أب له » إنما هو كلمته ألقاها إلى مريم « فكره ذلك » **قال العراقي** : رواه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنًا له تكنى أبا عيسى وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيته بأبي عيسى فقال رسول الله ﷺ كناني وإسناده صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : وكان المغيرة يكنى أيضا أبا عبد الله وأبا محمد ولكنه كان يحب أن ينادى بأبي عيسى لأنه ﷺ كناه بها والظاهر جواز ذلك فقد تكنى به غير واحد من أحبار الأمة منهم الترمذي صاحب السنن وغيره .

(١٥٤٤) حديث : قال ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم » لأن الدعاء بالآباء أشد في التعريف وأبلغ في التمييز ولا يعارضه خبر الطبراني أنهم ينادون بأسماء أمهاتهم لأنه ضعيف بالاتفاق فلا يعارض بالصحيح فأحسنوا أسماءكم بأن تسموا بنحو عبد الله وعبد الرحمن أو بحرث وهمام لا بنحو مرة وحرب قال النووي في التهذيب ويستحب تحسين الاسم لهذا الحديث **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل .اهـ. رواه كذلك أحمد كلاهما من حديث عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء قال النووي في كتابيه الأذكار والتهذيب إسناده جيد وقال المنذري والصدر المناوي ابن زكريا ثقة عابد لكن لم يسمع من أبي الدرداء فالحديث منقطع وأبوه اسمه إياس وقال الحافظ في الفتح رجاله ثقات إلا أن في سنده انقطاعا بين ابن زكريا وبين أبي الدرداء وأنه لم يدركه ووجدت بخط الحافظ ابن حجر في هامش المغني عند قول البيهقي إنه مرسل .

وقال مرتضى : صححه ابن حبان .

ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله « **أبدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله** »(١٥٤٥) .

وكان اسم زينب برّة فقال عليه السلام: « **تزكي نفسها فسماها زينب** » (١٥٤٦) .

وكذلك «**ورد النهى فى تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة. لأنه يقال أثم بركة فيقال: لا**» (١٥٤٧) .

(١٥٤٥) حديث : « بدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبد الله » **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى بسند صحيح . اهـ.

وقال مرتضى : قرأت فى تاريخ من بالصحابة بمصر لأبى عبد الله الجيزى فى ترجمة عبد الله بن الحرث المذكور ما نصه حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمى عبد الله بن وهب أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي خبيب عن عبد الرحمن بن الحرث بن جزء قال توفى رجل ممن قدم علي النبى ﷺ غريب فقال رسول الله ﷺ وهو على القبر ما اسمك قلت : العاص وقال لعبد الرحمن بن عمر ما اسمك قال العاص وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ما اسمك قال العاص قال رسول الله ﷺ انزلوا فأنتم عبد الله قال فنزلنا فوارينا صاحبنا ثم خرجنا من القبر وقد بدلت أسماؤنا وقد أخرج هذا الحديث من طرق أربعة كلها تنتهى إلى الليث بن سعد وذكر فى ترجمة سهل بن سعد الساعدى بسنده إليه قال كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يسمى أسود فسماه رسول الله ﷺ أبيض وذكر أيضا فى ترجمة عبد العزيز الغافقى الصحابى أنه كان اسمه عبدالعزى فسماه رسول الله ﷺ عبد العزيز .

(١٥٤٦) حديث : « كان اسم زينب برة » وهى زينب بنت أبى سلمة أخت عمر بن أبى سلمة وأمها أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ولدت بأرض الحبشة وكان اسمها برة فقال ﷺ «تزكي نفسها» أى من جهة كونها برة من البر وكره ذلك « فسماها زينب » رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة .

(١٥٤٧) حديث : « النهى فى تسمية الرجل أسلم وأفلح ونافع وبركة لأنه قد يقال بركة ثم فيقال لا» وفي بعض النسخ أفلح ويسار ونافع وبركة **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحًا وله فى حديث جابر أراد النبى ﷺ أن يسمى بيعلى وبركة . . . . الحديث . اهـ.

وقال مرتضى : لفظ مسلم لا تسم غلامك رباحا ولا يسارا ولا أفلح ولا نافعا ورواه الطيالسى والترمذى بلفظ لا تسم غلامك رباحًا ولا أفلح ولا يسارا ولا نجيحا فيقال أثم هو فيقال لا ورواه ابن جرير بلفظ لا تسموا رقيقكم رباحا ولا يسارا ولا أفلح ولا نجيحا إن شاء الله تعالى ولفظ أبى داود ولا تسمين غلامك يسارا ولا نجيحا ولا أفلح فإنك تقول أثم هو فيقول لا وفى لفظ فلا يكون وهكذا رواه ابن جرير أيضا وصححه .

الأدب الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان أو أنثى وروت عائشة رضي الله عنها : « **أن رسول الله ﷺ أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين وفى الجارية بشاة** » (١٥٤٨) .

وروى : « **أنه عق عن الحسن بشاة** » (١٥٤٩) .

وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة وقال ﷺ : « **مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دمًا وأميطوا عنه الأذى** » (١٥٥٠) .

(١٥٤٨) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « أن النبى ﷺ أمر فى الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين » أى متساويتين سنا وحسنا «وعن الأنثى بشاة» وهو يبطل قول من كرهها عن الأنثى وذلك شأن اليهود كانوا يعقون عن الغلام فقط، **قال العراقى** : رواه الترمذى وصححه . اهـ.

وقال مرتضى: وهو فى سنن البيهقى من طريق سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبى يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن عمرة عن عائشة ثم أخرج من طريق حماد بن زيد عن عبيد الله عن سباع ثم قال قال أبو داود حديث سفيان وهم ثم قال ورواه المزنى عن الشافعى عن سفيان عن عبيد الله بن سباع بن وهب ثم قال والمزنى واهم في موضعين أحدهما أن سائر الرواة رووه عن سفيان عن عبيد الله عن أبيه والاخر أنهم قالوا سباع بن ثابت ورواه الطحاوي عن المزنى فى كتاب السنن فى أحد الموضعين على الصواب كما رواه الناس.

قال مرتضى : أخرجه البيهقى في كتاب المعرفة من حديث الطحاوى عن المزنى حدثنا الشافعى حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبى يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت وهكذا رويناه فى كتاب السنن من طريق الطحاوى عن المزنى من نسخة جيدة قديمة فظهر بهذا أن رواية الطحاوى عن المزنى على الصواب في الموضعين معًا لا فى أحدهما والله أعلم وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا العقيقة حق على الغلام شاتان متكافئتان وعلى الجارية شاة .

(١٥٤٩) حديث : « عق ﷺ عن الحسن بشاة » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث على وقال ليس إسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشًا .اهـ.

وقال مرتضى : حديث ابن عباس هذا أخرجه البيهقى فى السنن من طريق أيوب عن عكرمة عق عليه السلام عن الحسن كبشًا وعن الحسين كبشا .اهـ.

وقال مرتضى : وقد اضطرب فيه عن عكرمة عن النبى ﷺ وهو الأصح والثانى أن النسائى أخرج من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه ﷺ عق عن الحسن وعن الحسين بكبشين كبشين .

(١٥٥٠) حديث : « مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث سلمان عن عامر الضبى .اهـ.

=

ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة فقد ورد فيه خبر أنه عليه السلام : « أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة » (١٥٥١) .

قالت عائشة رضي الله عنها : لا يكسر للعقيقة عظم .

الأدب الخامس : أن يحنكه بتمرة أو حلاوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : «ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرّك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام » (١٥٥٢) .

ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم .

الثاني عشر : في الطلاق :

وليعلم أنه مباح ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٣٤) أي لا تطلبوا حيلة

= وقال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والدارمي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة ورواه الحاكم عن أبي هريرة .

(١٥٥١) حديث : « أنه ﷺ أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع الحسين رضي الله عنه أن يحلق شعره ويتصدق بوزن شعره فضة » **قال العراقي** : رواه الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده بمتصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع . اهـ.

(١٥٥٢) حديث : أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت: « ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل في فيه ريق رسول الله ﷺ ثم دعا له وبارك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام » رواه البخاري ومسلم وروى نحو ذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا بالبركة ودفعه إليّ وكان أكبر ولد أبي موسى .

للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنه: « **كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله ﷺ فقال يا ابن عمر طلق امرأتك** »(١٥٥٣).

فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهى جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (الطلاق : ١) .

مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به فى العدة ولكنه تنبيه على المقصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدى ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ (البقرة : ٢٢٩) .

فرد ما أخذته فما دونه لائق بالفداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهى آثمة قال ﷺ: « **أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة** »(١٥٥٤).

وفى لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفى لفظ آخر أنه عليه السلام قال: «**المختلعات هن المنافقات**»(١٥٥٥).

(١٥٥٣) حديث: قال ابن عمر رضي الله عنه : « كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها فأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله ﷺ فقال يا ابن عمر طلق امرأتك » فطلقها **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن الأربعة قال الترمذى حسن صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك ابن حبان فى الصحيح وفى لفظ لهم فقال أطع أباك وهذا الطلاق هو المستحب ذكره ابن الرفعة .

(١٥٥٤) حديث : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها » ولفظ الجماعة الطلاق « من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة » وفى لفظ فالجنة عليها حرام **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححاه وأقره الذهبى ولفظهم جميعا فحرام عليها رائحة الجنة وقال الحافظ ابن حجر الأخبار الواردة فى ترهيب المرأة من طلب طلاق زوجها محمولة على ما إذا لم يكن سببًا يقتضى ذلك كحديث ثوبان هذا .اهـ.

(١٥٥٥) حديث : قال ﷺ : « المختلعات » أى الطالبات لخلع العصمة من أزواجهن « هن=

ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور :

الأول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه بدعى حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها ، طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال ﷺ لعمر : « **مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء** » (١٥٥٦) .

وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط .

= المنافقات » نقله صاحب القوت **قال العراقى** : رواه النسائى من حديث أبى هريرة .

قال مرتضى : رواه الطبرانى من حديث أبى عقبة بن عامر بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الترمذى من حديث ثوبان قال فى العلل سألت محمداً يعنى البخارى عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال الحافظ فى الفتح أخرجه أحمد والنسائى عن أبى هريرة وفى صحته نظراً لأن الحسن عند الأكثر لم يسمع من أبى هريرة . اهـ. وأخرجه الديلمى فى الفردوس وقال المراد بالمختلعات اللاتى يخالعن أزواجهن من غير مضادة منهم وفى لفظ لأحمد والنسائى بزيادة المنتزعات والمراد به كما قال الطيبى اللاتي ينتزعن أنفسهن من أزواجهن وينشزن عليهم . اهـ. وفى الحلية لأبى نعيم من حديث ابن مسعود والمختلعات والمتبرجات هن المنافقات ورواه أبو يعلى عن أبى هريرة بهذا اللفظ .

(١٥٥٦) حديث : « طلق ابن عمر زوجته فى الحيض فقال رسول الله ﷺ لعمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » . **وقال العراقى** : الحديث متفق عليه .

وقال مرتضى : رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وهذا لفظ البخارى فى كتاب الطلاق حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض علي عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلقها قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء وفى رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عند مسلم ثم ليدعها بدل قوله ليمسكها وعند مسلم أيضا من رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ورواه جماعة غير نافع بلفظ حتى تطهر من الحيضة التى طلقها فيها ثم إن شاء أمسكها وهى رواية يونس بن جبير وأنس بن سيرين وسالم فلم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر نعم رواية الزهرى عن سالم موافقة لرواية نافع كما نبه عليه أبو داود والزيادة من الثقة مقبولة خصوصاً إذا كان حافظا .

الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم فى العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإن الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه ويكون هو الساعى فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه أعنى زوجة المحلل بعد أن زوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفى الواحدة كفاية فى المقصود من غير محذور ولست أقول الجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعانى وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه .

الثالث : أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى : ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ (البقرة :٢٣٦).

وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر فى أصل النكاح. كان الحسن بن على رضي الله عنهما مطلاقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداهما فنكست رأسها وتنكست وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال : لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها .

ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فدخل عليه الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن وأجلسه فى مجلسه وقال ألا أرسلت إلىّ فكنت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هى قال : جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشى عليها أعز علىّ منك ولكنك تعلم أن ابنتى بضعة منى يسوؤنى ما يسوؤها ويسرنى ما يسرها وأنت مطلاق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبى فى محبتك وأكره أن يتغير قلبى عليك فأنت بضعة من رسول الله ﷺ فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا فى عنقى . وكان على

ﷺ يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على المنبر ويقول فى خطبته : إن حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن فى حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغى أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن ذاته والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله الغنى فى الفراق والنكاح جميعا فقال : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النور : ٣٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ﴾ (النساء : ١٣٠) .

الرابع : أن لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح .

فقد ورد فى إفشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم (١٥٥٧) .

ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذى يريبك فيها فقال العاقل : لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال مالى ولامرأة غيرى .

فهذا بيان ما على الزوج.

(١٥٥٧) حديث : « إفشاء سر النكاح فيه وعيد عظيم » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها . اهـ.

القسم الثانى من هذا الباب النظر فى حقوق الزوج عليها

والقول الشافى فيه أن النكاح نوع رق فهى رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »(١٥٥٨) .

« وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها فى الأسفل فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن فى النزول إلى أبيها فقال ﷺ : أطيعى زوجك فمات فاستأمرته فقال: أطيعى زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها »(١٥٥٩) .

وقال ﷺ : **« إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها »(١٥٦٠) .**

(١٥٥٨) حديث : قال ﷺ : « إيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » أى مع الفائزين السابقين وإلا فكل من مات على الإسلام لابد من دخوله الجنة ولو بعد دخوله النار **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن غريب وابن حبان من حديث أم سلمة .اهـ.

وقال مرتضى : روياه فى النكاح ورواه الحاكم كذلك فى البر والصلة وقال صحيح وأقره الذهبى وابن الجوزى هو من رواية مساور الحميرى عن أمه عن أم سلمة وهما مجهولان .

(١٥٥٩) حديث : « كان رجل خرج فى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها فى السفل فمرض فأرسلت المرأة تستأذن فى النزول إلى أبيها فقال لها رسول الله ﷺ أطيعى زوجك فمات فاستأمرته فقال : أطيعى زوجك فدفن أبوها ولم تحضره فأرسل رسول الله ﷺ يخبرها أن الله تعالى قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها » هكذا ساقه صاحب القوت **قال العراقى** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها .

(١٥٦٠) حديث :قال ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها » أى الفروض الخمس « وصامت شهرها » رمضان غير أيام الحيض أو النفاس إن كان « وحفظت » وفى رواية أحصنت « فرجها » من الجماع والسحاق المحرمين « وأطاعت زوجها » فى غير معصية « دخلت جنة ربها » أن تجنبت مع ذلك بقية الكبائر أو تابت توبة صحيحة أو عفى عنها والمراد مع السابقين الأولين **قال العراقى** : رواه ابن حبان من حديث أبى هريرة .اهـ.

وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام .

وذكر رسول الله ﷺ النساء فقال : « **حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة** »(١٥٦١) .

وقال ﷺ : « **اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير** »(١٥٦٢) يعني الزوج المعاشر .

= **وقال مرتضى** : ورواه البزار عن أنس إلا أنه قال دخلت الجنة قال البيهقى فيه راود بن الجراح وثقه أحمد وجميع وضعفه آخرون وقال ابن مغين وهم فى هذا الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن حسنة وهوابن شرحبيل وحسنة أمه لكنه قال وأطاعت بعلها وفيه فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت قال الهيتمى وفى سنده ابن لهيعة وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه أحمد عن عبد الرحمن بن عوف لكنه قال قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت قال الهيتمى فيه ابن لهيعة وبقية رجاله رجال الصحيح وقال المنذرى رواته أحد رواة الصحيح خلاف ابن لهيعة وحديث حسن فى المتابعات وقد أورد الحديث باللفظ المذكور صاحب القوت وزاد .

(١٥٦١) حديث : ذكر رسول الله ﷺ النساء فقال : « حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن » أى فيهن خيرات مباركات «لولا ما يأتين بأزواجهن » أى من كفران العشيرة ونحوه « دخل مصلياتهن الجنة » يفهم منه أن غير مصلياتهن لا يدخلها وهو وارد على نهج الزجر والتهويل وإلا فكل من مات علي الإسلام يدخل الجنة ولابد. **قال العراقى** : رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى إمامة دون قوله مرضعات وهى عند الطبرانى فى الصغير . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه بتمامه الطيالسى وأحمد وابن منيع والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة .

(١٥٦٢) حديث : قال ﷺ : « اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن لم يا رسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عباس . اهـ.

وقال مرتضى: ورواه أنس بلفظ اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء رواه أحمد ومسلم فى الدعوات والترمذى فى صفة جهنم عنه ورواه البخارى فى صفة الجنة والترمذى والنسائى فى عشرة النساء والرقائق عن عمران بن حصين ورواه أحمد أيضا عن ابن عمر ولكنه قال الأغنياء بدل النساء قال المنذرى وسنده جيد.

وفي خبر آخر : « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت: أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب »(١٥٦٣) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت : أفلا أتزوج قال : بلى تزوجي فإنه خير»(١٥٦٤) .

(١٥٦٣) حديث : « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت : أين النساء فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران ومصبغات الثياب» . **قال العراقي** : رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عمران بن حصين أقل ساكني الجنة النساء ولأبي نعيم في الصحابة من حديث عزة الأشجعية ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة ويل للنساء من الأحمرين الذهب والمعصفر وفيه عباد بن عباد متروك قاله الذهبي .

(١٥٦٤) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « أتت فتاة » أي امرأة شابة « إلى النبي ﷺ فقالت يا نبي الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة فقال لو كان من قرنه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدّت شكره » أي ما وفت بالشكر في مقابلة نعمه « قالت: فلا أتزوج إذا قال : بلى تزوجي فإنه خير » نقله صاحب القوت فقال : رويناه عن أم عبد المغنية عن عائشة قالت : الخ **وقال العراقي**: رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل فتزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة .اهـ .

وقال مرتضى : وروى الحاكم في النكاح من حديث ربيعة بن عثمان عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ بابنته فقال هذه بنتي أبت أن تزوج قال أطيعي أباك فقالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته فقال إن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه قال الحاكم رواه الذهبي فقال : بل منكر قال أبو حاتم ربيعة منكر الحديث فالصحة من أين .اهـ. وقد رواه البزار بأتم من هذا وفيه لو كانت به قرحة فلحستها أو انتثر منخراه صديدا أو دما ثم ابتلعته ما أدت حقه قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبدا فقال النبي ﷺ لا تنكحوهن إلا بإذنهن قال المنذري رواته ثقات وقد رواه أيضا ابن حبان في صحيحه وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه العراقي فقد رواه الحاكم والبيهقي بلفظ من حق الزوج على الزوجة لو سال منخراه دما وقيحا وصديدا فلحسته بلسانها ما أدت حقه الحديث وروى نحوه أبو داود والحاكم من حديث قيس بن سعد وأحمد من حديث أنس كما سيأتي ذكره قريبا .

قال ابن عباس : «أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت : إنى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب»(١٥٦٥) .

وقال ﷺ : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » (١٥٦٦) .

(١٥٦٥) حديث: قال ابن عباس :« أتت امرأة من خثعم إلى النبي ﷺ فقالت إنى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الرجل على المرأة ... الحديث » **قال العراقى** : رواه البيهقى مقتصرا على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف .اهـ.

وقال مرتضى : لفظ البيهقى من حديث ابن عباس حق الزوج على الزوجة أن لا تمنع نفسها ولو على قتب فإذا فعلت كان عليها إثم وإن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه ولفظ حديث ابن عمر أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب وأن لا تصوم يوما واحداً إلا بإذنه فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها وأن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع قيل وإن كان ظالما قال وإن كان ظالما هكذا رواه أبو داود والطيالسى وابن عساكر وفى الباب عن تميم الداري ﷺرفعه قال حق الزوج على المرأة أن لا تهجر فراشه وأن تبر قسمه وأن تطيع أمره وأن لا تخرج إلا بإذنه وأن لا تدخل إليه من يكره رواه الطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ والديلمى وابن النجار .

(١٥٦٦) حديث :قال ﷺ : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » قال ابن العربى فيه تعليق الشرط بالمحال لأن السجود قسمان سجود عبادة وليس إلا له وحده ولا يجوز لغيره أبدا وسجود تعظيم وذلك جائز وأخبر ﷺ أن ذلك لا يكون ولو كان لجعل للمرأة فى أداء حق الزوج .اهـ. « من عظم حقه عليها » هكذا هو فى القوت من بقية الحديث ووجد فى نسخة العراقى زيادة والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما .

وقال مرتضى: لم أر هذه الزيادة فى نسخ الأحياء الموجود عندى ولا فى القوت **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبى أوفى .اهـ

وقال ﷺ : «أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت فى قعر بيتها وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » (١٥٦٧) .

= **وقال مرتضى** : لفظ الترمذى فى النكاح لو كنت آمرًا أحدا وفى رواية آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أبيض إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض لكان ينبغى لها أن تفعله وقال غريب وفيه محمد بن عمر ضعفه أبو داود وقواه غيره وكذلك رواه ابن أبى شيبة وابن ماجه من حديث عائشة ورواه أحمد عن معاذ والحاكم عن بريدة ولفظ الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة فى أثناء حديث ولو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها وأما حديث قيس بن سعد قال أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانهم فأتيت فقلت أنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك فقال : لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق رواه أبو داود والحاكم والطبرانى والبيهقى وفى رواية لو كنت آمرًا أن يسجد أحد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال الحاكم صحيح وأقره الذهبى ورواه أحمد من حديث أنس بإسناد جيد وفيه قصة الجمل الذى كان لأهل بيت من الأنصار يسقون عليه فلما رأى النبى ﷺ سجد له فقالوا نحن أحق أن نسجد لك فقال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها .... الحديث ولفظ حديث ابن أبى أوفى لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه وكذلك رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى .

(١٥٦٧) حديث : قال ﷺ : « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها » هكذا فى القوت وفى نسخة العراقى من ربها « إذا كانت فى قعر بيتها » أى وسطه « وإن صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها » هكذا ساقه صاحب القوت **قال العراقى** : رواه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره؛ وآخره رواه أبو داود مختصرًا من حديث دون ذكر صحن الدار ورواه البيهقى من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلى فى الدار خير لها من أن تصلى فى المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الطبرانى من حديث ابن مسعود فى حديث لفظه فإنها أقرب ما تكون من الله وهى فى قعر بيتها .

والمخدع بيت فى بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»(١٥٦٨) .

وقال أيضا : « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات » (١٥٦٩) .

فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء فى السلف كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار .

(١٥٦٨) حديث :قال ﷺ : « المرأة عورة » والعورة فى الأصل سوأة الإنسان وكل ما يستحيا من إظهاره من العار وهو المذمة كنى بها عن وجوب الاستتار فى حقها « فإذا خرجت استشرفها الشيطان » **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود . اهـ.

وقال مرتضى : رواه فى كتاب النكاح وقال حسن غريب ورواه كذلك الطبرانى بزيادة وأنها أقرب ما تكون من الله وإنها فى قعر بيتها قال الهيثمى : رجاله موثقون .

(١٥٦٩) حديث : « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشرة » كذا فى القوت بلفظ للمرأة عشر عورات وفيه ستر القبر عشر عورات **قال العراقى** : رواه الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعابى فى تاريخ الطالبيين من حديث على بسند ضعيف وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف للمرأة ستران قيل وما هما قال الزوج والقبر . اهـ.

وقال مرتضى : حديث ابن عباس هذا عند الطبرانى بلفظ قيل فأيهما أستر وفى رواية أفضل قال القبر قد رواه فى معاجيمه الثلاثة بهذا اللفظ وفيه خالد بن يزيد القسرى وهو غير قوى فهذا معنى قول العراقى بسند ضعيف وقد رواه ابن عدى فى الكامل بلفظ للمرأة ستران القبر والزوج رواه من طريق هشام بن عمار بن خالد بن يزيد عن أبى ردف الهمدانى عن الضحاك عن ابن عباس ثم قال خالد بن يزيد أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا متنا ولا إسنادا وقال ابن الجوزى هو موضوع والمتهم به خالد بن يزيد هذا وقد تعقب وقد رواه ابن عساكر كذلك وفى الطيوريات عن على بن عبد الله نعم الاختان القبور .

وهمّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفـره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ، فقالت : زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

وخطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها : والله مالي همة في النسـاء لشغلي بحالي فقالت : إني لأشغل بحـالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالاً جزيلا من زوجي فأردت أن تنفقـه على إخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال : حتى أستـأذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال : وكان ينهاني عن التـزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحـابنا إلا تغير فلما سمع كلامـها قال : تزوج بها فإنهـا ولية لله هذا كلام الصديقين قـال فتزوجتهـا فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عمن غسل بالأشنان قال : وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليـها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليـه وقال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر** » (١٥٧٠) .

(١٥٧٠) حديث : قـال ﷺ : « لا يحل لها أن تطعم مـن بيته إلا بإذنه إلا الرطـب الذي يخاف فساده فإن أطعمتـه عن رضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغيـر إذنه كان له الأجر وعليها الوزر » أي العقاب ورواه أبـو داود والطيالسي والبيهـقي من حديث ابن عمر في حـديث فيه ولا تعطي من بيته شيـئا إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر وقـد تقدم قريبا **قال العراقي** : ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يا رسول الله أنأكل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكلينه وتهدينه وصحح الدارقطني في العلل أن سـعدا هذا رجل من الأنصـار ليس ابن أبي وقـاص وذكره البـزار في مسند ابن أبي وقـاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عـائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غيـر مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .اهـ.

ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنتها عند التزوج : إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فاقربى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمنّ منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدفّ مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فإنى رأيت الحبّ فى القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبّ يذهب

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قعر بيتها لازمة لمغزلها لا يكثر صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تحفظ بعلها فى غيبته وتطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها فى حاجاتها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيرة على نفسها وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنظفه فى نفسها مستعدة فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال ﷺ : **«أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة امرأة آمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أو ماتوا »** (١٥٧١) .

(١٥٧١) حديث : قال ﷺ : « أنا وامرأة سفعاء الخدين » السفعة بالضم سواد مشرب بحمرة وسفع=

وقال ﷺ : « حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول ما لهذه تبادرني فيقال لي يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك »(١٥٧٢) .

ومن آدابها : أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روى أن الأصمعي قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه أو لعلي أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله لي فأسكتتني .

وقال الأصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له .

= كعتب إذا كان لونه كذلك وهو أسفع وهي سفعاء « كهاتين في الجنة » أشار به إلى كمال القرب وهي «امرأة تأيمت على زوجها » أي مات عنها وله منها بنون « وحبست نفسها على بنيها » منه بأن اشتغلت بتربيتهم ولم تطالب نفسها إلى النكاح خوفا على ضياع الأولاد «حتى بانوا » منها على خير « أو ماتوا » **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشجعي بسند ضعيف .

(١٥٧٢) حديث : قال ﷺ : « حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني » أي تسابقني « إلى باب الجنة » أي تدخل قبلي « فأقول ما لهذه تبادرني فيقال يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة » الصورة « وكان عندها يتامى لها » من ذكور وإناث «فصبرت عليهن » ولم تتزوج خوفا عليهن « حتى بلغ أمرهن الذي بلغ » من رشد وبلوغ «فشكر الله لها ذلك » **قال العراقي** : رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى: وكذلك رواه الديلمي بهذا اللفظ .

ومن آداب المـرأة : ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال .

روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا** » (١٥٧٣) .

ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً** » (١٥٧٤) .

ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة .

(١٥٧٣) حديث : قال ﷺ : « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا » بأي وجه كان « إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله إنما هو عندك دخيل » وهو الذي يدخل على قوم بطريق الضيافة «يوشك » بكسر الشين أي يقرب « أن يفارقك إلينا » **قال العراقي** : رواه الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه .

(١٥٧٤) حديث : قال ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج » فإنها تحد عليه « أربعة أشهر وعشرا » **قال العراقي** : متفق عليه .

وقال مرتضى : رواه عبد الرزاق وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أم حبيبة وزينب بنت جحش ورواه مالك وعبد الرزاق أيضا وأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن حفصة عن عائشة ورواه النسائي أيضا عن أم سلمة ولفظهم كلهم فوق ثلاث ليال بدل قوله أكثر من ثلاثة أيام ورواه أيضا أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أم عطية بلفظ فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب ولا تمس طيبا إلا إذا طهرت من حيضها من قسط وإظفار .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٢

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

ومن آدابها : أن تقوم بكل خدمة فى الدار تقدر عليها فقد روى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت : « **تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه واستقى الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بجارية فكفتنى سياسة الفرس فكأنما أعتقنى** » (١٥٧٥) .

ولقيت رسول الله ﷺ يومًا ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال ﷺ أخ أخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه .

تم كتاب (آداب النكاح) بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى

ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب (آداب الكسب والمعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربع العادات

* * *

(١٥٧٥) حديث: قالت أسماء رضي الله عنهما : « تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه .... الحديث » متفق عليه وهذا لفظ البخارى فى النكاح وهذا الحديث أخرجه البخارى أيضا فى الخمس مقتصرا على قصة النوى ورواه النسائى فى عشرة النساء .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

كتاب آداب الكسب والمعاش
وهو الكتاب الثالث من ربع العادات

ويشتمل على خمسة أبواب هى :

(البـاب الأول) : فى فضل الكسب والحث عليه .

(الباب الثانى) : فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات .

(الباب الثالث) : فى بيان العدل فى المعاملة .

(البـاب الرابع) : فى بيان الإحسـان فيها .

(الباب الخامس) : فى شفقة التاجر على نفسه ودينه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

نحمد الله حمد موحد امحق فى توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شىء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى وإن كل من فى السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا ، وكوّر الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا ، لينتشروا فى ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا ، ونصلى على رسوله الذى يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا فى نصرة دينه تشمرا وانكماشا ، وسلم تسليما كثيرا .

(أما بعد) : فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار التمحل والاضطراب ، والتشمر والاكتساب وليس التشمر فى الدنيا مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها .

والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ، ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم فى طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة ما لم يتأدب فى طلبها

بآداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعـات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها فى خمسة أبواب :

(الباب الأول) : فى فضل الكسب والحث عليه .

(الباب الثانى) : فى علم صحيح البيع والشراء والمعاملات .

(الباب الثالث) : فى بيان العدل فى المعاملة .

(الباب الرابع) : فى بيان الإحسان فيها .

(الباب الخامس) : فى شفقة التاجر على نفسه ودينه .

الباب الأول

فى فضل الكسب والحث عليه

(أما من الكتاب) فقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (النبأ : ١١) .

فذكره فى معرض الامتنان وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٠) .

فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٩٨) .

وقال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: ٢٠) .

وقال تعالى : ﴿ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة : ١٠) .

(وأما الأخبار) : فقد قال ﷺ : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة » (١٥٧٦) .

وقال عليه السلام : **« التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصدّيقين والشهداء »** (١٥٧٧) .

(١٥٧٦) حديث : قال ﷺ : « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم فى طلب المعيشة» رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وقد تقدم الكلام عليه قريبا فى كتاب النكاح .

(١٥٧٧) حديث : قال ﷺ : « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » . **قال العراقى :** رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى سعيد قال الترمذى حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر .اهـ. =

وقـــال ﷺ : « من طلب الدنيا حـلالا وتعفـفا عن المسألة وسـعيا على عـياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر »(١٥٧٨) .

« وكـان ﷺ جالسا مع أصحـابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فـقالوا ويح هذا لو كان شبـابه وجلده فى سبيل الله فقـال ﷺ : لا تقولوا هذا فإنه إن كـان يسعى على نفسه ليكفـها عن المسألة ويغنيـها عن الناس فهو فى سـبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرًا وتكاثرًا فهو فى سبيل الشيطان » (١٥٧٩) .

= **وقال مـرتضى** : أورده الترمذى والحاكم فى البيوع وزاد التـرمذى بعد قوله حسن غريب ولكن لفظهما مع النبـيين والصديقين والشهداء ولذا قال الحكيم التـرمذى فى نوادر الأصول بعد أن أخرجه إنما لحق بدرجتهم لأنه احتظى بقلبـه من النبوة والصديقية والشهادة . **وقـال العراقى** : ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر يشير به إلى حديثه عندهما بلفظ التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامـة أخرجاه فى البيوع قال الحاكم صحيح واعترضه ابن القطان وهو من رواية كثير بن هشـام وهو وأن خرج له مسلم ضعفه أبو حاتم وغيره . اهـ.

وقال مـرتضى : ومن روى له أحد الشيخين فقـد جاوز القنطرة ولا يسمع فيه لوم لائم ورواه الأصبهانى فى الترغيب والديلمى فى الفردوس من حديث أنس التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيـامة وعند ابن النجار فى حـديث ابن عباس التاجر الصـدوق لا يحجب من أبواب الجنة .

(١٥٧٨) حديث : قال ﷺ : « من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » **قال العـراقى** : رواه أبو الشيـخ فى الثواب وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . اهـ.

وقـال مــرتضى : أورده أبو نعيم فى ترجـمة ابن السـماك عن الثورى عن الحـجاج بن فرافصة عن مكحول عن أبى هريرة بلفظ من طلب الدنيا حلالا استـعفافا عن المسألة وسعيا على العلم وتلطفا على جاره بعـثه الله يوم القيامة ووجهه مثـل القمر ليلة البدر ومن طلب حلالا مكاثرا بها مفـاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ثم قـال غريب من حديث مكحول لا أعلم له راويا عنه إلا الحـجاج وهو عند الخطيب والديلمى بلـفظ من طلب مكسبـه من مال الحلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين هكذا وأشار بأصبعه السبابة والوسطى .

(١٥٧٩) حديث : « كـان ﷺ جالسا مع أصـحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقـوة وقد=

وقــال ﷺ : « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة » (١٥٨٠) .

وفى الخبر : « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف» (١٥٨١) .

= بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله تعالى فقال ﷺ : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى لنفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فـهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعـيفين أو ذرية ضعفاء ليغنيهم ويكفهم فـهو فى سبيل الله وإن كان يسعى مكاثرا ومفاخرا فهـو فى سبيل الشيطان » هكذا أورده صاحب القوت **قال العـراقى :** رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف.

وقال مـرتضى : ولفظه فى الكبير: إن كان خرج يسعى على ولده صـغارا فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفســه يعفهــا فهو فى ســبيل الله وإن كان خرج يــسعى رياء ومفاخــرة فهو في ســبيل الشيطان .

(١٥٨٠) حديث : قال ﷺ : « إن الـله يحب العبد يتخـذ المهنة ليستغنى بهـا عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتـخذه مهنة » ففى المعجم الكبير للـطبرانى من حديث الجارود بن المعلى مرفوعا : من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه فى أهل النار والحديث المذكور هكذا أورده صاحب القوت قال العراقى : ثم وجدت هكذا رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على: أن الله يحب أن يرى عبـده تعبا فى طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الدارقطنى كان يضع الحديث . اهـ.

(١٥٨١) حديث : « إن الله يحب المؤمن المحترف » قال العـراقى: رواه الطبرانـى وابن عدى من حديث ابن عمر وضعفه . اهـ.

وقـال مـرتضى : وكذلك رواه الحكيم الترمذى والبيهقى وقـال تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليســا بالقويين وقال ابن الجوزى حديث لا يصح وقال فى الميزان أبو الربيع السمان قال أحمـد مضطرب الحديث والنسائى لا يكتب حديثه والدارقطنى متروك وقـال هشيم كان يكذب ثم أورد له مما أنكر عليـه هذا الحديث ونقل الزركشى تضـعيفه عن ابن عـدى وأقره وقال الحافظ السيوطى فى سنده متروك وقال الحافظ السخاوى لكن له شواهد .

وقال مــرتضى: ومنها ما يروى عن أبى هريرة مرفوعــا أن الله تعالى يحب المؤمن المتبذل المحترف الذى لا يبالى ما لبس رواه البيهــقى من طريق ابن نهيقى عن عقيل عن يعقوب بن عيينة عن المغيرة بن الاختر عن أبى هريرة قال والصواب عن المغيرة مرسلا .

وقال ﷺ : «أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » (١٥٨٢).

وفى خبر آخر: « أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح » (١٥٨٣) .

وقال عليه السلام : « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » (١٥٨٤).

(١٥٨٢) حديث : قال ﷺ : « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » هكذا أورده صاحب القوت **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يا رسول الله أى الكسب أطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ورواه البزار والحاكم فى رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الإسناد قال وذكر يحيى بن سعيد أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقى من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وكلان عن البخارى ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع يزعم عن خاله أبى بردة وجميع ضعيف والله أعلم .اهـ.

وقال مرتضى : وروي ابن عساكر من حديث ابن عمر سئل رسول الله ﷺ عن أطيب الكسب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور هكذا هو فى نسخة الجامع الكبير للسيوطى ابن عمر وأخاله مصحفا عن ابن عمير والله أعلم .

(١٥٨٣) حديث : « أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث أبى هريرة بلفظ خير الكسب كسب العامل إذا نصح وسنده حسن .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه البيهقى والديلمى وابن خزيمة وقال الهيتمى رجاله ثقات ولفظهم كسب يد العامل .

(١٥٨٤) حديث : قال ﷺ : « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » هكذا فى القوت . **قال العراقى** : رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث من حديث نعيم بن عبدالرحمن بلفظ تسعة أعشار الرزق فى التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر فى الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان أنه تابعى فالحديث مرسل .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه سعيد بن منصور فى سننه من حديثه ومن حديث يحيى بن جابر الطائى مرسلا بزيادة والعشر فى المواشى وفي رواية بدل المواشى: السائبات قال الزمخشرى وهى النتاج فمرجعهما واحد ونعيم بن عبد الرحمن ازوير مقبول من الطبقة الثانية ويحيى بن جابر الطائى قاضى حمص صدوق كذا فى الكاشف وفى التقريب ثقة يرسل كثيرا قال الماوردى وإنما كانت التجارة تسعة أعشار الرزق لأنها فرع لمادتى النتاج والزرع وهى نوعان تقلب فى الحضر من غير نقلة ولا سفر والثانى تقلب فى المال بالأسفار ونقلة إلى الأمصار وكلاهما مما يحتاجه الخاص والعام .

وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال : أتعبد قال : من يعولك قال : أخى، قال: أخوك أعبد منك .

وقال نبينا ﷺ : « **إنى لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به وإنى لا أعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في رَوْعِي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب أمر بالإجمال فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال فى آخره ولا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته** » (١٥٨٥).

وقال ﷺ : « **الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها** » (١٥٨٦).

(١٥٨٥) حديث : قال نبينا ﷺ : « إنى لا أعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به ولاأعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث فى روعى إن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » ثم قال فى آخر ولا يحملنكم استبطاء شىء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله تعالى لا ينال ما عنده من الرزق وغيره بمعصيته . **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ذكره شاهد الحديث أبى حميد وجابر وصححهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقى فى المدخل وقال إنه منقطع .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أمامة بلفظ أن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصيته فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة بلفظ نفث روح القدس فى روعى أن نفسا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته .

(١٥٨٦) حديث : قال ﷺ : « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » ، **قال العراقى:** رويناه فى الطيوريات من قول الحسن البصرى ولم أجده مرفوعا .اهـ.

وقال مرتضى : وهكذا هو فى القوت قال أبو عمرو بن العلاء قال الحسن فساقه .

وقال عليه السلام: « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه» (١٥٨٧).

وقال ﷺ : « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » (١٥٨٨) .

(وأما الآثار) (١٥٨٩) : فقد قال لقمان الحكيم لابنه يا بنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروأته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به .

(١٥٨٧) حديث : قال ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله » وفى رواية حبلا وفى أخرى أحبله بالجمع « فيحتطب » وفى مسلم فيحطب بغير تاء أى يجمع الحطب «خير له من أن ياتي رجلا أعطاه الله من فضله فسأله أمرا دنيويا أعطاه أو منعه » متفق عليه من حديث أبى هريرة ولفظ البخارى «والذى نفسى بيده لأن يأخذ أحد حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس » وفى لفظ له « خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه » وليس عند مسلم « والذى نفسى بيده » وعنده « فيحطب » بغير تاء الافتعال ومثله رواية النسائى إلا أنه قال « فيحتطب » كما عند البخارى وقد روى ابن جرير فى تهذيبه من حديث أبى هريرة لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى الجبل فيحتطب على ظهره فيبيع فيأكل خير له من أن يسأل الناس معط أو مانع .

(١٥٨٨) حديث : قال ﷺ : « من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث أبى كبشة الأنمارى بلفظ ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح . اهـ.

وقال مرتضى: وفى التهذيب لابن جرير من حديث أبى هريرة من فتح باب مسألة فتح الله له باب فقر فى الدنيا والآخرة ومن فتح باب عطية ابتغاء رحمة الله أعطاه الله خير الدنيا والآخرة وفى لفظ له أيضا لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . . . الحديث وقد ذكر قريبا قبل هذا الحديث .

(١٥٨٩) **وأما الآثار:** أ- قال لقمان الحكيم لابنه رضى الله عنهما : يا بنى استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته . وقد ورد : لا دين لمن لا مروءة له وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به،واحتقارهم له وازدراؤهم لحاله وهذا القول نقله صاحب القوت . =

وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة:

فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

ب- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، نقله صاحب القوت والإسماعيلي والذهبي كلاهما في مناقب عمر.

جـ- قال ابن مسعود رضي الله عنه : أني لأكره الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر دنياه، ولفظ القوت إني لأمقت الرجل أراه فارغا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته وفي الحلية لأبي نعيم من طريق أبي عوانة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب قال : قال ابن مسعود إني لأكره أن أرى الرجل فارغا لا في عمل دنيا ولا آخرة ومن طريق أبي معونة عن الأعمش عن المسيب بن زافع قال قال عبد الله بن مسعود: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة.

د- في القوت روينا عن حماد بن زيد قال : قال أيوب هو ابن تميمة السختياني البصري: كسب فيه شيء ولفظ القوت فيه بعض الشيء أحب إليّ من سؤال الناس ولفظ القوت من الحاجة إلى الناس وهو مصداق قوله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوا أو منعوا » وقد تقدم قريبا ويروى أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ركب البحر مرة للغزو فبينما هم كذلك إذ جاءت ريح عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم أما ترى هذه الشدة فقال: ليس هذه شدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس رواه صاحب الحلية ولفظ القوت حدثنا عن موسى بن طريف قال ركب إبراهيم بن أدهم البحر فأخذهم ريح عاصف أشرفوا على الهلكة فقالوا يا أبا إسحاق أما ترى ما نحن فيه من الشدة قال أو هذه شدة قالوا فأي شدة الشدة قال الحاجة إلى الناس، وقال أيوب السختياني لما ذكره قال لي أبو قلابة عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري ثقة فاضل كثير الإرسال مات بالشام هاربا من القضاء سنة أربع ومائة الزم السوق فإن الغنى من العافية، أخرجه البيهقي وابن عساكر من طريق أيوب السختياني قال : قال أبو قلابة احفظ عني ثلاث خصال إياك وأبواب السلطان وإياك ومجالس أصحاب الأهواء والزم سوقك فإن الغنى من العافية وأورده صاحب القوت مقتصرا على الجملة الأخيرة وتبعه المصنف وزاد في تفسيره : يعني الغنى عن الناس والله أعلم.

هـ - قول النبي ﷺ : « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي » .... الحديث **قال العراقي** : رواه أحمد من حديث ابن عمر بلفظ رزقي تحت ظل رمحي .

وقال ابن مسعود ﷺ إنى لأكره أن أرى الرجل فارغا لا فى أمر دنياه ولا فى أمر آخرته .

وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إلىّ لأنه فى جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصرى في هذا .

وقال عمر ﷺ ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى وقال الهيثم : ربما يبلغنى عن الرجل يقع فىّ فأذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على .

وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ريح عاصفة فى البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس ، وقال أيوب قال لى أبو قلابة الزم السوق فإن الغنى من العافية يعنى الغنى عن الناس .

وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئًا حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى ﷺ : **« إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى »**. وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال: **« تغدو خماصا وتروح بطانا »** (١٥٩٠) فذكر أنها تغدو فى طلب الرزق .

(١٥٩٠) حديث : قوله ﷺ حين ذكر الطير فقال: « تغدو خماصا وتروح بطانا ». **قال العراقى:** رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا ابن المبارك وأبوداود الطيالسى وأحمد كلهم فى الزهد والنسائى وأبو يعلى والحاكم وصححه وأقره الذهبى ورواه أيضا ابن حبان والبيهقى والضياء فى المختارة كلهم من حديث عمر ﷺ ولفظهم جميعا لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ : يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك فى زاوية المسجد» وروى أن الأوزاعى لقى إبراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا إسحاق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعنى عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الدارانى ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله فى أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة .

(فإن قلت) : فقد قال ﷺ : « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (١٥٩١) .

(١٥٩١) حديث : قال ﷺ : « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلىّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ » **قال العراقى:** رواه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الحاكم فى تاريخه عن أبى ذر مرفوعا بلفظ ما أوحى إلى أن أكون تاجرا ولا أن أجمع المال مكاثرا ولكن أوحى إلى أن سبح . . . إلخ وهو فى الحلية لأبى نعيم عن أبى مسلم الخولانى مرسلا بلفظ ما أوحى إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين والباقى سواء يشير بذلك إلى ما رواه البيهقى فى الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصرى رفعه مرسلا حب الدنيا رأس كل خطيئة ورواه الديلمى فى الفردوس عن على مرفوعا وهو أيضا عند البيهقى فى الزهد وأبى نعيم فى ترجمة الثورى من الحلية من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام وعند ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار وعند ابن يونس فى ترجمة سعد بن مسعود التجيبى من تاريخ مصر له من قول سعد وجزم ابن تيمية بأنه من قول جندب البجلى رضي الله عنه وفى معنى هذه الجملة ما رواه الديلمى من حديث أبى هريرة مرفوعا أعظم الآفات لشيب أمتى حبهم الدنيا وجمعهم الدنانير والدراهم لا خير فى كثير ممن جمعها إلا من سلطه الله على هلاكها فى الحق .

وقيل لسلمان الفارسى أوصنا فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غازيا أو عامرًا لمسجد ربه فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا .

(فالجواب) : أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة والزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهى مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فإن كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراده سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والتستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابد بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب فى علوم الأحوال والمكاشفات أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به فى دينهم كالمفتى والمفسر والمحدث وأمثالهم. أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضى والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله ﷺ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعانى الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبى بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى ثم لما توفى أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى **ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان :**

إحداهما : أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدى الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم أو فضل لهم.

الحالة الثانية : الحاجة إلى السؤال وهذا فى محل النظر والتشديدات التى رويناها فى السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى فى السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعلم من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته فى اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض فى السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغى أن يستفتى المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان فى السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لميراثهم فكان قبولهم لميراثهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغى أن يدقق النظر فى هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعانى أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذى به الاكتساب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد فى كل واحد بابا ونبتدئ بذكر أسباب الصحة فى الباب الثانى .

★ ★ ★

[illegible]

الباب الثانى

فى علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات التى هى مدار المكاسب فى الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب أشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكنى أصبر إلى أن تقع لى الواقعة فعندها أتعلم واستفتى فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جل مفسدات العقود فإنه يستمر فى التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلابد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر ﷺ أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع فى سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهى البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

العقد الأول : البيع :

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمعقود عليه واللفظ .

(الركن الأول) : العاقد : ينبغى للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصبى والمجنون والعبد والأعمى لأن الصبى غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع

الصبى وإن أذن له الولى فيه عند الشافعى وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه فى المعاملة إليهما فضاع فى أيديهما فهو المضيع له وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا العبيد ما لم تأذن لهم السادة فى معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر فى البلد أنه مأذون له فى الشراء لسيده وفى البيع له فيعول على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما تسلمه إن ضاع فى يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له إلا المطالبة إذا عتق وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح من ذلك فلنأمره بأن يوكل وكيلا بصيرا ليشترى له أو يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فإن عامله التاجر بنفسه فالمعاملة فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته .

وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فهى معاملات مردودة وهو عاص بها ربه وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغى أن يتملك مما فى أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بعينه أنه حلال وسيأتى تفصيل ذلك فى كتاب الحلال والحرام.

(الركن الثانى : فى المعقود عليه) :

وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمنا كان أو مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط :

الأول : أن لا يكون نجسا فى عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأوانى المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التى لا تؤكل وإن كان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر

فى عينه الذى نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيــه فإنه يجوز الانتفاع به فى غير الأكل وهو فى عينه ليس بنجس . وكذلك لا أرى بأسًا ببيع بزر القــز فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهــه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهــه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية فى حالة الحياة .

الثانى : أن يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا التفات إلى انتفاع المشعبـذ بالحية وكذا لا التفات إلى انتفاع أصحـاب الحلق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس .

ويجوز بيع الـهرة والنحل وبيع الفهـد والأسد ومـا يصلح لصيد أو ينتـفع بجلده ويجوز بيـع الفيل لأجل الحمل ويـجوز بيع الطوطى وهى البـبغاء والطـاووس والطيور المليحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الـذى لا يجـوز أن يقـتنى إعـجابـا بصـورته لنهي رسـول الله ﷺ عنه[(١٥٩٢)] .

ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامـير والملاهى فإنه لا منفعة لها شـرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحـيوانات التى تباع فى الأعياد للعب الصبيـان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأمـا الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات

(١٥٩٢) حديث : « إنما الكلب هو الذى لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته » لنهى رسول الله ﷺ عنه فى قوله « من اقتنى كلبـا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عـمله كل يوم قيراطان » رواه مالك وابن أبى شيبة وأحمد والشيـخان والترمذى والنسائى من حديث ابن عمر وروى مسلم والترمذى والنســائى من حديث أبى هريرة من اقتنى كلبا ليس بكلب صيـد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجـره قيراطان كل يوم ورواه الطبـرانى فى الكبير من حديث عـبد الله بن مغفل وروى ابن حبـان عنه فى صحيحه بلفظ من اقتنى كلـبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا حرث نقص من أجره كل يوم قيراط وجاء عن سفيان بن أبى زهير ﷺ رفعه من اقتنى كلبا لا يغنى عنه زرعا ولا ضرعا نقص من عمله كل يوم قيراط ورواه مالك وابن أبى شيبة والشـيخان والنسائى وابن ماجه وروى ابن ماجـه أيضا من حديث أبى هريرة بلفظ من اقتني كلبا فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية .

فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « اتخذى منها نمارق » (١٥٩٣).

ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه .

الثالث : أن يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشترى من غير المالك انتظاراً للإذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغى أن يشترى من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا متقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجرى فى الأسواق فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه .

الرابع : أن يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يقدر على تسليمه حسا لا يصح بيعه كالآبق والسمك فى الماء والجنين فى البطن (١٥٩٤) .

وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع(١٥٩٥).

لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضا .

(١٥٩٣) حديث : قال رسول الله ﷺ لعائشة : « أتخذى منه نمارق » . متفق عليه من حديثها .

(١٥٩٤) حديث : «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الجنين فى البطن» - رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وعن أبى هريرة أنه نهى عن بيع الملاقيح والمضامين . رواه البزار بإسناد ضعيف ورواه مالك فى الموطأ عن سعيد بن المُسيِّب مرسلاً .

(١٥٩٥) حديث : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن فى الضرع » . روى عن ابن عباس أن النبى ﷺ نهى أن يباع صوف على ظهر أو لبن فى ضرع. وروى أنه ﷺ نهى أن يُباع ثمر حتى يُطعم وصوف على ظهر ولبن فى ضرع أو سمن فى لبن ، أخرجه الدارقطنى .

وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع (١٥٩٦) .

الخامس : أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبان يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التى بين يديك أو ذراعا من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون فى الدين إلا أن يبيع شائعا مثل أن يبيع نصف الشىء أو عشره فإن ذلك جائز وأما العلم بالقدر فإنما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا فى معرفة المقدار وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية فى الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا أحد المذهبين ولا يجوز بيع الثوب فى المنسج اعتمادا على الرقوم ولا بيع الحنطة فى سنبلها ويجوز بيع الأرز فى قشرته التى يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز فى القشرة السفلى ولا يجوز فى القشرتين ويجوز بيع الباقلاء الرطب فى قشريه للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إباحة بعوض فإن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستترا ستر خلقة ولا يبعد أن يتسامح به إذ فى إخراجه إفساده كالرمان وما يستر بستر خلق معه .

(١٥٩٦) حديث : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم » لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا توله والدة بولدها أخرجه البيهقى فى السير من حديث أبى بكر رضي الله عنه وعن أبى أيوب رضي الله عنه رفعه من فرق بين والدة وولدها فرق الله عز وجل بينه وبين أحبته يوم القيامة رواه أحمد والترمذى والحاكم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه لا يفرق بين الأم وولدها قيل إلى متى قال حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية .

السادس : أن يكون المبيع مقبوضا إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع مالم يقبض(١٥٩٧) .

ويستوى فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله وأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض .

الركن الثالث : لفظ العقد فلابد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم إما صريح أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصدا به البيع لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان فى ثوبين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والتصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضا فيما يختاره .

ولا ينبغى أن يقرن بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئا آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشترى الحطب بشرط النقل إلى داره ، كل ذلك فاسدا إلا إذا قرن استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول .

ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعى أصلا وانعقد عند أبى حنيفة إن كان فى المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير .

(١٥٩٧) حديث : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع مالم يقبض » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عباس .اهـ .

وقال مرتضى : الذى عند البخارى من حديثه أما الذى نهى عنه رسول الله ﷺ فهو الطعام أن يباع قبل أن يقبض ولفظ مسلم أحسب كل شيء بمنزلة الطعام وعند البيهقى من طريق أبى إسحاق عن عطاء عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال إنى أمرتك على أهل الله بتقوى الله لا يأكل أحدكم من ربح مالم يضمن وأن يبيع أحدكم ما ليس عنده وفى بعض رواياته قال له إنههم عن بيع مالم يقبضوا وربح مالم يضمنوا .

فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات فى المعاطاة إذ يتقدم الدلال إلى البزاز يأخذ منه ثوبا ديباجا قيمته عشرة دنانير مثلا ويحمله إلى المشترى ويعود إليه بأنه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البزاز فيأخذها ويتصرف فيها ومشترى الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلا .

وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البُياع فيعرض متاعًا قيمته مائة دينار مثلا ، فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا علىّ بتسعين ويقول اخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول فقد استمرت به العادات وهذه من المعضلات التى ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة ، إما فتح باب المعاطاة مطلقا فى الحقير والنفيس وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لا سيما فى الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ للمسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بعته إذ لم يصدر منى إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع .

الاحتمال الثانى: أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعى رحمه الله من بطلان العقد وفيه أشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك فى المحقرات معتادًا فى زمن الصحابة ولو كانوا يتكلفون الإيجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الأعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار فى مثل هذا تتفاوت والثانى أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشترى الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة فأى فائدة فى تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك .

الاحتمال الثالث : أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة رحمه الله.

وعند ذلك يتعسر الضبط فى المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعى رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال ، فلا بأس لو ملنا إليه لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا فى الأعصار الأول فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط فى الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التى لا يعتاد فيها إلا المعاطاة وطالب الإيجاب والقبول فيه يعد مستقصيا ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجهة له فهذا طرف الحقارة والطرف الثانى الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي فى محل الشبهة فحق ذى الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع ، فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة وأما الثانى وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذا وتسليما سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة فى العادة وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين.

واطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون إذ الملك لابد من نقله فى الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق فى الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفى المبيع لم يستقبح فى غير المحقرات .

هذا ما نراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يدع الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغى أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشترى من غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه

محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة فى المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن .

فإن قلت : فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل إذا حضر فى ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة فى البيع والشراء أو سمع منهم ذلك أو رآه أيجب عليه الامتناع من الأكل فأقول يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشىء الذى اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإنى أقول إن ترددنا فى جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغى أن لا نجعله دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر نقل الملك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن فى الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كأذن الحمامى فى دخول الحمام والأذن فى الإطعام لمن يريده المشترى فينزل منزلة ما لو قال أبحت لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم أغرم لى عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل هذا قياس الفقه عندى ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك فى ذمته والثمن الذى سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبته فإنه لا يتملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة وأما ها هنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفى دينه مما يسلم إليه فيأخذه . لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه فى يد المشترى ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أتلفه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ماأخذه من المشترى فيسقط فيكون كالقاضى دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه

فى قاعدة المعاطاة على غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون وأما الورع فإنه ينبغى أن يستفتى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

العقد الثانى : عقد الربا :

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا فى نقد أو فى طعام وعلى الصيرفى أن يحترز من النسيئة والفضل أما النسيئة فأن لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشىء من جواهر النقدين إلا يدا بيد وهو أن يجرى التقابض فى المجلس وهذا احتراز من النسيئة .

وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء ومن حيث أن الغالب أن يجرى فيه تفاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه وأما الفضل فيحترز منه فى ثلاثة أمور فى بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة وفى بيع الجيد بالردئ فلا ينبغى أن يشترى رديئا بجيد دونه فى الوزن أو يبيع رديئا بجيد فوقه فى الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج فى الفضل والثالث فى المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا فى البلد فإنا نرخص فى المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة فى البلد لم تصح المعاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائجا فى البلد رخصنا فى المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشترى بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان مموّها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة

وبما أريد من غير النقـرة وكذلك لا يجوز للصيـرفى أن يشترى قلادة فيـها خرز وذهب بذهب ولا أن يبيـعه بل بالفـضة يدا بيد إن لم يكن فـيهـا فضة ولا يجـوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منـه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجـوز بالفضة وغيرها وأما المتعاملون على الأطعمـة فعليهم التقابض فى المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف فإن اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة .

والمعتاد فـى هذا معاملة القصـاب بأن يسلم إليه الغنم ويشترى بهـا اللحم نقدا أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه الحنطة ويشترى بها الخبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ومعـاملة العصار بأن يسلم إليه البـزر والسمسم والزيتون ليأخـذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبـان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجـزاء اللبن فهو أيضا حـرام ولا يباع الطعام بغيـر جنسه من الطعام إلا نقـدا وبجنسه إلا نقدا ومتـماثلا وكل ما يتـخذ من الشيء المطعوم فلا يجـوز أن يباع به متمـاثلا ولا متفاضـلا فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيـد إذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب مـتفاضلا ومتـماثلا فهذه جمل مـقنعة فى تعريف البيع والتنبيه على ما يشـعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفـتى فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منهـا وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقـتحم الربا والحرام وهو لا يدرى .

العقد الثالث : السلم :

وليراع التاجر فيه عشرة شروط :

(الأول) : أن يكون رأس المال معلـوما علم مثله حـتى لو تعذر تسليم المسلم فـيه أمكن الرجوع إلى قـيمـة رأس المال فإن أسلم كفـا من الدراهم جزافا فـى كر حنطة لم يصح فى أحد القولين .

(الثانى) : أن يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم .

(الثالث) : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها .

ولا يجوز فى المعجونات والمركبات وما تختلف أجزاؤه كالقسى المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم فى الخبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه .

(الرابع) : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية فى البيع .

(الخامس) : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر .

(السادس) : أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغى أن يسلم فى العنب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع فى رأس المال إن شاء .

(السابع) : أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كى لا يثير ذلك نزاعا.

(الثامن) : أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يبطل كونه دينا، نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك .

(التاسع) : أن لا يسلم فى شىء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها ، أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا .

(العاشر): أن لا يسلم فى طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم فى نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا فى الربا .

العقد الرابع : الإجارة :

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه فى البيع والأجرة كالثمن فينبغى أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه فى المبيع إن كان عينا فإن كان دينا فينبغى أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل إذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكترى أن يصرفها إلى العمارة لم يجز لأن عمله فى الصرف إلى العمارة مجهول ومنها استئجار السلاّخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ واستئجار حمال الجيف بجلد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة .

ومنها أن يقدر فى إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة .

(الركن الثانى) : المنفعة المقصودة بالإجارة وهى العمل وحده ، إن كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها فى الفقهيات وإنما نشير إلى ما تعم به البلوى فليراع فى العمل المستأجر عليه **خمسة أمور:**

الأول : أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجار ليجفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه المنافع تجرى مجرى حبة سمسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهى كالنظر فى مرآة الغير والشرب من بئره والاستظلال بجداره والاقتباس من ناره ولهذا لو استأجر بياعا على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضا عن

حشمتهم وجاههم وقبول قولهم فى ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام فى تأليف أمر المعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق .

الثانى : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه ولا إجارة المواشى للبنها ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لأن إفرازه غير ممكن وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما .

الثالث : أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع فى قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصائغ على صيغة الأوانى من الذهب والفضة فكل ذلك باطل .

الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التى لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز .

وفى أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدى للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح .

الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار

المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إهماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الأشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتى لا شأن العوام .

العقد الخامس : القراض :

وليراع فيه ثلاثة أركان :

الركن الأول : رأس المال :

وشرطه أن يكون نقدا معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضييق طريق التجارة .

الركن الثانى : الربح :

وليكن معلوما بالجزئية بأن يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقى لى لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع .

الركن الثالث : العمل :

الذى على العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشترى بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه فى التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعنى الخبز ورعاية المواشى ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشترى إلا من فلان أو لا يتجر إلا فى الخز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء .

ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ فى حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى

النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أبيعه وأبى المالك فالمتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وإنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذى لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه فى البلد وليس عليه أجرة الحانوت ومهما تجرد فى السفر لمال القراض فنفقته فى السفر على مال القراض فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما .

العقد السادس : الشركة :

وهى أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة :

(الأول : شركة المفاوضة) : وهو أن يقولا تفاوضنا لنشترك فى كل ما لنا وعلينا ومالاهما ممتازان فهى باطلة .

(الثانى : شركة الأبدان) : وهو أن يتشارطا الاشتراك فى أجرة العمل فهى باطلة.

(الثالث : شركة الوجوه) : وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل .

(وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان) .

وهو أن يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه فى التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط .

ثم بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة ولا يشترط النقد بخلاف القراض .

فهذا القدر من علم الفقه تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدرى وأما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب والغير مكتسب والخلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع أو إهمال شروط السلم أو الاقتصار على المعاطاة إذ العادات جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة فى كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضى وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتلاف فتجتمع فى الذمة تلك القيم فإذا وقع التراضى على مقدار ما ينبغى أن يلتمس منهم الإبراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة أن يطرق إليه تفاوت فى التقويم فهذا ما تجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج فى كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله الموفق .

* * *

الباب الثالث

فى بيان العدل واجتناب الظلم فى المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجرى على وجه يحكم المفتى بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهى يقتضى فساد العقد وهذا الظلم يعنى به ما استضر به الغير وهو منقسم إلى ما يعم ضرورة وإلى ما يخص المعامل .

القسم الأول: فيما يعم ضرره وهو أنواع :

النوع الأول : الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم فى الشرع قال رسول الله ﷺ : « **من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره** » (١٥٩٨) .

(١٥٩٨) حديث : قال ﷺ : «من احتكر الطعام أربعين ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره» . **قال العراقى** : رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه ابن عساكر فى التاريخ فقال أخبرنا أبو القاسم السمرقندى أخبره محمد بن على الأنماطى عن محمد الرهان عن محمد بن الحسن عن خلاد بن محمد بن عاثر الأسدى عن أبيه عن عبد العزيز بن عبد الرحمن البالسي عن خصيف عن سعيد بن جبير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه، وروى ابن عساكر أيضا وابن النجار فى تاريخيهما من حديث دينار بن مكين عن أنس رفعه بلفظ من احتكر طعاما أو تربص به أربعين يوما ثم طحنه وخبزه وتصدق به لم يقبله الله منه ودينار راويه متهم قال ابن حبان روي عن أنس أشياء موضوعة .

وروى ابن عمر عنه ﷺ أنه قال: « **من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه**»(١٥٩٩) وقيل فكأنما قتل الناس جميعا .

وعن على ﷺ من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه وعنه أيضا أنه أحرق طعام محتكر بالنار وروى فى فضل ترك الاحتكار عنه ﷺ : « **من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به**» (١٦٠٠) وفى لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة .

(١٥٩٩) حديث : روى ابن عمر ﷺ عنه ﷺ أنه قال : « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه » **قال العراقى** : رواه أحمد والحاكم بسند جيد قال ابن عدى ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك ابن أبى شيبة فى المصنف والبزار فى مسنده وأبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية ولفظهم جميعا من احتكر طعاما وفى لفظ ليلة بدل يوما وفى آخره زيادة أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى ورواه بهذه الزيادة الحاكم أيضا من حديث أبى هريرة قال الحافظ : وفى إسناده أجنع بن زيد اختلف فيه وكثير بن مرة جهله ابن حزم وعرفه غيره وقد وثقه ابن سعد وروى عنه جماعة واحتج به النسائى ووهم ابن الجوزى فأخرج هذا الحديث فى الموضوعات وأما ابن أبى حاتم فحكى عن أبيه أنه قال هو حديث منكر وقيل فى بعض ألفاظ هذا الحديث فكأنما قتل نفسا هكذا أورده صاحب القوت **ولم يتعرض له العراقى** وقد وردت أحاديث فى هذا الباب فمن ذلك ما رواه مسلم والعقيلى من حديث معمر بن عبد الله من احتكر فهو خاطئ وروى الحاكم عن ابن عمر رفعه المحتكر ملعون وروى أحمد والحاكم والعقيلى من حديث أبى هريرة من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وروى أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس قال البويطى رجال ابن ماجه ثقات وجعل ابن الجوزى أحاديث الاحتكار من قبل الموضوع وهو مدفوع كما بينه الحافظان العراقى وابن حجر وعن على ﷺ قال : « من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه » هكذا أورده صاحب القوت وعنه ﷺ أنه أحرق طعامًا محتكرًا بالنار كذا رواه صاحب القوت وذلك بالكوفة أيام إمارته لينزجر بذلك غيره .

(١٦٠٠) حديث : قوله ﷺ : « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به» وفى لفظ آخر «فكأنما أعتق رقبة » هكذا هو فى القوت **قال العراقى**: رواه ابن مردويه فى التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما مين جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة أن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله فهو مرسل .اهـ.

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج:٢٥) أن الاحتكار من الظلم وداخل تحته فى الوعيد .

وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة فى السعر فقال له التجار لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وأنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين فقد جنيت علينا جناية فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا علىَّ ولا لى .

واعلم أن النهى مطلق ويتعلق بالنظر به فى الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهى فى أجناس الأقوات، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهى إليه وإن كان مطعوما وأما ما يعين على القوت : كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغنى عن القوت فى بعض الأحوال .

وإن كان لا يمكن المداومة عليه فهذا فى محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم فى السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجرى مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضا

= وقال مرتضى : وروى الديلمى من حديث ابن مسعود من جلب طعاما إلى مصر من أمصار المسلمين كان له أجر شهيد وفى القوت وروينا عن علقمة عن ابن مسعود من جلب إلى مصر من أمصار المسلمين فباعه بسعر يومه كان له عند الله أجر شهيد ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وأما الحديث المرسل الذى أورده العراقى فقد رواه أيضا الزبير بن بكار فى أخبار المدينة وعنده وعند الحاكم زيادة والمحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله واليسع بن المغيرة مخزومى مكى ولفظ حديثه مر رسول الله ﷺ برجل بالسوق يبيع طعاما بسعر هو أرخص من سعر السوق قال تبيع فى سوقنا بأرخص قال : نعم قال : .... واحتسابا قال : نعم قال أبشر فذكره وروى ابن ماجه فى البيوع من حديث إسرائيل عن على بن سالم عن على بن زيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب رفعه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون .

طرد النهى فى جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التى ذكرناها فى الطعام الذى صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون فى تأخير بيعه ضرر ما فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس فى هذا اضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان فى إدخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها أضرار فينبغى أن يقضى بتحريمه ويعوّل فى نفى التحريم وإثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرار وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار أيضا هو دون الإضرار فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة فى الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغى أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التى لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين؛ بيع الطعام وبيع الأكفان فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فإنها صنعة تقسى القلب أو صواغا فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة .

(النوع الثانى) : ترويج الزيف من الدراهم فى أثناء النقد فهو ظلم إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف وإن عرف فسيروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد فى الأيدى ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا إليه فإنه هو الذى فتح هذا الباب قال رسول الله ﷺ : **« من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا »** (١٦٠١) .

(١٦٠١) حديث: أ- قال ﷺ : « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئا » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى** : رواه مسلم عن جرير بن عبد الله . اهـ.

وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتى سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته .

وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتى سنة أو أكثر يعذب بها فى قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها قال تعالى: ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (يس: ١٢) .

أى نكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفى مثله قوله تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة : ١٣) .

= **قال مرتضى** : وتقدم الكلام عليه فى خطبة الكتاب وقد رواه ابن ماجه والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى جحيفة بلفظ من سن سنة حسنة عمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا فسياق هذا الحديث هو بعينه ما أورده المصنف بخلاف حديث جرير ففى لفظه نوع مخالفة .

ب- قال أبو الحسن على بن سالم البصرى شيخ صاحب القوت «إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة» ولفظ القوت لأن سرقة مائة درهم « معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف» ولفظ القوت وانفاق دانق واحد مزيف «بدعة أظهرها» وفى القوت أحدثها « فى الدين » إظهار سنة سيئة يعمل بها من بعده « فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتى سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم» ولفظ القوت ما بقى ذلك الدرهم يدور فى أيدى الناس « ويكون عليه ما فسد ونقص » ولفظ القوت ما نقص وأفسد « من أموال الناس » وفى القوت من أموال المسلمين « بسببه فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة ومائتين سنة » ولفظ القوت بعد مائة سنة « يعذب بها فى قبره ويسأل عنها إلى آخر انقراضها وقال تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ أى ونكتب أيضا ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه » ولفظ القوت أى ما سنوه لمن بعدهم فعمل به وفى مثله قوله تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ وإنما آخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره » ولفظ القوت قيل بما قدم من عمل وما أخر من سيئة عمل بها بعده .

وإنما آخر آثار أعمـاله من سنة سيئة عمل بها غـيره وليعلم أن فى الزيف خـمسـة أمور :

الأول : أنه إذا رد عليه شىء منه فينبغى أن يطرحه فى بئر بحيث لا تمتد إليه اليد وإياه أن يروجه فى بيع آخر وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز .

الثانى: أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفا وهو لا يدرى فـيكون آثما بتقصيـره فى تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيـجب تحصيله ولمثل هذا كـان السلف يتعلمون علامـات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم .

الثالث : أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولا يخـبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب فى أخذه أصلا فإنما يتخلص من إثم الضرر الذى يخص معامله فقط .

الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله ﷺ : « **رحم الله امرأ سهـل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء** » (١٦٠٢) .

فهو داخل فى بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه فى بئر وإن كان عازما على أن يروّجه فى معـاملة فهذا شرر وجه الشيطان عليه فى معرض الخـير فلا يدخل تحت من تساهل فى الاقتضاء .

الخـامس : أن الزيف نعنى به ما لا نقرة فيـه أصلا بل هو مموّه أو ما لا ذهب فيه أعنى فى الدنانير أما ما فـيه نقرة فإن كان مخلوطا بالنحاس وهو نقـد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار

(١٦٠٢) حديث : قوله ﷺ : « رحم الله امرأ سهل البيع سهل القضاء سـهل الاقتضاء » **قـال العراقى**: رواه البخارى من حديث جابر . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن ماجه فى البيع مطولا ومقتصرا ولفظهما رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا قضى سمحا إذا اقتضى .

النقرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة فإن كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثال هذا فى التجارة أشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلى لها ولذلك قال بعضهم : التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون فى مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة فى سبيل الله أنه قال حملت على فرسى لأقتل علجا فقصر بى فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت ثانية فقصر فرسى فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر منى فرسى وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس فوضعت رأسى على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت فى النوم كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله .

القسم الثانى : ما يخص ضرره المعامل :

فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلى فيه أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغى أن لا يعامل غيره به بل ينبغى أن يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع أخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق فإنه قد ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه هذه جملته .

فأما تفصيله ففى أربعة أمور : أن لا يثنى على السلعة بما ليس فيها، وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلا، وأن لا يكتم فى وزنها ومقدارها شيئا، وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه.

أما الأول : فهو ترك الثناء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشترى ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط المروءة إذ الكذب الذى يروج قد لا يقدح فى ظاهر المروءة وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لِمَ تكلم بها قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ٨)، إلا أن يثنى على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشترى ما لم يذكره كما يصفه من خفى أخلاق العبيد والجوارى والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضى بسببه حاجته ولا ينبغى أن يحلف عليه البتة فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تذر الديار بلاقع وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفى الخبر « **ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد** »(١٦٠٣) .

وفى الخبر: «**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة** » .

(١٦٠٣) حديث : أ- « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد» هكذا هو فى القوت **وقال العراقى** : لم اقف له على أصل وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه .

ب - « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب» هكذا فى القوت وسائر نسخ الكتاب أى مظنة لمحقه وإذهابه **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقى بلفظ المصنف .اهـ.

وقال مرتضى : لفظ البخارى الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة ولفظ مسلم اليمين منفقة للسلعة ممحقة للربح قال الزركشى وهو أوضح، وما رواه المصنف فمثله أيضا عند أحمد وهى أصرح وفى معناه ما رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه من حديث أبى قتادة مرفوعا إياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه منفق ثم يمحق .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه»**(١٦٠٤) .

فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد فى الرزق فلا يخفى التغليظ فى أمر اليمين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خز للشراء فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا فى الدنيا ولم يضيعوا دينهم فى تجاراتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا .

الثانى : أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئًا فذلك واجب فإن أخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح فى المعاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهى الثوب وأخفى الثانى كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب فى المواضع المظلمة

(١٦٠٤) حديث: روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه » هكذا فى القوت قال أبو عمرو الشيبانى عن أبى هريرة فساقه **وقال العراقى** : رواه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عائل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعته لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبى ذر المنان والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب .اهـ.

وقال مرتضى : عند أحمد والشيخين والأربعة من حديث أبى هريرة ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ولفظ مسلم والترمذى من حديثه ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وهذه هى التى أشار إليها العراقى ولأحمد ومسلم والأربعة من حديث أبى ذر المسبل إزاره والمنان الذى لا يعطى شيئا إلا منة والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وهذه هى التى أشار إليها العراقى وعند الطبرانى والبيهقى من حديث سلمان ورجل جعل بضاعة لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه وللطبرانى أيضا حديث عصمة بن مالك ورجل اتخذ الأيمان بضاعة يحلف فى كل حق وباطل وعند أحمد من حديث أبى ذر ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله فذكر التاجر الحلوف والفقير المختال والبخيل المنان .

وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الغش ما روى « **أنه مر عليه السلام برجل يبيع طعامـا فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال مـا هذا قال أصابته السماء فقال فهلاً جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا**» (١٦٠٥) .

ويدل على وجـوب النصح بإظهـار العيـوب مـا روى أن النبى ﷺ لما بايع جـريراً على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عـيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فـاترك فقيل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال : « **إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم** » (١٦٠٦) .

(١٦٠٥) حديث : « أنه ﷺ مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا » هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

وقال مـرتضى : وعزا السيـوطى هذه الجملة إلى الشيـخين فى الأزهار المتناثرة وذكر أنه متـواتر وأنه رواه اثنا عشر من الصـحابة وعزاه فى الجامع الصـغير للتـرمذى بلفظ من غش فليس منا بدون هذه القصـة وأخرجه الطبرانى فى الكبـير والصغير وأبو نعـيم فى الحلية من حديث ابن مـسعود بلفظ المصنف وزاد والمكر والخداع فـى النار وقوله ليس منا أى ليس من متابعـينا قال الطيبى لم يرد به نفيه عن الإسلام بل نـفى خلقه عن أخلاق المسلمين أى ليس هو على سنتنا وطريقتنا فى مناصحة الإخوان .اهـ.

وقال صاحب القوت وفى حديث عبد الله بن أبى ربيـعة أنه ﷺ مر على طعام مصبر فارتاب منه فادخل يده فإذا طعام ممطور فقـال ما هذا قال هو والله طعام واحد يا رسول الله قال فهلا جعلت هذا وحده وهذا وحده حتى يأتيك إخوانك فيشترون منك شيئا يعرفونه من غشنا فليس منا .اهـ.

قال مرتضى : عبد الله بن أبى ربيعة مخزومى له صحبة وهكذا رواه البيهقى من طريقه ورواه ابن ماجه والطبرانى وابن عساكر عن ابن الحمراء والحاكم عن عمير بن سعيد عن عمه واسمه الحـرث بن سويد النخعى ورواه الدارقطنى فى الإفراد عن أنس ورواه الـطبرانى أيضا عن أبى موسى والله أعلم .

(١٦٠٦) حديث: « أن النبى ﷺ لـما بايع جريرا على الإسلام» وهو جـرير بن عبـد الله بن جابر السليل البجلى الـقسرى أبو عمـرو وقيل أبو عبـد الله اليمانى الصـحابى ﷺ يوسف هذه الأمة وسيـد قومه فى زمانه نزل الكوفة فـابتنى بها دارا فى بجيلة وكان إسلامـه فى رمضان=

وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر فقال بل للظهر فقال إن بِخُفِّها نقبا قد رأيته وإنها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله أفسدت عليَّ بيعى فقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه**»(١٦٠٧) .

فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم .

وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التخلى للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصدِّيقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين .

أحدهما : أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد فى رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكى أن واحداً كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض أولاده أن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف

= سنة عشر وانتقل من الكوفة ومات سنة إحدى وخمسين روى له الجماعة « ذهب لينصرف فجبذ ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير ﷺ إذا قام إلى السلعة يبيعها نظر عيوبها ثم خير قال إن شئت فخذ وإن شئت فاترك فقيل له إنك إذا فعلت ذلك لم ينفذ لك البيع قال إنا باعينا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم» هكذا هو فى القوت وهو متفق عليه .

(١٦٠٧) حديث: قال واثلة بن الأسقع: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا يبين ما فيه» أى من العيوب «ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا ويبينه» هكذا هو فى القوت وفى لفظ يبيع شيئا إلا يبين ما فيه ولا يحل لمن علم ذلك والباقى سواء **قال العراقى** : رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقى .اهـ. وهكذا هو فى الجامع الكبير للسيوطى .

وقد قال عليه السلام : « **البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما** » (١٦٠٨).

وفى الحديث: «**يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما**» (١٦٠٩).

فإذاً لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان فى الدنيا والدين والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصلح له فى بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه.

والمعنى الثانى : الذى لابد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير والخير كله فى سلامة الدين قال رسول الله عليه السلام : « **لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم** » (١٦١٠) .

(١٦٠٨) حديث: قال عليه السلام : « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث حكيم بن حزام . اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى كلهم فى البيوع ولفظهم «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

(١٦٠٩) حديث : « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما » هكذا فى القوت **قال العراقى** : رواه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد .

(١٦١٠) حديث : قال رسول الله عليه السلام : « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم » هكذا هو فى القوت وفى لفظ آخر « مالم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال تعالى: كذبتم لستم بها صادقين » ولفظ القوت لستم بصادقين زاد وفى لفظ آخر ردت عليهم **قال العراقى** : رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف=

وفى لفظ آخر : «ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفى حديث آخر : « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحرزه عما حرم الله » (١٦١١) .

وقال أيضا : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » (١٦١٢) .

= وفى رواية للترمذى الحكيم فى النوادر حتى إذا نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم ..... الحديث وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضا . اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن النجار من حديث زيد بن أرقم بلفظ لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت لهم دنياهم فإذا قالوا قيل كذبتم لستم من أهلها .

(١٦١١) حديث : « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة » هكذا فى النسخ كلها ولعل فى العبارة سقطا فإن صاحب القوت بعدما أورد الحديث الذى تقدم ذكر الروايتين ثم قال وفى لفظ آخر ردت عليهم ثم قال وروينا فى جزء آخر كأنه مفسر لحديث مجمل من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الحديث وذلك لأنه حديث مستقل ولا يقال قولهم وفى لفظ آخر إلا إذا كانت رواية أخرى فى ذلك الحديث بعينه ويكون المخرج واحدا وهما ليسا كذلك فتأمل « قيل وما اخلاصها قال أن تحجزه عما حرم الله » ولفظ القوت أن يهجر ما حرم الله عليه **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط من حديث زيد بن أرقم بإسناد حسن . اهـ.

قال مرتضى : والجملة الأولى من الحديث رواه البزار والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد والبغوى والطبرانى أيضا فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى هكذا اقتصروا على هذه الجملة وروى الحكيم والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية من حديث زيد بن أرقم الحديث بتمامه بلفظ أن تحجزه عن محارم الله ورواه الخطيب فى تاريخه من حديث أنس بلفظ قالوا يا رسول الله وما اخلاصها قال أن تحجزكم عن كل ما حرم الله عليكم .

(١٦١٢) حديث : قال ﷺ : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » هكذا أورده صاحب القوت ولم يذكره العراقى وهو موجود فى سائر النسخ قال الطيبى من استحل ما حرم الله فقد كفر مطلقا فخص القرآن لعظمته وجلاله . اهـ. والحديث رواه الترمذى والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن والبغوى من حديث صهيب وقال الترمذى إسناده قوى وكذلك ضعفه البغوى ورواه عبد بن حميد من حديث أبى سعيد ووجدت بخط من نقل عن الحافظ ابن حجر فى هامش المغنى بعد أن استدركه على شيخه العراقى ما نصه ليس بحسن ففى إسناده الهيثم بن جماز ضعيف عن أبى داود وهو متهم عن زيد . اهـ.

ومن علم أن هذه الأمور قادحة فى إيمانه وأن إيمانه رأس ماله فى تجارته فى الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة وعن بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لى: من خير هؤلاء؟ لقلت: من أنصحهم لهم؟ فإذا قالوا هذا، قلت : هو خيرهم، ولو قيل لى من شرهم؟ قلت: من أغشهم لهم؟ فإذا قيل هذا ، قلت : هو شرهم، والغش حرام فى البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغى أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغى أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب فبذلك يتخلص.

وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لى أن أسلم فى بيع النعال فقال أجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجوّد الحشو وليكن شيئا واحدًا تاما وقارب بين الخرز أولا ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين قال يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفاء إذا علم أنه يظهره أو أنه لا يريده للبيع فإن قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشترى للبيع إلا الجيد الذى يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا يحتاج إلى تلبيس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس فمن تعوّد هذا لم يشتر المعيب فإن وقع فى يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته . باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري أبرأ إليك من عيب فيها إنها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشترى إنها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

الثالث : أن لا يكتم فى المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفى الكيل فينبغى أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين : ١-٣) .

ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح إذا أعطى وينقص إذا أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول لا أشترى الويل من الله بحبة، فكان إذا أخذ نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوبى بويل وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ولذلك « **لما اشترى رسول الله ﷺ شيئا قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وأرجح** » (١٦١٣) .

ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بنى فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل، وقال سليمان عليه السلام لابنه يا بنى كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال : كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه أبعد

(١٦١٣) حديث : « لما اشترى رسول الله ﷺ » شيئا كذا في القوت ويقال إنه سراويل «قال للوزان لما كان يزن ثمنه زن وأرجح» بفتح الهمزة وكسر الجيم وفى الأوسط للطبرانى والمسند لأبى يعلى أن الثمن كان أربعة دراهم **قال العراقى** : رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الطيالسى وأحمد والبخارى فى تاريخه والدارمى والطبرانى فى الكبير وابن حبان والعقيلى عن سويد بن قيس العبدى بن مزاحم صحابى مشهور نزل الكوفة قال جلبت أنا ومخرمة العبدى بزا من هجر فأتينا به مكة فأتانا النبى ﷺ ونحن بمنى فاشترى منا سراويل وفى رواية فساومنا سراويل فبعناه منه فوزن ثمنه وثم وزان يزن بالأجر فقال يا وزان زن وأرجح ورواه الطبرانى فى الكبير أيضا من حديث مخرمة العبدى وقال الحافظ فى الإصابة سويد بن قيس العبدى صحابى روى عنه سماك بن حرب أن النبى ﷺ اشترى من رجل سراويل أخرجه أصحاب السنن واختلف فيه على سماك ففيه اضطراب قال وفى سنده المسيب بن واضح .اهـ. وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات فلم يصب وقد رد عليه السيوطى وغيره .

والتشديد فى أمر الميـزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبـة وفى قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ لا تـطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن باللســان ولا تخسروا الميزان أى لسان الميزان فإن النقصان والرجحان يظهر بميله .

وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو فى كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ (المطفــفين : ١ ، ٢) ، الآيات فإن تحريم ذلك في المكيل ليس لـكونه مكيلا بل لكونه أمرا مقصودا ترك العدل والنصــفة فيه فهو جار فى جميع الأعـمال فصاحب الميزان فى خطر الويل وكل مكلف فهو صـاحب موازين فى أفعاله وأقوالـه وخطراته فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستـقامة ولولا تعذر هذا واستحـالته لما ورد قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم : ٧١) .

فلا ينفك عبد ليس مـعصوما عن الميل عن الاستقامـة إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتا عظـيما فلذلك تتـفاوت مدة مـقامـهم فى النار إلى أوان الخلاص حـتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم ويبقى بعـضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقـامة والعدل فإن الاشـتداد على متن الصراط المستـقيم من غير ميـل عنه غير مطموع فيـه فإنه أدق من الشعرة وأحـد من السيف ولولاه لكان المستقـيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذى من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط ترابا أو غيـره ثم كاله فهو من المطففين فى الـكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظمـا لم تجـر العادة بمـثله فهـو من المطفـفين فى الوزن، وقس على هذا سـائر التقـديرات حتى فى الذرع الذى يتـعاطاه البزاز فـإنه إذا اشتـرى أرسل الثوب فى وقت الذرع ولم يمده مـدا وإذا باعـه مـده فى الذرع ليظهـر تفـاوتًا فى القــدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل.

الرابع: أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى « رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان » (١٦١٤) .

ونهى عن النجش أما تلقي الركبان فهوأن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال ﷺ : « **لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق** » (١٦١٥) .

وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقًا ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس « **ونهى أيضا أن يبيع حاضر لباد** » (١٦١٦) .

(١٦١٤) حديث : «نهى النبي ﷺ عن تلقي الركبان» **قال العراقي** : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة .

وقال مرتضى : وروي الترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود نهى عن تلقي البيوع وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر نهى عن تلقي الجلب وروى البيهقي من حديث علي نهي عن الحكرة بالبلد وعن التلقي . . . الحديث .

(١٦١٥) حديث : قال ﷺ : « لا تلقوا الركبان ومن فعل ذلك فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق» وعبارة الرافعي ففي الخبر لا تلقوا الركبان للبيع وفي بعض الروايات فمن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق قال الحافظ في تخريجه رواه مسلم من حديث أبي هريرة لكن حكى ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه أنه أومأ إلى أن هذه الزيادة مدرجة وتحتاج إلى تحرير . اهـ.

وقال مرتضى : وهناك رواية أخرى لا تلقوا الجلب فمن تلقاه فاشترى منه شيئا فإذا أتى به السوق فهو بالخيار قال المناوي في شرح الجامع كذا رواه في البيوع المنهية عن أبي هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ لا تلقوا الجلب فمن تلقى فاشترى منه شيئا فصاحبه بالخيار إذا أتى السوق وعند البخاري وأبي داود والنسائي لا تلقوا الركبان للبيع ولا يبع بعضكم على بيع بعض الحديث وعند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد وعند أحمد والطبراني في الكبير لا تلقوا الأجلاب قبل أن يأتي سوقها .

(١٦١٦) حديث : « نهى ﷺ أن يبيع حاضر لباد » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس . اهـ.

وهو أن يقدم البدوى البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضرى اتركه عندى حتى أغالى فى ثمنه وانتظر ارتفاع سعره وهذا فى القوت محرَّم وفى سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهى ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولى المضيق « ونهى رسول الله ﷺ عن النجش » (١٦١٧) .

وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدى الراغب المشترى ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطأة ففى ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل مضاهى التغرير فى المصراة وتلقى الركبان فهذه المناهى تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشترى فى سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب فقد حكي عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فكتب إليه

= **وقال مرتضى :** أما لفظ حديث ابن عباس عند الشيخين لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد فقيل لابن عباس ما قوله لا يبع حاضر لباد قال لا يكون له سمسار وهكذا رواه أحمد أيضا وأما لفظ حديث أبى هريرة عندهما لا يبع حاضر لباد ولا تناجشوا الحديث وكذلك رواه عبد الرزاق والترمذى والنسائى وابن ماجه وأما لفظ حديث أنس عند أبى داود والنسائى وأبى يعلى لا يبع حاضر لباد وإن كان أخاه أو أباه وقد روى ذلك عن جماعة من الصحابة فعند الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر لا يبع حاضر لباد ولا يشترى له رواه الشيخان والنسائى مقتصرين على الجملة الأولى وعنده أيضا لا يبع حاضر لباد ولا تستقبلوا الجلب ورواه الشافعى والبيهقى مما حدثه لا يبع حاضر لباد وعند الطبرانى فى الكبير وأحمد من حديث سمرة لا يبع حاضر لباد ورواه كذلك الطحاوى من حديث أبى سعيد وفى حديث جابر لا يبع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض رواه أحمد ومسلم وأبو داود ويروى لجابر أيضًا نهينا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه رواه أحمد والبخارى ومسلم .

(١٦١٧) حديث : « نهى ﷺ عن النجش » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث ابن عمر وأبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه أحميد والنسائى وابن ماجه وعند أحمد والشيخين من حديث أبى هريرة نهى أن يبيع حاضر لباد وأن يتناجشوا .

غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكراً كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لى فقال إنى كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت فقال : رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال ما نصحته فلعله استحيا منى فتركها لى فبكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبى فأخذ منه ثلاثين ألفا .

فهذه الأخبار فى المناهى والحكايات تدل على أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفى من البائع غلاء السعر أو من المشترى تراجع الأسعار فإن فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بأن يقول بعت بما قام على أو بما اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته فى الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أمانته .

★ ★ ★

الباب الرابع

فى الإحسان فى المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجرى من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجرى من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع فى معاملات الدنيا برأس المال فكذا فى معاملات الآخرة ولا ينبغى للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص : ٧٧).

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل: ٩٠) .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٦) .

ونعنى بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتناول رتبه الإحسان **بواحدة من ستة أمور :**

الأول : فى المغابنة فينبغى أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به فى العادة فأما أصل المغابنة فمأذون فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته فى الحال إليه فينبغى أن يمتنع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد

حلل مختلفة الإثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه فى الدكان فجاء إعرابى وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمشى بها وهى على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للأعرابى بكم اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها فقال له يونس : انصرف إن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتى درهم وخاصم ابن أخيه فى ذلك وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فألا رضيت له بما ترضاه لنفسك .

وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفى الحديث : « غبن المترسل حرام » (١٦١٨) .

كان الزبير بن عدى يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المترسلين ظلم وإن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السرى السقطى أنه اشترى كرلوز بستين ديناراً وكتب فى روزنامجه ثلاثة

(١٦١٨) حديث : « غبن المترسل حرام » هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** رواه الطبرانى من حديث أبى إمامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام . اهـ.

وقال مرتضى : رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من طريق موسى بن عمير عن مكحول عن أبى إمامة رفعه أيما مؤمن ترسل إلى مؤمن فغبنه كان غبنه ذلك ربا هذا لفظ الحرث بن عبد الله عن محمد بن عبيد عن موسى بن عمير ورواه الطبرانى عن أحمد بن خليد عن أبى توبة عن موسى بن عمير بلفظ غبن المترسل حرام وموسى بن عمير القرشى كذبه أبو حاتم وغيره قال الهيثمى فيه موسى بن عمير الأعمى وهو ضعيف جدا قال البخارى ولكن له شاهد وكأنه يعنى به حديث جابر وقد رواه البيهقى أيضا عن أنس وعن على .

دنانيــر ربحه وكــأنه رأى أن يربح على العشــرة نصف دينار فــصار اللوز بتــسعين فــأتاه الدلال وطلب اللوز فقال: خــذه، قال: بكم، فقال: بثلاثة ، فــقال: الدلال وكان من الصالحين فقد صار اللــوز بتسعين فقال السرى قد عقدت عــقدًا لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بينى وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع فى غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشترى طول النــهار حتى وجده فقال له: إن الغلام قــد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة فقــال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصــال : إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك وأما إن نرد عليك خمــسة وأما أن ترد شقتنــا وتأخذ دراهمك فقال أعطنى خمــسة فرد عليه خــمسة وانصــرف الأعرابى يسأل ويقــول من هذا الشيخ فــقيل له هذا محــمد بن المنكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذى نستسقى به فى البــوادى إذا قحطنا فهذا إحسان فى أن لا يربح على العشرة إلا نصفا أو واحدا علــى ما جرت به العادة فى مثل ذلك المتاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واسـتفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة .

كان على ﷺ يدور فــى سوق الكوفة بالدرة ويقــول معاشــر التجــار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيرة .

قيل لعبد الرحمن بن عوف ﷺ ما سبب يسارك ؟ قال : ثلاث؛ ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيــوان فأخرت بيعه ولا بعت بنســيئة، ويقال إنه باع ألف ناقــة فما ربح إلا عقلها باع كل عقال بدرهم فربحه فيها ألفا وربح من نفقته عليها ليومه ألفا.

الثانى : فى احتمال الغبن والمشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئًا من فقير فلا بأس أن يحــتمل الغبن ويتســاهل ويكون منه محــسنا وداخلا فى قوله عليــه السلام : «رحم

الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت : « **المغبون فى الشراء لا محمود ولا مأجور**» (١٦١٩) .

وكان إياس بن معاوية بن قرة قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبى يعنى معاوية ابن قرة والكمال فى أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يَخْدَع وأعقل من أن يُخْدَع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خياري السلف يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالى فقال إن الواهب يعطى فضله وإن المغبون يغبن عقله وقال بعضهم إنما أغبن عقلى وبصرى فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت أعطى لله ولا أستكثر منه شيئاً .

(١٦١٩) حديث : « من طريق أهل البيت المغبون لا محمود ولا مأجور » أى لكونه لم يحتسب بما زاد على قيمته فيؤجر ولم يتحمد إلى بائعه فيحمد لكنه استرسل فى وقت المبايعة فاستغبن فغبن فلم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد بل رجع لنفسه فقال خدعته فذهب الحمد ولم يحتسب فذهب الأجر **قال العراقى** : رواه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه قال الذهبى هو منكر .اهـ.

قال مرتضى : فى مسند أبى يعلى قال أبو هاشم كنت أحمل متاعا إلى الحسين فيماكسنى فيه فلعلى لا أقوم من عنده حتى يهب عامته فقلت له فى ذلك : فقال : حدثنى أبى يرفع الحديث إلى النبى ﷺ فذكره قال الذهبى وأبو هاشم لا يعرف وقد اضطرب فمرة عن الحسن ومرة عن الحسين .اهـ. ورواه الطبرانى في الكبير عن الحسن بن على قال الهيثمى فيه محمد بن هشام ضعيف ورواه الخطيب فى تاريخه عن على وفيه أحمد بن طاهر البغدادى ضعيف وأورده الديلمى فى الفردوس بلفظ أتانى جبريل فقال يا محمد ماكسنى عن درهمك فإن المغبون لا محمود ولا مأجور والحاصل أن طرق هذا الحديث كلها ترجع إلى أهل البيت ووقع فى بعض نسخ الكتاب المغبون فى الشراء وهذه الزيادة ليست فى نسخة العراقى ولا في القوت ولا عند المخرجين المذكورين.

الثـالث : فى استيفـاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مـرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالإهمال والتأخيـر ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحثـوث عليه قال النبى ﷺ : « **رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء** » (١٦٢٠) .

فليغتنم دعاء الرسول ﷺ وقال ﷺ : « **اسمح يسمح لك** » (١٦٢١) .

(١٦٢٠) حـديث : قال ﷺ : « رحم الله امـرأ سـهل البيع سـهل الشـراء سهل القـضاء سـهل الاقتضاء» .

قال مرتضى : رواه البخارى من حديث جابر .

(١٦٢١) حديث: قال ﷺ : « أسمح يسمح لك » **قال العـراقى** : رواه الطبرانى من حديث ابن عبـاس رجاله ثقات .اهـــ. وقال الحافظ السـخاوى فى المقاصـد رواه أحمـد والطبرانى فى الصغير والعسكرى كلهم من جهة الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس رفعه بهذا ورجاله ثقات ورواه تمام فى فوائده من حديث حفص بن غياث عن ابن جريج فى حـديث طويل بل رواه من حديث ابن عـياش عن ابن جريـج وقال إنه خطأ من راويه والصواب الوليد لا ابن عيـاش وقد أفرد الحافظ أبو محمد بن الأكـفانى طرقه وحسنه العراقى ولم يصب من حكم عليه بالوضع .اهـ.

وقال مرتضى : قال أبو بكر الخطيب حدثنا عبد العزيز بن على الأزجر حدثنا أبو المفضل محمد بن عبيد الله قال سمعت حفص بن عمر الحافظ بارديبل وذكرت له هذا الحديث فقال سمعت أبا حاتم الرازى يقول لم يرو هـذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا ابن عباس ولا عنه إلا عطاء ولا عنه إلا ابن جريج ولا عنه أحد علمتـه إلا الوليد بن مسلم وهو من ثقات المسلمين وأفاضلهـم ورواه الخطيب أيضـا من غير هذا الوجه فـقال وأخبرنا أبو القـاسم عبد الرحمن بن أحمد القزوينى أخبـرنا على بن إبراهيم بن سلمة القطان حدثنا أبو حاتم الرازى فساقه .

قـال مـرتضى : وقد حمل الناس هـذا الحديث عن الوليد بن مسلم وهم كـثيرون منهم هشام بن عمار ومـحمود بن خالد السلمى والحسن بن عبد الله بن الحكم وسليـمان بن عبد الله بن بنت شرحبيل وعمر بن عثمان بن سعـيد بن كثير بن دينار وحيوة بن شريح الحمصى ويسمى أبا طالب الأكـاف ورواه عن هشام بن عمار خلق كـثير منهم أبو العباس أحمد بن عامر بن المعـمر الأزدى وسعد بن محـمد البيروتي وأبو مـحمد عبد الرحـمن بن السامدى والباغندى وجـعفر بن أحـمد بن عاصم بن الرواس وأبو إسـحاق إبراهيم بن عبـد الرحمن عرف بابن دحيم وقد رواه الطبرانى من طريق عمر بن عثمان فقال حدثنا يحيي بن على بن=

وقال ﷺ : « من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا - وفى لفظ آخر - أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» (١٦٢٢).

= هاشم الكتانى حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا الوليد بن مسلم فساقه ورواه ابن الأكفانى فى جزئه عن أبى طالب الزنجانى عن على بن محمد السلمى عن عبد الوهاب بن الحسن عن ابن جوصا عن عمرو بن عثمان وقد رواه الخطيب من طريق الطبرانى وابن جوصا وقال تمام فى فوائده حدثنا أبى حدثنا أبو محمد السمنانى بالرى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا حفص ابن غياث عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فساقه ورواه أيضا عن الحسن بن على الجلى عن محمد بن أحمد الرافقى عن محمد بن أبى يعقوب عن يوسف بن موسى ورواه تمام الرازى أيضا عن أبى الحسن بن حذلم عن البيروقى عن الوليد بن مسلم ورواه أيضا عن أبى زرعة البصرى عن جعفر بن أحمد عن محمود بن خالد عن الوليد بن مسلم ورواه أيضا عن محمد بن إبراهيم بن مروان عن أبى أيوب سليمان بن أيوب بن حزيم عن ابن بنت شرحبيل عن الوليد بن مسلم ورواه ابن عساكر فى تاريخه فقال أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل بن مطكود أخبرنا جدى أخبرنا أبو على الأهوارنى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله البزار أخبرنا القاضى أبو الحسن بن حذلم أخبرنى البيروتى عن الوليد بن مسلم فساقه ورواه الإمام أحمد عن شيخه مهدى بن جعفر الرملى وقد وثقه ابن معين عن الوليد بن مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ورواه عبد الرزاق فى مصنفه عن عطاء مرسلا بلفظ اسمحوا يسمح لكم قال ابن الأكفانى أخبرناه أبو طالب الزنجانى أخبرنا أبو الفرج الغزال أخبرنا أبو يعقوب بانتقاء الدارقطنى حدثنا جدى الحسن بن سفيان حدثنا أبوخالد يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن ابن جريج عن عطاء أن النبى ﷺ قال اسمحوا يسمح لكم وخارجة هذا هو ابن مصعب الخراسانى السرخى الضبعى يكنى أبا الحجاج وقد روى هذا الحديث مرفوعا من طريق أبى بكر الصديق رضي الله عنه رواها ابن الأكفانى فى جزئه بسنده إلى ابن عياش قال حدثنا عبيد الله بن عمرو بن دينار السلمى عن أبى الطفيل عن أبى بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اسمح يسمح لك وقد ألفت فى تخريج هذا الحديث جزأ جمعت فيه سائر طرقه مما أوردها ابن الأكفانى مع زيادة عليه حاصله ما ذكرته هنا وهو أول جزء خرجته فيما علمت فى شهور سنة ١١٧٢ من طريق شيخنا المرحوم محمد بن سالم الحفنى لغرض عرض والله تعالى يسامح عنا أجمعين آمين .

(١٦٢٢) حديث : قال ﷺ : « من انظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابًا يسيرا » وفى لفظ آخر « أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » وقد ذكر المصنف فى روايتين فى الحديث تبعا لصاحب القوت **قال العراقى** : رواه مسلم باللفظ الثانى من حديث أبى اليسر كعب بن عمرو .اهـ.

=

« وذكر رسول الله ﷺ رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أنى كنت رجلا أداين الناس فأقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر - وفى لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر - فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له» (١٦٢٣).

وقال ﷺ : «من أقرض دينار إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدّين صدقة» (١٦٢٤).

= **وقال مرتضى** : رواه مسلم في حديث طويل وكذا الإمام أحمد وابن ماجه فى الأحكام وابن حبان فى الصحيح وأبو نعيم فى المستخرج بلفظ من أنظر معسرا أو وضع عنه وعند أبى نعيم وابن حبان أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ورواه كذلك ابن منده عن سمرة بن ربيعة العدوانى ورواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء ورواه أحمد عن ابن عباس بلفظ من أنظر معسرا أو وضع وقاه الله من فيح جهنم الحديث ورواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح غريب عن أبى هريرة بلفظ من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ورواه الطبرانى فى الكبير عن كعب بن عجرة بلفظ من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ورواه ابن النجار فى تاريخه عن أبى اليسر من أنظر معسرا أو ودع له كان فى ظل الله أو فى كنف الله يوم القيامة.

(١٦٢٣) حديث : « ذكر رسول الله ﷺ رجلا كان مسرفا على نفسه فلم توجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أنى كنت رجلاً أداين الناس فأقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر » وفى لفظ وتجاوزوا عن المعسر « فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى مسعود الأنصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث أبى حذيفة .اهـ.

وقال مرتضى : ولأحمد والشيخين والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه وفى لفظ كان رجل تاجراً وفى آخر كان رجل لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس .

(١٦٢٤) حديث : قال ﷺ : « من أقرض ديناراً إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا وصل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة » هكذا هو فى القوت **قال العراقى:** رواه ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر معسرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد=

وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه فى كل يوم .

وقال ﷺ : « **رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانى عشرة فقيل فى معناه إن الصدقة تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل الاستقراض إلا محتاج** »(١٦٢٥) .

= أجله كان له مثله فى كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

وقال مرتضى : وفى بعض ألفاظه فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلان صدقة قال الدميرى انفرد به ابن ماجه بسند ضعيف وقال الذهبى فى المهذب إسناده صالح وقال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح وقد رواه كذلك أبو يعلى والطبرانى فى الكبير والبيهقى والعقيلى كلهم من طريق سليمان بن بريدة عن أبيه .

(١٦٢٥) حديث: قال ﷺ : « رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقيل فى معنى ذلك أن الصدقة قد تقع فى يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذل الاستقراض إلا محتاج » . **قال العراقى**: رواه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف .اهـ. وقال الحافظ ابن حجر قد تكلم عليه الحكيم الترمذى كلاما حسنا .اهـ.

وقال مرتضى : رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى السنن كلهم من حديث أنس بلفظ رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة ورواه أبو داود الطيالسى والحكيم أيضا من حديث أبى أمامة بلفظ رأيت على باب الجنة مكتوبا القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أعظم أجرا قال لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج وربما وقعت الصدقة فى يد غنى قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عقيب إيراده لهذين الحديثين ما نصه معناه أن المتصدق حسب له الدرهم الواحد بعشرة فدرهم صدقته وتسعة زيادة والقرض ضوعف له فيه فدرهم قرضه والتسعة مضاعفة فهو ثمانية عشر والدرهم القرض لم يحسب له لأنه يرجع إليه فبقى التضعيف فقط وهو ثمانية عشر والصدقة لم يرجع إليه الدرهم فصارت له عشرة بما أعطاه .اهـ. وهذا هو الذى أشار إليه الحافظ بأنه تكلم عليه بكلام حسن ثم إن قول العراقى سند ضعيف أى فى سند ابن ماجه خالد بن يزيد قال فيه أحمد ليس بشىء وقال النسائى ليس بثقة ولكن قال الذهبى فى الديوان بعد ذكره هذا القول ووثقه غيره وقال ابن الجوزى هو حديث لا يصح أى نظرا إلى حال خالد المذكور وقد عرفت اختلاف القول فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٣

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

« ونظر النبى ﷺ **إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدّين بيده أن ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه»** (١٦٢٦) .

وكل من باع شيئا وترك ثمنه فى الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو فى معنى المقرض وروى أن الحسن البصرى باع بغلة له بأربعمائه درهم فلما استوجب المال قال له المشترى اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال : قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتى درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال : هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفى الخبر: « **خذ حقك فى كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا »** (١٦٢٧) .

الرابع : فى توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمشى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشى إليه يتقاضاه فقد قال ﷺ : « **خيركم أحسنكم قضاء»** (١٦٢٨) .

(١٦٢٦) حديث : « نظر رسول الله ﷺ إلى رجل يلازم رجلا بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه » كذا فى القوت **قال العراقى** : متفق عليه من حديث كعب بن مالك .

قال مرتضى : هما عبد الله بن حدرد وكان له دين على كعب بن مالك فتقاضيا فى المسجد حتى ارتفعت أصواتهما هكذا ذكره شراح البخارى فى تفسير قوله خرجت أخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فاختلجت ورواه عن عبادة بن الصامت .

(١٦٢٧) حديث : قال ﷺ : « خذ حقك فى عفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا» هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا، وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم وصححه وكذا رواه العسكرى فى الأمثال ورواه العسكرى أيضا من حديث الحسن عن أنس ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث جرير قال: قال رسول الله ﷺ لصاحب الحق خذ . . إلخ قال الهيتمى وفيه داود بن عبد الجبار وهو متروك ورواه الطبرانى أيضا وعبد الرزاق فى مصنفه عن أبى قلابة مرسلا وقال فى الفردوس هذا قاله لرجل مر به وهو يتقاضى رجلا وقد ألح عليه .

(١٦٢٨) حديث: قال ﷺ : « خيركم أحسنكم قضاء » وفى القوت خير الناس أحسنهم قضاء **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة .اهـ.

ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فلينو قضاءه مهما قدر قال ﷺ : « **من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه** » (١٦٢٩) .

وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر .

ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله ﷺ إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل

= **وقال مرتضى** : ورواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى بلفظ خياركم أحاسنكم قضاء ورواه ابن ماجه من حديث العرباض بن سارية وأبو نعيم من حديث أبى رافع بلفظ خير الناس أحسنهم قضاء .

(١٦٢٩) حديث: قال ﷺ : « من ادّان دينا وهو ينوى قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفى رواية له لم يزل معه من الله حارس وفى رواية للطبرانى فى الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه .اهـ.

وقال مرتضى : وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ميمونة من ادّان دينا ينوى قضاءه أداه الله تعالى عنه يوم القيامة وفى لفظ له من ادّان دينا وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله وروى الطبرانى في الكبير من حديثها ما من مسلم يدان دينا يريد أداءه إلا أداه الله عنه فى الدينا وروى البيهقى من حديثها من ادان دينا ينوى قضاءه كان معه عون من الله على ذلك وللنسائى من حديثها من أخذ دينا وهو يريد أن يؤديه أعانه الله عز وجل ولأحمد والبخارى وابن ماجه من حديث أبى هريرة من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله ووقع عند المناوى فى شرحه على الجامع بدل ميمونة فى الأحاديث التي ذكرت ميمون وقال عن أبيه يعنى ميمون بن جابان الكردى ولأبيه صحبة وهذا غلط فليتنبه لذلك ورواه الطبرانى أيضا والحاكم والبزار من حديث أبى أمامة من ادّان دينا وهو ينوى أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة ومن استدان دينا وهو لا ينوى أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت أن لا آخذ لعبدى بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل من حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه وما ذكره العراقى من رواية أحمد فقد رواه أيضا الحاكم وصححه بلفظ إلا كان له من الله عون .

الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال: « **دعوه فإن لصاحب الحق مقالا** » (١٦٣٠) .

ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الديّن فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة .

وكذلك ينبغى أن تكون الإعانة للمشترى أكثر فإن البائع راغب عن السلعة يبغى ترويجها والمشترى محتاج إليها هذا هو الأحسن إلا أن يتعدى من عليه الدّين حده فعند ذلك نُصْرَته فى منعه عن تعديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ : « **أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال : منعك إياه من الظلم نصرة له** » (١٦٣١) .

(١٦٣٠) حديث : جعل رجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فى دين له عند رسول الله ﷺ يتقاضاه فهم به أصحابه فقال ﷺ : « دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة . اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه الترمذى قال إن رجلا أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ فهم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ثم قال أعطوه سنا مثل سنة . . إلخ وقد رواه ابن عساكر من حديث أبى حميد الساعدى وأحمد من حديث عائشة وفى الحلية لأبى نعيم من حديث أبى هريرة بلفظ دعوه فإن طالب الحق أعذر من النبى .

(١٦٣١) حديث : قال رسول الله ﷺ : « أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا فقيل كيف ننصره ظالما فقال ﷺ منعك إياه من الظلم نصرة له » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس. اهـ.

وقال مرتضى : رواه البخارى فى المظالم وكذا أحمد والترمذى فى الفتن وروى مسلم معناه عن جابر وفيه قصة هى بيان سببه وفى آخر الحديث ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره رواه من طريق ابن الزبير عن جابر وللبخارى أيضا بالاقتصار على الجملة الأولى فقط رواه من طريق هشيم عن حميد وعبيد الله سمعنا أنسابه وفى لفظ للبخارى قيل كيف أنصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصرة له رواه فى الإكراه من طريق عبيد الله بن أبى بكر بن أنس عن جده وفى لفظ له قالوا هذا ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما فقال تأخذ فوق يديه رواه من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس وعند الدارمى وابن عساكر من حديث جابر أنصر أخاك ظالما أو مظلوما إن يكن ظالما فاردده عن ظلمه وإن يكن مظلوما فانصره .

الخامس: أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغى أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال ﷺ : « **من أقال نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة** » (١٦٣٢) أو كما قال .

السادس : أن يقصد فى معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو فى الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان فى صالحى السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلا من هذا وليس معى ثمنه فكان يقول خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه فى الدفتر أصلا ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا فأنت فى حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف

(١٦٣٢) حديث : قال ﷺ : « من أقال نادمًا صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة » . **قال العراقى:** رواه أبو داود والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم .اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه ابن ماجه والبيهقى كلهم من طريق يحيى بن يحيى عن حفص ابن غياث عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ووجد فى بعض نسخ المستدرك للحاكم هو على شرطهما وكذا قال ابن دقيق العيد وصححه أيضا ابن حزم فى المجلى لكن الحافظ فى اللسان نقل تضعيفه عن الدارقطنى ثم إن لفظ المذكورين من أقال مسلما أقال الله تعالى عثرته وعند ابن حبان أقاله الله عثرته يوم القيامة وفى زوائد المسند لعبد الله بن أحمد عن ابن معين بلفظ من أقال عثرة أقاله الله يوم القيامة وروى ابن حبان فى النوع الثانى من القسم الأول من صحيحه من طريق ابن معين أيضا بلفظ من أقال نادمًا بيعة أقال الله عثرته يوم القيامة ورواه البيهقى من طريق داهر بن نوح عن عبد الله بن جعفر المدانى عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رفعه من أقال نادمًا أقاله الله يوم القيامة وعبد الله مجمع على ضعفه فلعل تضعيف الدارقطنى المشار إليه إنما هو لهذا السند وعند ابن النجار من حديث أبى هريرة من أقال أخاه المؤمن عثرته فى الدنيا أقال الله عثرته يوم القيامة ورواه عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبى كثير مرسلا من أقال مسلما بيعا أقاله الله نفسه يوم القيامة . . إلخ. ورواه البيهقى من طريق معمر فقال عن محمد بن واسع عن أبى صالح عن أبى هريرة ومن هذا الوجه رواه الحاكم فى علوم الحديث وقال لم يسمعه معمر عن محمد ولا محمد عن أبى صالح .

وقد اندرست والقائم به محيى لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يُمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل :

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزار فوق كعب الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه ، أثر قد قلعه ... ولدى الدرهم فانظر ، غيه أو ورعه

ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر وأصحابه فى السفر ومعاملوه فى الأسواق فلا تشكوا فى صلاحه . وشهد عند عمر ﷺ شاهد فقال : ائتنى بمن يعرفك فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال لا فقال : كنت رفيقه فى السفر الذى يستدل على مكارم الأخلاق؟ فقال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل؟ قال لا قال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى فقال : نعم فقال : اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتنى بمن يعرفك.

★ ★ ★

الباب الخامس

فى شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغى للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح فى الآخرة لا يفى به ما ينال فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغى أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه فى العاجل وأحوج شىء إليه فى العاجل أحمده عاقبة فى الآجل وقال معاذ بن جبل ﷺ فى وصيته إنه لابد لك من نصيبك فى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص : ٧٧) .

أى لا تنس فى الدنيا نصيبك منها للآخرة فإنها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تتم شفقة التاجر على دينه بمراعاة **سبعة أمور** :

الأول : حسن النية والعقيدة فى ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينوا النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان فى معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل ما يراه فى السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا فى طريق الآخرة فإن استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر فى الدنيا ربح فى الآخرة .

الثــانى : أن يقصد القيام فى صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقى وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ : « **اختلاف أمتى رحمة** » أى اختلاف هممهم فى الصناعات والحرف ومن الصناعات ماهى مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب التنعم والتزين فى الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون فى قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما فى الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه ذوو الدين فأما عمل الملاهى والآلات التى يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والأجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لا نوجب الزكاة فى الحلى لأنها إذا قصدت للرجال فهى محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر ويكره أن يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما فى معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر فى مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هوالعادة وهو ظلم بل ينبغى أن ينظر إلى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشترى يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذى بصدده لا محالة وخُلق له . وقيل بع الحيوان واشتر الموتان وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلبٌ لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفى ربح إلا باعتماد جهالة معاملة بدقائق النقد

فقلما يسلم الصيرفى وإن احتاط ويكره للصيرفى وغيره كسر الدرهم الصحيح والدنانير إلا عند الشك فى جودته أو عند ضرورة وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله ﷺ (١٦٣٣) وعن أصحابه فى الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر .

وقال يشترى بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة أحب إلىَّ من البز ما لم يكن فيها إيمان .

وقد روى « **خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز** » (١٦٣٤) .

وفى حديث آخر: «**لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف**» (١٦٣٥) .

(١٦٣٣) حديث : « النهى عن كسر الدينار والدرهم » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأسٍ » زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان . اهـ.

وقال مرتضى : وفى الميزان ضعفه ابن معين وفى المهذب فيه محمد بن مضاد وهو ضعيف وقال العقيلى لا يتابع على حديثه وعلقمة بصرى ثقة وروى له الأربعة ووالده عبد الله بن سنان بن نبيشة بن سلمة المزنى صحابى نزل البصرة وكان أحد البكائين .

(١٦٣٤) حديث : « خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز » نقله صاحب القوت **وقال العراقى** : لم أقف له على إسناد وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب أى تعليقا .

(١٦٣٥) حديث : قال ﷺ : « لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف » هكذا فى القوت **وقال العراقى** : رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد بسند ضعيف وروى أبو يعلى والعقيلى فى الضعفاء الشطر الأول من حديث أبى بكر الصديق . اهـ.

وقال مرتضى : وروى الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر من حديث ابن عمر لو أذن الله فى التجارة لأهل الجنة لاتجروا فى البز والعطر قال الهيتمى فيه عبد الرحمن بن أيوب السكونى قال العقيلى لا يتابع على هذا الحديث وقال ابن الجوزى وشيخه القطان بن خالد عن نافع عن ابن عمر لا يجوز أن يحتج به .

وقد كان غالب أعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة.

قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل ما صنعتك؟ قلت الوراقة قال: كسب طيب ولو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك، ثم قال لى لا تكتب إلا مواسطة واستبق الحواشى وظهور الأجزاء وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى: الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمِتهم فقراء وحقِّرهم فى أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك.

الثالث: أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (النور: ٣٧)

وقال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور: ٣٦).

فينبغى أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد.

كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة، ولم يكن يبيع الهريسة، والرؤس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا فى المساجد بعد .

وفى الخبر : « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها فى أول النهار وفى آخره ذكر الله وخير كفَّر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال » (١٦٣٦) .

وفى الخبر : «تلتقى ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أنى قد غفرت لهم » (١٦٣٧) .

ثم مهما سمع الأذان فى وسط النهار للأولى والعصر فينبغى أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام فى أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء .

وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت فى أوقات الصلاة وكان ذلك معيشة لهم.

(١٦٣٦) حديث : قال ﷺ : « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفى أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال » . كذا فى القوت **قال العراقى:** رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه .

(١٦٣٧) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « يلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله تعالى أشهدكم أنى قد غفرت لهم » كذا فى القوت **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الغداة وصلاة العصر . . . . الحديث.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور: ٣٧) ، أنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الأشفى فسمع الأذان لم يخرج الأشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة .

الرابع : أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل قال ﷺ : « **ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحي بين الأموات** » (١٦٣٨) .

وفي لفظ آخر : «**كالشجرة الخضراء بين الهشيم** » (١٦٣٩) .

وقال ﷺ : « **من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة**» (١٦٤٠) .

(١٦٣٨) حديث : قال ﷺ : «ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الأموات».

قال مرتضى : هكذا هو في القوت **ولم يتعرض له العراقي** وقد أخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود بلفظ ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين قال الهيتمي بعدما عزاه لهما رجال الأوسط وثقوه وفي لفظ آخر من حديث ابن عمر مثل الذي يقاتل عن الفارين وفي آخر كالمقاتل عن الفارين .

(١٦٣٩) حديث: قال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء بين الهشيم » .

قال مرتضى: لم يتعرض له العراقي وهذا اللفظ روى بمعناه في حديث طويل في الحلية لأبي نعيم والشعب للبيهقي من حديث ابن عمر ورواه ابن صصري في أماليه وابن شاهين في الترغيب في الذكر وقال حديث حسن صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ ولفظهم وذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات من الصريد الحديث .

(١٦٤٠) حديث : قال ﷺ : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب=

وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر. وقال الحسن ذاكر الله فى السوق يجيىء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله فى السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إنى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة .

وقال أبو جعفر الفرغانى كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون فى المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إنى لأعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمى أنه يعنى نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم فى الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى .

قال ﷺ : « اتق الله حيث كنت» (١٦٤١) .

= الله له ألفى» وكذا فى النسخ تبعا للقوت والرواية ألف «ألف حسنة» وفيه زيادة وهى «ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتا فى الجنة » . **قال العراقى** : تقدم فى الأذكار .

قال مرتضى : رواه بتمامه الطيالسى وأحمد وابن منيع والدارمى والترمذى وقال غريب وابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى والحاكم وأبو نعيم والضياء فى المختارة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده وقد تقدم بيان ذلك فى الأذكار .

(١٦٤١) حديث : قال ﷺ : « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث أبى ذر وصححه .اهـ.

وقال مرتضى : رواه الترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح وكذلك رواه أحمد والبيهقى وقال الذهبى فى المهذب إسناده حسن ورواه أحمد والترمذى أيضا والحاكم فى الإيمان وقال على شرطهما وأقره الذهبى واعترض البيهقى فى الشعب من حديث أبى ذر ورواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس.

فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل : من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل عن عيوب نفسه فتاش .

الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وألا يركب البحر فى التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر فقد استقصى فى طلب الرزق .

وفى الخبر : « **لا يركب البحر إلا بحج أو عمرة أو غزو** » (١٦٤٢) .

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن أول داخل فى السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرّخ .

روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لولده زلنبور سر بكتائبك فإت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها .

وفى الخبر : « **شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا** » (١٦٤٣) .

(١٦٤٢) حديث : « لا تركب البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو » هكذا فى القوت **قال العراقى:** رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو وقيل إنه منقطع .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الكبير من حديثه بلفظ لا تركب البحر إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا فى سبيل الله فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقد وردت فى النهى عن ركوب البحر أخبار من ذلك ما رواه الباوردى من حديث زهير بن أبى جبل من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له ويروى من كلام عمر رضي الله عنه لا يفتح على العاقل شراع وفى القوت عن زيد بن وهب عن عمر رضي الله عنه كان يقول ابتاعوا بأموال اليتامى لا تأكلها الزكاة وثمروها لهم بالأرباح وإياكم والحيوان فربما هدر وإياكم ولجج البحر أن تتجروا لهم فيها مالا .اهـ. وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن آملة إن الشياطين تغدو براياتها إلى الأسواق ليدخلوا مع أول داخل ويخرجوا مع أول خارج .

(١٦٤٣) حديث : قال عليه السلام : « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا »=

وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحوا السلف فقد كان منهم من إذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخمر في سفط بين يديه فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله أمر اليوم اعمل فى الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت إن لى دانقا عند البقال فقال عز علىَّ بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل فى الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به.

السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتى قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة وقد « **حُمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال من أين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال: إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا** »(١٦٤٤) .

= منها » كذا فى القوت **قال العراقى** : تقدم صدر الحديث فى الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم فى كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا .اهـ.

وقال مرتضى : جاء صدر الحديث من رواية ابن عمر خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق رواه الطبرانى فى الكبير والحاكم وصححه وكذا رواه ابن حبان ومسلم من طريق عبد الرحمن بن مهران عن أبى هريرة رفعه أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها وفى الباب عن واثلة بلفظ شر المجالس الأسواق والطرق وخير المجالس المساجد وإن لمْ تجلس فى المسجد فالزم بيتك .

(١٦٤٤) حديث : « حمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال من أين لكم هذا فقيل من الشاة » ولفظ القوت من شاة كذا « فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل : من موضع كذا فشرب منه وقال: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا » كذا فى القوت **قال العراقى**: رواه الطبرانى من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف .

وقـال : « **إن الله تعالى أمـر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقـال :** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ » (١٦٤٥) .

فسأل النبى ﷺ عن أصل الشىء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر، وسنبين فى كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام : «**لا يسأل عن كل ما يحمل إليه**» (١٦٤٦) .

وإنما الواجب أن ينظر التـاجر إلى من يعامـله فكل منسوب إلى ظلم أو خـيانة أو سرقـة أو ربا فلا يعامله وكـذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البـتة ولا يعامل أصـحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم.

وحكى عن رجل أنه تولى عمـارة سور لثغـر من الثغور قال فـوقع فى نفسى من ذلك شىء وإن كان ذلك العمل مـن الخيرات بل من فرائض الإسلام ولكن كـان الأمير الذى تولى فى محلته من الظلمـة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فـقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور فى سبيل الله للمسلمين فقال : نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهـم ليوفوك أجرك فـتكون قد أحـببت من يعصى الله وقـد جاء فى الخبر : « **من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه**»(١٦٤٧) .

(١٦٤٥) حديث : قال ﷺ : « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمـر به المرسلين فقال عز من قائل : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ » كذا فى الـقوت **قال العـراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(١٦٤٦) حديث : قال جابر رضي الله عنه : « كان ﷺ لا يسأل عن كل مـا يحمل إليه » بل يقبل مأكولا كان أو مشـروبا أو غير ذلك **قال العـراقى :** روى أحمـد من حديث جـابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شـاة . . . . الحديث وفيه فأخذ رسول الله ﷺ لقمـة فلم يستطع أن يسيغـها فقال هـذه شاة ذبحت بغير إذن أهلهـا . . . . الحديث وله من حديث أبى هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهـله سأل عنه . . . . الحديث وإسنادهما جيد وفى هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم .

(١٦٤٧) حديث : « من دعـا الله تعالى لظالم بالبقـاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضـه » كذا فى=

وفى الحديث : « إن الله ليغضب إذا مُدح الفاسق » (١٦٤٨) .

وفى حديث آخر : « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام » (١٦٤٩) .

ودخل سفيان على المهدى وبيده درج أبيض فقال يا سفيان أعطنى الدواة حتى أكتب فقال أخبرنى أى شىء تكتب فإن كان حقا أعطيتك .

وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طينا ليختم به الكتاب فقال ناولنى الكتاب أولا حتى أنظر ما فيه، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة فينبغى أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلا

= القوت وأورده الزمخشرى فى تفسير هود وقد ذكره المصنف فى ثلاثة مواضع أحدها هنا والثانى فى الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام والثالث فى آفات اللسان **قال العراقى** : لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب فى آفات اللسان .اهـ.

وقال مرتضى : وكذا هو فى السادس والستين من الشعب للبيهقى من قول الحسن كما سيأتى للمصنف فى آفات اللسان وهو فى ترجمة الثورى من الحلية لأبى نعيم .

(١٦٤٨) حديث : « إن الله تعالى يغضب » كذا فى النسخ والرواية ليغضب « إذا مدح الفاسق » كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وابن عدى فى الكامل وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بسند ضعيف .

(١٦٤٩) حديث : « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام » كذا فى القوت **قال العراقى** : غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقّر صاحب بدعة .... الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزى كلها موضوعة .اهـ.

وقال مرتضى : رواه أبو نعيم من طريق الطبرانى عن الحسن بن هلال الوراق وعن محمد بن محمد الواسطى عن أحمد بن معاوية عن عيسى بن يونس عن ثور عن ابن معدان عن عبد الله بن بسر ورواه ابن عدى أيضا وأبو نصر السجزى فى الإبانة من حديث ابن عباس ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس ورواه أبو نصر السجزى أيضا عن ابن عمر وابن عباس موقوفا ورواه البيهقى عن إبراهيم بن ميسرة مرسلا وإيراد ابن الجوزى إياه فى الموضوعات غير سديد غايته أن طرقه ضعيفة وأحمد بن معاوية من سند الطبرانى حدث بالأباطيل وقال الذهبى ليس بثقة .

وبالجملة فينبغى أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله فى هذا الزمان .

قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لى أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحدا إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتى زمان يذهب هذا أيضا وكأنه قد كان الذى كان يحذر أن يكون إنا لله وإنا إليه راجعون .

السابع : ينبغى أن يراقب جميع مجارى معاملته مع كل واحد من معامليه فإنه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب فى كل فعله وقوله إنه لِمَ أقدم عليها ولأجل ماذا فإنه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله .

قال بعضهم رأيت بعض التجار فى النوم فقلت : ماذا فعل الله بك فقال نشر علىَّ خمسين ألف صحيفة فقلت: هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل إنسان عاملته فى الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بينى وبينه من أوّل معاملته إلى آخرها .

فهذا ما على المكتسب فى عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقرَّبين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر فى الباب الخامس كان من الصدِّيقين والله أعلم بالصواب .

تم كتاب (آداب الكسب والمعاش) بحمد الله ومنه ويتلوه إن شاء تعالى

كتاب (آداب الحلال والحرام) وهو الكتاب الرابع من ربع العادات

* * *

كتاب آداب الحلال والحرام

وهو الكتاب الرابع من ربع العادات

وفيه سبعة أبواب :

(البـاب الأول) : في فضيلة صاحب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام.

(الباب الثاني) : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام.

(الباب الثالث) : في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها في الحلال والحرام.

(البـاب الرابع) : في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية .

(الباب الخامس) : في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم.

(الباب السادس) : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم.

(الباب السابع) : في مسائل متفرقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته فى أحسن تقويم وأتم اعتدال ثم غذاه فى أول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعى الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال ولقد كان يجرى من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال إذا كان لا يبذرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ما له من ناصر ولا وال والصلاة على محمد الهادى من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا .

(أما بعد) : فقد قال ﷺ : « **طلب الحلال فريضة على كل مسلم** » (١٦٥٠) . رواه ابن مسعود رضي الله عنه .

(١٦٥٠) حديث : قال ابن مسعود رضي الله عنه : قال ﷺ : « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولفظ القوت وروينا عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ فساقه **قال العراقى** : تقدم فى الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : ولكن الهيثمى رفيقه قال وإسناده حسن ورواه الديلمي أيضا فى مسند الفردوس باللفظ المذكور وفيه بقية والزبير بن خريق ضعيفان .

وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات والحشيش النابت فى الموات وما عداه فقد اجتنته الأيدى العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع فى المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيهات هيهات « **فالحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات**»(١٦٥١).

ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم فى الدين ضررها واستطار فى الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجه التضييق عن حيز الإمكان ونحن نوضح ذلك فى **سبعة أبواب:**

(الباب الأول) : فى فضيلة صاحب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام.

(الباب الثانى) : فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام.

(الباب الثالث) : فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها فى الحلال والحرام.

(الباب الرابع) : فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية.

(الباب الخامس) : فى إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم.

(الباب السادس) : فى الدخول على السلاطين ومخالطتهم.

(الباب السابع) : فى مسائل متفرقة.

(١٦٥١) حديث : قال النعمان بن بشير : قال رسول الله ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام » .

قال مرتضى : لم يتعرض له العراقى والحديث رواه الشيخان والأربعة من حديث النعمان ابن بشير وسيأتى الكلام عليه فى الباب الثانى من مراتب الشبهات من هذا الكتاب .

الباب الأول

فى فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه

فضيلة الحلال ومذمة الحرام :

قال الله تعالى : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (المؤمنون : ٥١) أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن المراد به الحلال .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة : ١٨٨) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ (النساء : ١٠) الآية .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٢٧٨) .

ثم قال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة : ٢٧٩) .

ثم قال : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٧٩) .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

جعل آكل الربا فى أول الأمر مؤذنا بمحاربة الله وفى آخره متعرضا للنار والآيات الواردة فى الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «طلب الحلال فريضة على كل مسلم» .

ولما قال ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** »(١٦٥٢) .

قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال ﷺ : « **من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالاً فى عفاف كان فى درجة الشهداء** »(١٦٥٣) .

وقال ﷺ : « **من أكل الحلال أربعين يوما نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه** » (١٦٥٤) وفى رواية زهده الله فى الدنيا .

(١٦٥٢) حديث : قال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » **قال العراقى :** تقدم فى العلم .

قال مرتضى : رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس والطبراني فى الصغير والخطيب فى التاريخ من حديث الحسين بن على والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وتمام فى فوائده من حديث ابن عمر والطبراني فى الكبير من حديث ابن مسعود والخطيب في التاريخ أيضا من حديث على والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب أيضا من حديث أبى سعيد .

(١٦٥٣) حديث: قال ﷺ : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا » حلالا « فى عفاف كان في درجة الشهداء » هكذا هو فى القوت **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة من سعى على عياله ففى سبيل الله ولأبى منصور الديلمي فى مسند الفردوس من طلب مكسبه من باب حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسناده ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : والسياق الأخير رواه أيضا الخطيب فى التاريخ ولفظه من مال الحلال وفيه بعد قوله والصديقين هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى .

(١٦٥٤) حديث: قال ﷺ : « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » **قال العراقى :** رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى أيوب بلفظ من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى وقال حديث منكر .اهـ.

قال مرتضى : لفظ رواية أبى نعيم من أخلص العبادة لله وقد رواه عن حبيب بن الحسن عن عباس بن يوسف الشكلى عن محمد بن سيار السيارى عن محمد بن إسماعيل عن يزيد ابن يزيد الواسطى عن حجاج عن مكحول عن أبى أيوب وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال يزيد بن يزيد كثير الخطأ وحجاج مجرح ومحمد بن إسماعيل مجهول ومكحول لم يصح سماعه من أبى أيوب وتعقبه السيوطى وقال غاية ما يقال فيه إن إسناده=

وروى أن سعدا سأل رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له : « **أطب طعمتك تستجب دعوتك** » (١٦٥٥) .

ولما ذكر ﷺ الحريص على الدنيا قال: « **رُب أشعث أغبر مشرد فى الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك** » (١٦٥٦) .

= ضعيف وفى شرح الأحكام لابن عبد الحق هذا الحديث وإن لم يكن صحيح الإسناد فقد صححه الذوق الذى خص به أهل العطاء والإمداد وفهم ذلك مستغلق إلا على أهل العلم الفتحى الذى طريقه الفيض الرباني بواسطة الإخلاص المحمدي . اهـ. وفى المقاصد للحافظ السخاوى هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الحلية من جهة مكحول عن أبى أيوب به مرفوعا وسنده ضعيف وهو عند أحمد فى الزهد مرسل بدون أبى أيوب وله شاهد عن أنس رواه القضاعى من جهة ابن فيل ثم من طريق سواد بن مصعب عن ثابت عن مقسم عن ابن عباس به مرفوعا .اهـ.

وقال مرتضى : هو فى زوائد الزهد لأبى بكر المروزى وكذلك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو الشيخ فى الثواب ولفظهم قال مكحول بلغنى أن النبى ﷺ قال فذكره وقول العراقى : ولابن عدى نحوه من حديث أبى موسى إلخ .

قال مرتضى : لفظه ما من عبد يخلص لله أربعين يوما الحديث ورواه ابن الجوزى أيضا من طريقه وفى رواية زهده الله فى الدنيا أى جعله من الزاهدين فيها الراغبين فى الآخرة وأوهم سياقه أن هذه رواية للحديث السابق وليس كذلك بل هو حديث مستقل ويؤيده سياق صاحب القوت حيث قال فى موضع آخر من كتابه وفى بعض الروايات من أكل الحلال زهده الله فى الدنيا أى فلم يورده فى ذيل الحديث السابق **ولذا لم يتعرض له العراقى فتأمل.**

(١٦٥٥) حديث : « أن سعدًا سأل النبى ﷺ أن يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة فقال له : أطب طعمتك تستجب دعوتك» ولفظ القوت : طيب طعمتك **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه .أهـ.

وقال مرتضى : تليت هذه الآية عند النبى ﷺ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا** ﴾ فقام سعد بن أبى وقاص فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال : يا سعد طيب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفسى بيده أن العبد ليقذف بلقمة الحرام من جوفه فلا يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به وأعله ابن الجوزى وقد كان سعد ﷺ مستجاب الدعوة معتزلا عن الفتنة وهو آخر العشرة موتا .

(١٦٥٦) حديث : ذكر رسول الله ﷺ الحريص على الدنيا قال: « رب أشعث مشرد فى =

وفى حديث ابن عباس عن النبى ﷺ : « **إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل** » (١٦٥٧) . فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة .

وقال ﷺ : « **من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه منه شىء** » (١٦٥٨) .

= الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول : يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك » . هكذا هو فى سياق القوت **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر . اهـ .

وقال مرتضى : وأوّله إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾ وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ وذكر الرجل يخرج من بيته أشعث أغبر يقول لبيك اللهم لبيك ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه الفقيه سليم في جزئه فقال : أخبرناه أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد الهيثم أخبرنا أبو القاسم الطبرانى عن إسحاق ابن إبراهيم الدميرى عن عبد الرزاق عن سفيان عن فضيل بن مرزوق عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة .

(١٦٥٧) حديث : ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « إن لله تعالى ملكا على بيت المقدس ينادى فى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل » فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : لم أقف له على أصل ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر . اهـ .

وقال مرتضى : وتمامه ولم تستجب له دعوة أربعين ليلة وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به وإن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم .

(١٦٥٨) حديث : قال ﷺ : « من اشتري ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شىء » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . اهـ .

وقال مرتضى : ورواه من طريق هاشم عن ابن عمر ولفظه وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه وزاد فى رواية منه شىء ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ يقوله قال الذهبى وهاشم لا يدرى من هو وقال ابن حجر وإسناده ضعيف جدا وقال أحمد هذا الحديث ليس بشىء وقال الهيثمى هاشم لم أعرفه=

وقال ﷺ : « **كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به** » (١٦٥٩) .

وقال ﷺ : «**من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار**» (١٦٦٠) .

وقال ﷺ : «**العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال** » (١٦٦١) .

روى هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة أيضا .

وقال ﷺ : « **من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض** » (١٦٦٢) .

= وبقية رجاله وثقوا على أن بقية مدلس وقال ابن عبد الهادى رواه أحمد فى المسند وضعفه فى العلل وأخرجه أيضا عبد بن حميد والبيهقى فى الشعب وضعفه وتمام والخطيب وابن عساكر والديلمى كلهم من حديث ابن عمر قال جمهور النهاوندى سألت ابن حمويه عنه فقال لا يقنع بمثل إسناده فى الإحكام ولكن لا يؤمن أن يكون ذلك فالحذر فيه أبلغ نقله الديلمى .

(١٦٥٩) حديث : قال ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم .اهـ.

قال مرتضى : ووجد بخط الحافظ فى الحلية من حديث أبى بكر وعائشة وجابر كل جسد نبت من سحت ونحوه من حديث ابن عباس فى الصغير للطبرانى وقد تقدم الكلام عليه مفصلا .

(١٦٦٠) حديث : قال ﷺ : «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار » ولفظ القوت وفى الخبر من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النار أدخله وقيل ذلك مكتوب فى التوراة . **وقال العراقى :** رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربى في عارضة الأحوذى شرح الترمذى أنه باطل لم يصح ولا يصح . اهـ.

وقال مرتضى : ووقع فى نسخ الجامع الكبير للسيوطى بلفظ المصنف وقال فيه الديلمى عن ابن عمر .

(١٦٦١) حديث : « العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها فى طلب الحلال » **قال العراقى :** رواه أبو منصور الديلمى من حديث أنس إلا أنه قال تسعة منها فى الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر .اهـ.

وقال مرتضى : وفى رواية للديلمى من حديث أنس العافية عشرة أجزاء تسعة فى طلب المعيشة وجزء من سائر الأشياء.

(١٦٦٢) حديث: قال ﷺ : « من أمسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه=

وقال ﷺ : « **من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في النار** »(١٦٦٣).

وقال عليه السلام : « **خير دينكم الورع** »(١٦٦٤).

وقال ﷺ : « **من لقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الإسلام كله** »(١٦٦٥).

ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه : «**وأما الورعون فأنا أستحى أن أحاسبهم**»(١٦٦٦).

وقال ﷺ : « **درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الإسلام** »(١٦٦٧).

= راض ». **قال العراقى :** رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له وفيه ضعف .اهـ.

وقال مرتضى : وقال الهيثمى فيه جماعة لم أعرفهم ورواه أيضا ابن عساكر من طريق سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده.

(١٦٦٣) حديث : قال ﷺ : « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمًا أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعًا ثم قذفه في النار » **قال العراقى :** رواه أبو داود في المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلاً .اهـ.

وقال مرتضى : وفي رواية ثم قذف به في جهنم وكذلك رواه ابن المبارك وابن عساكر من طريق القاسم بن مخيمرة .

(١٦٦٤) حديث : قال ﷺ : « خير دينكم الورع » رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث سعد . وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم .

(١٦٦٥) حديث : قال ﷺ : « من لقى الله ورعا أعطاه الله ثواب الإسلام كله» **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .

(١٦٦٦) حديث : « أن الله تعالى قال وأما الورعون فأنا أستحى أن أحاسبهم » **لم يتعرض له العراقى** ، وفي شرح عين العلم والحديث لم أعرفه .

وقال مرتضى : رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعا بلفظ قال الله تعالى يا موسى أنه لن يلقاني عبدى في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه إلا ما كان من الوارعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب .

(١٦٦٧) حديث : قال ﷺ : « درهم من ربا أشد عند الله تعالي من ثلاثين زنية في الإسلام »=

وفى حـديث أبى هـريرة ﷺ : « المعدة حـوض البدن والعروق إليهـا واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم » (١٦٦٨) .

= **قـال العـراقى :** رواه أحمد والدارقطنـى من حديثُ عبد الله بن حنظلة وقـال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنـظلة الزاهد عن كعب مرفوعًا وللطبرانى فى الصـغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : رواه أحمد عن حسين بن محـمد عن جرير بن حازم عن أيوب عن ابن أبى مليكة عن عـبد الله بن حنظلة الغـسيل ورواه الطبراني فى الكبـير من هذا الوجـه وكذا صاحب المختارة والدارقطنى والبغوى وابن عسـاكر ولفظ البغوي وابن عساكر درهم ربا أشد من ثلاث وثلاثين زنية فى الخطيئة وفى رواية عند أحمد فى الحطيم ولفظ الجماعـة غيرهما درهم ربا يأكله الـرجل وهو يعلم أشـد عند الله من ست وثـلاثين زنيـة ولفظ حـديث ابن عباس عند البيهقى فى الشعب درهم ربا أشد عند الله من ست وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به وقد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات وقال حسين بن محمد هو ابـن بهرام المروزى قال أبو حاتم رأيته ولم أسمع منه وسـئل أبو حاتم عن حديث يرويه حسين فقال خطأ فقيل له الوهم ممن قال يـنبغى أن يكون من حسين وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه احتج به الشيخان ووثقـه غيرهما وبان له شواهد ونقل عن الدارقطنى أنه قال بعد ما أورد الحـديث عن عبـد الله بن حنظلة مـا لفظه الأصح موقـوف وروى ابن عسـاكر فى التاريخ من أكل درهما ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية رواه عن محمد بن حمير عن إبراهيم ابن أبي عبلة عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ .

(١٦٦٨) حديث : « المعـدة حوض البـدن والعروق إليـها واردة فإذا صـحت المعدة صـدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم » هكذا هو فى القوت **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط والعقيلى فى الضعفاء وقال باطل لا أصل له . اهـ.

وقال مرتضى : ولفظ الطبرانى في الأوسط حدثنا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحرانـى حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتى حـدثنا إبراهيم بن جريج الرهاوى عن زيد ابن أبي أنيسـة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قـال قال رسول الله ﷺ فـذكر وفـيه وإذا فـسدت بدل سـقمت وقـال لم يروه عن الزهرى إلا زيد بن أبى أنيـسة تفـرد به الرهاوى قال الحافظ السـخاوى وقد ذكره الدارقطنى فى العلل من هذا الوجـه وقال اختلف فيه على الزهرى فرواه أبو قرة الرهاوى عنه فقـال عن عائشة وقال كلا هما لا يصح قال ولا يعرف هذا من كلام النبى ﷺ إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن الجبر . اهـ.

ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس وأعوج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة : ١٠٩) الآية .

وفى الحديث « **من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار**»(١٦٦٩) .

وقد ذكرنا جملة من الأخبار فى كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال .

(وأما الآثار) : فقد ورد « **أن الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطونى فادخل أصابعه فى فيه وجعل يقئ حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء**»(١٦٧٠) .

(١٦٦٩) حديث : « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يتقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار » هكذا هو فى القوت **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ولابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه .اهـ.

وقال مرتضى : وهكذا أورده الجلال فى الجامع الكبير .

(١٦٧٠) حديث : « إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله » عنه من أين اكتسبه « فقال : تكهنت لقوم فأعطونى فأدخل إصبعه فى فيه وجعل يقئ حتى ظننت أن نفسه ستخرج وقال اللهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء » هكذا هو في القوت **قال العراقى** : رواه البخاري من حديث عائشة كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية فذكره .اهـ.

وقال مرتضى : وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا عمرو بن مضمر البصرى حدثنا عبد الواحد بن زيد عن أسلم الكوفى عن مسرف الطيب عن زيد بن أرقم قال كان لأبى بكر مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة قال حملنى على ذلك الجوع من أين جئت بهذا قال مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت=

وفى بعض الأخبار أنه ﷺ أخبر بذلك فقال: أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا (١٦٧١) .

وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فادخل إصبعه وتقيأ (١٦٧٢) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة هو الورع (١٦٧٣) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز ، وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه .

وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال: لو كان لى دلو شربت منه .

= لهم فوعدونى فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطونى قال أف لك كدت أن تهلكنى فادخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج فقيل له إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له رحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة فقال لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها سمعت رسول الله ﷺ يقول كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة ورواه عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة نحوه والمنكدرى محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر نحوه .

(١٦٧١) حديث : قال ﷺ : « أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا » وفى بعض النسخ لما أخبر بالحديث السابق قال: .... الحديث ، **قال العراقى** : لم أجده .

(١٦٧٢) حديث : « شرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبنا من إبل الصدقة غلطا فادخل أصبعه فى فيه وتقيأ » .

قال مرتضى : **لم يتعرض له العراقى** ، وهذا رواه مالك من طريق زيد بن أسلم قال شرب عمر لبنا فأعجبه فسأل الذى سقاه من أين لك هذا اللبن فأخبره أنه ورد على ماء قد سماه فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون فحلبوا إلى من ألبانها فجعلته فى سقائى فهو هذا فادخل عمر يده فاستقاءه وكل هذا من الورع.

(١٦٧٣) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « إنكم لتغفلون عن أصل العبادة والورع » .

قال مرتضى : **لم يتعرض له العراقى**، ورواه الحكيم الترمذى .

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه : من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال يحيى بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام وقال سهل التسترى :لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهى من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال : من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالا ولا يعمل إلا فى سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: ١٤) .

وقال ابن المبارك : رد درهم من شبهة أحب إلىَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستمائة ألف وقال بعض السلف إن العبد يأكل أكلة فينقلب قلبه فيبغل كما يبغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبدا وقال سهل رضي الله عنه : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات وقال بعض السلف: إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر وروى فى آثار السلف إن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فإن كان معتقد البدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيئ الطعمة فعن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفى الأخبار المشهورة عن على عليه السلام وغيره أن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب وروى أن بعض الصالحين دفع طعاما إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال: نحن لا نأكل إلا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شىء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا

فقال له الرجل: فإني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدل هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إليَّ من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إني لا أسأل أحدًا شيئا ولو أعطاني السلطان شيئا لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال : كنت أمزح فقال: تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال : ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (المؤمنون : ٥١) .

وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله وعن علي رضي الله عنه : أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعامًا إلا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب : هو من أحب الطعام إليَّ إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال : إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفيان : قتلت الرجل فقال ابن المبارك : ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله علي أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه قال : فكان يشرب اللبن قال فآتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال : بقي أنها من أين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه : أشرب فإن الله يغفر لك فقال : ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرة بمعصية .

وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين فقيل له: من أين تأكل فقال : من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

أصناف الحلال ومداخله

أعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها فإما من يتوسع فى الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه فى كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه فى سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى فى عينه أو لخلل فى جهة اكتسابه .

القسم الأول : الحرام لصفة فى عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما أو من النبات أو من الحيوانات أما المعادن فهى أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث أنه يضر بالآكل وفى بعضها ما يجرى مجرى السم والخبز لو كان مضرا لحرم أكله والطين الذى يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شىء منها فى مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرما وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ، ومزيل الحياة السموم ومزيل الصحة الأدوية فى غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات فإن الذى لا يسكر منها أيضا حرام مع قلته لعينه ولصفته وهى الشدة المطربة وأما السم فإذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم ، وأما الحيوانات فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله فى كتاب الأطعمة والنظر يطول فى تفصيله لا سيما فى الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحا شرعيا روعى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور فى كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا أو مات فهو حرام ولا يحل إلا ميتتان السمك والجراد وفى معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والخل والجبن فإن الاحتراز منهما غير ممكن فإما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب ، وكل ما ليس له نفس سائلة لا سبب فى تحريمها إلا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت إلى

خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله ﷺ : «بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه» (١٦٧٤) .

وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو نهرت نملة أو ذبابة فى قدر لم يجب اراقتها إذ المستقذر هو جرمه إذا بقى له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت فى قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فإن الصحيح أن الآدمى لا ينجس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراما لا استقذارا وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن ليس فى الأعيان شىء محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فإن نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه فى مظنة التشوّف ومهما وقع قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة فى مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة فى ذاته .

(١٦٧٤) حديث : « أمر رسول الله ﷺ بأن يمقل الذباب فى الطعام إذا وقع فيه » **قال العراقى:** رواه البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه ابن ماجه أيضا ولفظهما إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الأخرى شفاء والشراب أعم من ماء أو غيره من المائعات وفى رواية ابن ماجه إذا وقع في الطعام وفى أخرى فى إناء أحدكم والإناء يكون فيه كل مأكول ومشروب وفى رواية فليمقله زاد الطبرانى كله وفى رواية للبخارى فلينتزعه ويقال مقله فى الماء أو غيره مقلا إذا غمسه فيه .

القسم الثانى: ما يحرم لخلل فى جهة إثبات اليد عليه : وفيه يتسع النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذى يكون بغير اختياره كالإرث والذى يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنيل المعادن أو يكون من مالك والذى أخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهرا أو يؤخذ تراضيا والمأخوذ قهرًا إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أو لاستحقاق الأخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيًا إما أن يأخذ بعوض كالبيع والصداق والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام :

الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن وإحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون المأخوذ مختصا بذى حرمة من الآدميين فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك فى كتاب إحياء الموات .

الثانى: المأخوذ قهراً ممن لا حرمة له وهو الفئ والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه الشروط فى كتاب السير من كتاب الفئ والغنيمة وكتاب الجزية .

الثالث : ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق وتفصيل ذلك فى كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر فى صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالا .

الرابع : ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال إذا روعى شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين أعنى الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك فى كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات .

الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعى فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره وذلك مذكور فى كتاب الهبات والوصايا والصدقات .

السادس : ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجبا وذلك مذكور فى كتاب الوصايا والفرائض فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جملتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغنى عن علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغى أن يستفتى فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

درجات الحلال والحرام

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار فى الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار فى الثانية كالفانيد وبعضها حار فى الثالثة كالدبس وبعضها حار فى الرابعة كالعسل كذلك الحرام بعضه خبيث فى الدرجة الأولى وبعضه فى الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب فى الاصطلاح على أربع درجات تقريبا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت

لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على **أربع درجات** :

الأولى : ورع العدول وهو الذى يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت إثم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء .

الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن المفتى يرخص فى التناول بناء على الظاهر فهو من واقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو فى الدرجة الثانية .

الثالثة : ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة فى حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال ﷺ : « **لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس** » (١٦٧٥) .

الرابعة : ما لا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدى إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد .

وأما الحرام الذى ذكرناه فى الدرجة الأولى وهو الذى يشترط التورع عنه فى العدالة وإطراح سمة الفسق فهو أيضا على درجات فى الخبث فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس فى درجة المغصوب على سبيل

(١٦٧٥) حديث : قال ﷺ : «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتي يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس» **قال العراقى** : رواه ابن ماجه وقد تقدم .

وقال مرتضى : وكذلك رواه الترمذى والحاكم كلهم من حديث عطية بن عروة السعدى قال الترمذي حسن غريب ولفظهم جميعًا لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس وسيأتى الكلام عليه قريبا .

القهر بل المغصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع فى الاكتساب وإيذاء الغير وليس فى المعاطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده فى بعض التناهى على ما سيأتى فى كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل المأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوى أو غنى فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق فى تفاصيل الخبائث لا ينبغى أن يذهل عنها فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره فى ثلاث درجات أو أربع فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشهى وهو طلب حصر فيما لا حاصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام فى الخبث ما سيأتى فى تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا نقدم بعض هذا على بعض .

أمثلة الدرجات الأربع : فى الورع وشواهدها .

أما الدرجة الأولى : وهى ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل فى المداخل الستة التى ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذى ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية وهو الذى نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد .

وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتى فى باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين كمن يمتنع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذى ينزل عليه قوله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** »(١٦٧٦) .

(١٦٧٦) حديث: قال النبى ﷺ للحسن بن على رضي الله عنهما : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » **قال العراقى** : رواه النسائى والترمذى والحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على .اهـ. =

ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله ﷺ : « **كل ما أصميت ودع ما أنميت**»(١٦٧٧) .

والإنماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذى نختاره كما سيأتى أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله : دع ما يريبك أمر تنزيه إذ ورد فى بعض الروايات : « **كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك** » (١٦٧٨) .

ولذلك قال ﷺ : لعدى بن حاتم فى الكلب المعلم « **وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه**»(١٦٧٩) .

= **وقال مرتضى :** ورواه أحمد من حديث أنس والخطيب من حديث ابن عمر والطبرانى فى الكبير من حديث رابعة بن معبد وأبوعبد الرحمن السلمى من حديث واثلة وقد رويت زيادات فى هذا الحديث وهي فإن الخير طمأنينة وأن الشر ريبة كذا رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث الحسن وفى أخرى فإن الصدق طمأنينة وأن الكذب ريبة وهكذا رواه الطيالسى وأحمد والترمذى والدارمى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والبيهقى وفى أخرى فإن الصدق وهكذا رواه ابن قانع وفى أخرى فإنك لن تجد ثقل شىء تركته لله عز وجل وهذا رواه الخطيب فى تاريخه من حديث ابن عمر وقال الخليل الصواب وقفه عليه .

(١٦٧٧) حديث : قوله ﷺ : « كل ما أصميت ودع ما أنميت » . **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس ورواه البيهقى موقوفا عليه وقال أن المرفوع ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : قال الهيثمى فيه عثمان بن عبد الرحمن أظنه القرشى وهو متروك .

(١٦٧٨) حديث : « كل منه وأن غاب عنك مالم تجد فيه أثرا غير سهمك» وسيأتى قول العراقى فيه فى حديث رقم : ١٦٩١ ص ١٤٦٢ .

قال مرتضى : رواه ابن ماجه والطبرانى من حديث أبى ثعلبة الخشني بلفظ كل ماردت عليك قوسك وأن تواري عنك بعد أن لا ترى فيه أثر سهم أو نصل ورواه أيضا أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو ورواه أحمد من حديث ابن عمر بلفظ كل ما أمسكت عليك قوسك ذكى وغير ذكى وأن تغيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه غير سهمك .

(١٦٧٩) حديث : قال ﷺ لعدي بن حاتم فى الكلب المعلم: « وإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » وهذا الحديث **قد أغفله العراقى** هنا وذكره فى الباب الذى يليه=

والنهى على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبى ثعلبة الخشنى « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (١٦٨٠) .

وذلك لأن حالة أبى ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدى كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك فى قلبه

= وهو مما اتفق عليه الستة أخرجوه من حديث همام بن الحارث عن عدي بن حاتم واللفظ لأبى داود قال سألت النبى ﷺ عن المعراض قال إذا أصاب بحده فكل وإذا أصاب بعرضه فلا تأكل فإنه وقيذ قلت أرسل كلبى قال إذا سميت فكل وإلا فلا تأكل وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك لنفسه فقال أرسل كلبي فأجد كلبا آخر فقال لا تأكل لإنك إنما سميت علي كلبك وليس عند البخارى ومسلم وإلا فلا تأكل ورواه أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أنا نبعث الكلاب المعلمة أفنأكل مما أمسكن علينا فقال إذا ذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك ما لم يشركها كلب من غيرها قلت وإن قتل قال وإن قتل قلت يا رسول الله أحدنا يرمى بالمعراض قال إذا رميت فسميت فخرق فكل وإن أصاب بعرض فلا تأكل وأخرجه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث الشعبى عن عدى بن حاتم قال سألت النبى ﷺ قلت أنا نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما أمسكن عليك وإن قتل إلا أن يأكل الكلب فإن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه .

(١٦٨٠) حديث : قال ﷺ لأبى ثعلبة الخشني: « كل منه فقال وإن أكل قال كل» هكذا في النسخ وفي نسخة العراقى قال وإن أكل **قال العراقى** : رواه أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقى موقوفًا عليه وقال إن المرفوع ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : سياق حديث ابن عمر وعند أبي داود والنسائي أن إعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال رسول الله إن لى كلابا مكلبة فافتنى فى صيدها فقال النبى ﷺ إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك ذكيا وغير ذكى قال وإن أكل منه قال وإن أكل منه قال يا رسول الله افتني في قوسى قال كل ما ردت عليك قوسك قال ذكيا وغير ذكى قال وإن تغيب عنى قال وإن تغيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه أثرا غير سهمك قوله يصل يقال صل اللحم واصل إذا أنتن وهذا قد تقدم قريبا ولفظ حديث أبي ثعلبة المطول فعند الشيخين وأبى داود والنسائى قال قلت يا رسول الله إني أصيد بكلبي المعلم وبكلبى الذي ليس بمعلم قال ما أصدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله وكل وما أصدت بكلبك الذى ليس بمعلم فادركت ذكاته فكل وأما لفظه المختصر عند أبى داود وحده كل ما ردت عليك قوسك وكلبك المعلم ويدك فكل ذكيا وغير ذكى .

شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثلة هذه الدرجة نذكرها في التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة.

أما الدرجة الثالثة : وهى ورع المتقين فيشهد لها قوله ﷺ : «**لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس**» .

وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتقى العبد فى مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال فى الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع فمن ذلك ما روى عن على بن معبد أنه قال كنت ساكنا فى بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه ثم قلت الحائط ليس لى فقالت لى نفسى وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتى فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا على بن معبد سيعلم غدا الذى يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلاً على المسلمين وكان يوزن بين يدى عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال وهل ينتفع منه إلا

بريحه لما استبعد ذلك منه و« **أخذ الحسن** ﷺ **تمرة من تمر الصدقة وكان صغيراً فقال** ﷺ **كخ كخ أى القها**»(١٦٨١) .

ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلاً فقال : اطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق فى الدهن وروى سليمان التيمى عن نعيمة العطارة قالت : كان عمر ﷺ يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتبيعه فباعتنى طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق بإصبعها شىء منه فقالت به هكذا بإصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر ﷺ فقال ما هذه الرائحة فأخبرته فقال : طيب المسلمين تأخذينه فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه فى التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه فى التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت : ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شىء بإصبعها فادخلت إصبعها فى فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر ﷺ ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أتلفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون فى المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال : ينبغى أن يخرج فى المسجد فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته وهذا قد يقارب الحرام فإن القدر الذى يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدرى أنه يتسامح به أم لا وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب وهذا أيضا قد يشك فى أن صاحبها هل يرضى به أم لا فما هو فى محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة

(١٦٨١) حديث : « أخذ الحسن بن على » بن أبى طالب ﷺ « تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبى ﷺ كخ كخ ألقها » **قال العراقى** : رواه البخاري من حديث أبي هريرة .

قال مرتضى : ولفظه أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها فى فيه فقال له : كخ كخ ارم بها أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة وقد رواه مسلم كذلك فما فى نسخ الكتاب الحسين بن على تحريف من النساخ .

الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة فى نفسها وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال : أما أنا فلا استعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولى الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة فى باطل فيعطيها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس أى مخافة من أن يفضى إليه وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح فى نفسه ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب مالا يحل فى تحصيله وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة فى وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها.

واستدل بما روى عن النبى ﷺ : « **أنه سئل أن يكحل المسجد فقال : لا ، عريش كعريش موسى** »(١٦٨٢) وإنما هو شىء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله ﷺ فيه .

(١٦٨٢) حديث : « سئل النبى ﷺ أن يكحل المسجد فقال : لا ، عريش كعريش موسى » ولفظ القوت قال المروذى وذكرت لأبى عبد الله مسجدا قد بنى وأنفق عليه مال كثير فاسترجع وأنكر ما قلت وقال قد سألوا النبى ﷺ أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى قال أبو عبد الله إنما هو شىء من الكحل يطلى فلم يرخص النبى ﷺ .اهـ. **قال العراقى :** رواه الدارقطنى فى الإفراد من حديث أبى الدرداء وقال غريب .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه المخلص فى فوائده والديلمى وابن النجار من حديث أبى الدرداء بلفظ عريشا كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك قال الديلمى في الفردوس سئل الحسن ما كان عريش موسى قال كان إذا رفع يده بلغت السقف وروى الطبرانى فى الكبير من حديث عبادة بن الصامت ليس فى رغبة . . . . موسى عريش كعريش موسى وروى البيهقى من حديث سالم بن عطية مرسلا عريش كعريش موسى .

وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات فى المباحات إلى غيرها فإن المحظور والمباح تشتهيهما النفس بشهوة واحدة وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف الفتوى الورع عن هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب فى الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى معصية البتة .

أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم فى أسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه فى الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام : ٩١) .

وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك فى أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو تمشيت فى الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسى منذ ثلاثين سنة فكأنه لم تحضره نية فى هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الإقدام عليها وعن سرى رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش فى جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت فى نفسى إن كنت قد أكلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فهتف بى هاتف أن القوة التى أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هى فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون المصرى أنه كان جائعا محبوسا فبعثت إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءنى على طبق ظالم يعنى أن القوة التى أوصلت الطعام إلىَّ لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى فى الورع ومن ذلك أن بشرا رحمه الله كان لا يشرب الماء من الأنهار التى حفرها الأمراء فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا فى نفسه

فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه أفسدته إذ سقيته من الماء الذى يجرى فى النهر الذى حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم إذا مر فى طريق الحج لم يشرب من المصانع التى عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقى محفوظًا بالمصنع الذى عمل بمال حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنها حرام بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيأ الصديق ﷺ من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الخبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخيط فى المسجد فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط فى المسجد وسئل عن المغازلى يجلس فى قبة فى المقابر فى وقت يخاف من المطر فقال إنما هى من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفأ بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقى فيه جمر من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله فى مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند سالكى طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة وتوصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات فى الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن يترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل فى الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات فى الورع كما تتفاوت دركات النار فى حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام فى الخبث وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص السلام .

★ ★ ★

الباب الثانى

فى مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله ﷺ : « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه » (١٦٨٣).

فهذا الحديث نص فى إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذى لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلابد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه

(١٦٨٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فى الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه » . وبقية الحديث ألا وأن لكل ملك حمى ألا وأن حمي الله فى أرضه محارمه ألا وأن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب **قال العراقى :** متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير .اهـ.

وقال مرتضى : يرويه الشعبى واختلف عنه فرواه ابن عون عنه عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فساقه هكذا رواه المعتمر وشعيب بن إسحاق عن ابن عون وخالفهما الليث بن سعد فرواه عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن عون بن عبد الله عن الشعبى أنه سمع النعمان بن بشير ابن سعد صاحب رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس بحمص وهو يقول الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فمن استبراهن فقد أسلم لدينه وعرضه ومن وقع فيهن فيوشك أن يقع فى الحرام كالمرتع إلى جانب الحمى فيوشك أن يقع ورواه البيهقى فى الشعب بلفظ حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم كان لما استبان له أترك ومن اجترأ على ما شك فيه أوشك أن يواقع الحرام وإن لكل ملك حمى وحمى الله فى الأرض معاصيه .

الكثير فقد يعرفه القليل فنقـول (الحلال المطلق) هو الذى خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحـريم فى عينه وانحل عن أسـبابه مـا تطرق إليه تحريم أو كـراهية ومـثاله الماء الذى يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقـفا عند جمعه وأخذه من الهـواء فى ملك نفـسه أو فى أرض مباحة والحرام المحض هو مـا فيه صفـة محرمة لا يشك فيها كـالشدة المطربة فى الخمر والنجاسة فى البـول أو حصل بسبب منهى عنه قطعا كالمحـصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتـحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبيـة فيحتمل أن يكون قد ملكها صـياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصـياد بعد وقوعه فى يده وخريطته فمـثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى مـاء المطر المختطف من الهـواء ولكنه فى معنى مـاء المطر والاحـتـراز منه وسـواس ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين حـتى تلتـحق به أمثـاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة علـيه نعم لو دل عليه دليل فإن كـان قاطعا كما لو وجـد حلقة فى أذن سمكة أو كان محـتملا كما لو وجد على الظـبية جراحة يحتمل أن يكـون كيًا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جـرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فـالاحتمال المعـدوم دلالته كالاحتـمال المعدوم فى نفـسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذا لم يدل على مـوته سبب قـاطع أو مشكلة إذ الشـبهة المحـذورة ما تنشـأ من الشك والشك عبارة عن اعتقـادين متقابلين نشأ عن سببين فمـا لا سبب له لا يثبت عقده فى النفس حتى يساوى العقد المقابل له فـيصير شكا ولهذا نقول من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعا أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التى أداها قبل هذا بعشـر سنين كانت ثلاثًا أو أربعًا لم يتـحقق قطعا أنهـا أربع وإذا لم يقطع جوز أن تكون ثلاثًا وهذا التجويز لا يكون شكا إذا لم يحضره سـبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثا فلتفهم حـقيقة الشك حتى لا يشـتبه بالوهم والتجـويز بغير سبب فهـذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتـحق بالحرام المحض مـا تحقق تحـريمه وإن أمكن طريان مـحلل ولكن لم يدل

عليه سبب كمن فى يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إليَّ فأكله فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغى أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعنى بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة خمسة :

المثار الأول : الشك فى السبب المحلل والمحرم

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلا أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه إلى **أقسام أربعة :**

القسم الأول : أن يكون التحريم معلوما من قبل ثم يقع الشك فى المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها (مثاله) أن يرمى إلى صيد فيجرحه ويقع فى الماء فيصادفه ميتا ولا يدرى أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك فى الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما فى الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها وعلى هذا ينزل قوله ﷺ لعدى بن حاتم « **لا تأكله فلعله قتله غير كلبك** » (١٦٨٤).

فلذلك « **كان ﷺ إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه** » (١٦٨٥) حتى يعلم أيهما هو .

(١٦٨٤) حديث: قال ﷺ لعدي بن حاتم الطائى رضي الله عنه : « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك » **قال العراقى :** متفق عليه من حديثه .

(١٦٨٥) حديث : قال أبو هريرة : «كان ﷺ إذا أتى بشىء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه» **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه مسلم وابن ماجه من حديثه: كان إذا أتى بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل وإن قيل هدية ضرب بيده فأكل معهم ورواه أحمد فزاد كان إذا أتى بطعام من غير أهله .

وروي أنـه ﷺ : « **أرق ليلة فقـالت له بعض نسائه أرقت يا رسول الله فـقال : أجل وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة** » (١٦٨٦) .

وفي رواية فأكلتهـا فخشيت أن تكون من الصدقة ومن ذلك مـا روى عن بعضهم أنه قال : « **كنا فى سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور تغلى بها إذ قال رسـول الله ﷺ : أمة مسخت من بنى إسرائيل أخشى أن تكون هذه فاكفانا القدور** » (١٦٨٧) .

ثم اعلمه الـله بعد ذلك « أنه لم يمسخ الله خلقا فـجعل له نسلا »(١٦٨٨) .

وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحل وشك فى كون الذبح محللا .

(١٦٨٦) حديث : « أنه ﷺ أرق لـيلة » أى قلق فى نومه « فـقال له بعض نسائـه أرقت يا رسول الله فقال: أجل وجدت تمرة فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة» **قال العراقى** رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن .

(١٦٨٧) حديث : «كنا فى سفر مع رسـول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلاً كثير الضـباب فبينا القدور تغلى بها إذ قـال رسول الله ﷺ : أمة من بنى إسرائيل مسـخت فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور» **قال العراقى** : رواه ابن حبان والبيهقى من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخارى وحديث ثابت أصح .اهـ.

وقال مرتضى : رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو يعلى والبزار والبيهقى وغيرهم كلهم من طريق زيد بن وهب عن عبـد الرحمن بن حـسنة قال كنت مع رسول الله ﷺ فى سـفر فاصبنا ضبابا فكانت القدور تغلى فقـال رسول الله ﷺ ما هذه فقلنا أصبناها فقال إن أمة من بنى إسرائيل مسخت وأنا أخشى أن تكون هذه فـأكفاناها وأنا لجياع . ورواه أبو داود من رواية زيد بن وهب عن ثابت بن وديعة قال كنا مع رسول الله ﷺ فأصـبنا ضبابا فشويت منها ضبا فأتيت رسـول الله ﷺ فوضعته بين يديه فأخذ عودا فـمد به اصابعه ثم قال إن أمـة من بنى إسـرائيل مـسخت دواب الأرض وإنى لا أدرى أى الـدواب هى فلم يأكل ولم ينسأه ورواه النسـائى وابن ماجه وقال ثابت بـن يزيد وهما واحد يزيد أبوه ووديعة أمـه قاله الترمذى والبيهقى وقال المزنى هو ثابت بن يزيد بن وديعة قال البخاري حديث زيد بن وهب عن ثابت بن وديعة أصح ويحتمل عنهما جميعا .اهـ.

(١٦٨٨) حديث : « أنه لم يمسخ الله خلقا فجعل له نسلا » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث ابن مسعود .

=

القسم الثانى : أن يعرف الحل ويشك فى المحرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال : أحدهما إن كان هذا غرابا فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غرابا فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم فى واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب فى هذه المسألة وأفتى الشعبى بالاجتناب فى رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أَحْسَدُنَا زوجته طالق ثلاثا فقال الآخر نعم وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت فى المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا فى معناه .

فإن قلت : وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك فى بعض الصور فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك فى نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز له أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دقيقه وهو أن وزان الماء أن يشك فى أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه ما طلق ووزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الإستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف أصحاب الشافعى فى الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة فى مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغنى الإجتهاد وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزينب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق

= **وقال مرتضى :** لفظ مسلم عن ابن مسعود قال، قال رجل يا رسول الله القردة والخنازير مما مسخ فقال رسول الله ﷺ إن الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك .

فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرمهما عليه لأنه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وإن وطئ إحداهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففى هذا افتراق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك فى التحريم فى حق نفسه . فإن قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغى أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل فى الفقه والأرجح فى ظنى المنع وإن تعدد الشخص ههنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعى ملكا بل وضوء الإنسان بماء غيره فى رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه فلا يتبين لاختلاف الملك واتحاده أثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلاً فى النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه فى كتب الفقه ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها .

القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فإن استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذى نختار فيه أن يحل واجتنابه من الورع .

مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فإن ظهر عليه إثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعى رحمه الله فى هذا القسم والمختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك . فإن قيل فقد قال ابن عباس كل ما أصميت ودع ما أنميت .

وروت عائشة رضي الله عنها : « **أن رجلا أتى النبى ﷺ بأرنب فقال رميتى عرفت فيها**

سهمى ، فقال : أصميت أو أنميت ؟ فقال : بل أنميت ، قال: إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذى خلقه فلعله أعان على قتله شىء »(١٦٨٩).

وكذلك قال ﷺ لعدى بن حاتم فى كلبه المعلَّم : « وأن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه »(١٦٩٠).

والغالب أن الكلب المعلم لا يسىء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهوأن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك فى تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا فى معنى ما تحقق موته على الحل فى ساعته ثم شك فيما يطرأ عليه .

(١٦٨٩) حديث : عائشة رضي الله عنها : « أن رجلاً أتى النبى ﷺ بأرنب فقال : رميتى عرفت فيها سهمى ، فقال : أصميت أو أنميت ؟ قال : بل أنميت، قال : إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذى خلقه لعله أعان على قتله شىء » **قال العراقى :** ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبى رزين قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ بصيد فقال إنى رميته من الليل فأعيانى ووجدت سهمى فيه من الغد وعرفت سهمى فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعله أعانك عليها شىء » رواه أبو داود فى المراسيل والبيهقى وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري .اهـ.

وقال مرتضى : وفى الإصابة أبو رزين غير منسوب لم يرو عنه إلا ابنه عبد الله وهما مجهولان حديثه فى الصيد يتوارى قاله أبو عمر .اهـ. وفى التهذيب للمزى أبو رزين الأسدى اسمه مسعود بن مالك روى عن أبى هريرة وغيره وعنه الأعمش وغيره روى له البخارى فى الأدب والباقون .اهـ. ومن هنا تعلم أن قول السيوطى فى جامعه الليل خلق من خلق الله عظيم رواه أبو داود في مراسيله والبيهقى عن أبى رزين يوهم أن أبا رزين صحابى وأوهم منه قول شارحه المناوى فيه أنه العقيلى فإن أبا رزين راوى هذا الحديث تابعى قطعا وأما العقيلى فهو لقيط بن صبرة صحابى اتفاقا وليس هذا الحديث له .

(١٦٩٠) حديث : قال ﷺ لعدى بن حاتم فى كلبه المعلم : « إن أكل فلا تأكل فإنى أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » **قال العراقى :** متفق عليه من حديثه .اهـ.

قال مرتضى : رواه الستة من حديث همام بن الحارث عنه وقد تقدم سياقه وكذلك رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من طريق الشعبى عنه وتقدم سياقه أيضا .

فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله ﷺ محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روى فى بعض الروايات أنه قال : « **كل منه وأن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك** » (١٦٩١) .

وهذا تنبيه : على المعنى الذى ذكرناه وهو أنه إن وجد أثرا آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل فى ساعة فيكون شكا فى السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط فى باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغى أن لا يجب القصاص إلا بحز الرقبة والجرح المذفف لأن العلل القاتلة فى الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت الصحيح فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة وكذلك جنين المذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه فكذلك هذا وأما قوله ﷺ أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه، فللشافعى رحمه الله فى هذه الصورة قولان والذى نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومهما انبعث بإشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة

(١٦٩١) حديث : « كل منه وأن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عدى بن حاتم .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا ابن ماجه والطبرانى من حديث أبى ثعلبة الخشنى، وقد تقدم قول مرتضى فى تخريج هذا الحديث في حديث رقم : ١٦٧٨ ص ١٤٤٨ .

آلته وأنه يسعى فى وكالتـه ونيابته ودل أكله آخرا على أنه أمسك لنفسه لا لصـاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمـال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كمـا لو وكل رجلا بأن يشـترى له جاريـة فاشـترى جارية ومات قـبل أن يبين أنه اشتراهـا لنفسه أو لموكله لم يحل للموكـل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنـفسه ولموكله جميعـا ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتـحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث .

القسم الرابع : أن يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معـتـبر في غلبـة الظن شرعـا فيـرفع الاسـتصـحاب ويقـضى بالتحـريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبـقى له حكم مع غالب الظن (ومثاله) أن يؤدى اجتهاده إلى نجاسة أحـد الإناءين باعتماد على علامـة معينة توجب غلبة الظن فتـوجب تحريم شربه كمـا أوجبت منع الوضوء به وكـذا إذا قال إن قتل زيد عمـرا أو قتل زيد صيـدا منفردا بقتله فامرأتى طالق فـجرحه وغاب عنه فوجد ميتا حـرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعى رحمه الله أن من وجد فى الغدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيـره بطول المكث أو بالنجاسة فـيستعـمله ولو رأى ظبية بالت فيـه ثم وجده متغيرا واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجـز استعماله إذ صار البول المشاهد دلالة مـغلبة لاحـتمـال النجـاسة وهو مـثال مـا ذكرناه وهـذا فى غلبة ظن اسـتند إلى علامة مـتعلقة بعين الشىء فـأما غلبة الظن لا من جهـة علامة تتعلق بعين الشـىء فقد اختلف قول الشـافعى ﷺ فى أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قـوله فى التوضؤ من أوانى المشركين ومدمن الخمر والصلاة فى المـقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع أعنى المقدار الزائد عـلى ما يتعـذر الاحتراز عنه وعـبر الأصحـاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغـالب فأيهـمـا يعتـبـر وهذا جار فى حل الشـرب من أوانى مـدمن الخمـر والمشـركين لأن النجس لا يحل شـربه فـإذًا مأخـذ النجـاسة والحـل واحد والتـردد فى أحدهما يوجب التردد فى الآخر والذى اختـاره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم

تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل وسيأتى بيان ذلك وبرهانه فى المثار الثانى للشبهة وهى شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك فى طريان محرم عليه أو ظن وحكم حرام شك فى طريان محلل عليه أو ظن وبان الفرق بين ظن يستند إلى علامة فى عين الشىء وبين ما لا يستند إليه وكل ما حكمنا فى هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال فى الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقضى فى فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً .

المثار الثانى للشبهة : شك منشؤه الاختلاط : وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات أو يكون اختلاط استبهام مع التمييز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والافراس والذى يختلط بالاستبهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا **التقسيم ثلاثة أقسام** :

القسم الأول : أن تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية أو بعشر مذكاة أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات فى هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشىء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق فى هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين فى مسألة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل فى طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب فى نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال

محصور بحرام محصور، فإن اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى .

القسم الثانى : حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يعلل بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإن ذلك حرج وما فى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما « **سرق فى زمان رسول الله ﷺ مجن** » (١٦٩٢) .

« **وغل واحد فى الغنيمة عباءة** » (١٦٩٣) .

لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء فى الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك كان يعرف أن فى الناس من يربى فى الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصى وهو محال وإذا لم يشترط هذا فى الدنيا لم يشترط أيضا فى بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به فى ملة من الملل ولا فى عصر من الأعصار .

(١٦٩٢) حديث : « سرق فى زمان رسول الله ﷺ مجن» بكسر الميم وهو الترس سمى به لأن صاحبه يتستر به والجمع المجان **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع سارقا فى مجن قيمته ثلاثة دراهم .

(١٦٩٣) حديث : « غل واحد من الغنائم عباءة » أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر واسم الغال كركرة **قاله العراقى** .

فإن قلت : فكل عدد محصور فى علم الله فما حد المحصور ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا أن تمكن منه .

فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتى فيه القلب فإن الإثم حزاز القلوب . وفى مثل هذا المقام قال رسول الله ﷺ لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك وكذا الأقسام الأربعة التى ذكرناها فى المثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة فى النفى والإثبات وأوساط متشابهة فالمفتى يفتى بالظن وعلى المستفتى أن يستفتى قلبه فإن حاك فى صدره شىء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه فى الآخرة فتوى المفتى فإنه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر .

القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الأموال فى زمننا هذا فالذى يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذى نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شىء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فإن لم يكن فى العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التى سيأتى ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم فى زمن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدى أهل الذمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذى نهى ﷺ عن الربا إذ قال : « **أول ربا أضعه ربا العباس** » (١٦٩٤) .

(١٦٩٤) حديث : قال ﷺ : « أول ربا أضعه ربا العباس » رواه مسلم من حديث جابر .

ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصى حتى روى أن بعض أصحاب النبى ﷺ باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه : « **لعن الله فلانا هوأول من سن بيع الخمر** » (١٦٩٥) إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها .

وقال ﷺ : « **إن فلانا يجر فى النار عباءة قد غلها** » (١٦٩٦) .

« **وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوى درهمين قد غلها** » (١٦٩٧).

وكذلك أدرك أصحاب رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع فى السوق بسبب نهب المدينة وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه فى الورع والأكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة فى أيام الظلمة ومن أوجب ما لم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز أن يزاد عليهم فى أمثال هذا لجاز مخالفتهم فى مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم فى التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه فى القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم .

(١٦٩٥) حديث : قال عمر رضي الله عنه : « لعن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر» إذ لم يكن قد فهم إن تحريم الخمر تحريم لثمنها .

قال مرتضى : لم يتعرض له العراقى ،وهذا قد أخرجه مسلم من حديث ابن عباس قال بلغ عمر أن سمرة باع خمرا فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وعند البخارى بلغ عمر أن فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا لم يقل سمرة .

(١٦٩٦) حديث : قال ﷺ : « إن فلانا فى النار يجر عباءة قد غلها » أى من غنائم المسلمين قبل أن تقسم . **قال العراقى :** أخرجه البخارى من حديث عبد الله بن عمر واسم الغال كركرة وتقدم قبله بثلاثة أحاديث .

(١٦٩٧) حديث : « قتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوى درهمين قد غله» **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهنى .

وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه فى شروط الشرع فى العقود ويؤدى ذلك لا محالة إلى الاختلاط فإن قيل فقد نقلتم أنه ﷺ امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مما مسخه الله وهو فى اختلاط غير المحصور قلنا يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهى دلالة فى عين المتناول فإن قيل هذا معلوم فى زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هى الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا تقول فى زماننا وقد صار الحرام أكثر ما فى أيدى الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة فى عينه للتحرم فهل هو حرام أم لا فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا إن قول القائل أكثر الأموال حرام فى زماننا غلط محض منشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر (ومثاله) إن الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الإعذار النادرة ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدى التى تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم .

أما المستند الأول : فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم الجندية إذ لا يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليما يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم فى المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول فى السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل .

وأما المستند الثانى : وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهى أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذى يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسدة ، إلا أن يطلب الإنسان بوهمه فى البلد مخصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادرا حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة .

وأما المستند الثالث : وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهى تلد فى كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله ﷺ قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم

أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهى التى يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهى أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهى فى أيدى الظلمة مثل المعادن فى أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب فى دار الضرب ولا بعده فى معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذًا حلال إلا الصيد والحشيش فى الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشترى به الحبوب والحيوانات التى لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا.

والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذى نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل فى هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضى عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له فيضاهى هذا محل القولين للشافعى رضي الله عنه فى حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة فى الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أوانى المشركين جائز وإن الصلاة فى المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم بل نقول نعلم قطعا أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة وأن الطهارة فى تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه

يداس بالبقر والحيوانات وهى تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهى تعرف وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها فى النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة فى الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون فى الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون فى البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ولا ينبغى أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف فى مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل فى عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيهات فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين فأما الظن الغالب الذى يستثار من رد الوهم إلى مجارى الأحوال فلم يعتبروه وهذا عند الشافعى رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤن، من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدى المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع فى هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة .

فإن قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون فى أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهى عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان فى محل تسامحهم هذه الصورة التى تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذى لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم فى الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال

المحض خيفة أن يشغل قلبه وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق فى ذلك لا يقدح فى الغرض الذى أجمعنا فيه على أن نجرى فى هذا المستند على الجواب الذى قدمناه فى المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون فى أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذى يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال فى كل عصر وفى كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول فى كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولسنا ندرى أن هذا الفرع بعينه من أى القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لامحالة فى كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذور وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام .

وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام هذا فى المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فإنها مخلاة مسبلة يأخذها فى بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فإما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة فى إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل فى ملك المستقى له واستحق الأجرة فكذلك النيل فإذا فرعنا على هذا لم نحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما ببقاء الأجرة فى ذمته .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٤

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الردىء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان غوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فكيف يكون هو الأكثر .

فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال فإن قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن فى العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذى نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع إلا بعلامة معينة كما فى طين الشوارع ونظائرها بل أزيد .

وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق فى الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة **فالاحتمالات خمسة** :

أحدها : أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم .

الثانى : أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياما إلى الموت .

الثالث : أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة .

الرابع : أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة .

الخامس : أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة .

أما الأول : فلا يخفى بطلانه .

وأما الثانى : فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفى خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين .

وأما الثالث : وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدى بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإنا أيضا محتاجون وإن كان الذى أخذته فى حقى زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذى نراعى وكيف يضبط وهذا يؤدى إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع .

الاحتمال الرابع : وهو أن يقال كل ذى يد على ما فى يده هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يجز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا منهاج فى الشرع تتعلق به المصالح فإن لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضى وتعطل تفصيله .

وأما الاحتمال الخامس : وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدى فهو الذى نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا لإدخاله فى فتوى العامة لأن أيدى الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة فى أيدى الناس وكذا أيدى السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا فى قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدى الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال يوما فيوما أو سنة فسنة وفيه تكليف وشطط وتضييع أموال .

أما التكليف والشطط فهوأن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصوّر ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغى أن يلقى فى البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذى خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدى ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو فى غاية القبح بل أقول لو ورد نبى فى مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعنى بقولى يجب عليه إذا كان النبى ممن بعث لمصلحة الخلق فى دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن نجوّز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون فى دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويميت من يشاء ويحيى من يشاء ولكنا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى فى بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا وما لى أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا ﷺ على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين

له من اليهود وعبدة الأوثان وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع فى زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة والأموال كانت فى أيدى المكذبين له والمصدقين أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق ، كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوّة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا ﷺ عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدى بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه فى شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بأن يسلم الذى فى يده الحرام فإنا لا نأخذ فى الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم فى ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار فى المباح على قدر الحاجة وترك التوسع فى الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم فى الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فإن ذلك طلب ملك كبير فى الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضا فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوى الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾

(الزخرف : ٣٢) .

فإن قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك فى أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما

ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلى ولكن لابد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلابد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله ﷺ والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحلال فيحل التناول أيضا فبرهانه **ثلاثة أمور:**

الأول : التقسيم الذى حصرناه وأبطلنا منه أربعة واثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراما كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فإن ذلك إنما تخيل من تخيله فى أمور مظنونة وهذا مقطوع به فأنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص.

البرهان الثانى : أن يعلل بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وأن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلى الذى هو ضرورة النبى لو بعث فى زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزئى . هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التى ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية وأوانى المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احترازا عن الأوانى التى يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احترازا عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية فإن قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلم أن الأصل فى

الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم فنقول الأمـور التى لا تحرم لصفة فى عينها حرمة الخمـر والخنزير خلقت على صفـة تستـعد لقبـول المعامـلات بالتراضى كـما خلق الماء مستعـداً للوضوء وقد وقع الشك فى بطلان هذا الاستعداد منهمـا فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قـبول المعاملة بالتراضى بدخول الظلم عليها كمـا يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستـصـحاب وأقوى منـه بدليل أن الشرع ألحـقه به إذ من ادعى عليه دين فـالقول قوله لأن الأصل براءة ذمتـه وهذا استصحـاب ومن ادعى عليه ملك فى يده فالقول أيضا قوله إقامة لليد مـقام الاستصحاب فكل ما وجد فى يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة .

البرهان الـثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يتحـصر ولا يدل على معين لم يعتبـر وإن كان قطعا فبـأن لا يعتبر إذ دل بطريق الظن أولى وبيـانه أن ما علم أنه ملك زيد فحـقه يمنع من التصـرف فيه بغـير إذنه ولو علم أن له مالكـا فى العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحـة ولو دل على أن له مالكا مـحصورا فى عـشرة مثـلا أو عشـرين امتنع التصرف فـيه بحكم المصلحة فالذى يشك فى أن له مالـكـا سوى صاحـب اليد أم لا، لا يزيد على الذى يتـيقن قطعا أن له مـالكا ولكن لا يعرف عـينه فليجـز التصرف فـيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه فى الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيـف لا وكل مال ضائع فقـد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفـقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق ، قطعت يده فكيف نفذ تصرفـه فى ملك الغيـر ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقـتضى أن ينتـقل الملك إليه ويحل له فقضـينا بموجب المصلحة فإن قيل ذلـك يختص بالتصرف فيـه السلطان فنقول والسلطان لم يجوّز له التصرف فى ملك غيره بغير إذنه لا سبب له إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فـهو مـردد بين تضيـيعه وصرفـه إلى مهم والصرف إلـى مهم أصلح من

التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدى إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار علي الحاجة يؤدى إلى الضرر الذى ذكرناه، وجهات المصلحة تختلف فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبنى بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى فى مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين فى أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة فى ملك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك فى هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر فى امتزاج المائعات والدراهم والعروض فى يد مالك واحد وسيأتى بيانه فى باب تفصيل طريق الخروج من المظالم .

المثار الثالث للشبهة : أن يتصل بالسبب المحلل معصية : إما فى قرائنه وإما فى لواحقه وإما فى سوابقه أو فى عوضه وكانت من المعاصى التى لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل **(مثال المعصية فى القرائن)** البيع فى وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد فى العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن المستفاد بهذه الأسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة فى غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضا معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغى أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة فى الأسامى فعادة الفقهاء التسامح فى الإطلاقات ، ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنتهى إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى

الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب أشد منها فى الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد ويليه شبهة البذر المزروع في الأرض المغصوبة فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب ، إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة ويليه البيع فى وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو فى ذمته مظلمة دانق فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا أنه من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الإفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالحذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئا من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهو غاية المبالغة لأنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال ﷺ : « **هلك المتنطعون** » فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس فى زماننا هذا إذا ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فاطرحوه فكما أن الموسوس فى الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين فى الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال

الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال ، **(وأما مثال اللواحق)**، فهو كل تصرف يفضى فى سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق ، وقد اختلف العلماء فى صحة ذلك وفى حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصى بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال ولكنه يعصى عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه فى الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضا لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف فى وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع المنهى عنه وكل متوجه إلى شىء على قصد خير لابد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة فى الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى** » والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم: ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف : ١٠٤) .

وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه أحرق كرمه خوفا من أن يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا أعرف له وجها إن لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه

ونخله من كان أرفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الاتلافات . **(وأما المقدمات)** :

فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات :

الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا ابلا فبعثاها إلى الحمى فرعته أبلهما حتى سمنت فقال عمر ﷺ : أرعيتماها في الحمى؟ فقالا نعم فشاطرهما فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف بصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركه لصاحب العلف شرعا ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أبا هريرة ﷺ إذا رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافيا على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهادا .

الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحارث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفرة وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجرى في نهر حفر ظلما . وهو أرفع منه وأبلغ في الورع امتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاءني على يد ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر .

الرتبة الثالثة : وهى قريب من الوسواس والمبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوّة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف آكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذى النون وبشر بالمعصية فى السبب الوصل كالنهر وقوّة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوّة السجان والشاة تمشى بنفسها والسائق يمنعها عن العدول فى الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا فى بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التى يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى فى هذا ما قاله ﷺ لوابصة إذ قال : « **استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك** » وعرف ذلك إذ قال الإثم حزاز القلوب وكل ما حاك فى صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التى يجدها بل لو أقدم على حرام فى علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك فى قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال فى فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة فى قلبه فذلك يضره وإنما الذى ذكرناه فى النهى عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافى المعتدل هو الذى لا يجد حزازة فى مثل تلك الأمور فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد فى قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ فى حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الموسوس فى الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة

عليه فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما فى حقه وإن كان مخطئا فى نفسه أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا فى السؤال عن البقرة ولو أخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التى رددناها نفيا وإثباتا فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل فى درك مقاصده .

وأما المعصية فى العوض فله أيضا درجات :

الدرجة العليا : التى تشتد الكراهة فيها أن يشترى شيئاً فى الذمة ويقضى ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعنى قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه فى الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإيفاء.

هذا حكم المشترى والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواءً أكله قبل توفيه الثمن من الحرام أو بعده لأن الذى تومئ الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كما تعين ملك المشترى وإنما يبطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجز شيئ منهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفى الثمن الحرام أولا ثم قبض فإن كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقى له الثمن فى ذمته إذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام

وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال أو يرضى هو بالحرام ويبرئ فيصح إبراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم فى الدرجة الأولى من الحل والحرمة .

فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشىء تشتد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا أو أرضا فى الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك فى أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخف إذ وقع الشك فى تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينقدح فى القلب .

الرتبة الوسطى : أن لا يكون العوض غصبًا ولا حرامًا ولكن يتهيأ لمعصية كما لو سلم عوضا عن الثمن عنبا والآخذ شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما فى مبيع اشتراه فى الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التى فى الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراما فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى « **النهى عن كسب الحجَّام وكراهته** » (١٦٩٨) .

(١٦٩٨) حديث :« النهى عن كسب الحجام وكراهته» **قال العراقى:** رواه ابن ماجه من حديث أبى مسعود الأنصارى والنسائى من حديث أبى هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام وللبخارى من حديث أبى جحيفة نهى عن ثمن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا أحمد من حديث أبى هريرة كسياق النسائى قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح ولفظ البخاري من حديث أبى جحيفة فى باب ثمن الكلب نهى عن ثمن الكلب وثمن الدم وكسب البغى وانفرد به عن الستة أى لم يخرجه هكذا بجملته غيره=

« إذا نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح » (١٦٩٩).

وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده فى الدباغ والكناس ولا قائل به وإن قيل به فلا يمكن طرده فى القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم فى نفسه غير مكروه ومخامرةُ القصابِ النجاسةَ أكثرُ منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب أن فى الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان واخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما يحصل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعًا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد صبى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال فى الظاهر لما **« أعطى عليه السلام أجرة الحجام »** (١٧٠٠).

ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعني وهذا كان ينبغى أن نذكره فى القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه.

= وعزاه بعضهم لمسلم وهو خطأ ولفظ مسلم من حديث رافع بن خديج ثمن الكلب خبيث ومهر البغى خبيث وكسب الحجام خبيث وكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى .

(١٦٩٩) حديث : « نهى ﷺ عن كسب الحجام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح » **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محيصة أنه استأذن النبى ﷺ فى إجارة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأله ويستأذن حتى قال اعلفه ناضحك واطعمه رقيقك وفى رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال: ألا أطعمه أيتاما لى؟ قال: لا ، قال : أفلا أتصدق به ؟ قال : لا ، فرخص له أن يعلفه ناضحه .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه ابن منده فى كتاب المعرفة من طريق حرام بن سعد بن محيصة عن أبيه عن جده محيصة بن مسعود أنه كان له غلام يقال له أبو طيبة فكسب كسبا كثيرا فلما نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام استشار رسول الله فيه فأبى عليه فلم يزل يكلمه ويذكر له الحاجة حتى قال ليكن كسبه فى بطن بهيمتك .

(١٧٠٠) حديث : قال ابن عباس : « أعطى رسول الله ﷺ أجرة الحجام». **قال العراقى :** متفق عليه من حديث ابن عباس .

الرتبة السفلى : وهى درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشتري به ثوبا فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المغيرة أنه قال فى هذه الواقعة : لا يجوز ، واستشهد بأن النبى ﷺ قال: « **لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمور فباعوها وأكلوا أثمانها** » (١٧٠١) .

وهذا غلط لأن بيع الخمور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة فى الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هى أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف فى هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر فى ثلاث أو أربع ولا فى عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم فإن قيل فقد قال ﷺ : « **من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه** » ثم أدخل ابن عمر أصبعيه فى أذنيه وقال صُمَّتا إن لم أكن سمعته منه قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا فى الذمة وإذا اشترى فى الذمة فقد حكمنا بالتحريم فى أكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشترى فى وقت النداء وغيره .

المثار الرابع : الاختلاف فى الأدلة

فإن ذلك كالاختلاف فى السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة وما لم يثبت فى معرفة الغير فلا

(١٧٠١) حديث : قال المغيرة : « أن النبى ﷺ لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها» هكذا فى النسخ التى بأيدينا **قال العراقى:** لم أجده هكذا والمعروف أن ذلك فى الشحوم ففى الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه .اهـ.

وقال مرتضى : ووقع فى بعض النسخ من الكتاب الشحوم بدل الخمور وكأنه تصليح من النساخ إذ لا يلائم سياق المصنف .

فائدة لثبوته فى نفسه وإن جرى سببه فى علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه .

القسم الأول : أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيحًا فإن ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب الأخذ به وإن ظهر فى جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم فى الورع فى حق المفتى والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذى يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتى أن ينتقد من المذاهب أوسعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالف أصلا نعم إن أفتى له إمامه بشىء ولإمامه فيه مخالف ؛ فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذ تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على **ثلاث مراتب :**

الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب فى التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتى بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولى الشافعى رحمه الله ومهما وجد للشافعى قولا جديدا موافقا لمذهب أبى حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى المفتى بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعى رحمه الله لأن الآية ظاهرة فى إيجابها والأخبار متواردة فيها فإنه ﷺ قال لكل من سأله عن الصيد : **«إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل »** (١٧٠٢) .

(١٧٠٢) حديث : قال ﷺ لكل من سأله عن الصيد: «إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل»=

ونقل ذلك على التكرر وقد «شهر الذبح بالبسملة» (١٧٠٣) .

وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله ﷺ : « **المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم** » (١٧٠٤)

قال العراقي : متفق عليه من حديث عدى بن حاتم ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن أبى ثعلبة الخشنى وفيه زيادة قال : وإن قتل قال وإن قتل قال وإن أكل قال وإن أكل وأعله البيهقى ولفظه المتفق عليه من حديث عدى إذا أرسلت كلبك وسميت وأمسك وقتل فكل فإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه وقد تقدم ذلك ورواه أبو داود والبيهقى من طريق مجاهد عن الشعبى عن عدى بن حاتم بلفظ ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلت وذكرت اسم الله تعالى فكل ما أمسك عليك قال البيهقى تفرد مجاهد بذكر الباز فيه وخالف الحفاظ.

(١٧٠٣) حديث : « التسمية على الذبح » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث رافع بن خديج : ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر . اهـ.

وقال مرتضى : وأوله قلت يارسول الله إنا لاقوا لعدو غدا وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب قال ما أنهر الدم .... الحديث وفى حديث عدى بن حاتم قلت يا رسول الله أرأيت أحدنا إذا أصاب صيدا وليس معه سكين أيذبح بالمروة قال امرر الدم بما شئت واذكر اسم الله رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان ومداره على سماك بن حرب عن مرى بن قطرى عنه ورواه أبو داود وزاد بعد المروة وشقة العصا .

(١٧٠٤) حديث : « المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم » **قال العراقى**: لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولأبى داود فى المراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبراني فى الأوسط والدارقطنى وابن عدى والبيهقى من حديث أبى هريرة قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر وللدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عباس المسلم يكفيه اسمه فإن نسى أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل ، فيه محمد بن يزيد بن سنان ضعفه الجمهور .اهـ.

وقال مرتضى : وبالغ النووى فى إنكاره يعنى الذى أورده المصنف وقال هو مجمع على ضعفه قال وقد خرجه البيهقى من حديث أبي هريرة وقال منكر لا يحتج به وذكر الرافعى فى الشرح الكبير حديث البراء بن عازب المسلم يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال=

واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخصص هذا بالناسى ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناسى ممكنا تمهيدًا لعذره فى ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى .

الرتبة الثانية : وهى مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذي يصادف فى بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار .

حديث الجنين « **إن ذكاته ذكاة أمه** » (١٧٠٥) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده .

= الحافظ فى تخريجه لم أره من حديث البراء وزعم الغزالى فى الإحياء أنه حديث صحيح وروى أبو داود في المراسيل من جهة ثور بن يزيد عن الصلت رفعه ذبيحة المسلم حلال ذكر الله أو لم يذكر لأنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله وهو مرسل ورواه البيهقى من حديث ابن عباس موصولا وفى إسناده ضعف وأعله ابن الجوزى بمعقل بن عبد الله فزعم أنه مجهول واخطأ بل هو ثقة من رجال مسلم لكن قال البيهقى الأصح وقفه على ابن عباس وقد صححه ابن السكن وقال روى عن الزهرى وهو منكر أخرجه الدارقطنى وفيه مروان بن سالم وهو ضعيف. اهـ. سياق الحافظ وقد روى مثل حديث الصلت أيضا ذبيحة المسلم حلال سمى أو لم يسم ما لم يتعمد والصيد كذلك رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن راشد ابن سعد مرسلا والصلت هو مولى سويد بن منجوف وقال عبد الحق هو مع إرساله ضعيف قال ابن القطان وعلته إن الصلت لا يعرف حاله ولكن فى الفتح للحافظ الصلت ذكره ابن حبان فى الثقات وهو مرسل جيد أما كونه يبلغ درجة الصحة فلا .

(١٧٠٥) حديث : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » **قال العراقى** : قال المصنف : أنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فإنه كذا قال فى الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى سعيد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد وليس كذلك وللطبرانى فى الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيدها كلها .اهـ.

وقال مرتضى : والحديث المذكور ذكاة الجنين ذكاة أمه مرفوعان على الابتداء والخبرية وروى ذكاة أمه بالنصب على الظرفية . قال الخطابى وغيره : رواية الرفع هى المحفوظة ويؤيده ما جاء فى بعض طرق الحديث من قول السائل يا رسول الله إنا ننحر الإبل ونذبح=

وكذلك صح أنه « أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ وسأله خالد بن الوليد ﷺ فقال أحرام هو يا رسول الله قال: لا ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه وأكله خالد ورسول الله ﷺ ينظر » (١٧٠٦) وقد نقل ذلك في الصحيحين .

= البقر والشاء فنجد في بطنها الجنين فنلقيه أو نأكله؟ فقال : كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه وأما تخريجه لحديث أبي سعيد فرواه أيضا أحمد وأبو يعلى وابن الجارود والدارقطنى والبيهقى والضياء وقد رواه أيضا جابر بن عبد الله الدارمى وأبو داود والبغوي في الجمريات والشايس وأبو نعيم فى الحلية والحاكم والبيهقى والضياء ورواه الطبراني والحاكم أيضا من حديث أبى أيوب والطبراني وحده من حديث أبى إمامة وأبى الدرداء معًا ومن حديث كعب ابن مالك وفى سند الكل مقال ما عدا حديث ابن عمر عند الطبرانى فحديث أبى سعيد روى من طريق مجاهد عن أبي الوداك عنه وكلاهما ضعيف وحديث جابر من طريق عبيد الله بن أبى زياد القداح عن أبى الزبير عنه والقداح ضعيف ولذلك ذهب ابن حزم إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة إلا أن الحافظ ابن حجر قال إن الحجة تقوم بمجموع طرقه وفي الباب أيضا على وابن مسعود و البراء وابن عباس وغيرهم ونظر إلى ذلك ابن حبان وأقدم على تصحيحه كالحاكم وتبعه القشيرى وغيره .

وقال مرتضى : وقد روى ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث أبى سعيد ذكاة الجنين ذكاة أمه إذا أشعر ورواه الدارقطنى من حديث ابن عمر ذكاة الجنين ذكاة أمه أشعر أو لم يشعر ومن الغريب ما رواه الحاكم فى الأطعمة من حديث ابن عمر ذكاة الجنين إذا أشعر ذكاة أمه ولكنه يذبح حتي ينصاب ما فيه من الدم .

(١٧٠٦) حديث : « أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ وسأله خالد بن الوليد عنه فقال : أحرام هو يا رسول الله قال : لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدنى أعافه وأكله خالد ورسول الله ﷺ ينظر » وقد نقل ذلك في الصحيحين أعني كتاب البخارى ومسلم **قال العراقى** : هو كما ذكر من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .اهـ.

وقال مرتضى : حديث ابن عمر لفظه أن رجلا نادى رسول الله ﷺ ما ترى فى الضب فقال لست بآكله ولا محرمه رواه النسائى بهذا اللفظ عن قتيبة عن مالك عن نافع وعبد الله بن دينار عن ابن عمر ورواه النسائى أيضا والترمذى عن قتيبة عن مالك عن عبد الله بن دينار وحده بلفظ أن النبى ﷺ سئل عن أكل الضب فقال لا آكله ولا أحرمه وقال النسائى وهو على المنبر وأخرجه البخارى من رواية عبد العزيز بن مسلم ومسلم من رواية إسماعيل بن جعفر وابن ماجه من رواية ابن عيينة كلهم عن عبد الله بن دينار لفظ البخارى الضب لا آكله ولا أحرمه ولفظ مسلم لست بآكله ولا محرمه ولفظ ابن ماجه لا أحرم يعنى الضب وأخرجه مسلم أيضا من رواية الليث بن سعد وعبيد الله بن عمر وأيوب السختياني ومالك بن مغول وابن جريج وموسى بن عقبة وأسامة بن زيد كلهم عن نافع وفى=

« وأظن أن أبا حنيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف» (١٧٠٧) .

وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطًا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد .

= رواية عبيد الله سأل رجل رسول الله ﷺ وهو على المنبر عن أكل الضب وفى رواية أسامة قام رجل فى المسجد ورسول الله ﷺ على المنبر وفى رواية أيوب أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ولم يحرمه واتفق عليه الشيخان من رواية الشعبى عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان معه ناس من أصحابه فيهم سعد وأتوا بلحم ضب فنادت امرأة من نساء النبى ﷺ أنه لحم ضب فقال ﷺ كلوا فإنه حلال ولكنه ليس من طعامى لفظ مسلم وأخرجه البخارى فى خبر الواحد ولفظه فإنه حلال أو قال لا بأس به شك فيه .

وقال مرتضى : وذكر مسلم أن حديث ابن عباس فى أكل خالد بن الوليد للضب ورسول الله ﷺ ينظر هو الناسخ لخبر أبى حنيفة لأن ابن عباس لم يجتمع مع رسول الله ﷺ إلا بعد الفتح وحنين والطائف ولم يغز بعدها إلا تبوك ولم تصبهم فى تبوك مجاعة أصلا وصح أن خبر أبى حنيفة الذى تقدم كان قبل هذا، وهكذا قال ابن حزم فى حديث عبد الرحمن بن حسنة إنه صحيح إلا أنه منسوخ .

(١٧٠٧) حديث : « الظن بأبى حنيفة رحمه الله تعالى أنه لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف » .

وقال مرتضى : وهذا بعيد ولم ينفرد به أبو حنيفة بل هو قول الكوفيين غيره كما حكاه ابن بطال وحكاه ابن المنذر عن على و ابن حزم عن جابر ويستبعد عن هؤلاء أن لايبلغهم تلك الأحاديث وأمثل ما احتج به القائلون بالكراهة أو التحريم حديث عبد الرحمن بن شبل أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل الضب رواه أبو داود وابن ماجه وحديث عائشة قالت أهدى لنا الضب فقدمته إلى النبى ﷺ فلم يأكل منه فقلت يا رسول الله ألا نطعمها السؤال فقال : أنا لا نطعمهم مما لا نأكل وقد اعترض المخالفون فقالوا حديث عبد الرحمن ابن شبل ينفرد به اسماعيل بن عياش وليس بحجة هذا قول البيهقى وقال ابن حزم فيه ضعفاء ومجهولون وقال المنذرى فى إسناده إسماعيل بن عياش وضمضم بن زرعة وفيهما مقال وقال الخطابى ليس إسناده بذلك و الجواب عن هذا إن هذا الحديث من رواية إسماعيل ابن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى راشد الحرانى عن عبد الرحمن ابن شبل وضمضم حمصى وابن عياش إذا روى عن الشاميين كان حديثه صحيحا كذا قاله ابن معين والبخارى وغيرهما وكذا قال البيهقى نفسه فى باب ترك الوضوء من الدم ولهذا أخرج أبو داود هذا الحديث وسكت عليه فهو حسن عنده على ما عرف وقد صحح الترمذى لابن عياش عدة أحاديث من روايته لأهل بلده فتأمل ذلك فقد رواه أبو حنيفة عن حماد عن أبى إبراهيم عن الأسود عن عائشة وكذا رواه أحمد وأبو يعلى والطحاوى من طريق يزيد ابن هارون وعفان ومسلم بن إبراهيم كلهم عن حماد بن سلمة .

الرتبة الثالثة : أن لا يشتهر في المسألة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل: قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فإن النقلة وإن كان عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه من عدل يسكن نفوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لا صيغة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فإذا لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك « لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب وإنما قال ذلك لوابصة »(١٧٠٨) لما كان قد عرف من حاله .

(١٧٠٨) حديث : لم يرد كل أحد إلى فتوي قلبه وإنما قال ﷺ لوابصة : « استفت قلبك » .

وقال مرتضى : هو وابصة بن معبد **قال العراقي** : تقدم حديث وابصة وروى الطبراني من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضا وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .اهـ. =

القسم الثانى : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينهب نوع من المتاع فى وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلا فى يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبى وبالغ فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتى تفصيله فى باب التعرف والبحث والسؤال .

القسم الثالث : تعارض الأشباه في الصفات التى تناط بها الأحكام مثاله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل فى الفقه داخلٌ فيه وإن الذى ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصي يقع الشك فيها فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض مثارات الشبهة فإن فيها صوراً يتحير المفتى فيها تحيراً لازمًا لا حيلة له فيه إذ يكون المتصف بصفة فى درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتعدى منه النظر فى مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها فى وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك فى نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك فى عددها وكذلك فى قيمتها وكذلك فيما يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج فيه كل سنة من آلات الشتاء ومالا يحتاج إليه إلا فى سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه فى هذا ما قاله عليه السلام : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » وكل ذلك في محل الريب وإن توقف المفتى فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى المفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع

= **وقال مرتضى** : روى ذلك من طريق أيوب بن عبد الله بن مكرز عن ابن وابصة عن أبيه وفى الباب عن النواس بن سمعان .

الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكى فى اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع وما يريبه إلى ما لا يريبه وهذا جار فى كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلا ويتطرق الشك إلى أوساط فى مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن فى الوصايا والأوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف فى الألفاظ وإلا فلا مطمع فى استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » .

وبموجب سائر الأدلة التى سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شىء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهًا به فقد يؤدى ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر فى اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس فى قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلب وحيث

قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتى أما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعوّل على كل قلب فرب مُوسوس ينفر عن كل شىء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شىء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذى يمتحن به خفايا الأمور وما أعز هذا القلب فى القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته وجاء فى الزبور أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبنى إسرائيل أنى لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك فى شىء فتركه لأجلى فذاك الذى أنظر إليه وأؤيده بنصرى وأباهى به ملائكتى .

* * *

الباب الثالث

فى البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانهما

اعلم أن كل من قدم إليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشترى منه أو تتهب فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلابد من تفصيله والقول الشافى فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

المثار الأول : أحوال المالك : وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولا أو مشكوكا فيه أو معلوما بنوع ظن يستند إلى دلالة .

الحالة الأولى : أن يكون مجهولا والمجهول هو الذى ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزى الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوّف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا أو قصابا أوغيره ولا علامة تدل على كونه مُرَبِيًا أو خائنا ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدرى حاله ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدرى، قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك فى قلبى شىء إلا تركته وتكلم جماعة

في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن أبي سنان: « **ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته** » (١٧٠٩) .

فهذا شرط الورع وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاما أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشترى من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تسيء الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به في الحال نقدا من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة ﷺ في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذ « **كان ﷺ لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية** » (١٧١٠) .

(١٧٠٩) حديث : « ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدرك شيء تركته » ولفظ القوت إذا شككت في شيء أو حك في صدرك تركته وهذا القول عنه قد أخرجه البخاري في كتاب البيوع معلقا ولفظه وقال حسان بن أبي سنان ما رأيت شيئا أهون من الورع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

(١٧١٠) حديث : « سؤاله ﷺ في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية » **قال العراقي** : رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية .... الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة .اهـ.

وقال مرتضى : يشير إلى ما رواه البخاري عن أبي هريرة رفعه كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أصدقة أم هبة سأل عنه ، وأما حديث سلمان فأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عبد القدوس الرازي حدثنا عبيد المكتب حدثني أبو الطفيل عامر بن واثلة قال حدثني سلمان الفارسي قال كنت رجلا من أهل صبي . فساق الحديث بطوله وفيه جمعت شيئا من تمر فأتيته في الحجر فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة قال لأصحابه كلوا ولم=

لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ثم إسلام المعطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة «وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا» (١٧١١) .

إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك «دعته أم سليم» (١٧١٢) .

«ودعاه الخياط كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع» (١٧١٣) .

« ودعاه الرجل الفارسى فقال عليه السلام : أنا وعائشة ، فقال : لا ، فقال : فلا ، ثم أجابه بعد، فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة » (١٧١٤) .

= يد يديه ثم جمعت شيئا من تمر فجئته مرة أخرى فوضعته بين يديه فقال ما هذا قلت هدية فأكل وأكل القوم وساق بقية الحديث ورواه الثورى عن عبيد المكتب مختصرا ورواه مسلم ابن الصلت العبدى عن أبى الطفيل مطولا وفيه أنه قدم عليه المدينة وساق القصة بتمامها ورواه محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان ورواه داود بن أبى هند عن سماك عن سلامة العجلى عن سلمان بطوله ورواه سيار عن موسى بن سعيد الراسبى عن أبى معاذ عن أبى سلمة عن عبد الرحمن عن سلمان بطوله ورواه إسرائيل عن أبى إسحاق السبيعى عن أبى قرة الكندى عن سلمان .

(١٧١١) حديث : « كان ﷺ يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل أصدقة أم لا » **قال العراقى :** هذا معروف مشهور من ذلك فى الصحيحين حديث أبى مسعود الأنصارى فى صنيع أبى شعيب طعاما لرسول الله ﷺ ودعاه خامس خمسة .اهـ.

(١٧١٢) حديث : « دعته أم سُليم» وقصة دعوتها أخرجها البخارى ومسلم من حديث أنس .

(١٧١٣) حديث : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « أن خياطًا دعا رسول الله ﷺ فقدم إليه طعاما فيه قرع » وهو الدباء **قال العراقى :** متفق عليه من حديثه .

قال مرتضى : وأخرجه الترمذى فى الشمائل والخياط المذكور لا يعرف اسمه لكن فى رواية أنه كان من مواليه ﷺ وفيه أن أنسا قال لقد رأيته يتتبع الدباء من حوالى القصعة وفيه أن كسب الخياط ليس بدنىء وأنه يسن محبة الدباء لمحبته ﷺ وكذا كل شىء كان يحبه ﷺ ذكره النووى .

(١٧١٤) حديث : « دعاه ﷺ الرجل الفارسى فقال ﷺ أنا وعائشة ، فقال : لا ، ثم أجابه بعده، فذهب هو وعائشة رضي الله عنها يتساوقان فقدم إليهما إهالة » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث أنس .

ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك وسأل أبو بكر ﷺ عبده عن كسبه لما رابه من أمره وسأل عمر ﷺ الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الريبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بإجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون وارث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل أن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لابد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك فإن قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فإن قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهى عنه في آية واحدة قال الله تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات : ١٢) .

وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهوة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدرى وهو غيره مؤاخذ بما لا يدرى إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة ﷺ ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعا .

كيف وقد « أكل رسول الله ﷺ طعام بريرة فقيل إنه صدقة فقال : هو لها صدقة ولنا هدية» (١٧١٥) ولم يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع .

الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها ، أما صورة الريبة فهو أن تدله على تحريم ما فى يده دلالة إما من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله أما الخلقة فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على دأب أهل الفساد وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا فى المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فإذا أراد أن يشترى من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ريبة فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتى به لقوله ﷺ : «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » فظاهره أمر وإن كان يحتمل لاستحباب لقوله ﷺ : « **الإثم حزاز القلوب** » وهذا له وَقْعٌ وَقَعَ فى القلب لا ينكر ولأن النبى ﷺ سأل أصدقة هو أو هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان فى موضع الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه لا بقياس حكمى والقياس ليس يشهد بتحليل هذه فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل أن يكون بطول المكث فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء وهيئة

(١٧١٥) حديث : « أكل رسول الله ﷺ طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال : هو لها صدقة ولنا هدية » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس .

الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدي الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في هذه المواقع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفى لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغى أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جنديا أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا بل كان السؤال من الورع .

الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول فالأولى الإقدام والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراما وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال ﷺ : « **لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى** » فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فها هنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل أولى .

المثار الثانى : ما يستند الشك فيه إلى سبب فى المال لا فى حال المالك

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح فى سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب علي من يشترى فى تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما فى أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة ﷺ لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون فى كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادرا فى بعض الأحوال وهى محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون فى تلك الغنائم شىء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبى حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا ، وكتب عمر ﷺ إلى أذربيجان إنكم ببلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكيه من ميته أذن فى السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هى أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هى أيضا تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود ﷺ إنكم فى بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكى من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها فى العادات فلنفرضها .

مسئلة : شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب ومثل أن يكون القاضى أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذى له ادرار على سلطان ظالم له أيضا مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربى أيضا فإن كان الأكثر من ماله حراما لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا فى محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه

من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها فى الحال يقينا والحرام الذى خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجودًا فى الحال وإن كان المال قليلا وعلم قطعا أن الحرام موجود فى الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود فى الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما فى الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك فى أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا .

ولكن النظر فى كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى أيضًا غامض لتجاذب الأشباه ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع فى مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من إقدام من أقدم على الأكل كأكل أبى هريرة ﷺ طعام معاوية مثلا إن قدر فى جملة ما فى يده حرام فذلك أيضا يحتمل أن يكون إقدامه بعض التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح .

فالأفعال فى هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطانى السلطان شيئًا لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضا حراما مهما لم يعرف عين المأخوذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كما سيأتى فى باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن لا يكون موجودا فى الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده فى الحال كما فى مسئلة اشتباه الذكية بالميتة فهذا مما لا أدرى ما أقول فيه من المشابهات التى يتحير المفتى فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب وإن كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولو سئلت عنها لكنت لا أدرى ما أقول فيها .

ولقد توقف العلماء فى مسائل هى أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع فى ملك غيره أن يكون الصيد للرامى أو لمالك الأرض؟ فقال لا أدرى فروجع فيه مرات فقال لا أدرى وكثير من ذلك حكيناه عن السلف فى كتاب العلم فليقطع المفتى طمعه عن درك الحكم فى جمع الصور.

وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما يعاملون السلاطين فقال إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة فى الأقل ويحتمل المسامحة فى الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقداً واحداً فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة في نفسها فإن قيل فقد روي عن على ابن أبى طالب ﷺ أنه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام .

وسئل ابن مسعود ﷺ في ذلك فقال له السائل إن لى جاراً لا أعلمه إلا خبيثا يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه فإن لك المهنأ وعليه المآثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة .

وعلل ابن مسعود ﷺ بطريق الإشارة بأن عليه المآثم لأنه يعرفه ولك المهنأ أى أنت لا تعرفه وروى أنه قال رجل لابن مسعود ﷺ : إن لى جاراً يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه قال : نعم ، وروى فى ذلك عن ابن مسعود ﷺ روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعى ومالك ﷺ جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام .

قلنا أما ما روى عن على ﷺ فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد فى وقت الغسل لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع

ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر.

وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقيل إنه إنما نقله جواب التيمي وأنه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال : لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال والحرام بيِّن وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

وقال اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم ، فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكثر حراما لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مالاً مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوي فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام: « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » لا يبقى له محمل .

إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذا كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب .

وللكثرة تأثير فى تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال أبوحنيفة رضي الله عنه لا تجتهد فى الأوانى إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة ومن قال بأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجرى ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نطرده أيضا فى ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب فى الميتة واليد لا تدل على أنه غيره ميتة وتدل فى الطعام المباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصحاب وقلة فى المخلوط أو كثرة أو انحصار أو اتساع فى المخلوط وعلامة خاصة فى عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه .

فحصل مما ذكرناه أن المختلط فى ملك شخص واحد أما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم .

فالسؤال يجب فى موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تشير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا .

مسئلة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل فى يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدرى أنه بقى إلى الآن أم لا فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقى منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه .

مسئلة : إذا كان فى يد المتولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثانى لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف ؟ نظر فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولى وكان ظاهر

العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالمتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذى يستحقه .

وإن كانت الصفة خفية أو كان المتولى ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالى كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال رسول الله ﷺ عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال .

فإن السؤال حيث أسقطناه فى المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحما من ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل فى الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذى ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكنا فيه فلا ينبغى أن تلتبس المواضع التى تشهد فيها اليد والحال بالتى لا تشهد .

مسئلة : له أن يشترى فى البلد دارا وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان فى سكة عشر دور مثلا إحداها مغصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه .

ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلابد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس فى البلد لابد أن تكون محصورة .

مسئلة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالى بغضب مثله إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك .

والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يغضبون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال .

ولذلك سأل أبو بكر ﷺ غلامه وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة ﷺ أيضا لما أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته لا سيما وقد رفق فى صيغة السؤال وكذلك قال على ﷺ : ليس شىء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه ولا شىء أبغض إليه من جوره وخرقه .

مسئلة : قال الحارث المحاسبى رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغى أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يبدو له ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدى ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور والاحتراز عن هتك الستر وإثارة البغضاء أهم .

وزاد على هذا فقال وإن رابه منه شيء أيضا لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فليحترز متلطفا ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنى لم أر أحدا من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال .

مسئلة : ربما يقول القائل أى فائدة فى السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته فى الحلال فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض فى حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغى أن يسأل من غيره .

وكذا إن كان بياعا وهو يرغب فى البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة فى السؤال منه وإنما يسأل من غيره وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهما كما يسأل المتولى على المال الذى يسلمه أنه من أى جهة.

وكما سأل رسول الله ﷺ عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذى ولا يتهم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يتهم فى قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهھنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى.

والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل فى بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة فى ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لا يطلع عليها.

وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله تعالى شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصى ثم إذا أخبرك بشىء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبى مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدرى من حاله شىء أصلا فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه.

هذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما فى النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظنا قويا إلا أن أثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره فى القلب فإن المفتى هو القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه.

ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحارث أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: « **إنى تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة، فقال: دعها، فقال: إنها سوداء يصغر من شأنها، فقال عليه السلام: فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما، لا خير لك فيها، دعها عنك** » (١٧١٦).

وفى لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أمارة غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتما واجبا.

مسئلة: حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يترجح فى قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره.

مسئلة: لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المغصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولا لا يعرف منه شيئا فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشترى وإن كان لا يوجد ذلك المتاع فى تلك البقعة إلا نادرا وإنما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل إلا اليد. وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أرده إلى

(١٧١٦) حديث: عن عقبة بن الحارث أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: « إنى تزوجت امرأة فجاءتنا أمه سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهى كاذبة فقال: دعها فقال: إنها سوداء يصغر من شأنها فقال: وكيف وقد زعمت أنها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك » وفى لفظ آخر كيف وقد قيل، **قال العراقى**: رواه البخارى من حديث عقبة بن الحارث. اهـ.

وقال مرتضى: لفظ البخارى أنه تزوج فأتته امرأة فقال: قد أرضعتكما فسأل رسول الله ﷺ فقال: كيف وقد قيل هكذا أخرجه فى الشهادات وأخرجه أبو داود في القضاء والترمذى فى الرضاع والنسائى فى النكاح.

قلب المستفتى لينظر ما الأقوى فى نفسه فإن كان الأقوي أنه مغصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه .

وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهى من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه .

مسئلة : لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هى فذكر له فسكت عن السؤال أفيجب السؤال عن أصل المال أم لا وإن وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه فأقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوبا أو ورعا ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال .

فإن كانت التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال اشتريت انقطع بسؤال واحد وإن قال من شاتى وقع الشك في الشاة فإذا قال اشتريت انقطع وإن كانت الريبة من الظلم وذلك مما فى أيدى العرب ويتوالد فى أيديهم المغصوب .

فلا تنقطع الريبة بقوله إنه من شاتى ولا بقوله إن الشاة ولدتها شاتى فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فلينظر فى هذه المعانى .

مسئلة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفى يد خادمهم الذى يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلال أو حرام أو شبهة فقلت إن هذا يلتفت إلى **سبعة أصول :**

الأصل الأول : أن الطعام الذى يقدم إليهم فى الغالب يشتريه بالمعاطاة والذى اخترناه صحة المعاطاة لا سيما فى الأطعمة والمستحقرات فليس فى هذا إلا شبهة الخلاف .

الأصل الثـانى : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحـرام أو فى الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهـو حرام وإن لم يعرف فالغـالب أنه يشترى فى الذمة ويجـوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام .

الأصل الثـالث : أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز وإن كان أقل ماله ففيـه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشـتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدرى المشترى حاله بيقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال .

الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولى والخادم كالنائب، وله أن يشترى له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ والغالب أنه لا ينوى عند المعاطاة والقـصاب والخباز ومن يعامله يعول عليـه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهتـه ويدخل فى ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم .

الأصل الخـــامس : أن الخادم يقدم الطعـام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافـة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقـدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهـو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا قراض لأنه لو انتـهض لمطالبتهم بالثمن استـبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فـأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أعنى هدية لا لفظ فـيها من شخص تقتضى قرينة حاله أنه يطمـع فى ثواب وذلك صحيح والثـواب لازم وههنا ما طمع الخـادم فى أن يأخذ ثوابا فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليقضى به دينه من الخبـاز والقصاب والبقال فهذا ليس فيه شبهة إذ لا يشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقديم الطعـام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية فى انتظار ثواب .

الأصل السادس : أن الثواب الذى يلزم فيه خلاف فقيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمـة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له أن لا يرضى بأضـعاف القيمـة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه .

وههنا الخـادم قد رضى بما يـأخذ من حق السكان علـى الوقف فإن كـان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فـقد تم الأمر وإن كان ناقصـا ورضى به الخادم صح أيضا وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن فى يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى فى الثواب بمقدار بعـضه حلال وبعضه حـرام ، والحرام لم يدخل فى أيدى السكان فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهـة وهذا لا يقتضى تحريمـا على ما فصلناه فلا تنقلب الهـدية حراما بتوصل المهـدى بسبب الهدية إلى حرام .

الأصل السابع : أنه يقضى دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الوقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقـد صح الأمر وإن قصر عنه فرضى القصاب والخباز بأى ثمن كان حراما أو حـلالا فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعـام أيضا فليلتفت إلى ما قـدمناه من الشراء فى الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام، هذا إذا علم أنه قضاه من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهـة أبعد وقد خرج من هذا أن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبـهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمـال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى فى النفس كمـا أن الخبر إذا طال اسناده صار احتـمال الكذب والغلط فيه أقـوى مما إذا قرب إسناده فهـذا حكم هذه الواقعة وهـى من الفتاوى وإنما أوردناها ليـعرف كيـفية تخـريج الوقائع الملتـفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين .

★ ★ ★

الباب الرابع

فى كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم أن من تاب وفى يده مال مختلط فعليه وظيفة فى تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى فى مصرف المخرج فلينظر فيهما .

النظر الأول فى كيفية التمييز والإخراج : اعلم أن كل من تاب وفى يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو إما أن يكون فى مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون فى أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب فإن كان فى المتماثلات أو كان شائعا فى المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب فى بعضها فى المرابحة وصدق فى بعضها أو من غصب دهنا وخلط بدهن نفسه أو فعل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك .

إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولا فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن أشكل فله طريقان : أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء فى اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز فى الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس فى أعداد الركعات علامات يوثق بها .

وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما فى يده حرام بل ومشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع فى الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحرى والاجتهاد أن لا يستبقى إلا القدر الذى يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه

مثلا أن يكون فى يده مـال تجارة فسد بعضهـا فيتيقن أن النصف حـلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحرى فى كل مال وهو أن يقتطع القـدر المتيقن مـن الجانبين فى الحل والحرمـة والقدر المتردد فـيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وأن غلب الحل جاز له الإمـساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الإمساك والورع إخراجه .

وهذا الورع آكد لأنه صـار مشكوكـا فيه وجـاز إمساكـه اعتمـادا على أنه فى يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام .

ويحتمل أن يقال الأصل التحـريم ولا يأخذ إلا ما غلب على ظنه أنه حلال وليس أحد الجـانبين بأولى من الآخر وليس يتـبين لى فى الحال ترجـيح وهو من المشكلات ، فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذى يخرجه ليس يدرى أنه عين الحرام .

فلعل الحـرام مـا بقى فى يده فكيف يقـدم عليـه ولو جاز هـذا لجاز أن يقـال إذا اختلطت مـيتة بتـسع مذكاة فـهى العشر فـله أن يطرح واحدة أى واحدة كـانت ويأخذ الباقى ويستحله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعـاوضة إليـه وأما الميـتة فلا تـتطرق المعاوضــة إليهـا فليكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض فى درهم معين اشتبه بدرهم آخر فـيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه .

وقد سئل أحمد بن حنبل ﷺ عن مثل هذا فـقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين وقال لا أدرى أيتـهما آنيتك فتركهما فقـال المرتهن هذا هو الذى لك وإنما كنت اخـتبرك فـقضى دينه ولم يأخـذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول إنه غير واجب فلنفرض المسألة في درهم له مالك معين حاضر فنقول:

إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود فى علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحبه فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم فى يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض .

وهذا فى جانبه واضح فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال فى الجانب الآخر أنه لم يدخل فى ملكه فنقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضا درهم فى يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه فى علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل فى علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل فى عين مسألتنا لو ألقى كل واحد ما فى يده فى البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة للآخر بطريق التقاص .

فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرحه فى ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه فهذا المذهب يؤدى إليه فانظر ما فى هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يجعلها بيعا فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ .

وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعا والبيع غير ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم فى عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فإن قيل فأنتم جوّزتم تسليم قدر حقه فى مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا .

قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات فى يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله ، هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا آخذ درهما أصلا إلا عين ملكى فإن استبهم فاتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك فأقول على القاضى أن ينوب عنه فى القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق .

والشرع لم يرد به فإن عجز عن القاضى ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقى .

وهذا فى خلط المائعات أظهر وألزم فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف فى الباقى قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال .

وقال آخرون يجوز للآخذ فى التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه وما جوّز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلىّ يقع عين حقى وبالتعيين وإخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين علي المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل .

ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره .

وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح فى ذوات الأمثال فإنها تقع عوضا فى الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضى جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة .

وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضى فللذى يريد الخلاص وفي يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هى المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا فى الحنطة ظاهر وفى النقود دونه وفي العروض أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل.

مسئلة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفا وهو قدر حقه ساهمه الورثة فإن النصف الذى له لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقى هو المغصوب ولا يصير مميزاً بنية السلطان وقصده حصر الغصب فى نصيب الآخرين .

مسئلة : إذا وقع فى يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغى أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة المغصوب .

وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والأوانى وأمثال ذلك مما لا يعتاد إجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما ربحه على المال المغصوب فى عقود

عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراماً كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة .

وقد قيل تنفذ بإجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تفسخ ويسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرته فهى أموال حرام حصلت فى يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليتصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع فى يده .

مسئلة : من ورث مالاً ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك فى قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرى فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ فى عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق فى يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب .

وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه والإثم على المورث واستدل بما روى أن رجلا ممن ولى عمل السلطان مات فقال صحابى الآن طاب ماله أى لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابى ولعله صدر من متساهل فقد كان فى الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة .

وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ؟ ومن أين يؤخذ هذا ؟ نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدرى فيطيب لوارث لا يدرى أن فيه حراما يقينا .

النظر الثانى فى المصرف فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فليتنظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره .

وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدرى أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف أو ألفين فهذا ينبغى أن يتصدق به.

وإما من مال الفئ والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال هذه الأمور التى يشترك فى الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الأول لا شبهة فيه .

أما التصدق وبناء القناطر فينبغى أن يتولاه القاضى فيسلم إليه المال إن وجد قاضيًا متدينا وإن كان القاضى مستحلا فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من أهل البلد عالما متدينا .

فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتولى ذلك بنفسه فإن المقصود الصرف وإما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة فى المصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه فإن قيل ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لايملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام ، وحكى عن الفضيل أنه وقع فى يده درهمان فلما علم أنهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة وقال لا أتصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيرى مالا أرضاه لنفسى فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس .

أما الخبر : « فأمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت إليه فكلمته بأنها حرام إذ قال ﷺ : أطعموها الإسارى »(١٧١٧) .

(١٧١٧) حديث : « أمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التى قدمت بين يديه وكلمته بأنها حرام إذ قال اطعموها الأسارى » قال العراقى : رواه أحمد من حديث رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فلما رجعنا لقينا راعى امرأة من قريش فقال إن فلانة تدعوك ومن معك إلى طعام .... الحديث وفيه فقال أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها وفيه فقال اطعموها الأسارى وإسناده جيد .اهـ.

وقال مرتضى : رواه من طريق ابن إدريس وزائدة عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار وهكذا رواه أبو داود أيضا من هذا الطريق ولفظه خرجنا فى جنازة مع النبى ﷺ فلما رجع النبى ﷺ استقبله راعى امرأة وجىء بالطعام فوضع يده فلاك لقمة فى فيه قال إنى أجد شاة أخذت بغير إذن أهلها فقالت المرأة : إنى لم أجد شاة اشتريها فأرسلت إلى جارى فلم أجده فأرسلت إلى امرأة فارسلت لى شاة له قال فاطعميه الأسارى ، رواه محمد بن الحسن فى الآثار عن أبى حنيفة عن عاصم بن كليب الجرمى عن أبيه عن رجل من الأنصار أن النبى ﷺ زار قوما من الأنصار فى دارهم فذبحوا له شاة فصنعوا له منها طعاما فأخذ من اللحم شيئا فلاكه فمضغه ساعة لا يسيغه فقال : ما شأن هذا اللحم قالوا شاة لفلان ذبحناها حتى يجىء فنرضيه عن ثمنها قال : فقال رسول الله ﷺ اطعموها الأسارى ، ورواه الكلاعى من طريق محمد بن خالد الذهبى عن أبى حنيفة عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وكذا رواه الطحاوى من طريق زهير ابن معاوية عن عاصم إلا أنه لم يقل فيه من أصحاب النبى ﷺ ورواه أبو محمد الحارثى الحافظ فى مسنده عن محمد بن الحسن البزاز البلخى وإبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفى ومحمد بن إبراهيم بن زياد الرازى كلهم عن بشر بن الوليد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة عن عاصم بن كليب عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبى موسى الأشعرى ورواه الحارثى أيضا عن أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانى عن محمد بن سعيد العوفى عن أبيه عن أبى يوسف ورواه أيضا من وجهين من طريق ابن عاصم النبيل ويزيد بن زريع والحسن بن فرات وسعيد بن أبى الجهم ومحمد بن مسروق والحسن بن زياد كلهم عن أبى حنيفة بهذا الإسناد ورواه أيضا من طريق حمزة بن حبيب الزيات عن أبى حنيفة بالإسناد المذكور بلفظ صنع رجل من أصحاب النبى ﷺ طعاماً فدعاه فقام وقمنا معه فلما وضع الطعام تناول منه شيئا وتناولنا فأخذ بضعة فلاكها فى فيه طويلا فجعل لا يستطيع أن ياكلها قال فرماها من فمه فلما رأيناه قد صنع ذلك امسكنا عنه أيضا فدعا النبى ﷺ صاحب الطعام فقال أخبرنى عن لحمك هذا من أين هو قال يا رسول الله شاة كانت لصاحب لنا فلم يكن عندنا ما نشتريها منه وعجلنا وذبحناها فصنعناها لك حتى يجىء فنعطيه ثمنها فأمر النبى ﷺ برفع الطعام وأمر أن يطعموه الأسارى وقال الطبرانى فى معجمه حدثنا أحمد بن القاسم=

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (الروم: ١-٣) .

كذبه المشركون وقالوا للصحابة ألا ترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم ستغلب «فخاطرهم أبو بكر ﷺ بإذن رسول الله ﷺ فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر ﷺ بما قامرهم به قال عليه السلام هذا سحت فتصدق به »(١٧١٨) وفرح المؤمنون بنصر الله وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله ﷺ له في المخاطرة مع الكفار .

= حدثنا بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة بالإسناد المذكور وكذا رواه طلحة وابن المظفر وابن عبد الباقي من طريق بشر قال الحافظ في تخريج أحاديث الهداية وهذا معلول والمحفوظ ما رواه محمد بن الحسن عن أبي حنيفة .اهـ.

(١٧١٨) حديث : « مخاطرة أبي بكر المشركين بإذنه ﷺ لما نزل قوله تعالى : ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ وفيه فقال ﷺ هذا سحت فتصدق به» قال العراقي : رواه البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بإذنه ﷺ والحديث عند الترمذي وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضا : هذا سحت فتصدق به .اهـ.

وقال مرتضى : الأقرب إلى سياق المصنف ما أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر من حديث البراء بن عازب ﷺ قال لما نزلت : ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الآية قال المشركون لأبي بكر ﷺ الا ترى إلي ما يقول صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارسا قال صدق صاحبي قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلا فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارسا فبلغ ذلك النبي ﷺ فساءه فكرهه وقال لأبي بكر ما دعاك إلى هذا قال تصديقا لله ورسوله قال تعرض لهم وأعظم الخطر واجعله إلى بضع سنين فأتاهم أبو بكر فقال هل لكم في العود فإن العود أحمد قالوا نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر أبو بكر فجاء به يحمله إلى رسول الله ﷺ فقال هذا السحت تصدق به وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه العراقي وأن الترمذي حسنه والحاكم صححه فقد رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن مردويه والضياء في المختارة ولفظهم عنه في قوله تعالى : ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ قال غلبت وغلبت قال : كان المشركون يكرهون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أصحاب كتاب فذكروه لأبي بكر ﷺ فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : أما أنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وأن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ ، الحديث=

وأما الأثر فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه إن رضي وإلا فالأجر لي .

= وأخرج ابن جرير من حديث ابن مسعود نحوه وفيه فقالوا : هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين فقال النبي ﷺ كم بضع سنين عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأخرجه الترمذي وصححه والدارقطني في الإفراد والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب من حديث نيار بن مكرم السلمي قال لما نزلت هذه الآية خرج أبو بكر رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة بها فقال ناس من قريش لأبي بكر ذاك بيننا وبينكم يزعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين أو لا نراهنك على ذلك قال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان فقالوا لأبي بكر لم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطى تنتهي إليه قال فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر بتسميته ست سنين قال لأن الله تعالى قال في بضع سنين فأسلم عند ذلك ناس كثير وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن قتادة قال لما أنزل الله هذه الآية صدق المسلمون ربهم وعرفوا أن الروم ستظهر على فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص واجلوا بينهم خمس سنين فولي قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه وولي قمار المشركين أبي بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فجاء الأجل ولم تظهر الروم على فارس فسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك الأصحاب للنبي ﷺ فقال ألم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا أجلا دون العشر فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر فزايدوهم ومادوهم في الأجل فاظهر الروم على فارس عند رأس السبع من قمارهم الأول وكان ذلك مرجعهم من الحديبية وكان مما شد الله به الإسلام فهو قوله : ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال لما أنزل الله هذه الآيات خرج أبو بكر إلى الكفار فقال افرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقر الله عينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام إليه أبي بن خلف فقال كذبت فقال له : أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله قال : أناصبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره فقال : ما هذا ذكرت إنما البضع من الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال : لعلك ندمت قال : لا قال : تعالى أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال قد فعلت .

وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش فقال : يتصدق به .

وروى أن رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم أتى أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له تفرق الناس فأتى معاوية فأبى أن يقبض فأتى بعض النساك فقال ادفع خمسها إلى معاوية وتصدق بما بقى فبلغ معاوية قوله فتلهف إذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وجماعة من الورعين إلى ذلك .

وأما القياس فهو أن يقال إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى خير إذ قد وقع اليأس من مالكه وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من إلقائه فى البحر فإنا إن رميناه فى البحر فقد فوتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة .

وإذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الأجر للمالك بغير اختياره فى التصدق لا ينبغى أن ينكر .

فإن فى الخبر الصحيح « أن للزارع والغارس أجرا فى كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه»(١٧١٩)

وذلك بغير اختياره .

(١٧١٩) حديث : « أجر الزارع والغارس فى كل ما يصيب الناس والطيور » من ثماره وذلك بغير اختياره **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أنس بلفظ : ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه أيضا الطيالسى وأحمد ومسلم والترمذى كلهم من حديث أنس ورواه هؤلاء الثلاثة أيضا دون الترمذى من حديث جابر رواه أحمد والطبرانى من حديث أم بشر ورواه الطبرانى أيضا من حديث أبى الدرداء وعند بعضهم زيادة أو سبع أو دابة وروى مسلم عن جابر ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه صدقة وما أكل السبع فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة ورواه عبد بن حميد نحوه وروى أحمد والباوردى وسمويه من حديث أبى أيوب ما من رجل يغرس غرسا إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس ورجاله رجال الصحيح إلا عبد المؤمن بن عبد العزيز الليثى ضعفه جماعة ووثقه مالك .

وأما قول القائل لا نتصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع .

وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل .

وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضا **مسائل** :

مسائل :

مسئلة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به فلعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به .

وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع .

فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن

يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر فى منعه من التملك ولا يؤثر فى المنع من التصدق .

مسئلة : إذا حصل فى يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففى قدر حاجته نظر ذكرناه فى كتاب أسرار الزكاة فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل .

وهذا ما اختاره المحاسبى ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوّة التوكل وينتظر لطف الله تعالى فى الحلال فإن لم يقدر فله أن يشترى ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فإذا فنى عاد إليه فإذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أنفقه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم أنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضا عنده فيه نظر .

ولا شك فى أن الورع أن يجعله قرضا فإذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذى يتصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لا سيما إذا وقع فى يده من ميراث ولم يكن متعديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه .

مسئلة : إذا كان فى يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد في نفسه منه فى عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كان لا يفضى بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة .

وبالجملة كل ما يحذره فى غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن

يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والإطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه .

فإن ما يتعلق ببدنه ولا غنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى .

وقال الحارث المحاسبى يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى .

ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى فإن قيل فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما روى «**أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعبدا حجّاماً فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل إن له أيتاما فقال : اعلفوه الناضح**» (١٧٢٠) .

(١٧٢٠) حديث : « إن رافع بن خديج مات وخلف ناضحًا وعبدا حجاما فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل إن له يتامى فقال : أعلفوه الناضح» . **قال العراقي** : رواه أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعة بن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما .... الحديث وليس المراد بجده رافع بن خديج فإنه بقى إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهوخديج ولم أر له ذكرا في الصحابة وفي رواية للطبراني عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال مات أبى وفي رواية له عن عباية قال : مات رفاعة على عهد النبى ﷺ .... الحديث وهو مضطرب .اهـ.

وقال مرتضى : وقال الحافظ في الإصابة وأما البخارى فقال مات رافع في زمن معاوية وما عداه واه وأما خديج بن رافع فقد ذكره البغوى ومن تبعه في الصحابة وأوردوا له هذا=

فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته فإذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذى ذكرناه .

مسئلة : الحرام الذى فى يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكن وسطًا بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه فى ذلك الوقت فقير .

وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام ويخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغى أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغى أن يعوّل على أنه لا يدرى فلا يضره فإن الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر ﷺ وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخنزير والخمر إذا أحللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات .

= الحديث وهو وهم وقد رواه الطبرانى من طريق عام بن على عن شعبة عن يحيى بن سليم سمعت عباية بن رفاعة عن جده أنه ترك حين مات جارية وناضحا وعبدا حجاما وأرضا فقال النبى ﷺ فى الجارية نهى عن كسبها وقال فى الحجام ما أصاب فأعلفه الناضح وقال فى الأرض أزرعها أو دعها ومن طريق هشيم عن أبى بلج عن عباية أن جده مات فذكره فظهر بهذه الرواية أن قوله فى الرواية الأولى عن جده أى عن قضية جده ولم يقصد الرواية عنه وجد عباية الحقيقى هو رافع بن خديج ولم يمت فى عهد النبى ﷺ بل عاش بعده دهرا فكأنه أراد بقوله أن جده جده الأعلى وهو خديج ووقع فى مسند مسدد عن أبى عوانة عن أبى بلج عن عباية بن رفاعة قال مات رفاعة فى عهد النبى ﷺ وترك عبدًا .... الحديث فهذا اختلاف آخر على عباية ورواه الطبرانى من طريق حصين بن نمير عن أبى بلج فقال عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال مات أبى وترك أرضا فهذا اختلاف رابع ووالد رفاعة هو رافع بن خديج ولم يمت فى عهد النبى ﷺ كما تقدم فلعله أراد بقوله أبى جده المذكور فإن الجواب وقع فى الأطراف لابن عساكر فى مسند خديج بن رافع والد رافع على ما قيل حديث نهى عن كراء الأرض وهو وهم أيضا ولذا قال الحافظ فى الإصابة وذكرى لخديج هذا على الاحتمال والله أعلم .

مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما « فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى »[(١٧٢١)] .

فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما بل هو واجب فليتلطف فى الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضا مؤكد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبًا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع فى غيبتها وليجتهد أن لا يصلى فيه إلا عند حضورها فيصلى فيه صلاة المضطر .

وعند تعارض أسباب الورع ينبغى أن يتفقد هذه الدقائق وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سلمت إليه أمه رطبة وقالت بحقى عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه فرأته يتقيأ وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة .

وقد قيل لأحمد بن حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة فى الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفينى فقد سمعت ما قالا ثم قال ما أحسن أن تداريهما .

مسألة : من فى يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معني الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه إخراج الكل إما ردا على المالك إن عرفه أو صرفا إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران : ٩٧) .

(١٧٢١) حديث : قال ﷺ : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وقد روى هكذا من حديث عمران بن الحصين رواه أحمد والحاكم ومن حديث عمرو الغفارى رواه الحكيم الترمذى .

وإذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم.

وقال المحاسبى يكفيه الإطعام والذى نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والإطعام أما الصوم فلأنه مفلس حكما وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة .

مسئلة : من فى يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوّع بالحج فإن كان ماشيا فلا بأس به لأنه سيأكل هذا المال فى غير عبادة فأكله فى عبادة أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشى ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لمثل هذه الحاجة فى الطريق كما لا يجوز شراء المركوب فى البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى به عن بقية الحرام فالإقامة فى انتظاره أولى من الحج ماشيا بالمال الحرام.

مسئلة : من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدى الله ودعاؤه فى وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد أن لا يكون فى بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنا وإن جوّزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة وما ألحقناه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته .

مسئلة : سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أبى وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال : تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال: تقضى وتقتضى فقال أفترى ذلك فقال : أفتدعه محتبسًا بدينه وما ذكره صحيح.

وهو يدل على أنه رأى التحرى بإخراج مقـدار الحرام إذ قال يخرج قدر الربح وإنه رأى أن أعيـان أمواله ملك له بدلا عـما بذله فى المعـاوضات الفـاسدة بطريق التـقاص والتقابـل مهما كثـر التصرف وعسـر الرد وعوّل في قضاء دينه على أنه يقـين فلا يترك بسبب الشبه.



الباب الخامس

فى إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم أن من أخـذ مالاً من سلـطان فلابد له من النظـر فى ثلاثة أمور فى مـدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو وفى صفـته التى بها يستـحق الأخذ وفى المقدار الذى يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه فى الاستحقاق .

النظر الأول فى جهات الدخل للسلطان

وكل ما يحل للسلطان سوى الأحياء وما يشترك فيه الرعية **قسمان** :

القـسم الأول : مأخوذ من الكفار وهو الغنيمـة المأخوذة بالقهر والفىء وهو الذى حـصل من مالهـم فى يده من غيـر قـتال والجـزية وأمـوال المصالحـة وهى التى تؤخـذ بالشروط والمعاقدة .

والقـسم الثـانى : المأخوذ من المسلمين فـلا يحل منه إلا قسمان المواريث وسـائر الأموال الضائعة التى لا يتعين لها مالك والأوقاف التى لا متولى لها أما الصدقات فليست توجد فى هذا الزمان وما عـدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشـوة كلها حرام فإذا كتب لفقيه أوغيره إدرارا أو صلة أو خلعة علـى جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجـزية أو على المواريث أو علـى الأوقاف أو على ملك أحـيـاه السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بياع من جملة التجار أو على الخزانة .

فالأول : هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعى فيه الاحتياط فى القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعى ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فإنه أيضا فى محل الاجتهاد .

وللسلطان أن يفعل ما هو فى محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الذمى الذى تؤخذ الجزية منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة إذ لا جزية عليهما فهذه أمور تراعى فى كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر فى جميع ذلك .

الثانى : المواريث والأموال الضائعة فهى للمصالح والنظر فى أن الذى خلفه هل كان ماله كله حراما أو أكثره أو أقله ؟ وقد سبق حكمه فإن لم يكن حراما بقى النظر فى صفة من يصرف إليه بأن يكون فى الصرف إليه مصلحة ثم فى المقدار المصروف .

الثالث : الأوقاف وكذلك يجرى النظر فيها كما يجرى فى الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقا له فى جميع شرائطه .

الرابع : ما أحياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أى قدر شاء وإنما النظر فى أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام فإن الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فإن كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها فى تعلق الكراهة بالأعواض .

الخامس : ما اشتراه السلطان فى الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله .

السادس : أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذى لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات فى هذا الزمان إلا ما على أراضى العراق فإنها وقف عند الشافعى رحمه الله على مصالح المسلمين.

السابع : ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فما له كمال خزانة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام .

الثامن : ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا له وقع فى النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام فى هذه الأعصار والحلال فى أيديهم معدوم أو عزيز .

فقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كل ما لا أتيقن أنه حرام فلى أن آخذه وقال آخرون لا يحل أن يؤخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا تحل شبهة أصلا وكلاهما إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق .

ولقد احتج من جوّز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وجرير بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبى ليلى وأخذ الشافعى من هارون الرشيد ألف دينار فى دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة .

وقال على ﷺ خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة على دينه أن يحمل على ما لا يحل ألا ترى قول أبى ذر للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه وقال أبو هريرة ﷺ : إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ﷺ كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبى عن مسروق لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أى يحمله ذلك على الحرام لا أنه فى نفسه حرام .

وروى نافع عن ابن عمر ﷺ أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لا أسأل أحدا ولا أرد ما رزقنى الله وأهدى إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر ﷺ لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والإسناد فى رده أثبت وعن نافع أنه قال بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل .

ولما قدم الحسن بن على ﷺ على معاوية ﷺ فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب بن أبى ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هى قال مال وكسوة .

وعن الزبير بن عدى أنه قال قال سلمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فأقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا فى المربى فالظالم فى معناه وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية .

وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملا على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين اطعمونا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

جـ ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٥

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

وقال العلاء بن زهير الأزدى أتى إبراهيم أبى وهو عامل على حلوان فأجازه فقبل وقال إبراهيم لا بأس بجائزة العمال إن للعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم فى معصية الله تعالى .

وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبى ذر وغيرهم من الزهاد فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف افضاؤه إلى محذور ورعا وتقوى فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم .

وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون ألفا وما نقل عن الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صيرفى ولو ضاق وقت الصلاة لأنى لا أدرى أصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فهذه هى شبهة من يجوّز أخذ مال السلطان الظالم .

والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى ما نقل من ردهم وانكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة فى الدرجة بتفاوتهم فى الورع فإن للورع فى حق السلاطين **أربع درجات :**

الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر ﷺ حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وحتى أن عمر ﷺ كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت المحلفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكى وجعلت الدرهم

في فيها فـادخل عمر أصبعه فـأخرجه من فيها وطرحه على الخـراج وقال يا أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم .

وكسح أبو موسى الأشعرى بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك فى يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال : يا أبا موسى ما كـان فى أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عـمر أردت أن لا يبـقى من أمة مـحمـد ﷺ أحـد إلا طلبنا بمظلـمة ورد الدرهـم إلى بيت المال هذا مع أن المال كـان حـلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » .

ولقوله : « **ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه** » .

ولما سمعـه من رسول الله ﷺ من التشديدات فى الأموال السلطانيـة حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصـامت إلى الصدقة : « **اتق الله يا أبـا الوليـد لا تجيء يوم القيـامة ببـعير تحـمله على رقبـتك له رغاء أو بقـرة لها خوار أو شـاة لها ثؤاج فـقال : يا رسول الله أهكذا يكون قـال نعم والذى نفسى بيده إلا من رحـم الله قال فـوالذي بعثك بالحق لا أعمل على شيء أبدا** » (١٧٢٢) .

(١٧٢٢) حديث : قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة : « اتق الله يا أبا الوليد لاتجئ يوم القيامة ببـعير تحمله على رقبتك له رغـاء أو بقرة لها خوار أو شاة تَيْعُـر قال يا رسول الله أهكذا يكون قال : نعم والذى نفـسى بيده إلا من رحم الله قال : فوالذى بعـثك بالحق لا أعمل على شيء أبداً » . **قال العراقى** : رواه الشافعى فى المسند من حديث طاوس مرسلا وأبى يعلى فى المعجم من حديث ابن عمر مختصرا أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح اهـ.

وقـال مـرتضى : وأخرجـه الطبرانى فى الكبيـر هكذا من حديث عبادة ورجـاله رجال الصحيح قـاله الهيثمى وأما حديث ابن عـمر فقد أخرجه أيضـا ابن جرير والحاكم ولفظه يا سعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء .

وقـال ﷺ : « إنى لا أخـاف عليكم أن تشركـوا بعدى إنما أخـاف عليكم أن تنافسوا » (١٧٢٣) .

وإنما خاف التنافس فى المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه فى حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إنى لم أجد نفسى فيه إلا كالوالى مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

وروى أن ابنًا لطاوس افتعل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هى الدرجة العليا فى الورع .

الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين فى الورع فكيف يتوسع فى مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذما لأموالهم .

(١٧٢٣) حديث : قال ﷺ : « إنى لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، أخاف عليكم أن تنافسوا». **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عقبة بن عامر .اهـ.

وقال مرتضى : هو فى تاريخ من دخل مصر من الصحابة لمحمد بن الربيع الجيزى قال : حدثنا الربيع بن سليمان المرادى حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن حبيب عن أبى الخير عن عقبة بن عامر حدثهم أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال : أنى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وأن موعدكم الحوض وأنى لأنظر إليه وأنا فى مقامي وأن عرضه لكما بين إيلة والجحفة وأنى أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا وأنا فى مقامى فإنى لست أخاف عليكم أن تشركوا ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها وفى لفظ وأنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وفى لفظ آخر وإنى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى رأيت أنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض فأخاف عليكم أن تنافسوا فيها .

وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو فى مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له إنا لنرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وستر دفترى .

وفى حديث آخر أنه قال إن الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعو لى فقال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**»(١٧٢٤)

وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات وعن ابن عمر ﷺ أنه قال فى أيام الحجاج ما شبعت من الطعام مذ انتهبت الدار إلى يومى هذا وروى عن على ﷺ أنه كان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال أما إنى لا أختمه بخلا به ولكن اكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم .

وكان ابن عمر لا يعجبه شىء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر وقال أبو سعيد

(١٧٢٤) حديث : قال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث ابن عمر . اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه ابن ماجه أيضا وأبو عوانة من حديث أنس ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه أيضا والطبرانى فى الكبير أيضا من حديث أبى بكرة ورواه الطبرانى فى الكبير أيضا من حديث عمران بن الحصين ورواه أبو عوانة أيضا والطبراني فى الأوسط أيضا من حديث الزبير بن العوام ورواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة ويروى بزيادة فى أوّله وهى لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله ولا يقبل صلاة عبد بغير طهور ولا صدقة من غلول هكذا رواه الحاكم والشيرازى فى الألقاب من حديث طلحة بن عبيد الله ويروى أيضا بزيادة فى آخره وهى وابدأ بمن تعول هكذا رواه أبو عوانة من حديث أبى بكر والطبرانى من حديث ابن مسعود .

الخدرى ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيـا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن كان فى منصبه أنه أخذ ما لا يدرى أنه حلال .

الدرجة الثـالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتـصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستـحقين فإن مـا لا يتعين مالكه هذا حكم الشـرع فيه فـإذا كان السلطان إن لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه فى يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم .

ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن ابن عـمر فرق ما أخذ حتى استقرض فى مجلسـه بعد تفرقته ستين ألفًا وعائشة فـعلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فتـصدق به وقال رأيت أن آخذه منهم وأتصدق أحب إلى مـن أن أدعها فى أيديهم وهكذا فـعل الشافعى رحـمه الله بما قبله من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة .

الدرجـة الرابعـة : أن لا يتحقق أنـه حلال ولا يفرق بل يستبـقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حـلال وهكذا كان الخلفاء فى زمان الصحابة ﷺ والتـابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حراما .

ويدل عليه تعليل على ﷺ حـيث قال فإن ما يأخـذه من الحلال أكثر فـهذا مما قد جوّزه جـماعة من العلمـاء تعويلا على الأكثـر ونحن إنما توقفنا فيـه فى حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعـد أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتمادا على الأغلب وإنما منعنا إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحـققت أن إدرارات الظلمة فـى زماننا لا تجرى مـجرى ذلك وأنها تفـارقه من **وجهين قاطعين** :

أحـدهمـا : أن أموال السلاطين فى عـصرنا حرام كلها أو أكثـرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والفىء والغنيمة ولا وجـود لها وليس يدخل منها شىء فى يد السلطان ولم يبق

إلا الجزية وإنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع فى المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشى وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره .

والوجه الثانى : أن الظلمة فى العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوّفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين فى أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم .

فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا فى استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء فى حضورهم ومغيبهم .

فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد فى الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه فى مجلسه وموكبه خامسا بإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان فى فضل الشافعى رحمه الله مثلا .

فإذاً لا يجوز أن يؤخذ منهم فى هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعانى فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين ففى أخذ الأموال منهم حاجة إلى

مخـالطتهم ومراعاتهم وخـدمة عمالهم واحـتمال الذل منهم والثناء عليـهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك معصية على مـا سنبين فى الباب الذى يلى هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أمـوالهم وما يحل منها وما لا يحل فـلو تصوّر أن يأخذ الإنسان منهـا ما يحل بقدر استحقـاقه وهو جالس فى بيـته يساق إليـه ذلك لا يحتاج فـيه إلى تفقـد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتـهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها فى الباب الذى يلى هذا .

النظر الثانى من هذا الباب فى قدر المأخوذ صفة الآخذ :

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفئ والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستـحقه إن كان من وقف أو صدقـة أو خمس فئ أو خمس غنيمـة وما كان من ملك السلطان مما أحيـاه أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شـاء وإنما النظر فى الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فـيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب .

فأمـا الغنى الذى لا مـصلحة فـيه فـلا يجوز صـرف مال بيت المال إليـه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه .

وفى كلام عـمر ﷺ مـا يدل على أن لكل مسلم حـقا في مـال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال علي المسلمين كافة بل على مخـصوصين بصفات فـإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقـوم به تتعدى مصلحـته إلي المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليـه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية .

ويدخل فيـه العلماء كلـهم أعني العلوم التى تتعلق بمصـالح الدين من علم الفـقه والحديث والتفسـير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمـون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيـه فإنهم إن لم يكفوا لم يتـمكنوا من الطلب ويدخل فيه العـمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن

أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه فى ترتيب ديوان الخراج أعنى العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فإن هذا المال للمصالح .

والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر دينى ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز أن يكون له ولمن يجرى مجراه فى العلوم المحتاج إليها فى مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد أدوار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من يعالج منهم بغير أجرة وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى .

فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهاد الإمام وله أن يوسع ويغنى وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال .

فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية فى دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر ﷺ يعطى لجماعة اثنى عشر ألف درهم نقرة فى السنة وأثبتت عائشة ﷺ في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فإن خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك فى السلف ولكن ينبغى أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان.

وإنما النظر فى السلاطين الظلمة فى شيئين :

أحدهما : أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يؤخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان .

والثانى : أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلا أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى ، أما الأول فالذى نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان فى الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد فى « **الأمر بطاعة الأمراء** » (١٧٢٥) « **والمنع من سل اليد عن مساعدتهم** » (١٧٢٦) أوامر وزواجر فالذى نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بنى العباس ﷺ وأن الولاية نافذة للسلاطين فى أقطار البلاد والمبايعين للخليفة .

(١٧٢٥) حديث : « الأمر بطاعة الأمراء » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أنس : اسمعوا وأطيعوا وإن إستعمل عليكم عبدى حبشى كأن رأسه زبيبة ولمسلم من حديث أبى هريرة : عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك .... الحديث وله من حديث أبى ذر : أوصانى النبى ﷺ ان أسمع وأطيع ولو لعبد أجدع الأطراف .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج أحمد والبخارى وابن ماجة من حديث أنس: اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، وأخرج أحمد ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة : عليك السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ، وروى مسلم من حديث أبى ذر : أوصانى النبى ﷺ أن أسمع وأطع ولو لعبد مجدع الأطراف ، ورواه أبو نعيم فى الحلية كذلك .

(١٧٢٦) حديث : « المنع من سل اليد عن مساعدتهم » **قال العراقى :** رواه الشيخان من حديث ابن عباس : ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية » ، ولمسلم من حديث أبى هريرة : من خرج الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، وله من حديث ابن عمر : من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حُجة له .اهـ.

قال مرتضى: وروى ابن أبى شيبة وأحمد ومسلم والنسائى من حديث أبى هريرة: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية .... الحديث وروى الحاكم من حديث =

وقد ذكرنا في كتـاب المستظهرى المستنبط من كتاب كـشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضى أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز أنا نراعي الصـفات والشروط فى السلاطين تشوفًا إلى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لـبطلت المصالح رأسا فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكـة فمن بايعـه صاحب الشـوكة فـهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحـقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فلسنا نطوّل الآن به .

وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مـستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فـهذا مما اختلف العلماء فـيه على أربع مراتب فغلا بعـضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمـون كلهم فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه دانق أو حـبة فليترك الكل .

وقال قوم له إن يـأخذ قدر قوت يومه فـقط فإن هذا القدر يسـتحقه لحاجـته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهوذو حق فى هذا المال فكيف يتركه .

وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هـم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركـا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كـالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتـفق قسـمه حـتى مات هؤلاء لم يـجب التوزيع على ورثتـهم بحكم الميراث بل هذا الحق غـير متعـين وإنما يتعين بالقبض بل هو كـالصدقات ومهـما أعطى

= ابن عمر : من خـرج من الجماعة قـيد شبر فقـد خلع ربقة الإسلام من عنقه حـتى يراجعه ومن مات وليس عليه إمام جـماعة فإن موتته موتة جـاهلية ، وروى مسلم من حديث ابن عمر من خلع يدًا من طاعة لقى الله تعالى يوم القيامة لا حُجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم .

هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز فى العطاء، سوّى أبو بكر ﷺ فراجعه عمر ﷺ فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل عمر ﷺ فى زمانه فأعطى عائشة اثنى عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعلى خاصة ﷺ وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا ﷺ بها فقبل ذلك منه ولم ينكر .

وكل ذلك جائز فإنه فى محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التى أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون فى معناها بقياس جلى كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وإن كل واحد من أبى بكر وعمر ﷺ مصيب باتفاق الصحابة ﷺ إذ المفضول ما رد فى زمان عمر شيئا إلى الفاضل مما قد كان أخذه فى زمان أبى بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل فى زمان عمر واشترك فى ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التى يصوّب فيها كل مجتهد .

فأما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلى بغفلة أو سوء رأى وكان فى القوّة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما فى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدرارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا لمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا إلا بها كما سنبينه .

★★★

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة **ثلاثة أحوال** :

الحالة الأولى : وهى شرها أن تدخل عليهم .

والثانية : وهى دونها أن يدخل عليك .

والثالثة : وهى الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك .

أما الحالة الأولى : وهى الدخول عليهم فهو مذموم جدا فى الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار، فننقلها لتعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى فى ظاهر العلم .

أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة قال: « **فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم**» (١٧٢٧) .

(١٧٢٧) حديث : وصف رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة قال: « فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم » **قال العراقى**: رواه الطبرانى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال من خالطهم هلك .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن أبى شيبة فى المصنف ولفظهما جميعا أنها ستكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن ناوأهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد ومن خالطهم هلك وفى رواية سيكون بعدى أمراء وفى أخرى نابذهم كما عند المصنف وفى السند هياج بن بسطام وهو ضعيف .

وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم، ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة .

وقال ﷺ : « **سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد علي الحوض**»(١٧٢٨) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال ﷺ : « **أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء** » .

وفى الخبر: « **خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء**» (١٧٢٩) .

(١٧٢٨) حديث : قال ﷺ : « سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض » **قال العراقي** : رواه النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن عجرة .اهـ.

وقال مرتضى : وكذا أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي ولفظهم جميعا سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم والباقى سواء إلا أنه فى آخره وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى يكون أمراء تغشاهم غواش أو حواش من الناس يكذبون ويظلمون فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأنا منه برئ وهو منى برئ ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وأخرج أحمد والبزار وابن حبان من حديث جابر ستكون أمراء من دخل عليهم وأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض وأخرج الشيرازى فى الألقاب من حديث ابن عمر ستكون أمراء فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم وغشى أبوابهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم علي ظلمهم ولم يغش أبوابهم فهو منى وسيرد على الحوض .

(١٧٢٩) حديث : « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء».

قال مرتضى : أغفله العراقى وله شاهد من حديث عمر أخرجه الديلمى إن الله يحب الأمراء إذ خالطوا العلماء ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا فى الدنيا والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا فى الآخرة .

وفى الخبر: « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم»(١٧٣٠) رواه أنس ﷺ.

وأما الآثار : فقد قال حذيفة : « إياكم ومواقف الفتن قيل وما هى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه » (١٧٣١) .

وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة «لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه» (١٧٣٢) .

(١٧٣٠) حديث : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » رواه أنس ﷺ. **قال العراقى** : أخرجه العقيلى فى المصنف فى ترجمة حفص الأبرى وقال حديثه غير محفوظ وقد تقدم فى العلم .اهـ.

وقال مرتضى : وكذا رواه الحسن بن سفيان فى مسنده عن مخلد بن مالك عن إبراهيم ابن رستم عن عمر العبدى عن إسماعيل بن سميع عن أنس قال ابن الجوزى موضوع إبراهيم لا يعرف والعبدى متروك ونازعه الجلال السيوطى فقال قوله هذا ممنوع وله شواهد فوق الأربعين فيحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن .اهـ. ورواه كذلك الحاكم فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية والديلمى فى مسند الفردوس والرافعى فى تاريخ قزوين إلا أن لفظ الحاكم ما لم يداخلوا السلطان فإذا داخلوه فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم ولفظ العقيلى أمناء الله على خلقه وفيه فقد خانوا الله والرسول وأخرج العسكرى من حديث على الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم .

(١٧٣١) حديث : قال حذيفة بن اليمان ﷺ « إياكم ومواقف الفتن » يا أبا عبد الله « قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بكذبه ويقول ما ليس فيه ».

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أبى إسحاق عن عمارة بن عبد عن حذيفة قال إياكم فذكره وهكذا أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف والبيهقى فى الشعب .

(١٧٣٢) حديث : قال أبو ذر الغفارى ﷺ لسلمة بن قيس « لا تغش أبواب السلطان فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف والبيهقى فى الشعب بسندهما إلى سلمة بن قيس ثلاث فاحفظها ، لا تجمع بين الضرائر فإنك لا تعدل ولو حرصت ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد وناقص ولا تغش ذا سلطان فإنك تصيب فذكره وله شاهد من حديث عبد الله بن الحارث رفعه سيكون بعدى سلاطين=

وقال سفيان : «في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك» (١٧٣٣) .

وقال الأوزاعي : «ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا» (١٧٣٤) .

وقال سمنون : «ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم» (١٧٣٥) .

= الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحدا شيئا إلا أخذوا من دينه مثله أخرجه الحاكم وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه أنه قال لعطاء إياك وأبواب السلطان فإن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله وأخرج ابن عساكر من طريق الأعمش عن مالك بن الحارث قال قيل لعلقمة ألا تدخل على السلطان فتنتفع قال إني لا أصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من ديني مثله .

(١٧٣٣) حديث : قال سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى : « في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء المراءون الزائرون الملوك » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرجه البيهقي من طريق بكر بن محمد العابد قال سمعت الثوري يقول إن في جهنم لَجُبًّا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلطان وقد جاء في المرفوع نحوه أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ إن في جهنم واديا تستعيذ منه يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان .

(١٧٣٤) حديث : قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: « ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقد جاء ذلك في المرفوع أخرجه ابن لال والحافظ أبو الفتيان الدهستاني في كتاب التحذير من علماء السوء والرافعي في تاريخ قزوين من حديث أبي هريرة إن أبغض الخلق إلى الله تعالى العالم يزور العمال وأخرج ابن ماجه من حديثه إن أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء وفي حديثه أيضا فيما أخرجه ابن عدي وذكر قريبا وأن أبغض الخلق على الله عالم السلطان .

(١٧٣٥) حديث : قال سمنون : «ما أسمج بالعالم يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال إنه عند الأمير » وكنت أسمع أنه يقال : « إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن عباد قال سمعت جعفر بن محمد يقول الفقهاء أمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم وتقدم في المرفوع من حديث أبي هريرة إذا رأيت العالم يخالط السلطان فاعلم أنه لص وأخرج البيهقي عن يوسف بن إسباط قال قال لي سفيان الثوري إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء وإياك أن تخدع فيقال لك ترد مظلمة تدفع عن مظلوم فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلما .

حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج، فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم ، وقال عبادة بن الصامت : حب القارئ الناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء .

وقال أبو ذر : «من كثر سواد قوم فهو منهم» (١٧٣٦) أى من كثر سواد الظلمة .

وقال ابن مسعود ﷺ : **« إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم؟ قال لأنه يرضيه بسخط الله»** (١٧٣٧) .

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا؛ فقيل كان عاملا للحجاج فعزله، فقال الرجل إنما عملت له على شىء يسير، فقال له عمر حسبك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشرا .

وقال الفضيل : **«ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا»**(١٧٣٨) .

(١٧٣٦) حديث : عن أبى ذر ﷺ « من كثر سواد قوم فهو منهم » أى من كثر سواد الظلمة .
قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا رواه ابن المبارك في الزهد عنه موقوفا من غير التفسير السابق وقد روى مرفوعا من حديث ابن مسعود أن رجلا دعا ابن مسعود إلى وليمة فلما جاء ليدخل سمع لهوا فلم يدخل فقيل له : فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره وزاد ومن رضى عمل قوم كان شريك من عمل به أخرجه أبو يعلى وعلى بن معبد فى كتاب الطاعة والديلمى وله شاهد من حديث ابن عمر عن أحمد وأبى داود من تشبه بقوم فهو منهم .

(١٧٣٧) حديث : قال ابن مسعود ﷺ : « إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له، قيل له: لِمَ؟ قال : لأنه يرضيه بسخطه الله تعالى » .
قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه البخارى فى التاريخ وابن سعد فى الطبقات مختصرا بلفظ يدخل الرجل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه شىء .

(١٧٣٨) حديث : قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : « ما ازداد رجل من سلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا » وفى نسخة إلا ازداد الله منه بعدا .
قال مرتضى : أغفله العراقى وهذا قد روى فى المرفوع من حديث أبى هريرة أخرجه أحمد والبيهقى بسند صحيح من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد أحد عند السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا ومما يدل على النسخة الثانية ما أخرجه هناد بن السرى فى الزهد من حديث عبيد بن عمير مرفوعا من تقرب من ذى سلطان ذراعا تباعد الله منه باعا .

وكـان سعـيـد بن المسـيب يتـجر فـى الزيت ويقول إن فـى هذا لغنى عن هؤلاء السـلاطين ،وقـال وهيب هؤلاء الذين يدخلـون على الملوك لهم اضـر على الأمـة من المقامرين. وقال محمد بن سلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء.

ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين إليـه عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقـد أصبحت بحال ينبـغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحـمك. أصبحت شيـخا كبيـرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبـيه محمد ﷺ ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ (آل عمران: ١٨٧) .

واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبـيل البغى بدنـوك ممن لم يؤد حقا ولـم يترك باطلا حين أدناك ، اتخـذوك قطبًـا تدور عليك رحى ظلمهم، وجسرًا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلمًـا يصعدون فيه إلى ضلالتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتـادون بك قلوب الجهلاء . فما أيسر مـا عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيـما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (مريم: ٥٩) الآية .

وإنك تعـامل من لا يجهل ويحـفظ عليك من لا يغفل ، فـداو دينك فقـد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء والسلام.

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما فى مـخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد، ولكن نفصل ذلك تفصيلاً فقهيًا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح ، فنقول: الداخل على السلطان متعـرض لأن يعصى الله تعالى، إما بفعله أو بسكوته ، وإمـا بقوله وإما باعتقاده، فلا ينفك عن أحد هذه الأمور، أما الفعل فالدخول عليهم فى غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة وتخطيها، والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام.

ولا يغرنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز، فإن ذلك صحيح فى غير المغصوب أما المغصوب فلا ؛ لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهى فى محل التسامح، وكذلك الاجتياز فيجرى هذا فى كل واحد فيجرى أيضا فى المجموع، والغصب إنما تم بفعل الجميع، وإنما يتسامح به إذا انفرد. إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك؛ فحكم التحريم ينسحب على الكل ، فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لا تنقص الملك. لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة فى التعليم تباح، ولكن بشرط الانفراد .

فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع. مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا، فإن فرض كون الظالم فى موضع غير مغصوب كالموات مثلا .

فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام، والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به، فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يعصى بالدخول من حيث إنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ، ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما فى سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هى آلة ظلمه. والتواضع للظالم معصية، بل من تواضع لغني ليس بظالم لأجل غناه لا لمعنى آخر اقتضى التواضع نقصا ثلثا دينه، فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام. فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لعالم، أو لمن يستحق ذلك بأمر دينى .

قبَّل أبو عبيدة بن الجراح ﷺ يد على ﷺ لما لقيه بالشام . فلم ينكر عليه، وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام والإعراض عنهم استحقارا لهم

وعد ذلك من محاسن القربات. فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لأن ذلك واجب. فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام ،

فلا يخلو من الجلوس على بساطهم ،وإذا كان أغلب أموالهم حراما ،فلا يجوز الجلوس على فرشهم. هذا من حيث الفعل ، فأما السكوت فهو أنه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير وأوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام . وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام، بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام، وجميع ما فى أيديهم حرام. والسكوت على ذلك غير جائز .فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله.

وإن قلت : إنه يخاف على نفسه، فهو معذور في السكوت. فهذا حق، ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتي يسقط عنه بالعذر، وعند هذا أقول من علم فسادا فى موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت، بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته .

وأما القول فهو أن يدعو للظالم، أو يثنى عليه، أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله ،أو بتحريك رأسه، أو باستبشار فى وجهه، أو يظهر له الحب والموالاة والاشتياق إلى لقائه، والحرص على طول عمره، وبقائه فإنه فى الغالب لا يقتصر على السلام ، بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصلحك الله، أو وفقك الله للخيرات ،أو طول الله عمرك في طاعته، أو ما يجري هذا المجرى. فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما فى معناه فغير جائز قال ﷺ : « **من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه** »

فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم وهذه ثلاث معاص .

وقد قال ﷺ : « **إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق** » .

وفى خبر آخر « **من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام** » فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة، فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه. كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه؛ والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة .

ولقد سئل سفيان رحمه الله عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية. هل يسقى شربة ماء فقال : لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له، وقال غيره يسقى إلى أن تؤوب إليه نفسه ثم يعرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه، فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق، وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ومحب المعصية والراضى بها عاص .

ومن أحب ظالما فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يبغضه، وكان الواجب عليه أن يبغضه وإن اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر وسيأتى فى كتاب الإخوة والمتحابين فى الله وجه الجمع بين البغض والحب، فإن سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه فى النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما نهى رسول الله ﷺ حيث قال : « **يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق** » (١٧٣٩) .

(١٧٣٩) حديث : قال رسول الله ﷺ : « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها=

وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات، « دعي سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال: لا والله لا يقتدي بي أحد من الناس فجلد مائة وألبس المسوح» (١٧٤٠) .

ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين :

أحدهما : أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام وعلم أنه لو امتنع أوذي أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتي لا تضطرب الولاية .

والثاني : أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول .

الحالة الثانية : أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرا فجواب السلام لابد منه وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه فإنه بإكرام العلم والدين مستحق

= مسخطة للرزق » **قال العراقي** : رواه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل وقال صحيح الإسناد.اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه الذهبي وقد رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي .

(١٧٤٠) حديث : « دعي ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب وأخرج من الباب الآخر قال لا والله لا يقتدى بك أحد من الناس فجلد مائة والبس المسوح». **قال العراقي** : رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح .اهـ.

وقال مرتضى: وحديث نهي عن بيعتين رواه الترمذي والنسائي في البيوع المنهية من حديث أبي هريرة بزيادة في بيعة .

للإحماد، كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد فالإكرام بالإكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى أن لا يقوم إن كان معه فى خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه .

وإن كان الداخل عليه فى جمع فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم، فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا فى الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى؛ ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب .

وأما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم، فإذا يجب عليه التعريف فى محل جهله والتخويف فيما هو مستجرئ عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم .

فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر وعن محمد بن صالح قال : « **كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له ما لى إذا رأيتك امتلأت منك رعبا** » (١٧٤١) .

(١٧٤١) حديث : عن محمد بن صالح قال: « كنت عند حماد بن سلمة فإذا ليس فى البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا عنده إذ دق الباب فإذا محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له : مالى إذا رأيتك امتلأت منك رعبا » . =

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم إنما بينى وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون فى اليوم وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته فى قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته فى القلب لا محالة.

والمعصية ينبغى أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلابد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك ، فإن قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا: ليس كذلك، فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله ، من لا يعرفه والمعرفة واجبة، والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه، وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة والرضا .

فإن قلت : فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم تعلم الدخول منهم فمن دخل فليكن كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال : من التابعين، فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام فغضب هشام غضبًا شديدًا حتى همّ بقتله فقيل له: أنت فى حرم الله

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم إنما بينى وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون فى اليوم وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته فى قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته فى القلب لا محالة.

والمعصية ينبغى أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلابد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك ، فإن قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب قلنا: ليس كذلك، فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله ، من لا يعرفه والمعرفة واجبة، والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه، وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة والرضا .

فإن قلت : فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم نعلم الدخول منهم فمن دخل فليكن كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال : من التابعين، فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام فغضب هشام غضبًا شديدًا حتى همّ بقتله فقيل له: أنت فى حرم الله

وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له: يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت قال: وما الذى صنعت؟ فازداد غضبا وغيظا، قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بإزائى بغير إذنى وقلت كيف أنت يا هشام. قال: أما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب علىّ وأما قولك لم تقبل يدى فإنى سمعت أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب ﷺ يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك: لم تسلم على بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكننى فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد : ١) .

وأما قولك جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين عليا ﷺ يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظنى فقال : سمعت أمير المؤمنين عليًا ﷺ يقول إن فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ثم قام وهرب .

وعن سفيان الثورى ﷺ قال : أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى فقال لى ارفع إلينا حاجتك فقلت له : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت : إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك فقلت : حج عمر بن الخطاب ﷺ فقال لخازنه: كم أنفقت، قال: بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج .

فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبى شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم، فقال له :

إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك وقال لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت.

ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله ﷺ وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عنه** » (١٧٤٣) .

ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال : أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : من أحمق من سلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعز ممن اعتز بي أيها الراعي السوء دفعت إليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع فقال له والي البصرة : أتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال: لا ، قال : قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما في أيدينا .

وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال : ما أكثر الناس فقال عمر: خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم .

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال : لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب فقال : يا أبا

(١٧٤٣) حديث : قال أبو ذر : « إن الرجل إذا ولى ولاية تباعد الله عز وجل منه». **قال العراقي:** لم أقف له على أصل .اهـ.

وقال مرتضى : ولكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي وما ازداد عبد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله بعداً وسنده صحيح ومن حديث عبيد بن عمير عند هناد بن السري ومن تقرب من ذي سلطان ذراعا تباعد الله عنه باعا وكل ذلك قد تقدم .

حازم كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال ليت شعرى ما لى عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار : ١٣ ، ١٤) .

قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين ثم قال سليمان : يا أبا حازم أى عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو قال فأى المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر قال رجل خطا فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره وقال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أوتعفينى قال لابد فإنها نصيحة تلقيها إلىَّ قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئسما قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران : ١٨٧) .

قال: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله فتضعه فى حقه ، فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال : من يطلب الجنة ويخاف من النار ، فقال سليمان : ادع لى ، فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصنى فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك وقال عمر بن عبد العزيز لأبى حازم عظنى فقال : اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة .

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته ، فإن وراءه ما تحب إن قبلته ، فقال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه ، فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين إنه قد تكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعا وفي الأمة خسفا وعسفا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان : يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال : أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك .

وحكي أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أثرك طالب لا تفوته ، وقد نصب لك علما لا تجوزه ، فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعني علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى .

أحدهما : أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة، وتحصيل المعرفة عندهم

وعلامة الصدق فى طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه فى العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغى أن يفرح به ويشكر الله تعالى كفايته هذا المهم كمن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فإن كان يصادف فى قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور .

الثانى : أن يزعم أنى أقصد الشفاعة لمسلم فى دفع ظلامة وهذا أيضا مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذ ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم فى الأحوال العارضة فى مخالطة السلاطين، ومباشرة أموالهم مسائل .

مسائل :

مسئلة : إذا بعث إليك السلطان مالاً لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعص بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه، فعند هذا ينظر فى الأولى . فنقول الأول أن تأخذه إن أمنت **ثلاث غوائل** :

الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ولا تدخله فى ضمانك فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يفى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام .

الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك فى الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعى ﷺ على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة ، فالمقتدى والمتشبه به ينبغى أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير .

وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل له فى ذلك

فقال إن الناس قد اعتقدوا أنى طولبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون ، ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحجاج وكان عاملاً وكان فى غداة باردة فى مجلس بارز فقال لغلامه : هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبى عبد الرحمن أى طاوس وكان قد قعد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال : نعم لولا أن يقول من بعدى : إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذًا لفعلت.

الغائلة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى ما يحبب الظلمة إليك فإن من أحببته لابد أن تحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة ﵂ جبلت النفوس على حب من أحسن إليها . وقال عليه السلام : « **اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدًا فيحبه قلبى** » (١٧٤٤) .

بيَّن ﷺ أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ماصنعت بما أعطاك هذا المخلوق قال سل أصحابى فقالوا أخرجه كله فقال أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم .

(١٧٤٤) حديث : قال رسول الله ﷺ : «اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى» . **قال العراقى**: رواه ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة .اهـ.

قال مرتضى : ويروي اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة يرعاه بها قلبى .

قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ (هود : ١١٣) .

قيل لا ترضوا بأعمالهم فإن كنت فى القوّة بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ.

وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال لو أخذ رجل بيدى وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبى لأن الذى سخره للأخذ بيدى هو الذى أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره إياه .

وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل .

مسئلة : إن قال قائل: إذا جار أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه وليس هذا كما لو بعثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك .

ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء فى ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء فى الذمة أو غيره وجب الرد عليه، فإذا لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن أودع عنده ولا يجوز إنكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا إدعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوي .

مسئلة : المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وإنما الخلاف فى الصحة

وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى فى عينه من الأموال وفى معناه بيع الفرس منهم لا سيما فى وقت ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهى محظورة .

فأما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجرى مجراها مما لا يعصى فى عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم ، لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب وهذه الكراهة جارية فى الإهداء إليهم وفى العمل لهم من غير أجرة حتى فى تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب .

وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة، فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشترى لهم فى الأسواق من غير جعل أو أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة، وإن أشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للفرش واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة .

مسئلة : الأسواق التى بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعى لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها .

فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثيراً لكراء حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التى لا خراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضى التى لهم عليها الخراج فإنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا غلو فى الدين وحرج على المسلمين، فإن الخراج قد عم الأراضى ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها، وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش .

مسألة : معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زى العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق إليهم .

وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من الغصب الصريح ولا يقع فى أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس: لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال ﷺ : « **لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم تمالئ قراؤها أمراءها** » (١٧٤٥) .

وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء ؛ وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم فهى محدثة بعدهم؛ وقد قال سفيان لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض، وقد صدق ، « **فإن رسول الله ﷺ لعن فى الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر** » (١٧٤٦) .

(١٧٤٥) حديث : قال ﷺ : « لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالىء قراؤها أمراءها» **قال العراقى :** رواه أبو عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على وابن عمر بلفظ ما لم يعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها وإسندهما ضعيف . اهـ.

(١٧٤٦) حديث : « أن النبى ﷺ لعن فى الخمر عشرة حتى لعن العاصر والمعتصر » . **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث أنس وقال الترمذى حديث غريب . اهـ.

وقال مرتضى : وأخرجه من طريق علقمة وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أنهما سمعا ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وأخرجه ابن ماجه كذلك إلا أنه قال وأبى طعمة بدل ابن علقمة وهو فى مسند الإمام أبى حنيفة عن حماد عن سعيد بن=

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ » (١٧٤٧) .

«وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله ﷺ » (١٧٤٨) .

= جبير عن ابن عمر قال لعنت الخمر وعاصرها ومعتصرها وساقيها وشاربها وبائعها ومشتريها وقد رواه أيضا الحاكم والبيهقي ورواه ابن ماجه من حديث أنس ورواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي السائب ورواه أيضا أحمد وابن ماجه والبيهقي مثل رواية الإمام بلفظ لعنت الخمر على عشرة وجوه لعنت بعينها وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها ورواه الطبراني كذلك من حديث ابن مسعود ومن حديث ابن عمرو نحوه .

(١٧٤٧) حديث : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ » . **قال العراقي :** رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهده ولأبي داود لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه وقال الترمذي: وصححه وابن ماجه وشاهديه .اهـ.

وقال مرتضى : رواه مسلم من طريق مغيرة قال سأل شباك إبراهيم فحدثنا عن علقمة عن عبد الله قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله قال قلت وكاتبه وشاهده فقال إنما نحدث بما سمعنا وأما أبو داود فقد أخرجه من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ورواه الطبراني بلفظ لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بلفظ لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه .

(١٧٤٨) حديث : عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومتعامليه » .

قال العراقي : أما حديث جابر فأخرجه مسلم بلفظ لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد كذلك .

ثم قال العراقي : وأما حديث عمر فقد أشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولابن ماجه من حديثه أن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله ﷺ مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه .اهـ.

قال مرتضى : وفي الباب عن علي رضي الله عنه أخرجه أحمد والنسائي بلفظ لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه ومانع الصدقة وعند البيهقي من حديثه بلفظ لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له .

وقال ابن سيرين : لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة فى زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم فى الله جميعا .

روى عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال : أين الطريق فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معينا . وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم، بل مع الكفار من أهل الذمة وإنما هذا فى الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على إيذاء المسلمين، الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها .

وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله؛ وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فإنما يغلظ أمرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدى يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابًا ومن معاملتهم احترازًا فقد قال ﷺ : « **يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار** » (١٧٤٩) .

وقال ﷺ : « **من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر** » (١٧٥٠) .

(١٧٤٩) حديث : قال ﷺ : « يقال للشرطى دع سوطك وادخل النار » ، **قال العراقى :** رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وعند الحاكم من حديث أبى هريرة يقال لرجال يوم القيامة اطرحوا سياطكم وادخلوا جهنم وعند الديلمى من حديث عبد الرحمن بن سمرة يقال للجواز يوم القيامة ضع سوطك وادخل النار .

(١٧٥٠) حديث : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر » . **قال العراقى :** رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبى إمامة يكون فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر . . . . الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك أن طالت بك مدة أن ترى قوما فى أيديهم مثل أذناب البقر وفى رواية له صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر . اهـ.

=

فهـذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عـرف ومن لم يعرف فعـلامته القبـاء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة . فمن رؤى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذى جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ، ولا يتجانن إلا مجنون ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق .

نعم الفاسق قـد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح ، فـأما الصالح فليس له أن يتـشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثيـر لسوادهم ، وإنما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (النساء : ٩٧) فى قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة.

وقد روى أن اللـه تعالى أوحى إلى يوشع بن نون أنى مـهلك من قومك أربعين ألـفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقـال ما بال الأخيار قـال : إنهم لا يغضبون لغـضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب.

وروى ابن مسعود عن النبى ﷺ : « **أن الله لعن علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معاشهم** » (١٧٥١) .

= **وقال مـرتضى:** وتمام حديث أبى إمامة يغدون فى سخط الله ويروحون فى غضبه ورواه كذلك أحـمد وتمام حـديث أبى هريرة بعد قـوله كأذناب البـقر يضـربون بها النسـاء ونساء كاسيات عـاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمـة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وكذلك رواه أحمد .

(١٧٥١) حديث : عن ابن مـسعود عن النبى ﷺ : « لعن علماء بنى إسـرائيل إذا خالطوا » الظالمين «فى معايشهم» . **قال العراقى :** روى أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود قال : قـال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسـرائيل فى المعاصى نهتـهم علماؤهم فلم ينتهـوا فجالسوهم فى مـجالسهم وواكلوهم وشاربـوهم فضرب الله قلوب بعضـهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم » لفظ الترمذى وقال حسن غريب . اهـ.

قال مرتضى: ورواه أحمد كذلك ولفظهم بعد قوله عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لا والذى نفسى بيده حتى ناظروهم على الحق.

مسـئلـة : المواضع التى بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغى أن يحتاط فيها وينظر ؛ أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد عنه معدلا تأكد الورع وإنما جوّزنا العبور وإن وجد معدلا لأنه إذا لم يعرف لتلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير .

فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلا إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذى يعرفه. وأما المسجد فإن بنى فى أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلا ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام ، وليقف خارج المسجد فإن الصلاة فى الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد فى حق الاقتداء .

فلذلك جوّزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى فى الأرض المغصوبة ، وإن عصى صاحبه بالوقوف فى الغصب ، وإن كان من مال لا يعرف مالكه ، فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به. لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذى بناه ولو على بعد ، وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين.

ومهما كان فى المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلى فيه مع اتساع المسجد . أعنى فى الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك فى ترك الخروج إلى الصلاة فى جماعة ونحن بالعسكر فقال : حجتى إن الحسن وإبراهيم التيمى خافا أن يفتنهما الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضا. وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به فى الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التى فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها ، وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها ، ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة .

وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة ، وأما الرباطات والمدارس فإن

كانت رقبة الأرض مغصوبة أو الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه، فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد، إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم. إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر .

مسئلة : الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعا لم يجز أن يتخطى فيه البتة، وإن لم يكن له مالك معين جاز ، والورع العدول إن أمكن ، فإن كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه إلى السقف . كما يقف فى الشارع لشغل فإذا انتفع بالسقف فى دفع حر الشمس أو المطر أو غيره، فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك .

وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوّط بغصب، فإنه بمجرد التخطى لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة فى الحيطان والسقف لحر أو برد أو تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع والأرض ترد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

* * *

الباب السابع

فى مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها فى الفتاوى

مسئلة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو نقداً ويشترى به طعاما؛ فمن الذى يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا ؟ فقلت : أما الصوفية فلا شبهة فى حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ، ولكن لا يخلو عن شبهة . أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية ، فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب عياله ، لأنه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكه لا للعيال وله أن يطعم غير العيال .

إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ، ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لأن ذلك مصير إلى أن المعاطاة لا تكفى ، وهو ضعيف ثم لا صائر إليه فى الصدقات والهدايا ، ويبعد أن يقال : زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله فى الخانقاه . إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من تقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو أحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه .

ولا يمكن أن يقال : إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق . لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف . فإن الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة . وإنما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائبا عن الجهة ، فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه ، وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوّف والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه فى معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه، كما ينقطع عمن مات عياله .

مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية ؛ فمن الذى يجوز أن يصرف إليه فقلت : التصوّف أمر باطن لا يطلع عليه ، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته ، بل بأمور ظاهرة يعوّل عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفى ، والضابط الكلى أن كل من هو بصفة إذا نزل فى خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم. فهو داخل فى غمارهم .

والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات : الصلاح والفقر وزى الصوفية، وأن لا يكون مشتغلا بحرفة ، وإن يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة فى الخانقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم ، وبعضها ينجبر بالبعض ، فالفسق يمنع هذا الاستحقاق . لأن الصوفى بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة؛ فالذى يظهر فسقه وإن كان على زيهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية، ولسنا نعتبر فيه الصغائر .

وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق. فالدهقان والعامل والتاجر والصانع فى حانوته أو داره والأجير الذى يخدم بأجره . كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ، ولا ينجبر هذا بالزى والمخالطة . فأما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها ؛ فإذا تعاطاها لا فى حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة . فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات .

وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع . وأما الوعظ والتدريس فلا ينافى اسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزى والمساكنة والفقر . إذ لا يتناقض أن يقال صوفى مقرئ وصوفى واعظ وصوفى عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال : صوفى دهقان وصوفى تاجر وصوفى عامل .

وأما الفقر ؛ فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة . فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية ، وإن كان له مال ولا يفى دخله بخرجه لم يبطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج . وهذه أمور لا دليل لها

إلا العادات وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر. ولكن من لا يخالطهم وهو في داره أو في مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم ، وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزى .

فإن لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات، فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط ، فينسحب عليه حكمهم بالتبعية . فالمخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقيه الذى ليس علي زيهم هذا حكمه ، فإن كان خارجا لم يعد صوفيا. وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم .

وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم؛ فلا يشترط ذلك في الاستحقاق؛ وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة . وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .

مسئلة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه؛ فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به، لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم فلغير الصوفى أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين . فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة . وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف ، وكان ذلك من مصالح معايشهم .

وما أوصى للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف، وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم؛ يحل لهم الأكل برضاهم ،فإن الواقف لا يقف إلا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل علي العرف ولكن ليس هذا على الدوام . فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ؛ ويأكل وإن رضوا به . إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم .

وأما الفقيه؛ إذا كان على زيهم وأخلاقهم فله النزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا، والجهل ليس بشرط فى التصوف عند من يعرف التصوّف، ولا يلتفت إلي خرافات بعض الحمقى بقولهم : إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب، وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة فى كتاب العلم وإن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود، وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما .

وأما الفقيه ؛ إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم . فلهم منعه من النزول عليهم، فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية، فكان عدم الزى تجبره المساكنة، ولكن برضا أهل الزى وهذه أمور تشهد لها العادات ، وفيها أمور متقابلة لايخفى أطرافها فى النفى والإثبات ، ومتشابه أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه . كما نبهنا عليه فى أبواب الشبهات .

مسألة : سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية؛ مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض . وقد حرمت إحداهما دون الأخرى . فقلت : باذل المال لا يبذله قط إلا لغرض ، ولكن الغرض إما آجل كالثواب ، وإما عاجل . والعاجل؛ إما مال وإما فعل وإعانة علي مقصود معين ، وإما تقرب إلي قلب المهدى إليه بطلب محبته إما للمحبة فى عينها وإما للتوصل بالمحبة إلي غرض وراءها. فالأقسام الحاصلة من هذه **خمسة :**

الأول : ما غرضه الثواب فى الآخرة ؛ وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجا، أو عالما ، أو منتسبا بنسب دينى أو صالحا فى نفسه متدينا. فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجا . وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب فى دعوى النسب . وما يعطى لعلمه فلا يحل له أن يأخذه؛ إلا أن يكون فى العلم كما يعتقده المعطى .

فإن كان خيل إليه كمالا فى العلم حتى بعثه بذلك على التقرب، ولم يكن كاملا لم يحل له ، وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقا فى الباطن فسقا لو علمه المعطى ما أعطاه ، وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه؛ وإنما ستر الله الجميل هو الذى يحبب الخلق إلى الخلق . وكان المتورعون يوكلون فى الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتسامحوا فى المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلا بالدين ، فإن ذلك محظر والتقى خفى لا كالعلم والنسب والفقر. فينبغى أن يجتنب الآخذ بالدين ما أمكن .

الثانى : ما يقصد به فى العاجل غرض معين ، كالفقير يهدى إلى الغنى طمعا فى خلعته . فهذه هبة بشرط الثواب لا يخفى حكمها، وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود .

الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين ، كالمحتاج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصته ، ومن له مكانة عنده . فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب .

فإن كان حراما ؛ كالسعى فى تنجيز إدرار حرام، أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ ، وإن كان واجبا ، كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة، فيحرم عليه ما يأخذه ، وهى الرشوة التى لا يشك فى تحريمها . وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما، وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه . فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض ، وهو جار مجرى الجعالة ، كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار ، وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم ، أو قال اقترح علي فلان أن يعيننى فى غرض كذا أو ينعم على بكذا ، وافتقر فى تنجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدى القاضى، فليس بحرام إذا كان لا يسعى فى حرام ، وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ،

ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه تفيد كقوله للبواب : لا تغلق دونه باب السلطان ، أو كوضعه قصة بين يدى السلطان فقط ، فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ، ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك ، بل ثبت ما يدل على النهى عنه كما سيأتى فى هدايا الملوك .

وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة ، والرد بالعيب ودخول الأغصان فى هواء الملك ، وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة ، فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته ، كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير ، أو غيره فلا يذكره إلا بعوض ، فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم ، كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ، ولا على علمه. إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ، ودون هذا الحاذق فى الصناعة ، كالصيقل مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ، ولحذقه بإصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والمرآة . فهذا لا أرى بأسًا بأخذ الأجرة عليه ، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ، ليكتسب بها، ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه لا لغرض معين ، ولكن طلبا للاستئناس، وتأكيدا للصحبة، وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ، ومندوب إليه فى الشرع . قال ﷺ : « **تهادوا تحابوا** »(١٧٥٢) .

(١٧٥٢) حديث : قال ﷺ : « تهادوا تحابوا ». **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والطيالسي والبخارى فى الأدب والترمذى والنسائى فى الكنى وأبو يعلى فى معجمه وإسناده جيد ورواه البيهقى فى الشعب من طريق ضمام عن=

وعلى الجملة؛ فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة ، بل لفائدة فى محبته ، ولكن إذا لم تتبين تلك الفائدة ، ولم يتمثل فى نفسه غرض معين يبعثه فى الحال أو المآل ، سمى ذلك هدية وحل أخذها.

الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه ، وتحصيل محبته لا لمحبته ؛ ولا للأنس به، من حيث أنه أنس فقط ، بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها، وإن لم ينحصر عينها، وكان لولا جاهه وحشمته، لكان لا يهدى إليه .

فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب ، فالأمر فيه أخف . وأخذه مكروه ؛ فإن فيه مشابهة الرشوة، ولكنها هدية فى ظاهرها. فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء ، أو

= موسى بن وردان عن أبى هريرة وعند ابن عساكر فى التاريخ بزيادة وتصافحوا يذهب الغل عنكم وهو عند ابن عدى فى ترجمة ضمام وفى لفظ للترمذى وتهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر وهكذا رواه أيضا وهو من طريق أبى معشر عن سعيد عن أبى هريرة وقال الترمذى غريب وفى الميزان أبو معشر المدنى تفرد به وهو ضعيف جدا وفى الباب عن عائشة وعبد الله بن عمرو وأم حكيم بنت وادع وأنس وعبد الله بن عمر وعطاء الخراسانى مرسلا أما حديث عائشة فأخرجه الطبرانى فى الأوسط والحربى فى الهدايا والعسكرى فى الأمثال والقضاعى وابن عساكر من طريق عبيد الله بن العيزار عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عنها بزيادة وهاجروا تورثوا أبناءكم مجدا وأقيلوا الكرام عثراتهم لفظ الطبرانى ولبعضهم تزدادوا حبا ورواه الطبرانى فى الأوسط من طريق عمرة بنت ارطأة سمعت عائشة تقول ، قال رسول الله ﷺ يا نساء المؤمنين تهادين ولو بفرسن شاة فإنه يثبت المودة ويذهب الضغائن وللقضاعى من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها مرفوعا تهادوا فإن الهدية تذهب بالضغائن وأما حديث عبد الله بن عمر فأخرجه الحاكم فى علوم الحديث من وجه آخر عن ضمام عن أبى قبيل عنه وأما حديث أم حكيم فأخرجه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير والديلمى بلفظ تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب الغوائل وفى رواية بغوائل الصدر وفى لفظ تزيد فى القلب حبا وأخرجه البيهقى فى الشعب قال الهيتمى وفى الإسناد من لم يعرف وأما حديث أنس فله طرق منها عند الطبرانى فى الأوسط من حديث عائذ بن شريح عنه مرفوعا يا معشر الأنصار تهادوا فإن الهداية تسل السخيمة وتورث المحبة وفى لفظ للحربى تهادوا فإن الهدية قلت أو كثرت تورث المودة وتسل السخيمة وعند الديلمى بلا سند عن أنس رفعه عليكم بالهدايا فإنها تنشىء المودة وتذهب بالضغائن وأما حديث ابن عمر فذكره الأصبهانى فى الترغيب والترهيب وأما مرسل عطاء الخراسانى فأخرجه مالك فى الموطأ بلفظ تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء وهو جيد .

عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى إليه . فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية .

إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة . ولكن الأمر ينحصر فى جنسه، إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات ، لا يخفى وآية أنه لا يبغى المحبة أنه لو ولى فى الحال غيره لسلم المال إلي ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة.

واختلفوا فى كونه حراما ، والمعني فيه متعارض فإنه دائر بين الهدية المحضة، وبين الرشوة المبذولة فى مقابلة جاه محض فى غرض معين . وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما؛ تعين الميل إليه . وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر فى ذلك قال ﷺ : « **يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرىء لتوعظ به العامة** »(١٧٥٣)

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ، ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة، فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا فى معرض العوض شفع مسروق شفاعة، فأهدى إليه المشفوع له جارية، فغضب وردها . وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ، ولا أتكلم فيما بقى منها .

وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال: سحت ، وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال، وقال إنما أعطيتما لمكانكما منى . إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية .

وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتها بجوهر، فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه، وأعطاها ثمن خلوقها، ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين.

(١٧٥٣) حديث: قال ﷺ : « يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرئ ليوعظ به العامة » . **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .

وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما : «**هدايا الملوك غلول**»(١٧٥٤) .

ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له : « **كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية**»(١٧٥٥) .

(١٧٥٤) حديث : « هدايا الملوك غلول » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وظاهر سياقه أنه موقوف عليهما وقد روى مرفوعا من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو سعيد النقاش والرافعي في تاريخ قزوين بلفظ هدايا الأمراء غلول وإسناده ضعيف وأخرجه ابن جرير في التفسير بلفظ هدية الأمراء غلول وروى أيضا من حديث أبي هريرة مرفوعا أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف بلفظ هدايا الأمراء غلول وأخرجه أبو سعيد النقاش في كتاب الفرق بين القضاة العادلة والجائرة من طريق النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين عنه وإسناده أيضا ضعيف قاله السبكي ولعله يعني من بين النقاش وابن سهيل كأحمد بن عمار أو محمد بن قطني أو غيرهما والله أعلم وفي الباب عن ابن عباس وحذيفة وعبد الله بن سعد وأبي سعيد الخدري وأبي حميد الساعدي أما حديث ابن عباس فأخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ هدايا الأمراء غلول وإسناده ضعيف قاله ابن حجر وأما حديث حذيفة فأخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ هدايا العمال حرام كلها وأما حديث عبد الله بن سعد فأخرجه ابن عساكر بلفظ هدايا السلطان سحت وغلول وأما حديث أبي سعيد فأخرجه الطبراني في الأوسط وأبو سعيد النقاش في الكتاب المذكور من طريق أبان بن أبي عياش عن أبي نضرة عنه وسنده أيضا ضعيف لا تقوم به حجة قاله السبكي وأما حديث أبي حميد فقد أخرجه أحمد والبزار وابن عدي والطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو سعيد النقاش قال البزار حدثنا محمد ابن عبد الرحيم حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ هدايا العمال غلول قال ورواه إسماعيل بن عياش مختصرا ووهم فيه وإنما هو عن الزهري عن عروة عن أبي حميد أن النبي ﷺ بعث رجلا على الصدقة يعني حديث ابن اللتبية المشهور وقال أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيي بن سعيد عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال هدايا العمال غلول وقال النقاش في الكتاب المذكور أخبرنا محمد بن نصر المؤدب حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة عن حميد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ هدايا الأمراء غلول وهذه الروايات كلها عن إسماعيل بن عياش وهو فيما يروى عن غير الشاميين ضعيف وقد نص البزار على خطأ إسماعيل فيها .

(١٧٥٥) حديث : « كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية » . **قال العراقي** : رواه البخاري من حديث عائشة . اهـ.

وقال مرتضى : ولكن بزيادة ويثيب عليها هكذا رواه البخاري في الهبة وكذا رواه أحمد وأبو داود في البيوع والترمذي في البر وسيأتي للمصنف بزيادة ولو جرعة لبن أو فخذ أرنب وقول العراقي : وفي الصحيحين ما هو في معناه.

فقال: «كان ذلك هدية وهو لنا رشوة» (١٧٥٦) .

أى كان يتقرب إليه لنبوّته لا لولايته ، ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدى : « **أن رسول الله ﷺ بعث واليا علي صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه ، وقال : هذا لكم وهذا لى هدية ، فقال عليه السلام: ألا جلست فى بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ، ثم قال: ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ، ألا جلس فى بيت أمه ليهدى له ، والذى نفسى بيده ، لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله ، فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة تيّعُر ، ثم رفع يديه حتى رأَيْتُ بياض أبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت** » (١٧٥٧) .

(١٧٥٦) حديث : قال ﷺ : « كانت له هدية ولنا رشوة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وذكره البخارى فى كتاب الهبة فى باب من لم يقبل الهدية لعله فقال وقال عمر بن عبد العزيز كانت الهدية فى زمن رسول الله ﷺ هدية واليوم رشوة ثم ذكر حديث الصعب بن جثامة فى هدية الصيد ثم ذكر حديث ابن اللتبية.

(١٧٥٧) حديث : أبى حميد الساعدى « أن رسول الله ﷺ بعث واليا إلى صدقات الأزد فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى » **قال العراقى** : متفق عليه من حديثه .

قال مرتضى : ولفظه : « أن رسول الله ﷺ بعث واليا » وهو عبد الله بن اللتبية « إلى صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه فقال هذا مالكم وهذا لى هدية فقال رسول الله ﷺ الا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم قال ما لى استعمل الرجل منكم فيقول هذه لكم وهذه هدية لى ألا جلس في بيت أمه فيهدى له والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا أتى به يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيّعُر ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه وقال اللهم هل بلغت » أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سالم بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا أبو يحيى الأنصارى أخبرنا أبو الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى أخبرنا إبراهيم بن أحمد التنوخي أخبرنا أحمد بن أبى طالب أخبرنا ابن الزبيدى أخبرنا أبو الوقت أخبرنا الداودى أخبرنا الحمهوى أخبرنا الفربرى حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى قال باب هدايا العمال حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهرى أنه سمع عروة قال أخبرنا أبو=

وإذا ثبتت هذه التشديدات ، فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه . فما كان يعطي بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه . وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه إنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهوشبهة فليجتنبه .

تم كتاب (آداب الحلال والحرام) بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم

ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب (آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة)



= حميد الساعدي قال استعمل النبي ﷺ رجلا من بني أسد يقال له ابن اللتبية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى إليَّ فقام النبي ﷺ على المنبر قال سفيان أيضا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ألا هل بلغت ثلاثا هذا الحديث متفق عليه وبوّب البخاري عليه في موضع آخر باب محاسبة الإمام عماله وفيه فهلا جلست في بيت أبيك وأمك فتأتيك هديتك إن كنت صادقا وفيه فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئا بغير حقه إلا جاء الله يحمله يوم القيامة وكلا البابين في البخاري في كتاب الأحكام وذكره مرة ثالثة في كتاب الهبة كما تقدمت الإشارة إليه .

[illegible]

* * *

[illegible]

كتاب آداب الألفة
والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى

وفيه ثلاثة أبواب هى :

الباب الأول : فى فضيلة الألفة والإخوة فى الله تعالى، وشروطها، ودرجاتها وفوائدها .

الباب الثانى : فى حقوق الصحبة وآدابها، وحقيقتها ولوازمها .

الباب الثالث : فى حق المسلم والرحم والجوار، والملك وكيفية المعاشرة، مع من قد بلى بهذه الأسباب .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الألفة والإخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق

وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثانى

الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا ، وألف بين قلوبهم ،فأصبحوا بنعمته إخوانا ، ونزع الغل من صدورهم، فظلوا فى الدنيا أصدقاء وأخدانا ، وفى الآخرة رفقاء وخلانا ، والصلاة على محمد المصطفى، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا، وعدلا وإحسانا .

أما بعد : فإن التحاب فى الله تعالى، والإخوّة فى دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات ، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى، وفيها حقوق بمراعاتها، تصفو الأخوّة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى، ونحن نبيّن مقاصد هذا الكتاب فى **ثلاثة أبواب** :

الباب الأول : فى فضيلة الألفة والإخوة فى الله تعالى ، وشروطها ودرجاتها وفوائدها .

الباب الثانى : فى حقوق الصحبة وآدابها، وحقيقتها ولوازمها .

الباب الثالث : فى حق المسلم والرحم والجوار، والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

الباب الأول

فى فضيلة الألفة والأخوة وفى شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلـة الألفة والإخوة : اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتـفرق ثمرة سوء الخلق . فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتـوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر . ومهما كان المثمر مـحمودا، كانت الثمرة محمودة؛ وحسن الخلق لا تخفى فى الدين فضيلته وهو الذى « **مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال :** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) » (١٧٥٨) .

وقال النبى ﷺ : « **أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله وحسن الخلق** »(١٧٥٩) .

(١٧٥٨) حديث : « مدح الله سبحانه نبيه ﷺ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قال مرتضى : أغـفله العراقى وأخرج ابن مردويه وأبو نعـيم فى الدلائل والواحدي من حديث عائشة ﵂ قـالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسـول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيتـه إلا قال لبيك فلذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وأخرج ابن أبى شيـبة وعبد بن حـميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابـن مردويه من حديث سعد بن هشـام ﵁ قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخـبرينى بخلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وأخرج ابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى فى الدلائل عن عطية العوفى فى قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قال أدب القرآن وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قال القرآن وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال الدين وأخرج عبد بن حـميد عن ابن مالك قال الإسلام وأخـرج عبد بن حميد عن ابن ابزى وسـعيد بن جبير قالا على دين عظيم .

(١٧٥٩) حديث : قال النبى ﷺ : « أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق » . **قال العراقى:** رواه الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم . اهـ.

وقال أسامة بن شريك : « قلنا يا رسول الله: ما خير ما أعطى الإنسان فقال: خلق حسن»(١٧٦٠) .

وقال ﷺ : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق »(١٧٦١) .

وقال ﷺ : « أثقل ما يوضع فى الميزان، خلق حسن »(١٧٦٢) .

وقال ﷺ : « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه ، فيطعمه النار »(١٧٦٣) .

(١٧٦٠) حديث : قال أسامة بن شريك : « يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال حسن خلق» **قال العراقى :** رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .اهـ.

قال مرتضى : وفى بعض النسخ : قلنا يا رسول الله ، وفيه : فيقال حسن الخلق .

(١٧٦١) حديث : قال ﷺ : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». **قال العراقى :** رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبى هريرة انتهى .

وقال مرتضى : لكن لفظهم جميعا إنما بعثت قال الحافظ السخاوى أورده مالك فى الموطأ بلاغا عن النبى ﷺ وقال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة مرفوعا منها ما أخرجه أحمد فى مسنده والخرائطى فى أول المكارم من حديث محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ورجاله رجال الصحيح .

وقال مرتضى : وكذلك رواه ابن سعد فى الطبقات والبخارى فى الأدب المفرد ثم قال السخاوى وللطبرانى فى الأوسط بسند فيه عمر بن إبراهيم القرشى وهو ضعيف عن جابر مرفوعا إن الله بعثنى بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال ومعناه صحيح وقد عزاه الديلمى لأحمد بن معاذ وما رأيته فيه انتهى.

(١٧٦٢) حديث : قال ﷺ : « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن » **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .اهـ.

قال مرتضى : وفى بعض النسخ أثقل شئ فى الميزان الخلق الحسن.

(١٧٦٣) حديث : قال ﷺ : « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار ». **قال العراقى:** رواه ابن عدى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وفى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة قال ابن عدى فى إسناده بعض النكرة انتهى .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة ﷺ : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال : تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك» (١٧٦٤) .

= **وقال مرتضى :** وكذلك ابن عساكر كلهم من طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن يزيد النكرى عن ابن غسان محمد بن مطرف المسمعى عن داود بن فداهيج عن أبي هريرة بزيادة أبدا فى آخر الحديث وفى الميزان داود بن فداهيج ضعيف وقال ابن عدى لا أرى بمقدار ما يرويه بأسا وله حديث فيه نكرة ثم ساق له هذا الخبر انتهى وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وتعقبه الجلال السيوطى فإنه ورد من طريق آخر وذكر المسلسل بالاتكاء كما سيأتي ذكره .

وقال مرتضى : وقد روى من حديث ابن عمر ومن حديث عائشة ومن حديث الحسن ابن على ومن حديث أنس أما حديث ابن عمر فأخرجه ابن عدى ولفظه ما حسن الله خلق عبد وخلقه فاطعم لحمه النار وأما حديث عائشة فأخرجه الشيرازى فى الألقاب ولفظه ما حسن الله وجه امرئ مسلم فيريد عذابه وأما حديث الحسن بن علي فأخرجه الخطيب فى التاريخ ولفظه ما حسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن تطعم النار لحمه وطرق هذه الألفاظ كلها ضعيفة لكن تقوى بتعددها وتكثرها وأما حديث أنس فأخرجه الخطيب أيضا وقال السيوطي قال السلفى قرأت على الفتح الغزنوى وهو متكئ قرأت على حمزة بن يوسف وهو متكئ قرأت على على بن محمد وهو متكئ قرأت على الحسن بن الحجاج الطبرانى وهو متكئ قرأت على ابن العلاء الكوفى وهو متكئ قرأت علي عاصم بن على وهو متكئ قرأت على الليث بن سعد وهو متكئ قرأت على بكر بن الفرات وهو متكئ قرأت على أنس بن مالك وهو متكئ قال ، قال رسول الله ﷺ ما حسن الله خلق رجل ولا خلقه فتطعمه النار حديث غريب التسلسل ورجاله ثقات هذا كلام السيوطى .

وقال مرتضى : أخرجه الحافظ بن ناصر الدين الدمشقى في مسلسلاته عن أبى بكر محمد بن عبد الله الحافظ إجازة عن أبى الفتح القرشى عن أبى ظافر عن السلفى بشرط التسلسل ثم قال رواه مسلسلا كذلك أبو على الحسن بن على البردعى عن أبى بكر محمد ابن عدى بالبصرة عن الحسن بن الحجاج الطبرانى به تابعهما أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن الحسين بن حسنويه فرواه مسلسلا عن أبى على الحسن بن الحجاج بن غالب الطبرى به .

(١٧٦٤) حديث : قال ﷺ : « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق » قال أبو هريرة ﷺ : « وما حسن الخلق » يا رسول الله ؟ « قال : تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك » **قال العراقى :** رواه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن أبى هريرة ولم يسمع منه انتهى .

قال مرتضى : هكذا قاله عبد الرحمن بن أبى حاتم عن أبيه فى ترجمة الحسن أنه لا يصح له سماع من أبى هريرة .

ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة، وانقطاع الوحشة، ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف، وقد ورد فى الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع، قال الله تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وقال: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣). أى بالألفة، ثم ذم التفرقة وزجر عنها.

فقال عز من قائل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

إلى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وقال ﷺ: « **إن أقربكم منى مجلسا، أحاسنكم أخلاقا، الموطؤن أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون** » (١٧٦٥).

وقال ﷺ: « **المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف** » (١٧٦٦).

(١٧٦٥) حديث: قال ﷺ: «إن أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويُؤلفون» **قال العراقى**: رواه الطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف. اهـ.

وقال مرتضى: ورواه البيهقى عن ابن عباس بلفظ خياركم أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا وشراركم الثرثارون ويروى فى حديث جابر أيضا بلفظ أحبكم إليّ وأقربكم منى مجلسا وفى آخر وأبغضكم إليّ وأبعدكم منى أساويكم أخلاقا.

(١٧٦٦) حديث: قال ﷺ: «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» **قال العراقى**: رواه أحمد والطبرانى من حديث سهل بن سعد والحاكم من حديث أبى هريرة وصححه. اهـ.

وقال مرتضى: اخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق صخر عن أبى حازم عن أبى هريرة وقال إنه صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة وتعقبه الذهبى فإن أبا حازم هو المدنى لا الأشجعى وهو لم يلق أبا هريرة ولا لقيه أبو صخر. اهـ. وقال الحافظ السخاوى وقد=

وقال ﷺ في الثناء على الأخوة في الدين : « من أراد الله به خيرا، رزقه خليلا صالحا ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه » (١٧٦٧) .

وقال ﷺ : « مثل الأخوين إذ التقيا، مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا » (١٧٦٨) .

= رواه العسكرى من طريق الزبير بن بكار عن خالد بن وضاح عن أبي حازم بن دينار فقال عن أبى صالح عن أبى هريرة بل هو عند البيهقى فى الشعب والقضاعى والعسكرى من حديث عبد الملك بن أبى كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر مرفوعا بلفظ المؤمن آلف مالوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس وليست الجملة الأخيرة منه عند العسكرى انتهى .

وقال مرتضى : وقد رواه هكذا بتمامه الدارقطنى فى الإفراد والضياء فى المختارة .

(١٧٦٧) حديث : قال ﷺ فى الثناء على الإخوة فى الدين : « من أراد الله به خيرا رزقه أخًا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه » وفى نسخة القوت : خليلاً صالحًا . **قال العراقى :** وقال هو غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك فى الأمير رواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه .... الحديث ضعفه ابن عدى ولأبى عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة من حديث على من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين انتهى .

وقال مرتضى : وباقى حديث عائشة وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه وقد رواه البيهقى أيضا .

(١٧٦٨) حديث : قال ﷺ : « مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا » هكذا هو في القوت **قال العراقى :** رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى آداب الصحبة وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلى كذاب وهو من قول سليمان الفارسى فى الأول من الحزبيات انتهى .

وقال مرتضى : وأخرجه ابن شاهين فى الترغيب والترهيب من طريق دينار عن أنس مرفوعا مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى ودينار أبو مكيس قال ابن حبان يروى عن أنس أشياء موضوعة انتهى . والباهلى هذا يعرف بغلام خليل قال الدارقطنى كان يضع الحديث وأما الذى فى أول الحزبيات فقال أبو الحسن على بن عمر بن محمد السكرى الحريرى حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار حدثنا يحيي بن معين حدثنا =

وقال عليه السلام فى الترغيب فى الإخوة فى الله : « من آخى أخا فى الله رفعه الله درجة فى الجنة ، لا ينالها بشىء من عمله » (١٧٦٩) .

وقال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : إنى أحبك فى الله . فقال له : أبشر ، ثم أبشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال: هم المتحابون فى الله تعالى » (١٧٧٠) .

= وهب ابن جرير حدثنا أبى قال سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن سلمان قال مثل المسلم أو المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقى إحداهما الأخرى .

وقال مرتضى : وقد رواه بهذا اللفظ أبو نعيم من حديث سلمان مرفوعا .

(١٧٦٩) حديث : قال ﷺ فى الترغيب فى الأخوة فى الله : «من آخى أخا فى الله عز وجل رفعه الله درجة فى الجنة لا ينالها بشىء من عمله » . **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد اخا فى الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة فى الجنة وإسناده ضعيف انتهى .

وقال مرتضى : رواه أيضا الديلمى فى مسند الفردوس وسيأتى للمصنف قريبا .

(١٧٧٠) حديث : قال أبو إدريس الخولانى لمعاذ : « إنى أحبك فى الله ، قال : أبشر ثم ابشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله؟ قال : هم المتحابون فى الله» . **قال العراقى** : رواه أحمد والحاكم فى حديث طويل أن أبا إدريس قال: قلت : والله إنى لأحبك فى الله قال فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن المتحابين بجلال الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذى من رواية أبى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح ولأحمد من حديث أبى مالك الأشعرى إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله . . . . الحديث وفيه تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نوراً وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه انتهى . =

ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه: « **إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور، ووجوههم نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يا رسول الله : صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله**»(١٧٧١) .

وقال ﷺ : « **ما تحاب اثنان في الله ، إلا كان أحبهما إلى الله ، أشدهما حبا لصاحبه**»(١٧٧٢) .

= **وقال مرتضى :** وروى الطبراني في الكبير من حديث معاذ أن المتحابين في الله في ظل العرش ومن حديث أبي أيوب المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة سعيد الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه أن في الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه المتزاورين فيه المتباذلين فيه .

(١٧٧١) حديث : أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فقال فيه : « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا أنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء قالوا يا رسول الله صفهم لنا قال هم المتحابون في الله والمتجالسون فيه والمتزاورون في الله ». **قال العراقي :** رواه النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات انتهى .

وقال مرتضى : وفي أول الحلية لأبي نعيم قال حدثنا محمد بن جعفر بن إبراهيم حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ حدثنا مالك بن إسماعيل وعاصم بن علي قالا حدثنا قيس بن الربيع حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، فقال رجل : من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم ؟ قال : قوم يتحابون بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(١٧٧٢) حديث : قال ﷺ : « ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ». **قال العراقي :** رواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الإسناد انتهى .

وقال مرتضى : لفظ الحاكم في البر والصلة ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه وقال صحيح وأقره الذهبي وقد رواه أيضا البخاري في الأدب والبيهقي=

ويقال إن الأخوين فى الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الإخوة إذا اكتسبت فى الله لم تكن دون إخوة الولادة قال عز وجل: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (الطور : ٢١) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى، وحقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى»(١٧٧٣) .

= والطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى والبزار قال الهيثمى كالمنذرى ورجال الأخيرين رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثقه جماعة على ضعف فيه وأخرجه أيضا فى المختارة وفى المعجم الكبير للطبرانى من حديث أبى عبيدة ومعاذ رفعاه ما تحاب رجلان فى الله تعالى إلاوضع لهما كرسيا فأجلسا عليه حتى يفرغ الله من الحساب .

(١٧٧٣) حديث : قال ﷺ : « إن الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلى وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى ». **قال العراقى:** رواه أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه . اهـ.

وقال مرتضى : حديث عبادة بن الصامت أخرجه أيضا الطيالسي وابن منيع وابن حبان والطبرانى والضياء بلفظ قال الله تبارك وتعالى حقت محبتى للمتحابين فىّ وحقت محبتى للمتواصلين فىّ وحقت محبتى للمتباذلين فىّ المتحابون فىّ على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء وفى رواية للطبرانى قال الله تعالى وجبت محبتى للذين يتجالسون فىّ ووجبت محبتى للذين يتباذلون فىّ ووجبت محبتى للذين يتلاقون فىّ وفى لفظ له قال الله تعالى حقت محبتى للمتحابين فىّ وحقت محبتى للمتجالسين فىّ وحقت محبتى للمتزاورين فىّ وأخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان بلفظ قال الله تعالى : حقت محبتى على المتحابين أظلهم فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلى وأخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ حقت محبتى للمتحابين فىّ وحقت محبتى للمتصافين فىّ وحقت محبتى للمتباذلين فىّ وأورده هكذا صاحب العوارف وأما حديث عمرو بن عبسة فقد أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان والطبرانى فى الكبير بلفظ يقول الله تعالى قد حقت محبتى للذين يتحابون من أجلى وقد حقت محبتى للذين يتزاورون من أجل وقد حقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى وقد حقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى وقد حقت محبتى للذين يتناصرون من=



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمرًا عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٦

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » (١٧٧٤) .

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال . إني أخاف الله تعالى ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » (١٧٧٥) .

= أجلي ثم ساق الحديث بطوله وقد روى ذلك أيضا من حديث معاذ أخرجه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي ولفظه قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتباذلين والمتزاورين فيّ .

(١٧٧٤) حديث: قال ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ». **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أبي هريرة انتهى .

قال مرتضى : ورواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية من حديث العرياض ولفظه يقول الله تعالى المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي.

(١٧٧٥) حديث: قال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » . **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .اهـ.

وقال مرتضى : قد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة مفصلا وقد رواه مالك في الموطأ والترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ورواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة ورواه مسلم عنهما معا ويروى سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله ففاضت عيناه ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا لله ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها ورجل يعطي الصدقة بيمينه فيكاد يخفيها عن شماله وإمام مقسط في رعيته ورجل عرضت عليه امرأة ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله عز وجل ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجا ونجوا أو استشهد هكذا رواه ابن زنجويه=

وقال ﷺ : « ما زار رجل رجلا فى الله شوقا إليه، ورغبة فى لقائه . إلا ناداه ملك من خلفه: طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » (١٧٧٦) .

وقال ﷺ : « إن رجلا زار أخا له فى الله، فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانا، فقال: لحاجة لك عنده، قال : لا قال: لقرابة بينك وبينه، قال : لا قال: فبنعمة له عندك، قال: لا، قال: فبم، قال: أحبه في الله، قال: فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » (١٧٧٧) .

وقال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » (١٧٧٨) .

= عن الحسن مرسلا وابن عساكر عن أبي هريرة ويروى سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد ورجل دعته امرأة ذات منصب فقال إنى أخاف الله ورجلان تحابا فى الله ورجل غض عينه عن محارم الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله وهكذا رواه البيهقى فى الأسماء عن أبى هريرة وباقى الكلام على هذا الحديث تقدم فى كتاب الزكاة .

(١٧٧٦) حديث : قال ﷺ : « ما زار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ». **قال العراقى** : رواه ابن عدى من حديث أنس دون قوله : شوقا إليه ورغبة فى لقائه ، وللترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة : من عاد مريضا أو زار أخا فى الله ، ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ، قال الترمذى غريب .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك ابن جرير أيضا .

(١٧٧٧) حديث : قال ﷺ : « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد؟ فقال: أريد أزور أخي فلانا فى الله ، فقال لحاجة لك عنده ؟ فقال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : بنعمة له عندك تربها ؟ قال : لا ، قال : فمه ؟ قال : أحبه فى الله تعالى ، قال : إن الله أرسلنى إليك يخبرك أنه يحبك بحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه أن رجلا زار أخا فى الله تعالى فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجه ملكا فقال : أين تريد قال : أردت أخا فى هذه القرية قال هل بينك وبينه رحم تصلها أو له عليك نعمة تربها قال : لا إنى أحببته فى الله عز وجل قال : فإنى رسول الله إليك إن الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه .

(١٧٧٨) حديث : قال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » ولفظ القوت=

فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم فى الله كما يكون له اصدقاء وإخوان يحبهم فى الله .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من الأنبياء أما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إليّ فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فيّ عدوا أو هل واليت فيّ وليا .

وقال ﷺ : « **اللهم لا تجعل لفاجر على منة، فترزقه منى محبة** » .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض وحب فى الله ليس وبغض فى الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا .

وقال عيسى عليه السلام تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله : فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد فى عملكم كلامه ، ومن يرغبكم فى الآخرة عمله .

وروى فى الأخبار السالفة : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتى، فهو لك عدو .

= وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه اى عرى الإيمان أوثق قالوا الصلاة قال : حسنة وليس به قالوا الحج والجهاد قال : حسن وليس به قالوا فأخبرنا يارسول الله قال أوثق عرى الإيمان الحب فى الله تعالى والبغض فيه .اهـ. **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : حديث البراء قد أخرجه أيضا الطيالسى ولفظه قال أتدرون أى عري الإيمان أوثق قلت : الصلاة قال : الصلاة حسنة وليست بذلك قلنا الصيام فقال: مثل ذلك حتي ذكرنا الجهاد فقال : مثل ذلك ثم ذكره وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الإيمان الموالاة فى الله والموادّة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال يا داود مالى أراك منتبذا وحيدا قال: إلهى قليت الخلق من أجلك فقال: يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوفقك على مسرتى فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى .

وفى أخبار داود عليه السلام أنه قال يا رب: كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك ، خالق الناس بأخلاقهم ،وأحسن فيما بينى وبينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة .

وقال النبى ﷺ : « **إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان**»(١٧٧٩) .

وقال ﷺ : «**إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين**»(١٧٨٠) .

(١٧٧٩) حديث : قال ﷺ : « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الإخوان » كذا فى القوت. **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .اهـ.

(١٧٨٠) حديث : قال ﷺ : «إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول : اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين » كذا فى القوت دون قوله: كذلك ، ودون قوله : قلوب. **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف .

وقال مرتضى : أخرجه إبراهيم الحربى فى غريبه عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن عاصم عن ثوز عن خالد بن معدان قال إن لله ملكا فذكره إلا أنه فيه اللهم كما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفئ النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وهكذا هو فى عوارف المعارف ثم وجدته فى مسند الديلمى قال أخبرنا عبدوس حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن بشر حدثنا عدى بن عمير حدثنا أبوالحسن بن البراء حدثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب عن ابن عباس رفعه إن لله ملكا نصف جسده الأعلى ثلج ونصفه الأسفل نار ينادى بصوت رفيع اللهم يا مؤلفا بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك الصالحين على طاعتك سبحان الذى كف حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار .

وقال أيضا : « ما أحدث عبد أخا فى الله إلا أحدث الله له درجة فى الجنة »(١٧٨١).

وقال ﷺ : « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ؛ يشرفون على أهل الجنة، يضيء حسنهم لأهل الجنة، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة : انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله، فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون فى الله»(١٧٨٢).

الآثار : قال على رضي الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة . ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ (الشعراء : ١٠٠، ١٠١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالى غلقا غلقا فى سبيل الله، أموت يوم أموت وليس فى قلبى حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ، ما نفعنى ذلك شيئا.

وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم إنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك.

(١٧٨١) حديث : قال ﷺ : « ما أحدث عبدٌ أخًا فى الله تعالى إلا أحدث الله له درجة فى الجنة» **قال العراقى:** رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم . اهـ.

وقال مرتضى : ورواه كذلك الديلمى فى مسند الفردوس وإسناده ضعيف .

(١٧٨٢) حديث : قال ﷺ : « المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة حتى يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب علي جباههم المتحابون فى الله تعالى» هكذا أورده صاحب القوت والعوارف. **قال العراقى** : رواه الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .اهـ.

وقال مرتضى : وعند الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أيوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش .

وقال الحسن على ضده « يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب » (١٧٨٣) .

« فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم» (١٧٨٤) .

وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال، أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه : «هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (١٧٨٥) . بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى غيظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربته في الله .

(١٧٨٣) حديث : قال الحسن البصري : «يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو حديث مرفوع أخرجه أحمد والشيخان والثلاثة عن أنس وأخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود .

(١٧٨٤) حديث : « إنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرجه العسكري في الأمثال من طريق داود بن .... حدثنا الحسن بن واصل قال الحسن : لا تغتر يا ابن آدم يقول من يقول أنت مع من أحببت فإنه من أحب قوما اتبع آثارهم واعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتى تتبع آثارهم وحتى تأخذ بهديهم وتقتدى بسننهم وتصبح وتمسى على مناهجهم حرصا على أن تكون منهم .اهـ.

(١٧٨٥) حديث : قال الفضيل في بعض كلامه : « هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في جواره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو ملفق من كلامين بإسنادين مختلفين قال أبو نعيم في الحلية في ترجمته حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا المفضل بن محمد حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : قال رجل للفضيل كيف أصبحت وكيف أمسيت فقال في عافية فقال : كيف حالك فقال عن أى حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفنى عمره ولم يتزوّد لمعاده ولم يتأهب للموت ولم=

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، هل عملت لى عملا قط؟ فقال إلهى: إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت. فقال : إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور. فأى عمل عملت لى قال موسى: إلهى دلنى على عمل هو لك ، قال يا موسى : هل واليت لى وليا قط وهل عاديت فىّ عدوا قط. فعلم موسى أن أفضل الأعمال : الحب فى الله والبغض فى الله .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه : مصارمة الفاسق قربان الله .

وقال رجل لمحمد بن واسع : « **إنى لأحبك فى الله فقال أحبك الذى أحببتنى له ثم حوّل وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض** » (١٧٨٦) .

ودخل رجل على داود الطائى فقال له : ما حاجتك فقال زيارتك فقال : أما أنت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى أنا إذا قيل لى : من أنت فتزار

= يتصنع ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا هيه وقعد يحدث يعنى نفسه فاجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ فقد تفرغت للحديث ثم قال هاه وتنفس طويلا ويحك أتحسن أن تحدث أو أنت أهل أن يحمل عنك استح يا أحمق بين الحمقان لولا قلة حيائك وسفاهة رأيك ما جلست تحدث وأنت أنت أما تعرف نفسك أما تذكر ما كنت وكيف كنت أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك ولا سمعوا منك شيئا أبدا إلى آخر ما ذكر بطوله وقال أيضا حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا الفيض بن إسحاق قال سمعت فضيلا يقول تريد الجنة مع النبيين والصديقين وتريد أن تقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام .

(١٧٨٦) حديث : « قال رجل لمحمد بن واسع إنى أحبك فى الله قال أحبك الذى أحببتنى لأجله ثم حول وجهه وقال اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى مبغض » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله المفتولى حدثنا حاجب بن أبى بكر حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا على بن إسحاق حدثنا ابن المبارك عن سفيان قال قيل لمحمد بن واسع إنى أحبك فى الله قال أحبك الذى أحببتنى له اللهم إنى أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى به ماقت مبغض.

أمن الزهاد أنت ؟ لا والله ، أمن العباد أنت ؟ لا والله ، أمن الصالحين أنت ؟ لا والله ، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشبيبة فاسقا، فلما شخت صرت مرائيا، والله للمرائى شر من الفاسق .

وقال عمر رضي الله عنه : إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك.

وقال مجاهد المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يبس . وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة .

بيان معنى الإخوة فى الله وتمييزها من الإخوة فى الدنيا

اعلم أن الحب فى الله والبغض فى الله غامض، وينكشف الغطاء عنه بما نذكره. وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع فى المكتب أو فى المدرسة أو فى السوق أو على باب السلطان، أو فى الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد ، وهو الذى نريد بيانه ، إذ الإخوّة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة ، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها ، والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة .

وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فإما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه، وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها ، وإما أن يكون متعلقا بالآخرة، وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه **أربعة أقسام** :

القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته ، فذلك ممكن وهو أن يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له. فإن كل جميل لذيذ فى حق من أدرك جماله، وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع .

ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة ، أعنى حسن الخلقة، وإما أن يكون هى الصورة الباطنة أعنى كمال العقل وحسن الأخلاق .

ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به، ومحبوب بل فى ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ولا حسن فى خلق وخلق، ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة فإن شبه الشىء ينجذب إليه بالطبع .

والباطنة خفية ولها أسباب دقيقة، ليس فى قوّة البشر الإطلاع عليها ، عبر رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال: **«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»** (١٧٨٧) .

(١٧٨٧) حديث : قال ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»
قال العراقى : رواه مسلم من حديث أبى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة .اهـ.

وقال مرتضى : رواه مسلم فى الأدب من صحيحه وكذا أحمد وأبو داود من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن سهل عن أبيه ومن حديث جعفر بن برقان عن يزيد الأصم كلاهما عن أبى هريرة به مرفوعا وهو عند البخارى فى الأدب المفرد من طريق سليمان بن بلال عن سهيل وفى بدء الخلق من صحيحه تعليقا عن الليث ويحيى بن أيوب كلاهما عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ وذكره ووصله عنها فى الأدب المفرد له .

فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الألفاظ «الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء»(١٧٨٨).

وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك ، فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال ﷺ : « **إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط** »(١٧٨٩).

وروى « **أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء ،وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة** ﵂ **فأضحكتها. فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها**

(١٧٨٨) حديث : قال ﷺ : « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على أن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ورأيت بالهامش نقلا من خط الحافظ ابن حجر ما نصه حديث على اختلفوا فى رفعه ووقفه وقد روى من حديث ابن مسعود .اهـ. وفى المقاصد للحافظ السخاوى وقال مسعدة بن صدقة دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت له : يا ابن رسول الله إنى لأحبك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : صدقت سل قلبك عما لك فى قلبى من حبك فقد أعلمنى قلبى عما لى فى قلبك ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ فى الأرواح وإنها جنود مجندة تشتام كما تشتام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .اهـ. وأما حديث ابن مسعود الذى أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبرانى فى الكبير وقال الهيتمى رجاله رجال الصحيح وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق إبراهيم العجوى عن أبى الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(١٧٨٩) حديث : قال ﷺ : «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط ». **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج انتهى .

وقال مرتضى : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة أويس أنه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدى ولم يكن لقيه قبل وخاطبه أويس باسمه فقال له هرم من أين عرفت اسمى واسم أبى فو الله ما رأيتك قط ولا رأيتنى قال عرف روحى روحك حيث كلمت نفسى نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار .

صاحبتها فقالت: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأروح جنود مجندة .... الحديث» (١٧٩٠).

والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة ، تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم ، وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر ، الاطلاع عليها ،وغاية هذا بأن المنجم أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة، فتقتضى التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه، باقتضى التباغض والعداوة : فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض، لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب .

فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا. ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة . فقد ورد الخبر به قال ﷺ : « لو أن

(١٧٩٠) حديث : « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة » رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة .... الحديث ». **قال العراقى:** رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم انتهى .

قال مرتضى : وأخرجه أبو بكر بن أبى داود من طريق الليث ولفظه عن عمرة قالت : كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء يعنى وكانت بالمدينة امرأة مثلها فقدمت المكية المدينة فلقيت المدنية فتعارفتا فدخلتا على عائشة فعجبت من اتفاقهما فقالت عائشة للمكية عرفت هذه قالت لا ولكن التقينا فتعارفنا فضحكت عائشة وقالت سمعت رسول الله ﷺ وذكرته وأخرجه أبو يعلى بنحوه من حديث أيوب وعند الزبير بن بكار فى المزاح والفكاهة من طريق على بن أبى على اللهبى عن أبى شهاب عن عروة عن عائشة أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقالت لها فلانة ما أقدمك قالت إليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله ﷺ فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله إن الأرواح وذكره .

فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الألفاظ «الأرواح جنود مجندة تلتقى فتتشام فى الهواء»[(١٧٨٨)].

وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال : إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك ، فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال ﷺ : « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط »[(١٧٨٩)].

وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء ،وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة ﵂ فأضحكتها. فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها

(١٧٨٨) حديث : قال ﷺ : « الأرواح تلتقى فتتشام فى الهواء » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث على أن الأرواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتتشام .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ورأيت بالهامش نقلا من خط الحافظ ابن حجر ما نصه حديث على اختلفوا فى رفعه ووقفه وقد روى من حديث ابن مسعود .اهـ. وفى المقاصد للحافظ السخاوى وقال مسعدة بن صدقة دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت له : يا ابن رسول الله إنى لأحبك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : صدقت سل قلبك عما لك فى قلبي من حبك فقد أعلمنى قلبى عما لى فى قلبك ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ فى الأرواح وإنها جنود مجندة تشتام كما تشتام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .اهـ. وأما حديث ابن مسعود الذى أشار إليه الحافظ فقد أخرجه الطبراني فى الكبير وقال الهيتمى رجاله رجال الصحيح وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق إبراهيم العجوى عن أبى الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

(١٧٨٩) حديث : قال ﷺ : «إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط ». **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ تلتقى وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج انتهى .

وقال مرتضى : وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة أويس أنه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدى ولم يكن لقيه قبل وخاطبه أويس باسمه فقال له هرم من أين عرفت اسمى واسم أبى فو الله ما رأيتك قط ولا رأيتنى قال عرف روحى روحك حيث كلمت نفسى نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار .

صاحبتها فقالت: صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأرواح جنود مجندة .... الحديث» (١٧٩٠).

والحق فى هذا أن المشاهدة والتجربة ، تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب فى الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم ، وأما الأسباب التى أوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر ، الاطلاع عليها ،وغاية هذا بأن المنجم أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة، فتقتضى التناسب والتواد وإذا كان على مقابلته أو تربيعه، باقتضى التباغض والعداوة : فهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله فى خلق السموات والأرض، لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال فى أصل التناسب .

فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر ، فما أوتينا من العلم إلا قليلا. ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة . فقد ورد الخبر به قال ﷺ : « لو أن

(١٧٩٠) حديث : « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة » رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين نزلت فذكرت فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة .... الحديث ». **قال العراقى:** رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخارى تعليقا مختصرا دونها كما تقدم انتهى .

قال مرتضى : وأخرجه أبو بكر بن أبى داود من طريق الليث ولفظه عن عمرة قالت : كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء يعنى وكانت بالمدينة امرأة مثلها فقدمت المكية المدينة فلقيت المدنية فتعارفتا فدخلتا على عائشة فعجبت من اتفاقهما فقالت عائشة للمكية عرفت هذه قالت لا ولكن التقينا فتعارفنا فضحكت عائشة وقالت سمعت رسول الله ﷺ وذكرته وأخرجه أبو يعلى بنحوه من حديث أيوب وعند الزبير بن بكار فى المزاح والفكاهة من طريق على بن أبى على اللهبى عن أبى شهاب عن عروة عن عائشة أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة فدخلت على فقالت لها فلانة ما أقدمك قالت إليكن قلت فأين نزلت قالت على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة قالت عائشة ودخل رسول الله ﷺ فقال فلانة المضحكة عندكم قالت عائشة نعم فقال فعلى من نزلت قالت على فلانة المضحكة قال الحمد لله إن الأرواح وذكره .

مؤمنًا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق، ومؤمن واحد، لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد، لجاء حتى يجلس إليه»(١٧٩١).

وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع، وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال: فرأى يوما غرابا مع حمامة، فعجب من ذلك. فقال: اتفقا وليس من شكل واحد، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من ههنا اتفقا. ولذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال؛ فلابد أن يفترقا. وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم:

وقائل كيف تفارقتما ... فقلت قولاً فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألاف

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال، أو مآل، بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية، ويدخل في هذا القسم

(١٧٩١) حديث: قال ﷺ: «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتي يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلي مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه». **قال العراقي**: رواه البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده في المسند انتهى.

قال مرتضى: حديث ابن مسعود أخرجه العسكري في الأمثال من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه رفعه الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فلو أن رجلا مؤمنا جاء إلى مجلس فيه مائة منافق وليس فيهم إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا جاء إلى مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه وأما حديث معاذ الذي أورده الديلمي بلا سند فلفظه لو أن رجلا مؤمنا دخل مدينة فيها ألف منافق ومؤمن واحد لشم روحه روح ذلك المؤمن وعكسه.

الحب للجمال، إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة فى عينها، وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة، وإلى الماء الجارى، والخضرة من غير غرض سوى عينها .

وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله ، بل هو حب بالطبع وشهوة النفس، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله ، إلا أنه أن اتصل به غرض مذموم، صار مذموما . كحب الصورة الجميلة، لقضاء الشهوة .حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم، فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم. إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم .

القسم الثاني : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته. فيكون وسيلة إلى محبوب غيره. والوسيلة إلى المحبوب محبوب، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة. ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب، ولذلك أحب الناس الذهب والفضة، ولا غرض فيهما ، إذ لا يطعم ولا يلبس، ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات .

فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة، من حيث إنه وسيلة إلى المقصود، إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم ، كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله أو جاهه، ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره فى قلبه .

فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا ، لم يكن حبه من جملة الحب فى الله ، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا، كحب التلميذ لأستاذه ، فهو أيضا خارج عن الحب لله، فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه ، فمحبوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم. للتقرب إلى الله، بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق، فمحبوبه الجاه والقبول ، والعلم وسيلة إليه، والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس فى شيء من ذلك حب لله .

إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا، ثم ينقسم هذا أيضا إلى: مذموم ومباح، فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره، كان الحب مذموما. وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح. وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها.

القسم الثالث : أن يحبه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا، بل يرجع إلى حظوظه فى الآخرة ، فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه، لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم، وتحسين العمل. ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة. فهذا من جملة المحبين فى الله، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم فى ملكوت السماء .

إذ قال عيسى عليه السلام : « من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء» . ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذاً آلة فى تحصيل هذا الكمال فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله، بل الذى يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان، ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة، تقربا إلى الله، فأحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو من جملة المحبين فى الله .

وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين، فقد أحبه فى الله، بل نزيد على هذا ونقول : إذا أحب من يخدمه بنفسه فى ، غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه .ويفرغه بذلك للعلم أو العمل، ومقصوده من استخدامه فى هذه الأعمال الفراغ للعبادة ، فهو محب فى الله بل نزيد عليه. ونقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التى يقصدها، فى دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم، والعمل المقرب إلى الله فهو محب فى الله .

فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولى الثروة، وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ، بل نزيد عليه ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وسواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله .

ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال، حتى اللقمة يضعها الرجل فى فىِ امرأته ، بل نقول : كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه فى الدار الآخرة، فإذا أحب غيره كان محبا فى الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده، وهو رضا الله عز وجل .

بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع فى قلبه محبتان؛ محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا، فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين فى الله ،كمن يحب أستاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة فى المال، فأحبه من حيث أن فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة، فهو وسيلة إليهما. فهو محب فى الله .

وليس من شرط حب الله أن لا يحب فى العاجل حظا البتة. إذ الدعاء الذى أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (البقرة : ٢٠١) .

وقال عيسى عليه السلام فى دعائه : « اللهم لا تشمت بى عدوى، ولا تسوء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى لدينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همى » فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى، بل قال لا تجعلها أكبر همى .

وقال نبينا ﷺ في دعائه: « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة»(١٧٩٢) .

وقال : « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة» (١٧٩٣) .

وعلى الجملة، فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضا لحب الله تعالى؛ فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا ، كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة ، عبارة عن حالتين ، إحداهما أقرب من الأخرى ، فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا، لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد أن تكون مطلوبة أيضا .

إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها ، وهي التي احترز عنها الأنبياء والأولياء، وأمروا بالاحتراز عنها ، وإلى ما لا يضاد وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال، وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة . فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه ، أعني أن يكرهه بعقله ،لا بطبعه كما يكره التناول

(١٧٩٢) حديث : قال نبينا ﷺ في دعائه: « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ». **قال العراقي:** رواه الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه ﷺ بعد صلاة الليل وقد تقدم .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه محمد بن نصر في كتاب صلاة الليل والطبراني في الكبير والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده وقد مر ذلك في كتاب الأوراد بطوله .

(١٧٩٣) حديث: قال ﷺ : « اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب القبر ». **قال العراقي :** رواه أحمد من حديث بشر بن أبي أرطاة نحوه بسند جيد انتهى .

قال مرتضى : يشير إلى قوله اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقد رواه كذلك أحمد وابن حبان والطبراني . قال الهيثمي رجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني ثقات رواه مسلم من حديث أبي هريرة رفعه « اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي » .

من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده، أو حزت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه، ولا يستلذه لو أكله ، فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه، وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به .

والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويعلمه، أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه ، وأحدهما حظ عاجل، والآخر آجل لكان فى زمرة المتحابين فى الله ، ولكن بشرط واحد، وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه، لنقص حبه بسببه ، فالقدر الذى ينقص بسبب فقده هو لله تعالى، وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله ، وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به ، فإن امتنع بعضها نقص حبك، وإن زاد زاد الحب ، فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما ، لأن الذهب يوصل إلى أغراض هى أكثر مما توصل إليه الفضة، فإذا يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والآخروية، فهو داخل فى جملة الحب لله وحده ، هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوّر وجوده ، فهو حب فى الله وكذلك كل زيادة فى الحب لولا الإيمان بالله ، لم تكن تلك الزيادة، فتلك الزيادة من الحب فى الله ، فذلك وإن دق فهو عزيز .

قال الجريرى: تعامل الناس فى القرن الأول بالدين حتى رق الدين، وتعاملوا فى القرن الثانى بالوفاء ، حتى ذهب الوفاء، وفى الثالث بالمروءة، حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة .

القسم الرابع : أن يحب لله وفى الله لا لينال منه علمًا ، أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها. وهذا القسم أيضا ممكن، فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب،

ويناسبه ، ولو من بعد، فمن أحب إنسانا حبا شديدا، أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوبه، وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد: إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه، وهو كما قال : ويشهد له التجربة فى أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء، ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه. حتى قال مجنون بنى عامر:

أمـــر على الديار ديار ليلى   أقـــبل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا
ومـــا حب الديار شـغـفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

فإذا المشاهدة والتجربة، تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد، ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة. فأصل المحبة لا يكفى فيه ، ويكون اتساع الحب فى تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه، ويحيط به ويتعلق بأسبابه. بحسب إفراط المحبة وقوتها. وكذلك حب الله سبحانه وتعالى، إذا قوى وغلب على القلب، استولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار، فيتعدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه. أثر من آثار قدرته، ومن أحب إنسانا أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله. ولذلك كان ﷺ : « **إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينه وأكرمها وقال: إنه قريب العهد بربنا** » (١٧٩٤) .

وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء فى مواعيده ، وما يتوقع فى الآخرة من نعيمه ، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته ، وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو

(١٧٩٤) حديث: « كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه واكرمها وقال إنها قريب عهد بربها » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وأبو داود فى المراسيل والبيهقى فى الدعوات من حديث أبى هريرة دون قوله واكرمها .... الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة فى الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينه بها وما بعده وقال الترمذى حسن صحيح .اهـ.

أدق ضروب المحبة وأعلاها ، وسيأتى تحقيقها فى كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى.

وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تعدى إلى كل متعلق به ضربًا من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو فى نفسه ، مؤلم مكروه ، ولكن فرط الحب يضعف الإحساس بالألم، والفرح بفعل المحبوب ، وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب، أو قرصة فيها نوع معاتبة ، فإن قوة المحبة تثير فرحا يغمر إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا: لا نفرق بين البلاء والنعمة، فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه ، حتى قال بعضهم : لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله .

وقال سمنون: وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى ، وسيأتى تحقيق ذلك فى كتاب المحبة. والمقصود أن حب الله إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن، أو تأدب بآداب الشرع، وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين: أحدهما عالم عابد ، والآخر جاهل فاسق ، إلا وجد فى نفسه ميلا إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوّته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الميل حاصل، وإن كانا غائبين عنه، بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر فى الدنيا ولا فى الآخرة .

فذلك الميل هو حب فى الله . ولله من غير حظ، فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى، ولأنه يحب الله تعالى، ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى، إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ،ولا يظهر به ثواب ولا أجر، فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان، وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل. ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال أو المآل لما تصوّر حب الموتى من العلماء والعباد، ومن الصحابة والتابعين، بل من الأنبياء

المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه. وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين .

ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم فى واحد منهم، وبفرحه عند الثناء عليهم، وذكر محاسنهم، وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله. ومن أحب ملكا، أو شخصا جميلا أحب خواصه، وخدمه وأحب من أحبه ، إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس. وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب، وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال :

وما لجرح إذا أرضاكم ألم

وقد يكون الحب، بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض . كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه فى نصف ماله، أو فى ثلثه، أو فى عشره. فمقادير الأموال موازين المحبة ، إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته ، فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه، فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبى بكر الصديق ﷺ فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا، فسلم ابنته التى هى قرة عينه وبذل جميع ماله .

قال ابن عمر ﷺ: «**بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فاقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال أنفق ماله علىّ قبل الفتح قال فاقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال فالتفت النبى ﷺ إلى أبى بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط قال : فبكى أبو**

بكر ﷺ وقال: أعلى ربى أسخط ، أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض» (١٧٩٥).

فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عابدا أحب شخصا راغبا فى علم، أو فى عبادة أو فى خير. فإنما أحبه فى الله. ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوّة حبه ،فهذا شرح الحب فى الله ودرجاته. وبهذا يتضح البغض فى الله أيضا، ولكن نزيده بيانًا :

بيان البغض فى الله

اعلم أن كل من يحب فى الله، لابد أن يبغض فى الله، فإنك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله، فإن عصاه فلابد أن تبغضه، لأنه عاص لله وممقوت عند الله . ومن أحب بسبب، فبالضرورة يبغض لضده . وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد فى الحب والبغض فى العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين فى القلب وإنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين فى المقاربة والمباعدة وفى المخالفة والموافقة، فإذا ظهر فى الفعل سمى موالاة ومعاداة .

ولذلك قال الله تعالى: « هل واليت فىَّ وليا وهل عاديت فىّ عدوا » كما نقلناه وهذا واضح فى حق من لم يظهر لك إلا طاعاته ، إذ تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة ، فتقدر على أن تبغضه ، وإنما المشكل إذا

(١٧٩٥) حديث : قال ابن عمر ﷺ : « بينما النبى ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام وقال له يا رسول الله ما لى أري أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علىّ قبل الفتح قال فاقرأه من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فالتفت النبى ﷺ إلى أبى بكر ﷺ وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت فى فقرك أم ساخط فبكى أبو بكر وقال أعلى ربى أسخط أنا عن ربى راضٍ أنا عن ربى راضٍ » . **قال العراقى** : رواه ابن حبان والعقيلي فى الضعفاء ، قال الذهبى فى الميزان وهو كذب .اهـ .

اختلطت الطاعات بالمعاصى ، فإنك تقول : كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان ؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة ؟

فأقول ذلك غير متناقض فى حق الله تعالى ، كما لا يتناقض فى الحظوظ البشرية، فإنه مهما اجتمع فى شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها ، فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه ، فمن له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكى خدوم ، ولكنه فاسق ، فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد ، أحدهم ذكى بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكى عاق ، فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم ، فكذلك ينبغى أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ، ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه، كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض ، والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه .

فإن قلت : فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة ، لو قستها بحال كافر أو فاجر ، أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله، والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك .

فمن وافقك على غرض وخالفك فى آخر، فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال ، وبين الإقبال والإعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبالغ فى إكرامه ، مبالغتك فى إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ، ولا تبالغ فى إهانته مبالغتك فى إهانة من خالفك في جميع أغراضك ، ثم ذلك التوسط ، تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام ، عند غلبة الموافقة ، فكذا ينبغى أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى .

فإن قلت : فبماذا يمكن إظهار البغض؟

فأقول : أما فى القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة ، وبالاستخفاف والتغليظ فى القول أخرى ، وأما فى الفعل فبقطع السعى فى إعانته مرة وبالسعى فى إساءته وإفساد مآربه أخرى ، وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه .

أما ما يجرى مجرى الهفوة ، التى يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها ، فالأولى فيه الستر والإغماض ، أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة ، فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة ، فله حكم آخر وسيأتى وفيه خلاف بين العلماء، وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة، فلابد من إظهار أثر البغض ، إما فى الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما فى الاستخفاف وتغليظ القول عليه وهذا أشد من الإعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها .

وكذلك فى الفعل أيضا رتبتان إحداهما : قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات ، والأخرى السعى فى إفساد أغراضه عليه ، كفعل الأعداء المبغضين ، وهذا لابد منه ، ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية ، أما ما لا يؤثر فيه فلا، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر ، وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا بها بالمال والجمال والجاه ، إلا أن ذلك لا يؤثر فى صنف من شرب الخمر ولا فى بعث وتحريض عليه ، فإذا قدرت على إعانته ليتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعى فى تشويشه .

أما الإعانة ، فلو تركتها إظهاراً للغضب عليه فى فسقه ، فلا بأس ، وليس يجب تركها ، إذ ربما يكون لك نية فى أن تتلطف بإعانته وإظهار الشفقة عليه . ليعتقد مودتك ويقبل نصحك ، فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه، فذلك ليس بممنوع، بل هو الأحسن إن كانت معصيته

بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ (النور: ٢٢). إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور: ٢٢) .

إذ تكلم مسطح بن أثاثة فى واقعة الإفك، فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه. وقد كان يواسيه بالمال « فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان فى مثل عائشة ﵂ » (١٧٩٦) إلا أن الصديق ﵁ كان كالمجنى عليه فى نفسه بتلك الواقعة ، والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين ، وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك ، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به ، فلا يحسن الإحسان إليه ، لأن فى الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم ، أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم .

(١٧٩٦) حديث : « كلام مسطح فى الإفك وهجر أبى بكر له حتى نزلت ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكم﴾ الآية » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وهذه القصة قد أخرجها عبد الرزاق وأحمد والبخارى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب كلهم من حديث عائشة وهى طويلة وفيها قالت عائشة فلما أنزل الله فى براءتى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ العشر آيات قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة قال فانزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو بكر بلى والله إنى أحب أن يغفر الله لى فرجع إلى النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وأخرج البخارى والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من حديثها وفيه وكان الذى تكلم فيها مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبى وهو الذى كان تولى كبره مع حنة بنت جحش قالت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنفقة أبدا فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ يعنى أبا بكر أن يؤتوا أولى القربى والمساكين يعني مسطحا إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا وعاد له بما كان يصنع وأخرج أحمد وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه من=

فأما إذا كنت أنت المظلوم ، فالأحسن فى حقك العفو والصفح ، وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره .

فأما من عصى الله فى نفسه ، فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة .

فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر فى أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله : إنى لا أسأل أحدا شيئا، ولو حمل السلطان إلىّ شيئا لأخذته وهجر الحارث المحاسبى فى تصنيفه فى الرد على المعتزلة وقال : إنك لابد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها، ثم ترد عليهم وهجر أبا ثور فى تأويله قوله ﷺ : « **إن الله خلق آدم على صورته** » (١٧٩٧) .

= حديث ابن رومان وفيها وكان فيمن حدث الحديث رجل كان يحدث به أبو بكر فحلف أن لا يصله فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ .... الآية فوصله أبو بكر وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس وفيه وكان أبو بكر يعطى مسطحا ويصله ويبره فحلف أبو بكر أن لا يعطيه فنزل ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ .... الآية وعند الطبرانى وابن مردويه من حديث ابن عمر فبعث أبو بكر إلى مسطح لا أوصلنك بدرهم أبدا ولا عطفت عليك بخير أبدا ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله فنزل القرآن ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ الآية فقال أبو بكر القرآن يأمرنى فيك لأضاعفهن لك وعند ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث سعيد بن جبير وكان مسطح من المهاجرين الأولين وكان ابن خالة أبى بكر وكان يتيما فى حجره فقيرا فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت فى أبى بكر ﴿ وَلَا يَأْتَلِ﴾ الآية فقال النبى ﷺ : أما تحب أن يغفر الله لك قال بلى يا رسول الله قال فاعف واصفح قال أبو بكر قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفا بعد اليوم .

(١٧٩٧) حديث : قوله ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » . **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب قواعد العقائد .

وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النيـة باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعـجزهم ، وأنهم مـسخـرون لما قدروا له أورث هذا تسـاهلا فى المعاداة والبـغض ، وله وجه ، ولكن قـد تلتبس به المـداهنة . فأكـثر البواعث عـلى الإغضاء عن المعـاصى المداهنة ومراعـاة القلوب والخوف من وحـشتـها ونفـارها ، وقد يلـبس الشيطان ذلـك على الغبى الأحـمق بأنه ينظر بـعين الرحمـة ، ومحك ذلك ، أن ينظر إليـه بعين الرحمة إن جنى علـى خاص حقه ويقـول : إنه قد سخر له ، والقدر لا ينفع منه الحذر ، وكيف لا يفـعله وقد كتب عليه ، فمثل هذا قد تصح له نيـة فى الإغمـاض عن الجناية على حق الله وإن كـان يغتـاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله، فهـذا مداهن مغرور بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له .

فـإن قلت : فأقل الدرجـات فى إظهار البغض الهجـر والإعراض وقطع الرفق والإعانة. فهل يجب ذلك حـتى يعصى العبد بتركـه . فأقول لا يدخل ذلك فى ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب . فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش فى زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية ، بل كانوا منقسمين فيهم، إلى من يغلظ القـول عليه ويظهر البـغض له ، وإلى من يعرض عنه ولا يتـعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولايؤثر المقاطعة والتباعـد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته .

ومقـتضى الأحـوال في هذه الأمور ، أمـا مكروهة أو مندوبة ، فتكون فـى رتبة الفضائل ولا تنتهى إلى التحريم والإيجاب ، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب : وذلك قد لا يتعدى من المحبـوب إلى غيره . وإنما المتعدى إفراط الحب واستـيلاؤه وذلك لا يدخل فى الفتوى وتحت ظاهـر التكليف فى حق عوام الخلق أصلا .

بيان مراتب الذين يبغضون فى الله وكيفية معاملتهم

فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا، فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق علي مراتب مختلفة، فكيف ينال الفضل بمعاملتهم ؟ وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا ؟

فاعلم : أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا فى عقده ، أو فى عمله ، والمخالف فى العقد إما مبتدع أو كافر ، والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت ، والساكت ، إما بعجزه أو باختياره . **فأقسام الفساد فى الاعتقاد ثلاثة :**

الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والإرقاق ، وليس بعد هذين إهانة ، وأما الذمى فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه ، والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق «**وبترك المفاتحة بالسلام فإذا قال : السلام عليك قلت : وعليك**»(١٧٩٨) .

والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته . وأما الانبساط معه والاسترسال إليه، كما يسترسل إلى الأصدقاء ، فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهى ما يقوى منها إلى حد التحريم . قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (المجادلة : ٢٢) الآية .

وقال ﷺ : « **المسلم والمشرك لا تتراءى نارهما** » (١٧٩٩) .

(١٧٩٨) حديث : « ترك المفاتحة بالسلام وإذا قال السلام عليك قلت وعليك » وإنما وجب الرد عليه بعليك فقط ولا تعارضه آية ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ وآية ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ لأن هنا سلام متاركة ومنابذة لا سلام تحية وأمان وقد وردت فى كل منهما أخبار .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى ضيقه.

(١٧٩٩) حديث :قال ﷺ : « المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما » **قال العراقى :** رواه أبو داود=

وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الممتحنة: ١) الآية.

الثانى: المبتدع الذى يدعو إلى بدعته، فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها، فأمره أشد من الذمى لأنه لا يقر بجزية ولايسامح بعقد ذمة، وإن كان مما لا يكفر به، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر، لأن شر الكافر غير متعد، فإن المسلمين اعتقدوا كفره، فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الإسلام واعتقاد الحق.

أما المبتدع الذى يدعو إلي البدعة، ويزعم أن ما يدعو إليه حق، فهو سبب لغواية الخلق، فشره متعد، فالاستحباب فى إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلم فى خلوة فلا بأس برد جوابه، وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه، يقبح فى نفسه بدعته ويؤثر فى زجره، فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان فى الحمام أو فى قضاء حاجته، وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض.

وإن كان فى ملأ فترك الجواب أولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته فى أعينهم وكذلك الأولى، كف الإحسان إليه والإعانة له، لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام: « **من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن آلان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله علي محمد** ﷺ » (١٨٠٠).

= والترمذى من حديث جرير أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم قال لا تتراءى ناراهما ورواه النسائى مرسلاً وقال البخارى: الصحيح أنه مرسل. اهـ.

(١٨٠٠) حديث: قال ﷺ: « من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل على محمد ﷺ » وفى نسخة بما أنزل الله على محمد ﷺ **قال العراقى**: رواه أبو نعيم فى الحلية والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف. اهـ. =

الثالث : المبتدع العامى الذى لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به، فأمره أهون، فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به فى النصح ، فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه تأكد الاستحباب فى الإعراض ، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده فى قلبه ، فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصى بفعله وعمله لا باعتقاده ، فلا يخلو : إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشى بالنميمة وأمثالها، أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره .

وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد، كصاحب الماخور الذى يجمع بين الرجال النساء ، ويهيئ أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذى يشرب ويزنى ، وهذا الذى لا يدعو غيره ، إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة ، وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر ، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحدا .

القسم الأول : وهو أشدها ما يتضرر به الناس ، كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم ، وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم ، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق ، ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء ، وإلى من يظلم فى الأموال ، وإلى من يظلم فى الأعراض . وبعضها أشد من بعض فالاستحباب فى إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جدا ، ومهما كان يتوقع من الإهانة زجرا لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد .

= **قال مرتضى :** ورواه أبو نصر السجزى فى الإبانة من حديث ابن عمر وابن عباس مرفوعا من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ورواه أبو نصر أيضا وابن عدى وابن عساكر من حديث عائشة مرفوعا ورواه ابن عدى أيضا من حديث ابن عباس مرفوعا .

الثانى : صاحب الماخور الذى يهيئ أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق. فهذا لايؤذى الخلق فى دنياهم ، ولكن يختلس بفعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه ، فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ، ولكن من حيث إنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد ، وهذا أيضا يقتضى الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره.

الثالث : الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر، أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه ، فالأمر فيه أخف . ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه ، بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف. فإن النهى عن المنكر واجب، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع .

فإما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته ، حيث يعلم أنه يصر وإن النصح ليس ينفعه ، فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة . والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل . فعند هذا يقال : « **الأعمال بالنيات** » إذ فى الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفى العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب ، فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه . فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتلذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح . وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته فى جاه ، أو مال بظن قريب أو بعيد . وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان، وبعيد عن أعمال أهل الآخرة . فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه فى التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال ، والقلب هو المفتى فيه .

وقد يصيب الحق فى اجتهاده وقد يخطئ ، وقد يقدم على اتباع هواه ، وهو عالم به وقد يقدم هو بحكم الغرور ظانًا أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة . وسيأتى بيان هذه الدقائق فى كتاب الغرور من ربع المهلكات . ويدل على تخفيف الأمر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد وبين الله ما روى : « **أن شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله ﷺ مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال ﷺ : لا تكن عونا للشيطان على أخيك** »(١٨٠١) . أو لفظا هذا معناه . وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » (١٨٠٢) ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها فى صحبته . وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة ، إذ معنى الشرط ما لابد

(١٨٠١) حديث : « إن شارب خمر ضرب » مرات « بين يدى النبى ﷺ وهو يعود فقال واحد من الصحابة : لعنه الله ما أكثر ما يشرب ، فقال رسول الله ﷺ : لا تكن عونا للشيطان على أخيك » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : لفظه لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم رواه من طريق محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وأخرج أبو محمد الحارثى فى مسنده من طريق حمزة بن حبيب الزيات والحسن بن الفرات وأبى يوسف وسعيد بن أبى الجهم ومحمد بن ميسر الصغانى كلهم عن أبى حنيفة عن يحيى بن عبد الله الجابر عن أبى واحد الحنفى عن ابن مسعود قال : إن أول حد أقيم فى الإسلام لسارق أتى به النبى ﷺ فلما قامت عليه البينة قال انطلقوا به فاقطعوه فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه النبى ﷺ كأنما أسيف عليه الرماد فقال بعض جلسائه والله يا رسول الله لكان ماذا قد اشتد عليك قال وما يمنعنى أن لا يشتد علي أن تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم الحديث وسيأتى فى ذكر حقوق المسلم مفصلا .

(١٨٠٢) حديث : قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » . **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح إن شاء الله . اهـ.

=

منه للوصول إلى المقصود . فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية . أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا .

وأما الدينية، فيجتمع فيها أيضا أعراض مختلفة . إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات فى طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات ، فيكون عدة فى المصائب وقوة فى الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ، فقد قال بعض السلف: « **استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك**»(١٨٠٣) .

وروى « في غريب التفسير في قوله تعالي: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (الشورى : ٢٦)

قال : يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم »(١٨٠٤) .

= **قال مرتضى** : وكذلك رواه الطيالسي والبيهقي والقضاعي من طريقه والعسكرى كلهم من طريق موسى بن وردان عن أبي هريرة وتوسع ابن الجوزي فأورده فى الموضوعات ورواه العسكرى من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس مرفوعا ولفظه المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذى ترى ورواه ابن عدى فى كامله وسنده ضعيف وهو فى الشعب للبيهقى بلفظ من يخال بلام واحدة مشددة .

(١٨٠٣) حديث : « استكثر من الإخوان فإن لكل مؤمن » عند الله « شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك » نقله صاحب القوت .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى ذلك مرفوعا أخرج ابن النجار فى تاريخه من حديث أنس بسند ضعيف مرفوعا استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة .

(١٨٠٤) حديث : عن رسول الله ﷺ حديثًا غريبا « فى تفسير قوله تعالى يعنى فى الشورى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال : يشفعهم فى إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم » وأما صاحب القوت فقال وروينا فساقه. =

ويقال : إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا العزلة والانفراد . فهذه فوائد تستدعى كل فائدة شروطا لا تحصل إلا بها. ونحن نفصلها ؛ أما على الجملة ، فينبغى أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلا، حسن الخلق، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا . « **أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل**»(١٨٠٥) فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتهما وإن طالت .

قال على رضي الله عنه :

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذ ما المرء ما شاه
وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدرى ولذلك قال الشاعر :

أنى لآمن من عدو عاقل وأخاف خلاً يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه أدرى فارصد والجنون فنون

= **قال مرتضى** : أخرجه ابن جرير من طريق قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال يشفعون في إخوان إخوانهم ، وأما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ هكذا فى النسخ وهذه الآية فى سورة النساء وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية والإسماعيلى فى معجمه بسند ضعيف عن ابن مسعود رفعه قال : أجورهم : يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا .

(١٨٠٥) حديث : « العقل رأس المال وهو الأصل وبتمامه تمام الدين » .

قال مرتضى : **أغفله العراقى** وقد روى البيهقى من حديث أنس : وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله .

ولذلك قيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله . وقال الثورى : النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعنى بالعاقل: الذى يفهم الأمور على ما هى عليه . إما بنفسه، وإما إذا فهم .

وأما حسن الخلق فلابد منه ، إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هى عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن ، أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه ، فلا خير فى صحبته .

وأما الفاسق المصر على الفسق، فلا فائدة فى صحبته ، لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ؛ ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته ، بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (طه: ١٦).

وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (النجم: ٢٩) .

وقال : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ (لقمان: ١٥) .

وفى مفهوم ذلك ، زجر عن الفاسق .

وأما المبتدع ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه ، فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة . فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر ﷺ : فى الحث على طلب التدين فى الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: « **عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذى يخشون الله تعالى** » (١٨٠٦) .

(١٨٠٦) حديث : قال عمر بن الخطاب ﷺ فيما رواه سعيد بن المسيب : « عليك بإخوان الصدق=

وأما حسن الخلق ، فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بنى إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك ، وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك ، فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائما بجميعها ، قال ابن أكثم : قال المأمون : فأين هذا ؟ فقيل له أتدرى لم أوصاه بذلك ؟ قال : لا ، قال : لأنه أراد أن لا يصحب أحدا .

وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك فى النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقال على ﷺ : إن أخاك الحق من كان معك ، ومن يضر نفسه لينفعك ومن إذا ريب الزمان صدعك ، شتت فيه شمله ليجمعك . وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينك فيقبل منك والثالث فاهرب منه .

= تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع أمر أخيك علي أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى » ولفظ القوت وفى وصية عمر بن الخطاب ﷺ التي رويناها عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب قال : قال عمر ﷺ فساقه .

قال مرتضى : أغفله العراقى وسعيد بن المسيب لم يدرك عمر باتفاق المحدثين إلا أنه كان راوية أخباره لكثرة تتبعه لها . وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن أبى سهيل حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن عجلان عن إبراهيم بن مرة عن محمد بن شهاب قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ لا تعترض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادل ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله عز وجل .

وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة، فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : « **لا تصحب خمسة: الكذاب ، فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحمق ، فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق ، فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها** » (١٨٠٧) .

وقال الجنيد : لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق . وقال ابن أبي الحواري : قال لي أستاذي أبو سليمان : يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين ، رجلا ترتفق به في أمر دنياك أو رجلا تزيد معه وتنتفع به في

(١٨٠٧) حديث : قال جعفر الصادق : « لا تصحب خمسة: **الكذاب** : فإنك منه على غرور ، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، **والأحمق** : فإنك لست منه على شيء ، يريد أن ينفعك فيضرك ، **والبخيل** : فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، **والجبان**: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، **والفاسق** : فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل: وما أقل منها ؟ فقيل : الطمع فيها ثم لا ينالها» .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أحمد بن يوسف بن الضحاك حدثنا محمد بن يزيد حدثنا محمد بن عبد الله القرشي حدثنا محمد بن عبد الله الزبيدي عن أبي حمزة الثمالي حدثني أبو جعفر محمد بن على قال : أوصاني أبي فقال : لا تصحبن خمسا ولا تحادثهم ولا ترافقهم في الطريق قال : قلت جعلت فداك يا أبت من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصحبن **فاسقا** فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قال قلت : يا أبت فما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، قال : قلت : يا أبت **ومن الثاني ؟** قال: لا تصحبن **البخيل** فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه ، قال: قلت : يا أبت **ومن الثالث ؟** قال : لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، قال : قلت : يا أبت **ومن الرابع ؟** قال : لا تصحبن **أحمق** فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، قال : قلت : يا أبت **ومن الخامس ؟** قال : لا تصحبن **قاطع رحم** فإني وجدته ملعونا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع .

أمر آخرتك ، والاشتغال بغير هذين حمق كبير . وقال سهل بن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين .

واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة ، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها ، فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة فى الآخرة . والأخوة كما قاله بشر : الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به . وقلما تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة .

وقد قال المأمون الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط . ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع ، وقد قيل : مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات . فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به فى الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ، ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ، ومنها ما له ثمر وظل جميعا ، ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى : ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج : ١٣) .

وقال الشاعر :

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم	لا يستوون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته	وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذا من لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد ، فالوحدة أولى به ، قال أبو ذر رضي الله عنه : « **الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة**»(١٨٠٨) .

ويروى مرفوعا .

وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ (لقمان : ١٥) . ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . وقال سعيد ابن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة فى مخالطتهم وإنما السلامة فى الانقطاع عنهم . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ (الفرقان : ٦٣) أى سلامة ، والألف بدل من الهاء ، ومعناه : أنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا .

فهذا ما أردنا أن نذكره من معانى الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع فى ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها .

وأما الحريص على الدنيا ، فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا فلذلك « **تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة**» (١٨٠٩) .

(١٨٠٨) حديث : قال أبو ذر رضي الله عنه : « الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة » هكذا هو فى القوت موقوفا على أبى ذر .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال الحافظ ابن حجر وهو المحفوظ ويروى مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم فى المناقب والبيهقى وأبو الشيخ والعسكرى فى الأمثال من طريق صدقة بن أبى عمران عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر » قال الذهبى لم يصح ولا صححه الحاكم وقال الحافظ ابن حجر سنده حسن وقد أغفله العراقى فلم يورده وصدقة ابن أبى عمران قاضى الأهواز كوفى صدوق روى له البخاري تعليقا ومسلم وابن ماجه .

(١٨٠٩) حديث : « تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين فى الآخرة » . =

قال علي عليه السلام : **أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه** .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه .

« وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر » (١٨١٠) .



= **قال مرتضى : أغفله العراقي** وقد روى الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق والعسكري في الأمثال من حديث أبي جحيفة : جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء وخالطوا الحكماء رواه من طريق أبي مالك النخعي عن سلمة بن كهيل عن أبي جحيفة به مرفوعا ورواه العسكري أيضا من طريق اسحق بن الربيع العصفري حدثنا أبو مالك نحوه ومن طريق مسعر عن أبي جحيفة قال كان يقال جالس الكبراء وخالط العلماء وخالل الحكماء موقوف وفي حديث ابن عباس قيل يا رسول الله من نجالس ؟ قال من ذكركم الله رؤيته وزاد في عملكم منطقه وذكركم الآخرة عمله رواه العسكري في الأمثال.

(١٨١٠) حديث : « قال لقمان لابنه : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه مالك في الموطأ وقد تقدم في كتاب العلم وروى الديلمي من حديث أنس جالس العلماء تعرف في السماء ووقر كبير المسلمين تجاور في الجنة ومن حديث ابن عباس مجالسة العلماء عبادة .

الباب الثانى

فى حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين، كعقد النكاح بين الزوجين ، وكما يقتضى النكاح حقوقا ، يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح ، كما سبق ذكره فى كتاب آداب النكاح ، فكذا عقد الأخوة ، فلأخيك عليك حق فى المال والنفس ، وفى اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه **ثمانية حقوق :**

الحق الأول : فى المال قال رسول الله ﷺ : « **مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى** » (١٨١١) .

وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل ، لأنهما يتعاونان على غرض واحد ، فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا ترافقا فى مقصد واحد ، فهما من وجه ، كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة فى السراء والضراء والمشاركة فى المآل والحال ، وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الإخوة على **ثلاث مراتب :**

أدناها : أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك ، فتقوم بحاجاته من فضلة مالك ، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك ، أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال ، فإن أحوجته إلى السؤال ، فهو غاية التقصير فى حق الأخوة .

(١٨١١) حديث: قال ﷺ : « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » **قال العراقى :** تقدم فى الباب قبله حديث رقم ١٧٦٨ ص ١٥٩٧ .

قال مرتضى : ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث سلمان بلفظ مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقى إحداهما الأخرى وهو فى أول الحزبيات من قول سلمان موقوف عليه .

الثانـية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك ونزوله منزلتك ، حتى تسمح بمشاطرته فى المال ، قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه .

الثالثة : وهى العليا : أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحـابين ، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا . كما روى أنه سُعِيَ بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء ، فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السياف ليكون هو أول مـقتول ، فقيل له فى ذلك فقال : أحبـبت أن أوثر إخوانى بالحيـاة فى هذه اللحظة ، فكان ذلك سبب نجـاة جميـعهم فى حكاية طويلة . فإن لم تصـادف نفسك فى رتبة من هذه الرتب مع أخـيك ، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعـقد بعد فى الباطن ، وإنما الجارى بينكما مخـالطة رسمية ، لا وقع لها فى العقل والدين .

فقـد قال ميمـون بن مهران : من رضى من الإخـوان بترك الأفضـال فليواخ أهل القبور .

وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين .

روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال : أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال : خـذ ألفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله ، أما اسـتحييت أن تدعى الأخوة فى الله وتقول هذا . ومن كان فى الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغى أن لا تعامله فى الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ فى الله فلا تعامله فى أمور دنياك وإنما أراد به من كان فى هذه الرتبة .

وأما الرتبة العليا . فهى التى وصف الله تعالى المؤمنين بها فى قوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى : ٣٨) ، أى كانوا خلطاء فى الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعلى لأنه أضافه إلى نفسه .

وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله ، فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل .

وجاء رجل إلى أبى هريرة رضي الله عنه وقال : إني أريد أن أواخيك في الله فقال : أتدرى ما حق الإخاء قال : عرفنى قال: أن لا تكون أحق بدينارك ، ودرهمك منى. قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى .

وقال على بن الحسين رضي الله عنهما لرجل : هل يدخل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال: لا ، قال : فلستم بإخوان . ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا : يا أبا سعيد أصليت ؟ قال: نعم ، قالوا : فإن أهل السوق لم يصلوا بعد ، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق ، بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ، قاله كالمتعجب منه.

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إنى أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك قال : لا ، قال : أعجبنى صدقك قال : فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم فى بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك ، وجعلهما فى القصعة وردها إلى صاحب الهدية ، فلما جاء رفيقه قال : أين الشراك قال: ذلك الثريد الذى أكلته إيش كان قال : كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال : اسمح يسمح لك ، وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا ، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة ، وروى أن

مسروقا أدان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال : فذهب مسروق ، فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم .

« ولما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس ، فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة » (١٨١٢) .

وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من إخوانى لاستقللتها له ، وقال أيضا : إنى لألقم اللقمة أخا من إخوانى فأجد طعمها فى حلقى .

ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه : لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين .

وقال أيضا : لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخوانى فى الله أحب إلىّ من أن أعتق رقبة واقتداء الكل فى الإيثار برسول الله ﷺ **« فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه ، فاجتنى منها سواكين ، أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه ، فقال له : يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى، فقال : ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله**

(١٨١٢) حديث : « لما آخى النبى ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما » ولفظ القوت فآثره بما به آثره فكأنه استأنف هبة له لأنه قد كان ملكه إياه لسخاوته وحقيقة زهده وصدق مودّته فكانت المساواة لسعد والإيثار لعبد الرحمن بن عوف فزاد عليه وهذا من فضل المهاجرين على الأنصار إذ كانت المساواة دون الإيثار **قال العراقى** : المعروف أن سعد بن الربيع هو الذى عرض نفسه ونصف ماله وإحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك هكذا رواه البخارى من حديث أنس .

قال مرتضى : وهذا على ما فى نسخة قال سعد والذى فى أيدينا قال عبد الرحمن فلا إشكال.

أم أضاعه » (١٨١٣) .

فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله فى الصحبة « وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ، ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمى يا رسول لا تفعل فأبى عليه السلام إلى أن يستره بالثوب حتى اغتسل » (١٨١٤) .

وقال ﷺ : «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه» .

وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك : كف يدك حتى يجىء صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ،

(١٨١٣) حديث : « أنه ﷺ دخل غيضة» هى الشجر الملتف «مع بعض أصحابه» ولفظ القوت وروى أن النبى ﷺ صحبه رجل فى طريق فدخل غيضة « فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه وحبس المعوج إلى نفسه فقال يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعه » كذا أورده صاحب القوت . **قال العراقى :** لم أقف له على أصل انتهى .

قال مرتضى : وقد يستأنس به ما تقوله العامة النبى سأل عن صحبة ساعة .

(١٨١٤) حديث : «خرج ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان ﷺ الثوب على النبى ﷺ ونشره حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول النبى ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا تفعل فأبى ﷺ إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل » هكذا أورده صاحب القوت . **قال العراقى :** لم أقف له على أصل . اهـ.

قال مرتضى : أخرجه ابن أبى عاصم فى الوحدان .

وأشار بهذا إلى أن الانبساط فى بيوت الإخوان من الصفاء فى الإخوة كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ (النور: ٦١)، وقال: ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ (النور: ٦١) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم فى الانبساط فى طعام الإخوان والأصدقاء .

الحق الثانى : فى الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ، وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال ، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ، ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله إن يكون قد نسى فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ (الأنعام : ٣٦).

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه بهدية فقال: ما هذا ؟ قال : لما أسديته إلىّ ، فقال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة ، فلم يجهد نفسه فى قضائها ، فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى .

قال جعفر بن محمد : إنى لاتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم، فيستغنوا عنى ، هذا فى الأعداء فكيف فى الأصدقاء ، وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه .

وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها .

قال ميمون بن مهران : من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته .

وقال ﷺ : « ألا وإن لله أوانى فى أرضه وهى القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها » (١٨١٥) وأرقها أصفاها من الذنوب وأصلبها فى الدين وأرقها على الإخوان .

وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة ، بل تقوم بحاجته ، كأنك لا تدرى أنك قمت بها ، ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها ، بل تتقلد منة بقبوله سعيك فى حقه وقيامك بأمره ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة ؛ بل تجتهد فى البداية بالإكرام فى الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول : إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة .

وقال الحسن : من شيع أخاه فى الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة .

وفى الأثر : ما زار رجل أخاه فى الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة .

(١٨١٥) حديث : قال ﷺ : « إن لله أوانى فى أرضه وهي القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفاها وأصلبها » **قال العراقى** : رواه الطبراني من حديث أبى عتبة الخولانى إلا أنه قال ألينها وأرقها وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : أبو عقبة اسمه عبد الله بن عقبة قيل كان صلى القبلتين جميعًا وقيل ولد فى عهده ﷺ بل صحب معاذ بن جبل روى عنه أبو الزاهرية وبكر بن زرعة ومحمد بن زيان الألهانى ولفظ حديثه إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها وفى إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث فيه .

وقــال عطاء : « **تفقدوا إخـوانكم بعد ثلاث فإن كـانوا مرضى فعودوهم أو مـشاغيل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم** » (١٨١٦) .

وروى أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشـمالا بين يدى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال أحببت رجـلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : «**إذا أحببت أحدا فـسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته** » (١٨١٧) ، وفى رواية وعن اسم جده وعشيرته .

(١٨١٦) حديث : « تفقدوا إخـوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشـاغيل فأعينوهم أو كانوا نسـوا فذكروهم » نـقله صاحب القوت أى إذا لم يأتك أخـوك بعد مـضى ثلاث ليال وجب عليك تفقده فـإنه لا يخلو من إحدى الحالات الثلاث إما مريض أو مـشغول أو نسى الصحبة والأخوّة فالمريض يعاد والمشغول يعان والناسى يذكر .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى هذا فى المرفوع من حديث أنس كان النبى ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كـان غائبا دعا له وإن كان شاهدا زاره وإن كان مـريضا عاده أخرجـه أبو يعلى فى مسنده من طريق عـباد بن كثـير عن ثابت عن أنس وأخرج البيهـقى فى الشعب عن الأعمش قال كنا نقعد في المجلس فـإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه .

(١٨١٧) حديث : ابن عمر « إذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه واسم أبيـه ومنزله وعشيرته » ولفظ القـوت وقد روينا عن النبى ﷺ أنه رأى ابن عـمر يلتـفت يمينا وشـمالا فـسأله فـقال : أحبـبت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فـقال : إذا أحبيـت أحدا فسله عن اسمــه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته ، وفى رواية أن ابن عمر ﷺ كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدى النبى ﷺ وفيها عن اسم جده وعشيرته **قال العراقى:** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى شعب الإيمان بـسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعامة وقال غريب ولا نعلم ليزيد بن نعامة سماع من النبى ﷺ انتهى .

قال مرتضى : وقد وقع لنا حديث مسلسل بقولهم لقيت فلانا فـسألنى عن اسمى ونسبى وكنيتى وعن الموضـع الذى أنا ساكنه من طريق أبى الحسين مـحمد بن الـنضر الموصلى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه يا أنس أكثر من الأصدقاء فإنكم شفعاء بعضكم فى بعض هكذا أورده ابن ناصر الدين فى مـسلسلاته ورواه كذلك أبو جعفر محمد بن على الهمدانى وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفى وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهانى الحافظ فى مسلسلاتهم من طرق مدارها على هدبه .

وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول : أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك : قال جليسي وقال : ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص : لجليسي عليّ ثلاث إذا دنا رحبت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .

وقد قال تعالى : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩) . إشارة إلى الشفقة والإكرام .

ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

الحق الثالث : في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وإن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه ، بذكر غرضه من مصدره ومورده ، ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسراره التي بثها إليه ولا يبثها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وإن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وإن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذي سبك من بلغك.

وقال أنس: « كان ﷺ لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » (١٨١٨) .

(١٨١٨) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » .
قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف انتهى.
قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ولفظهم جميعا كان لا يواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه وسببه أن رجلا دخل وبه أثر صفرة فلما خرج قال لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه .

والتأذى يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل ، نعم لا ينبغى أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه ، فإن السرور به أولاً يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، واخفاء ذلك من الحسد .

وبالجملة ، فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً ، إلا إذا وجب عليه النطق فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة فى السكوت ، فإذ ذاك لا يبالى بكراهته ، فإن ذلك إحسان إليه فى التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة فى الظاهر . أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوئ أهله ، فهو من الغيبة وذلك حرام فى حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران :

أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة ، فأى الرجال المهذب وكل ما لا تصادفه من نفسك فى حق الله ، فلا تنتظره من أخيك فى حق نفسك ، فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك .

والأمر الثانى : أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب ، اعتزلت عن الخلق كافة ، ولن تجد من تصاحبه أصلا ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوي ، فإذا غلبت المحاسن المساوى ، فهو الغاية والمنتهى .

فالمؤمن الكريم أبدا يحضر فى نفسه محاسن أخيه ، لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام .

وأما المنافق اللئيم ، فإنه أبدا يلاحظ المساوى والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوّة العفو عن زلات الإخوان .

ولذلك قال عليه السلام : « استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » (١٨١٩).

وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ، ويمكن تقبيحه أيضا.

روى « أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت: أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا» (١٨٢٠).

(١٨١٩) حديث : قال ﷺ : «استعيذوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » قال العراقى : رواه البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح تعوذوا بالله من جار السوء فى دار المقام انتهى.

قال مرتضى : وروى الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ استعيذوا بالله من شر جار المقام فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زايل ورواه أيضا بلفظ اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن جار البادية يتحول وروي الطبرانى فى الكبير من حديث عقبة بن عامر اللهم إنى أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء فى دار المقامة وأخرج ابن النجار من حديث سعيد المقبرى مرسلا اللهم إنى أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها وأما حديث النسائى الذى أشار إليه العراقى فقد أخرجه أيضا البيهقى فى الشعب وزاد هو والنسائى أيضا بعد قوله دار المقام فإن الجار البادى يتحول عنك وروى البيهقى أيضا فى معناه بسنده إلى الحسن قال قال لقمان لابنه يا بنى حملت الجندل وكل ثقيل فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرار فلم أذق شيئا أمر من الصبر وروي البيهقى أيضا من حديث أبى هريرة تعوذوا بالله من ثلاث نوافر جار سوء أن رأى خيرا كتمه وإن رأى شرا أذاعه .... الحديث وسنده ضعيف .

(١٨٢٠) حديث : « أن رجلا أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال ﷺ أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم أنه أرضانى بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبنى اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال ﷺ : إن من البيان لسحرا » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر. قال العراقى : رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك من حديث أبى=

وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر .

ولذلك قال فى خبر آخر : «البذاء والبيان شعبتان من النفاق» (١٨٢١) .

وفى الحديث الآخر : « إن الله يكره لكم البيان كل البيان» (١٨٢٢) .

= بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم فى مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا انتهى .

قال مرتضى : إن من البيان لسحرا رواه أحمد والبخارى في النكاح والطب وأبو داود فى الأدب والترمذى في البر كلهم من حديث ابن عمر وعزاه صاحب المشارق إلى على ووهم فيه فإن البخارى لم يخرجه عنه وأما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد وأبو داود بلفظ إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما وأما القصة ففى قدوم وفد تميم وفيهم الزبرقان وعمرو ابن الأهتم وإنهما خطبا ببلاغة وفصاحة ثم قال الزبرقان يا رسول الله أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمر وإنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى أذينه فقال الزبرقان والله لقد علم منى أكثر مما قال ما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك فوالله إنه للئيم الخال حديث المال ضعيف العطن أحمق الولد والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا وما كذبت فيما قلت آخرا ولكنى رجل إن أرضيت قلت أحسن ما علمت وإن أغضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت فى الأولى والأخرى فقال ﷺ إن من البيان سحرا قال الميدانى هذا المثل فى استحسان النطق وإيراد الحجة البالغة .

(١٨٢١) حديث : قال ﷺ : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » البذاء كسحاب الكلام القبيح يكون تارة من القوة الشهوية كالرفث والسخف ومن القوة الغضبية تارة فمتى كان معه استعانة بالقوة المفكرة كان منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتا مجردًا لا يفيد نطقا كما يرى ممن فار غضبه وهاج هائجه قاله الراغب والبيان هو التعمق فى إظهار الفصاحة فى المنطق وتكلف البلاغة فى أساليب الكلام . **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .اهـ.

(١٨٢٢) حديث : قال ﷺ : « إن الله كره لكم البيان كل البيان » . **قال العراقى** : رواه ابن السنى فى كتاب رياضة المتعلمين من حديث أبى أمامة بسند ضعيف انتهى .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الكبير كذلك وفى سنده عفير بن معدان وهو ضعيف.

وكذلك قال الشافعي رحمه الله : ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا فى حق الله فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى .

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه، يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن .

فسوء الظن غيبة بالقلب ، وهو منهى عنه أيضا وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن .

فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة ، فلا يمكنك أن لا تعلمه ، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن . وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرسا ، وهو الذى يستند إلى علامة ، فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان ، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه به ، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام فى حق كل مؤمن إذ قال ﷺ : **«إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء»** (١٨٢٣) .

وقال ﷺ : **« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »** (١٨٢٤) .

(١٨٢٣) حديث: قال ﷺ : « إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء»
قال العراقى : رواه الحاكم فى التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله ثقات إلا أن أبا على النيسابورى قال ليس هذا عندى من كلام النبى ﷺ إنما هو عندى من قول ابن عباس ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبى هريرة كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

(١٨٢٤) حديث قال ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة . انتهى .

قال مرتضى: وكذلك رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذى وللحديث بقية يأتى ذكرها بعده وهو قوله ولا تجسسوا إلخ .

وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس وقد قال ﷺ : « **لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا** » (١٨٢٥) .

والتجسس فى تطلع الأخبار ، والتحسس بالمراقبة بالعين، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين . ويكفيك تنبيها على كمال الرتبة فى ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى وصف به فى الدعاء فقيل يا من أظهر الجميل وستر القبيح والمرضى عند الله من تخلق بأخلاقه ، فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد ، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ومخلوقك .

وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريح ثوبه عنه . قالوا : نستره ونغطيه قال : بل تكشفون عورته ، قالوا : سبحان الله من يفعل هذا فقال : أحدكم يسمع بالكلمة فى أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها .

واعلم أنه «**لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (١٨٢٦) .

وأقل درجات الأخوة ، أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به . ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوى والعيوب ، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه

(١٨٢٥) حديث : قال ﷺ : « لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدبروا وكونوا عباد الله إخوانا» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو بعض الحديث الذى قبله .اهـ.

قال مرتضى : وهذا بقية الحديث الذى تقدم قبله ولفظه ولا تجسسوا بالجيم ولا تحسسوا بالحاء ولا تنافسوا ويروى ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك وقد تقدم أنه أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذى من حديث أبى هريرة .

(١٨٢٦) حديث : قال ﷺ : « لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال مرتضى : **أغفله العراقى** وقد روى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه أى لا يتم إيمانه .

لأجله وويل له فى نص كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين: ١ - ٣) .

وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ، ومنشأ التقصير فى ستر العورة أو السعى فى كشفها الداء الدفين فى الباطن وهو الحقد والحسد .

فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه فى باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا ، وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة ، وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين ، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى .

قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن فى قلبه سخيمة على مسلم ، فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله .

وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولى جار يهودى يخبرنى عن التوراة فقدم علىَّ اليهودى من سفر فقلت : إن الله قد بعث فينا نبيا، فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا ، وقد أنزل علينا كتابا مصدقًا للتوراة فقال اليهودى: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به ، إنا نجد نعته ونعت أمته فى التوراة : إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفى قلبه سخيمة على أخيه المسلم.

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذى استودعه ، وله أن ينكره وإن كان كاذبا، فليس الصدق واجبا فى كل مقام ، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفى عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب ، فله أن يفعل ذلك فى حق أخيه . فإن أخاه نازل منزلته ، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن .

هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية ، فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق . وقد قال عليه السلام: « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة» (١٨٢٧) .

وفى خبر آخر: « فكأنما أحيا موؤدة» (١٨٢٨) .

(١٨٢٧) حديث : قال ﷺ : « من ستر عورة أخيه ستره الله فى الدنيا والآخرة ». **قال العراقى :** رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل فى الدنيا ولمسلم من حديث أبى هريرة من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة انتهى .

قال مرتضى : لفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر من ستر مؤمنا فى الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة وروى أبو نعيم من حديث ثابت بن مخلد من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وزاد عبد الرزاق وأحمد وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والخطيب من حديث مسلمة بن مخلد ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .... الحديث وروى الخرائطى في مكارم الأخلاق حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وروى أحمد عن رجل من الصحابة من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيامة وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر من ستر أخاه فى فاحشة رآها عليه ستره الله فى الدنيا والآخرة .

(١٨٢٨) حديث : قال ﷺ : « من ستر عورة أخيه فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ». **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الإسناد انتهى .

قال مرتضى : ورواه أيضا البخارى فى الأدب المفرد بهذه الزيادة وروى أحمد وابن ماجه من حديثه أيضا بلفظ من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ورواه بهذا اللفظ ابن مردويه والبيهقى والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عساكر وابن النجار من حديث جابر ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث مسلمة بن مخلد وروى الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة من حديث رجل من الصحابة اسمه جابر بن شهاب كان ينزل مصر بلفظ من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا وروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عقبة بلفظ من ستر على مؤمن جريمة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها ولابن حبان والبيهقى من حديثه من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤدة فى قبرها وعند البيهقى من حديث أبى هريرة من ستر على مؤمن فاحشته فكأنما أحيا موؤدة .

وقال عليه الصلاة والسلام: « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة»(١٨٢٩) .

وقال: « المجلس بالأمانة» (١٨٣٠) .

« إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » (١٨٣١) .

(١٨٢٩) حديث : قال ﷺ : « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة » عند المحدث فيجب عليه كتمها إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق. **قال العراقي** : رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن انتهى .

قال مرتضى : أخرجه أبو داود في الأدب والترمذي في البر والصلة وكذلك أخرجه أحمد والضياء في المختارة وصححه وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس وفيه حبارة بن المغلس ضعيف وبقية رجاله ثقات .

(١٨٣٠) حديث : قال ﷺ « المجالس بالأمانة » فلا يشيع حديث جليسه إلا فيما يحرم ستره من الإضرار بالمسلمين ولا يبطن غير ما يظهره .

قال مرتضى : **أغفله العراقي** رواه ابن ماجه من حديث جابر والخطيب من حديث علي وأورده القضاعي في الشهاب وكذا الديلمي والعسكري كلهم من طريق حسين بن عبد الله ابن حمزة عن أبيه عن جده عن علي وقال الحافظ في الفتح سنده ضعيف فلا يلتفت إلى قول شراح الشهاب كأبي بكر العامري البغدادي والحضرمي أنه صحيح ويروى بزيادة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام - أي يراق دم سائل من مسلم بغير حق - ومجلس يستحل فيه فرج حرام - أي على وجه الزنا - ومجلس يستحل فيه مال من غير حله .

(١٨٣١) حديث : قال ﷺ : « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله » . **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه انتهى .

قال مرتضى : ولفظه في الأدب إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو اقتطاع مال بغير حق قال المنذري ابن أخي جابر مجهول قال وفيه أيضا عبد الله بن نافع الصائغ روى له مسلم وغيره وفيه كلام .اهـ. ولكن سكوت أبي داود عليه يدل على حسنه والله أعلم وروى أبو الشيخ في كتاب التوبيخ من حديث عثمان بن عفان وابن عباس بلفظ إنما المجالس بالأمانة والمعنى المجالس الحسنة إنما هي المصحوبة بالأمانة .

وقال ﷺ : «إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » (١٨٣٢) .

قيل لبعض الأدباء : كيف حفظك للسر؟ قال : أنا قبره . وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل : إن قلب الأحمق فى فيه ولسان العاقل فى قلبه أى لا يستطيع الأحمق إخفاء ما فى نفسه، فيبديه من حيث لا يدرى به . فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقى عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم .

وقد قيل لآخر : كيف تحفظ السر ؟ قال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر . وقال آخر : أستره واستر أنى أستره .

وعبر عنه ابن المعتز فقال :

ومستودعى سرا تبوأت كتمه ... فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر: وأراد الزيادة عليه :

وما السر فى صدرى كثاو بقبره ... لأنى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى ... بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه ... عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له : حفظت ، فقال : بل نسيت .

(١٨٣٢) حديث : قال ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » كذا فى القوت **قال العراقى** : رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية أبى بكر بن حزم مرسلا والحاكم وصححه من حديث ابن عباس : إنكم تجالسون بينكم بالأمانة . اهـ.

قال مرتضى : والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يخاف وفى سنده وسند ابن لال عبد الله ابن محمد ابن المغيرة قال الذهبى فى الضعفاء قال العقيلى يحدث بما لا أصل له وقال ابن عدى عامة أحاديثه لا يتابع عليها وأما مرسل أبى بكر بن حزم فقد رواه البيهقى فى الشعب وقال هذا مرسل جيد .

وكان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تواخى رجلا فاغضبه ، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك ، فإن قال خيرا وكتم سرك فاصحبه . وقيل لأبى يزيد من تصحب من الناس قال : من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله . وقال ذو النون : لا خير فى صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم ، لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها .

وقد قال بعض الحكماء : لا تصحب من يتغير عليك عند أربع : عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه ، بل ينبغى أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال .

ولذلك قيل :

وترى الكريم إذا تصرم وصله ... يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله ... يخفى الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله : إنى أرى هذا الرجل يعنى عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ ، فاحفظ عنى خمسا: لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجربن عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة . فقال الشعبى : كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف .

ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة فى كل ما يتكلم به أخوك .

قال ابن عباس : لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك . وقد قال ﷺ : «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة » .

هذا مع أن تركه مبطلا واجب ، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل . « وإنما الأجر على قدر النصب» (١٨٣٣) .

(١٨٣٣) حديث : قال ﷺ : « إنما الأجر على قدر النصب » أى التعب والمشقة .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد جاء فى حديث صحيح أن النبى ﷺ قال لعائشة=

وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة ، فإنها عين التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان .

وقال ﷺ : « **لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(١٨٣٤) .

وأشد الاحتقار المماراة ، فإن من رد على غيره كلامه . فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش .

وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال : « **خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال : ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج**

= بعد اعتمارها إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك قال النووي وظاهره أن الثواب والفضل في العبادة بكثرة النصب والنفقة قال الحافظ ابن حجر وهو كما قال ولكنه ليس بمطرد .

(١٨٣٤) حديث : قال ﷺ : « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم .... الحديث » **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه في حديث رقم ١٨٢٥ ص ١٦٥٤ . اهـ.

قال مرتضى : وهذا بعض من حديث أبي هريرة السابق ذكره في حديث رقم ١٨٢٤ ص ١٦٥٣ وحديث إياكم وسوء الظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا إلى آخره ذكره في حديث رقم ١٨٢٥ ص ١٦٥٤ وأوله متفق عليه من حديثه كما تقدم وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي أيوب لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا هجرة المؤمنين ثلاث فإن تكلما وإلا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلما وأخرج مالك والطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أنس لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي بكر لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا وروى أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا .

العداوة بين الإخوان» (١٨٣٥) .

وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته.

وقال عبد الله بن الحسن : إياك ومماراة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم .

وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر فى طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل .

وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله .

وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل . ولا معنى للمعاداة إلا هذا ، فكيف تضامه الأخوة والمصافاة .

فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه »** (١٨٣٦) .

(١٨٣٥) حديث : أبى أمامة الباهلى قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فإن نفعه قليل فإنه يهيج العداوة بين الإخوان » كذا فى القوت إلا أنه قال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فإن نفعه قليل وأنه يهيج والباقى سواء. **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة وأبى الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله لقلة خيره ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى أمامة فقط وإسنادهما ضعيف . اهـ.

وقال مرتضى : وروى الديلمى من حديث معاذ دعوا الجدال والمراء لقلة خيرهما فإن أحد الفريقين كاذب فيأثم الفريقان .

(١٨٣٦) حديث : روى ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: « لا تمار أخاك » أى لا تخاصمه «ولا تمازحه» بما يتأذى به « ولا تعده موعدا فتخلفه » . **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعنى من حديث ليث بن أبى سليم وضعفه الجمهور. انتهى.

وقد قال عليه السلام : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق » (١٨٣٧) .

والمماراة مضادة لحسن الخلق . وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا، وقالوا: إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغى أن يقوم ولا يسأل .

وقال أبو سليمان الدارانى : إنى كان لى أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب ، فأقول: اعطنى من مالك شيئا ، فكان يلقى إلىّ كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال : كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبى . وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء .

واعلم أن قوام الأخوّة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة .

قال أبو عثمان الحيرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

= **قال مرتضى** : رواه هكذا فى البر والصلة من طريق ليث بن أبى سليم قال الذهبى : فيه ضعف من جهة حديثه وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف إذا احببت رجلا فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحدا فعسى أن توافق له عدوا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه .

(١٨٣٧) حديث: قال ﷺ : « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم» بفتح السين أى لا تطيقون أن تعموا وفى رواية إنكم لن تسعوا أى لا يمكنكم ذلك « ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » وفى رواية فسعوهم بأخلاقكم وذلك أن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجبر ذلك بالقول حسبما نطق به وقول الناس حسنا قال العسكرى فى الأمثال بعد أن أخرجه نقلا عن المولى قال لو وزنت كلمته ﷺ بأحسن كلام الناس كلهم لرجحت على ذلك يعنى بها هذا الحديث . **قال العراقى** : رواه أبو يعلى الموصلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وضعفه والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة انتهى .

قال مرتضى : وكذا رواه البزار وأبو نعيم وأما البيهقى فإنه أخرجه من طريق الطبرانى وقال تفرد به عبد الله بن سعيد المقبرى عن أبيه وروى من وجه آخر ضعيف عن عائشة انتهى وفى الميزان عبد الله بن سعيد هذا واه بمرة وقال العلائى منكر الحديث متروك وقال يحيى استبان كذبه وقال الدارقطنى متروك ذاهب وساق له أخبارا منها هذا ثم قال وقال البخارى تركوه وأما سند أبى يعلى فقال العلائى إنه حسن .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق ، فإن الأخوّة كما تقتضى السكوت عن المكاره ، تقتضى أيضا النطق بالمحاب ، بل هو أخص بالأخوّة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور . وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم . والسكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يحب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه . وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها . وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء .

وقد قال عليه السلام : « **إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره** »(١٨٣٨) .

وإنما أمر بالإخبار ، لأن ذلك يوجب زيادة حب ، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة ، فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال: «**تهادوا تحابوا** »(١٨٣٩) .

(١٨٣٨) حديث : قال ﷺ : « إذا أحب أحدكم أخاه » أى لما فيه من الصفات المرضية « فليخبره » ندبا مؤكدا أى أنه يحبه . **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معدى كرب انتهى .

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والنسائى وابن حبان كلهم من طريق حبيب بن عبيد عن المقدام والمقدام صحابى له وفادة نزل حمص ومات سنة سبع وثمانين فلفظ أبى داود فليخبره أنه يحبه ولفظ البخارى فليعلمه أنه أحبه ولفظ الترمذى فليعلمه إياه ولفظ النسائى فليعلمه ذلك ورواه ابن حبان أيضا من حديث أنس والبخارى فى الأدب أيضا من حديث رجل من الصحابة وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر إذا أحب أحدكم عبدا فليخبره فإنه يجد مثل الذى يجد له وأخرج أحمد والضياء فى المختارة من حديث أبى ذر إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته منزله فليخبره أنه يحبه لله .

(١٨٣٩) حديث : قال ﷺ : « تهادوا تحابوا » رواه أبو هريرة وأخرجه البيهقى وغيره وقد تقدم الكلام عليه فى حديث رقم ١٧٥٢ ص ١٥٨٢ .

=

ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره .

قال عمر رضي الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده ، فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه ، وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لابد منه .

وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسن ومن ذلك أن تشكره على صنيعه فى حقك ، بل على نيته وإن لم يتم ذلك .

قال على رضي الله عنه : « من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة » . وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته ، مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض .

فحق الأخوة ، التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الأخوّة وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين ، تغسل إحداهما الأخرى . لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه .

وقد قال رسول الله ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه** » .

قال مرتضى : أى تهادوا بينكم تزدادوا محبة مع بعضكم وعند الطبرانى من حديث أم حكيم تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر وعند البيهقى من حديث أنس تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة إلى غير ذلك من الأخبار الواردة مما تقدم ذكر بعضها .



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٧

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وهذا من الإنثلام والخذلان ، فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه فاخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك ، وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم .

ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (الحجرات : ١٢) .

والملك الذى يمثل فى المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة، يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة ، حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة ، فإنه يغتاب الناس. لأن ذلك الملك في تمثيله يراعى المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله فى المعنى الذى يجرى من المثال مجرى الروح لا فى ظاهر الصور . فإذًا حماية الأخوّة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب فى عقد الأخوة .

وقد قال مجاهد : لا تذكر أخاك فى غيبته، إلا كما تحب أن يذكرك فى غيبتك.
فإذًا لك فيه معياران:

أحدهما : أن تقدر أن الذى قيل فيه ، لو قيل فيك وكان أخوك حاضرا ، ما الذى كنت تحب أن يقوله أخوك فيك ، فينبغى أن تعامل المتعرض لعرضه به .

والثانى : أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار ، يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره . فما كان يتحرك فى قلبك من النصرة له ، بمسمع منه ومرأى ، فينبغى أن يكون فى مغيبه كذلك . فقد قال بعضهم : ما ذكر أخ لى بغيب إلا تصورته جالسا . فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر .

وقال آخر : ما ذكر أخ لى إلا تصورت نفسى فى صورته ، فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيّ : وهذا من صدق الإسلام، وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه.

وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان فى فدان، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف الآخر، فبكى وقال : هكذا الإخوان فى الله ، يعملان لله ، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصا فى إخائه ، فهو منافق .

والإخلاص استواء الغيب والشهادة ، واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة ، والاختلاف والتفاوت فى شىء من ذلك ، مماذقة فى المودة ، وهو دخل فى الدين ووليجة فى طريق المؤمنين ، ومن لم يقدر من نفسه على هذا، فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة . فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق . فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق .

ولذلك قال عليه السلام : « أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا » (١٨٤٠) .

فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار ، فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة فى القيام بحق الجوار ، والقيام بحق الصحبة ، فإن الصحبة تقتضى حقوقا كثيرة فى أحوال متقاربة مترادفة على الدوام.

والجوار لا يقتضى إلا حقوقا قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم . ومن ذلك التعليم والنصيحة ، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال .

فإن كنت غنيا بالعلم ، فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه فى الدين والدنيا . وإن علمته وأرشدته ، ولم يعمل بمقتضى العلم ، فعليك النصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة

(١٨٤٠) حديث : قال ﷺ : « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا ». **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه واللفظ له من حديث أبى هريرة بالشطر الأول فقط وقال الترمذى مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطنى والحديث ثابت ورواه القضاعى فى مسند الشهاب بلفظ المصنف . اهـ.

قال مرتضى : وسيأتى للمصنف فى ذكر حقوق المسلم قريبا .

لينزجر عنه ، وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ، ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد .

فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة . وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة ، إذ قال ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن » (١٨٤١) .

أى يرى منه ما لا يرى من نفسه ، فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة .

وقال الشافعى رضي الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال : إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم، وإن قرعنى بين الملأ فلا ، وقد صدق فإن النصح على الملأ فضيحة .

والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه ، فى ظل ستره ، فيوقفه على ذنوبه سرا . وقد يدفع كتاب عمله مختوما إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة ، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوما ليقرأه .

وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الأشهاد ، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم، فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا. ونعوذ بالله من الخزى يوم العرض الأكبر .

فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والإعلان ،كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء ، فإن أغضيت لسلامة دينك ، ولما ترى من

(١٨٤١) حديث : قال ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن ». **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد حسن انتهى .

قال مرتضى : رواه من طريق الوليد بن رباح عن أبى هريرة وهو عند العسكرى فى الأمثال من أوجه عن أبى هريرة لفظه فى بعضها أن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى شيئا فليمطه قال الحافظ السخاوي وفى الباب عن أنس من طريق شريك بن أبى نمر أخرجه الطبرانى والبزار والقضاعى وعن الحسن من قوله أنشده ابن المبارك فى البدل .

إصلاح أخيك بالإغضاء ، فأنت مدار ، وإن أغضيت لحظ نفسك ، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك ، فأنت مداهن .

وقال ذو النون : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

فإن قلت : فإذا كان فى النصح ذكر العيوب ، ففيه إيحاش القلب . فكيف يكون ذلك من حق الأخوة .

فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه ، فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة ، وهو استمالة القلوب ، أعنى قلوب العقلاء ، وأما الحمقى ، فلا يلتفت إليهم ، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة ، اتصفت بها ، لتزكي نفسك عنها ، كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك، وقد همت بإهلاكك ، فإن كنت تكره ذلك ؛ فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات ، وهى فى الآخرة مهلكات ، فإنها تلدغ القلوب والأرواح ، وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد « **وهى مخلوقة من نار الله الموقدة** » (١٨٤٢) .

ولذلك كان عمر ﷺ يستهدى ذلك من إخوانه ويقول : رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه . ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه : ما الذى بلغك عني مما تكره ، فاستعفى ، فألح عليه، فقال : بلغنى أن لك حلتين ، تلبس إحداهما بالنهار ، والأخرى بالليل ، وبلغنى أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة ، فقال عمر ﷺ : أما هذان ، فقد كفيتهما ، فهل بلغك غيرهما فقال : لا .

(١٨٤٢) حديث : « الصفات الذميمة مخلوقة من نار الله الموقدة » التى أوقدها الله تعالى وما أوقده لا يطفئه غيره « التى لا تطلع إلا على الأفئدة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : تطلع على الأفئدة ، قال : تأكل كل شيء منه حتى تنتهى إلى فؤاده .

وكتب حذيفة المرعشى إلى يوسف بن أسباط ، بلغنى أنك بعت دينك بحبتين ، وقفت على صاحب لبن فقلت: بكم هذا ؟ فقال : بسدس ، فقلت له : لا بثمن ، فقال : هو لك ، وكان يعرفك ، اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى .

واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا، لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين . وقد « وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٩) »(١٨٤٣) .

وهذا فى عيب هو غافل عنه ، فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه ، فإنما هو مقهور عليه من طبعه ، فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه ، وإن كان يظهره، فلابد من التلطف فى النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدى إلى الإيحاش ، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه ، فالسكوت عنه أولى .

وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره فى حقك ، فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامى عنه، والتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء .

(١٨٤٣) حديث : « وصف الله الكافرين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى يوسف الغسولى قال كتب حذيفة المرعشى إلى يوسف بن أسباط أما بعد فإن من قرأ القرآن وآثر الدنيا على الآخرة فقد اتخذ القرآن هزواً ومن كانت النوافل أحب إليه من ترك الدنيا لم آمن أن يكون مخدوعا والحسنات أضر علينا من السيئات والسلام ولفظ القوت وقال جعفر بن برقان قال لى ميمون بن مهران قل لى فى وجهى ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول فى وجهه ما يكره فإن كان أخوه الذى نصح له صادقا فى حاله أحبه على نصحه فإن لم يحبه وكره ذلك منه دل على كذب الحال قال الله تعالى فى وصف الكاذبين ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ .

نعم إن كان بحيث يؤدى استمراره عليه إلى القطيعة ، فالعتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل .

إذ ينبغى أن يكون قصدك من أخيك ، إصلاح نفسك بمراعاتك إياه ، وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره ، لا الاستعانة به والاسترفاق منه . قال أبو بكر الكتانى: صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا ، فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما فى قلبى، فلم يزل ، فأخذت بيده يوما إلى البيت وقلت له : ضع رجلك على خدى ، فأبى فقلت : لابد ، ففعل ، فزال ذلك من قلبى .

وقال أبو علي الرباطى : صحبت عبد الله الرازى وكان يدخل البادية فقال : على أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقلت : بل أنت ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت : نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد ، وحملها على ظهره ، فإذا قلت له اعطنى، قال: ألست قلت أنت الأمير ، فعليك الطاعة ، فأخذنا المطر ليلة ، فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء ، وأنا جالس يمنع عنى المطر ، فكنت أقول مع نفسى ليتنى مت ولم أقل أنت الأمير .

الحق الخامس : العفو عن الزلات والهفوات ، وهفوة الصديق لا تخلو ، إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة ، أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها ، فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله ، فإن لم تقدر وبقى مصرا ، فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين فى إدامة حق مودته أو مقاطعته .

فذهب أبو ذر ﷺ إلى الانقطاع وقال : إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ، ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله .

وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة ، فذهبوا إلى خلافه. فقال أبو الدرداء : إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه ، فلا تدعه لأجل ذلك ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى ..

وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه ، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا . وقال أيضا : لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها .

وفي الخبر : «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته» (١٨٤٤) .

وفي حديث عمر وقد « سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام ، فسأل عنه بعض من قدم عليه ، وقال : ما فعل أخي ، قال : ذلك أخو الشيطان ، قال مه، قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر ، قال : إذا أردت الخروج فآذني ، فكتب عند خروجه إليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم : حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ (غافر:١-٣) الآية ، ثم عاتبه تحت ذلك وعذله ، فلما قرأ الكتاب بكى وقال : صدق الله ونصح لي عمر ، فتاب ورجع» (١٨٤٥) .

(١٨٤٤) حديث : « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته » كذا في القوت أي رجوعه وتوبته عما لابسه من الزلل . **قال العراقي** : رواه البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني وضعفاه انتهى .

قال مرتضى : وكذلك رواه الحلواني والبيهقي كلهم من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو ابن عوف المزني عن أبيه عن جده والحديث ضعيف لضعف كثير ففي الكاشف واه وقال أبو داود كذاب وفي الميزان عن الشافعي ركن من أركان الكذب وضرب أحمد على حديثه وقال الدارقطني وغيره متروك وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة وقال ابن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه .

(١٨٤٥) حديث : عمر بن الخطاب رضي الله عنه « أنه سأل عن أخ كان قد آخاه أي عقد الإخوة بينه وبينه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه من الشام فقال ما فعل أخي فقال ذاك أخو الشيطان ، قال : مه ، قال : إنه قارف الكبائر » أي ارتكبها « حتى وقع في شرب الخمر قال إذا أردت الخروج إلى الشام فآذني » أي اعلمني بخروجك قال « فكتب معه عند خروجه إليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ .... الآية » أي إلى آخرها « ثم عاتبه بعد ذلك وعذله » أي=

وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى، فأظهر عليه أخاه . وقال : إنى قد اعتللت ، فإن شئت أن لا تعقد على صحبتى لله فافعل ، فقال : ما كنت لأحل عقد أخوّتك لأجل خطيئتك أبدا ، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواه ، فطوى أربعين يوما ، فى كلها يسأله عن هواه . فكان يقول: القلب مقيم على حاله ، وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى من قلب أخيه بعد الأربعين ، فأخبره بذلك ، فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالا وضرا .

وكذلك حكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وادعو له بالعود إلى ما كان عليه .

وروى فى الإسرائيليات أن أخوين عابدين كانا فى جبل ، نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم ، فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها ، ثم أقام عندها ثلاثا واستحى أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته ، قال : فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه ، فدخل

= نصحه فوصل إليه « فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله عز وجل ونصحنى عمر فتاب ورجع » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا أورده صاحب القوت وهذه القصة فى تفسير غافر من الكشاف بلفظ روى أن عمر بن الخطاب ﷺ افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له إنه يتابع الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ ﴾ إلى قوله: ﴿ الْمَصِيرُ﴾ وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى يكون صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء بالتوبة له فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عذابه ولم يزل يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذ رأيتم أخاكم قد ذل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له بالتوبة ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه وأخرج الشهاب السهروردى فى العوارف هذه الحكاية .

إليه وهو جالس معها ، فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه ، فقال : قم يا أخى ، فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه ، فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهى ألطف وأفقه من طريقة أبى ذر ﷺ وطريقته أحسن وأسلم .

فإن قلت : ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء، فتجب مقاطعته انتهاء .

لأن الحكم إذا ثبت بعلة ، فالقياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون فى الدين ، ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية .

فأقول : أما كونه ألطف ، فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر .

وأما كونه أفقه ، فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة ، فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره، وفقر الدين أشد من فقر المال ، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها فى دينه، فينبغى أن يراقب ويراعى ولا يهمل ، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التى ألمت به فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان ، وهذا من أشد النوائب .

والفاجر إذا صحب تقيا وهو ينظر إلى خوفه ومداومته ، فسيرجع على قرب ويستحى من الإصرار ، بل الكيلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه .

قال جعفر بن سليمان مهما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة ، فيرجع إلىَّ نشاطى فى العبادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسبوعا .

وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية.

ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الشعراء : ٢١٦) .

ولم يقل إنى برئ منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب . وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال : إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة .

ولذلك قيل لحكيم : أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقا لى . وكان الحسن يقول : كم من أخ لم تلده أمك . ولذلك قيل : القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماثية من قطعها قطعه الله .

فإذا الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب . وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق ، فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة ، فلا جرم لا ينبغى أن يقاطع بل يجامل ، والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها ، بل قال قائلون : الانفراد أولى .

فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهى عنه ومذموم فى نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح .

قال ﷺ : « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة » (١٨٤٦) .

(١٨٤٦) حديث : قال رسول الله ﷺ : « شرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة»
قال العراقى : رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف انتهى . =

وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه ، فماذا اتقيتم من محبة عدوكم ؟ وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه ، فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغى أن يضاف إليه الثانى .

وإلى هذا أشار عليه السلام فى الذى شتم الرجل الذى أتى فاحشة إذ قال : مه وزيره وقال : « **لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم**» (١٨٤٧) .

فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ، ومفارقة الأحباب والإخوان أيضًا محذورة ، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم، وفى الابتداء قد سلم ، فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى ، وفى الدوام تعارضا، فكان الوفاء بحق الأخوة أولى ، هذا كله فى زلته فى دينه .

أما زلته فى حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف فى أن الأولى العفو والاحتمال ، بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد ، فهو واجب بحق الأخوة .

= **قال مرتضى** : وفى القوت زاد : الباغون البذاء والعنت ويروى هذا الحديث بلفظ : خيار أمتى الذين إذا رؤا ذكر الله وشرار أمتى المشاءون .... الخ وهكذا رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم قال المنذرى فيه شهر بن حوشب وثق وضعف وبقية إسناده محتج بهم فى الصحيح ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبادة بن الصامت قال الهيتمى فيه يزيد بن ربيعة وهو متروك قال المنذرى وحديث عبد الرحمن أصح ويقال له صحبة وأخرج البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بلفظ خياركم الذين إذا رؤا ذكر الله بهم وشراركم المشاءون .... إلخ وفيه ابن لهيعة وابن عجلان ضعيفان وأخرجه كذلك الحاكم وأبو الشيخ فى التوبيخ زاد الأخير فى آخر الحديث يحشرهم الله فى وجوه الكلاب .

(١٨٤٧) حديث : « لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم » . **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة وتقدم فى الباب قبله حديث رقم ١٨٠١ ص ١٦٣١ .اهـ.

فقد قيل ينبغى أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا ،فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك : ما أقساك ، يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك ، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين ، فينبغى أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن .

وقد قال الشافعى رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان ، فلا تكن حمارا ولا شيطانا ، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك ، واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل .

قال الأحنف : حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثا ، ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة .

وقال آخر : ما شتمت أحدا قط لأنه إن شتمنى كريم ، فأنا أحق من غفرها له ، أو لئيم ، فلا أجعل عرضى له غرضا ، ثم تمثل وقال :

واغفر عوراء الكريم إدخاره   واعرض عن شتم اللئيم تكرمًا

وقد قيل :

خذ من خليلك ما صفا   ودع الذى فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا   تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره .

قال عليه السلام: «من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس» (١٨٤٨) .

(١٨٤٨) حديث : قال ﷺ : « من اعتذر إليه أخوه » أي طلب قبول معذرته ويقال اعتذر عن فعله أظهر ما يمحو به الذنب «فلم يقبل» منه «عذره فعليه مثل صاحب المكس » هو ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء . **قال العراقى** : رواه ابن ماجه وأبو داود فى=

وقال عليه السلام: « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا »(١٨٤٩) .

فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤) .

ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهى إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم بل تنتهى إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح، مقتضى طبع البدن، فالتألم بأسباب الغضب طبع بتلك القلب ولا يمكن قلعه، ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه ، فإنه يقتضى التشفى والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن .

= المراسيل من حديث جودان واختلف فى صحبته ، وجهله أبو حاتم وباقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف انتهى .

قال مرتضى : وأخرجه كذلك الضياء فى المختارة وابن حبان فى روضة العقلاء من طريق وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن ابن ميناء عن جودان وهو بالضم صحابى ويقال ابن جودان نزل الكوفة وذكره البغوي فى معجم الصحابة وقال ليس له غيره وأخرجه أيضا الباوردى وابن قانع والبيهقى وأبو نعيم وفى الإصابة قال ابن حبان إن كان ابن جريج سمعه فهو حسن غريب وأنكره أبو حاتم وقال لا صحبة له ثم لفظ الجماعة من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس وأما حديث جابر فأخرجه أيضا سمويه فى فوائده والحارث بن أبى أسامة والبيهقى فى الشعب وفى الباب عن عائشة بلفظ من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل لم يرد على الحوض رواه أبو الشيخ .

(١٨٤٩) حديث : قال ﷺ : « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » كذا فى القوت وزاد فهذه بهذه . **قال العراقى** : لم أجده هكذا وللترمذى وحسنه من حديث أبى سعيد الخدرى إلا أن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى .... الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك انتهى .

قال مرتضى : وله شاهد من حديث على : خيار أمتى أحداؤهم وهم الذين إذا غضبوا رجعوا رواه البيهقى فى الشعب والطبرانى فى الأوسط بسند فيه يغنم بن سالم بن قنبر وهو كذاب وأخرج الديلمى من طريق الزبير بن عدى عن أنس رفعه الحدة لا تكون إلا فى صالح أمتى وأبرارها ثم تفئ .

وقد قال الشاعر :

ولست بمستبق أخـا لا تلمـه على شعث أى الرجـال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبى الحوارى : إذا واخيت أحدا فى هذا الزمان ، فلا تعاتبه على ما تكرهه ، فإنك لا تأمن من أن ترى فى جوابك ما هو شر من الأول ، قال : فجربته فوجدته كذلك .

وقال بعضهم : الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة . وينبغى أن لا يبالغ فى البغضة عند الوقيعة قال تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ (الممتحنة : ٧) .

وقال عليه السلام : « أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما مّا وأبغض بغيضك هونا ما عسي أن يكون حبيبك يوما ما » (١٨٥٠).

(١٨٥٠) حديث : قال ﷺ : « أحبب » بفتح الهمزة وكسر الموحدة « حبيبك هونًا ما » أى حبا قليلا « عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونًا ما » فإنه « عسى أن يكون حبيبك يوما ما » إذ ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والإخوان بغضا فلا تكون قد أسرفت فى حبه فتندم عليه إذا أبغضته أو حبا فلا تكون قد أسرفت فى بغضه فتستحى منه إذا أحببته.
قال العراقى : رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال غريب **قال العراقى** : رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد فى رفعه .اهـ.

قال مرتضى : رواه فى البر والصلة من طريق سويد بن عمرو الكلبى عن حماد عن أيوب عن أبى هريرة ورواه ابن حبان فى الضعفاء بهذا السند وأعله بسويد وقال يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة وكذا أخرجه البيهقى إلا أنه وهم أى رفعه وهم وأخرجه الطبرانى فى الكبير من طريق أبى الصلت عبد السلام الهروي عن جميل بن يزيد عن ابن عمر وجميل وراويه ضعيفان وأخرجه ابن حبان كذلك وأعله بجميل وقال يروى فى فضائل على وأهله العجائب لا يحتج به إذا انفرد وقال الزيلعى عبد السلام الهروى ضعيف ورواه الطبرانى أيضا من حديث عبد الله بن عمرو وفيه محمد بن كثير الفهرى وهو ضعيف وأخرجه الدارقطنى فى الإفراد وابن عدى والبيهقى من حديث على مرفوعا وفيه عطاء بن السائب وهو ضعيف وقال الدارقطنى فى العلل لا يصح رفعه وقال ابن حبان رفعه خطأ فاحش وأخرجه البخارى فى الأدب والبيهقى أيضا عن على موقوفا قال الترمذى هذا هو الصحيح وتبعه ابن طاهر وغيره من الحفاظ وقد استدرك العراقى على الترمذى دعوي غرابته=

وقال عمر رضي الله عنه : لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكه .

الحق السادس : الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته: بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه ، فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق .

فقد قال ﷺ : **« إذا دعا الرجل لأخيه فى ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك»**(١٨٥١) .

وفى لفظ آخر : **« يقول الله تعالى : بك أبدأ يا عبدى»**(١٨٥٢) .

وفى الحديث : **«يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه»**(١٨٥٣) .

= كما ترى وقال رجاله رجال مسلم لكن الراوى تردد فى رفعه فإذا علمت ذلك فاعلم أن أمثل الروايات الأولى والله أعلم .

(١٨٥١) حديث: قال ﷺ : « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك » أى الموكل بنحو ذلك كما يرشد إليه تعريفه وفى رواية قالت الملائكة « ولك بمثل ذلك ». **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى الدرداء .ا هـ.

قال مرتضى : وكذلك أخرجه أبو داود وأخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة بلفظ إذا دعا الغائب لغائب قال الملك ولك بمثل ذلك وأخرج أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبى الدرداء بلفظ دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك ورواه أحمد والطبرانى وابن حبان من حديث أم الدرداء مثله .

(١٨٥٢) حديث : « الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ عبدى » وفى القوت يقول الله عز وجل ، وبدون كلمة : عبدى **وقال العراقى :** لم أجده بهذا اللفظ .اهـ.

(١٨٥٣) حديث : « يستجاب للرجل فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه » كذا فى القوت. **قال العراقى :** لم أجده بهذا اللفظ ولأبى داود والترمذى وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك البخارى فى الأدب المفرد والطبرانى فى الكبير بلفظ أسرع الدعاء إجابة .

وفى الحديث : «دعوة الرجل لأخيه فى ظهر الغيب لا ترد» (١٨٥٤) .

وكان أبو الدرداء يقول : إنى لأدعو لسبعين من إخوانى فى سجودى اسميهم بأسمائهم . وكان محمد بن يوسف الأصفهانى يقول : وأين مثل الأخ الصالح ؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت إليه ، يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى .

وكأن الأخ الصالح يقتدى بالملائكة .

إذ جاء فى الخبر « **إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه**» (١٨٥٥) .

ويقال : من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه .

(١٨٥٤) حديث : « دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد » ولفظ القوت دعاء الأخ لأخيه بالغيب لا يرد ويقول الملك ولك مثل هذا وفيه أيضا دعوة الأخ لأخيه فى الغيب لا ترد. **قال العراقى:** رواه الدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد .اهـ.

وقال مرتضى: وبلفظ المصنف أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وبلفظ القوت أخرجه البزار من حديث عمران بن حصين وفى الغيلانيات من حديث أم كرز دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة وملك موكل عند رأسه يقول آمين ولك بمثله .

(١٨٥٥) حديث : « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم » كذا فى القوت. **قال العراقى** : رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : ولفظه إذا مات الميت وإنما قال بسند ضعيف لأن فيه يحيى بن سليمان الجعفى قال النسائى ليس بثقة وعبد الرحمن بن محمد المحاربى قال ابن معين يروى عن المجهولين مناكير .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أوأخ أو قريب وأنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال** » (١٨٥٦) .

وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور ، فيقول : هذه هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك، فلان . قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية .

الحق السابع : الوفاء والإخلاص : ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه .

فإن الحب إنما يراد للآخرة ، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى .

ولذلك قال عليه السلام فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله : « ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » .

وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة .

ولذلك روى « **أنه ﷺ أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك ، فقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين**»(١٨٥٧) .

(١٨٥٦) حديث : عن رسول الله ﷺ : أنه قال: « مثل الميت في قبره مثل الغريق » فى الماء «يتعلق بكل شيء » لعله ينجو به «ينتظر دعوة» صالحة من «ولد» له أعقبه «أو والد أو أم أو قريب وأنه ليدخل على قبور الموتى من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال » كذا فى القوت إلا أنه قال من ولد ووالد وأخ وقال أمثال الجبال والباقى سواء. **قال العراقى :** رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وقال الذهبى فى الميزان : إنه خبر منكر جدًا .

(١٨٥٧) حديث : « إكرامه ﷺ لعجوز » أى امرأة قد طعنت فى سنها ولا يقال امرأة عجوزة إلا فى لغة قليلة «دخلت عليه » فقيل له فى ذلك أى فى إكرامه لها والاحتفال بها «وقوله : إنها كانت تأتينا أيام خديجة » أى بنت خويلد ﵂ « وإن حسن العهد من الأيمان » قال=

فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه ، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر . إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ، ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب .

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونين على بر ، كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى : ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإسراء : ٥٣) .

= العراقي : رواه الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة . اهـ .

قال مرتضى : رواه من طريق الصغاني عن أبي عاصم حدثنا صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها من أنت فقالت أنا جثامة المزنية قال : أنت حسانة كيف أنتم كيف حالكم كيف تيكم بعدنا قالت : بخير بأبي أنت فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال قال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وهكذا رواه الديلمي من طريقه إلا أنه قال عهد بدل زمن وقال إن أكرم الود من الإيمان وروى ابن عبد البر من طريق الكريمي عن أبي عاصم فسمى المرأة الحولاء فيحتمل أن يكون وصفها أو لقبها ويحتمل التعدد على بعد لاتحاد الطريق وروى العسكري في الأمثال من طريق الزبير بن بكار حدثنا محمد بن الحسن حدثنا إبراهيم بن محمد عن محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ أن عجوزاً سوداء دخلت على النبي ﷺ فحياها وقال لها كيف أنت كيف حالكم فلما خرجت قالت عائشة يا نبي الله ألهذه السوداء تحيي وتصنع ما أرى فقال إنها كانت تغشانا في حياة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان قال الزبير حدثني سليمان بن عبد الله عن شيخ من أهل مكة هي أم زفر ماشطة خديجة ومن حديث حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كانت تأتي النبي ﷺ امرأة فيكرمها فقلت يا رسول الله من هذه فقال هذه كانت تأتينا على زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وهذا الأخير عند البيهقي في الشعب وقال إنه بهذا السند غريب . اهـ . والعهد ينصرف في اللغة إلى وجوه أحدها الحفظ والمراعاة وهو المراد هنا وقول الحاكم إنه صحيح على شرط الشيخين قد أقره على ذلك الذهبي وسكت عليه العراقي في إصلاح المستدرك ويظهر بما تقدم أن قول المصنف فإن كرم العهد من الإيمان ليس في شيء من رواياته وإنما هو أخذ بالمعنى وقوله من الدين أو من الإيمان أي من أموره أو خصاله أو من شعبه .

وقال مخبرا عن يوسف : ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ (يوسف: ١٠٠) .

ويقال : ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما .

وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين .

ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية . والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله . وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض.

ومن ثمرات المودة فى الله أن لا تكون مع حسد فى دين ولا دنيا ، وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته، وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله تعالى فقال : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الحشر: ٩). ووجود الحاجة هو الحسد .

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه، وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم .

قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا   من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يا بنى لا تصحب من الناس ، إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك ، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك ، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك .

وقال بعض الحكماء : إذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك ، فهو كثير .

وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله ، آخى رجلا ببغداد ثم إن أخاه ولى السيبين، فتغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات :

اذهب فودك من فؤادى طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فإن ارعويت فإنها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين
وإن امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقين فى حيضين
وإذا الثلاث أتتك منى بتة لم تغن عنك ولاية السيبين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ ، فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين. بل من الوفاء له المخالفة .

فقد كان الشافعي ﷺ : آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول : ما يقيمنى بمصر غيره ، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله فقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته. فقيل للشافعي فى علته التى مات فيها ﷺ إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله ، فاستشرف له محمد ابن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه ، فقال الشافعي : سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى ، فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله ، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع ، فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى ، فلما توفى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله ، وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة ، واشتغل بالعبادة ، وصنف كتاب الأم الذى ينسب

الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به ،وإنما صنفه البويطى ولكن لم يذكر نفسه فيه ، ولم ينسبه إلى نفسه ، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره.

والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها، النصح لله . قال الأحنف : الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات ، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير .

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء ، أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت، وقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إليّ أن حسرتهم ذهبت من قلبى .

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه محب لصديقه ، كى لا يتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب.

فذلك من دقائق الحيل فى التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا .

قال واحد لحكيم : قد جئت خاطبا لمودتك ، قال إن جعلت مهرها ثلاثا فعلت، قال : وما هى ؟ قال : لا تسمع على بلاغة ، ولا تخالفنى فى أمر ، ولا توطئنى عشوة .

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه . قال الشافعى رحمه الله: إذا أطاع صديقك عدوك، فقد اشتركا فى عداوتك .

الحق الثامن : التخفيف وترك التكلف والتكليف : وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئا من أعبائه ، فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه ، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته .

قال بعضهم : من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه منه ، فقد ظلمهم ، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ، ومن لم يقتض ، فهو المتفضل عليهم .

وقال بعض الحكماء : من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ، وتمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لا يستحى منه فيما لا يستحى من نفسه .

وقال الجنيد : ما تواخى اثنان فى الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة فى أحدهما .

وقال على عليه السلام : شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار .

وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه .

وقالت عائشة رضي الله عنها : المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه .

وقال الجنيد : صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ، كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبى وطبقته وحسنا المسوحى وطبقته وسريا السقطى وطبقته ، وابن الكريبى وطبقته فما تواخى اثنان فى الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة فى أحدهما .

وقيل لبعضهم: من تصحب ؟ قال : من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ .

وكان جعفر بن محمد الصادق ﷺ : يقول أثقل إخوانى علىَّ من يتكلف لى وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى .

وقال بعض الصوفية : لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم ، يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء .

وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ ، وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده .

وقال بعضهم : كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت .

وقال آخر : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ، ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه .

وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس ، وليس الأمر كذلك ، بل ينبغى أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط ، حتى تكثر إخوانه ، إذ به يكون مواخيا فى الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط .

ولذلك قال رجل للجنيد : قد عز الإخوان فى هذا الزمان ، أين أخ لى فى الله؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا ، فلما أكثر قال له الجنيد : إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل وإن أردت أخا فى الله تحمل مؤنته وتصبر على أذاه ، فعندى جماعة أعرفهم لك ، فسكت الرجل .

واعلم أن الناس ثلاثة ؛ رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ، ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو السيئ الخلق ، فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه فأما الثاني فلا تجتنبه ، لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به .

وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطعتني فما أكثر إخوانك ، أى وإن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم .

وقد قال بعضهم : صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف ، فإني كنت معهم على نفسي ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه، ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات .

كان طائفة من الصوفية يصطحبون ، على شرط المساواة بين أربعة معان : إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم ، وإن صلى الليل كله لم يقل له نم . وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة: «إن الله لعن المتكلفين» (١٨٥٨) .

وقال ﷺ : « أنا والاتقياء من أمتي برآء من التكلف » (١٨٥٩) .

(١٨٥٨) حديث : قال بعض الصحابة « إن الله عز وجل لعن المتكلفين » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو من قول سلمان رضي الله عنه قال لمن استضاف عنده لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وقد روى ذلك مرفوعا كما عند أحمد والطبراني وأبى نعيم في الحلية ولكن الصحيح أنه موقوف قاله الحافظ ابن حجر وقد تقدم هذا من قول يونس عليه السلام لما زاره إخوانه وقدم إليهم خبز شعير وجز لهم بقلا كان زرعه وقال لولا أن الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم .

(١٨٥٩) حديث : قال ﷺ : « أنا وأمتي برآء من التكلف » وفي نسخة أبرآء جمع بريء كنصيب =

وقال بعضهم: «إذا عمل الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام» (١٨٦٠) .

فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال : بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل فى بيت أخيه ويجامعها ، لأن البيت يتخذ للاستخفاء فى هذه الأمور الخمسة وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين .

فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط . وقول العرب فى تسليمهم ، يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه : مرحبا وأهلا وسهلا ، أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة فى ذلك كله أى لا يشتد علينا شىء مما تريد .

ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ، ويسىء الظن بنفسه ، فإذا رآهم خيرا من نفسه ، فعند ذلك يكون هو خيرا منهم .

وقال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى قيل : وكيف ذلك قال : كلهم يرى لى الفضل عليه ، ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى .

= وانصباء وكريم وكرماء وفى القوت : أنا والاتقياء من أمتى برآء من التكلف . **قال العراقى:** رواه الدارقطنى فى الإفراد من حديث الزبير بن العوّام : ألا إنى برىء من التكلف وصالحوا أمتى وإسناده ضعيف.اهـ.

قال مرتضى : ونقل الحافظ السخاوى عن النووى أنه قال ليس بثابت يعنى بلفظ المصنف ويروى من قول عمر رضي الله عنه نهينا عن التكلف أخرجه البخارى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(١٨٦٠) حديث : « إذا صنع الرجل فى بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى » **قال العراقى :** لم أجد له أصلا .اهـ.

قال مرتضى : وأنت خبير بانه من قول بعض الصوفية وفى القوت أيضا بدل صنع : عمل فتنبه لذلك .

وقد قال ﷺ : « المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له» (١٨٦١) .

فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال فى رؤية الفضل للأخ ، ولذلك قال سفيان : إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فأنت شر الناس . أى ينبغي أن تكون معتقدا ذلك فى نفسك أبدا .

وسيأتى وجه ذلك فى كتاب الكبر والعجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات :

تذلل لمن إن تذللت له ... يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال ... على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر :

كم صديق عرفته بصديق صار ... أحظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق ... صار عندى هو الصديق الحقيقى

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه . وهذا فى عموم المسلمين مذموم .

(١٨٦١) حديث : قال ﷺ : « المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له» . **قال العراقى** : تقدم الشطر الأول منه حديث رقم ١٨٠٢ ص ١٦٣١ وأما الشطر الثانى فرواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : أما الشطر الأول الذى مضى هو المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وتقدم الكلام عليه وأما الشطر الثانى فقد رواه أيضا العسكرى فى الأمثال من طريق سليمان بن عمرو النخعى عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس مرفوعا ولفظه المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذى ترى له وروى أيضا من حديث ليث عن مجاهد قال كانوا يقولون لا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له ولأبى نعيم فى الحلية عن سهل بن سعد رفعه لا تصحبن أحدًا لا يرى لك من الفضل كما ترى له ورواه ابن حبان فى روضة العقلاء لكن بلفظ مجاهد وشاهده ما ثبت فى الأثر بأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

وقال ﷺ : « حسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (١٨٦٢) .

ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشاراتهم . فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسراره كما روى أن يعقوب ابن أخي معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له فقال : إن بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك ، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه إخوة يحتسبها ويعتد بها ، إلا أنه يشترط فيها شروطا، لا يحب أن يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة ، فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال معروف : أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ، ثم ذكر من فضل الإخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد « آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم » (١٨٦٣) .

(١٨٦٢) حديث : قال ﷺ : « حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ». **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لا تدابروا حديث رقم ١٨٣٤ ص ١٦٦٠ وحديث رقم ١٨٢٥ ص ١٦٥٤ .اهـ.

(١٨٦٣) حديث : « آخى رسول الله ﷺ عليا ﷺ وشاركه في العلم » . **قال العراقي** : رواه النسائي في الخصائص من سننه الكبرى من حديث علي قال جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب .... الحديث وفيه فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب بيده على يدي وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله ﷺ والله إني لأخوه ووليه ووارث علمه ..... الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذي من حديث ابن عمرو أنت أخي في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس : أنا مدينة العلم وعلي بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لا أصل له وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذي من حديث علي : أنا دار الحكمة وعلي بابها وقال غريب .اهـ.

قال مرتضى : أما حديث أنا دار الحكمة .. إلخ فأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي مرفوعا قال ورواه الأصبغ بن نباتة والحارث=

« وقاسمه في البدن » (١٨٦٤) .

«وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه» (١٨٦٥) وخصه بذلك لمواخاته ، وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه ، وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت ، ومره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها ومره أن لا يخفى عليَّ شيئًا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي وسر به .

= عن علي نحوه ورواه مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله وأما حديث أنا مدينة العلم فرواه الحاكم في المناقب من مستدركه والطبراني في الكبير وأبو الشيخ بن حبان في السنة له وغيرهم كلهم من طريق أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رفعه بزيادة فمن أتى العلم فليأت الباب وقال صحيح الإسناد وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ووافقه الذهبي وغيره على ذلك وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله هذا الحديث لم يثبتوه وقيل إنه باطل وهو مشعر بتوقفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكونه كذبا بل صرح العلائي بالتوقف في الحكم عليه بذلك فقال وعندي فيه نظر ثم بين ما يشهد لكون أبي معاوية راوي حديث ابن عباس حدث به فزال المحذور ممن هو دونه قال وأبو معاوية ثقة حافظ محتج بإفراده كابن عيينة وغيره فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ.

(١٨٦٤) حديث : « مقاسمته عليا للبدن » بضم فسكون جمع بدنة **قال العراقي:** رواه مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنحر ما عبر وأشركه في هديه .اهـ.

(١٨٦٥) حديث : « أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه » **قال العراقي** : هذا معلوم مشهور ففي الصحيحين من حديث علي : لما أردت أن ابتني بفاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلا صواغا .... الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن : زوج النبي ﷺ ابنته فاطمة عليا .... الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة : يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : وللحاكم من حديث عائشة يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة وللبخاري من حديث المسور بن مخرمة فاطمة بضعة مني فمن أبغضها أغضبني وعند أحمد والطبراني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها .

فهذا جامع حقوق الصحبة ، وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك ، للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وإن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم ، فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . . .

أما البصر: فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك ، وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك .

روى أنه ﷺ « **كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه ، وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه ، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه ، وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة** » (١٨٦٦) .

وكان ﷺ « **أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما يحدثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له** ﷺ » (١٨٦٧) .

(١٨٦٦) حديث : «كان» رسول الله ﷺ « يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه فى سمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة » **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على فى أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه : يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه ، وللترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ما رأيت أحدًا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ ، وقال غريب . اهـ.

(١٨٦٧) حديث : « كان ﷺ أكثر الناس تبسما وضحكا إلى وجوه أصحابه مما يتحدثون به وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له ﷺ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وفى حديث على المتقدم وذكره عند الترمذى يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وقال غريب .

وأما السمع : فبأن تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض ، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون .

وأما اللسان : فقد ذكرنا حقوقه ، فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون .

وأما اليدان : فأن لا يقبضهما عن معاونتهم فى كل ما يتعاطى باليد .

وأما الرجلان : فأن يمشى بهما وراءهم مشى الاتباع لا مشى المتبوعين ، ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ، ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد .

ومهما تم الاتحاد خف جملة من هذه الحقوق ، مثل القيام والاعتذار والثناء ، فإنها من حقوق الصحبة ، وفى ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف ، فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه ،لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ، ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق ، فتارة يعوج وتارة يستقيم ، ومن كان نظره إلى الخالق، لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ، ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده ، فإنها أعلى أنواع الخدمة لله ، إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق، « ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة » (١٨٦٨) .

(١٨٦٨) حديث : « يدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة أن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الصائم بالهواجر.

خاتمة لهذا الباب : نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق، ملتقطة من كلام بعض الحكماء ، إن أردت حسن العشرة ، فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع فى غير مذلة.

«وكن فى جميع أمورك فى أوسطها ، فكلا طرفى قصد الأمور ذميم » (١٨٦٩) .

ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات . وإذا جلست، فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك فى أنفك ، وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك « وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها » (١٨٧٠) .

وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا ، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك.

ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ، ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والإسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات .

(١٨٦٩) حديث : « كن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى القصد ذميم » .
قال مرتضى : أغفله العراقى وقال مطرف بن عبد الله خير الأمور أوسطها أخرجه ابن جرير فى التفسير وأخرج العسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعى قال : ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالى أيهما أصاب الغلو أو التقصير وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال : إن لكل شيء طرفين ووسطا فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط .

(١٨٧٠) حديث : « كثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس فى الصلاة وغيرها » .
قال مرتضى : أغفله العراقى وإنه مما يهيجه الشيطان وهو فى الصلاة أشد كراهة كما جاء فى الخبر وفي الخبر التثاؤب من الشيطان وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب وعند البخاري من حديث أبى هريرة إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان وسيأتى فى حقوق المسلم وقالوا كثرة التمطى تكون من جوع شديد أو من كسل أو من شهوة نفس.

ولا تشجع أحدا على الظلم ، ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف .

ولا تهازل أمتك ولا عبدك ، فيسقط وقارك وإذا خاصمت ، فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك ، وتفكر فى حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ، ولا تكثر الالتفات إلى من ورائك ، لا تجث على ركبتيك وإذا هدأ غيظك فتكلم .

وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان ، فإن استرسل إليك ، فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبى وكلمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية .

ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه ، وإن كنت لذلك مستحقا عنده ، فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال .

وإياك وصديق العافية ، فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا ، فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطى لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع ، وإن تحيى بالسلام من قرب منك عند الجلوس .

« ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »(١٨٧١) والارتياد لموضع البصاق ولا تبصق فى جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى .

(١٨٧١) حديث : « لا تجلس على الطريق وأن جلست فآدابه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أبى سعيد إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا يا رسول الله وما حقها قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وروى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث أبى هريرة لا خير فى الجلوس على الطرقات إلا من هدى السبيل ورد التحية وغض البصر وأعان على الحمل .

ولا تجالس الملوك ، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب فى الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم ، وإن ظهرت لك المودة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شىء إلا إفشاء السر والقدح فى الملك والتعرض للحرم .

ولا تجالس العامة ، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض فى حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم .

وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب ، فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لأن « المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب » (١٨٧٢) .

وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه .

قال النبى ﷺ : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك» (١٨٧٣) .

(١٨٧٢) حديث : « المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ومثل ذلك قال بعض الحكماء المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء وهو لا ينتج إلا الشر وروى ابن عساكر من حديث أبى هريرة من كثرت دعابته ذهبت جلالته ومن كثر مزاحه ذهب وقاره وقال غريب المتن والإسناد .

(١٨٧٣) حديث : قال ﷺ : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه =



= ... ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك ». **قال العراقي** : رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه . اهـ.

قال مرتضى : لفظه في السند حسن صحيح غريب ورواه كذلك ابن حبان والحاكم وابن السني في عمل يوم وليلة والبيهقي في الشعب وروى الطبراني في الكبير وابن النجار من حديث عبد الله بن عمر وكفارة المجلس أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك ورواه الطبراني أيضا من حديث ابن مسعود وأخرج سمويه في فوائده من حديث أنس كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وعند ابن النجام من حديث جبير كفارة المجلس أن لا تقوم حتى تقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت تب علي واغفر لي يقولها ثلاث مرات فإن كان مجلس لغو كان كفارته وإن كان مجلس خير كان طابعا عليه وأخبرني المسند عمر بن أحمد ابن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سالم بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا البدر محمد بن البهاء المشهدي أخبرنا الشهاب أحمد ابن محمد الحجازي أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسني العراقي أخبرنا القاضي أبو عمر عبد العزيز بن جماعة أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الحلبي أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر أخبرنا الحسن بن أحمد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا خلاد بن سليمان حدثنا خالد بن أبي عمران عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قال ما جلس رسول الله ﷺ مجلسا ولا تلا قرآنا ولا صلى إلا ختم ذلك بكلمات فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلي إلا ختمت بهؤلاء الكلمات قال: نعم من قال خيرا كن طابعا له على ذلك الخير ومن قال شرا كن كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك أخرجه النسائي في اليوم والليلة عن محمد ابن إسماعيل بن عسكر عن سعيد بن الحكم به فوقع لنا بذلك عاليا ولله الحمد .

الباب الثالث

فى حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده ، أو مع غيره ، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه ، لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة ، وكل مخالط ففى مخالطته أدب ، والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التى بها وقعت المخالطة والرابطة ، إما القرابة وهى أخصها ، أو أخوة الإسلام وهي أعمها ، وينطوى فى معنى الأخوة الصداقة والصحبة ، وإما الجوار ، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس ، وإما الصداقة أو الأخوة ، ولكل واحد من هذه الروابط درجات .

فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد ، وللمحرم حق ، ولكن حق الوالدين آكد . وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ، ويظهر التفاوت عند النسبة ، حتى إن البلدى فى بلاد الغربة يجري مجري القريب فى الوطن ، لاختصاصه بحق الجوار فى البلد ، وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة .

وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذى عرف بالسماع ، بل آكد منه ، والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها ، فحق الصحبة فى الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر .

وكذلك الصداقة تتفاوت ، فإنها إذا قويت صارت أخوة ، فإن ازدادت صارت محبة ، فإن ازدادت صارت خلة والخليل أقرب من الحبيب .

فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب ، فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا . وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة.

فأما كون الخلة فوق الأخوة ، فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هى أتم من الأخوة وتعرفه من قوله ﷺ : « **لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله** »(١٨٧٤) .

إذ الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ، ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ

(١٨٧٤) حديث : قوله ﷺ : « لو كنت متخذا » من الخلق « خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » . **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى .اهـ.

قال مرتضى: الحديث متواتر وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة أبو سعيد وابن عباس والزبير وابن مسعود وجندب البجلى وأبو المعلى وأبو هريرة وأبو واقد وعائشة وأنس وابن عمر والبراء وجابر وسعد فحديث أبى سعيد رواه البخارى فى الصلاة ومسلم فى المناقب كما ذكره العراقى وحديث ابن عباس رواه البخارى فى الصلاة والطبرانى فى الكبير بلفظ لو كنت متخذا من أمتى خليلا دون ربى لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى وحديث الزبير رواه أحمد والبخارى وفى بعض ألفاظه زيادة فى الغار وأما حديث ابن مسعود وجندب البجلى فرواه مسلم فى المناقب بلفظ لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفى بعض ألفاظه لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفى بعض ألفاظه إلا أنى أبرأ إلى كل خل من خلته ولو كنت متخذا .... الخ وأما حديث أبى المعلى وأبى هريرة وأبى واقد وعائشة فرواه الترمذى بلفظ حديث ابن مسعود عند مسلم وهو اللفظ الثانى وقد رواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أبى واقد وأما حديث أنس فرواه البزار وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير وأما حديث البراء فلفظه لفظ المصنف وقد سقط ذكر مخرجه فى نسختين من الجامع الكبير وأما حديث جابر فرواه ابن عساكر بلفظ ولكن قولوا كما قال الله صاحبى وأما حديث سعد فرواه الشيرازى فى الألقاب بلفظ ولكن أخى فى الدين وصاحبى فى الغار وفى القوت وقد رفع الله نبيه ﷺ فى مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام أبيه إبراهيم عليه السلام فكانت الخلة مزيد المحبة ومنه ما روى عنه ﷺ لو كنت متخذا من الخلق خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله .

عليا ﷺ أخا فقال: « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة» (١٨٧٥).

فعدل بعلى عن النبوة ، كما عدل بأبى بكر عن الخلة ، فشارك أبو بكر عليا ﷺ في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها ، وكان للشركة في الخلة مجال فإنه نبه عليه بقوله: «لاتخذت أبا بكر خليلا».

وكان ﷺ حبيب الله وخليله . وقد روى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال: « إن الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١٨٧٦) .

فإذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما. وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيهما ما وراءهما من المحبة والخلة .

(١٨٧٥) حديث : « على منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة» قال العراقى : متفق عليه من حديث سعد بن أبى وقاص .اهـ.

قال مرتضى : ولكن لفظه يا على أما ترضي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى وهكذا رواه الطيالسى وأحمد والترمذى وابن ماجه ورواه الطبرانى من حديث البراء وزيد بن أرقم معا والطبرانى أيضا من حديث أم سلمة وأخرجه أبو بكر محمد ابن جعفر المغيرى فى جزئه من حديث أبى سعيد بلفظ المصنف وفيه إلا أنه لا نبى بعدى ورواه أيضا الطبرانى من حديث أسماء بنت عميس وابن عباس وحبشى بن جنادة وابن عمر وعلى وجابر بن سمرة ﷺ .

(١٨٧٦) حديث : « إن الله أتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله » ولفظ القوت : أنه ﷺ صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال إن الله تبارك وتعالى قد اتخذنى خليلا والباقى سواء. قال العراقى : رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .اهـ.

قال مرتضى: فى سنده عبيد الله بن زهير قال الذهبى له صحيبة واهية ثم إن لفظ الطبرانى أن الله تبارك وتعالى اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وأن خليلى أبو بكر والجمع بينه وبين الحديث الذى سبق أن ذلك كان قبل العلم به ورواه ابن ماجه بعد قوله خليلا فمنزلى ومنزل إبراهيم يوم القيامة فى الجنة تجاهان والعباس بيننا مؤمن بين خليلين وفى رواية للحاكم على بدل العباس وفي الكل مقال .

وإنما تتفاوت الرتب فى تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهى أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا ﷺ وكما آثره طلحة ببدنه ، إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز ﷺ .

فنحن الآن نريد أن نذكر حق إخوة الإسلام ، وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك . أعنى ملك اليمين ، فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه فى كتاب آداب النكاح .

حقوق المسلم

هى « أن تسلم عليه إذا لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات وتبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك» (١٨٧٧) ورد جميع ذلك فى أخبار وآثار .

(١٨٧٧) حديث : « حقوق المسلم هو أن يسلم عليه إذا لقيه» ما لم يكن مشتغلا بشيء من المستثنيات « وتجيبه » إلى منزله «إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات وتبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذ غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك » قال العراقى : رواه الشيخان من حديث أبى هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفى رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته تسلم عليه وزاد وإذا استنصحك فانصح له وللترمذى وابن ماجه من حديث على للمسلم على المسلم ست فذكر منها ويحب له ما يحب لنفسه قال وينصح له إذا غاب أو شهد ولأحمد من حديث معاذ وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفى الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر المظلوم .اهـ.

قال مرتضى : والمتفق عليه من حديث أبى هريرة أخرجه أيضا أحمد هكذا وفى بعض ألفاظه إذا لقيه يسلم عليه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعاه وما انفرد به مسلم عن البخاري فلفظه حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض=

وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم » (١٨٧٨) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح : ٢٩) «قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم ، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال : اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته» (١٨٧٩) .

= فعده وإذا مات فاتبعه وهكذا رواه أحمد والبخاري في الأدب المنفرد وأما حديث علي عند الترمذي وابن ماجه فلفظه للمسلم على المسلم ست بالمعروف يسلم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشيع جنازته إذا مات ويحب له ما يحب لنفسه وينصح له بالغيب وهكذا رواه أحمد وقال الترمذي حسن وابن السني في عمل يوم وليلة وأما قول العراقي وينصح له إذا غاب أو شهد فهو عند الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة ولفظه للمؤمن على المؤمن ست خصال يعوده إذا مرض ويشهده إذا مات ويجيبه إذا دعاه ويسلم عليه إذا لقيه ويشمته إذا عطس وينصح له إذا غاب أو شهد وقال الترمذي صحيح وأخرج الحكيم في النوادر والطبراني في الكبير وابن النجار من حديث أبي أيوب للمسلم على المسلم ست خصال واجبة فمن ترك خصلة منها فقد ترك حقا واجبا لأخيه إذا دعاه أن يجيبه وإذا لقيه أن يسلم عليه وإذا عطس أن يشمته وإذا مرض أن يعوده وإذا مات أن يتبع جنازته وإذا استنصحه أن ينصحه وأخرج أحمد والطبراني والحاكم من حديث أبي مسعود للمسلم على المسلم أربع خصال يشمته إذا عطس ويجيبه إذا دعاه ويشهده إذا مات ويعوده إذا مرض .

(١٨٧٨) حديث : أنس رضي الله عنه : « أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم» **قال العراقي** : ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا . اهـ.

(١٨٧٩) حديث : قال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ قال: « يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده واغفر له وتب عليه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ قال جعل الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض .

ومنها : « أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه» (١٨٨٠) .

قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر»**(١٨٨١) .

وروى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال : **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»** (١٨٨٢) .

ومنها : أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ : **« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »** (١٨٨٣) .

(١٨٨٠) حديث : « أن يحب لكافتهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وجاء ذلك في حديث معاذ أخرجه أحمد وروى الطبراني من حديث معاذ بن أنس أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك وأن تقول خيرا أو تصمت .

(١٨٨١) حديث : قال النعمان بن بشير رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى » **قال العراقي :** متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : لفظ مسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وفي لفظ البخاري ترى المؤمنين في توادهم .... الخ روى الطبراني من حديث سهل بن سعد مثل المؤمن من أهل الإيمان مثل الرأس من الجسد يألم مما يصيب أهل الإيمان كما يألم الرأس مما يصيب الجسد وروى أحمد ومسلم في الأدب من حديث النعمان بن بشير المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه اشتكى كله وأن اشتكى عينه اشتكى كله .

(١٨٨٢) حديث : قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : قال ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . **قال العراقي :** متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والترمذي والنسائي وعند البخاري له تتمة ثم شبك بين أصابعه وضع التشبيك تشبيها لتعاضدهم بعضهم ببعض وذلك لأن أقواهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي فإذا ولاه قوى .

(١٨٨٣) حديث : قال ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » **قال العراقي :** متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .اهـ.

=

وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك» (١٨٨٤) .

وقال أيضا : «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (١٨٨٥) .

وقال ﷺ : « أتدرون من المسلم؟ فقالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا : فمن المؤمن ؟ قال : من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا : فمن المهاجر؟ قال : من هجر السوء واجتنبه ، وقال رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » (١٨٨٦) .

= **قال مرتضى** : ورواه مسلم أيضا من حديث جابر وأبي موسى ورواه الحاكم من حديث أنس وفضالة بن عبيد ورواه أحمد من حديث معاذ وعمرو بن عبسة ورواه الطبراني من حديث بلال بن الحارث وابن عمر وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع ﷺ ورواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة بزيادة والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم زاد الحاكم والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب .

(١٨٨٤) حديث: قال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل : « فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك » . **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي ذر . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج أبو نعيم من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال : دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه .... الحديث وفيه قال قلت فأي المؤمنين أسلم قال من سلم المسلمون من لسانه ويده ثم ساق الحديث بطوله .

(١٨٨٥) حديث : قال ﷺ : « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي موسى .اهـ.

قال مرتضى : وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر وأفضل المؤمنين إسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده .... الحديث .

(١٨٨٦) حديث : قال ﷺ : « أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر الشر واجتنبه فقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال إن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » . **قال العراقي** : رواه الطبراني والحاكم =

وقال مجاهد : يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده ، فينادى يا فلان هل يؤذيك ؟ هذا فيقول : نعم ، فيقول : هذا بما كنت تؤذي المؤمنين .

وقال ﷺ : « **لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين**»(١٨٨٧) .

= وصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ورواه ابن ماجه مقتصرا على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عبسة قال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال : أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك .اهـ.

قال مرتضى : حديث فضالة بن عبيد رواه الحاكم من حديث أنس أيضا وحديث عمرو ابن عبسة رواه أحمد من حديث معاذ أيضا ورواه الطبرانى أيضا من حديث بلال بن الحارث وابن عمر وأبى أمامة وواثلة بن الأسقع مختصرا ورواه أحمد أيضا والترمذى والنسائى والحاكم أيضا من حديث أبى هريرة المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وزاد الحاكم وحده والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب وفى حديث أبى ذر الطويل فى الحلية قال: قلت يا رسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السيئات وروى الطبرانى من حديث ابن عمرو وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل .

(١٨٨٧) حديث : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيت رجلا فى الجنة يتقلب » أى يتنعم بملاذها أو يمشى ويتبختر « فى شجرة » أى من أجل شجرة « قطعها عن ظهر الطريق » احتسابا بالله تعالى « كانت تؤذى المسلمين فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة » وفيه فضل إزالة الأذى عن الطريق كشجر وغصن يؤذى وحجر يتعثر به أو قذر أو جيفة وذلك من شعب الإيمان **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الظهر مقحم « وهكذا هو فى الجامعين الكبير والصغير للجلال قال المناوي فى شرحه وقد أخرجه البخارى أيضا فى المظالم من حديث أبى هريرة والله أعلم وروى ابن ماجه من حديثه بلفظ كان على الطريق غصن شجرة يؤذى الناس فأماطها رجل فأدخل الجنة .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به قال ﷺ : اعزل الأذى عن طريق المسلمين»(١٨٨٨) .

وقال ﷺ : « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة » (١٨٨٩) .

وقال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (١٨٩٠) .

وقال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » (١٨٩١) .

(١٨٨٨) حديث : قال أبو هريرة : « يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال ﷺ : اعزل الأذى عن طريق المسلمين » أى أزل عن طريقهم ما يؤذيهم من حجر أو غصن أو شوك أو جيفة أو قذر وإن كان يسيرًا حقيرا . **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى برزة قال : قلت يا نبى الله فذكره .

قال مرتضى: هكذا فى نسخ لمسلم وفى بعضها أبو هريرة وقد رواه أبو داود كذلك وبخط الحافظ ابن حجر رواه الطبرانى فى الكبير من حديث معقل بن يسار .

(١٨٨٩) حديث : قال ﷺ : « من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب له بها حسنة أوجب له بها الجنة» . **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أبو يعلى الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عساكر.

(١٨٩٠) حديث : قال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه » وفى نسخة بنظرة تؤذيه . **قال العراقى** : رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف وفى البر والصلة له من زيادات الحسين المروزى حمزة بن عبد الله بن أبى سمى وهو الصواب . اهـ.

(١٨٩١) حديث : قال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروّع مسلما » أي يفزعه كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى وإن كان هازلا لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى من حديث رجال من الصحابة بإسناد حسن . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أبو داود والبغوي والبيهقى من طريق عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزعه فذكره رسول الله ﷺ ورواه الطبرانى فى الكبير من=

وقال ﷺ : « إن الله يكره أذى المؤمنين » (١٨٩٢) .

وقال الربيع بن خثيم : الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله .

ومنها : **أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه**، فإن الله لا يحب كل مختال فخور .

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد** » (١٨٩٣) .

ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف : ١٩٩) .

وعن ابن أبي أوفى : « **كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجته** » (١٨٩٤) .

= حديث النعمان بن بشير والدارقطني في الإفراد من حديث ابن عمر وابن المبارك في الزهد من حديث أبي هريرة .

(١٨٩٢) حديث: قال ﷺ : « إن الله تعالى يكره أذى المؤمن ». **قال العراقي** : رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا بإسناد جيد .اهـ.

قال مرتضى : وقال الحافظ ابن حجر ذكره الترمذي تعليقا .

(١٨٩٣) حديث: قال ﷺ : « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» **قال العراقي** : رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار ورجاله رجال الصحيح .اهـ.

(١٨٩٤) حديث : ابن أبي أوفى « كان » رسول الله ﷺ « لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة » التي لا زوج لها لافتقارها قال الأزهري لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة فلا يقال لها أرملة والجمع أرامل « والمسكين فيقضي حاجته ». **قال العراقي** : رواه النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .اهـ.

قال مرتضى : ولكن ليس عنده ولا يستكبر وعند البخاري إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية أحمد فتنطلق به في حاجتها .

ومنها : أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال ﷺ : «**لا يدخل الجنة قتات**» (١٨٩٥) .

وقال الخليل بن أحمد : من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك .

ومنها : أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصارى : قال ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**» (١٨٩٦) .

«**يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» (١٨٩٧) .

(١٨٩٥) حـديث: قال ﷺ : « لا يـدخل الجنة قتـات » أى نمام وهو الذى يبـلغ الناس عن الناس الأخبار السـيئة وفي بعض ألفاظه نمـام بدل قتات **قـال العـراقى** : متـفق عليه مـن حديث حذيفة . اهـ.

قال مـرتضى : ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وأبو داود والـترمذى والنسائى والطبرانى ورواه أبو البركـات السقطى فى مـعجمـه وابن النجار عن بشـير الأنصـارى عن جده ورواه القاضى عبد الجـبار بن أحمد فى أماليه من حديث أبى سـعيد بلفظ لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قتات .

(١٨٩٦) حديث : قـال أبو أيوب : قال رسـول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهـجر أخـاه فوق ثلاث » **قال العراقى** : متفق عليه . اهـ.

قال مـرتضى : ورواه الطبرانى من حديث ابن مـسعود وزاد الحاكم إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه هكذا رواه فى الكنى من حديث عائشـة بهذه الزيادة وأنكر أحمد بن حنبل هذه الزيادة وروى الشيـخان من طريق الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبى أيوب ولفظـهما فوق ثلاث ليال .

(١٨٩٧) حديث : « يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

قال مرتضى : **أغفله العراقى** ولفظهما يصد هذا ويصد هذا وهكذا رواه مالك والطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان وابن جرير كلهم من طريق الزهرى إلا أنه قال عن أنس وقـال غريب والمحفـوظ الأول ورواه ابن جرير وابن عدى والطبرانى وابـن عساكر أيضا من طريق الزهـرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى بن كعب قال ابن عـدى هكذا يرويه الليث بن سعد عن عقيـل وإنما يرويه أصحاب الزهرى عنه عن عطاء عن أبى أيوب وروى مسلم من حـديث ابن عمر لا يحل للمؤمن أن يهـجر أخاه=

وقد قال رسول الله ﷺ : « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » (١٨٩٨) .

قال عكرمة : قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب : بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين .

قالت عائشة رضي الله عنها : « ما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله» (١٨٩٩) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا .

وقال ﷺ : « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله » (١٩٠٠) .

= فوق ثلاثة أيام وكذلك رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق والبزار من حديث ابن مسعود وسعد وأنس وروى أحمد والطبراني والبيهقي من حديث هشام بن عامر لا يحل لمسلم ان يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما وإن أولهما افيا يكون سبقه بالفيء كفارته وإن سلم عليه فلم يقبل ولم يرد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ويرد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعًا أبدا وروى أبو داود من حديث أبي هريرة لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار وعند ابن النجار من حديثه لا يحل لرجل مسلم أن يهجرأخاه فوق ثلاثة أيام والسابق يسبق إلى الجنة وعند البيهقي من حديثه لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاثة أيام فإذا مر ثلاث لقيه فسلم عليه فإن رد فقد اشتركا في الأجر وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة وصارت على صاحبه .

(١٨٩٨) حديث : قال ﷺ : «من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » وأصل الإقالة فسخ البيع **قال العراقي** : رواه أبو داود والحاكم وقد تقدم في حديث رقم ١٦٣٢ ص ١٤١٢ .اهـ.

قال مرتضى : لفظ أبي داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة من أقال مسلما أقال الله عثرته ولفظ البيهقي من حديثه من أقال نادما أقاله الله يوم القيامة فالذى ذكره المصنف مركب من حديثين من طريقين مختلفين.

(١٨٩٩) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله» **قال العراقي** : متفق عليه بلفظ إلا أن تنتهك .اهـ.

(١٩٠٠) حديث: قال رسول الله ﷺ : «ما نقص مال من صدقة» في الدنيا بالبركة فيه والإخلاف=

ومنها : أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل ، وغير الأهل .

روى على بن الحسين عن أبيه عن جده ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن أصبت أهله فهوأهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله»** (١٩٠١) .

وعنه بإسناده قال : قال رسول الله ﷺ : **« رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر »** (١٩٠٢) .

= عليه بما هو أجدى وأكثر ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ أو فى الآخرة بإجزال الأجر أو تضعيفه أو فيهما وذلك جائز « وما زاد الله رجلاً بعفو » أى بسبب عفو «إلا عزا» فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما « وما تواضع أحد لله» رقا وعبودية فى الائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه «إلا رفعه الله» فى الدنيا بأن يثبت له فى القلوب منزلة وكذا فى الآخرة علي سرير خلود لا يفنى ومنبر ملك لا يبلى . **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والترمذى وابن حبان ولفظهم جميعا ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه .

(١٩٠١) حديث : قال على بن الحسين عن أبيه عن جده : قال رسول الله ﷺ : « اصنع المعروف» وهو كل ما عرف حسنه من الشارع « إلى أهله » وإلى غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله « فإن لم تصب أهله فأنت أهله » **قال العراقى :** ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلا بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن النجار فى تاريخه من حديث على ورواه الخطيب من رواية مالك من طريق بشر بن يزيد الأزدى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه وقال الحافظ فى اللسان له عن مالك مناكير ثم ساق منها هذا الخبر ثم عقبه بقوله قال الدارقطنى إسناده ضعيف ورجاله مجهولون وأورده صاحب الميزان فى ترجمة عبد الرحمن بن بشير عن أبيه وقال إسناده مظلم ثم إن لفظ روايتهم اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله .

(١٩٠٢) حديث: قال على بن الحسين عن أبيه عن جده : قال رسول الله ﷺ : « رأس العقل» أى أصله وعماده الذى يقوم به «بعد الإيمان» وفى نسخة بعد الدين « التودد إلى الناس » أى التسبب فى محبتهم لك بالبشر والطلاقة والهدية والإحسان وغير ذلك « واصطناع المعروف=

وقال أبو هريرة : كان رسول الله ﷺ : « لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه» (١٩٠٣) .

ومنها : أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه ، بل يستأذن ثلاثا ، فإن لم يؤذن له انصرف .

= إلى كل بر وفاجر » قال العراقى : رواه الطبرانى فى الأوسط والخطابي فى تاريخ الطالبين وعنه أبو نعيم فى الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبرانى : التحبب .اهـ.

قال مرتضى : وفى سنده عبيد الله بن عمر القيسى وهو ضعيف ورواه البيهقى كذلك من طريق هشيم بن على بن زيد بن جدعان عن ابن المسيب عن أبى هريرة وقال لم يسمعه هشيم عن على وهذا حديث يعرف بأشعث بن براق عن على بن زيد عن ابن المسيب مرسلا فدلسه هشيم وقال فى موضع آخر فى هذا الإسناد ضعف ورواه الديلمى كذلك بزيادة فى غير ترك الحق ولفظ المصنف بتمامه قد رواه أيضا البيهقى من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى عن أبيه عن على بن موسي الرضا عن آبائه أورده الذهبى في الضعفاء يعنى الطائى وقال له نسخة باطلة ورواه الشيرازى فى الألقاب من حديث أنس بزيادة وأهل التودد فى الدنيا لهم درجة في الجنة الحديث وكذلك أخرجه البيهقى أيضا من طريق إسماعيل بن يحيى العسكرى عن إسحاق العمى عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبى هريرة والعسكرى والعمى ضعيفان وروى البيهقى من مرسل سعيد بن المسيب بإسناد ضعيف بزيادة وما يستغنى الرجل عن مشورة وأن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج إلا أنه قال مداراة الناس بدل قوله التودد إلى الناس وروى يونس بن عبيد عن ميمون بن مهران قال التودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف الفقه ورفقك فى المعيشة يلقى عنك نصف المؤنة وقد روى هذا مرفوعا بإسناد ضعيف .

(١٩٠٣) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : « كان » رسول الله ﷺ « لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم ينصرف » وفى نسخة ثم لم يصرفه » عنه حتى يفرغ من كلامه » قال العراقى : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن ولأبى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد عن سويد بن نصر عن المبارك عن عمران ابن زيد الثعلبى عن زيد العمى عن أنس بلفظ كان إذا استقبله رجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هذا الذى ينزع يده من يده ولا يصرف وجهه منه حتى يكون هو=

قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : «الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون» (١٩٠٤) .

ومنها : أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته ، فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه والعيي بالبيان آذى وتأذى .

ومنها : أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان .

قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا» (١٩٠٥) .

= الذى يصرف وجهه ولم أره مقدما ركبته بين يدى جليس له وأخرجه ابن ماجه من طريق وكيع عن أبى يحيى الطويل هو عمران بن زيد الثعلبى المذكور وشيخه زيد العمى ضعيف عند الجمهور وأخرجه ابن سعد فى الطبقات من طريق الحسن بن الحكم عن أنس والحارث ابن أبى أسامة من طريق يونس بن عبيد عن ثابت عن أنس ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق الحارث هذا .

(١٩٠٤) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « الاستئذان ثلاث: فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » عليه بالمنع **قال العراقى :** رواه الدارقطنى فى الإفراد بسند ضعيف وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا أرجع .اهـ

قال مرتضى : فى سند الدارقطنى عمر بن عمران السدوسى قال فى الميزان مجهول وقال الأزدى منكر الحديث أحد المتروكين ثم ساق له هذا الخبر فما أنكر عليه وأما حديث أبى موسى فقد رواه الشيخان أيضا من حديث أبى سعيد ورواه الترمذى عنهما كذلك ولما روى أبو سعيد هذا الخبر لعمر رضي الله عنه قال لتأتينى عليه ببينة وإلا فعلت وفعلت فأتى بأبى سعيد وفى رواية بأبى بن كعب فقال سمعت النبى ﷺ يقوله يا ابن الخطاب فلا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله فقال أحببت أن أتثبت .

(١٩٠٥) حديث : قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا » **قال العراقى :** رواه الطبراني فى الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبى داود والبخارى فى الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن .اهـ.

قال مرتضى : ويروى بتقديم الجملة الأخيرة على الأولى وهكذا رواه الترمذى والخرائطى من حديث أنس ورواه أبو نعيم وأبو موسى المدينى فى الذيل من حديث الأجط ورواه=

وقال ﷺ : « من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم » (١٩٠٦) .

ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن .

وقال جابر : « قدم وفد جهينة على النبى ﷺ : فقام غلام ليتكلم فقال ﷺ : مه فأين الكبير» (١٩٠٧) .

= الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث على وأبى هريرة وابن مسعود وروى ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يشرف كبيرنا وهكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم من حديث ابن عمرو ويروى ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا وهكذا رواه الطبرانى فى الكبير والحكيم من حديث أبى أسامة والطبرانى أيضا من حديث واثلة ويروى بزيادة ويعرف لعالمنا حقه وهكذا رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والعسكرى فى الأمثال وابن جرير والحاكم وأيضا من حديث عبادة بن الصامت ويروى ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا وليس منا من غشنا الحديث وهكذا رواه الطبرانى فى الكبير من طريق حسين بن عبد الله بن شميرة عن أبيه عن جده ويروى بلفظ المصنف بزيادة ويجل عالمنا وهكذا رواه الكشفوى فى الأمثال من حديث عبادة ويروى ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهكذا رواه أحمد والترمذى وقال غريب من حديث ابن عباس .

(١٩٠٦) حديث : قال ﷺ : « من إجلال الله» أى تعظيمه « إكرام ذى الشيبة المسلم » قال العراقى: رواه أبو داود من حديث أبى موسى الأشعرى بإسناد حسن . اهـ.

قال مرتضى : وتمامه وحامل القرآن غير المغالى والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط وقد سكت عليه أبو داود أى فهو حسن عنده وهكذا قاله ابن القطان والحافظ ابن حجر وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات بهذا اللفظ من حديث أنس ونقل عن ابن حبان أنه لا أصل له ولم يصب ابن الجوزى ولا ابن حبان بل له أصل من حديث أبى موسى وأما حديث أنس الذى قال ابن حبان لا أصل له فلفظه أن من إجلال الله توقير الشيخ من أمتى ورواه الخطيب فى الجامع وفيه عبد الرحمن بن حبيب عن بقية قال يحيى ليس بشىء وروى أبو الشيخ في التوبيخ من حديث جابر ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بين النفاق ذو الشيبة فى الإسلام والإمام المقسط ومعلم الخير ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة نحوه .

(١٩٠٧) حديث :قال جابر : « قدم وفد جهينة على النبى ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال » رسول الله « ﷺ : مه فأين الكبير » **قال العراقى** : رواه الحاكم وصححه .اهـ.

وفى الخبر: «ما وقر شاب شيخا إلا قيض الله له في سنه من يوقره»(١٩٠٨).

وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر.

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض اللئام فيضا وتغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم»(١٩٠٩).

«والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ»(١٩١٠).

«وكان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان، فيقف عليهم، ثم يأمر بهم، فيرفعون إليهم فيرفع منهم بين يديه، ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم، فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله ﷺ بين يديه

(١٩٠٨) حديث: «ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له في سنه من يوقره». **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرحال وهوضعيف. اهـ.

قال مرتضى: قوله غريب أقرب من قوله حسن وإن تبعه الجلال فى جامعه فرمز لحسنه تبعا لهذه النسخة والذى فى نسخ الترمذى بعد أن أخرجه من طريق يزيد بن بيان عن أبى الرحال عن أنس وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد. اهـ. قال ابن عدى هذا حديث منكر وقال الصدر المناوى وفيه يزيد بن بيان العقيلى عن أبى الرحال خالد بن محمد الأنصارى ويزيد ضعفه الذارقطنى وغيره وأبو الرحال واه قال البخارى عنده عجائب وعلق له وقال الحافظ السخاوى وقد رواه جزم بن أبى حزم القطعى عن الحسن البصرى من قوله.

(١٩٠٩) حديث: قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا» لأبويه «والمطر قيظا» أى ضعيفا «وتفيض اللئام فيضا» أى يكثرون يقال فاض الماء إذا جرى بكثرة «ويغيض الكرام غيضا» أى تذهب فى الأرض ذهابا فيقال غاض الماء فى الأرض إذا ذهب «ويجترئ الصغير على الكبير» فلا يحترمه لكبره «واللئيم على الكريم» **قال العراقى:** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف. اهـ.

(١٩١٠) حديث: «التلطف بالصبيان» من عادة رسول الله ﷺ **قال العراقى:** رواه البزار من حديث أنس كان من أفكه الناس مع صبى وقد تقدم في النكاح وفى الصحيحين يا أبا عمير ما فعل النغير وغير ذلك. اهـ.

وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم» (١٩١١) .

«وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه ، فيأخذه فيضعه فى حجره، فربما بال الصبى ، فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبى بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده»(١٩١٢) .

ومنها : أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا .

(١٩١١) حديث: « كان » ﷺ « يقدم من السفر فتتلقاه الصبيان » إذا خرجوا يتلقونه فرحا بقدومه «فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يرفعوا بعضهم لبعض » وفى نسخة فيحملوا بعضهم « وربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملنى رسول الله ﷺ بين يديه وحملك وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم ». قال العراقى : رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال : فيلقي بى وبالحسن قال فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية : تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبق بى إليه فحملنى بين يديه ثم جئ بأحد ابنى فاطمة فأردفه خلفه وفى الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس ، قال نعم : فحملنا وتركك ، لفظ مسلم وقال البخارى إن ابن الزبير قال لابن جعفر فالله أعلم .اهـ.

قال مرتضى : رواه مسلم فى الفضائل وتمامه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة وكذلك رواه أحمد وأبو داود فى الجهاد.

(١٩١٢) حديث : « كان » ﷺ « يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه فى حجره فربما بال الصبى » فى حجره « فيصيح به بعض من راه» من الحاضرين « فيقول لا تزرموا الصبى » أى لا تقطعوا عليه « بوله » يقال أزرم عليه بوله إذا قطعه وهو بتقديم الزاى على الراء « فيدعه » أى يتركه « حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له ويسميه » ويحنكه «ويبلغ سرور أهله فيه وأن لا يروا » وفى نسخة لئلا يروا « أنه تأذى ببوله » فى حجره «فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك » وفى نسخة بعدهم. قال العراقى : رواه مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتى بصبى فبال عليه فدعا بماء فاتبعه بوله ولم يغسله وأصله متفق عليه وفى رواية لأحمد فيدعو لهم وفيه صبوا عليه الماء صبا وللدارقطني بال ابن الزبير على النبى ﷺ فأخذ به أخذا عنيفا .... الحديث وفيه الحجاج بن ارطاة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث الحسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله ﷺ مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا إذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ائتونى بكوز من ماء .... الحديث وإسناده صحيح .اهـ.

=

قــال ﷺ : « أتدرون على من حرمت النار؟ قـالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : على اللين الهين السهل القريب»(١٩١٣) .

وقــال أبو هريرة ﷺ : قال رســول الله ﷺ : «إن الله يحب السهل الطلق الوجه»(١٩١٤) .

وقال بعضــهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال : « إن مـن موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام» (١٩١٥) .

= قال مـرتضى : وقوله : وأصله متفق عليه يشير إلى أن البخاري قد رواه كذلك إلا أنه ليس عنده ويحنكهم وقد رواه أبو داود أيضا وسياقه كسياق مسلم .

(١٩١٣) حديث : قال رسول الله ﷺ « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال» حرمت على « الهين اللين السـهل القريب ». قال العراقى : رواه الترمـذى من حديث ابن مسـعود ولم يقل اللين وذكرها الخـرائطى من رواية محـمد بن أبى معـيقيب عن أمـه وقال الترمذى حسن غريب . اهـ.

قال مـرتضى : ورواه أيضا كرواية الخرائطى الطبراني فى الكبير وفى الأوسط وفي رواية لابن مسـعود حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس .

(١٩١٤) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : قال رسـول الله ﷺ : « إن الله يحب السهل » فى أمور الدنيـا والدين « الطلق » وفى رواية الطليق. قال العـراقى : رواه البيهقى فى شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلى مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الشيرازى فى الألقاب والديلمي وفى سند البيهقى أحمد بن عبد الجبار أورده الذهبى فى الضعفاء وقال مختلف فـيه وحديثه مستقيم وجويبر البلخى قال الدارقطني وغيره متروك .

(١٩١٥) حديث : قال بعضهم يا رسول الله دلنى علي عمل يدخلني الجنة فقال : « إن من موجبات المغفرة » أى من أسباب ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها « بذل السلام » أى إفشاءه بين الناس «وحسن الكلام » أى إلانته القول لإخـوانه واستعطافهم علي منهج المداراة قـال العـراقى : رواه ابن أبى شيبة فـي مصنفه والطبرانى والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ لـه والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد .اهـ.

قال مـرتضى : هو هانئ بن يزيد المذحجي بن شريح له وفـادة وهو جد بريد بن القولم ابن شريح نـزل الكوفة وهو الذى قال دلنـي يا رسول الله .... إلخ روى له البـخارى في الأدب المفرد وأبوداود والنسائى وقد وقع هنا للمناوي فى شـرح الجامع أوهام فإنه قال هانئ=

وقال عبد الله بن عمر: إن البر شيء هين ، وجه طليق ، وكلام لين .

وقال ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » (١٩١٦) .

وقال ﷺ : « إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » (١٩١٧) .

= ابن يزيد بن شريح الأنصاري الأوسي الذي شهد بدرا والمشاهد كلها روى له البخاري حديثًا واحدا .اهـ.

قال مرتضى : لم يشهد بدرا ولا المشاهد وإنما له وفادة وليس هو من الأوس ولا من أهل المدينة وأوهم قوله روى له البخاري .... إلخ أنه روى له في الصحيح وليس كذلك بل روي له في الأدب المفرد ثم قال نقلا عن الهيتمي فيه أبو عبيدة بن عبيد الله الأشجعي روى عنه أحمد ولم يضعفه وبقية رجاله رجال الصحيح .اهـ. وهو ذهول فإن الأشجعي هذا من رجال الصحيحين .اهـ.

قال مرتضى : وقع له تحريف في والد أبي عبيدة ووهم في تعيينه وكونه من رجال الصحيح فإن الأشجعي هذا هو أبو عبيدة بن عبيد الله بن عبيد الرحمن بالتصغير فيهما ويقال اسمه عباد لكنه مشهور بكنيته وهو من رجال أبي داود وليس من رجال الصحيح وهو مقبول من طبقة أتباع التابعين والعجب من الشيخ كيف ذهل وعنده كتب الفن .

(١٩١٦) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» **قال العراقي** : متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم مشروحا مفصلا في كتاب الزكاة.

(١٩١٧) حديث : قال ﷺ : « إن في الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها » أي شفافة لا تحجب ما وراءها « فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام » أي الانه مع إخوانه « وأطعم الطعام» أي للفقراء والأضياف والإخوان « وصلى بالليل والناس نيام» يعني تهجد. **قال العراقي** : رواه الترمذي من حديث علي وقال حديث غريب **قال العراقي** : وهو ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : لفظ الترمذي بعد قوله غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه .اهـ. أي فضعفه من قبله وقد رواه أيضا أحمد وابن حبان والبيهقي من حديث أبي مالك الأشعري وقال البيهقي رجال أحمد رجال الصحيح ثم إن لفظ الحديث عندهم أن في الجنة غرفا يري ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها=

وقال معاذ بن جبل : قال لى رسول الله ﷺ : «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح» (١٩١٨) .

= الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وفى رواية واصل وفي أخرى وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام زاد البيهقي فى روايته قيل يا رسول الله وما إطعام الطعام قال : من قات عياله قيل وما واصل الصيام قال من صام رمضان ثم أدرك رمضان فصامه قيل وما افشاء السلام قال مصافحة أخيك قيل وما الصلاة والناس نيام قال صلاة العشاء الآخرة . اهـ. وهو وأن ضعفه ابن عدى لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتد بها ومع ملاحظته لا يمكن التعبير بغيره والله أعلم .

(١٩١٨) حديث : قال معاذ بن جبل ﷺ : قال لى رسول الله ﷺ : « أوصيك » يا معاذ «بتقوى الله» تعالى « وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح » . **قال العراقي** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو بكر ابن أبى عاصم حدثنا يعقوب بن حميد حدثنا إبراهيم بن عيينة عن إسماعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتنى أبعثك إلى اليمن فانطلقت فرحلت راحلتى ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن لى رسول الله ﷺ فأخذ بيدى ثم مضى معى فقال يا معاذ إنى أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل وإياك أن تشتم مسلما أو تكذب صادقا أو تعصى إماما عادلاً يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر وأحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية رواه ابن عمر نحوه أخبرناه الحسن بن منصور الحمصى فى كتابه حدثنا الحسن بن معروف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنا أبى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال لما أراد النبى ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن ركب معاذ ورسول الله يمشى إلى جانبه يوصيه فقال يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق أوصيك بتقوى الله وذكر نحوه وزاد وعد المريض وأسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف الناس من نفسك وقل الحق ولا تأخذك فى الله لومة لائم .

وقــال أنس رضي الله عنه : « عرضت لنبى الله ﷺ امـرأة وقالت : لى معك حـاجة ، وكان معه ناس من أصحابه ، فقال : اجلسى فى أى نواحى السكك شئت أجلس إليك، ففعلت ، فجلس إليها حتى قضت حاجتها» (١٩١٩) .

وقال وهب بن منبه إن رجلا من بنى إسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما طال علـيه ذلك ولـم يجب قال : لـو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى ، لكان خيـرا لى من هذا الأمر الذى طلبـته ، فأرسل الله إليـه ملكا فقال له : إن الله أرسـلنى إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الـذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عـبادتك ، وقد فـتح الله بصرك فـانظر فنظر فإذا جنود إبليس قد أحـاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئاب فقال : أى رب من ينجو من هذا ؟ قال : الورع اللين .

ومنها : أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفى به .

قال ﷺ : « **العدة عطية** » (١٩٢٠) .

(١٩١٩) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « عرضت لرسول الله ﷺ امرأة» كان فى عقلها شيء «وقالت لى معك حاجة » وكان معه ناس من أصحابه « فقال » لها «اجلسى فى أى نواحى السكك» أى سكك المدينة « شئت أجلس إليك فـفعلت فجلس إليهـا حتى قضى حاجـتها » **قـــال العراقى:** رواه مسلم .اهـ.

قال مـرتضى : رواه مسلم فى صحيحه وقال حتى أقـضى حاجتك فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت حاجتها .

(١٩٢٠) حديث : قـال ﷺ : « العدة عطية » أى بمنزلة العطيـة فلا ينبغى أن تخلف كمـا لا ينبغى أن يرجع الإنسان فى عطيتـه ولأنه إذا وعد فقد أعطى عهده بما وعـد وقد قال تعالى : ﴿وَأَوْفُـــوا بِالْعَهْدِ﴾ وفى حديث آخر : من وعد وعدا فقد عهد عهدا ذكره العامرى فى شرح الشهاب **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف .اهـ.

قال مـرتضى : قال رفيقه البيهقى فيه أصبغ بن عبد العزيز الليثى قال أبو حاتم مجهول وللخرائطى فى المكارم عن الحـسن البصرى مرسـلا إن امرأة سألت رسول الله ﷺ شـيئا فلم تجده عنده فقـالت عدنى فقال رسول الله ﷺ إن العـدة عطية وهو فى المراسيل لأبى=

وقال ﷺ : «العدة دين»(١٩٢١) .

وقال : «ثلاث فى المنافق : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان»(١٩٢٢) .

وقال ﷺ : «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى»(١٩٢٣) وذكر ذلك .

= داود وكذا الصمت لابن أبى الدنيا من حديث يونس بن عبيد البصرى عن الحسن أن النبى ﷺ قال العدة عطية وفي لفظ عن يونس بن عبيد البصرى عن الحسن قال سأل رجل النبى ﷺ شيئا فقال ما عندى ما أعطيك فقال فعدنى فقال رسول الله ﷺ العدة واجبة ورواه أيضا أبو نعيم فى الحلية والديلمى من حديث ابن مسعود .

(١٩٢١) حديث : قال ﷺ : « العدة دين » . **قال العراقى :** أخرجه الطبرانى فى معجميه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل . اهـ.

قال مرتضى : فى سندهما حمزة بن داود ضعفه الدارقطنى وكذلك رواه القضاعى فى الشهاب من حديث ابن مسعود ولفظهم لا يعد أحدكم حبيبه ثم لا ينجز له فإن رسول الله ﷺ قال العدة دين ولفظه عند أبى نعيم فى الحلية إذا وعد أحدكم حبيبه فلينجز له فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول العدة عطية والموقوف منه فقط عند البخارى فى الأدب المفرد بزيادة ولفظ الطبرانى وابن عساكر من حديث على مرفوعا العدة دين ويل له ويل له ويل له ثلاثا أى لمن وعد ثم أخلف أورد القضاعى منه لفظ المصنف والديلمى معناه بلفظ الواعد بالعدة مثل الدين أو أشد وفى لفظ له عدة المؤمن دين وعدة المؤمن كالأخذ باليد .

(١٩٢٢) حديث : قال ﷺ : « ثلاث » خصال «فى المنافق إذا حدث كذب » أى أخبر بخلاف الواقع «وإذا وعد » الإنسان بإيصال الخير فى المستقبل « أخلف » وعده ولم يف به « وإذا ائتمن » أى جعل أمينا ويروي اتمن بتشديد التاء « خان » أى تصرف فى الأمانة على غير وجه الشرع أو لم ينصح، **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه .اهـ.

قال مرتضى: وهو فى أول الصحيح للبخاري قال حدثنا سليمان أبو الربيع حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا نافع بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وهكذا أخرجه أيضا فى الوصايا عن أبى الربيع وفى الشهادات عن قتيبة وفى الأدب عن أبى سلام وأخرجه مسلم فى الإيمان عن قتيبة ويحيى بن أيوب كلهم عن إسماعيل بن جعفر عن أبى سهيل عن أبيه وأخرجه الترمذي والنسائي .

(١٩٢٣) حديث : قال ﷺ : « ثلاث من كن فيه فهو منافق » أى حاله يشبه حال المنافق « وإن=

روى « أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر ، فنزلت منزلا فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة ، فقالت : ادعوه إلى الطعام ، فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى ، فقالت : إن الله تعالى أنزل الناس منازل ، لابد لنا من أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص ، وقبيح بنا أن نعطى هذا الغني على هذه الهيئة قرصا » (١٩٢٧).

وروى أنه ﷺ « دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غُصَّ وامتلأ ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب ، فلف رسول الله

(١٩٢٧) حديث : « أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت طعامها » لتأكل « فجاء سائل» فسأل « فقالت عائشة رضي الله عنها » لخدمها: «ناولوا هذا المسكين» من هذا الطعام « قرصا ثم مر رجل » آخر ذو هيئة وهو راكب « على دابة ، فقالت : ادعوه إلى الطعام ، فقيل لها تعطين المسكين » قرصا «وتدعين» أى تطلبين «هذا الغنى ، فقالت : إن الله عز وجل قد أنزل الناس منازل لابد لنا أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين رضى بقرص وقبيح بنا أن نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروي مسلم فى أول صحيحه بلا اسناد تعليقا فقال ويذكر عن عائشة قالت أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم ووصله أبو نعيم فى المستخرج وغيره كأبى داود فى السنن وابن خزيمة فى الصحيح والبزار وأبو يعلى فى مسنديهما والبيهقى فى الأدب والعسكرى فى الأمثال وغيرهم كلهم من طريق ميمون بن أبى شبيب قال جاء سائل إلى عائشة فأمرت له بكسرة وجاء رجل ذو هيئة فأقعدته معها فقيل لها لم فعلت ذلك قالت أمرنا وذكره ومنهم من اختصر هذا ولفظ أبى نعيم فى الحلية أن عائشة كانت فى سفر وأمرت لناس من قريش بغداء فجاء رجل غنى ذو هيئة فقالت ادعوه فنزل فأكل ومضى وجاء سائل فأمرت له بكسرة فقالت إن هذا الغنى لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به وإن هذا الفقير سأل فأمرت له بما يترضاه وأن رسول الله ﷺ أمرنا وذكره ولفظ أبى داود وانزلوا الناس منازلهم وقد صحح هذا الحديث الحاكم فى معرفة علوم الحديث وكذا غيره وتعقب بالانقطاع وبالاختلاف على راويه فى رفعه قال السخاوي فى المقاصد وبالجملة فحديث عائشة حسن وفى هذا الباب عن معاذ وجابر وعلى فحديث معاذ أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق مرفوعا وحديث جابر جالسوا الناس على قدر أحسابهم وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم رواه الغسولى فى جزئه مرفوعا وحديث على من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه ومن رفع أخاه فوق قدره اجتر عداوته رواه أبو الزهرى فى تذكرة الغافل موقوفا .

ﷺ رداءه ، فالقاه إليه ، وقال له : اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ، ثم لفه ورمى به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتني ، فنظر النبي ﷺ يمينا وشمالا ثم قال: إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه»(١٩٢٨) .

(١٩٢٨) حديث : « أنه ﷺ دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ» وفي نسخة حتى دهس وامتلأ المجلس » فجاء جرير بن عبد الله البجلي ﷺ فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذه جرير ﷺ ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه فرمى به إلى النبي ﷺ وقال ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي ﷺ ثم قال إذا أتاكم كريم قوم » أي رئيسهم المطاع فيهم المعوّد منهم بإكثار الاحترام وفي رواية كريمة قوم قال ابن الأثير والهاء فيه للمبالغة «فأكرموه » برفع مجلسه واجزال عطيته ونحو ذلك. **قال العراقي** : رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الزكاة مختصرا .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن ماجه في سننه من طريق سعيد بن مسلمة عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر رفعه بهذا وسنده ضعيف محمد بن عجلان ذكره البخاري في الضعفاء وقال الحاكم سيئ الحفظ ولم يخرج له مسلم إلا في الشواهد لكن روى الطبراني في الأوسط من طريق حصين بن عمر الأحمسي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير البجلي قال لما بعث النبي ﷺ أتيته فقال ما جاء بك قلت جئت لأسلم فألقى إليّ كساءه وقال إذا أتاكم .... إلخ وحصين فيه ضعف وله طريق آخر عند الطبراني في الأوسط والصغير بسند ضعيف وآخر عن البزار في مسنده من حديث جرير وهو ضعيف أيضا عن أبي بزيدة عن يحيي بن يعمر عن جرير قال أتيت النبي ﷺ فبسط إليّ رداءه وقال اجلس على هذا فقلت أكرمك الله كما أكرمتني فقال ﷺ إذا أتاكم .... إلخ وقال إنه غريب بهذا الإسناد ويحيى بن يعمر لا نعلم روى عن جرير إلا هذا وللعسكري في الأمثال وابن شاهين وابن السكن وأبي نعيم وابن منده في كتبهم من الصحابة وابن سعد في شرف المصطفى والحكيم الترمذي وآخرين كلهم من طريق صابر بن سالم بن حميد بن يزيد بن عبد الله بن حمزة حدثني أبي عن أبيه حدثني يزيد بن عبد الله حدثتني أختي أم القصاف قالت حدثني أبي عبد الله بن حمزة إنه بينما هو قاعد عند رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه إذ قال سيطلع عليكم من هذه الثنية خير ذو يمن فإذا هم بجرير بن عبد الله فذكر قصة طوّلها بعضهم وفيه فقالوا يا نبي الله لقد رأينا منك له ما لم نره لأحد فقال نعم هذا كريم قوم فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وليس عند ابن السكن حدثتني أختي وسنده مجهول وللعسكري فقط من حديث مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم أنه لما دخل على النبي ﷺ القى إليه وسادة فجلس على الأرض وقال أشهد أنك لا=

وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه ، روى « **أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته ، جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها : مرحبا بأمي ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها : اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت : قومي ، فقال : أما حقي وحق بني هاشم فهو لك ، فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يا رسول الله ، ثم وصلها بعد ، وأخدمها وهب لها سهمانه بحنين ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم**» (١٩٢٩) .

= تبغي علوا في الأرض ولا فسادا فأسلم ثم قال رسول الله ﷺ وذكره وسنده ضعيف أيضا وللدولابي في الكنى من طريق عبد الرحمن بن خالد بن عثمان عن أبيه عن عثمان عن جده محمد بن عثمان بن عبد الرحمن عن جده أبي راشد عبد الرحمن بن عبد الله قال قدمت على النبي ﷺ في مائة رجل من قومي فذكر حديثا وفيه أن النبي ﷺ أكرمه فأجلسه وكساه رداءه ودفع إليه عصاه وأنه أسلم فقال له رجل من جلسائه يا رسول الله أنا نراك أكرمت هذا الرجل فقال : إن هذا شريف قوم وإذا أتاكم شريف قوم فأكرموه ولأبي داود في المراسيل وسنده صحيح من حديث طارق عن الشعبي رفعه مرسلا إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال روى متصلا وليس بشيء وفي الباب عن ابن عباس ومعاذ وأبي قتادة وأبي هريرة وآخرين منهم أنس .

(١٩٢٩) حديث : « أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته » وأصل الظئر بالكسر وسكون الهمزة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على غير ولدها ثم سميت به المرأة تحضن ولد غيرها ويقال للرجل الحاضن ظئر أيضا والجمع آظار كحمل وأحمال والمراد هنا حليمة السعدية رضي الله عنها «جاءت إليه» زائرة « فبسط لها رداءه » الذي عليه « ثم قال لها مرحبا بأمي ثم أجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي » أي تقبل شفاعتك « وسلي تعطى فقالت » هبني « قومي» بني سعد من هوازن فإن النبي ﷺ كان أغار عليهم « فقال أما حقي وحق بني هاشم فهو لك » أي وهبناه لك « فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله » أي كذلك هبة لها « ثم وصلها بعد» ذلك « وأخدمها » أي أعطاها خادما « ووهب لها سهمانه » الذي أصابها « من خيبر » فأخذت ذلك وانصرفت مكرمة « فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم » وذلك أيام خلافته. **قال العراقي** : رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصرا في بسط ردائه لها دون ما بعده .اهـ.

قال مرتضى : أن قلت أما حليمة بنت أبي ذؤيب فإنها جاءته يوم خيبر فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه ذكره ابن عبد البر وروي أيضا وكذا ابن قتيبة أن خيلا له ﷺ أغارت على هوازن فأخذوا الشيماء بنت حليمة أخته ﷺ من الرضاعة فقالت أنا أخت صاحبكم فلما قدمت على رسول الله ﷺ قالت له يا محمد أنا أختك فرحب بها وبسط=

«ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذى يجلس إليه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل» (١٩٣٠) .

ومنها : أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا .

قال ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا: بلى ، قال : إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة » (١٩٣١) .

= لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وقال لها إن أحببت فأقيمى عندي مكرمة محببة وأن أحببت أن ترجعى إلى قومك وصلتك قالت بل ارجع إلى قومى فاسلمت وأعطاها النبى ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وفى مغازى موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف إلى الجعرانة وفيها سبى هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم ستة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم وفيه أما الذى لبنى هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين قال ثم تشفع لهم وعند الطبرانى فى قصة زهير بن صرد لما أنشد تلك الأبيات ثم ساقها وفيها قوله ﷺ ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ورسوله وقالت الأنصار كذلك .

(١٩٣٠) حديث : « نزعه ﷺ وسادته ووضعها تحت الذى يجلس إليه فإن أبى » من جلوسه عليها «عزم عليه حتي يفعل » . **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث ابن عمرو : أنه دخل عليه ﷺ فألقى له وسادة من أدم حشوها ليف .... الحديث وإسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان : دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فالقاها إلى .... الحديث وسنده ضعيف ، قال صاحب الميزان : هذا خبر ساقط .اهـ.

(١٩٣١) حديث : قال ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل » أى بدرجة هى أفضل « من درجة الصيام والصلاة والصدقة » أى المستمرات أو الكثيرات « قالوا بلى » أخبرنا به « قال إصلاح ذات البين» أى إصلاح أحوال البين حتى تعود إلى صحبة وألفة أو هو إصلاح الفساد والفتنة التى بين المسلمين « وفساد ذات البين » هى « الحالقة » أي الخصلة التى شأنها أن تحلق أى تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل المزينون الشعر أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن . **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والبخاري فى الأدب المفرد وقال الحافظ بن حجر سنده صحيح .

وقال ﷺ : «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » (١٩٣٢) .

وعن النبى ﷺ فيما رواه أنس ﵁ قال : « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر ﵁ : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ما الذى أضحكك ؟ قال : رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة ، فقال أحدهما : يا رب خذ لى مظلمتى من هذا ، فقال الله تعالى : رد على أخيك مظلمته ، فقال : يا رب لم يبق لى من حسناتى شىء ، فقال الله تعالى للطالب : كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شىء ؟ فقال : يا رب فليحمل عنى من أوزارى ، ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، فقال : إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال : فيقول الله تعالى » أى للمتظلم « أرفع بصرك فانظر فى الجنان ، فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأى نبى هذا أو لأى صديق أو لأى شهيد ، قال الله تعالى : هذا لمن أعطى الثمن ، قال : يارب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يا رب قد عفوت عنه ، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فادخله الجنة ، ثم قال ﷺ : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » (١٩٣٣) .

(١٩٣٢) حديث : قال ﷺ : « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين ». **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمر وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقى ضعفه الجمهور .اهـ.

قال مرتضى : ووقع فى نسخ الجامع للجلال عبد الله بن عمرو فيه عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم وإن كان ضعيفا لكن حديثه هذا أحسن لحديث أبى الدرداء السابق قاله المنذرى.

(١٩٣٣) حديث : قال أنس ﵁ : « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر » بن الخطاب ﵁ « يا رسول الله بأبى وأمى ما الذى أضحكك ؟ قال : رجلان من أمتى جثيا » على ركبهما « بين يدى الله عز وجل فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من هذا فقال الله عز وجل رد على أخيك المسلم مظلمته فقال يا رب لم يبق لى من حسناتى شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك لم يبق من حسناته شئ فقال يا رب فليحمل عنى من أوزارى» شيئا « ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء» لما تذكر ذلك=



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٨

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

وقد قال ﷺ : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا » (١٩٣٤) .

وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه .

وقال ﷺ : « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل فى الحرب فإن الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها» (١٩٣٥) .

= الموقف العظيم «فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس» فيه « إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم فيقول الله عز وجل للمظلوم» وفى نسخة للمتظلم « ارفع بصرك فانظر فى الجنان فيرفع بصره » فقال يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا «من بين الأنبياء «أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن أعطى الثمن فيقول يا رب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن أخيك قال يا رب قد عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال ﷺ اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الموصلى خرجه بطول وضعفه البخارى وابن حبان .اهـ.

(١٩٣٤) حديث : قال ﷺ : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين » متشاجرين أو متباغضين وفى رواية ليس الكذاب بالذى وفى أخرى الذى يصلح بين الناس « فقال خيرا أو نما » أى رفع «خيراً » أى على وجه الإصلاح وفى رواية فينمى خيرا ويقول خيراً ، **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن جرير كلهم من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث شداد بن أوس .

(١٩٣٥) حديث : قال ﷺ : « الكذب مكتوب » على ابن آدم وفى رواية يكتب « إلا » ثلاثا «أن يكذب الرجل فى الحرب » فلا يكتب عليه ذلك « فإن الحرب خدعة » بل قد يجب إذا دعت إليه ضرورة أهل الإسلام « أو يكذب بين اثنين » بينهما نحو احن وفتن « ليصلح بينهما » بقوله ذلك « أو يكذب لامرأته ليرضيها » . **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الطبرانى فى الكبير وابن السنى فى عمل يوم وليلة ومن=

ومنها : أن تستر عورات المسلمين كلهم .

قال ﷺ : « **من ستر على مسلم ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة** » (١٩٣٦) .

وقال : « **لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة** »(١٩٣٧) .

وقال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه قال ﷺ : « **لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة** » (١٩٣٨) .

وقال ﷺ لماعز لما أخبره: « **لو سترته بثوبك كان خيرا لك** » (١٩٣٩) .

= سندهم محمد بن جامع العطار وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديث أسماء بنت يزيد بزيادة فى أوله .

(١٩٣٦) حديث : قال ﷺ : « من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .اهـ.

قال مرتضى : وحديث ابن عمر هذا رواه أيضا الخرائطى فى مكارم الأخلاق ويروي من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة رواه أحمد والبيهقى وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج وأبو نعيم والخطيب من حديث مسلمة بنت مخلد وروى أحمد عن رجل من الصحابة من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيامة وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر من ستر مؤمنا فى الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة .

(١٩٣٧) حديث : قال ﷺ : « لا يستر عبد عبدًا إلا ستره الله يوم القيامة ». **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة أيضا . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه البيهقى فى الشعب .

(١٩٣٨) حديث : قال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « لا يرى امرؤ من أخيه عورة فسترها عليه إلا دخل الجنة ». **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وفى رواية فيسترها عليه وفى أخري إلا أدخل الجنة وكذلك رواه عبد بن حميد ورواه ابن النجار من حديث عقبة بن عامر بلفظ أدخله ورواه الطبرانى فى الكبير بلفظ المصنف من حديث عقبة بن عامر .

(١٩٣٩) حديث: قال ﷺ لماعز بن مالك الأسلمى لما أخبره عن قصته : « لو سترته بثوبك كان =

فإذاً على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره. قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شاربًا ، لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله .

وروى أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا : إنما أنت إمام فقال : على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا يقام عليك الحد . إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ما شاء الله إن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى فقال على رضي الله عنه : مثل مقالته الأولى.

وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا فى أن الوالى هل له أن يقضى بعلمه فى حدود الله فلذلك راجعهم فى معرض التقدير لا في معرض الأخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك .

فيكون قاذفا بإخباره ومال رأى على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش ، فإن أفحشها الزنا وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه فى ذلك منها كالمرود فى المكحلة .

= خيرا لك » **قال العراقى** : رواه أبو داود والنسائى من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الإسناد ونعيم مختلف فى صحبته . اهـ.

قال مرتضى : هذه القصة ساقها ابن الأثير وهو فى جزء ابن الطلاية ونعيم بن هزال الأسلمى نزل المدينة روى عنه ابنه قصة ماعز وقيل الصحبة لأبيه هزال بن يزيد الأسلمى وهو الذى قال له رسول الله ﷺ يا هزال لو سترته بثوبك كان خيرا لك كذا فى صحيح ابن فهد وهكذا رواه أحمد والطبرانى فى الكبير من طريق يزيد بن نعيم عن أبيه وروى ابن سعد فى الطبقات من طريق يزيد بن نعيم عن أبيه عن جده بئسما صنعت بيتيمك لو سترت عليه بطرف ردائك لكان خيرا لك .

وهذا قط لا يتفق وإن علمه القاضى تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه ، فانظر إلى الحكمة فى حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذى هو أعظم العقوبات .

ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر .

ففى الحديث: « **إن الله إذا ستر على عبد عورته فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها فى الآخرة وإن كشفها فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى** » (١٩٤٠) .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة فى المدينة، فبينما نحن نمشى إذ ظهر لنا سراج ، فانطلقنا نؤمه ، فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدى وقال أتدرى بيت من هذا قلت : لا فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت : أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات: ١٢) . فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم .

وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع .

(١٩٤٠) حديث: عن النبى ﷺ قال : « إن الله » تعالى « إذا ستر على عبده عورة فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفه» عليه «فى الآخرة فإن كشفها فى الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى » **قال العراقى**: رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث على : من أذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع فى شىء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبى هريرة لا ستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر يوم القيامة . اهـ .

قال مرتضى: ورواه أحمد وابن جرير وصححه من حديث على بلفظ من أذنب فى الدنيا ذنبا فعوقب عليه فالله أعدل أن يثنى عقوبته على عبده ومن أذنب ذنبا فى الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود فى شئ قد عفا عنه .

وقد قال ﷺ لمعاوية : « إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » (١٩٤١) .

قال ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته » (١٩٤٢) .

(١٩٤١) حديث : قال ﷺ لمعاوية بن أبى سفيان ﷺ : « إنك إن اتبعت عورات النساء أفسدتهم أو كدت تفسدهم » **قال العراقى** : رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية . اهـ.

(١٩٤٢) حديث : قال ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته » . **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه اهـ.

قال مرتضى : حديث أبى برزة الأسلمى رواه أيضا هكذا أحمد وأبو يعلى وابن أبى الدنيا وابن المنذر وابن مردويه والطبراني فى الكبير والبيهقى ورواه كذلك ابن أبى الدنيا في الغيبة وأبو يعلى والضياء في المختارة من حديث البراء بزيادة خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى الخدر ينادى بأعلى صوته يا معشر ... الخ . وروى ذلك أيضاً من حديث ابن عباس ولفظه يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يخرقه الله عليه فى بطن بيته هكذا رواه العقيلي وابن مردويه وروى ابنه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ولفظه يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان فى قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يطلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره وأبدى عورته ولو كان فى سر بيته هكذا رواه الطبرانى فى الكبير ورواه كذلك ابن مردويه بزيادة صلينا الظهر خلف نبى الله ﷺ فلما انفتل أقبل علينا غضبان مسفرا ينادى بأعلى صوت اسمع العواتق فى جوف الخدور يا معشر ... إلخ وأما حديث ابن عمر الذى **أشار إليه العراقى** فلفظه يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله هكذا ساقه الترمذى وقال حسن غريب رواه ابن حبان كذلك ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس ويروى أيضا من مرسل جبير بن نفير ولفظه يا معشر الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم فإنه من يتبع عثرة أخيه المسلم يتبع الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو فى قعر بيته .... الحديث بطوله هكذا أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول .

وقال أبو بكر الصديق ﷺ : لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى، ما أخذته ولا دعوت له أحداً، حتى يكون معى غيرى .

وقال بعضهم : كنت قاعداً مع عبد الله بن مسعود ﷺ ، إذ جاءه رجل بآخر فقال: هذا نشوان، فقال عبد الله بن مسعود: استنكهوه ، فاستنكهوه، فوجوده نشوانا. فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا بسوط، فكسر ثمره ثم قال للجلاد: اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه، فجلده وعليه قباء أو مرط، فلما فرغ قال للذى جاء به ما أنت منه قال: عمه قال عبد الله: ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحرمة .

إنه يتبغى للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه، وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ (النور : ٢٢) .

ثم قال: « إنى لأذكر أول رجل قطعه النبى ﷺ أتى بسارق، فقطعه، فكأنما أسف وجهه فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه . فقال: وما يمنعنى ، لا تكونوا عونا للشياطين على أخيكم ، فقالوا : ألا عفوت عنه ، فقال : إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه ، إن الله عفو يحب العفو وقرأ : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ » (النور : ٢٢) (١٩٤٣) .

(١٩٤٣) حديث : قال ابن مسعود « إنى لأذكر أول رجل قطعه النبى ﷺ ، أتى بسارق فقطعه » أى قطع يده «فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال ما يمنعنى » عن الكراهة « لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم » أى لا تتبعوا الشيطان ولا تكونوا عونا له فإنه يفرح فى إخوانكم المسلمين إذا أصيبوا بمثل ذلك « فقالوا ألا عفوت » يا رسول الله « فقال إنه ينبغى للسلطان إذا انتهى إليه حد » من حدود الله « أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو » **قال العراقى** : رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرائطى فى مكارم الأخلاق فكأنما سفى فى وجه رسول الله ﷺ رماد .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : وهذه الجملة أعنى قوله إن الله هنا حديث مستقل رواه الحاكم عن ابن مسعود ورواه ان عدى من حديث عبد الله بن جعفر « وقرأ ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أن=

وفى رواية : فكأنما سفى فى وجه رسول الله ﷺ رماد لشدة تغيره .

وروى « أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى، فتسور عليه، فوجد عنده امرأة، وعنده خمر . فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك ، وأنت على معصيته . فقال : وأنت يا أمير المؤمنين ، فلا تعجل ، فإن كنت قد عصيت الله

= يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وأخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله إنا قد نهينا عن التجسس ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به والأقرب إلى سياق المصنف ما رواه الإمام أبو حنيفة عن يحيى بن عبد الله الجائر عن أبى ماجد الحنفى عن ابن مسعود قال أتاه رجل بابن أخ له نشوان قد ذهب عقله فقال ترتروه ومزمزوه واستنكهوه فترتر ومزمز واستنكه فوجد منه رائحة شراب فأمر بحبسه فلما صحا دعاه ودعا بسوط فقطع ثمرته ثم رقه ثم دعا جلادا فقال اجلد وارفع يدك فى جلدك ولا تبعد ضبعيك قال ثم أنشأ عبد الله يعد حتى إذا كمل ثلاثين جلدة خلى سبيله فقال الشيخ يا أبا عبد الرحمن إنه لابن أخى وما لى ولد غيره فقال بئس العم والله والى اليتيم أنت كنت ما أحسنت أدبه صغيرا ولا سترته كبيرا قال ثم أنشأ يحدثنا قال إن أول حد أقيم فى الإسلام لسارق أتى النبى ﷺ فلما قامت عليه البينة قال انطلقوا به فاقطعوه فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه النبى ﷺ كأنما أسفى الرماد فقال بعض جلسائه والله يا رسول الله كأن هذا اشتد عليك قال وما يمنعني أن لا يشتد على لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم قالوا فلولا خليت سبيله قال أفلا كان هذا قبل أن تؤتونى به فإن الإمام إذا انتهى إليه حد فليس له أن يعطله قال ثم تلا هذه الآية ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ كذا رواه أبو محمد الحارثى الحافظ فى مسنده من طريق حمزة بن حبيب الزيات وأبى يوسف والحسن بن الفرات وسعيد بن أبي الجهم ومحمد بن يسر الصغاني كلهم عن الإمام أبى حنيفة لكن ليس فى روايتهم فقال ترتروه إلى قوله شراب وإنما روى هذه الزيادة طلحة العدل من طريق حمزة بن حبيب خاصة ورواه ابن خسر ومن طريق الحسن بن زياد عن أبى حنيفة ورواه الكلاعى من طريق محمد بن خالد الموهبى عن أبى حنيفة وقد رواه سفيان وزهير بن معاوية وجرير بن عبد الحميد وابن عيينة وغيرهم وقد اختلف فيه من دون أبى حنيفة فروى بعضهم عن يحيى بن الحارث عن عبد الله ابن أبى ماجد عن عبد الله وأخرجه إسحاق بن راهويه والطبرانى من طريق أبى ماجد الحنفى بلفظ جاء رجل بابن أخيه سكران إلى ابن مسعود فقال ترتروه واستنكهوه ففعلوا فرفعه إلى السجن ثم دعا به من الغد فجلده وأخرجه عبد الرزاق من حديث سفيان الثورى عن يحيى بدون ذكر العدد وأخرجه أبو يعلى من قوله فأنشأ يحدثنا .. الخ من طريق زهير بن حرب عن جرير عن يحيى وأخرجه بتمامه الحميدى وابن عمر فى مسندهما .

واحدة، فقد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات: ١٢) ، وقد تجسست ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ (البقرة : ١٨٩) ، وقد تسورت على ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ (النور : ٢٧) الآية ، وقد دخلت بيتى بغير إذن، ولا سلام ، فقال عمر ﷺ : هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لا أعود إلى مثلها أبدا ، فعفا عنه وخرج وتركه» (١٩٤٤) .

وقال رجل لعبد الله بن عمر : يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى يوم القيامة . قال : سمعته يقول : إن الله ليدنى منه المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس. فيقول أتعرف ذنب كذا؛ أتعرف ذنب كذا؛ فيقول: نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه، فرأى فى نفسه أنه قد هلك . قال له: يا عبدى : إنى لم أسترها عليك فى الدنيا، إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته . وأما الكافرون والمنافقون : ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود :١٨) » (١٩٤٥) .

(١٩٤٤) حديث : « أن عمر ﷺ كان يعس بالمدينة من الليل » أى يدور طائفا وذلك فى أيام خلافته « فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى فتسور عليه » أى اطلع علي سور جدار فنزل عليه فوجده وعنده إمرأة وعنده خمر فقال له يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته قال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل إن كنت عصيت الله تعالى واحدة فقد عصيت الله فيَّ – أى فى حقى – ثلاثا قال الله تعالى : ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسست وقال تعالى: ﴿ولَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ وقد تسورت علي وقال تعالى : ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية وقد دخلت بيتى بغير إذن ولا سلام فقال عمر ﷺ هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عنى لا أعود لمثلها أبدا فعفا عنه وخرج وتركه» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا بطوله أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ثور الكندى أن عمر كان يعس فساقه .

(١٩٤٥) حديث : قال رجل لعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ : يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت النبى=

وقد قال ﷺ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سرا ثم يخبر به » (١٩٤٦) .

= ﷺ يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعته يقول : « إن الله عز وجل ليدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا يعدد الذنوب عليه فيقول نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدى إنى لم أسترها عليك فى الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافرون والمنافقون : ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ » أى الملائكة الشهود وهم الحفظة « ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ » **قال العراقى** : متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الحكيم الترمذى من مرسل جبير بن نفير فى أثناء حديث قيل يا رسول الله وهل على المؤمن من ستر قال ستور الله على المؤمن أكثر من أن تحصى إن المؤمن ليعمل بالذنوب فيهتك عنه سترا سترا حتى لا يبقى عليه منه شيء فيقول الله للملائكة استروا على عبدى من الناس فإنهم يعيرون ولا يغيرون فتحف الملائكة بأجنحتها يسترونه عن الناس فإن تاب قبل الله منه ورد عليه ستوره ومع كل ستر تسعة أستار فإن تتابع فى الذنوب قالت الملائكة يا ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا فيقول الله استروا عبدى من الناس فإن الناس يعيرون ولا يغيرون فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس فإن تاب قبل الله منه وإن عاد قالت الملائكة ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا فيقول الله للملائكة تخلوا عنه فلو عمل ذنبا فى بيت مظلم في ليلة مظلمة فى جحر أبدى الله عنه وعن عورته .

(١٩٤٦) حديث: قال ﷺ : « كل أمتي معافى» اسم مفعول من عافاه الله بمعنى عفا الله عنه أو يسلمه وسلم منه وفى بعض الفاظ هذا الحديث معافاة بالهاء فى آخره كذا نقله النووى نقلا عن النسخ المعتمدة من صحيح مسلم والذي فى نسخ المصابيح وغيرها كما هنا قال الطيبى وعليه فينبغى له أن تكتب الفه ياء ليكون مطابقا للفظ كل «إلا المجاهرون» كذا فى نسخ الكتاب كلها والرواية إلا المجاهرين ويؤيده الخبر المشهور فى الوعيد عليه « وإن من المجاهرة» وفى رواية وإن من الجهار أى الإظهار والإذاعة « أن يعمل الرجل سرا ثم يخبر به» **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أبو يعلى وغيرهم ولفظهم جميعا أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات بستر ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ورواه الطبرانى فى الأوسط والصغير بسند ضعيف من حديث أبى قتادة وفيه بعد قوله إلا المجاهرين الذى يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول يا فلان إنى عملت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله عنه واعلم أن إشهار الذنب فى الملأ جناية منه على ستر الله عز وجل الذى اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه أو أشهده فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه صارت=

وقال ﷺ : « من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب فى أذنه الآنك يوم القيامة » (١٩٤٧) .

ومنها : أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة . فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام:١٠٨) .

وقال ﷺ : «كيف ترون من يسب أبويه ، فقالوا : وهل من أحد يسب أبويه؟ فقال: نعم ، يسب أبوى غيره فيسبون أبويه » (١٩٤٨) .

= جناية رابعة وتفاحش الأمر وسيأتى للمصنف فى المهلكات أن الكشف المذموم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء لا على وجه السؤال والاستفتاء بدليل خبر المحترف المتقدم فى كتاب الصوم فإنه أخبر بحاله النبى ﷺ فلم ينكر عليه وقال النووى يكره لمن ابتلى بمعصية أن يخبر غيره بها بل يقلع ويندم ويعزم على أن لا يعود فإن أخبر بها شيخه ونحوه ممن يرجو باخباره أن يعلمه مخرجا منها أو ما يسلم به من الوقوع فى مثلها أو يعرفه السبب الذى أوقعه فيها أو يدعو له ونحو ذلك فهو حسن وإنما يكره لانتفاء المصلحة .

(١٩٤٧) حديث : قال ﷺ : « من استمع سر قوم » كذا فى النسخ وفى بعضها بين قوم وفى أخرى من قوم « وهم له » أى لاستماعه « كارهون صب فى أذنيه » وفى رواية أذنه « الآنك يوم القيامة » وهو الرصاص أو الخالص منه أو الأسود أو الأبيض أو القصدير **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبى هريرة أيضا .اهـ.

قال مرتضى : ورواه من حديث ابن عباس أيضا مرفوعا الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن وفيه زيادة ولفظه من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك ومن أرى عينيه ما لم تريا كلف أن يعقد شعيرة وأخرجه الإسماعيلى فى المستخرج وزاد يعذب بها وليس بفاعل وفى رواية بين شعيرتين .

(١٩٤٨) حديث : قال ﷺ : « كيف ترون من سب أبويه » أى شتمهما « فقالوا : وهل من أحد يسب أبويه » هذا لا يكون « قال نعم يسب أبا غيره » وفى نسخة أبوى غيره « فيسبون أبويه» **قال العراقى:** متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .اهـ.

وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « كلم إحدى نسائه، فمر به رجل فدعاه رسول الله ﷺ وقال: يا فلان هذه زوجتي صفية ، فقال : يا رسول الله من كنت أظن فيه ، فإني لم أكن أظن فيك ، فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» (١٩٤٩) .

وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا، وكانا رجلين فقال على رسلكما إنها صفية ... الحديث » (١٩٥٠) وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان .

وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم ، فلا يلومن من أساء به الظن .

ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة، فقال يا أمير المؤمنين . إنها امرأتي فقال : هلا حيث لا يراك أحد من الناس .

ومنها : أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ، ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه .

قال ﷺ : « إني أوتى وأسأل وتطلب إلى الحاجة، وأنتم عندي، فاشفعوا لتؤجروا، ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب » (١٩٥١) .

(١٩٤٩) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « إن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمر به رجل » وراه يكلمها « فدعاه » رسول الله ﷺ « فقال يا فلان هذه زوجتي فلانة » صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه « فإني لم أكن أظن فيك ، فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » **قال العراقي** : رواه مسلم .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديثه وقد تقدم مفصلا في كتاب الصوم .

(١٩٥٠) حديث : فقال : « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا » وكانا رجلين « وقال على رسلكما إنها صفية .... الحديث » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث صفية .اهـ.

قال مرتضى : وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان فشيعها إلى منزلها ، رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية .

(١٩٥١) حديث : قال رسول الله ﷺ : « أني أوتى وأسئل » أي يأتوني الناس ويسألوني « وتطلب إلى=

وقال معاوية : قال رسول الله ﷺ : « **اشفعوا إلى تؤجروا إنى أريد الأمر وأؤخره كى تشفعوا إلى فتؤجروا** » (١٩٥٢) .

وقـــال ﷺ : « **ما من صـدقة أفـضل من صدقة اللســان ، قيل: وكـيف ذلك، قال : الشفاعة، يحقن بها الدم، وتجر بها المنفعة إلى آخر، ويدفع بها المكروه عن آخر** » (١٩٥٣) .

= الحاجـة وأنتم عندى » أى حاضرون « فاشـفعوا لتؤجـروا ويقضى الله على يدى نبيـه ما أحب» بوحى أو الهام ما قدر فى علمه أنه سيكون من إعطاء أو حرمـان أو ما أحب من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبو موسى نحوه .اهـ.

قال مرتضى : أخرجاه من طريق بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده عن أبى موسى قال إذا جـاءه السائل أو طلبت إليـه حاجـة قال : فذكـره وكذلك رواه أبو داود والتـرمذى والنسائى كلهم فى الأدب كان إذا أتـاه طالب حاجة أو طلبت إليه حاجـة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا أو يقضى الله على لســان نبيه ما شاء وفى لفظ لأبى داود ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء وهى موضحة لمعنى رواية الصحيحين .

(١٩٥٢) حديث : قال معاوية رضي الله عنه : قال رسـول الله ﷺ : « اشفعوا إلىّ تؤجروا إنى أريد الأمر فأؤخره كى تشفعوا إلى فتؤجروا » .

قال مـرتضى : رواه أبو داود والنسائى وابن عساكر من طريـق همام بن منبه عن معاوية قال إن الرجل ليسألنى الشىء فامنعه كى تشفعوا فتؤجروها وإن رسول الله ﷺ قال اشفعوا تؤجروا وقد **سقط هذا الحديث عند العراقى** .

(١٩٥٣) حديث : قال ﷺ « ما من صـدقة أفضل من صدقة اللسان قـيل وكيف ذلك » يا رسول الله « قال الشفـاعة يحقن بها الدم » أى تمنعـه أن يسفك يقال حقنت دمـه إذا حل به القتل فأنقذته « وتجر بها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر » **قال العراقى :** رواه الخرائطى فى مكارم الأخـلاق واللفظ له والطبرانى فى الـكبير مـن حديث سـمـرة بن جنـدب بسند ضعيف . اهـ.

قال مـرتضى : فيه أبو بكر الهذلى ضعفه أحمـد وغيره وقال البخارى ليس بالحافظ ثم أورد له هذا الخبر كذا فى الميـزان وقد رواه أيضا البيهقى فى الشـعب ولفظه أفضل الصدقة صدقة اللسان قالوا يا رسـول الله وما صدقته قال الشفاعة يفك بهـا الأسير ويحقن بها الدم ويجر بهـا المعروف والإحسـان إلى أخيك وتدفع عنه الكريهـة وفى سنده مروان بن جعـفر السهرى أورده الذهبى فى الضعفاء .

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا ، يقال له مغيث، كأنى أنظر إليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال ﷺ للعباس : ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة ، وشدة بغضها له ، فقال النبى ﷺ : لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك فقالت يا رسول الله : أتأمرنى فافعل ، فقال : لا ، إنما أنا شافع»(١٩٥٤) .

ومنها : أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام، ويصافحه عند السلام .

قال ﷺ : « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام » (١٩٥٥) .

(١٩٥٤) حديث : عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا » أسود « يقال له مغيث» كان من موالى أبى أحمد بن جحش « كأنى أنظر إليه » يدور « خلفها » لما اشترتها عائشة رضي الله عنها فاعتقتها « يبكى ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب والد عبد الله راوى الحديث « ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا» وذلك لما خيرها « فقال النبى ﷺ » لبريرة « لو راجعتيه فإنه أبو ولدك فقالت يا رسول الله أتأمرنى فافعل » لأن أمره مطاع « فقال لا إنما أنا شافع » . **قال العراقى:** رواه البخارى . اهـ .

قال مرتضى : وقد روي مسلم من هذا الحديث من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها أعتقت بريرة ولها زوج مولى آل أبى أحمد فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها وفى لفظ فخيرها وكان زوجها عبدا فاختارت نفسها ولو كان حرا لم يخيرها ولم يقل البخارى ولو كان حرا لم يخيرها وقال فى بعض طرقها فخيرها من زوجها فقالت لو أعطانى كذا وكذا ما بت عنده .

(١٩٥٥) حديث : قال ﷺ : « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام » لأن من أهمل السلام وبدأ بالكلام فقد ترك الحق والحرمة فحقيق أن لا يجاب وجدير بأن لا يهاب قال فى التجنيس وغيره هذا فى الفضاء فيسلم أولا ثم يتكلم وأما فى البيوت فيستأذن فإذا دخل سلم هكذا قيل وفيه نظر **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين . اهـ .

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن السنى فى عمل يوم وليلة ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريق هشام بن عبد الله عن بقية عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر ثم قال غريب من حديث عبد العزيز لم نكتبه إلا من حديث بقية وفى سند الطبرانى هارون بن محمد أبو الطيب وهو كذاب ولفظ الطبرانى وأبو نعيم من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وروى أحمد والحكيم والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله .

وقال بعضهم : « **دخلت على رسول الله ﷺ، ولم اسلم، ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ : ارجع فقل السلام عليكم أدخل** » (١٩٥٦) .

وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها ، فإن الشيطان إذا سلم أحدكم ، لم يدخل بيته** » (١٩٥٧) .

وقال أنس رضي الله عنه : « **خدمت النبي ﷺ ثماني حجج، فقال لي يا أنس : اسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك؛ وإذا دخلت منزلك ، فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك**» (١٩٥٨) .

(١٩٥٦) حديث : قال بعضهم : « دخلت على رسول الله ﷺ ، ولم أسلم ولم استأذن ، فقال ﷺ : ارجع فقل : السلام عليكم أأدخل » وهذه صورة الاستئذان قريبا وفي بعض النسخ وأدخل والأولى هي الصواب **قال العراقي :** رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة .اهـ.

قال مرتضى : كلد بن الحنبل الغساني وقيل الأسلمي أخو صفوان بن أمية لأمه وكان أسود خدم صفوان وأسلم بعده روى له أصحاب السنن .

(١٩٥٧) حديث : قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته » **قال العراقي :** رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .اهـ.

قال مرتضى : وروى البيهقي من مرسل قتادة إذا دخلتم بيتا فسلموا على أهله فإذا خرجتم فاودعوا أهله بسلام .

(١٩٥٨) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « خدمت النبي ﷺ ثماني حجج » وروى المزي في التهذيب عن أنس قال قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين وعنه أيضا قدم ﷺ وأنا ابن ثماني سنين فذهبت بي أمي إليه وعنه أيضا خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين لم يضربني ضربة ولم يسبني ولم يعبس في وجهي « فقال لي يا أنس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم علي أهل بيتك يكثر خير بيتك » **قال العراقي :** رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضعيف وللترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن عدي والعقيلي بزيادة ولا تبيت إلا وأنت طاهر فإنك إن مت=

وقال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المؤمنان، فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة . تسع وستون لأحسنهما بشراً » .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء:٨٦) .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: افشوا السلام بينكم »(١٩٥٩) .

وقال ﷺ أيضا : « إذا سلم المسلم على المسلم، فرد عليه ، صلت عليه الملائكة سبعين مرة» (١٩٦٠) .

وقال ﷺ : « إن الملائكة ، تعجب من المسلم ، يمر على المسلم ، ولا يسلم عليه»(١٩٦١) .

= ميت شهيدا وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك وصل بالليل والنهار تحبك الحفظة ووقر الكبير وارحم الصغير تلقنى غدا .

(١٩٥٩) حديث : قال ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » بالله تعالى « ولا تؤمنوا » أى لا يكمل إيمانكم «حتى تحابوا »أى يحب بعضكم بعضا «أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فرواه مسلم وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ورواه مسلم أيضا عن أبى خيثمة زهير بن حرب عن جرير عن الأعمش ورواه أحمد عن وكيع عن الأعمش ورواه البخارى فى الأدب المفرد من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود .

(١٩٦٠) حديث : قال ﷺ : « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه » بأن قال وعليكم السلام «صلت عليه الملائكة سبعين مرة» **قال العراقى :** ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى هريرة ولم يسنده ولده فى المسند .اهـ.

(١٩٦١) حديث : « الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه » **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .اهـ.

وقال ﷺ : « يسلم الراكب على الماشي ، وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم » (١٩٦٢)

(١٩٦٢) حديث : قال ﷺ : « يسلم الراكب علي الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم » **قال العراقي** : رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا ولأبى داود من حديث على يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة يسلم الراكب علي الماشي الحديث وسيأتى فى بقية الباب . اهـ.

قال مرتضى: الجملة الأولى من الحديث يأتى ذكرها قريبا مع بقيتها وأما مرسل زيد بن أسلم فرواه أيضا عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن زيد بن أسلم أتم مما فى الموطأ ولفظه إذا مر القوم فسلم أحدهم أجزأ عنهم وإذا رد أحدهم كفى ورواه ابن عبد البر من طريق ابن جريج عن زيد بن أسلم كذلك ولم يذكر من وصله قال الحافظ فى أمالي الأذكار وقد ظفرت به في الحلية من رواية ابن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أورداه فى ترجمة يوسف بن أسباط . اهـ.

قال مرتضى : لفظ الحلية حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى والحسين بن محمد قالا حدثنا محمد بن المسيب حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا يوسف بن إسباط عن عباد البصرى عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ إذا مر رجال بقوم فسلم رجل من الذين مروا على الجالسين ورد من هؤلاء واحد أجزأ عن هؤلاء وعن هؤلاء ،غريب من حديث زيد وعباد لم نكتبه إلا من حديث يوسف . اهـ.

وأما حديث على الذى **ذكره العراقي** فقد أخبرنى به عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سالم بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد بن على أخبرنا أبو يعلى الأنصارى أخبرنا أبو الفضل الحافظ أخبرنى عبد الله بن عمر الحلاوى أخبرنا أحمد ابن كشفندى أخبرنا أبو الفرج الحرانى أخبرنا أبو أحمد بن سكعيه أخبرنا أبو القاسم بن الحصين أخبرنا أبو طالب بن غيلان أخبرنا أبو بكر الشامي حدثنا محمد بن بشير حدثنا الحسن ابن على الحلوانى حدثنا عبد الملك بن إبراهيم الجدى حدثنا سعيد بن خالد الخزاعى من أهل المدينة حدثنا عبد الله بن الفضل حدثنى عبيد الله بن أبى رافع عن على ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم هذا حديث حسن أخرجه أبو داود عن الحسن الحلوانى فوقع لنا موافقة عاليه ورجاله رجال الصحيح إلا الخزاعى ففى حفظه مقال وقد تفرد به لكن له شاهد قال الطبرانى فى الكبير حدثنا إبراهيم بن هاشم حدثنا كثير بن يحيى حدثنا حفص بن عمر الرقاشى حدثنا عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده ﷺ قال : قيل يا رسول الله القوم يأتون الدار فيستأذن واحد منهم إيجزئ عنهم جميعا قال : نعم قال : فيأذن واحد منهم أيجزئ عنهم قال نعم قيل فالقوم يمرون فيسلم واحد منهم ايجزئ عنهم قال نعم قال فيرد رجل من القوم ايجزئ عن الجميع =

وقال قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود، فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام ؛ وهى تحية أهل الجنة وكان أبو مسلم الخولانى ، يمر على قوم ، فلا يسلم عليهم، ويقول : ما يمنعنى إلا أنى أخشى أن لا يردوا ، فتلعنهم الملائكة . والمصافحة أيضا سنة مع السلام .

«وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : السلام عليكم ، فقال ﷺ : عشر حسنات ، فجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فقال : عشرون حسنة. فجاء آخر ، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال : ثلاثون» (١٩٦٣) .

= قال : نعم قال الحافظ فى الأمالى وإسناده يصلح للاعتبار وأخرجه أيضا ابن السنى فى عمل يوم وليلة والبيهقى فى الشعب .

(١٩٦٣) حديث : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال سلام عليك » وفى نسخة عليكم وفى أخرى السلام عليكم « فقال » له رسول الله « ﷺ عشر حسنات فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجاء آخر فقال سلام عيكم ورحم الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقى فى الشعب إسناده حسن .اهـ.

قال مرتضى : رواه الدارمي وأحمد وأبو داود جميعا عن محمد بن كثير عن جعفر بن سليمان عن عوف الأعرابى عن أبى رجاء عن عمران بن حصين ﷺ قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال السلام عليكم فرد عليه ثم قال عشر ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وقال ثلاثون . ورواه أحمد أيضا عن هوذة بن خليفة عن عوف عن أبي رجاء وهو العطاردى فلم يذكر عمران قال وهكذا رواه غير هوذة عن عوف مرسلا ورواه الترمذى عن الدارمى ورواه أيضا عن الحسين الجويرى والنسائى عن أبى داود الحرانى كلاهما عن محمد بن كثير وللحديث شاهد جيد من حديث أبى هريرة أخرجه البخارى فى الأدب المفرد قال أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا محمد بن أبى كثير عن يعقوب بن زيد التيمى عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ﷺ أن رجلا مر علي النبى ﷺ وهو فى مجلس فقال السلام عليكم فقال عشر حسنات قال ثم مر رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة قال فمر رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة وهذا السياق بعينه هو سياق المصنف وهو أقرب من سياق حديث عمران الذى تقدم ذكره وإنما تبعنا فيه الحافظ العراقى ورواته من شرط الصحيح إلا يعقوب وهو صدوق وقد أخرج=

« **وكان أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان ، فيسلم عليهم** » (١٩٦٤) ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك .

= النسائى فى الكبرى من طريق إبراهيم بن طهمان عن يعقوب بن زيد حديثا آخر في السلام بهذا الإسناد وذكر فى سنده اختلافا على سعيد المقبرى وأخرج أبو داود عن إسحاق الرملى عن سعيد بن أبى مريم عن نافع بن يزيد عن أبى مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه رضي الله عنه أن رجلا أتى إلى مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه وقال عشر حسنات ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون حسنة ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون وجاءه آخر فقال ومغفرته فقال أربعون ثم قال هكذا تكون الفضائل وأخرج الطبرانى عن الحسن الحلوانى عن أبى أسامة عن موسى عن أيوب بن خالد عن مالك بن التيهان رضي الله عنه أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فذكر نحو حديث أبى هريرة وهذا يمكن أن يفسر به من لم يسم فى حديث أبى هريرة :

(١٩٦٤) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم » **قال العراقى :** رفعه متفق عليه . اهـ .

قال مرتضى : قال البخارى فى الصحيح حدثنا على بن الجعد حدثنا شعبة عن سيار قال كنت أمشى مع ثابت البنانى فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث أنس أنه كان مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث أنس أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم ورواه أبو بكر الشافعى عن أحمد بن بشر عن على بن الجعد، ورواه أبو نعيم فى المستخرج عن أبى بكر الاجرى عن أحمد بن يحيى الحلوانى عن على بن الجعد ورواه الدارمى عن سهل ابن حماد عن شعبة ورواه مسلم والنسائى جميعا عن عمرو بن على عن محمد بن جعفر عن شعبة ورواه أحمد عن محمد بن جعفر ورواه الترمذى عن زياد بن يحيى عن سهل بن حماد ورواه مسلم أيضا من وجهين عن هشيم عن سيار قال فى أحدهما كشعبة وفى الاخر بغلمان وقال أبو بكر الشافعى حدثنا محمد بن الأزهر حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس إن النبى صلى الله عليه وسلم مر بغلمان وأنا فيهم فسلم علينا وقال عبد بن حميد في مسنده حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال مررت علي غلمة يلعبون فقمت أنظر إلى لعبهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم ورواه أحمد مطولا عن هاشم بن القاسم ورواه أبو داود عن القعنبى عن سليمان بن المغيرة وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد المسند حدثنا أبى قال حدثنا وكيع عن حبيب القيسى عن ثابت عن أنس قال مر علينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نلعب فقال السلام عليكم يا صبيان أخرجه ابن السنى من رواية ابن أبى سمينة وأبو نعيم فى الحلية من رواية مجاهد بن موسى كلاهما عن وكيع به .

وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه ﷺ مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية » (١٩٦٥) .

وقال ﷺ : «لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم فى الطريق، فاضطروه إلى أضيقه» (١٩٦٦) .

(١٩٦٥) حديث : قال عبد الحميد بن بهرام : « أنه ﷺ مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية » **قال العراقى** : رواه الترمذى من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبى حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به . اهـ.

قال مرتضى : قال أحمد فى مسنده حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب قال سمعت أسماء بنت يزيد بن السكن تقول إنها كانت فى نسوة فمر النبى ﷺ فألوى بيده إليهن بالتسليم الحديث هكذا أخرجه الترمذى من طريق عبدالحميد وقال حسن وقال أحمد لا بأس بزواية عبد الحميد وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة عن سفيان عن ابن أبى حسين عن شهر عن أسماء بنت يزيد أنها بينا هى فى نسوة مر عليهن النبى ﷺ فسلم عليهن رواه الدارمى عن الحكم بن نافع عن شعيب بن أبى حمزة عن ابن أبى حسين به .

(١٩٦٦) حديث : قال ﷺ : « لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام » لأن السلام إعزاز وإكرام ولا يجوز ذلك لهم بل ينبغى الإعراض عنهم وترك الالتفات تصغيرا لشأنهم وتحقيرا «وإذا لقيتم أحدا منهم فى طريق » فيه زحمة « فاضطروهم » وفى لفظ فاضطروه أى الجؤه « إلى أضيقه» **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا على بن عبد القادر الطبرى عن أبيه أخبرنا محمد عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أحمد بن على الحافظ أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك أخبرنا على بن إسماعيل بن قريش أخبرنا عبد المنعم الحرانى عن ابى الحسن الجمال أخبرنا أبو على الحداد أخبرنا أبو نعيم قال حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبي هريرة ؓ عن النبى ﷺ أنه قال فى أهل الكتاب لا تبدؤهم بالسلام وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقها أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر وأخرجه أبو عوانة فى صحيحه عن يونس بن حبيب فوقع لنا موافقة عالية .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام فإذا لقيتموهم فى الطريق، فاضطروهم إلى أضيق الطرق**» (١٩٦٧) .

قالت عائشة ﷺ : « **إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليك، فقال النبى ﷺ : عليكم ، قالت عائشة ﷺ، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال : ﷺ يا عائشة : إن الله يحب الرفق فى كل شىء ، قالت عائشة : ألم تسمع ما قالوا، قال : فقد قلت : عليكم**»(١٩٦٨) .

(١٩٦٧) حديث : قال أبى هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدؤهم بالسلام » .

قال مرتضى : لم يذكره العراقى وأخرجه البيهقى في الشعب من حديث على بلفظ لا تصافحوهم ولا تبدؤهم بالسلام ولا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا عليهم والجؤهم إلى مضايق الطرق وصغروهم كما صغرهم الله .

(١٩٦٨) حديث : قالت عائشة ﷺ : « إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك ، فقالت عائشة : » ففهمتها فقلت : « عليكم السام واللعنة ، فقال ﷺ : إن الله يحب الرفق فى كل شىء ، قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : فقد قلت عليكم » **قال العراقى:** متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : متفق عليه من طريق الزهرى عن عروة عنها وفيه ألم تسمع ما قالوا، لفظ مسلم عن سفيان قد قلت عليكم بلا واو ولفظ شعيب عند البخارى وعليكم وأخرج البزار هذا الحديث من وجه آخر عن أنس فيه زيادة فقال فى روايته فقالوا السام عليكم أى تسامون دينكم وقال في آخره عليكم أي عليكم ما قلتم هكذا فى نفس الحديث ويغلب على الظن أن التفسير مدرج فى الخبر من بعض رواته لكن الإدراج لا يثبت بالاحتمال وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك ﷺ قال أتى رجل من أهل الكتاب فسلم على رسول الله ﷺ فقال السام عليك فقال عمر ﷺ ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم وأخرجه أحمد عن سليمان بن داود وروح بن عبادة كلاهما عن شعبة وقال بعد قوله عنقه فقال رسول الله ﷺ لا، وأخرجه البخارى من طريق ابن المبارك عن شعبة وفيه فقالوا ألا نقتله ولم يسم عمر وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث زيد بن أرقم قال بينا أنا عند النبى ﷺ إذ أقبل رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال السام عليك يا محمد الحديث وسنده واه إلا أنه يستفاد منه تسمية الذي سلم وقال أبو نعيم فى المستخرج حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن بركة حدثنا يوسف بن سعيد حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج=

وقال ﷺ : « يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير، والصغير على الكبير» (١٩٦٩) .

= أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول سلم ناس من اليهود على النبي ﷺ فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة رضي الله عنها وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بل قد سمعت ورددتها عليهم أنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر وهارون الحمال كلاهما عن حجاج بن محمد ويستفاد منه رفع أشكال العطف في الجواب .

(١٩٦٩) حديث : قال ﷺ : « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » **قال العراقي :** متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير علي الكبير .اهـ.

قال مرتضى : قال أبو محمد الفاكهي في تاريخ مكة أخبرنا أبو يحيى بن أبي مسرة قال حدثنا أبي حدثنا هشام بن سليمان عن ابن جريج قال أخبرني زياد يعني ابن سعد أن ثابتا يعني ابن عياض مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ : يسلم الراكب على الماشي والماشي علي القاعد والقليل علي الكثير أخرجه الحارث بن أبي أسامة وأحمد جميعا عن روح بن عبادة عن ابن جريج وأخرجه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم ومسلم عن محمد بن مرزوق وأبو داود عن يحيى بن عربي ثلاثتهم عن روح وأخرجه أحمد أيضا عن عبد الله بن الحارث والبخاري أيضا من رواية مخلد بن يزيد ومسلم أيضا من رواية أبي عاصم كلهم عن ابن جريج وأخرجه الترمذي من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة بلفظه وأشار إلى انقطاعه وأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة على الصحيح وفي رواية للبخاري يسلم الصغير على الكبير وقد ترجم له في كتاب الاستئذان باب تسليم الصغير على الكبير وقال إبراهيم يعني ابن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثيروقد وصله البيهقي في الشعب من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي قال حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وكذلك أخرجه البخاري موصولا في كتاب الأدب المفرد عن أحمد بن أبي عمر وهو أحمد بن حفص المذكور وأخرجه أيضا في الصحيح موصولا من وجه آخر وكذلك الترمذي كل منهما من طريق ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ يسلم الصغير على الكبير فذكر مثله أخرجه الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق وأخرجه أبو داود عن أحمد وفي الباب عن عبد الرحمن بن شبل وفضالة بن عبيد وجابر بن عبد الله والثلاثة انصاريون فلفظ حديث عبد الرحمن بن شبل يسلم الراكب على الراجل ويسلم الراجل على الجالس والأقل على الأكثر فمن أجاب =

ـ وقال ﷺ : «لا تشبهوا باليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف» (١٩٧٠) قال أبو عيسى إسناده ضعيف .

وقال ﷺ : «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الأخيرة » (١٩٧١) .

= السلام كان له ومن لم يجب فلا شيء له أخرجه أحمد والطبراني ولفظ حديث فضالة بن عبيد يسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد والقليل على الكثير أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وفى رواية له بلفظ الماشي على القائم وفي لفظ آخر له بلفظ الفارس على الماشي والماشي على القاعد وأخرجه الترمذى والنسائى ولفظ حديث جابر يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والماشيان أيهما بدأ بالسلام فهو أفضل أخرجه أبو عوانة وابن حبان فى صحيحيهما والبزار فى مسنده .

(١٩٧٠) حديث : قال ﷺ : « لا تشبهوا باليهود ولا النصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف» قال أبو عيسى يعنى به صاحب السنن محمد بن عيسى بن سورة الترمذى رحمه الله تعالى: إسناده ضعيف، **قال العراقى** : رواه الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : افهم سياقه أن سبب ضعفه روايته عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وليس كذلك وإنما هو لأجل روايته من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب لأنه يقال إن ابن لهيعة لم يسمعه من عمرو وابن لهيعة حاله مشهور وقد روى من غير طريق ابن لهيعة قال الطبرى حدثنا محمد بن أبان حدثنا أحمد بن على بن شودب حدثنا أبو المسيب سلامة ابن مسلم حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه قال ليس منه من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالأصابع وتسليم النصارى بالأكف وفى هذا السند من لا يعرف حاله وأخرجه البيهقى فى الشعب من حديث جابر نحو هذا بسند واه ولفظه فإن تسليم اليهود والنصارى بالكفوف والحواجب . ورواه النسائى نحوه فى عمل اليوم والليلة وهو عند أبى يعلى من حديثه بلفظ تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها إلى فعل اليهود .

(١٩٧١) حديث : قال ﷺ : « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخيرة » وفى نسخة من الأخرة وفى أخرى من الأخرى **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا أحمد بن محمد النخلى=

وقال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المؤمنان، فتصافحا ، قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشرا » (١٩٧٢) .

= أخبرتنا زين الشرف ابنة عبد القادر بن محمد بن مكرم الطبرى قالت أخبرنى أبى عن جده قال أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ قال قرأت على محمد بن محمد الوزان بالصالحية قال قرئ على زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم ونحن نسمع عن محمد بن عبد الهادى أخبرنا أبو طاهر السلفي الحافظ أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد أخبرنا عبد الملك بن محمد أخبرنا عبد الله بن محمد بن إسحاق أخبرنا أبو يحيى المكى قال حدثنا هشام بن سليمان عن ابن جريج قال أخبرنى محمد بن عجلان أن سعيد بن أبى سعيد أخبره عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ثم إن بدا له أن يجلس فليجلس فإذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخيرة هذا حديث حسن أخرجه النسائى عن أحمد بن بكار عن مخلد بن يزيد عن ابن جريج فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أيضا والترمذى جميعا عن قتيبة عن الليث وأخرجه أبو داود عن بشر بن المفضل وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال كلهم عن محمد ابن عجلان وأخرجه البخارى من وجه آخر عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد عن محمد بن عجلان بلفظ إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم فإن قام والقوم جلوس فليسلم والباقى مثله وأخرجه أحمد عن بشر بن المفضل ويحيى القطان وقران بن تمام ثلاثتهم عن ابن عجلان قال الترمذى حديث حسن وقد روى هذا الحديث عن ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة وهذه هى التى أخرجها البخارى من طريق صفوان بن عيسى والنسائى من طريق الوليد بن مسلم كلاهما عن ابن عجلان قال الدارقطنى فى العلل رواه ابن جريج وعد من ذكرنا إلا سليمان وقران ويحيى وزاد المفضل بن فضالة وروح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد فصاروا عشرة كلهم عن محمد بن عجلان كما قال ابن جريج والله اعلم .

(١٩٧٢) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « إذا التقى المؤمنان فتصافحا » أى وضع كل منهما يده فى يد صاحبه « قسمت بينهما سبعون رحمة » وفى نسخة مغفرة « تسعة وستون منها لأحسنهما بشرا » بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة **قال العراقى** : رواه الخرائطى بسند ضعيف وللطبراني فى الأوسط من حديث أبى هريرة مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وابرهما وأحسنهما مسائلة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبى كثير مجهول .اهـ.

قال مرتضى : لفظ الذهبى في ديوان الضعفاء بخطه الحسن بن كثير عن يحيى بن أبي كثير مجهول وعنه على بن حرب الطائى .

وقال عمر ﷺ : سمعت النبي ﷺ يقول : « إذا التقى المسلمان، وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وتصافحا. نزلت بينهما مائة رحمة ، للبادئ تسعون، وللمصافح عشرة » (١٩٧٣) .

قال الحسن : المصافحة تزيد في الود وقال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » (١٩٧٤) .

وقال ﷺ : « قبلة المسلم أخاه المصافحة » (١٩٧٥) .

ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به، وتوقيراً له .

(١٩٧٣) حديث : قال عمر بن الخطاب ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا التقى المسلمان فسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ» بالسلام والمصافحة «تسعون وللمصافح» بفتح الفاء « عشرة » **قال العراقى** : رواه البزار في مسنده والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقى في الشعب وفى إسناده نظر .اهـ.

قال مرتضى : رواه أيضا الحكيم الترمذى فى النوادر وأبو الشيخ فى الثواب ولفظهم بعد قوله صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه فإذا تصافحا أنزل الله عليهما والباقى سواء ورواه الطبراني بسند حسن بلفظ أن المسلمين إذا التقيا فتصافحا كلفظ المصنف .

(١٩٧٤) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبى إمامة وضعفه .اهـ.

قال مرتضى : وسيأتى الكلام عليه فى عيادة المريض بعد هذا .

(١٩٧٥) حديث : قال ﷺ « قبلة المسلم » وفى نسخة المؤمن « أخاه المصافحة » أى هى بمنزلة القبلة وقائمة مقامها فهى مشروعة والقبلة غير مشروعة **قال العراقى** : رواه الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه المحاملى فى أماليه وابن شاهين فى الإفراد وفى سندهم عمرو ابن عبد الجبار قال فى الميزان عن ابن عدى روى عن عمه مناكير وأحاديثه غير محفوظة ثم ساق له عدة أخبار هذا منها وقد روي ذلك من حديث الحسن بن على مرفوعا بلفظ تقبيل المسلم يد أخيه المصافحة أخرجه الديلمى من طريق سعيد المرزبان عن مقسم عنه .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « قبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم » (١٩٧٦) .

وعن كعب بن مالك قال : «لما نزلت توبتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقبلت يده» (١٩٧٧) .

وروى « أن أعرابيا قال يا رسول الله : ائذن لى فأقبل رأسك، ويدك ، قال : فأذن له ففعل»(١٩٧٨) .

«ولقى أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصافحه وقبل يده، وتنحيا يبكيان»(١٩٧٩) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه « أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتوضأ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه، فرد عليه، ومد يده إليه، فصافحه فقال يا رسول الله: ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المسلمين إذا التقيا، فتصافحا تحاتت ذنوبهما» (١٩٨٠) .

(١٩٧٦) حديث : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم » **قال العراقى:** رواه أبو داود بسند حسن .اهـ.

(١٩٧٧) حديث : قال كعب بن مالك رضي الله عنه : « لما نزلت توبتى » من السماء « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم . فقبلت يده » **قال العراقى** : رواه أبو بكر بن المقرى فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف .اهـ.

(١٩٧٨) حديث : « إن أعرابيا قال : يا رسول الله ائذن لى فأقبل رأسك ويدك فأذن له ففعل» **قال العراقى** : رواه الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجليك موضع يدك وقال صحيح الإسناد .اهـ.

(١٩٧٩) حديث : « لقى أبو عبيدة » عامر بن الجراح « عمر بن الخطاب رضي الله عنه » حين قدم الشام وكان أبو عبيدة عاملا عليها من قبله « فصافحه وقبل يده وتنحيا يبكيان » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وفى الحلية لأبى نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: لما دخل عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض ، فقال عمر : أين أخى؟ قالوا : من؟ قال: أبو عبيدة ، قالوا : الآن يأتيك ، فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته . . . . الحديث .

(١٩٨٠) حديث : قال البراء بن عازب رضي الله عنه : « أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم=

وعن النبى ﷺ قال: « إذا مر الرجل بالقوم، فسلم عليهم. فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة، لأنه ذكرهم السلام ، وإن لم يردوا عليه، رد عليه ملأ خير منهم، وأطيب أو قال وأفضل» (١٩٨١).

والانحناء عند السلام منهى عنه.

قال أنس ﷺ : « قلنا يا رسول الله : أينحنى بعضنا لبعض؟ قال: لا، قال: فيقبل بعضنا بعضا ، قال: لا، قال: فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال : نعم » (١٩٨٢).

« والالتزام والتقبيل » (١٩٨٣) قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر.

= يرد عليه » السلام « حتى فرغ من وضوئه » فرد عليه السلام « ومد يده إليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت أظن هذا » يعنى المصافحة « إلا من أخلاق الأعاجم فقال ﷺ » مبينا فضل المصافحة وأنها من أخلاق العرب « إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت » أى تساقطت «ذنوبهما» **قال العراقى** : رواه الخرائطى بسند ضعيف وهو عند أبى داود والترمذى وابن ماجه مختصرا: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذى حسن غريب من حديث أبى إسحاق عن البراء .اهـ.

قال مرتضى : وهذا اللفظ قد يذكره المصنف قريبا .

(١٩٨١) حديث : قال النبى ﷺ : « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه » السلام « كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام » وفى نسخة بالسلام « وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب » أو قال وأفضل **قال العراقى** : رواه الخرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعا وضعف البيهقى المرفوع ورواه موقوفا عليه بسند صحيح .اهـ.

(١٩٨٢) حديث : قال أنس ﷺ : « قلنا يا رسول الله أينحنى بعضنا لبعض » أى عند السلام « قال لا ، قال : فيقبل بعضنا بعضا ، قال : لا ، قال : فيصافح ، قال: نعم » **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى اهـ.

(١٩٨٣) حديث : « الإلتزام والتقبيل عند القدوم من السفر » **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث عائشة قالت : قدم زيد بن حارثة . . . . الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب .اهـ.

وقال أبو ذر رضي الله عنه : « ما لقيته ﷺ إلا صافحني. وطلبني يوما، فلم أكن في البيت. فلما أخبرت، جئت وهو على سرير، فالتزمني . فكانت أجود وأجود » (١٩٨٤) .

والأخذ بالركاب في توقير العلماء ، ورد به الأثر، فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت، وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه ، وقال: هكذا فافعلوا بزيد، وأصحاب زيد قيام ،والقيام مكروه على سبيل الإعظام، لا على سبيل الإكرام .

قال أنس: « ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك » (١٩٨٥) .

وروى أنه ﷺ قال مرة : « إذا رأيتموني، فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم»(١٩٨٦) .

وقال ﷺ : « من سره أن يمثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده من النار » (١٩٨٧) .

(١٩٨٤) حديث : قال أبو ذر رضي الله عنه : « ما لقيته ﷺ إلا صافحني وطلبني يوما فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو » جالس « على سرير » فقام « فالتزمني فكانت أجود وأجود » .
قال العراقي : رواه أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله . اهـ.

قال مرتضى : رواه من طريق أيوب بن بشير بن كعب عن رجل من عنزة وتسمية البيهقي إياه عبد الله لا يخرجه من الجهالة .

(١٩٨٥) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « ما كان شخص أحب إليهم » وفي نسخة إلينا « من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا » له « لما » كانوا « يعلمون من كراهيته لذلك » قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن صحيح .اهـ.

(١٩٨٦) حديث :قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم » قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديسي مجهول. اهـ.

قال مرتضى : هو تبيع بن سليمان الكوفي كذا في ديوان الذهبي قال وفيه جهالة.

(١٩٨٧) حديث : قال ﷺ : « من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن . اهـ. =

وقال ﷺ : « لا يُقِمْ الرجل الرجل من مجلسه، فيجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا»(١٩٨٨) .

وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي.

وقال ﷺ : « إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه، فاوسع له فليأته، فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه. فإن لم يوسع له ، فلينظر إلى أوسع مكان يجده، فيجلس فيه» (١٩٨٩) .

= **قال مرتضى :** ويروى بلفظ من سره إذا رأته الرجال مقبلا أن يمثلوا له قياما فليتبوأ مقعده من النار هكذا رواه الطبراني في الكبير وابن جرير وابن عساكر من حديث معاوية ولفظ ابن عساكر بنى الله له بيتا في النار وعند ابن جرير أيضا من حديث من سره أن يستخم له بنو آدم قياما دخل النار وقال الاستخمام الوثوب .

(١٩٨٨) حديث : قال ﷺ : « لا يُقِمْ الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » **قال العراقي:** متفق عليه من حديث ابن عمر. اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه مالك والترمذي وكلهم إلى قوله ثم يجلس فيه ورواه أحمد ومسلم أيضا بلفظ لا يقم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ورواه الشافعي في سنده ومسلم أيضا من حديث جابر لا يقم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده فيقعد فيه ولكن ليقل افسحوا وعند الحاكم من حديث أبي بكر لا يُقِمْ الرجل الرجل من مجلسه ثم يقعد فيه ولا تمسح يدك بثوب من لا تملك .

(١٩٨٩) حديث : قال ﷺ : « إذا أخذ القوم » أي جماعة الرجال قال الصغاني وربما دخل النساء تبعا « مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فاوسع يعني له فليجلس فإنه كرامة من الله أكرمه بها أخوه » المسلم يعني إكراما من الله أجراه علي يد ذلك الأخ « فإن لم يوسع فلينظر إلى أوسع مكان يجده » في تلك البقعة « فليجلس فيه» **قال العراقي :** رواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي ﷺ أخصر منه وشيبه بن جبير والد منصور ليست له صحبة .اهـ.

قال مرتضى : المسمى بشيبة خمسة من الصحابة وابن شيبة روى عنه عبد الملك بن عمير عند النسائي وفي الإسناد اضطراب وعزاه الجلال في جامعه إلى ابن أبي شيبة الخدري من تخريج الحارث بن أبي أسامة وأخاله وهما ، وقال في موضع آخر من جامعه إذا جاء أحدكم فاوسع له أخوه فإنما هي كرامة أكرمه الله بها وقال أخرجه البخاري في التاريخ والبيهقي عن مصعب بن شيبة . =

وروى « أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب» (١٩٩٠) .

فيكره السلام على من يقضى حاجته، ويكره أن يقول ابتداء: عليك السلام؛ فإنه « قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال ﷺ : إن عليك السلام تحية الموتى، قالها ثلاثا ، ثم قال : إذا لقى أحدكم أخاه، فليقل: السلام عليكم ورحمة الله» (١٩٩١) .

ويستحب للداخل، إذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف، بل يقعد وراء الصف .

= **قال مرتضى :** والحديثان واحد وراويهما شيبة والد مصعب وهو شيبة بن جبير بن عثمان ابن طلحة الحجبى المكى روى له الجماعة إلا البخارى وقد اختلف فيه لكنه قليل الحديث وليست له صحبة والصحبة لجده شيبة بن عثمان وفى سياق الجلال فى الموضعين وسياق شارح كتابه أوهام ليس هذا محل ذكرها وعبد الملك بن عمير أورده الذهبى فى الضعفاء .

(١٩٩٠) حديث : « إن رجلا سلم على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه. اهـ.

(١٩٩١) حديث : « قال رجل لرسول الله ﷺ : عليك السلام فقال » ﷺ : « إن عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال إذا لقى أحدكم أخاه فيقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى جرى الهجيمى وهو صاحب القصة قال الترمذى حسن صحيح . اهـ.

قال مرتضى : أخبرنى به المسند عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن على بن محمد والحسن بن على بن يحيى قالوا أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا النور على بن يحيى أخبرنا يوسف بن محمد وأبو سفيان بن زكريا قال أخبرنا محمد ابن عبد الرحمن الحافظ قال أخبرنا أبو الفضل الحافظ قال قرئ على أم الفضل ابنة أبى إسحاق بن سلطان ونحن نسمع عن أبى محمد بن أبى غالب وأبى نصر بن التمار كلاهما عن محمد بن إبراهيم بن سفيان قال أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر أنا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق أنا أبى أنا محمد بن يعقوب وأحمد بن محمد بن إبراهيم قالا حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا عبد الوهاب بن عطا عن الجريرى عن أبى السليل عن أبى تميمة الهجيمى عن جابر رجل من قومه وهو أبو حبرى رضي الله عنه قال لقيت رسول الله ﷺ فى بعض سكك المدينة وعليه إزار قطرى فقلت عليك السلام يا رسول الله فقال عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليكم قالها مرتين أو ثلاثا هذا حديث صحيح أخرجه النسائى عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن الجريرى واسمه سعيد بن إياس فوقع لنا عاليا بثلاث درجات وقال الطبرانى حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا مسدد حدثنا يحيى القطان عن المثنى بن سعد أبى غفار عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى حبرى قال قلت يا=

« كان رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد؛ إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما، فوجد فرجة فجلس فيها، وأما الثانى: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم، فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الثانى فاستحيا، فاستحيا الله منه ، وأما الثالث: فاعرض، فاعرض الله عنه» (١٩٩٢) .

وقال ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» (١٩٩٣) .

= رسول الله عليك السلام قال لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الموتى الحديث وأخرجه أبو داود عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر والترمذى عن الحسن بن على عن أبى أسامة والنسائى عن عمران بن يزيد عن عيسى بن يونس وعند محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفى كلهم عن أبى غفار منهم من سمى أبا جرى جابر بن سليم ومنهم من سماه سليم بن جابر وأخرجه الترمذى والنسائى أيضا من طرق عن خالد الحذاء عن أبى تميمة عن رجل من قومه ولم يسمه.

(١٩٩٢) حديث : «كان» رسول الله « ﷺ جالسا فى المسجد» وحوله أصحابه « إذ أقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما احدهما فوجد فرجة » أى سعة « فجلس فيها وأما الثانى » لم يجد فرجة « فجلس خلفهم وأما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ » من شغله الذى كان فيه « قال الا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله» أى رجع وانعطف ومال إليه فادخله تحت كنفه وأقبل إليه « وأما الثانى فاستحيا » أى غلب عليه الحياء فلم يدخل فى الصف « فاستحيا الله منه وأما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى واقد الليثى. اهـ

(١٩٩٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث البراء بن عازب. اهـ

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد ومسلم وقال الترمذى حسن غريب والبيهقى والضياء وفى رواية لأحمد ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا الله فلا يفترقان حتي يغفر لهما وفى رواية له ولأبى يعلى والضياء عن ميمون المرائى عن ميمون بن سياه عن أنس رفعه ما من مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقا على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما . . . الحديث وميمون بن موسى المرائى من رجال الترمذى وابن ماجه قال أحمد كان يدلس وميمون بن سياه ضعفه ابن معين واحتج به البخاري .

« وسلمت أم هانئ على النبى ﷺ فقال: من هذه؟ فقيل: أم هانئ فقال ﷺ: مرحبا بأم هانئ» (١٩٩٤).

ومنها : **أن يصون عرض أخيه المسلم** ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره ، فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام .

روى أبو الدرداء « أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ ، فرد عنه رجل، فقال النبى ﷺ : من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار» (١٩٩٥) .

(١٩٩٤) حديث : « سلمت أم هانئ » فاختة ابنة أبى طالب أخت على رضي الله عنهما « عليه» ﷺ « فقال : من هذه ؟ فقيل له : أم هانئ فقال» ﷺ «مرحبا بأم هانئ » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أم هانئ .اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا به على بن موسى بن شمس الدين أخبرنا محمد بن سالم بن أحمد أخبرنا محمد بن منصور ح وأخبرنى أعلى منه بدرج عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله ابن سالم قال أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا أحمد بن خليل أخبرنا محمد بن أحمد بن على أخبرنا النجم عمر بن محمد بن فهد أخبرنا أبو الفضل الحافظ أخبرنا أبو عبد الله بن قوام أخبرنا أبو الحسن بن هلال أخبرنا أبو إسحاق بن نصر أخبرنا أبو الحسن الطوسى أخبرنا أبو محمد السيدى أخبرنا أبو عثمان البحيرى أخبرنا أبو على السرخسى أخبرنا أبو إسحاق الهاشمى أخبرنا أبو مصعب الزبيرى عن مالك عن أبى النضرات أبا مرة مولى أم هانئ أخبره أنه سمع أم هانئ رضي الله عنها تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره فسلمت فقال من هذه قلت أم هانئ بنت أبى طالب فقال مرحبا بأم هانئ .... الحديث فى قصتها مع أخيها وفي آخره فقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ أخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك وأخرجه ابن حبان عن عمر بن سعيد عن أبى مصعب فوافقناهما فى شيخى شيخهما بعلو .

(١٩٩٥) حديث : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ أى تكلم فى حقه بسوء فرد عنه رجل آخر كان بالمجلس فقال النبى ﷺ : « من رد عن عرض أخيه» فى الدين أى رد على من اغتابه وعابه « كان له حجابا من النار » يوم القيامة وذلك لأن عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه كان كمن سفك دمه ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن يستحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة فى درجاته فى الجنة **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه عبد بن حميد وحميد بن زنجويه والروياني والخرائطى فى مكارم الأخلاق والطبرانى فى الكبير والبيهقى وابن السنى فى عمل يوم وليلة .

« كان رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد؛ إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما، فوجد فرجة فجلس فيها، وأما الثانى: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم، فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الثانى فاستحيا، فاستحيا الله منه ، وأما الثالث: فاعرض، فاعرض الله عنه» (١٩٩٢) .

وقال ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» (١٩٩٣)

= رسول الله عليك السلام قال لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الموتى الحديث وأخرجه أبو داود عن أبى بكر بن أبى شيبة عن أبى خالد الأحمر والترمذى عن الحسن بن على عن أبى أسامة والنسائى عن عمران بن يزيد عن عيسى بن يونس وعند محمد بن بشار عن عبد الوهاب الثقفى كلهم عن أبى غفار منهم من سمى أبا حبرى جابر بن سليم ومنهم من سماه سليم بن جابر وأخرجه الترمذى والنسائى أيضا من طرق عن خالد الحذاء عن أبى تميمة عن رجل من قومه ولم يسمه.

(١٩٩٢) حديث : «كان» رسول الله « ﷺ جالسا فى المسجد» وحوله أصحابه « إذ أقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فوجد فرجة » أى سعة « فجلس فيها وأما الثانى » لم يجد فرجة « فجلس خلفهم وأما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ » من شغله الذى كان فيه « قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله» أى رجع وانعطف ومال إليه فادخله تحت كنفه وأقبل إليه « وأما الثانى فاستحيا » أى غلب عليه الحياء فلم يدخل فى الصف « فاستحيا الله منه وأما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى واقد الليثى.اهـ

(١٩٩٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث البراء بن عازب.اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد ومسلم وقال الترمذى حسن غريب والبيهقى والضياء وفى رواية لأحمد ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا الله فلا يفترقان حتي يغفر لهما وفى رواية له ولأبى يعلى والضياء عن ميمون المرائى عن ميمون بن سياه عن أنس رفعه ما من مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقا على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما .... الحديث وميمون بن موسى المرائى من رجال الترمذى وابن ماجه قال أحمد كان يدلس وميمون بن سياه ضعفه ابن معين واحتج به البخاري .

« وسلمت أم هانئ على النبي ﷺ فقال: من هذه؟ فقيل: أم هانئ فقال ﷺ : مرحبا بأم هانئ» (١٩٩٤).

ومنها : أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر؛ ويرد عنه ويناضل دونه وينصره ، فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام .

روى أبو الدرداء « أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ ، فرد عنه رجل، فقال النبي ﷺ : من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار» (١٩٩٥).

(١٩٩٤) حديث : « سلمت أم هانئ » فاختة ابنة أبي طالب أخت علي رضي الله عنه « عليه» ﷺ « فقال : من هذه ؟ فقيل له : أم هانئ فقال» ﷺ «مرحبا بأم هانئ » **قال العراقي** : رواه مسلم من حديث أم هانئ .اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا به علي بن موسى بن شمس الدين أخبرنا محمد بن سالم بن أحمد أخبرنا محمد بن منصور ح وأخبرني أعلى منه بدرج عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله ابن سالم قال أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا أحمد بن خليل أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا النجم عمر بن محمد بن فهد أخبرنا أبو الفضل الحافظ أخبرنا أبو عبد الله بن قوام أخبرنا أبو الحسن بن هلال أخبرنا أبو إسحاق بن نصر أخبرنا أبو الحسن الطوسي أخبرنا أبو محمد السيدي أخبرنا أبو عثمان البحيري أخبرنا أبو علي السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب الزبيري عن مالك عن أبي النضر أن أبا مرة مولى أم هانئ أخبره أنه سمع أم هانئ رضي الله عنها تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره فسلمت فقال من هذه قلت أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ .... الحديث في قصتها مع أخيها وفي آخره فقد أجرنا من أجرت يا أم هانئ أخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك وأخرجه ابن حبان عن عمر بن سعيد عن أبي مصعب فوافقناهما في شيخي شيخهما بعلو .

(١٩٩٥) حديث : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ أي تكلم في حقه بسوء فرد عنه رجل آخر كان بالمجلس فقال النبي ﷺ : « من رد عن عرض أخيه» في الدين أي رد على من اغتابه وعابه « كان له حجابا من النار » يوم القيامة وذلك لأن عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه كان كمن سفك دمه ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازي على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن يستحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الجنة **قال العراقي** : رواه الترمذي وحسنه .اهـ.

وقال مرتضى : وكذلك رواه عبد بن حميد وحميد بن زنجويه والروياني والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني في الكبير والبيهقي وابن السني في عمل يوم وليلة .

وقال ﷺ : «ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» (١٩٩٦) .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره، فلم ينصره أدركه الله بها فى الدنيا والآخرة، ومن ذكر عنده أخوه المسلم، فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة» (١٩٩٧) .

وقال ﷺ : « من حمى عن عرض أخيه المسلم فى الدنيا، بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة؛ من النار» (١٩٩٨) .

(١٩٩٦) حديث : قال ﷺ : « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه » فى الدين بأن يرد عنه من أذاه وعابه « إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » جزاء بما فعل . **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق وهو عند الطبرانى بهذا اللفظ من حديث أبى الدرداء وفيهما شهر بن حوشب . اهـ .

قال مرتضى : حديث أسماء رواه أيضا ابن أبى الدنيا ولفظه من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار وروى من حديث أبى الدرداء بألفاظ أخر منها من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة هكذا رواه أحمد والترمذى وقال حسن وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى فى الكبير وإنما اقتصر الترمذى على قوله حسن ولم يقل صحيح لأن فيه مرزوقا التيمى والد يحيى مجهول الحال ومنها من رد عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة رواه الطبرانى فى الكبير والخرائطى ومنها من رد عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة .

(١٩٩٧) حديث : قال أنس رضي الله عنه : قال النبى ﷺ : « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره » على من ذكره بسوء « فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى بها فى الدنيا والآخرة» **قال العراقى :** رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الجملة الأولى وإسناده ضعيف . اهـ .

قال مرتضى : ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بتمامه ولفظه أدركه الله بدل أذله ورواه أيضا من حديث عمران بن حصين بلفظ من ذكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على أن ينصره فنصره نصره الله فى الدنيا والآخرة .

(١٩٩٨) حديث : قال ﷺ : « من حمي عرض أخيه المسلم في الدنيا » بالرد عنه « بعث الله له=

وقال جابر وأبو طلحة : سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته »(١٩٩٩) .

= ملكا يحميه يوم القيامة من النار » جزاء بما فعل **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : رواه من طريق سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ولفظه من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وهكذا رواه ابن المبارك وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني في الكبير والأقرب إلى سياق المصنف ما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس بلفظ من حمى عن عرض أخيه في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يوم القيامة يحميه من النار .

(١٩٩٩) حديث : قال جابر بن عبد الله وأبو طلحة زيد بن سهل الأنصاريان ﷺ : سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « ما من امرئ » مسلم « ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله عز وجل في موضع » وفي نسخة في موطن « يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته» أي موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن شديد التحريم دنيويا كان مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخرويا كأن يقدر على نصحه من غيره بنحو وعظ فيترك **قال العراقي** : رواه أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف في إسناده . اهـ.

قال مرتضى : ولفظه عند أبي داود ما من امرئ يخذل أمرأ مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه أو ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته هكذا رواه أبو داود عنهما معا ورواه كذلك أحمد والبخاري في تاريخه وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني في الكبير والبيهقي والضياء قال المنذري اختلف في إسناده وقال الهيثمي حديث جابر سنده حسن .

ومنها تشميت العاطس..

قال ﷺ فى العاطس: « يقول الحمد لله على كل حال، ويقول الذى يشمته يرحمكم الله ويرد عليه العاطس، فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم» (٢٠٠٠).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: « كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين، فإذا قال ذلك، فليقل من عنده: يرحمك الله، فإذا قالوا ذلك فليقل: يغفر الله لى ولكم» (٢٠٠١).

(٢٠٠٠) حديث: قال ﷺ: « يقول العاطس: الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمك الله » ويرد العاطس « ويقول هو: يهديكم الله ويصلح بالكم » **قال العراقى**: رواه البخارى وأبو داود من حديث أبى هريرة ولم يقل البخارى على كل حال .اهـ.

قال مرتضى: رواه النسائى من حديث على وأخذ به قوم وسيأتى فى الذي يليه زيادة رب العالمين واختار جمع الجمع فيقول الحمد لله رب العالمين على كل حال وقد روى من حديث عبد الله بن عمرو من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال من الحال دفع عنه بها سبعون داء أهونها الجذام هكذا رواه الخطيب وابن النجار وسنده ضعيف وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات .

(٢٠٠١) حديث: قال ابن مسعود ﷺ: « كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول « إذا عطس » بفتح الطاء « أحدكم فليقل » ندبا « الحمد لله رب العالمين » ولا أصل لما اعتيد من قراءة بقية الفاتحة ويكره العدول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله أو تقديمهما على الحمد فهو مكروه ذكره الحافظ ابن حجر قال وروى ابن أبى شيبة أن ابن عمر سمع ابنه يعطس فقال إش قال ما إش أن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد« فإذا قال ذلك فليقل من عنده » ندبا «يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل » العاطس تأليفا لهم ومكافأة لدعائهم « يغفر الله لى » كذا لفظ الطبرانى وقال غيره لنا « ولكم » . **قال العراقى**: رواه النسائى فى اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد واختلف فى إسناده .اهـ.

قال مرتضى: حديث ابن مسعود رواه أيضا الطبرانى فى الكبير والحاكم والبيهقى بلفظ إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين وليقل له يرحمك الله وليقل هو يغفر الله لنا ولكم وقال الطبرانى لى ولكم وفى مسند الطبرانى أبيض بن إبان غير قوى وقال يتكلمون فيه ووثقه ابن حبان وأما حديث سالم بن عبيد وهو الأشجعى من أهل الصفة سكن الكوفة فرواه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقى باللفظ المذكور ورواه البخارى فى الأدب المفرد بلفظ إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له=

«وشمت رسول الله ﷺ عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال : إنه حمد الله وأنت سكت» (٢٠٠٢) .

وقال ﷺ : « شمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام»(٢٠٠٣) .

= يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم وروى فيه أيضا من حديث ابن عباس بسند صحيح يقول أى العاطس عافانا الله وإياكم من النار يرحمكم الله وروى أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا عطس حمد الله فيقال له يرحمكم الله فيقول يهديكم ويصلح بالكم .

(٢٠٠٢) حديث : « شمت رسول الله ﷺ عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال إنه حمد الله » تعالى « وأنت سكت » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج أحمد والبخارى فى الأدب المفرد ومسلم والطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه .

(٢٠٠٣) حديث : قال ﷺ : « شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا » أى ثلاث مرات « فإن زاد فهو زكام» **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث أبى هريرة شمت أخاك ثلاثا .... الحديث وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : وقال ابن السنى فى عمل يوم وليلة من حديث أبى هريرة ما هو أقرب إلى سياق المصنف ولفظه يشمت العاطس إذا عطس ثلاث مرات فإن عطس فهو زكام وروى ابن ماجه من حديث سلمة بن الأكوع يشمت العاطس ثلاثا فما زاد فهو مزكوم ولفظ أبى داود عن أبى هريرة إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد ثلاث هكذا هو لفظ الجلال فى جامعه الصغير وقد عزاه النووى فى الأذكار لابن السنى وقال فيه رجل لم أتحقق حاله وباقى إسناده صحيح وعزاه الحافظ ابن حجر لأبى يعلى وقال فيه سليمان الحرانى وهو ضعيف ولم يعرجوا على تخريجه لأبى داود فليحرر وقد روى الترمذى من حديث عمر بن إسحاق بن طلحة عن أمه عن أبيها ﷺ رفعه شمت العاطس ثلاثا فإن زاد فإن شئت فشمته وإن شئت فلا وقال غريب وروى أبو داود والحاكم وابن السنى من حديث عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقى مرسلا يشمت العاطس ثلاثا فإن زاد فإن شئت شمته وإن شئت فكف وقوله فى الحديث فهو زكام هو داء معروف وفى أخرى مزكوم أى به زكام وفيه أنه من زاد على ثلاث لا يشمت بالدعاء المشروع للعاطس بل يدعى له بما يلائمه بنحو شفاء وعافية فمن فهم النهى عن مطلق الدعاء فقد وهم .

« روى أنه شمت عاطسا ثلاثا، فعطس أخرى فقال: إنك مزكوم» (٢٠٠٤) .

وقال أبو هريرة : « كان رسول الله ﷺ إذا عطس غض صوته، واستتر بثوبه أو يده » (٢٠٠٥) وروى خمر وجهه .

وقال أبو موسى الأشعرى: « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٢٠٠٦).

وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبى ﷺ ، فى الصلاة فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا، وبعد ما يرضى، والحمد لله على كل حال ، فلما سلم النبى ﷺ قال: من صاحب الكلمات فقال: أنا يا رسول الله ، ما أردت بهن إلا خيراً ، فقال: لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها» (٢٠٠٧) .

(٢٠٠٤) حديث : « أنه »ﷺ « شمت عاطسا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم ». **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .اهـ.

قال مرتضى : رواه ابن ماجه من حديثه بنحوه وتقدم قريبا وفيه التقييد بالثلاث فيحمل المطلق على المقيد .

(٢٠٠٥) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : «كان» رسول الله ﷺ « إذا عطس غض صوته » أى خفضه «وستر بثوبه أو يده» وروى خمر وجهه **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لأبى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا الحاكم بلفظ كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه ونقص به صوته وروى الحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته قال الحاكم صحيح وأقره الذهبى .

(٢٠٠٦) حديث : قال أبو موسى الأشعرى ﷺ : «كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ » عمدا « رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله» **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .اهـ.

(٢٠٠٧) حديث : عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبى ﷺ فى الصلاة فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضاه ربنا وبعدما يرضى وأحمد=

وقال ﷺ : «من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته» (٢٠٠٨) .

وقال ﷺ : « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم، فليضع يديه على فيه، فإذا قال : هاها، فإن الشيطان يضحك من جوفه » (٢٠٠٩) .

= الله على كل حال ، فلما سلم النبي ﷺ من الصلاة ، فقال : من صاحب الكلمات ؟ فقال » الرجل : «أنا يا رسول الله وما أردت به إلا خيرا » ، فقال : لقد رأيت اثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها » **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر ابن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد .اهـ.

(٢٠٠٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته »، **قال العراقي** : رواه الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث على بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وروى البخارى في الأدب المفرد عن على ﷺ من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين علي كل حال ما كان، لم يجد وجع الضرس والأذن أبدا قال الحافظ ابن حجر هو موقوف رجاله ثقات ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع وخرج الطبراني عن علي مرفوعا من سبق العاطس بالحمد عوفى من وجع الخاصرة ولم يشك ضرسه أبدا وسنده ضعيف .اهـ. وأخرج تمام في فوائده وابن عساكر في التاريخ من حديث ابن عباس من سبق العاطس بالحمد وقاه الله وجع الخاصرة ولم ير فى فيه مكروها حتى يخرج من الدنيا وفى السند بقية وقد عنعن وأورده ابن الأثير فى النهاية بلفظ من سبق العاطس بالحمد أمن الشوص واللوص والعلوص وسنده ضعيف فالشوص وجع الضرس وقيل وجع فى البطن واللوص ووجع الأذن وقيل : وجع المخ والعلوص وجع فى البطن من التخمة وقد نظمه بعض الشعراء أنشدناه شيخنا على بن موسى بن شمس الدين الحسيني وكتبه من املائه وخطه قال أنشدنا شيخ الوقت أحمد بن عبد الفتاح الملوى قدس الله روحهما في الجنة .

من يستبق عاطسا بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه البطن والضرس اتبع رشدا

(٢٠٠٩) حديث : قال ﷺ : « العطاس من الله » لأنه تنشأ عنه العبادة فلذلك أضافه إلى الله «والتثاؤب» بالهمز بعد الألف هو فتح الفم لغلبة الأبخرة وينشأ من ثقل النفس وامتلائها المتسبب عن نيل الشهوات الذى يأمر به الشيطان فيورث الغفلة والكسل ولذلك قال « من الشيطان» فاضافه إليه « فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه » ليرده ما استطاع « فإذا قال اه آه » حكاية صوت التثاؤب « فإن الشيطان يضحك من جوفه » لما أنه قد وجد إليه سبيلا وقوى سلطانه عليه **قال العراقي** : متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من=

وقال إبراهيم النخعي: إذا عطس في قضاء الحاجة، فلا بأس بأن يذكر الله ، وقال الحسن : يحمد الله في نفسه.

وقال كعب : « قال موسى عليه السلام : يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك؟ فقال : أنا جليس من ذكرني ، فقال: فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط، فقال : اذكرني على كل حال » (٢٠١٠).

= الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب .اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أبي سعيد إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب وروى البخاري من حديث أبي هريرة إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان وروى ابن ماجه من حديثه إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوي فإن الشيطان يضحك منه ويروى إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بهما الصوت فإن الشيطان يحب أن يرفع بهما الصوت رواه البيهقي من حديث عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وواثلة ورواه أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد.

(٢٠١٠) حديث : قال كعب بن ماتع الحميري المعروف بالأحبار رحمه الله تعالى : « قال موسى عليه السلام يا رب اقريب أنت اناجيك أم بعيد فأناديك فقال أنا جليس من ذكرني فقال يا رب فإنا نكون على حال نجلك » أي ننزهك « أن نذكرك عليها » أي معها « كالجنابة والغائط فقال » يا موسى « اذكرني علي كل حال » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقد روى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عائشة كان ﷺ يذكر الله تعالى على كل إحيانه أي في كل أوقاته وأما حديث أنا جليس من ذكرني فأورده الديلمي بلا سند من حديث عائشة مرفوعا والقصة المذكورة أوردها البيهقي تماما في الذكر من شعب الإيمان من طريق الحسين بن جعفر عن سفيان عن عطاء بن مروان حدثني أبي بن كعب قال : قال موسى عليه السلام فذكره ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب من طريق عبد الله بن عمير وهو في سابع عشر المجالسة من طريق ثور بن يزيد عن عبيدة قال لما كلم الله موسى عليه السلام يوم الطور كان عليه جبة من صوف مخللة بالعيدان محزوم وسطه بشريط ليف وهو قائم على جبل وقد أسند ظهره إلي صخرة فقال الله يا موسى إني قد أقمتك مقاما لم يقمه أحد قبلك ولا يقومه أحد بعدك وقربتك نجيا قال موسى إلهي لم أقمتني هذا المقام قال لتواضعك يا موسى قال فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادى موسى إلهي أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك قال يا موسى أنا جليس من ذكرني وللبيهقي في موضع آخر من طريق أبي أسامة عن شعبة قال قلت لمحمد بن النضر أما=

ومنها : أنها إذا بلى بذى شر، فينبغى أن يتحمله ويتقيه .

قال بعضهم: خالص المؤمن مخالصة ، وخالق الفاجر مخالقة، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى الظاهر .

وقال أبو الدرداء : إنا لنبش فى وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم ، وهذا معنى المداراة . وهى مع من يخاف شره .

قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ (المؤمنون : ٩٦) .

قال ابن عباس فى معنى قوله : ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ (الرعد : ٢٢). أى الفحش والأذى بالسلام، والمداراة .

وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ ﴾ (البقرة : ٢٥١).

قال: بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة .

وقالت عائشة ﵂ : **« استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو، فلما دخل ألان له القول ،حتى ظننت أن له عنده منزلة، فلما خرج قلت له: لما دخل قلت الذى قلت ، ثم ألنت له القول، فقال: يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء فحشه»** (٢٠١١) .

= تستوحش من طول الجلوس فى البيت فقال ما لى أستوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرنى وكذا أخرجه أبو الشيخ من طريق حسين الجعفى قال : قال محمد بن النضر الحارثى لأبى الأحوص أليس ترى أنه قال أنا جليس من ذكرنى فما أرجو بمجالسة الناس ومعناه فى المرفوع من حديث أبى هريرة أنا مع عبدى ما ذكرني وتحركت بى شفتاه .

(٢٠١١) حديث : قالت عائشة ﵂ : « استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال : ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل ألان له القول » ولاطفه « حتى ظننت أن له عنده منزلة » وقدرا «فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت » تعنى قوله بئس رجل العشيرة « ثم النت له القول» ولاطفته « فقال » ﷺ « يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه» **قال العراقى:** متفق عليه .اهـ. =

وفى الخبر: « ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة» (٢٠١٢).

وفى الأثر : « خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب » (٢٠١٣).

وقال محمد ابن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا ،ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء، ويختلط بالمساكين، ويحسن إلى الأيتام .

كان النبى ﷺ يقول: « اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين » (٢٠١٤).

= **قال مرتضى** : ورواه وأبو داود والترمذى وعند الخطيب فى المتفق والمفترق وابن النجار شر الناس يوم القيامة من اتقى مجلسه لفحشه وسنده حسن وفى رواية للترمذى يا عائشة إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقال حسن صحيح وروى الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف الناس شره وهو فى ذم الغيبة لابن أبى الدنيا بلفظ شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره .

(٢٠١٢) حديث : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة » وفى رواية كتب له به صدقة **قال العراقى**: رواه أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضعفه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحاكم بلفظ ما وقى به المؤمن وقد رواه عن جابر محمد بن المنكدر وعنه مسور بن الصلب وعبد الحميد بن الحسن الهلالي .

قال مرتضى : لابن المنكدر ما يعنى به قال أن تعطى الشاعر أو ذا اللسان المتقى وللديلمى من طريق أبى المسيب عن أبى هريرة مرفوعا ذبوا بأموالكم عن أعراضكم قالوا يا رسول الله كيف قال تعطون الشاعر ومن يخاف لسانه ورواه ابن لال من حديث عائشة .

(٢٠١٣) حديث : « خالطوا الناس بأعمالهم وزايلوهم بالقلوب ».

قال مرتضى : أغفله العراقى وكذا في القوت وتقدم معناه قريبا وهو فى جزء الغسولى من حديث جابر بنحوه وقد تقدم قريبا وأخرج العسكرى في الأمثال من حديث ثوبان خالطوا الناس بأخلاقكم وخالفوهم .

(٢٠١٤) حديث : قال النبى ﷺ : « اللهم احينى مسكينا وأمتنى » وفى لفظ وتوفنى « مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » أى اجمعنى فى جماعتهم قال اليافعى وناهيك بهذا شرفا=

= للمساكين ولو قال واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا فكيف وقد قال واحشرني في زمرتهم ثم إنه لم يسأل مسكنة ترجع للقلة بل إلى الإخبات والتواضع ذكره البيهقي وعليه جرى المصنف كما سيأتي له فيما بعد ومنه أخذ السبكي قوله المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي نوع من الفقر فإنه أغني الناس بالله وسئل القاضي زكريا عن معنى هذا الحديث فقال معناه التواضع والخضوع وأن لا يكون من الجبابرة المتكبرين والأغنياء المترفين. **قال العراقي:** رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب .اهـ.

قال مرتضى : رواه ابن ماجه من طريق أبي خالد الأحمر عن يزيد بن سنان عن ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري قال أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه وذكره ورواه الطبراني في الدعاء من طريق أبي فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي حدثني أبي عن أبيه هو يزيد بن سنان عن عطاء بدون واسطة بين يزيد وعطاء وبدون قول أبي سعيد وبلفظ توفني ويزيد بن سنان ضعيف عندهم لكن قد رواه الطبراني أيضا من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بلفظ اللهم توفني إليك فقيرا ولا توفني إليك غنيا واحشرني إليك في زمرة المساكين يوم القيامة وخالد الأكثر على تضعيفه وكان الحاكم اعتمد توثيقه فإنه قد أخرج هذا الحديث من طريقه في الرقاق من المستدرك بزيادة وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي في التلخيص وكذا رواه البيهقي في الشعب بلفظ يا أيها الناس لا يحملنكم العسر على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وذكره بالزيادة وهو عند أبي الشيخ ومن طريقه الديلمي بدون قول أبي سعيد وله شواهد فرواه الترمذي في الزهد من جامعه والبيهقي في الشعب من طريق ثابت بن محمد العابد الكوفي حدثنا الحارث بن النعمان الليثي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم باربعين خريفا يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المسكين فإن الله يقربك يوم القيامة وقال إنه غريب .اهـ. والحارث قال البخاري وغيره إنه منكر الحديث وتردد فيه ابن حبان فذكره في الثقات وفي الضعفاء ورواه الطبراني في الدعاء من طريق بقية بن الوليد حدثنا الثقل بن زياد عن عبيد الله بن زياد سمعت جنادة بن أبي أمية يقول حدثنا عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ اللهم احيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ورجاله موثقون وبقية قد صرح بالتحديث ومع وجود هذه الطريق وغيرها مما تقدم لا يحسن الحكم عليه بالوضع من ابن الجوزي وابن تيمية وقد رد عليهما الزركشي والحافظ ابن حجر والسيوطي قال الأول أساء ابن الجوزي بذكره له في الموضوعات وقال الثاني ليس=

وقال كعب الأحبار: كان سليمان عليه السلام فى ملكه، إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه، وقال : مسكين جالس مسكينا .

وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له: يا مسكين .

وقال كعب الأحبار: ما فى القرآن من ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحجرات: ١) فهو فى التوراة يا أيها المساكين .

وقال عبادة بن الصامت: إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحدة للفقراء والمساكين .

وقال الفضيل بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال يا رب كيف لى أن أعلم رضاك عنى؟ فقال انظر كيف رضا المساكين عنك .

وقال ﷺ : « إياكم ومجالسة الموتى . قيل ومن الموتى يا رسول الله ؟ قال: الأغنياء » (٢٠١٥) .

« وقال موسى : إلهى أين أبغيك ؟ قال : عند المنكسرة قلوبهم» (٢٠١٦) .

= كما قاله صححه الضياء في المختارة وقال الثالث أسرف ابن الجوزى بذكره في الموضوعات والله أعلم .

(٢٠١٥) حديث : قال ﷺ : « إياكم ومجالسة الموتى ، قيل وما الموتى» يا رسول الله ؟ «قال الأغنياء» **قال العراقى** : رواه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة إياك ومجالسة الأغنياء .اهـ.

قال مرتضى : وتعقب تصحيح الحاكم ورواه ابن سعد فى الطبقات أيضا ولفظهم يا عائشة إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقعيه .

(٢٠١٦) حديث : « قال موسى عليه السلام في مناجاته : إلهي أين أبغيك » أى أطلبك « قال » ابغنى « عند المنكسرة قلوبهم » . =

وقال ﷺ : « لا تغبطن فاجرا بنعمة ، فإنك لا تدرى إلى ما يصير بعد الموت، فإن من ورائه طالبا حثيثا » (٢٠١٧) .

وأما اليتيم فقال ﷺ : « من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى، فقد وجبت له الجنة البتة » (٢٠١٨) .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وأخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو حامد حدثنا محمد حدثنا هارون حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال : قال موسى عليه السلام يا رب أين أبغيك فذكره وقد ذكر المصنف فى بداية الهداية أنه فى الخبر أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى.

قال مرتضى : وكأنه من الاسرائيليات ولم يثبت رفعه عند أئمة الحديث .

(٢٠١٧) حديث : قال ﷺ : « لا تغبطن فاجرا بنعمة » أى لا تفرح بمثلها له ولا ترج أن يكون ذلك لك « فإنك لا تدرى إلى ما يصير بعد الموت » هل ينجو أم لا « فإن من ورائه طلبا حثيثا» أى مجدا **قال العراقى** : رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .. اهـ.

قال مرتضى : لفظ البيهقى فى الشعب لا تغبطن فاجرا بنعمة أن له عند الله قاتلا لا يموت وله شاهد عند الحاكم من حديث ابن عباس لا تغبطن جامع المال من غير حله فإنه إن تصدق لم يقبل وما بقى كان زاده فى النار .

(٢٠١٨) حديث : قال ﷺ : « من ضم يتيما من » بين « أبوين مسلمين » أى تكفل بمؤنته وما يحتاجه « حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة البتة » والمراد به القطع بالشىء والمراد أنه لابد له من الجنة وإن تقدم عذابه لا أن المراد أنه يدخلها بلا عذاب ألبتة **قال العراقي**: رواه أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جدعان متكلم فيه .اهـ.

قال مرتضى : مالك بن عمرو هو القشيرى وقيل الكلابى وقيل العقيلى ويقال الأنصارى انفرد بحديثه علي بن زيد بن جدعان واختلف عليه فيه رواه عن زرارة بن أوفى عنه وبعض الناس فرق بينهم وعلي بن زيد روى له مسلم مقرونا بثابت البنانى والباقون إلا البخارى وقد مات على وثابت فى سنة واحدة ولفظ حديث مالك بن عمرو من ضم يتيما إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله الحديث هكذا رواه أحمد بطوله ورواه الباوردى عن أبى بن مالك العامرى وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث عدى بن حاتم رفعه من ضم يتيما له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة وفيه المسيب بن شريك وهو متروك وروى الترمذى من حديث ابن=

وقال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين، وهو يشير بأصبعيه» (٢٠١٩) .

وقال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحما ، كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة » (٢٠٢٠) .

وقال ﷺ : « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» (٢٠٢١) .

= عباس بسند ضعيف من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر .

(٢٠١٩) حديث : قال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم » أى القائم بأمره ومصالحه هبة من مال نفسه أو من مال اليتيم كان ذا قرابة أم لا « كهاتين فى الجنة » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما أى أن الكافل فى الجنة مع النبى لا أن درجته تقارب درجة النبى **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذى من حديث سهل ولفظهم في الجنة هكذا ورواه مسلم أيضا من حديث عائشة وابن عمر بزيادة أو لغيره بعد قوله اليتيم .

(٢٠٢٠) حديث : قال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة » **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولابن حبان في الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له .... الحديث . اهـ.

قال مرتضى : وبلفظ المصنف رواه ابن المبارك فى الزهد عن ثابت بن عجلان بلاغا وأما حديث أبى أمامة عند أحمد والطبرانى فلفظه من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله فإن له بكل شعرة مرت على يده حسنة ومن أحسن إلى يتيمه أو يتيم غيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه وهكذا رواه ابن المبارك أيضا والحاكم وأبو نعيم في الحلية وروى الحكيم من حديث أنس بالجملة الأخيرة فقط من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين .

(٢٠٢١) حديث : قال ﷺ : « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم » لا أبوان له ذكر أو أنثى «يحسن إليه وشر بيت من » وفى رواية فى «المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » أى بقول أو بفعل أو بهما **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف .اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه ابن المبارك والبخارى فى الأدب المفرد وأبو نعيم في الحلية=

ومنها : النصيحة لكل مسلم والجهد فى إدخال السرور على قلبه .

قال ﷺ : «المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه» (٢٠٢٢) .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٢٠٢٣) .

وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه، فإذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه » (٢٠٢٤) .

= بزيادة أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال الحافظ ابن حجر رواه ابن ماجه من طريق زيد ابن أبى عشير عن أبى هريرة وزيد وثقه يحيى بن معين والباقون من رجال الصحيح إلا شيخ ابن ماجه وهو ثقة وروي العقيلي والخرائطي فى مكارم الأخلاق وأبو نعيم فى الحلية وابن النجار من حديث عمر بن الخطاب خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم .

(٢٠٢٢) حديث : قال ﷺ : « المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه » **قال العراقى** : تقدم بلفظ: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ . اهـ.

قال مرتضى : هو معنى الحديث الذى يليه .

(٢٠٢٣) حديث : قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم » إيمانا كاملا « حتى يحب لأخيه » في الإسلام من الخير كما هو في رواية النسائى وغيره «ما يحب لنفسه» من ذلك **قال العراقى** : تقدم فى حديث رقم ١٨٢٦ ص ١٦٥٤ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن المبارك والطيالسى وأحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذى وقال صحيح والنسائي وابن ماجه والدارمى كلهم من حديث أنس لكن لفظ رواية مسلم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ورواية البخارى وغيره لاخيه بغير شك وفى رواية لأحمد حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله وروى ابن عساكر من حديث أسد بن عبد الله بن يزيد القسرى عن أبيه عن جده بلفظ المصنف مع زيادة .

(٢٠٢٤) حديث : قال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه » أى هو بمنزلة المرآة التى يرى فيها ما به من شعث فيصلحه « فإذا رأى به » بنحو بدنه أو ملبوسه « شيئا » من الأذى كمخاط وبصاق وتراب « فليمطه » أى ليزله « عنه » ندبا فإن بقاءه يشينه والظاهر أنه يشمل الأذى المعنوى أيضا ما لو رأى بعرضه ما يشينه فيزيله عنه بإرشاده له إلى ذلك لكن يبعده زيادته فى بعض الروايات ويره إياه إلا أن يقال أراد برؤياه ما يعم توقيفه عليه ليجتنبه **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم فى حديث رقم ١٨٤١ ص ١٦٦٧ .اهـ .

قال مرتضى : الذي تقدم من حديث أبى هريرة لفظه المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه وهذا الذى رواه أبو داود وقد روى مثل ذلك=

وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه، فكأنما خدم الله عمره » (٢٠٢٥) .

وقال ﷺ : « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة » (٢٠٢٦) .

وقال ﷺ : « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل، أو نهار، قضاها أو لم يقضها ، كان خيرا له من اعتكاف شهرين » (٢٠٢٧) .

= عن أنس أيضا لكن بأول الحديث فقط والذى ذكره المصنف هنا فمن رواية الترمذى خاصة عن أبى هريرة .

(٢٠٢٥) حديث : قال ﷺ : « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله » تعالى « عمره » أى فينبغى لمن عزم على معاونة أخيه في قضاء حاجاته أن لا يجبن عن نفاد قوله وصدعه بالحق إيمانا بأن الله تعالى فى عونه **قال العراقى** : رواه البخارى فى التاريخ والطبرانى والخرائطى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلاً .اهـ .

قال مرتضى : ورواه أيضا أبو نعيم فى الحلية والخطيب من طريق إبراهيم بن شاذان عن عيسى بن يعقوب بن جابر الزجاج عن دينار مولى أنس عن أنس وأورده ابن الجوزى فى الموضوع ولفظ البخارى فى التاريخ من قضي لأخيه حاجة وفى لفظ من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره وفى أخرى كان بمنزلة من خدم الله عمره وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر من قضى لأخيه حاجة فى غير معصية كان كمن خدم الله عمره .

(٢٠٢٦) حديث : قال ﷺ : « من أقر عين مؤمن » أى فرحها وأسرها أو بلغها أمنيتها حتى رضيت وسكنت « أقر الله عينه يوم القيامة» جزاء وفاقا **قال العراقى** : رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسلا .اهـ.

قال مرتضي : لفظ الجلال فى جامعه الصغير بعين مؤمن بالباء فى الموضعين وقال الشارح هى زائدة وقال عن رجل مرسلا وقال فى الكبير ابن المبارك عن عبيد الله بن زحر عن بعض أصحابه مرسلا وعبيد الله بن زحر الضمرى الإفريقى صدوق يخطئ روى له البخارى فى الأدب المفرد والأربعة .

(٢٠٢٧) حديث : قال ﷺ : « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين » متتابعين **قال العراقى** : رواه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته وأشار بإصبعه أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الأوسط من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين وكلاهما ضعيف .اهـ. =

وقال ﷺ : « من فرج عن مؤمن مغموم ، أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » (٢٠٢٨) .

وقال ﷺ : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل: كيف ينصره ظالما، قال: يمنعه من الظلم» (٢٠٢٩) .

= **قال مرتضى** : وبلفظ الطبراني رواه أيضا البيهقي وضعفه والخطيب وقال غريب ولفظه من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين ويروى أن الحسن البصرى أمر ثابتا البناني بالمشي في حاجة فقال أنا معتكف فقال يا أعمش إن مشيك في حاجة أخيك خير لك من حجة بعد حجة .

(٢٠٢٨) حديث : قال ﷺ : « من فرج عن مغموم » الذي أصابه الغم « أو أعان مظلومًا » أى مكروبا « غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوفاً .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه البخارى فى التاريخ وابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والبيهقى والخطيب وابن عساكر باللفظ المذكور وفى أخرى زيادة منها واحدة بها صلاح أمره كله واثنتان وسبعون درجات له عند الله يوم القيامة والبيهقى رواه عن أبى طاهر عن أبى داود الخفاف عن غسان بن المفضل عن عبد العزيز بن عبد الصمد العمي عن زياد بن حسان عن أنس وأخرجه البخارى فى تاريخه فى ترجمة عباس بن عبد الصمد وقال هو منكر الحديث وقال فى الميزان زياد وهاه ابن حبان وقال حدث عن أنس بنسخة أكثرها موضوع ثم ساق منها هذا الخبر وحكم ابن الجوزى بوضعه وتعقبه الجلال وقال إن له شاهدا وفى رواية حسنة بدل مغفرة وهكذا رواه أبو يعلى والعقيلى وابن عساكر وفى سند كل منهم زياد بن أبى حسان المذكور وللحديث طريق آخر ليس فيه زياد وهو ما أخرجه ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حصين عن أنس ولفظه من أغاث ملهوفًا أغاثة غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فى الدنيا واثنين وسبعين فى الدرجات العلى من الجنة .... الحديث .

(٢٠٢٩) حديث : قال ﷺ : « انصر أخاك » فى الدين « ظالما » بمنعه من الظلم « أو مظلوما » باعانته على ظالمه وتخليصه منه « فقيل » أى قال راويه « كيف ننصره ظالما يا رسول الله قال تمنعه من الظلم » وتحول بينه وبينه فإن ذلك نصرة له لأنه لو ترك على ظلمه جرى على الاقتصاص منه فمنعه من وجوب القود نصرة له وهذا من قبيل الحكم للشيء وتسميته بما يؤل إليه وهو من وجيز البلاغة **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم حديث رقم ١٦٣١ ص ١٤١١ .اهـ.

قال مرتضى : رواه البخارى فى الصحيح من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس به مرفوعا وفيه قال يا رسول الله هذا ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما فقال يأخذ فوق يديه وفى =

وقال ﷺ : « إن من أحب الأعمال إلى الله، إدخال السرور على قلب المؤمن، أو أن يفرج عنه غما ، أو يقضي عنه دينا ، أو يطعمه من جوع» (٢٠٣٠) .

وقال ﷺ : « من حمى مؤمنا من منافق يعنته، بعث الله إليه ملكا يوم القيامة يحمى لحمه من نار جهنم » (٢٠٣١) .

= لفظ المغيرة تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه وروى البخارى أيضا مختصرا من طريق هشيم عن حميد الطويل وعبيد الله بن أبى بكر بن أنس سمعا أنسا به بل أخرجه في الإكراه من حديث عبيد الله فزاد فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره وقد رواه أيضا أحمد والترمذى وعند مسلم من وجه آخر وفيه بيان سببه فرواه فى الأدب من طريق زهير عن أبى الزبير عن جابر قال اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجرى يا للمهاجرين ونادى الأنصارى يا للأنصار فقال ما هذا دعوة أهل الجاهلية قالوا يا رسول الله إن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصرة وإن كان مظلوما فلينصره ورواه الدارمى وابن عساكر من حديث جابر بلفظ انصر أخاك ظالما أو مظلوما إن يك ظالما فاردده عن ظلمه وإن يك مظلوما فانصره.

(٢٠٣٠) حديث : قال ﷺ : « إن من أحب الأعمال إلى الله » تعالى « ادخال السرور على » أخيه « المؤمن وإن يفرج عنه غما » أى يكشفه عنه بالقول أو بالفعل أو بهما أو بالمال « أو يقضى عنه دينا » بأن يرضى غريمه بما عليه « أو يطعمه من جوع » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف ـ اهـ.

قال مرتضى : ورورى الطبرانى في الكبير من حديث ابن عباس أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم وروى أيضا من حديث الحكم بن عمير أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا وفى سند الأول إسماعيل بن عمر البجلى وثقه ابن حبان وضعفه غيره وفى الثانى سليمان بن مسلمة الخبائرى وهو ضعيف .

(٢٠٣١) حديث : قال ﷺ : « من حمى مؤمنا من منافق يعنته » أى يؤذيه ويوقعه فى العنت وفى الشدة هكذا فى النسخ وفى بعضها يغتابه « بعث الله له ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم » .

قال مرتضى : لم يذكره العراقى ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه وقد تقدم قريبا .

وقال ﷺ : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله، والنفع لعباد الله» (٢٠٣٢).

وقال ﷺ : « من لم يهتم للمسلمين، فليس منهم » (٢٠٣٣).

وقال معروف الكرخي: من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد ، كتبه الله من الإبدال .

وفي رواية أخرى: « اللهم اصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الإبدال »(٢٠٣٤) .

(٢٠٣٢) حديث : قال ﷺ : «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله » قال العراقي : ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يسنده ولده في مسنده .اهـ.

قال مرتضى : وقد نظمه الشاعر :

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم	وما عليك إذا أذنبت من باس
إلا اثنتان فلا تقربهما أبدا	الشرك بالله والإضرار للناس

(٢٠٣٣) حديث : قال ﷺ : « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » قال العراقي : رواه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى: ورواه الطبراني في الأوسط أيضا من حديث حذيفة ولفظه من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ورسوله ولكتابه ولإمامه وأمة المسلمين فليس منهم.

(٢٠٣٤) حديث : قال معروف الكرخي قدس الله سره : «من قال اللهم اصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال » جمع بدل وهم طائفة من الأولياء كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون قال أبو البقاء .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقال أبو النعيم في الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن الحارث الطبراني حدثنا سعيد بن أبي زيدون حدثنا عبد الله بن هارون الصوري حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل=

وبكى على بن الفضيل يوما فقيل له: ما يبكيك ؟ قال: أبكى على من ظلمنى إذا وقف غدا بين يدى الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة .

ومنها : أن يعود مرضاهم .

فالمعرفة والإسلام كافيان فى إثبات الحق ، ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال ، وإظهار الرقة ، والدعاء بالعافية ، وغض البصر عن عورات الموضع.

وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول : أنا إذا قيل له من ولا يقول: يا غلام ولكن يحمد ويسبح .

وقال ﷺ : « تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ؟ وتمام تحياتكم المصافحة » (٢٠٣٥) .

---

* أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلي من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى وروى من طريق الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رفعه أن لله فى الخلق ثلاثمائة ثم ساق الحديث وفيه ويدعون فيرفع بهم أنواع البلاء والدعاء المذكور مشهور بدعاء الأبدال وإن زاد الداعى ﷺ عند ذكر اسمه الشريف فحسن ويروى بدل الجملة الثالثة اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ وقد أوصى المشايخ بهذا الدعاء لمريديهم رجاء حصول البركة في اللحوق بهم وإن لم يكونوا مثلهم ومن هذا النمط أيضا اللهم احفظ ما خلقت وبارك فيما رزقت ولا تسلب ما أنعمت ولا تهتك ما سترت أصبحت بين العباد ما لى مراد سبحان من له المراد فيما يريد فهذا أيضا من دعائهم من قاله كل يوم ثلاث مرات كتبه الله منهم .

(٢٠٣٥) حديث : قال ﷺ : « تمام عيادة المريض أن يضع أحدهم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة » وفى لفظ وتمام تحيتكم بينكم المصافحة .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه أحمد والترمذى وضعفه وابن أبى الدنيا والبيهقى من حديث أبى أمامة بلفظ : من تمام ، ورواه الأخيران أيضا بلفظ من تمام عيادة أحدكم أخاه أن يضع يده عليه فيسأله كيف أصبح كيف أمسى وعند الطبرانى فى الكبير من حديث أبى رهم وإن من الحسنات عيادة المريض وإن من تمام عيادته أن تضع يدك عليه وتسأله كيف هو ومن حديث أبى أمامة أيضا بلفظ المصنف وكل من السياقين فى أثناء الحديث وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقد تقدم ذكرها فى أول الباب .

وقال ﷺ : « من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى إذا قام ، وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٢٠٣٦) .

وقال ﷺ : « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه» (٢٠٣٧) .

(٢٠٣٦) حديث : قال ﷺ : « من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة » جمع مخرف موضع الاختراف وخرف الثمار واخترفها قطعها وجناها والمراد بمخارف الجنة مجانى ثمارها « حتى إذا قام وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه » أى يستغفرون له « حتى الليل » **قال العراقى :** رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرافة الجنة .اهـ.

قال مرتضي : وبقية حديث ابن ماجه وإن كان مساء صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح ولفظ البيهقى من حديث على من عاد مريضا قعد فى خراف الجنة فإذا قام من عنده وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل وهذا أقرب إلى سياق المصنف وفى لفظ عنده من حديثه أيضا من عاد مريضا مشى فى خراف الجنة فإذا جلس عنده استنقع فى الرحمة فإذا خرج من عنده وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويحفظونه ذلك اليوم ولفظ ابن النجار من حديثه من عاد مريضا ابتغاء مرضاة الله وتنجيز موعود الله ورغبة فيما عنده وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه إن كان صباحا حتى يمسى وإن كان مساء حتى يصبح ولفظ ابن صصرى فى أماليه من حديثه من عاد مريضا إيمانا بالله واحتسابا وتصديقا بكتابه وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه من حيث يصبح حتى يسمى ومن حيث يمسى حتى يصبح وكان ما كان قاعدا عنده فى خراف الجنة وقد روى نحو ذلك من حديث ابن عباس ولفظه عند الطبرانى فى الكبير من عاد مريضا خاض فى الرحمة فإذا جلس إليه غمرته الرحمة فإن عاده فى أول النهار استغفر له سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده من آخر النهار استغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح قيل يا رسول الله هذا للعائد فما للمريض قال اضعاف ذلك وأما حديث ثوبان فقد رواه أيضا أحمد وابن جرير والطبرانى فى الكبير بزيادة قيل يا رسول الله وما خرافة الجنة قال جناها ورواه الطبرانى وابن جرير أيضا بزيادة حتى يرجع وفى لفظ لمسلم أيضا عائد المريض يمشى في مخرفة الجنة حتى يرجع وهكذا رواه أيضا ابن جرير وابن قانع .

(٢٠٣٧) حديث : قال ﷺ : « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده قرت » فيه **قال العراقى :** رواه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال انغمس فيها قال الحاكم صحيح=

وقال ﷺ : « إذا عاد المسلم أخاه، أو زاره ، قال الله تعالى : طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة » (٢٠٣٨) .

= على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها والطبرانى فى الصغير من حديث أنس فإذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها .اهـ.

قال مرتضى : لفظ حديث جابر من عاد مريضا خاض فى رحمة الله فإذا جلس انغمس فيها وهكذا رواه أحمد والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد والحارث بن أبى أسامة وابن منيع والبزار والبخارى فى التاريخ وابن حبان والضياء فى المختارة وهكذا رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة وأما حديث أنس عند الطبرانى فى الصغير فلفظه من عاد مريضا خاض فى الرحمة حتى تبلغه فإذا قعد عنده غمرته الرحمة وهكذا رواه أيضا فى الكبير من حديث ابن عباس مع زيادة فى آخره تقدم ذكرها قبل هذا الحديث ورواه بهذا اللفظ أيضا ابن عساكر فى التاريخ من حديث عثمان بن عفان ورواه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى من حديث أبى أمامة وأخرج البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف عائد المريض فى مخرفة الجنة فإذا جلس عنده غمرته وأما حديث كعب بن مالك عند الطبرانى فى الأوسط والكبير أيضا فلفظه من عاد مريضا خاض فى الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها وهكذا رواه ابن جرير أيضا وقد رواه الطبرانى أيضا فى الكبير من حديث كعب ابن عجرة وأما حديث عمرو بن حزم عند الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير أيضا فلفظه من عاد مريضا لا يزال يخوض فى الرحمة حتى إذا قعد عنده استنقع فيها ثم إذا قام من عنده لا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج .... الحديث وهكذا رواه أيضا بطوله ابن جرير والبغوى والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده وقد رويت هذه اللفظة من حديث على وابن عباس أما حديث على فأخرجه البيهقى فى الشعب بلفظ فإذا جلس عنده استنقع فى الرحمة ولفظ حديث ابن عباس عنده أيضا من عاد مريضا يلتمس وجه الله خاض فى رحمته خوضا فإذا قعد عنده استنقع فيها استنقاعا .

(٢٠٣٨) حديث : قال ﷺ : « إذا عاد المسلم أخاه » فى الدين « أو زاره » احتسابا لله « قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك » أى مشيك « وتبوأت منزلا فى الجنة » أى اتخذته **قال العراقى :** رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذى غريب **قال العراقى :** فيه عيسى بن سنان القسملى ضعفه الجمهور .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن جرير ولفظهم من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ناداه مناد أن طبت .... الحديث وعيسى بن سنان الحنفى أبو سنان القسملى الفلسطينى نزيل البصرة حدث بها عن يعلى بن شداد بن أوس ووهب وعصدة وعنه عيسى بن يونس وأبو =

وقال ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده ؟ فإن هو إذا جاؤه حمد الله، وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله ، وهو أعلم فيقول لعبدى على أن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته إن أبدل له لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته » (٢٠٣٩) .

وقال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيرا يصب منه » (٢٠٤٠) .

أسامة وجمع ضعفه وبعضهم قواه كذا فى الكاشف وقال فى الضعفاء ضعفه يحيي بن معين.

(٢٠٣٩) حديث : قال ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله تعالى » له « ملكين فقال » لهما وفى نسخة فيقول « انظرا ما يقوله لعواده » جمع عائد « فإن هو » أى المريض « إذا جاؤه » وسألوه عن حاله « حمد الله تعالى وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله تعالى وهو اعلم فيقول لعبدى على أن توفيته » أى من هذا المرض « أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته إن أبدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته » **قال العراقى** : رواه مالك فى الموطأ مرسلا من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث أبى هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى إلى عوّده أطلقته من أسارى ثم أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم ومما يقرب من سياقه ما روى عن شداد بن أوس رفعه قال الله تعالي إذا ابتليت عبدا من عبادى مؤمنا فحمدنى وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب للحفظة إنى أنا قيدت عبدى هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح رواه أحمد وأبو يعلي والطبرانى وأبو نعيم.

(٢٠٤٠) حديث : قال ﷺ : « من يرد الله به خيرا » أى جميع الخيرات أو خيرا غزيرا «يصب» بكسر الصاد عند الأكثر والفاعل الله وروى بفتحها واستحسنه ابن الجوزى ورجحه الطيبي بأنه أليق بالأدب لآية ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ والضمير في قوله «منه» على التقديرين للخير ويصح عود الضمير في يصب إلى من وفى منه إلى الله أو إلى الخير والمعنى أن الخير لا يحصل للإنسان إلا بإرادته تعالى وعلمه **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن حبان وقال الحافظ ابن حجر ونسبه أبو الفضل بن عمار الشهيد إلى تخريج مسلم وأعله وليس هو في النسخ الموجودة الآن .

وقال عثمان رضي الله عنه : « مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا » (٢٠٤١) .

« ودخل ﷺ على على رضي الله عنه وهو مريض ، فقال له: قل : اللهم إنى أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك ، فإنك ستعطى إحداهن»(٢٠٤٢) .

ويستحب للعليل أيضا أن يقول : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» (٢٠٤٣) .

(٢٠٤١) حديث : وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : « مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قال ذلك مرارا » وفى نسخة ثلاثا **قال العراقى** : رواه ابن السنى فى اليوم والليلة والطبرانى والبيهقى فى الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن .اهـ.

(٢٠٤٢) حديث : « دخل » ﷺ « على علىّ » رضي الله عنه « وهو مريض فقال قل : اللهم إنى أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن» **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكى ولم يسم عليا وروى البيهقى فى الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبى ﷺ وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات .اهـ.

قال مرتضى : ويروى عن على رضي الله عنه قال كنت شاكيا فمر بى رسول الله ﷺ وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخرا فارفعنى وإن كان بلاء فصبرنى فقال رسول الله ﷺ كيف قلت قال فأعاد عليه ما قال فضربه برجله وقال اللهم عافه أو اشفه شعبة الشاك قال فما اشتكيت وجعى بعده رواه الترمذى والنسائى والحاكم وابن حبان فى صحيحهما وقال الترمذى واللفظ له حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولفظه اللهم اشفه اللهم عافه ولفظ النسائى اللهم اشفه اللهم اعفه .

(٢٠٤٣) حديث : يستحب للعليل أن يضع يده على الموضع الذى يألم من جسده و « يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » . =

وقال على بن أبى طالب ﷺ : « إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها ، ويشترى به عسلا ، ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنئ ، والمرئ والشفاء والمبارك » .

وجملة أدب المريض حسن الصبر ، وقلة الشكوى ، والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار؛ قلت : بلى يا رسول الله قال : يقول لا إله إلا الله يحيى ويميت وهو حى لا يموت ، سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال ، الله أكبر كبيرا ، إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان . اللهم إن أنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدنى من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى » (٢٠٤٤) .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه مالك فى الموطأ من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه أتى رسول الله ﷺ وقال له بى وجع قد كاد يهلكنى قال فقال لى امسح بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد قال ففعلت ذلك فاذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم وروى الجماعة إلا البخارى فى حديثه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر زاد أبو داود والترمذى والنسائى قال ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم وأخرجه الترمذى أيضا من حديث أنس ولفظه ضع يدك حيث تشكى ثم قل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعى هذا ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترا .

(٢٠٤٤) حديث : قال ﷺ : يا أبا هريرة « ألا أخبرك بأمر هو حق » أى لا يستراب فيه « من تكلم به فى أول مضجعه » أى رقوده « من مرضه نجاه الله من النار » ببركة ما تكلم به فقلت بلى يا رسول الله « قال تقول لا إله إلا الله » وفى بعض النسخ هنا زيادة وحده لا شريك له « يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا =

وروى أنه قال ﷺ : « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة » (٢٠٤٥) .

وقال طاوس : « أفضل العيادة أخفها » (٢٠٤٦) .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : « عيادة المريض مرة سنة، فما ازدادت فنافلة » (٢٠٤٧) .

= كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى » **قال العراقي :** رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات بسند ضعيف .

(٢٠٤٥) حديث : قال ﷺ : « عيادة المريض فواق ناقة » أي قدرها أشار به إلى خفة الجلوس عنده قال ابن فارس فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب **قال العراقي :** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه البيهقي في الشعب والديلمي بلفظ العيادة فواق ناقة إلا أن الديلمي لم يذكر له سندا .

(٢٠٤٦) حديث : قال طاوس اليماني رحمه الله تعالى: « أفضل العيادة أخفها » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه ابن المظفر في فضائل العباس من طريق هود بن علاء قال سمعت طاوسا يقول أفضل العيادة ما خف منها ورواه صاحب الفردوس من حديث عثمان بن عفان مرفوعا أفضل العيادة أخفها وروى من حديث جابر مرفوعا أفضل العيادة أجرا سرعة القيام من عند المريض ومنهم من صحف حديث عثمان المتقدم فرواه بالباء الموحدة فقال أفضل العبادة أخفها وهو غلط والصواب بالياء التحتية وفي تخفيف العيادة أخبار وآثار غير ما ذكره المصنف .

(٢٠٤٧) حديث : قال ابن عباس رضي الله عنه: « عيادة المريض مرة سنة فما زاد فنافلة » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرجه البزار من طريق النضر بن عربي عن عكرمة عنه بلفظ عيادة المريض أول يوم سنة وما زاد فهي له نافلة وقال لا نعلمه بهذا اللفظ من هذا الطريق إلا عن ابن عباس قال السخاوي وهو منتقد برواية الطبراني له في الكبير من طريق علي بن عروة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس لكن ابن عروة ضعيف متروك وحديث النضر حديث حسن وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق النضر هذا عن عكرمة عنه بلفظ كان بعد ذلك تطوّع وقوله سنة يريد بها سنة النبي ﷺ كما هو في الصحيح في المسألة فيحتمل أن تكون مراده أول مرة ولهذا لاحظ المصنف فقال مرة فتأمل .

وقال بعضهم: « **عيادة المريض بعد ثلاث** » (٢٠٤٨).

وقال ﷺ : « **أغبوا فى العيادة واربعوا فيها** » (٢٠٤٩).

ومنها : أن يشيع جنائزهم .

قال ﷺ : « **من شيع جنازة فله قيراط من الأجر ، فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان** » (٢٠٥٠).

(٢٠٤٨) حديث : قال بعضهم : « عيادة المريض بعد ثلاث » .

قال مرتضى : أغفله العراقى و المراد بالبعض النعمان بن أبى عياش الزرقى أحد التابعين الفضلاء من أبناء الصحابة فيما أخرجه البيهقى فى الشعب وابن أبى الدنيا فى عيادة المريض عنه بهذا اللفظ وقد روى معني ذلك فى المرفوع من حديث أنس كان النبى ﷺ لا يعود مريضا إلا بعد ثلاث أخرجه ابن ماجه وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات والبيهقى فى الشعب كلهم من طريق مسلمة بن على مصغرا حدثنا ابن جريج عن حميد الطويل عنه وعنه أيضا مرفوعا المريض لا يعاد حتى يمرض ثلاثة أيام وخرجه الديلمى من طريق أبى عصمة نوح بن أبى مريم عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه عن أنس به وروى كذلك من حديث أبى هريرة رفعه لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث أخرجه الطبرانى فى الأوسط من طريق نصر ابن حماد عن روح بن جناح عن الزهرى عن ابن المسيب عن أبى هريرة .

(٢٠٤٩) حديث : قال ﷺ « اغبوا فى العيادة » أى زوروا المريض يوما بعد يوم « واربعوا » فيها اتركوا يومين بعد العيادة ثم عودوه فى الرابع وقال الزمخشرى الإغباب أن تعوده يوما وتتركه يوما أى لا تلازموا المريض كل يوم لما يجد من الثقل والإرباع أن تتركه يومين بعد يوم العيادة ثم تعوده فى الرابع **قال العراقى :** رواه ابن أبى الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وبهذه الزيادة رواه أيضا البيهقى فى الشعب وغيره بلفظ اغبوا فى العيادة واربعوا العيادة وخير العيادة أخفها إلا أن يكون مغلوبا فلا يعادوا والتفدية مرة وقد رواه الخطيب كذلك إلا أن الإغباب فى الزيادة إذا كان المريض صحيح العقل وإلا فلا يعاد وروى البغوى فى مسند عثمان من حديثه مرفوعا عودوا المريض واتبعوا الجنازة والعيادة غبا أو ربعا إلا أن يكون مغلوبا فلا يعاد والتفدية مرة ثم قال البغوى هو مجهول الإسناد .

(٢٠٥٠) حديث : قال رسول الله ﷺ : « من تبع » وفى نسخة من شيع « جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان » **قال العراقى:** رواه الشيخان من حديث أبى هريرة .اهـ.

وفى الخبر : «القيراط مثل أحد» (٢٠٥١).

(٢٠٥١) حديث : « القيراط مثل جبل أحد » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث ثوبان وأبى هريرة وأصله متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : روى فى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيد وعبد الله بن مغفل وثوبان وابن عمر وأبى بن كعب وابن مسعود بلفظ حديث أبى هريرة من تبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط من الأجر هكذا رواه البخارى والنسائى وابن حبان ويروى من صلى على جنازة فله قيراط ومن انتظرها حتى توضع فى اللحد فله قيراطان والقيراطان مثل الجبلين العظيمين وهكذا رواه أحمد والنسائى وابن ماجه ورواه النسائى أيضا بلفظ من تبع جنازة فصلى عليها ثم انصرفت فله قيراط من الأجر ومن تبعها فصلى عليها ثم قعد حتى فرغ من دفنها فله قيراطان من الأجر كل واحد منهما أعظم من أحد ويروى من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان قيل وما القيراطان قال اصغرهما مثل أحد هكذا رواه مسلم والترمذى وأما حديث أبى سعيد فلفظه مثل لفظ أبى هريرة هكذا رواه أحمد والضياء فى المختارة وأما حديث عبد الله بن مغفل فلفظه من تبع جنازة حتى يفرغ منها فله قيراطان فإن رجع قبل أن يفرغ منها فله قيراط هكذا رواه النسائى والطبرانى فى الكبير ويروى من شيع جنازة حتى تدفن فله قيراطان ومن رجع قبل أن تدفن فله قيراط مثل أحد وهكذا رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ويروى من صلى على جنازة فله قيراط فإن انتظرها حتى يفرغ منها فله قيراطان وهكذا رواه أحمد وأما حديث ثوبان فلفظه من تبع جنازة حتى يصلى عليها كان له من الأجر قيراط ومن مشى مع الجنازة حتى تدفن كان له من الأجر قيراطان والقيراط مثل أحد وهكذا رواه الطيالسى وأحمد ومسلم وابن ماجه وأبو عوانة ويروى من صلى على جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد كذا رواه مسلم وابن ماجه وأما حديث البراء فلفظه مثل لفظ ثوبان عند الطيالسى هكذا رواه أحمد والنسائى والروياني والضياء ويروى من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان أحدهما مثل أحد هكذا رواه ابن النجار وأما حديث ابن عمر فلفظه من تبع جنازة حتى يصلى عليها ثم رجع فله قيراط ومن صلى عليها ثم مشى معها حتى يدفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد هكذا رواه الطبراني في الكبير وأما حديث أبي بن كعب فلفظه من تبع جنازة حتى يصلى عليها ويفرغ منها فله قيراطان ومن تبعها حتى يصلى عليها فله قيراط والذى نفسى بيده لهو أثقل فى ميزانه من أحد هكذا رواه أحمد وابن ماجه وأبو عوانة والدارقطنى فى الإفراد والطبراني فى الأوسط والضياء فى المختارة وأما حديث ابن مسعود فلفظه كلفظ حديث ثوبان وهى الرواية الثانية التى تقدم ذكرها .

« **ولما روى أبو هريرة هذا الحديث، وسمعه ابن عمر قال: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة** » (٢٠٥٢) .

والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار .

وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : اغدوا ، فإنا رائحون ، موعظة بليغة، وغفلة سريعة. يذهب الأوّل، والآخر لا عقل له .

وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكى ويقول : والله لا تقر عينى حتى أعلم إلى ما صرت . ولا والله لا أعلم ما دمت حيا .

وقال الأعمش : كنا نشهد الجنائز فلا ندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم . ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال : لو ترحمون أنفسكم ، لكان أولى أنه نجا من أهوال ثلاث : وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن .

وقال ﷺ : « **يتبع الميت ثلاث ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله، وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله** » (٢٠٥٣) .

ومنها : أن يزور قبورهم ، والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب .

(٢٠٥٢) حديث : « لما روى أبو هريرة » رضي الله عنه « هذا الحديث وسمعه ابن عمر » رضي الله عنه « قال » مصدقا له « لقد فرطنا » إذًا « فى قراريط كثيرة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا هو فى صحيح البخارى .

(٢٠٥٣) حديث : قال ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى » معه « عمله » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن المبارك وأحمد والبخارى والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى .

قال ﷺ : « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه »(٢٠٥٤) .

وقال عمر ﵁ : « خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه ، فبكى وبكينا فقال: ما يبكيكم ؟ قلنا : بكينا لبكائك ، قال : هذه آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها، فأذن لي ، واستأذنته في أن استغفر لها ، فأبى على فأدركني ما يدرك الولد من الرقة »(٢٠٥٥) .

وكان عثمان ﵁ إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته ويقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد »(٢٠٥٦) .

(٢٠٥٤) حديث : قال ﷺ : « ما رأيت منظرا » أى منظورا « إلا والقبر أفظع » أى أقبح واشنع «منه» بالنصب وإنما كان كذلك لأنه بيت الدود والوحدة والغربة **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب .اهـ.

وقال مرتضى : ورواه من طريق عبد الله بن يحيي عن هانئ مولى عثمان عن عثمان وتعقب الذهبى الحاكم بأن ابن بحير ليس بعمدة ولكن منهم من يقويه وهانئ روى عنه جمع ولا ذكر له فى الكتب الستة .

قال مرتضى : عبد الله بن بحير بن ريسان أبو وائل القاص الصنعانى وثقه ابن معين واضطرب فيه كلام ابن حبان كذا فى التهذيب وقال فى الكاشف روى عن هانئ مولى عثمان وعنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق وثق .

(٢٠٥٥) حديث : قال عمر بن الخطاب ﵁ : «خرجنا مع رسول الله ﷺ » أى متوجهين إلى مكة حتى إذا كنا بشرف الروحاء « فأتى المقابر فجلس إلى قبر منها » أى عنده « وكنت أدنى القوم منه » أى أقربهم إليه « فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا لبكائك » يا رسول الله « قال هذا قبر» أمى « آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنت فى أن استغفر لها فأبى على» أى لم يأذن لى « فادركنى ما يدرك الولد من الرقة » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك .... الحديث .اهـ.

(٢٠٥٦) حديث : كان عثمان بن عفان ﵁ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفى لفظ حتى تبتل لحيته ، ويقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ولفظ الجماعة فيقال له تذكر الجنة=

وقال مجاهد : « أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي » (٢٠٥٧) .

وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري .

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له في ذلك ، فقال : أجلس إلى قوم يذكرونني معادي ، وإن قمت عنهم لم يغتابوني .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

والنار ولا تبكي وتبكي من هذا فيقول إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول » منزل من « منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه » أي من القبر أي من عذابه ونكاله « فما بعده » من أهوال حشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرهما «أيسر » عليه منه « وإن لم ينج منه» أي من عذابة« فما بعده » مما ذكر« أشد منه » عليه فما يراه الإنسان فيه عنوان ما سيصير إليه **قال العراقي** : رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد كذلك كلهم من طريق عبد الله بن يحيي بن ريسان الصغاني عن هانئ ومولى عثمان عن عثمان وقد تعقبه الذهبي في تلخيصه بالكلام الذي سبق في ابن يحيي قريبا .

(٢٠٥٧) حديث : « أول ما يكلم ابن آدم حفرته» أي قبره « فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي »

قال مرتضى : **أغفله العراقي** وفي العاقبة لعبد الحق عن أبي الحجاج مرفوعا يقول القبر للميت إذا وضع فيه ويحك ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الدود ، وأبو الحجاج هذا هو عبد بن عبد الثمالي له صحبة وحديثه هذا قد رواه الحكيم وأبو يعلى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وبقيته بعد قوله الدود ما غرك بي إذ كنت تمشي .... فرادا فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول إني إذاً أعود عليه خضرا ويعود جسده على نوراً أو تصعد روحه إلى رب العالمين وقال ابن السماك : إن الميت إذا عذب في قبره نادته الموتى أيها المخلف بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع امالنا وأنت في مهلة آمالك .

قال ﷺ : « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه »(٢٠٥٤) .

وقال عمر رضي الله عنه : « خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه ، فبكى وبكينا فقال: ما يبكيكم ؟ قلنا : بكينا لبكائك ، قال : هذه آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها، فأذن لي ، واستأذنته في أن استغفر لها ، فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة »(٢٠٥٥) .

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته ويقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد »(٢٠٥٦) .

(٢٠٥٤) حديث : قال ﷺ : « ما رأيت منظرا » أى منظورا « إلا والقبر أفظع » أى أقبح واشنع «منه» بالنصب وإنما كان كذلك لأنه بيت الدود والوحدة والغربة **قال العراقى :** رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب .اهـ.

وقال مرتضى : وواه من طريق عبد الله بن يحيي عن هانئ مولى عثمان عن عثمان وتعقب الذهبى الحاكم بأن ابن بحير ليس بعمدة ولكن منهم من يقويه وهانئ روى عنه جمع ولا ذكر له فى الكتب الستة .

قال مرتضى : عبد الله بن بحير بن ريسان أبو وائل القاص الصنعانى وثقه ابن معين واضطرب فيه كلام ابن حبان كذا فى التهذيب وقال فى الكاشف روى عن هانئ مولى عثمان وعنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق وثق .

(٢٠٥٥) حديث : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «خرجنا مع رسول الله ﷺ» أى متوجهين إلى مكة حتى إذا كنا بشرف الروحاء « فأتى المقابر فجلس إلى قبر منها » أى عنده « وكنت أدنى القوم منه » أى أقربهم إليه « فبكى وبكينا فقال ما يبكيكم قلنا لبكائك » يا رسول الله « قال هذا قبر» أمى « آمنة بنت وهب استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى فاستأذنت فى أن استغفر لها فأبى على» أى لم يأذن لى « فادركنى ما يدرك الولد من الرقة » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك .... الحديث .اهـ.

(٢٠٥٦) حديث : كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفى لفظ حتى تبتل لحيته ، ويقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ولفظ الجماعة فيقال له تذكر الجنة=

وقال مجاهد : « أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لى » (٢٠٥٧) .

وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أجلس إلى قوم يذكروننى معادى ، وإن قمت عنهم لم يغتابونى .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

= والنار ولا تبكى وتبكى من هذا فيقول إن رسول الله ﷺ قال : « إن القبر أول » منزل من « منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه » أى من القبر أى من عذابه ونكاله « فما بعده» من أهوال حشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرهما «أيسر » عليه منه « وإن لم ينج منه» أى من عذابه« فما بعده » مما ذكر« أشد منه » عليه فما يراه الإنسان فيه عنوان ما سيصير إليه **قال العراقى :** رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد كذلك كلهم من طريق عبد الله بن يحيي بن ريسان الصغانى عن هانئ ومولى عثمان عن عثمان وقد تعقبه الذهبى فى تلخيصه بالكلام الذى سبق فى ابن يحيي قريبا .

(٢٠٥٧) حديث : « أول ما يكلم ابن آدم حفرته» أى قبره « فيقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لى »

قال مرتضى : أغفله العراقى وفى العاقبة لعبد الحق عن أبى الحجاج مرفوعا يقول القبر للميت إذا وضع فيه ويحك ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الدود ، وأبو الحجاج هذا هو عبد بن عبد الثمالى له صحبة وحديثه هذا قد رواه الحكيم وأبو يعلى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وبقيته بعد قوله الدود ما غرك بى إذ كنت تمشى .... فرادا فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول إنى إذًا أعود عليه خضرا ويعود جسده على نورًا أو تصعد روحه إلى رب العالمين وقال ابن السماك : إن الميت إذا عذب فى قبره نادته الموتى أيها المخلف بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى تقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع امالنا وأنت فى مهلة آمالك .

وقال ﷺ : « ما من ليلة إلا وينادي مناد يا أهل القبور من تغبطون ؟ قالوا : نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره » (٢٠٥٨) .

وقال سفيان : من أكثر ذكر القبر، وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا . فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾ (المؤمنون : ٩٩) ، ثم يقول يا ربيع : قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال : يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية . كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم . أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات ، وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى . وقال والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله .

وآداب المعزى خفض الجناح ، وإظهار الحزن ، وقلة الحديث وترك التبسم ، وآداب تشييع الجنازة: لزوم الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتفكر فى الموت والاستعداد له، وأن يمشى أمام الجنازة بقربها، « والإسراع بالجنازة سنة » (٢٠٥٩) .

(٢٠٥٨) حديث : قال ﷺ : « ما من ليلة إلا ينادى مناد يا أهل القبور من تغبطون ؟ فيقولون : نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكر » **قال العراقى :** لم أجد له أصلا .اهـ.

(٢٠٥٩) حديث : « الإسراع بالجنازة سنة » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث أبى هريرة أسرعوا بالجنازة . . . . الحديث .اهـ.

قال مرتضى : وتمامه فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم وكذلك رواه أحمد وأصحاب السنن وقد روى أيضا من حديث ابن عمر وفيه عن أعناقكم بدل عن رقابكم ثم المسنون أن يسرع بالميت وقت المشى بلا خبب وحده بحيث لا يضطرب الميت على الجنازة وعن أبى موسى الأشعرى قال مرت برسول الله ﷺ=

فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا، حيا كان أو ميتا فتهلك ، لأنك لاتدرى لعله خير منك ، وإن كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ، ويختم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم .

فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ، ومهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ، فتصغر فى أعينهم، ثم تحرم دنياهم ، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتعادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم ، فحسبهم جهنم يصلونها ، فما لك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك فى وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة إلا واحدا ، وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك . فيكلك الله إليهم .

ولا تطمع أن يكونوا لك فى الغيب والسر، كما فى العلانية ، فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تطمع فيما فى أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ، ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم ، فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء .

وإذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك .

= جنازة تمخض مخض الزق فقال عليكم بالقصد وعن أبى مسعود قال سألنا نبينا ﷺ عن المشى بالجنازة فقال ما دون الخبب والمستحب أن يسرع بتجهيزه كله .

وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تنصيص على الشخص ، ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك .

واستعذ بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوؤك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم ، ولا تشغل نفسك بالمكافاة، فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعى ،واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا فى قلوبهم .

فالله المحبب والمبغض إلى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ، ويحاسبون على النقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير يتنصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ، ولا يعفون ، يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا، فظاهرهم الملق وإن سخطوا ، فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة ، بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد فتجربه فى عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله فى الدينار والدرهم ، أو تقع فى شدة ، فتحتاج إليه . فإن رضيته فى هذه الأحوال فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخا إن كان مثلك .

فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق .



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات، والمنجيات، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد **محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجي الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٢٩

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

حقوق الجوار

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوّة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة . إذ قال النبى ﷺ : « **الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم ، له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك**» (٢٠٦٠) .

فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار .

وقد قال ﷺ : « **أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما** » (٢٠٦١) .

(٢٠٦٠) حديث : قال النبى ﷺ : « الجيران ثلاثة جار » وفى رواية فجار «له حق واحد » على جاره وهو أدنى الجيران حقا « وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم وأما الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » يعنى الكافر وخص الشرك لغلبته حينئذ وفى رواية الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له حق الجوار وأما الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم وذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم **قال العراقى** : رواه الحسن بن سفيان والبزار فى مسنديهما وأبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية من حديث جابر ورواه ابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الديلمى والطبرانى من حديث جابر وله طرق متصلة ومرسلة وفى الكل مقال وشيخ الطبرانى فيه عبد الله بن محمد الحاذمى وضاع .

(٢٠٦١) حديث : قال ﷺ : « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما » وفى لفظ مؤمنا **قال العراقى** : الحديث بطوله قد تقدم عن أبى الدرداء فى حديث رقم ١٨٤٠ ص ١٦٦٦ وحديث رقم ١٩٢٦ ص ١٧٢٣ .اهـ.

وقال النبي ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت ، أنه سيورثه » (٢٠٦٢) .

وقال ﷺ : « من كان يؤمن بالله ، واليوم والآخر ، فليكرم جاره » (٢٠٦٣) .

(٢٠٦٢) حديث : قال ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » **قال العراقي:** متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر .اهـ.

قال مرتضى: حديث عائشة رواه أيضا أحمد والأربعة ورواه البيهقي في الشعب من طريق الليث عن يحيي بن سعيد عنها بلفظ يورثه وفيه زيادة وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلا أو وقتا إن بلغه عتق وقال هو صحيح على شرط مسلم والبخارى وأما حديث ابن عمر فرواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذي من طريق مجاهد عنه وله سبب سيأتي ذكره قريبا في كلام المصنف وفي الباب عن ابن عمرو وأبي هريرة وجابر وزيد بن ثابت وأبي أمامة وعلي ومحمد بن مسلمة فحديث ابن عمرو رواه أحمد والبخارى في الأدب المفرد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وحديث أبي هريرة رواه أحمد وابن حبان وحديث جابر رواه عبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد وحديث زيد بن ثابت رواه الطبراني في الكبير وحديث أبي أمامة رواه أحمد والطبراني في الكبير وحديث علي رواه الطبراني في الكبير وحديث محمد بن مسلمة رواه الطبراني في الكبير بلفظ حتى كنت أنتظر أن يأمرني بتوريثه .

(٢٠٦٣) حديث : قال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » **قال العراقي :** متفق عليه من حديث أبي شريح .اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا به أحمد بن عمر بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد ابن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيي أخبرنا يوسف بن زكريا أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبر أحمد بن علي الحافظ قال أخبرنا أبو عبد الله بن قوام أخبرنا أبو الحسن بن هلال وأبو الحسن العسقلاني قال أخبرنا أبو إسحاق الواسطي أخبرنا أبو الحسن الطوسي أخبرنا أبو محمد السيدي أخبرنا أبو عثمان البحيري أخبرنا أبو علي السرخسي أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب الزهري أخبرنا مالك عن سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يحيى القطان قال حدثني مالك فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه البخاري وأبو داود والنسائي من حديث مالك وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث عن سعيد .

وقال ﷺ : « لا يؤمن عبد ، حتى يأمن جاره بوائقه » (٢٠٦٤) .

وقال ﷺ : « أول خصمين يوم القيامة ، جاران » (٢٠٦٥) .

وقال ﷺ : « إذا أنت رميت كلب جارك ، فقد آذيته » (٢٠٦٦) .

ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ، ويشتمنى ويضيق على ، فقال : اذهب ، فإن هو عصى الله فيك ، فاطع الله فيه .

وقيل لرسول الله ﷺ : « إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال ﷺ : هى فى النار » (٢٠٦٧) .

وجاء رجل إليه ﷺ يشكو جاره فقال له النبى ﷺ : اصبر ، ثم قال فى الثالثة والرابعة : اطرح متاعك فى الطريق، قال : فجعل الناس يمرون به ويقولون ما لك، فيقال آذاه جاره ، قال : فجعلوا يقولون لعنه الله ، فجاءه جاره فقال له : رد متاعك، فوالله لا أعود» (٢٠٦٨) .

(٢٠٦٤) حديث : قال ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث أبى شريح أيضًا .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن عساكر من طريق أسد بن عبد الله بن يزيد القسرى عن أبيه عن جده رفعه لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره شره وروى ابن النجار من حديث أنس لا يؤمن عبد حتى يكون لسانه وقلبه سواء وحتى يأمن جاره بوائقه ولا يخالف قوله فعله .

(٢٠٦٥) حديث : قال ﷺ : « أول خصمين يوم القيامة جاران » **قال العراقى :** رواه أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف .اهـ.

(٢٠٦٦) حديث : قال ﷺ : « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » **قال العراقى :** لم أجد له أصلا .اهـ.

(٢٠٦٧) حديث : قيل لرسول الله ﷺ : « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها ، فقال » ﷺ : « هى فى النار » **قال العراقى :** رواه أحمد والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح الإسناد .اهـ .

(٢٠٦٨) حديث : « جاء رجل إلى النبى ﷺ يشكو جاره » أنه يؤذيه « فقال » له ﷺ :=

وروى الزهرى أن رجلا أتى النبى ﷺ ، فجعل يشكو جاره فأمر النبى ﷺ أن ينادى على باب المسجد ، « **ألا إن أربعين دارا جار** » (٢٠٦٩) .

قال الزهرى : أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ إلى أربع جهات .

وقال ﷺ : « **اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن، والفرس ، فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها ، وسوء خلقها ، ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه** » (٢٠٧٠) .

= «اصبر» على أذاه « ثم قال له فى الثالثة أو الرابعة اطرح متاعك على الطريق » فذهب فطرح متاعه فى الطريق « قال فجعل الناس يمرون به فيقولون ما لك فيقال أذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال ردّ متاعك والله لا أعود » إلى أذاك **قال العراقى:** رواه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم .اهـ.

(٢٠٦٩) حديث : قال الزهرى بن عبيد الله بن شهاب رحمه الله تعالى: أن رجلا أتى النبى ﷺ يشكو جاره فأمر ﷺ أن ينادى على باب المسجد « ألا أن أربعين دارا جار» قال الزهرى أربعين هكذا وأربعين هكذا وأربعين هكذا وأومأ إلى أربع جهات **قال العراقى:** رواه أبو داود فى المراسيل ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة وقال أربعون ذراعا وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : لفظ أبى داود فى المراسيل قلت له يعنى الزهرى وكيف أربعون دارا جار قال أربعون عن يمينه وعن يساره وعن خلفه وبين يديه وسنده صحيح وقال الحافظ رجاله ثقات وفيه حجة لمذهب الشافعى أنه لو أوصى لجيرانه صرف الأربعين دارا من كل جانب من الجوانب الأربعة وقال أبو حنيفة يصرف إلى الجار الملاصق فقط وروى الديلمى فى مسنده من طريق عبد السلام بن الجنوب عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبي هريرة رفعه بلفظ الجار ستون دارا عن يمينه وستون عن يساره وستون خلفه وستون بين يديه .

(٢٠٧٠) حديث : قال ﷺ : « اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته» **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث ابن عمر الشؤم فى الدار والمرأة=

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى ، فإن الجار أيضا قد كف أذاه ، فليس فى ذلك قضاء حق ، ولا يكفى احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف ، إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ، فيقول: يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى .

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ما قمت إذا بحرمة ظل داره ، أن باعها معدما ، فدفع إليه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره فقيل له : لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر ، فيهرب إلى دور الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسى.

= والفرس وفى رواية له : إن يك من الشؤم شيء حقا وله من حديث سهل بن سعد إن كان ففى الفرس والمرأة والمسكن وللترمذى من حديث حكيم بن معاوية لا شؤم وقد يكون اليمن فى الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فسماه محمد بن معاوية وللطبرانى من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ما سوء الدار قال ضيق ساحتها وخبث جيرانها قيل فما سوء الدابة قال منعها ظهرها وسوء خلقها قيل فما سوء المرأة قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف ورويناه فى كتاب الخيل للدمياطى من رواية سالم بن عبد الله مرسلا إذا كان الفرس ضروبا فهو مشئوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهى مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والإقامة فهى مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه .اهـ.

قال مرتضى : أما حديث سهل بن سعد فقد رواه أيضا مالك وأحمد والبخارى وابن ماجه بلفظ إن كان الشؤم فى شيء الحديث وحديث ابن عمر متفق عليه ورواه كذلك مسلم والنسائى من حديث جابر وفى لفظ لمسلم إن كان فى شيء ففى الربع والخادم والفرس ورواه النسائى من حديث الزهرى عن محمد بن زيد بن قنفذ عن سالم مرسلا وزاد فيه السيف ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده بلفظ لا شؤم فإن يك شؤم ففى الفرس والمرأة والمسكن وأما حديث معاوية بن حكيم عن عمه حكيم بن معاوية النميرى قال البخارى فى صحبته نظر وروى أحمد والحاكم والبيهقى من حديث عائشة إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها .

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ، ويظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في مصب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلامًا ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده في كلمته ، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين .

وقد قال ﷺ : « **أتدرون ما حق الجار : إن استعان بك أعنته وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء عليه فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فادخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك ، إلا أن تغرف له منها ، ثم قال : أتدرون ما حق الجار؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار ، إلا من رحمه الله** » (٢٠٧١) .

هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ .

(٢٠٧١) حديث : قال ﷺ : « أتدرون ما حق الجار » على الجار « إن استعان بك أعنته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه» وفي نسخة جدت « وإن مرض عدته وإن مات اتبعت جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه » وفي نسخة فتحجز أى تمنع عنه « الريح » أو الضوء « إلا بإذنه وإن اشتريت فاكهة فاهد له فإن لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار» بالضم أى ريح « قدرك » أى طعامك الذى تطبخه في القدر « إلا أن تغرف له منها » شيئا وفي رواية أخرى فأصابهم منها بمعروف « أتدرون ما حق الجار والذى نفس محمد بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » هكذا رواه عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن=

قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام إذا سلخت ، فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا ، فقال لـه كم تقول هذا ، فقال إن رسول الله ﷺ : لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه » (٢٠٧٢) .

= عمرو بن العاص أما عمرو فأكثر رواياته عن أبيه وروى أيضا عن الربيع ابن بنت معوّذ وزينب بنت أبى سلمة وطاوس وابن المسيب فى آخرين وعنه عمرو بن دينار وعطاء وداود وابن أبى هند وابن جريج والأوزاعي وخلق كثير ووثقه يحيى بن معين والنسائي واختلف فيه قول يحيى بن سعيد وأحمد وقال أبو داود ليس بحجة وقال ابن عدى رواه عنه أئمة الناس إلا أن أحاديثه عن أبيه عن جده مع احتمالهم إياه لم يدخلوها في صحاح ما خرجوا وقالوا هى صحيفة ،مات بالطائف سنة ثمانى عشرة ومائة وأما والده شعيب فقد روى عن جده عبد الله وابن عمر وابن عباس وغيرهم روى عنه ابناه عمرو وعمر وثابت البنانى وعطاء الخراسانى وغيرهم ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال لا يصح له سماع من عبد الله بن عمرو وقال البخارى وأبو داود والدارقطنى والبيهقى وغيرهم إنه سمع منه وهو الصواب وأما أبوه محمد بن عبد الله فإنه روى عن أبيه وعنه ابنه شعيب وحكيم بن الحارث معا وليس مرادا هنا فإن ضمير عن جده راجع إلى شعيب وهو أقرب مذكور ومن هنا سبب الاختلاف ودخول الشبه فى روايات عمرو وأما جده عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل ابن هاشم بن سعيد بن سهم القرشى فإنه صحابى مشهور وابن صحابى يكنى أبا محمد أسلم قبل أبيه وكان بينه وبين أبيه فى السن اثنتا عشرة سنة عن النبى ﷺ وعن أبيه وعن أبى بكر وعمر وغيرهم وعنه ابنه محمد وحفيده شعيب وأبو أمامة بن سهل وابن المسيب وأبو سلمة وآخرون **وقال العراقى:** رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عدى فى الكامل وهو ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن صيدة عن أبيه عن جده قال سألت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ما حق جارى على قال: حق الجار إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن أعور سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف لـه منها قال الهيثمى فيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف وقال العلائى فيه إسماعيل بن عياش ضعيف لكن ليس العهدة فيه عليه بل على شيخه أبى بكر الهذلى فإنه أحد المتروكين وقال الحافظ هذا الحديث روى بأسانيد واهية لكن اختلاف مخرجيها يشعر بأن للحديث أصلا .

(٢٠٧٢) حديث : قال مجاهد التابعى رحمه الله تعالى : « كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم=

وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى ، من أضحيتك .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : « أوصانى خليلى ﷺ وقال : **إذا طبخت قدرا فاكثر ماءها، ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها** » (٢٠٧٣) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « **قلت : يا رسول الله إن لى جارين أحدهما مقبل على بابه، والآخر ناء ببابه عنى وربما كان الذى عندى لا يسعهما ، فأيهما أعظم حقا فقال: المقبل عليك ببابه**» (٢٠٧٤) .

ورأى الصديق ، ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال : لا تماظ جارك ، فإن هذا يبقى والناس يذهبون .

وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك ، فقلت : الرجل المجاور يأتينى فيشكو غلامى ، أنه أتى إليه أمرا ، والغلام ينكره ، فاكره أن أضربه

= تقول هذا فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى حسبنا أنه سيورثه » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى : وقال حسن غريب .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ أبى داود والترمذى عن مجاهد قال كنا عند ابن عمر عند القسمة وغلامه يسلخ شاة فقال ابدأ بجارنا اليهودى ثم قالها مرة فمرة فقيل له لم تذكر اليهودى فقال سمعت رسول الله ﷺ فذكره .

(٢٠٧٣) حديث : قال أبو ذر الغفارى رضي الله عنه : « أوصانى خليلى » رسول الله « ﷺ » وقال « إذا طبخت» قدرا « فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها ». **قال العراقى** : رواه مسلم .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن أبى شيبة فى المصنف من حديث جابر إذا طبختم اللحم فاكثروا المرق فإنه أوسع وأبلغ للجيران .

(٢٠٧٤) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها: « قلت يا رسول الله » ﷺ « إن لى جارين أحدهما مقبل ببابه والآخر ناء » أى بعيد « ببابه عنى وربما كان الذي عندى لا يسعهما » أى لا يكفيهما «فأيهما أعظم حقا فقال المقبل عليك ببابه » **قال العراقى** : رواه البخارى .اهـ.

ولعله برئ وأكره أن أدعه ، فيجد على جارى ، فكيف أصنع؟ قال : إن غلامك لعله أن يحدث حدثا ، يستوجب فيه الأدب ، فاحفظه عليه ، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث ، فتكون قد أرضيت جارك ، وأدبته على ذلك الحدث .

وهذا تلطف فى الجمع بين الحقين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : **« خلال المكارم عشر ، تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده ، ويقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث، وصدق الناس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء»** (٢٠٧٥) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : **« يا معشر المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة »** (٢٠٧٦) .

(٢٠٧٥) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « خلال المكارم عشرة تكون في الرجل ولا تكون فى ابنه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب صدق الحديث وصدق الباس وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتذمم للجار» أى التعهد وأصله أخذ الإمام وهو ما يذم من العهد على إضاعته « والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء » .

وقال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن العاص لو أن المكارم كانت سهلة لسابقكم إليها اللئام لكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها هكذا رواه الحكيم والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن عائشة موقوفًا وإسناده ضعيف ورواه الدارقطنى والديلمى وابن لال والبيهقى وابن عساكر من طريق أيوب الوزان عن الوليد بن مسلم عن ثابت عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعا قال البيهقى وهو بالموقوف أشبه وقال ابن الجوزى حديث لا يصح ولعله من كلام بعض السلف وثابت بن يزيد ضعيف وقال الحاكم مجهول .

(٢٠٧٦) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » **قال العراقى** : رواه البخارى .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد والشيخان من حديثه وفى رواية إحداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق وهكذا رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث خولة .

وقال ﷺ : « إن من سعادة المرء المسلم ، المسكن الواسع والجار الصالح ، والمركب الهنئ » (٢٠٧٧) .

وقال عبد الله ﷺ : « قال رجل يا رسول الله ، كيف لى أن اعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت ، فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت ، فقد أسأت » (٢٠٧٨) .

وقال جابر ﷺ : قال النبى ﷺ : « من كان له جار فى حائط ، أو شريك ، فلا يبعه حتى يعرضه عليه » (٢٠٧٩) .

(٢٠٧٧) حديث : قال ﷺ : « إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنى» **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبى وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد . اهـ.

قال مرتضى : وحديث سعد أخرجه الطيالسى من طريق إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده بلفظ سعادة لابن آدم ثلاث وشقاوة لابن آدم ثلاث فمن سعادة ابن آدم الزوجة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الواسع ومن شقاوة ابن آدم المسكن السوء والمرأة السوء والمركب السوء .

(٢٠٧٨) حديث : قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « قال رجل يا رسول الله كيف لى أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت ؟ قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت » وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا ابن ماجه وابن حبان ورجاله رجال مسلم ورواه ابن ماجه أيضا من حديث كلثوم الخزاعى .

(٢٠٧٩) حديث : قال جابر ﷺ : قال ﷺ : «من كان له جار فى حائط» أى مزرعة أو بستان «أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه » **قال العراقى** : رواه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظ المصنف ولابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح .اهـ.

قال مرتضى : الحديث الذى ليس فيه ذكر الجار قد رواه أيضا عبد الرزاق فى المصنف=

وقــال أبو هريرة ﷺ : « قـضى رسول الله ﷺ أن الجـار يضع جذعـه ، في حائط جاره شاء أم أبى » (٢٠٨٠) .

وقال ابن عبـاس ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا يمنعن أحـدكم جـاره ، أن يضع خشبه في جداره » (٢٠٨١) .

وكان أبو هريـرة ﷺ يقول : « ما لى أراكم عنهـا معرضين ، والله لأرمـينها بين أكتافكم » (٢٠٨٢) .

وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك .

وقال ﷺ : « من أراد الله به خيرا عسله ، قيل : ومـا عسله ؟ قال : يحببه إلى جيرانه » (٢٠٨٣) .

= ومسلم وابن حبان ولفظه من كان له شريك في حائط فـلا يبع نصيبه من ذلك حتى يعرضه على شريكه فـإن رضى أخذ وإن كره ترك ولفـظ ابن ماجه من كـانت له نخل أو أرض فلا يبعها حتى يعرضها على شريكه وأما حديث ابن عباس فقد رواه أيضا الطبراني في الكبير .

(٢٠٨٠) حديــث : قال أبو هريرة ﷺ : « قـضى رسول الله ﷺ أن الجـار يضع جذعـه » وفى نسخة جذوعه « فى حائط جـاره » إن احتاج لذلك « شاء » الجار ذلك « أم أبى » أى امتنع **قـال العـراقى:** رواه الخرائطي في مكارم الأخـلاق هكذا وهو متفق علـيه بلفظ : لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبه فى جداره وهو الحديث الذى بعده .اهـ.

(٢٠٨١) حديث : قال ابن عباس ﷺ : قـال رسول الله ﷺ : « لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبــه فى حائطه » **قال العـراقى :** رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف واتـفق عليه الشيخان من حديث أبى هريرة وبلفظ يغرز بدل يضع، وجداره بدل حائطه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا الخرائطي في مساوئ الأخلاق والبيهقى ولفظهما على حائطه بزيادة فى آخره وإذا اختلفتم فى الطريق الميتاء فاجعلوها سبعة أذرع وعند الطبرانى فى الكبير بلفظ لا يمنعن أحدكم أخاه المؤمن خشبا يضعه على جداره .

(٢٠٨٢) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : « مالى أراكم عنها معرضين والله لارمينها بين اكتافكم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البخارى فى الصحيح .

(٢٠٨٣) حديث : قال ﷺ : « من أراد الله به خـيرا عسله » . **قال العـراقى :** رواه أحمـد من=

حقوق الأقارب والرحم

قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا الرحمن وهذه الرحم ، شققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته**» (٢٠٨٤) .

وقال ﷺ : « **من سره أن ينسأ له في أثره ، ويوسع عليه في رزقه ، فليصل رحمه**» (٢٠٨٥) .

= حديث أبى عنبسة الخولانى ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الزهد من حديث عمرو بن الحمق زاد الخرائطى قيل وما عسله قال حببه إلى جيرانه وقال البيهقى يفتح له عملا صالحًا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .اهـ.

(٢٠٨٤) حديث : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله » تعالى « أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته» أى قطعته **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحكيم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ يقول الله تعالى أنا الرحمن وهى الرحم جعلت لها شجنة منى من وصلها وصلته ومن قطعها بتته إلى يوم القيامة لسان ذلق ، ويروى قال الله تعالى : أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن بتها بتته هكذا رواه أحمد وابن أبى شيبة فى المصنف والبخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى وقال صحيح والبغوى وابن حبان والحاكم والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن عوف ورواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق والخطيب من حديث أبى هريرة ورواه الحكيم من حديث ابن عباس بلفظ: قال الله تبارك وتعالى للرحم خلقتك بيدى وشققت لك من اسمى وقربت مكانك منى وعزتى وجلالي لاصلن من وصلك ولاقطعن من قطعك ولا أرضى حتى ترضين ، واعلم أن أقسام القرابة **ثلاثة** :

الأول : ذو رحم غير محرم كأولاد الأعمام والعمات وأولاد الأخوال والخالات .

الثانى : محرم غير ذى رحم كالأمهات والأخوات والعمات والخالات من الرضاعة والزوجة وموطوأة الأب وحليلة الابن .

الثالث : ذو رحم محرم ما سوى القسمين المذكورين .

(٢٠٨٥) حديث : قال ﷺ : « من سره أن ينسأ له » أى يؤخر « فى أثره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليتق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث على بإسناد جيد .اهـ. =

وفى رواية أخرى : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، فليتق الله وليصل رحمه» .

وقيل لرسول الله ﷺ : « أى الناس أفضل؟ ، قال : أتقاهم لله ، وأوصلهم لرحمه ، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر» (٢٠٨٦) .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : « أوصانى خليلى ﷺ بصلة الرحم، وإن أدبرت ، وأمرنى أن أقول الحق ، وإن كان مرا» (٢٠٨٧) .

وقال ﷺ : « إن الرحم ، معلقة بالعرش ، وليس الواصل المكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها » (٢٠٨٨) .

= **قال مرتضى** : حديث أنس رواه أيضا أبو داود ولفظه من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه وكذلك رواه أحمد ومسلم من حديث أبى هريرة وعند أحمد وأبى داود والنسائى من حديث أنس من سره أن يعظم الله رزقه وأن يمد فى أجله فليصل رحمه ويروى من سره النساء فى الأجل والزيادة فى الرزق فليصل رحمه هكذا رواه أحمد والضياء فى المختارة من حديث ثوبان وفى رواية من سره أن تطول أيام حياته ويزاد فى رزقه فليصل رحمه كذا رواه ابن جرير والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس أما حديث على فلفظه من سره أن يمد الله له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه منية السوء فليتق الله وليصل رحمه هكذا رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن جرير وصححه والخرائطى في مكارم الأخلاق والطبرانى فى الأوسط وابن النجار .

(٢٠٨٦) حديث : سئل رسول الله ﷺ : « أى الناس أفضل ؟ فقال : اتقاهم لله وأوصلهم للرحم » **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى من حديث درة بنت أبى لهب بإسناد حسن . اهـ.

(٢٠٨٧) حديث : قال أبو ذر رضي الله عنه : « أوصانى خليلى » رسول الله « ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرنى أن أقول الحق وإن كان مراً » **قال العراقى** : رواه أحمد وابن حبان وصححه . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر قال: قل الحق وإن كان مرا . . . . الحديث .

(٢٠٨٨) حديث : قال ﷺ : « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » **قال العراقى** : رواه الطبرانى والبيهقى من=

وقـال ﷺ : « إن أعـجل الطاعـة ثوابا ، صلة الرحم ، حتى أن أهل البيت ليكونوا فجارا ، فتنمو أموالهم ويكثر عددهم ، إذا وصلوا أرحامهم » (٢٠٨٩) .

وقال زيد بن أسلم ﷺ : « لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ، عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم ، فعليك ببنى مدلج ، فقال ﷺ : إن الله قد منعنى من بنى مدلج ، بصلتهم الرحم » (٢٠٩٠) .

وقالت أسماء بنت أبى بكر ﷺ : « قدمت على أمى، فقلت : يا رسول الله إن أمى قدمت على وهى مشركة، أفأصلها ؟ قال : نعم » (٢٠٩١) . وفى رواية : أفأعطيها؟ قال: نعم صليها .

= حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخارى دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وعند أحمد والطبرانى فى حديث ابن عمرو : الرحم شجنة معلقة بالعرش ولفظ مسلم من حديث عائشة الرحم شجنة من الرحمن قال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وعند البخارى من حديث أبى هريرة وعائشة الرحم شجنة من الرحمن قال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وأما قوله ليس الواصل .... الخ فكذلك رواه أبو داود والترمذى وابن حبان من حديث ابن عمرو ورواه أيضا ابن النجار من حديث أنس .

(٢٠٨٩) حديث : قال ﷺ : « أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجاراً فتنمى » أى تزداد « أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم » **قال العراقى** : رواه ابن حبان من حديث أبى بكرة والخرائطى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف .اهـ.

(٢٠٩٠) حديث : قال زيد بن أسلم ﷺ : « لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببنى مدلج » وهى قبيلة من العرب «فقال» ﷺ « إن الله منعنى من بنى مدلج بصلتهم الرحم » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم فى لبات الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد .اهـ.

قال مرتضى : وبخط الحافظ ابن حجر هو فى غريب الحديث لأبى عبيد وقال الذى يراد من هذا الحديث أن الصدقة والصلة يدفعان ميتة السوء والمكاره .

(٢٠٩١) حديث : قالت أسماء بنت أبى بكر ﷺ : « قدمت على أمى فقلت : يا رسول الله قدمت=

وقال ﷺ : « الصدقة على المساكين صدقة ، وعلى ذى الرحم ثنتان»(٢٠٩٢) .

« ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه ، عملا بقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران : ٩٢) قال : يا رسول الله هو فى سبيل الله ، وللفقراء والمساكين ، فقال ﷺ : وجب أجرك على الله فاقسمه فى أقاربك » (٢٠٩٣) .

وقال ﷺ : « أفضل الصدقة ، على ذى الرحم الكاشح » (٢٠٩٤) .

= على أمي وهى مشركة أفأصلها ؟ قال : نعم صليها » وفى رواية أفأعطيها ؟ قال : نعم **قال العراقى** : متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه النسائى وفى رواية فاستأذنت رسول الله ﷺ فقال صلى أمك .

(٢٠٩٢) حديث : قال ﷺ : « الصدقة على المسكين » الأجانب « صدقة » فقط « وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » **قال العراقى** : رواه الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان وصححوه وأقر الذهبى تصحيح الحاكم ولفظهم الصدقة على المسكين صدقة وهى على ذى الرحم اثنتان صدقة وصلة.

(٢٠٩٣) حديث : « لما أراد أبو طلحة » زيد بن سهل الأنصارى « أن يتصدق بحائط » نخل «له كان يعجبه عملا بقوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال : يا رسول الله هو فى سبيل الله والفقراء والمساكين ، فقال ﷺ : وجب أجرك فاقسمه فى أقاربك » **قال العراقى**: أخرجه البخاري وقد تقدم في كتاب الزكاة فى حديث رقم ٦٩٢ ص ٧٤٧ .اهـ.

(٢٠٩٤) حديث : قال ﷺ : « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » وهو الذي يضمر العداوة ويطوى عليها كشحه **قال العراقى** : رواه أحمد والطبرانى من حديث أبى أيوب وفيه الحجاج بن ارطأة ورواه البيهقى من حديث أم كلثوم بنت عقبة .اهـ.

قال مرتضى : والحجاج بن ارطأة حاله معروف ورواه عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند وابن شاهين والطبرانى فى الكبير وابن منده وابن الأثير كلهم من طريق سفيان بن حسين عن الزهرى عن أيوب بن بشير عن حكيم بن حزام قال الحافظ فى الإصابة وهو معلول ووجد فى نسخ الجامع للجلال عز وحديث حكيم بن حزام إلى تخريج أحمد والطبرانى وقال الهيثمى إن سنده حسن وعن ابن طاهر أنه صحيح وأقره الحافظ وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى وأخرجه=

وهو فى معنى قوله ﷺ : « **أفضل الفضائل، أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك، وتصفح عمن ظلمك** » (٢٠٩٥) .

وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

وإنما قال ذلك ، لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم.

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى ، أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم ، فأخص الأرحام وأمسها الولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيها .

وقد قال ﷺ : «**لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه**» (٢٠٩٦) .

= الطبرانى فى الكبير والحاكم من حديث أم كلثوم ورجال الطبرانى رجال الصحيح قاله الهيثمى وقال الحاكم هو على شرط مسلم وأقره الذهبى .

(٢٠٩٥) حديث : قال ﷺ : « أفضل الفضائل » جمع فضيلة وهى الخصلة الجميلة « أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك » أى منعك « وتصفح عمن ظلمك » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة وقد تقدم في حديث رقم ١٧٦٤ ص ١٥٩٥ .اهـ.

قال مرتضى : رواه كذلك الطبرانى فى الكبير قال المنذرى فيه زبان بن فائد وهو ضعيف.

قال مرتضى: وسهل بن معاذ راويه ضعفه ابن معين .

(٢٠٩٦) حديث: قال ﷺ : « لن يجزى ولد والده » وفى لفظ لا يجزى ولد والداً والمعنى لا يكافئه باحسانه وقضاء حقه والأم مثله بطريق الأولي ومثلهما الأجداد والجدات من النسب «حتى يجده» وفى لفظ إلا أن يجده « مملوكا فيشتريه فيعتقه » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : رواه فى العتق بلفظ لا يجزى ورواه البخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وقال التقى السبكى فى النظر المصيب فى عتق القريب وقد روي القول بأن من ملك ذا رحم محرم فهو حر عن عمر بن الخطاب نقله ابن حزم عنه وحكاه غيره عن ابن شبرمة والحسن وجابر بن زيد وإبراهيم النخعي وعطاء والحكم وحماد وقتادة والزهرى والليث والثورى والحسن بن صالح .

وقد قال ﷺ : « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة، والجهاد في سبيل الله » (٢٠٩٧) .

وقد قال ﷺ : « من أصبح مرضيا لأبويه ، أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك ، وإن كان واحداً فواحدٌ ، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما ، ومن أصبح مسخطا لأبويه ، أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى مثل ذلك ، وإن كان واحداً فواحدٌ ، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما » (٢٠٩٨) .

(٢٠٩٧) حديث : قال ﷺ : « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد » في سبيل الله تعالى **قال العراقي** : لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله ﷺ فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد وإسناده حسن .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الطبراني في الأوسط هل بقي أحد من والديك قال أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد وإذا رضيت عليك أمك فاتق الله وبرها وفي المصنف لابن أبي شيبة عن الحسن مرسلا بر الوالدين يجزى عن الجهاد .

(٢٠٩٨) حديث : قال ﷺ : « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة» وفي رواية من الجنة « ومن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحد » وفي رواية فواحدا أي فكان الباب المفتوح واحدا « ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار » وفي رواية من النار « ومن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحد » وفي رواية فواحدا « قال رجل وإن ظلما قال : وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما » قال الطيبي أراد بالظلم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية **قال العراقي** : رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن عساكر في التاريخ قال في اللسان رجاله ثقات أثبات غير عبد الله بن يحيى السرخسي فقد اتهمه ابن عدي بالكذب ولفظه من أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحداً فواحداً ومن أمسى عاصيا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحداً فواحداً قال رجل وإن ظلماه قال وإن ظلماه وإن ظلماه ورواه الديلمي أيضا من حديثه وهو في الإفراد للدارقطني من حديث زيد بن أرقم بلفظ من أصبح والداه راضيين عنه أصبح وله بابان مفتوحان من الجنة ومن أمسى ووالداه راضيين عنه أمسى وله بابان مفتوحان من الجنة ومن أصبح ساخطين عليه=

وقال ﷺ : « إن الجنة يوجد ريحها ، من مسيرة خمسمائة عام ، ولا يجد ريحها عاق ، ولا قاطع رحم » (٢٠٩٩) .

وقال ﷺ : « بر أمك وأباك وأختك وأخاك ، ثم أدناك فأدناك » (٢١٠٠) .

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : يا موسى إنه من بر والديه وعقنى، كتبته بارا ، ومن برنى وعق والديه ، كتبته عاقا .

وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام : لم يقم له، فأوحى الله إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك ، وعزتى وجلالى لا أخرجت من صلبك نبيا .

= أصبح له بابان مفتوحان من النار ومن أمسى ساخطين عليه أمسى له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحداً فواحد فقيل وإن ظلماه قال وإن ظلماه وإن ظلماه .

(٢٠٩٩) حديث : قال ﷺ : « إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق » أى لوالديه « ولا قاطع رحم » **قال العراقى** : رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أبى هريرة دون ذكر القاطع وهى فى الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسنادهما ضعيف . اهـ.

(٢١٠٠) حديث : قال ﷺ : « بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك ». **قال العراقى** : رواه النسائى من حديث طارق المحاربى وأحمد والحاكم من حديث أبى رمثة ولأبى داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده وله وللترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ البخارى جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال : أمك ، قال ثم من؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من؟ قال : أبوك ، هكذا رواه من طريق أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة وأخرجه ابن ماجه بنحوه وأما حديث كليب بن منفعة فلفظه عند أبى داود أنه أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله من أبر قال أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذى يلى ذلك حق واجب ورحم موصولة ذكره البخارى فى تاريخه الكبير تعليقا وقال ابن أبى حاتم كليب بن منفعة قال أتي جدى النبى ﷺ فقال من أبر ، مرسل .

وقال ﷺ : « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة ، أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين ، فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما ، من غير أن ينقص من أجورهما شيء» (٢١٠١) .

وقال مالك بن ربيعة رضي الله عنه : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله هل بقي على من بر أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما » (٢١٠٢) .

وقال ﷺ : « إن من أبر البر ، أن يصل الرجل أهل ود أبيه ، بعد أن يولى الأب » (٢١٠٣) .

(٢١٠١) حديث : قال ﷺ : « ما على أحد » وفي رواية ما على أحدكم يقال لمن أهمل شيئا أي غفل عنه أو قصر فيه ما عليه لو فعل كذا ولو كان كذا أي أي شيء يلحقه من الضرر أو العيب أو العار ونحو ذلك لو فعل كذا فكأنه استفهام يتضمن تنبيها وتوبيخا « إذا أراد أن يتصدق بصدقة » وفي رواية أن يتصدق لله صدقة تطوعا « أن يجعلها لوالديه » أي أصليه وإن عليا وفي رواية عن والديه « إذا كانا مسلمين » خرج الكافران « فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء » وفي رواية بعد أن لا ينقص من أجورهما شيئا **قال العراقي:** رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين. اهـ.

قال مرتضى : وقد أخرجه ابن عساكر وابن النجار في تاريخهما بلفظ المصنف .

(٢١٠٢) حديث : قال مالك بن ربيعة رضي الله عنه : « بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذا جاءه رجل من بني سلمة فقال :» يا رسول الله « هل بقي على من بر أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: نعم ، الصلاة عليهما » أي الدعاء لهما «والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما» من بعدهما هو أن يكون بينهما وبين أحد عهد في معونة وبر ولم يتمكنا من ذلك حتى ماتا فيقوم الولد به بعدهما « وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما» **قال العراقي:** رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد. اهـ.

قال مرتضى : لكن في سياق أبي داود تأخير قوله وإكرام صديقهما بعد قوله ولا توصل إلا بهما .

(٢١٠٣) حديث : قال ﷺ : « إن من أبر البر » وفي رواية إن أبر البر أي الإحسان « أن يصل=

وقال ﷺ : « **بر الوالدة ، على الولد ضعفان**» (٢١٠٤) .

وقال ﷺ : « **دعوة الوالدة أسرع إجابة ، قيل : يا رسول الله ولم ذاك ؟ قال: هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط**» (٢١٠٥) .

« **وسأله رجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ فقال : بر والديك ، فقال : ليس لى والدان فقال : بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق**» (٢١٠٦) .

وقال ﷺ : « **رحم الله والدًا أعان ولده على بره**» (٢١٠٧) .

= الرجل أهل ود أبيه » بضم الواو بمعنى المودة بعد أن يولى الأب أى يدبر بموت أو سفر **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث ابن عمر .اهـ.

قال مرتضى : لفظ أبى داود إن أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن يولى وأخرجه كذلك أحمد والترمذى قالوا مر بابن عمر أعرابى وهو راكب حمارا فقال الست ابن فلان قال: بلى فاعطاه حماره وعمامته فقيل له فيه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره وفى رواية لمسلم عنه أعطاه حمارا كان يركبه وعمامة كانت على رأسه فقالوا له أصلحك الله إنهم الإعراب وإنهم يرضون باليسير فقال إن أبا هذا كان ودا لعمر وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره واخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس فى البر أن تصل صديق أبيك .

(٢١٠٤) حديث : قال ﷺ : « بر الوالدة علي الولد ضعفان » **قال العراقى :** غريب بهذا اللفظ وقد تقدم في حديث ٢١٠٠ ص ١٨١٠ أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبى هريرة وهو معنى هذا الحديث.

(٢١٠٥) حديث : قال ﷺ : « الوالدة أسرع إجابة ، قيل : يا رسول الله ولم ذلك ؟ قال : هى أرحم من الأب ، ودعوة الرحيم لا تسقط » **قال العراقى :** لم أقف له على أصل .اهـ.

(٢١٠٦) حديث : « قال رجل يا رسول الله ﷺ من أبر قال : بر والديك فقال ليس لى والدان فقال ولدك فكما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق » **قال العراقى :** رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لوالديك. . . .إلخ وهذه القطعة رواها الطبرانى من حديث ابن عمر قال الدارقطنى فى العلل إن الأصح وقفه على ابن عمر .اهـ.

(٢١٠٧) حديث : قال ﷺ : « رحم الله والدا أعان ولده على بره » بتوفية ماله عليه من الحقوق=

أى لم يحمله ، على العقوق بسوء عمله .

وقال ﷺ : « **ساووا بين أولادكم فى العطية** » (٢١٠٨) .

وقد قيل ولدك ريحانتك ، تشمها سبعا وخادمك سبعا ، ثم هو عدوّك أو شريكك .

وقال أنس رضي الله عنه : قال النبى ﷺ : « **الغلام يعق عنه يوم السابع ، ويسمى ويماط عنه الأذى ، فإذا بلغ ست سنين ، عزل فراشه ، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة، ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة ،زوّجه أبوه ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة** » (٢١٠٩) .

= **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث على بن أبى طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه النوقانى من رواية الشعبى مرسلا . اهـ.

(٢١٠٨) حديث : « ساووا بين أولادكم فى العطية » .

قال مرتضى : هكذا وجد هذا الحديث فى بعض النسخ وليس هو فى كثير من النسخ **ولا فى نسخة العراقى** ، وقد رواه الطبرانى فى الكبير وابن عساكر فى تاريخهما من حديث ابن عباس بزيادة فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء .

(٢١٠٩) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « الغلام يعق عنه يوم السابع» من ولادته وسيأتى الكلام عليه قريبا يقال عق عن ولده عقا إذا ذبح العقيقة وهى الشاة تذبح يوم الأسبوع « ويسمى » فيه « ويماط عنه الأذى » أى يزال بأن يغسل بدنه ويزال شعر رأسه « فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه» وفى رواية عشراً أى جعل له فراش على حدة «فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم» أى على تركهما «فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة » **قال العراقى**: رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوّجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفى إسناده من لم يسم . اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده رفعه مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها وأخرج الدارقطنى والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس مروهم بالصلاة=

وقال ﷺ : « **من حق الولد على الوالد، أن يحسن أدبه ويحسن اسمه** » (٢١١٠) .

وقال ﷺ : « **كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه** »(٢١١١) .

= لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي والخطيب والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع .

(٢١١٠) حديث : قال ﷺ : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه» . **قال العراقي** : رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضعفهما .اهـ.

قال مرتضى : حديث ابن عباس لفظه قالوا يا رسول الله قد علمنا حق الوالد على الولد فما حق الولد على والده فذكره ثم قال البيهقي محمد بن الفضل بن عطية أى أحد رواته ضعيف بمرة لا يحتج بما انفرد به .اهـ. وقال الذهبي : تركوه واتهمه بعضهم أى بالوضع وفيه أيضا محمد بن عيسى المدائني قال الدارقطني ضعيف متروك وقيل كان مغفلاً وأما حديث عائشة فلفظه حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه وفيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف وفي الباب عن أبي هريرة وأبي رافع أما حديث أبي رافع فلفظه حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبا وفي رواية وأن لا يورثه برزقه إلا طيبا رواه الحكيم وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي وإسناده ضعيف ورواه ابن السني بلفظ أن يعلمه كتاب الله وأما حديث أبي هريرة فلفظه حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويزوّجه إذا أدرك ويعلمه الكتاب رواه أبو نعيم في الحلية والديلمي في مسند الفردوس إلا أن الأخير قال الصلاة بدل الكتاب .

(٢١١١) حديث : قال ﷺ : « كل غلام » أى مولود ذكرا كان أو أنثى « رهين أو رهينة بعقيقته » أى هي لازمة له فشبهه في عدم انفكاكه منها بالرهن في يد مرتهنه يعني إذا لم يعق عنه فمات طفلا لا يشفع في أبويه كذا نقله الخطابي عن أحمد واستجوده وذكره ابن الجوزي في الكشف عن مشكل الصحيحين « تذبح يوم السابع ويحلق رأسه » **قال العراقي** : رواه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذي حسن صحيح .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي وأعله بعضهم أنه من رواية الحسن عن سمرة ولم يثبت سماعه منه قال عبد الحق في الأحكام سماع الحسن عن سمرة لا يصح إلا في حديث العقيقة وقال غيره إن حديث الحسن عن سمرة كله كتاب إلا حديث العقيقة قال التقي السبكي في النظر المصيب قد صحح الترمذي عدة أحاديث من رواية الحسن عن سمرة ولا ينازع فيها ولكن سماعه منه لحديث العقيقة وغيره مختلف فيه، على بن المديني=

وقال قتادة : إذا ذبحت العقيقة ، أخذت صوفة منها ، فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى ، حتى يسيل منه مثل الخيط ، ثم يغسل رأسه ، ويحلق بعد .

وجاء رجل إلي عبد الله بن المبارك ، فشكا إليه بعض ولده فقال : هل دعوت عليه قال : نعم ، قال : أنت أفسدته .

ويستحب الرفق بالولد .

= يثبته ويحتج بحديث العقيقة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ينكرانه وهؤلاء كبار أحمد ويحيى فى طرف الإنكار وعلى فى طرف الإثبات والبخارى إنما قال فى كتابه حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا قريش بن أنس عن حبيب بن الشهيد قال أمرنى ابن سيرين أن أسال الحسن ممن سمع حديث العقيقة فسألته فقال عن سمرة بن جندب وهذا مجرد تاريخ نقله البخارى فلا يلزم أن يكون له ما شرطه على نفسه من شرط الصحيح فى كتابه من الحديث وإن كان أصحاب الأطراف ذكروه في الأحاديث وقال الترمذى أخبرنى محمد بن إسماعيل عن على بن عبد الله عن قريش بن أنس بهذا الحديث وقال محمد قال على وسماع الحسن من سمرة صحيح واحتج بهذا الحديث وهذا الكلام من البخارى الآخر مجرد تاريخ وتحديثه للترمذى بالحديث فى خارج الصحيح ولم يخرجه فى الصحيح فتركه إخراجه فى كتابه يدل على أنه ليس من شرطه فرجع الحال إلى أن المثبت لسماع الحسن من سمرة هو على بن المدينى وناهيك به نبلا وجلالة وحفظا واتقانا وعلما وكل شئ وفى مقابلته أحمد وابن معين فرأيت فى العلل للأثرم أنه ذكر لأبى عبد الله عن على أنه يصحح سماع الحسن من سمرة ويحتج بحديث حبيب بن الشهيد فقال ذاك إنما هو عن ذاك الشيخ قريش يقول هذا كالمستضعف لحديثه وقال ما أرى ذاك بشىء وأما يحيى فروى له أبو قلابة عبد الملك بن محمد عن قريش حديث العقيقة فقال أبو قلابة سمعت يحيى يقول لم يسمع الحسن من سمرة قال فقلت .... من .... على قريش بن أنس أو على حبيب بن الشهيد فسكت وسكوت يحيى عن جوابه لا يدل على شىء ولو كان أبو قلابة انفرد عن قريش لقلنا إنه كان عند اختلاط قريش صغيرا ومثله لا يضبط لكن على بن المدينى قد سمع من قريش وكذلك أبو موسى الزمن وهارون والحمل فى ذلك على قريش وإن كان ثقة متفقا عليه لكنه تغير واختلط قبل موته بست سنين فلا يجوز الاحتجاج بحديثه فيما انفرد فأما ما وافق فيه الثقات فهو المعتبر فهذا ما وقفنا عليه من الاختلاف فى سماع الحسن من سمرة فما وجدنا الأقدمين قد صححوه منه وليس ذلك إلا فى الترمذى علمنا على أنهم اطلعوا على موافقة غيره له وما لا فليس كذلك فيتوقف فيه وبما ذكرناه ظهر أنه ليس لنا أن نحكم بكل حديث ورد لنا عن الحسن عن سمرة بالصحة وظهر أن البخارى لم يصحح حديث العقيقة ولم يوجد منه ما يدل على أن قريش بن أنس من شرطه والله أعلم .

« رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال : إن لى عشرة من الولد ، ما قبلت واحدا منهم ، فقال ﷺ : إن من لا يَرحم لا يُرحم»(٢١١٢) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « قال لى رسول الله ﷺ يوما : اغسلى وجه أسامة، فجعلت أغسله وأنا آنفة ، فضرب يدى ، ثم أخذه فغسل وجهه ، ثم قبله ، ثم قال: قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢١١٣) .

« وتعثر الحسن والنبى ﷺ على منبره ، فنزل ، فحمله وقرأ قوله تعالى :
﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ (الأنفال : ٢٨) » (٢١١٤) .

(٢٠١٢) حديث : « رأى الأقرع بن حابس » التميمى من المؤلفة قلوبهم « النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال » الأقرع « إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم » فنظرإليه « فقال من لا يرحم لا يرحم » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد ومسلم والترمذى ورواه ابن ماجه من حديث جرير وكلهم اقتصروا على القطعة الأخيرة منه ورواه البخاري أيضا فى الأدب المفرد بتمامه .

(٢١١٣) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها: « قال لى رسول الله ﷺ يوما : اغسلى وجه أسامة » هو ابن زيد بن حارثة بن شراحيل القضاعى حب رسول الله وابن حب رسول الله «فجعلت أغسله وأنا أنفة » يقال أنف من كذا إذا استكبر أو استحى وفى نسخة وأنا أتقيه أى أتحذره « فضرب بيدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » **قال العراقى** : لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى ﷺ يمصه ويقول لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح .اهـ.

قال مرتضى : ما أورده المصنف نقله الذهبى فى ترجمة أسامة في كتابه سير النبلاء عن مجالد عن الشعبى عن عائشة بلفظ أتم منه فدل على أن للحديث أصلا هكذا وجدته بهامش المغنى وبخط الحافظ ابن حجر أخرجه ابن سعد من الوجه الذى أخرجه أحمد وزاد فقال يا عائشة أميطى عنه فتقذرته .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه من هذا الوجه ابن أبى شيبة فى المصنف وابن ماجه والبيهقى .

(٢١١٤) حديث : « عثر الحسين » بن على رضي الله عنهما وفى رواية دخل الحسن وفى أخرى الحسين وفى أخرى تعثر الحسن «وهو على منبره ﷺ» وفى نسخة والنبى ﷺ على منبره « فنزل فحمله=

وقال عبد الله بن شداد رضي الله عنه : « بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس ، إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فاطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر ، فلما قضى صلاته ، قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، فقال : إن ابني قد ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته» (٢١١٥) .

وفي ذلك فوائد إحداها : القرب من الله تعالى ، فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى ، إذا كان ساجدا ، وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته .

وقال ﷺ : « ريح الولد من ريح الجنة» (٢١١٦) .

= وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ » **قال العراقي** : رواه أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معًا يمشيان ويعثران قال الترمذي : حسن غريب . اهـ.

(٢١١٥) حديث : قال عبد الله بن شداد رضي الله عنه : «بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاء الحسن» ابن علي رضي الله عنه « فركب عنقه » وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى ﷺ صلاته قالوا قد أطلت السجود حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : كل ذلك لم يكن إن ابني كان قد ارتحلني » أي ركبني كما تركب الراحلة « فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته **قال العراقي** : رواه النسائي من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد والبغوي والطبراني في الكبير والضياء عنه عن أبيه أن النبي ﷺ صلى فسجد فركبه الحسن فاطال السجود فقالوا يا رسول الله سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحي إليك فقال كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني والباقي سواء قال البغوي وليس لشداد مسند غيره وقد ظهر بما تقدم أن هذا من مسند شداد لا ابنه عبد الله فتعين أن يزاد عن أبيه .

(٢١١٦) حديث : قال ﷺ : « ريح الولد من ريح الجنة » أي تشم منه رائحة الجنة لا تشبه بروائح الدنيا ومنه الخبر الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة ومنه قيل لعلي رضي الله عنه أبا الريحانتين **قال العراقي** : رواه الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن علي ضعيف . اهـ.

قال مرتضى : ورواه البيهقي أيضا في الشعب من هذا الطريق وفي الأوسط شيخ الطبراني محمد بن عثمان بن سعيد ضعيف أيضا .

وقال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس ، فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فاعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا ، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك ، فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد ، فلما خرج الأحنف من عنده ، رضى عن يزيد ، وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب ، فارسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، فقاسمه إياها على الشطر .

فهذه هى الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين ، وكيفية القيام بحقهما ، تعرف مما ذكرناه فى حق الأخوّة ، فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة ، بل يزيد ههنا **أمران** :

أحدهما : أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات، وإن لم تجب فى الحرام المحض ، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام ، فعليك أن تأكل معهما ، لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم .

وكذلك : ليس لك أن تسافر فى مباح أو نافلة إلا بإذنهما ، والمبادرة إلى الحج الذى هو فرض الإسلام ، نفل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل ، إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام ، فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين.

قال أبو سعيد الخدرى : « **هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن ، وأراد الجهاد ، فقال ﷺ : هل باليمن أبواك ؟ قال : نعم ، قال : هل أذنا لك ؟ قال : لا ، فقال ﷺ : فارجع إلى أبويك فاستأذنهما ، فإن فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت.**

فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد » (٢١١٧) .

« وجاء آخر إليه ﷺ ليستشيره في الغزو ، فقال : ألك والدة ؟ قال : نعم ، قال: فالزمها، فإن الجنة عند رجليها » (٢١١٨) .

« وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال : ما جئتك حتى أبكيت والديّ ، فقال: ارجع إليهما أضحكهما كما أبكيتهما» (٢١١٩) .

وقال ﷺ : « حق كبير الأخوة على صغيرهم ، كحق الوالد على ولده » (٢١٢٠) .

(٢١١٧) حديث : قال أبو سعيد الخدرى ﷺ : « هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد » في سبيل الله « فقال » له « ﷺ : باليمن أبواك ، قال : نعم ، قال : فهل أذنا لك » في الخروج؟ « فقال : لا ، فقال ﷺ : فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجاهد وإلا فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد » **قال العراقى :** رواه أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت .... إلخ .اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله ابن عمرو قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال أحى والداك قال نعم قال فيهما فجاهد ورواه أيضا الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عمر .

(٢١١٨) حديث : « جاء آخر إلى النبى ﷺ يستشيره فى الغزو فقال : ألك والدة فقال نعم قال فالزمها فإن الجنة تحت قدمها » وفى نسخة عند قدميها وفى نسخة : عند رجليها **قال العراقى :** رواه النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة أن جاهمة أتى النبى ﷺ قال الحاكم صحيح الإسناد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه القضاعى فى مسند الشهاب والخطيب فى الجامع من حديث أنس بلفظ « الجنة تحت أقدام الأمهات » وإسناده ضعيف وفيه من لا يعرف وعزاه بعضهم إلى مسلم من حديث النعمان بن بشير .

(٢١١٩) حديث : « جاء آخر » إلى النبي ﷺ يطلب البيعة على الهجرة « فقال : ما جئتك حتى أبكيت والديّ فقال : ارجع إليهما فاضحكهما كما ابكيتهما » **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد .اهـ.

(٢١٢٠) حديث : قال ﷺ : « حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » أى فى وجوب احترامه وتعظيمه وتوقيره وعدم مخالفته فى ما يشير به ويرتضيه **قال=**

وقال ﷺ : « إذا استصعبت على أحدكم دابته، أو ساء خلق زوجته ، أو أحد من أهل بيته ، فليؤذن فى أذنه » (٢١٢١) .

حقوق المملوك

اعلم أن ملك النكاح ، قد سبقت حقوقه فى آداب النكاح، فأما ملك اليمين، فهو أيضا يقتضى حقوقًا فى المعاشرة ، لابد من مراعاتها .

فقد « كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال : اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم » (٢١٢٢) .

= العراقى: رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث أبى هريرة ورواه أبو داود فى المراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد بن العاص وإسناده ضعيف. اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الحاكم فى التاريخ والخطيب فى التاريخ أيضا وأبو الشيخ في الثواب أيضا مسندا مرفوعا.

(٢١٢١) حديث : قال ﷺ : « إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن فى أذنه » **قال العراقى** : رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسين بن على بن أبى طالب بسند ضعيف نحوه . اهـ.

(٢١٢٢) حديث : « كان من آخر ما وصى به رسول الله ﷺ أن قال : اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما أحببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله تعالى ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم » **قال العراقى** : هو مفرق فى عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث على: كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفى الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبى ذر أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما=

وقال ﷺ : « للمملوك طعامه ، وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » (٢١٢٣) .

= تلبسون ولا تكلفوهم مـا يغلبهم فإن كلفتموهم فـاعينوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لايمكم من مملوكيكـم فاطعموهم مما تـأكلون واكسوهم مما تلبـسون ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح .اهـ.

قال مـرتضى : حديث علي أخرجه كذلك ابن ماجـه وأخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظ اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وروى الخـطيب من حديث أم سلمة اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم ورواه الـبيهقي في الشـعب من حديث أنس اتقـوا الله في الصلاة ثلاث مرات وذكـر في الرابعة اتقوا الله فـيما ملكت أيمانـكم وأما حديث أبي ذر في المتـفق عليه حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامـه حلة فسألته عن ذلك فقـال إني سابيت رجلا فعيرته بأمـه فقال لي النبي ﷺ يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جـاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليـلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفـتموهم فاعـينوهم هكذا أخرجه البـخاري في كتـاب الإيمان وفي العتق عن آدم عن شعـبة عن واصل وفي الأدب عن عمـرو بن حفص بن غيـاث عن أبيه وأخرجـه مسلم في كتـاب الإيمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيـبة عن وكـيع عن أحمد بن يـونس عن زهير وعن أبي بكر عن أبي معاوية عن إسحاق بن يونس عن عيسى بن يونس كلهم عن الأعمش وعن أبي موسى وبندار عن غندر عن شـعبة عن واصل كلاهمـا عن المعرور ولفظ أبي داود رأيت أبا ذر بالربذة وعليه برد غليظ وعلى غلامه مثله قال فقال القوم يا أبا ذر فساق الحديث وفيه أنهم إخـوانكم فضلكم الله عليهم فـمن لم يلائمكم فبيعـوه ولا تعذبوا خلق الله وفي رواية له سمـعت رسول الله ﷺ يقـول إخوانكم جـعلهم الله في أيدكم فمن كـان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكـلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه وفي رواية له من لايمكم . . . إلخ كما **ساقه العراقي** وهذه قد أخرجها أيضا أحمد والبيهقي وروى ابن ماجه من حديث أبي بكر رضي الله عنه مملوكك يكفيك فإذا صـلى فهو أخوك فاكرموهم كرامة أولادكم واطعموهم مما تأكلون.

(٢١٢٣) حديث : قـال ﷺ : « للمملوك طعـامه وكسـوته بالمعروف ولا يكلف من العـمل ما لا يطيق» وفي رواية إلا ما يطيق **قال العراقي :** رواه مسلم من حديث أبي هريرة .اهـ.

قال مـرتضى : رواه أيضا عبد الرزاق وأحمد بدون قـوله بالمعروف وكذا ابن حبان بزيادة فإن كلفتـموهم فاعينوهم ولا تعـذبوا عباد الله خلقا أمـثالكم وقد رواه البيهـقي في الشعب بلفظ المصنف .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خِبٌّ ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة» (٢١٢٤) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ ثم قال : اعفوا عنه كل يوم سبعين مرة »(٢١٢٥) .

وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالى ، فى كل يوم سبت ، فإذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه ، وضع عنه منه .

(٢١٢٤) حديث : قال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب » الخب بالكسر الخداع ورجل خب بالفتح تسمية بالمصدر « ولا متكبر ولا خائن ولا سيىء الملكة » الذى يسئ السيرة مع ما يملكه **قال العراقى** : رواه أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرا على سيئ الملكة من حديث أبى بكر وليس عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذى البخيل والمنان وهو ضعيف وحسّن الترمذى أحد طرقه .اهـ.

قال مرتضى : لفظ أحمد لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيىء الملكة وأول من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين مواليهم وفى رواية له لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيئ الملكة وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده وهذا اللفظ رواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق من حديث أنس وعند الخطيب فى كتاب الصلاة وابن عساكر من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ولا منافق ولا سيئ الملكة وأن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم وروي الطيالسى من حديث أبى بكر لا يدخل الجنة خب ولا خائن ولفظ ابن ماجه لا يدخل الجنة سيئ الملكة قد رواه كذلك الطيالسى والترمذى وقال حسن غريب والدارقطنى فى الإفراد .

(٢١٢٥) حديث : قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت » أى سكت عنه رسول الله ﷺ « ثم قال : اعف عنه كل يوم سبعين مرة » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب .اهـ.

ويروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته ، وغلامه يسعى خلفه ، فقال له : يا عبد الله احمله خلفك ، فإنما هو أخوك روحه مثل روحك ، فحمله ثم قال : « لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه » (٢١٢٦) .

وقالت جارية لابى الدرداء : أنى سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئا ، فقال : لم فعلت ذلك ؟ فقالت : أردت الراحة منك ، فقال: اذهبى ، فأنت حرة لوجه الله.

وقال الزهرى : متى قلت للمملوك أخزاك الله ، فهو حر .

وقيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم ، قيل: فما بلغ من حلمه ؟ قال بينما هو جالس فى داره ، إذا أتته خادمة له بسفود عليه شواء، فسقط السفود من يدها على ابن له ، فعقره فمات، فدهشت الجارية فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها : أنت حرة لا بأس عليك .

وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال : ما أشبهك بمولاك ، مولاك يعصى مولاه وأنت تعصى مولاك ، فاغضبه يوما فقال : إنما تريد أن أضربك ، اذهب فأنت حر .

وكان عند ميمون بن مهران ضيف ، فاستعجل على جاريته بالعشاء ، فجاءت مسرعة ، ومعها قصعة مملوءة ، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون فقال : يا جارية أحرقتنى ، قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ، ارجع إلى ما قال الله تعالى قال : وما قال الله تعالى؟ قالت قال : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤) ،

(٢١٢٦) حديث : قال أبو هريرة : « لا يزال العبد يزداد من الله عز وجل بعدًا ما مشى خلفه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روي نحوه فى المرفوع وقال أبو نعيم فى الحلية بسنده إلى سليمان بن عنز قال لقينا كريب بن إبراهة راكبا ووراءه غلام له فقال سمعت أبا الدرداء يقول لا يزال العبد يزيد من الله بعدا كلما مشى خلفه .

قال: قد كظمت غيظى ، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران : ١٣٤) ، قال : قد عفوت عنك ، قالت: زد فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران : ١٣٤) ، قال أنت حرة لوجه الله .

وقال ابن المنكدر رضي الله عنه : « **إن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبدا له، فجعل العبد يقول : أسألك بالله ، أسألك بوجه الله، فلم يعفه، فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد ، فانطلق إليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده ، فقال رسول الله : سألك بوجه الله فلم تعفه ، فلما رأيتنى أمسكت يدك ، قال : فإنه حر لوجه الله يا رسول الله ، فقال : لو لم تفعل لسفعت وجهك النار**»(٢١٢٧) .

وقال ﷺ : « **العبد إذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة الله ، فله أجره مرتين** » (٢١٢٨)

(٢١٢٧) حديث : قال ابن المنكدر رضي الله عنه : « إن رجلا من أصحاب النبى ﷺ ضرب عبداً له ، فجعل العبد يقول : اسألك بالله اسألك بوجه الله فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده » عن ضربه « فقال ﷺ سألك بوجه الله تعالى فلم تعفه فلما رأيتنى أمسكت يدك قال فإنه حر لوجه الله تعالى يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار » **قال العراقى** : رواه ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا وفى رواية لمسلم في حديث أبى مسعود الآتى ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار .اهـ.

(٢١٢٨) حديث : قال ﷺ : « إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله » تعالى « فله أجره مرتين» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عمر .اهـ.

قال مرتضى : أخرجاه من طريق مالك عن الزهرى عن نافع عنه وأخرجه أبو داود أيضا من هذا الوجه وأخرجاه أيضا من طريق عبيد الله بن عمر ومسلم وحده من طريق أسامة بن زيد ثلاثتهم عن نافع عنه وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بلفظ إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران فقال فحدثتها كعبا فقال كعب ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد .... وروي الشيخان من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة مرفوعا للعبد المملوك الصالح أجران قال أبو هريرة والذى نفسى بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك هذا لفظ البخارى=

ولما أعتق أبو رافع بكى، وقال : كان لى أجران فذهب أحدهما .

وقال ﷺ : « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة ، فالشهيد ، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده ، وعفيف متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، أمير مسلط ، وذو ثروة لا يعطى حق الله ، وفقير فخور » (٢١٢٩) .

وعن أبى مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال: « بينا أنا أضرب غلاما لى ، إذ سمعت صوتا من خلفى ، اعلم يا أبا مسعود مرتين ، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ ، فألقيت السوط من يدى ، فقال : والله لله أقدر عليك منك على هذا » (٢١٣٠) .

= ولفظ مسلم المصلح وعند البخارى من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا نعما لاحدهم يحسن عبادة الله وينصح لسيده .

(٢١٢٩) حديث : قال ﷺ : « عرض على أول ثلاثة » وفى رواية بدل ثلاثة ثلة بضم المثلثة وتشديد اللام أى جماعة « يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه » وفى رواية عبادة الله « ونصح لسيده » أى أراد له الخير وقام بخدمته حق القيام « وعفيف » عن تعاطى ما لا يحل له « متعفف » عن سؤال الناس « ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير » وفى رواية وأما أول فأمير «مسلط» على رعيته بالجور والفسق « وذو ثروة» أى وفرة من مال « لا يعطى حق الله » فى ماله « وفقير فخور » أى متكبر **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن وابن حبان من حديث أبى هريرة . اهـ.

قال مرتضى : الذى رواه الترمذى وحسنه لفظه عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه وأما سياق المصنف فرواه أحمد وابن أبى شيبة والحاكم والبيهقى من طريق عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة وعامر هذا ضعيف وفى لفظ لهؤلاء وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه .

(٢١٣٠) حديث : قال أبو مسعود عقبة بن عامر رضي الله عنه : « بينا أنا اضرب غلاما لى سمعت صوتا من خلفى اعلم » بصيغة الأمر من علم «أبا مسعود مرتين » أى قالها مرتين «فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط ، فقال : إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فقلت : هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » **قال العراقى** : رواه مسلم . اهـ.

قال مرتضى : وفى رواية: يا أبا مسعود وفى رواية : والله إن الله وفى رواية والله لله ورواه أبو داود وتمام فى فوائده .

وقال ﷺ : « إذا ابتاع أحدكم الخادم ، فليكن أول شيء يطعمه الحلو، فإنه أطيب لنفسه » (٢١٣١) رواه معاذ .

وقال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فليجلسه وليأكل معه ، فإن لم يفعل فليناوله لقمة » وفي رواية : « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته ، وقربه إليه ، فليجلسه وليأكل معه ، فإن لم يفعل ، فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل : كل هذه » (٢١٣٢) .

ودخل على سلمان رجل، وهو يعجن ، فقال يا أبا عبد الله : ما هذا ؟ فقال : بعثنا الخادم فى شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين .

(٢١٣١) حديث : قال معاذ بن جبل ﷺ : قال ﷺ : « إذا ابتاع » أى اشترى « أحدكم الخادم » عبدا أو أمة « فليكن أول شيء يطعمه الحلو » أى ما فيه حلاوة خلقية أو مصنوعة « فإنه أطيب لنفسه » **قال العراقى** : أخرجه الطبرانى في الأوسط والخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وعده ابن الجوزى فى الموضوعات ولم يصب فقد روى نحو ذلك من حديث عائشة بلفظ من ابتاع مملوكا فليحمد الله وليكن أول ما يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه هكذا رواه ابن عدى وابن النجار وإسنادهما أيضا ضعيف .

(٢١٣٢) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه» حاملا له « فليجلسه » معه ندبًا «وليأكل معه » سلوكا لسبيل التواضع « فإن أبى» وفى نسخة لم يفعل ذلك لعذر « فليناوله » وفى رواية: إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته - بتحصيل الآلة من أوله إلى آخره - وقربه إليه فليجلسه «وليأكل معه» كفايته مكافأة له على كفايته حره ومؤنته «أو ليأخذ لقمة » منه وفى نسخة أكلة « فليروغها » بالأدام أى يدسمها «وأشار بيده فليضعها فى يده وليقل » له « كل هذه» **قال العراقى** : متفق عليه مع اختلاف لفظه وهو فى مكارم الأخلاق للخرائطى باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخارى .اهـ.

قال مرتضى : لفظ البخاري إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه فليجلسه معه فإن لم يجلسه معه فيناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه نحو ذلك .

وقال ﷺ : « من كانت عنده جارية ، فصانها وأحسن إليها ، ثم اعتقها وتزوّجها ، فذلك له أجران » (٢١٣٣) .

وقد قال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢١٣٤) .

فجملة حق المملوك ، أن يشركه في طعمته وكسوته ، ولا يكلفه فوق طاقته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه ، بهفوته أو بجنايته ، فى معاصيه وجنايته على حق الله تعالى ، وتقصيره فى طاعته مع أن قدرة الله عليه ، فوق قدرته .

وروى فضالة بن عبيد أن النبى ﷺ قال : « ثلاثة لا يسأل عنهم ، رجل فارق الجماعة ، ورجل عصى إمامه فمات عاصيا ، فلا يسأل عنهما ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا ، فتبرجت بعده فلا يسئل عنها » (٢١٣٥) .

(٢١٣٣) حديث : قال ﷺ : « من كانت عنده جارية فعالها » وفى نسخة فعلمها « وأحسن إليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له أجران » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى موسى . اهـ.

قال مرتضى : لفظهما فى الصحيح « ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين رجلا من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران » وهكذا رواه أيضا أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢١٣٤) حديث : قال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم فى حديث رقم ١٤١٨ (ب) ص ١٢٦٠ . اهـ.

قال مرتضى: ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس مقتصرا عليه ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى من حديث ابن عمر بزيادة فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ورواه بتمامه الخطيب من حديث عائشة والعقيلى والطبرانى فى الكبير من حديث أبى موسى.

(٢١٣٥) حديث : قال فضالة بن عبيد رضي الله عنه : قال النبى ﷺ : « ثلاثة لا يسئل عنهم » أى فإنهم =

وقال ﷺ : « وثلاثة لا يسأل عنهم ، رجل ينازع الله رداءه ، ورداؤه الكبرياء ، وإزاره العز، ورجل فى شك من الله ، وقنوط من رحمة الله » (٢١٣٦) .

= من الهالكين وفى رواية لا تسئل عنهم « رجل فارق » بقلبه واعتقاده ولسانه أو ببدنه ولسانه وخص الذكر بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الأحكام عليه فالأنثى مثله من حيث الحكم «الجماعة» المعهودين وهم جماعة المسلمين « وعصى إمامه » أى بنحو بدعة أو امتناع من إقامة الحق عليه أو بنحو بغى أو حرابة أو صيال « ومات عاصياً » فميتته ميتة جاهلية «فلا يسأل عنهما » لحل دمائهما «وامرأة غاب عنها زوجها » قريبا أو بعيداً « وقد كفاها مؤنة الدنيا» من نفقة وكسوة « فتزوجت » بعده وبخط بعض المتقنين فتبرجت أى تزينت « فلا يسئل عنها» **قال العراقى** : رواه الطبرانى والحاكم وصححه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه البخارى فى الأدب المفرد وأبو يعلى والطبراني فى الكبير والحاكم والبيهقى وصححه الحاكم وقال على شرطهما ولا أعلم له علة وأقره الذهبى فى تلخيصه وقال رجاله ثقات لكن لفظهم جميعًا ثلاثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا وأمة أو عبد أبق من سيده فمات وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتزوجت بعده فلا تسأل عنهم .

(٢١٣٦) حديث : قال ﷺ : « ثلاثة لا يسئل عنهم رجل ينازع الله فى ردائه ورداؤه الكبرياء وإزاره العظمة» فمن تكبر من المخلوقين أو تعزز فقد نازع الخالق رداءه وإزاره الخاصين به فله فى الدنيا الذل والصغار وفى الآخرة عذاب النار «ورجل فى شك من الله عز وجل والقنوط من الرحمة» أى اليأس منها إذ لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البخارى فى الأدب المفرد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير قال الهيثمى رجاله ثقات ولفظهم « ثلاثة لا تسأل عنهم رجل ينازع الله إزاره ورجل ينازع الله رداءه فإن رداء الله الكبرياء وإزاره العز ورجل فى شك من أمر الله والقنوط من رحمة الله» وبه يظهر أنهما حديثان مستقلان وراويهما واحد واقتصر الحاكم على الأول دون الثانى وأن سياق المصنف فى كل منهما لا يخلو من نقص وخلل وأخرج القضاعى فى مسند الشهاب من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار وقد رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه فلفظ ابن ماجه فى جهنم ولفظ أبى داود قذفته فى النار ولفظ مسلم عذبته وقال رداؤه وإزاره بالغيبة وزاد مع أبى هريرة أبا سعيد ورواه الحاكم فى مستدركه بلفظ قصمته وللحكيم الترمذى من حديث أنس « يقول الله عز وجل إن العظمة والكبرياء والفخر ردائى فمن نازعنى واحدة منهن كببته فى النار» .

تم بحمد الله تعالى كتاب (آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق) ويتلوه إن شاء الله تعالى الكتاب السادس من ربع العادات (كتاب آداب العزلة)

★★★

كتاب آداب العزلـة

وهو الكتـاب السادس من ربع العادات

وفيه بابان :

(البـاب الأول) : فى نقل المذاهب والحجج فيها .

(الباب الـثانى) : فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى عظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته، بأن صرف هممهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروّح أسرارهم بمناجاته وملاطفته ، وحقر فى قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها ، حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته ، فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى ، فى خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس ، وإن كان من أخص خاصته ، والصلاة على سيدنا محمد ، سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته ، سادة الحق وأئمته .

أما بعد :

فإن للناس اختلافا كثيرا فى العزلة والمخالطة ، وتفضيل إحداهما على الأخرى، مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها ، وفوائد تدعو إليها ، وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة، والمؤاخاة ، والمؤالفة ، يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة ، فكشف الغطاء عن الحق فى ذلك مهم ، ويحصل ذلك **برسم بابين** :

الباب الأول : فى نقل المذاهب والحجج فيها .

الباب الثانى : فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

الباب الأول

فى نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين فى ذلك

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها ، وظهر هذا الاختلاف بين التابعين، فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة ، سفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، وفضيل بن عياض، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشى، وبشر الحافى .

وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة ، واستكثار المعارف والإخوان ، والتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم ، فى الدين تعاونا على البر والتقوى ، ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل وجماعة.

والمأثور عن العلماء من الكلمات ، ينقسم إلى كلمات مطلقة ، تدل على الميل إلى أحد الرأيين ، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل .

فلننقل الآن مطلقات الكلمات ، لنبين المذاهب فيها ، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد ، فنقول : قد روى عن عمر ﷺ أنه قال : خذوا بحظكم من العزلة .

وقال ابن سيرين : العزلة عبادة ، وقال الفضيل: كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا، وبالموت واعظا ، وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا .

وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي : عظني ، قال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة ، وفر من الناس فرارك من الأسد .

وقال الحسن رحمه الله : كلمات أحفظهن من التوراة ، قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حرا ، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلا فتمتع طويلا.

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت، والعاشرة في عزلة الناس .

وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار : ما أصبرك على الوحدة ، وقد كان لزم البيت ، فقال : كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا، كنت أجالس الناس ولا أكلمهم .

وقال سفيان الثوري : هذا وقت السكوت وملازمة البيوت .

وقال بعضهم : كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية ، فمكث معنا سبعًا لا نسمع له كلامًا ، فقلنا له : يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا ، فأنشأ يقول:

قليل الهم لا ولد يموت ولا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما فغايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل : تفقه ثم اعتزل ، وكذا قال الربيع بن خيثم . وقيل: كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ، ويعطي الإخوان حقوقهم ، فترك ذلك واحدا واحدا ، حتى تركها كلها ، وكان يقول لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له .

وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا ، فقال : ذهب الفراغ ، لا فراغ إلا عند الله تعالى .

وقال الفضيل : إنى لأجد للرجل عندى يدا ، إذا لقينى أن لا يسلم على ، وإذا مرضت أن لا يعودنى .

وقال أبو سليمان الدارانى : بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره ، إذا جاءه حجر فصك جبهته فشجه ، فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظت ياربيع ، فقام : ودخل داره ، فما جلس بعد ذلك على باب داره ، حتى أخرجت جنازته .

وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق ، فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ، ولا غيرها حتى ماتا ، بالعقيق . وقال يوسف بن أسباط : سمعت سفيان الثورى يقول : والله الذى لا إله إلا هو ، لقد حلت العزلة .

وقال بشر بن عبد الله : أقلل من معرفة الناس ، فإنك لا تدرى مايكون يوم القيامة ، فإن تكن فضيحة ، كان من يعرفك قليلا .

ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم ، فقال له : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : ما هى ؟ قال : أن لا ترانى ، ولا أراك ، ولا تعرفنى .

وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك ، فقال : إذا مات أحدنا فمن يصحب الاخر؟ قال : الله ، قال : فليصحبه الآن .

وقيل لالفضيل : إن عليا ابنك يقول : لوددت أنى فى مكان أرى الناس ، ولا يرونى ، فبكى الفضيل وقال : يا ويح على ، أفلا أتمها ، فقال : لا أراهم ولا يرونى.

وقال الفضيل أيضا : من سخافة عقل الرجل ، كثرة معارفه .

وقال ابن عباس ﷺ : أفضل المجالس ، مجلس فى قعر بيتك ، لا ترى ولا ترى .

فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها

احتج هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ (آل عمران : ١٠٥) الآية وبقوله تعالى : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٠٣) امتن على الناس بالسبب المؤلف، وهذا ضعيف ، لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب ، في معانى كتاب الله وأصول الشريعة ، والمراد بالألفة : نزع الغوائل من الصدور ، وهى الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات ، والعزلة لا تنافي ذلك .

واحتجوا بقوله ﷺ : « المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» .

وهذا أيضا ضعيف ، لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق ، التى تمتنع بسببه المؤالفة ، ولا يدخل تحته الحسن الخلق ، الذى إن خالط أَلِفَ وأُلِفَ، ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه ، وطلبا للسلامة من غيره .

واحتجوا بقوله ﷺ : « من فارق الجماعة شبرا، خلع ربقة الإسلام من عنقه» (٢١٣٧) .

وقال ﷺ : « من فارق الجماعة، فمات فميتته جاهلية » (٢١٣٨) .

(٢١٣٧) حديث : قال ﷺ : « من فارق الجماعة » أى جماعة المسلمين « شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه » .

قال مرتضى: ليس هذا الحديث موجودا في بعض النسخ **ولم يتعرض له العراقى** وقد رواه أحمد وأبو داود والروياني والحاكم والضياء من حديث أبى ذر ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس بلفظ قيد شبر ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ من فارق جماعة المسلمين شبرا خرج من عنقه ربقة الإسلام وروى البزار من حديث حذيفة من فارق الجماعة شبرا فقد فارق الإسلام .

(٢١٣٨) حديث : قال ﷺ : « من ترك الجماعة فمات فميتته جاهلية » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى الباب الخامس من الحلال والحرام ..اهـ.

قال مرتضى : وروى الطبراني من حديث ابن عباس ومن مات ليس على إمام فميتته جاهلية وفى حديث ابن عمر ومن مات من غير إمام جماعة مات ميتة جاهلية .

وبقـوله ﷺ : « من شق عصـا المسلمين والمسلمون فى إسلام دامج ، فقـد خلع ربقة الإسلام من عنقه» (٢١٣٩) .

وهذا ضعيف ، لأن المراد به الجماعة التى اتفـقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة ، فـالخروج عليـهم بغى ، وذلك مـخـالفة بـالرأى ، وخروج عليـهم ، وذلك مـحظور لاضطرار الخلق إلى إمـام مطاع ، يجـمع رأيهم ولا يكون ذلك بالبيـعـة من الأكثـر ، فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة ، فليس فى هذا ، تعرض للعزلة .

واحتجوا بنهيه ﷺ عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال ﷺ : « من هجر أخاه فوق ثلاث، فمات دخل النار» (٢١٤٠) .

وقـال ﷺ : « لا يحل لامرئ مسـلم، أن يهجـر أخاه فوق ثلاث ، والسـابق يدخل الجنة» (٢١٤١)

(٢١٣٩) حديث : قوله ﷺ : « من شق عصـا المسلمين والمسلمون فى إسلام دامج » أى مـجتمع «فقد خلع ربقـة الإسلام » من عنقه قال العـراقى : رواه الطبرانى والخطابـى في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الرامهرمزى فى كتاب الأمثال والخطيب فى المتفق والمفترق .

(٢١٤٠) حديث : قـال ﷺ : « من هجر أخاه فـوق ثلاث » ليال « فـمات دخل النار » قـال العراقى: رواه أبو داود من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح .اهـ.

قال مـرتضى : لفظ أبي داود لا يحل لمسلم أن يهجـر أخاه فوق ثلاث فمن هـجر فوق ثلاث فمات دخل النار ورواه الطبرانى من حديث فضـالة بن عبيد بلفظ المصنف إلا أنه قال فهو فى النار إلا أن يتداركه الله برحمته .

(٢١٤١) حديث : قال ﷺ : « لا يحل لامرئ أن يهجـر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجـنـة » قـال العـراقى : متفق عليـه من حديث أنس دون قوله والسابق بـالصلح زاد فيه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن والذى يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة .اهـ.

قـال مـرتضى : هذا الحديث قد روي بألفاظ مختلفـة وفيها نقصان وزيادة فمن ذلك لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيـان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام رواه مالك والطيالسى وأحـمد وعبد بن حميد والشيـخان وأبو داود والترمذى وقال=

وقال ﷺ : « من هجر أخاه فوق ستة أيام ، فهو كسافك دمه » (٢١٤٢) .

قالوا والعزلة هجره بالكلية ، وهذا ضعيف ، لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه ، بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة ، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب ، مع أن الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين :

أحدهما : أن يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيادة .

= حسن صحيح وابن حبان وابن جرير عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب ورواه ابن عساكر عن الزهرى عن أنس وقال غريب والمحفوظ الأول ورواه ابن جرير وابن عدى والطبرانى وابن عساكر أيضا عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى بن كعب قال ابن عدى هكذا يرويه الليث بن سعد عن عقيل وإنما يرويه أصحاب الزهرى عن عطاء عن أبى أيوب ومن ذلك قوله ﷺ لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام رواه مسلم من حديث ابن عمر والخرائطى في مساوئ الأخلاق والبزار من حديث ابن مسعود وسعد وأنس ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بزيادة والسابق يسبق إلى الجنة ورواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بلفظ فوق ثلاث ومن ذلك قوله ﷺ لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما وإن أولهما فيأ يكون سبقه بالفئ كفارته وإن سلم عليه فلم يقبل ولم يرد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ويرد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعا أبدا رواه أحمد والطبرانى والبيهقى من حديث هشام بن عامر ومن ذلك قوله ﷺ لا يحل لمؤمن يهجر مؤمنا فوق ثلاثة أيام فإذا مر ثلاث لقيه فسلم عليه فإن رد فقد اشتركا في الأجر وإن لم يرد عليه فقد برئ المسلم من الهجرة وصارت على صاحبه ورواه البيهقى من حديث أبى هريرة .

(٢١٤٢) حديث : قال ﷺ : « من هجر أخاه » في الإسلام « سنة » أى بغير عذر شرعى « فهو كسفك دمه » وفي النسخ كسافك دمه أى مهاجرته سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث أبى خراش السلمى واسمه حدرد بن أبى حدرد وإسناده صحيح .أهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والحارث بن اسامة والبغوى والبوردى وابن منده والطبرانى فى الكبير والحاكم في البر والصلة والضياء فى التجارة وأبو خراش اسمه حدرد وأبو حدرد اسمه سلامة بن عمير ويقال فيه الأسلمى أيضا وقد روى عن أبى خراش هذا عمران بن أبى أنس القوسى العامرى نزيل الإسكندرية .

والثاني : أن يرى لنفسه سلامة فيه ، والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين ، بدليل ما روى عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر » (٢١٤٣) .

وروى عن عمر رضي الله عنه : « أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهم ، وصعد إلى غرفة له، وهي خزانته ، فلبث تسعة وعشرين يوما ، فلما نزل قيل له ، إنك كنت فيها تسعة وعشرين ، فقال : الشهر قد يكون تسعا وعشرين » (٢١٤٤) .

(٢١٤٣) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: « أنه ﷺ هجر عائشة ذا الحجة والمحرم وبعض صفر » كذا في النسخ **قال العراقي :** إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه أبو داود فهو عنده صالح .اهـ.

(٢١٤٤) حديث : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهراً وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث فيها تسعا وعشرين فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعًا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعًا وعشرين » **قال العراقي :** متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : رواه البخاري في المظالم والنكاح بلفظ : وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدًا قال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة ، ورواه مسلم بلفظ ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعا وعشرين قال : إن الشهر يكون تسعا وعشرين ، وفي لفظ آخر كان آلى منهن شهراً فلما كان تسع وعشرون نزل إليهن ، وله أيضا من طريق الزهري قال واخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله ﷺ بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك قد دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون ، وروي البخاري من حديث أنس قال : آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهرا وكان قد انفكت قدمه فجلس في علية له فجاء عمر فقال أطلقت نساءك قال لا ولكني آليت منهن شهراً فمكث تسعا وعشرين وقال في طريق أخرى منقطع عن ابن عباس عن عمر عن الأنصاري اعتزل النبي ﷺ أزواجه.

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال : « **لا يحل لمسلم ، أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه** » (٢١٤٥) .

فهذا صريح فى التخصيص ، وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله ، حيث قال : هجران الأحمق قربة إلى الله ، فإن ذلك يدوم إلى الموت ، إذ الحماقة لا ينتظر علاجها ، وذكر عند محمد بن عمر الواقدى رجل هجر رجلا حتى مات ، فقال : هذا شىء قد تقدم فيه قوم سعد بن أبى وقاص ، كان مهاجراً لعمار بن ياسر ، حتى مات ، وعثمان بن عفان كان مهاجراً لعبد الرحمن بن عوف ، وعائشة كانت مهاجرة لحفصة ، وكان طاوس مهاجراً لوهب بن منبه حتى ماتا .

وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم فى المهاجرة ، واحتجوا بما روى « **أن رجلاً أتى الجبل ليتعبد فيه ، فجئ به إلى رسول الله ﷺ فقال : لا تفعل أنت ولا أحد منكم ، لصبر أحدكم فى بعض مواطن الإسلام ، خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عامًا** » (٢١٤٦) .

(٢١٤٥) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : قال النبى ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام » إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائقه » وفى نسخة : ممن لا يؤمن بوائقه **قال العراقى** : رواه ابن عدى وقال غريب المتن والإسناد وحديث عائشة عند أبى داود دون الاستثناء بإسناد صحيح . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا الحاكم بهذه الزيادة وانكرها أحمد بن حنبل .

(٢١٤٦) حديث : « أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجىء به إلى رسول الله ﷺ فقال : لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم فى بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم أربعين عامًا » **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث عسعس بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه الطيالسي ولفظهما لا تفعل ولا يفعله أحد منكم فلصبر ساعة فى بعض مواطن المسلمين خير من عبادة أربعين عامًا خاليا وعسعس بن سلامة التميمى نزل البصرة روى عنه الحسن والأزرق بن قيس تابعى أرسل.

والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه ، فى ابتداء الإسلام بدليل ما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ ، فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء ، فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ، ولن افعل ذلك حتى اذكره لرسول الله ﷺ فقال ﷺ : لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله ، خير من صلاته فى أهله ستين عامًا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، وتدخلوا الجنة ، اغزوا فى سبيل الله ، فإنه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ، أدخله الله الجنة» (٢١٤٧) .

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب ، وعليكم بالعامة والمساجد » (٢١٤٨) .

(٢١٤٧) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : « غزونا على عهد رسول الله ﷺ فمررنا بشعب فيه عيينة » تصغير عين « طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال ﷺ : لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله خير من صلاته فى أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا فى سبيل الله فإنه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة ». **قال العراقى :** رواه الترمذى وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذى قال سبعين عاما .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه البيهقى ولفظهم فإن مقام أحدكم فى سبيل الله افضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة وروى ابن ماجه والحاكم من حديث معاذ ابن جبل من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال صحيح الإسناد والنسائى وابن حبان والطبرانى والبيهقى بزيادة ومن جرح جرحا فى سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله كان عليه طابع الشهداء وروى أحمد وابن زنجويه من حديث عمرو بن عبسة من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة حرم الله على وجهه النار .

(٢١٤٨) حديث : قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « الشيطان ذئب الإنسان» أى مفسد للإنسان ومهلك له « كذئب » أرسل فى قطيع « الغنم يأخذ » الشاة « القاصية » **قال العراقى :** رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا .اهـ. =

وهذا إنما أراد به ، من اعتزل قبل تمام العلم ، وسيأتى بيان ذلك ، وإن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي ﴾ (مريم : ٤٨) . . . الآية .

ثم قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (مريم : ٤٩) .

إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة ، وهذا ضعيف ، لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها ، إلا دعوتهم إلى الدين، وعند اليأس من إجابتهم ، فلا وجه إلا هجرهم .

وإنما الكلام فى مخالطة المسلمين ، وما فيها من البركة ، لما روى أنه قيل يا رسول الله : « **الوضوء من جر مخمر ، أحب إليك أو من هذه المطاهر ، التى يتطهر منها الناس . فقال : بل هذه المطاهر التماسا لبركة أيدى المسلمين** » (٢١٤٩) .

= **قال مرتضى :** بينه الهيتمى فقال روياه من حديث العلاء بن زياد عن معاذ والعلاء لم يسمع من معاذ .

(٢١٤٩) حديث : « قيل له ﷺ الوضوء من جر مخمر » أى مغطى « أحب إليك أو من هذه المطاهر التى يطهر منها الناس ؟ » قال فى المصباح كل إناء يتطهر به مطهرة والجمع المطاهر «فقال : بل من هذه المطاهر التماسًا لبركة أيدى المسلمين » **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف .اهـ.

قال مرتضى : قال ابن أبى شيبة فى المطاهر التى توضع للمسجد حدثنا حفص عن ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس أنه صنع هذه المطهرة وقد علم أنه يتوضأ منه الأسود والأبيض وحدثنا وكيع عن عصمة بن وائل عن أبيه عن أبى هريرة أنه توضأ من المطهرة وحدثنا وكيع عن سفيان مزاحم قال قلت للشعبى أكوز عجوز مخمر أحب إليك أن توضأ منه أو المطهرة التى يدخل فيها الخراز يده قال من المطهرة التى يدخل فيها الخراز يده .

وروى أنـه ﷺ « لما طاف بالبيت ، عدل إلى زمزم ليشرب منها ، فإذا التمر المنقع في حياض الأدم ، وقد مغثه الناس بأيديهم ، وهم يتناولون منه ، ويشربون ، فاستسقى منه وقال : اسقونى فقال العباس : إن هذا النبيذ شراب قد مغث ، وخيض بالأيدى ، أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر في البيت ، فقال : اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس التمس بركة أيدى المسلمين فشرب منه»(٢١٥٠) .

فإذاً كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام ، على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم .

واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام : ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ (الدخان : ٢١) وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم .

(٢١٥٠) حديث : « لما طاف بالبيت » أى فرغ من طوافه « عدل إلى زمزم يشرب منها فإذا التمر منقع فى حياض الأدم قد مغثه الناس » أى مرسوه ودلكوه «بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون » والمعنى أنهم قد وسخوه لما خالطته أيديهم «فاستسقى منه وقال اسقونى فقال العباس » بن عبد المطلب ﷺ « إن هذا النبيذ شراب قد مغث » : أى مرس ودلك « وخيض بالأيدى أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا فى جر مخمر » أى مغطى «فى البيت فقال اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس التمس بركة يد المسلمين فشرب منه» **قال العراقى** : رواه الأزرقى فى تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسلا نحوه .اهـ.

قال مرتضى : لفظ الأزرقى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستقى فقال العباس يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها فقال اسقنى فقال يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه فقال اسقنى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها فقال اعملوا إنكم على عمل صالح . . . . الحديث وفى رواية هذا شراب قد مرث ومغث أفلا نسقيك لبنا وعسلا فقال اسقونا مما تسقون به المسلمين وفى رواية قال اسقونى من النبيذ فقال العباس إن هذا شراب قد مغث ومرث وخالطته الأيدى ووقع فيه الذباب وفى البيت شراب هو أصفى منه فقال منه فاسقنى يقول ذلك ثلاث مرات فسقاه منه كذا أخرجهما الأزرقى فى تاريخه وأخرج معناهما سعيد بن منصور عن عاصم عن الشعبى وذكر الملأ فى سيرته قوله إنهم يجعلون أيديهم فيه فقال اسقنى لأتبرك بأكف المسلمين ذكره المحب الطبرى فى كتاب أفضل القرى قال وذكر ابن حزم أن ذلك كله كان يوم النحر وفيه دلالة على أنه لا ينبغى أن يتقذر ما يجعل الناس أيديهم فيه .

وقال تعالى فى أصحاب الكهف ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ (الكهف : ١٦) أمرهم بالعزلة .

«وقد اعتزل نبينا ﷺ قريشا لما آذوه وجفوه ، ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ، ثم تلاحقوا به إلى المدينة ، بعد أن أعلى الله كلمته» (٢١٥١) .

وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم ، فإنه ﷺ لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار ، وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون ، وإنما اعتزلوا الكفار ، وإنما النظر فى العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله ﷺ لعبد الله بن عامر الجهنى رضي الله عنه « **لما قال يا رسول الله ، ما النجاة ؟ قال: ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك»** (٢١٥٢) .

(٢١٥١) حديث : « اعتزاله ﷺ قريشا » وهم بنو فهر « لما آذوه وجفوه ودخل الشعب » فى أعلى مكة المعروف بشعب أبى طالب « وأمر أصحابه » ممن آمن به وصدقه « باعتزالهم » عن مجالستهم ممن لم يقدر على الهجرة « والهجرة إلى الحبشة إذ بلغه أن ملكها ممن يحبه فهاجروا ثم تلاحقوا إلى المدينة المشرفة بعد أن أعلى الله كلمته » وأعز دينه **قال العراقى :** رواه موسى بن عقبة فى المغازى ومن طريقه البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب مرسلا ورواه ابن سعد فى الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلا أيضا ووصله من رواية أبى سلمة الحضرمى عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن المشركين حصروا بنى هاشم فى الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومغازى موسى بن عقبة أصح المغازى وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبى داود من حديث أبى موسى أمرنا النبى ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشى قال البيهقى وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشى وروي ابن إسحاق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقى فى الدلائل من حديث أم سلمة أن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم احد عنده فالحقوا ببلاده .... الحديث .اهـ.

(٢١٥٢) حديث : « سأله عقبة بن عامر رضي الله عنه : يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال » ﷺ : «ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث عقبة وقال حسن .اهـ.

وروى أنه قيل لـرسول الله ﷺ « أى الناس أفـضل ؟ قال : مؤمن مـجاهد بنفـسه وماله فى سبيل الله تعـالى، قيل : ثم من ؟ قال : رجل معتزل فى شعب من الشـعاب، يعبد ربه ويدع الناس من شره » (٢١٥٣) .

وقال ﷺ : « إن الله يحب العبد التقى، الغنى الخفى » (٢١٥٤) .

وفى الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر .

فأما قوله لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه ﷺ بنور النبوة من حـاله ، وإن لزوم البيت كـان أليق به واسلم له مـن المخالطة ، فـإنه لم يأمـر جمـيع الصحابة بذلك ، ورب شخص تكون سلامته فى العزلة لا فى المخالطة ، كما قد تكون

= **قال مـرتضى:** ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت قـال حدثنا داود بن عمرو الضبى عن عبـد الله بن المبارك عن يحـيى بن أيوب عن عبـيد الله بن زحـر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة الباهلى قال : قال عقـبة بن عامر: قلت: يا رسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك علي خطيئتك .

(٢١٥٣) حديث : سئل رسـول الله ﷺ : « أى الناس أفضل ؟ فقال : مؤمن يجاهد بنفـسه وماله في سبيل الله قيل ثم من » يا رسول الله « قال رجل معتـزل فى شعبة من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى .اهـ.

قـال مـرتضى : رواه أحمد والشـيخان والترمذى والنسائى وابن مـاجه من حديث أبى سعيد الخدرى ولفظه ثم مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره .

(٢١٥٤) حديث : قال ﷺ : « إن الله يـحب العبد التقى النقى الخـفى » أى الخامل الذكر، **قـال العراقى :** رواه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص .اهـ.

قال مرتضى : رواه أحمد ومسلم فى آخر صحيحه عن سعد بن أبى وقاص كان فى إبله فجـاءه ابنه فقـال نزلت ههنا وتركت الناس يتنازعون الملك فـضربه سـعد فى صدره فـقال اسكت سمـعت رسول الله ﷺ يقول فذكـره وقال أبو نعيم فى الحليـة حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن أبى أسامة حدثنا محمـد بن عمر الواقدى حدثنا بكير بن مسمار عن عامر بن سـعد بن أبى وقاص سمـعته يخبـر عن أبيه قال سمعت رسـول الله ﷺ يقول فذكره .

سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد ، وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل ، وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة .

ولذلك قال ﷺ : « **الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من الذي لا يخالط الناس ،ولا يصبر على أذاهم** » (٢١٥٥) .

وعلى هذا ينزل قوله ﷺ : « **رجل معتزل يعبد ربه ، ويدع الناس من شره** » فهذا إشارة إلى شرير بطبعه ، تتأذى الناس بمخالطته ، وقوله ﷺ : « **إن الله يحب التقي الخفي** » إشارة إلى إيثار الخمول ، وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة .

فكم من راهب معتزل، تعرفه كافة الناس ، وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة ، فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة .

واحتجوا بما روى أنه ﷺ قال لأصحابه : « **ألا أنبئكم بخير الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فأشار بيده نحو المغرب وقال : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، ينتظر أن يغير أو يغار عليه ، ألا أنبئكم بخير الناس بعده ؟ وأشار بيده نحو الحجاز وقال : رجل في غنمه ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعلم حق الله في ماله ، اعتزل شرور الناس** » (٢١٥٦) .

(٢١٥٥) حديث : قال ﷺ : « الذي يخالط الناس ويصبر علي أذاهم خير » وفي رواية أفضل «من الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » **قال العراقي** : رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي ﷺ والطريق واحد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد وفي فتح الباري اسناده حسن .

(٢١٥٦) حديث : قال ﷺ لأصحابه : « ألا أنبئكم بخير الناس؟ قالوا : بلى » يا رسول الله «قال: فأشار بيده نحو المغرب وقال : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير» على العدو « أو يغار عليه » فهو متيقظ غير غفول « ألا أنبئكم بخير الناس بعده ؟ » قالوا: بلى يا رسول الله : قال : « وأشار بيده نحو الحجاز وقال : رجل في غنيمة» بالتصغير أى قطعة من غنم «يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة » المفروضة في غنمه « ويعلم حق الله في ماله » للسائل والمحروم «واعتزل» شرور « الناس » **قال العراقي** : رواه الطبراني من حديث أم مبشر=

فإذا ظهـر أن هذه الأدلة ، لا شفـاء فيهـا من الجانبين ، فلابد من كـشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ، ليتبين الحق فيها .

★★★

إلا أنه قال نحو المشرق بدل نـحو المغرب وفيه ابن إسحاق رواه بالعنعنة ولـلترمذى والنسائى نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ خير الناس فى الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه أو رجل معتزل فى بادية يؤدى حق الله الذى عليه ورواه نعيم بن حماد فى الفتن عن طاوس مرسـلا ورواه البيهقى فى الشعب من حديث أم مبشـر بلفظ خير الناس منزلة رجل على متن فرس يخـيف العدو ويخيفـونه ورواه أحمد والطبرانى من حديث أم مالك البهزية بلفظ خيـر الناس فى الفتنة رجل معتزل فى ماله يعبد ربه ويؤدى حقه ورجل آخذ برأس فرسه فى سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه .

[illegible]

[illegible]

[illegible] الذي [illegible] [illegible]

[illegible] الناس ولا [illegible] على الناس [illegible]

[illegible]

[illegible] الناس [illegible]

[illegible] ، وأول [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثانى

فى فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق فى فضلها

اعلم أن اختلاف الناس فى هذا ، يضاهى اختلافهم فى فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال ، والأشخاص ، بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده ، فكذلك القول فيما نحن فيه ، فلنذكر أولا **فوائد العزلة** :

وهى تنقسم إلى : فوائد دينية ودنيوية :

والدينية : تنقسم إلى مايمكن تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم ، وإلى تخلص من ارتكاب المناهى التى يتعرض الإنسان لها بالمخالطة ، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة ، والأعمال الخبيثة من جلساء السوء .

وأما الدنيوية : فتنقسم إلى : ما يمكن من التحصيل بالخلوة، كتمكن المحترف فى خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها ، بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا، وإقبال الخلق عليها، وطمعه فى الناس وطمع الناس فيه ، وانكشاف ستر مروأته، بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس فى مرائه أو سوء ظنه أو نميمته ، أو محاسدته أو التأذى بثقله وتشويه خلقته ، وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة ، فلنحصرها فى ست فوائد :

الفائدة الأولى : التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال ، باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة ، وملكوت

السموات والأرض . فإن ذلك يستدعى فراغا ، ولا فراغ مع المخالطة ، فالعزلة وسيلة إليه .

ولهذا قال بعض الحكماء : لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى ، والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله، الذاكرون الله بالله ، عاشوا بذكر الله ، وماتوا بذكر الله ، ولقوا الله بذكر الله .

ولا شك فى أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر ، فالعزلة أولى بهم .

ولذلك « **كان ﷺ فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء ، وينعزل إليه** » (٢١٥٧) حتى قوى فيه نور النبوة ، فكان الخلق لا يحجبونه عن الله ، فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى ، حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله فأخبر النبى ﷺ عن استغراق همه بالله .

فقال : « **لو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله** » (٢١٥٨) .

(٢١٥٧) حديث : «كان ﷺ فى أول أمره يتبتل» أى يتفرغ للعبادة وينقطع لها « فى جبل حراء وينعزل إليه » أى ينقطع عن الناس بمجاورته، **قال العراقى:** متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : قاله ابن أبى جمرة وهذا قد رواه البخارى فى أول الصحيح من حديث عائشة بلفظ وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة .... الحديث ورواه أيضا فى التفسير والتعبير ورواه مسلم في الإيمان والترمذى والنسائى فى التفسير .

(٢١٥٨) حديث : قال ﷺ : « لو كنت متخذا » أحدا « خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى حديث رقم ١٨٧٤ ص ١٧٠٠ .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل وهكذا رواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أبى واقد وفى لفظ لمسلم لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وقد تقدم فى الكتاب الذى قبله.

ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا ، والإقبال على الله سراً إلا قوة النبوة. فلا ينبغى أن يغتر كل ضعيف بنفسه ، فيطمع فى ذلك ولا يبعد أن تنتهى درجة بعض الأولياء إليه .

فقد نقل عن الجنيد أنه قال : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة ، والناس يظنون أنى أكلمهم .

وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع . وذلك غير منكر ، ففى المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه، وهو لا يدرى ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه ، بل الذى دهاه ملم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه، فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه ، وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء ، فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة .

ولذلك قيل لبعض الحكماء : ما الذى أرادوا بالخلوة واختيار العزلة ؟ فقال: يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم، فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ، ويذوقوا حلاوة المعرفة .

وقيل لبعض الرهبان : ما أصبرك على الوحدة ؟ فقال : ما أنا وحدى ، أنا جليس الله تعالى ، إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه ، وإذا شئت أن أناجيه صليت .

وقيل لبعض الحكماء ؛ إلى أى شىء أفضى بكم الزهد والخلوة ؟ فقال : إلي الأنس بالله .

وقال سفيان بن عيينة : لقيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله فى بلاد الشام ، فقلت له : يا إبراهيم تركت خراسان ، فقال : ما تهنأت بالعيش إلا ههنا ، أفر بدينى من شاهق ، إلى شاهق فمن يرانى يقول موسوس أو حمال أو ملاح .

وقيل لغزوان الرقاشى هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك ؟ قال: إنى أصيب راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية، فقال الحسن : إذ رأيتموه فأخبرونى به ، فنظروا إليه ذات يوم ، فقالوا للحسن : هذا الرجل الذى أخبرناك به وأشاروا إليه ، فمضى الحسن إليه وقال له يا عبد الله: أراك قد حببت إليك العزلة ، فما يمنعك من مجالسة الناس ؟ فقال أمر شغلنى عن الناس ، قال : فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس إليه ؟ فقال : أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن ، فقال له الحسن : وما ذاك الشغل يرحمك الله ؟ فقال: إنى أصبح وأمسى بين نعمة وذنب ، فرأيت أن أشغل نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب ، فقال له الحسن : أنت يا عبد الله أفقه عندى من الحسن، فالزم ما أنت عليه .

وقيل : بينما أويس القرنى جالس، إذ أتاه هرم بن حيان ، فقال له أويس : ما جاء بك ؟ قال: جئت لآنس بك ،فقال أويس : ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره .

وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به ، وقلت : أخلو بربى ، وإذا رأيت الصبح أدركنى ، استرجعت كراهية لقاء الناس ، وأن يجيئنى من يشغلنى عن ربى .

وقال عبد الله بن زيد : طوبى لمن عاش فى الدنيا وعاش فى الآخرة ، قيل له: وكيف ذلك ؟ قال : يناجى الله فى الدنيا ويجاوره فى الآخرة.

وقال ذو النون المصرى: سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة ربه .

وقال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين، فقد قل علمه، وعمى قلبه ، وضيع عمره .

وقال ابن المبارك : ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى .

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : بينما أنا أسير فى بعض بلاد الشام ، إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال ، فلما نظر إلىّ تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها ، فقلت : سبحان الله، تبخل علىّ بالنظر إليك ، فقال يا هذا : إنى أقمت فى هذا الجبل دهرًا طويلا ، أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها، فطال فى ذلك تعبى وفنى فيه عمرى ، فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى ، فسكنه الله عن الاضطراب، وألفه الوحدة والانفراد ، فلما نظرت إليك خفت أن أقع فى الأمر الأول ، فإليك عنى، فإنى أعوذ من شرك برب العارفين ، وحبيب القانتين ، ثم صاح واغماه من طول المكث فى الدنيا، ثم حوّل وجهه عنى ثم نفض يديه ، وقال : إليك عنى يا دنيا لغيرى فتزينى وأهلك فغرى ، ثم قال : سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان ، وعن الحور الحسان ، وجمع همهم فى ذكره ، فلا شىء ألذ عندهم من مناجاته ، ثم مضى وهو يقول : قدوس قدوس .

فإذا فى الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله ، وفى مثل ذلك قيل :

وإنى لاستغشى وما بى غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالسر خاليا

ولذلك قال بعض الحكماء : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة ، فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ، ويطرد الوحشة عن نفسه ، بالسكون معهم . فإذا كانت ذاته فاضلة ، طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ، ويستخرج العلم والحكمة .

وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس ، فإذا هذه فائدة جزيلة ، ولكن فى حق بعض الخواص .

ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله، فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة ، فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات، أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر، ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما ولافراغ مع المخالطة .

الفائدة الثانية : التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ، ويسلم منها فى الخلوة ، **وهى أربعة :**

الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة ، التى يوجبها الحرص على الدنيا.

أما الغيبة : فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان ، من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم ، لا ينجو منها الصديقون ، فإن عادة الناس كافة التمضمض بأعراض الناس ، والتفكه بها ، والتنقل بحلاوتها ، وهى طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم فى الخلوة ، فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى ، وإن سكت كنت شريكا ، والمستمع أحد المغتابين ، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك ، فازدادوا غيبة إلى غيبة ، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم .

وأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : فهو من أصول الدين . وهو واجب ، كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الربع ، ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله به ، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاص ، هى أكبر مما نهى عنه ابتداء ، وفى العزلة خلاص من هذا، فإن الأمر فى إهماله شديد والقيام به شاق .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٠

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال : « أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ (المائدة : ١٠٥) ، وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» (٢١٥٩) .

(٢١٥٩) حديث : قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبًا على المنبر وقال : « أنكم تقرءون هذه الآية » وهي في سورة المائدة «﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم لتضعونها في غير موضعها » وفي نسخة على غير مواضعها « وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رأى الناس المنكر» وفي لفظ أن الناس إذا رأوا المنكر « فلم يغيروه » وفي لفظ ولا يغيرونه «أوشك أن يعمهم الله بعقاب » **قال العراقي** : رواه أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح . اهـ .

قال مرتضى : ورواه أيضا بهذا السياق أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف وأحمد وعبد بن حميد والعوفي وابن منيع والحميدي في مسانيدهم وأبو يعلى والكجي في سننه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والدارقطني في الإفراد وابن منده في غرائب شعبه وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو ذر الهروي في الجامع وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة كلهم من حديث قيس بن أبي حازم وقال الدارقطني في العلل جميع رواته ثقات وفي لفظ لابن جرير صعد أبو بكر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدونها رخصة والله ما أنزل الله في كتابه أشد منها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب وقال البزار في مسنده حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي حدثنا المعتمر بن سليمان عن إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت أبا بكر الصديق رحمه الله يقول أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أمتي إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب قال البزار وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا عن أبي بكر عنه وقد أسند هذا الحديث جماعة عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ووافقه جماعة فكان ممن أسنده شعبة وزائدة بن قدامة والمعتمر بن سليمان ويزيد بن هارون وغيرهم فأما حديث شعبة فحدثناه محمد بن معتمر حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة عن إسماعيل بن قيس بن أبي حازم عن=

وقد قال ﷺ : « إن الله ليسأل العبد حتى يقول له : ما منعك إذا رأيت المنكر فى الدنيا، أن تنكره ؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال : يا رب رجوتك ، وخفت الناس » (٢١٦٠) .

وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ، ومعرفة حدود ذلك مشكلة ، وفيه خطر، وفى العزلة خلاص ، وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل .

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالبا ، فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه، فيوشك أن يسقط عليه ، فإذا سقط عليه يقول : ياليتنى تركته مائلا .

نعم لو وجد أعوانا ، أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام ، وأنت اليوم لا تجد الأعوان ، فدعهم وانج بنفسك .

وأما الرياء : فهو الداء العضال الذى يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه ، وكل من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم رآهم، ومن رآهم وقع فيما وقعوا فيه ، وهلك كما هلكوا .

وأقل ما يلزم فيه النفاق ، فإنك إن خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه ، صرت بغيضا إليهما جميعا ، وإن جاملتهما ، كنت من شرار الناس .

= أبى بكر ﷺ عن النبى ﷺ وأما حديث زائدة فحدثناه محمد بن المثنى حدثنا روح عن زائدة عن إسماعيل عن قيس عن أبى بكر عن النبى ﷺ بنحو حديث المعتمر وأسنده شعبة عن معاذ بن جبل وروح بن عبادة وعثمان بن عمر ورواه بيان عن قيس عن أبى بكر موقوفا .

(٢١٦٠) حديث : قال ﷺ : « إن الله يسأل العبد » أى يوم وقوفه بين يديه« حتى يقول ما منعك إذا رأيت المنكر فى الدنيا أن تنكره » بيدك أو بلسانك « فإذا لقن الله العبد حجته فيقول يا رب رجوتك وخفت الناس » **قال العراقى** رواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد جيد .اهـ.

وقال ﷺ : « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» .

وقال ﷺ : « إن من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » (٢١٦١) .

وأقل ما يجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ، ولا يخلو ذلك عن كذب إما فى الأصل وإما فى الزيادة ، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك ، وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه ، وهذا نفاق محض .

قال سرى : لو دخل على أخ لى ، فسويت لحيتى بيدى لدخوله ، لخشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين .

وكان الفضيل جالسا وحده فى المسجد الحرام ، فجاء إليه أخ له فقال له : ما جاء بك ؟ قال : المؤانسة يا أبا على ، فقال : هى والله بالمواحشة أشبه ، هل تريد إلا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك ، إما أن تقوم عنى أو أقوم عنك .

وقال بعض العلماء : ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يشعر به .

ودخل طاوس على الخليفة هشام ، فقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب عليه وقال: لم لم تخاطبنى بأمير المؤمنين ؟ فقال : لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك ، فخشيت أن أكون كاذبا .

(٢١٦١) حديث : (أ) قال ﷺ : « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وقد تقدم ذلك فى آخر كتاب قواعد العقائد وفى بعض النسخ بل أكثرها الاقتصار على الحديث الأخير .

(ب) قال ﷺ : « إن من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهو الحديث رقم (أ) السابق.اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه أحمد ولفظهم جميعا تجدون الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا وتجدون خير الناس فى هذا الشأن أشدهم له كراهة قبل أن يقع فيه وتجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه .

فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز ، فليخالط الناس ، وإلا فليرض بإثبات اسمه فى جريدة المنافقين ، فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون فى قولهم ، كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك ؟ وفى الجواب عنه ، فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا .

قال حاتم الأصم لحامد اللفاف : كيف أنت فى نفسك ؟ قال : سالم معافى ، فكره حاتم جوابه وقال : يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية فى الجنة .

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أحاذر ، وأصبحت مرتهنا بعملى والخير كله فى يد غيرى، ولا فقيرًا أفقر منى .

وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا .

وكان أبو الدرداء إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت بخير إن نجوت من النار .

وكان سفيان الثورى إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : أصبحت أشكر ذا إلى ذا، وأذم ذا إلى ذا، وأفر من ذا إلى ذا .

وقيل لأويس القرنى : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه يصبح ، وإذا أصبح لا يدرى أنه يمسى .

وقيل لمالك بن دينار : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت فى عمر ينقص ، وذنوب تزيد .

وقيل لبعض الحكماء : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لا أرضى حياتى لمماتى ولا نفسى لربى .

وقيل لحكيم : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه إبليس.

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة .

وقيل لحامد اللفاف : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أشتهى عافية يوم إلى الليل، فقيل له : ألست فى عافية فى كل الأيام ؟ فقال : العافية يوم لا أعصى الله تعالى فيه .

وقيل لرجل وهو يجود بنفسه : ما حالك ؟ فقال : وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة .

وقيل لحسان بن أبى سنان : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب .

وقال ابن سيرين لرجل : كيف حالك ؟ فقال : وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا ، وهو معيل (أى ذو عيال) ، فدخل ابن سيرين منزله فاخرج له ألف درهم فدفعها إليه، وقال خمسمائة اقض بها دينك ، وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك، ولم يكن عنده غيرها ، ثم قال : والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا .

وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله ، من غير اهتمام بأمره ، فيكون بذلك مرائيا منافقا ، فقد كان سؤالهم عن أمور الدين ، وأحوال القلب فى معاملة الله، وإن سألوا عن أمور الدنيا ، فعن اهتمام وعزم على القيام ، بما يظهر لهم من الحاجة .

وقال بعضهم : إنى لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ، ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه ، وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون ، حتى عن

الدجاجة في البيت ، ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه ، فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق .

وآية ذلك أنك ترى هذا يقول : كيف أنت ؟ ويقول الآخر : كيف أنت ؟ فالسائل لا ينتظر الجواب ، والمسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب ، وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ، ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال .

قال الحسن إنما كانوا يقولون : السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب ، وأما الآن ، فكيف أصبحت عافاك الله ، كيف أنت أصلحك الله ، فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة ، فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاءوا لا ، وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك: كيف أصبحت بدعة .

وقال رجل لأبي بكر بن عياش : كيف أصبحت ؟ فما أجابه ، وقال : دعونا من هذه البدعة ، وقال : إنما حدث هذا في زمان الطاعون ، الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع ، كان الرجل يلقاه أخوه غدوة ، فيقول : كيف أصبحت من الطاعون ؟ ويلقاه عشية فيقول : كيف أمسيت ؟ والمقصود أن الالتقاء فى غالب العادات، ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق ، وكل ذلك مذموم بعضه محظور، وبعضه مكروه .

وفي العزلة الخلاص من ذلك ، فإن من لقى الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه ، فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه فى الانتقام منهم .

وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم ، فهو داء دفين ، قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين ، فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه ، إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته ، لادرك بينهما تفرقة فى

النفرة عن الفساد واستثقاله ، إذ يصيـر الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ، فيسقط وقعه واستعظامه له ، وإنما الوازع عنه شدة وقعه فى القلب ، فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوة الوازعة ، ويذعن الطبع للميل إليه ، أو لما دونه .

ومهمـا طالت مشاهدته للكبائر من غيـره ، استحقر الصغـائر من نفسه . ولذلك يزدرى الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه ، فتؤثر مجـالستهم فى أن يستصغر ما عنده، وتؤثر مجـالسة الفقراء فى اسـتعظام ما أتيح له من النعم ، وكـذلك النظر إلى المطيعين والعصاة .

هذا تأثيره فى الطبع ، فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين ، فى العبـادة والتنزه عن الدنيا ، فلا يزال ينظـر إلى نفسه بعين الاستـصغار وإلى عـبادته بعين الاستحقار .

وما دام يرى نفسه مقصرا ، فلا يخلو عن داعـية الاجتهاد ، رغبة فى الاستكمال واستتمـاما للاقتداء ، ومن نظر إلى الأحوال الغالبة عـلى أهل الزمان ، وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا ، واعتيادهم المعاصى ، استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة فى الخير يصادفها فى قلبه ، وذلك هو الهلاك .

ويكفى فى تغييـر الطبع مجرد سماع الخـير والشر، فضلا عن مـشاهدته ، وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ : « **عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة** » (٢١٦٢) .

(٢١٦٢) حديث : قال ﷺ : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » . **قال العراقى** : ليس له أصل فى الحديث المرفـوع وإنما هو قول سفيـان بن عيينة كذا رواه ابن الجـوزى فى مقدمة صـفوة الصفوة . اهـ.

قال مرتضى : وسئل عنه تلميذه الحافظ ابن حجر فقال لا أستحضره مرفوعا وقال تلميذه الحافظ السخـاوى فى المقاصد وسأل أبو عمر وأبو جـعفر بن حمدان وهما صـالحان بأى نية أكتب الحديث فـقال ألستم تروون أن عند ذكر الصـالحين تنزل الرحمة قال نعم قـال فرسول الله ﷺ رأس الصالحين . اهـ.أشار بذلك أن له أصلا وقـال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو حاتم أحمد بن مـحمد بن الحسن حدثنا الحسن بن مـحمد الهيتمى حدثنا مـحمد بن حسين=

وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله ، وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه ، وهو انبعاث الرغبة من القلب ، وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ، ومبدأ الرحمة فعل الخير ، ومبدأ فعل الخير الرغبة ، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهذا معنى نزول الرحمة .

والمفهوم من فحوى هذا الكلام ، عند الفطن كالمفهوم من عكسه ، وهو أن عند ذكر الفاسقين ، تنزل اللعنة ، لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر المعاصي ، واللعنة هى البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة ، لا على الوجه المشروع ، ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ، ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع .

وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم ، بل قد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ : « **مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره ، علق بك من ريحه** » (٢١٦٣) فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به ، فكذلك يسهل الفساد على القلب ولا يشعر به .

= قال سمعت ابن عيينة يقول عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ووقع فى كتاب جامع العلم لابن عبد البر عزوه إلى الثورى والمشهور الأول .

(٢١٦٣) حديث : قال ﷺ : « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى موسى .اهـ.

قال مرتضى : هما حديث واحد وقد أدرج المصنف بينهما كلاما من عنده واختلف فى سياق لفظه فلفظ البخاري مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدم من صاحب المسك إما يشتريه أو يجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة وهكذا رواه أيضا ابن حبان وفى لفظ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة ورواه ابن حبان أيضا والرامهرمزى فى الأمثال بلفظ مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يصبك منه أصابك ريحه ومثل الجليس السوء مثل القيران لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وقد روى هذا أيضا من حديث أنس بلفظ ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شئ أصابك من ريحه ومثل جليس السوء =

وقال ﷺ : « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه» .

ولهذا أقول : من عرف من عالم زلة ، حرم عليه حكايتها لعلتين :

إحداهما: إنها غيبة .

والثانية : وهى أعظمهما أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها ، فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية ، فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال : كيف يستبعد هذا منا ، وكلنا مضطرون إلى مثله ، حتى العلماء والعباد، ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم، ولا يتعاطاه موفق معتبر ، لشق عليه الإقدام ، فكم من شخص ، يتكالب على الدنيا، ويحرص على جمعها ، ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ، ويهوّن على نفسه قبحها، ويزعم أن الصحابة ﷺ لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة ، وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ، ويخمن فى نفسه ، أن ذلك لم يكن لطلب الحق ، بل لطلب الرياسة ، فهذا الاعتقاد خطأ، يهون عليه أمر الرياسة ولوازمها من المعاصى .

والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات ، والإعراض عن الحسنات ، بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به، وهو من دقائق مكايد الشيطان ، ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ (الزمر : ٢١٨) .

= كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه هكذا رواه أبو داود والنسائى من طريق قتادة عن أنس وبلفظ مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل القيران إن لم يحرق ثوبك أصابك من ريحه هكذا رواه أبو داود أيضا وأبو يعلى وابن حبان فى روضة العقلاء والحاكم والضياء فى المختارة من طريق شبيل عن أنس .

وضرب ﷺ لذلك مثلا ، وقال : « مثل الذى يجلس يستمع الحكمة ، ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع ، كمثل رجل أتى راعيا فقال له : يا راعى أجزر لى شاة من غنمك ، فقال : اذهب فخذ خير شاة فيها ، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم » (٢١٦٤) .

وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا ، ومما يدل على سقوط وقع الشىء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر فى نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره ، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم ، وحز الرقبة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ، ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر، والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب ، ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها ، وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ، ولا يستبعد منه ذلك، والغيبة أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير؟ ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهون على النفس أمرها ، فتفطن لهذه الدقائق ، وفر من الناس فرارك من الأسد ، لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد فى حرصك على الدنيا ، وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ، ويضعف رغبتك فى الطاعة.

(٢١٦٤) حديث : قال ﷺ : « مثل الذى يسمع الحكمة ثم لا يحمل منها إلا شر ما يسمع» وفى رواية : ولا يحدث عن صاحبه إلا شر ما يسمع « كمثل رجل أتى راعيا فقال يا راعى اجزر لى » وفى رواية أجزرنى أى اعطينى « شاة من غنمك » تصلح للذبح يقال أجزرت القوم إذا أعطيتهم شاة يذبحونها ولايقال إلا فى الغنم خاصة قاله ابن الأثير «فقال» له الراعى «اذهب فخذ خير شاة فيها » وفى رواية فخذ بأذن خيرها « فذهب فأخذ بإذن كلب الغنم » أى الذى يحرس الغنم من الذئاب **قال العراقى** : رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى والرامهرمزى فى الأمثال والبيهقى فى الشعب وسند أحمد رجال موثقون .

فإن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ، ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره ، فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق « **أن الجليس الصالح خير من الوحدة ، وأن الوحدة خير من الجليس السوء** » (٢١٦٥) .

ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة ، أو التقرب إليه بالخلطة ، وإياك أن تحكم مطلقا على العزلة، أو على الخلطة بأن إحداهما أولى ، إذ كلٌ مفصلٌ فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ؛ ولا حق في المفصل إلا التفصيل .

الفائدة الثالثة : الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها ، وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات. فالمعتزل عنهم في سلامة منها .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن ووصفها وقال ﷺ : « **إذا رأيت الناس مرجت عهودهم ، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه قلت : فما تأمرني ؟ فقال : الزم بيتك وأمسك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة**» (٢١٦٦) .

(٢١٦٥) حديث : « إن الجليس الصالح خير من الوحدة وإن الوحدة خير من الجليس السوء » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقد روي مرفوعا من حديث أبي ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وإملاء الخير خير من الصمت والصمت خير من املاء الشر أخرجه الحاكم وأبو الشيخ والعسكرى والبيهقى ورواه الديلمى من حديث أبى هريرة وقد تقدم تخريجه فى حديث رقم ١٨٠٨ ص ١٦٣٨ .

(٢١٦٦) حديث : قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : قال ﷺ : « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم » أى اضطربت « وخفت أماناتهم » أى قلت « وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه » إشارة إلى شدة الاختلاط « فقلت ما تأمرني يا رسول الله فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك» أى لا تتكلم في شيء من أمورهم «وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » **قال العراقي:** رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد حسن. اهـ =

وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق » (٢١٦٧) .

وروى عبد الله بن مسعود أنه ﷺ قال : « سيأتى على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ، ومن شاهق إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ قيل له : ومتى ذلك يا رسول الله قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال : إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدى أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده ، فإن لم يكن فعلى يدى قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : يعيرونه بضيق اليد ، فيتكلف مالا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » (٢١٦٨) .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى من حديث سهل بن سعد بلفظ كيف ترون إذا أخرتم فى زمان حثالة الناس قد مرجت عهودهم ونذورهم فاشتبكوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قالوا الله ورسوله أعلم قال تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون ويقبل أحدكم على خاصة نفسه ويذر أمر العامة ورواه البزار من حديث ثوبان بلفظ كيف أنتم فى قوم مرجت عهودهم وإيمانهم وإماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه قالوا كيف نصنع يا رسول الله قال اصبروا وخالقوا الناس باخلاقهم وخالفوهم فى أعمالهم .

(٢١٦٧) حديث : قال أبوسعيد الخدرى ؓ : قال ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال » كذا فى النسخ والرواية شعف الجبال محركة وهو رأس الجبل «ومواقع القطر» أي مساقط الغيث « يفر بدينه » أى بسبب دينه « من الفتن » **قال العراقى** : رواه البخارى . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه مالك وأحمد وابن أبى شيبة وعبد بن حميد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان .

(٢١٦٨) حديث : قال عبد الله بن مسعود ؓ : قال ﷺ : « سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق » وهو الجبل العالى «ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله فإذا كان ذلك الزمان » فقد « حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا=

وهذا الحديث وإن كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منه ، إذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ، ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى ، ولست أقول هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ، ولأجله قال سفيان: والله لقد حلت العزلة .

وقال ابن مسعود ﷺ : « ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة وأيام الهرج ، قلت: وما الهرج؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه ، قلت : فبم تأمرنى إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال : كف نفسك ويدك وادخل دارك ، قال : قلت يا رسول الله : أرأيت إن دخل على دارى ، قال : فادخل بيتك ، قلت : فإن دخل على بيتى ، قال : فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل : ربى الله حتى تموت » (٢١٦٩) .

رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدى قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة » **قال العراقى** : تقدم فى النكاح حديث رقم ١٣٨٩ ص ١٢٣٨ . اهـ.

قال مرتضى : وقد روي مختصرا يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه ألا من فر به من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر كالثعلب بأشباله وذلك فى آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت العزوبة يكون فى ذلك الزمان هلاك الرجل على يدى أبويه إن كان له أبوان فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدى الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخليلى فى الإرشاد والرافعى فى التاريخ .

(٢١٦٩) حديث : قال ابن مسعود ﷺ : « ذكر رسول الله ﷺ الفتنة وأيام الهرج » بفتح فسكون « قلت وما الهرج » يا رسول الله « قال حين لا يأمن الرجل جليسه » أى من بوائقه « قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويديك » أى عن المباشرة «وادخل دارك » وأغلق عليك الباب « قال قلت أرأيت يا رسول الله أن دخل على دارى قال فادخل بيتك » أى داخل الدار « قال إن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك » أى المخدع الذى تصلى فيه داخل البيت « واصنع هكذا وقبض علي الكوع » هو طرف الزند الذى يلى الإبهام « وقل ربى الله حتى تموت » **قال العراقى** : رواه أبو داود مختصرا والخطابى فى العزلة بتمامه وفى إسناده عند الخطابى انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته . اهـ.

وقال سعد : لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطونى سيفا له عينان بصيرتان، ولسان ينطق بالكافر، فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه ، وقال : مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون، إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق ، فالتبس عليهم ، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا وضلوا ، وقال بعضهم: ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا .

فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ، ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما « **أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد ؟ فقال : العراق ، فإذا معه طوامير وكتب فقال : هذه كتبهم وبيعتهم : فقال : لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال : إنى أحدثك حديثا أن جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم، فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : استودعك الله من قتيل أو أسير** » (٢١٧٠) .

= **قال مرتضى :** إن كان هو الراوى عن ابن مسعود فهو سالم البراد أبو عبد الله الكوفى روى عنه عبد الملك بن عمير وإسماعيل بن أبى خالد وثقه صالح جرزة .

(٢١٧٠) حديث : قال ابن عمر رضي الله عنه : « أنه لما بلغه أن الحسين » بن على رضي الله عنه « توجه إلى العراق » حين وردت عليه كتب من الكوفة بنصرته والقيام معه وكان قد شاور جملة من الصحابة فما رضوا خروجه من المدينة فأبى فلما خرج بأهله وعياله اتبعه ابن عمر « لحقه على مسيرة ثلاثة أيام » من المدينة بعد خروجه « فقال له أين تريد فقال » أريد « العراق فإذا معه طوامير وكتب» التى وصلت إليه منهم « فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم» فإنهم لا وفاء لهم وبالأمس قتلوا أباك فكيف ينصرونك اليوم « فأبى » الحسين رضي الله عنه « فقال » ابن عمر «إنى محدثك حديثا أن جبريل أتى النبى ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة » أى جزء « من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا» أى الخلافة « وما صرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى » الحسين «أن يرجع»=

وكان فى الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا .
وجلس طاوس في بيته فقيل له فى ذلك فقال : فساد الزمان ، وحيف الائمة .

ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له : لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال : رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية ، وفيما هناك عما أنتم فيه عافية .

فإذًا الحذر من الخصومات ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

الفائدة الرابعة : الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ، ومرة بسوء الظن والتهمة ، ومرة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها ، وتارة بالنميمة أو الكذب ، فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال مالا تبلغ عقولهم كنهه ، فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر ، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك .

ولذلك قال بعض الحكماء لغيره : أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو ... بقبيح يكون أو بجمال

= «وكان أمر الله قدرا مقدورا» « فعانقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل أو أسير» **قال العراقى :** رواه الطبرانى مقتصرا على المرفوع ورواه فى الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن .اهـ.

قال مرتضى : والذى فى القوت ولما ودع ابن عمر الحسين بن على رضي الله عنهما بمكة وقت خروجه إلى الكوفة قال له لا تخرج ولا تطلب هذا الأمر فإن الله عز وجل يزوى عنكم الدنيا وأنتم أهل بيت اختار الله لكم الاخرة وكذلك قاله ابن عباس فقال قد جاءونى بثلاثمائة كتاب ليتسحثونى على القدوم فعانقه ابن عباس وقال استودعك الله من قتيل.اهـ. وروى الطبرانى من حديث أبى واقد رفعه خير عبد من عبيد الله بين الدنيا وملكها ونعيمها وبين الأخرة فاختار الأخرة فقال أبو بكر بل نفديك يا رسول الله بأموالنا وأنفسنا .

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم فى أعمالهم، لا ينفك من حاسد وعدو يسيء الظن به ، ويتوهم أنه يستعد ، لمعاداته ونصب المكيدة عليه ، وتدسيس غائلة وراءه ، فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ (المنافقون: ٤) .

وقد اشتد حرصهم على الدنيا ، فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها .

قال المتنبى:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار ، وأنواع الشر الذى يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة ، ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفى العزلة خلاص من جميعها . وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة.

فقال أبو الدرداء ﷺ : « أخبر تقله » (٢١٧١) يروى مرفوعا .

(٢١٧١) حديث : قال أبو الدرداء ﷺ : « أخبر » بضم الهمزة أمر من خبره إذا جربه « تقله » بفتح اللام وكسرها معا من قلاه يقلاه ويقليه قلى وقلى إذا أبغضه .

قال مرتضى : أغفله العراقى ويروي ذلك مرفوعا رواه أبو يعلى فى مسنده والعسكرى فى الأمثال والطبرانى فى الكبير ثلاثتهم من طريق بقية بن الوليد عن أبى بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس وقال الطبراني فى روايته عن عطية المذبوح ثم اتفقوا عن أبى الدرداء رفعه به وكذا أخرجه ابن عدى فى كامله من جهة بقية بلفظ وجدت الناس أخبر تقله ورواه الحسين بن سفيان ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية من طريق بقية أيضا باللفظ الأول لكنه قال عن أبى عطية المذبوح ورواه الطبرانى فى الكبير والعسكرى فى الأمثال من حديث أبى حيوة شريح بن يزيد عن أبى بكر بن أبى مريم عن سعيد بن عبيد الله الأفطس وسفيان بن المذبوح كلاهما عن أبى الدرداء أنه كان يقول ثق بالناس رويدا ويقول أخبر تقله وكلها ضعيفة فابن أبى مريم وبقية ، ضعيفان ورواه العسكرى من حديث مؤثرة بن محمد حدثنا سفيان عن سعيد بن حسان عن مجاهد وجدت الناس كما قيل أخبر من شئت تقله .

وقال الشاعر :

من حـــمـــد الـناس ولم يـبلـهم ثـم بلاهـم ذم من يحــمــــد
وصـــار بالـوحـدة مـسـتــأنسًـا يوحـــشـــه الأقـــرب والأبـعـــد

وقال عمر رضي الله عنه : فى العزلة راحة من القرين السوء ، وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتى المدينة ، فقال : ما بقى فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة .

وقال ابن السماك : كتب صاحب لنا : أما بعد ، فإن الناس كانوا دواء يتداوى، فصاروا داء لا دواء له ، ففر منهم فرارك من الأسد .

وكان بعض الأعراب يلازم شجرا ويقول : هو نديم فيه ثلاث خصال ؛ إن سمع منى لم ينم على ، وإن تفلت فى وجهه احتمل منى ، وإن عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد ذلك فقال : زهدنى فى الندماء .

وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له : فى ذلك فقال : لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر .

وقال الحسن رضي الله عنه : أردت الحج فسمع ثابت البنانى بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال : بلغنى أنك تريد الحج ، فأحببت أن أصحبك فقال له الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا أنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه .

وهذه إشارة إلى فائدة أخرى فى العزلة ، وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وساتر العورات .

وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (البقرة : ٢٧٣) .

وقال الشاعر:

ولا عـار إن زالـت عن الحـر نعـمـة ولكـن عـاراً أن يزول الـتـجـــمل

ولا يخلو الإنسان فـي دينه ودنياه وأخلاقـه وأفعاله عن عـورات الأولى فى الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها .

وقال أبو الدرداء : كـان الناس ورقا لا شـوك فيـه ، فالناس اليـوم شوك لا ورق فيه. وإذا كـان هذا حكم زمانه وهو فى أواخر القرن الأول فـلا ينبغى أن يشك فى أن الأخير شر .

وقال سفـيان بن عيينة قال لى سـفيان الثوري فى اليقظة فى حـياته وفى المنام بعد وفاته : أقلل من معرفة الناس ، فـإن التخلص منهم شديد ، ولا أحسب أنى رأيت ما أكره إلا ممن عرفت .

وقال بعـضهم : جئت إلى مـالك بن دينار وهو قاعد وحـده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال : دعه يا هذا، هذا لا يضر ولا يؤذى ، وهو خير من الجليس السوء .

وقيل لبـعضهم : مـا حملك على أن تعـتزل الناس . قال : خـشيت أن أسلب دينى ولا أشعر .

وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء .

وقال أبو الـدرداء : اتقوا الله واحـذروا الناس ، فإنهم مـا ركبـوا ظهر بعـير إلا أدبروه، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه .

وقال بعضـهم : أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك ، وأخف لسقـوط الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع .

وقال بعضهم : أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف .

الفائدة الخامسة : أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس. فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد . فإن رضا الناس غاية لا تدرك ، فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى ، ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة ، وعيادة المريض، وحضور الولائم والإملاكات ، وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات، ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير ، ولا يمكن إظهار كل الأعذار ، فيقولون له: قمت بحق فلان وقصرت فى حقنا ويصير ذلك سبب عداوة .

فقد قيل : من لم يعد مريضا فى وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله . إذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا ؛ وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله فى دين أو دنيا .

قال عمرو بن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء .

وقال ابن الرومى :

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعى رحمه الله : « **أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام** » (٢١٧٢) .

وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ، ولا يرى إلا الخيبة فى أكثر

(٢١٧٢) حديث : قال الشافعى ﷺ : « أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام» .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى والآبرى وغيرهما فى مناقب الشافعى ولفظهم الصنيعة إلى الأنذال وأخرجه أبو نعيم فى ترجمة سفيان الثورى من طريق ابن حنيف حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله قال سمعت الثورى يقول وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام .

الأحوال، فيتأذى بذلك ، ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع .

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾ (الحجر : ٨٨) .

وقال ﷺ : « **انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» (٢١٧٣) .

وقال عون بن عبد الله : كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما ، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي ، فجالست الفقراء، فاسترحت .

وحكى أن المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان: ٢٠) .

ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا ، فالذى هو فى بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن ، فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر ، أو تنبعث رغبته فيحتال فى طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا .

أما فى الدنيا ، فبالطمع الذى يخيب فى أكثر الأوقات ، فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له .

وأما فى الآخرة فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى ، والتقرب إليه .

(٢١٧٣) حديث : قال ﷺ : « انظروا إلى من هو دونكم » وفى رواية إلى من هو أسفل منكم أى فى أمور الدنيا « ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا » أى لا تحتقروا «نعمة الله عليكم » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحكيم فى نوادر الأصول .

ولذلك قال ابن الأعرابى .

إذا كـان باب الذل من جـانب الغنى ... سمـوت إلى العلياء من جانب الفـقر

أشار إلى أن الطمع يوجب فى الحال ذلا .

الفـائدة السـادسـة : الخلاص من مـشاهدة الثقـلاء والحمقى ، ومقـاساة حمـقهم وأخلاقهم. فإن رؤية الثقيل هى العمى الأصغر .

قيل للأعمش : مم عـمشت عيناك ؟ قال : من النظر إلى الثـقلاء ، ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة ، فقال فى الخبر : « **إن من سلب الله كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير منهما** » (٢١٧٤) .

(٢١٧٤) حديث : قال ﷺ : « من سلب الله كريمتيه » أى عينيـه ويقال للعين كريمة لكرامتها على صاحبها «عوضه عنهما ما هو خير منهما» **قال العراقى** : رواه الطبرانى باسناد ضعيف من حديث جرير من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة وله ولأحمد نحوه من حديث أبى أمامة بسند حسن وللبخارى من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابـتليت عبدى بحبيبتيه ثم صبر عوّضته منهما الجنة يريد عينيه .اهـ.

قال مرتضى : حديث جرير رواه الطبرانى فى الأوسط بهـذا اللفظ بزيادة قال الله تعالى وهو فى الكبير أيضـا إلا أنه وقع فى النسخة عن جويبر وكأنه تحـريف من النساخ وقد روى ذلك أيضا من حديث أبى هريرة يقول الله عـز وجل من أذهبت حبيبتيه فصـبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة رواه هناد والترمذى وقال حسن صحيح ومن حديث أبى أمامة يقول الله تعالى يا ابن آدم إذا أخذت كـريمتيك فصبرت واحتسـبت عند الصدمة الأولى لم أر لك ثوابا دون الجنة رواه أحمـد وأبو داود ورواه الطبرانى فى الكبـير بلفظ قال ربكم إذا قـبضت كريمة عبدى وهو بها ضنين فـحمدني على ذلك لم أرض له ثوابا دون الجنة ومن حديث ابن عباس قـال الله تعالى إنى إذا أخذت كريمتى عـبدى فصبر واحـتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه أبو يعلى والطبـرانى فى الكبيـر والضياء فى المخـتارة ومن حديـث العرباض بن سارية قال الله عز وجل إذا قبضت من عبدى كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثوابا إلا الجنة إذا حمدنى عـليهما رواه ابن حبـان والطبرانى فى الكبير وأبو نعـيم فى الحلية وابن عسـاكر فى التـاريخ وأما حديـث أنس الذى أخرجه البـخارى فـقد أخرجـه كذلك أحـمد والطبرانى فى الكبـير فأخـرجه من حديث جـرير بهذا اللفظ وروي بلفظ آخر قـال الله عز وجل لا أقبض كريمـتى عبدى فيصـبر لحكمى ويرضى لقضائى فـأرضى له بثواب دون الجنة=

فما الذى عوضك ؟ فقال فى معرض المطايبة : عوضنى الله عنهما أنه كفانى رؤية الثقلاء وأنت منهم .

وقال ابن سيرين : سمعت رجلا يقول : نظرت إلى ثقيل مرة فغشى على .

وقال جالينوس لكل شىء حمى، وحمى الروح النظر إلى الثقلاء .

وقال الشافعى رحمه الله : ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذى يليه من بدنى كأنه أثقل على من الجانب الآخر .

وهذه الفوائد ما سوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة . ولكنها أيضا تتعلق بالدين ، فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه ، وأن يستنكر ما هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته .

وكل ذلك يجر إلى فساد الدين ، وفى العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم .

آفات العزلة

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة ، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة . وفواته من آفات العزلة .

فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعى إليها ما هى ؟ وهى التعليم والتعلم ، والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس ، والإيناس ونيل الثواب ، وإنالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها .

= رواه هكذا عبد بن حميد وسمويه فى فوائده وابن عساكر ورواه أبو يعلى بلفظ قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة .

فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة وهى سبع :

الفائدة الأولى : التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما فى كتاب العلم . وهما أعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصوّر ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة ، وبعضها ضرورى فى الدنيا ، فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم الفرض ، وكان لا يتأتى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل ، وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل ، فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعى وغيره : تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس ، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ، ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ، ويبطل عمله ، بحيث لا يدرى ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها ، فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان ، وهو يرى نفسه من العباد .

فالعلم هو أصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال ، أعنى من لا يحسن العبادة فى الخلوة ولايعرف جميع ما يلزمه فيها ، فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه ، فالمريض الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه ، فلا تليق العزلة إلا بالعالم .

وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم ، ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والاتباع ، فهو هلاك الدين .

وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه ، فإنه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه ، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف يستميل به العوام فى معرض الوعظ ، أو الجدل معقد يتوصل به إلى افحام الأقران ، ويتقرب به إلى السلطان ، ويستعمل فى معرض المنافسة والمباهاة وأقرب علم

مرغوب فيه المذهب ، ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الامثال ، وتولى الولايات واجتلاب الأموال ، فهؤلاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم ، فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله تعالى فاكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه ، وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف .

ولا ينبغى أن يغتر الإنسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلي الله ، وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ، ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها : « وليس الخبر كالمعاينة » (٢١٧٥) .

واعلم أن العلم الذى أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ، ومعرفة سير الأنبياء والصحابة ، فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله، فإن لم يؤثر في الحال أثر فى المآل .

وأما الكلام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوي المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله ، بل لا يزال متماديا فى حرصه إلى آخر عمره .

(٢١٧٥) حديث : « ليس الخبر كالمعاينة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهو حديث مرفوع رواه أحمد وابن منيع والعسكرى من طريق جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأورده الدارقطنى فى الإفراد من طريق غندر عن شعبة والطبرانى فى الأوسط من طريق محمد بن عيسى الطباع كلاهما عن هشيم عن ابن أبى وحشية قال الدارقطنى تفرد به خلف بن سالم عن غندر عن شعبة وكذا رواه أبو عوانة عن ابن أبى وحشية أخرجه ابن حبان والعسكرى أيضا وقد صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وغيرهما وأورده الضياء فى المختارة وممن روى عن هشيم أيضا أحمد وزياد بن أيوب والنضر بن طاهر والمأمون وأبو القاسم البغوى قال الحافظ السخاوى وقول ابن عدى أن هشيما لم يسمعه من ابن أبى وحشية وإنما سمعه من أبى عوانة عنه فدلسه لا يمنع صحته لا سيما وقد رواه الطبرانى وابن عدى وأبو يعلى الخليلى فى الإرشاد من حديث ثمامة عن أنس ومن هذا الوجه أيضا أورده الضياء فى المختارة وفى لفظ ليس المعاين كالمخبر .

ولعل ما أودعناه هذا الكتاب أن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا ، فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره ، فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا ، وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ، ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه ، فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون .

وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه ، وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال ، والتكبر عليهم « **فآفة العلم الخيلاء** » (٢١٧٦) كما قال ﷺ .

ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطراً من كتب الأحاديث التي سمعها، وكان لا يحدث ويقول : إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ، ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت .

ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل : حدثنا فإنما يقول : أوسعوا لي .

وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري : نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال : وفيماذا رغبت ؟ قالت : في الحديث .

ولذلك قال أبو سليمان الداراني : من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر، فقد ركن إلى الدنيا .

(٢١٧٦) حديث : قال ﷺ : « آفة العلم الخيلاء » **قال العراقي :** المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسنده ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء .اهـ.

قال مرتضى : رواه البيهقي في الشعب وابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ آفة الظرف الصلف وآفة الشجاعة البغي وآفة السماحة المن وآفة الجمال الخيلاء وآفة العبادة الفترة وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة الحلم السفه وآفة الحسب الفخر وآفة الجود السرف .

فهذه آفات قد نبهنا عليها فى كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة ، وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن ، بل الذى يطلب الدنيا بتدريسه وتعلمه فالصواب له – إن كان عاقلا – فى مثل هذا الزمان أن يتركه .

فلقد صدق أبو سليمان الخطابى حيث قال : دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك ، فليس لك منهم مال ولا جمال ، إخوان العلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك ، وإذا غبت عنهم سلقوك ، من أتاك منهم كان عليك رقيبا ، وإذا خرج كان عليك خطيبا ، أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك ، فما غرضهم العلم ، بل الجاه والمال ، وإن يتخذوك سلما ، إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارا فى حاجاتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك ، وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم ، وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها . وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا ، بعد أن كنت متبوعا رئيسا .

ولذلك قيل : اعتزال العامة مروءة تامة ، فهذا معنى كلامه ، وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق ، فإنك ترى المدرسين فى رق دائم وتحت حق لازم ، ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدى تحفة إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار ، ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ، ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام . ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى فى مقاساة القسمة على أصحابه . إن سوى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل ، والقيام فى مقادير الحقوق بالعدل وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد ، وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد . فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مطالبة ما يأخذه ويفرقه عليهم فى العقبى .

والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمنى نفسه بالأباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها : لا تفترى عن صنيعك فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ، ومذيعة شرع رسول الله ﷺ وناشرة علم دين الله ، وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لا مالك لها وهى مرصدة للمصالح ، وأى مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله ، ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام ، فتلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصى باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم .

ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك ، وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذى ليس له دواء .

الفائدة الثانية : النفع والانتفاع :- أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة . والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة ، فيقع فى جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه فى كتاب الكسب ، فإن كان معه ما لو اكتفى به قانعا لاقنعه .

فالعزلة أفضل له أن انسدت طرق المكاسب فى الأكثر إلا من المعاصى إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة ، فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة . وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق فى معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله ، أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة .

وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله ، أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففى النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة ، ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهى أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل فى عزلته

إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

الفائدة الثالثة : التأديب والتأدب ؛ ونعنى به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسراً للنفس ، وقهراً للشهوات . وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة وهى أفضل من العزلة فى حق من لم تتهذب أخلاقه ، ولم تذعن لحدود الشرع شهواته .

ولهذا انتدب خدام الصوفية فى الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم ، وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو المبدأ فى الأعصار الخالية .

والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ، ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع ، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ، ولو إلى القبر، وإن كانت النية رياضة النفس فهى خير من العزلة فى حق المحتاج إلى الرياضة ، وذلك مما يحتاج إليه فى بداية الإرادة .

فبعد حصول الارتياض ينبغى أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق. والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة ؛ وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق .

فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها ، فلا يستفيد منها إلا الخلاص فى الحال من عضها ورفسها ورمحها ، وهى لعمرى فائدة مقصودة ، ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة .

وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات فى الحال يحصل بالنوم والموت ، ولا ينبغى أن يقنع به كالراهب الذى قيل له : يا راهب؛ فقال ما أنا راهب ، إنما أنا كلب عقور ، حبست نفسى حتى لا أعقر الناس ، وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس ، ولكن لا ينبغى أن يقتصر عليه، فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس ، بل ينبغي أن يتشوّف إلى الغاية المقصودة بها ، ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة . فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا ، والعزلة آخرا .

وأما التأديب فإنما نعنى به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم ، فإنه لا يقدر علي تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال المعلم ، وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم .

إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفى طلبة العلم كثرة ، فينبغى أن يقيس ما تيسر له من الخلوة، بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم ، وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص ، فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفى ولا إثبات .

الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس : وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس ، وهذا يرجع إلى حظ النفس فى الحال .

وقد يكون ذلك على وجه حرام ، بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته ، أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله فى الدين ، كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى .

وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعى النشاط فى العبادة : « **فإن القلوب إذ أكرهت عميت** » (٢١٧٧) .

ومهما كان فى الوحدة وحشة ، وفى المجالسة أنس يروح القلب ، فهى أولى إذ الرفق فى العبادة من حزم العبادة .

ولذلك قال ﷺ : « **إن الله لا يمل حتى تملوا** » (٢١٧٨) .

وهذا أمر لا يستغنـى عنه ، فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح . وفى تكليفها الملازمة داعية للفترة .

وهذا عنى بقوله ﷺ : « **إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق والايغال فيه برفق دأب المستبصرين** » (٢١٧٩) .

(٢١٧٧) حديث : « القلوب إذا أكرهت عميت » .

قال مرتضى : أغـفله العراقى وأخرج أبو داود فى مراسيله عن الزهرى مرسلاً ووصله الديلمى من طرق أبى الظاهـر الموقرى عن الزهرى عن أنس رفـعه روّحـوا القلوب ساعـة وساعة وأخرجه ابن المقرى فى فوائده ومن طريقه الـقضاعى فى الشهاب وفى صحيح مسلم من حديث حنظلة يا حنظلة ساعة وساعة .

(٢١٧٨) حديث : قال ﷺ : « إن الله لا يمل حتى تملوا » **قال العراقى :** تقدم تخريجه قبل ذلك . اهـ.

قال مرتضى : وقال البخارى فى صحيحه حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى عن هشام قال أخـبرنى أبي عن عائشة ﵂ أن النبى ﷺ دخـل عليها وعندها امرأة فـقال من هذه قالت فلانة تذكـر من صلاتها قال مـه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل اللـه حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه والملالة من السآمة والضجر.

(٢١٧٩) حديث : قال ﷺ : « إن الدين متين والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين » .

قال مرتضى : أغـفله العراقى وأشار به إلى ما رواه أحمـد من حديث أنس رفعه أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق وروى البزار من حديث جابر مرفوعا أن هذا الدين متين فأوغل فيـه برفق فإن المنبت لا أرضـا قطع ولا ظهرا أبقى وقـول : فمن يشاد هذا الديـن يغلبه ، أخرج البخارى فى الصحيح من طريق سعـيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه إن الدين يسر ولن=

ولذلك قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة: لدخلت بلادًا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس ، فلا يستغنى المعتزل إذًا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة . فليجتهد فى طلب من لا يفسد عليه فى ساعته تلك سائر ساعاته .

فقد قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » .

وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى أمور الدين ، وحكاية أحوال القلب وشكواه ، وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد . ففى ذلك متنفس ومتروح للنفس ، وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه ، فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة ؛ والراضى عن نفسه مغرور قطعا .

فهذا النوع من الاستئناس فى بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة فى حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس أولاً ثم ليجالس .

الفائدة الخامسة : فى نيل الثواب وإنالته : أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلابد منه وحضور الجماعة فى سائر الصلوات أيضا لا رخصة فى تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه ، وذلك لا يتفق إلا نادرا ؛ وكذلك فى حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث أنه إدخال سرور على قلب مسلم .

وأما إنالته ، فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس ، أو ليعزوه فى المصائب أو يهنوه على النعم فإنهم ينالون بذلك ثوابا .

= يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا .... الحديث هكذا هو فى رواية الأصيلى ورواه كذلك أبو نعيم وابن حبان الإسماعيلى والنسائى.

وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة ، وكان هو بالتمكين سببا فيه .

فينبغى أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التى ذكرناه ، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة .

فقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى ، وحضور الجنائز بل كانوا أجلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

الفائدة السادسة : من المخالطة التواضع : فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه فى الوحدة ، وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة ، فقد روى فى الاسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة ، فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان: إنك قد ملأت الأرض نفاقا وأنى لا أقبل من نفاقك شيئا ، قال : فتخلى وانفرد فى سرب تحت الأرض ، وقال : الآن قد بلغت رضا ربى فأوحى الله إلى نبيه قل له : إنك لن تبلغ رضاى حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم ، فخرج فدخل الأسواق ، وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى فى الأسواق معهم ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضاى .

فكم من معتزل فى بيته وباعثه الكبر ، ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس .

وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط ، فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة ، فيتخذ البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت فى الخلوة بذكر أو فكر .

وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ، ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم ، وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ؛ ولو كان الاشتغال بنفسه هوالذى يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال : وهل جئتنى إلا لأتزين لك وتتزين لى.

وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذى زاره : حاجتى أن لا أراك ولا ترانى ، فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه :

أحدها : أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه ، أو دينه إذ كان على رضي الله عنه يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبيّ وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول وهو والى المدينة ، والحطب على رأسه : طرقوا لأميركم .

« وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشترى الشىء فيحمله إلى بيته بنفسه ، فيقول له صاحبه اعطنى أحمله فيقول : صاحب الشىء أحق بحمله » (٢١٨٠) .

(٢١٨٠) حديث : « كان » صلى الله عليه وسلم « يشترى الشىء » من السوق « ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه » الذى معه « اعطنى » يا رسول الله « أحمله » عنك « فيقول صاحب المتاع أحق بحمله » **قال العراقى** : رواه أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف فى حمله السراويل الذى اشتراه .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه عند أبي يعلى فى المسند صاحب المتاع أحق به أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه عليه أخوه المسلم وأخرجه كذلك ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الإفراد والعقيلى فى الضعفاء وابن عساكر فى التاريخ=

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر ، فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله ، فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول: إن الله لا يحب المستكبرين .

الوجه الثاني: أن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه ، وتحسين اعتقادهم فيه مغرور ، لأنه لو عرف الله حق المعرفة ، علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا ، وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه ، «**وإن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»(٢١٨١) .

= وأورده صاحب الشفاء بدون عزو ولفظهم صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا ولفظ الطبراني في الأوسط قال أبو هريرة دخلت يوما السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له اتزن وأرجح فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من أحد قال أبو هريرة كفى بك من الوهن والجفاء أن لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب إلى يده يريد تقبيلها فجذب يده وقال إنما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم فوزن وأرجح قال أبو هريرة فذهبت أحمله عنه فذكره فأبى أبو هريرة الحديث وهكذا سياقه عند أبي يعلى أيضا **قال الحافظ العراقي** وابن حجر والسخاوي ضعيف بل بالغ ابن الجوزي فحكم بوضعه وقال إن فيه يوسف بن زياد عن عبد الرحمن الأفريقي ولم يروه عنه غيره وأرده الحافظ السيوطي في تعقباته عليه بأنه لم ينفرد به يوسف فقد خرجه البيهقي في الشعب والأدب من طريق حفص بن عبد الرحمن ورد عليه بأن ابن حبان قال في حفص هذا يروي الموضوعات عن الثقات فهو كاف في الحكم بوضعه وأخرجه الديلمي من حديث أبي بكر الصديق رفعه من اشترى لعياله شيئا ثم حمله إليهم حط عنه ذنب سبعين سنة وهو ضعيف أيضا وقال السخاوي أحسبه باطلا والله أعلم .

(٢١٨١) حديث : « إن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرج أبو يعلى الخليلي في الإرشاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه مؤنة المخلوقين ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة رضي الله عنها من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله .

بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعى ليونس ابن عبد الأعلى : والله ما أقول لك إلا نصحا إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل ، فانظر ماذا يصلحك فافعله .

ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا لشىء أمره به ، فقال: يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس ، فالتفت إلى أصحابه وقال : لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين :

عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدنيا إلا خالقه ، وإن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه ، وعبد سقطت نفسه عن قلبه ، فلا يبالى بأى حال يرونه .

وقال الشافعى رحمه الله : ليس من أحد إلا وله محب ومبغض ، فإذا كان هكذا، فكن مع أهل طاعة الله .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد إن قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل : هون على نفسك ، فإنى حدثت نفسى بسكنى الجنان ، ومجاورة الرحمن ، فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس ، لأنى قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم .

وقال موسى عليه السلام : يا رب احبس عنى ألسنة الناس فقال يا موسى : هذا شىء لم أصطفه لنفسى ، فكيف أفعله بك .

وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير: إن لم تطب نفسا بأنى أجعلك علكا فى أفواه الماضغين لم أكتبك عندى من المتواضعين .

فإذاً من حبس نفسه فى البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه ، فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

فإذاً لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكرًا وعبادة وعلمًا، بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته .

فهذه غوائل خفية فى اختيار العزلة ، ينبغى أن تتقى ، فإنها مهلكات فى صور منجيات .

الفائدة السابعة : التجارب: فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجارى أحوالهم. والعقل الغريزى ليس كافيا فى تفهم مصالح الدين والدنيا ، وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب .

فالصبى إذا اعتزل بقى عمرا جاهلا ، بل ينبغى أن يشتغل بالتعلم ويحصل له فى مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ، ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة .

ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه ، وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة، فإن كل مجرب فى الخلاء يسر وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه ، وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها يجب إماطتها وقهرها. ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها .

فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة ، وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره . فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ، ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد ، وفار فوران الشئ المختنق إذا حبس عن الاسترسال ، فكذلك القلب المشحون بالحقد ،

والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تنفجر منه خباثثه إذا حرك ، وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة ، الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم، فمن كان يستشعر فى نفسه كبرا سعى فى إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس، أو حزمة حطب على رأسه ، ويتردد فى الأسواق ليجرب نفسه بذلك فإن غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها .

ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال : أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصليها فى الصف الأول ، ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا فى الصف الأول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول ، فعلمت أن جميع صلواتى التى كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إلى رؤيتهم إياى فى زمرة السابقين إلى الخير .

فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة فى استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل: السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة . وستأتى غوائل هذه المعانى ودقائقها فى ربع المهلكات ، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير ، وبالعلم بها يزكو العمل القليل ، ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل ، إذ يستحيل إن يكون العلم بالصلاة ولايراد إلا للصلاة أفضل من الصلاة ، فإنا نعلم أن ما يراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه .

وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال ﷺ : « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى** » (٢١٨٢) .

فمعنى تفضيل العلم ، يرجع إلى **ثلاثة أوجه** :

أحدها : ما ذكرناه .

(٢١٨٢) حديث : قال ﷺ : « فضل العالم علي العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى »
قال العراقى : رواه الترمذى من حديث أبى أمامة بلفظ على أدناكم وفيه زيادة وقد تقدم فى كتاب العلم مفصلاً حديث رقم ٢٢ ص٤٧ .اهـ.

والثانى : عموم النفع لتعدى فائدته ، والعمل لا تتعدى فائدته .

والثالث : أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله، فذلك أفضل من كل عمل ، بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق ، لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته ، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم ، وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر : ١٠) .

فالكلم الطيب هو هذا العلم ، والعمل كالحمال الرافع له إلى مقصده ، فيكون المرفوع أفضل من الرافع .

وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام ، فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا وإثباتا خطأ ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله ، وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته ، وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل .

وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب ، إذ قال يا يونس : الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط ، فلذلك يجب الاعتدال فى المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل .

هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر ، وإنما هو اخبار كل واحد على حالة خاصة هو فيها ، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له فى الحال ، والفرق بين العالم والصوفى في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفى لا يتكلم إلا عن حاله ، فلا جرم تختلف أجوبتهم فى المسائل ، والعالم هو الذى يدرك

الحق على ما هو عليه ، ولا ينظر إلى حال نفسه ، فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فيه ، فإن الحق واحد أبدا ، والقاصر عن الحق كثير لا يحصى .

ولذلك سئل الصوفية عن الفقر ، فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق فى نفسه ، إذ الحق لا يكون إلا واحدا .

ولذلك قال أبو عبد الله الجلاد وقد سئل عن الفقر فقال : اضرب بكميك الحائط وقل ربى الله ، فهو الفقر .

وقال الجنيد : الفقير هو الذى لا يسأل أحدا ، ولا يعارض ، وإن عورض سكت.

وقال سهل بن عبد الله : الفقير الذى لا يسأل ولا يدخر .

وقال آخر : هو أن لا يكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك.

وقال إبراهيم الخوّاص : هو ترك الشكوى واظهار أثر البلوى .

والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان .

وذلك كله حق من وجه ، فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه، ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدما فى التصوّف ، أو يثنى عليه ، بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه . لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التى تعرض لقلوبهم ، فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى غيرهم ؛ ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف .

ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم فى أدلة الزوال بالنظر فى الظل فقال بعضهم هو فى الصيف قدمان ، وحكى عن آخر أنه نصف قدم وآخر يرد عليه ، وأنه فى الشتاء سبعة أقدام .

وحكى عن آخر ، أنه خمسة أقدام ، وآخر يرد عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم . فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذى رآه ببلده نفسه ، فصدق فى قوله وأخطأ فى تخطئته صاحبه ، إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده .

كما أن الصوفى لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه ، والعالم بالزوال هو الذى يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ، ويقول فى بعضها : لا يبقى ظل ، وفى بعضها يطول وفى بعضها يقصر. فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة .

فإن قلت : فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه فى العزلة فنقول : إنما يطول النظر فى آداب المخالطة، وقد ذكرناها فى كتاب آداب الصحبة .

وأما آداب العزلة ، فلا تطول ، فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولاً ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا .

فهذه آداب نيته ، ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم ، والعمل والذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته ، فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم ، وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به، فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث فى أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب .

فوقوع الأخبار فى السمع كوقوع البذر فى الأرض ، فلابد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ، ويتداعى بعضها إلى بعض ، وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة

عن ذكر الله ، والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها ، وليقنع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم ، وليكن صبورا على ما يلقاه من أذى الجيران ، وليسد سمعه عن الاصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة .

فإن كل ذلك يؤثر في القلب ، ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ، ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها .

وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال .

وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح ، لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ، ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا . وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمرا طويلا ، بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ، ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل .

وليكن كثير الذكر للموت ، ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت .

وإن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه . إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة ، بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه ، فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران: ١٦٩ ، ١٧٠) .

وكل متجرد لله فى جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر.

«فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه» (٢١٨٣) كما صرح به رسول الله ﷺ .

والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال الصحابة ﷺ : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يعنون جهاد النفس .

تم كتاب (العزلة) ويتلوه كتاب (آداب السفر) والحمد لله وحده

★★★

(٢١٨٣) حديث : قال ﷺ : « المجاهد » ليس هو من جاهد الكفار بسيفه وسنانه فقط بل هو أيضا « من جاهد بنفسه وهواه » بأن أماته بسيف تأديبه **قال العراقى** : رواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والترمذى وابن حبان والطبرانى والقضاعى كلهم من حديث عمرو بن مالك الحنفى عن فضالة ولفظهم جميعا المجاهد من جاهد نفسه وفى رواية بزيادة فى ذات الله وفى الباب عن جابر بن عقبة بن عامر .

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات

وفيه بابان :

(الباب الأول) : فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته .

(الباب الثانى) : فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب السفر

وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله ، الذى فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر ، واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه فى الحضر والسفر . فأصبحوا راضين بمجارى القدر ، منزهين قلوبهم عن التلفت إلى منتزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسنح فى مسارح النظر ومجارى الفكر ، فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر والصلاة على محمد سيد البشر ، وعلى آله وصحبه المقتفين لآثاره فى الأخلاق والسير ، وسلم كثيرا .

أما بعد :

فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه .

والسفر سفران :

سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفلوات .

وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات .

وأشرف السفرين السفر الباطن ، فإن الواقف على الحالة التى نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور ، وقانع

بمرتبة النقص ، ومستبدل بمتسع فضاء جنة عرضها السموات والأرض ظلمة السجن وضيق الحبس ، ولقد صدق القائل:

ولم أر فى عيوب الناس عيبا   كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه فى خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير، فاقتضى غموض السبيل ، وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه ، فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين منتزهات الأنفس والملكوت والآفاق ، وإليه دعا الله سبحانه بقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وبقوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٠ ، ٢١) .

وعلى القعود عن هذا السفر وقع الإنكار بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصافات: ١٣٧ ، ١٣٨) .

وبقوله سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف : ١٠٥) .

فمن يسر له هذا السفر لم يزل فى سيره متنزها فى جنة عرضها السموات والأرض ، وهو ساكن بالبدن مستقر فى الوطن وهو السفر الذى لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد ، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده ، فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة فى سفره ووقفة فى حركته . فـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) ، وإذا ﴿ زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف : ٥) . وما الله بظلام

للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ، ومن لم يؤهل للجولان فى هذا الميدان والتطواف فى متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه فى مدة مديدة فراسخ معدودة، مغتنما بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين ، أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة ، وكان له فى سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان ، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة .

ونحن نذكر آدابه وشروطه فى بابين إن شاء الله تعالى .

الباب الأول : فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته **وفيه فصلان .**

الباب الثانى : فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات.



الباب الأول

فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الأول

فى فوائد السفر وفضله ونيتـه

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة ، وفيه فوائد ، وله آفات كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والعـزلة ، والفوائد الباعثة على السفر لا تخـلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ، ولولاه لما كان له مـقصد يسافر إليه ، وإما أن يكون له مقصد ومطلب .

والمهـروب عنـه : إما أمـر له نكاية فى الأمور الدنيوية كـالطاعون والوباء ، إذا ظهر ببلد أو خوف سببه فتنة أو خصومـة أو غلاء سعر ، وهو إما عام كما ذكرناه . أو خاص كـمن يقصد بأذية فى بلدة فـيهرب منهـا ، وإما أمر له نكـاية فى الدين ، كمن ابتلى فى بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله ، فيؤثر الغربة والخمول ، ويجتنـب السعة والجـاه ، أو كمن يدعى إلى بدعـة قهرا ، أو إلى ولايـة عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه .

وأما المطلوب فهو إما دنيوى كالمال والجاه ، أو دينى ، والدينى إما علم ، وإما عمل .

والعلم إما علم من العلوم الدينية ، وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة، وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذى القرنين وطوافه فى نواحى الأرض .

والعمل إما عبادة ، وإما زيارة ، والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد ، والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور ، فإن الرباط بها قربة ، وقد يقصد بها الأولياء والعلماء ، وهم إما موتى ، فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوّة الرغبة فى الاقتداء بهم .

ـ فهذه هى أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام :

القسم الأول : السفر فى طلب العلم :

وهو إما واجب وإما نفل ، وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا ، وذلك العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه فى نفسه ، أو بآيات الله فى أرضه .

وقد قال ﷺ : « **من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع** »(٢١٨٤) .

وفى خبر آخر : « **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة** »(٢١٨٥) .

(٢١٨٤) حديث : قال ﷺ : « من خرج من بيته فى طلب العلم » الشرعى النافع الذي أريد به وجه الله « فهو فى سبيل الله » أى حكمه حكم من هو فى الجهاد « حتى يرجع » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث أنس وقال حسن غريب .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أبو يعلى والطبرانى والضياء فى المختارة وفيه خالد بن يزيد اللؤلؤى قال العقيلى لا يتابع على كثير من حديثه وذكر له هذا الخبر قال الذهبى وهو مقارب الحديث وفى رواية لأبى نعيم فى الحلية بلفظ من طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع .

(٢١٨٥) حديث : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » **قال العراقى :** رواه مسلم وتقدم فى العلم حديث رقم٣٢ ص٥٨ .اهـ.

قال مرتضى : رواه الترمذى وقال حسن من حديث أبى هريرة ويروى من سلك طريقا=

وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد.

وقال الشعبى : لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى ، أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا .

« ورحل جابر بن عبد الله من المدينة ، إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصارى يحدث به عن رسول الله ﷺ حتى سمعوه » (٢١٨٦) .

= يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع الحديث بطوله رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى من حديث أبي الدرداء وقد تقدم ذلك فى كتاب العلم.

(٢١٨٦) حديث : « رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر فى حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس » الأنصارى يحدث عن رسول الله ﷺ حتى سمعوه ، قال ابن إسحاق وهو من قضاعة حليف لبنى سلمة وهو أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى خالد بن نبيح الغزى فقتله وهو الذى سأل النبى ﷺ عن ليلة القدر وهو الذى رحل إليه جابر بن عبد الله فسمع منه حديث القصاص وهذا الذى ساقه المصنف هو بعينه لفظ القوت **وقال العراقى** : رواه الخطيب فى كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابى ، وقال البخارى فى صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر فى حديث وله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أول أمير مصر فى حديث آخر وكلاهما منقطع . اهـ.

قال مرتضى : ويقال هو عبد الله بن أبى أنيسة قال الوليد بن مسلم حدثنا داود بن عبد الرحمن المكى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر رضي الله عنه قال سمعت حديثا فى القصاص لم يبق أحد يحفظه إلا رجل بمصر يقال له عبد الله بن أبى أنيسة فساقه ولكن الصحيح ما قاله البخارى وقرأت فى تاريخ مصر لمحمد بن الربيع الجيزى ما نصه قدم جابر ابن عبد الله الأنصارى مصر بعد الفتح على عقبة بن عامر الجهنى ويقال على عبد الله بن أنيس الجهنى وكان قدومه فى أيام مسلمة بن مخلد ولأهل مصر عنه عن النبى ﷺ نحو من عشرة أحاديث ثم ساقها ثم قال ومما يبين قدوم جابر مصر ما حدثناه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثنا عمر حدثنى محمد بن مسلم الطائفى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال كان عبد الله=

وكل مذكور فى العلم محصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر ، وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه ، فذلك أيضا مهم ، فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه ، ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها ، وإنما السفر هو الذى يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء فى السموات والأرض ، وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق .

ولذلك قال عمر ﷺ للذى زكى عنده بعض الشهود : هل صحبته في السفر الذى يستدل به على مكارم أخلاقه ؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه .

وكان بشر يقول يا معشر القراء : سيحوا تطيبوا ، فإن الماء إذا ساح طاب ، وإذا طال مقامه فى موضع تغير .

وبالجملة فإن النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة ؛ انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها ، فيمكن الاشتغال بعلاجها .

وقد ذكرنا فى كتاب العزلة فوائد المخالطة ، والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق .

= ابن أنيس الجهنى وكان عداده فى الأنصار يحدث عن رسول الله ﷺ حديثا فى القصاص قال جابر فخرجت إلى السوق فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلا ثم سرت إليه شهرا فلما قدمت مصر سألت عنه حتى وقفت على بابه فخرج إلى غليم أسود فقال من أنت قلت جابر بن عبد الله فدخل عليه فذكر ذلك له فقال قل له أصاحب رسول الله ﷺ فخرج الغلام فقال ذلك لى فقلت نعم فخرج إلى فالتزمني والتزمته وذكر الحديث .

وأما آيات الله فى أرضه ففى مشاهدتها فوائد للمستبصر ، ففيها قطع متجاورات، وفيها الجبال والبرارى والبحار ، وأنواع الحيوان والنبات ، وما من شىء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ، ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد .

وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون ، وعن آيات ربهم محجوبون ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧) . وما أريد بالسمع السمع الظاهر ، فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ، ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات .

فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذى هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط ، قال الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ فقال : سل من يدقنى ولم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى .

وما من ذرة فى السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هى توحيدها . وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدس وهى تسبيحها ، ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ، ومن ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال .

ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله تعالى الذى يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ، ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن ، بل يستقر فى موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد فى الفلوات ، وله غنية فى ملكوت السموات ، فالشمس والقمر والنجوم بأمره

مسخرات وهى إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات فى الشهر والسنة مرات ، بل هى دائبة فى الحركة على توالى الأوقات .

فمن الغرائب أن يدأب فى الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به . ومن الغرائب أن يطوف فى أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ، ثم ما دام المسافر مفتقراً إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد فى المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته ، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء ، ولا سبب لطول المقام فى هذا المنزل إلا الجبن والقصور .

ولذلك قال بعض أرباب القلوب : إن الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا، وأنا أقول : غمضوا أعينكم حتى تبصروا ، وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن ، والثانى خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التى لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه ، والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين. وربما يأخذ التوفيق بيده ، فيرشده إلى سواء السبيل ، والهالكون فى التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ، ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم ، وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، واعتبر هذا الملك بملك الدنيا ، فإنه يقل بالإضافة إلى أكثر الخلق طلابه ، ومهما عظم المطلوب قل المساعد ، ثم الذى يهلك أكثر من الذى يملك ولا يتصدى لصلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك فى الدين والدنيا إلا فى حيز الخطر . وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل:

ترى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله فى الأرض ، فلنرجع إلى الغرض الذى كنا بصدده ولنبين .

القسم الثانى : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد :

وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه ، وأعماله الظاهرة والباطنة فى كتاب أسرار الحج. ويدخل فى جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام ، وزيارة قبور الصحابة والتابعين ، وسائر العلماء والأولياء ، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شد الرحال لهذا الغرض .

ولا يمنع من هذا قوله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى** » (٢١٨٧) .

لأن ذلك فى المساجد فإنها متماثلة بعد هذه المساجد ، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء فى أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله .

وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات ، والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم ، فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم .

(٢١٨٧) حديث : قال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » وفى رواية بتقديم المسجد الحرام **قال العراقى : تقدم فى الحج حديث رقم ٧٨٩ ص ٨١٥ .اهـ.**

قال مرتضى : ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه أيضا سوى أبى داود من حديث أبى سعيد ورواه ابن ماجه وحده من حديث ابن عمر وقد تقدم فى أسرار الحج .

هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم ، كيف ومجرد زيارة الإخوان فى الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة .

وفى التوراة : سر أربعة أميال زر أخا فى الله .

وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها .

فالحديث ظاهر فى أنه : لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة، وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس أيضا له فضل كبير .

خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس، ثم كر راجعا من الغد إلى المدينة .

وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه ، وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فأعطاه الله ذلك .

القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين :

وذلك أيضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب ، فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب ، والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله ، فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب فى الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها ، وقد نجا المخفون ، وهلك المثقلون والحمد لله الذى لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء . بل قبل المخف بفضله ، وشمله بسعة رحمته «**والمخف هو الذى ليست الدنيا أكبر همه**» (٢١٨٨) .

(٢١٨٨) حديث : « المخف هو الذى ليست الدنيا أكبر همه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروي هناد والترمذى من حديث أنس والطبرانى من حديث=

وذلك لا يتيسر فى الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التى لابد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة ، ثم ربما يمده الله بمعونته ، فينعم عليه بما يقوى به يقينه ، ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ، ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها ، فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا ، بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق ، وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد ، وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضا .

ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة فى الأعضاء . فرب رجل قوى ذى مرة سوى شديد الأعصاب محكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلا، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلا قليلا لم يقدر عليه ، ولكن الممارسة والجهد يزيد فى قوته زيادة ما ، وإن كان ذلك لا تبلغه درجته فلا ينبغى أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا . فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال .

وقد كان من عادة السلف ﷺ مفارقة الوطن خيفة من الفتن .

وقال سفيان الثورى : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل ، فكيف على المشتهرين ، هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف فى موضع تحول إلى غيره .

ابن عباس من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له وأخرج الطبرانى من حديث أنس خرج رسول الله ﷺ يوما وهو آخذ بيد أبى ذر فقال يا أبا ذر أعلمت أن بين أيدينا عقبة كؤدا ولا يصعدها إلا المخفون قال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين قال عندك طعام اليوم قال نعم قال وطعام غد قال نعم قال وطعام بعد غد قال لا قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين.

وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد علق قلته بيده ، ووضع جرابه على ظهره ، فقلت : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها ، فقلت له وتفعل هذا ؟ قال : نعم، إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها، فإنه أسلم لدينك ، وأقل لهمك ، وهذا هرب من غلاء السعر .

وكان سرى السقطى يقول للصوفية : إذا خرج الشتاء فقد خرج آذار وأورقت الأشجار ، وطاب الانتشار فانتشروا .

وقد كان الخواص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوما وكان من المتوكلين ويري الإقامة اعتمادا على الأسباب قادحا فى التوكل .

وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب فى كتاب التوكل إن شاء الله تعالى .

القسم الرابع : السفر هربا مما يقدح فى البدن :

كالطاعون أو فى المال ، كغلاء السعر أو ما يجرى مجراه ، ولا حرج فى ذلك ، بل ربما يجب الفرار فى بعض المواضع ، وربما يستحب فى بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه ، ولكن يستثنى منه الطاعون ، فلا ينبغى أن يفر منه لورود النهى فيه .

قال أسامة بن زيد ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « **إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقى بعد فى الأرض ، فيذهب المرة ويأتى الأخرى ، فمن سمع به فى أرض فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه** » (٢١٨٩) .

(٢١٨٩) حديث : قال أسامة بن زيد ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الوجع أو السقم رجز» أى عذاب « عذب به بعض الأمم قبلكم » وهم قوم فرعون من بنى إسرائيل أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجدا فخالفوا فارسل الله عليهم ذلك فمات منهم فى ساعة سبعون ألفا وقد ورد التصريح بأنهم من بنى إسرائيل فى هذا الخبر بعينه كما سيأتى « ثم بقى بعد فى الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع به فى أرض فلا يقدمن عليه ومن وقع ::

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون ، فقلت : هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال : غدة كغدة البعير تأخذهم فى مراقهم المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط فى سبيل الله ، والفار منه ، كالفار من الزحف » (٢١٩٠) .

= بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » قال الخطابى أحد الأمرين تأديب وتعليم والآخر تفويض وتسليم وقال التوربشتى الله شرع لنا التوقى من المحذور وقد صح أن النبى ﷺ لما بلغ الحجر منع أصحابه من دخوله وأما نهيه عن الخروج فلأنه إذا خرج الأصحاء ضاعت المرضى من متعهد والموتى من التجهيز والصلاة عليهم انتهى **قال العراقى :** وهو متفق عليه واللفظ لمسلم انتهى .

قال مرتضى: ورواه كذلك الترمذى والنسائى وفى لفظ لهما الطاعون رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها وقوله أو عذاب هكذا هو بالشك ووقع بالجزم عند ابن خزيمة من حديث عامر بن سعد بلفظ إنه رجس سلط على طائفة من بنى إسرائيل .

(٢١٩٠) حديث: قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون فقلت هذا الطعن قد عرفناه » وهو أن يطعن بعضهم فى الحرب بالرماح « فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير » قال الزمخشرى فى الفائق الغدة داء يأخذ البعير فترم نكفتاه له فيأخذه شبه الموت وفى أمثالهم أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية قاله عامر بن الطفيل عند دعاء النبى ﷺ «تأخذهم » أى الأقة « فى مراقهم » جمع مرق وهو أسفل البطن مما رق ولان «المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب » وجه الله تعالى أى طالب الثواب على صبره على خوفه منه وشدته « كالمرابط فى سبيل الله » أى له مثل ثواب الشهيد « والفار منه كالفار من الزحف » والفرار من الزحف حين يزحف العدو على المسلمين من غير عذر كبيرة والفرار من الطاعون وزره مثل وزر ذلك **قال العراقى :** رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد .اهـ.

قال مرتضى : حديث عائشة روى بألفاظ مختلفة فروى أحمد والبخارى بلفظ الطاعون كان عذابا بعثه الله على من يشاء وإن الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد قاله لها حين سألته عن الطاعون ما هو وروى أحمد أيضا بسند فيه ثقات الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف وروى الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى فوائد أبى بكر بن خلاد بسند حسن الطاعون شهادة لأمتى ووخز أعدائكم من الجن كغدة الإبل تخرج فى الآباط والمراق من مات فيه مات شهيدا ومن أقام به كان كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف وأخرج أحمد والطبرانى فى=

وعن مكحول عن أم أيمن قالت : « أوصى رسول الله ﷺ بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا ، وإن عذبت أو خوّفت ، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه ، ولا تترك الصلاة عمدا ، فإن من ترك الصلاة عمدا فقد برئت ذمة الله منه ، وإياك والخمر ، فإنها مفتاح كل شر ، وإياك والمعصية فإنها تسخط الله ولا تفر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم ، أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم ، أخفهم بالله» (٢١٩١) .

= الكبير من حديث أبي موسى وفى الأوسط من حديث ابن عمر فناء أمتى بالطعن والطاعون وخز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة .

(٢١٩١) حديث : قال مكحول رضي الله عنه : قالت أم أيمن بركة حاضنة رسول الله ﷺ وهى والدة أسامة ابن زيد ماتت فى خلافة عثمان رضي الله عنه : « أوصى رسول الله ﷺ بعض أهله » وفى نسخة بعض أصحابه « لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت بالنار » وفى نسخة وإن عذبت أو خوّفت «أطع والديك وأن أمراك أن تخرج عن شيء هو لك فاخرج لا تترك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا فقد برئت ذمة الله منه إياك والخمر » لا تشربه « فإنه مفتاح كل شر إياك والمعصية فإنها تسخط الله » أى تغضبه « ولا تفر من الزحف » أى عند زحف المشركين بالمسلمين « وإن أصاب الناس موتان » بالضم الموت الكثير الذريع « وأنت فيهم فاثبت فيهم» أى لا تنتقل عن موضعك فارا « أنفق من طولك » أى طاقتك وقدرتك وما طالت به يدك «على أهل بيتك ممن عليك نفقته ولا ترفع عصاك عنهم » لأجل التأديب «أخفهم بالله» **قال العراقى** : رواه البيهقى وقال فيه إرسال .اهـ.

قال مرتضى : ومكحول كثير الإرسال مشهور بذلك ورواه كذلك ابن عساكر فى التاريخ وقد رواه ابن ماجه والبيهقى من حديث أبى الدرداء بلفظ لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر وعند الطبرانى من حديث أميمة مولاة رسول الله ﷺ بلفظ لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فإنها رأس كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ولا تفرن يوم الزحف فمن فعل ذلك فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ولا تزدادن فى تخوم أرضك فمن فعل ذلك يأتى به على رقبته يوم القيامة من مقدار سبع أرضين وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم واخفهم فى الله عز وجل وأميمة قيل هو اسم أم أيمن الحبشية وعند أحمد والطبرانى وأبى نعيم فى الحلية من حديث معاذ بلفظ لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت ولا تعقن=

فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهى عنه ، وكذلك القدوم عليه وسيأتى شرح ذلك فى كتاب التوكل .

فهذه أقسام الأسفار .

وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى : مذموم وإلى محمود وإلى مباح ، والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق ، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون ، والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم ، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم .

= والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فإنه رأس كل فاحشة وإياك والمعصية فإن المعصية تحل سخط الله وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فاثبت وانفق على عيالك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدبا وأخفهم فى الله وعند الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت وحرقت وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شىء حولك فاخرج منه ولا تترك صلاة مكتوبة عمدا فإنه من ترك الصلاة عمدا فقد برئت منه ذمة الله إياك والخمر فإنها مفتاح كل شر وإياك والمعصية فإنها موجبة سخط الله لا تغلل ولا تفر يوم الزحف وإن هلكت وفر أصحابك وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أنه لك وانفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم فى الله عز وجل وعند ابن النجار فى تاريخه من حديث أبى ريحانة بلفظ لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار وأطع والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك ولا تدعن صلاة متعمدا فإن من تركها فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله ولا تشربن خمرا فإنها رأس كل خطيئة ولا تزدادن فى تخوم أرضك فإنك تأتى بها يوم القيامة من مقدار سبع أرضين والمسمى بأبى ريحانة صحابيان أحدهما الأزدى أو الدوسى الأنصارى وقيل اسمه سمعون والثانى أبو ريحانة القرشى وعند الطبرانى من حديث عبادة بن الصامت لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة متعمدا فإن من تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها ولا تفروا من الموت وإن كنتم فيه ولا تعص والديك وأن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها فاخرج ولا تضع عصاك عن أهلك وأنصفهم من نفسك .

ومن هذه الأسباب تتبين النية فى السفر ، فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ، ولتكن نيته الآخرة فى جميع أسفاره وذلك ظاهر فى الواجب والمندوب ومحال فى المكروه والمحظور .

وأما المباح فمرجعه إلى النية ، فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال ، والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله ﷺ : «**إنما الأعمال بالنيات**» (٢١٩٢) .

فقوله ﷺ : «**الأعمال بالنيات**» عام فى الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر فى إخراجها عن كونها من المحظورات .

وقد قال بعض السلف : « إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم ، فيعطى كل واحد على قدر نيته ، فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه ، وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ، ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته ، وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له » (٢١٩٣) .

(٢١٩٢) حديث : قال ﷺ : « الأعمال بالنيات » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم فى حديث رقم١٣٦٢ ص ١٢٠٧ .اهـ.

قال مرتضى: ورواه بهذا اللفظ الإمام أبو حنيفة عن يحيي بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمى عن علقمة بن وقاص الليثى عن عمر بن الخطاب مرفوعا وهو لفظ ابن حبان فى صحيحه وللستة بلفظ إنما .

(٢١٩٣) حديث : « إن الله تبارك وتعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته » ولفظ القوت على نحو نيته « فمن كانت نيته » طلب « الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته » طلب « الآخرة » وأهلها « أعطى من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه » وملك من الدنيا بالقناعة والزهد شغله « ودعت له الملائكة واستغفرت له » .

وأما النظر فى أن السفر هو الأفضل أو الإقامة ، فذلك يضاهى النظر فى أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة ، وقد ذكرنا منهاجه فى كتاب العزلة فليفهم هذا منه .

فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب فى حق الأكثرين ، والأفضل فى هذا ما هو إلا عون على الدين ، ونهاية ثمرة الدين فى الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما ، والسفر هو المعين على التعلم فى الابتداء ، والإقامة هى المعينة على العمل بالعلم فى الانتهاء .

وأما السياحة فى الأرض على الدوام فمن المشوّشات للقلب إلا فى حق الأقوياء . فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله ، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده فى إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق ، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر ، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالحط والترحال مشوش لجميع الأحوال .

فلا ينبغى أن يسافر المريد إلا فى طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به فى سيرته ، وتستفاد الرغبة فى الخير من مشاهدته ، فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به ، إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وهكذا هو في القوت ومعناه فى المرفوع من حديث أنس فيما رواه ابن أبى حاتم فى الزهد من كانت نيته طلب الدنيا شتت الله عليه أمره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته منها إلا ما كتب له ومن كانت نيته طلب الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة وعند الطيالسى وابن ماجه والطبرانى من حديث زيد بن ثابت من كانت نيته الاخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له .

عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره فى الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل ، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم فى البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم، واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع .

فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ، ولا حجر عليهم قاهر ، فلبسوا المرقعات واتخذوا فى الخانقاهات متنزهات، وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات ، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم فى خرقتهم ، وفى سياحتهم وفى لفظهم وعبارتهم وفى آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا و ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف : ١٠٤) ، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة ويتوهمون أن المشاركة فى الظواهر ، توجب المساهمة فى الحقائق وهيهات ، فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله « **فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ** » (٢١٩٤) .

ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة فى غير رياء ولا سمعة ،أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به فى علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن .

(٢١٩٤) حديث : « إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج سعيد بن منصور فى سننه من قول ابن مسعود أنى لأكره الرجل فارغا لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة ورواه أحمد وابن المبارك والبيهقى كلهم فى الزهد وابن أبى شيبة من طريق المسيب بن رافع قال : قال ابن مسعود إنى لأمقت الرجل أراه فارغا ليس فى شيء من عمل دنيا ولا آخرة وهو عند الزمخشرى فى سورة الانشراح من قول عمر ﷺ بلفظ إنى لأكره أحدكم سبهللا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣١

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة



والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تندرس بعد ، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه ، فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم .

وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله. وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ، ومهما فسد العمل فات الأصل .

وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث أنه اتعاب للنفس بلا فائدة ، وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة ، فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة .

وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة ، فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة، ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو المتأذى والمتلذذ .

والفتوى تقتضي تشتيت العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر، فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا ، بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحارى ، فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ، ولم يلبسوا على الخلق حالهم ، وإنما عصيانهم في التلبيس ، والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت علي الصوفية ، لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح .

ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين ، وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ، ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي .

وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص ، فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف

بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ ، وكان ما أكلوه سحتا وأعنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله ﷺ على سبيل الدعوى .

ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا ، فأخذه على ذلك حرام ، وكذلك الصوفى ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين ، فإن المبالغ فى الاحتياط لدينه لاينفك فى باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب فى مواساته لفترت رغبته عن المواساة ، فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين

وكانوا يوكلون من يشترى لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى. نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه .

والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز . والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه ، فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه ، فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ، ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة ، أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته .

فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره ، فليصرح له. وليقل إنك إن كنت تعطينى لما تعتقده فى من الدين ، فلست مستحقا لذلك . ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوقير ، بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم . فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرضى منه هذه الخصلة . وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ، ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة ، فليتفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين فى ذمهم

نفوسهم واستحقارهم لـها ، ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء ، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء .

فكم من ذام نفسه وهو لها مـادح بعين ذمه ، فذم النفس فى الخلوة مع النفس هو المحمود ، وأمـا الذم فى الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادًا يحصل للمسـتمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومـعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائـن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال .

والصادق بينه وبين الله تعـالى يعلم أن مخادعته للـه عز وجل ذا مخادعتـه لنفسه محال ، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك .

فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .



الفصل الثانى

فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه
وهى أحد عشر أدبا

الأول : أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ويرد الودائع إن كانت عنده ، ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه .

قال ابن عمر ﷺ : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ، ولابد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر ، فإنه يخرج خبايا الباطن ، ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر ، وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر .

ولذلك قيل : إذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه ، والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه فى الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق .

وقد قيل : ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر .

وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكارى ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله ، وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة فى بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ، ليكن ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه .

الثانى : أن يختار رفيقا : فلا يخرج وحده « **فالرفيق ثم الطريق** » (٢١٩٥) .

« **وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسى ، ويعينه ويساعده إذا ذكر** » (٢١٩٦) .

فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه « **وقد نهى ﷺ عن أن يسافر الرجل وحده** » (٢١٩٧) .

(٢١٩٥) حديث : « الرفيق ثم الطريق » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى ذلك من حديث رافع بن خديج مرفوعا التمسوا الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار رواه الطبرانى فى الكبير وابن أبى خيثمة وأبو الفتح الأزدى والعسكرى فى الأمثال والخطيب في الجامع من طريق أبان بن المحبر عن سعيد بن معروف بن رافع بن خديج عن أبيه عن جده وابن المحبر وسعيد لا تقوم بهما حجة ولكن له شاهد رواه العسكري فقط من حديث عبد الملك بن سعيد الخزاعى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن على رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ وذكر حديثا طويلا ثم قال فى آخره الجار ثم الدار الرفيق ثم الطريق وهو عند الخطيب فى جامعه باختصار من حديث محمد بن مسلم عن أبى جعفر محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على عن النبى ﷺ أنه قال الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل وعند الخطيب في الجامع من طريق عبد الله بن محمد اليمانى عن أبيه عن جده قال: قال خفاف بن ندبة : قال لى رسول الله ﷺ : يا خفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق وكلها ضعيفة ولكن بانضمامها تقوى .

(٢١٩٦) حديث : « ليكن رفيقه ممن يعينه علي الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهو معنى الخبر الوارد إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له رفيقا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وقد تقدم فى كتاب الصحبة فى حديث رقم ١٧٦٧ ص١٥٩٧ وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان عن الحسن مرسلا خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك .

(٢١٩٧) حديث: « النهى عن أن يسافر الرجل وحده » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح وهو عند البخاري بلفظ لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار راكب بليل وحده . اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد من حديث ابن عمر أيضا نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده وأما حديث البخارى فهو عن ابن عمر أيضا وقد أخرجه كذلك أحمد والترمذى وابن ماجه .

وقال : « الثلاثة نفر » (٢١٩٨) .

وقال ﷺ أيضا : « إذا كنتم ثلاثة فى السفر فأمروا أحدكم » (٢١٩٩) .

« وكانوا يفعلون ذلك ويقولون : هذا أميرنا أمره رسول الله ﷺ » (٢٢٠٠) .

وليؤمروا أحسنهم أخلاقا وأرفقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة. وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف فى تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ، ولا نظام إلا فى الوحدة ولا فساد إلا فى الكثرة ، وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد و ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) .

ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير ، وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور فى الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار .

وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير ، فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء ، ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم ، وإن يجعل نفسه وقاية لهم .

كما نقل عن عبد الله المروزى أنه صحبه أبو على الرباطى فقال : على أن تكون أنت الأمير أو أنا ، فقال : بل أنت ، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على

(٢١٩٨) حديث : « الثلاثة نفر » ولفظ القوت وقد نهى ﷺ أن يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر فهذا يدل أن الحديث المرفوع هو هذا القول الثلاثة نفر فتأمل **قال العراقى** : رويناه من حديث على فى وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .اهـ.

(٢١٩٩) حديث : « إذا كنتم ثلاثة » فى سفر « فأمروا أحدكم » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى:** رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود بإسناد حسن .اهـ.

(٢٢٠٠) حديث : « كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله ﷺ » هكذا هو فى القوت **وقال العراقى** : رواه البزار والحاكم عن عمر رضي الله عنه أنه قال : إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا عليكم أحدكم ذا أمير أمره رسول الله ﷺ قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

ظهره ، فأمطرت السماء ذات ليلة ، فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفى يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول : ألم تقل : إن الإمارة مسلمة لى فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أنى مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغى أن يكون الأمير .

وقد قال ﷺ : « خير الأصحاب أربعة »(١-٢٢) .

وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد ، لابد أن يكون له فائدة . والذى ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه ، وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد فى الحاجة واحدا ، فيتردد فى السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر ؛ وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ، ولو تردد فى الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحداً ، فلا يخلو أيضا عن الخطر وعن ضيق الصدر ، فإذا ما دون الأربعة لا يفى بالمقصود ، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة ، فلا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة .

ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه ، نعم فى كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف ، ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة، وكم من رفيق فى الطريق عند كثرة الرفاق ، لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه .

(١-٢٢) حديث : قال ﷺ : « خير الأصحاب أربعة » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

قال مرتضى : وإنما لم يصححه الترمذى لأنه يروى مسندا ومرسلا ومعضلا قال ابن القطان لكن هو ليس بعلة فالأقرب صحته انتهى ورواه كذلك أحمد والبيهقى وابن عساكر ولفظ الجميع خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يهزم اثنا عشر ألفا من قلة، زاد ابن عساكر إذا صبروا وصدموا .

الثالث : أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء ؛ وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ .

قال بعضهم : صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة - حرسها الله - فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال لقمان : إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه ، وإني استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**» (٢٢٠٢) .

(٢٢٠٢) حديث : قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال لقمان » الحكيم «إن الله» تعالى « إذا استودع شيئا حفظه وإني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك » **قال العراقي :** رواه النسائي في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد .اهـ.

قال مرتضى : رواه النسائي من طريق قزعة بن يحيي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئا حفظه وأخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه وأخرجه النسائي أيضا من طرق أخرى فيها اختلاف في تسمية التابعي وهذا ينبغي أن يدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر سواء كان لقمان نبيا أم لا وأخرجه الطبراني في كتاب الدعاء والنسائي أيضا في اليوم والليلة قال الطبراني حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر الدمشقي وأبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي وقال النسائي حدثنا أحمد بن إبراهيم وعبدة قالا حدثنا محمد بن عائذ حدثنا الهيثم بن حميد عن المطعم بن مقدام عن مجاهد قال أتيت ابن عمر رضي الله عنهما أنا ورجل ومعي وفد أردنا الخروج إلى الغزو فشيعنا فلما أراد أن يفارقنا قال إنه ليس لي ما أعطيكما ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا استودع الله شيئا حفظه وإني استودع الله دينكما وأمانتكما وخواتيم أعمالكما وهو حديث صحيح أخرجه ابن حبان في النوع الثاني من القسم الأول من صحيحه عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي زرعة الرزى عن محمد بن عائذ **وأما قول العراقي** ورواه أبو داود مختصرا إلى آخره فقد اخبرناه إسماعيل بن على بن عبد الله الحنفي أخبرنا محمد بن إبراهيم بن حسن أخبرنا الحسن بن على بن يحيي أخبرنا على بن عبد القادر بن محمد الطبراني عن أبيه عن جده محمد بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أحمد بن على بن محمد الحافظ قال قرأت على محمد بن على البكري بمكة وعلى أبي إسحاق البعلي بمصر قال البكري أخبر أبو الفرج بن عبد الهادى فيما سمع عليه أخبرنا أحمد بن أبي أحمد بن نعمة أخبرنا أبو الفضل الخطيب في كتابه أخبرنا أبو الخطاب القاري أخبرنا عبد الله بن عبيد الله ابن يحيي أخبرنا الحسين بن إسماعيل القاضي المحاملي قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى القاضي ح وقال البعلي أخبرنا إسماعيل بن يوسف أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا عبد الأول ابن عيسى أخبرنا عبد الرحمن بن محمد أخبرنا عبد الله بن أحمد أخبرنا إبراهيم بن خزيم=

وروى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه ، فإن الله تعالى جاعل له فى دعائهم البركة » (٢٢٠٣) .

= قال حدثنا عبد بن حميد قالاحدثنا أبو نعيم حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن يحيى بن إسماعيل بن جوير عن قزعة بن يحيى أنه أتى ابن عمر ﷺ فى حاجة فقال تعال أودعك كما ودعنى رسول الله ﷺ وأرسلنى فى حاجة فقال استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك هذا حديث حسن أخرجه أحمد والبخارى فى التاريخ كلاهما عن أبى نعيم فوقع لنا موافقة عالية وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة عن أحمد بن سليمان عن أبى نعيم فوقع لنا بدلا عاليا بثلاث درجات وأخرجه أبو داود عن مسدد والحاكم من طريق أخرى عن مسدد عن عبد الله بن داود الخريبى عن عبد العزيز بن عمر لكن وقع فى روايته عن إسماعيل بن جرير لم يذكر يحيى وقد وافق أبا نعيم أبو حمزة أنس بن عياض وعبدة بن سليمان عند النسائى ومروان بن معاوية عند أحمد ثلاثتهم عن عبد العزيز بن عمر وأخرجه أحمد أيضا عن وكيع عن عبد العزيز لكنه لم يذكر بين عبد العزيز وقزعة أحدا ووافقه يحيى ابن حمزة عن عبد العزيز عند الخرائطى ورواه عيسى بن يونس عن عبد العزيز فوافق الخريبى فى إسماعيل لكنه خالفه فى اسم أبيه فقال اسماعيل بن محمد بن سعد وهى عند النسائى أيضا وزاد فيها فأخذ بيدى فحركها ثم قال ووقع فى رواية أبى حمزة فأردت الانصراف فقال كما أنت حتى أودعك وفيها فأخذ بيدى فصافحنى ثم قال .... الحديث وفيه من الاختلاف غير ذلك وقد مضى بعضه وقال المحاملى حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا سعيد بن خيثم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان عن سالم بن عبد الله بن عمر قال كان ابن عمر إذا جاءه الرجل وهو يريد السفر قال له ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا يقول استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك أخرجه أحمد عن سعيد بن خيثم وأخرجه الترمذى عن إسماعيل بن موسى والنسائى عن محمد بن عبيد كلاهما عن سعيد بن خيثم وقال الترمذى حسن صحيح غريب من حديث سالم وخالف سعيدا الوليد بن مسلم فقال عن حنظلة عن القاسم بن محمد بن أبى بكر بدل سالم قال كنت عند عبد الله بن عمر إذ جاءه رجل فذكر الحديث بتمامه نحوه هكذا أخرجه النسائى عن محمود بن خالد عن الوليد ابن مسلم .

(٢٢٠٣) حديث: قال زيد بن أرقم ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله » تعالى « جاعل له فى دعائهم البركة » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : لفظ الخرائطى حدثنا أحمد بن سهل العسكرى حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا عبد الله بن سويف الكلاعى حدثنا مزاحم بن زفر التيمى حدثنى أيوب بن خوط عن نقيع بن الحارث عن زيد بن أرقم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال فى دعائهم خيرا بدل البركة وهو حديث غريب وسنده ضعيف جدا ونقيع هو أبو داود=

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ « كان إذا ودع رجلا قال: زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت » (٢٢٠٤) .

فهذا دعاء المقيم للمودع .

وقال موسى بن وردان رضي الله عنه : أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته ، فقال : ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع ؟ فقلت : بلى ، قال: قل: « استودعك الله الذى لا تضيع ودائعه» (٢٢٠٥) .

= الأعمى متروك عندهم كذبه يحيى بن معين وقد روى بلفظه من حديث أبى هريرة قال الحافظ فى آمال الأذكار قرأت علي التقي بن عبيد الله عن أبى عبد الله بن الزرار أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرتنا أم الحسن بنت أبى الحسن قالت أخبرنا زاهر بن طاهر أخبرنا محمد بن عبد الرحمن أخبرنا محمد بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن على حدثنا عمرو بن الحصين حدثنا يحيى بن العلاء عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على إخوانه فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيرا وهو حديث غريب أخرجه الطبراني فى الأوسط وابن السنى وأبو يعلى فى المسند.

(٢٢٠٤) حديث : قال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « كان إذا ودع رجلا قال : زودك الله التقوى » وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء وفيه ابن لهيعة .اهـ.

قال مرتضى : وله شاهد من حديث قتادة الرهاوى رضي الله عنه قال لما عقد رسول الله ﷺ على قومى أخذت بيده فودعته فقال جعل الله التقوى زادك وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث تكون أخرجه المحاملى فى الدعاء من طريق قتادة بن الفضيل بن عبد الله عن أبيه عن عمه هشام بن قتادة الرهاوي عن أبيه .

(٢٢٠٥) حديث: قال موسى بن وردان رضي الله عنه : أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع ؟ فقلت : بلى ، فقال : « استودعك الله الذى لا تضيع ودائعه » **قال العراقى** : رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة بإسناد حسن .اهـ.

قال مرتضى : قال المحاملى فى الدعاء حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور ومحمد بن صالح الأنماطى قالا حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث قال حدثنا الليث حدثنا الحسن بن ثوبان=

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : إني أريد سفرا فأوصني فقال له : « في حفظ الله وفي كنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت » (٦-٢٢) شك فيه الراوي .

= أنه سمع موسى بن وردان قال أردت الخروج إلى سفر فأتيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت أودعك فقال يا ابن أخي ألا أعلمك شيئا حفظته من رسول الله ﷺ عند الوداع قلت بلى قال فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه هذا لفظ أحمد بن منصور وفي رواية محمد بن صالح بالسند المذكور إلى موسى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ودع رجلا فذكره وقال في آخره أو لا تخيب هذا حديث حسن أخرجه النسائي وابن السني كلاهما في اليوم والليلة من رواية الليث وابن لهيعة وأخرجه أيضا من طريق رشدين بن سعيد عن الحسن بن ثوبان عن موسى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلفه استودعتكم الله الذي لا تضيع ودائعه وهذا اللفظ بصيغة الأمر تفرد به رشدين وفيه ضعف وقد أخرج أبو يعلى في مسنده الكبير رواية ابن المغربي من طريق بشر بن السرى عن ابن لهيعة وفق رواية رشدين في أن الذي يريد السفر هو الذي يقول ذلك والله أعلم .

(٦-٢٢) حديث: قال أنس بن مالك رضي الله عنه : إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال إني أريد سفرا فاوصني فقال له : « في حفظ الله وفي كنفه زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت » شك فيه الراوي . **قال العراقي :** تقدم هذا الحديث في الباب الثاني من كتاب الحج حديث رقم ٧٩٤ ص٨٢٣. اهـ.

قال مرتضى : أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن زكريا أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل الكتاني الحافظ أخبرنا أبو إسحاق التنوخي أن أحمد بن أبي طالب أخبرهم قال أخبرنا أبو الحسن بن المظفر أخبرنا أبو محمد بن حمويه أخبرنا عيسى بن عمر حدثنا الدارمي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا سعيد بن أبي بن كعب عن موسى بن ميسرة عن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إني أريد السفر فقال متى قال غدا إن شاء الله تعالى فأتاه فأخذ بيده فقال له في حفظ الله وفي كنفه زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت أو أين توجهت شك سعيد وأخرجه الطبراني عن علي بن عبد العزيز وأخرجه المحاملي عن عبيد الله بن عمر بن جبلة وأحمد بن محمد بن عيسى وعبد الله بن أحمد بن إبراهيم وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن العباس بن محمد خمستهم عن مسلم بن إبراهيم فوقع لنا بدلا عاليا وقال البغوي في معجمه حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا يحيى بن إسماعيل حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني أريد سفرا فزوّدني قال : زودك الله التقوى قال زدني قال وغفر ذنبك قال زدني قال=

وينبغى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجمع ، ولا يخصص .

فـقـد « روى أن عمـر ﷺ كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر: ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل : أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر ، إنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت : تخرج وتدعنى على هذه الحالة ، فقلت : استودع الله ما فى بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت ، فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها ، فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا : هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت : والله إن كانت لصوّامة قوّامة ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل لى: إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها ، فقال عمر ﷺ : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب » (٢٢٠٧) .

= ويسر لك الخير حيثما كنت وأخرجه الترمذى عن عبد الله بن أبى زياد قال حدثنا يسار فساقه وقال حسن غريب .

(٢٢٠٧) حديث : « أن عمر ﷺ كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر أنى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت استودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت » من سفرى « فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذا من قبر فلانة » يعنون به زوجته « نراها كل ليلة فقلت والله إن كانت لصوّامة» كثيرة الصوم « قوامة » كثيرة القيام للصلاة بالليل «فأخذت المعول» بالكسر الفأس العظيمة وأتيت إلى القبر فحفرنا وإذا سراج » يضئ « وإذا هذا الغلام يدب » أى يتحرك « فقيل لى إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر ﷺ هو أشبه بك من الغراب بالغراب » .

قال مرتضى : اغفله العراقى وأخبرنا الشريف الصوفى سليمان بن أبى بكر الهجام الحسينى قراءة عليه وأنا أسمع قال أخبرنا الشريف عماد الله بن يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسينى أخبرنا يوسف بن محمد الحسينى أخبرنا عميرأبو بكر بن على أخبرنا الطاهر بن الحسين أخبرنا عبد الرحمن بن على بن محمد الزبيدى أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن محمد المصرى قال قرأت على شيخ الحفاظ أبى الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال قرأت على أبى محمد بن القيم عن=

الرابع : أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلى لأجل السفر .

فقد روي أنس بن مالك رضي الله عنه « **أن رجلا أتي النبي ﷺ فقال : إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي، فإلى أى الثلاثة أدفعها إلى ابنى أم أخى أم أبى ؟ فقال النبى ﷺ : ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره ، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول : اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى ، فهى خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله** » (٢٢٠٨) .

= الفخر بن النجارى سماعا قال اخبرنا أبو عبد الله الكرانى فى كتابه أخبرنا محمود بن إسماعيل اخبرنا أبو الحسين بن نادشاه أخبرنا سليمان بن أحمد الطبرانى قال فى كتاب الدعاء حدثنا محمد بن العباس المؤدب حدثنا عبيد بن إسحاق العطار حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه هو مولى عمر قال بينما عمر رضي الله عنه يعطى الناس إذا هو برجل معه ابنه فقال عمر ما رأيت غرابا اشبه بغراب أشبه بهذا منك قال أما والله يا أمير المؤمنين ماولدته أمه إلا ميتة فاستوى له عمر فقال ويحك حدثنى فقال خرجت فى غزاة وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحال حاملا مثقلا فقلت استودع الله ما فى بطنك فغبت ثم قدمت فإذا بابى مغلق فقلت فلانة قالوا ماتت فذهبت إلى قبرها فبكيت عنده فلما كان الليل قعدت مع بنى عمى أتحدث وليس يسترنا من البقيع شيء فارتفعت لى نار فقلت لبنى عمى ما هذه النار فتفرقوا عني فقمت لأقربهم منى فسألته فقال هذه نار ترى كل ليلة على قبر فلانة فقلت : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أما والله إن كانت لصوّامة قوّامة عفيفة مسلمة انطلق بنا وأخذت الفأس فإذا القبر منفرج وهى جالسة وهذا يدب حولها فنادى مناد ألا أيها المستودع ربه خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فعاد القبر كما كان هذا حديث غريب موقوف ورواته موثقون إلا عبيد بن إسحاق فضعفه الجمهور ومشاه أبو حاتم الرازى وأخرجه أبو بكر الخرائطى من وجه آخر اخصر منه فقال حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد حدثنا عبيد بن إسحاق بسنده ومعناه قال فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج يقد وإذا هذا الغلام يدب .... الحديث .

(٢٢٠٨) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رجلا » أتى النبى ﷺ « قال إنى نذرت سفرا » هكذا فى النسخ وفى بعضها إنى أردت سفرا وهو الموافق لما سيأتى **وبخط الحافظ العراقى فى** هامش المغني لعله أردت أى بدل نذرت « وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أدفعها إلى أبى =

الخامس : إذا حصل على باب الدار فيقل : « بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ربِّ أعوذ بك أن أضل أو أُضل ، أو أَزل أو أُزل ، أو أَظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل على »(٩٠٢٢) .

= أم أخى أم إمرأتى» وفى نسخة إلى أبى أم أخى أم ابنى « فقال » النبى ﷺ «ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى فهن خليفته فى أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله » **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف انتهى .

قال مرتضى : أخبرنا محمد بن أحمد بن سالم الحنبلى فى كتابه أخبرنا عبد القادر بن عمر الشعلبى أخبرنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقى الحنبلى أخبرنا والدى أخبرنا النجم المغربى أخبرنا أبو يحيى الأنصارى أخبرنا الحافظ أبو الفضل العسقلانى قال أخبرنا أبو بكر ابن إبراهيم بن العز عن أبى عبد الله محمد بن السلم سماعا عليه بدمشق أخبرنا الكمال محمد بن عبد الرحيم أخبرنا القاضى أبو القاسم الخرستاني أخبرنا أبو الحسن بن المسلم أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا محمد بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن جعفر بن سهل قال حدثنا على بن حرب حدثنا المعافى بن محمود حدثنا سعيد بن مرتاش عن إسماعيل بن محمد عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال إنى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أدفعها إلى أبى أم إلى أخى أم إلى ابنى فقال رسول الله ﷺ ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله تعالى من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إنى افتقرت إليك بهن فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى فهن خليفته فى أهله وماله وداره ودور حول داره حتى يرجع إلى أهله هذا حديث غريب أخرجه الحاكم فى تاريخ نيسابور فى ترجمة نصر بن بابا من طريقه قال حدثنا سعيد بن المرتاش فذكره وقال فى روايته أتقرب بهن وقال فيها يقرأ فى كل واحدة قال الحافظ فى أمالى الأذكار بعد أن أورد هذا وسعيد هذا لم أقف له على ترجمة ولست على يقين من ضبط اسم أبيه ونصر بن بابا قد ضعفوه وقد تابعه المعافى ولا أعرف حاله .

قال مرتضى : أما نصر بن بابا فهو أبو سهل المروزى قال البخارى يرمونه بالكذب وسعيد ابن المرتاش والمعافى بن محمود لم أجد لهما ذكرا في المثنى للذهبى مع كثرة جمعه ولا فى الديوان له ولا فى ذيله فهذا معنى **قول الحافظ العراقى** وفيه من لا يعرف .

(٩٠٢٢) حديث : « بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إنى أعوذ بك أن أضِلَّ » غيرى « أو أُضَلَّ » أي يضلنى غيرى «أو أذل » أحدا بأن أوقعه فى الذلة « أو اذل » =

فإذا مشى قال : « اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت ، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ، اللهم زودني التقوى واغفر لى ذنبى ووجهني للخير أينما توجهت » (٢٢١٠) .

= أى يوقعنى غيرى فيها « أو أظلم » أحدا « أو أظلم » أى يظلمنى أحد « أو أجهل أو يجهل على » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث بريدة ﷺ أنه ﷺ كان إذا خرج من بيته قال بسم الله رب أعوذ بك من أن أذل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أويجهل على ورواه ابن عساكر وزاد ابغى أو يبغى على وعند الترمذى وابن السنى كان إذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا وأخرج ابن ماجه والحاكم وابن السنى من حديث أبى هريرة كان إذا خرج من بيته قال بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة إلا بالله وروى عن عثمان بن عفان ﷺ مرفوعا ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره فقال حين يخرج بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شره أخرجه أحمد والمحاملى فى الدعاء وفيه رجل لم يسم .

(٢٢١٠) حديث : « اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي ورجائي فاكفني ما أهمنى وما لا اهتم به وما أنت اعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زوّدنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت » .

قال مرتضى : أغفله العراقى واخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الكريم المخزومى أخبرنا محمد بن منصور أخبرنا على بن علي أخبرنا أحمد بن خليل أخبرنا محمد بن أحمد بن على أخبرنا قاضى القضاة أبو يحيى الأنصارى أخبرنا أبو الفتح المراغى أخبرنا عبد الرحيم ابن الحسين الحافظ اخبرنا عبد الله بن محمد بن القيم عن أبى الحسن بن النجارى سماعا عن محمد بن أبى زيد قال أخبرنا محمد بن إسماعيل اخبرنا أحمد بن محمد حدثنا سليمان ابن أحمد قال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن سعيد حدثنا عبد الرحمن المجارى عن عمر بن مساور العجلى عن الحسن عن أنس ﷺ قال لم يرد رسول الله ﷺ سفرا قط إلا قال حين ينهض من جلوسه اللهم بك انتشرت وإليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا اهتم له وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى ذنبى وزوّدنى التقوى ووجهنى للخير حيثما توجهت ثم يخرج هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى الموصلى عن أبى بكير عن المحاربى وأخرجه ابن السنى عن أبى عروة الحرانى عن أبى كريب وأخرجه ابن=

« وليدع بهـذا الدعاء فى كل منزل يرحل عنه ، فإذا ركب الدابـة فليقل : بسم الله وبالله والله أكـبر توكلت على الله ، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، مـا شاء الله كان ومـا لـم يشأ لم يكن ، ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ (الزخرف : ١٣ ، ١٤) » (٢٢١١).

= عدى فى ترجمة عمـر المذكور من كتاب الضعفاء وعده من إفـراده واختلف فى اسمه واسم أبيه فقـيل فيه عمـرو بفتح أوله وقيل فى أبيه مـسافر بالفاء بدل الواو وهو ضـعيف عندهم والمشهور الأول فيـهما وأخرجه المحاملى فى الدعاء عـن هارون بن إسحاق عن المحاربى عن عمرو بن مساور فذكره وزاد أنت ثقتى ورجائى .

(٢٢١١) حديث : « ليدع بهذا الدعـاء في كل منزل يرحل عنه فإذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله أكبر توكلت علىَ الله ولاَ حول ولا قوّة إلا باللّه العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى نحوه مع زيادة من حديث أبى إسحاق السبيعى عن علي بن ربيعة الوالبى قال شهدت عليا ﷺ أتى بـدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ثم قال الحـمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكـبر ثلاث مرات ثم قال سـبحانك إنى ظلمت نفسـى فاغفر لى فإنه لايغـفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين من أى شيء ضحكت فـقال رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك فـقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت فقال إن ربنا يعـجب من عبده إذا قال اغـفر لى ذنوبى قـال علم عبدى أنـه لا يغفر الذنوب غـيرى رواه عن أبى إسـحاق جماعة أبو الأحوص سلام بن سليم ومنصور بن المعتمر والأجلح الكندى وسفيان بن سعيد الثورى وإسرائيل بن أبى إسحاق وشريك أمـا أبو الأحوص فأخرجه أبو داود عن مسدد عنه وأخرجه الطبراني عن معاذ بن المثنى عن مسدد وأخرجه التـرمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن أبى الأحوص وأخرجه ابن حبان من طريق قتيبة وأخرجه صاحب الحلية عن عبد الله بن جعفر عن يوسف بن حبيب عن سليمـان بن داود عن أبى الأحوص وأما منصور بن المعتمر فأخرجه النسـائى عن مـحمـد بن قدامة عن جرير بن عبد الحميـد عنه وأخرجه المحاملى فى الدعاء عن يوسف بن موسى عن جرير وأخرجه الحاكم والبزار من طريق جرير وأما الأجلح الكندى فأخرجه المحـاملى فى الدعاء عن يوسف بن موسى عن أبى أسامة عنه وأمـا سفيان الثـورى فاخـرجه المحـاملى أيضا عن زكـريا بن يحيي البـناطي عن يحيي القطان عنـه وأما إسرائيل فـأخرجه الطبـرانى فى الدعاء عن عثـمان بن عمر الضـبى عن عبيـد الله بن رجاء=

فإذا استوت الدابة تحته فليقل : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور .

السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة روى جابر ﷺ « أن النبى ﷺ رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر وقال : اللهم بارك لأمتى فى بكورها » (٢٢١٢) .

ويستحب أن يبتدئ بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : « قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر ، إلا يوم الخميس » (٢٢١٣) .

= وأخرجه عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى كلاهما عنه وأما شريك فاخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عنه وأخرجه الطبرانى في الدعاء عن الحسن بن محمد بن الصباح وأحمد ابن منصور كلاهما عن يزيد قال الحاكم صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن صحيح وقال البزار هذا أحسن إسناد يروي لهذا الحديث وقد روي عن أبى إسحاق السبيعى أيضا شعبة بن الحجاج العتكي قال الحاكم فى تاريخ نيسابور حدثنا أبو بكر المزكى قال حدثنا أبو بكر بن خزيمة قال سمعت عبد الرحمن بن بشر بن الحكم يقول ذكر عبد الرحمن بن مهدى وأنا أسمع الحديث الذى حدثنا يحيى بن سعيد بن القطان عن شعبة عن أبى إسحاق عن على ابن ربيعة قال كنت ردف على ﷺ حين ركب فقال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾ قال شعبة قلت لأبى إسحاق ممن سمعته قال من يونس بن خباب فلقيت يونس فقلت ممن سمعته قال من رجل سمعه عن على بن ربيعة قال الحافظ فى أمالى الأذكار فقد دلت هذه القصة على أن أبا إسحاق دلسه بحذف رجلين فالعجب من الحاكم كيف ذهل عنها فى المستدرك والرجل الذى ما سماه أحد أربعة أو أكثر وصلت إلينا رواياتهم له عن على بن ربيعة شقيق الأزدى والحكم بن عيينة وإسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصغير والمنهال بن عمرو ورواياتهم إلا الحكم فى كتاب الدعاء للطبرانى وأحسنها سياقا رواية المنهال والله أعلم.

(٢٢١٢) حديث : قال جابر ﷺ : « أنه ﷺ رحل يوم الخميس يريد تبوك » وهو موضع بالشام وبكر أى سافر فى أول النهار « وقال اللهم بارك لأمتى فى بكورها » **قال العراقى** : رواه الخرائطى بسند ضعيف وفى السنن الأربعة من حديث صخر العامرى اللهم بارك لأمتى فى بكورها قال الترمذى حديث حسن انتهى .

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وابن حبان ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن سلام وعمران بن حصين وكعب بن مالك والنواس بن سمعان وستأتى الإشارة إلى بعض ذلك .

(٢٢١٣) حديث : قال كعب بن مالك عن أبيه ﷺ هكذا فى النسخ وهو غلط فإن كعب بن مالك=

وروى أنس أنه ﷺ قال : « **اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم السبت** » (٢٢١٤) .

«**وكان** ﷺ **إذا بعث سرية بعثها أول النهار**» (٢٢١٥) .

وروي أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها** » (٢٢١٦) .

= صحابى مشهور وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك وتيب عليهم وكأنه كان فى الأصل فقد قال ابن كعب بن مالك عن أبيه فسقط لفظ ابن من النساخ « قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت» **قال العراقى** : رواه البزار مقتصراً على يوم خميسها والخرائطى مقتصراً على يوم السبت وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : ورواه البخارى فى صحيحه بدون لفظ والسبت .

(٢٢١٤) حديث : قال أنس رضي الله عنه : قال ﷺ : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم الخميس والسبت » وفى بعض النسخ يوم السبت فقط **قال العراقى** : رواه البزار مقتصرا على يوم خميسها والخرائطى مقتصرا على يوم السبت وكلاهما ضعيف .

قال مرتضى : وفى لفظ للبزار فى بكور يوم خميسها .

(٢٢١٥) حديث : « كان ﷺ إذا بعث سرية » أى طائفة من العسكر « بعثها أول النهار » **قال العراقى** : رواه الأربعة من حديث صخر العامرى وحسنه الترمذى .اهـ.

قال مرتضى : ولفظهم ما عدا النسائى كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وكان صخر تاجرا فكان يبعث فى تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله .

(٢٢١٦) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال ﷺ : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها» **قال العراقى** : رواه ابن ماجه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف انتهى .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة ولفظه واجعله فى يوم الخميس وفى رواية له اغدوا فى طلب العلم فإنى سألت ربى أن يبارك لأمتى فى بكورها ويجعل ذلك يوم الخميس .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : « إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولاتطلبها ليلا ، واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم بارك لأمتى في بكورها » (٢٢١٧) .

« ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة ، فيكون عاصيا بترك الجمعة » (٢٢١٨) .

واليوم منسوب إليها ، فكان أوله من أسباب وجوبها .

والتشييع للوداع مستحب ، وهو سنة .

قال ﷺ : « لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله ، فاكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إليّ من الدنيا وما فيها » (٢٢١٩) .

(٢٢١٧) حديث : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : « إذا كانت لك إلى رجل حاجة فأطلبها إليه نهاراً ولا تطلبها ليلاً واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم بارك لأمتى في بكورها » **قال العراقي** : رواه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وفي لفظ للطبراني قال ابن عباس وباكر في حاجتك فإن النبي ﷺ قال وذكره وفي الباب عن بريدة ونبيط بن شريك وأبي بكرة قال الحافظ ابن حجر منها ما يصح ومنها مالا يصح وفيها الحسن وفيها الضعيف .

(٢٢١٨) حديث : « لا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة» .

قال مرتضى : **أغفله العراقي** وأخرج ابن النجار في تاريخه من حديث ابن عمر مرفوعا من سافر من دار إقامة يوم الجمعة دعت عليه الملائكة لا يصحب في سفره ولا يعان على حاجته وكذلك رواه الدارقطني في الإفراد ورواه أبو بكر بن أبي شيبة من قول سنان بن عطية موقوفا عليه وتقدم في كتاب الجمعة حديث رقم٥٦٤ ص٦١٤ .

(٢٢١٩) حديث : قال النبي ﷺ : « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فاكتنفه » وفي نسخة فاكففه « على رحله غدوة أو روحة أحب إليّ من الدنيا وما فيها » **قال العراقي** : رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس انتهى.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير .

السابع : أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهى السنة ، ويكون أكثر سيره بالليل .

قال ﷺ : «**عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار**» (٢٢٢٠) .

ومهما أشرف على المنزل فليقل : « **اللهم رب السموات السبع وما اظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما اضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وما جرين ، اسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه، اصرف عنى شر شرارهم** » (٢٢٢١) .

(٢٢٢٠) حديث : قال ﷺ : « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل » الدلجة بالضم سير آخر الليل **قال العراقى** : تقدم في الباب الثانى من الحج حديث رقم ٧٩٥ ص ٧٢٥ .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه أبو يعلى عن أبى خيثمة عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن الحسن عن جابر مرفوعا وأخرجه النسائى عن أحمد بن سليمان عن يزيد وأخرجه ابن السنى عن النسائى ورجاله ثقات إلا أن الحسن لم يسمع من جابر عند الأكثر ورواه أبو داود وابن خزيمة وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى والحاكم من حديث أنس وعند البخارى من حديث أبى هريرة فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وهذا الحديث قد تقدم للمصنف فى الباب الثانى فى كتاب أسرار الحج وقوله « ما لا تطوى بالنهار» هو صحيح فى المعنى لكن ما رأيته في رواية من روايات هذا الحديث .

(٢٢٢١) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن » أى حملن « ورب الشياطين وما اضللن » أى أغوين « ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخيرأهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم » .

قال مرتضى : **أغفله العراقى** وقال الطبرانى فى الدعاء حدثنا القاسم بن عباد وحدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة وحدثنا عبد الله بن محمد العمري حدثنا إسماعيل ابن أبى أويس حدثنى حفص عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه أن كعبا حلف بالله الذى فلق البحر لموسى عليه السلام أن صهيبا ﷺ حدثه أن رسول الله ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات ... إلخ وفيه تسئلك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها وقال كعب إنها دعوة داود عليه السلام حين يرى العدو هذا حديث حسن وأخرجه المحاملى فى الدعاء عن أحمد بن منصور عن سويد بن سعيد وأخرجه النسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم=

«فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين» (٢٢٢٢)

= كلهم من رواية عبد الله بن وهب عن حفص بن ميسرة وأخرجه ابن السنى من طريق محمد ابن أبي السرى عن حفص ورواه عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة فزاد في السند رجلا قبل كعب قال المحاملى في الدعاء حدثنا الحسن بن محمد يعني الزعفراني والعباس بن محمد يعني الدورقي وإبراهيم بن هانئ قالوا حدثنا سعيد بن عبد الحميد حدثنا ابن أبي الزناد عن موسى عن عطاء عن أبيه أن عبد الرحمن بن مغيث الأسلمى حدثه قال قال كعب فذكر الحديث بطوله أخرجه النسائى عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن عبد الحميد بن جعفر وأشار إلى ضعف هذه الزيادة وقد روي من وجه آخر عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن أبي مغيث أخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن أبي جعفر النفيلي عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق وقال حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن أبي مغيث بن عمر أن النبي ﷺ أشرف على خيبر فقال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات السبع وما أظللن فذكر الحديث وأخرجه الطبراني عن أبي شعيب الحراني عن النفيلي ووقع في روايته وقال لأصحابه قفوا فوقفوا وأنا فيهم وهذا يدل على صحبة أبي مغيث فكان الحديث عند أبي مروان بسندين هذا والماضى وهو كعب عن صهيب وقد جاء الحديث من وجه آخر عن أبي مروان قال فيه عن أبيه عن جده قال المحاملى في الدعاء وأحمد بن عثمان الدقاق المعروف بابن أخي سمى في جزئياته حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى عن صالح بن كيسان عن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن جده ﷺ قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر حتي إذا كنا قريبا وأشرفنا عليها قال للناس قفوا فوقفوا وقال اللهم رب السموات السبع فذكر الحديث مثل اللفظ الأول إلا الرياح زاد في آخره اقدموا باسم الله ومدار هذا الحديث على أبي مروان وقد اختلف فيه فذكره الطبراني في الصحابة وذكره الأكثر في التابعين وذكره ابن حبان في اتباع التابعين وعلى القول الأول تكون روايته عن كعب من رواية الصحابة عن التابعين وهي قليلة وروى أيضا من حديث ابن عمر وفي آخره زيادة قال الطبراني في الدعاء حدثنا الحسن بن على العمري ومحمد بن على الطرائفي قالا حدثنا على ابن ميمون الرقي حدثنا سعيد بن مسلمة حدثنا محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال إذا خرجتم من بلدكم إلى بلد تريدونها فقولوا اللهم رب السموات وما أظللن فذكر مثل الحديث الماضي أولا لكن بالإفراد فيها وزاد ورب الجبال أسألك خير هذا المنزل وخير ما فيه وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اللهم ارزقنا جناه واصرف عنا وباه واعطنا رضاه وحببنا إلى أهله وحبب أهله إلينا .

(٢٢٢٢) حديث : كان رسول الله ﷺ « إذا نزل المنزل يصل فيه ركعتين » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى البيهقي من حديث أنس كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتي يصلي فيه ركعتين وعند الطبراني من حديث فضالة بن عبيد كان إذا نزل منزلا في سفر ودخل بيته لم يجلس حتي يركع ركعتين .

ثم ليقل : « اللهم إنى أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق» (٢٢٢٣) .

« فإذا جن عليه الليل فليقل : يا أرضُ ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ، ومن شر ساكنى البلد ، ووالد وما ولد ، ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (الأنعام : ١٣) » (٢٢٢٤) .

(٢٢٢٣) حديث : قال ﷺ : « أعوذ بكلمات الله التامات » وفى بعض النسخ : اللهم إنى أعوذ بك وبكلماتك التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر « من شر ما خلقت » **قال العراقى :** تقدم من حديث رقم ١١٥٧ ص ١٠٦٧ . اهـ.

قال مرتضى : وقال المحاملى فى الدعاء حدثنا إبراهيم بن هانئ حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن زيد بن أبى حبيب عن الحارث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله ابن الأشج حدثه أن بسر بن سعيد حدثه أن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه حدثه قال سمعت خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يضره شىء حتى يرتحل من منزله هذا حديث صحيح أخرجه مالك بلاغا عن يعقوب وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث وأخرجه أبو نعيم فى المستخرج عن أحمد بن يوسف ومحمد بن أحمد وإبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن محمد ومحمد بن إبراهيم قال الأول حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث وقال الثانى حدثنا الحسن بن سفيان وقال الثالث والرابع حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثنا قتيبة حدثنا الليث وقال الخامس حدثنا محمد بن زياد حدثنا محمد بن رمح حدثنا الليث وليس لخولة فى الصحيحين حديث غيره ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الرحمن بن عابس وأخرج أبو الشيخ فى الثواب بسند فيه ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رفعه من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ عصم من شر الثقلين الإنس والجن وإن لدغ لم يضره شىء حتى يمسى وإن قالها حين يمسى كان كذلك حتى يصبح .

(٢٢٢٤) حديث : « إذا جن عليه الليل » فليقل « يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد » وهو حيوان معروف « وأسود » وهو الشخص وقيل العظيم من الحيوانات وفيه سواد ويكون تخصيصهما بالذكر لخبثهما «وحية وعقرب» وذكر الحية بعد الأسود على المعني الثانى فيه تعميم بعد تخصيص « ومن=

«ومهما علا شرفا من الأرض فى وقت السير فينبغى أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال » (٢٢٢٥) .

«ومهما هبط سبح» (٢٢٢٦) .

= ساكن البلد » قال الخطابى هم الجن الذين هم سكان الأرض ما كان مأوى الحيوان بها وإن لم يكن فيه بناء ومنازل « ووالد وما ولد » المراد بالوالد إبليس وبما ولد الشيطان قاله الخطابى « ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج أبو داود واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فاقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك وأعوذ بك من أسد وأسود ومن الحية والعقرب وساكن البلد ووالد وما ولد ورواه أيضا النسائى فى الكبرى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الإسناد وفى رواية للنسائى وأعوذ بالله من أسد .

(٢٢٢٥) حديث : « مهما علا نشزا » محركة وهو ما ارتفع « من الأرض فى وقت السير فينبغى أن يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال الطبراني فى الدعاء حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمارة بن زاذان عن زياد النميرى عن أنس ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فصعد أكمة قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد علي كل حال وأخرجه المحاملى فى الدعاء عن محمد بن إشكاب عن عمارة به بلفظ إذا صعد نشزا من الأرض أو أكمة وأخرجه كذلك أحمد وابن السنى من رواية عمارة وهو ضعيف وفى شيخه ضعف أيضًا .

(٢٢٢٦) حديث : « مهما هبط سبح » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال المحاملى فى الدعاء حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح حدثنا أشعث عن الحسن عن جابر قال كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا صعدنا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا وأخرجه النسائى فى الكبرى عن محمد بن إبراهيم عن خالد بن الحارث عن الأشعث به وأخرجه أحمد بن عثمان الدقاق فى خبر به عن محمد بن عيسى عن محمد بن الفضل عن سالم الأفطس عن سالم بن أبى الجعد عن جابر مثله وأخرجه الدارمي عن أحمد بن يونس عن أبى زبيد عن حسين عن سالم بن أبى الجعد مثله .

«ومهما خاف الوحشة فى سفره قال : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت » (٢٢٢٧) .

الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم .

كان ﷺ إذا نـام فى ابتداء الليل فى السـفر افـترش ذراعـيه وإن نام آخـر الليل نصب ذراعيه نصبا ، وجعل رأسه فى كـفه ، والغرض من ذلك أن لا يستثقل فى النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدرى ، فيكون ما يفوته من الصـلاة أفضل ما يطلبه بسفره والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء فى الحراسـة ، فإذا نام واحد حرس آخر فهذه السنة ومهـما قصده عـدو أو سبع فى ليل أو نهار فليـقرأ آية الكرسى ، وشهـد الله وسورة الإخـلاص والمعـوذتين وليـقل : **« بسم الله مـا شـاء الله لا قوة إلا باللـه ، حسـبى الله توكلت على الله، مـا شاء الله لا يأتى بالخيـرات إلا الله ، ما شاء الله لا يصـرف السوء إلا الله »** (٢٢٢٨) .

(٢٢٢٧) حديث : « مهـما خاف الوحشة فى سـفره قال سبحـان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت » .

قال مرتضى : أغـفله العراقى وقال الطبرانى فى الدعاء حدثنا مـحمد بن عثمان بن أبى شيـبة حدثنا عبـد الحميد بـن صالح حدثنا محـمد بن أبان حدثنا دريك بن عـمر وعن أبى إسحاق عن البراء بن عازب ﷺ أن رجلا شكا إلي رسول الله ﷺ الوحشة فقال سبحان الملك القدوس فذكره فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة وأخرجه النسائى من رواية محمد بن عبد الواهب عن محمد بن أبان وهو ضعيف .

(٢٢٢٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبى الله توكلت على الله ما شاء الـله لا يأتى بالخير إلا الله ما شاء اللـه لا يصرف السوء إلا الله » **قـال العراقى :** تقدم فى حديث رقم ١١٥٥ ص ١٠٦٦ .اهـ.

قال مرتضى : وقال المحب الطبرى فى المناسك عن ابن عباس ولا أحسبه إلا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال يلتقى الخـضر والياس في كل عام فى الموسم فيحلق كل واحـد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله مـا شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء=

« حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى، ولا دون الله ملجأ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ (المجادلة : ٢١) تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت » (٢٢٢٩) .

« اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بركنك الذى لا يرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ، فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا » (٢٢٣٠) .

= الله لا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات أمنه الله من الحرق والغرق والسرق قال عطاء وأحسبه ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب وتقدم ذلك فى كتاب الحج وأخرج الترمذى والبيهقى من حديث أنس من قال حين خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت ونحى عنه الشيطان قال الترمذى حسن غريب .

(٢٢٢٩) حديث : قال رسول الله ﷺ : « حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا » أى أجاب «ليس وراء الله منتهى ، ولادون الله ملتجى ، ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ تحصنت بالله العظيم ، واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبى وأبو محمد بن حبان ومحمد بن عبد الرحمن قالوا حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عبيد بن حبار عن عطاء بن مسلم قال سمعت رجلا من أصحاب إبراهيم بن أدهم يقول خرجنا إلى الجبل فأكترانا قوم نقطع الخشب يهيئون منه القصاع والأقداح فبينا أنا وإبراهيم نصلى إذ أقبل السبع فانصدع الناس فدنوت منه فقلت ألا ترى ما الناس فيه قال ومالهم قلت هذا السبع خلف ظهرك فالتفت إليه وقال يا خبيث وراءك ثم قال ألا قلتم حين نزلتم .

(٢٢٣٠) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بكنفك الذى لا يرام اللهم ارحمنا » وفى لفظ الحلية وارحمنا « بقدرتك علينا ولا نهلك » ولفظ الحلية ولا تهلكنا « وأنت ثقتنا ورجاؤنا » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وحدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى حدثنا عبد الرحمن بن الجارود البغدادى حدثنا خلف بن تميم قال كنا مع إبراهيم ابن أدهم فى سفر فأتاه الناس فقالوا له إن الأسد قد وقف على طريقنا قال فأتاه فقال يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشىء فامض لما أمرت به وإن لم تكن أمرت فينا بشىء فتنح عن=

اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين.

التاسع : « أن يرفق بالدابة إن كان راكبا ، فلا يحملها ما لا تطيق ، ولا يضربها فى وجهها فإنه منهى عنه » (٢٢٣١) .

ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة .

كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة .

وقال ﷺ : « **لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى** » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف .

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ، ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع فى ميزان حسناته لا فى ميزان حسنات المكارى ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة .

= طريقنا قال فمضى وهو يهمهم فقال لنا إبراهيم بن أدهم وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى إن يقول اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرجاء قال إبراهيم إنى لأقولها على ثيابى ونفقتى فما فقدت منها شيئا حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا خلف بن تميم حدثني عبد الجبار بن كثير قال قيل لإبراهيم بن أدهم هو ذا السبع قد ظهر فقال أرونيه فلما نظرإليه ناداه يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فعودتك على ذلك فضرب بذنبه وولى ذاهبا قال فعجبنا منه حين فقه كلامه ثم أقبل علينا إبراهيم فقال قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام اللهم واكنفنا بركنك الذى لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرجاء قال خلف فأنا أسافر منذ نيف وخمسين سنة فاقولها لم يأتني لص قط ولم أر إلا خيراً .

(٢٢٣١) حديث : « أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق » فإنها ستخاصمه إلى الله يوم القيامة «ولا يضربها في وجهها فإنه منهى عنه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى فقد روى أحمد ومسلم والترمذى من حديث جابر نهى عن الوسم فى الوجه والضرب فى الوجه .

إذ « في كل كبد حراء أجر » (٢٢٣٢) .

قال أبو الدرداء ﷺ لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أك أحملك فوق طاقتك .

وفي النزول ساعة صدقتان :

إحداهما : ترويح الدابة .

والثانية : إدخال السرورعلى قلب المكارى .

وفيه فائدة أخرى : وهي رياضة البدن ، وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب ، وينبغي أن يقرر مع المكارى ما يحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ، ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذى القلب ، ويحمل على الزيادة في الكلام .

فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد ، فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكارى .

فلا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف ، فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

قال رجل لابن المبارك وهو على دابة : احمل لي هذه الرقعة إلى فلان ، فقال حتى استأذن المكارى ، فإني لم أشارطه على هذه الرقعة .

(٢٢٣٢) حديث : « في كل كبد حراء أجر » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو حديث مرفوع رواه أحمد وابن ماجه وأبو يعلى والبغوي والطبراني والضياء من حديث سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ورواه البيهقي ولفظه في الكبد الحارة أجر ورواه أحمد أيضا من حديث ابن عمر وفي لفظ في كل ذات كبد حراء أجر ورواه الطحاوي من حديث سراقة بن مالك الأنصاري أخي كعب بن مالك ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث حبيب بن عمرو السلاماني .

فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء أن هذا مما يتسامح فيه ، ولكن سلك طريق الورع .

العاشر : ينبغي أن يستصحب ستة أشياء ، قالت عائشة رضي الله عنها : **« كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء ، المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط »** (٢٢٣٣) .

وفى رواية أخرى عنها : **« ستة أشياء المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط »** .

وقالت أم سعد الأنصارية رضي الله عنها : **«كان رسول الله ﷺ لا يفارقه فى السفر المرآة والمكحلة »** (٢٢٣٤) .

وقال صهيب رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : **« عليكم بالأثمد عند مضجعكم فإنه مما يزيد فى البصر وينبت الشعر »** (٢٢٣٥) .

(٢٢٣٣) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « كان » رسول الله ﷺ « إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط » والمدرى بالكسر شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر الملبد وفى رواية أخرى عنها «ستة أشياء : المرآة والقارورة» أى وعاء الطيب « والمقراض » وهو المقص « والسواك والمكحلة والمشط » **قال العراقى** : رواه الطبرانى في الأوسط والبيهقى فى سننه والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه العقيلى كذلك بلفظ كان لا يفارقه فى الحضر ولا فى السفر خمس المرآة والمكحلة والسواك والمشط والمدرا وفى سنده يعقوب بن الوليد الأزدى قال فى الميزان كذبه أبو حاتم ويحيي وجذف أحمد حديثه وقال من الكذابين الكبار يضع الحديث ورواه أيضًا ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد وأعله ابن الجوزى من جميع طرقه .

(٢٢٣٤) حديث : قالت أم سعد الأنصارية رضي الله عنها : « كان » رسول الله ﷺ « لا يفارقه فى السفر المرآة والمكحلة» **قال العراقى** : رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق وإسناده ضعيف .اهـ.

(٢٢٣٥) حديث : قال صهيب رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالأثمد » بالكسر هو=

وروي أنه : « كان يكتحل ثلاثا ثلاثا » (٢٢٣٦) .

وفي رواية : « أنه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين » (٢٢٣٧) .

وقد زاد الصوفية الركوة والحبل ، وقال بعض الصوفية : إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه ، وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء

= الكحل الأسود وهو أجود الأكحال وأيسرها وجودًا «عند مضجعكم» أى عند إرادة النوم « فإنه يزيد فى البصر » بدفعه المواد المنحدرة من الرأس « وينبت الشعر » **قال العراقى :** رواه الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابى صحيح الإسناد . اهـ.

قال مرتضى : حديث ابن عباس رواه أبو نعيم فى الحلية بلفظ عليكم بالأثمد عند النوم فإنه يجلو البصر وينبت الشعر ورواه الطيالسى والبيهقى ولم يقل عند النوم وفى الباب عن جابر وابن عمر وعلى وعثمان وأبى هريرة فحديث جابر أخرجه عبد بن حميد وابن ماجه وابن منيع وأبو يعلى والعقيلى والضياء ولفظه كلفظ ابن عباس فى الحلية وحديث ابن عمر أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه وأقره الذهبى ولفظه كلفظ جابر وحديث على أخرجه الطبرانى وابن السنى وأبو نعيم فى الحلية والديلمى بلفظ عليكم بالأثمد فإنه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وإسناد الطبراني حسن وروي الضحاك فى كتاب الشمائل له من حديث على مرفوعا أمرنى جبريل بالكحل وانبأنى أن فيه عشر خصال يجلو البصر ويذهب بالهم ويبعث ويلحس البلغم ويحسن الوجه ويشد الأضراس ويذهب النسيان ويذكي الفؤاد عليكم بالكحل فإنه سنة من سنتى وسنة الأنبياء قبلى وحديث عثمان رواه البغوى فى معجمه بلفظ عليكم بالكحل فإنه ينبت الشعر ويشد العين وحديث أبى هريرة أخرجه ابن النجار فى تاريخه بلفظ حديث ابن عباس السابق .

(٢٢٣٦) حديث : « كان » رسول الله ﷺ « يكتحل ثلاثا ثلاثا » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه أنس بلفظ : كان يكتحل وترا ذكره المحب الطبرى فى الأحكام وأخرج أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر كان إذا اكتحل اكتحل وترا وإذا استجمر استجمر وترا .

(٢٢٣٧) حديث : « كان » رسول الله ﷺ « يكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى ثنتين » **قال العراقى:** رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين . اهـ.

وغسل الثيـاب ، فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار .

وكـان الأوّلون يكتفـون بالتـيمم ، ويغنون أنفسـهم عن نقل الماء ، ولا يبـالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجـاستها ، حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية .

وكانوا يكتفـون بالأرض والجبال عن الحبل ، فيـفرشون الثياب المغسـولة عليها . فهذه بدعـة إلا أنها بدعة حسنـة ، وإنما البدعة المذمومة مـا تضاد السنن الثابتـة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن .

وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة ، وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يـؤثر طريق الرخصة، بل يحتاط في الطهـارة ما لم يمنعـه ذلك عن عمل أفضل منه .

وقيل كان الخوّاص من المتـوكلين ، وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السـفر والحضر الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض ، وكان يقول : هذه ليست من الدنيا .

الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر : « كان النبي ﷺ إذا قفل من غـزو أو حج أو عمـرة أو غيـره ، يكبر على كل شـرف من الأرض ثلاث تكبيـرات ، ويقـول : لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له ، له الملك وله الحمـد وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عـابدون ساجـدون لربنا حامـدون ، صدق الله وعـده ونصر عـبده وهزم الأحزاب وحده» (٢٢٣٨) .

(٢٢٣٨) حديث : « كـان » النبي ﷺ « إذا قفل » أي رجع « من حج أو غزو أو غيـره يكبر على كل شـرف » أي محل عـال « من الأرض ثلاث تكبيـرات ويـقول لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له» عقـلا ونقلا « له الملك » بالضم السـلطان والقدرة أو أصناف المخلوقـات « وله الحمد » زاد الطبـراني في روايته يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيـده الخير « وهو على كل=

وإذا أشرف على مدينته فليقل : اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقا حسنا ، ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة ، فيرى ما يكره ، ولا ينبغى له أن يطرقهم ليلا ، فقد ورد النهى عنه .

« وكان ﷺ إذا قدم دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت » (٢٢٣٩) .

وإذا دخل قال : **« توبا توبا لربنا أوبا أوبا لا يغادر علينا حوبا »** (٢٢٤٠) .

وينبغى أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة فقد روى أنه **« إن لم يجد شيئا فليضع فى مخلاته حجرا »** (٢٢٤١) .

= شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده » فى إظهار دينه وأن العاقبة للمتقين «ونصر عبده» محمدا ﷺ يوم الخندق «وهزم الأحزاب» أى طوائف الكفر المتفقة عليه على باب المدينة «وحده» بغير فعل من الآدميين **قال العراقى :** الحديث تقدم فى الحج حديث رقم ٨٢٨ ص ٨٥٧ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذى من حديث ابن عمر وأخرجه الطبرانى والمحاملى فى الدعاء زاد الأخير فى آخره وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وهذا الحديث ذكره المصنف فى كتاب الحج.

(٢٢٣٩) حديث : « كان » النبى ﷺ « إذا قدم من سفر دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت » **قال العراقى :** تقدم في حديث رقم ٤٠٨ ص٤٦٨ وحديث رقم ٨٣٠ ص ٨٥٨ .اهـ.

قال مرتضى : وروى الطبرانى والحاكم من حديث أبى ثعلبة كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثنى بفاطمة ثم يأتى أزواجه وقد تقدم فى كتاب الحج .

(٢٢٤٠) حديث : « كان » رسول الله ﷺ « إذا دخل قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر حوبا » الحوب بالفتح والضم اكتساب الإثم والأوب الرجوع وهذا قاله تعليمًا لأمته **قال العراقى :** رواه ابن السنى فى اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

(٢٢٤١) حديث : « إطراق أهله عند القدوم ولو بحجر » **قال العراقى :** رواه الدارقطنى من حديث عائشة بإسناد ضعيف .اهـ.

وكأن هذا مبالغة فى الاستحثاث على هذه المكرمة ، لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر. والقلوب تفرح به ، فيتأكد الاستحباب فى تأكيد فرحهم ، وإظهار التفات القلب فى السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه فى الطريق لهم :

فهذه جملة من الآداب الظاهرة .

وأما الآداب الباطنة ، ففى الفصل الأول بيان جملة منها ، وجملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه فى السفر ، ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فليقف ولينصرف ، ولا ينبغى أن يجاوز همه منزله ، بل ينزل حيث ينزل قلبه ، وينوى فى دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ، ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدبا أو كلمة ، لينتفع بها لا ليحكى ذلك ويظهر أنه لقى المشايخ ، ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ، ولا يجالس فى مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين .

« وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة » (٢٢٤٢) إلا إذا شق على أخيه مفارقته .

(٢٢٤٢) حديث : « إن كان قصده زيارة أخ » فى الله تعالى « فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى فى ذلك عن ابن شريح وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عمر وابن عباس وابن مسعود والتلب بن ثعلبة وطارق بن أشيم فحديث ابن شريح رواه البخارى فى التاريخ بلفظ الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة وهكذا رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ولفظه عند ابن أبى الدنيا فى قرى الضيف فما زاد فهو صدقة وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام وبدون هذه الزيادة رواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد والبزار من حديث ابن عمر والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس والبزار أيضا من حديث ابن مسعود إلا أنه زاد وكل معروف صدقة وأما حديث التلب بن ثعلبة فرواه الباوردى وابن قانع والطبرانى فى الكبير والضياء بلفظ الضيافة ثلاث ليال حق لازم فما سوى ذلك فهو صدقة وحديث طارق رواه الطبرانى أيضا فى الكبير بلفظ ثلاثة أيام فما فوق ذلك فهو معروف .

وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ، ولا يشغل نفسه بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره ، وكلما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله ، فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج ، فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله ، فإن سأله أجاب بقدر السؤال ، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولا ، وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها .

ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه .

فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها ، فالبركة في مخالفة النفس ، وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة ، فذلك كفران نعمة ، ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع ، إذ لو كان لحق لظهر أثره .

قال رجل لأبي عثمان المغربي خرج فلان مسافراً فقال : السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه ، وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولايذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .



الباب الثانى

فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

اعلم أن المسافر يحتاج فى أول سفره إلى أن يتزود لدنياه ولآخرته ، أما زاد الدنيا، فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة ، فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره فى قافلة أو بين قرى متصلة ، وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرا مثلا أو يقدر على أن يكتفى بالحشيش فله ذلك ، وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية ؛ فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة، ولهذا سر سيأتى فى كتاب التوكل .

وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية ، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فى فيه ، فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح فى التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه ، وستأتى حقيقة التوكل فى موضعها ، فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين .

وأما زاد الآخرة فهو العلم الذى يحتاج إليه فى طهارته وصومه وصلاته وعباداته. فلابد وأن يتزود منه إذ السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذى

يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر ، وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها فى الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات ، فإنه فى البلد يكتفى بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفى السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه .

فإذًا ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى **قسمين :**

القسم الأول : العلم برخص السفر :

والسفر يفيد فى الطهارة **رخصتين** : مسح الخفين والتيمم ، وفى صلاة الفرض رخصتين : القصر والجمع ، وفى النفل رخصتين : أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيا، وفى الصوم رخصة واحدة : وهى الفطر .

فهذه سبع رخص :

الرخصة الأولى : المسح على الخفين :

قال صفوان بن عسال ﷺ : « **أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو سفرًا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن** » (٢٢٤٣) .

(٢٢٤٣) حديث : قال صفوان بن عسال ﷺ : « أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو سفرًا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن » إلا من جنابة لكن من غائط أو بول أو نوم . **قال العراقى:** رواه الترمذى وصححه وابن ماجه والنسائى فى الكبرى وابن حبان وابن خزيمة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا الشافعي وأحمد والدارقطني والبيهقى قال الترمذى عن البخارى حديث حسن وصححه أيضا الخطابى ومداره عندهم على عاصم بن النجود عن زر ابن حبيش عنه وذكر أبو القاسم بن منده أنه رواه عن عاصم أكثر من أربعين نفسا وتابع عاصما عليه عبد الوهاب بن بخت وإسماعيل بن أبى خالد وطلحة بن معرب والمنهال بن عمرو ومحمد بن سوقة وذكر جماعة ومراده أصل الحديث لأنه مشتمل على التوبة والمرء مع من أحب وغير ذلك وقد روى الطبرانى حديث المسح من طريق عبد الكريم بن أمية عن حبيب بن أبى ثابت عن زر وعبد الكريم ضعيف ورواه البيهقى من طريق أبى روق عن أبى الغريب عن صفوان بن عسال ولفظه ليمسح أحدكم إذا كان مسافرا على خفيه إذا أدخلهما طاهرتين ثلاثة أيام ولياليهن وليمسح المقيم يوما وليلة ووقع فى الدارقطنى زيادة في آخر هذا المتن وهى قوله أو ريح وذكر أن وكيعا تفرد بها عن مسعر عن عاصم .

فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا ، أو يوما وليلة إن كان مقيما، ولكن بخمسة شروط :

الأول : أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة ، فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع خف اليمنى ويعيد لبسه .

الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن المشي فيه ، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلا ، إذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل، لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف .

الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الغسل خرق ، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه ، وللشافعي قول قديم : أنه يجوز ما دام يستمسك على الرجل ، وهو مذهب مالك رضي الله عنه .

ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت.

والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك ، فلا يعتبر إلا أن يكون ساترًا إلى ما فوق الكعبين كيفما كان ، فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه .

الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه ، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء ، فإن اقتصر على غسل القدمين جاز.

الخامس : إن يمسح على الموضع المحاذى لمحل فرض الغسل لا على الساق ، وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف ، وإذا مسح بثلاثة أصابع أجزأه ، والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف .

وأكمله « **أن يمسح أعلاه وأسفله** » (٢٢٤٤) دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله ﷺ .

(٢٢٤٤) حديث : «مسحه ﷺ على الخف وأسفله» أى مسح أعلى الخف وأسفله **قال العراقي**: رواه أبو داود والترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث المغيرة وهكذا ضعفه البخارى وأبو زرعة . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والدارقطنى والبيهقى وابن الأنبار وكلهم من طريق ثور ابن يزيد عن رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة عن المغيرة وفى رواية ابن ماجه عن وراد كاتب المغيرة قال الأثرم عن أحمد إنه كان يضعفه ويقول ذكرته لعبد الرحمن بن مهدى فقال عن ابن المبارك عن ثور حدثت عن رجاء عن كاتب المغيرة ولم يذكر المغيرة ثم قال أحمد وقد كان نعيم بن حماد حدثنى به عن ابن المبارك كما حدثنى الوليد بن مسلم به عن ثور فقلت له إنما يقول هذا الوليد فأما ابن المبارك فيقول حدثت عن رجاء ولم يذكر المغيرة فقال لى نعيم هذا حديثى الذى أسال عنه فاخرج إلى كتابه القديم بخط عتيق فإذا فيه ملحق بين السطرين بخط ليس بالقديم عن المغيرة فاوقفته عليه وأخبرته أن هذه زيادة فى الإسناد لا أصل لها فجعل يقول للناس بعد احرسوا على هذا الحديث وقال ابن أبى حاتم فى العلل عن أبيه عن أبى زرعة حديث الوليد ليس بمحفوظ وقال موسى بن هارون لم يسمعه ثور عن رجاء حكاه قاسم بن أصبغ عنه وقال البخارى فى التاريخ الأوسط حدثنا محمد بن الصباح حدثنا محمد بن أبى الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن المغيرة رأيت رسول الله ﷺ يمسح على خفه ظاهرها قال وهذا أصح من حديث رجاء عن كاتب المغيرة وكذا رواه أبو داود والترمذى من حديث ابن أبى الزناد ورواه الطيالسى عن ابن أبى الزناد وقال الترمذى هذا حديث معلول لم يسنده عن ثور غير الوليد قال الحافظ فى تاريخ الرافعى قد رواه الشافعى فى الأم عن إبراهيم بن يحيي عن ثور مثل الوليد وذكر الدارقطنى فى العلل أن محمد بن عيسى بن سميع رواه عن ثور كذلك وقال الترمذى وسمعت أبا زرعة ومحمدا يقولان ليس بصحيح وقال أبو داود لم يسمع ثور عن رجاء وقال الدارقطني روي عن عبد الملك بن عمر عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة ولم يذكرأسفل الخف وقال ابن حزم أخطأ فيه الوليد فى موضعين قال الحافظ ووقع فى سنن الدارقطنى ما يوهم رفع العلة وهى حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ثور بن زيد حدثنا رجاء بن حيوة فذكره فهذا ظاهره أن ثورا سمعه من رجاء فتزول العلة ولكن رواه=

ووصــفه أن يبل اليــدين ويضع رءوس أصابـع اليمني من يده على رءوس أصــابع اليمنى من رجلــه، ويمسحه بأن يجـر أصابعه إلى جـهة نفســه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقــبه من أسفل الخف ، ويمرها إلى رأس القدم ، ومهما مسح مـقيما ثم سافـر أو مسافـرا ثم أقام غلب حكم الإقـامة ، فليقـتصر على يـوم وليلة وعدد الأيام الثـلاثة محـسوب من وقت حـدثه بعد المسـح على الخف، فلو لبس الخف فى الحضــر ومسح فى الحضر ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليـوم الرابع فـإذا زالت الشمس من اليـوم الرابع ، لم يكن له أن يصلى إلا بعــد غسل الرجلين ، فـيغسل رجـليه ويعيـد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ، ويستـأنف الحساب من وقت الحدث ، ولو أحـدث بعد لبس الخف فى الحضــر ، ثم خرج بعد الحدث فـله أن يمسح ثلاثة أيام ، لأن العادة قد تقـتضى اللبس قبل الخروج، ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين .

ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حـضر أو سفر أن ينكس الخف ، وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة .

فقــد روى عن أبى أمــامة ﷺ أنه قــال : دعى رسول الله ﷺ بخـفيــه فلبس أحدهما، فجاء غراب فاحتمل الآخر ، ثم رمى به فخرجت منها حية فقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما» (٢٢٤٥) .

= أحمد بن عبيد الصفار فى مسنده عن أحمد بن يحيى الحلوانى عن داود بن رشيد فقال عن رجاء ولم يقل حدثنا رجاء فهذا الخلاف على داود يمنع من القول بصحة وصله مع ما تقدم فى كلام الأئمة قال الحافظ قد روى الشافعى فى القديم وفى الإملاء من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان يمسح أعلى الخف وأسفله .

(٢٢٤٥) حديث : قال أبو أمامة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما » قال العراقي : رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .اهـ. =

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر :

وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعداً لو مشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث . وهو البعد الذى لا يعتاد أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه ، وكذا إن نزل على الماء عدو أو سبع، فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا ، وكذا إن احتاج إليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه ، فله التيمم، وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه، فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن ، ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم ، بل عليه أن يجتزى بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة .

ومهما وهب له الماء وجب قبوله ، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة ، وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه ، فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول إليه بالطلب ، وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأوانى والمطاهر، فإن نسى الماء فى رحله أو نسى بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب ، وإن علم أنه سيجد الماء فى آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم فى أول الوقت ، فإن العمر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله.

تيمم ابن عمر ﷺ فقيل له: أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك ؟ فقال : أو أبقى إلى أن أدخلها .

ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ، ولم يلزمه الوضوء وإذا وجده قبل الشروع فى الصلاة لزمه الوضوء .

= **قال مرتضى** : أورده فى معجمه الكبير بهذه القصة وقال الهيتمي صحيح إن شاء الله تعالى .

ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار ، وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ، ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه، فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى ، وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه فى كتاب الطهارة فلا نعيده .

ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ما شاء بذلك التيمم . وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية ، فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين .

ولا ينبغى أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها ، فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم . ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ، ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما .

الرخصة الثالثة : فى الصلاة المفروضة القصر :

وله أن يقتصر فى كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ، ولكن بشروط ثلاثة :

الأول : أن يؤديها فى أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الإتمام .

الثانى : أن ينوى القصر ، فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ، ولو شك فى أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام .

الثالث : أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم ، فإن فعل لزمه الإتمام ، بل إن شك فى أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام ، وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر التخفى فليكن متحققا عند النية .

وإن شك فى أن إمامه هل نوي القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك . لأن النيات لا يطلع عليها ، وهذا كله إذا كان فى سفر طويل مباح وحد السفر من جهة البداية والنهاية فيه أشكال ، فلابد من معرفته .

والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم ، فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذى لا يقصد موضعا معينا ، ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التى يخرج أهل البلدة إليها للتنزه .

وأما القرية فالمسافر منها ينبغى أن يجاوز البساتين المحوطة دون التى ليست بمحوطة، ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شىء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران ، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه .

وأما نهاية السفر فبأحد **أمور ثلاثة** :

الأول : الوصول إلى العمران من البلد الذى عزم على الإقامة به .

الثانى : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعداً إما فى بلد أو فى صحراء .

الثالث : صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده ، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر ، فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب .

ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ، ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره .

إذ ترخص رسول الله ﷺ « **فقصر ﷺ فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد**»(٢٢٤٦) .

(٢٢٤٦) حديث : « قصره ﷺ فى بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث عمران بن حصين فى قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية =

وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه ، إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما ، والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر.

وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ ، وكل فرسخ ثلاثة أميال ، وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام .

ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منهما ولا هاربا من مالكه ، ولا تكون المرأة هاربة من زوجها ، ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها فى قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالفساد بين المسلمين .

وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا فى غرض ، والغرض هو المحرك ، فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ، ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره ، فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص .

= عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين وللبخارى من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبى داود سبعة عشر بتقديم السين وفى رواية له خمسة عشر .اهـ.

قال مرتضى : قال فى التهذيب اعتمد الشافعى رواية عمران لسلامتها من الاختلاف ، قال الحافظ : رواها أبو داود وابن حبان من حديث على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة عن عمران قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثمانى عشرة لا يصلى إلا ركعتين يقول يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا قوم سفر حسنه الترمذى وعلى ضعيف وإنما حسن الترمذي حديثه لشواهده ولم يعتبر الاختلاف فى المدة كما عرف من عادة المحدثين من اعتبارهم الاتفاق على الأسانيد دون السياق فهى من جهة الإسناد فليست صحيحة ودعوى صاحب التهذيب أنها سالمة من الاختلاف أى على راويها وهو وجه من الترجيح قعيد لو كان راويها عمدة وأما رواية تسعة عشر فرواها أيضا أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس وأما رواية سبعة عشر بتقديم السين فرواها أيضا ابن حبان من حديثه وأما رواية خمسة عشر فرواها أيضا النسائى وابن ماجه والبيهقى من حديث ابن عباس ويروى أيضا أنه أقام عشرين يوما رواها عبد بن حميد من حديث ابن عباس أيضا والله أعلم .

وأما الفسق فى السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهي الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان : أحدهما مباح ، والآخر محظور ، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون فى البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة فى ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص .

الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء فى وقتيهما :

فذلك أيضا جائز فى كل سفر طويل مباح، وفى جوازه فى السفر القصير قولان ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينو الجمع بين الظهر والعصر فى وقتيهما قبل الفراغ من الظهر ، وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ، ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة ، فإن قدم العصر لم يجز ، وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند المزنى، وله وجه فى القياس إذ لا مستند لايجاب تقديم النية ، بل الشرع جوّز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة فى العصر ، فتكفى النية فيها .

وأما الظهر فجاز على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغى أن يجمع بين سنن الصلاتين.

أما العصر فلا سنة بعدها ، ولكن السنة التى بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقيما لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة ، وهى واجبة على وجه.

ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين ، فيصلى سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض .

ولا ينبغى أن يهمل النوافل فى السفر ، فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوّز له أداءها على الراحلة كى لا يتعوق عن الرفقة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجرى على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر بعد العصر فى الوقت المكروه ، لأن ما له سبب لا يكره فى هذا الوقت ، وكذلك يفعل فى المغرب والعشاء والوتر .

وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ، ويختم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع، لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام .

وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدى الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا . لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال : إن الظهر إنما تقع أداء إذ عزم على فعلها قبل خروج وقتها .

ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا فى السفر بين الصلاتين ، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ، ولذلك ينقدح أن لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر ، أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز ، لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذى جعل وقتا للعصر ، إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره ، وعذر المطر مجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهى متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ، ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر فى الحضر فعليه أداء العصر ، وما مضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر .

الرخصة الخامسة : التنفل راكبًا :

« كان رسول اللـه ﷺ يصلي على راحلته أينما توجهت به دابـته ، وأوتر رسول الله ﷺ على الراحلة » (٢٢٤٧) .

وليس على المتنفل الـراكب في الركوع والسـجود إلا الإيمـاء ، وينبغي أن يجـعل سـجوده أخـفض من ركوعـه ، ولا يلزمه الانحنـاء إلى حد يتـعرض به لخطر بسـبب الدابة، فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه .

وأما استقبال القبلة فـلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها ، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكـن في جميع صلاته إمـا مستقبـلا للقبلة ، أو متـوجها في صوب الطريق لتكون لـه جهة يثبـت فيها ، فلـو حرف دابته عن الطريق قـصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفـها إلى القبلة، ولو حرفهـا ناسيا وقصر الـزمان لم تبطل صلاته وإن طال ففـيه خلاف وإن جـمحت به الدابة فـانحرفت لم تبطل صلاتـه لأن ذلك مما يكثر وقوعه ، وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فإنه يسجد للسهو بالإيماء .

(٢٢٤٧) حـديث : «كان» رسـول الله ﷺ « يصلي على راحلتـه أينمـا توجهت به دابتـه وأوتر » رسول الله ﷺ « على الراحلة » قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن عمر انتهى .

قال مـرتضى : وله ألفاظ منها للبخاري عن عامـر بن ربيعة كان يسبح على الراحلة وله من وجه آخر عن ابن عمـر كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجـهه يومئ برأسه قبل أي وجه توجـه ويوتر عليها غـير أنه لا يصلي عليهـا المكتوبة وقد روى عن جـابر مثله في المتـفق وله ألفاظ منهـا كان يصلي علـى راحلته حيث توجهت به فـإذا أراد الفريضـة نزل فاستقـبل القبلة هذا لفظ البخاري ولم يذكر مـسلم النزول وقال الشافعي أخبرنا عـبد المجيد عن ابن جريج أخبـرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبـد الله يقول رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو على راحلته النوافل ورواه ابن خـزيمة من حديث محـمـد بن بكر عن ابن جريج مثل سياقه وزاد ولكن يخفض السجدتين من الركعة يومئ إيماء ولابن حبان نحوه وأخرج أبو داود من حديث الجـارود بن أبي سبرة حـدثني أنس أن النبي ﷺ كان إذا سـافر وأراد أن يتطوّع استقـبل بناقته القبلة وكبـر ثم صلى حيث كان وجهـه وركابه ورواه أيضا ابن السكن وصححه .

الرخصة السادسة : التنفل للماشي جائز في السفر :

ويومئ بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة، وحكمه حكم الراكب لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب ، فإن في تحريف الدابة وإن كان العناق بيده نوع عسر وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ، ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا، فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة .

وليس عليه أن يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبًا ، وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع ، فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التنفل .

الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم :

فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيما ثم سافر ، فعليه إتمام ذلك اليوم ، وإن أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الإتمام وإن أقام مفطرًا فليس عليه الإمساك بقية النهار، وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر ، والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ،ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه في عهدة القضاء ، وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضر به ، فالأفطار أفضل .

فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل ، وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا ، وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم .

وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف ، والأصح جوازه في القصر والجمع بين الصلاتين ففيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل .

وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف ، فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل الميتة . وكذا أداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء ، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها .

فإن قلت : فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر ، أم يستحب له ذلك ؟

فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شاطئ نهر يوثق ببقاء مائه ، أو يكون معه فى الطريق عالم يقدر علي استفتائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة ، أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم ، فيلزمه التعلم لا محالة .

فإن قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب ؟

فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا فى سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ، ويلزمه تعلم المناسك لا محالة إذا كان يظن أنه لا يجد فى الطريق من يتعلم منه ، لأن الأصل الحياة واستمرارها ، وما لا يتوصل إلي الواجب إلا به فهو واجب ، وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب ، فيجب تقديم تعلم الشرط لا محاله كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته .

فلا يحل إذاً للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم ، وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذى ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص ، فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه .

فـإن قلت : إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة ، فكيف يكون علمها واجبا ؟

فأقـول : من الواجب أن لا يصلى النفل على نعت الفسـاد ، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحظور .

فهذا بيان علم ما خُفِفَ عن المسافر في سفره .

القسم الثاني : ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر :

وهو علم القبلة والأوقـات وذلك أيضا واجب في الحضر ، ولكن في الحـضر من يكفيه من محـراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ، ومـؤذن يراعى الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت ، والمسافر قـد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت ، فلابد له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت .

أما أدلة القبلة فهي **ثلاثة أقسام** :

أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار .

وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها .

وسماوية وهي النجوم .

فأما الأرضـية والهوائية فـتختلف باختـلاف البلاد ، فرب طريق فيه جـبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامـه فليعلم ذلك وليفهمه ، وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فـليفهم ذلك ، ولسنا نقدر على استـقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر .

وأما الـسماوية فأدلتها تنقسم إلى : نهارية وإلى ليلية .

أما النهارية : فالشمس فلابد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه ؟ أهى بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى ، أو تميل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك ؟

فإن الشمس لا تعدو فى البلاد الشمالية هذه المواقع فإذا حفظ ذلك فمهما عرف الزوال بدليله الذى سنذكره عرف القبلة به ، وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فإنه فى هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة ، وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه .

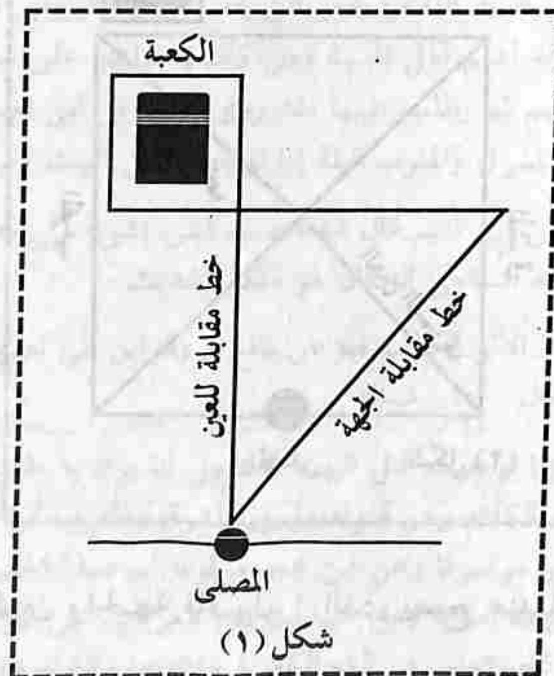
وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هى مائلة إلى وجهه أو قفاه ، وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة ، وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح ، فكأن الشمس تدل على القبلة فى الصلوات الخمس ، ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف ، فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة فى جهتين ، فلابد من تعلم ذلك أيضا .

ولكن قد يصلى المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق ، فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به ، فعليه أن يراعى موضع القطب وهو الكوكب الذى يقال له الجدى ، فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه ، وذلك إما إن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره ، أو منكبه الأيسر فى البلاد الشمالية من مكة ، وفى البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع فى مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك ، وما عرفه فى بلده فليعوّل عليه فى الطريق كله ، إلا إذا طال السفر ، فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس ، وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب إلا أنه ينتهى فى أثناء سفره إلى بلاد، فينبغى أن يسأل أهل البصيرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك .

فمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعول عليها فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغى أن يقضى ، وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء .

وقد أورد الفقهاء خلافا فى أن المطلوب جـهة الكعبة أو عينها وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا : إن قلنا إن المطلوب العين ، فمتى يتصور هذا مع بعد الديار ؟

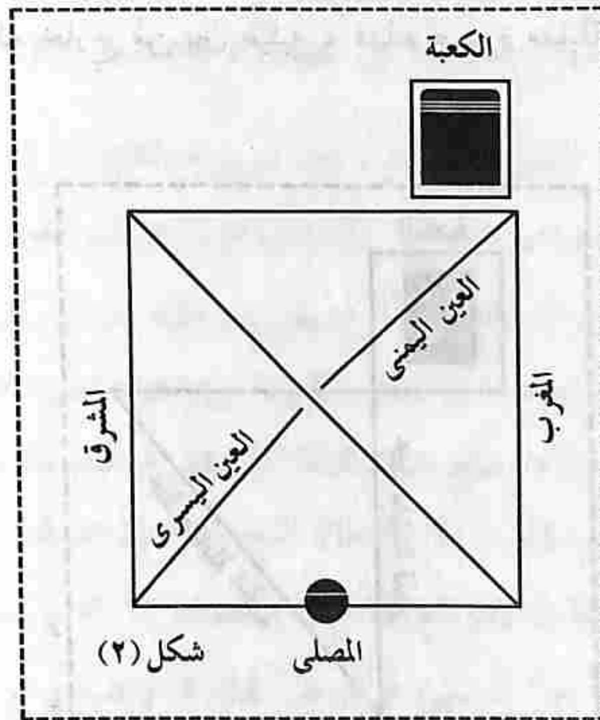
وإن قلنا : إن المطلوب الجهة ، فـالواقف فى المسجد إن استقبل جـهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف فى أنه لا تصح صلاته ، وقد طولوا فى تأويل معنى الخلاف فى الجهة والعين ، ولابد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ، فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفًا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبى الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته ، والخط الخارج من موقف المصلى يقدر أنه خارج من بين عينيه ، فهذه صورة مقابلة العين :



شكل (١)

وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن تتساوى الزاويتان عن جهتى الخط ، بل لا تتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هى واحدة .

فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها ، كانت إحدى الزاويتين أضيق ، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة، كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها ، وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين ، فيلتقى طرفاهما فى داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة ، فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين ، فهو داخل فى الجهة وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين ، وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



شكل (٢)

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول : الذى يصح عندنا فى الفتوى أن المطلوب العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها ، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها ، فيكفى استقبال الجهة ، فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه ، وأما

الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة ﷺ والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٥٠) أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال: قد ولى وجهه شطرها.

وأما السنة فما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأهل المدينة: «ما بين المغرب والمشرق قبلة والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم» (٢٢٤٨).

(٢٢٤٨) حديث: قال رسول الله ﷺ لأهل المدينة: «ما بين المشرق والمغرب قبلة».

قال العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة. اهـ.

قال مرتضى: ورواه الحاكم كذلك وقال هو على شرطهما وأقره الذهبي ولفظهم جميعا ما بين المشرق والمغرب قبلة وزاد الديلمي في مسند الفردوس مفردا للترمذي بزيادة لأهل المشرق فليحرر، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أما حديث ابن عمر فأخرجه الحاكم من طريق شعيب بن أيوب عن عبد الله بن نمير عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وأما حديث عمر فأخرجه الدارقطني في العلل وقال الصواب عن نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر ورواه البيهقي كذلك ولفظه بعدما أورد الحديث المراد به والله أعلم أهل المدينة ومن كانت قبلته على سمتهم فيما بين المشرق والمغرب تطلب قبلتهم ثم يطلب عينها فقد روى نافع بن أبي نعيم عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجهت قبل البيت وفيه ثلاثة أمور:

الأول: أن نافع بن أبي نعيم قال فيه أحمد ليس بشيء في الحديث حكاه عنه ابن عدي في الكامل وحكى عنه الساجي أنه قال هو منكر الحديث.

والثاني: أن هذا الأثر اختلف فيه عن نافع فرواه ابن أبي نعيم كما مر ورواه مالك في الموطأ عن ابن عمر قال .... فساقه.

الثالث: قوله إذا توجهت قبل البيت يحتمل أن يراد به طلب الجهة فيحمل على ذلك حتى لا يخالف أول الكلام وهو قوله ما بين المشرق والمغرب قبلة فتأمل ورواه عبد الرزاق في المصنف عن عمر موقوفا وعن ابن عمر موقوفا ثم هذا الحديث بظاهره معارض لما في المتفق عليه من حديث أسامة ومن حديث ابن عمر أن النبي ﷺ دخل البيت ودعا في نواحيه ثم خرج وركع ركعتين في قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد روي البزار عن عبد الله ابن حبقي قال رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى باب الكعبة وهو يقول أيها الناس إن=

فجعل رسول الله ﷺ جـميع ما يقع بينهما قبلة ومساحـة الكعبة لا تفى بما بين المشرق والمغرب ، وإنما تفى بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضا عن عمر وابنه ﷺ.

وأما فعل الصـحابة ﷺ فما روى « **أن أهل مسجـد قباء كانوا فى صـلاة الصبح بالمدينة مستقبلـين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهـما فقيل لهم : الآن قد حولت القبلة إلى الكعبـة فاستداروا في أثناء الصلاة** » (٢٢٤٩) من غيـر طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القبلتين .

= الباب قبلة البيت لكن إسناده ضعيف وروى البيهـقي عن ابن عباس مرفوعا البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحـرم والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشـارقها ومغاربـها لأمتى وإسناده ضعـيف أيضا قال صاحب الـكشف والتحقيق وهو عـبد العـزيز النجارى هذا على التقريب وإلا فالتحقيق أن الكعبة قبلة العالم .

(٢٢٤٩) حديث : «إن أهل» مسجد « قباء كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس » مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهمـا « فقيل لهم ألا أن القبلة قد حولت إلى الكعبـة فاستداروا فى أثناء الصلاة » من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسـمى مسجدهم ذا القبلتين **قـال العـراقى** : رواه مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .اهـ.

قال مرتضى : لفظ حديث ابن عمر بينما الناس يصلون فى صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال إن رسـول الله ﷺ قد أنزل عليه وقد أمـر أن يستقبل القـبلة فاستقـبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وهو متفق عليه من حديثه هكذا ومن حديث البراء ابن عـازب نحوه ومسـلم من حديث أنس نحـوه وللبزار من طريق ثمـامة عن أنس فـصلوا الركعتين الباقيتين إلي الكعبة وذكر البيضاوى فى تفسيره أنه ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشـر شهرا ثم وجه إلى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قـتال بدر بشهرين وقد صلى بأصحابه فى مـسجد بنى سلمة ركعتين من الظهـر فتحوّل فى الصلاة واستـقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسـجد ذا القبلتين .اهـ. وحديث البراء قال البخارى فى صحيحه حدثنا عمر بن خالد حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء أن النبى ﷺ كان أول ما قـدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخـواله من الأنصار وأنه صلى قـبل بيت المقدس ستة عـشر شهرا أو سبعـة عشر شهرا وكـان يعجبه أن تكون قبلتـه قبل البيت وأنه صلي أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فـخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقـد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت .... الحـديث قوله على أهل مـسجد هو مـسجد بنى سلمـة ومر عليـهم فى صلاة=

ومقــابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعـرف إلا بأدلة هندسيــة يطول النظر فيــها. فكيف أدركــوا ذلك على البديهــة فى أثناء الصــلاة وفى ظلمة الليل ، ويدل أيضــا من فـعلهم أنهم بنوا المسـاجد حـوالى مكة وفى سـائر بلاد الإسـلام ، ولم يحضـروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى .

وأما القـياس فهو أن الحـاجة تمس إلى الاستقـبال وبناء المساجد في جـميع أقطار الأرض ،ولا يمكن مقابلة العـين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فـيها ، بل ربما يزجر عن الـتعمق فى علمـها فكيف ينبنـى أمر الشرع عليـها فـيجب الاكتـفاء بالجـهة للضرورة .

وأما دليل صحة الصورة التى صورناها وهو حـصر جهات العالم فى أربع جهات فقوله ﷺ فى آداب قـضاء الحاجة : « **لا تستـقبلوا بها القبلة ولا تسـتدبروها ولكن شرقوا أو غربوا** » (٢٢٥٠) .

= العصر وأما أهل قباء فما أتاهم إلا فى صلاة الصبح هكذا أخرجه فى أول الصحيح وأيضا في التفسـير عن أبي نعيم ومحمد بن المـثنى والنسائى عن محمد بن بشـار ثلاثتهم عن يحيي بن سعيد عن الثورى عن أبـى إسحاق عنه وأخرجه النسائى أيضا عن محـمد بن حاتم عن حبان ابن موسى عن ابن المبارك عن شريك عن أبى إسحاق وأخرجه ابن ماجه عن علقمة بن عمرو عن أبى بكر بن عياش عن أبى إسحاق وأخرجـه الترمذى عن هناد عن وكيع عن إسرائيل بن يونس عن جده أبى إسـحاق وأخرجه البخـارى أيضا فى الصلاة عن عبـد الله بن جابر وفى خبر الواحد عن يحيى عن وكيع كلاهما عنه به وأخرجه النسائى أيضا عن محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم عن إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق.

(٢٢٥٠) حديث : قال ﷺ فى آداب قضـاء الحاجة : « لا تستقبلوا » بها « الـقبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » . **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى أيوب .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه النسائى والطبرانى ولفظهم لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول ولكن شـرقوا أو غربوا وفى لفظ عـند الطبرانى وسمـويه : لا تستقـبلوا القبلة بفروجكم ولا تستدبروها ورواه أبو يعلى من حديث أسـامة بن زيد بلفظ : لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول .

وقال هذا بالمدينة والمشـرق على يسار المستـقبل بها والمغـرب على يمينه، فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات .

ولم يخطر ببال أحد أن جـهات العالم يمكن أن تفرض فى ست أو سـبع أو عشر وكيفـما كان فما حكم الباقى بل الجـهات تثبت فى الاعتقـادات بناء على خلقة الإنسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال .

فكانت الجـهات بالإضـافة إلى الإنســان فى ظاهر النظر أربعًا والشـرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة .

فأما مقابلة الـعين فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكـة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولهـا وهو بعدها عن أول عمـارة فى المشرق ثم يعرف ذلك أيضـا فى موقف المصلى ، ثم يقابل أحدهمـا بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسبـاب طويلة والشرع غير مبنى عليها قطعا .

فإذًا القدر الـذى لابد من تعلمه من أدلة القبلة موقع المشـرق والمغرب فى الزوال، وموقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب .

فإن قلت : فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصى ؟

فأقـول : إن كان طريقه على قرى متصلة فيـها محاريب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته وبصـيرته ويقدر على تقليده ، فلا يعصى وإن لم يكن معه شئ من ذلك عصى لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه .

فصار ذلك كـعلم التيمم وغيره ، فـإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليـه الأمر بغيم مظلم أو ترك التعلــم ولـم يجد فى الطريق من يقلده ، فعليـه أن يصلى فى الوقت على حسب حاله ، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ .

والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلّده مجتهدا فى القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك فى حضر أو سفر ، وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر فى قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة، حيث يحتاج إلى الاستدلال ، كما ليس للعامى أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع ، بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه ، وكذا إن لم يكن في البلد إلا فقيه فاسق ، فعليه الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق ، بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما فى الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستور الحال فى العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة ، لأن المسافر فى البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين ، فإن رآه لابسا للحرير أو ما يغلب عليه الإبريسم أو راكبا لفرس عليه مركب ذهب ، فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام ، أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذى يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح فى العدالة ، ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة .

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس ، فلابد منها .

فوقت الظهر يدخل بالزوال، فإن كل شخص لابد أن يقع له فى ابتداء النهار ظل مستطيل فى جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ، ثم يأخذ فى الزيادة فى جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقم المسافر فى موضع أو لينصب عودا مستقيما ، وليعلم على رأس الظل ، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه فى النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر ، وطريقه فى معرفة ذلك أن ينظر فى البلد وقت أذان المؤذن المعتمد ظل قامته ، فإن كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك فى السفر وأخذ فى الزيادة صلى، فإن زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر ، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ، ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان من أول الشتاء فينقص كل يوم .

وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت ، وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلا إن كانت كذلك في البلد .

وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه، فينبغي أن ينظر إلى جانب المشرق ، فمهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب .

« وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة » (٢٢٥١) .

فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها ، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة .

وأما الصبح فيبدو في الأول مستطيلا كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر إدراكه بالعين لظهوره ، فهذا أول الوقت .

قال ﷺ : **« ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض »** (٢٢٥٢) .

(٢٢٥١) حديث : « أما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ويروى ذلك مرفوعًا من حديث ابن عمر الشفق الحمرة فإذا غاب وجبت الصلاة رواه الدارقطني وقال البيهقي الصحيح أنه موقوف على ابن عمر وأقره النووي .

(٢٢٥٢) حديث : قال ﷺ : « ليس الصبح هكذا وجمع كفه إنما الصبح هكذا ووضع إحدي سبابتيه على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض » ليس بمستطيل **قال العراقي** : رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس الفجر المستطيل في الأفق لكنه المعترض الأحمر وإسناده حسن . أهـ. =

وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لا تحقيق فيه ، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا ، لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل ، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب ، والذى ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ، ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة ، فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ، ويختلف ذلك فى البلاد اختلافًا يطول ذكره.

نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده ، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلا .

وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب ، وإذا بقى قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثى منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب ، وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه .

فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ، ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلى صلاة الصبح حتى تنقضى مدة الشك فإذا تحقق صلى ، ولو أراد مريد أن يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرًا ويقوم عقيبه يصلى الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك .

فليس معرفة ذلك فى قوة البشر أصلا ، بل لابد من مهلة للتوقف والشك ، ولا اعتماد إلا على العيان ، ولا اعتماد فى العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا فى العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة .

وقد غلط فى هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت .

= قال مرتضى : لفظ أحمد فى مسنده ليس الفجر بالأبيض المستطيل فى الأفق ولكنه الأحمر المعترض وقد رواه كذلك الطبرانى فى الكبير .

ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر» (٢٢٥٣) .

وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى : « وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذر وسمرة بن جندب رضي الله عنهم » (٢٢٥٤) وهو حديث حسن غريب .

والعمل على هذا عند أهل العلم .

(٢٢٥٣) حديث : قال طلق بن علي رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « كلوا واشربوا ولا يهيدنكم» أي لا يزعجنكم ولا يمنعكم الأكل وأصل الهيد الزجر يقال هدته هيدة هيدا إذا زجرته ويقال في زجر الدواب هيد هيد « الساطع المصعد » وسطوعه ارتفاعه مصعدا قبل أن يعترض «وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر» أي يستبطن البياض المعترض أوائل الحمرة **قال العراقي** : قال المصنف : رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كما ذكر ورواه أبو داود أيضا . اهـ.

قال مرتضى : وقد رواه كذلك أبو داود وابن خزيمة والدارقطني.

(٢٢٥٤) حديث : قال عدي بن حاتم وأبي ذر وسمرة بن جندب رضي الله عنهم : « لا يمنعكم عن سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق » .

قال مرتضى : **أغفله العراقي** ورواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي كلهم في الصوم واللفظ للترمذي ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والدارقطني والحاكم وفي لفظ لأبي داود : لا يمنعني من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق الذي هكذا حتى يستطير، رواه عن مسدد حدثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن سوادة عن أبيه قال سمعت سمرة بن جندب يخطب وهو يقول قال رسول الله ﷺ : لا يمنعني . . . فساقه وأما حديث عدي بن حاتم فإنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ قال أخذت عقالاً أبيض وعقالاً أسود ووضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضحك وقال إن وسادك إذا لعريض طويل إنما هو الليل والنهار وقال عثمان إنما هو سواد الليل وبياض النهار وقد روى أيضا من حديث ابن مسعود وسلمان بلفظ : لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن بليل ليرجع قائمكم ولينبه نائمكم وليس الفجر أن يقول هكذا حتى يقول هكذا يعترض في أفق السماء فحديث ابن مسعود أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن حبان وحديث سلمان أخرجه الطبراني في الكبير .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعا ، قال صاحب الغريبين : أى مستطيلا .

فإذًا لا ينبغى أن يعول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول، أو قبل النوم حتى يستريح فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أول الوقت ، ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات ، فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

تم بحمد الله (كتاب آداب السفر)

ويتلوه إن شاء الله تعالى (كتاب آداب السماع والوجد)

★★★

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات

وفيه بابان :

(الباب الأول) : فى إباحة السماع .

(الباب الثانى) : فى آداب السماع وآثاره فى القلب بالوجد .

وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

ج ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٢

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب السماع والوجد

وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى أحرق قلوب أوليائه بنار محبته ، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته ، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى ، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى ، فلم يروا فى الكونين شيئا سواه .

ولم يذكروا فى الدارين إلا إياه ، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصوّر بصائرهم ، وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم، وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ، ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه ، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه ، ولا انبعاثهم إلا له ، ولا ترددهم إلا حواليه ، فمنه سماعهم وإليه استماعهم .

فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم ، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته ، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته ، والصلاة على محمد المبعوث برسالته ، وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته وسلم كثيرا .

أما بعد :

فإن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ، ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار فى الحديد والحجر ، وأخفيت كما أخفى الماء تحت التراب والمدر ، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع .

فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساويها ، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه .

فالسماع للقلب محك صادق ، ومعيار ناطق ، فلا يصل نفس السماع إليه إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه .

وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكامنها ، وكشفت بها عن مساويها وأظهرت محاسنها وجب شرح القول فى السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات ، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات ، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء فى أنهما من المحظورات أو المباحات ونحن نوضح ذلك فى **بابين :**

الباب الأول : فى إباحة السماع .

الباب الثانى : فى آداب السماع ، وآثاره فى القلب بالوجد وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب .

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة فى تحليله وتحريمه :

اعلم أن السماع هو أوّل الأمر ، ويثمر السماع حالة فى القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص .

فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول :

وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه ، ثم نذكر الدليل على إباحته ، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذاهب فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه .

وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته .

وقال القاضى أبو الطيب : استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة ، وقال : قال الشافعى ﷺ : صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ، وقال : وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن .

وقال الشافعي رحمه الله : ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ، ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده .

وأما أبو حنيفة ﷺ فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب ، وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم .

فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم ، وقد قال : فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان ، وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال : وكان لعطاء جاريتان يلحنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون فقال : وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني ، فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء ، فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة ، حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث المحاسبى ، وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه ، وجده فى الدين وتشميره قال : وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع .

وحكى غير واحد أنه قال : اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع ، فقال ابن داود : حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى ، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع : أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود: دعنى أنت من أبيك ، وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر ، أهو حرام ؟ فقال ابن داود : لا ، قال : فإن كان حسن الصوت حرم عليه انشاده ؟ قال : لا، قال: فإن أنشده وطوله ، وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه ؟ قال : أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين .

قال : وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع، وصنف فيه كتابًا وردّ فيه على منكريه وكذا جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال : رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له: ما تقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا ؟ فقال : هو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء .

وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال : رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت : يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال : ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم أنه قال : كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر ، فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت : فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر ، قال فرأيت النبى ﷺ تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول ، والنبى ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت فى نفسى : ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون ، وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول ، فالتفت إلىّ رسول الله ﷺ وقال : هذا حق بحق أو قال حق من حق ، أنا أشك فيه .

وقال الجنيد : تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا .

وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع ، فقيل له : أيؤتى يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال : لا فى الحسنات ولا فى السيئات ، لأنه شبيه باللغو، وقال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢٥) .

هذا ما نقل من الأقاويل، ومن طلب الحق فى التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهى ، وكل ذلك قصور ، بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه ، وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره .

بيان الدليل على إباحة السماع

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ، وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة فى النص أو القياس على

المنصوص ، وأعنى بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله ، فإن لم يكن فيه نص ، ولم يستقم فيه قياس على منصوص ، بطل القول بتحريمه وبقى فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ، ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم .

ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا فى إثبات هذا الغرض لكن نستفتح ونقول : قد دل النص والقياس جميعا على إباحته ، أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها ، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب ، فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره ، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار ، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات .

أما سماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب فلا ينبغى أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس ، أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به ، وللإنسان عقل وخمس حواس ، ولكل حاسة إدراك وفى مدركات تلك الحاسة ما يستلذ ، فلذة النظر فى المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجارى والوجه الحسن .

وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهى فى مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة ، وللشم الروائح الطيبة وهى فى مقابلة الانتان المستكرهة ، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة ، وهى فى مقابلة المرارة المستبشعة ، وللمس لذة اللين والنعومة والملامسة وهى فى مقابلة الخشونة والضراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهى فى مقابلة الجهل والبلادة ، فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير ، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها .

فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن أمتنان الله تعالى على عباده به.

« إذ قال : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ (فاطر : ١) فقيل : هو الصوت الحسن »(٢٢٥٥).

وفى الحديث قال ﷺ : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » (٢٢٥٦).

وقال ﷺ : « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته » (٢٢٥٧).

وفى الحديث فى معرض المدح لداود عليه السلام « إنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور ، حتى كان يجتمع الأنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل فى مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات»(٢٢٥٨).

(٢٢٥٥) حديث : « قال فى كتابه العزيز ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ قيل فى تفسيره هو حسن الصوت » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا فسره الزهرى أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى في شعب الإيمان كلهم بأسانيدهم عنه وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال الصوت الحسن .

(٢٢٥٦) حديث : قال ﷺ : « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلا في الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطنى ورواه ابن مردويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .اهـ.

(٢٢٥٧) حديث : قال ﷺ : « لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » **قال العراقى** : تقدم فى كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٦٨ ص ٨٨٦ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد وابن ماجه والبيهقى فى السنن والحاكم في المستدرك من حديث فضالة بن عبيد وقال الحاكم صحيح على شرطهما .

(٢٢٥٨) حديث : « كان داود » عليه السلام « حسن الصوت في النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه=

وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « **لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود** » (٢٢٥٩) .

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩) .

يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال : إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون فى القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعانى الصحيحة ، وإن من الشعر لحكمة .

فهذا نظر فى الصوت من حيث أنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر فى الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ، فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب ، والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها **ثلاثة** ، فإنها :

= أربعمائة جنازة وما يقرب منها فى الأوقات » هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف ولفظ القشيرى فى الرسالة وقيل إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور وكان يحمل كل يوم من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن يسمع قراءته **وقال العراقى:** هذا الحديث لم أجد له أصلا .اهـ.

قال مرتضى : قال ابن بطال : قال أبو عاصم : حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال كانت لداود عليه السلام معزفة يتغنى عليها يَبكي ويُبكي قال وقال ابن عباس إن داود عليه السلام كان يقرأ الزبور بسبعين لحنا يلون فيهن ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم فإذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة بر أو بحر إلا انصتن ويستمعن ويبكين .

(٢٢٥٩) حديث: قال ﷺ فى مدح أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه : « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » **قال العراقى :** تقدم فى كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٩٥ ص ٩٠٥ .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه الشيخان وثبت أيضا أن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ لو علمت أنك تسمع قراءتى لحبرته تحبيرا ومن ذلك أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قرأ فرجع وقرأ أبو إياس وقال لولا أنى أخشى أن يجتمع على الناس لقرأت بذلك اللحن الذي قرأ به رسول الله ﷺ وهو فى الصحيحين من رواية شعبة .

إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره.

وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ، وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السجع من الطيور ، فهى مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع ، فلذلك يستلذ سماعها .

والأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة ، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال فى الخلقة التى استأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول .

فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة ، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان ، فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره .

« **ولا يستثنى من هذه إلا الملاهى والأوتار والمزامير** » [(٢٢٦٠)] التى ورد الشرع بالمنع منها لا لذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ، ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء إلى كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين ، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به .

(٢٢٦٠) حديث : «المنع الملاهى والأوتار والمزامير» **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى : ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والمعازف ، صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والإسماعيلى=

وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله ، كما قال ﷺ : « **إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه** » .

فهى محرمة تبعًا لتحريم الخمر **لثلاث علل** :

إحداها : أنها تدعو إلى شرب الخمر ، فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر .

الثانية : أنها فى حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب ، فهى سبب الذكر ، والذكر سبب انبعاث الشوق ، وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام .

ولهذه العلة « **نهى عن الانتباذ فى المزفت والحنتم والنقير** » (٢٢٦١) .

= والمعازف : الملاهى قاله الجوهرى ولأحمد من حديث أبى أمامة : إن الله أمرنى أن أمحق المزامير والكبارات يعنى البرابط والمعازف وله من حديث قيس بن سعد بن عبادة : إن ربى حرم على الخمر والكوبة والقنين وله فى حديث لأبى أمامة بإستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبى الشيخ من حديث مكحول مرسلاً : الاستماع إلى الملاهى معصية ... الحديث ولأبى داود من حديث ابن عمر : سمع مزمارًا فوضع أصبعيه على أذنيه ، قال أبو داود : وهو منكر .اهـ.

قال مرتضي : وسيأتى ذكر بعضها عند الكلام فى الجواب عن أدلة المحرمين ولا عبرة بتضعيف ابن حزم بعد أن وصله أبو داود الإسماعيلى وكذا البيهقى والبخارى إذا علق شيئًا بصيغة الجزم يحتج به ثم إن البخارى علقه عن هشام بن عمار وقد لقيه فيحمل على السماع فالحكم حينئذ للوصل كما هو معروف فى موضعه .

(٢٢٦١) حديث : « النهى عن الحنتم والمزفت والنقير » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن عباس .اهـ.

قال مرتضى : أخرج البخارى من حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس وفيه فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع الحنتم والدباء والمزفت والنقير وربما قال المقير قال أبو هريرة الحنتم هى الجرار الخضر وقال ابن عمر هى الجرار كلها وقال أنس : جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف وقالت عائشة جرار حمر أعناقها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر وقال ابن أبى ليلى أفواهها فى جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف وكان ناس ينتبذون فيها،=

وهى الأوانى التى كانت مخصوصة بها ، فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها، وهذه العلة تفارق الأولى ، إذ ليس فيها اعتبار لذة فى الذكر ، إذ لا لذة فى رؤية القنينة وأوانى الشرب ، لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيرا يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لخصوص هذه العلة فيه .

الثالثة : الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم «لأن من تشبه بقوم فهو منهم» (٢٢٦٢) .

وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعاراً لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم، وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ، ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو .

وبهذه العلة نقول : لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحيى بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم ، وإن كان المشروب مباحا فى نفسه ، لأن فى هذا تشبها بأهل الفساد ، بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعا فى بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم .

= وفى صحيح مسلم من حديث بريدة كنت نهيتكم عن الإنتباذ إلا فى الأسقية فانتبذوا فى كل وعاء ولا تشربوا مسكراً .

(٢٢٦٢) حديث : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه أحمد وأبو داود والطبرانى فى الكبير من حديث أبى منيب الجرشى عن ابن عمر به مرفوعًا بسند فيه ضعف ويروى عن الحسن قال : قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم .

فبهذه المعانى حرم المزمار العراقى والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها ، وما عدا ذلك فليس فى معناها كشاهين الرعاة والحجيج ، وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب ، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها ، فلم يكن فى معناها فبقى على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول : سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا.

وبهذا يتبين أنه ليست العلة فى تحريمها مجرد اللذة الطيبة ، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما فى تحليله فساد ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (الأعراف : ٣٢) .

فهذه الأصوات لا تحرم من حيث أنها أصوات موزونة ، وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتى فى العوارض المحرمة .

الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك، لأنه ما زاد إلا كونه مفهوما ، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع .

نعم ينظر فيما يفهم منه ، فإن كان فيه أمر محظور حرم نظمه ونثره وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن ، والحق فيه ما قاله الشافعى رحمه الله تعالى إذ قال : « **الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح** » (٢٢٦٣) .

(٢٢٦٣) حديث: « الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى ذلك أيضا عن ابن سيرين وعن الشعبي كما نقله ابن عبد البر وقد أخرج البيهقى فى السنن هذا حديثا مرفوعا من عدة طرق والصحيح أنه مرسل وأخرجه أبو يعلى الموصلى من حديث عائشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وإسناده جيد وأخرج البخارى فى الأدب المفرد=

ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان . فإن إفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا .

وكيف ينكر إنشاد الشعر « وقد أنشد بين يدى رسول الله ﷺ » (٢٢٦٤).

= والطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وحكى الماوردى فى الحاوى والرويانى فى البحر أن الشعر ينقسم إلى محرم ومباح ومستحب وأن المستحب على قسمين الأول ما حذر من الآخرة والثانى ما حث علي مكارم الأخلاق ومن المستحب مدح الأنبياء عليهم السلام والصحابة وأهل التقوى وأمثال ذلك .

(٢٢٦٤) حديث : « إنشاد الشعر بين يدى رسول الله ﷺ » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك . . . الحديث ولمسلم من حديث عائشة إنشاد حسان قصيدته المشهورة :

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفاء ... فشركما لخيركما الفداء

القصيدة وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بيت مخزوم ووالدك العبد

وللبخارى إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا إنشق معروف من الفجر ساطع

الأبيات . اهـ.

قال مرتضى : وأخرج البيهقى فى الدلائل أن العباس رضي الله عنه قال : يا رسول الله أريد أن أمدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك فأنشدته :

من قبلها طبت فى الظلال وفى ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا نطفة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق =

وقال ﷺ : «إن من الشعر لحكمة» (٢٢٦٥) .

وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

«ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب» (٢٢٦٦)

= وقال البيهقي : أبو عبد الله الحافظ أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بهمدان حدثنا إبراهيم ابن الحسن حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال أنشد النبي ﷺ بانت سعاد في المسجد بالمدينة فلما بلغ قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيستمعوا منه .

(٢٢٦٥) حديث : « إن من الشعر لحكمة » **قال العراقي :** أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب .اهـ.

قال مرتضى : والترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح وقد تقدم في كتاب العلم حديث رقم ٩٨ ص ١٤٨ .

(٢٢٦٦) حديث : أنشدت عائشة رضي الله عنها بيت لبيد بن ربيعة رضي الله عنه :

«ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب»

قال مرتضى : أغفله العراقي وهو مسلسل قال الحافظ بن ناصر الدمشقي في نفحات الأخيار من مسلسلات الأخيار أخبرنا أبو العباس أحمد بن حجر بن موسى بن أحمد بن الحسباني بقراءتي عليه بظاهر دمشق سنة ٨٣٠ أخبر أبو عمرو وعثمان بن يوسف بن القواس قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم الطائي أخبرنا عبد الواحد ابن عبد الرحمن بن سلطان وأبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي قالا أخبرنا أبو الحسن علي بن مهدي أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد الحنائي في سنة ٥٠٢ أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن الدارمي البغدادي في سنة ٤٦٩ ح وأخبرنا يوسف بن عثمان العوفي قراءة عليه وأنا أستمع أنبأنا ابن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري أخبرنا علي بن هبة الله بن الجميزي سماعا عليه في سنة ٤٥٤ أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي أخبر أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ببغداد في سنة ٤٣٣ أخبرنا أبوالفتح عبد الكريم بن محمد بن أحمد المحاملي قال هو والدارمي واللفظ له أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزار ببغداد حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل الليثي حدثنا يعيش بن الجهم عن أبي ضمرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها =

= كانت تتمثل بأبيات لبيد بن ربيعة ﷺ :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب
يتحدثون مخافة وملامة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

قالت عائشة ﷺ : رحم الله لبيدا كيف لو أدرك زماننا هذا قال عروة رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا وقال هشام رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا وقال أبو ضمرة رحم الله هشاما كيف لو أدرك زماننا هذا والتسلسل إلى آخره ثم قال أبو ضمرة أنس ابن عياض وثقه أبو حاتم وقال ابن عدى له أحاديث غير محفوظة وقال غيره منكر الحديث ثم قال وقد رويناه في مسلسلات الإبراهيمي بشرطه من طريق أبي الفوارس أحمد بن محمد السدى حدثنا إبراهيم بن مرزوق حدثنا أبو عامر العقدى حدثنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن عائشة فذكره وإبراهيم بن مرزوق يخطئ ويصر ولا يرجع ذكره الدارقطنى ثم قال وهذا الحديث له طرق منها ما أخبرناه عاليا عبد الرحمن بن محمد بن الشهاب الفارقى بقراءتى عليه أخبرك أبو محمد القاسم بن المظفر الدمشقى قراءة عليه وأنت تسمع فاقر به أخبرنا محمود بن إبراهيم بن سفيان العبدي في كتابه إلى أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغبانى سماعا أخبرنا أبو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن منده سمعت أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيي العبدى سمعت الحسن بن يوسف الطرائفى بمصر سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت أبا ضمرة يعنى أنس بن عياض يقول سمعت هشام بن عروة يقول سمعت أبي يقول سمعت عائشة ﷺ تقول يرحم الله لبيدا حيث يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقيت فى نسل كجلد الأجرب

قالت عائشة ﷺ فكيف بلبيد لو أدرك زماننا هذا ثم ساق التسلسل إلى آخره قال وأخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن الفارقى إجازة عن أحمد بن أبي بكر البكارى أن الحسين بن عطية أخبره فى سنة ٤٩٥ أخبرنا علي بن مختار أخبرنا أبو طاهر السلفى الحافظ أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرى حدثنا أبو بكر أحمد بن الفضل أخبرنا الحافظ أبو عبد الله بن منده العبدى قال أخبرنا خيثمة بن سليمان حدثنا محمد بن عوف بن سفيان حدثنا عثمان بن سعيد الحمصى حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ﷺ أنها ذكرت لبيدا ﷺ حيث يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
يتحاورون صيانة وملامة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

=

= ثم قالت عائشة رحم الله لبيدا لو أدرك زمـاننا هذا ثم ساق التسلسل إلى آخره قال ورواه عن خيثمة بن سليمان أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحيي القطان الدمشقى والخضـر بن عبـد الوهاب بن يحيى الحرانى مـسلسلا بنحـوه ورواه أبو عبد الـله الحصين بن محمد بن الحسين بن شعيب بن فنجويه الديـنورى فى مسلسلاته عن أبى عمرو بن عثمان بن عمر بن خفيف الدراج حدثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة حدثنا محمد بن عوف فذكره وحدث به ابن المبارك فى الزهد فقال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة سمعت عائشة تقول قال لبيد :

ذهب الـذين يعـاش فـى أكنافـهم ... وبقـيت فى نسل كـجلد الأجـرب
يتـحـدثون مـخـافـة ومـلاذة ... ويعـاب قـائلهم وإن لـم يغـشب

قالت فكيف لو أدرك لبيد قوما نحن بين ظهرانيهم قال الزهرى وكيف ولو أدركت عائشة من نحن بين ظهـرانيهم اليوم قـال وقد جاء عن وكـيع عن هشام مـسلسلاً وذلك فيـما رواه الحافظ أبو الغنائم التـرسى قال أخبرنا أبوعـبد الله محـمد بن على العلوى حدثنا أبو مـحمد جناح بن نذير عن جناح المحـارى الكوفى حدثنا أبـو الحسين على بن الحـسن البلخى القطان حدثنا أبو بشـر إسماعيل بن إبراهيم بن إسـحاق الحلواني بحلوان حدثنا على بن عـبد المؤمن الزعفراني حدثنا وكـيع أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشـة ﵂ فذكره بنحوه هذا كله سياق الحافظ ابن ناصر الدين وأورده الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهانى الوراق فى مسلسلاته من **طرق أربعة** :

الأولـى : مسلسلة يقول كل راو رحم الله فـلانا فكيف لو أدرك زماننا هذا عن أبى بكر أحمد بن محـمد بن أحمد بن جعفـر الحافظ عن أبى سعيد الحسين بن مـحمد بن الحسن بن مراق عن أبى بكر أحمد بن محمد بن الفضل الصيرفى عن الزبير بن بكار .

الثانـية : مسلسلة يقول كل راو فكيف بفلان لو أدرك زمـاننا هذا عن أبى منصور محمد ابن عبد الله بن يوسف التاجر عن أبى عبد الله الحسين بن جـعفر بن محمد الجرجاني بالرى عن أبى الحسن أحـمد بن محـمد بن عيـسى البزاز بالقلزم عن مـحمد بن عـبد الله بن يزيد القلزمى.

الثـالثـة : مسلسلة يقـول كل راو فكيف لو أدرك فلان أهل هذا الزمـان عن أبى الحسن أحمد بن محمد بن أحمـد بن زنجويه المزكى عن أبى الحسن يوسف بن الفضل بن شاذان عن أبى يعلى محمد بن زهير بن الفضل الإيلى حدثنا أحمد بن داود الإيلى.

الرابعـة : مسلسلة يقول كل راو سمعت عن أبى الفضل أحـمد بن أحمد بن محمود المزكى عن أبى عبد الله محمد بن أبى يعقوب الحافظ عن أبى على الحسن بن يوسف الطرائفى عن محمد=

وروى فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء فقلت : يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » (٢٢٦٧) .

= ابن عبد الله بن عبد الحكم أربعتهم عن أبى ضمرة أنس بن عياض فذكره وأورده أيضا من وجه آخر عن أبى القاسم الحسين بن محمد بن عمر بن عبدان الواعظ عن أبى بكر أحمد بن عبد الرحمن الحافظ عن أبى عبد الله الحسين بن أحمد الثقفى ببغداد عن أبى العباس الدمشقى أحمد ابن جوصا الحافظ عن أبى عمرو عثمان بن سعيد الحمصى عن أبيه عن محمد بن الوليد الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قال الحافظ ابن ناصر الدين وروينا عن الكديمى قال سمعت أبا نعيم يقول كنت أكثر تعجبى من قول عائشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش فى أكنافهم لكنى أقول :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفا فى أراذل النسناس
فى أناس تعدهم من عديد فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت ابتغى النيل منهم بدرونى قبل السؤال بياس
وبكوا لى حتى تمنيت أنى منهم قد أفلت رأسا براس

(٢٢٦٧) حديث : روى فى الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال » رضي الله عنهما أى أصابتهما الحمى « وكان بها وباء » أى وخم « فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال رضي الله عنه إذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته» أى صوته ويتشوق إلى مكة «ويقول:
=

« وقد كان رسول الله ﷺ ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذى الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا ﷺ مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة » (٢٢٦٨)

وهذا فى الصحيحين .

= ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل»

الإذخر والجليل نبتان معروفان ،

ماء مجنة من مياه مكة وشامة وطفيل قال الخطابى كنت أقول إنهما جبلان حتى وردتهما فإذا هما ماآن « قالت عائشة ﵂ فاخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال : اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة أو أشد » الحديث **قال العراقى** : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخارى فقط ليس عند مسلم .اهـ.

قال مرتضى : وروى فى الموطأ .

(٢٢٦٨) حديث : « كان » رسول الله «ﷺ ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وقال ﷺ مرة أخرى :

اللهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة»

قال المصنف : والبيتان فى الصحيحين **قال العراقى** : البيت الأول انفرد به البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا وفيه البيت الثانى أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني فى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وليس البيت الثانى موزونا وفى الصحيحين أيضا أنه قال فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الأنصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار .اهـ.

«وكان النبى ﷺ يضع لحسان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ، ويقول رسول الله ﷺ : إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ » (٢٢٦٩) .

« ولما أنشده النابغة شعره قال له ﷺ : لا يفضض الله فاك » (٢٢٧٠) .

(٢٢٦٩) حديث : «كان النبى ﷺ يضع لحسان» بن ثابت ﷺ «منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح » أى يدافع وهو شك من الراوى « ويقول رسول الله ﷺ « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو » قال « فاخر عن رسول الله ﷺ » **قال العراقى** : رواه البخارى تعليقا ورواه أبو داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفى الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ .اهـ.

قال مرتضى : وفيهما أيضا من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أيده بروح القدس فقال أبو هريرة نعم وعندهما أيضا أنه قال له أهجهم وجبريل معك وفى لفظ هاجهم وسيأتى للمصنف وروى أيضا أنه ﷺ قال له كيف تعمل بحسبى ونسبى فقال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين .

(٢٢٧٠) حديث : « أنه » ﷺ « قال للنابغة لما أنشده شعراً : لا يفضض الله فاك » أى لا يكسر الله سنك **قال العراقى** : رواه البغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب بإسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال : أنشدت النبى ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الأبيات ورواه البزار بلفظ :

علونا العباد عفة وتكرما

الأبيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول : يا رسول الله إنى أريد أنى أمتدحك ، فقال : قل لا يفضض الله فاك فقال العباس:

من قبلها طبت فى الظلال وفى   مستودع حيث يخصف الورق

الأبيات . اهـ.

=

= قال مرتضى : ورواه أيضا أبو نعيم في تاريخ اصبهان والشيرازى في الألقاب كلهم من طريق يعلى بن الأشرف سمعت النابغة يقول أنشدت النبي ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة قال أجل إن شاء الله تعالى ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال لى رسول ﷺ لا يفضض الله فاك مرتين هكذا رواه على بن أحمد البزار عن محمد بن عبد الرحمن المخلص عن البغوى عن داود بن رشيد عن يعلى بن الأشرف ورواه ابن هزارمود على المخلص بلفظ لا يفضض الله فوك مرتين تابعه أحمد بن الأشقر والحسين ابن على الخياط ومحمد بن أحمد بن دحروج ومحمد بن أحمد بن قريش والقاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزاز وأبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى كلهم عن ابن هزارمود ورواه أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن أخى يمن الدقاق عن أبى القاسم البغوى وحدث به أبو بكر بن أبى داود السجستانى عن أيوب بن محمد الوزان حدثنا يعلى بن الأشرف فذكره بنحوه ورواه أيضا الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف وأبو على ابن السكن فى الصحابة وغيرهما من طريق الرحال بن المنذر عن أبيه عن كرز بن أسامة وكان قد وفد إلى النبى ﷺ عن النابغة الجعدى قال أتيت النبى ﷺ فقلت فذكره ورواه السلفى فى البلدانيات له فيما أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى عن عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سالم بن محمد أخبرنا محمد بن أحمد على اخبرنا محمد بن محمد بن العماد أخبرتنا أم الفضل هاجر ابنة محمد القدسى قالت اخبرنا محمد بن أحمد ابن محمد بن نهين أخبرنا أبو الحسن الراقى أخبرنا أبو القاسم المكى أخبرنا أبو طاهر السلفى اخبرنا أبو طالب نصر بن الحسين قاضى الدينور بها حدثنا أبو سعيد بندار بن على بن الحسن الرواس إملاءً أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعة الكاتب أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء عن نصر بن عاصم الليثى عن أبيه قال سمعت النابغة يقول أتيت رسول الله ﷺ فانشدته حتى أتيت إلى قولى :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا واضح الحق نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال إلى أين يا أبا ليلى فقلت إلى الجنة فقال إن شاء الله تعالى فانشدته : **ولا خير فى جهل** البيتين فقال لى صدقت لا يفضض فاك فبقى عمره أحسن الناس ثغرا كلما سقطت له=

= سن عادت لـه سن أخرى وكان مـعمـرا ورواه الخطابي في غريب الحـديث له وأبو العـباس المرحبي في فضـل العلم له من طريق سليمان بن أحمـد الحرشي عن عبد الله بن مـحمد بن حبيب الكعبي عن مهاجر بن سليم عن عبـد الله بن جراد قال سمعت نابغة بن جـعدة قال أنشدت النبي ﷺ من قولي :

علونـا الســمــاء عـفــة وتكرمــا وإنا لنـرجــو فــوق ذلك مظـهــرا

فغضب النبي ﷺ وقال وأين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة قال أجل إن شاء الله ثم قال انشدني من قولك فـأنشدته وذكرهما فـقال لي أجدت لا يفضض الله فـاك قال فرأيت أسنانه كـالبرد المنهل لا انقـصمت له سن ولا انـفلت نزف غروبه ورواه الحـارث بن أبي أسامـة في مسنده ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب من جهته قال حدثنا العباس بن الفضل حدثنا محمد ابن عبد الله التميمي حدثني الحسن بن عبيد الله حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول أتيت النبي ﷺ فانشدته قولي :

وإنا لـقــوم مــا نعــوّد خــيلـنا إذا مـا التــقـينا أن تحـيـد وتـنفـرا
ونـنكـر يوم الـروع الوان خــيلنا من الطعن حتى نحسب الجـو أشـقـرا
ولـيس بمعــــروف لـنا أن نـردهـا صـحـاحـا ولا مـســتنكر أن تعــقـرا

بلغنا السماء وذكـر البيت مع باقي القصة بنحوه وقد وقع لي هذا من وجـه آخر مسلسلا بالسرار فـيما كتب إلى فـخر الديار الشاميـة أبو عبد الله مـحمد بن أحمـد بن سالم الحنبلي رحمه الله تعالى قال أخبرنا عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عن موسى النحو عن زين الدين ابن سلطان أخبرنا الشمس محمد بن محمـد بن الحسن المزي وأخبرنا عمر بن أحمد الحسيني عن عبد الله بن سالم عن محمد بن العلاء الحافظ عن سـالم بن محمد عن محمد بن أحمد ابن علي أخبـرنا الكمال مـحمد بن علي الطويل قـال أخبرنا الشـهاب أبو الطيب أحـمد بن محمد الحجـازي الأنصاري الخزرجي أخبرنا الزين العراقي الحافظ والشرف محـمد بن محمد ابن الكويك قال الأول أخبرنا الصلاح خليل بن كلكلدي العلائي أخبرنا الخطيب شرف الدين أحمـد أخبـرنا العلم السخـاوي أخبـرنا أبو طاهر السلفي الحافظ أخـبرنا أبو الوفـاء علي بن شهرباي الزعفراني أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن المظفـر اخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين وقال الثاني أخبرنا أبو عـبد الله الذهبي أخبرنا أحمد بن إسحاق أخبـرنا عبد السلام بن سهل أخبرنا شهردار بن شهرويه أخبرنا أحمد بن عمـر بن البيع أخبرنا حميد بن المأمون قال أخبرنا أبو بكر عبـد الله بن أحمد الفارسي أخـبرنا أبو عثـمان سعيـد بن زيد بن خالد أخبرنا عـبد السلام بن رغبان ديك الجـن أخبرنا زعبل الخزاعي أخبرنا أبو نواس الحـسن بن هانئ أخبرني والبة بن الحباب أخـبرني أبو المسهل الكميت بن زيد أخبرني خـالي أبو فراس همام بن غالب=

وقالت عائشة ﵂ : « كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم » (٢٢٧١) .

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه ﵁ قال : « أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ، ثم قال : إن كاد فى شعره ليسلم »(٢٢٧٢) .

وعن أنس ﵁ « أن النبى ﷺ كان يُحْدَى له فى السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير » (٢٢٧٣) .

= الفرزدق اخبرنا الطرماح قال لقيت نابغة بنى جعدة قلت له : ألقيت رسول الله ﷺ قال نعم وأنشدته قصيدتى التى أقول فيها بلغنا السماء فساقه .

(٢٢٧١) حديث : قالت عائشة ﵂ : « كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الأشعار وهو يتبسم » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة . اهـ .

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والطبرانى من طرق بلفظ قال جابر بن سمرة شهدت رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة فى المسجد وأصحابه يتذاكرون الشعر وأشياء من أمر الجاهلية فربما يتبسم رسول الله ﷺ .

(٢٢٧٢) حديث : قال عمرو بن الشريد : قال أبيه ﵁ : « أنشدت النبى ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد فى شعره ليسلم » **قال العراقى :** رواه مسلم . اهـ .

قال مرتضى : وكان كلما سمع بخروج النبى ﷺ وقصته كفر حسدًا له ويروي أيضًا أنه قال : آمن لسانه وكفر قلبه .

(٢٢٧٣) حديث : قال أنس ﵁ : « كان يحدى له » ﷺ « فى السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال النبى ﷺ يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير» **قال العراقى :** رواه أبو داود الطيالسى واتفق الشيخان منه علي قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك . اهـ . =

ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة رضي الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ ، فلا يجوز أن يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث أنه محرك للقلب ، ومهيج لما هو الغالب عليه فأقول : لله تعالى سر فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر تأثيرا عجيبا .

فمن الأصوات ما يفرح ، ومنها ما يحزن ، ومنها ينوّم ، ومنها ما يضحك ويطرب ، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس .

ولا ينبغى أن يظن أن ذلك لفهم معانى الشعر ، بل هذا جار فى الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج .

وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد فى الصبى فى مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه .

= **قال مرتضى :** قال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان البراء بن مالك يعنى أخاه رضي الله عنه يحدو بالرجال وكان أنجشة يحدو بالنساء وكان حسن الصوت فكان إذا حدا اعنقت الإبل فقال النبى ﷺ يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وأخرجه أحمد عن سلمة وهو حديث صحيح وقصة انجشة مخرجة فى الصحيحين من غير هذا الوجه من طريق أيوب عن أبى قلابة عن أنس وسياقه أتم لكن لم يذكر البراء وفيهما من طريق قتادة عن أنس قال كان للنبى ﷺ حاد يقال له انجشة وفيه قال قتادة القوارير ضعفة النسائى وقال أبو مسلم الكجى فى سننه حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا حميد عن أنس قال كان يسوق بأمهات المؤمنين رجل يقال له أنجشة فقال له النبى ﷺ رويدك ارفق بالقوارير وأخرجه عن ابن أبى عدى عن حميد .

والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ، ويستقصر لقوة نشاطه فى سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه ، فتراها إذا طالت عليها البوادى واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها ، وتصغى إلى الحادى ناصبة آذانها وتسرع فى سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها ، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهى لا تشعر به لنشاطها .

فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى ﷺ قال : كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدى البيت وقد بقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لى الغلام : أنت ضيف ولك حق فتشفع فىّ إلى مولاى فإنه مكرم لضيفه ، فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر فعساه يحل القيد عنى ، قال : فلما أحضروا الطعام امتنعت ، وقلت : لا آكل ما لم أشفع فى هذا العبد ، فقال: إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى، فقلت : ماذا فعل ؟ فقال: إن له صوتا طيبا ، وإنى كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك، قال : فأحببت أن أسمع صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقى الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهى ، فما أظن أنى سمعت قط صوتا أطيب منه .

فإذًا تأثير السماع فى القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد فى غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته .

ومهما كان النظر فى السماع باعتبار تأثيره فى القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما فى القلب .

قال أبو سليمان : السماع لا يجعل فى القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد فى مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهى **سبعة مواضع** :

الأول : غناء الحجيج ، فإنهم أولا يدورون فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء ، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها .

وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا ، وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا .

وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه فى الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع ، صار الكلام أوقع فى القلب ، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير ، وكل ذلك جائز ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التى هى من شعار الأشرار .

نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذى أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه فى الخروج ، فهذا يحرم عليه الخروج ، فيحرم تشويقه إلي الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج .

فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة ، وكان الهلاك غالبا لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق .

الثانى : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضا مباح كما للحاج ، ولكن ينبغى أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم لأن استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثل **قول المتنبى :**

فإن لا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاسى الذل غير مكرم

وقوله أيضا :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوقة ، وهذا أيضا مباح فى وقت يباح فيه الغزو ، ومندوب إليه فى وقت يستحق فيه الغزو ، ولكن فى حق من يجوز له الخروج إلى الغزو .

الثالث : الرجزيات التى يستعملها الشجعان فى وقت اللقاء ، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار ، وتحريك النشاط فيهم للقتال ، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع فى النفس .

وذلك مباح فى كل قتال مباح ومندوب فى كل قتال مندوب ومحذور فى قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعى إلى المحظور محظور ، وذلك منقول عن شجعان الصحابة ﷺ كعلى وخالد ﷺ وغيرهما .

ولذلك نقول : ينبغى أن يمنع من الضرب بالشاهين فى معسكر الغزاة ، فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ، ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث الفتور فى القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب ،

فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتفتير الآراء عن القتال الواجب فهو عـاصٍ ، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع .

الرابع : **أصوات النياحة ونغماتهـا وتأثيرها فى تهييج الحزن والبكاء** ، وملازمة الكآبة والحزن **قسمان** :

محمود ومذموم ، فأما المذموم فكالحزن على ما فات .

قال الله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ (الحديد : ٢٣) .

والحزن على الأموات من هذا القبيل ، فإنه تسخط لقضاء الله تعالي وتأسف على ما لا تدارك له ، فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما .

فلذلك ورد « **النهى الصريح عن النياحة** » (٢٢٧٤) .

وأما الحزن المحـمود فهو حـزن الإنسان على تقصيـره فى أمر دينه ، وبكاؤه على خطاياه ، والبكاء والتباكى والحـزن والتحازن على ذلك محمـود ، وعليه بكاء آدم عليه السلام ، وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك .

ولذلك كانت نياحة داود عليه السـلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب ، فقد كان عليه السلام يبكى ويُبكى ويحزن ويُحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكـان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه، وذلك محمود لأن المفضى إلى المحمود محمود.

(٢٢٧٤) حديث : « النهى عن النياحة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أم عطية : أخذ علينا النبى ﷺ فى البيعة أن لا ننوح .اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود بلفظ نهى عن النياحة وفى حديث معاوية نهى عن النوح والشعـر والتصاوير وجلود السـباع والتبرج والغناء والذهب والخـز والحرير وعند البيـهقى من حديث ابن عمر أن الميت ليعذب بما نيح عليه .

وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب ، ولا أن يبكى ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه .

الخامس : **السماع فى أوقات السرور** تأكيدا للسرور وتهييجا له ، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحا كالغناء فى أيام العيد وفى العرس ، وفى وقت قدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به .

ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه .

ويدل على هذا من النقل « **إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم** رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع »[(٢٢٧٥)]

فهذا إظهار السرور لقدومه ﷺ ، وهو سرور محمود ، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضا محمود .

(٢٢٧٥) حديث : « إنشاد النساء » بالدف والألحان « عند قدوم رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع »

قال العراقى : رواه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن عائشة معضلا وليس فيه ذكر للدف والألحان . اهـ.

قال مرتضى : هو فى الخلفيات وفيه ذكر الدف ويروى بزيادة :

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

فقد نقل عن جماعة من الصحابة ﷺ «أنهم حجلوا في سرور أصابهم» (٢٢٧٦)

كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به ، وفي كل سبب مباح من أسباب السرور .

ويدل على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة ﵂ أنها قالت : « **لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا الذي أسأمه ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو** » (٢٢٧٧) .

إشارة إلى طول مدة وقوفها .

وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحيهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة ﵂ « **أن أبا بكر ﵁ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان وتضربان ، والنبي ﷺ متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ﵁ ، فكشف النبي ﷺ**

(٢٢٧٦) حديث : « حجل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم » **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث على وسيأتي في الباب الثاني .اهـ.

(٢٢٧٧) حديث : قالت عائشة ﵂ : « رأيت رسول الله ﷺ سترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي اسأمه فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » إشارة إلى طول مدة وقوفها **قال العراقي** : هو كما ذكره المصنف أيضًا في الصحيحين لكن قوله أنه فيهما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخاري من طريق معمر وفيه بعد قوله الحديثة السن تسمع اللهو وأخرجه أيضا من طريق صالح بن كيسان وفيه والحبشة يلعبون في المسجد ولم يذكر ما بعده وأخرجه أيضا تعليقا ومسلم مسندا من طريق يونس بن يزيد وفيه حريصة على اللهو وذلك عند مسلم وليس عند البخاري فإنه إنما ساق هذه الرواية المعلقة مختصرة وأخرجه البخاري أيضا من طريق الأوزاعي مثل سياق المصنف وأخرجه مسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحارث وفيه فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن خمستهم عن الزهري عن عروة عن عائشة وله طرق أخرى تركتها اختصارا ورواه أحمد بلفظ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى وسيأتي قريبا .

عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » (٢٢٧٨) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ : أمنا يا بني أرفدة»(٢٢٧٩) يعني من الأمن .

وفي حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه « وفيه تغنيان وتضربان » (٢٢٨٠) .

(٢٢٧٨) حديث : روى مسلم والبخاري في حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدنفان وتضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه » أي مخمر وجهه « فانتهرهما » أي زجرهما « أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » **قال العراقي** : هو كما ذكر المصنف في الصحيحين لكن قوله إنه فيهما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكره وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخاري في سنة العيد وفي أبواب متفرقة من طرق وفي بعضها ما سيأتي للمصنف قريبا وأخرجه مسلم في العيد وأخرجه النسائي في عشرة النساء .

(٢٢٧٩) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : «رأيت رسول الله ﷺ يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر » رضي الله عنه « فقال النبي ﷺ أمنا يا بني ارفدة » يعني من الأمن **قال العراقي** : تقدم في حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧ دون زجر عمر لهم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمنا يا بني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فإنما هم بنو ارفدة ولهما من حديث عائشة دونكم يا بني أرفدة وقد ذكره المصنف بعد هذا .اهـ.

(٢٢٨٠) حديث : قال عمرو بن الحارث عن ابن شهاب رضي الله عنه نحوه «وفيه يغنيان ويضربان » يريد المساواة في أصل المعنى مع اختلاف اللفظ فإذا اتفق اللفظان قالوا مثله . **قال العراقي** : رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه صاحب العوارف من طريق عمر بن الخطاب عن الأوزاعي وفيه تغنيان وتضربان بدفين ولمسلم في العيد تغنيان وتدففان وتضربان .

وفى حديث أبى طاهر عن وهب بن عبد الله رضي الله عنه « لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يسترنى بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلى حتى أكون أنا الذى أنصرف » (٢٢٨١) .

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ ، قالت : وكان يأتينى صواحب لى فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يسر لمجيئهن إلىَّ فيلعبن معى » (٢٢٨٢) .

(٢٢٨١) حديث : قال أبى الطاهر عن ابن وهب رضي الله عنه : « والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبه ثم يقوم من اجلى حتى أكون أنا التى أنصرف » فيه بيان ما كان عليه ﷺ من الرأفة والرحمة وحسن الخلق ومعاشرة الأهل بالمعروف . **قال العراقى** : هذا الحديث رواه مسلم أيضا .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد والنسائى ولفظهم بعد قوله لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه وزاد بعد قوله انصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى وعند الشيخين الحريصة على اللهو وفى رواية لمسلم الجارية العربة وهى المشتهية للعب المحبة له ومعنى الحريصة للهوى أنها حريصة على تحصيل ما تهواه نفسها من اللعب واللهو ولم تتصف بالحرص لأجل محبة المال كما يعهد من غيرها فإنها لم تكن بتلك الصفة وما كان حرصها إلا كحرص الصغار على تحصيل ما تهوى نفسها من النظر إلى اللعب ورواية الصحيحين الحريصة على اللهو الواردة فى حديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ أظهر توجيها وهو منصوب على الحال وفى رواية البخارى الحديثة السن تسمع اللهو يعنى أن حداثة سنها مع سماع اللهو يوجب ملازمتها له فما ظنك برؤية اللهو التى هى أبلغ من سماعه .

(٢٢٨٢) حديث :قالت عائشة رضي الله عنها : « كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان تأتينى صواحبات لى فكن يستحيين من رسول الله ﷺ وكان النبى ﷺ يسربهن إلى فيلعبن معى» **قال العراقى** : هو فى الصحيحين كما ذكر المصنف ولكن مختصرا إلى قولها فيلعبن معى .اهـ.

قال مرتضى : روياه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفى لفظ لمسلم وهى اللعب ورواه أحمد بلفظ كنت ألعب بالبنات فتأتينى صواحبى فإذا دخل رسول الله ﷺ فررن منه فيأخذهن رسول الله ﷺ فيردهن إلى .

وفي رواية « أن النبي ﷺ قال لها يوما : ما هذا ؟ قالت : بناتي ، قال : فما هذا الذي أرى في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : ما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان، قال: فرس له جناحان ! قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ! قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه » (٢٢٨٣) .

والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف ، والرقاع من غير تكميل صورته ، بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني ، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال : دعهما ، فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فلما سألت رسول الله ﷺ ولما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم ، فأقامني وراءه وخدي على خده ، ويقول : دونكم يا بني أرفدة ، حتى إذا مللت ، قال : حسبك، قلت: نعم ، قال : فاذهبي » (٢٢٨٤) .

(٢٢٨٣) حديث : « أن النبي ﷺ قال لها يوما ما هذا قالت بناتي قال فما هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي عليه قالت جناحان فقال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة قالت فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه » قال العراقي : وهذه الرواية ليست من الصحيحين وإنما رواها أبو داود بإسناد صحيح انتهى .

(٢٢٨٤) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « دخل » عليّ » رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد » وفي لفظ أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فقال ﷺ : يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا قال العراقي : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكره .اهـ.

=

- وفى صحيح مسلم : «فوضعت رأسي على منكبه ، فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرفت» .

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين وهو نص صريح فى الغناء واللعب ليس بحرام ، **وفيها دلالة على أنواع من الرخص :**

الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

والثانى : فعل ذلك فى المسجد .

والثالث : قوله ﷺ دونكم يا بنى ارفدة وهذا أمر باللعب والتماس له ، فكيف يقدر كونه حراما .

والرابع : منعه لأبى بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أى هو وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور .

والخامس : وقوفه طويلا فى مشاهدة ذلك وسماعه لموافقته عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والمنع منه .

= **قال مرتضى :** أخرجه البخارى فى أبواب متفرقة وفى بعضها أنه دخل عليها فى يوم عيد فطر أو أضحى وعندها قينتان تغنيان وتدففان وفى هذه الطريق فقال له النبى ﷺ دعهما وأخرجه مسلم فى العيد والنسائى فى عشرة النساء « يلعب فيه السودان » وهم الحبشة « بالحراب والدراق فأما سألت رسول الله ﷺ وأما قال » ابتداء « تشتهى » يا عائشة «تنظرين» إلى لعبهم « فقلت نعم فأقامنى وراءه وخدى على خده» وفى رواية أحمد والنسائى بين أذنه وعاتقه « ويقول دونكم يا بنى ارفدة» وهو لفظ الصحيحين كما تقدمت الإشارة إليه فى حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧ وحديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ وحديث رقم ٢٢٧٩ ص٢٠١٥ «حتى إذا مللت قال حسبك» أى كفاك « قلت نعم قال فاذهبى » رواه البخارى ومسلم ، وفى صحيح مسلم خاصة « فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت » ولا تنافى بين الروايتين المذكورتين وبين رواية أحمد والنسائى المذكورة أيضا فإنها إذا وضعت رأسها على منكبه صارت بين أذنه وعاتقه فإن تمكنت فى ذلك صار خدها على خده .

والسادس : قوله ﷺ ابتداء لعائشة : « أتشتهين أن تنظرى » ، ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة ، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور ، فيقدم محذور على محذور ، فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه .

والسابع : الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان ، وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك .

والثامن : أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع، ولو كان يضرب بالأوتار فى موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه ، فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور ، كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور ، وفى معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر ، وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام ، فهو أيضا مظنة السماع .

السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس ، فإن كان فى مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق، والشوق وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشىء المرجو ، ففى هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر فى الوصال مع الإطناب فى وصف حسن المحبوب .

وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته، فيصغى إلى غنائها لتضاعف لذته فى لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن ، ويفهم لطائف معانى الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة.

فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (العنكبوت : ٦٤) وهذا منه ، وكذلك إن غصبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب ، فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء .

وأما من يتمثل فى نفسه صورة صبى أو امرأة لا يحل له النظر إليها ، وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل فى نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر فى الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه .

وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب فى وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شىء من ذلك وذلك ممنوع فى حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع .

ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع .

السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه ، فلا ينظر إلى شىء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع فى حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ، ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها .

وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدًا مأخوذًا من الوجود والمصادفة أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابًا بالروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات ، كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات، وهى غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها .

فالمفضى إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصى المباحات ، وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى فى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ، وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب فى تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات ، والبليد الجامد القاسى القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبى من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه .

ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك ، والإدراك يستدعى مدركا ، ويستدعى قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ ، فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق ، وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ، ولذة المعقولات من فقد العقل ، وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة فى القلب ، فمن فقدها عدم لا محالة لذته .

ولعلك تقول : كيف يتصور العشق فى حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له ؟

فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سُميت عشقا ، فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قالت العرب : إن محمدًا قد عشق ربه لما رآه يتخلى للعبادة فى جبل حراء .

واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال .

« والله تعالى جميل يحب الجمال» (٢٢٨٥) .

ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر ، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب .

ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها ، فيقال إن فلانا حسن وجميل ، ولا تراد صورته وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة ، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما تحب الصورة الظاهرة ، وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا .

وكم من الغلاة فى حب أرباب المذاهب كالشافعى ومالك وأبى حنيفة رضي الله عنهم حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق فى الغلو والمبالغة .

(٢٢٨٥) حديث : «الله جميل» له الجمال المطلق فى الذات والصفات والأفعال « يحب الجمال » منكم في قلة اظهار الحاجة لغيره وسر ذلك أنه كامل فى أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق من كل وجه ويحب أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها فى خلقه فإنه من لوازم كماله .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهذا قد روى مرفوعا من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال أخرجه مسلم فى الإيمان والترمذى فى البر وأخرجه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة الباهلى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وابن عساكر من حديث جابر وابن عمرو فى بعض طرق حديث ابن مسعود قلت يا رسول الله أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة فذكره قال الحاكم احتجا برواته وأقره الذهبى وقد وهم الحاكم فى استدراكه فإنه أخرجه مسلم وأخرجه أبو يعلى والبيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى بزيادة ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس وعند ابن عدى من حديث ابن عمر بزيادة سخى يحب السخاء نظيف يحب النظافة .

ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته - أجميل هو أم قبيح ؟ - وهو الآن ميت ، ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب فى العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه ، وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال فى العالم أدرك بالعقول ، والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ، ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعرى كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلما فى حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته .

فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش .

وسيأتى تحقيق هذه الإشارة فى كتاب المحبة ، ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى، إذ ليس فى الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ، ومن عرف الأفعال من حيث أنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره .

فمن عرف الشافعى مثلا رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث أنه تصنيفه لا من حيث أنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ، ولم يجاوز معرفة الشافعى إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره .

فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله ، فمن عرفها من حيث هى صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع ، كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه .

ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشركة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواه يتصور له نظير ما فى الوجود وإما فى الإمكان .

فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا فى الإمكان ولا فى الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة .

نعم الناقص القريب فى نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذى هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام ، وقضاء شهوة الوقاع ، فمثل هذا الحمار ينبغى أن لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والأنس ، بل يجنب هذه الألفاظ والمعانى كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان .

فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها فى حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه ، والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فلينتبه لهذه الدقيقة فى أمثال هذه الألفاظ ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **أنه ذكر غلاما كان فى بنى إسرائيل على جبل ، فقال لأمه : من خلق السماء ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : فمن خلق الجبال ؟ قالت : الله عز وجل، قال: فمن خلق الغيم ؟ قالت : الله عز وجل ، قال : إنى لأسمع لله شأنا ، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع** » (٢٢٨٦) .

(٢٢٨٦) حديث : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أن غلاما كان فى بنى إسرائيل=

وهذا كـأنه سمع مـا دل على جلال الله تعـالى وتمام قدرته فطرب لذلـك ووجد فرمى بنفسه من الوجد .

وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى .

قال بعـضهم : رأيت مكتـوبا فى الإنجيل : غنينا لكم فلم تطربـوا ، وزمرنا لكم فلم ترقصوا ، أى شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا .

فهذا مـا أردنا أن نذكره من أقسام السـماع وبواعثه ومـقتضياته ، وقـد ظهر على القطع إباحته فى بعض المواضع والندب إليه فى بعض المواضع .

فإن قلت : فهل له حالة يحرم فيها ؟

فأقول : إنه يحرم **بخمسة عوارض :**

عـارض فى المسمع ؛ وعـارض فى آلة السـماع ؛ وعـارض فى نظم الصـوت ؛ وعارض فى نفس المستمع أو فى مواظبـته ؛ وعارض فى كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هى المسمع والمستمع وآلة الإسماع .

العـارض الأول : أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليـها ، وتخشى الفتنة من سماعها ، وفى معناها الصبى الأمرد الذى تخشى فتنته .

وهذا حرام لما فـيه من خوف الفتنة وليـس ذلك لأجل الغناء ، بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتهـا فى المحاورة من غير ألحان ، فـلا يجوز محاورتها ومحـادثتها ولا سماع صوتها فى القرآن أيضا ، وكذلك الصبى الذى تخاف فتنته .

= كان على جبـل فقال لأمه من خلق السمـاء قالت الله عز وجل فقـال من خلق الأرض قالت الله عز وجل فقال من خلق الجبال قالت الله عز وجل فقال من خلق هذا الغيم قالت الله عز وجل فقـال إنى لاسمع لله تعالى شـأنا ثم رمى نفسـه من الجبل فتـقطع » وفى القوت وفى العوارف : أنه ذكر غلامـاً فى بنى إسرائيل كان على جبل، وفيهمـا : ثم رمى بنفسه والباقى سواء **قال العراقى :** رواه ابن حبان .اهـ.

فإن قلت : فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسما للباب ، أو لا يحرم إلا حيث يخاف الفتنة فى حق من يخاف العنت ؟

فأقول : هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها **أصلان** :

أحدهما : أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة ، أو لم تخف ، لأنها مظنة الفتنة على الجملة ، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور .

والثانى: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء فى عموم الحسم بل يتبع فيه الحال .

وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق ، إذ الشهوة تدعو إلى النظر، فى أول هيجانها ، ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع ، بل هو أشد .

وصوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء ، فى زمن الصحابة ﷺ يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة ، وغير ذلك .

ولكن للغناء مزيد أثر فى تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر فى الصبيان أولى، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغى أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأقيس عندى .

ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين فى بيت عائشة ﵂ إذ يعلم أنه ﷺ كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه ، فلذلك لم يحترز.

فإذاً يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل فى كونه شابا وشيخا ، ولا يبعد أن يختلف الأمر فى مثل هذا بالأحوال فإنا نقول للشيخ : أن يقبل زوجته وهو صائم

وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع فى الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام ، فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص .

العارض الثانى : فى الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهى المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

العارض الثالث : فى نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو ، أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ أو على الصحابة ﷺ كما رتبه الروافض فى هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستمع شريك للقائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدى الرجال .

وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز .

فقد « **كان حسان بن ثابت** ﷺ **ينافح عن رسول الله** ﷺ **ويهاجى الكفار وأمره** ﷺ **بذلك** » (٢٢٨٧) .

فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء ، فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لايحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن ،

(٢٢٨٧) حديث : « أمره ﷺ حسان بن ثابت» ﷺ « بهجاء المشركين » ويرد عليهم مهاجاتهم ويوضع له منبر فى المسجد لذلك **قال العراقى :** متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . اهـ .

قال مرتضى: رواه البخارى عن سليمان بن حرب ورواه مسلم من أوجه عن شعبة وعند مسلم من حديث عائشة هجاهم حسان فشفى واشتفى وعندهما أيضا من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول يا حسان أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس فقال أبو هريرة نعم .

وعلى المستمع أن لاينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته وجاريته ، فإن نزله على أجنبية فهو العاصى بالتنزيل ، وإجالة الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغى أن يجتنب السماع رأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسبا له أو لم يكن ، إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلا ظلمة الكفر ، وبنضارة الخد نور الإيمان ، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى فى زمرة المردودين وبذكر الرقيب المشوّش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوّشة لدوام الأنس بالله تعالى .

ولا يحتاج فى تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعانى الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ .

كما روى عن بعض الشيوخ أنه مر فى السوق فسمع واحدا يقول : الخيار عشرة بحبة، فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار .

واجتاز بعضهم فى السوق فسمع قائلا يقول : يا سعتر برى ، فغلبه الوجد ، فقيل له : على ماذا كان وجدك ؟ فقال : سمعته كان يقول اسع تر برى .

حتى إن العجمى قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب ، فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية ، فيفهم منها معان أخر أنشد بعضهم :

وما زارنى فى الليل إلا خيالة

فتواجد عليه رجل أعجمى ، فسئل عن سبب وجده فقال : إنه يقول ما زار يم وهو كما يقول ، فإن لفظ زار يدل فى العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك : فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة .

والمحترق فى حب الله تعالى وجده بحسب فهمه ، وفهمه بحسب تخيله ، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته ، فهذا الوجد حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه .

فإذًا ليس فى تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترز من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ، ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة.

العارض الرابع : فى المستمع ؛ وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان فى غرة الشباب ، وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين ، أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة ، وتحتد بواعث الشر ، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان ، والتخذيل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب دائم بين جنود الشيطان ، وهى الشهوات وبين حزب الله تعالى ، وهو نور العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية .

وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها ، فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها ، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به .

العارض الخامس : أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا، ولا غلبت عليه شهوة ، فيكون فى حقه محظورا، ولكنه أبيح فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته ، فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته .

فإن المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة، فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام ، فإنه ممنوع ، وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله ﷺ ، ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج ، فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة .

ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجة له فى بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فتشتغل فى سائر الأوقات بالجد فى الدنيا كالكسب والتجارة أو فى الدين كالصلاة والقراءة.

واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الخال على الخد ، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته ، فما أقبح ذلك ، فيعود الحسن قبحا بسبب الكثرة، فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام ، فهذا المباح كسائر المباحات .

فإن قلت : فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح فى بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول فى المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ .

فاعلم أن هذا غلط ، لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر ، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج ، فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا ؟ قلنا : إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذى يستضر به ، وإذا سئلنا عن الخمر ، قلنا : إنها حرام ، مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها ولكن هى من حيث أنها خمر حرام، وإنما أبيحت لعارض الحاجة والعسل من حيث أنه عسل حلال ، وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه .

فإن البيع حلال ، وينحرم بعارض الوقوع فى وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض ، والسماع من جملة المباحات من حيث أنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته ، فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالى بمن يخالف بعد ظهور الدليل .

وأما الشافعى رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلا ، وقد نص الشافعى وقال فى الرجل يتخذه صناعة لا تجوز شهادته ، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذى يشبه الباطل، ومن اتخذه صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرما بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتى لأجله، وإنما يعرف بأنه قد يطرب فى الحال ، فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان فى بيت عائشة رضي الله عنها .

وقال يونس بن عبد الأعلى : سألت الشافعى رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع ، فقال الشافعى : لا أعلم أحدا من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه فى الأوصاف ، فأما الحداء وذكر الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح ، وحيث قال : إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله لهو صحيح ولكن اللهو من حيث أنه لهو ليس بحرام ، فلعب الحبشة ورقصهم لهو .

وقد كان ﷺ ينظر إليه ولا يكرهه ، بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه ، فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه فى اليوم مائة مرة ، فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم ، قال الله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ (البقرة : ٢٢٥).

فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشىء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم ، والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص .

وأما قوله يشبه الباطل ، فهـذا لا يدل على اعتقاد تحريمه ، بل لو قال : هو باطل صريحا لما دل على التحريم ، وإنما يدل على خلوه عن الفائدة .

فالباطل مـا لا فائدة فيه ، فقـول الرجل لامرأته مثلا : بعت نفـسى منك وقولها اشتـريت عقد باطل مهـما كان القصـد اللعب والمطايبة ، وليس بحرام إلا إذا قـصد به التمليك المحقق الذى منع الشرع منه .

وأمـا قوله مكروه ، فـينزل على بعض المواضع التى ذكـرتهـا لك ، أو ينزل على التنزيه ، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج .

وذكر أنى أكره كل لعب وتعليله يدل عليـه ، فإنه قال : ليس ذلك من عادة ذوى الدين والمروءة ، فهذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا ، بل قـد ترد الشهـادة بالأكل فى السوق وما يخـرم المروءة ، بل الحيـاكة مبـاحة وليست من صنائع ذوى المروءة .

وقد ترد شـهادة المحترف بالحـرفة الخسـيسة ، فتـعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه ، وهذا هو الظن أيضا بغـيره من كبار الأئمـة وإن أرادوا التحريم ، فمـا ذكرناه حجة عليهم .

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها

احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ (لقمان: ٦) ، قال ابن مسعود والحسن البصرى والنخعي ﷺ : إن لهو الحديث هو الغناء .

وروت عـائشة ﷺ أن النبى ﷺ قـال : « **إن الله تعالى حـرم القينة وبيعـها وثمنها وتعليمها** » (٢٢٨٨) .

(٢٢٨٨) حديث : قالت عائشـة ﷺ : « إن الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنهـا وتعليمها » **قـال العراقى** : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقى ليس بمحفوظ .اهـ.

فنقول : أما القينة فالمراد بها الجارية التى تغنى للرجال فى مجلس الشرب ، وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام ، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور .

فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة ، بدليل ما روى فى الصحيحين من غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضي الله عنها .

وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله ، فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد فى الآية ، ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولايقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله ﷺ فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

واحتجوا « بقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ (النجم: ٥٩ - ٦١) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الغناء » [(٢٢٨٩)] بلغة حمير يعنى السمد .

(٢٢٨٩) حديث : « قوله تعالى ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قال ابن عباس» رضي الله عنهما : « هو الغناء » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه هكذا عبد الرزاق فى المصنف والفريابى وأبو عبيد فى فضائله وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى السنن وقال عكرمة هو الغناء بلغة حمير يعنى السامد أخرجه سعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جزء عنه سمد لنا أى غنى لنا وقد فسرت بغير ما ذكر فقد نقل عن ابن عباس أيضا تفسيرها بمعرضين عنه لاهين أخرجه عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عنه فى قوله تعالى: ﴿سَامِدُونَ﴾ قال لاهون معرضون عنه وقال قتادة أى غافلون أخرجه عبد الرزاق وعبد بن=

فنقول ينبغى أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه ، فإن قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم ، فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم فى معرض الاستهزاء بالمسلمين .

كما قال تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٤) .

أراد به شعراء الكفار ، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر فى نفسه .

واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى** » (٢٢٩٠) فقد جمع بين النياحة والغناء .

= حميد وابن جرير وأخرج الفريابى وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلى شامخين ألم تر إلى البعير كيف يخطر شامخا وقيل معناه مستكبرون ونقل ذلك عن الضحاك وقيل غضاب مبرطمون ونقل ذلك عن مجاهد أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وقال المهدوى المعروف فى اللغة أن السمود اللهو والإعراض وقال المبرد سمد معناه صمد وقال الجوهرى سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد وقال ابن الأعرابى سمدت سمودا علوت وسمدت الإبل فى سيرها جدت والسمود اللهو والسامد اللاهى وأخرج الطيبى فى فوائده والطبرانى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: ﴿سَامِدُونَ﴾ قال السمود اللهو والباطل قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهى تبكى قوم عاد :

ليت عاداً قبلوا الحق ولم يبدوا جحودا
قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أبى خالد الوالبى قال خرج على بن أبى طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال ما لكم سامدون لا أنتم فى صلاة ولا أنتم جلوس تنتظرون وأخرج ابن جرير من طريق منصور بن إبراهيم قال كانوا يكرهون أن يقوم القوم ينتظرون الإمام وكان يقال ذلك من السمود أو هو السمود وقال منصور حين يقوم المؤذن فيقومون ينتظرون وقيل فى معناه واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام وهذا روى عن الحسن .

(٢٢٩٠) حديث : قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « كان إبليس أول من ناح وأول من =

قلنا : لا جرم ، كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم ، فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه ، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد فى بيت رسول الله ﷺ وغناؤهن عند قدومه ﷺ بقولهن :

طلع البـــدر علينا ... من ثنيـــات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة رضي الله عنه عنه ﷺ أنه قال: « **ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك**» (٢٢٩١) .

= تغنى» **قال العراقى** : لم أجد له أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده .اهـ.

قال مرتضى : وكذا ذكر تلميذه الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الأذكار عند قوله : وذكرأبو شجاع الديلمى فى كتاب الفردوس عن على رفعه أن أول من تغنى وزمر وحدا إبليس ما لفظه ولم أقف له على أصل ولا ذكر له ولده أبو منصور فى مسنده سندا .اهـ. وفى لفظ أن إبليس أول من تغنى وزمر ثم حدا ثم ناح ذكره صاحب الامتاع وذكر القرطبى مثل ذلك فى كشف القناع وقال فإن صح الحديث وإلا فالمعنى غير بعيد إذ لا يناسب أن يظهر هذا الفعل الخسيس إلا من مثل إبليس .اهـ.

ثم قال مرتضى : فى الجواب عن الآية لا نسلم أن صوته الغناء فإنه ليس موضوعا له فينصرف إليه ولا دل عليه دليل فى كتاب ولا سنة وما قاله مجاهد معارض بمثله فالمنقول عن ابن عباس أن معنى قوله بصوتك بدعائك إلى معصية الله تعالى ونقل ذلك عن قتادة أيضا وما رشحوه به من أن إبليس أول من تغنى لو صح لم تكن فيه حجة فما كل ما فعله إبليس يكون حراما على أن فى بعض ألفاظه كما تقدم أنه أول من حدا وليس الحداء حراما بالاتفاق فإن ادعوا أن الدليل دل على إباحة الحداء فخرج بدليل .

ثم قال مرتضى: وقد دل الدليل على إباحة الغناء ولم يثبت من طريق صحيح المنع عنه .

(٢٢٩١) حديث : قال أبو أمامة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك» **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والطبرانى فى الكبير وهو ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : رواه الطبرانى من طريق مسلمة بن على الدمشقى عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة رفعه بلفظ لا يحل بيع المغنيات ولا =

قلنا : هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه ، وهو الذى يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين .

فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد ، أو حدوث الولد أو قدوم الغائب ، فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التى نقلناها من الصحاح ، فالتجويز فى موضع واحد نص فى الإباحة والمنع فى ألف

= شراؤهن ولا الجلوس إليهن ثم قال والذى نفسى بيده ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا ارتدف على ذلك شيطان على عاتقه هذا وشيطان على عاتقه هذا حتى يسكت وقد رواه أيضا ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى وابن مردويه ولفظهم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا تجارة فيهن وثمنهن حرام إنما أنزلت هذه الآية فى ذلك ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ والذى بعثنى بالحق ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا بعث الله تعالى عند ذلك شيطانين يرتدفان على عاتقيه ثم لايزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت واقتصر أحمد والبيهقى على صدر هذا الحديث إلى قوله حرام وقال الترمذى فى السنن حدثنا قتيبة حدثنا بكر بن مضر عن عبيد الله بن زحر عن على بن أبى يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام فى مثل هذا أنزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال الترمذى وفى الباب عن عمر بن الخطاب وأخرجه الطبرانى فى الكبير من عدة طرق كلها عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم فأما مسلمة بن على فقال عنه يحيى بن معين ليس بشىء وقال البخارى منكر الحديث وكذا قال أبو حاتم والقاسم بن عبد الرحمن قال فيه يحيي بن معين لا يساوى شيئا وقال أحمد منكر الحديث وقال ابن حبان يروى عن الصحابة المعضلات ويأتى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات وأما عبيد الله بن زحر فى رواية الترمذى فقال الترمذى نفسه تكلم فيه بعض أهل العلم وضعفه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد قيل إن أضعف الأسانيد هذا الإسناد وقال ابن طاهر وغيره عن أبى مسهر الغسانى أنه قال عبيد الله بن زحر صاحب كل معضلة وليس على حديثه اعتماد وقال يحيى بن معين كل حديثه ضعيف وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا يروي الموضوعات عن الثقات وإذا روى عن يزيد أتى بالطامات وإذا اجتمع فى إسناد هو ويزيد والقاسم فلا يكون ذلك الحديث إلا مما عملته أيديهم لا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة وعلى بن يزيد قال النسائى متروك الحديث وقال أبو حاتم منكر الحديث جدا والقاسم قال يحيى لا يساوى شيئا وقال أحمد منكر الحديث وقال ابن حبان يروى عن الصحابة المعضلات ويروى عن الثقات بالأسانيد المقلوبات .

محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل ، أما الفعل ، فلا تأويل له ، إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط ، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود.

واحتجوا بما روي عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته** » (٢٢٩٢) .

قلنا : فقوله باطل لا يدل على التحريم ، بل يدل على عدم الفائدة ، وقد يسلم ذلك على أن التلهى بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام ، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياسا .

كقوله ﷺ : « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث** » (٢٢٩٣) .

(٢٢٩٢) حديث : قال عقبة بن عامر الجهنى ﷺ : قال النبى ﷺ : « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته » وفى نسخة امرأته وفى أخرى أهله **قال العراقى:** رواه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب اهـ.

قال مرتضى : هذا لفظ الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولا يلتفت إلى قول ابن حزم بعد أن خرجه من طرق وضعفها فيه مجهولون ولفظ النسائى كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو . . . . الحديث ورواه النسائى أيضا والباوردى والطبرانى فى الكبير والبيهقى والضياء من حديث جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصارى بلفظ كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه ومشى الرجل بين الغرضين وتعليم الرجل السباحة قال البغوى ولا أعلم لجابر بن عمير غير هذا الحديث ورواه النسائى أيضا من حديث أبى هريرة بلفظ كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة انتضالك بقوسك وتأديبك فرسك وملاعبتك أهلك فإنها من الحق . . . . الحديث .

(٢٢٩٣) حديث : قال ﷺ : « لا يحل » دم « امرئ » مسلم « إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن مسعود .اهـ.

قال مرتضى : ورواه عبد الرزاق فى المصنف وأحمد وابن أبى شيبة والشيخان والأربعة من حديث ابن مسعود وفى لفظ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحصان فيرجم أو ارتد بعد إسلام فيقتل أو قتل نفسا بغير حق فقتل به رواه كذلك عبد الرزاق والطيالسى وأحمد والدارمي والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه والحاكم من=

فإنه يلحق به رابع وخامس ، فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ ، وفى هذا دليل على أن التفرج فى البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات - مما يلهو به الرجل - لا يحرم عليه شىء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل .

واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : « **ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى مذ بايعت بها رسول الله** صلى الله عليه وسلم » (٢٢٩٤) .

قلنا : فليكن التمنى ومس الذكر باليمنى حراما إن كان هذا دليل تحريم الغناء، فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام ؟

واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه : « **الغناء ينبت فى القلب النفاق** - وزاد بعضهم - **كما ينبت الماء البقل** » (٢٢٩٥) . ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح .

= حديث عثمان بن عفان ورواه البيهقى والضياء من حديث عائشة ورواه أحمد من حديث طلحة .

(٢٢٩٤) حديث : قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : « ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه ابن ماجة فى سننه .

(٢٢٩٥) حديث : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « الغناء ينبت النفاق فى القلب » أى هو سبب له ومنبعه وأسه وأصله وزاد بعضهم « كما ينبت الماء البقل » ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح **قال العراقى :** قال المصنف : والمرفوع غير صحيح لأن فى إسناده من لم يسم ، رواه أبو داود وهو فى رواية ابن العبد ليس فى رواية اللؤلؤى ورواه البيهقى مرفوعا وموقوفا . اهـ.

قال مرتضى : روي مرفوعا من عدة طرق كلها ضعيفة قال البيهقي والصحيح أنه من قول ابن مسعود وفى بعض طرقه من هو مجهول وفى بعضها ليث بن أبى سليم وقد نقل النووى فى تهذيب الأسماء واللغات الاتفاق على ضعفه وأقره الزركشى وقال ابن طاهر رواه الثقات عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم ولم يجاوز فهو من قول إبراهيم . اهـ.

=

قالوا ومر على ابـن عمر رضي الله عنهما قوم محـرمون وفيهم رجل يتـغنى ، فقال : ألا لا أسمع الله لكم ، ألا لا أسمع الله لكم .

وعن نافع رضي الله عنه أنه قـال : « **كنت مع ابن عمـر رضي الله عنهما في طريق ، فسـمع زمارة راع فوضع أصـبعـيه في أذنيه ، ثم عـدل عن الطريق ، فلم يزل يقول : يا نافـع أتسمع ذلك؟ حتى قلت : لا ، فأخرج أصبعيه ، وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع** » (٢٢٩٦) .

قـال مـرتضى : رواه ابن أبي الدنيـا في ذم الملاهي عن إبراهيم قال كـانوا يقولون . . . إلخ . فإذا ليـس هو من قول إبراهيم وممن رواه مـرفوعا ابن أبي الدنيـا في ذم الملاهي ورواه ابن عدى والديلـمي من حديث أبي هريرة وأخرجـه البيـهقي من حديث جـابر بلفظ الغناء ينبت النفـاق في القلب كمـا ينبت الماء الزرع وهو ضـعيف أيضـا فيه عـلى بن حمـاد قال الدارقطني متروك وابن أبي رواد قال أبو حاتم أحاديثه منكرة وقال ابن الجنيد لا يساوى فلسا وإبراهيم بن طهمان مخـتلف فيه وقال بعضـهم المراد بالغناء هنا غنـى المال ورد عليه الغافقي ردا شنيعا من حيث أن الغنى من المال مقـصور ولفظ الحافظ ابن حجر وزعم أن المراد بالغناء هنا غنى المال رد عليـه بأن الرواية إنما هي بالمد وغنى المال مقـصور .اهـ. وحـاول صاحب الامتاع تصـحيح معنى القصر فقـال وهذا الذى قاله يعنى الغافقي إنما يتجـه إن كان العلماء كلهم رووه بالمد وإن كان كـذلك لم يبق لرده قوة ثم لو سلم أنهم رووه بالمد فتـحرير الأداة من المد والحركات لايتـحرر ولذلك لم يحتج أهل العربيـة بالرواية بالمعنى وخطؤا من احتج بها ممن تأخر لعدم الوثوق بتحرير اللفظ ولذلك وقع فيها لحن .

قال مرتضى : ومما يؤيد رواية المد ما رواه الديلمي من طريق مسلمة بن على حدثنا عمر مولى غفرة عن أنس رفعه الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب والذى نفسى بيده إن القرآن والذكـر لينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العـشب قال السخاوى قال النووى لا يصح وعزا القرطبي قول ابن مسعود السابق إلى عمر بن عبد العزيز قال وقال الحكم بن عتيبة حب السماع ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب .

قال مرتضى : ولكن عمر بن عبد العزيز صرح بأنه بلغه من الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واسـتماع المغاني واللهج بهما ينبت النفاق في القـلب كما ينبت الماء العشب هكذا أخرجـه ابن أبي الدنيا من طريق جـعفر الأمـوى قال كتب عـمر بن عبـد العزيز إلى مؤدب ولده كتابا فيه كذا وكذا فذكره فهذا ليس فيه أنه من قوله .

(٢٢٩٦) حديث : قـال نافع رضي الله عنه : « كنت وابن عمـر » رضي الله عنهما « في طريق فسمع زمـارة راع فوضع أصبعه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج =

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا .

وقال بعضهم : الغناء رائد من رواد الفجور .

وقال يزيد بن الوليد ﷺ : « **إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الزنا** » (٢٢٩٧) .

فنقول قول ابن مسعود ﷺ ينبت النفاق أراد به فى حق المغنى ، فإنه فى حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ، ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا فى غنائه ، وذلك أيضا لا يوجب تحريما .

فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة ، والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت فى القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله .

= أصبعيه من أذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع » **قال العراقى** : ورفعه أبو داود وقال هذا حديث منكر انتهى .

قال مرتضى : وصححه ابن ناصر شيخ ابن الجوزى وأخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى عن نافع قال كنت أسير مع ابن عمر فساقاه هكذا .

(٢٢٩٧) حديث : قال يزيد بن الوليد ﷺ : « إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا» .

قال مرتضى : **أغفله العراقى** ونقله القرطبى فى كشف القناع وأخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى من طريق أبى عثمان الليثى قال : قال يزيد بن الوليد .... إلخ ومن ذلك قول الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب ومر ابن عمر على جارية تغنى فقال لو كان الشيطان تاركا أحدا لترك هذه وقول الشعبى لعن المغنى والمغنى له وغير ذلك من الأقوال التى قد مر بعضها .

فليس السبب فى ظهور النفاق فى القلب المعاصى فقط ، بل المباحات التي هى مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ، ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر فى نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات .

وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما : ألا لا أسمع الله لكم ، فلا يدل على التحريم من حيث أنه غناء ، بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث ، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو ، فانكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام .

وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال .

وأما وضعه أصبعيه فى أذنيه ، فيعارضه أنه لم يأمر نافعا بذلك ، ولا أنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه فى الحال ، وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم ، بل يدل على أن الأولى تركه .

ونحن نرى أن الأولى تركه فى أكثر الأحوال ، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر فى القلب ، فقد خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبى جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه . أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب ، فلعله ﷺ كان فى حالة كان صوت زمارة الراعى يشغله عن تلك الحالة ، كما شغله العلم عن الصلاة ، بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كمالا بالإضافة إلى غيره .

ولذلك قال الحضرمى (الصواب : أبو الحسن على بن إبراهيم الحصرى) : ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه ؟ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم ، فالأنبياء عليهم السلام على الدوام فى لذة السمع والشهود ، فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة .

وأما قول الفضيل : هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الأقاويل القريبة منه ، فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان ، ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين فى بيت رسول الله ﷺ .

وأما القياس ، فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق ، أو يقال هو لهو ولعب ، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب.

قال عمر رضي الله عنه لزوجته : إنما أنت لعبة فى زاوية البيت .

وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التى هى سبب وجود الولد ، وكذلك المزح الذى لا فحش فيه حلال ، نقل ذلك عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة ، كما سيأتى تفصيله فى كتاب آفات اللسان إن شاء الله .

وأى لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج فى لعبهم ، وقد ثبت بالنص إباحته على أنى أقول اللهو مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عميت ، وترويحها إعانة لها على الجد .

فالمواظب على التفقه مثلا ينبغى أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط فى سائر الأيام .

والمواظب على نوافل الصلوات فى سائر الأوقات ينبغى أن يتعطل فى بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة فى بعض الأوقات ، فالعطلة معونة على العمل ،

واللهـو معين على الجـد ، ولا يصبـر على الجد المحض والحق المر إلا نفـوس الأنبـياء عليهم السلام .

فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ولكن لا ينبغى أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء .

فإذًا اللهو على هذه النية يصير قـربة ، هذا فى حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محـمودة يطلب تحريكها ، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحـضة ، فينبغى أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذى ذكرناه .

نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمـال ، فإن الكامل هو الذى لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجود التلطف بها لسياقتهـا إلى الحق علم قطعًا أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

★★★

الباب الثانى

فى آثار السماع وآدابه

اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح ، **فلينظر فى هذه المقامات الثلاثة :**

المقام الأول فى الفهم :

وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع وللمستمع **أربعة أحوال :**

إحداها : أن يكون سماعه بمجرد الطبع ، أى لا حظ له فى السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات ، وهذا مباح ، وهو أخص رتب السماع ، إذ الإبل شريكة له فيه ، وكذا سائر البهائم ، بل لا يستدعى هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية : أن يسمع بفهم ، ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين ، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ، ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم ، وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهى عنها .

الحالة الثالثة : أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه فى معاملته لله تعالى ، وتقلب أحواله فى التمكن مرة والتعذر أخرى ، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين ، فإن للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه

بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء ، وله فى مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها ، وحالات تستقبله فى معاملاته .

فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر ، أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلي منتظر ، أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب ، أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال ، أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار ، فلابد أن يوافق بعضها حال المريد فى طلبه ، فيجرى ذلك مجرى القدح الذى يوارى زناد قلبه ، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ، ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ، ويكون له مجال رحب فى تنزيل الألفاظ على أحواله .

وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه ، بل لكل كلام وجوه ، ولكل ذى فهم فى اقتباس المعنى منه حظوظ ، ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كى لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها، ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الأبيات ، ففى حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك .

فقد حكى أن بعضهم سمع قائلا يقول :

قال الرسول غدا تزور ... فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد ، وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول: قال الرسول غدا نزور حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور ، فلما أفاق سئل عن وجده مم كان ؟ فقال : ذكرت قول الرسول ﷺ : « **إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل يوم جمعة مرة** » (٢٢٩٨) .

(٢٢٩٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يزورون ربهم فى كل جمعة مرة » **قال**=

وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن الفوطى مارين على دجلة بين البصرة والأيلة ، فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول:

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنظرة، وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال : يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت علىّ هذا البيت ، فأعادت فكان الشاب يقول : هذا والله تلونى مع الحق فى حالى ، فشهق شهقة ومات ، قال : فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية : أنت حرة لوجه الله تعالى ، قال : ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه ، فلما فرغوا من دفنه ، قال صاحب القصر : أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله ، وكل جوارىّ أحرار ، وهذا القصر للسبيل ، قال : ثم رمى بثيابه ، وأتزر بإزار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم ، وهم يبكون ، فلم يسمع له بعد خبر.

والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب فى المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه ، وميله عن سنن الحق ، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله ، سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له:

كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى ، وعلى الله وفيه فينبغى أن يكون قد أحكم قانون العلم فى معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع فى حق الله

= **العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد ابن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .اهـ.

وقال مرتضى : وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث جابر إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة فيقول لهم تمنوا علىّ ما شئتم .... الحديث وقد تقدم شىء من ذلك فى باب الجمعة من كتاب الصلاة .

تعالى ما يستحيل عليه ، ويكفر به ، ففى سماع المريد المبتدى خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى .

ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه ، فلو سمعه فى نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل ، فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر ، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق ، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق ، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله ، وهو حق فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه ، وتارة ينوره وتارة يظلمه ، وتارة يقسيه وتارة يلينه ، وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق ، وهذا كله من الله تعالى .

ومن يصدر منه أحوال مختلفة فى أوقات متقاربة ، فقد يقال له فى العادة : إنه ذو بداوات وأنه متلوّن ، ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلون فى قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى .

فسماع هذا كذلك فى حق الله تعالى كفر محض ، بل ينبغى أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ، ويغير ولا يتغير بخلاف عباده ، وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدى إيمانى ويحصل للعارف البصير بيقين كشفى حقيقى ، وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية ، وهو المغير من غير تغير ولا يتصور ذلك إلا فى حق الله تعالى ، بل كل مغير سواه ، فلا يغير ما لم يتغير .

ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش ، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب ، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت، فإنه المستصفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين ، فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ، ولا أمد

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم
فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ،
والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها
محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء السيد
محمد الزبيدى الشهير بمرتضى فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى
لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك
بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة
تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد
أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة
على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور
بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد
يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا
معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٣

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب



الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات: ١٧١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة : ١٣)،

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠١) .

فإن خطر ببالك أنه لِمَ اختلفت السابقة وهم فى ربقة العبودية مشتركون ؟

نوديت من سرادقات الجلال : لا تجاوز حد الأدب ، فإنه : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣) .

ولعمرى تأدب اللسان والظاهر مما يقدر الأكثرون ، فأما تأدب السر عن اضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر فى التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد ، فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون فى العلم .

ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع فى المنام : إنه الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء ، لأنه محرك لأسرار القلوب ومكانها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذى يكاد يحل عقدة الأدب عن السر ، إلا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته .

ولذلك قال بعضهم : ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس .

ففى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة ، فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع ، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب فى الفهم والآخر مخطئ أو كلاهما مصيبان ، وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض .

كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السماء إن المحب لفى عناء

فقال : صدقت ، وسمعه رجل آخر فقال : كذبت فقال بعض ذوى البصائر : أصابا جميعا ، وهو الحق .

فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به ، أو كلام محب غير مصدود عن مراده فى الحال ، ولا مستشعر بخطر الصد فى المآل ، وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم .

وحكى عن أبى القاسم بن مروان وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ، فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف فى الماء عطشا ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا ، فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت، فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها ، فلم يقنعه ذلك ، فقالوا له : فماذا عندك فيه ؟ فقال : أن يكون فى وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة .

وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات ، والأحوال سوابقها والكرامات تسنح فى مباديها ، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ، ولا فرق بين المعنى

الذى فهمه ، وبين ما ذكروه إلا فى تفاوت رتبة المتعطش إليه ، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها ، فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها ، فليس بين المعنيين اختلاف فى الفهم ، بل الاختلاف بين الرتبتين .

وكان الشبلى رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة ، بعضها حق وبعضها باطل ، وأظهرها أن يفهم هذا فى الخلق ، بل فى الدنيا بأسرها بل فى كل ما سوى الله تعالى ، فإن الدنيا مكارة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم فى الباطن ومظهرة صورة الود .

« فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة » (٢٢٩٩) كما ورد فى الخبر .

وكما قال الثعالبى فى وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها ومكروهها أما تأملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا وعندى لها وصف لعمرى صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب شهى إذا استذللته فهو جامح
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثانى : أن ينزله على نفسه فى حق الله تعالى ، فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذا ما قدروا الله حق قدره ، وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته وحبه معلول ، إذ لا يدع شهوة من شهواته فى حبه ، ومن أراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه ، فيرى مصداق هذا البيت فى نفسه وإن كان على المرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك

(٢٢٩٩) حديث : « ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة » **قال العراقى** : رواه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير مرسلاً . اهـ.

قال ﷺ : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » (٢٣٠٠) .

وقال ﷺ : « إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » (★) وإنما كان استغفاره عن أحوال هى درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها ، وإن كانت قربا بالإضافة إلى ما قبلها، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه ، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال .

والمعنى الثالث : أن ينظر فى مبادئ أحواله ، فيرتضيها ثم ينظر فى عواقبها فيزدريها ، لاطلاعه على خفايا الغرور فيها ، فيرى ذلك من الله تعالى ، فيستمع البيت فى حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر ، وهذا كفر كما سبق بيانه ، وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان ، وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص فى بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتى قطعن أيديهن فى مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن ، وسقط احساسهن ، وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ، ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى ، فكأنه فنى عن كل شىء إلا عن الواحد المشهود وفنى أيضا عن الشهود ، فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود ، فالمستهتر بالمرئى لا التفات له فى حال استغراقه إلى رؤيته ، ولا إلى عينه التى بها رؤيته ، ولا إلى قلبه الذى به لذته ، فالسكران لا خبر له من سكره ، والمتلذذ لا خبر له من التذاذه ، وإنما خبره من المتلذذ به فقط ، ومثاله العلم بالشىء ، فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشىء. فالعالم بالشىء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشىء كان معرضا عن الشىء .

(٢٣٠٠) حديث : قال ﷺ : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » **قال العراقى** : رواه مسلم وقد تقدم فى حديث رقم ٢٤٣ ص ٣٢٥ وحديث رقم ١١٣٩ص ١٠٦٠ .اهـ.

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثانى من كتاب الأذكار .

ومثل هذه الحالة قد تطرأ فى حق المخلوق ، وتطرأ أيضا فى حق الخالق ، ولكنها فى الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم ، وإن دام لم تطقه القوة البشرية ، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه .

كما روى عن أبى الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مـــا زلت أنزل مـن ودادك منـزلا تتـحـيـر الألبـاب عند نـزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف ، فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه ، وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله .

فهذه درجة الصديقين فى الفهم والوجد ، فهى أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال ، فهى ممتزجة بصفات البشرية ، وهو نوع قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ، أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها - كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدى والسكاكين - فيسمع لله وبالله وفى الله ومن الله .

وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال ، واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص ، فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته ، وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ، ولست أعنى بفنائه فناء جسده ، بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم ، بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها .

ولذلك السر وجود ، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه ، فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ، ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون فى نفسها ، بل

لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها ، وليس لها فى نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان ، ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر:

رق الزجـاج وراقت الخـمـر فـتـشـابهـا فـتـشـاكل الأمـر
فـكأنمـا خـمـر ولا قـدح وكـأنمـا قـدح ولا خـمـر

وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال : أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيهم عباراتهم ، وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها .

وإذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة ، فلنرجع إلى الغرض ، فقد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم المسموعات .

المقام الثانى بعد الفهم والتنزيل: الوجد :

وللناس كلام طويل فى حقيقة الوجد ، أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح ، فلننقل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه .

أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله فى السماع : إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق، فكأنه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق ، وهو الذى يجده عند ورود وارد السماع ، إذًا سمى السماع وارد حق .

وقال أبو الحسين الدراج مخبرًا عما وجده فى السماع : الوجد عبارة عما يوجد عند السماع ، وقال : جال بى السماع فى ميادين البهاء ، فأوجدنى وجود الحق عند

العطاء ، فسقانى بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التنزه والفضاء .

وقال الشبلى رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة ، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية .

وقال بعضهم : السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله .

وقال عمرو بن عثمان المكى : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين .

وقال بعضهم : الوجد مكاشفات من الحق .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود ، وهو فناؤك من حيث أنت .

وقال أيضا : الوجد أول درجات الخصوص ، وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع فى قلوبهم نوره ، زال عنهم كل شك وريب .

وقال أيضا : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس ، والتعلق بالعلائق والأسباب لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الموعظة فيه ، وحل من المناجاة فى محل قريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر ، فشاهد ما كان منه خاليا ، فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده .

وقال أيضا : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق ، أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض ، أو استجلاب إلى حال أو داع إلى واجب أو مناجاة بسر ، وهو مقابلة

الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر ، واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك السعى فيه ، فيكتب ذلك لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعم والمتولى ؛ وإليه يرجع الأمر كله، فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس فى الوجد كثيرة .

وأما الحكماء فقال بعضهم : فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت إليها ؛ فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر .

وقال بعضهم : نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأى ، واستجلاب العازب من الأفكار ، وحدة الكال من الأفهام والآراء حتى يتوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ، ويمرح فى كل رأى ونية ، فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يبطئ .

وقال آخر : كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم ، فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحانى .

وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال : ذلك عشق عقلى ، والعاشق العقلى لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى ، بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة ، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية ، وأما العاشق البهيمى فإنه يستعمل المنطق الجرمى ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف .

وقال آخر : من حزن فليسمع الألحان ، فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها، وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها ، فيظهر الحنين بقدر قبول القابل ، وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس .

والأقاويل المقررة فى السماع والوجد كثيرة ، ولا معنى للاستكثار من إيرادها ، فلنشتغل بتفهيم المعني الذى الوجد عبارة عنه فنقول : إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو عن **قسمين** :

فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور ، والأسف والندم والبسط والقبض .

وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها ، فإن ضعف بحيث لم يؤثر فى تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته ، لم يسم وجدا ، وإن ظهر على الظاهر سمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده ، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه.

فقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه ، وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك .

وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابى حيث قال فى الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب .

ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفا قبله ، فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه ، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود ، ومنها صفاء القلب ، والسماع يؤثر فى تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع ، فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته ، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله .

وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت ، كما أن عمل البعير حمل الأثقال ، فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف ، بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق فى صورة مشاهدة أو فى لفظ منظوم يقرع سمعه ، يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان فى اليقظة وبالرؤيا إذا كان فى المنام ، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة ، وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجت ليلة فى أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

بطور سيناء كرم ما مررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفى جهنم ماء ما تجرعه ... خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

قال : فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة .

فانظر كيف أثر الغناء فى تصفية قلبه ، حتى تمثل له حقيقة الحق فى صفة جهنم فى لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر .

وروى عن مسلم العباداني أنه قال : قدم علينا مرة صالح المرى وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فنزلوا على الساحل ، قال : فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا ، فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيها غير نافع

قال : فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه ، وبقى القوم ، فرفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة .

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة .

« وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين فى صورته ، وأخبر عنه بأنه سد الأفق » (٢٣٠١) .

وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النجم : ٥ - ٧) إلى آخر هذه الآيات .

وفى مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الإطلاع على ضمائر القلوب ، وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس ولذلك قال ﷺ : **« اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** (٢٣٠٢) .

(٢٣٠١) حديث : « رأى » رسول الله ﷺ « جبريل عليه السلام مرتين فى صورته » الأصلية «فأخبر أنه سد الأفق» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عائشة .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج البخارى من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمني فأعى ما يقول ورواه مسلم كذلك وفى حديث جابر: بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه .

(٢٣٠٢) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب .اهـ.

قال مرتضى: ورواه فى التفسير من جامعه وكذا أبو يعلى فى مسنده والعسكرى فى الأمثال كلهم من طريق عمرو بن قيس الملائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد به مرفوعا ثم قرأ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وقد روى عن بعض أهل العلم فى تفسير ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال للمتفرسين وكذا أخرجه الهروي والطبرانى وأبو نعيم فى الطب النبوى وابن عدى وغيرهم كالحكيم الترمذى وسمويه من طريق راشد بن سعد عن أبى أمامة مرفوعا ويروى عن ابن عمر وأبى هريرة أيضا بل هو عند الطبرانى وأبى نعيم والعسكرى من طريق وهب=

وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول : ما معنى قول النبى ﷺ : « **اتقوا فراسة المؤمن** » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية فسأله ، فقال له : معناه أن تقطع الزنار الذى على وسطك تحت ثوبك ، فقال : صدقت ، هذا معناه وأسلم ، وقال : الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق .

وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال : كنت ببغداد فى جماعة من الفقراء فى الجامع ، فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه ، فقلت لأصحابى : يقع لى أنه يهودى ، فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم ، وقال : أى شىء قال الشيخ فىّ ؟ فاحتشموه ، فألح عليهم ، فقالوا له : قال : إنك يهودى ، قال: فجاءنى وأكب على يدى وقبل رأسى وأسلم ، وقال : نجد فى كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته ، فقلت : أمتحن المسلمين فتأملتهم ، فقلت : إن كان فيهم صديق ففى هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه ، فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس فىّ علمت أنه صديق ، قال : وصار الشاب من كبار الصوفية ، وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله ﷺ : « **لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء** » (★) .

= ابن منبه عن طاوس عن ثوبان مرفوعا بلفظ احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله ولكن قال الخطيب عقب أبى سعيد المحفوظ ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس قال كان يقال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وعند العسكرى من حديث ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانئ عن أبى الدرداء من قوله اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله أنه شىء يقذفه الله فى قلوبهم وعلى ألسنتهم وكلها ضعيفة وفى بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجوده الحكم على الحديث بالوضع لا سيما وللبزار والطبرانى وغيرهما كأبى نعيم فى الطب بسند حسن عن أنس مرفوعا أن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم .

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب الصوم .

وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة ، فإنها مرعى الشيطان وجنده ، ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه ، لم يطف الشيطان حول قلبه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر : ٤٠) .

وبقوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء : ٦٥) .

والسماع سبب لصفاء القلب ، وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء ، وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال ، فاستأذنوه فى أن يقول لهم شيئا فأذن لهم فى ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت فى قلبى هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل ، وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد ، فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الخصم فى قيامه لغير الله تعالى ، ولو كان الرجل صادقا لما جلس .

فإذًا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات ، واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه ، وإلى مالا تمكن العبارة عنه أصلا ، ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته ، فلا تستبعد ذلك ، فإنك تجد فى أحوالك القريبة لذلك شواهد .

أما العلم ، فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان فى الصورة، ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا فى الحكم ، وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان

على التعبير ، وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق علم يصادفه فى قلبه بالذوق ، ولا يشك فى أن لوقوعه فى قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور فى لسانه بل لدقة المعنى فى نفسه عن أن تناله العبارة ، وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر فى المشكلات.

وأما الحال فكم من إنسان يدرك فى قلبه فى الوقت الذى يصبح فيه قبضا أو بسطا، ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر الإنسان فى شىء فيؤثر فى نفسه أثرا ، فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر فى نفسه وهو يحس به ، وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت فى نفسه بتفكره فى سبب موجب للسرور أو حزنا فينسى المتفكر فيه ، ويحس بالاثر عقيبه .

وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ، ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون ، والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهى حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف ، فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفى النفس أحوال غريبة ، هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل فى السماع عن غناء مفهوم.

وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست مفهومة ، فإنها تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار ، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب ، والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرى إلى ماذا يشتاق ويجد فى نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدرى ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمى ولا حب الله تعالى .

وهذا له سر وهو أن كل شوق فله **ركنان** :

أحدهما : صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه .

والثانى : معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه .

فإن وجدت الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا ، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة .

ولو نشأ آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ، ولاعرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولكن لا يدرى أنه يشتاق إلى الوقاع ، لأنه ليس يدرى صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك فى نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى ، واللذات التى وعد بها فى سدرة المنتهى والفراديس العلا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والاسماء ، كالذى سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه فى المرآة ليعرف بالمقايسة .

فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط ، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرى ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ، ويكون كالمختنق الذى لا يعرف طريق الخلاص ، فهذا وأمثاله من الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها ، فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره.

واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى : هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد ، وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء واظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ، ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة

واكتسابها واجتلابها بالحيلة ، فإن للكسب مدخلا فى جلب الأحوال الشريفة ، ولذلك «أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء فى قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن» (★) فإن هذه الأحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق أواخرها .

وكيف لا يكون التكلف سببا فى أن يصير المتكلف فى الآخرة طبعا ، وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا ويقرؤه تكلفا مع تمام التأمل واحضار الذهن ، ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجرى به لسانه فى الصلاة وغيرها وهو غافل، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها فى حال غفلته .

وكذلك الكاتب يكتب فى الابتداء بجهد شديد ، ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعا ، فيكتب أوراقا كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر .

فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولا ، ثم يصير بالعادة طبعا ،وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة، فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغى أن يقع اليأس منها عند فقدها ، بل ينبغى أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره .

فلقد شوهد فى العادات من اشتهى أن يعشق شخصا ولم يكن يعشقه ، فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه ،حتى عشقه ورسخ ذلك فى قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص ، فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه ، والخوف من سخطه ، وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدها الإنسان فينبغى أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم فى النفس وبالجلوس معهم فى السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فى أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها ، ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين ، والخائفين

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثانى من كتاب تلاوة القرآن .

والمحبين والمشتاقين والخاشعين ، فمن جالس شخصا سرت إليه صفاته من حيث لا يدرى .

ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله ﷺ فى دعائه : «**اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب من يقربنى إلى حبك**»(★) فقد فزع ﷺ إلى الدعاء فى طلب الحب .

فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات والى أحوال ، وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع .

فإن قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن - وهو كلام الله- ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء ، فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء ؟

فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه ، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضا .

وإنما الذى لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨) .

وقوله تعالى: ﴿ مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر : ٢٣) .

وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع فى النفس فهو وجد ، فالطمأنينة والإقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد ، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنفال : ٢) .

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب الدعوات .

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (الحشر : ٢١) ، فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات، ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات .

ولهذا قال ﷺ : « **زينوا القرآن بأصواتكم** »(★) .

وقال لأبى موسى الأشعري : «**لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود** عليه السلام»(★★) .

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله ﷺ : « **شيبتنى هود وأخواتها** » (٢٣٠٣) .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب تلاوة القرآن .

(★★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب تلاوة القرآن .

(٢٣٠٣) حديث : قال ﷺ : « شيبتنى هود وأخواتها » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث أبى جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذى حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخارى .اهـ.

قال مرتضى : هكذا رواه الطبرانى فى الكبير من حديث عقبة بن عامر وأبى جحيفة وسند الطبرانى رجاله رجال الصحيح وقال الحافظ السخاوى فى المقاصد رواه ابن مردويه فى تفسيره من رواية محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود والواقعة وأخواتهما وفى الترمذى والحلية لأبى نعيم من حديث شيبان عن أبى إسحاق السبيعى عن عكرمة عن ابن عباس قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وصححه الحاكم وقال الترمذى إنه حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وقد رواه على بن صالح عن أبى إسحاق عن أبى جحيفة نحوه يعني كما أخرجه فى الشمائل بلفظ هود وأخواتها قال الترمذى وروى عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة شىء من هذا وهو مرسل وكذا من حديث شيبان أخرجه البزار وقال اختلف فيه على أبى إسحاق فقال شيبان كذا وقال على بن صالح عن أبى إسحاق عن أبى جحيفة وقال زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة أن أبا بكر قال وحديث أبى بكر رواه كذلك أبو بكر الشافعى كما فى الفوائد الغيلانيات بل وأخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده عن أبى الأحوص عن أبى إسحاق عن عكرمة قال أبو بكر سألت النبى ﷺ ما شيبك ؟ قال : شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وهومرسل صحيح إلا أنه موصوف=

خبر عن الوجد ، فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف ، وذلك وجد .

وروى « أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء : ٤١) قال حسبك ، وكانت عيناه تذرفان بالدموع » (٢٣٠٤) .

= بالاضطراب وقد أطال الدارقطني في ذكر علله واختلاف طرقه في أوائل كتاب العلل ونقل حمزة السهمي عنه أنه قال طرقه كلها معتلة وأنكره موسى بن إبراهيم الحمال على تمام وفيه نظر فطريق شيبان وافقه أبو بكر بن عياش عليها كما أخرجه الدارقطني في العلل وقال ابن دقيق العيد في أواخر الاقتراح إسناده على شرط البخاري ورواه البيهقي في الدلائل من رواية عطية عن أبي سعيد قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وأخرجه ابن سعد وابن عدى من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وفيه الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند فيه عمرو بن ثابت وهو متروك أن أبا بكر سأل رسول الله ﷺ ما شيبك يا رسول الله ؟ قال شيبتني هود والواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت . اهـ.

قال مرتضى: وهذا الأخير رواه الطبراني كذلك من حديث سهل بن سعد وفيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب ويروى من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه ابن مردويه في تفسيره وسنده ضعيف وسياقه سياق حديث ابن عباس وأبي بكر ويروى شيبتني هود وأخواتها قبل المشيب رواه كذلك ابن مردويه عن أبي بكر ورواه سعيد بن منصور من حديث أنس بلفظ وأخواتها من المفصل ويروى من مرسل محمد ابن الحنفية شيبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي هكذا رواه ابن عساكر ومن مرسل أبي عمران الجوني بلفظ شيبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم هكذا رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه وأبو الشيخ في تفسيره وقد خرجت هذا الحديث في جزء سميته بذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود أوردت كلام الدارقطني بتمامه وكلام غيره فليراجع ذلك فإنه فيه المقصود والله أعلم .

(٢٣٠٤) حديث : « أن ابن مسعود » رضي الله عنه : « قرأ عليه » ﷺ سورة النساء « فلما انتهى إلى قوله » تعالى: « ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال حسبك فكانت عيناه تذرفان » أي تسيلان بالدموع . **قال العراقي :** متفق عليه من حديثه وقد تقدم في حديث رقم ٨٩٤ ص ٩٠٤ . اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بطرق عن ابن مسعود قال : قال النبي ﷺ اقرأ=

وفى رواية : « أنه ﷺ قرأ هذه الآية أو قرئ عنده : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزمل: ١٢ ، ١٣) فصعق » (٢٣٠٥) .

وفى رواية « أنه ﷺ قرأ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة : ١١٨) فبكى» (٢٣٠٦) .

= عليّ قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم أنى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال: حسبك فإذا عيناه تذرفان وأخرج الحاكم وصححه من حديث عمرو بن حريث قال قال رسول الله ﷺ لابن مسعود اقرأ فساق الحديث وفيه فاستعبر رسول الله ﷺ وكف عبد الله وأخرج ابن أبى حاتم والبغوى فى معجمه والطبرانى بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصارى وكان ممن صحب النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاهم فى بنى ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر قارئا فقرأ فأتى على هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه وقال يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره.

(٢٣٠٥) حديث : « أنه » ﷺ « قرئ عنده » قوله تعالى : « ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فصعق » **قال العراقى** : رواه ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب من طريقه من حديث أبى حرب بن أبى الأسود مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : الصحيح أنه معضل قال أبو عبيد فى فضائل القرآن حدثنا وكيع حدثنا حمزة الزيات عن حمران بن أعين قال سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فعلق وهكذا أخرجه أبو بكر بن أبى داود فى فضائل القرآن عن هانئ محمد بن أبى الحبيب عن وكيع وعمران ضعيف وقد ذكره ابن عدى فى ترجمته فى الكامل من جملة ما أنكر عليه وأخرجه من وجه آخر ضعيف عن حمزة بن حمران عن أبى حرب بن أبى الأسود وزيادة أبى حرب فيه ضعيفة و هو من ثقات التابعين حققه الحافظ ابن حجر فى أمالي الأذكار .

(٢٣٠٦) حديث : « أنه » ﷺ « قرأ ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ فبكى » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .اهـ.

=

« وكان ﷺ إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر » (٢٣٠٧) .

والاستبشار وجد ، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة : ٨٣) .

وروى « أن رسول الله ﷺ كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل » (٢٣٠٨) .

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة ﷺ والتابعين فكثير ، فمنهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ، ومنهم من مات فى غشيته .

وروى أن زرارة بن أبى أوفى وكان من التابعين « كان يؤم الناس بالرقة فقرأ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ (المدثر : ٨) فصعق ومات فى محرابه » (٢٣٠٩) رحمه الله .

= وقال مرتضى : وكذلك أخرجه النسائى وابن أبى الدنيا فى حسن الظن وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات ولفظهم جميعا أن النبى ﷺ تلا قول الله تعالى فى إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الآية وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فرفع يديه فقال اللهم أمتى أمتى وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل أنا سنرضيك فى أمتك ولا نضرك .

(٢٣٠٧) حديث : « كان » ﷺ « إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر » **قال العراقى** : تقدم فى كتاب تلاوة القرآن حديث رقم ٨٨١ ص ٨٩٨ دون قوله واستبشر . اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد ومسلم والأربعة من حديث حذيفة كان إذا مر بآية خوف تعوذ وإذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية فيها تنزيه سبح .

(٢٣٠٨) حديث : « أنه » أى رسول الله ﷺ « كان يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل » **قال العراقى**: رواه أبو داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم . اهـ.

(٢٣٠٩) حديث : « أن زرارة بن أوفى » كان من ثقات التابعين « كان يؤم الناس بالرقة فقرأ يوما فى صلاته ﴿ إِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فصعق ومات فى محرابه » . =

وسمع عـمر رضي الله عنه رجـلا يقرأ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ (الطور : ٧ ، ٨) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا فى بيته شهرا .

«وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح المرى فشهق ومات» (٢٣١٠) .

وسمع الشافعى رحمه الله: قـارئا يقرأ : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات : ٣٥ ، ٣٦) فغشى عليه .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وأخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا أبو الحسين على بن عبد القادر عن أبيـه عن جده قال أخبرنا جـدى يحيى بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبـرنا الحافظ تقى الدين محمد بن محمد بن محمد ابن فهر المكى أخـبرنا إبراهيم بن صديق أخبرنا أبو إسحـاق التنوخى أخبرنا بن أبى يوسف ابن عبد الرحمن المزى الحافظ أخبرنا الفخـر على بن أحمد المقدسى أخبرنا القاضى أبو بكر محـمد بن عبد البـاقى أنبأنا إبراهيم بن عمـر أنبأنا عبد الله بـن إبراهيم بن أيوب أنبأنا أبو جعفر أحمـد بن على الخراز حدثنا أبو بحر عبد الواحد بن غياث حـدثنا أبو حباب القصاب واسمه عوف بن ذكوان قال صـلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الفجر فلما بلغ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ فشهق شهقة فمات هذا أثر حسن الإسناد أخرجه الترمذى فى أواخر كتاب الصلاة فى جامعـه من طريق بهز بن حكيم قال صلى بنا زرارة بن أوفى فذكـر نحوه وزاد فى آخره فكنت فيمن حمله ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبى داود فى كتاب الشريعة .

(٢٣١٠) حديث : « كان أبو حميم » وفى نسخة أبو جهيم بالتصغير وفى أخرى أبو عمير من التابعين «يقرأ عليه صالح بن بشير المرى فشهق ومات » وكان صالح من أحسن الناس صوتا بالقرآن.

قال مرتضى : أغـفله العراقى وقد أخرج أبو عبيـد فى فضائل القرآن وابن أبى داود فى كتاب الـشريعة جملة من التـابعين ومن بعدهم ممن صعق عند قـراءة القرآن منهم الربيع بن خيثم وقـد تقدمت قصته فـى آداب تلاوة القرآن وهو من كبار التابعين ومـنهم أبو أسيد من صغار التابعين أخرج ابن أبى داود من طريق خليد بن سعد قال وكان حسن الصوت بالقرآن وكان يقرأ عند أم الدرداء وكان أهل المسجد يجتمـعون عندها وكان أبو أسيد إذا حضر قالت أم الدرداء لخليد لا تقرأ بآية شـديدة تشد على الرجل وكان يصعق إذا سـمع بآية شديدة قال ابن أبى داود وكان أبو أسيد مستجاب الدعوة وكان يقال إنه من الأبدال .

وسمع على بن الفضيل : قارئا يقرأ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين : ٦) فسقط مغشيا عليه ، فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك .

وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية .

فقد « كان الشبلى في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف إمام له ، فقرأ الإمام : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (الإسراء : ٨٦) فزعق الشبلى زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه ، وكان يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا» (٢٣١١) .

وقال الجنيد : دخلت على سرى السقطى فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه، فقال لي : هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشى عليه ، فقلت : اقرؤا عليه تلك الآية بعينها ، فقرئت فأفاق ، فقال : من أين قلت هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن ذلك .

ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

(٢٣١١) حديث : « كان أبو بكر الشبلى » رحمه الله تعالى « فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف إمام له فقرأ الإمام ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فزعق الشبلى زعقة ظن الناس أنه قد طارت بها روحه واخضر وجهه وأربد » أى تغير « وكان يقول بمثل هذا يخاطب الأحباب فكيف بغيرهم يردد ذلك مرارا على نفسه وهو مغلوب عليه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه القشيرى في الرسالة فقال سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكى يقول كنت مع الشبلى فى مسجد ليلة فى شهر رمضان وهو يصلى خلف إمام له وأنا بجنبه فقرأ الإمام ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فزعق زعقة قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيرا .

وقال بعض الصوفية : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن ما رفعوا رءوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

وقال أبو على المغازلى للشبلى : ربما تطرق سمعى آية من كتاب الله تعالى فتجذبنى إلى الإعراض عن الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالى وإلى الناس فلا أبقى على ذلك ، فقال : ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه ، فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك ، وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك ، فإنه لا يصلح لك إلا التبرى من الحول والقوة فى التوجه إليه .

وسمع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر :٢٧ ، ٢٨) فاستعادها من القارئ ، وقال : كم أقول لها ارجعى وليست ترجع ، وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه .

وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ (غافر : ١٨) الآية فاضطرب ، ثم صاح : ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك ، ثم غشى عليه .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ (الانشقاق : ١) اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد .

وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل فى الفرات ، فمر به رجل على الشاطئ يقرأ: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس: ٥٩) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات .

وذكر أن سلمان الفارسى أبصر شابا يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده ، فأحبه سلمان وفقده فسأل عنه فقيل له : إنه مريض ، فاتاه يعوده ، فإذا هو فى الموت فقال يا أبا عبد الله : أرأيت تلك القشعريرة التى كانت بى ، فإنها أتتنى فى أحسن صورة فأخبرتنى أن الله قد غفر لى بها كل ذنب .

وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن ، فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا فمثله ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٧١) .

بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها .

قال جعفر الخلدى : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة ، فقال للجنيد : متى يستوى عند العبد حامده وذامه ؟ فقال بعض الشيوخ : إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين ، فقال الجنيد : ليس هذا من شأنك ، ثم أقبل على الرجل وقال : إذا تحقق أنه مخلوق ، فشهق الرجل شهقة ومات .

فإن قلت : فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد ، فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين، فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لا حلق المغنين ، وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارئ لا قوال ، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة .

فاعلم أن الغناء أشد تهيجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه :

الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم ، فمن أين يناسب حاله قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء : ١١) .

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ (النور : ٤) .

وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه ، والأبيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب ، فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف .

نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها، ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعانى البعيدة من الألفاظ، فقد يخطر وجده على كل مسموع، كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء : ١١) حالة الموت المحوج إلى الوصية ، وأن كل إنسان لابد أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا، فيترك أحد المحبوبين للثانى ويهجرهما جميعا ، فيغلب عليه الخوف والجزع ، أو يسمع ذكر الله فى قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء: ١١) فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده ، أو يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته ، بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم فى حياتهم وموتهم ، فيقول : إذا نظر لأولادنا بعد موتنا ، فلا نشك بأنه ينظر لنا ، فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا ، أو يخطر له من قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء : ١١) تفضيل الذكر بكونه رجلا على الأنثى ، وأن الفضل فى الآخرة لرجال ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور : ٣٧) ، وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى ، فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا ، فيخشى أن يحجب أو يؤخر فى نعيم الاخرة كما أخرت الأنثى فى أموال الدنيا، فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه **وصفان :**

أحدهما : حالة غالبة مستغرقة قاهرة .

والآخر : تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز ، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها .

وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى ، فجرى بينهم مسئلة فى العلم وأبو الحسين ساكت ، ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا وبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى
ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

قال : فما بقى أحد من القوم إلا قام وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه ، وإن كان العلم جدا وحقا .

الوجه الثانى : أن القرآن محفوظ للأكثرين ، ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب ، وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره ، ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام فى مرات متقاربة فى الزمان فى يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ، ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر فى قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى .

ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا ، وليس يقدر القارئ على أن يقرأ قرآناً غريبا فى كل وقت ودعوة ، فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر .

وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون ، فقال : كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا .

ولا تظنن أن قلب الصديق ﷺ كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب ، وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم .

ولكن التكرار على قلبه اقتضى الرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه ، إذ محال في العادات أن يسمع السامع آية - لم يسمعها قبل - فيبكي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويبكي ، ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ، ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة .

ولهذا هم عمر ﷺ أن يمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال : قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به ، ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشي عليه إذا وقع عليه بصره ، وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر .

فإذًا المغني يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ، ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة .

الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون ، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ، ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ، ونفر طبعه لعدم المناسبة ، وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش .

فالوزن إذًا مؤثر ، فلذلك طاب الشعر .

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والدستانات ، وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود

والوقف فى أثناء الكلمات والقطع والوصل فى بعضها ، وهذا التصرف جائز فى الشعر ولا يجوز فى القرآن إلا التلاوة كما أنزل ، فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ، ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه .

وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان ، وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم .

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى ، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ فى التأثير ، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب .

والقرآن جد كله عند كافة الخلق ، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث أنها لهو بل ينبغى أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل فى مجلس ساكن ولا فى حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن فى كل حال إلا المراقبون لأحوالهم فيعدل إلى الغناء الذى لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الدف فى العرس فقال ﷺ : « **أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال** » (٢٣١٢) أو بلفظ هذا معناه .

(٢٣١٢) حديث : « الأمر بضرب الدف فى العرس » **قال العراقى :** تقدم فى النكاح حديث رقم ١٤٦٢ ص ١٢٩٠ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن ماجه فى سننه فقال حدثنا نصر بن على الجهضمى والخليل بن عمرو قالا حدثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن عبد الرحمن عن القاسم =

وذلك جائز مع الشعر دون القرآن .

وكذلك « **لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين ، فسمع إحداهن تقول : وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه الغناء ، فقال ﷺ : دعي هذا وقولي ما كنت تقولين** » (٢٣١٣) .

وهذه شهادة بالنبوة ، فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذي هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو .

= عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال ، خالد بن الياس ضعيف وقال الترمذى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف قال الترمذى حديث حسن غريب وميمون يضعف فى الحديث .

قال مرتضى : والحديث ثابت فى أصله ولو كان خالد وميمون ضعيفين وفى الباب عن جماعة وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب النكاح .

(٢٣١٣) حديث : « دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع إحداهن تقول : وفينا نبي يعلم ما فى غد على وجه الغناء » وفى نسخة على معرض الغناء «فقال ﷺ : دعى هذا وقولى ما كنت تقولينه» **قال العراقى** : رواه البخارى من حديثها وقد تقدم فى كتاب النكاح حديث رقم١٤٦٤ ص١٢٩١ .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخارى فى باب الضرب بالدف فى النكاح قالت جاء النبى ﷺ فدخل حين بنى على فجلس على فراشى كمجلسك منى فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد، فقال ﷺ دعى هذا وقولى الذى كنت تقولين وأخرجه الترمذى وأبو داود وقال حسن صحيح وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن أبى الحسين واسمه خالد المدائنى قال كنا بالمدينة يوم عاشوراء والجوارى يضربن بالدف ويتغنين فدخلنا علي الربيع بنت معوذ فذكرنا ذلك لها فقالت دخل على رسول الله ﷺ صبيحة عرسى وعندى جاريتان تغنيان وتندبان آبائى الذين قتلوا يوم بدر وتقولان فيما تقولان : وفينا نبى يعلم ما فى غد ، فقال أما هذا فلا تقولاه لا يعلم ما فى غد إلا الله وقد تقدم الحديث فى كتاب النكاح .

فإذاً يتعذر بسببه تقوية الأسباب التى بها يصير السماع محركا للقلب ، فواجب فى الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة إلى الغناء .

الوجه السادس : أن المغنى قد يغنى ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره ، فليس كل كلام موافقا لكل حال ، فلو اجتمعوا فى الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم ، إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فآيات الرحمة شفاء الخائف وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن ، وتفصيل ذلك مما يطول .

فإذًا لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس ، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا إلى دفعه ، فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب ، إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله .

ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى .

وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ، ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال ، فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك .

هذا ما ينقدح لى فى علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن .

وههنا وجه سابع : ذكره أبو نصر السراج الطوسى فى الاعتذار عن ذلك

فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت، والألحان الطيبة مناسبة للطباع ، ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ ، فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا ، فكان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق ، فما دامت البشرية باقية ، ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات

الشجيـة والأصوات الطيبة ، فانـبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلـى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته ، وكلامه الذى منه بدأ وإليه يعود .

هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره .

وقد حكى عن أبى الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسـلام عليه ، فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه ، فكل من سـألته عنه قال : إيش تعمل بذلك الزنديق ، فـضيقوا صدرى حـتى عزمت على الانصراف ، ثم قلت فى نفـسى : قد جـبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه ، فلم أزل أسـأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ ، فإذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت عليه ، فأقبل على وقال : من أين أقبلت ؟ فـقلت : من بغداد ، فـقال : وما الذى جـاء بك ؟ فقلت : قـصدتك للسـلام عليك ، فقـال : لو أن فى بعض هذه البلدان قـال لك إنسان أقم عندنا حـتى نشترى لك دارا أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجىء؟ فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ، ولو امـتحننى مـا كنت أدرى كيف أكـون ، ثم قال لى : أتحسـن أن تقول شيئا؟ فقلت : نعم ، فقال : هات ، فأنشأت أقول :

رأيتك تـبنى دائمـا فى قطيـعـتى ... ولو كنت ذا حـزم لهـدمت مـا تبنى
كـأنى بـكم والليت أفـضل قـولكم ... ألا ليـتنـا كنا إذ الـليـت لا يغـنى

قال فأطبق المصحف ، ولـم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته ، وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ، ثم قال : يا بنى تلوم أهل الرى يقولون : يوسف زنديق ، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة على لهذين البيتين .

فإذًا القلوب وإن كانت محترقة فى حب الله تعالى ، فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر .

وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه ، وهو لذلك معجز لا يدخل فى قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه .

وروى أن اسرافيل أستاذ ذى النون المصرى دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت فى الأرض بإصبعه ، ويترنم ببيت فقال : هل تحسن أن تترنم بشىء ؟ فقال : لا ، قال : فأنت بلا قلب .

إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكا لا يصادف فى غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم المقام الأول فى فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب .

فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول :

المقام الثالث من السماع :

نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا ما يحمد من آثار الوجد وما يذم .

فأما الآداب فهى خمس جمل :

الأول : مراعاة الزمان والمكان والإخوان .

قال الجنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع الزمان والمكان والإخوان .

ومعناه أن الاشتغال به فى وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فيراعى حالة فراغ القلب له .

وأما المكان فقد يكون شارعًا مطروقا أو موضعا كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب ، فيجتنب ذلك .

وأما الإخوان فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب ، كان مستثقلا فى المجلس واشتغل القلب به ، وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ، ففى هذه الشروط نظر للمستمع .

الأدب الثانى : وهو نظر الحاضرين.

إن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغى أن يسمع فى حضورهم، فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر ، والمريد الذى يستضر بالسماع **أحد ثلاثة:**

أقلهم درجة : هو الذى لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ، ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه .

الثانى : هو الذى له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ، ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله ، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال .

الثــالـث : أن يكون قد انكسـرت شهوته وأمنت غـائلته وانفتحت بصـيرته ، واستولى على قلـبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعـرف أسماء الله تعالى وصفاته ، وما يـجوز عليه وما يستحيل ، فإذا فتح له بـاب السماع نزل المسموع فى حق الله تعالى على مـا يجوز ومالا يجوز فيكون ضـرره من تلك الخواطر التى هى كفر أعظم من نفع السماع .

قال سـهل رحمه الله : كل وجـد لا يشهد له الـكتاب والسنة فهـو باطل ، فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ، ولا لمن يسـمع لأجل التلذذ والاستطابة بـالطبع ، فيـصيـر ذلك عادة له ويشـغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه ، فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه .

قال الجنيـد : رأيت إبليس فى النوم ، فقلت له: هل تظفر من أصـحابنا بشىء ، قال : نعم فى وقتين وقـت السماع ووقت النظر ، فإنى أدخل عليـهم به ، فقال بعض الشيـوخ : لو رأيته أنا لقلت له مـا أحمقـك من سمع منه إذا سمع ونظـر إليه إذا نظر كيف تظفر به ، فقال الجنيد : صدقت .

الأدب الثالـث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل.

حاضر القلب قليل الالتـفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجـوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجـد مشتغلا بنفسه ، ومراعاة قلبه ومـراقبة ما يفتح الله تعالى له ، من رحـمته فى سره مـتحفظا عن حـركة تشوش على أصـحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادئ الأطراف مـتحفظا عن التنحنح والتثـاؤب ، ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه فى فكر مسـتغرق لقلبه متماسكًا عن التصـفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمرآة ساكتا عن النطق فى أثناء القول بكل ما عنه بد .

فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو معذور غير ملوم ، ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغى أن يستديمه حياء من أن يقال : انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفا من أن يقال : هو قاسى القلب عديم الصفاء والرقة .

حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق ، فقال له الجنيد يوما : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى ، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولايزعق ، فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه .

وروى أن موسى عليه السلام قص فى بنى إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له : مزق لى قلبك ولا تمزق ثوبك .

قال أبو القاسم النصراباذى لأبى عمرو بن عبيد أنا أقول : إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيراً لهم من أن يغتابوا ، فقال أبو عمرو : الرياء فى السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك .

فإن قلت : الأفضل هو الذى لا يحركه السماع ولا يؤثر فى ظاهره أو الذى يظهر عليه .

فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان ، وتارة يكون مع قوة الوجد ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال ، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير ، وهو غاية الكمال ، فإن صاحب الوجد فى غالب الأحوال لا يدوم وجده ، فمن هو فى وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود ، فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه : كنا كما كنتم ، ثم قست قلوبنا ، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال .

فنحن فى سماع معانى القرآن على الدوام ، فلا يكون القرآن جديدا فى حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به ، فإذًا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر . وقد يغلب أحدهما الآخر ، إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك ، فلا تظنن أن الذى يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه ، بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب .

فقد كان الجنيد يتحرك فى السماع فى بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له فى ذلك فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (النمل : ٨٨) .

إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل فى الملكوت والجوارح متأدبة فى الظاهر ساكنة .

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شىء كان يسمعه من الذكر أو القرآن ، فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ (الحديد : ١٥) الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال : نعم يا حبيبى قد ضعفنا .

وكذلك سمع مرة قوله تعالى : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الفرقان : ٢٦) فاضطرب ، فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال : قد ضعفت ، فقيل له : فإن كان هذا من الضعف فما قوّة الحال ؟ فقال : أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يتلقاه بقوة حاله ، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية ، وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود .

كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال : حالتى قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى فى كل حال ، فكذلك يكون قبل

السمـاع وبعده ، إذ يكون وجده دائما وعطشـه متصلا وشـربه مستمـرا بحيث لا يؤثر السماع فى زيادته .

كمـا روى أن ممشاذ الدينورى أشـرف على جمـاعة فيـهم قوّال فـسكتوا فـقال : ارجعـوا إلى ما كنتم فيـه فلو جمعت مـلاهى الدنيا فى أذنى ما شـغل همى ولا شفى بعض ما بى .

وقال الجنيـد رحمه الله تعـالى : لا يضر نقصـان الوجد مع فـضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد .

فإن قلت : فمثل هذا لِمَ يحضر السماع ؟

فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع فى كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالا للسرور على قلبه ، وربما حضر ليعـرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمـال بالوجـد الظاهر ، فـيتـعلمـون منه ضبط الظـاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به فى صيرورته طبعا لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون مـعهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم ، كمـا يجلسون من غيـر سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم .

وبعضهم نقل عنه ترك السـماع ويظن أنه كان سبب تركه استـغناءه عن السماع بما ذكرناه .

وبعضهـم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحانى فى السمـاع ولا كان من أهل اللهو ، فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه .

وبعضهم تركه لفقد الإخوان قيل لبعضهم : لم لا تسمع ؟ فقال: ممن ومع من .

الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء

وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراآة ، لأن التباكي استجلاب للحزن ، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط .

فكل سرور مباح فيجوز تحريكه .

ولو كان ذلك حراما لما « **نظرت عائشة** رضي الله عنها **إلى الحبشة مع رسول الله** ﷺ **وهم يزفنون** » (٢٣١٤) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات

وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك .

وذلك في قصة ابنة حمزة لما « **اختصم فيها على بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد ابن حارثة** رضي الله عنهم **فتشاحوا في تربيتها ، فقال** ﷺ **لعلي : أنت مني وأنا منك ، فحجل علي ، وقال لجعفر : أشبهت خلقي وخلقي ، فحجل وراء حجل علي ، وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، فحجل زيد وراء حجل جعفر ، ثم قال** ﷺ **هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة** » (٢٣١٥) .

(٢٣١٤) حديث : « نظر عائشة » رضي الله عنها « إلى رقص الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون» **قال العراقي** : تقدم في حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧وحديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ وحديث رقم ٢٢٧٩ ص ٢٠١٥ وحديث رقم ٢٢٨١ ص ٢٠١٦ .اهـ.

قال مرتضى : والذى في صحيح مسلم من حديثها قالت جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذى انصرف عن النظر إليهن.

(٢٣١٥) حديث : « اختصم على وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة » رضي الله عنهم « فقال » ﷺ «لعلي: أنت مني وأنا منك ، فحجل » على « وقال لجعفر : أشبهت خَلقي وخُلُقي ، فحجل » وراء حجل على «وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا ، فحجل» زيد وراء حجل جعفر ثم قال ﷺ : « هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة» **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث على بإسناد حسن وهو عند البخاري دون فحجل وقد تقدم في حديث رقم ٢٢٧٦ ص ٢٠١٤ .اهـ.

=

وفى رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها : « أتحبين أن تنظرى إلى زفن الحبشة » .

والزفن والحجل هو الرقص ، وذلك يكون لفرح أو شوق ، فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا ، والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود ، وإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم .

نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه فى الأكثر يكون عن لهو ولعب وما له صورة اللعب واللهو فى أعين الناس ، فينبغى أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر فى أعين الناس ، فيترك الاقتداء به .

وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار ، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدرى ، لغلبة سكر الوجد عليه أو يدرى ، ولكن يكون كالمضطر الذى لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره ، إذ يكون له فى الحركة أو التمزيق متنفس ، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الانين ، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختيارى ؛ فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه .

فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس ، فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك ، فهذا لا يوصف بالتحريم .

فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد الغالب فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدرى ، فروجع فيه واستبعد أن ينتهى إلى هذا الحد ، فأصر عليه ولم يرجع .

= قال مرتضى : وكذلك أخرجه البيهقى فى السنن والخالة هى أسماء بنت عميس وفى الصحيحين وغيرهما الخالة بمنزلة الأم .

ومعناه أنه فى بعض الأحوال قد ينتهى إلى هذا الحد فى بعض الأشخاص.

فإن قلت : فما تقول فى تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع ، فإنهم يمزقونها قطعاً صغاراً ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة.

فاعلم أن ذلك مباح إذا قطّع قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات ، فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولا يكون ذلك تضييعا لأنه تمزيق لغرض ، وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار ، وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح ، ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ، ولكن ينبغى أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها فى الرقاع ، وإنما منعنا فى السماع التمزيق المفسد للثوب الذى يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار .

الأدب الخامس : موافقة القوم فى القيام.

إذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلابد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة ، وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق.

فالموافقة فى هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم .

ولابد من « **مخالفة الناس بأخلاقهم** » (٢٣١٦) كما ورد فى الخبر .

(٢٣١٦) حديث : « مخالقة الناس بأخلاقهم » **قال العراقى** : رواه الحاكم من حديث أبى ذر : خالقوا الناس بأخلاقهم .... الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة.

وقول القائل : إن ذلك بدعة ، لم يكن فى الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة ﷺ ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهى عن شىء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب ، بل « **كان الصحابة** ﷺ **لا يقومون لرسول الله** ﷺ **فى بعض الأحوال** »(★) كما رواه أنس ﷺ ، ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا فى البلاد التى جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به ، وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب ، واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل .

ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم . إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذى يلوح للجمع منه أثر التكلف ، ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع . فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ، ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين ، فلا يراه ذو جد فى الدين إلا وينكره .

= **قال مرتضى** : ورواه البزار من حديث ثوبان اصبروا وخالقوا الناس وخالفوهم فى أعمالهم .

(★) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب آداب الصحبة .

فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ وقد رأي الحبشة يزفنون فى المسجد وما أنكره ، لما كان فى وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة ، نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب .

واللهو واللعب مباح ، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم ، وهو مكروه لذوى المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئًا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، مكتوبا فى تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه .

ومع هذا فلا يجوز أن يقال : ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لا تحريم فيه والله أعلم .

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا .

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه ، فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

لا سيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة.

وقول القائل : إن ذلك بدعة ، لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة ﷺ ، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ، ولم ينقل النهى عن شىء من هذا .

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب ، بل « **كان الصحابة ﷺ لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض الأحوال** »(★) كما رواه أنس ﷺ ، ولكن إذا لم يثبت فيه نهى عام فلا نرى به بأسا فى البلاد التى جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام ، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به ، وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب ، واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها ، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهى لا يقبل التأويل .

ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم أحوالهم . إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح ، والمتواجد هو الذى يلوح للجمع منه أثر التكلف ، ومن يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع . فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف .

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال : صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد .

فإن قلت : فما بال الطباع تنفر عن الرقص ، ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين ، فلا يراه ذو جد فى الدين إلا وينكره .

= **قال مرتضى :** ورواه البزار من حديث ثوبان اصبروا وخالقوا الناس وخالفوهم فى أعمالهم .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب آداب الصحبة .

فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ وقد رأي الحبشة يزفنون فى المسجد وما أنكره ، لما كان فى وقت لائق به وهو العيد ، ومن شخص لائق به وهم الحبشة ، نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالبا مقرونا باللهو واللعب .

واللهو واللعب مباح ، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم ، وهو مكروه لذوى المناصب لأنه لا يليق بهم ، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذى المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم ، فمن سأل فقيرا شيئًا فاعطاه رغيفا كان ذلك طاعة مستحسنة ، ولو سأل ملكا فاعطاه رغيفا أو رغيفين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ، ومكتوبا فى تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعير به أعقابه وأشياعه .

ومع هذا فلا يجوز أن يقال : ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجرى مجراه من المباحات ، ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب وأما إذا نظر إليه فى نفسه وجب الحكم بأنه هو فى نفسه لا تحريم فيه والله أعلم .

فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا .

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأما المكروه ، فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ، ولكنه يتخذه عادة له فى أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأما المباح ، فهو لمن لا حظ له منه ، إلا التلذذ بالصوت الحسن .

وأما المستحب ، فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ، ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة .

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

تم كتاب (آداب السماع والوجد)

ويليه إن شاء الله تعالى كتاب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

★★★

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات

وفيه أربعة أبواب :

(الباب الأول) : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته .

(الباب الثانى) : فى أركانه وشروطه .

(الباب الثالث) : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات .

(الباب الرابع) : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثانى من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه وجوده ، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .

أما بعد ،

فإن الأمر بالمعروف والنهى على المنكر هو القطب الأعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذى خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم .

فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهـذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائهـا ومتشمّرا فى إحـيائها كان مسـتأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدًا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها .

وها نحن نشرح علمه فى أربعة أبواب :

الباب الأول : فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته .

الباب الثانى : فى أركانه وشروطه .

الباب الثالث : فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات .

الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

الباب الأول

فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته والمذمة فى إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار .

أما الآيات :

فقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

ففى الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن ﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وإنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ .

فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(آل عمران: ١١٣، ١١٤) .

فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ (التوبة : ٧١) .

فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية .

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٨ ، ٧٩) .

وهذا غاية التشديد إذ «علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهى عن المنكر» (٢٣١٧) .

(٢٣١٧) حديث : « علق استحقاقهم للعنة » التى هى الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى « بتركهم النهى عن المنكر » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج الطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى رفعه قال: إن من كان قبلكم من بنى اسرائيل إذا عمل العامل فيهم الخطيئة فنهاه الناهى تعزيزا فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس فلما رأي الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذى نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد المسئ ولتأطرنه على الحق اطرا أو وليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم .

وقال عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذ بيَّن إنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف : ١٦٥) .

فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (الحج : ٤١) .

فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة : ٢) .

وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الأماكن .

وقال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة : ٦٣) .

فبين أنهم آثموا بترك النهى .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ (هود : ١١٦) الآية .

فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء : ١٣٥) .

وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين .

«وقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٤)» (٢٣١٨).

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات : ٩) الآية .

والإصلاح نهى عن البغى وإعادة إلى الطاعة ، فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الحجرات : ٩) .

وذلك هو النهى عن المنكر.

(٢٣١٨) حديث : « قال تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فوعد بالأجر العظيم الذى هو الجنة » كما في حديث أنس مرفوعا لمن أمر بالمعروف والإصلاح ومنعهم عن الفساد والاختلاف .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج البيهقى من حديث أبى أيوب مرفوعا قال يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة ترضى الله ورسوله بموضعها قلت : بلى ، قال : تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبد الله ابن حبيب بن أبى ثابت قال كنت جالسا مع محمد بن كعب القرظى فأتاه رجل فقال له القوم أين كنت فقال : أصلحت بين قوم فقال محمد بن كعب أصبت لك مثل أجر المجاهدين ثم قرأ الآية ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ . . . . ﴾ إلى آخرها .

وأما الأخبار :

فمنها ما روى عن أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال فى خطبة خطبها : « أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ (المائدة : ١٠٥) وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » (٢٣١٩) .

(٢٣١٩) حديث : قال أبو بكر الصديق ﷺ فى خطبة خطبها بعد أن استخلف : « أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» **قال العراقى:** رواه أصحاب السنن وتقدم ذكره فى أول كتاب العزلة حديث رقم٢١٥٩ ص١٨٥٧ . اهـ.

قال مرتضى : هذا الحديث تقدم ذكره مبسوطا وبين سياقيهما تفاوت فإنه سبق له فى كتاب العزلة بلفظ قام أبو بكر خطيبا وقال يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية وهى ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنكم تضعونها غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا رأي الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وهذا السياق هو الذى أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد والعدنى وابن منيع والحميدى فى مسانيدهم والأربعة وصححه الترمذى وأبو يعلى والكجى فى سننهم وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والدارقطنى فى الافراد وابن منده فى غرائب شعبة وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب والضياء فى المختارة كلهم من طريق قيس بن أبى حازم قال : قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه فذكره والذى ساقه المصنف هنا هو أقرب إلى حديث جرير البجلى مرفوعا فيما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصى أمنع منه وأعز لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب ولفظ ابن مردويه من طريق أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال خطب أبو بكر الناس فكان فى خطبته قال رسول الله ﷺ يا أيها الذين أمنوا لا تتكلوا على هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ إن الداعر ليكون فى الحى فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب وله أيضا من حديث ابن عباس قال : قعد=

وروى عن أبى ثعلبة الخشنى « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة : ١٠٥) فقال: يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم ، قيل : بل منهم يا رسول الله ، قال : لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » (٢٣٢٠) .

= أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ يوم سمى خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم مد يده فوضعها على المجلس الذى كان النبى ﷺ يجلس عليه من منبره ثم قال سمعت الحبيب وهو جالس فى هذا المجلس يتأول هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ثم فسرها فكان تفسيره لنا أن قال نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه فقال أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا وأخرج أبو ذر الهروى فى الجامع من طريق قيس بن أبى حازم قال سمعت أبا بكر الصديق وقرأ هذه الآية فى المائدة ﴿لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لتأمرن بالمعروف ولتهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم أو ليعمنكم الله بعقاب وقد تقدم شيء من ذلك فى كتاب العزلة.

(٢٣٢٠) حديث: قال أبو ثعلبة الخشنى ﷺ : « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فقال : يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم، فقيل : بل منهم يا رسول الله ، قال: بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا» **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه. اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا ابن جرير والبغوى فى معجمه وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الشعب من طريق أبى أمية الشعبانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية قال : آية إية؟ قلت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأي برأيه عليك=

« وسئل ابن مسعود ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال : إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة : ١٠٥) »(٢٣٢١) .

= بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفى رواية للحاكم بعد قوله مؤثرة وأمرا لابد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم وفيه أيضا صبر فيهن كقبض على الجمر وقد روى مثل ذلك من حديث معاذ بن جبل أنه قال : يارسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ الآية وقال يا معاذ مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل امرئ برأيه فعليكم أنفسكم لا يضركم ضلالة غيركم فهو من ورائكم أيام صبر المتمسك فيها بدينه مثل القابض على الجمر فللعامل منهم يومئذ مثل عمل أحدكم اليوم كأجر خمسين منكم قلت : يا رسول الله خمسين منهم قال: بل خمسين منكم أنتم أخرجه ابن مردويه.

(٢٣٢١) حديث : « سئل ابن مسعود ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها أنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ .

قال مرتضى : **أغفله العراقى** وأخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وأبو الشيخ كلهم من طريق الحسن عنه أنه سأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم فقال: أيها الناس إنه ليس بزمانها أنها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك ان يأتى زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم الآية وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عنه فى قوله عليكم أنفسكم الآية قال مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر مالم يكن من دون ذلك السيف والسوط فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم وروى مثله عن الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق جويبر عنه وأخرج عبد بن حميد ونعيم بن حماد فى الفتن وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق أبى العالية قال كنا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك فإن الله تعالى يقول: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ فسمعها ابن مسعود فقال مه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا وانهوا فإذا=

وقال رسول الله ﷺ : « لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٢٣٢٢).

معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم.

= اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعًا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقد روي بمثل تفسير ابن مسعود عن غيره من الصحابة ومن بعدهم قيل لابن عمر لو جلست في مثل هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال عليكم أنفسكم فقال أنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله ﷺ قال إلا فليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم أخرجه ابن جرير وابن مردويه وأخرج عبد الرزاق وابن جرير من طريق قتادة عن رجل قال كنت في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي ﷺ فإذا فيهم شيخ حسبت أنه قال أبي بن كعب فقرأ عليكم أنفسكم فقال إنما تأويلها في آخر الزمان وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن أبي مازن قال انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فإذا قوم جلوس فقرأ أحدهم ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ فقال: أكثرهم لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم وأخرج ابن جرير عن جبير بن نفير قال : كنت في حلقة فيها أصحاب النبي ﷺ وأني لأصغر القوم نتذاكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت: أليس الله يقول عليكم أنفسكم فأقبلوا على بلسان واحد فقالوا أتنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا إنك غلام حدث السن وإنك انتزعت آية لا تدري ما هي وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت وأخرج ابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري قال ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال نبي الله ﷺ : لم يجئ تأويلها لا يجئ تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول أن رجلا سأله عن هذه الآية فقال إن تأويل هذه الآية لم يجئ بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك بنفسك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت .

(٢٣٢٢) حديث : قال ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم» **قال العراقي** : رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف وللترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال : أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ، قال : هذا حديث حسن .اهـ.

قال مرتضى : حديث أبي هريرة أخرجه الخطيب أيضا وحديث حذيفة أخرجه كذلك أحمد والبيهقي .

وقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » (٢٣٢٣) .

وقال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى » (٢٣٢٤) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس » (٢٣٢٥) .

(٢٣٢٣) حديث : قال ﷺ : « يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » **قال العراقى** : رواه أحمد والبيهقى من حديث عائشة بلفظ مروا وانهوا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين . اهـ.

قال مرتضى : لفظ ابن ماجه قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم .

(٢٣٢٤) حديث : قال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله إلا كنفثة فى بحر لجى وما جميع أعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كنفثة فى بحر لجى » **قال العراقى** : رواه الديلمى فى مسند الفردوس مقتصرا على الشطر الأول من حديث جابر بإسناد ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدرى من يحيى بن عطاء . اهـ.

قال مرتضى : لفظ الديلمى ما أعمال العباد كلهم عند المجاهدين فى سبيل الله إلا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر وهكذا رواه أيضا أبو الشيخ ابن حبان من حديث أنس وأما يحيى بن عطاء فليس له ذكر ووجد بخط الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب لعله يحيى عن عطاء .

قال مرتضى : فلا يكون الحديث معضلا وينظر من يحيى هذا الذى روى عن عطاء .

(٢٣٢٥) حديث : قال ﷺ : « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس » أى خفت منهم **قال العراقى** : رواه ابن ماجه بإسناد جيد وقد تقدم فى حديث رقم ٢١٦٠ ص ١٨٥٨ . اهـ.

وقـــال ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقـات ، قـالوا : ما لنا بـد إنما هى مجـالسنا نتحدث فـيها ، قال : فإذا أبيتـم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقها ، قـالوا: وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (٢٣٢٦) .

وقال ﷺ : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرا لله تعالى » (٢٣٢٧) .

وقـــال ﷺ : « إن الله لا يعـذب الخاصة بذنوب العـامة حـتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه » (٢٣٢٨) .

(٢٣٢٦) حديث : قال ﷺ : « إيـاكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : ما لنا إنما هى مـجالسنا نتحدث فيـها ، قال : فإذا أبيتم إلا ذاك فاعطوا الطريق حقـها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى سعيد .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود وعند بعضهم إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها .... الحديث .

(٢٣٢٧) حديث: قـال ﷺ : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمـراً بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى» **قال العراقى :** تقدم فى العلم حديث رقم ١٦٩ ص ٢٤٩ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه عبد بن حميد والترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن أبى الدنيا فى الصمت وعـبد الله بن أحمـد فى زوائد الزهد وابن المنذر وابن السنى والطبرانى فى الكبـير وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى فى الأمثال والحاكم والبيهقى كلهم من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد بن حسين قال: دخلت على سفيان الثورى نعوده ومعنا سعيد بن حسان المخزومى ، فقال له سفـيان : أعد على الحديث الذى كنت حدثتنيه عن أم صالح ، قال : حدثتنى أم صالح بنت صـالح عن صفية بنت شيبة عن أم حـبيبة زوج النبى ﷺ : قالت : قـال رسول الله ﷺ : .... فسـاقـه ، فقـال محـمـد بن يزيد : مـا أشد هذا الحديث ، فقال سـفيان : وما شدة هذا الحديث ، إنما جـاءت به امرأة عن امرأة ، هذا فى كتاب الله عز وجل أما سـمعت الله عز وجل يقول : ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فهو هذا بعينه الحديث وقد تقدم فى كتاب العلم .

(٢٣٢٨) حديث : قال ﷺ : « إن الله » تعالى « لا يعذب الخـاصة بذنوب العامة حتى يروا المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه » **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث=

وروى أبو أمامة الباهلى رضي الله عنه عن النبى ﷺ : « أنه قال : كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بى حلفت لاتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » (٢٣٢٩) .

= عدى بن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ أحمد لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يرى المنكر بين ظهرانيهم وفي آخره فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة وأخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق ابن مسلمة عن أبيه عن النبى ﷺ مثله .

(٢٣٢٩) حديث : قال أبو أمامة الباهلى رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك كائن يا رسول الله! قال : نعم والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه » يا رسول الله ؟ « قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال: نعم والذى نفسى بيده وأشد منه ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بى حلفت لاتيحن أى لأقدرن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » **قال العراقى :** رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصرا على الأسئلة الثلاثة الأول وأجوبتها دون الآخرين واسناده ضعيف أيضا . اهـ. =

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه** » (٢٣٣٠) .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « **لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له** » (٢٣٣١) .

وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ، ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال : اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز.

ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق .

ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « **ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يؤمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك**

= **قال مرتضى** : وقد أخرج أبو عثمان الصابونى فى المائتين حدثنا حديثا عن أنس يشبه سياقه إلا أن المراجعة فيه من سلمان وهو طويل جدا قد أمليته فى جملة الأمالى الشيخونية.

(٢٣٣٠) حديث : قال عكرمة ﷺ : قال ابن عباس ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما » أى من غير وجه شرعى « فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه » ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه **قال العراقى**: رواه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى فى شعب الإيمان بسند حسن. اهـ.

(٢٣٣١) حديث : قال ابن عباس ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لامرئ شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولم يحرمه رزقا هو له» **قال العراقى** : رواه البيهقى في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذى قبله وروى الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه . اهـ.

القوم فلا يسلمون منه فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم ثم قرأ : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠) قال : ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه فى النبوة من السر لقلنا : ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبى » (٢٣٣٢) .

وقال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » (٢٣٣٣) .

ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول .

وقال ابن مسعود ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبى بين أظهرهم ماشاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما

(٢٣٣٢) حديث : « قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ قال ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه فى النبوة » من السر « ما جعل لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة » عليهم السلام« لتتلقاهم فتصافحهم والسحاب والسباع يمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها» أى السحاب « اين امرت فتخبره وليس بنبى » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية .

(٢٣٣٣) حديث : قال أبو هريرة ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » **قال العراقى** : رواه ابن عدى وفيه يحيى ابن سليمان قال البخارى منكر الحديث ولأبى داود نحوه من حديث العرس بن عميرة.اهـ.

قال مرتضى : ومن حديث أبى هريرة رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورواه أيضا البيهقى وضعفه ولفظهم فى الموضعين فكأنما بدل فكأنه .

ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام» (٢٣٣٤) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون مايعملون فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون ، فجعلوا يردون علية ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه ، فاعتزل ثم قال : اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ، ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب، ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال : اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ، ثم قام الرابع فقال: اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه : كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله » (٢٣٣٥) .

(٢٣٣٤) حديث : قال ابن مسعود رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى » أي أنصار « فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر ويقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يتسطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام» **قال العراقى** : روى مسلم نحوه .اهـ.

قال مرتضى : وكأنه يشير إلى حديث أبى سعيد الخدرى رفعه فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه بلفظ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وقد رواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وابن حبان ورواه النسائى بلفظ من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الإيمان وسيأتى للمصنف في الباب الثانى .

(٢٣٣٥) حديث : « كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله » وقد روى عن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية ما يقارب هذا السياق . =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « قيل يا رسول الله : أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل :بم يا رسول الله؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم على معاصى الله تعالى » (٢٣٣٦).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها ، فقال : يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فىَّ ساعة قط » (٢٣٣٧).

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء ، قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال : لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » (٢٣٣٨).

= قال مرتضى : أغفله العراقى وقد رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢٣٣٦) حديث : قال ابن عباس رضي الله عنهما : « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم ، قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله » تعالى قال العراقى : رواه البزار والطبراني بسند ضعيف .اهـ.

(٢٣٣٧) حديث : قال جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أوحى الله » تبارك وتعالى « إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال » الملك «يا ربِّ إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتغير في ساعة قط » وفى نسخة لم يتمعر قال العراقى : رواه الطبرانى في الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار .اهـ.

(٢٣٣٨) حديث: قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » قال العراقى : لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصغانى أوحى الله إلى يوشع بن نون أنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبى فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم .اهـ.

قال مرتضى : وجد بخط الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب ما لفظه هذا ذكره الغزالى فى الباب الذى بعد هذا وأغفل الشيخ التنبيه عليه .

قال مرتضى : قد ذكر هذه القصة فى الآثار كما سيأتى قريبا .

وعن عروة عن أبيه ﷺ قال: « قال موسى عليه السلام : يا رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : الذى يتسرع إلى هواى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا » (٢٣٣٩) .

وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف .

وقال أبو ذر الغفارى ﷺ : « قال أبو بكر الصديق ﷺ : يا رسول الله هل من جهاد غير قتل المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله والمبغضون فى الله ثم قال: والذى نفسى بيده إن العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر » (٢٣٤٠) .

(٢٣٣٩) حديث: قال عروة بن الزبير بن العوام عن أبيه ﷺ قال : « قال موسى عليه السلام يا رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : الذى يتسارع إلى هواى كما يتسارع النسر » وفى بعض النسخ النسيم « إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى بالثدى » أى ثدى أمه وفى نسخة بالناس « والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢٣٤٠) حديث : قال أبو ذر الغفارى ﷺ : « قال أبو بكر » الصديق ﷺ : « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ قال » رسول الله ﷺ « نعم يا أبا بكر إن لله تبارك وتعالى =

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٤

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع

وقال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ : « قلت يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل ؟ قال : رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش» (٢٣٤١) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهداء أمتى رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر » (٢٣٤٢) .

= مجاهدين فى الأرض أفضل من الشهداء أحياء يرزقون يمشون على الأرض يباهى الله عزوجل بهم الملائكة ويزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة للنبى ﷺ ، فقال أبو بكر: يا رسول الله ومن هم ؟ فقال : هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله تعالى والمبغضون فى الله تعالى قال والذى نفسى بيده أن العبد منهم ليكون فى الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وأن الرجل منهم ليزوج ثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهم فنظر إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت إلى واحدة منهم ذكرت له كل مقام أمر فيه بمعروف ونهى فيه منكر » **قال العراقى :** الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر .اهـ.

(٢٣٤١) حديث : قال أبو عبيدة بن الجراح ﷺ : « قلت يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله» تعالى ؟ « قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وأن عاش ما عاش » **قال العراقى :** رواه البزار مقتصراً على هذا دون قوله فإن لم يقتله إلى أخره وهذه الزيادة منكرة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف .اهـ.

قال مرتضى : وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى عبيدة بن الجراح مرفوعا : قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فقام مائة واثنا عشر رجلا من عبادهم فأمروهم ونهوهم عن المنكر فقتلوا جيمعا فى آخر النهار فهم الذين ذكرهم الله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ .... الآيات﴾ .

(٢٣٤٢) حديث : قال الحسن البصرى ﷺ مرسلاً : « أفضل شهداء أمتى رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر » **قال العراقى :** لم أره من حديث الحسن وللحاكم فى المستدرك وصحح=

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر** » (٢٣٤٣) .

وأما الآثار :

فقد قال أبو الدرداء ﷺ : « **لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم** » (٢٣٤٤) .

= اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الخطيب فى التاريخ والضياء فى المختارة من حديث جابر .

(٢٣٤٣) حديث : قال عمر بن الخطاب ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » **قال العراقى:** رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأشار إليه أبو منصور الديلمي فى مسند الفردوس بقوله : وفى الباب ، ورواه على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : وقد وردت في فضل الأمر بالمعروف أخبار كثيرة توجد مفرقة فى كتب الحديث وقد اعتنى بجمعها جماعة من المحدثين منهم الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا فأتى بما لا مزيد عليه فمن أراد الزيادة فعليه بكتاب الأمر بالمعروف له .

(٢٣٤٤) حديث : قال أبو الدرداء ﷺ : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد أخرجه عبد بن حميد من حديث معاذ مرفوعا فى حديث طويل فيه والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم .

. « وسئل حذيفة ﷺ عن ميت الأحياء فقال : الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه » (٢٣٤٥) .

وقال مالك بن دينار ﷺ : كان حبر من أحبار بنى إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بنى مهلا ، وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه فى الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبى زمانه أن أخبر فلانا الحبر أنى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لى إلا أن قلت مهلاً يا بنى مهلاً .

وقال حذيفة ﷺ : **« يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم »(٢٣٤٦) .**

« وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام : أنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم » (٢٣٤٧) .

(٢٣٤٥) حديث : « سئل حذيفة بن اليمان ﷺ عن ميت الأحياء ، فقال : الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولابقلبه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول يا أيها الناس ألا تسألونى عن ميت الأحياء ثم ساق الحديث وفيه : فمن الناس منكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافا يده وشعبة من الحق ترك ، ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك ، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا لسانه فذلك ميت الأحياء .

(٢٣٤٦) حديث : قال حذيفة بن اليمان ﷺ : « يأتى على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار احب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى والذى فى الحلية لأبى نعيم من طريق أبى البخترى عن أبى عمر يعنى راذان قال : قال حذيفة : ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر .

(٢٣٤٧) حديث : « أوحى الله » عز وجل « إلى يوشع بن نون » أحد أنبياء بنى اسرائيل وهو المراد=

وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ، فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة .

وقال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك من قومك ؟ قال : حسنة قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك ، قال : وما تقول ؟ قال : تقول : إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه ، فقال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتى العمال ثم قعد عنهم ، فقيل له : لو أتيتهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم ، فقال : أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذى بى غير الذى بى وإن سكت رهبت أن آثم .

وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشهد منه .

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم ، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر ، فجعل أعلاه أسفله .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أيما عبد عمل فى شىء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله فى زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

= من قوله تعالى وإذ قال موسى لفتاه « إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم » **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصغانى وسبقت الإشارة إليه قريبا فى حديث رقم ٢٣٣٨ ص٢١١١ .اهـ.

معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بهـا وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية فى حقه .

وقيل للفضـيل ألا تأمر وتنهى ؟ فقال : إن قوما أمـروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا .

وقيل للثورى : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فـقال : إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره .

فقـد ظهر بهذه الأدلة أن الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وأن فـرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به .

فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه .

★ ★ ★

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثانى

فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلم أن الأركان فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة ، المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب .

فهذه **أربعة أركان** ولكل واحد منها شروط :

الركن الأول : المحتسب

وله شروط وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا ، فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة ، فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه إطراح ما اطرحناه .

أما الشرط الأول : وهو التكليف :

فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعى إلا العقل حتى إن الصبى المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر ، وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهى ، فإذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث أنه ليس بمكلف ، فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات ، وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف .

ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن للصبى أن يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر .

وأما الشرط الثانى : وهو الإيمان :

فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوّ له .

وأما الشرط الثالث : وهو العدالة :

فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله ، مثل قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة : ٤٤) .

وقوله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف : ٣) .

وبما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه** » (٢٣٤٨) .

(٢٣٤٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه » وفى رواية: فقلت لجبريل من هؤلاء قال خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ، **قال العراقى :** تقدم في العلم حديث رقم ١٥٣ ص ٢٢٦ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وأيضا من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب العلم .

وبما روى « أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » (٢٣٤٩) .

وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره - ومتى يستقيم الظل والعود أعوج - وكل ما ذكروه خيالات ، وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها ، فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم ﷺ إلى المعصية وكذا جماعة من الأنبياء .

ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شىء لم يأمر أحد بشىء فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير .

وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فإن قالوا لا خرقوا الإجماع ، إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لا فى عصر رسول الله ﷺ ولا بعده ، فإن قالوا : نعم ، فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أم

(٢٣٤٩) حديث : « إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا الحسين بن محمد ابن على حدثنا أحمد بن محمد بن معاوية حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام .... فذكره.

لا ؟ فإن قالوا: لا ، قلنا : فما الفرق بينه وبين لابس الحرير ؟ إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق وإن قالوا: نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزانى من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول : يجب على الانتهاء والنهى فمن أين يلزمنى من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثانى وإذا كان النهى واجبا علىّ فمن أين يسقط وجوبه بإقدامى إذ يستحيل أن يقال يجب النهى عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهى .

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب علىّ الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لى السحور والصوم جميعا ، ولكن يقال : أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول .

والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير .

فالقول : بترتب أحدهما على الآخر تحكم وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعًا ، فليكن من ترك النهى والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة وأما الحسبة فليست شرطا فى الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما .

فإن قيل : فيلزم على هذا أن يقال : إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب فى أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة فى الزنا ومختارة فى كشف الوجه لغير محرم وها أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم .

فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات فإنا نقول قوله لها فى تلك الحالة لا تكشفى وجهك واجب أو مباح أو حرام .

فإن قلتم : إنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهى عن المعصية حق .

وإن قلتم : إنه مباح فإذاً له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة .

وإن قلتم : إنه حرام فنقول : كان هذا واجبا فمن أين حرم بإقدامه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين :

أحدهما : أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم ، وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعنى ، فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التى هى إخبار عن كائن يصدق فيه المخبر .

وهذا الاستبعاد فى النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره فى الآخرة من معصيته أكثر

من ضرره من معصية غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر فى الطبع من حيث أنه ترك الأكثر لا من حيث أنه أتى بالأقل ..

فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئا إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه ، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث أنها حسبة مستنكرة ..

الثانى : أن الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أولا .

ونحن نقول : من علم أن قوله لا يقبل فى الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ ، إذ لا فائدة فى وعظه فالفسق يؤثر فى إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه ، سقط وجوب الكلام .

فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا ، وإذا كان فاسقا فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له: فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة ، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ، ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا .

فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ وإذا لم يكن عليه ذلك ، وعلم أنه يفضى إلى تطويل اللسان فى عرضه بالإنكار.

فنقول : ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أن أحد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه .

وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق فى إراقة الخمور وكسر الملاهى وغيرها إذا قدر وهذا غاية الإنصاف والكشف فى المسألة .

وأما الآيات التى استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم ، ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوة علمه ، وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٢) .

المراد به الوعد الكاذب .

وقوله عز وجل : ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ (البقرة : ٤٤) .

إنكار من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أنهم أمروا غيرهم .

ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم.

وقوله : يا ابن مريم عظ نفسك .... الحديث هو فى الحسبة بالوعظ .

وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله : فاستحى منى لا يدل على تحريم وعظ الغير ، بل معناه استحى منى فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحى .

فإن قيل : فليجز للكافر الذمى أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزنى لأن قوله لا تزن حق فى نفسه فمحال أن يكون حراما عليه ، بل ينبغى أن يكون مباحا أو واجبا.

قلنا : الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث أنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وأما مجرد قوله: لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث أنه نهى عن الزنا ولكن من حيث أنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذى هو أولى بالذل منه فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول : إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن

من حيث أنه نهى ، بل نقول : إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه أن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه فى الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن .

الشرط الرابع : كونه مأذونا :

من جهة الإمام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا الآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد ، فإن الآيات والأخبار التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى ، إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم .

فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا ، بل جوابهم أن يقال لهم : إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج .

فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا ، فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالى وصاحب الأمر .

فنقول : أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف .

إذ لا خلاف في أن تعـريف التحريم والإيجـاب لمن هو جاهل ومـقدم على المنكر بجهله لا يحـتاج إلى إذن الوالى ، وفيه عـز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجـهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي .

وشرح القول في هذا أن الحسبة لها **خمس مراتب** كما سيأتي :

أولها : التعريف .

والثاني : الوعظ بالكلام اللطيف .

والثالث : السب والتعنيف ، ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجرى هذا المجرى .

والرابع : المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه .

والخـــامس: التخويف والتهديد بالضرب ومبـاشرة الضرب له حتى يمنع عـما هو عليه كالمواظب على الغـيبة والقذف فـإن سلب لسانه غيـر ممكن ولكن يحمل على اختـيار السكوت بالضرب ، وهذا قد يحـوج إلى استعانة وجـمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قـتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرا سيأتي.

أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجرى مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل « **أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر** » (٢٣٥٠) .

كما ورد في الحديث .

(٢٣٥٠) حديث : قال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر» **قال العراقي** : يشير إلى ما رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا أخـرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري . اهـ.

=

فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر الملاهي وإراقة الخمور فإنه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام .

وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي .

واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض ، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذاك وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه .

ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة كما روى « **أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة، فقال له مروان : ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه، قال لنا رسول الله ﷺ : من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » (٢٣٥١) .

فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم ؟ .

= **قال مرتضى** : وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه أيضا والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة ورواه أحمد أيضا والنسائي والبيهقي أيضا من حديث طارق بن شهاب .

(٢٣٥١) حديث : « إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد .... » الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعًا : من رأى منكراً .... » الحديث . **قال العراقي** : رواه مسلم .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه : إن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان ترك ذلك يا أبا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله ﷺ من رأى منكرا فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وقد تقدم قريبا حديث رقم ٢٣٣٤ ص٢١١٠ .اهـ.

وروي أن المهدى لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله ، فلما أخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت ، فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له : انظر ما تصنع ، من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (الحج : ٢٥) ، من جعل لك هذا ؟ فنظر فى وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم ، فقال : أعبد الله بن مرزوق؟ قال : نعم ، فأخذ فجيء به إلى بغداد ، فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوس الدواب ، وضموا إليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس ، قال : ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدى المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل ، فأوذن به المهدى فقال له : من أخرجك ؟ فقال: الذى حبسنى ، فضج المهدى وصاح ، وقال: ما تخاف أن أقتلك ؟ فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا ! فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة ، قال : وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحرها .

وروى عن حبان بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبى جعفر فقال له هارون : قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها ، قال : فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : ليس هذا عودى ، فقال للخادم : جئنا بعودها ، قال: فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال: الطريق يا شيخ ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض، فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع ، فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين ، فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين ؟ فقال له : اسمع ما أقول لك ، ثم دخل على هارون فقال : إنى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له: الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به

الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه ، فقال له سليمان بن أبى جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى الدجلة ، فقال : لا ولكن نبعث إليه ونناظره أولا ، فجاء الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : نعم ، قال : اركب قال : لا ، فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر ، فقيل لهارون قد جاء الشيخ ، فقال للندماء : أى شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر ، فقالوا له : نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح ، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ، ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى ، فقال له الخادم : أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين، فقال : من هذا عشائى الليلة ، قال: نحن نعشيك ، قال : لا حاجة لى فى عشائكم ، فقال هارون للخادم : أى شيء تريد منه ؟ قال : فى كمه نوى قلت له : اطرحه وادخل على أمير المؤمنين ، فقال : دعه لا يطرحه ، قال : فدخل وسلم وجلس ، فقال له هارون : يا شيخ ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وأى شيء صنعت ؟ وجعل هارون يستحى أن يقول : كسرت عودى، فلما أكثر عليه قال : إنى سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

(النحل: ٩٠) وأنا رأيت منكرا فغيرته ، فقال: فغيره ، فوالله ما قال إلا هذا ، فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول : قلت لأمير المؤمنين وقال لى ، فلا تعطه شيئا وإن رأيته لا يكلم أحدا فاعطه البدرة ، فلما خرج من القصر إذ هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا ، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة ، فقال : قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هى فى يديه همومـا كلمـا كثرت لديه
تهين المكرمين لهـا بصغـر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفيان الثورى رحمه الله قال : حج المهدى فى سنة ست وستين ومائة ، فرأيته يرمى جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت ، فقلت : يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابى قال : « رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك » (٢٣٥٢) . وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا وشمالا ، فقال لرجل : من هذا ؟ قال : سفيان الثورى ، فقال : يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا ، فقال : لو أخبرك المنصور بما لقى لقصرت عما أنت فيه ، قال : فقيل له : إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك: يا أمير المؤمنين ، فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى .

وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا محتسبا يمشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ولم يكن مأمورا من عنده بذلك ، فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له : إنه بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من غير أن نأمرك ، وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به ، فقال له المحتسب : ارفع قدمك عن

(٢٣٥٢) حديث : قال قدامة بن عبد الله الكلابى رضي الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك » **قال العراقى** : رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأما قوله فى أوله أن الثورى قال : حج المهدى سنة ست وستين ومائة من الهجرة فليس بصحيح فإن الثورى توفى سنة إحدي وستين .اهـ.

قال مرتضى : وهو كما قال ففى طبقات ابن سعد واجتمعوا على أنه أى سفيان توفى بالبصرة سنة إحدي وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون أى يضربون يمينا وشمالا بالسياط ، ليتسع المحل ويتمكن من الرمى ، فوقفت وقلت : يا حسن الوجه حدثنا أيمن بن نابل عن قدامة . . . . فساقه .

أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت ، فلم يفهم المأمون مراده فقال : ماذا تقول ؟ حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم ، فقال : أما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع ، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال : لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ (الحج : ٤١) . فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن، غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ ... الآية (التوبة : ٧١) .

وقال رسول الله ﷺ : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » [(٢٣٥٣)] . وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله ، فإن انقدت لهما شكرت لمن عانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما ، فإن الذى إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا فقل الآن ما شئت، فأعجب المأمون بكلامه وسر به ، وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا ، فاستمر الرجل على ذلك .

ففى سياق هذه الحكايات بيان الدليل على الاستغناء عن الإذن .

فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالى مطلقا كما يثبت للوالد على الولد

(٢٣٥٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة في حديث رقم ١٨٨٢ ص ١٧٠٤ .اهـ.

والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟

فاعلم أن الذى نراه أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل ، ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد .

فنقول : قد رتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما :

التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخريان وهل لـه الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى إلى أذى الوالد وسخطه ؟

هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته ويكسر أوانى الذهب والفضة .

فإن فعله فى هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام .

والأظهر فى القياس أنه يثبت للولد ذلك ، بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر .

وإن كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفى كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر .

فإن قيل : ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف فى الكتاب والسنة ، ورد عاما من غير تخصيص وأما النهى عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات .

فنقول : قد ورد فى حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف فى « **أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه فى الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه فى مقابلته** » (٢٣٥٤) .

وقد ورد فى ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع ، فإذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هى حق على جناية سابقة ، فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هى منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة مع السيد والزوج ، فهما قريبان من الولد فى لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح .

ولكن فى الخبرأنه « **لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** »(★) وهذا يدل على تأكيد الحق أيضا .

(٢٣٥٤) حديث : « الجلاد ليس له أن يجلد أباه فى الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص» ثم قال وثبت بعضها بالإجماع **قال العراقى:** لم أجد فيه إلا حديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذى فيه اضطراب .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وابن الجارود والدارقطنى وقال سنده ضعيف ورواه الدارقطنى أيضا فى الأفراد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقى فى المعرفة وإسناده صحيح وروى الحاكم والبيهقى من حديث عمر بلفظ لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى كتاب النكاح .اهـ.

وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث « أن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور فى بيته يكاد يفضى إلى خرق هيبته واسقاط حشمته » (٢٣٥٥) وذلك محذور ورد النهى عنه .

كما ورد النهى عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه أيضا محذوران ، والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ، ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه .

وأما التلميذ والأستاذ ، فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه ، فله أن يعامله بموجب علمه الذى تعلمه منه .

وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده ؟

فقال : يعظه ما لم يغضب ، فإن غضب سكت عنه .

الشرط الخامس : كونه قادرا :

ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها .

(٢٣٥٥) حديث : « النهى عن الأنكار على السلطان جهرة بحيث يؤدى إلى خرق هيبته » **قال العراقى** : رواه الحاكم فى المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعرى : من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذى عليه والذى له ، قال : صحيح الإسناد وللترمذى وحسنه من حديث أبى بكرة : من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله فى الأرض .اهـ.

قال مرتضى : وتعقب وقد رواه أيضا الطبرانى فى الكبير ورواه البيهقى عن عياض بن غنم وهشام بن حكيم معا ورواه الطبرانى في الكبير بزيادة ومن أكرم سلطان الله فى الأرض اكرمه الله عز وجل وعند أحمد والبخارى والرويانى والبيهقى من أكرم سلطان الله فى الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله فى الدنيا أهانه الله يوم القيامة .

وقال ابن مسعود ﷺ : جاهدوا الكفار بأيديكم ، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهزوا فى وجوههم ، فافعلوا .

واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى ، بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن انكاره لا ينفع فليلتفت إلى **معنيين** :

أحدهما : عدم إفادة الإنكار امتناعا .

والآخر : خوف مكروه .

ويحصل من اعتبار المعنيين **أربعة أحوال** :

أحدها : أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم ، فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم فى بعض المواضع .

نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها ، فإن الإكراه لايكون عذراً فى حق من يقدر على الهرب من الإكراه.

الحالة الثانية : أن ينتفى المعنيان جميعا ، بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه ، فيجب عليه الإنكار وهذه هى القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة : أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لاظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة : عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر أو يضرب

بالعود الذى فى يده ضربة مختطفة فيكسره فى الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب .

ويدل عليه الخبر الذى أوردناه فى فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك فى أن ذلك مظنة الخوف ويدل عليه أيضا ما روى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال : سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت أنى أقتل ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملأ من الناس فخشيت أن يعترينى التزين للخلق ، فاقتل من غير إخلاص فى الفعل .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

قلنا : لا خلاف فى أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك .

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : « **ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه** » (٢٣٥٦) .

(٢٣٥٦) حديث : « قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس التهلكة ذلك وهو أن يرمى المجاهد نفسه فى صف الكفار ويقاتل كما تظنون بل المراد به ترك التفقه في طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا هو فى سائر النسخ وما أراه إلا تصحيفا فإن المروى عن ابن عباس قال ليس التهلكة أن يقاتل الرجل فى سبيل الله ولكن ترك النفقة فى سبيل الله هكذا أخرجه الطبرانى وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عنه وروى مثله عن حذيفة بلفظ ولكن الإمساك عن النفقة فى سبيل الله أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر وأخرجه البخارى عنه وقال نزلت في النفقة وأخرجه ابن جرير عن عكرمة قال نزلت فى النفقات فى سبيل الله فقول المصنف ترك التفقه أما غلط من النساخ أو تصحيف فتأمل ، وقال البراء بن عازب الأنصارى رضي الله عنه هو أن يذنب العبد الذنب ثم يقول لا يتاب علىّ » أى لا تقبل توبتى أخرجه الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر والحاكم وصححه بلفظ هو الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر الله لى وروي مثله عن=

وقال البراء بن عارب ﷺ : التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول : لا يتاب على.

وقال أبو عبيدة : هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك فى الحسبة ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام .

وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراءته، واعتقادهم فى سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة فى سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير فى رفع المنكر أو فى كسر جاه الفاسق أو فى تقوية قلوب أهل الدين .

وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف وبيده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك .

فإن المطلوب أن يؤثر فى الدين أثرا ويفديه بنفسه، فإن تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له ، بل ينبغى أن يكون حراما وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه .

فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه ، فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضى ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة فى شىء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببًا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر ، لأن المقصود

= النعمان بن بشير أخرجه بن مردويه وابن المنذر والطبرانى والواحدى بسند صحيح وقال عبيدة ابن عمرو السلمانى المرادى أبو عمرو الكوفى تابعى كبير مخضرم فقيه ثبت كان شريح إذا أشكل عليه شىء سأله مات قبل السبعين وهو بفتح العين المهملة وكسر الموحدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك أخرجه ابن جرير عنه مرسلا .

عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلا مع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك .

ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك ، فيكون هو مبطلا لمنكر وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس ببعيد .

فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذى تفضى إليه الحسبة والتغيير ، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنسانا وأكله فلا معنى لهذه الحسبة .

نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ما له فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة فى محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده فى ذلك كله.

ولهذه الدقائق نقول : العامى ينبغى له أن لايحتسب إلا فى الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة ، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد ، فالعامى إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالى إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدى ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله .

فإن قيل : وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا تفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه ؟

قلنا : الظن الغالب فى هذه الأبواب فى معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقينى على الظن ويفرق بين العلم والظن فى

مواضع آخر وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد ، فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا فى وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة .

وعموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغى أن لا يسقط الوجوب .

فإن قيل : فالمكروه الذى تتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب فى كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه .

قلنا : إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب ، فإن ذلك ممكن فى كل حسبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال : الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والمكروه هو الذى يظن أو يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الأظهر.

ويحتمل أن يقال : إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف .

فإن قيل : فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة ، فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل ؟

قلنا : التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج ؛ فإن الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سببه قصور فى القوة وتفريط والتهور إفراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة.

وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل فى المزاج بتفريط أو إفراط .

فإن من اعتدل مزاجه فى صفة الجبن والجراءة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جراءته جهله ، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد فى تخذيله وتحليل قوته فى الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب فى حق الشجاع المعتدل الطبع ، فلا التفات إلى الطرفين .

وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته ، وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا .

إذ المبتدئ فى المناظرة والوعظ مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه ، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف فإن صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض فى التقاعد عن بعض الواجبات .

ولذلك قد نقول على رأى : لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن فى ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر فى وجوب الحسبة .

فإن قيل : المكروه المتوقع ما حده ؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة، وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا

ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه فى مجلس يتضرر بقدحه فيه فما حد المكروه الذى يسقط الوجوب به ؟

قلنا : هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد فى ضم نشره وحصر أقسامه .

فنقول : المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق فى الدنيا ترجع إلى **أربعة أمور** :

أما فى النفس فالعلم .

وأما فى البدن فالصحة والسلامة .

وأما فى المال فالثروة .

وأما فى قلوب الناس فقيام الجاه .

فإذًا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ، ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض ، وسيأتى تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه فى ربع المهلكات .

وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به .

ويكره فى هذه **الأربعة أمران** :

أحدهما : زوال ما هو حاصل موجود .

والآخر : امتناع ما هو منتظر مفقود .

أعنى إندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا فى فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر ، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع المكروه إلى **قسمين** :

أحدهما : خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغى أن يكون مرخصا فى ترك الأمر بالمعروف أصلا ولنذكر مثاله فى **المطالب الأربعة** :

أما العلم : فمثال تركه الحسبة على من يختص بأستاذه خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه .

وأما الصحة : فتركه الإنكار على الطبيب الذى يدخل عليه مثلا وهو لابس حريرًا خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة .

وأما المال : فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره فى المستقبل ويترك مواساته .

وأما الجاه : فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها فى المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذى يتوقع منه ولاية.

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجازًا ، وإنما الضرر الحقيقى فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيىء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون فى فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن فى تأخره شدة الضنى به وطول المرض وقد يفضى إلى الموت .

وأعنى بالعلم الظن الذى يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص فى ترك الحسبة .

وأما فى العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا معلما واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر عن أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله .

فإذاً الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد أن يرجح أحدهم ، ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين .

وأما فى المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس فى التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر فى تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له فى السكوت .

وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير ، أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير .

فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ، ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتى فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر .

ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع ، فإن رجح بموجب الدين سمى سكونه مداراة ، وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق .

ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه أنه الدين أو الهوى ، وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو فى فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم وجور ، فما الله بظلام للعبيد .

وأما القسم الثانى : وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر فى جواز السكوت فى الأمور الأربعة إلا العلم ، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره ، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال .

وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم فى الدنيا ويدوم ثوابه فى الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد .

وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب ، فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به فى الحسبة لم تلزمه الحسبة ، وإن كان يستحب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا فى الإيلام بالضرب فهو فى الجرح والقطع والقتل أظهر .

وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه ، فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدى دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد فى القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألمها فى الضرب ، وحد فى الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع فى محل الاشتباه والاجتهاد . وعلى المتدين أن يجتهد فى ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس ، أو يطرح منديله فى رقبته ويدار به فى البلد ، أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح فى الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات .

فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به فى البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له فى السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها فى الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة .

الثانية : ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة

فإن الخروج فى ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب للخيول ، فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشى فى السوق فى ثياب لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة ، وحفظ المروءة محمود ، فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر ، وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان أما فى حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان ، وأما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب ، إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التى ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا ، إذ لا تنفك الحسبة عنه إذا كان المنكر هو الغيبة ، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة ، لأن غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ، ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار .

وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة ، وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له .

وأما امتناعه لخوف شىء من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه، لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين فهو فوقه لأن له أن يسامح فى حقوق نفسه ، وليس له المسامحة فى حق غيره .

فإذاً ينبغى أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب ، فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضى إلى منكر ، وإن كان

يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضاهم ، فإذا كان يؤدى ذلك إلى أذى قومه فليتركه ، وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم ، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور .

نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض .

فإن قيل فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدى إلى قتله فهل يقاتله عليه ؟

فإن قلتم : يقاتل فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف ، وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا .

قلنا : يمنعه عنه ويقاتله ، إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله في الحسبة ليس بمعصية ، وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ، ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية ، وإنما المقصود دفع المعاصي .

فإن قيل : فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه ، فينبغي أن نقتله في الحال حسما لباب المعصية .

قلنا : ذلك لا يعلم يقينا ، ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ، ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه ، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه .

الثانية : ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة

فإن الخروج فى ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب للخيول ، فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشى فى السوق فى ثياب لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشى راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة ، وحفظ المروءة محمود ، فلا ينبغى أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر ، وفى معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان أما فى حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان ، وأما فى غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب ، إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التى ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا ، إذ لا تنفك الحسبة عنه إذا كان المنكر هو الغيبة ، وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه فى الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة ، لأن غيبته أيضا معصية فى حق المغتاب ، ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار .

وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة ، وعظم الخطر فى السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم فى الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر فى الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له .

وأما امتناعه لخوف شىء من هذه المكاره فى حق أولاده وأقاربه فهو فى حقه دونه، لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين فهو فوقه لأن له أن يسامح فى حقوق نفسه ، وليس له المسامحة فى حق غيره .

فإذاً ينبغى أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب ، فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضى إلى منكر ، وإن كان

يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضاهم ، فإذا كان يؤدى ذلك إلى أذى قومه فليتركه ، وذلك كالزاهد الذى له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم ، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور .

نعم إن كان لا ينالهم أذى فى مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات فى تفاحشها ودرجات الكلام المحذور فى نكايته فى القلب وقدحه فى العرض .

فإن قيل فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما يؤدى إلى قتله فهل يقاتله عليه ؟

فإن قلتم : يقاتل فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفا من إهلاك طرف ، وفى إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضا .

قلنا : يمنعه عنه ويقاتله ، إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقتله فى الحسبة ليس بمعصية ، وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتى على قتله فإنه جائز لا على معنى أنا نفدى درهما من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ، ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله فى الدفع عن المعصية ليس بمعصية ، وإنما المقصود دفع المعاصى .

فإن قيل : فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه ، فينبغى أن نقتله فى الحال حسما لباب المعصية .

قلنا : ذلك لا يعلم يقينا ، ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ، ولكنا إذا رأيناه فى حال مباشرة القطع دفعناه ، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتى على روحه .

فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال :

إحداها : أن تكون متصرمة ، فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزيز وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد .

الثانية : أن تكون المعصية راهنة ، وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن، ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية .

الثالثة : أن يكون المنكر متوقعا كالذى يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح ، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ، ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب ، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف فى نفسه معصية ، وإن كان مقصد العاصى وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية فى نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية .

ونعنى بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالبا ، بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فإذا هو علي التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة .

الركن الثانى للحسبة : ما فيه الحسبة

وهو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد ، **فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها.**

الشرط الأول : كونه منكرا :

ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه ، وكذا إن رأى مجنونا يزنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه ، وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس ، بل لو صادف هذا المنكر فى خلوة لوجب المنع منه ، وهذا لا يسمى معصية فى حق المجنون إذ معصية لا عاصى بها محال ، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية .

وقد أدرجنا فى عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة فى الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر، ويجب النهى عنها وفى الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتى فى كتاب التوبة.

الشرط الثانى : أن يكون موجودا فى الحال :

وهو إحتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر ، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المُنكِر واحتراز عما سيوجد فى ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب فى ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضا فإن فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق .

وليتنبه للدقيقة التى ذكرناها وهوأن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ، وما يجرى مجراه .

الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس :

فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيه مشهورة وقد أوردناها فى كتاب آداب الصحبة .

وكذلك ما روى « أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه ، فقال : وما هى ؟ فقال : قد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات:١٢) وقد تجسست ، وقال تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة : ١٨٩) وقد تسورت من السطح ، وقال : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النور : ٢٧) . وما سلمت ، فتركه عمر وشرط عليه التوبة » (٢٣٥٧) .

(٢٣٥٧) حديث: « أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل » أى تسور الحائط ولم يدخل من الباب « فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله تعالى مرة واحدة فقد عصيته من ثلاثة أوجه ، فقال : وما هى ؟ فقال : قد قال الله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسست وقال تعالى : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ وقد تسورت من السطح وقال تعالى : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من طريق ثور الكندى ولفظه : إن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى ، فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر ، فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل علىّ ، إن أكون عصيت الله واحدة فقد عصيت الله فىّ ثلاث ، قال : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسست وقال : ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ وقد تسورت علىّ ودخلت على بغير إذن وقال الله : ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا=

ولذلك شاور عمر الصحابة ﷺ وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه فأشار على ﷺ بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفى فيه واحد .

وقد أوردنا هذه الأخبار فى بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها .

فإن قلت : فما حد الظهور والاستتار ؟

فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار ، فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع ، فهذا إظهار موجب للحسبة .

فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت روائح الخمر ، فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل ، والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهى فإذا رؤى فاسق وتحت ذيله شىء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة ، فإن فسقه لا يدل على أن الذى معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضًا إلى الخل وغيره ، فلا يجوز أن يستدل باخفائه وإنه لو كان حلالا لما أخفاه لأن الأغراض فى الإخفاء مما تكثر وإن كانت الرائحة فائحة .

فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب ، لأن هذه علامة تفيد الظن ، والظن كالعلم فى أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له

= وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ وما سلمت ، قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه ، وقد تقدم فى كتاب الصحبة حديث رقم ١٩٤٤ ص١٧٣٦ .

رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهـرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف.

« وقد أمرنا بأن نستر ما ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته » (٢٣٥٨) .

والإبداء له درجات ، فتارة يبدو لنا بحاسة السمـع ، وتارة بحاسة الشم ، وتارة بحاسـة البصر ، وتارة بحاسـة اللمس ، ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البـصر بل المراد العلم، وهذه الحواس أيضا تفيد العلم .

فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول : أرنى لأعلم ما فيه ، فإن هذا تجسس .

ومعنى التجسس طلـب الأمارة المعرفة فالأمارة المعرفـة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلا .

الشرط الرابع : أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد :

فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر ، وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه فى دار أخذها بشفـعة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد .

نعم لو رأى الشافعـى شافعيا يشـرب النبيذ وينكح بلا ولى ويطأ زوجتـه فهذا فى محل النظر .

(٢٣٥٨) حديث : « أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من أبدى لنا صفحته » .

قال مرتضى : أغـفله العراقى ورواه البخارى من قول عمر ﷺ وأخـرج عبد بن حميد وابن أبى شيبة وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن زيد بن وهب قال أتى ابن مسعود برجل فقيل هذا فلان تقطر لحيته خـمرا فقال عبد الله أنا نهينا عن التجسس ولكن أن يظهر لنا شىء نأخذ به .

والأظهر أنه له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ، ولا أن الذى أدى اجتهاده فى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل .

فإذاً مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه ، وهو أنه يجوز للحنفى أن يعترض على الشافعى إذا نكح بغير ولى بأن يقول له : الفعل فى نفسه حق ولكن لا فى حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ومخالفة ما هو صواب عندك معصية فى حقك وإن كانت صوابا عند الله .

وكذلك الشافعى يحتسب على الحنفى إذا شاركه فى أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له : إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ، ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجه أبوه إياها فى صغره ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته فهو فى الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة .

فينبغى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث أنه حلال فى علم الله قريب من حيث أنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ، ولا شك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحتسب مثلا من مشيئة أو غضب أو غيره ، وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك وليكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فإذا رآه يجامعها ، فعليه المنع أعنى باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم به،

والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ، ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون .

وقد بينا أنه يمنع منه ، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل ، فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله.

فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلا ولى ، وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون المعترض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه.

وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولسنا نقطع بخطأ ترجح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع ، وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا : لا حسبة إلا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما .

ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد فى القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولايمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ، ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا ، فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به.

فإن قلت : إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلا ولى لأنه يرى أنه حق فينبغى أن لا يعترض على المعتزلى فى قوله : إن الله لا يرى وقوله : إن الخير من الله، والشر ليس من الله ، وقوله : كلام الله مخلوق ، ولا على الحشوى فى قوله : إن الله تعالى جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش، بل لا ينبغى أن يعترض على

الفلسفى فى قوله : الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق .

فإن قلت : بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر ، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمسئلة النكاح بلا ولى ومسئلة شفعة الجوار ونظائرهما .

فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب ، وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرمة وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه ، إذ لا يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحدا كمسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ، ونفى الصورة الجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لخطئه الذى هو جهل محض وجه .

فإذًا البدع كلها ينبغى أن تحسم أبوابها ، وتنكر على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم ، وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد .

فإن قلت : فمهما اعترضت على القدرى فى قوله : الشر ليس من الله ، اعترض عليك القدرى أيضا فى قولك : الشر من الله ، وكذلك فى قولك : إن الله يرى ، وفى سائر المسائل .

إذًا المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا ، فكيف يتم الاحتساب ؟

فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان،

وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان ، فإذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره ، فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه.

وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبغى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق ، أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

الركن الثالث : المحتسب عليه

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ، وأقل ما يكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ولا يشترط كونه مكلفا ، إذ بينا أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا إذ بينا أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه .

نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره، ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل ، فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح .

وغرضنا الإشارة إلى الصفة التى بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل .

فإن قلت : فاكتف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا ، فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعا لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة .

فاعلم: أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها .

إذًا الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ، ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبى عن شرب الخمر والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين :

أحدهما : حق الله تعالى فإن فعله معصية .

والثانى : حق المتلف عليه .

فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين .

ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر ، أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه ، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات .

ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال ، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط ، فإنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبى لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب ، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيها له من حيث أنه إنسان محترم .

فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون ، فلا ينبغى أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبى والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد فى منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسنتعرض لما نشير إليه فى الباب الثالث .

فــإن قلت : فكل من رأى بهائم قـد استرسلت فى زرع إنسان فـهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالا لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه ؟

فإن قلتم : إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدى إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طول عمره .

وإن قلـتم : لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغـصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير .

فنقـول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فـيه أن نقول : مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب فى بدنه أو خسران فى ماله أو نقصان فى جاهه وجب عليه ذلك .

فذلك القدر واجب فى حـقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقـوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام .

فإن الأذى فى هذا أكثر من الأذى فى تـرك رد السلام ، بل لا خلاف فى أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شـهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ، ففى معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه .

فأما إن كان عليه تعب أو ضرر فى مال أو جاه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى فى منفعة بدنه ، وفى ماله وجاهه كحق غيره ، فلا يلزمه أن يفدى غيره بنفسه .

نعم الإيثار مـستحب وتجـشم المصاعب لأجل المسلمين قربة فـأما إيجابهـا فلا .

فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعى فى ذلك ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك ، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله

تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لا يضيع من منفعته فى مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير ، فيترجح جانبه لأن الدرهم الذى له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك .

فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير ، فهذا يجب المنع منه وإن كان فيه تعب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية .

وعلى الإنسان أن يتعب نفسه فى دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه فى ترك المعاصى ، والمعاصى كلها فى تركها تعب ، وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهى غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر ، بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المحذورات التى يخافها المحتسب .

وقد اختلف الفقهاء فى مسئلتين تقربان من غرضنا .

إحداهما : أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع فى الحفظ .

والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة فى موضع لو تركها فيه لم تضع ، بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان فى مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط ، وإن كانت فى مضيعة نظر ، فإن كان عليه تعب فى حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل ، فلايلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والملتقط أيضا إنسان وله حق فى أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله ، فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف ، فهذا ينبغى أن يكون فى محل الوجهين.

فقائل يقول : التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى الزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب .

وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد فى حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به .

فإذا كان مجلس القاضى فى جواره لزمه الحضور ، وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا فى غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان فى الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور فى الهاجرة وشدة الحر ، فهذا قد يقع فى محل الاجتهاد والنظر.

فإن الضرر الذى ينال الساعى فى حفظ حق الغير له طرف فى القلة لا يشك فى أنه لا يبالى به ، وطرف فى الكثرة لا يشك فى أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبدا فى محل الشبهة والنظر وهى من الشبهات المزمنة التى ليس فى مقدور البشر إزالتها ، إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن المتقى ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه .

فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

الركن الرابع : نفس الاحتساب

وله درجات وآداب :

أما الدرجات : فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهى ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود .

أما الدرجة الأولى : وهى التعرف :

ونعنى به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذي ذكرناه، فلا ينبغى أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجرى فى داره .

نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر فى داره أو بأن فى داره خمرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ، ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد .

وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادته ففى جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال ، والأولى أن يمتنع لأن له حقا فى أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين ، فهذا أولى ما يجعل مراداً فيه .

وقد قيل : إنه كان نقش خاتم لقمان : الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت.

الدجة الثانية : التعريف :

فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله ، وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادى يصلى ولا يحسن الركوع والسجود ، فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضى بأن لا يكون مصليا لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف ، وذلك لأن فى ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع .

ولذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل، وكيف يجتهد فى مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والطباع

أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح فى صورة النفس وسواد فى وجهه وصاحبه ملوم عليه ، وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ، ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا فى اختياره إزالته وتحسينه ، والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره .

وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلابد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق .

فنقول له : إن الإنسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر فى شرح الصلاة وايضاحها، إنما شرط الصلاة الطمأنينة فى الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء ، فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق .

وأما إذا وقفت على خطأ فى غير أمر الدين ، فلا ينبغى أن ترده عليه ، فإنه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جداً .

الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى :

وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه .

فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فى ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه ، إذ المسلمون كنفس واحدة .

وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها فإنها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل .

فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح فى نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل. وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرّفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته .

فإن فى الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين :

أحدهما : من جهة دالة العلم .

والآخر : من دالة الاحتكام والسلطنة .

وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى وله محك ومعيار ينبغى أن يمتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه ، أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه .

فإن كانت الحسبة شاقة عليه ، ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين وإن كان اتعاظ ذلك العاصى بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة

حسبته فليتق الله تعالى فيه ، وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى .

وقيل لداود الطائى رحمه الله : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، فقال : أخاف عليه السوط ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه السيف ، قال : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين ، وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن :

وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ٦٧) .

ولسنا نعنى بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب ، بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله ، وكقوله يا سوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى ، فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق .

والكيس من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (٢٣٥٩) .

(٢٣٥٩) حديث : قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق» كذا فى النسخ وفى رواية العاجز وفى أخرى بلفظ الفاجر بالفاء « من أتبع نفسه هواها » فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها من مقارفة المنكرات «وتمنى على الله» زاد فى رواية الأمانى **قال العراقى:** رواه الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والحاكم فى الإيمان والعسكرى والقضاعى كلهم من حديث ابن المبارك عن أبى بكر بن أبى مريم الغسانى عن ضمرة بن حبيب عن شداد قال=

ولهذه الرتبة **أدبان** :

أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف .

والثانى : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ، بل يقتصر على قدر الحاجة .

فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغى أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب، بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد :

وذلك ككسر الملاهى وإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ، ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجرى مجراه ، ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض .

فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة وفى هذه الدرجة **أدبان** :

أحدهما : أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك، فإذا أمكنه أن يكلفه المشى فى الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغى أن يدفعه أو يجره ، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهى وحل دروز ثوب الحرير،

= الحاكم: صحيح على طريق البخارى، قال الذهبى: لا والله أبو بكر واه.اهـ. وقال ابن طاهر: مدار الحديث عليه وهو ضعيف جدا ، قال العسكرى : هذا الحديث فيه رد على المرجئة وإثبات للوعيد ، وقال سعيد بن جبير : الاغترار بالله ، المقام على الذنب ورجاء المغفرة .

فلا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه ، فإن فى الوقوف على حد الكسر نوع عسر ، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه فى فعله .

الثانى : أن يقتصر فى طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته فى الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه، وإن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهى والصليب الذى أظهره النصارى ، بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج فى استئناف اصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستئناف من الخشب ابتداء .

وفى إراقة الخمور يتوقى كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا ، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك ، وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر .

فإذا لا تزيد حرمة ملكه فى الظروف على حرمة نفسه ، ولو كان الخمر فى قوارير ضيقة الرءوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر ، وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر ، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان .

فإن قلت : فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل فى الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ فى الزجر ؟

فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضى ، والدفع عن الحاضر الراهن ، وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر ، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية .

نعم الوالى له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول : له أن يأمر بكسر الظروف التى فيها الخمور زجرا « وقد فعل ذلك فى زمن رسول الله ﷺ » (٢٣٦٠) تأكيداً للزجر .

ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة ، فإذا رأى الوالى باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك ، وإذا كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية .

فإن قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصى باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التى فيها يشربون ويعصون ، وإحراق أموالهم التى بها يتوصلون إلى المعاصى .

فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة ، لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها .

وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه .

بل نقول : لو أريقت الخمور أولا فلا يجوز كسر الأوانى بعدها وإنما جاز كسرها تبعا للخمر ، فإذا خلت عنها فهو اتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها فكان الفعل المنقول عن العصر الأول كان مقرونا **بمعنيين :**

أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر .

والآخر : تبعية الظروف للخمر التى هى مشغولة بها .

(٢٣٦٠) حديث : « تكسير الظروف التى فيها الخمور فى زمنه ﷺ » **قال العراقى :** رواه الترمذى من حديث أبى طلحة أنه قال يا نبى الله إنى اشتريت خمرا لأيتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه ليث بن أبى سليم والأصح رواية السدى عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندى قاله الترمذى . اهـ.

وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما .

ومعنى ثالث : وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضا مؤثر فلا سبيل إلى الغائه .

فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف :

كقـوله : دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضـربن رقبتك أو لآمـرن بك وما أشبهه ، وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه .

والأدب فى هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله : لأنهبن دارك ولأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجرى مـجراه ، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام ، وإن قاله عن غير عزم فهو كذب .

نعم إذا تعـرض لوعيـده بالضرب والاسـتخفـاف فله العزم علـيه إلى حد مـعلوم يقتـضيـه الحال وله أن يزيد فى الوعـيد على مـا هو فى عزمه البـاطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة فى مثل ذلك معتاد وهو معنى مبالغة الرجل فى إصلاحه بين شخـصين وتأليفه بين الضرتين ، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا فى معناه ، فإن القصد به اصلاح ذلك الشخص .

وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من اللـه أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف فى الوعيد كرم وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا .

فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا ، وإنما يتصور هذا فى حق العباد وهو كذلك إذ الخلف فى الوعيد ليس بحرام .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل :

وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع .

فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف ، والقاضى قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس وعلم القاضى قدرته على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يراعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له : خل عنها أو لأرمينك فإن لم يخل عنها فله أن يرمى .

وينبغى أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدريج وكذلك يسل سيفه ويقول : أترك هذا المنكر أو لأضربنك ، فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن .

ولا فرق فى ذلك بين مايتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه :

ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ، ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الإختلاف فى احتياجه إلى إذن الإمام .

فقال قائلون : لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدى إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد .

وقال آخرون : لا يحتاج إلى الإذن وهو الأقيس لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني إلى ثوالث وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون .

فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه .

ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعا لأهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب المحق إن قتل مظلومًا فهو شهيد .

وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة لا يغير به قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه.

فالمسئلة إذًا محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق.

بيان آداب المحتسب

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق .

أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه .

والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه ، بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولاً ، فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه .

وأما حسن الخلق : فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه ، والعلم والورع لا يكفيان فيه ، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق .

وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه ، بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم .

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وإن فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها .

ودل على هذه الآداب قوله ﷺ : **«لايأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه ، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه ، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه»** (٢٣٦١) .

(٢٣٦١) حديث : قال ﷺ : « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيا يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه »
قال العراقى : لم أجده هكذا وللبيهقي فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك الديلمى فى مسند الفردوس بلفظ أمره ذلك بمعروف وفيه سلم بن ميمون الخواص أورده الذهبى فى الضعفاء رواه عن زافر وقال ابن عدى لا يتابع على حديثه رواه عن المثير بن صباح قال النسائى متروك عن عمرو بن شعيب مختلف فيه وقد روى الديلمى أيضا من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ هو أقرب لسياق المصنف لا ينبغى للرجل أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر عالم فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى وفى القوت حدثنا عن أبى الربيع الصوفى قال دخلت على سفيان بالبصرة فقلت يا أبا عبد الله أنى أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على المخنثين ونتسلق عليهم الحيطان ، فقال : أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا ، فأنكر ذلك انكارا شديدا وعاب أفعالنا ، فقال=

وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم قال الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت وقد قيل :

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وأتى مثله فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعني بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس .

فقد روى عن أنس ﷺ قال : قلنا يا رسول الله : « **ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله؟ فقال ﷺ : بل مروا بالمعروف وأن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله** »(٢٣٦٢) .

« **وأوصى بعض السلف بنيه فقال : إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه علي الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى**»(٢٣٦٣) .

= واحد : من أدخل هذا ؟ فقلت : إنما دخلت على الطبيب أخبره بدائي ، فانتفض سفيان وقال : إنما هلكنا إذ نحن سقمى فسمينا أطباء ، ثم قال : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من فيه ثلاث خصال : .... فساقها وفيه رفيق وعدل وعالم .

(٢٣٦٢) حديث : قال أنس بن مالك ﷺ : « قلنا: يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعلموا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله» **قال العراقي** : رواه الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا علي تركه .اهـ.

قال مرتضى : والراوى عنه ابنه عبد السلام بن عبد القدوس ضعيف أيضًا .

(٢٣٦٣) حديث : « أوصى بعض السلف بنيه وقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر » أى علي الأذى « وليثق بالثواب من الله » عزوجل « فمن وثق بالثواب من الله » عز وجل « لم يجد مس الأذى » والمكروه. =

فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر .

ولذلك « قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ (لقمان: ١٧) » (٢٣٦٤).

ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة .

فقد روى عن بعض المشايخ أنه كان له سنور ، وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب ، فقال له القصاب : لا أعطيتك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك .

وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ، ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة .

= قال مرتضى : أغفله العراقي والمراد ببعض السلف هنا عمرو بن حبيب الخطمي وكانت له صحبة فإنه أوصى بنيه وقال يا بني إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء إنه من يحلم على السفيه يسر بحلمه ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ... إلخ هكذا أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في التلخيص عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب .

(٢٣٦٤) حديث : « قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال في كتابه العزيز حاكيا عن لقمان عليه السلام ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير في قوله : ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني التوحيد ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يعني الشرك ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ في أمرهما يقول : إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذى وشدة فاصبر عليه إنّ ذلك يعني هذا الصبر على الأذى فيهما من عزم الأمور أي من حد الأمور التي أمر الله بها .

قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة قال : إن التوراة تقول: إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه ، فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم.

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون « **إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى:** ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه:٤٤) » (٢٣٦٥) .

فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم .

فقد روى أبو أمامة ﷺ « **أن غلاما شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : قربوه أدن فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي ﷺ : أتحبه لأمك ؟ فقال : لاجعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لاجعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، أتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد : لا جعلني الله فداك ، وهو ﷺ يقول : كذلك الناس لا يحبونه** - وقالا جميعا في حديثيهما أعنى ابن عوف والراوي الآخر- **فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه ، فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني من الزنا**» (٢٣٦٦) .

(٢٣٦٥) حديث : « قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ أي كنياه لا تنطقوا باسمه » والخطاب لموسى ولأخيه هارون عليهما السلام .

قال مرتضي : أغفله العراقي وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن علي مثل ذلك أخرجه ابن أبي حاتم وروي عن الحسن أنه قال أي اعوزا إليه قولا له أن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة ونارا .

(٢٣٦٦) حديث : قال أبو أمامة ﷺ : « إن شابا » أتي النبي ﷺ « قال : يا رسول الله إئذن لي » وفي نسخة أتأذن لي « في الزنا فصاح الناس به فقال النبي ﷺ قربوا » أي اتركوه=

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان ، فقال الفضيل : ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه ، فقال سفيان : يا أبا على إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين .

وقال حماد بن سلمة رضي الله عنه : « أن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة ، فقال : دعونى أنا أكفيكم ، فقال : يا ابن أخى إن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك يا عم ، قال أحب أن ترفع من ازارك ، فقال: نعم وكرامة فرفع إزاره ، فقال لأصحابه : لو أخذتموه بشدة لقال : لا ولا كرامة وشتمكم» (٢٣٦٧) .

وقال محمد بن زكريا الغلابى : شهدت عبد الله بن محمد ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا فى طريقه غلام من قريش سكران وقد

= «أدن فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى ﷺ اتحبه لأمك فقال لا جعلنى الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلنى الله فداءك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه لاختك » وزاد ابن عوف أى عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله عنه أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحد لا جعلنى الله فداءك وهو ﷺ يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا فى حديثهما أعني ابن عوف والراوي الآخر وهو أبو إمامة «فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شىء أبغض إليه منه » يعنى من الزنا **قال العراقى** : رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح . اهـ.

(٢٣٦٧) حديث : قال حماد بن سلمة رضي الله عنه : « أن صلة بن أشيم مر عليه رجل أسبل ازاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعونى أنا أكفيكم فقال له يا ابن أخى لى إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال أحب أن ترفع من ازارك فقال : نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم » .

قال مرتضى : اغفله العراقى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال : حدثنا يوسف بن يعقوب النجيرى حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد حدثنا ثابت أن صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه ، فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بالسنتهم أخذا شديدا، فقال صلة : دعونى اكفكم أمره ، فقال : يا ابن أخى إن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ قال : أحب أن ترفع ازارك ، قال : نعم ونعم عين فرفع ازاره ، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل ، لو شتمتوه وآذيتموه لشتمكم .

قبض على امرأة ، فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابن أخى ، ثم قال : إلىَّ يا ابن أخى ، فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معى فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه : بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحى منه وبكى وهمّ بالانصراف ، فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه فأدخله عليه فقال له : أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما أنت فيه ، فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهداً يسألنى عنه يوم القيامة أنى لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب ، فقال : ادن منى فقبل رأسه وقال : أحسنت يا بنى ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك لبركة رفقه ، ثم قال: إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكراً ، فعليكم بالرفق فى جميع أموركم تنالون به ما تطلبون .

وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدن فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك فقال: ما أدرى ولكنى حاكنى شيخ وقال لى : إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضعفت لقوله قدماى وهبته هيبة شديدة ولا أدرى من ذلك الرجل ؟ فقالوا له : هو بشر بن الحارث ﷺ فقال : واسوأتاه كيف يُنظر إلىَّ بعد اليوم ، وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع . فهكذا كانت عادة أهل الدين فى الحسبة .

وقد نقلنا فيها آثارا وأخباراً فى باب البغض فى الله والحب فى الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالإعادة ، فهذا تمام النظر فى درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

★★★

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٥

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

الباب الثالث

فى المنكرات المألوفة فى العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع فى حصرها واستقصائها فمن ذلك :

منكرات المساجد :

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة :

فإن قلنا : هذا منكر مكروه ، فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم فى الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه.

وإذا قلنا : منكر محظور ، أو قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا .

فمما يشاهد كثيرا فى المساجد اساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا ينفع النهى معه ومن رأي مسيئا فى صلاته فسكت عليه، فهو شريكه هكذا ورد به الأثر .

وفى الخبر ما يدل عليه إذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها ، أو انحراف عن القبلة بسبب

ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنه ويجب تلقين الصحيح فإن كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به ، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهى قربة تتعدى فائدتها فهى أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذى هو طعمته ، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه .

والذى يكثر اللحن فى القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان ، فإن كان أكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرا منه أيضا وجه ، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم .

ومنها تراسل المؤذنين فى الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات.

فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها ، وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغى أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه فى صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح .

ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد ، أو جماعة فإنه لا فائدة فيه إذا لم يبق فى المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره .

فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف .

ومنها أن يكون الخطيب لابسًا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم ، أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب .

وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا فى العصر الأول ، ولكن إذا لم يرد فيه نهىٌ فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكرها ولكنه ترك للأحب .

ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاص إن كان يكذب فى أخباره فهو فاسق ، والإنكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد اظهار الرد عليه إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه ، فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة .

قال الله تعالى لنبيه : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (الأنعام: ٦٨) .

ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصى وكان الناس يزدادون بكلامه جراءة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم ، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر ﷺ : لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا

واحدا لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه ، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله ، بل لا ينبغى أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا فى الضلال .

ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضًا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن .

فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها : إن رسول الله ﷺ : ما منعهن من الجماعات ، فقالت عائشة رضي الله عنها : « **لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن** » (٢٣٦٨) .

وأما اجتياز المرأة فى المسجد مستترة فلا تمنع منه ، إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا ، وقراءة القراء بين يدى الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه بغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة ، أنكره جماعة من السلف ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات ، وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وانشادهم الأشعار وما يجرى مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات ، وكذا أرباب التعويذات فى الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية ، فهذا حرام فى المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه ، بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشترى فهو حرام .

(٢٣٦٨) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : « لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن أى النساء من بعده لمنعهن المساجد» **قال العراقى** : متفق عليه .اهـ.

قال مرتضى : وخصوصا إذا خرجت المرأة إلى المسجد متزينة معطرة مكحلة فهى فى حكم الزانية كما ورد فى الخبر .

ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض ، وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوش عليهم صلاتهم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه .

فمن المباحات ما يباح بشرط القلة ، فإن كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار ، فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع إلى الوالى أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالى لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد ، وليس للآحاد المنع مما هو مباح فى نفسه لخوفه أن ذلك يكثر ، ومنها دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد .

ولا بأس بدخول الصبى المسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا ، فيجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد فى المسجد .

ولا شك فى أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر إليه ، بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييبا لقلبها إذ قال : دونكم يا بنى أرفدة كما نقلناه فى كتاب السماع .

وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش أو تعاطيهم لما هو منكر فى صورته ككشف العورة وغيره وأما المجنون الهادئ الساكن الذى قد علم بالعادة سكونه وسكوته ، فلا يجب إخراجه من المسجد .

والسكران فى معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعنى القئ أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح ، فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا !

« ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المساجد» (٢٣٦٩) .

ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر فى الخمر أشد ، فإن قال قائل : ينبغى أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا : لا بل ينبغى أن يلزم القعود فى المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين ، فأما لمجرد الرائحة فلا .

نعم إذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره ، فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار أثر السكر ، فإن اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه .

والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس فى موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع ، فلا ينبغى أن يعول عليه.

(٢٣٦٩) حديث : « من أكل الثوم فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المسجد » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى البخارى ومسلم وابن حبان من حديث جابر: من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس، وروى أحمد ومسلم من حديث أبى سعيد : من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئا فلا يقربنا فى المسجد ، وروى عبد الرزاق والطبرانى من حديث العلاء بن خباب بمثل رواية الشيخين عن جابر إلى قوله : فلا يقربن مسجدنا ، وزاد يعنى الثوم ، ورواه أحمد والطبرانى أيضا من حديث معقل بن يسار بلفظ : فلا يقربن مصلانا وزاد الطبرانى من حديث المغيرة : إلا عن عذر ، وقد روى أيضا مثل هذا فى حق البصل والكراث والفجل .

منكرات الأسواق :

من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة واخفاء العيب ، فمن قال: اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق ، وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له فى الخيانة وعصى بسكوته ، وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه وإلا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام .

وكذا التفاوت فى الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره .

ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك فى محل الاجتهاد، فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا فى الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها ، فإنها مفسدة للعقود وكذا فى الربويات كلها وهى غالبة وكذا سائر التصرفات الفاسدة .

ومنها بيع الملاهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة فى أيام العيد لأجل الصبيان، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الأوانى المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير أعنى التى لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محذور .

وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا حرام والمنع منه واجب .

وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو وما يؤدى إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه ، فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره .

منكرات الشوارع :

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق ، فكل ذلك منكر إن كان يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار المارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه .

نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل إلى البيوت ، فإن ذلك يشترك فى الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب ، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة .

والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لأجلها فى العادة دون سائر الحاجات ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس ، فذلك منكر إن أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك ، نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل .

وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت ويلوث الطريق بالدم، فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ فى دكانه مذبحا ، فإن فى ذلك تضييقا بالطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقذار الطباع للقاذورات ، وكذلك طرح القمامة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر .

كل ذلك من المنكرات وكـذلك إرسال المـاء من الميازيب المخـرجة من الحـائط فى الطريق الضيـقة ، فإن ذلك ينجس الثـياب أو يضيق الطريق ، فـلا يمنع منه فى الطرق الواسعـة ، إذ العدول عنه ممكن فأمـا ترك مياه المطر والأوحـال والثلوج فى الطرق من غيـر كسـح فذلك منكر ولكن ليس يختـص به شـخص معين إلا الثلج الذى يختـص بطرحه على الطريق واحد .

والماء الذى يجتـمع على الطريق من ميـزاب معين فعلى صـاحبه على الخـصوص كسح الطريق وإن كان من المطر ، فـذلك حسبة عامة فـعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط .

وكذلك إذا كـان له كلب عقـور على باب داره يؤذى الناس فيجـب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطـريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسـته لم يمنع منه وإن كان يضيق الطريـق ببسطه ذراعيـه ، فيمنع مـنه بل يمنع صاحبـه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع .

منكرات الحمامات :

منها الصور التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب ازالتها على كل من يدخلهـا إن قدر فـإن كان الموضع مـرتفعـا لا تصل إليه يده فـلا يجوز له الـدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر ، فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار ، فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

ومنها الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز ، فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة ، وكذلك كشف العورة للحجام الذمى من الفواحش فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية فى الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال .

ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل ، فإنه منجس للماء إلا علي مذهب مالك ، فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول له : إنا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها فى الماء وأما أنت فمستغن عن إيذائى وتفويت الطهارة علّى ، وما يجرى مجرى هذا فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر .

ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامى إهماله فإنه يفضى إلى السقطة وقد تؤدى السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر .

ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك فى موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذى تركه وبين الحمامى ، إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إيجاب الضمان على تاركه فى اليوم الأول وعلي الحمامى فى اليوم الثانى إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع فى مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفى الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها فى كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

منكرات الضيافة :

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة أو ما رؤسها من فضة .

ومنها إسدال الستور وعليها الصور ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات .

ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم ، فكل ذلك محذور منكر يجب تغييره ، ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له فى الجلوس فى مشاهدة المنكرات .

وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة فليس منكرا وكذا على الأطباق والقصاع لا الأوانى المتخذة على شكل الصور ، فقد تكون رؤس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه ، وفى المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف ، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها .

ومهما كان الطعام حراما أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات ، فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق وإنما النظر فى مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه فى الله ومقاطعته كما ذكرناه فى باب الحب والبغض فى الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان الثوب على صبى غير بالغ فهذا فى محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزاً لعموم قوله ﷺ : **«هذان حرام على ذكور أمتى»** (٢٣٧٠) .

(٢٣٧٠) حديث : قال ﷺ : « هذان » يعنى الحرير والذهب « حرامان على ذكور أمتى » حل لإناثها **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث على وقد تقدم فى الباب الرابع من آداب الأكل حديث رقم ١٣٦٤ ص ١٢١٠ . اهـ.

وكما يجب منع الـصبى من شرب الخمر لا لكونه مكلفـا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصـبر عنه ، فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليـه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يبذر فى صـدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعـسر قلعها بعد البلوغ .

أما الصـبى الذى لا يميز فيضـعف معني التحـريم فى حقه ولا يخلو عن احتـمال والعلم عند الله فيه والمجنون فى معني الصبى الذى لا يميز .

نعم يحل التـزين بالذهب والحـرير للنساء من غـير اسـراف ولا أرى رخصـة فى تثقيب أذن الصبـية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فإن هذا جـرح مؤلم ومثله موجب للقصاص ، فلا يجـوز إلا لحاجة مهمة كالفـصد والحجامة والختان والـتزين بالحلق غير مهم بل فى التقريط بتعليقه على الأذن وفى المخانق والأسورة كفاية عنه .

فهذا وإن كـان معتادا فهـو حرام والمنع منه واجب والاستـئجار عليه غيـر صحيح والأجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جـهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة .

ومنها أن يكون فى الضيافـة مبتدع يتكلم فى بدعته فيجـوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عـزم الرد ، فإن كان لا يقدر عليـه لم يجز ، فإن كان المبـتدع لا يتكلم ببدعـته فيـجوز الحضـور مع إظهار الكراهة عليـه والإعراض عنه كمـا ذكرناه فى باب البغض فى الله ، وإن كان فـيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر ، فـإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور ، وعند الحضور يجب الإنكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فـيه ولا فحش فهـو مباح أعنى ما يـقل منه ، فأما اتخاذه صنعـة وعادة فليس بمباح .

وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات، كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجرى مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق ، فذلك لا يقدح فى العدالة ولا ترد الشهادة به ، وسيأتى حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات .

ومنها الإسراف فى الطعام والبناء فهو منكر بل فى المال **منكران** :

أحدهما : الإضاعة .

والآخر : الإسراف .

فالإضاعة : تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض وإلقاء المال فى البحر وفى معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب وفى أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة .

وأما الإسراف : فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال .

فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة ، فهو مسرف يجب منعه منه .

« قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩) . نزل هذا فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شىء » (٢٣٧١) .

(٢٣٧١) حديث : « قال الله تعالى » خطابا لحبيبه ﷺ : « ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ » يلوم نفسه على ما فات من ماله « ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ » ذهب ماله كله قيل « أنزل هذا فى رجل كان فى المدينة قسم جميع أمواله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شىء ».=

« وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ (الإسراء: ٢٦، ٢٧)

وكذلك قال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ (الفرقان: ٦٧) » (٢٣٧٢) .

فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة ، فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم .

وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول فى التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح فى جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته .

وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها ، فلنقتصر على هذا القدر منها .

= قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال هذا فى النفقة يقول لا تجعلها مغلولة لا تبسطها بخير ولا تبسطها كل البسط يعنى التبذير .

(٢٣٧٢) حديث : « قال تعالى : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ وكذلك قال عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج ابن عدى والبيهقى عن أبى الدرداء رفعه من فقهك رفقك فى معيشتك وأخرج البيهقى عن ابن عمر رفعه الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة وأخرج أحمد فى الزهد عن يونس بن عمير قال كان يقال الاقتصاد فى المعيشة يلقى عنك نصف المعيشة .

المنكرات العامة :

اعلم أن كل قاعد فى بيته أينما كان فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق .

وواجب أن يكون فى كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية .

وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين ، وإلا عم الحرج الكافة أجمعين ، أما العالم فلتقصيره فى الخروج وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك التعلم وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك فى الإثم .

ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع ، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من أهل العلم بها .

ولعمرى الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمرا لابد منه فى صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ ، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء .

وليس للإنسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى وكذا كل من تيقن أن فى

السوق منكرا يجرى على الدوام أو فى وقت بعينه وهو قادر على تغييره ، فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود فى البيت بل يلزمه الخروج ، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه ، فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح .

فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادى من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم ، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا .

ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله على تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

★★★

الباب الرابع

فى أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين فى القول ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما التعريف والوعظ ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر وأما التخشين فى القول كقوله يا ظالم يا من لا يخاف الله ، وما يجرى مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز ، بل مندوب إليه .

فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة .

قال رسول الله ﷺ : « **خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك** » (٢٣٧٣) .

(٢٣٧٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « خير الشهداء » أى من هذه الأمة « حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل » إمام جائر « فأمره ونهاه فى ذات الله » تعالى « فقتله على ذلك» أى لأجل أمره ونهيه **قال العراقى**: رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم فى الباب قبله حديث رقم ٢٣٤٢ ص ٢١١٣ .اهـ.

قال مرتضى : ولكن بلفظ سيد الشهداء وقد تعقبه الذهبى بأن فيه حفيد العطار لا يدرى من هو .اهـ. وقد رواه كذلك الديلمى والضياء المقدسى وقد روى نحوه عن ابن عباس عند=

وقال ﷺ : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » (٢٣٧٤) .

ووصف النبى ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : « **قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق** » (٢٣٧٥) .

= الطبرانى بسند ضعيف وقد روى الحاكم أيضا هـذا الحديث مقتصرا على الجملة الأولى بلفظ سيـد الشهداء عند الله يوم القـيامة حمـزة بن عبد المطلب وقـال فيه أيضا صـحيح الإسناد وتعقبه الذهبى بأن فيه الفضل بن صدقة أبا حماد قال النسائى متروك .

(٢٣٧٤) حديث : قال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » **قال العراقى :** تقدم فى الباب قبله حديث رقم ٢٣٥٠ ص ٢١٢٧ .اهـ.

قال مرتضى : رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد وتفصيل الكلام فيه أن أبا داود رواه فى الملاحم من سننه من طريق محمـد بن حجادة عن عطية العوفى عن أبى سعيد مرفـوعا بلفظ : أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جـائر أو أمير جائر ، ورواه الترمذى فى الفتن من جامعه من هذا الوجـه بلفظ: إن من أعظم الجهاد وذكره بدون أو أمير جائر ، وقال : إنه حسن غريب ، وهو عند ابن ماجه فى الفتن أيضا باللفظ الأول بدون أو أميـر جائر وأخرجه كـذلك من طريق حماد بن سلمـة عن أبى غالب عن أبى أمامـة قال : عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى فـقال : يا رسول الله أى الجهاد أفضل؟ فسكت عنه فلما رمى الجمـرة الثانية سأله فسكت عنه فلما رمى جمـرة العقبة ووضع رجله فى الغرز ليركب قـال اين السائل؟ قال : أنا يا رسول الله ، قـال : كلمة حق عند سلطان جـائر ، وقد علم من ذلك أن الذى أورده المصنـف هو سيـاق حديث أبى أمـامة بعـينه لا حديث أبى سعيد كما يفهم من تخريج **الحافظ العراقى ، أ**خرجه البيهقى فى الشعب قال: وله شاهد مرسل بإسناد جيد ثم ساق ما أخرجه النسائى فى البيعة من سننه من طريق علقمة بن مرثد عن طارق بن شهاب قال : سئل رسول الله ﷺ أى الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة عدل عند إمام جائر، وطارق له رواية فقط فلذلك كان حديثه مرسلا والله أعلم .

(٢٣٧٥) حديث : « وصفـه ﷺ عمر بن الخطاب » رضي الله عنه « بأنه قرن من حـديد لا تأخذه فى الله لومة لائم تركه الحـق ماله من صديق » **قال العراقى :** رواه الترمذى بسند ضعـيف مقتصرا على آخر الحديث من حـديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مـرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبرانى أن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتى » فى التوراة ؟ « قال : أجد نعتك قرنا من حديد ، قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم » .اهـ.

قال مـرتضى : أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حـدثنا سليمان بن أحمد يعنى الطبرانى حدثنا عبد الرحن بن حاتم حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عثمان بن كثير عـ محمد بن مهاجر =

ولما علم المتصلبون فى الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار ، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله ، وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف .

وقد أوردنا جملة من ذلك فى باب الدخول على السلاطين فى كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم .

فمنها ما روى من إنكار أبى بكر الصديق ﷺ على أكابر قريش حين قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء .

وذلك ما روى عن عروة ﷺ قال : « **قلت لعبد الله بن عمرو ﷺ : ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ، فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل ، سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجهه ﷺ ثم مضى ، فمر بهم الثالثة**

= عن العباس بن سالم حدثنى عمر بن ربيعة عن مغيث الأوزاعى أن عمر بن الخطاب ﷺ أرسل إلى كعب فقال له يا كعب كيف تجد نعتى فى التوراة ؟ قال : خليفة قرن من حديد لا يخاف فى الله لومة لائم وحدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا أحمد بن يحيي الحلوانى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا غندر عن الأعمش عن أبى صالح قال : قال كعب لعمر : إنا نجدك شهيدا إنا نجدك إماما عادلا ونجدك لا تخاف فى الله لومة لائم ، قال هذا: لا أخاف فى الله لومة لائم فأنى لى بالشهادة ؟

فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، قال : فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا ، قال : فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا ، أنت الذى تقول كذا ؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، قال: فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت منهم رجلا أخذ بمجامع ردائه ، قال : وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكى ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، قال : ثم انصرفوا عنه ، وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه » (٢٣٧٦).

(٢٣٧٦) حديث : قال عروة بن الزبير رضي الله عنه : « قلت لعبد الله بن عمرو » بن العاص رضي الله عنه « ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا أى عقولنا » أى نسبها إلى السفه « وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على عظيم أو كما قالوا فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله ﷺ ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أتسمعون يا معشر قريش أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح أى بالقتل قال الراوى فأطرق القوم أى طأطؤا رؤسهم إلى الأرض حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع وهو مثل لشدة الإطراق حتى أن أشدهم فيه وقيعة ليرفؤه أى يسكنه بأحسن ما يجد من القول وألينه حتى أنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم أى فاتحكم وواجهكم بما كنتم تكرهون تركتموه فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذى تقول كذا لما بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله ﷺ نعم أنا الذى أقول ذلك قال الراوى فلقد رأيت منهم=

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : « **بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾** (غافر: ٢٨) » (٢٣٧٧) .

وروي أن معاوية ﷺ حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له : يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك ، قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم : مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل ، فقال : إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى ، وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ، وإنى دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم إنه ليس من كدى ولا من كد أبى فهلموا إلى عطائكم** » (٢٣٧٨) .

= رجلا أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكى وليكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط **قال العراقى** : رواه البخاري مختصرا وأورده ابن حبان بتمامه .اهـ.

(٢٣٧٧) حديث : قال عبد الله بن عمرو ﷺ : « بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبى معيط » أحد أشراف قريش « فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر ﷺ فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» **قال العراقى** : رواه البخارى فى الصحيح .اهـ.

قال مرتضى : وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق الحميدى حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبى بكر أتى الصريخ إلى أبى بكر فقيل له أدرك صاحبك فخرج من عندنا وأن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبى بكر فرجع الينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

(٢٣٧٨) حديث : أن معاوية بن أبى سفيان ﷺ حبس العطاء عن أهله مرة وكان على المنبر فقام إليه=

وروي عن ضبة بن محصن العنزى قال : « كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة ، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وأنشأ يدعو لعمر ؓ قال : فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكونى يقول : إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى ، فكتب إليه عمر أن اشخصه إلىّ ، قال : فأشخصنى إليه فقدمت فضربت عليه الباب ، فخرج إلى فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا ضبة ، فقال لى : لا مرحبا ولا أهلا ، قلت : أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصى من مصرى بلا ذنب أذنبته ولا شىء أتيته ؟ فقال : ما الذى شجر بينك وبين عاملى ؟ قال : قلت : الآن أخبرك به ، أنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم أنشأ يدعو لك ، فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له : أين أنت من صاحبه تفضله عليه ، فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكونى، قال : فاندفع عمر ؓ باكيا وهو يقول : أنت والله أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر الله لك ؟ قال : قلت : غفر الله لك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم اندفع باكيا وهو يقول : والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر ، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟ قلت : نعم قال : أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال رسول الله ﷺ : ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من

= أبو مسلم الخولانى فقال له يا معاوية أنه أى المال ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك قال الراوى فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال أن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء » وفى رواية وإنما يطفئ النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى ولا كد أبى فهلموا إلى عطائكم غدا إن شاء الله تعالى » **قال العراقى** : هذا الحديث بقصته رواه أبو نعيم فى الحلية وفيه من لا أعرفه .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن عساكر فى التاريخ.

أفعالك ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك ، قال : فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ، فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك ، قال: فدخل فلم ير فيه شيئا ، فحمله فأدخله وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه ، وجعلن يضربن أبابكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ، ورسول الله ﷺ يقول له : يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبى بكر فهذه ليلته ، وأما يومه فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، فقال بعضهم : نصلى ولا نزكى ، فأتيته لا آلوه نصحا فقلت : يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وارفق بهم ، فقال لى : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام ، فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحى فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ، قال : فقاتلنا عليه ، فكان والله رشيد الأمر ، فهذا يومه ثم كتب إلى أبى موسى يلومه » (٢٣٧٩) .

(٢٣٧٩) حديث : قال ضبة بن محصن العنزى رضي الله عنه : « كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرًا بالبصرة وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وأنشأ يدعو لعمر » بن الخطاب رضي الله عنه « قال : فغاظنى ذلك فقمت إليه فقلت له أين أنت عن صاحبه » يعني أبا بكر رضي الله عنه « تفضله عليه فصنع ذلك جمعًا ثم كتب إلى عمر يشكونى يقول إن ضبة بن محصن العنزى يتعرض لى فى خطبتى فكتب إليه عمر » رضي الله عنه « أن اشخص به إلى » أى وجهه إلى «فاشخصنى إليه فقدمت فدققت عليه الباب فخرج إلى فقال من أنت فقلت أنا ضبة بن محصن العنزى قال فقال : فلا مرحبا ولا أهلا قلت أما الرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل ولا مال فبماذا استحللت أشخاصى من بصرتى » وفى نسخة من البصرة « بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته قال فما الذى شجر بينك وبين عاملى قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكونى قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لى ذنبى غفر الله لك ؟ قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين ثم أندفع باكيا وهو يقول=

= والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليلته قلت نعم قال أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر وجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله ﷺ ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار الذى فى جبل ثور فأنزله فقال والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك قال فدخل فلم يجد به شيئا فحمله وأدخله فى الغار وكان فى الغار خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر رضي الله عنه قدمه مخافة أن يخرج منهن شىء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه وجعلن أى الحيات والأفاعى يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجده ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله عليه سكينته أى الطمانينة لأبى بكر فهذه ليلته وأما يومه فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب وهم ثمانية قبائل منهم فقال بعضهم نصلى ولا نزكى فأتيته لا آلوه نصحا أى أقصر فى نصيحته فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس » أى خذهم بالألفة « وارفق بهم فقال إجبار فى الجاهلية » أى شديد الأسر « خوار فى الإسلام » أى ضعيف فارغ « فبماذا أتلفهم قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحى » أى انقطع نزوله فوالله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » والعقال بالكسر قيل المراد به الحبل الذى تعقل به الناقة وإنما ضرب مثلا لتقليل ما عساهم أن يمنعوه لأنهم كانوا يخرجون الإبل الساعى ويعقلونها بالعقل حتى أخذها كذلك وقيل المراد به نفس الصدقة فكأنه قال لو منعونى شيئا من الصدقة ومنه يقال دفعت عقال عام قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبى موسى الأشعرى يلومه فيما فعله **قال العراقى** : رواه البيهقى هكذا بطوله فى دلائل النبوة بإسناد ضعيف وقصة الهجرة رواها البخارى من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس .... الحديث . اهـ.

قال مرتضى : وأما حديث سد الخرق بقدمه فاخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث عطاء ابن أبى ميمونة عن أنس قال : لما كان ليلة الغار قال أبو بكر : يا رسول الله دعنى لأدخل قبلك فإن كان وجيئة أو شىء كانت بى قبلك ، قال : ادخل ، فدخل أبو بكر فجعل=

وعن الأصمعي رحمه الله قال : « دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته ، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم، فقال له : أجل أفعل ، ثم نهض وقام ، فقبض عليه عبد الملك فقال : يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك ، وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : ما لى إلى مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف » (٢٣٨٠).

= يلتمس بيديه فكلما رأى جحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال : فبقى جحر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال له النبى ﷺ : أين ثوبك يا أبا بكر ؟ فأخبره بالذى صنع فرفع النبى ﷺ يده فقال : اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فأوحى الله إليه أن الله تعالى قد استجاب لك .

(٢٣٨٠) حديث : قال الأصمعي رحمه الله : « دخل عطاء بن أبى رباح على عبدالملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجه فى خلافته فلما بصر به قال : إلىّ وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال : يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق الله فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم ، فقال له : افعل ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك فقال : يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟ فقال : ما لى إلى مخلوق حاجة ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك الشرف » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا أخرجه المزنى فى تهذيب الكمال فى ترجمة عطاء إلا أنه قال فى الأخير هذا وأبيك السودد بدل الشرف .

وقد روى « أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما : قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علىّ ليحدثنى ، فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح - وهو لا يعرفه - فقال له : يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك ، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال : السلام عليك يا وليد ، قال : فغضب الوليد على حاجبه وقال له : ويلك أمرتك أن تدخل إلىَّ رجلا يحدثنى ويسامرنى فأدخلت إلىَّ رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى ، فقال له حاجبه : ما مر بى أحد غيره ، ثم قال لعطاء : اجلس ثم أقبل عليه يحدثه ، فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له : بلغنا أن فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر فى حكمه ، فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه ، فقال عمر لعطاء : قتلت أمير المؤمنين ، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له : يا عمر إن الأمر جدٌّ فَجِدّ ، ثم قام عطاء وانصرف ، فبلغنا عن عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى » (٢٣٨١) .

(٢٣٨١) حديث : « أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل عليه سمت حسن فادخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ إدخل على أمير المؤمنين فإنه آمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه فقال له ويلك أمرتك أن تُدخِل إلىّ رجلا يحدثني ويسامرنى فادخلت إلىّ رجلا لم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره الله لى وهو أمير المؤمنين ، فقال له حاجبه : ما مر بى أحد غيره ، ثم قال لعطاء : اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء أن قال بلغنا أن فى جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر فى حكمه » ولفظ ابن الأثير فى النهاية يسكنه الجبارون « فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع إلى قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه ، فقال عمر: قتلت أمير المؤمنين ، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال : يا عمر إن الأمر جدٌ فجد » أى اجتهد « ثم قام عطاء وانصرف ، فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرجه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء .

وكان ابن أبى شميلة يوصف بالعقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : تكلم ، قال : بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ، فبكى عبد الملك ثم قال : يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن الناس فى القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه ، فبكى عبد الملك ثم قال : لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى ما عشت .

ويروي عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل ، فقال الحجاج : مرحبًا بأبى سعيد إلىّ إلىّ ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبى طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على إبهامه ، فقال : يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا قال : ما عسيت أن أقول ، قال: أخبرنى برأيك فى أبى تراب ؟ قال : سمعت الله جل ذكره يقول : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة :١٤٣) .

فَعَلِيّ ممن هدى الله من أهل الإيمان ، فأقول : ابن عم النبى ﷺ وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها ، وأقول : إن كانت لعلى هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا ، فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا ، قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال : إليك عنى يا عامر ، يقول الناس : عامر الشعبى عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه ، ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكت فسلمت ، قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها

وأنا أعلم ما فيها ، قال الحسن : فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة ، قال : وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه : قال أنت الذى تقول : قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ، قال : نعم ، قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، قال : يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك .

وحكى « أن حطيطا الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ، قال : نعم سل عما بدا لك فإنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال ، إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لاصبرن وإن عوفيت لاشكرن ، قال : فما تقول فىَّ ؟ قال : أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة ، قال : فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال : أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه ، قال: فقال الحجاج : ضعوا عليه العذاب قال فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا ، قال : فقيل للحجاج : إنه فى آخر رمق ، فقال : أخرجوه فارموا به فى السوق ، قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له : حطيط ألك حاجة ؟ قال: شربة ماء ، فأتوه بشربة ثم مات ، وكان ابن ثمانى عشرة سنة رحمة الله عليه » (٢٣٨٢) .

(٢٣٨٢) حديث : « أن حطيطا الزيات » وكان من القوالين بالحق لا يخاف فى الله لومة لائم ، جيء به إلى الحجاج بن يوسف فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم سل عما بدا لك فانى عاهدت الله على المقام » وفى نسخة عند المقام « على ثلاث خصال ، إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لاصبرن وإن عوفيت لاشكرن ، قال : فما تقول فىّ ؟ قال : أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة » بالكسر أى التهمة الباطلة «قال: فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال : أقول : إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه ، قال : فقال الحجاج لاتباعه : ضعوا عليه العذاب ، فعذبوه بأنواع العذاب ، قال الراوى: فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا ، قال:=

وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها ، فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال : هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعنى الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعنى الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن ، فأقبل على الشعبي فقال : يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة ، فهل على في هذا تبعة وفي اشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي : فقلت : أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطئ ويصيب ، قال : فسر بقولي وأعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال : فلله الحمد ، ثم أقبل على الحسن فقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ قال : قد سمعت قول الأمير يقول : إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ، ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة ، وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : « **من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة** » (٢٣٨٣) .

= فقيل للحجاج : إنه في آخر رمق ، قال : أخرجوه » من الحبس « فارموا به في السوق » إهانة له « قال جعفر » راويه « فأتيته أنا وصاحب له فقلنا : حطيط ألك حاجة ؟ قال : شربة ماء ، فأتوه بشربة فشرب ثم مات ، وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله تعالى » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وأخرجه ابن أبي الدنيا .

(٢٣٨٣) حديث : قال الحسن ؓ : قال عبد الرحمن بن سمرة ؓ : قال رسول الله ﷺ :=

ويقول : إنى ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أنى قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه ، يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك ، يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة فى معصية الله وإنى أحذرك بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، فقال ابن هبيرة : أربع على ظلعك أيها الشيخ واعرض عن ذكر أمير المؤمنين ، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته ، فقال الحسن : يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد ، يا ابن هبيرة إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك ، فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه ، قال الشعبى : فقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره

= «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » **قال العراقى** : رواه البغوى فى معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن يسار .اهـ.

قال مرتضى : ورروى عبد الرزاق فى المصنف وأحمد والطبراني وابن عساكر من حديث معقل بن يسار بلفظ : من استرعى رعية فلم يحطهم بنصحية لم يجد ريح الجنة وإن رحيها يوجد من مسيرة مائة عام ، وعند الخطيب عنه بلفظ : من استرعى رعية فغشها لقى ربه وهو عليه غضبان ، وعنده أيضا من حديث ابن سمرة بلفظ : أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شىء ، ويروي أيضا عن الحسن مرسلا بلفظ : من استرعاه الله رعية فمات وهو غاش لها أدخله الله النار ، هكذا رواه الشيرازى فى الألقاب .

وحرمتنا معروفه وصلته ، فقال : إليك عنى يا عامر ، قال : فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربى بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا ، وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم، قال عامر الشعبى : وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه.

ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة فقال له : ما تقول فى القدر ؟ فقال : جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم ، فإن فيهم شغلا عن القدر .

وعن الشافعى ﷺ قال : حدثنى عمى محمد بن على قال : إنى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وفيه ابن أبى ذؤيب وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبى جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال : الحسن يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبى ذؤيب ؟ قال : فسأله فقال : ما تقول فيهم يا ابن أبى ذؤيب ؟ فقال : أشهد أنهم أهل تحطم فى أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعتم ، فقال الغفاريون : يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد، فقال : يا ابن أبى ذؤيب ما تقول فى الحسن بن زيد ؟ فقال : أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه ، فقال : قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبى ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير المؤمنين : اسأله عن نفسك ، فقال : ما تقول فىَّ؟ قال: تعفينى يا أمير المؤمنين ، قال : أسألك بالله إلا أخبرتنى ، قال : تسألنى بالله كأنك لا تعرف نفسك ، قال : والله لتخبرنى ، قال : أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته فى غير أهله ، وأشهد أن الظلم ببابك فاش ، قال : فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده فى قفا ابن أبى ذؤيب فقبض عليه ثم قال له : أما والله لولا أنى جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك ، قال : فقال ابن أبى ذؤيب : يا أمير المؤمنين قد ولى أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية

وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم ، قال : فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال : والله لولا أنى أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبى ذؤيب : والله يا أمير المؤمنين أنى لانصح لك من ابنك المهدى ، قال: فبلغنا أن ابن أبى ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثورى فقال له : يا أبا الحارث لقد سرنى ما خطبت به هذا الجبار ولكن ساءنى قولك له ابنك المهدى ، فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدى كلنا كان فى المهد .

وعن الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو قال : بعث إلىّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل ، فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد على واستجلسنى ثم قال لى: ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعى ؟ قال : قلت : وما الذى تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم ، قال : فقلت : فانظر يا أمير المؤمنين أن لاتجهل شيئا مما أقول لك ، قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له ، قال : قلت : أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به ، قال : فصاح بى الربيع وأهوي بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام ، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه »** (٢٣٨٤) .

(٢٣٨٤) حديث : قال عطية بن بشر ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « أيما عبد جاءته موعظة من الله » وهى التذكير بالعواقب « فى دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر » زاده الله من تلك النعم « وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله عليه بها سخطا » **قال العراقى :** رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ والبيهقى فى الشعب وقد وقع في نسخ الجامع الصغير للجلال السيوطى عن عطية بن قيس وهو غلط والصواب عطية بن بشر كما ذكرنا ولم يتنبه لها الشارح .

يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة»** (٢٣٨٥) .

يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ، إن الله هو الحق المبين ، إن الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﷺ وقد كان بهم رءوفاً رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا ، لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء ، يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ، أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ، وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه .

يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم رضي الله عنه قال : **« كانت بيد رسول ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له : يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا »** (٢٣٨٦) .

(٢٣٨٥) حديث : قال مكحول رضي الله عنه : قال عطية بن ياسر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة » **قال العراقى** : رواه ابن أبي الدنيا فى مواعظ الخلفاء وابن عدى فى الكامل فى ترجمة أحمد بن عبيد . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر في التاريخ وروي ابن عساكر من حديث معقل بن يسار أيما راع غش رعيته فهو فى النار .

(٢٣٨٦) حديث : قال مكحول رضي الله عنه : قال عروة بن رويم رضي الله عنه : « كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بهـا » أى يخوف « المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد مـا هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا » أى خوفا **قال العراقى** : رواه ابن أبي الدنيا فى مواعظ الخلفاء وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ .

فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه .

يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ﷺ « **أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فأتاه جبريل ﷺ فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا ، فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال : اقتص منى ، فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى ، فدعا له بخير** »(٢٣٨٧) .

يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب فى جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ : « **لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها** » (٢٣٨٨) .

(٢٣٨٧) حديث : قال مكحول ﷺ : قال زياد بن جارية ﷺ : قال حبيب بن مسلمة ﷺ : «أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه » وفى نسخة فى خدشة خدشه « أعرابيا لم يتعمده » أى لم يقصد خدشه عمدا « فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال اقتص منى فقال الأعرابى قد أحللتك بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى فدعا له بخير » **قال العراقى :** رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر قال : رأيت رسول الله ﷺ اقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن أبيه طعن رسول الله ﷺ فى خاصرة أسيد بن حضير فقال : أوجعتنى، قال : اقتص . . . . الحديث قال صحيح الإسناد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك من سياق ابن أبى الدنيا البيهقى فى الشعب وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر فى التاريخ .

(٢٣٨٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها » **قال العراقى:** رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء من رواية الأوزاعى معضلا لم يذكر اسناده ورواه البخارى من حديث أنس بلفظ لقاب . اهـ.

قال مرتضى : وجدت بخط الحافظ السخاوى علي طرة هذا الكتاب بل الراوى شك هل قال قاب أو قيد .اهـ. ولفظه الحلية هنا لقاب وروى أحمد عن أبى هريرة مرفوعا لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض .

يا أمير المؤمنين : إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين أتدرى « ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (الكهف: ٤٩) .

قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك » (٢٣٨٩) .

فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن ، يا أمير المؤمنين بلغنى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : **« لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها »** (٢٣٩٠) .

فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ، يا أمير المؤمنين أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص : ٢٦) .

(٢٣٨٩) حديث : « ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك » عبد الله بن عباس ﷺ « ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾ قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا أخرجه ابن مردويه وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى الآية قال الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين والكبيرة القهقهة بذلك .

(٢٣٩٠) حديث : قال عمر بن الخطاب ﷺ : « لو ماتت سخلة » قال تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد والجمع سخال « على شاطئ الفرات لخشيت أن أسأل عنها» .

قال مرتضى : أغفله العراق وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب الحرانى حدثنا يحيى بن عبد الله البابلى حدثنا الأوزاعى حدثنى داود بن على قال : قال عمر لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلى عنها يوم القيامة .

قال الله تعالى فى الزبور : يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى، فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة يا داود إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء ، يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه .

يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى « **أن عمر ابن الخطاب ﷺ استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما ، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله ، قال: لا ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنه بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، لا يفكها إلا عدله ، فيوقف على جسر من النار ، ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا ، فقال له عمر ﷺ : ممن سمعت هذا ؟ قال : من أبى ذر وسلمان ، فأرسل إليهما عمر فسألهما ، فقالا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ ، فقال عمر : واعمراه من يتولاها بما فيها فقال: أبو ذر ﷺ من سلب الله أنفه وألصق خده بالأرض**» (٢٣٩١) .

(٢٣٩١) حديث : قال عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى ﷺ : « أن عمر » بن الخطاب ﷺ «استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ما منعك من الخروج إلى عملك أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك قال أنه بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتافضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد ليحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان ﷺ فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله ﷺ فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبو ذر من سلب الله أنفه وألصق خده بالأرض» **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن سفيان بن الحكم عن أبى وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه وأن بشرا سمعه من النبى ﷺ ولم يذكر فيه سلمان .اهـ. =

قال فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبى ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن ، فقال له النبى ﷺ : « **يا عباس يا عم النبى نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها** » (٢٣٩٢) .

نصيحة منه لعمه وشفقة عليه ، وأخبره أنه لا يغنى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤) .

فقال ﷺ : « **يا عباس ويا صفية عمى النبى ويا فاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا ، إن لى عملى ولكم عملكم** » (٢٣٩٣) .

= **قال مرتضى** : ومن الوجه الذى رواه ابن أبى الدنيا رواه البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ وأما حديث بشر بن عاصم فرواه ابن عساكر فى التاريخ مرفوعا بلفظ إيما وال ولى من أمور المسلمين شيئا وقف به على جسر جهنم فيهتز به الجسر حتى يزول كل عضو منه وفى أمالى أبى القاسم بن بشر أن من حديث على إيما وال ولى أمر أمتى بعدى أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً نجاه الله بعدله وأن كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق الصراط فأول ما يتقى به أنفه وحر وجهه .

(٢٣٩٢) حديث : سأل العباس بن عبد المطلب ﷺ النبى ﷺ امارته على مكة والطائف أو اليمن فقال له النبى ﷺ : «يا عباس يا عم النبى نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها» **قال العراقى**: رواه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء هكذا معضلا بغير إسناد ورواه البيهقى من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال هذا هو المحفوظ مرسلاً .اهـ.

قال مرتضى : ورواه هكذا معضلا البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ ورواه ابن سعد كذلك عن محمد بن المنكدر مرسلا وكذاك عن الضحاك ابن حمزة مرسلا وأما المعضل فمن رواية ابن المنكدر عن جابر .

(٢٣٩٣) حديث : أوحى الله إليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال ﷺ : «يا عباس ويا صفية» عمة النبى « ويا فاطمة » ابنة محمد أنى « لا أغنى عنكم من الله شيئا لى عملى ولكم عملكم » **قال العراقى** : رواه ابن أبى الدنيا هكذا معضلا دون إسناد ورواه البخارى من حديث أبى هريرة متصلا دون قوله : لى عملى ولكم عملكم .اهـ.

قال مرتضى : ورواه معضلا كذاك فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ ورواه أحمد وابن سعد والطبرانى من طريق على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن =

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يقيم أمر الناس إلا خصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولاتأخذه فى الله لومة لائم .

وقال : الأمراء أربعة : فأمير قوى ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه ، فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده** »(٢٣٩٤) .

وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا .

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين « **أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة ، فقال له : يا جبريل صف لى النار ، فقال : إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء**

= جده قال يا رسول الله علمنى شيئا ينفعنى الله به قال يا عباس أنت عمى وأنى لا أغنى عنك من الله شيئا ولكن سل ربك العفو والعافية وروي البيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ يا فاطمة بنت محمد اشترى نفسك من النار فأنى لا أملك لك شيئا يا صفية بنت عبد المطلب يا صفية عمة رسول الله اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة يا عائشة لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق وروى البزار من طريق سماك بن حذيفة عن أبيه رفعه قال يا فاطمة بنت رسول الله اعملى لله خيرا فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة يا عباس يا عم رسول الله اعمل لله خيرا فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة . . . . الحديث وقال البزار لا نعلم لحذيفة ابنا يقال له سماك إلا فى هذا الإسناد وروي الترمذى من حديث عائشة وقال حسن غريب بلفظ يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب أنى لا أملك لكم من الله شيئا سلونى من مالى ما شئتم .

(٢٣٩٤) حديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شر الرعاء » رعاء « الحطمة » فهو الهالك وحده **قال العراقى:** هكذا رواه ابن أبى الدنيا عن الأوزاعى معضلا ورواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزنى متصلا بلفظ : شر الرعاة الحطمة .اهـ.

قال مرتضى: ورواه معضلا كذلك البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر ورواه متصلا أيضا أحمد وأبو عوانة وابن حبان والطبرانى فى الكبير .

مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ، ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ، ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ، ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه ، فبكي النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام بكائه ، فقال : أتبكى يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ، ولم بكيت يا جبرائيل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ قال : أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت ، فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى ، فأكون قد أمنت مكره ، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد : إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما ، وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة » (٢٣٩٥)

(٢٣٩٥) حديث : « بلغنى أن جبريل » عليه السلام « أتى النبى ﷺ فقال : أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار» وفى نسخة بمنافخ وفى **نسخة العراقى** بمسالح النار « وضعت » وفى نسخة : فوضعت «على النار تسعر» أي تسجر وتقاد «ليوم القيامة » أي لأجله « فقال : يا جبريل صف لى النار فقال : إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهيبها وفى نسخة : لا يضيء لهيبها ولا جمرها ، وفى أخرى : ولا يطفأ جمرها ولا لهيبها « والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا » أي دلوا « من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله» عز وجل « وضع على جبال الأرض لذابت وما استقلت » أى ما احتملت «ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشوه خلقه وعظمه فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل لبكائه فقال: أتبكى يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين ، أمين الله على وحيه ، قال : أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد أمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر ملائكة السماء » **قال العراقى** : رواه بطوله ابن أبى الدنيا فى أخبار الخلفاء هكذا معضلا بغير إسناد . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك البيهقى وأبو نعيم وابن عساكر.

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين .

يا أمير المؤمنين : إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وأنه **«من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه»** (٢٣٩٦) .

«فهذه نصيحتى إليك» (٢٣٩٧) .

والسلام عليك ثم نهضت ، فقال لى : إلى أين؟ فقلت : إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله ، فقال : قد أذنت لكِ وشكرت لك نصيحتك وقبلتها ، والله

(٢٣٩٦) حديث : « من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه» .

قال مرتضى : أغفله العراقى فقد روي ابن لال والخرائطى فى مساوى الأخلاق من حديث عائشة من التمس محامد الناس بمعاصى الله عاد حامده من الناس ذامًا.

(٢٣٩٧) حديث : « نصيحة الأوزاعى مع المنصور وموعظته له » **قال العراقى** قصة الأوزاعى هذه مع المنصور وموعظته له وفيه عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بجملتها رواها ابن أبى الدنيا فى كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها فى مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفى إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدى يحدث بمناكير وهو عندى من أهل الصدق وقد تم سرد الأحاديث العشرة المرفوعة بداية من حديث رقم ٢٣٨٤ ص ٢٢٠٨ وحديث رقم ٢٣٨٥ ص ٢٢٠٩ وحديث رقم ٢٣٨٦ ص ٢٢٠٩ وحديث رقم ٢٣٨٧ ص ٢٢١٠ وحديث رقم ٢٣٨٨ ص ٢٢١٠ وحديث رقم ٢٣٩١ ص ٢٢١٢ وحديث رقم ٢٣٩٢ ص٢٢١٣ وحديث رقم ٢٣٩٣ ص ٢٢١٣ وحديث رقم ٢٣٩٤ ص٢٢١٤ وحديث رقم ٢٣٩٥ ص ٢٢١٥ لنذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليعرف صحابى كل حديث أو كونه مرسلاً . اهـ.

قال مرتضى : وقد أورد هذه القصة بتمامها البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر في التاريخ كلاهما فى ترجمة الأوزاعى ولفظ الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن يزيد الحوطى فيما أرى حدثنا محمد بن مصعب القرقساى ح وحدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطى واللفظ له حدثنا محمد بن محمد بن سليمان ومحمد بن مخلد قالا حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح عن محمد بن مصعب القرقساى عن الأوزاعى قال : بعث إلى أبو جعفر أمير المؤمنين . . . . فساقها إلى آخرها كسياق المصنف حرفا بحرف .

الموفق للخير والمعين عليه وبه استعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل ، فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة ، قلت: أفعل إن شاء الله ، قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله ، وقال : أنا فى غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتى بعرض من الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك .

وعن ابن المهاجر قال : قدم أمير المؤمنين المنصور مكة - شرفها الله - حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل ، يطوف ويصلى ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع ، فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه ، فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين ، فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى .

فقال : يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى انبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل ، فقال له : أنت آمن على نفسك ، فقال: الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت ، فقال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى ، قال : وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك؟ يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت

أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك تجبى الأموال ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا ، فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرًا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم من الرعية ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك ، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، فإن جاء ذلك الرجل - فبلغ بطانتك - سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته ، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير - فما بقاء الإسلام وأهله على هذا - ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ، ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك ، فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف .

ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك ، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى ، فقال له وزراؤه : مالك تبكى لابكت عيناك ، فقال: أما أنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا اسمع صوته ، ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم ، فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه ، هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك ، فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة :

إن قلت : أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه ، فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء .

وإن قلت : أجمع المال لأشيد سلطانى فقد أراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد.

وإن قلت : أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح .

يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا ، وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم، وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك ، فماذا تقول إذا انتزع

المُلْكَ - الملكُ الحق المبين - ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا ؟

فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ، ثم قال : يا ليتنى لم أخلق ولم أك شيئا ، ثم قال : كيف احتيالى فيما خُوِّلْتُ فيه ولم أر من الناس إلا خائنا ؟

قال : يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين ، قال : ومن هم ؟ قال: العلماء ، قال : قد فروا منى، قال : هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب ، وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم ، وخذ الشىء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل ، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك .

فقال المنصور : اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل ، وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ، ثم قال للحرسى : عليك بالرجل إن لم تأتنى به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ، فخرج الحرسى يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب فقعد حتى صلى ، ثم قال : ياذا الرجل أما تتقى الله ؟ قال: بلى ، قال : أما تعرفه ؟ قال: بلى ، قال: فانطلق معى إلى الأمير فقد آلى أن يقتلنى إن لم آته بك ، قال : ليس لى إلى ذلك من سبيل ، قال : يقتلنى ، قال : لا ، قال : كيف ؟ قال : تحسن تقرأ، قال: لا ، فأخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شىء ، فقال : خذه فاجعله فى جيبك ، فإن فيه دعاء الفرج قال : وما دعاء الفرج ؟ قال : لا يرزقه إلا الشهداء، قلت : رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله؟ قال : من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له فى رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا

يموت إلا شهيدا تقول : « اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا ، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك علي قبيح عملي ، أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ، أدعوك آمنًا وأسألك مستأنسا ، وإنك المحسن إليّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك ، تتودّد إلي بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي ، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك ، فعد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم » (٢٣٩٨) .

قال : « فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين ، فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه ، فنظر إلي وتبسم ، ثم قال : ويلك وتحسن السحر ، فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ ، فقال : هات الرق الذي

(٢٣٩٨) حديث : دعاء الفرج : « اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بقدرتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا » وفي بعض النسخ بعد فرجا ومن كل ضيق مخرجا «اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلي وإني المسيئ إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إلي بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة منك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم » ولا بأس أن يزيد بعد ذلك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

قال مرتضى : أغفله العراقي وقد أورده الشهاب البوني في كتابه شمس المعارف في ذكر خواص اسمه اللطيف وزاد بعده إنك قلت وقولك الحق ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ .

أعطاك ثم جعل يبكى ، وقال : قد نجوت وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف درهم ، ثم قال : أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ذلك الخضر عليه السلام » (٢٣٩٩) .

(٢٣٩٩) حديث : قال الحرسى فى فوائد دعاء الفرج : « فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال : ويلك وتحسن السحر فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال : هات الرق الذى أعطاك ثم جعل يبكى وقال : قد نجوت وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف درهم ثم قال : أتعرفه ؟ قلت : لا قال : ذلك الخضر عليه السلام » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد أورد الحافظ ابن حجر فى الإصابة هذه القصة في ترجمة الخضر عليه السلام مختصرة جدا وفيه أن أبا جعفر المنصور سمع رجلا يقول فى الطواف : أشكو إليك ظهور البغى والفساد ، فدعاه ووعظه وبالغ ثم خرج فقال : اطلبوه فلم يجدوه، فقال : ذلك الخضر ، وفى كتاب الدعاء للطبرانى : قصة أخرى من طريق محمد بن المهاجر الذى ساق المصنف هذه القصة عنه ، فقال : حدثنا يحيى بن محمد الحمار حدثنا المعلى بن حرمى عن محمد بن المهاجر البصرى حدثنى أبو عبد الله بن التوأم الرقاشى أن سليمان بن عبد الملك أخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف إلى منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به فجعل الرجل لا يأتى بلدة إلا قيل له: كنت تطلب ههنا فلما طال عليه الأمر عزم أن يأتى بلدة لا حكم لسليمان فيها ، فذكر قصة طويلة فبينا هو فى صحراء ليس فيها شجر ولا ماء إذا هو برجل يصلى قال : فخفته ثم رجعت إلى نفسى فقلت والله ما هى راحلة ولا دابة ، قال : فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت إلى فقال: لعل هذا الطاغى أخافك ، قلت : أجل ، قال : فما منعك من السبع ؟ قلت: يرحمك الله وما السبع ؟ قال : قل : سبحان الواحد الذى ليس غيره إله ، سبحان القديم الذى لا بادئ له ، سبحان الدائم الذى لا نفاد له ، سبحان الذى كل يوم هو فى شأن، سبحان الذى يحيى ويميت ، سبحان الذى خلق ما نرى ، وما لا نرى سبحان الذى علم كل شىء بغير تعليم ثم قال: قلها ، فقلتها وحفظتها والتفت فلم أر الرجل ، قال : وألقى الله فى قلبى الأمن ورجعت راجعا من طريقى أريد أهلى ، فقلت : لآتين باب سليمان بن عبد الملك فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس فدخلت وإنه لعلى فرشه فما عدا أن رآنى فاستوي على فراشه ثم أومأ إلى فما زال يدنينى حتى قعدت معه على الفراش ثم قال : سحرتنى وساحر أيضا مع ما بلغنى عنك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما أنا بساحر ولا أعرف السحر ولا سحرتك ، قال: فكيف فما ظننت أنه يتم ملكى إلا بقتلك فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك معى على فراشى ، ثم قال : أصدقنى أمرك ، فاخبرته ، قال : تقول : أبو سليمان الخضر والله الذى لا إله إلا هو علمكها اكتبوا له أمانة واحسنوا جائزته واحملوه إلى أهله .

وعن أبى عمران الجونى قال : لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ، ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف ، وكان مواخيا لسفيان ابن سعيد بن المنذر الثورى قديما ، فهجره سفيان ولم يزره ، فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه ، فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه ، فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان ابن سعيد بن المنذر أما بعد : يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله ، واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك ، وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة ،واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنأنى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى ، وإنى استبطأتك فلم تأتنى وقد كتبت إليك كتابا شوقا منى إليك شديدا ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته ، فقال : على برجل من الباب ، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقانى، فقال: يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به إلى الكوفة ، فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ثم سل عن سفيان الثورى، فإذا رأيته فألق كتابى هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول ، فاحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به ، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان ، فقيل له : هو فى المسجد ، قال عباد : فاقبلت إلى المسجد . فلما رآنى قام قائما وقال :

أعوذ بـالله السمـيع العليم من الشيـطان الرجيم وأعـوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير.

قال عباد : فوقعت الكلمة فى قلبى فخرجت ، فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فـرسى بباب المسـجد ودخلت ، فإذا جـلساؤه قـعود قـد نكسوا رؤسـهم كأنهم لصـوص قد ورد علـيهم السلطان فـهم خائفـون من عقـوبته، فسلمت فـما رفع أحد إلى رأسه وردوا السـلام على برؤس الأصابع فبـقيت واقفـا فما منهم أحد يـعرض على الجلوس ، وقد علانى مـن هيبتهم الرعـدة ومددت عينى إليـهم فقلت : إن المصلى هو سفـيان فرمـيت بالكتاب إليه ، فلمـا رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم ، وأدخل يده فى كمه ولفها بعـباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفـه وقال : يأخذه بعضكم يقرؤه فإنى استغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ، قال عباد : فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه ، وأقـبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته ، قال : اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه ، فقيل له : يا أبا عبد الله إنه خليـفة فلو كتـبت إليه فى قـرطاس نقى ، فقال : اكـتبوا إلى الظـالم فى ظهر كتابه، فـإن كان اكتسبـه من حلال فسوف يجزى به وإن كـان اكتسبه من حـرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شىء مسه ظالم عندنا فيفـسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب ؟ فقال اكتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم من العـبد المذنب سفيان بن سعـيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب حـلاوة الإيمان أما بعد : فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قـد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت مـوضعك فإنك قـد جعلتنى شـاهدا عليك بإقرارك على نـفسك فى كـتابك بما هجـمت به على بيت مـال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهـدنى على نفسك ، أما إنى قد شهدت عليك أنـا وإخوانى الذين شهدوا

قراءة كتابك وستؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى ، يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله تعالى والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ أم هل رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما ، يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون السارق ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ، فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ (الصافات: ٢٢) .

أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وانصافك ، والظالمون من حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق ، وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة على سيئاتك ، بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها ، واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية ، فاتق الله يا هارون فى رعيتك واحفظ محمدا ﷺ فى أمته وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادًا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام .

قال عباد : فألقى إلىّ الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى ، فناديت يا أهل الكوفة فأجابونى فقلت لهم: يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله ، فأقبلوا إلى بالدنانير والدراهم فقلت : لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية ، قال : فأتيت بذلك ونزعت ما كان علىّ من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بى من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لى ، فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول لى: انتفع الرسول وخاب المرسل ما لى وللدنيا ما لى وللملك يزول عنى سريعا، ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلىّ ، فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشهق .

فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره ، فقال هارون : اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه ، ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله .

فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله ، فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولى التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال : حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل ، فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به ، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه ، فقال:

لبيك يا بهلول ، فقال : يا أمير المومنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال : « رأيت النبى ﷺ منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك » (٢٤٠٠) .

وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك ، قال : فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ، ثم قال : يا بهلول زدنا رحمك الله، قال : نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار ، قال : أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة، فقال : اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها ، قال يا بهلول : فإن كان عليك دين قضيناه ، قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم إن قضاء الدين بالدين لا يجوز ، قال : يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيمك ، قال : فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينسانى ، قال : فأسبل هارون السجاف ومضى.

وعن أبى العباس الهاشمى عن صالح بن المأمون قال : دخلت على الحارث المحاسبى رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك ؟ فقال : كان هذا مرة ، قلت له: فاليوم ، قال : أكَاتِمُ حالى إنى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها ، ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علىّ ثم قعد بين يدى ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ، ولا أرى

(٢٤٠٠) حديث : حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال : « رأيت النبى ﷺ منصرفًا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك » **قال العراقى :** رواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصرفًا من عرفة وإنما قالوا : يرمى الجمرة وهو الصواب وقد تقدم فى الباب الثانى حديث رقم ٢٣٥٢ ص ٢١٣١ .اهـ.

لك اجتهاداً فأى شىء عملك ؟ قال : قلت له : كتمان المصائب واستجلاب الفوائد، قال: فصاح وقال : ما علمت أن أحدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته .

قال الحارث : فأردت أن أزيد عليه فقلت له : أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم ؟ قال: فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندى يومين لا يعقل ، ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه ، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له : هذا كفنى قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك ، فقال : هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج ، فقلت له: أين تريد ؟ فقال لى : قم معى ، فلم يزل يمشى حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال : يا ظالم ، أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم ، أستغفر الله من تقصيرى فيك ، أما تتقى الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ، ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب ، فأقبل عليه المأمون وقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم أجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم ، قال : فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومناد ينادى من ولى هذا فليأخذه ، قال الحارث : فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله ، فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى ، فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول : يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم ، قلت : وما فعلوا ؟ قال: الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم ؟ قالوا : الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شىء ، فخرج للأمر والنهى وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده .

وعن أحمد بن إبراهيم المقرى قال : كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه ، وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه ، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى

زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف ، فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف ، فقال للملاح : إيش فى هذه الدنان؟ قال : وإيش عليك امض فى شغلك ، فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته ، فقال له : أحب أن تخبرنى إيش فى هذه الدنان ؟ قال : وإيش عليك أنت والله صوفى فضولي ، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه ، فقال النورى : وهذا خمر ، قال: نعم ، قال : أحب أن تعطينى ذلك المدرى ، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه حتى انظر ما يصنع ، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتي على آخرها إلا دنا واحدا ، والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس فى أنه سيقتله .

قال أبو الحسين : فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه ، فلما رآنى قال : من أنت ؟ قلت : محتسب ، قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قلت: الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنين ، قال : فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلىّ وقال : وما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقلت : شفقة منى عليك إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه ، قال : فاطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلى وقال : كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان ؟ فقلت : فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن ، فقال : هات خبرنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك ، وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى ، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى ان صرت إلى هذا الدن ، فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فمنعت، ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال ، فقال المعتضد: اذهب فقد اطلقنا يدك غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر ، قال أبو الحسين :

فقلت : يا أمير المؤمنين بغض إلىّ التغيير لأنى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى ، فقال المعتضد : ما حاجتك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما ، فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد ، فأقام بالبصرة إلى أن توفى المعتضد ، ثم رجع إلى بغداد .

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها ، وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا ، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر .

والله المستعان على كل حال .

تم بحمد الله كتاب « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

ويتلوه إن شاء الله كتاب « آداب المعيشة وأخلاق النبوة »

★ ★ ★

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات

وفيه ثلاثة عشر بيانًا من جملة أخلاقه ﷺ وآدابه :

(أولاً) : بيان تأديب الله تعالى إياه ﷺ بالقرآن .

(ثانيًا) : بيان جوامع من محاسن أخلاقه ﷺ .

(ثالثًا) : بيان جملة من آدابه ﷺ وأخلاقه .

(رابعًا) : بيان كلامه ﷺ وضحكه .

(خامسًا) : بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى الطعام .

(سادسًا) : بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى اللباس .

(سابعًا) : بيان عفوه ﷺ مع القدرة .

(ثامنًا) : بيان إغضائه ﷺ عما يكره .

(تاسعًا) : بيان سخاوته ﷺ وجوده .

(عاشرًا) : بيان شجاعته ﷺ وبأسه .

(حادى عشر) : بيان تواضعه ﷺ .

(ثانى عشر) : بيان صورته وخلقته ﷺ .

(ثالث عشر) : بيان جوامع معجزاته ﷺ وآياته .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

الحمد لله الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه وترتيبه .

« **وأدب نبيه محمدا ﷺ فأحسن تأديبه** » (٢٤٠١) .

وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا .

أما بعد :

فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والأعمال نتيجة الأخلاق ، والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب ، وهى مغارس

(٢٤٠١) حديث : « أدب نبيه ﷺ بأن أعطاه رياضة النفس وحلاه بأحسن الأخلاق » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج العسكرى فى الأمثال من طريق النسائى عن أبى عمارة عن على ﷺ قال : قدم بنو نهد بن زيد على النبى ﷺ فقالوا : أتيناك من غوراء تهامة وذكر خطبتهم وما أجابهم النبى قال: فقلنا : يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وإنك لتكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال : إن الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر والسدى ضعيف هذا . وفى أدب الإملاء لأبى سعيد ابن السمعانى من حديث ابن مسعود رفعه أن الله أدبنى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق وسنده منقطع وفى الدلائل لثابت السرقسطى أن أبا بكر ﷺ قال : يا رسول الله ما رأيت أنعم منك فمن أدبك ؟ قال: أدبنى ربى ونشأت فى بنى سعد .

الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها .

« ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه » (٢٤٠٢)

ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية .

ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ، ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها ، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات .

فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد ، فأسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدرا ، فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ، ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم.

والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه أولا :

(٢٤٠٢) حديث : « من لم يخشع قلبه بجلال الله وعظمته لم تخشع جوارحه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة أنه ﷺ رأى رجلا يعبث في صلاته فقال : لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

بيان تأديب الله تعالى إياه ﷺ بالقرآن .

ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ﷺ .

ثم بيان جملة من آدابه ﷺ وأخلاقه .

ثم بيان كلامه ﷺ وضحكه .

ثم بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى الطعام .

ثم بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى اللباس .

ثم بيان عفوه ﷺ مع القدرة .

ثم بيان إغضائه ﷺ عما كان يكره .

ثم بيان سخاوته ﷺ وجوده .

ثم بيان شجاعته ﷺ وبأسه .

ثم بيان تواضعه ﷺ .

ثم بيان صورته ﷺ وخلقته .

ثم بيان جوامع معجزاته وآياته ﷺ .

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق .

« فكان يقول ﷺ فى دعائه : **اللهم حسن خلقى وخلقى** » (٢٤٠٣) .

ويقول ﷺ : « **اللهم جنبنى منكرات الأخلاق** » (٢٤٠٤)

(٢٤٠٣) حديث : « كان » رسول الله ﷺ « يقول فى دعائه : اللهم حسن خَلْقى وخُلُقى » . **قال العـراقى :** رواه أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسنت خَلْقِي فأحسن خُلُقِي وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان . اهـ.

قال مرتضى : ووهم من زعم أنه أبو مسعود ولفظه ولفظ أحمد كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى المرآة قال : اللهم أحسنت .... إلخ وفى رواية : اللهم كما حسنت خَلْقى فحسن خُلُقى وفى أخرى فأحسن خلقى وتمسك بهذا الحديث من قال : إن حسن الخلق غريزى لا مكتسب والمختار أن أصول الأخلاق غرائز والتفاوت فى الثمرات وهو الذى به التكليف وروي ابن السنى فى عمل اليوم والليلة من حديث أنس رفعه كان إذا نظر وجهه فى المرآة قال : الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى فحسنها وجعلنى من المسلمين وروى أبو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس رفعه كان إذا نظر فى المرآة قال : الحمد لله الذى حسن خلقى وخلقى وزان منى ما شان من غيرى .

(٢٤٠٤) حديث : قال رسول الله ﷺ : « اللهم جنبنى منكرات الأخلاق » **قال العـراقى :** رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك وقال الترمذى : اللهم إنى أعوذ بك . اهـ.

قال مرتضى : وقطبة بن مالك هو عم زياد بن علاقة روى عنه زياد ولفظ الترمذى وكذا الطبراني فى الكبير اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء ولفظ الحاكم اللهم جنبنى منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء ومنكرات الأخلاق كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها ومنكرات الأعمال الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب وسرقة ونحوها ومنكرات الأهواء الزيغ والانهماك فى الشهوات أى المستلذات والمستحسنات=

فاستجاب الله تعـالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر : ٦٠) .

فأنزل عليه القرآن وأدبه به ، فكان خلقه القرآن .

قال سـعد بن هـشام رضي الله عنه : « دخلت على عائـشة رضي الله عنها وعن أبيهـا فسألتـها عن أخـلاق رسول الله ﷺ فـقالـت : أما تقـرأ القرآن ؟ قلـت : بلى ، قالت : كـان خلق رسول الله ﷺ القرآن » (٢٤٠٥) .

« وإنما أدبه القـرآن بمثل قـوله تـعـالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩) .

وقـوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (النحل : ٩٠) .

وقوله : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧) .

وقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الشورى: ٤٣) .

وقوله : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ١٣) .

= عند النفس لأنه شغل عـن الطاعة يؤدى إلى الأشر والبطر ومنكرات الأدواء من نحـو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب .

(٢٤٠٥) حديث : قال سـعد بن هشام رضي الله عنه : « دخلت على عـائشة » رضي الله عنها « فسألتـها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقـالـت » : أما تقرأ القرآن قلت : بلى قـالـت : « كان خُلُقه » أى خلق رسول الله ﷺ « القرآن » أى مـا دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعـده ووعيده إلى غير ذلك **قال العراقى**: رواه مسلم ووهـم الحاكم فى قوله أنهما لم يخرجاه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وأبو داود .

وقوله : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور: ٢٢) .

وقوله : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤).

وقوله : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٤).

وقوله : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (الحجرات : ١٢) » (٢٤٠٦) .

« ولما كسرت رباعيته وشج يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه الكريم وهو يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (آل عمران: ١٢٨) » (٢٤٠٧) .

(٢٤٠٦) حديث : أدبه القرآن بمثل قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾ .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأمثال ذلك وهى كثيرة وفى أدب الإملاء لابن السمعانى من حديث ابن مسعود رفعه أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ .. الآية وأخرج القشيرى نحوه فى التحبير .

(٢٤٠٧) حديث : « كسرت رباعيته ﷺ » وهو على وزن ثمانية السن التى بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف أيضا « يوم أحد وشج» وجهه « فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه» ولفظ أنس وجعل يمسح وجهه « ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم=

تأديبا له على ذلك .

وأمثال هذه التـأديبات فى القرآن لا تحصر ، وهو ﷺ المقـصود الأول بالتأديب والتهذيب ، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق ، فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به .

ولذلك قال ﷺ : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢٤٠٨) .

= بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فانزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ » . **قال العراقى :** الحديث فى نزول قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ رواه مسلم من حديث أنس وذكره البخارى تعليقا .اهـ.

قال مرتضى: وكذلك رواه ابن اسحاق فى سيرته من طريق حميد عن أنس ورواه أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعى قال : بلغنا أن النبى ﷺ لما جرح يوم أحد أخـذ شيئا فجعل ينـشف دمه وقال : لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السـماء ثم قال : اللهم اغفر لقـومى فإنهم لا يعلمون وفى المواهب اللدنية جرح وجـهه عبد الله بن قميـئة وعتبة بن أبى وقاص أخـو سعد وهو الذى كسر رباعيته وروى ابن هشام من حديث أبى سعيد الخدرى أن عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعيتـه اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبـد الله بن شهاب الزهرى شجه في جبهته وأن ابن قـميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغـفر فى وجنته وفى رواية وهشموا البيضة على رأسه وعند الطبرانى من حديث أبى أمامـة قال : رمي عبد الله بن قميئة رسول الله ﷺ فشج وجهه وكسـر رباعيته فقال : خذها وأنا ابن قمـيئة فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه : أقـمأك الله فسلط الله عليـه تيس جبل فلم يزل يقطمه حتى قطـعه قطعة قطعـة وروى عبـد الرزاق عن معـمر عن الزهرى قـال : ضرب وجـه النبى ﷺ يومـئذ بالسيف سـبعين ضربـة وقاه الله تعالى شـرها كلها قال فـى فتح البارى وهذا مـرسل قوى ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة .

(٢٤٠٨) حديث : قال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » **قال العراقى :** رواه أحمد والحاكم والبيهقى من حـديث أبى هريرة قال الحاكم : صحيح على شرط مـسلم وقد تقدم فى آداب الصحبة حديث رقم ١٧٦١ ص ١٥٩٤ .اهـ.

قال مـرتضى : رواه مـالك فى الموطـأ بلاغـًا عن النبى ﷺ بلفـظ إنمـا بعثـت وقـال ابن عبد البر : هو متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة مرفوعا منها ما أخرجه أحمد في مسنده والخرائطى فى أول مكارم الأخلاق من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صـالح عن أبى هريرة مـرفوعـا بلفظ صـالح الأخلاق ورجـاله رجـال الصحـيح وللطبـزانى فى الأوسط بسند ضعـيف عن جابر مـرفوعا بلفظ إن اللـه بعثنى بتـمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال .

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٦

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده .

ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) .

فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) .

ثم بين رسول الله ﷺ للخلق « أن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها » (٢٤٠٩) .

قال على ﷺ : « يا عجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل : أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم وما هو خير منه ، لما أتى بسبايا طئ وقفت جارية فى السبى فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى ، فقال ﷺ : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا ،

(٢٤٠٩) حديث : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب معالى الأخلاق » وفى لفظ مكارم الأخلاق «ويبغض سفسافها» وفى لفظ ويكره وفى آخر أن الله يحب معالى الأمور وأشرافها، **قال العراقى** : رواه البيهقى من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كريز مرسلا ورجالهما ثقات . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ معالى الأخلاق رواه الطبرانى فى الكبير باللفظ الأخير من حديث الحسين بن على بن أبى طالب وفيه خالد بن الياس ضعيف .

لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق ، فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق » (٢٤١٠) .

(٢٤١٠) حديث : قال على بن أبى طالب ﷺ : « واعجبا لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل : أسمعته من رسول الله ﷺ فقال : نعم وما هو خير منه لما أتى سبايا طيئ وقفت جارية فى السبى » وهى سفانة بنت حاتم الطائى أخت عدى بن حاتم « فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمي الذمار ويفك العانى » أى الأسير « ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال » ﷺ : « يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه» أى لأنه مات فى الجاهلية قبل البعثة «خلوا عنها» أى لأنها كانت مربوطة بحبل خوفا من الفرار «فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق» فاطلقوها فاسلمت وكان ذلك سبب إسلام أخيها عدى وعند ابن سعد أن الذى كان سباها خالد بن الوليد «فقام أبو بردة من نيار فقال يا رسول الله : « الله يحب مكارم الأخلاق فقال : والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق » **قال العراقى :** الحديث وفيه مرفوعًا : لما أتى بسبايا طيئ وقفت جارية فى السبى فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلى عنى .... الحديث ، رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف .اهـ.

قال مرتضى : روى القصة بطولها وفيها الحديث المذكور الخرائطى فى مكارم الأخلاق قال الحافظ فى الإصابة وفى سنده من لا يعرف وقال محمد بن إسحاق فى المغازى أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم فى سبايا طيئ فقدم بها على رسول الله ﷺ فجعلت فى حضيرة بباب المسجد فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة فقالت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال : ومن وافدك قالت : عدى بن حاتم قال : الفار من الله ورسوله ومضى حتى مر ثلاثا قالت : فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامتن علىّ ، من الله عليك قال : قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك فآذنينى فسألت عن الرجل الذى أشار إلى فقيل: على بن أبى طالب وقدم ركب من بلى فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومى قالت : فكسانى رسول الله ﷺ وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت على أخى فقال : ما ترين هذا الرجل قلت : أرى أن تلحق به قال الحافظ فى الإصابة قال ابن الأثير كذا رواه يونس ولم يسم سفانة وسماها غيره ورواه عبد العزيز بن أبى رواد بنحوه وزاد وكانت أسلمت وحسن إسلامها وأخرجه أبو نعيم من طريقه وأخرج قصتها الطبرانى وسماها .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرًا وتوقير ذى الشيبة المسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم » (٢٤١١) .

قال أنس رضي الله عنه : « فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ، ولم يدع غشا أو قال عيبا أو قال شينا إلا حذرنا ونهانا عنه ، ويكفى من ذلك كله هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ .... الآية (النحل: ٩٠) » (٢٤١٢) .

(٢٤١١) حديث : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ومن ذلك حسن المعاشرة مع الناس وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف وإطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا وتوقير ذى الشيبة المسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو عمن اجترأ عليه والإصلاح بين الناس والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف » وفى بعض النسخ واذهب الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل وهما بفتح فسكون التاء وكسر دال دخل لبنى تميم وفتحها لأهل الحجاز وفيه خلاف أوردته فى شرحى على القاموس « والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغى والعدوان والظلم قال العراقى : الحديث بطوله لم أقف له على أصل ويغنى عنه حديث معاذ رقم ٢٤١٤ ص ٢٢٤٧ الآتى بعده. اهـ.

(٢٤١٢) حديث : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « لم يدع ﷺ نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها=

وقال معاذ ﷺ : « أوصاني رسول الله ﷺ فقال : يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية » (٢٤١٣) .

فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .

= وأمرنا بها » ولم يدع غما أو قال : عيبا ولا شينا إلا حذرناه ونهانا عنه ويكفى من ذلك كله هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ . . . الآية **قال العراقى :** لم أقف له على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع .اهـ.

قال مرتضى : والذى يظهر لى من سياق المصنف أن الحديث المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ فتأمل وأخرج ابن النجار فى تاريخه من طريق الحارث العطلى عن أبيه قال : مر علي بن أبى طالب ﷺ بقوم يتحدثون فقال : فيم أنتم ؟ قالوا : نتذاكر المروءة، فقال : أو ما كفاكم الله عز وجل ذاك فى كتابه إذ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ فالعدل الانصاف والإحسان التفضل فما بقى بعد هذا وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة قال: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحبونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيىء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها .

(٢٤١٣) حديث: قال معاذ بن جبل ﷺ : أوصانى رسول الله ﷺ فقال : « يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وإن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » **قال العراقى :** رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقى فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصحبة حديث رقم ١٩١٨ ص ١٧١٩ .اهـ.

قال مرتضى : قال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو بكر بن أبى عاصم حدثنا يعقوب بن حميد حدثنا إبراهيم بن عيينة عن اسماعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله=



= ﷺ : يا معاذ انطلق وارحل راحلتك ثم ائتنى أبعثك إلى اليمن فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن رسول الله ﷺ فأخذ بيدى ثم مضى معى فقال : يا معاذ إنى أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تكذب صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصي إماما عادلا يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر واحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية رواه ابن عمر نحوه أخبرناه الحسن بن منصور الجصى فى كتابه حدثنا الحسن بن معروف حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثنا أبى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : لما أراد النبى ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن ركب معاذ ورسول الله ﷺ يمشى إلى جانبه يوصيه فقال : يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق أوصيك بتقوى الله وذكر نحوه وزاد وعد المريض وأسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف الناس من نفسك وقل الحق ولا تخف فى الله لومة لائم .

قال مرتضى : وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق ركن عن عبد الله الدمشقى عن مكحول الشامى عن معاذ فذكره بطوله مع زيادة قال : والمتهم به ركن قال ابن معين: ليس بشيء وقال النسائي والدارقطني : متروك وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به .

قال مرتضى: والذى ساقه أبو نعيم ليس فيه ركن .

[illegible]

[illegible]

بيان جملة من محاسن أخلاقه ﷺ التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار

فقال : « كان ﷺ أحلم الناس » (٢٤١٤) .

(٢٤١٤) حديث : « كان ﷺ أحلم الناس » **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان رسول الله ﷺ من أحلم الناس.... الحديث وهو مرسل وروى أبو حاتم وابن حبان من حديث عبد الله بن سلام فى قصة إسلام زيد بن سعنة من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب يا عمر : كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اختبرتهما .... الحديث. اهـ.

قال مرتضى : روى هذه القصة أيضا الطبرانى والحاكم وابن حبان والبيهقى وأبو الشيخ فى الأخلاق كلهم من الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام قال : قال زيد بن سعنة ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا إلى أجل فأعطيته الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ثوبه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت له : ألا تقضينى يا محمد حقى فوالله إنكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر : أى عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك ورسول الله ينظر إلي عمر فى سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت : يا عمر كل علامات النبوة كنت قد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما فذكرهما ثم قال : أشهدك أنى قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورجال الإسناد موثقون وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن السرى الراوى له عن الوليد وثقه ابن معين ولينه أبو حاتم وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط قال الحافظ فى الإصابة : وقد وجدت لقصته شاهداً من وجه آخر لكن لم يسم فيه قال ابن سعد : حدثنا يزيد حدثنا جرير بن حازم حدثنى من سمع الزهرى يحدث أن يهوديا قال : فما كان بقى من نعت محمد فى التوراة إلا رأيته إلا الحلم فذكر القصة وقال =

«وأشجع الناس» (٢٤١٥) .

«وأعدل الناس» (٢٤١٦) .

«وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه» (٢٤١٧) .

= الواسطى لما سئل لأى شيء كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق قال : لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحة التمكين والاستقرار .

(٢٤١٥) حديث : « كان » ﷺ « أشجع الناس » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : ولفظهما كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس والاقتصار على هذه الثلاثة من جوامع الكلم فإنها أمهات الأخلاق إذ لا يخلو كل إنسان من ثلاثة قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوية وكمالها الجود والعقلية وكمالها النطق بالحكمة.

(٢٤١٦) حديث : « كان » ﷺ « أعدل الناس » **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى الحديث الطويل فى صفته ﷺ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء .... الحديث وفيه من لم يسم .اهـ.

قال مرتضى : وفى هذا الحديث قبل جملة لا يقصر معتدل الأمر غير مختلف.

(٢٤١٧) حديث : « كان » ﷺ « أعف الناس » أى أكثرهم عفة وهى بالكسر حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة ولذلك قال : « لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له » **قال العراقى** : رواه الشيخان من حديث عائشة ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها .اهـ.

قال مرتضى : أخرجه البخارى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عائشة وأخرجه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق بلفظ قال معمر فأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال : ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها وأخرجه البخارى تعليقا ومسلم والنسائى وابن ماجه من طريق يونس بن يزيد عن الزهرى وفيه قالت عائشة : لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام قالت عائشة : ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله عز وجل وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : قد بايعتكن كلاما هذا لفظ مسلم وأخرجه مسلم وأبو داود من طريق مالك عن الزهرى ما مس=

«وكان ﷺ أسخى الناس» (٢٤١٨) .

« لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه » (٢٤١٩) .

« لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله » (٢٤٢٠) .

= رسول الله ﷺ بيده امرأة قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها فأعطته قال اذهبي فقد بايعتك .

(٢٤١٨) حديث : « كان ﷺ أسخى الناس » أي أكثرهم سخاء ، **قال العراقي** : رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة .... الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله ﷺ أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وقد تقدم في كتاب الزكاة حديث رقم ٦٦٦ ص ٧٢٣ .اهـ.

قال مرتضى : حديث أنس تقدم قريبا وفي حديث آخر سنده ضعيف أنا أجود بني آدم .

(٢٤١٩) حديث : « كان » ﷺ « لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل » أي بقي شيء «ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل » أي أتاه فجأة « لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه » **قال العراقي** : رواه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع ركائب عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده وفيه قال : فضل شيء قلت : نعم ديناران قال : أنظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال : ما فعل الذي قبلك ، قلت : قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقة من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه .... الحديث وللبخاري من حديث عقبة بن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة تبرا فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلا كان لا يقبل مالا عنده ولا يبيته .اهـ.

(٢٤٢٠) حديث : « كان » ﷺ « لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله » **قال العراقي** : متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في كتاب الزكاة حديث رقم ٦٨٨ ص ٧٤٥ . اهـ. =

«لا يسئل شيئا إلا أعطاه» (٢٤٢١) .

ثـم « يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء» (٢٤٢٢) .

= **قال مرتضى** : ولا تعارض بينه وبين ما روى عنه أنه ﷺ كان لا يدخر قوت غد رواه أبو داود والترمذى فإن معناه لنفسه وأما لعياله فقد كان يدخر لهم قوت سنة على أنه مع ذلك كان تنوبه أشياء يخرج منها ما ادخر لهم فلا تنافي بين ادخاره ومضى الزمن الطويل عليه وليس عنده شيء له ولا لهم .

(٢٤٢١) حديث : « كان » ﷺ « لا يسئل شيئا إلا أعطاه » **قال العراقى** : رواه الطيالسى والدارمى من حديث سهل بن سعد وللبخارى من حديثه فى الرجل الذى سأله الشملة فقيل له : سألته أياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا .... الحديث ولمسلم من حديث أنس ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفى الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال : لا . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ لا يسئل شيئا إلا أعطاه أو سكت ولله در القائل حيث يقول يمدحه ﷺ :

ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وروى أحمد من حديث ابن أسيد الساعدى كان لا يمنع شيئا يسأله وكان ﷺ يؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك كما سيأتى للمصنف تفصيله ومن ذلك مما لم يذكره جاءته امرأة يوم حنين أنشدته شعرا تذكره أيام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ما قيمته خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله .

(٢٤٢٢) حديث : « أنه » ﷺ « كان يوثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام » **قال العراقى** : هذا معلوم ويدل عليه ما رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى من حديث ابن عباس أنه ﷺ توفى ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله وقال ابن ماجه : بثلاثين صاعا من شعير وإسناده جيد وللبخارى من حديث عائشة توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين وفى رواية البيهقى : بثلاثين صاعًا من شعير . اهـ.

قال مرتضى : هذا اليهودى هو أبو الشحم والجمع بين الروايتين أنه أخذ منه أولا عشرين ثم عشرة ثم رهنه إياها على الجميع فمن روي العشرين لم يحفظ العشرة الأخرى ومن روى الثلاثين حفظها على ان روايتها أصح وأشهر فكانت أولى بالاعتبار .

« وكان ﷺ يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله» (٢٤٢٣) .

« ويقطع اللحم معهن » (٢٤٢٤) .

« وكان ﷺ أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد » (٢٤٢٥) .

«ويجيب دعوة العبد والحر» (٢٤٢٦) .

(٢٤٢٣) حديث : « كان ﷺ يخصف النعل » أى يصلحها بترقيع وخرز « ويرقع الثوب » أى يضع لما وهى منه رقعة أخرى يخيطها به « ويخدم في مهنة أهله » المهنة بالكسر وأنكرها الأصمعى وقال : الكلام بالفتح ويقال : هو فى مهنة أهله أى فى خدمتهم وخرج فى ثياب مهنته أى فى ثياب خدمته التى يلبسها فى أشغاله وتصرفاته **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عائشة كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ : ويرقع الثوب وللبخارى من حديث عائشة: كان يكون فى مهنة أهله . اهـ.

قال مرتضى : ورَوي الترمذى فى الشمائل كان يفلى ثوبه أى يلقط ما فيه من القمل ونحوه وظاهر ذلك أن نحو القمل كان يؤذى بدنه الشريف إلا أن يقال : لا يلزم من التفلية وجوده بالفعل ونقل ابن سبع أنه لم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .

(٢٤٢٤) حديث : « أنه » ﷺ « كان يقطع اللحم » معهن **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث عائشة ارسل إلينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فامسكت وقطع رسول الله ﷺ أو قالت : فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله ﷺ من سواد بطنها . اهـ.

(٢٤٢٥) حديث : « كان » ﷺ « من أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد » **قال العراقى:** رواه الشيخان من حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها . اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك الترمذى فى الشمائل وقد جمع له ﷺ الغريزى والمكتسب الذى هو مناط التكليف فكان فى الغريزى أشد حياء من البكر فى خدرها ومن ذلك ما روى أنه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد .

(٢٤٢٦) حديث : «كان»ﷺ «يجيب دعوة العبد والحر» **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس كان يجيب دعوة المملوك قال الحاكم : صحيح الإسناد ، قال=

« ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها » (٢٤٢٧) .

« ويأكلها ولا يأكل الصدقة » (٢٤٢٨) .

« ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين » (٢٤٢٩) .

= العراقى : بل ضعيف وللدارقطنى فى غرائب مالك وضعفه والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من حديث أبى هريرة : كان يجيب دعوة العبد إلى أى طعام دعى ويقول : لو دعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم فى حديث رقم ١٣٥٢ ص ١٢٠٢ وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة : كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه .... الحديث وهو مرسل .اهـ.

(٢٤٢٧) حديث : « كان » ﷺ « يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها» قال العراقى : رواه البخارى من حديث عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب ففى الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبى ﷺ وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله ﷺ لبنا .... الحديث وفى الصحيحين من حديث أنس أن أبا طلحة بعث بورك أرنب أو فخذها إلى رسول الله ﷺ فقبله .اهـ.

قال مرتضى : والذى رواه البخارى من جهة قبول الهدية والإثابة عليها رواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذى فى السنن وفى الشمائل .

(٢٤٢٨) حديث : « كان » ﷺ « يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة » قال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم. اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد والطبرانى من حديث سلمان ورواه ابن سعد من حديث عائشة .

(٢٤٢٩) حديث : « كان » ﷺ « لا يستكبر أن يمشى مع المسكين » وفى بعض النسخ لا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين وقال العراقى : رواه النسائى والحاكم من حديث عبد الله بن أبى أوفى بسند صحيح وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة حديث رقم ١٨٩٤ ص ١٧٠٨ ورواه الحاكم أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى وقال : صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ النسائى كان لا يأنف أن يمشى مع الأرملة والمسكين وبهذا يظهر أن الذى فى سياق المصنف من ذكر الأمة تحريف من النساخ والصواب الأرملة ثم وجدت فى =

« ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه »(٢٤٣٠) .

« وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه» (٢٤٣١) .

« عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : أنا لا انتصر بمشرك » (٢٤٣٢) .

= البخارى إن كانت الأمة لتأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت وعند أحمد فتنطلق به فى حاجتها وعنده أيضاً كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجئ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت .

(٢٤٣٠) حديث : « كان » ﷺ « يغضب لربه » عز وجل « ولا يغضب لنفسه » **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .اهـ.

قال مرتضى : ومعناه لا تغضبه العوارض المتعلقة بها الناشئة عن غلبة الهوى والنفس واستيلاء الشيطان على القلب بتزيين زخارفها الزائلة الفانية عنده حتى يؤثرها على الكمالات الباقية وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أى للتمتع بلذاتها وشهواتها وقوله : لم يقم لغضبه أى لم يقاومه شيء لأنه إنما يغضب للحق وهو لا قدرة للباطل على مقاومته وقوله : لا ينتصر لها أى لأنه ليس فيه حظ من حظوظها وشهواتها وإنما تمخضت حظوظه وأغراضه وإرادته لله فهو قائم به ممتثل لما أمره به فيها .

(٢٤٣١) حديث: كان ﷺ « ينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأشار به إلى قصة أبى جندل بن سهيل بن عمرو وهى عند البخارى فى قصة الحديبية وذكرها فى الشروط مطولة كذا وجد بخط الحافظ ابن حجر فى طرة كتاب شيخه .

(٢٤٣٢) حديث : « عرض عليه » ﷺ « الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : أنا لا استنصر بمشرك » وفى نسخة إنا لا ننتصر بالمشركين أو قال بمشرك **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث عائشة خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه قال : جئت لانفعك وأصيب معك قال له: أتؤمن بالله ورسوله قال : لا ، قال : فارجع فلن أستعين بمشرك ..... الحديث .اهـ.=

«ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به» (٢٤٣٣).

«وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع» (٢٤٣٤).

= **قال مرتضى** : وكذلك رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بلفظ إنا لا نستعين بمشرك ورواه أحمد أيضا والبخارى فى التاريخ من حديث خبيب بن سياف بلفظ إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين وروى البيهقى من حديث أبى حميد الساعدى قال : خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى جاوز ثنية الوداع إذا كتيبة خشناء قال من هؤلاء قال عبد الله بن أبى فى ستمائة من مواليه بنى قينقاع قال وقد أسلموا قالوا : لا قال : فليرجعوا إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين .

(٢٤٣٣) حديث : « وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف » أى لم يجر «عليهم» ولا زاد على مر الحق أى لم يتجاوز عن الحق الذى هو مر « فوداه » أى القتيل من عنده « بمائة ناقة وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث سهل بن أبى حثمة ورافع بن خديج والرجل الذى وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصارى . اهـ.

(٢٤٣٤) حديث : « كان » ﷺ « يعصب الحجر على بطنه من الجوع » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث جابر فى قصة حفر الخندق وفيه فإذا رسول الله ﷺ شد على بطنه حجرا وأغرب ابن حبان فقال فى صحيحه إنما هو الحجز بضم الحاء وآخره زاى جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه الترمذى من حديث أبى طلحة شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين ورجاله كلهم ثقات . اهـ.

قال مرتضى : وقد استشكل بما فى الصحيحين أنه ﷺ قال : لا تواصلوا قالوا : إنك تواصل قال : إنى لست كأحدكم إنى أطعم وأسقى وفى رواية يطعمنى ربى ويسقينى وبهذا تمسك ابن حبان فى حكمه ببطلان الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع قال : وإنما هو الحجز بالزاى وهو طرف الإزار وما يغنى الحجر عن الجوع ويجاب بأن هذا خاص بالمواصلة فكان إذا واصل يعطى قوة المطاعم والمشارب أو يطعم ويسقى حقيقة على الخلاف فى ذلك وأما فى غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك فوجب الجمع بين الأحاديث بحمل الأحاديث الناصة على جوعه على غير حالة المواصلة وروى ابن أبى الدنيا أصاب النبى ﷺ جوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : ألا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة .... الحديث وفى الصحيح من حديث جابر أنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية فقالوا للنبى ﷺ هذه كدية عرضت فى =

« ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد» (٢٤٣٥) .

«ولا يتورع عن مطعم حلال» (٢٤٣٦) .

«وإن وجد تمرًا دون خبز أكله» (٢٤٣٧) .

«وإن وجد شواء أكله» (٢٤٣٨) .

= الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا . . .. الحديث وقد رواه أيضا أحمد والنسائي فقد علم بما تقرر أن الصواب صحة الأحاديث وقد رد الضياء المقدسي قول ابن حبان المتقدم في رسالة عد فيها أوهامه وعد ذلك من جملتها . . . .

(٢٤٣٥) حديث : « كان » ﷺ « يأكل ما حضر » لديه « ولا يرد ما وجد » **قال العراقي** : هذا معروف من أخلاقه ﷺ وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرى من رواية الأوزاعي قال : قال رسول الله ﷺ : ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل .اهـ.

قال مرتضى : وقد رواه ابن المبارك في الزهد عن الأوزاعي كذلك .

(٢٤٣٦) حديث : « كان » ﷺ « لا يتورع من مطعم حلال » **قال العراقي** : هذا معروف من أخلاقه ﷺ ففي الترمذي من حديث أم هانئ قالت : دخل على النبي ﷺ فقال : أعندك شيء؟ قلت : لا إلا خبز يابس وخل ، فقال : هات . . . . الحديث وقال حسن غريب ولمسلم من حديث جابر : أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم ، فقالوا : ما عندنا إلا خل فدعا به . . . الحديث .اهـ.

(٢٤٣٧) حديث : « كان » ﷺ « إن وجد تمرا دون خبز أكله » **قال العراقي** : هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى مسلم قال : رأيته مقعيا يأكل تمرات. اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود من حديث أنس قال : كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه .

(٢٤٣٨) حديث : « إن وجد » ﷺ « شواء أكله » **قال العراقي** : هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى الترمذي في السنن وصححه من حديث أم سلمة : أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه . . . . الحديث .اهـ.

قال مرتضى: وكذا في الشمائل من حديث أم سلمة : أنها خرجت إليه جنبًا مشويا فأكل منه . . . . الحديث.

«وإن وجد خبز بر أو شعير أكله» (٢٤٣٩) .

«وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله» (٢٤٤٠) .

«وإن وجد لبنًا دون خبزٍ اكتفى به» (٢٤٤١) .

«وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله» (٢٤٤٢) .

(٢٤٣٩) حديث : « كان » ﷺ « إن وجد خبز بر أو شعير أكله» **قال العراقى :** هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى الشيخان من حديث عائشة ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله، لفظ مسلم وفى رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس : كان أكثر خبزهم الشعير .اهـ.

قال مرتضى : وللطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس : كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير وروى الترمذى فى الشمائل كان يدعى إلى خبز الشعير والأهالة السنخة .

(٢٤٤٠) حديث : « كان » ﷺ « إن وجد حلوا أو عسلا أكله » **قال العراقى :** هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى الشيخان من حديث عائشة : كان يحب الحلواء والعسل .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك روى الأربعة والحلواء يمد ويقصر كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم وقال الخطابى : الحلواء يختص بما دخلته الصنعة وقال ابن سيده : هى ما عولج من الطعام بحلو وقد تطلق على الفاكهة وقال الثعالبى فى فقه اللغة إن حلواءه ﷺ التى كان يحبها هى المجيع وهى تمر يعجن بلبن وقال الخطابى : لم تكن محبته ﷺ للحلواء على معنى كثرة التشهى لها وشدة نزع النفس وإنما كان ينال منها إذا حضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك أنها تعجبه .

(٢٤٤١) حديث: « كان » ﷺ « إن وجد لبنا دون خبز اكتفى به » **قال العراقى :** هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى الشيخان من حديث ابن عباس : أن النبى ﷺ شرب لبنا فدعا بماء فمضمض .اهـ.

(٢٤٤٢) حديث : « كان »ﷺ « إن وجد بطيخا أو رطبا أكله » **قال العراقى :** هذا معروف من أخلاقه ﷺ وروى النسائى من حديث عائشة قالت : كان يأكل الرطب بالبطيخ وإسناده صحيح .اهـ.

قال مرتضى : وروى الحاكم من حديث أنس قال: كان يأكل الرطب ويلقى النوى فى=

«لا يأكل متكئًا» (٢٤٤٣) .

«ولا على خوان » (★) .

« منديله باطن قدميه » (٢٤٤٤) .

«لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى» (٢٤٤٥) .

إيثارًا على نفسه لا فقرًا ولا بخلاً .

« يجيب الوليمة » (٢٤٤٦) .

= الطبق ولفظ الترمذى كان يأكل البطيخ بالرطب وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد والطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر وزاد أبو داود والبيهقى فى حديث عائشة ويقول : يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا وروي الطبرانى فى الأوسط والحاكم وأبو نعيم فى الطب من حديث أنس قال : كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه .

(٢٤٤٣) حديث : « أنه » ﷺ « كان لا يأكل متكئا » **قال العراقى :** تقدم فى الباب الأول من كتاب آداب الأكل .اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد من حديث ابن عمر وكان لا يأكل متكئا ولا يطأ عقبه رجلان .

(★) **قال العراقى :** هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الأول من كتاب الأكل .اهـ.

(٢٤٤٤) حديث : « كان » ﷺ «منديله باطن قدمه» **قال العراقى:** لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه من حديث جابر : كنا زمان رسول الله ﷺ قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم فى الطهارة. اهـ.

(٢٤٤٥) حديث : « كان » ﷺ « لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله » عز وجل **قال العراقى :** رواه الشيخان من حديث عائشة ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وقد تقدم قريبا حديث رقم ٢٤٣٩ ص ٢٢٥٦ . اهـ.

(٢٤٤٦) حديث : « كان » ﷺ « يجيب الوليمة » وهى طعام العرس **قال العراقى :** هذا معروف من أخلاقه ﷺ وتقدم قوله : لو دعيت إلى كراع لأجبت فى حديث رقم ١٣٥١ ص ١٢٠٢ وحديث رقم ١٣٥٤ ص ١٢٠٤ وفى الأوسط للطبرانى من حديث ابن عباس : أنه=

«ويعود المرضى ويشهد الجنائز» (٢٤٤٧) .

«ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس» (٢٤٤٨) .

«أشد الناس تواضعًا» (٢٤٤٩) .

= كان الرجل من أهل العوالى ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب وإسناده ضعيف . اهـ.

(٢٤٤٧) حديث : « كان » ﷺ « يعود المريض ويشهد الجنازة » **قال العراقى** : روى الترمذى وضعفه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أنس ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف وقال : صحيح الإسناد وفى الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز . اهـ.

قال مرتضى : منها حديث جابر عندهما قال : مرضت فأتانى النبى ﷺ يعودنى وأبو بكر ﷺ وهما ماشيان .... الحديث وقد أخرجه الشيخ أبو داود ، كان ﷺ يعود المريض حتى لقد عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فأسلم الأول وقصته فى البخارى وروى أبو داود من حديث عائشة كان يعود المريض وهو معتكف .

(٢٤٤٨) حديث : « كان » ﷺ « يمشى وحده بين أعدائه بلا حارس » **قال العراقى** : رواه الترمذى والحاكم من حديث عائشة كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فأخرج رأسه من القبة فقال : انصرفوا فقد عصمنى الله قال الترمذى : غريب وقال الحاكم : صحيح الإسناد . اهـ.

(٢٤٤٩) حديث : « كان » ﷺ « أشد الناس تواضعا » **قال العراقى** : روى أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته ﷺ هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قال : متواضع فى غير ذلة وفيه : دائب الإطراق وإسناده ضعيف وفى الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند النسائى من حديث ابن أبى أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين .... الحديث وقد تقدم فى حديث رقم ١٨٩٤ ص ١٧٠٨ . اهـ.

قال مرتضى : ومنها ما روى عن عائشة : ما كان أحسن خلقا منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال : لبيك وكان يركب الحمار ويردف خلفه وفى مختصر السيرة للطبرى أنه كان ركب حمارا عريا إلى قباء ومعه أبو هريرة فقال : أحملك فقال : ما شئت يارسول الله فقال : اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به ﷺ فوقعا جميعا ثم ركب وقال له =

«وأسكنهم فى غير كبر» (٢٤٥٠) .

«وأبلغهم فى غير تطويل» (٢٤٥١) .

«وأحسنهم بشرا» (٢٤٥٢) .

= مثل ذلك ففعل فوقعا جميعا ثم ركب فقال له مثل ذلك فقال : لا والذى بعثك بالحق ما رميتك ثالثا وأنه كان فى سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل : على ذبحها وقال آخر : على سلخها وقال آخر : على طبخها فقال ﷺ : على جمع الحطب فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل فقال : قد علمت أنكم تكفونى ولكن أكره أن أتميز عليكم وإن الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه . اهـ. وروى ابن عساكر القصة الأخيرة مختصرة وروى أيضا أنه ﷺ كان فى الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه: ناولنى أصلحه لك فقال : هذه أثرة ولاأحب الأثرة وفى الشفاء أنه ﷺ خدم وفد النجاشى فقال له أصحابه : نكفيك فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم فكل هذه الأخبار دالة على شدة تواضعه ﷺ .

(٢٤٥٠) حديث : « كان ﷺ أسكنهم » أى أكثرهم سكونا « من غير كبر » **قال العراقى** : روى أبو داود من حديث البراء : فجلس وجلسنا كأن على رؤسنا الطير .... الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك : أتيت النبى ﷺ وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير . اهـ.

قال مرتضى : وفى الشمائل للترمذى أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فإذا سكت تكلموا وفى الشمائل لأبى الحسن بن الضحاك من حديث أبى سعيد الخدرى دائب الإطراق وسنده ضعيف .

(٢٤٥١) حديث : « كان ﷺ أبلغ الناس » أى أكثرهم بلاغة فى الكلام « من غير تطويل » **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث عائشة كان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخارى ووصله مسلم زاد الترمذى ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير . اهـ.

(٢٤٥٢) حديث : «كان» ﷺ «أحسنهم بشرا» **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق .... الحديث وله فى الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وقال غريب ، **قال العراقى** : وفيه ابن لهيعة . اهـ.

«لا يهوله شيء من أمور الدنيا» (٢٤٥٣) .

«ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيًا ومرة جبة صوف ، وما وجد من المباح لبس» (٢٤٥٤) .

«وخاتمه فضة» (٢٤٥٥) .

«يلبسه فى خنصره الأيمن» (٢٤٥٦)

«والأيسر» (٢٤٥٧) .

(٢٤٥٣) حديث : «كان» ﷺ «لا يهوله شيء من أمور الدنيا» يقال : هاله الشيء إذا راعه وأعجبه **قال العراقى** : روى أحمد من حديث عائشة : ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذو تقى وفى لفظ له ما أعجب النبى ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى وفيه ابن لهيعة .اهـ.

(٢٤٥٤) حديث : « كان » ﷺ « يلبس ما وجد » من غير قيد « فمرة » يلبس « شملة ومرة » برد «حبرة» يمانية «ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس» **قال العراقى** : روى البخارى من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة ببردة ، قال سهل : هل تدرون ما البردة ؟ هى الشملة منسوج فى حاشيتها وفيه فخرج إلينا وإنها لإزاره . . . . الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ صلى فى شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين .اهـ.

(٢٤٥٥) حديث : كان ﷺ « خاتمه فضة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة .اهـ.

(٢٤٥٦) حديث : « لبسه » ﷺ « الخاتم فى خنصره الأيمن » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أنس : أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة فى يمينه ، وللبخارى من حديثه فإنى لأرى بريقه فى خنصره .اهـ.

قال مرتضى : رواه بلفظ مسلم أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أنس.

(٢٤٥٧) حديث : « تختمه » ﷺ « فى الإيسر » لبيان الجواز **قال العراقى** : روى مسلم من حديث أنس كان خاتم النبى ﷺ فى هذه وإشار إلى الخنصر من يده اليسرى. اهـ. =

«يردف خلفه عبده» (٢٤٥٨) .

«أو غيره» (٢٤٥٩) .

«يركب ما أمكنه مرة فرسًا» (٢٤٦٠) .

«ومرة بعيرًا» (٢٤٦١) .

«ومرة بغلة شهباء» (٢٤٦٢) .

= قال مرتضى : وروى أحمد من حديث أنس بمثل رواية مسلم ، ورواه أبو داود من حديث عمر : كان ﷺ يتختم في يساره .

(٢٤٥٨) حديث : « إردافه » ﷺ « خلفه عبده أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة » **قال العراقي**: كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه. اهـ.

(٢٤٥٩) حديث : كان ﷺ « يردف غيره» **قال العراقي** : أردف الفضل بن عباس من المزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة . اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود وغيره أن قيس بن سعد صحبه راكبا حمار أبيه فقال له : اركب فأبى فقال : إما أن تركب وإما أن تنصرف وفي رواية اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وتقدم ركوب أبي هريرة خلفه على حمار عرى وهو متوجه إلى قباء عن السيرة الطبرية قريبا في حديث رقم ٢٤٤٩ ص ٢٢٥٨ .

(٢٤٦٠) حديث : « كان » ﷺ « يركب ما أمكنه مرة فرسا » **قال العراقي** : روى الشيخان من حديث أنس ركوبه ﷺ فرسا لأبي طلحة ولمسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عريا حين انصرف من جنازة ابن الدحداح ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبي ﷺ فرس يقال له اللحيف . اهـ.

(٢٤٦١) حديث : « كان » ﷺ « يركب بعيرا » **قال العراقي** : روى الشيخان من حديث ابن عباس : طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير . اهـ.

قال مرتضى : وروى الشيخان من حديث البراء .

(٢٤٦٢) حديث : « كان ﷺ يركب بغلة شهباء » **قال العراقي** : روى الشيخان من حديث البراء: رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء يوم حنين . اهـ.

«ومرة حماراً» (٢٤٦٣) .

« ومرة يمشي راجلاً » (٢٤٦٤) .

«حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة » (٢٤٦٥) .

« يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة» (٢٤٦٦) .

«ويجالس الفقراء » (٢٤٦٧) .

(٢٤٦٣) حديث : « كان »ﷺ « يركب حمارا » **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث أسامة: أنه ﷺ ركب على حمار على أكاف .... الحديث .اهـ.

(٢٤٦٤) حديث : «كان»ﷺ « راجلاً » أى ماشيا على الرجل **قال العراقى** : وروى الشيخان من حديث ابن عمر : كان يأتى قباء راكبا وماشيا .اهـ.

(٢٤٦٥) حديث : « كان »ﷺ « يمشى حافيا » أى بلا نعل « وبلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة » **قال العراقى** : روى مسلم من حديث ابن عمر فى عيادته ﷺ لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانيس ولا قمص نمشى فى السباخ .... الحديث. اهـ.

(٢٤٦٦) حديث : « كان » ﷺ « يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الرديئة » وفى نسخة الرائحة الرديئة **قال العراقى** : روى النسائى من حديث أنس : حبب إلىّ النساء والطيب وروى أبو داود والحاكم من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة لفظ الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة .اهـ.

قال مرتضى : اعلم أنه ﷺ كان طيب الرائحة دائما وإن لم يمس طيبا ومن ثم قال أنس : ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله ﷺ وروى أبو يعلى والبزار بسند صحيح أنه ﷺ كان إذا مر من طريق وجد منه رائحة المسك وقال : مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق ومع ذلك كان يحب الطيب والروائح الطيبة روى الطبرانى والخطيب من حديث أنس حبب إلىّ النساء والطيب ورواه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢٤٦٧) حديث : « كان » ﷺ « يجالس الفقراء » **قال العراقى** : روى أبو داود من حديث أبى=

« ويؤاكل المساكين » (٢٤٦٨) .

« ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم » (٢٤٦٩) .

« يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم » (٢٤٧٠) .

= سعيد جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر بعضًا من العرى .... الحديث وفيه : فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا .... الحديث ولابن ماجه من حديث خباب : وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا .... الحديث فى نزول قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ .... الآية وإسنادهما حسن .اهـ.

(٢٤٦٨) حديث : « مؤاكلته » ﷺ « للمساكين » **قال العراقى** : روى البخارى من حديث أبى هريرة قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها فإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها .اهـ.

(٢٤٦٩) حديث : « كان » ﷺ « يكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم» **قال العراقى** : روى الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل فى صفته ﷺ وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم .... الحديث وللطبرانى من حديث جرير فى قصة إسلامه فألقى إلىّ كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال : إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وإسناده جيد ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصارى عن أبيه نحوه وقال : صحيح الإسناد .اهـ.

(٢٤٧٠) حديث : « كان » ﷺ « يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم » **قال العراقى** : روى الحاكم من حديث ابن عباس : كان يجل العباس إجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبى وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال : ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال فى الأول : صحيح الإسناد وسكت عن الثانى وفيه مسلم الملائى وهو ضعيف **قال العراقى** : فآثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدرًا والله أعلم ، وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد لا يبقين فى المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر .اهـ.

قال مرتضى : ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه : فى مسند أحمد ما يدل على أن إبقاء باب على لكونه لم يكن له باب غيره .اهـ.

« لا يجفو على أحد » (٢٣٧١).

«يقبل معذرة المعتذر إليه»(٢٤٧٢).

« يمزح ولا يقول إلا حقا » (٢٤٧٣).

« يضحك من غير قهقهة » (٢٤٧٤).

(٢٤٧١) حديث : « كان » ﷺ «لا يجفو على أحد» **قال العراقي** : روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس : كان قلما يواجه رجلا بشيء يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه ﷺ فقال : بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول .... الحديث ؛اهـ.

(٢٤٧٢) حديث : كان ﷺ « يقبل معذرة المعتذر إليه» **قال العراقي** : متفق عليه من حديث كعب ابن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق المخلفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم .... الحديث .اهـ.

(٢٤٧٣) حديث : كان ﷺ « يمزح ولا يقول إلا حقا » **قال العراقي** : رواه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ قالوا : إنك تداعبنا قال : إي ولا أقول إلا حقا وقال : حسن . اهـ.

قال مرتضى : ولم يؤثر فيه مزاحه ولا مداعبته فقد قام رجل بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال : هون عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته .وروى مسلم من حديث عمرو بن العاص صحبت رسول الله ﷺ ما ملأت عيني منه قط حياء وتعظيما له ولو قيل لي : صفه لما قدرت .

(٢٤٧٤) حديث : « ضحكه » ﷺ « من غير قهقهة » **قال العراقي** : روى الشيخان من حديث عائشة : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم وللترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسما وقال: صحيح غريب ولفظه في الشمائل لا يضحك إلا تبسما وله في الشمائل أيضا من حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم .اهـ.

قال مرتضى : وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي ذر في حديث ساقه وفيه: ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه .

«يرى اللعب المباح فلا ينكره» (٢٤٧٥).

« يسابق أهله » (٢٤٧٦) .

«وترفع الأصوات عليه فيصبر» (٢٤٧٧) .

« وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها » (٢٤٧٨).

(٢٤٧٥) حديث: كان ﷺ « يرى اللعب المباح ولا يكرهه » **قال العراقي** : روي الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم : دونكم يا بني أرفدة وقد تقدم في حديث رقم ١٤٧٩ ص ١٢٩٧ وفي كتاب السماع حديث رقم ٢٢٧٧ ص ٢٠١٤ وحديث رقم ٢٢٧٩ ص ٢٠١٥ وحديث رقم ٢٢٨٤ ص ٢٠١٧ .اهـ.

(٢٤٧٦) حديث : « مسابقته » ﷺ « أهله» **قال العراقي** : رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة في مسابقته لها وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب النكاح حديث رقم ١٤٧٧ ص ١٢٩٦ .اهـ.

(٢٤٧٧) حديث: « كان ﷺ ترفع الأصوات عنده » هكذا في النسخ **وعند العراقي** عنده «فيصبر» **قال العراقي** : روى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير : قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر : أمّر القعقاع بن معبد وقال عمر : بل أمّر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي وقال عمر : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن المنذر وابن مردويه وروي البخاري وابن المنذر أيضا والطبراني عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم فساقه وأخرجه الترمذي من هذا الطريق قال: وحدثني عبد الله بن الزبير به وأخرجه ابن جرير مثله .

(٢٤٧٨) حديث : « كان له » ﷺ « لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها » **قال العراقي** : روى محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات من حديث أم سلمة : كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن أو قالت : أكثر عيشنا ، كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة .... الحديث وفي رواية له : كانت لنا أعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا ويروح بهن علينا وكانت لقاح بذي الجبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل .... الحديث وفي اسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد .... الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة : لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فإذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة .... الحديث .اهـ.

« وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس » (٢٤٧٩) .

« ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه» (٢٤٨٠) .

« يخرج إلى بساتين أصحابه » (*) .

« لا يحتقر مسكينًا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاءً مستويا»(٢٤٨١) .

(٢٤٧٩) حديث : « كان له » ﷺ « عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس » **قال العراقى** : روى محمد بن سعد فى الطبقات من حديث سلمى قالت : كان خدم النبى ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبا رافع وأبا مويهبة ورفاعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى بإسناد ضعيف كان ﷺ يأكل مع خادمه ولمسلم من حديث أبى اليسر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون .... الحديث .اهـ.

(٢٤٨٠) حديث : كان ﷺ « لا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه » **قال العراقى** : روى الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة .... الحديث .اهـ.

(*) **قال العراقى** : هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثالث من كتاب أداب الأكل حديث رقم ١٣٣٦ ص ١١٩٢ خروجه ﷺ إلى بستان أبى الهيثم بن النبهان وأبى أيوب الأنصارى وغيرهما. اهـ.

(٢٤٨١) حديث : كان ﷺ « لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا إلي الله دعاء واحدا » **قال العراقى** : روى البخارى من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن ينكح .... الحديث وفيه فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن لا ينكح .... الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا ولمسلم من حديث أنس : أن النبى ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشى وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل .اهـ.

« قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول»(٢٤٨٢) .

وفقنا الله لطاعته فى أمره والتأسى به فى فعله آمين يا رب العالمين .



(٢٤٨٢) حديث : « قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى وفى فقر وفى رعاية الغنم لا أب له ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول » **قال العراقى** : هذا كله معروف معلوم فروى الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب فى حديثه الطويلي فى صفته وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه .... الحديث وفيه فسألته عن سيرته فى جلساته فقال : كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب .... الحديث وفيه كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والإكثار وما لا يعنيه .... الحديث وقد تقدم بعضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ قال : كان النبى ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم فى العلم وللبخارى من حديث ابن عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ولأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة فى قصة هجرة الحبشة أن جعفرا قال للنجاشى : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة .... الحديث ولأحمد من حديث أبى بن كعب أنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر فإذا كلام فوق رأسى .... الحديث وللبخارى من حديث أبى هريرة كنت أرعاها أى الغنم على قراريط لأهل مكة ولأبى يعلى وابن حبان من حديث حليمة إنما نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيما .... الحديث وقد تقدم حديث : بعثت بمكارم الأخلاق .اهـ.

قال مرتضى: تتمة: قال الحليمى فى شعب الإيمان من تعظيمه ﷺ : أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال : كان فقيرا ومن ثم أنكر بعضهم اطلاق الزهد فى حقه.

بيان جملة أخرى من آدابه ﷺ وأخلاقه

مما رواه أبو البحترى قالوا :

« ما شتم رسول الله ﷺ أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة» (٢٤٨٣) .

«وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة» (٢٤٨٤) .

«وقيل له: وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا» (٢٤٨٥) .

«وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له » (٢٤٨٦) .

(٢٤٨٣) حديث : رواه أبو البحترى : « ما شتم » رسول الله ﷺ « أحدا من المؤمنين » بشتيمة «إلا جعل لها كفارة ورحمة » وفى **نسخ العراقى** إلا جعلها الله **وقال العراقى :** متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة وفى رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفى رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفى رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة .اهـ.

(٢٤٨٤) حديث : « ما لعن » رسول الله ﷺ « امرأة ولا خادما قط » بلعنة **قال العراقى :** المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس : لم يكن فحاشا ولا لعانا وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى .

(٢٤٨٥) حديث : قيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله ، فقال ﷺ : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وروى البخارى فى التاريخ بلفظ إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا .

(٢٤٨٦) حديث : « كان » ﷺ « إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له» **قال العراقى :** روى الشيخان من حديث أبى هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل: هلكت دوس، فقال: اللهم إهد دوسا وأت بهم .اهـ. =

بيان جملة أخرى من آدابه ﷺ وأخلاقه

مما رواه أبو البحترى قالوا :

« ما شتم رسول الله ﷺ أحدا من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة» (٢٤٨٣) .

«وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة» (٢٤٨٤) .

«وقيل له: وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا» (٢٤٨٥) .

«وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له » (٢٤٨٦) .

(٢٤٨٣) حديث : رواه أبو البحترى : « ما شتم » رسول الله ﷺ « أحدا من المؤمنين » بشتيمة «إلا جعل لها كفارة ورحمة » وفى نسخ العراقى إلا جعلها الله وقال العراقى : متفق عليه من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لعنته شتمته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة وفى رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفى رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفى رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة .اهـ.

(٢٤٨٤) حديث : « ما لعن » رسول الله ﷺ « امرأة ولا خادما قط » بلعنة قال العراقى : المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة وللبخارى من حديث أنس : لم يكن فحاشا ولا لعانا وسيأتى الحديث الذى بعده فيه هذا المعنى .

(٢٤٨٥) حديث : قيل له وهو فى القتال لو لعنتهم يا رسول الله ، فقال ﷺ : « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانا » قال العراقى : رواه مسلم من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وروى البخارى فى التاريخ بلفظ إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا .

(٢٤٨٦) حديث : « كان » ﷺ « إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له» قال العراقى : روى الشيخان من حديث أبى هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل: هلكت دوس، فقال: اللهم إهد دوسا وأت بهم .اهـ. =

«وما ضرب بيده أحدا قط إلا أن يضرب بها فى سبيل الله تعالى وما انتقم من شىء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله» (٢٤٨٧) .

«وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك» (٢٤٨٨) .

«وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته» (٢٤٨٩) .

= **قال مرتضى :** ولما أذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا لو دعيت عليهم فقال إنى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى أو اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

(٢٤٨٧) حديث : « ما ضرب » رسول الله ﷺ « بيده أحدا قط إلا أن يضرب » بها « فى سبيل الله وما انتقم فى شىء صنع إليه » قط « إلا أن تنتهك حرمة الله » . **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة . اهـ .

قال مرتضى : ورواه الترمذى فى الشمائل من حديث على ولا ضرب بيده شيئا قط إلا إن يجاهد ولا ضرب خادما ولا امرأة وما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها ما لم تنتهك محارم الله وروى الحاكم ما لعن رسول الله ﷺ مسلما بذكر أى بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب فى سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه إلا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه من شىء إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم .

(٢٤٨٨) حديث : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البخارى والترمذى فى الشمائل والطبرانى من حديث عائشة ولفظ البخارى ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ولفظ الترمذى مأثما ولفظ الطبرانى ما لم يكن لله فيه سخط .

(٢٤٨٩) حديث : « ما كان » رسول الله ﷺ « يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه فى حاجته» **قال العراقى :** روى البخارى تعليقا من حديث أنس أن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت ووصله ابن ماجه وقال فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة فى حاجتها وقد تقدم قريبا وتقدم أيضا حديث ابن أبى أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين حتى يقضى لهما حاجتهما حديث رقم ١٨٩٤ص ١٧٠٨ وحديث رقم ٢٤٤٩ ص ٢٢٥٨ . اهـ .

وقال أنس رضي الله عنه : «والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر» (٢٤٩٠) .

قالوا : « وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض »(٢٤٩١) .

وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال : «محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاة للقرآن والعلم ، يتوضأ على اطرافه » (٢٤٩٢) .

(٢٤٩٠) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « والذي بعثه بالحق ما قال » لي « في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر » **قال العراقي**: روي الشيخان من حديثه : ما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من حديث له قال فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فإن عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان ، وفي رواية له : كذا قضي .اهـ.

(٢٤٩١) حديث : « ما عاب » رسول الله ﷺ « مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض » **قال العراقي** : لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه ليس بفظ إلى أن قال : ولا عياب رواه الترمذي في الشمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس ما أعلمه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث ابن عمر اضطجاعه على حصير وللترمذي وصححه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه .... الحديث . اهـ.

قال مرتضى : وقد رواه الطبراني عنه بأبسط من ذلك وهو أنه دخل عليه في غرفة كأنها بيت حمام أي لشدة حرها وهو نائم على حصير أثر في جنبه فبكى فقال : ما يبكيك يا عبد الله قال : يا رسول الله كسرى وقيصر ينامون على الديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير وقد أثر بجنبك فقال : فلا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه ﷺ نظير ذلك لكن بزيادة لم يكن عليه غير إزار وأنه كان مضطجعًا على خصفة وإن بعضه لعلى التراب .

(٢٤٩٢) حديث : وصفه في التوراة « محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ولا=

«وكذلك نعته فى الإنجيل» (٢٤٩٣) .

«وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام» (٢٤٩٤) .

= صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام ، يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة للعلم والقرآن ، يتوضأ على أطرافه » أى يغسل أطرافه عند الوضوء .

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج البيهقى فى الدلائل من حديث فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت له : أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر . . . الحديث ، وفى لفظ له : ولا صخاب فى الأسواق وفيه ولكن يعفو ويصفح رواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح ورواه البيهقى نحو ذلك من حديث عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وفيه ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز ومن طريق محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أم الدرداء أنها سألت كعبا عن صفته ﷺ فى التوراة فقال : نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق .... الحديث ورواه من طريق المسيب عن نافع عن كعب قال الله عز وجل لمحمد ﷺ : عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق .... ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وأخرجه البيهقى من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته وآبائه أنه كانت عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام وفيها لأمة تأتى فى آخر الزمان يبلون أطرافهم ويتزرون على أوساطهم .... الحديث .

(٢٤٩٣) حديث: « نعته ﷺ فى الإنجيل » من جهة بعثته ومهاجرته وما خصه الله من أوصافه.

قال مرتضى : أغفله العراقى وأخرج البيهقى فى الدلائل من طريق العيزار بن حريث عن عائشة قالت : إن رسول الله ﷺ مكتوب فى الإنجيل : لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح وقد ذكر ذلك صاحب الشفاء وغيره وأوسع شراحه الكلام فيه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث عائشة لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح .

(٢٤٩٤) حديث : « كان من خلقه » ﷺ «أن يبدأ من لقيه بالسلام» **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة .اهـ.

=

«ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف» (٢٤٩٥) .

«وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ» (٢٤٩٦) .

«وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها» (٢٤٩٧) .

---

* **قال مرتضى** :وفيه يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام وكذلك روى الطبرانى والبيهقى وفى لفظ ويبتدر بدل يبدأ .

(٢٤٩٥) حديث : كان ﷺ « من قاومه » وفى بعض النسخ فاوضه « لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف » **قال العراقى** : رواه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على بن أبى طالب ولابن ماجه من حديث أنس كان إذا لقى الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف ورواه الترمذى نحوه وقال غريب .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن سعد فى الطبقات من حديث أنس بلفظ : كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه.

(٢٤٩٦) حديث : كان ﷺ « ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر » **قال العراقى** : رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس الذى قبله كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظ الترمذى وقال غريب .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن سعد فى الطبقات بلفظ وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياه ثم لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها منه .

(٢٤٩٧) حديث : « كان » ﷺ « إذا لقى أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته » **قال العراقى** : روى أبو داود من حديث أبى ذر وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه قال : ما لقيته قط إلا صافحنى .... الحديث وفيه الرجل الذى من عنزة ولم يسم وسماه البيهقى فى الأدب عبد الله وروينا فى علوم الحديث للحاكم من حديث أبى هريرة قال : شبك بيدى أبو القاسم ﷺ وهو عند مسلم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ بيدى .اهـ.

قال مرتضى : وقد وقع لنا مسلسلا بالمشابكة من طريق أبى العباس جعفر بن محمد المستغفرى قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكي وشبك بيدى أخبرنا أبو الحسن محمد بن طالب وشبك بيدى قال : حدثنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن بن بكر بن عبد الله بن الشرود الصغانى وشبك بيده قال : شبك بيدى أبى وقال أبى : شبك بيدى أبى وقال : شبك بيدى إبراهيم بن أبى يحيى قال : شبك بيدى صفوان بن سليم قال : شبك=

«وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله» (٢٤٩٨) .

«وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته» (٢٤٩٩) .

«وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة» (٢٥٠٠) .

= بيدى أيوب بن خالد قال : شبك بيدى عبد الله بن رافع قال : شبك بيدى أبو هريرة قال : شبك بيدى أبو القاسم ﷺ وقال : خلق الله سبحانه وتعالى الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة وقد روى عن عبدالعزيز بن الحسن بن بكر جماعة على المتابعة محمد بن أحمد بن سعيد الفامي ومحمد بن إبراهيم بن زوزان الحارثي وأبو بكر محمد بن الحسن بن إبراهيم بن فيل الانطاكي ومحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة البغدادي ومحمد بن محمد مهدى القشيرى وأحمد بن على بن الحسن المقرى وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي وآخرون ورواه كذلك عن بكر بن عبد الله بن الشرود أيوب بن سالم وعن إبراهيم بن أبى يحيى محمد بن همام وأصل الحديث مخرج فى صحيح مسلم كما أشار إليه العراقى رواه من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج عن اسماعيل بن إبراقية عن أيوب ابن خالد وقول المصنف بدأه بالمصافحة أي بعد السلام لما روى الطبراني فى الكبير من حديث جندب : كان إذا لقى أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم .

(٢٤٩٨) حديث : « كان » ﷺ « لا يقوم ولايجلس إلا على ذكر الله عز وجل » **قال العراقى** : روى الترمذى فى الشمائل من حديث على فى حديثه الطويل فى صفته وقال : على ذكر بالتنوين . اهـ .

قال مرتضى : ويفهم من عموم حديث كان يذكر الله على كل أحيانه .

(٢٤٩٩) حديث : «كان» ﷺ « لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال : ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته» **قال العراقى** : لم أجد له أصلا . اهـ .

قال مرتضى : ولكن روى أحمد فى مسنده عن رجل من الصحابة قال : كان مما يقول للخادم ألك حاجة وهذا يدل إذا جاءه الخادم ووجده فى الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة .

(٢٥٠٠) حديث : « كان » ﷺ « أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة» **قال العراقى** : روى أبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى =

«ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه» (٢٥٠١) .

«لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس» (٢٥٠٢) .

«وما رئى قط مادّاً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه» (٢٥٠٣) .

«وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة» (٢٥٠٤) .

= كان رسول الله ﷺ إذا جلس فى المجلس احتبى بيده وإسناده ضعيف وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبيا بيديه . اهـ.

قال مرتضى : وحديث أبى سعيد رواه أيضا البيهقى وفيه احتبى بيديه ورواه البزار وزاد ونصب ركبتيه وفى بعض نسخ أبى داود إذا جلس فى المسجد **وقول العراقى** وإسناده ضعيف أشار به إلى أنهم رووه من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفارى عن إسحاق الأنصارى عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبى سعيد قال أبو داود الغفارى : منكر الحديث وقال الذهبى فى المهذب : إنه ليس بثقة وقال الصدر المناوى فى ربيح عن أحمد : إنه غير معروف ثم الاحتباء هو جمع الساقين إلى البطن مع الظهر باليدين عوضا عن جمعهما بالثوب .

(٢٥٠١) حديث : « أنه » ﷺ « لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه » **قال العراقى :** روى أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر قالا : كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجئ الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل .... الحديث . اهـ.

(٢٥٠٢) حديث : «أنه» ﷺ « حيثما انتهى به المجلس جلس » **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل . اهـ.

(٢٥٠٣) حديث : « ما رؤى » ﷺ « قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد إلا أن يكون المكان واسعا لا ضيق فيه » **قال العراقى :** رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من حديث أنس وقال : باطل والترمذى وابن ماجه : لم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف . اهـ.

(٢٥٠٤) حديث : « كان ﷺ أكثر ما يجلس مستقبل القبلة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وكان يحث أصحابه بذلك ويقول: أكرم المجالس ما استقبل به القبلة كما رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى من حديث ابن عمر .

«وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه» (٢٥٠٥).

«وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل» (*).

«وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة» (٢٥٠٦).

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

(٢٥٠٥) حديث: «كان ﷺ يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه» إكرامًا له وتأليفًا لقلبه **قال العراقى**: روى الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس دخل جرير بن عبد الله على النبى ﷺ وفيه فأخذ بردته فألقاها عليه فقال: اجلس عليها يا جرير .... الحديث وفيه فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة حديث رقم ١٩٢٨ ص ١٧٢٥ وللطبرانى فى الكبير من حديث جرير فألقى إلىّ كساء ولأبى نعيم فى الحلية فبسط إلىّ رداءه. اهـ.

قال مرتضى: وأما من بينه وبينه قرابة فروى الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبى ﷺ أن عميرا يعنى أباه جاء والنبى ﷺ قاعد فبسط له رداءه فقال: أجلس على ردائك يا رسول الله؟ قال: نعم فإنما الخال والد، وإسناده ضعيف ويروى عن القاسم عن عائشة أن الأسود بن وهب خال النبى ﷺ استأذن عليه فقال: يا خال أدخل فبسط رداءه وكذا وقع لأمه وأخيه وأبيه من الرضاعة كما هو مذكور فى السير.

(*) **قال العراقى**: هذا الحديث تقدم تخريجه فى الباب الثالث من كتاب أداب الصحبة. اهـ.

(٢٥٠٦) حديث: «ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه» ولطيف مجلسه «وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة» **قال العراقى**: رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل وفيه: ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه ومجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة. اهـ.

«ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم» (٢٥٠٧) .

«ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به» (٢٥٠٨) .

«ويكنى أيضا النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى» (٢٥٠٩) .

(٢٥٠٧) حديث: « كان » ﷺ « يدعو أصحابه بكناهم إكراما لهم واستمالة لقلوبهم» **قال العراقى:** فى الصحيحين فى قصة الغار من حديث أبى بكر : يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس : أنه قال لعمر : يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله ﷺ قال عمر : إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص ، وقال صحيح على شرط مسلم وفى الصحيحين أنه قال لعلى : قم يا أبا تراب ، وللحاكم من حديث رفاعة ابن مالك : إن أبا حسن وجد مغصا فى بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ، ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد بن أبى وقاص فقال : من هذا ؟ أبو إسحاق ، فقلت : نعم ، وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له .اهـ.

(٢٥٠٨) حديث : « كان » ﷺ « يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به » تبركا بكنيته الشريفة **قال العراقى :** وروى الترمذى من حديث أنس قال : كنانى النبى ﷺ ببقلة كنت أجتنيها يعنى أبا حمزة قال : حديث غريب ولابن ماجه أن عمر قال لصهيب بن مالك تكتنى وليس لك ولد ! قال : كنانى رسول الله ﷺ بأبى يحيى وللطبرانى من حديث أبى بكرة تدليت ببكرة من الطائف فقال النبى ﷺ : فأنت أبو بكرة .اهـ.

قال مرتضى : وروى الحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر : يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله ﷺ قال عمر: إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال : صحيح على شرط مسلم وفى الصحيح أنه قال لعلى : يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد مغصا فى بطنه . . . الحديث يريد عليا وله أيضا من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له .

(١٥٠٩) حديث: « كان » ﷺ « يكنى النساء اللاتى لهن الأولاد واللاتى لم يلدن يبتدئ لهن الكنى » **قال العراقى :** روى الحاكم من حديث أم أيمن فى قصة شربها بول النبى ﷺ فقال : يا أم أيمن قومى إلى تلك الفخارة . . . . الحديث ولابن ماجه من حديث عائشة أنها قالت للنبى ﷺ : كل أزواجك كنيته غيرى قال : فأنت أم عبد الله وللبخارى من حديث أم خالد أن النبى ﷺ قال لها : يا أم خالد هذا سناه وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ورواه أبو داود بإسناد صحيح إنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لهن كنى، قال : فاكتنى بإبنك عبد الله بن الزبير .اهـ.

«ويكنى الصبيان فيستلين به قلوبهم» (٢٥١٠) .

«وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا» (٢٥١١) .

«وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس» (٢٥١٢) .

«ولم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات» (٢٥١٣) .

«وكان إذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام» (٢٥١٤) .

(٢٥١٠) حديث : « كان » ﷺ « يكنى الصبيان » فيستلين به قلوبهم **قال العراقى** : ففى الصحيحين من حديث أنس أن النبى ﷺ قال لأخ له صغير : يا أبا عمير ما فعل النغير . اهـ.

(٢٥١١) حديث : « كان » ﷺ « أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا» **قال العراقى** : هذا من المعلوم ويدل على ذلك أخباره ﷺ أن بنى آدم خيرهم بطئ الغضب سريع الفئ ورواه الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى وقال : حديث حسن وهو ﷺ خير بني آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وقد تقدم . اهـ.

(٢٥١٢) حديث : « كان » ﷺ « أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس» **قال العراقى** : هذا من المعلوم وروينا فى الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث على فى صفة النبى ﷺ : كان أرحم الناس بالناس .... الحديث بطوله . اهـ.

(٢٥١٣) حديث: « لم تكن ترفع فى مجلسه الأصوات » لأنهم كانوا على غاية الخضوع والتأدب والإطراق كأنما على رؤسهم الطير **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث على الطويل . اهـ.

(٢٥١٤) حديث : « كان ﷺ إذا قام من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ثم يقول : علمنيهن جبريل ﷺ » **قال العراقى** : أخرجه النسائى فى اليوم والليلة والحاكم فى المستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم فى كتاب الاذكار والدعوات حديث رقم ١٠٧٥ ص ١٠٢٧ . أهـ.



= قال مرتضى : وأخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل عن أحمد بن محمد عن زين العابدين بن عبد القادر الطبرى عن أبيه أخبرنى جدى يحيى بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن أخبرنا الشهاب الحجازى أخبرنا أبو الفضل العراقى أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أحمد بن محمد الحلبى أخبرنا يوسف بن خليل أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفى أخبرنا الحسن بن أحمد أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا سعيد بن الحكم حدثنا خلاد بن سليمان حدثنى خلاد بن أبى عمران عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ قالت : ما جلس رسول الله ﷺ مجلسا ولا تلا قرآنا ولا صلى إلا ختم ذلك بكلمات فقلت : يا رسول الله أراك ما تجلس مجلسا ولا تتلو قرآنا ولا تصلى صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات قال: نعم من قال خيرا كن طابعا له على ذلك الخير ومن قال شرا كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك أخرجه النسائي فى اليوم والليلة عن محمد بن إسماعيل بن عسكر عن سعيد بن الحكم به فوقع لنا بدلا له عاليا وأخرجه أيضا الحاكم فى المستدرك من حديث رافع بن خديج وقد تقدم فى الأذكار والدعوات .

بيان كلامه ﷺ وضحكه

« كان ﷺ أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما »(٢٥١٥).

ويقول ﷺ « أنا أفصح العرب»(٢٥١٦).

«وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ »(٢٥١٧).

(٢٥١٥) حديث : « كان » ﷺ « أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما » **قال العراقى** : روى أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل وابن الجوزى فى الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة: كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم . اهـ.

قال مرتضى : وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى : أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وللحاكم من حديث عمر قال : قلت : يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا .... الحديث وفيه على بن الحسين بن واقد مختلف فيه وفى كتاب الرعد والمطر لابن أبى الدنيا فى حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبى ﷺ : ما رأيت الذى هو أفصح منك .

(٢٥١٦) حديث : قال رسول الله ﷺ : « أنا أفصح العرب » **قال العراقى** : روى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى سعيد الخدرى : أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف والحاكم من حديث عمر قال : قلت : يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا .... الحديث وفى كتاب الرعد والمطر لابن أبى الدنيا فى حديث مرسل : أن أعرابيا قال للنبى ﷺ : ما رأيت أفصح منك . اهـ.

(٢٥١٧) حديث : قال ﷺ : « إن أهل الجنة يتكلمون » فيها « بلغة محمد ﷺ » **قال العراقى:** روى الحاكم من حديث ابن عباس وصححه : كلام أهل الجنة عربى . اهـ.

قال مرتضى : وروى الطبرانى فى الأوسط من طريق شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبى هريرة رفعه : أنا عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وسنده ضعيف .

«وكـان نزر الكلام سمح المقـالة إذا نطق ، ليس بمهـذار وكـان كلامـه كخـرازات نظمن» (٢٥١٨) .

قالت عائشة رضي الله عنها : « كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا » (٢٥١٩) .

«كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا» (٢٥٢٠) .

قـالوا : « وكان أوجز الناس كـلاما وبذاك جاءه جبريل وكـان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد » (٢٥٢١) .

« وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه» (٢٥٢٢) .

(٢٥١٨) حديث : « كان » صلى الله عليه وسلم « نزر الكلام سـمح المقالة إذا نطق ، ليس بمهذار وكـان كلامه» صلى الله عليه وسلم «خرزات النظم» **قال العراقى :** روي الطبرانى من حديث أم معبد : وكان منطقـه خرزات نظم ينحدرن حلو المنطق لا نـزر ولا هـذر وسيأتى فى حديـث رقـم ٢٧٧١ ص ٢٤٠٩ وسيأتى فـى حديث عائشة الآتى بعـده برقم ٢٥٢٠ ص ٢٢٨٢ كان إذا تكلم تكلم نزرًا وفى الصحيحين من حديث عائشة : كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لأحصاه .اهـ.

(٢٥١٩) حديث : قـالت عائشة رضي الله عنها : « كـان » صلى الله عليه وسلم « لا يسرد الكلام كـسردكم هذا » **قـال العراقى:** متفق عليه من حديث عائشة .اهـ. .

(٢٥٢٠) حديث : « كان » صلى الله عليه وسلم « كلامـه نزرًا وأنتم تنثرونه » أى الكلام « نثرًا » **قال العـراقى :** رواه الخلعى فى فوائده من حديث عائشة بإسناد منقطع .اهـ.

(٢٥٢١) حديث : « كان » صلى الله عليه وسلم « أوجز الناس كلامًا وبذلك جـاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد » **قال العـراقى :** روى عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس بإسناد جـيد : أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحـديث اختصارا، وشطره الأول متفق عليه كما سيأتى ، قال البخارى : بلغنى فى جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة فى الأمر الواحد والأمرين ونحـو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم : كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها .اهـ.

(٢٥٢٢) حديث : « كان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصـير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه » . **قال العراقى :** روى الترمذى فى الشمائل من حديث=

«وكان جهير الصوت» (٢٥٢٣) .

هند بن أبى هالة : كـان يتكلم بجوامع الكلم لا فضـول ولا تقصـير وفى الصحـيحين من حديث أبى هريرة : بعثت بجوامع الكلم ولأبى داود من حديث جابر : كان فى كلام النبى ﷺ ترتيل أو ترسيل وفـيه شيخ لـم يسم وله وللترمذى من حـديث عائشة : كـان كلام النبى ﷺ كلامًا فصلا يفهمه كل من سمـعه وقال الترمذى : يحفظه من جلس إليه وقال النسائى فى اليوم والليلة : يحفظه من سمعه وإسناده حسن .اهـ.

قـال مـرتضى : روى العسكرى فى الأمثال من طريق سليـمان بن عبد الله النوفلى عن جعفـر بن محمد عن أبيـه أن النبى ﷺ قال : أوتيت جوامع الكلم واختـصر لى الكلام اختصـارا وهو مرسل فى سنده من لم يعرف وللديلمى بلا سند من حديث ابن عـباس مثله بلفظ : أعطيت والحـديث بدل الكلم وعند البيهـقى فى الشعب من طريق عـبد الرزاق عن معمـر عن أيوب عن أبى قلابة أن عمر مر برجل يقـرأ كتابا من التوراة فذكر الحـديث وفيه فقال ﷺ : إنما بعـثت فاتحا وخاتما وأعطيت جـوامع الكلم وفواتحه واختـصر لى الحديث اختـصارا وللطبـرانى من طريق أبى الدرداء قال : جـاء عمر وذكـره ولأبى يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال : كنت عـند عمر فجاءه رجل فذكره وفـيه قوله ﷺ : يا أيها الناس قد أوتيت جوامع الكلـم وخواتمه واختـصـر لى اختصـارا وأصل الحديث من طريـق ابن سيـرين عـن أبى هريرة بلفظ : أعطيت فواتح وفى لفظ : مفاتيح وفى آخر : جوامع الكلم ونصرت بالرعب ومن حديث سـعيد بن المسيب وأبى سلمـة بن عبد الرحـمن كلاهما عن أبى هريرة بلفظ : أعطيت جـوامع الكلـم وفى لفـظ : بعـثت بجـوامـع الكلم ومن طريق أبى موسى مـولى أبى هريرة عن مولاه بلفظ : أوتيت جوامع الـكلم ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبى هريرة بلفظ : أعطيت ومن حديث عطاء بن السائب عن أبى جعفر عن أبيه عن على فى حـديث : أعطيت خمـسا فقـيه وأعطيت جـوامع الكلم وفى حديث أبـى موسى الأشعـرى : أعطيت فواتح الكلم وخواتمـه ونص البخارى فى الصـحيح فيـما رواه عن ابن شهاب قال : بلغنى فى جوامع الكلم أن الله يجـمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمم فى الواحد والأمرين ونحو ذلك .

(٢٥٢٣) حديث : « كان » ﷺ «جهـير الصوت » قال العـراقى : روى الترمـذى والنسائى فى الكبرى من حديث صـفوان بن عسال قال : كنا مع النبى ﷺ فـى سفر بينا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ على نحو من صوته هاؤم .... الحديث وقـال أحمد فى مسنده : وأجابه نحوا ممـا تكلم به .... الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه ﷺ كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال : لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقـا بالأعرابى حتى لايكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر .اهـ.

«وكـان نزر الكلام سمح المقـالة إذا نطق ، ليس بمهـذار وكـان كلامـه كخـرازات نظمن» (٢٥١٨) .

قالت عائشة رضي الله عنها : « كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا » (٢٥١٩) .

«كان كلامه نزرا وأنتم تنثرون الكلام نثرا» (٢٥٢٠) .

قـالوا : « وكان أوجز الناس كـلاما وبذاك جاءه جبريل وكـان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد » (٢٥٢١) .

« وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه» (٢٥٢٢) .

(٢٥١٨) حديث : « كان » ﷺ « نزر الكلام سـمح المقالة إذا نطق ، ليس بمهذار وكـان كلامه» ﷺ «خرزات النظم» **قال العراقي :** روي الطبراني من حديث أم معبد : وكان منطقـه خرزات نظم ينحـدرن حلو المنطق لا نـزر ولا هـذر وسيأتى فى حديـث رقـم ٢٧٧١ ص ٢٤٠٩ وسيأتى فـى حديث عائشة الآتى بعـده برقم ٢٥٢٠ ص ٢٢٨٢ كان إذا تكلم تكلم نزرًا وفى الصحيحين من حديث عائشة : كان يحدثنا حديثا لو عده العاد لأحصاه .اهـ.

(٢٥١٩) حديث : قـالت عائشة رضي الله عنها : « كـان » ﷺ « لا يسرد الكلام كـسردكم هذا » **قـال العراقى:** متفق عليه من حديث عائشة .اهـ. .

(٢٥٢٠) حديث : « كان » ﷺ « كلامـه نزرًا وأنتم تنثرونه » أى الكلام « نثرًا » **قال العـراقى :** رواه الخلعى فى فوائده من حديث عائشة بإسناد منقطع .اهـ.

(٢٥٢١) حديث : « كان » ﷺ « أوجز الناس كلامًا وبذلك جـاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد » **قال العـراقى :** روى عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطنى من حديث ابن عباس بإسناد جـيد : أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الحـديث اختصارا ، وشطره الأول متفق عليه كما سيأتى ، قال البخارى : بلغنى فى جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة فى الأمر الواحد والأمرين ونحـو ذلك وللحاكم من حديث عمر المتقدم : كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها .اهـ.

(٢٥٢٢) حديث : « كان ﷺ يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصـير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه » . **قال العراقى :** روى الترمذى فى الشمائل من حديث=

«وكان جهير الصوت» (٢٥٢٣) .

هند بن أبى هالة : كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة : بعثت بجوامع الكلم ولأبى داود من حديث جابر : كان فى كلام النبى ﷺ ترتيل أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله وللترمذى من حديث عائشة : كان كلام النبى ﷺ كلامًا فصلا يفهمه كل من سمعه وقال الترمذى : يحفظه من جلس إليه وقال النسائى فى اليوم والليلة : يحفظه من سمعه وإسناده حسن . اهـ.

قال مرتضى : روى العسكرى فى الأمثال من طريق سليمان بن عبد الله النوفلى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى ﷺ قال : أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا وهو مرسل فى سنده من لم يعرف وللديلمى بلا سند من حديث ابن عباس مثله بلفظ : أعطيت والحديث بدل الكلم وعند البيهقى فى الشعب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة أن عمر مر برجل يقرأ كتابا من التوراة فذكر الحديث وفيه فقال ﷺ : إنما بعثت فاتحا وخاتما وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لى الحديث اختصارا وللطبرانى من طريق أبى الدرداء قال : جاء عمر وذكره ولأبى يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال : كنت عند عمر فجاءه رجل فذكره وفيه قوله ﷺ : يا أيها الناس قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لى اختصارا وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبى هريرة بلفظ : أعطيت فواتح وفى لفظ : مفاتيح وفى آخر : جوامع الكلم ونصرت بالرعب ومن حديث سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبى هريرة بلفظ : أعطيت جوامع الكلم وفى لفظ : بعثت بجوامع الكلم ومن طريق أبى موسى مولى أبى هريرة عن مولاه بلفظ : أوتيت جوامع الكلم ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبى هريرة بلفظ : أعطيت ومن حديث عطاء بن السائب عن أبى جعفر عن أبيه عن على فى حديث : أعطيت خمسا فقيه وأعطيت جوامع الكلم وفى حديث أبى موسى الأشعرى : أعطيت فواتح الكلم وخواتمه ونص البخارى فى الصحيح فيما رواه عن ابن شهاب قال : بلغنى فى جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمم فى الواحد والأمرين ونحو ذلك .

(٢٥٢٣) حديث : « كان » ﷺ «جهير الصوت » **قال العراقى :** روى الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر بينا نحن عنده إذ ناداه أعرابى بصوت له جهورى يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ على نحو من صوته هاؤم .... الحديث وقال أحمد فى مسنده : وأجابه نحوا مما تكلم به .... الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه ﷺ كان جهورى الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال : لم يكن جهورى الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابى حتى لايكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر . اهـ.

«أحسن الناس نغمة» (٢٥٢٤) .

« وكان طويل السكوت لا يتكلم فى غير حاجة » (٢٥٢٥) .

« ولا يقول المنكر ولا يقول فى الرضا والغضب إلا الحق » (٢٥٢٦) .

«ويعرض عمن تكلم بغير جميل» (٢٥٢٧) .

«ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره» (٢٥٢٨) .

«وكان إذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده فى الحديث» (٢٥٢٩) .

(٢٥٢٤) حديث: كان ﷺ «أحسن الناس نغمة» **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث البراء : ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه .اهـ.

(٢٥٢٥) حديث: « كـان » ﷺ « طويل السكوت لا يتكلم فى غـير حاجـة» وبذلك وصف ابدال هذه الأمة لا يتكلمون إلا عن ضرورة **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة .اهـ.

(٢٥٢٦) حديث : كـان ﷺ « لا يقول المنكر ولا يـقول فى الرضا والغـضب إلا الحق » **قـال العـراقى**: روى أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتنى قريش وقالوا : تكتب كل شىء ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا فأمسكت عن الكتـاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصـبعـه إلى فيـه وقال : اكـتب فوالذى نفـسى بيده مـا يخرج منه إلا حق ورواه الحـاكم وصححه .اهـ.

(٢٥٢٧) حديث: كان ﷺ « يعرض عمن تكـلم بغير جميل » **قال العـراقى** : روى الترمـذى فى الشمائل فى حديث على الطويل يتغافل عما لا يشتهى .... الحديث .اهـ.

(٢٥٢٨) حديث : كان ﷺ « يكنى عما اضطره الكلام » إليه «مما يكره» **قال العراقى** : فمن ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة : حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ، رواه البخارى من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفـقا عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغـتسال من الحيض : خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها .... الحديث .اهـ.

(٢٥٢٩) حـديث: « كـان » ﷺ « إذا سكت تكلم جلسـاؤه ولا يتنازع عنده فى الحـديث » أى لا يتخاصم فيه **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل فى حديث على الطويل .اهـ. =

«ويعظ بالجد والنصيحة» (٢٥٣٠) .

ويقول ﷺ : « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض » (٢٥٣١) .

« فإنه أنزل على وجوه » (٢٥٣٢) .

« وكان أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم » (٢٥٣٣)

«ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه» (٢٥٣٤)

= **قال مرتضى** : ولفظه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث .

(٢٥٣٠) حديث : كان ﷺ « يعظ بالجد والنصيحة » **قال العراقى** : روى مسلم من حديث جابر: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم .... الحديث .اهـ.

(٢٥٣١) حديث : قال ﷺ : « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض وإنه أنزل على وجوه » **قال العراقى:** روى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن : إن القرآن يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض ، وفى رواية للهروى فى ذم الكلام : إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، وفى رواية له : أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض. اهـ.

(٢٥٣٢) حديث : « القرآن نزل على وجوه » **قال العراقى** : فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف .اهـ.

(٢٥٣٣) حديث : « كان » ﷺ « أكثر الناس تبسما وضحكا فى وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم » **قال العراقى** : روى الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ ، وفى الصحيحين من حديث جرير : ولا رآنى إلا تبسم ، وللترمذى فى الشمائل من حديث على : يضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه ، ولمسلم من حديث جابر بن سمرة : كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم .اهـ.

(٢٥٣٤) حديث : « ولربما ضحك » ﷺ « حتى تبدو نواجذه » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود فى قصة آخر من يخرج من النار ، وفى قصة الحبر الذى قال :=

«وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له» (٢٥٣٥) .

قالوا : « ولقد جاءه أعرابى يوما وهو ﷺ متغير اللون يتكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا أعرابى فإنا ننكر لونه فقال : دعونى فوالذى بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعنى الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لى بأبى أنت وأمى أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا امنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : لا بل يغنيك الله بما يغنى به المؤمنين » (٢٥٣٦) .

قالوا : « وكان من أكثر الناس تبسما » (٢٥٣٧) .

= إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبى هريرة فى قصة المجامع فى رمضان وغير ذلك .اهـ.

(٢٥٣٥) حديث : « كان ضحك أصحابه عنده» ﷺ « التبسم اقتداءً به وتوقيراً له » **قال العراقى :** رواه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة فى أثناء حديثه الطويل : جل ضحكه التبسم .اهـ.

(٢٥٣٦) حديث : « جاءه » ﷺ « أعرابى » أى من سكان البادية « يوما وهو » ﷺ «متغير» لونه « ينكره أصحابه فأراد أن يسأله » فى شىء « فقالوا : لا تفعل يا أعرابى فإنا ننكر لونه فقال : دعونى والذى بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله : بلغنا أن المسيح » يعنى « الدجال يأتى الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لى بأبى وأمى أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزالا أم أضرب اليد فى ثريده حتى إذا تضلعت شبعا » أى امتلأت « آمنت بالله وحده وكفرت به » يعنى « الدجال قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: لا بل يغنيك الله بما أغنى به المؤمنين » **قال العراقى :** وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ويرده قوله ﷺ فى المتفق عليه من حديث المغيرة ابن شعبة حين سأله : إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال : هو أهون على الله من ذلك وفى رواية لمسلم : إنهم يقولون إن معه جبالاً من خبز ولحم .... الحديث نعم فى حديث حذيفة وأبى مسعود المتفق عليهما : إن معه ماء وناراً .... الحديث .اهـ.

(٢٥٣٧) حديث : « كان » ﷺ « من أكثر الناس تبسما » **قال العراقى:** رواه الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء : ما رأيت أحداً أكثر تبسما منه وقد تقدم قريبا فى حديث رقم ٢٥٣٣ ص ٢٢٨٥ .اهـ.

« وأطيبهم نفسا » (٢٥٣٨) .

«ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة» (٢٥٣٩) .

«وكان إذ سر ورضى فهو أحسن الناس رضا» (٢٥٤٠) .

«فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب وليس يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان فى أموره كلها » (٢٥٤١) .

(٢٥٣٨) حديث : كان ﷺ « اطيبهم نفسا » **قال العراقي** : روى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر : كان إذا نزل عليه الوحي قلت : نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا . . . . الحديث . اهـ.

قال مرتضى : وفيه ابن أبى ليلة وهو سيىء الحفظ وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة : كان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا ولا ينافيه ما تقدم من أنه كان لا يضحك إلا تبسما لأن التبسم كان أغلب أحواله أو كل راو روى بحسب ما شاهد أو أولا كان لا يضحك ثم صار آخرا لا يضحك إلا تبسما وروى ابن عساكر من حديث أنس : كان من أفكه الناس .

(٢٥٣٩) حديث: « ما لم ينزل عليه » ﷺ « القرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة » **قال العراقى** : روى أحمد من حديث على أو الزبير : كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه . اهـ.

قال مرتضى : وفيه عبد الله بن سلمة مختلف فيه .

قال العراقى : ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر: كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بلفظ: كان إذا خطب. اهـ.

(٢٥٤٠) حديث : « كان » ﷺ « إذا سر ورضى فهو أحسن الناس رضا » **قال العراقى** : روى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق النبى ﷺ من حديث ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما ملاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع فى الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال : وهو يبرق وجهه من السرور وفيه : وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه . . . . الحديث . اهـ.

(٢٥٤١) حديث : كان ﷺ « إن وعظ وعظ بجد » أى من غير تهاون « وإن غضب ولا يغضب=

«وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوّة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرنى الحق حقا فاتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه علىّ فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم» (٢٥٤٢).



= إلا لله لم يقم لغضبه شىء وكذلك كان فى أموره كلها » **قال العراقى** : روى مسلم من حديث جابر : كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه .... الحديث وقد تقدم فى حديث رقم ٢٥٣٠ ص ٢٢٨٥ . وللترمذى فى الشمائل فى حديث هند بن أبى هالة : لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم فى حديث رقم ٢٥١١ ص ٢٢٧٨ .اهـ.

(٢٥٤٢) حديث: « كان » ﷺ إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله تعالى وتبرأ من الحول والقوة إلى حول الله وقوته واستنزل الهدى » يقول : اللهم أرنى الحق حقا فاتبعه وأرنى المنكر منكرا وارزقنى اجتنابه وأعذنى من أن يشتبه على فاتبع هواى بغير هدى منك واجعل هواى تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسى فى عافية واهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » **قال العراقى** : لم أقف لأوله على أصل وروي المستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة كان النبى ﷺ يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من انفسنا ما لا نملكه إلا بك فاعطنا منها ما يرضيك عنا .اهـ.

قال مرتضى : وفيه ولهانى بن خبير ضعفه الازدى .

قال العراقى : وروى مسلم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل : اهدنى لما اختلف فيه .... إلى آخر الحديث .اهـ.

بيان أخلاقه ﷺ وآدابه فى الطعام

« كان ﷺ يأكل ما وجد » (*).

« وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الأيدى » (٢٠٤٣).

« وكان إذا وضعت المائدة قال : بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة » (٢٠٤٤).

« وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » (٢٠٤٥).

(*) قال العراقى : هذا الحديث تقدم تخريجه . اهـ.

(٢٠٤٣) حديث : « كان » ﷺ « أحب الطعام إليه ما كان على ضفف » والضفف محركة « أى كثرت عليه الأيدى » قال العراقى : رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل من حديث جابر بإسناد حسن : أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدى ولأبى يعلى من حديث أنس : لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف وإسناده ضعيف . اهـ.

قال مرتضى: وحديث جابر رواه أيضا ابن حبان والبيهقى والضياء .

(٢٠٤٤) حديث : « كان » ﷺ « إذا وضعت المائدة قال : بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة » . قال العراقى : أما التسمية فرواها النسائى من رواية من خدم النبى ﷺ ثمانى سنين أنه سمع رسول الله ﷺ إذا قرب إليه طعاما يقول : بسم الله .... الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده . اهـ.

(٢٠٤٥) حديث : « كان » ﷺ « كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يفعل المصلى » فى حال صلاته « إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما=

« وكان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذى بركة وإن الله لم يطعمنا نارا فأبردوه » (٢٥٤٦).

= يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » . **قال العراقى :** رواه عبد الرزاق فى المصنف من رواية أيوب معضلا أن النبى ﷺ كان إذا أكل احفز وقال : آكل كما يأكل العبد . . . . الحديث وروى ابن الضحاك فى الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف : كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وروى أبو الشيخ فى أخلاق النبى ﷺ بسند حسن من حديث أبى بن كعب : أن النبى ﷺ كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكئ أورده فى صفة أكل رسول الله ﷺ وللبزار من حديث ابن عمر : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة : آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وإسنادهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : ويروى بسند حسن : أهديت للنبى ﷺ شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابى : ما هذه الجلسة ؟ فقال : إن الله جعلنى كريما ولم يجعلنى جبارا عنيدا، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ تواضعا لله تعالى ومن ثم قال : إنما أنا عبد . . . . إلخ وفى خبر مرسل أو معضل عن الزهرى أتى النبى ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال : إن الله يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا أو نبيا ملكا ، فنظر إلى جبريل كالمستشير له ، فأومأ إليه أن تواضع ، فقال : لا بل عبدا نبيا ، قال : فما أكل متكئا ، ووصله النسائى قال : ما رئى النبى ﷺ يأكل متكئا قط والسنة أن يجلس جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى قال ابن القيم : ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه ويضع ظهر اليمنى على بطن قدمه اليسرى تواضعا لله عزوجل وأدبا بين يديه قال : وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى الذى خلقها الله تعالى عليه .

(٢٥٤٦) حديث : « كان » ﷺ « لا يأكل » الطعام « الحار ويقول إنه غير ذى بركة وأن الله » تعالى « لم يطعمنا نارا» فأبردوه **قال العراقى :** روى البيهقى من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح : أتى النبى ﷺ يوما بطعام سخن فقال : ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث خولة بنت قيس: وقدمت له جريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبرانى والبيهقى وقال أحمد: فاحرقت أصابعه ، فقال : حسن وللطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة : أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذى بركة وله فيه وفى الصغير من حديثه : أتى بصحفة تفور فرفع يده منها وقال : إن الله لم يطعمنا نارا وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : حديث الطبرانى فى الأوسط رواه من طريق هشام بن عمار حدثنا عبد الله بن يزيد البكرى عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة وحديثه فيه وفى الصغير معا رواه من طريق هشام عن البكرى المذكورين قال : حدثنا يعقوب بن محمد بن=

« وكان يأكل مما يليه » (٢٠٤٧) .

« ويأكل بأصابعه الثلاث » (٢٠٤٨) .

= طحلاء المدني حدثنا بلال بن أبي هريرة عن أبيه فساقه وفي لفظ فأشرع يده فيها ثم رفع يده وقال : لم يرو عن بلال إلا يعقوب ولا عنه إلا عبد الله تفرد به هشام وبلال قليل الرواية عن أبيه .اهـ. والبكرى ضعفه أبو حاتم ولابن ماجه من طريق على بن سهر عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بلفظ : أتى يوما بطعام سخن فأكل منه فلما فرغ قال : الحمد لله ما دخل وساقه كسياق البيهقى وروى الديلمى من طريق عبد الصمد بن سليمان عن قزعة بن سويد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعا : أبردوا بالطعام فإن الحار لا بركة فيه ولأبى نعيم فى الحلية من طريق يوسف بن أسباط عن صفوان بن سليم عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يكره الكى والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فإنه ذو بركة ألا وأن الحار لا بركة له وللطبرانى فى الكبير بسند فيه : من لم يسم عن جويرية أن النبى ﷺ كان يكره الطعام حتى يذهب فوره ودخانه وأما حديث خولة فرواه كذلك ابن منده في معرفة الصحابة كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع عنها وفيه بعد قوله : فقبضها وقال : يا خولة لا نصبر على حر ولا برد .... الحديث لفظ البيهقى والطبرانى .

(٢٠٤٧) حديث : « كان » ﷺ «يأكل مما يليه» **قال العراقى :** رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث عائشة وفى إسناده رجل لم يسم وسماه في رواية له وكذلك البيهقى فى روايته فى الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثورى وقال البيهقى : تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه .اهـ.

قال مرتضى : وروى البخارى فى التاريخ عن جعفر بن أبى الحكم مرسلا : كان إذا أكل لم تعد أصابعه ما بين يديه ورواه أبو نعيم في المعرفة عن الحكم بن رافع بن يسار ورواه الطبرانى فى الكبير عن الحكم بن عمرو الغفارى وروى الخطيب من حديث عائشة : كان إذا أتى بطعام أكل مما يليه وإذا أتى بالتمر جالت يده ثم إن الأكل مما يلى الآكل على الندب على الأصح وقيل : على الوجوب لأنه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة وانتصر له السبكى ونص عليه الشافعى فى الرسالة ومواضع من الأم ومحل الكراهة أو الحرمة إن لم يعلم رضا من يأكل معه وإلا فلا لما ثبت أنه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالى القصعة كما سيأتى لأنه علم أن أحدا لايكره ذلك ولا يستقذره ومن أجاب بأنه كان يأكل وحده مردود بأن أنسا كان يأكل معه على أن قضية كلام الأصحاب أن الأكل مما يليه سنة وإن كان وحده ويفهم من خبر عائشة السابق التفصيل فى الطعام والتمر وفيما إذا كان الطعام لونا واحدا فلا يتعدى الآكل مما يليه وإذا كان أكثر يتعداه ولا ضرر فى نحو التمر ولا تقذر وبحث بعضهم التعميم غفلة عن المعنى وعن السنة والله أعلم .

(٢٠٤٨) حديث : «أكله» ﷺ « بأصابعه الثلاث » الإبهام والسبابة والوسطى **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث كعب بن مالك .اهـ.

« وربما استعان بالرابعة » (٢٥٤٩) .

« ولم يأكل بأصبعين ويقول ﷺ : إن ذلك أكلة الشيطان» (٢٥٥٠) .

« وجاءه عثمان بن عفان ﵁ بفالوذج فأكل منه وقال : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ قال: بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل فى البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الطعام طيب » (٢٥٥١) .

= **قال مرتضى** : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى فى الشمائل ولفظهم جميعا : كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ : رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الإبهام .

(٢٥٤٩) حديث : « استعانته » ﷺ « بالرابعة » **قال العراقى** : رويناه فى الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمرى هالك وفى مصنف ابن أبى شيبة من رواية الزهرى مرسلا كان النبى ﷺ يأكل بالخمس .اهـ.

قال مرتضى : حديث عامر بن ربيعة رواه أيضا الطبرانى فى الكبير ولفظه : كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة وأما مرسل الزهرى فمحمول على المائع وذلك لأن الاقتصار على الثلاث محله أن كفت والا فكما فى المائع زاد بحسب الحاجة .

(٢٥٥٠) حديث : « لم يأكل » ﷺ « بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان » **قال العراقى** : رواه الدارقطنى فى الإفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : لا تأكل بأصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين .... الحديث وقد تقدم فى حديث رقم ١٣٧٦ ص ١٢٢٥ . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول بلفظ : لا تأكلوا بهاتين وأشار بالإبهام والمشيرة كلوا بثلاث فإنها سنة ولا تأكلوا بالخمس فإنها أكلة الأعراب .

(٢٥٥١) حديث :« جاءه عثمان بن عفان ﵁ » أى إلى رسول الله ﷺ «بفالوذج» وهو اسم أعجمى لنوع من الحلواء « فأكل منه وقال : ما هذا يا أبا عبد الله ؟ » قال : ابن عبد البر يكنى أبا عبد الله وأبا عمرو كنيتان مشهورتان وأبو عمرو أشهرهما قيل : إنه ولدت له رقية بنت رسول الله ﷺ ابنا فسماه عبد الله واكتنى به ومات ثم ولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات قال : وقد قيل إنه كان يكنى أبا ليلى « قال : بأبى أنت وأمى نجعل السمن والعسل=

«وكان يأكل خبز الشعير غير منخول» (٢٥٥٢) .

«وكان يأكل القثاء بالرطب» (٢٥٥٣) .

في البرمة » وهي بالضم قدر من فخار « ونضعها على النار حتى نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة» أى لبابهـا « إذا طحنت فنقليه على السمن والعسـل ثم نسوطه» أى نحركه بالسـوط « حتى ينضج » أى يستوى « فيأتى كما ترى ، فقال ﷺ : إن هذا طعام طيب » **قال العراقي :** المعروف أن الذى صنعـه عثمـان الخبيص رواه البـيهقى فى الشعـب من حديث ليث بن أبى سليم قال : إن أول من خبيص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقى والعسل الحديث وقال : هذا منقطع وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله ابن سلام : أقبل عـثمان ومعه راحلة عليهـا غرارتان وفيه فإذا دقيق وسمن وعـسل وفيه ثم قال لأصحـابه : كلوا هذا الذى تسميه فارس الخبيص وأمـا خبر الفالوذج فـرواه ابن ماجه بإسناد ضعـيف من حديث ابن عباس قال : أول مـا سمعنا بالفالوذج أن جـبريل أتى النبى ﷺ فقـال : إن أمتك تفتح علـيهم الأرض ويفاض عليـهم من الدنيا حتى أنـهم ليأكلون الفالوذج قال النبى ﷺ : ومـا الفالوذج؟ قال : يخلطون السمن والعسل جمـيعا قال ابن الجوزى فى الموضوعات : هذا حديث باطل لا أصل له . اهـ.

قـال مـرتضى : أخرجـه ابن الجوزى من طريق ابن أبى الدنيا قـال : حدثنى إبراهيم بن سعد الجوهرى حدثنا أبو اليمان عن إسماعيل بـن عياش عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى عن ابن عبـاس فذكره وفى رواية أخرى بزيادة فشهق النبى ﷺ شـهقة قال : وهذا حديث باطل لا أصل له ومـحمد بن طلحـة قد ضعـفه يحيى بن مـعين وعثمـان بن يحيى الحضرمى قال الأزدى : لا يكتب حديثه عن ابن عبـاس وقال النسائى : اسماعيل بن عياش ضعيف.

قال مرتضى : وهذا القدر الذى ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلا لا أصل له كيف وقد أخرجه ابن ماجـه وغاية ما يقال إن اسماعيل بن عياش إذا روى عن غـير الشاميين فلا يحتج بحديثه وفـرق بين أن يقال ضعيف وأن يقال باطل والعجب مـن الحافظ العراقى كيف سكت عن التعقب عليه .

(٢٥٥٢) حديث: « كان » ﷺ « يأكل خبز الشعيـر غير منخول » من نخالته وفى هذا تركه ﷺ التكلف والاعتناء بشأن الطعام فـإنه لا يعتنى به إلا أهل البطالة والغفلة **قال العـراقى :** رواه البخارى من حديث سهل بن سعد .اهـ .

قال مرتضى : ورواه مسلم والترمذى نحوه .

(٢٥٥٣) حديث : « كان » ﷺ « يأكل القثاء بالرطب » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر .اهـ.

« وكان يأكل القثاء بالملح » (٢٥٥٤) .

«وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب» (٢٥٥٥) .

«وكان يأكل البطيخ بالخبز» (٢٥٥٦) .

«وكان يأكل البطيخ بالسكر» (٢٥٥٧) .

= **قال مرتضى :** وكذلك رواه أحمد والأربعة إلا النسائى ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ النبى ﷺ : فى يمينه قثاء وفى شماله رطب وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة وسنده ضعيف.

(٢٢٥٤) حديث : « كان » ﷺ « يأكل القثاء بالملح» **قال العراقى :** رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدى وفيه عباد بن كثير متروك .اهـ.

(٢٥٥٥) حديث : «كان» ﷺ «أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب » **قال العراقى :** روى أبو نعيم فى الطب النبوى من رواية أمية بن زيد العبسى أن النبى ﷺ كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ وروى أبو الشيخ وابن عدى في الكامل والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس : كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه ، فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه وروى ابن عدى من حديث عائشة : كان أحب الفاكهة لرسول الله ﷺ الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها : فإن خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وقد روى ابن عدى هذا الحديث الذى ساقه المصنف بهذا اللفظ فى ترجمة عباد بن كثير الثقفى وهو ضعيف وساقه أيضا الذهبى فى ميزانه فى ترجمته ونقل تضعيفه عن جمعة وكذلك أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من حديث أبى هريرة .

(٢٥٥٦) حديث : « كان » ﷺ « يأكل البطيخ بالخبز » **قال العراقى :** لم أره وإنما وجدت أكل العنب بالخبز فيما رواه ابن عدى من حديث عائشة مرفوعًا : عليكم بالمرازمة ، قيل يا رسول الله وما المرازمة ؟ قال : أكل الخبز مع العنب فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز، وإسناده ضعيف .اهـ.

(٢٥٥٧) حديث : « كان » ﷺ « يأكل البطيخ بالسكر » **قال العراقى :** إن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتى بعده وإن أريد به السكر الذى هو الطبرزد فلم أر له أصلا إلا فى حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقانى فى كتاب البطيخ من رواية =

«وربما أكله بالرطب» (٢٥٥٨).

«ويستعين باليدين جميعا» (٢٥٥٩).

محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ : أكل بطيخا بسكر وفيه موسى بن إبراهيم المروزي كذبه يحيى بن معين . اهـ.

قال مرتضى : قال في المصباح : السكر نوع من الرطب شديد الحلاوة ، قال أبو حاتم في كتاب النخلة نخل السكر الواحدة سكرة وقال الأزهري : التمر نخل السكر وهو معروف عند أهل البحرين فإن كان المراد بالسكر هنا هو الطبرزدي فيتعين أن يكون المراد بالبطيخ هو الأصفر فإنه الذي يؤكل به مع احتمال إرادة الاخضر إلا أن ابن حجر ذكر في شرح الشمائل أن النبي ﷺ لم ير السكر وما ورد بأنه حضر ملاك بعض الانصار فنثر علي العروس بالسكر واللوز فلا أصل له .

(٢٥٥٨) حديث : « أكل » ﷺ « البطيخ بالرطب » **قال العراقي** : رواه الترمذي والنسائي من حديث عائشة وحسنه الترمذي ولابن ماجه من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ البطيخ بالرطب . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر بلفظ : كان يأكل البطيخ بالرطب وروى الطيالسي من حديث جابر بسند حسن : كان يأكل الخبز بالرطب ويقول : هما الأطيبان ، وهذا يؤيد قول من قال إن المراد بالبطيخ هو الأصفر ، وروى أبو داود والبيهقي من حديث عائشة : كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول : يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ، قال ابن القيم : في البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا الحديث الواحد .

(٢٥٥٩) حديث : « استعانته » ﷺ « باليدين جميعا » **قال العراقي** : رواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال : آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله بيديه رقم ٢٥٥٥ ص ٢٢٩٤ . اهـ.

قال مرتضى : وتقدم أيضا في حديث رقم ٢٥٥٣ ص ٢٢٩٣ أكله القثاء بالرطب بيديه من رواية الطبراني في الأوسط بنحوه .

قال العراقي : ولا يلزم من هذا لو ثبت أكله بشماله فلعله كان يأخذ بيده اليمنى من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه فلا مانع من ذلك .

«وأكل يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة» (٢٥٦٠) .

«وكان ربما أكل العنب خرطا يرى رؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ» (٢٥٦١) .

«وكان أكثر طعامه الماء والتمر» (٢٥٦٢) .

«وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين» (٢٥٦٣) .

(٢٥٦٠) حديث : « أكل » ﷺ « يوما الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة» **قال العراقي :** هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس باسناد ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وروى الحاكم في الأطعمة من حديث أنس : كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي .

(٢٥٦١) حديث : « ربما أكل » ﷺ « العنب خرطا » يقال : خرط العنقود وأخرطه إذا وضعه في فمه وأخذ حبه وخرج عرجونه عاريا وفي رواية ذكرها ابن الأثير خرصا بالصاد بدل الطاء أي من غير عدد « يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو » أي الرؤال بالضم « الماء الذي يتقطر منه» **قال العراقي :** رواه ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصرا وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه الطبراني في الكبير هو والعقيلي من طريق داود بن عبد الجبار عن ابن الجارود عن حبيب بن يسار عن ابن عباس رفعه كان يأكل العنب خرطا قال العقيلي: داود ليس بثقة ولا يتابع عليه وأخرجه البيهقي في الشعب من طريقين ثم قال : ليس فيه إسناد قوي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب بل هو ضعيف .

(٢٥٦٢) حديث: « كان أكثر طعامه » ﷺ « الماء والتمر » **قال العراقي :** روى البخاري من حديث عائشة : توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء .اهـ.

(٢٥٦٣) حديث : « كان » ﷺ « يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين » **قال العراقي :** روى أحمد من رواية اسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال : دخلت علي رجل وهو=

«وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل » (٢٥٦٤) .

«وكان يأكل الثريد باللحم والقرع» (٢٥٦٥) .

«وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخى يونس عليه السلام » (٢٥٦٦) .

= يتمجع لبنا بتمر وقال : ادن فإن رسول الله ﷺ سماهما الأطيبين ورجاله ثقات وابهام الصحابى لا يضر . اهـ.

قال مرتضى : المجيع كأمير تمر يعجن بلبن وقد جاء ذكره في فقه اللغة للثعالبى وأنه ﷺ كان يحبه وتقدم من حديث جابر كان يأكل الخربز بالرطب ويقول : هما الأطيبان .

(٢٥٦٤) حديث : « كان أحب الطعام إليه » ﷺ « اللحم ويقول : هو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل » **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال : سمعت من علمائنا يقولون : كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم .... الحديث وللترمذى فى الشمائل من حديث جابر : أتانا النبى ﷺ فى منزلنا فذبحنا له شاة فقال : كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح ولابن ماجه من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم . اهـ.

قال مرتضى : قصة جابر وقعت فى غزوة الخندق وسيأتى ذكرهما عند ذكر المعجزات وهى طويلة أشار إليها الترمذى فى الشمائل بقوله وفى الحديث قصة وقال الزهرى : أكل اللحم يزيد سبعين قوة وقال الشافعى : أكله يزيد فى العقل وعن على رضي الله عنه : يصفى اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين صباحا ساء خلقه وروى أبو نعيم فى الطب من حديث على: سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم ورواه البيهقى من حديث بريرة بزيادة : وسيد الشراب .... الحديث بطوله وروى الحاكم في تاريخه من حديث صهيب بزيادة : ثم الأرز .

(٢٥٦٥) حديث : « كان » ﷺ «يأكل الثريد باللحم والقرع» **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أنس . اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس : كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد فى الحيس.

(٢٥٦٦) حديث : « كان » ﷺ « يحب القرع » وهو الدباء « ويقول : إنها شجرة أخي يونس» عليه السلام **قال العراقى** : روى النسائى وابن ماجه من حديث أنس : كان النبى ﷺ يحب=

قالت عائشة رضي الله عنها : وكان ﷺ يقول : « يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين » (٢٥٦٧) .

«وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد » (٢٥٦٨) .

«وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله» (٢٥٦٩) .

«وكان إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا» (٢٥٧٠) .

= القرع وقال النسائي : الدباء وهو عند مسلم بلفظ يعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء .اهـ.

قال مرتضى : وروى الترمذي في الشمائل من حديث أنس كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة وعند أحمد كما عند مسلم كان يعجبه القرع وقوله تعالى : ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ قالوا : هي الدباء .

(٢٥٦٧) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ يقول : « يا عائشة إذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فإنها تشد قلب الحزين » **وقال العراقي :** رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي من حديثها .اهـ.

قال مرتضى : ولا يصح .

(٢٥٦٨) حديث : « كان » ﷺ « يأكل لحم الطير الذي يصاد » **قال العراقي:** روى الترمذي من حديث أنس قال : كان عند النبي ﷺ طير فقال : اللهم إئتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء عليّ فأكل معه قال : حديث غريب **قال العراقي :** وله طرق كلها ضعيفة وروى أبو داود والترمذي واستغربه من حديث سفينة قال : أكلت مع النبي ﷺ لحم حباري .اهـ.

(٢٥٦٩) حديث: « كان » ﷺ « لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله » **قال العراقي :** هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال : من تبع الصيد غفل رواه أبو داود والنسائي والترمذي من حديث ابن عباس وقال الترمذي : حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني : قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد ، وهو ضعيف جداً .اهـ.

(٢٥٧٠) حديث : « كان » ﷺ « إذا أكل اللحم لم يطأطئ رأسه إليه ورفعه إلي فيه رفعا ثم نهسه» **قال العراقي :** روى أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال : كنت آكل مع النبي=

«وكان يأكل الخبز والسمن» (٢٥٧١) .

«وكان يحب من الشاة الذراع والكتف» (٢٥٧٢) .

« ومن القدر الدباء » (٢٥٧٣) .

= ﷺ فأخذ اللحم من العظم فقال : ادن اللحم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ وللترمذى من حديثه : إنهس اللحم نهسا فإنه أهنأ وأمرأ وهو منقطع والذى قبله منقطع أيضًا وللشيخين من حديث أبى هريرة : فتناول الذراع فنهس منها نهسة . . . الحديث . اهـ.

قال مرتضى : والنهس والانتهاس الأخذ بمقدم الأسنان .

(٢٥٧١) حديث : « كان » ﷺ «يأكل الخبز والسمن» **قال العراقى**: متفق عليه من حديث أنس فى قصة طويلة فيها فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته . . . . الحديث وفيه ثم أكل النبى ﷺ وفى رواية ابن ماجه فصنعت فيها شيئا من سمن ولايصح ولأبى داود وابن ماجه من حديث ابن عمر وددت أن عندى خبزة بيضاء من بر سمراء ملبقة بسمن . . . . الحديث قال أبو داود : منكر . اهـ.

(٢٥٧٢) حديث : « كان » ﷺ « يحب من الشاة الذراع والكتف » **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث أبى هريرة قال : وضعت بين يدى النبى ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه . . . . الحديث وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله ﷺ الكتف وإسناده ضعيف ومن حديث أبى هريرة: ولم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف . اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد وأبو داود وابن السنى وأبو نعيم كلاهما فى الطب من حديث ابن مسعود كان أحب . . . . الفراق إليه ذراعى الشاة وحديث ابن عباس المذكور رواه أيضا أبو نعيم فى الطب وروى أبو داود أيضا من حديث ابن مسعود بلفظ : كان يعجبه الذراع ولابن السنى وأبى نعيم فى الطب من حديث أبى هريرة : كان يعجبه الذراعان والكتف .

(٢٥٧٣) حديث : كان ﷺ « يحب من القدر » أى المطبوخ فى القدر « الدباء » **قال العراقى** : تقدم برقم ٢٥٦٦ ص ٢٢٩٧ حديث أنس: كان يحب الدباء ولأبى الشيخ من حديث أنس: كان أحب الطعام إليه الدباء . اهـ.

« ومن الصباغ الخل » (٢٥٧٤) .

« ومن التمر العجوة » (٢٥٧٥) .

« ودعا فى العجوة بالبركة وقال ﷺ : هى من الجنة وشفاء من السم والسحر » (٢٥٧٦) .

(٢٥٧٤) حديث : كان ﷺ « يحب من الصباغ الخل » **قال العراقى:** روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس : كان أحب الصباغ إلى رسول الله ﷺ الخل وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : رواه كذلك أبو نعيم فى الطب والمراد به ما يصبغ الخبز فيكون إداما له وقد ورد : نعم الإدام الخل .

(٢٥٧٥) حديث : « كان » ﷺ « يحب من التمر العجوة » **قال العراقى:** روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف : كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة .اهـ.

قال مرتضى : وكذا رواه أبو نعيم فى الطب والمراد بالعجوة عجوة المدينة وهى أجود التمر وألينه وألذه.

(٢٥٧٦) حديث : « دعا» ﷺ «فى العجوة بالبركة وقال : هى من الجنة » يريد المبالغة فى الاختصاص بالمنفعة والبركة فكأنها منها « وشفاء من السم والسحر» **قال العراقى :** روى البزار والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال : كنا عند رسول الله ﷺ فى وفد سدوس فأهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا ، هذا الجذامى فقال : بارك الله فى الجذامى وفى حديقة خرج هذا منها .... الحديث . قال أبو موسى المدنى ، قيل : هو تمر أحمر وللترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة : العجوة من الجنة وهى شفاء من السم وفى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص : من تصبح سبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .اهـ.

قال مرتضى : وروى أبو نعيم فى الطب بسند ضعيف من حديث بريدة : العجوة من فاكهة الجنة وروى أحمد وابن ماجه والحاكم والديلمى من حديث رافع بن عمرو المزنى: العجوة والصخرة والشجرة من الجنة ولابن النجار من حديث ابن عباس : العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم .... الحديث وأما حديث أبى هريرة الذى **أورده العراقى** فقد رواه أيضا أحمد ويروى عن أبى سعيد الخدرى وجابر رواه كذلك أحمد والنسائى وابن ماجه وابن منيع والديلمى وعندهم كلهم زيادة والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وأما حديث : من تصبح كل يوم .... إلخ فقد رواه كذلك أحمد وأبو داود كلهم من طريق عامر بن سعد ابن أبى وقاص عن أبيه .

« وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التى يقال لها الرجلة » (٢٥٧٧) .

« وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول » (٢٥٧٨) .

« وكان لا يأكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك » (٢٥٧٩) .

(٢٥٧٧) حديث : « كان » ﷺ « يحب من البقول الهندباء والباذروج » هو الريحان القرنفلى وهو الضيمران « والبقلة الحمقاء التى يقال لها الرجلة » **قال العراقى** : روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس : عليكم بالهندباء فإنه ما من يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن على وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة .اهـ.

قال مرتضى : فى سند حديث ابن عباس عمرو بن أبى سلمة ضعفه ابن معين وغيره .

قال العراقى : وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرجلة فروى أبو نعيم فى الطب من رواية ثوير قال : مر النبى ﷺ بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ : بارك الله فيك انبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف .اهـ.

(٢٥٧٨) حديث : « كان » ﷺ « يكره الكليتين » تثنية كلية وهى من الأحشاء معروفة « لمكانهما من البول » أى لقربهما منه فتعافهما النفس ومع ذلك يحل أكلهما . **قال العراقي**: رويناه فى جزء من حديث أبى بكر بن محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن السنى فى كتاب الطب النبوى .

(٢٥٧٩) حديث : « كان » ﷺ « لا يأكل من الشاة » سبعا مع كونها حلالا « الذكر والانثيين » أى الخصيتين «والمثانة» وهى مجمع البول «والمرارة» وهى ما فى جوف الحيوان فيها ماء أخضر «والغدة» وهى لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك «والحيا» ممدود الفرج من ذوات الخف والظلف قاله ابن الأثير « والدم» غير المسفوح ويكره ذلك **قال العراقى** : رواه ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : رواه ابن عدى من طريق فهد بن نسر عن عمر بن موسى بن وجيه عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال البيهقى بعد أن أخرجه من طريقه وعمر ضعيف ووصله لا يصح .اهـ. وقال ابن القطان : عمر بن موسى متروك وقد جزم عبد الحق بتضعيفه وتبعه=

« وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث » (٢٥٨٠) .

«وما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره»(٢٥٨١) .

«وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما» (٢٥٨٢) .

= العراقى وأما مرسل مجاهد فأخرجه البيهقى عن سفيان عن الأوزاعى عن واصل بن أبى جميلة عنه ورواه أبو حنيفة الإمام عن واصل بن أبى جميلة ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وفيه يحيى الحمانى وهو ضعيف .

(٢٥٨٠) حديث : « كان » ﷺ « لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث » **قال العراقى** : رواه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسلا ووصله الدارقطنى في غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفى الصحيحين من حديث جابر : أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا .... الحديث وفيه قال : فإنى أناجى من لا تناجي ولمسلم من حديث أبى أيوب فى قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال : إنى أكرهه من أجل ريحه .اهـ.

قال مرتضى : ويقاس على هؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة وروى أبو داود فى سننه من حديث عائشة : آخر طعام أكله ﷺ فيه بصل ولا ينافى ما تقدم من الأخبار لأن محله فى النئ على أن الأصح نئ هذه مكروه عليه وليس بمحرم وروى أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ عن أنس : كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وإنه يكلم جبريل.

(٢٥٨١) حديث: (أ) « ما ذم » ﷺ « طعامًا قط لكن أن أعجبه أكله وأن كرهه تركه» **قال العراقى:** وهذا قد تقدم فى حديث رقم ١٣٠٧ ص ١١٧٧ بلفظ : ما عاب .اهـ.

قال مرتضى: والذم والعيب مترادفان .

(ب) « وإن عافه لم يبغضه إلى غيره» **قال العراقى** : وفى الصحيحين من حديث ابن عمر فى قصة الضب فقال : كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى .اهـ.

(٢٥٨٢) حديث : « كان » ﷺ « يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما » **قال العراقى** : أما الضب ففى الصحيحين من حديث ابن عباس : لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه ولهما من حديث ابن عمر لست بآكله ولا محرمه وأما الطحال فروى ابن ماجه من حديث ابن عمر :=

« وكان يعلق بأصابعه الصحفة ويقول ﷺ : آخر الطعام أكثر بركة » (٢٥٨٣).

« وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر » (٢٥٨٤).

« وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول ﷺ : إنه لا يدرى فى أى الطعام البركة » (٢٥٨٥).

= أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه : وأما الدمان فالكبد والطحال وللبيهقى موقوفاً على زيد بن ثابت : أنى لا آكل الطحال وما بى إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به . اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن صصرى فى أماليه : كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمهما .

(٢٥٨٣) حديث : « كان» ﷺ « يلعق الصحفة » التى فيها الطعام « ويقول : آخر الطعام أكثر بركة » **قال العراقى :** روى البيهقى في الشعب من حديث جابر في حديث قال فيه : ولا ترفع القصعة حتى يلعقها أو يلعقها فإن آخر الطعام فيه البركة ولمسلم من حديث أنس : امرنا ان نسلت الصحفة قال : إن أحدكم لا يدرى أى طعامه يبارك له فيه . اهـ.

قال مرتضى : وفى بعض روايات مسلم من حديث جابر : فإنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة وأما حديث جابر الذى رواه البيهقى فقد رواه أيضا ابن حبان بلفظ : ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فإن فى آخر الطعام البركة وروي أحمد والترمذى وابن ماجه والبغوي والدارمى وابن أبى خيثمة وابن السكن وابن شاهين وابن قانع والدارقطنى من حديث قبيشة الخير الهذلى مرفوعا : من أكل فى قصعة ولحسها استغفرت له قال الترمذى والدارقطنى : غريب وأورده بعضهم تستغفر القصعة للاحسها .

(٢٥٨٤) حديث : « كان » ﷺ « يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر فلم أقف له على أصل . اهـ .

قال مرتضى : والمعنى يبالغ فى لعقها وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذى فى الشمائل: كان يلعق أصابعه ثلاثا أى يلعق كل إصبع ثلاث مرات .

(٢٥٨٥) حديث : « كان » ﷺ « لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول : إنه يدرى فى أى الأصابع البركة» . **قال العراقى :** روى مسلم من حديث كعب بن مالك أن النبى ﷺ : كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر: فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة وللبيهقى فى الشعب من حديثه : لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدرى فى أى طعامه يبارك له فيه . اهـ. =

« وإذا فرغ ﷺ قال : الحمد لله ، اللهم لك الحمد ، أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت ، لك الحمد غير مكفور ولا مودوع ولا مستغنى عنه » (٢٥٨٦).

= **قال مرتضى** : روى في هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأنس فلفظ حديث ابن عباس : إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها رواه كذلك أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه وحديث جابر مثله بزيادة : فإنه لا يدرى فى أى طعامه البركة رواه كذلك أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه وأما حديث أبى هريرة فلفظه: إذا أكل أحدكم طعاما فليلعق أصابعه فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة رواه كذلك أحمد ومسلم والترمذى ورواه كذلك الطبرانى فى الكبير عن زيد بن ثابت ورواه كذلك الطبرانى فى الأوسط عن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الإبهام وعند مسلم : إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لأنه لا يدرى فى أى طعامه البركة.

(٢٥٨٦) حديث : كان ﷺ « إذا فرغ » من الطعام « قال : اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه » **قال العراقى** : رواه الطبرانى من حديث الحارث بن الحارث بسند ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : هو صحابى أزدى والحديث المذكور من رواية محمد بن أبى قيس عن عبد الأعلى عنه ورواه أحمد عن رجل من بنى سليم له صحبة ولفظه كان إذا فرغ من طعامه قال : اللهم لك الحمد أطعمت وسقيت وأشبعت وأرويت فلك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنك قال الحافظ ابن حجر : وفيه عبد الله بن عامر الأسلمى فيه ضعف من قبل حفظه وسائر رجاله ثقات .

قال العراقى : وللبخارى من حديث أبى أمامة: كان إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذى كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة: الحمد لله ربنا غير مكفى ولامودع ولا مستغنى عنه ربنا .اهـ.

قال مرتضى : وروى الجماعة إلا مسلما من حديث أبى أمامة كان إذا رفع مائدته قال: الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا وفى رواية الترمذى وابن ماجه وإحدى روايات النسائى : الحمد لله حمدا وفى لفظ للنسائى : اللهم لك الحمد حمدا وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين رواه الأربعة واللفظ لأبى داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبى ﷺ إذا أكل أو شرب قال : فذكر نحوه وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال : الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له=

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفَّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق،

هانى غريب

ج ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٧

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

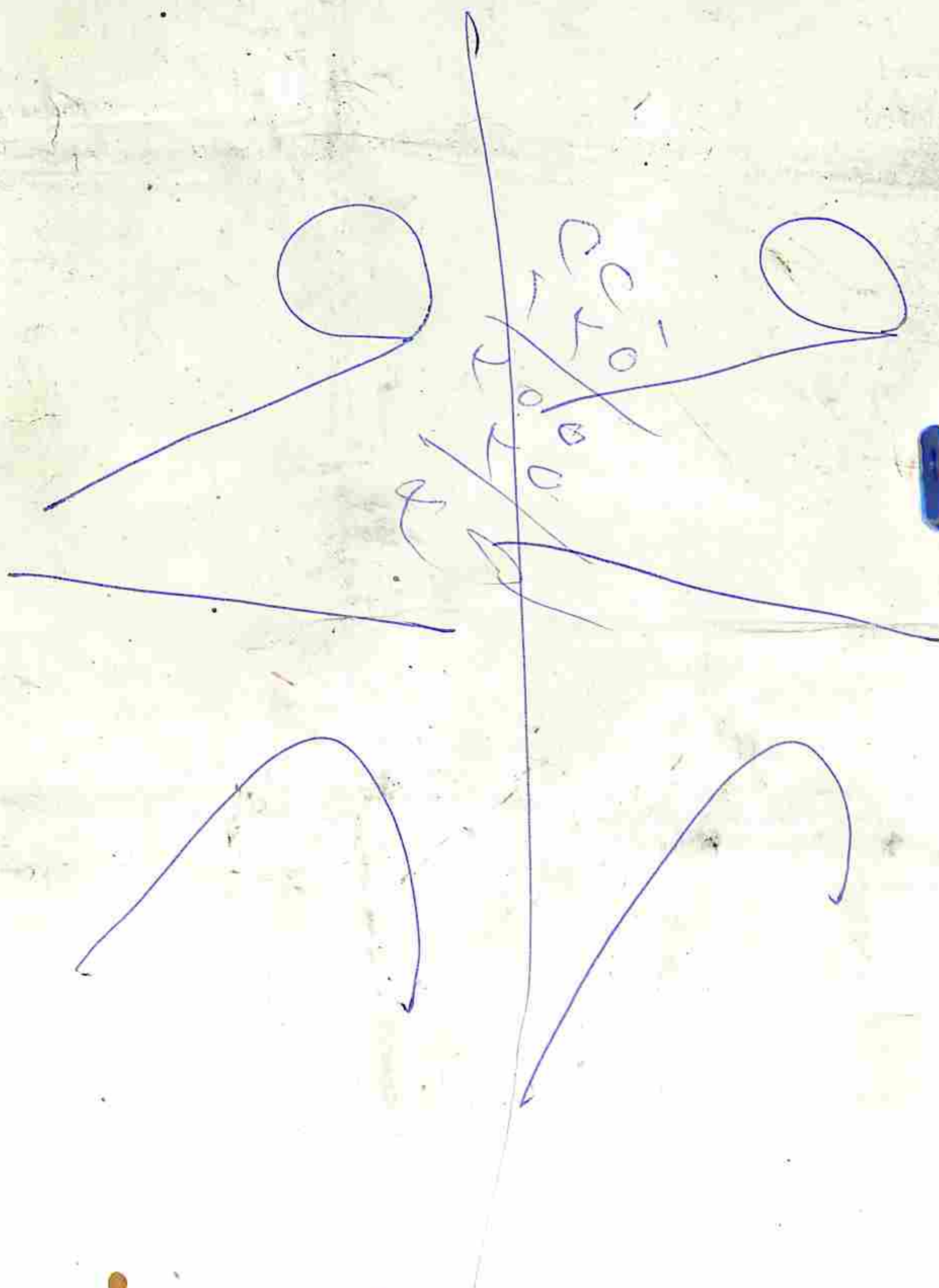
لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع



«وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه» (٢٥٨٧) .

« وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات» (٢٥٨٨) .

= مخرجا رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه وعن أبي هريرة قال : دعانا رجل من الأنصار من أهل قباء يعني النبي ﷺ فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو يديه قال : الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافى ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذي أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين رواه النسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحهما وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال : اللهم أشبعت وأرويت فهنيتنا ورزقتنا فأكثرت وأطبت فزدنا وروى الحاكم من حديث أبي الهيثم بن التيهان : فإذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذي هو أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل .

(٢٥٨٧) حديث : « كان » ﷺ « إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه» **قال العراقي** : روي أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف : من أكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن عدى في الكامل بلفظ : إذا أكل أحدكم طعاما فليغسل يده من وضر اللحم وإسناده ضعيف أيضا وعليه يحمل ما رواه أحمد والطحاوى والطبراني وابن عساكر من حديث سهل بن الحنظلية رفعه : من أكل لحما فليتوضأ أى فليغسل يده من وضره أى زهومته ودسمه وتقدم قريبا حديث أبي هريرة : دعانا رجل من الأنصار وفيه فلما طعم وغسل يده أو يديه .

(٢٥٨٨) حديث : « كان » ﷺ « يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات » **قال العراقي** : رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات ولمسلم من حديث أنس : كان إذا شرب تنفس ثلاثا .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن السني من حديث نوفل بن معاوية : كان يشرب بثلاثة أنفاس يسمى الله في أوله ويحمد الله في آخره وروى أيضا الطبراني من حديث ابن مسعود : كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثا يسمى عند كل نفس ويشكر عند آخرهن قال النووى : ضعيف وهذا يدل على أنه إنما يشكر مرة واحدة بعد فراغ الثلاث وفي الغيلانيات من حديث=

« وكان يمص الماء مصا » (٢٥٨٩) .

«ولا يعب عبا» (٢٥٩٠) .

«وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه» (٢٥٩١) .

= ابن مسعود : كان إذا شرب تنفس فى الإناء ثلاثا يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهن وروى أحمد والشيخان والاربعة من حديث أنس : كان إذا شرب تنفس ثلاثا ويقول : هو أهنأ وأمرأ وأبرأ وروى الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس : كان إذا شرب تنفس مرتين أى فى أثناء الشرب فيكون قد شرب ثلاث مرات وسكت عن التنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث .

(٢٥٨٩) حديث : « كان » ﷺ « يمص الماء مصا » **قال العراقى :** روى البغوى والطبرانى وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة من حديث بهز : كان يستاك عرضا ويشرب مصا وكلها ضعيفة .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك ابن السنى وأبو نعيم فى الطب وكلهم من طريق بشير بن كثير عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن بهز وهوالقشيرى قال البغوى : وليس له إلا هذا الحديث وهو منكر وفى الإصابة ورواه بعضهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقيل: إن ابن المسيب سمعه منه فأرسله الراوى عنه فظنه بعضهم صحابيا ولكن روى فى بعض طرقه عن جد بهز وهو معاوية فسقط لفظ جد من الراوى وبالجملة فاسناده مضطرب ليس بالقائم ورواه أيضا فى السنن عن ربيعة بن أكتم وكذا العقيلى كلاهما من طريق على ابن ربيعة عن ابن المسيب عنه وهو أيضا ضعيف .

(٢٥٩٠) حديث : كان ﷺ « لا يعبه عبا » **قال العراقى :** رواه الطبرانى من حديث أم سلمة : كان لا يعب ولأبى الشيخ من حديث ميمونة : لا يعب ولا يلهث وكلاهما ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : لفظ حديث أم سلمة عند الطبرانى : كان يبدأ بالشراب إذا كان صائما وكان لا يعب فيشرب مرتين أو ثلاثا وفيه يحيى الحمانى وهو ضعيف وروى سعيد بن منصور وابن السنى وأبو نعيم فى الطب والبيهقى فى الشعب من مرسل ابن أبى حسين : إذا شرب أحدكم فليمص مصا ولا يعب عبا فإن الكباد من العب وروى الديلمى من حديث على .: إذا شربتم الماء فاشربوه مصا ولا تشربوه عبا فإن العب يورث الكباد وروى أبو داود فى مراسيله عن عطاء بن أبى رباح : إذا شربتم فاشربوا مصا وإذا استكتم فاستاكوا عرضًا .

(٢٥٩١) حديث : « كان » ﷺ « يدفع فضل سؤره » أى ما بقى من الشراب « إلى من عن يمينه» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : ومن ثم قال ﷺ : الأيمن فالأيمن أو الأيمنون فالأيمنون .

«فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذى على يمينه : السنة أن تعطى فإن أحببت آثرتهم» (٢٥٩٢) .

«وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ» (٢٥٩٣) .

«وكان لا يتنفس فى الإناء بل ينحرف عنه» (٢٥٩٤) .

«وأتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال : شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد ثم قال ﷺ : لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله» (٢٥٩٥) .

(٢٥٩٢) حديث : «استئذانه » ﷺ « من على يمينه إذا كان على يساره » ﷺ « أجل رتبة » **قال العراقى** : متفق عليه من حديث سهل بن سعد .اهـ.

قال مرتضى : وروى عن ابن عباس قال : دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لى : الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالدا فقال : ما كنت أؤثر على سؤرك أحدا .... الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى واللفظ له : هذا حديث حسن وروى النسائى هذا القدر المذكور .

(٢٥٩٣) حديث : «شربه» ﷺ « بنفس واحد » حتى يفرغ **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبى قتادة وصححه : إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس فى الإناء والله اعلم .اهـ.

(٢٥٩٤) حديث : « كان » ﷺ « لا يتنفس فى الإناء » أى فى جوفه « حتى ينحرف عنه » **قال العراقى**: روى الحاكم من حديث أبى هريرة : ولا يتنفس أحدكم فى الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس وقال : حديث صحيح الإسناد .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن ماجه والطبرانى من حديث ابن عباس : كان لا ينفخ فى طعام ولا شراب ولا يتنفس فى الإناء وأما ما روى عن ابن مسعود : كان إذا شرب تنفس فى الإناء ثلاثا فمعناه أن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك ثم يشرب ثم يفعل كذلك .

(٢٥٩٥) حديث : « أتى » ﷺ « بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: شربتان فى شربة=

«وكان فى بيته أشد حياء من العاتق» (٢٥٩٦) .

«لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب» (٢٥٩٧) .

= وإدامان فى إناء واحد ثم قال ﷺ : لا أحرمه ولكنى أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه » **قال العراقى** : رواه البزار من حديث طلحة ابن عبيد الله دون قوله شربتان فى شربة .... إلخ وسنده ضعيف .اهـ .

قال مرتضى : ورواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم فى المستدرك فى الأطعمة من حديث أنس قال : أتى النبى ﷺ بقعب فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال : إدامان فى إناء لا آكله ولا أحرمه قال الحاكم : صحيح ورده الذهبى فى التلخيص وقال : بل منكر واه وقال الهيتمى عقب عزوه للحاكم فيه عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات وقال الحافظ ابن حجر : فى طريق الطبرانى زاو مجهول وأما قوله : من تواضع لله رفعه فرواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة ورواه ابن النجار بزيادة : ومن اقتصد أغناه الله وروى ابن منده وأبو عبيد من حديث أوس بن خولى بزيادة ومن تكبر وضعه الله وروى أبو الشيخ من حديث معاذ بلفظ : من تواضع تخشعا لله رفعه الله وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر فى أثناء حديث : إنى قد أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغى أحد على أحد فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضع نفسه رفعه الله .... الحديث .

(٢٥٩٦) حديث : « كان » ﷺ « فى بيته أشد حياء من العاتق » يقال : عتقت المرأة خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج فهى عاتق بلا هاء **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث أبى سعيد كان أشد حياء من العذراء فى خدرها .... الحديث وقد تقدم في حديث رقم ٢٤٢٥ ص ٢٢٥١ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضًا الترمذى من حديث أبى سعيد .

(٢٥٩٧) حديث : كان ﷺ « لا يسألهم طعاما » يعتنيه « ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه » وفى بعض النسخ وما أعطوه « قبل وما سقوه شرب » والمراد بعدم سؤاله إياهم طعاما يتشهاه لنفسه وأما مطلق السؤال فقد ثبت **قال العراقى** : روى مسلم من حديث عائشة أنه قال ذات يوم : يا عائشة هل عندكم شيء؟ قالت : فقلت : ما عندنا شيء .... الحديث وفيه : فلما رجع قلت : أهديت لنا هدية قال : ما هو؟ قلت : حيس ، قال: هاتيه وفى رواية قرّبيه وفى رواية للنسائى : أصبح عندكم شيء تطعمينيه ولأبى داود : هل عندكم طعام وللترمذى : أعندك غداء وفى الصحيحين من حديث عائشة : فدعا بطعام فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال : ألم أر برمة على النار فيها لحم .... الحديث وفى رواية =

«وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب » (٢٥٩٨) .

★ ★ ★

= لمسلم : لو صنعتم لنا من هذا اللحم .... الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشرب منه وإسناده حسن .اهـ.

(٢٥٩٨) حديث : « كان » ﷺ « ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه » **قال العراقي :** روى أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس دخل عليّ رسول الله ﷺ فشرب ومعه عليّ وعلى ناقه ولنا دوال معلقة فقام رسول الله ﷺ فأكل منها .... الحديث وإسناده حسن وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل عليّ رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائما .... الحديث .اهـ.

بيان آدابه ﷺ وأخلاقه فى اللباس

« كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أوغير ذلك » (٢٥٩٩) .

« وكان يعجبه الثياب الخضر » (٢٦٠٠) .

(٢٥٩٩) حديث : « كان » ﷺ « يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك » **قال العراقى :** روى الشيخان من حديث عائشة : أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت : فى هذا قبض رسول الله ﷺ وفى رواية : إزارا غليظا ولهما من حديث أنس : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية .... الحديث لفظ مسلم وقال البخارى : برد نجرانى ولابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصا قصير اليدين والطول ولأبى داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث أم سلمة : كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص ولأبى داود من حديث أسماء بنت يزيد : كانت يد قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل ذلك حديث الجبة والشملة والحبرة . اهـ.

قال مرتضى : ومن ذلك ما رواه الشيخان وأبو داود والنسائى من حديث أنس كان أحب الثياب إليه الحبرة ولفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه كان يلبس قميصا فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه وقد أخرجه كذلك ابن عساكر فى التاريخ وروى الحاكم من حديثه كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع الأصابع وروى ابن سعد من مرسل يزيد بن أبى حبيب كان يرخي الإزار من بين يديه ويرفعه من ورائه .

(٢٦٠٠) حديث : « كان » ﷺ « يعجبه الثياب الخضر » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى أبو الشيخ وأبو نعيم فى الطب من حديث أنس: كان أحب الألوان إليه الخضرة أى من الثياب وغيرها لأن الخضرة من ثياب الجنة قال ابن بطال وكفى به شرفا موجبا للمحبة ورواه كذلك البزار وأخرج ابن عدى والبيهقى عن قتادة قال : خرجنا مع أنس إلى أرض فقيل : ما أحسن هذه الخضرة فقال أنس : كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى النبى ﷺ الخضرة .

« وكان أكثر لباسه البياض ويقول : ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » (٢٦٠١) .

« وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب »(٢٦٠٢) .

« وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه » (٢٦٠٣) .

« وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق » (٢٦٠٤) .

(٢٦٠١) حديث : « كان » ﷺ « أكثر لباسه البياض ويقول : البسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم» **قال العراقى:** رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس : خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم ، قال الحاكم : صحيح الإسناد وله ولاصحاب السنن من حديث سمرة : عليكم بهذه الثياب البياض فيلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم، لفظ الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين وقال الترمذى : حسن صحيح .اهـ.

قال مرتضى : حديث ابن عباس أخرجه أيضا الطبرانى بتقديم وتأخير وزيادة وخير أكحالكم الأثمد ينبت الشعر ويجلو البصر وحديث سمرة أخرجه كذلك أحمد وابن سعد والرويانى والطبرانى والبيهقى والضياء بزيادة فإنها من خير ثيابكم .

(٢٦٠٢) حديث : « كان » ﷺ « يلبس القباء المحشو » بالقطن أو الصوف «للحرب وغير المحشو» **قال العراقى :** روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة : أن النبى ﷺ قدمت عليه أقبية من ديباج مزررة بالذهب .... الحديث وليس فى طرق الحديث لبسها إلا فى طريق علقها البخارى قال : فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب .... الحديث ولمسلم من حديث جابر : لبس النبى ﷺ يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزعه .... الحديث.اهـ.

(٢٦٠٣) حديث : « كان »ﷺ « له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه » **قال العراقى:** روى أحمد من حديث أنس : أن أكيدر دومة أهدى إلى النبى ﷺ جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث فى الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه : وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذى وصححه والنسائى أنه لبسها ولكنه قال : بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب .اهـ.

(٢٦٠٤) حديث : « كان ثيابه » ﷺ « كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق » **قال العراقى :** روى أبو الفضل محمد بن طاهر فى كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر : كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس : كان=

« وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها » (٢٦٠٥) .

« وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها» (٢٦٠٦) .

= يلبس قميصا فوق الكعبين .... الحديث وهو عند ابن ماجه بلفظ : قميصا قصير اليدين والطول وسندهما ضعيف وللترمذى فى الشمائل من رواية الأشعث قال : سمعت عمتى تحدث عن عمها فذكر النبى ﷺ وفيه فإذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه النسائى وسمى الصحابى عبيد بن خالد واسم عمة الاشعث رهم بنت الأسود ولا تعرف .اهـ.

قال مرتضى : عبيد بن خالد السمى البهيزى وقيل : عبيدة وقيل : عبدة شهد صفين مع على قال له النبى ﷺ : لو رفعت إزارك كان أبقى وأنقى قاله شيبان النحوى عن أشعث ابن أبى الشعثاء عن عمته عن عتيك قال : خليفة كنيته أبو عبد الله من ساكنى الكوفة أدرك زمن الحجاج وقال ابن أبى حاتم : اسمه عبيدة .

(٢٦٠٥) حديث : « كان »ﷺ « قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار فى الصلاة وغيرها» **قال العراقى :** رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى فى الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال : أتيت النبى ﷺ فى رهط من مزينة وبايعناه وإن قميصه لمطلق الأزرار وللبيهقى من رواية زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلى محلولة أزراره فسألته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله وفى العلل للترمذى أنه سأل البخارى عن هذا الحديث فقال: أنا أتقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوعًا يعنى زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم . **قال العراقى :** تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة فى صحيحه .اهـ.

قال مرتضى : وجدت بخط الشمس الداودى كذا فى الأصل والوليد لم يلحق زيد بن أسلم وإنما رواه عن زهير بن محمد أيضا كذا فى أصل ابن خزيمة فى كتاب الصلاة .اهـ. وبخط الشمس الشامى تحته وكذا أخرجه ابن حبان والحاكم من الوجه الذى أخرجه عنه ابن خزيمة وكذا أخرجه البيهقى والحاكم وكذا فى مسند البزار وغيره .اهـ.

قال العراقى : وللطبرانى من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلى محتبيا محلل الأزرار .اهـ.

(٢٦٠٦) حديث : « كان له »ﷺ « ملحفة » بكسر الميم الملاءة تلتحف بها المرأة « مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها » وحدها **قال العراقى :** روى أبو داود والترمذى من حديث قيلة بنت مخرمة قالت : رأيت النبى ﷺ وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران قال الترمذى : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان . **قال العراقى :** ورواته موثقون ولأبى داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبى سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل به .... الحديث ورجاله ثقات .اهـ. =

«وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره» (٢٦٠٧) .

«وكان له كساء ملبد يلبسه» (٢٦٠٨) .

ويقول ﷺ : « إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد» (٢٦٠٩) .

« وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة » (٢٦١٠) .

= **قال مرتضى** : وروى الخطيب في تاريخه في ترجمة نوح القوسي من حديث أنس : كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران يدور بها على نسائه فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء وإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء وسنده ضعيف .

(٢٦٠٧) حديث : « ربما لبس » ﷺ « الكساء وحده ليس عليه غيره» **قال العراقي** : رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي ﷺ صلى في بني عبد الاشهل وعليه كساء متلفف به .... الحديث وفي رواية البزار في كساء .اهـ.

(٢٦٠٨) حديث : « كان له» ﷺ « كساء ملبد يلبسه » **قال العراقي** : روى الشيخان من رواية أبي بردة قال : أخرجت الينا عائشة كساء ملبداً وإزارا غليظا فقالت : في هذين قبض رسول الله ﷺ .اهـ.

(٢٦٠٩) حديث : قال ﷺ : « أنا عبد ألبس كما يلبس العبد » **قال العراقي** : رواه البخاري من حديث عمر : إنما أنا عبد ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا في حديث رقم ١٣٠١ ص ١١٧٤ .اهـ.

قال مرتضى : وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر من لبس الصوف وانتعل بمخصوف .... الحديث وفيه أنا عبد بن عبد آكل أكلة العبد وأجلس جلسة العبد .... الحديث .

(٢٦١٠) حديث : « كان له » ﷺ « ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة » **قال العراقي**: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناهما إلى مثله ويرده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب .اهـ.

قال مرتضى : ويمكن الجمع بينهما بأن يستثنى أي غير ثوبي الجمعة وروى البيهقي من حديث جابر كان له برد يلبسه في العيدين والجمعة وفي رواية : أخضر وفي رواية : كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة ورواه ابن خزيمة في صحيحه من غير ذكر الأحمر=

« وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه » (٢٦١١) .

« وربما أم به الناس على الجنائز » (٢٦١٢) .

« وربما صلى فى بيتـه فى الإزار الواحد ملتحفـا به مخالفا بين طرفـيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ » (٢٦١٣) .

« وكـان ربما صلـى بالليل فى الإزار ويرتدى ببـعض الثـوب مما يلى هـدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك » (٢٦١٤) .

= وأخذ منه الإمام الرافعى أنه يسن للإمام يوم الجمعة أن يزيد فى حسن الهيئة واللباس ويتعمم ويرتدى وروى الخطيب من حديث أنس كان إذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة .

(٢٦١١) حديث : « ربما لبس »ﷺ « الإزار الواحد ليس عليه غيره فعـقد طرفيه بين كتفيه » **قـال العراقى:** روى الشيخان من حديث عمر فى حديث اعتزاله أهله فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبـخارى من رواية محمد بن المنكدر صـلى بنا جابر فى إزار قد عقده من قـبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب وفى رواية له وهـو يصلى فى ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبى ﷺ يصلى هكذا .اهـ.

(٢٦١٢) حديث : « ربما أم » رسـول الله ﷺ « به » أى بالإزار الواحـد ليس عليه غـيره « الناس على الجنائز » **قال العراقى** : لم أقف عليه .اهـ.

(٢٦١٣) حديث : « ربما صلى » رسول الله ﷺ « فى بيته فى الإزار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذى جامع فيه يومئذ » **قال العراقى** : روى أبو يعلى بإسناد حسن من حديث مـعاوية قال : دخلت على أم حـبيبة زوج الـنبى ﷺ فرأيت النبى ﷺ فى ثوب واحد فـقلت يا أم حبيـبة : أيصلى النبى ﷺ فى الثوب الواحـد قالت : نعم وهو الذى كان فيه ما كان تعنى الجماع ورواه الطبرانى فى الأوسط .اهـ.

(٢٦١٤) حديث : « ربما كان يصلى » رسول الله ﷺ « بالليل » فى الإزار « ويرتدى ببعض الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسـائه » فيصلى كذلك **قال العراقى** : روى أبـو داود من حديث عـائشة أن النبى ﷺ صلى فى ثوب بعضه علـىّ ولمسلم كان يصلى من الليل وأنا إلى جنبـه وأنا حـائض وعلىّ مـرط بعضـه على رسـول الله ﷺ وللطـبـرانى فى الأوسـط من حديـث أبى عبد الرحمن حاضن عـائشة : رأيت النبى ﷺ وعائشة يصليان فى ثوب واحد نصفه على النبى ﷺ ونصفه على عائشة وسنده ضعيف .اهـ.

« ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة رضي الله عنها : بأبى أنت وأمى ما فعل ذلك الكساء الأسود ؟ فقال ﷺ : كسوته ، فقالت رضي الله عنها : ما رأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده » (٢٦١٥) .

وقال أنس رضي الله عنه : « وربما رأيته يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها» (٢٦١٦) .

« وكان يتختم » (٢٦١٧) .

« وربما خرج وفى خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشىء » (٢٦١٨) .

(٢٦١٥) حديث : « كان له » ﷺ « كساء أسود فوهبه » لآخر « فقالت له أم سلمة » رضي الله عنها : « بأبى أنت وأمى » يا رسول الله « ما فعل ذلك الكساء الأسود ؟ قال : كسوته ، فقالت : ما رأيت شيئا قط كان أحسن من بياضك على سواده » **قال العراقى** : لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة خرج النبى ﷺ وعليه مرط مرجل أسود ولأبى داود والنسائى صنعت للنبى ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها .... الحديث وزاد فيه ابن سعد فى الطبقات فذكرت بياض النبى ﷺ وسوادها ورواه الحاكم بلفظ جبة وقال: صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

(٢٦١٦) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « ربما رأيته » ﷺ « يصلى بنا الظهر فى شملة عاقدا بين طرفيها » . **قال العراقى** : رواه البزار وأبو يعلى بلفظ : صلى بثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبزار خرج فى مرضه الذى مات فيه مرتديا بثوب قطن فصلى بالناس وإسناده صحيح ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى فى شملة قد عقد عليها وفى كامل ابن عدى قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاه وفى جزء الغطريف فعقدها فى عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف .اهـ.

(٢٦١٧) حديث : « كان » ﷺ « يتختم » **قال العراقى** : رواه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس .اهـ.

قال مرتضى : ولفظهما كان يتختم فى يمينه وكذلك رواه الترمذى عن ابن عمر ورواه مسلم والنسائى عن أنس ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر وروى ابن عدى عن ابن عمر بزيادة ثم حوله فى يساره وكذلك رواه ابن عساكر عن عائشة وروى مسلم عن أنس كان يتختم فى يساره وكذلك رواه أبو داود عن ابن عمر وعند الطبرانى من حديث عبد الله بن جعفر كان يتختم بالفضة .

(٢٦١٨) حديث : « ربما خرج » ﷺ « وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشىء » **قال العراقى** :=

« وكان يختم به على الكتب » (٢٦١٩) .

ويقول ﷺ : « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » (٢٦٢٠) .

« وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها » (٢٦٢١) .

= رواه ابن عدى من حديث واثلة بسند ضعيف : كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيط وزاد الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : حديث ابن عمر هذا أخرجه أبو يعلى من طريق سالم بن عبد الاعلى بن الفيض عن نافع عنه أن النبى ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في إصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في رابع الخلعيات وسالم ضعيف جدا وقال الدارقطنى فى الإفراد : إنه تفرد به ورواه ابن سعد في الطبقات والحكيم الترمذى فى النوادر بلفظ كان إذا أشفق من الحاجة ينساها ربط فى خنصره أو خاتمه الخيط ويروى عن رافع بن خديج قال : رأيت فى يد النبى ﷺ خيطا فقلت : ما هذا قال : أستذكر به رواه الدارقطنى فى الإفراد وقال : تفرد به غياث بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن الحارث عن عياش بن أبى ربيعة عن سعيد المقبرى عنه .

(٢٦١٩) حديث : « كان » ﷺ « يختم به » أى بخاتمه « على الكتب » **قال العراقى** : روى الشيخان من حديث أنس : لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا : إنهم لا يقرؤن إلا كتابا مختوما فاتخذ خاتما من فضة .... الحديث وللنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث ابن عمر : اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح .اهـ.

(٢٦٢٠) حديث : « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل .اهـ.

(٢٦٢١) حديث : « كان » ﷺ « يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلى إليها » **قال العراقى** : رواه الطبرانى وأبو الشيخ والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث ابن عمر كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء ولأبى الشيخ من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها فى السفر فربما وضعها بين يديه إذا صلى وإسنادهما ضعيف ولأبى داود والترمذى من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس قال الترمذى : غريب وليس إسناده بالقائم .اهـ.

قال مرتضى : وحديث ابن عباس أخرجه أيضا الرويانى وابن عساكر بلفظ كان يلبس=

« وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته » (٢٦٢٢) .

« وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فربما طلع على فيها فيقول ﷺ : أتاكم علي في السحاب » (٢٦٢٣) .

« وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه » (٢٦٢٤) .

= القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهى البيض المضرية ويلبس ذوات الآذان فى الحرب وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترته بين يديه وهو يصلى وحديث ابن عمر الذى أورده أولا تفرد به عبد الله بن خراش وهو ضعيف .

قال العراقى فى شرح الترمذى : أجود إسناد فى القلانس ما رواه أبو الشيخ عن عائشة كان يلبس القلانس فى السفر ذوات الآذان وفى الحضر المضمرة يعنى الشامية .اهـ.

(٢٦٢٢) حديث : « ربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه » ﷺ « وعلى جبهته » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث ابن عباس صعد رسول الله ﷺ المنبر وقد عصب رأسه بعاصبة دشماء .... الحديث .اهـ.

(٢٦٢٣) حديث : « كانت له » ﷺ « عمامة تسمى السحاب فوهبها من على » رضي الله عنه « فربما طلع على فيها فيقول ﷺ : أتاكم على فى السحاب » **قال العراقى** : رواه ابن عدى وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهومرسل ضعيف جدا ولأبى نعيم فى دلائل النبوة من حديث عمر فى أثناء حديث عمامته السحاب .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ومن هنا اشتبه على الرافضة فزعموا أن المراد بالسحاب التى فى السماء فقالوا : هو حى ورفع فى السحاب وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنة .

(٢٦٢٤) حديث : « كان » ﷺ « إذا لبس ثوبا » أى إذا أراد لبسه « يلبسه من قبل ميامنه » **قال العراقى**: رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف فى رفعه .اهـ.

قال مرتضى : الميامن جمع ميمنة والمراد بها هنا جهة اليمين وقال الهروى : أى كان يخرج يده اليمنى من الثوب وقال الطيبى : بميامنه أى بجانب يمينه أى فيندب التيامن فى اللبس ولفظ الترمذى كان إذا لبس قميصا بدأ بميامنه ورواه أيضا النسائى فى الزينة بنحوه .

قال مرتضى : ذكر العراقى فى تخريجه قبل هذا الحديث حديث : كان له ثوب لجمعته خاصة .... الحديث **قال العراقى** : تقدم قريبا حديث رقم ٢٦١٠ ص ٢٣١٤ بلفظ ثوبين .اهـ.

قال مرتضى : قول العراقى حديث كان له ثوب .... الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فلعله **بنسخة العراقى** .

ويقـول ﷺ : « الحمـد لله الذى كسانى ما أوارى به عـورتى وأتجمل به فى الناس » (٢٦٢٥) .

« وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره » (٢٦٢٦) .

« وكان إذا لبس جديـدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ﷺ : مـا من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا » (٢٦٢٧) .

(٢٦٢٥) حديث : قال رسـول الله ﷺ : « الحمد لله الذى كسانى مـا أوارى به عورتى وأتجمل به فى الـناس» **قال العـراقى** : رواه الترمذى وقال غريب وابن مـاجه والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب .اهـ.

قال مـرتضـى : ورووه من حديث أبى أمامة قـال : لبس عمر بن الخطاب ثوبا جديدا فقال: الحمد لله الـذي كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل فيه فى حيـاتى ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لبس ثوبا جـديدا فقال : الحمد لله الذى كـسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به ، كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر اللـه حيا وميتا ، هذا لفظ الترمـذى ، ففى الإسناد رواية صحابى عن صحابى وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبى شيبة وابن السنى فى عمل يوم وليلة والطبرانى فى الدعاء كلهم من حديث عـمر وروى ابن السنى من حديث معـاذ بن أنس رفعه من لبس ثوبا فقال : الحمـد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غـفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

(٢٦٢٦) حديث : « كان » ﷺ « إذا نزع ثوبه خرج من مياسره » جمع ميسرة ضد الميمنة **قال العراقى:** رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شـيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذ نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس : كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه وإذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو فى الانتعال فى الصحيحين من حديث أبى هريرة من قوله لا من فعله .اهـ.

قال مـرتضى : فيندب التياسر فى النزع كمـا يندب التيامن فى اللبس ومعنى خرج من مياسره أى أخرج اليد اليسرى من الثوب .

(٢٦٢٧) حديث : « كان » ﷺ « إذا لبس » ثوبا « جديدا أعطى خلق ثيـابه مسكينا ثم يقول : ما من مسلـم يكسو مسلمـا من سمل ثيـابه لا يكسوه إلا لله إلا كـان فى ضمـان الله وحرزه=

« وكان له فراش من أدم حشوه ليف » (٢٦٢٨) .

« طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه » (٢٦٢٩) .

« وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته » (٢٦٣٠) .

= وخيره ما واراه حيا وميتا » **قال العراقي** : رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال : الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا ... الحديث دون ذكر تصدقه ﷺ بثيابه قال البيهقي : إسناده غير قوي وهو عند الترمذي وابن ماجه دون ذكر لبس النبي ﷺ لثيابه وهو أصح وقد تقدم في حديث رقم ٢٦٢٥ ص ٢٣١٩ . اهـ.

قال مرتضى : روي الترمذي وقال حسن غريب من حديث ابن عباس ما من مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة وهو عند ابن النجار من كسا مسلما ثوبا كان في حفظ من الله عز وجل ما بقي عليه منه خرقة ورواه الحاكم وتعقب وأبو الشيخ بلفظ من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك .

(٢٦٢٨) حديث: « كان » ﷺ « له فراش من أدم » أي جلد مدبوغ وهو محركة « حشوه ليف » أي من ليف النخل لأنه الكثير بل المعروف عندهم **قال العراقي** : وهو متفق عليه من حديث عائشة . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الترمذي في الشمائل وروى أحمد والأربعة إلا النسائي كانت وسادته التي ينام عليها من أدم وحشوه ليف .

(٢٦٢٩) حديث : « كان » ﷺ « له فراش طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه » **قال العراقي** : رواه أبو الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع للإنسان في قبره وفيه من لم يسم . اهـ.

قال مرتضى : رواه أبو داود في اللباس في سننه عن بعض آل أم سلمة وهذا الذي أشار إليه الشيخ أن فيه من لم يسم ولفظه كان فراشه نحوا مما يوضع للإنسان في قبره وكان المسجد عند رأسه وقد رواه أيضا ابن ماجه في الصلاة فيمكن أن يؤخذ التحديد الذي ذكره المصنف من هذا الحديث .

(٢٦٣٠) حديث : « كانت له » ﷺ « عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته» **قال العراقي** : رواه ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش=

« وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره » (٢٦٣١) .

« وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه » (٢٦٣٢) .

« وكان اسم رايته العقاب » (٢٦٣٣) .

= رسول الله ﷺ عباءة مثنية .... الحديث ولأبي سعيد عنها : أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنين .... الحديث وكلاهما لا يصح وللترمذى فى الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت : مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه .... الحديث وهو منقطع .اهـ.

قال مرتضى : وقصة الانصارية رواها البخارى عن عائشة أن أنصارية دخلت على فرأت فراشه ﷺ قطيفة مثنية فبعثت لها بفراش حشوه صوف فدخل عليها ﷺ فقال ما هذا فذكرت له القصة فقال رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة .

(٢٦٣١) حديث : « كان » ﷺ « ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره» **قال العراقى :** متفق عليه من حديث عمر فى قصة اعتزال النبى ﷺ نساءه .اهـ.

قال مرتضى : وذلك أنه دخل عليه فى مشربة وكان مضطجعا على خصفة وإن بعضه لعلى التراب .... الحديث وعن ابن مسعود أنه ﷺ نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه وعند الطبرى أنه دخل عليه فى غرفة وهو نائم على حصير قد أثر فى جنبه فبكى .... الحديث وعند ابن حبان فى صحيحه أن أبا بكر وعمر دخلا عليه فإذا هو نائم على سرير له مزمل بالبردى عليه كساء أسود حشوه بالبردى فلما رآهما استوى جالسا فنظراه فإذا أثر السرير فى جنبه .... الحديث .

(٢٦٣٢) حديث : « كان من خلقه » ﷺ « تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روي الروياني وابن عساكر من حديث ابن عباس كان يلبس القلانس تحت العمائم .... الحديث وفي آخره وكان من خلقه أن يسمى سلاحه ودوابه ومتاعه أي كما كان يسمي قميصه ورداءه وعمامته .

(٢٦٣٣) حديث : « كان اسم رايته » ﷺ « العقاب » **قال العراقى :** رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف : كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه ابن سعد فى الطبقات وروى الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض قال الطيبى : أى غالب لونها أسود بحيث ترى من بعيد سوداء لا إن لونها أسود خالص وسكت عنه الحاكم ولم يصححه لأن فيه=

« واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار » (٢٦٣٤) .

« وكان له سيف يقال له المخذم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب » (٢٦٣٥) .

= يزيد بن حبان مضعف وقيل : بل هو مجهول الحال وساقه ابن عدى من مناكير حبان بن عبيد الله نعم رواه الترمذى فى العلل عن البراء من طريق آخر بلفظ كانت سوداء مربعة من نمرة ثم قال : سألت عنه محمدا يعنى البخارى فقال : حديث حسن .اهـ. ورواه الطبرانى باللفظ المذكور من هذا الوجه وزاد مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله وفى سنن أبى داود أنها كانت صفراء .

(تنبيه) : الراية العلم الكبير واللواء العلم الصغير فالراية هى التى يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها واليها تميل المقاتلة واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار وقال ابن العربى : اللواء ما يعقد فى طرف الرمح ويكون عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح .

(٢٦٣٤) حديث : « كان اسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذا الفقار » قال ابن القيم : تنفله من بدر وهو الذى أرى فيه الرؤيا ودخل به يوم فتح مكة وكانت أسيافه سبعة وهذا ألزمها له **قال العراقى** : روى أبو الشيخ من حديث على بن أبى طالب : كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أنه ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وللحاكم من حديث على فى أثناء حديث : وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : وقال الأصمعى : دخلت على الرشيد فقال : أريكم سيف رسول الله ﷺ ذو الفقار قلنا : نعم فجاء به فما رأيت سيفا أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء وإذا بطح عد فيه سبع فقر وإذا صفيحته يمانية يحار الطرف فيه من حسنه قال قاسم فى الدلائل : إن ذلك كان يرى فى رونقه شبيها بفقار الحية فإذا التمس لم يوجد وله ذكر فى حديث ابن عباس الطويل وسيأتى ذكره فى حديث رقم ٢٦٤٠ ص ٢٣٢٥ .

(٢٦٣٥) حديث : « كان لرسول الله » ﷺ « سيف يقال له المخذم » كمنبر « وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب » **قال العراقى** : روى ابن سعد فى الطبقات من رواية مروان بن أبى سعيد بن المعلى مرسلا قال : أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيف قلعى وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الحتف وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس وفى سنده الواقدى وذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه أنه يقال : إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لاحدهما القضيب شهد به بدرا .اهـ.

قال مرتضى : اختلفوا فى عدد سيوفه ﷺ فقيل : خمسة وهو قول عبدالملك بن عمير وقيل : سبعة نقله صاحب رأس مال النديم وتقدم أيضا عن ابن القيم وقيل : تسعة=

« وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة » (٢٦٣٦) .

« وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة » (٢٦٣٧) .

= ذكره عبد الباسط البلقيني والمخذم ورسوب أحد السيوف التى أهدت بلقيس لسليمان عليه السلام ثم آل إلى الحارث بن شمر الغسانى وفى مفاهيم الاشراف للبلادرى فى سرية على رضي الله عنه لما توجه إلى هدم القلس بضم القاف وسكون اللام اسم صنم لطئ كان مقلدا بسيفين أهداهما إليه الحارث بن أبى شمر المخذم ورسوب وفيهما يقول علقمة بن عبدة :

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فأتى بهما رسول الله ﷺ .

(٢٦٣٦) حديث : « كان قبضة سيفه » ﷺ « محلاة بالفضة » وفى رواية : كان قبيعة سيفه والقبيعة بالقاف كسفينة ما على طرف مقبض السيف **قال العراقى** : روى الطبرانى من حديث ابن عباس : كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكان له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزاً وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بغلة شهباء يقال لها الدلدل وكانت له ناقة تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المدله وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمي المشوق ، وفيه على بن غرزة الدمشقى نسب إلى وضع الحديث وروى أبو داود والترمذى وقال : حسن والنسائى وقال : منكر من حديث أنس : كانت قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة .اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الشمائل من فضة وفى حديث ابن عباس الآتى ذكره فى حديث رقم ٢٦٤٠ ص ٢٣٢٥ : كان له سيف محلي قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة وكان يسمى ذا الفقار .... الحديث .

(٢٦٣٧) حديث : « كان » ﷺ « يلبس المنطقة » بكسر الميم «من الأدم» محركة الجلد المدبوغ أو الأحمر أو مطلقا أقوال « فيها ثلاث حلق من فضة » **قال العراقى** : لم أقف له على أصل ولابن سعد فى الطبقات وأبى الشيخ من زواية محمد بن على بن الحسين مرسلا كان فى درع النبى ﷺ حلقتان من فضة عند موضع الثدى وحلقتان خلف ظهره من فضة .اهـ.

« وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور » (٢٦٣٨) .

« وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة » (٢٦٣٩) .

(٢٦٣٨) حديث : « كان اسم قوسه » ﷺ « الكتوم وجعبته الكافور » قال العراقي : لم أجد له أصلا وقد تقدم في حديث رقم ٢٦٣٦ ص٢٣٢٣ حديث ابن عباس عند الطبراني: أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله ﷺ يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي قوس اسمها الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع اهـ.

قال مرتضى : يقال : قوس كتوم أي لا ترن إذا قبضت أو التي لا شق فيها أو التي لا صدع في نبعها وأنشد الجوهري لاوس .

كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ولا عجسها في موضع الكف أفضلا

وأما الكافور فهو وعاء كل شيء من النبات .

(٢٦٣٩) حديث : « كان اسم ناقته » ﷺ « القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل» وكان « اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة » قال العراقي : تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبراني حديث رقم ٢٦٣٦ ص ٢٣٢٣ وللبخاري من حديث أنس كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وللحاكم من حديث علي : ناقته القصواء وبغلته دلدل وحماره عفير . . . . الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال : حماره يعفور وفيه شاته بركة وللبخاري من حديث معاذ كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبعًا عجوة وزمزم وسقيا وبركة ورشه وإهلال وأطراف وفي سنده الواقدي و له من رواية مكحول مرسلا كانت له شاة تسمى قمرا .اهـ.

قال مرتضى : حديث الحاكم الذي أخرجه عن علي قد أخرجه أيضا البيهقي ولفظه : كان فرسه يقال له المرتجز وناقته القصوى وبغلته الدلدل وحماره عفير ودرعه ذات الفضول وسيفه ذو الفقار وروى أحمد من حديث علي والطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود بسند حسن : كان له حمار اسمه عفير .

« وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويبتغون بذلك البركة » (٢٦٤٠) .

(٢٦٤٠) حديث : « كانت له » ﷺ « مطهرة من فخار يتوضأ منها ويشرب فيها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ﷺ لا يدفعون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة » **قال العراقي:** لم أقف له على أصل .اهـ.

قال مرتضى : ولنذكر حديث ابن عباس الموعود بذكره وهو جامع لما تقدم مع زيادة ساقه **العراقي فقال :** روى الطبراني من حديث ابن عباس : كان لرسول الله سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكان له قوس يسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حربة تسمى النبعة وكانت له مجن تسمى الذقن وكانت له ترس أبيض يسمى الموجز وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج الموجز وكانت له بغلة شهباء يقال لها دلدل وكانت له ناقة تسمى القصوى وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكز وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المدله وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق وفيه على بن عذرة الدمشقى نسب إلى وضع الحديث وقد تقدم في حديث رقم ٢٦٣٦ ص٢٣٢٣ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن على بن عذرة عن عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء وعمرو بن دينار كلاهما عن ابن عباس وعلى بن عذرة قال الهيتمى : متروك وأورده ابن الجوزى في الموضوعات وقال عبد الملك وعلى وعثمان متروكون ونوزع في عبد الملك فإن الجماعة سوى البخارى رووا له وفي بعض ألفاظ هذا الحديث كان له سيف محلى قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة وفيه وكان له قوس يسمى ذا السداد قال ابن القيم : كانت له ست قسى هذا أحدها وفيه وكان له كنانة تسمى ذا الجمع وهو بضم الجيم وسكون الميم والكنانة جعبة السهام والدرع المسماة ذات الفضول هى التى رهنها عند أبى الشحم اليهودى وكان له سبعة دروع هذه أحدها والنبعاء بتقديم النون على الموحدة ممدودة كذا في بعض ألفاظه قال ابن القيم : وكانت له حربة أخرى كبيرة تدعى البيضاء والمجن بالكسر الذى يتستر به في الحرب وهو الترس والذقن بفتح الذال وسكون الفاء وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء وليس في بعض روايته ذكر الترس بل زاد بعده وكان له فرس أشقر يقال له المرتجز والسكب المذكور كان أغر محجلا طلق=



= اليمين وهو أول فرس غزا عليه قاله النووى فى التهذيب ودلدل كقنفذ أهداها له يوحنا ملك إيلة وظاهر البخارى أنه أهداها له فى غزوة حنين وقد كانت هذه البغلة عند رسول الله ﷺ قبل ذلك قال القاضى : ولم يرد أنه كانت له بغلة غيرها نقله النووى عنه وتعقبه الجلال البلقينى فإن البغلة التى كان عليها يوم حنين غير هذه ففى مسلم أنه كان على بغلة بيضاء أهداها له الجذائى قال وفيما قاله القاضى نظر فقد قيل : كان له دلدل وفضة والتى أهداها ابن العلماء والإيلية وأخرى أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من النجاشى كذا فى سيرة مغلطاى وقال ابن القيم : كان له من البغال دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس وأخرى اسمها فضة أهداها له فروة الجذائى وأخرى شهباء أهداها له صاحب إيلة وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل وقوله القصوى هى التي قطع طرف اذنها فإذا جاوز القطع فهى العضباء قال ابن الأثير : ولم تكن ناقته ﷺ كذلك بل هو لقب لها وجاء فى خبر أن له ناقة تسمى العضباء وأخرى تسمى الجدعاء فيحتمل أن كل واحدة صفة ناقة مفردة ويحتمل كون الكل صفة ناقة واحدة فيسمى كل واحد منها بما تخيل فيها وقوله يعفور أو عفير هو بضم العين المهملة تصغير اعفر أخرجوه عن بناء أصله كسويد تصغير أسود من العفرة بالضم وهى حمرة يخالطها بياض ذكره جمع ووهموا عياضا فى ضبطه باعجام الغين قال الحافظ ابن حجر وهو غير الذى يقال له يعفور وزعم ابن عبدوس أنهما واحد رده الدمياطى فقال : عفير اهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس قال الواقدى نغف يعفور منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع وقيل طرح نفسه فى بئر يوم موته ﷺ وقوله وكان له بساط كذا فى نسخ الطبرانى ووقع فى بعض النسخ بدله فسطاط وهو تصحيف والكز بالزاى المعجمة هكذا ضبطه بعض قوله وكانت له عنزة هو بالتحريك أى حربة وقوله تسمى الصادر سميت به لأنه يصدر عنها بالرى ذكره ابن الأثير وقوله قضيب شوحط أى غصن مقطوع من شوحط وهو من أشجار الجبال تعمل منها القسى والسهام قيل هو الذى كان الخلفاء يتداولونه وروي البخارى من حديث سهل بن سعد قال كان للنبى ﷺ فى حائطنا فرس يقال له اللحيف وروى البيهقى عنه بلفظ : كان له فرس يقال له الظرب وآخر يقال له اللزاز وجملة أفراسه ﷺ سبعة متفق عليها جمعها ابن جماعة فى بيت فقال :

والخيل سكب لحيف ظرب لزاز مرتجز ورد لها أسرار

وقيل : كانت له أفراس خمسة عشر والله أعلم .

بيان عفوه ﷺ مع القدرة

« كان ﷺ أحلم الناس » (★) .

« وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل ، فقال ﷺ : ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال : ردوه على رويدا » (٢٦٤١) .

وروى جابر رضي الله عنه « أنه ﷺ كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال له رسول الله ﷺ ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل ، فقام عمر رضي الله عنه فقال : ألا أضرب عنقه فإنه منافق ، فقال ﷺ : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابي » (٢٦٤٢) .

(★) **قال العراقي** : هذا الحديث تقدم تخريجه في حديث رقم ٢٤١٤ ص ٢٢٤٧ . اهـ.

(٢٦٤١) حديث : كان ﷺ أرغبهم في العفو مع القدرة حتى « أتى بقلائد من ذهب وفضة » أى القلائد المصنوعة منهما وهو الحلى « فقسمها بين أصحابه » بما أراه الله تعالى « فقام رجل من أهل البادية » أى من الأعراب الجفاة « فقال : يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل » في القسمة « فما أراك تعدل » حيث أعطى بعضا وترك بعضا أو أكثر لبعض وأقل لآخرين «فقال » ﷺ « ويحك فمن يعدل عليك بعدى ، فلما ولى » الأعرابى « قال : ردوه على رويدا » أي من غير استعجال فحلم عليه وعفا عنه مع غلظة كلامه وأمر برده على امهال لئلا يرتاع **قال العراقي** : رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الحاكم من حديث ابن عمرو وفيه زيادة في آخره .

(٢٦٤٢) حديث : قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه « أنه » ﷺ « كان يقبض » مبنيا للفاعل أى يعطى وفي بعض النسخ كان يفيض من الإفاضة « للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال ، فقال له رجل : يا نبى الله اعدل ، فقال رسول الله ﷺ : ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذا وخسرت إن كنت لا أعدل ، فقام عمر رضي الله عنه فقال : الا أضرب عنقه فإنه منافق=

« وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال : من يمنعك منى؟ فقال : الله ، قال : فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ فقال : كن خير آخذ ، قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فقال : لا ، غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس » (٢٦٤٣).

= فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى » قال العراقى : رواه مسلم فى صحيحه . اهـ.

قال مرتضى : ورواه أيضا أحمد والبخارى والطبرانى فى الكبير بزيادة أن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية .

(٢٦٤٣) حديث : « كان » ﷺ « فى حرب فرؤى فى المسلمين غرة» أى غفلة « فجاء رجل » منهم «حتى قام على رسول الله ﷺ » وهو قائل تحت شجرة فى قائلة وسيفه معلق بها وقد تفرق عنه أصحابه « بالسيف » أى بسيفه ﷺ الذى كان معلقا بالشجرة فاخترطه وانتبه ﷺ من نومه فرآه واقفا على رأسه وبيده السيف « فقال : من يمنعك منى ؟ » أى أنا قاتلك به الآن « فقال » ﷺ : « الله » عز وجل يمنعنى منك قال الراوى : « فسقط السيف من يده » واندهش فى نفسه« فأخذ رسول الله ﷺ السيف » من الأرض « وقال : من يمنعك؟» الآن « فقال : كن خير آخذ ، قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : لا » أقول ذلك « غير أنى لا أقاتلك ولا أكون معك » أى فى نصرتك « ولا أكون مع قوم يقاتلونك » أى لا أكون عونا لك ولا عليك « فخلى سبيله » أى تركه حتى ذهب « فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس » قال العراقى : متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو فى مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وسمى الرجل غورث بن الحارث . اهـ.

قال مرتضى : أخرجه أحمد وكذا مسدد بن سرهد فى مسنديهما عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سليمان بن قيس عن جابر بطوله وفيه بعد قوله كن خير آخذ قال : لا ، أو تسلم قال: لا ولكن أعاهدك أنى لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله فجاء إلى أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس ، وأما البخارى فقد أخرجه من ثلاث طرق إحداها موصولة والأخرى معلقة والأخرى مختصرة جدا أما الموصولة من طريق الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن جابر : أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر الحديث وفيه إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابى جالس فقال : إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلت فقال : من يمنعك منى ؟ فقلت : الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ ولم يسم فى هذه الرواية وأما المعلقة فقال البخاري عقب=

وروى أنس رضي الله عنه « أن يهودية أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها ، فجئ بها إلى النبى ﷺ فسألها عن ذلك ؟ فقالت : أردت قتلك ، فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك ، قالوا : أفلا نقتلها ؟ فقال : لا » (٢٦٤٤) .

« وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه السلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط » (٢٦٤٥) .

= هذه قال: أبان حدثنا يحيى عن أبى سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع فذكر الحديث بمعناه وفيه أن أصحاب رسول الله ﷺ تهددوه وليس فيه تسمية أيضا وأما المختصرة فقال قال : مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث.

(٢٦٤٤) حديث : قال أنس رضي الله عنه : « إن يهودية أتت » إلى « النبى ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجئ بها إلى النبى ﷺ فسألها عن ذلك ؟ فقالت : أردت قتلك ، فقال : ما كان الله ليسلطك على ذلك قالوا :أفلا نقتلها ؟ فقال : لا » **قال العراقى** : رواه مسلم وهو عند البخارى من حديث أبى هريرة .اهـ.

قال مرتضى : وروى الحاكم فى المستدرك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله ﷺ سميطا فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبى ﷺ : كفوا أيديكم فإن عضوا من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة ، قال : فارسل إلى صاحبتها أسممت طعامك هذا ؟ قالت : نعم أحببت إن كنت كاذبا أريح الناس منك وإن كنت صادقا علمت أن الله سيطلعك عليه ، فقال رسول الله ﷺ : اذكروا اسم الله وكلوا فأكلنا فلم يضر أحدا منا شىء ، قال صاحب سلاح المؤمن : اسم هذه اليهودية زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وكان بشر بن البراء بن معرور ممن أكل من الشاة فمات منها وذلك عام خيبر قال : وقوى شيخنا الدمياطى القول بأن رسول الله ﷺ قتل اليهودية به .

(٢٦٤٥) حديث : «سحره» ﷺ « رجل من اليهود فأخبره جبريل » عليه السلام « بذلك حتى استخرجه» من بئر ذروان « وحل عقده فوجد لذلك خفة ، ولا ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط » **قال العراقى** : رواه النسائى بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره فى الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر .اهـ.

قال مرتضى : اسم ذلك اليهودى لبيد بن الاعصم وقد روى حديث سحره من طرق وتقدم بعضها فى كتاب العلم أما حديث زيد بن أرقم فأخرجه أيضا عبد بن حميد فى مسنده قال : سحر النبى ﷺ رجل من اليهود فاشتكى فأتاه جبريل عليه السلام فنزل عليه=

وقال على ﷺ : « بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال ﷺ : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا : أخرجى الكتاب فقالت : ما معى من كتاب فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبى ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلي أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ فقال : يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل على أنى كنت امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب منهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن دينى فقال رسول الله ﷺ : إنه صدقكم فقال عمر ﷺ : دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال ﷺ : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »(٢٦٤٦).

= بالمعوذتين وقال : إن رجلا من اليهود سحرك والسحر فى بئر فلان فارسل عليا فجاء به فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبى ﷺ كأنما نشط من عقال وأما حديث عائشة أيضا فاخرجه ابن مردويه والبيهقى فى الدلائل قالت : كان لرسول الله ﷺ غلام يهودى يخدمه يقال له لبيد بن الأعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبى ﷺ وكان النبى ﷺ يذوب ولا يدرى ما وجعه فبينا رسول الله ﷺ ذات ليلة قائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى هو عند رأسه للذى عند رجليه : ما وجعه؟ قال : مطبوب ، قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : بم طبه ؟ قال: بمشط ومشاطة وجف طلعة ذكر بذى أروان وهى تحت راعوفة البئر ، فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيها مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة .... الحديث ففيه فقيل يا رسول الله : لو قتلت اليهودى ، فقال : قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله أشد وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه ومن حديث أنس مختصرا .

(٢٦٤٦) حديث : قال على كرم الله وجهه: « بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد » بن الأسود « وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين فإن بها ظعينة » فى المصباح يقال للمرأة ظعينة وهى هنا امرأة من مزينة قال ابن إسحاق : بلغنى أنها كانت=

= مولاة لبنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرنها وخرجت به « معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ فقلنا : اخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لتنزعن الثياب فأخرجته من عقاصها » أى من شعرها المقوص وفى رواية من حجزتها « فأتينا به أى بالكتاب النبى ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة » واسم أبى بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمى وكان حاطب حليف بنى أسد بن عبد العزى « إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمور رسول الله ﷺ » أى ببعض أمره « بتجهيزه اليهم فقال : يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل على إنى كنت امرأ ملصقا فى قومى » أى لكونه من بنى لخم وأنا حالف ببنى أسد « وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتنى ذلك منهم من النسب أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولا يؤذونهم ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن دينى ، فقال رسول الله ﷺ : صدقكم حاطب ، فقال عمر ﷺ : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال ﷺ : إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » **قال العراقى** : متفق عليه . اهـ.

قال مرتضى : هو عندهما من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبى رافع قال : سمعت عليا يقول .... الحديث وأخرجاه أيضا من حديث أبى عبد الرحمن السلمى عن على وأنه فيه نزلت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** .... ﴾ الآية قال سفيان : فلا أدرى أذاك فى الحديث أم قولا من عمرو بن دينار ورواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عباس عن عمر فذكر يعنى حديث على وفيه فقال : يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله كان أهلى فيهم فكتبت كتابا لا يضر الله ولا رسوله وروى ابن شاهين والماوردى والطبرانى وسمويه من طريق الزهرى عن عروة عن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة قال : وحاطب رجل من أهل اليمن وكان حليفا للزبير وكان قد شهد بدرا وكان بنوه وإخوته بمكة فكتب حاطب من المدينة إلى كفار قريش ينتصح لهم فذكر الحديث نحو حديث على وفى آخره فقال حاطب : والله ما أذنبت فى الله منذ أسلمت ولكننى كنت امرأ غريبا ولى بمكة بنون وإخوة ... الحديث وزاد فى آخره فانزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** .... الآيات ﴾ ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر بإسناد قوى .

« وقسم رسول الله ﷺ قسمة ، فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فاحمر وجهه وقال ﷺ : رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر » (٢٦٤٧) .

وكان ﷺ يقول : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » (٢٦٤٨) .



(٢٦٤٧) حديث : « قسم رسول الله ﷺ قسمة ، فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فاحمر وجهه وقال : رحم الله أخى موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث ابن مسعود .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وتمامه لما كان يوم حنين آثر النبى ﷺ أناسًا فى القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثلها وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ فى القسمة فقال رجل ما قال وفيه فقلت : والله لاخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فاخبرته فقال ﷺ : ما قال وقوله قد أوذى بأكثر من هذا فصبر أى آذاه قومه بأشد مما أوذيت به من تشديد فرعون وقومه وآبائه عليه وقصده إهلاكه بل ومن تعنت من آمن معه من بنى اسرائيل حتى رموه بالإدرة واتهموه بقتل أخيه هارون عليهما السلام لما مات معه فى التيه ولما سلك بهم البحر قالوا : إن صحبنا لا نراهم فقال : سيروا فإنهم على طريق كطريقكم قالوا : لا نرضى حتى نراهم فقال : اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوات فى الماء فتراءوا وتسامعوا إلى غير ذلك من تعنتاتهم معه ﷺ وكلامه ﷺ ذلك شفقة عليهم ونصحا فى الدين لا تهديدا وتثريبا .

(٢٦٤٨) حديث : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » **قال العراقى** : رواه أبو داود والترمذى من حديث ابن مسعود وقال : غريب من هذا الوجه .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد والبيهقى .

بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه

« كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه ورضاه » (٢٦٤٩) .

« وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة » (٢٦٥٠) .

« وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج ، فقال لبعض القوم : لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعنى الصفرة » (٢٦٥١) .

(٢٦٤٩) حديث : « كان » ﷺ « رقيق البشرة » محركة ظاهر الجلد وهو علامة اعتدال المزاج ويكنى به عن الحياء أيضا « لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه » الشريف «غضبه» ورضاه **قال العراقى:** روى أبو الشيخ من حديث ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه .... الحديث وقد تقدم .اهـ.

(٢٦٥٠) حديث : « كان » ﷺ « إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة » **قال العراقى :** رواه أبو الشيخ من حديث عائشة ﵂ بإسناد حسن وقد تقدم.اهـ.

(٢٦٥١) حديث : « كان » ﷺ « لا يشافه أحدا بما يكرهه ، دخل عليه »ﷺ « رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل » له « شيئًا حتى خرج فقال : لبعض القوم لو قلتم لهذا » أى لكان أحسن أى لأنه فيه نوع تشبه بالنساء « أن يدع هذه يعنى الصفرة » **قال العراقى :** رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل والنسائى فى اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف وقد تقدم في حديث رقم ١٨١٨ ص ١٦٤٩ .اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد وفى رواية للطيالسى وأحمد والنسائى : لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة ، ورواه كذلك البخارى والبيهقى من حديث أبى هريرة بهذا اللفظ .

« وبال أعرابى فى المسجد بحضرته فهم به الصحابة فقال ﷺ : لا تزرموه أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال ﷺ له : إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من القذر والبول والخلاء » (٢٦٥٢) ، وفى رواية : قربوا ولا تنفروا .

وجاءه أعرابى يوما يطلب منه شيئا فأعطاه ﷺ ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الاعرابى : لا ولا أجملت ، قال : فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئا ثم قال ﷺ : أحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال له النبى ﷺ : إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشى جاء، فقال النبى ﷺ : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى ، أكذلك ؟ فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال ﷺ : إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها واعلم ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » (٢٦٥٣) .

(٢٦٥٢) حديث : « بال أعرابى فى المسجد بحضرته » ﷺ فهم به الأصحاب أى قصدوا منعه عن ذلك « فقال ﷺ : لا تزرموه » بضم التاء الفوقية وسكون الزاى « أى لا تقطعوا عليه البول » فإنه يضر البائل قال ذلك شفقة عليه « ثم قال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من القذر والبول والخلاء » أى الغائط وفى رواية : قربوا ولا تنفروا **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس . اهـ.

(٢٦٥٣) حديث : « جاء أعرابى يومًا يطلب منه » ﷺ « شيئا فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال : أحسنت إليك» يخبر بذلك باطنه « فقال الإعرابى : لا ولا أجملت ، قال : فغضب المسلمون لذلك وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا » أى امتنعوا عنه « ثم قام ودخل منزله=



= وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبى ﷺ : إنك قلت ما قلت آنفا وفى نفس أصحابى شىء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم ، فلما كان من الغد أو من العشى جاء فقال النبى ﷺ : إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى بذلك ، فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال ﷺ إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها وأعلم ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض» أى مما يقم من وجهها من حشيش وتبن فردها هوى هوى هكذا بضم الهاء وسكون الواو والياء فيهما كذا فى بعض النسخ وهو اسم صوت لدعاء الناقة وفى بعض النسخ هونا هونا حتى جاءت « واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها » راكبا «وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » **قال العراقى** : الحديث بطوله رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف .اهـ.

بيان سخاوته وجوده ﷺ

« كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم » (٢٦٥٤) .

« وكان فى شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا » (٢٦٥٥) .

وكان على رضي الله عنه إذا وصف النبى ﷺ قال : « كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله » (٢٦٥٦) .

(٢٦٥٤) حديث : « كان » ﷺ «أجود الناس وأسخاهم » أى أكثرهم جودا وسخاء وهما مترادفان وقال بعضهم الجود صفة هى مبدأ إفادة ما ينبغى لا لغرض والسخاء إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى **قال العراقى:** روى الشيخان من حديث أنس : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الترمذى وابن ماجة .

(٢٦٥٥) حديث : « كان » ﷺ « فى شهر رمضان كالريح المرسلة» بفتح السن أى المطلقة لا يمسك شيئا **قال العراقى :** روى الشيخان من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه الترمذى فى الشمائل ورواه كذلك أحمد بزيادة لا يسأل شيئا إلا أعطاه وسبب أجوديته إتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما فى الصحيحين .

(٢٦٥٦) حديث : « كان على » رضي الله عنه « إذا وصف النبى ﷺ قال : كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا » وفى بعض النسخ أوسع بدل أجرأ ولفظ الشمائل أجود الناس صدرا أى قلبا تسمية الشىء باسم محله أو مجاوره أى جوده ﷺ بالسجية والطبع لا بالتكلف وقيل من الجودة أى أحسنهم قلبا لسلامته من كل غش و دنس كيف وقد صح أن جبريل شقه واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست ذهب بماء زمزم «وأصدق الناس لهجة» بفتحتين أو بفتح فسكون أى لسانًا « وأوفاهم بذمة » وفى نسخة ذمة « وألينهم=

« وما سئل عن شىء قط على الإسلام إلا أعطاه وأن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » (٢٦٥٧) .

« وما سئل شيئا قط فقال ﷺ : لا » (٢٦٥٨) .

= عريكة» أى طبيعة فهو مع الناس على غاية من السلامة والمطاوعة وقلة الخلاف والنفور «وأكرمهم عشيرة » وفى نسخة عشرة أى اختلاطا وصحبة وعلى الأول هنا أكرمهم قبيلة أى قوما من جهة أبيه وأمه «من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ » **قال العراقى :** رواه الترمذى وقال : ليس إسناده بمتصل .اهـ.

قال مرتضى : ولفظه أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة والباقى سواء .

(٢٦٥٧) حديث : « ما سئل » ﷺ « شيئا قط على الإسلام» من متاع الدنيا « إلا أعطاه » وجاد به أو وعده أو سكت « فإن رجلا أتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال يا قوم اسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » وفى لفظ الفقر **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : رواه من طريق عاصم بن النفر عن خالد بن الحارث حدثنا حميد بن موسى عن موسى بن أنس عن أبيه ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق محمد بن أبى يعقوب الكرمانى عن خالد بن الحارث وتمامه عند مسلم وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة حتى صار أحب الناس إليه بعدما كان أبغضهم إليه فكان ذلك سببا لحسن إسلامه وروى مسلم والترمذى من طريق سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال والله لقد أعطانى النبى ﷺ وإنه لأبغض الناس إلى فما زال يعطينى حتى أنه لأحب الناس إلىّ .

(٢٦٥٨) حديث : « ما سئل » ﷺ « شيئا قط فقال » ﷺ : « لا » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث جابر .اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن سعد فى الطبقات من مرسل محمد ابن الحنفية كان لا يكاد يقول لشىء لا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال : نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت ومن هنا قال الشاعر :

ما قال لا قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وقد تقدم شىء من ذلك فى أوّل الباب .

« وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها » (٢٦٥٩) .

« وجاءه رجل فسأله فقال ﷺ : ما عندى شيء ولكن ابتع على فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر ﷺ : يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره النبى ﷺ ذلك، فقال الرجل: أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا، فتبسم النبى ﷺ وعرف السرور فى وجهه » (٢٦٦٠) .

(٢٦٥٩) حديث : « حُمِلَ إليه » ﷺ « تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها » .

قال مرتضى : هكذا رواه الترمذى .

وقال العراقى : روى أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكتا فقال له العباس .... الحديث وللبخارى تعليقا من حديث أنس أتى النبى ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ .... الحديث وفيه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس .... الحديث ووصله عمر بن محمد البحيرى فى صحيحه . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ البخارى وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس : أتى بمال من البحرين فأمر بصبه فى المسجد ، وكان أكثر مال أتى به فخرج إلى المسجد ولم يلتفت ، فلما قضى الصلاة جاء يجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه ، إذا جاءه إنسان فسأله فقال : خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله مر بعضهم يرفعه لى ، قال : لا ، قال : ارفعه أنت علىّ ، قال : لا ، فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع ، فقال كالأول ، فقال له : لا ، فنثر منه ثم احتمله ، فاتبعه ﷺ بصره حتى غاب عجبا من حرصه ، فما قام ﷺ وثم منها درهم ، قال ابن دحية هذا على امتداد قامة العباس وطوله فى الناس إذ كان ممن يقل من الأرض فيما الجمل إذا برك يحمله فما يدرى قدر ما حمل من تلك الدراهم النقرة على كاهله . اهـ . وفى خبر مرسل أنه كان مائة ألف ألف رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن حميد بن هلال .

(٢٦٦٠) حديث : « جاءه » ﷺ «رجل فسأله» شيئا من متاع الدنيا « فقال : ما عندى شيء ولكن ابتع علىّ» بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية أى اشتر شيئا بثمن الذمة علىّ أداؤه « فإذا جاءنا=

« ولما قفل من حنين جاءت الإعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا » (٢٦٦١) .



= شيء قضيناه ، فقال عمر ﷺ : « يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ ذلك ، فقال الرجل انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا » أى شيئا من الفقر « فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه » **قال العراقي** : رواه الترمذي في الشمائل من حديث عمر وفيه موسى بن أبي علقمة القروي لم يروه غير ابنه هارون . اهـ.

قال مرتضى : وفيه عنده فقال عمر يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه وفيه فكره النبي ﷺ قول عمر ، وفيه فقال رجل من الأنصار يا رسول الله انفق ... إلخ وفي آخره بهذا أمرت .

(تنبيه): الحديث المشهور على الألسنة أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وفي لفظ يا بلال وفي لفظ ولا تخافن رواه الطبراني والبزار من حديث ابن مسعود ورواه العسكري في الأمثال من حديث عائشة وأخرجه الطبراني أيضا من حديث أبي هريرة وكذلك رواه البيهقي في الشعب متصلا ومن مرسل ابن سيرين وما يحكى عن كثيرين في لفظه أنفق بلالا ويتكلمون في توجيهه بكونه نهيا عن المنع فليس له أصل نبه عليه الحافظ السخاوي .

(٢٦٦١) حديث : « لما قفل » ﷺ « من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه » هي من أشجار البادية « نعما » أي إبلا « لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا » **قال العراقي** : رواه البخاري من حديث جبير بن مطعم . اهـ.

قال مرتضى : ولفظه بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقبلة من حنين علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فذكروه وفيه ولا كذوبا بدل كذابا ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ المصنف .

بيان شجاعته ﷺ

« كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم» (٢٦٦٢) .

قال علي رضي الله عنه : « لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » (٢٦٦٣) .

وقال رضي الله عنه أيضا : « كنا إذا أحمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » (٢٦٦٤) .

وقيل : « كان ﷺ قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر» (٢٦٦٥) .

(٢٦٦٢) حديث : « كان » ﷺ « أنجد الناس وأشجعهم » **قال العراقي** : رواه الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله ﷺ وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس . . . . الحديث . اهـ.

(٢٦٦٣) حديث : قال علي رضي الله عنه : « لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقرب إلى العدو وكان أشد الناس بأسا يومئذ » **قال العراقي** : رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بإسناد جيد . اهـ.

(٢٦٦٤) حديث : قال علي رضي الله عنه : « كنا إذا حمي البأس » أي اشتد الكرب في الحرب « ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » **قال العراقي** : رواه النسائي بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء . اهـ.

(٢٦٦٥) حديث : « كان » رسول الله ﷺ « قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر » الناس « بالقتال تشمر » **قال العراقي** : رواه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسلا . اهـ.

قال مرتضى : وروى أحمد من طريق سماك قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس=

« وكان من أشدّ الناس بأسا» (٢٦٦٦) .

«وكان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو» (٢٦٦٧) .

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه : « ما لقى رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب» (٢٦٦٨) .

وقالوا : « كان قوى البطش » (٢٦٦٩) .

= النبى ﷺ قال : نعم و كان طويل الصمت قليل الضحك رجاله رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة وسعد بن عياض المذكور تابعى يروى عن ابن مسعود وعنه أبو إسحاق السبيعى وثق روى له أبو داود والنسائى كذا فى الكاشف .

(٢٦٦٦) حديث : « كان » ﷺ « من أشد الناس بأسًا » ، **قال العراقى** رواه أبو الشيخ من حديث علىّ فى قصة بدر وقد تقدم تقريبًا فى حديث رقم ٢٦٦٣، ص ٢٣٤١ .اهـ.

(٢٦٦٧) حديث : « كان الشجاع هو الذى يقرب منه » ﷺ « فى الحرب لقربه من العدو » **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث البراء : والله إذا حمى الوطيس نتقى به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به .اهـ.

(٢٦٦٨) حديث : قال عمران بن حصين رضي الله عنه : « ما لقى » رسول الله ﷺ « كتيبة » طائفة من الجيش مجتمعة « إلا كان أول من يضرب » **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ أيضًا وفيه من لم أعرفه .اهـ.

(٢٦٦٩) حديث : « كان » ﷺ « قوى البطش » **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ أيضًا من رواية أبى جعفر معضلا وللطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو : أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ابن سعد عن محمد بن على مرسلا بلفظ : كان شديد البطش ، قال الشارح : ومع ذلك فلم تكن الرحمة منزوعة عن بطشه لتخلقه بأخلاق الله تعالى وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ليس فيه شىء من الرحمة واللطف .

« ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل ﷺ يقول :

أنـا الـنبـى لا كـــــذب أنا ابـن عـبـد الـمطـلب

فما رئ يومئذ أحد كان أشد منه» (٢٦٧٠).

★★★

(٢٦٧٠) حديث : « لما غشيه المشركون » يوم حنين « نزل » ﷺ عن بغلته « فجعل يقول :

أنـا الـنبـى لا كـــــذب أنا ابن عـبـد المطلب

فما رؤى أحد يومئذ أشد منه » قال العراقى : متفق عليه من حديث البراء دون قوله : فما رؤى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث على فى قصة بدر : وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا . اهـ.

قال مرتضى : ومعنى قوله أنا النبى لا كذب أى حقا فلا أفرق ولا أزول أى صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكأنه قال أنا النبى والنبي لا يكذب لست بكاذب فيما أقول حتى انهزم بل أنا متيقن أن ما وعدنى الله تعالى من النصر حق فلا يجوز على الفرار .

بيان تواضعه ﷺ

« كان ﷺ أشد الناس تواضعا فى علو منصبه » (٢٦٧١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « رأيته يرمى الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك » (٢٦٧٢) .

« وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف » (٢٦٧٣) .

(٢٦٧١) حديث : « كان » ﷺ «أشد الناس تواضعا فى علو منصبه» **قال العراقى :** روى أبو الحسن بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل فى صفته قال فيه : متواضع فى غير مذلة وإسناده ضعيف .اهـ.

(٢٦٧٢) حديث : قال ابن عامر رضي الله عنه كذا فى النسخ ووقع فى بعضها ابن عباس رضي الله عنهما وهو غلط «رأيته » ﷺ « يرمى الجَمرة » أى جمرة العقبة « على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك » **قال العراقى :** رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله ابن عمار قال الترمذى حسن صحيح وفى كتاب أبى الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكر المصنف .اهـ.

قال مرتضى : تقدم هذا الحديث في الكتاب الذى قبله حديث رقم ٢٣٥٢ ص٢١٣١ من رواية سفيان الثورى عن أيمن بن نائل نزيل عسقلان عن قدامة وكذا من رواية البهلول عن أيمن بن نائل فى قصة الرشيد وهو قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية العامرى الكلابى له صحبة وله أحاديث وقال ابن السكن كان يسكن بنجد ولم يهاجر لقى النبى ﷺ فى حجة الوداع وروى عبد الرزاق عن أيمن بن نائل هذا الحديث ونسبه فيه إلى جده فقال قدامة بن عمار وبه يظهر أن المصنف تبع نسخة أبى الشيخ فى قوله ابن عامر .

(٢٦٧٣) حديث : « كان » ﷺ « يركب الحمار موكفا » أى مشدودا عليه بالأكاف « عليه قطيفة » وهى دثار له خمل « وكان مع ذلك يستردف » **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد .اهـ.

« وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك » (٢٦٧٤) .

« ويخصف النعل و يرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع أهله فى حاجتهم» (٢٦٧٥) .

« وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك » (٢٦٧٦) .

« وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم» (٢٦٧٧) .

= **قال مرتضى** : وتارة يركبه عريا ليس عليه شيء كما رواه ابن سعد من حديث حمزة بن عبد الله بن عتبة مرسلا .

(٢٦٧٤) حديث : « كان » ﷺ « يعود المريض » ولو كان فى آخر المدينة راكبا وماشيا «ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك » وفى لفظ العبد إلى أى حاجة دعاه إليها قرب محلها أو بعد **قال العراقى**: رواه الترمذى وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم متقطعا فى حديث رقم ٢٤٢٦ ص ٢٢٥١ . اهـ.

قال مرتضى : ولفظ الحاكم : كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ورواه أيضا ابن ماجة .

(٢٦٧٥) حديث : « كان »ﷺ « يخصف النعل » أى يخرزها بيده « ويرقع الثوب » أى يخيطه أو يحط له رقعة « ويصنع » ﷺ « فى بيته مع أهله فى حاجتهم » **قال العراقى** : هو فى المسند من حديث عائشة : كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وقد تقدم فى أوائل آداب المعيشة حديث رقم ٢٤٢٣ ص ٢٢٥١ . اهـ.

قال مرتضى : وروى ابن عساكر من حديث أبى أيوب : كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف .

(٢٦٧٦) حديث : « كان أصحابه » ﷺ « لا يقومون له » إذا أقبل عليهم « لما يعلمون من كراهته لذلك » ولا يعارض ذلك قوله ﷺ للأنصار : قوموا لسيدكم أى سعد بن معاذ لأن هذا حق للغير فأعطاه ﷺ له وأمرهم بفعله بخلاف قيامهم له ﷺ فإنه حق لنفسه فتركه تواضعا **قال العراقى** : رواه الترمذى من حديث أنس وصححه وتقدم فى آداب الصحبة حديث رقم ١٩٨٥ ص ١٧٥٥ . اهـ.

قال مرتضى : لفظ الترمذى فى الشمائل : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك .

(٢٦٧٧) حديث : « كان » ﷺ « يمر على الصبيان » وهم يلعبون « فيسلم عليهم » فيردون عليه=

« وأتى ﷺ برجل فأرعد من هيبته فقال ﷺ له : هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » (٢٦٧٨) .

« وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه » (٢٦٧٩) .

وقالت له عائشة رضي الله عنها : « كل جعلنى الله فداك متكئا فإنه أهون عليك قال فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال ﷺ : بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» (٢٦٨٠) .

= **قال العراقى :** متفق عليه من حديث أنس وتقدم فى كتاب آداب الصحبة حديث رقم١٩٦٤ ص١٧٤٦ . اهـ.

قال مرتضى : ورواه الترمذى من حديث أنس وتقدم فى آداب الصحبة وروى البخاري بلفظ أنه ﷺ مر على صبيان فسلم عليهم وروى النسائى من حديثه كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم .

(٢٦٧٨) حديث : « أُتِىَ » النبى ﷺ « برجل فأرعد من هيبته » أى انتفض جسمه من مهابته ﷺ عند وقوع بصره عليه إذ قد تقدم من وصفه أنه من رآه بديهة هابه « فقال هوّن الله عليك فلست بملك » كملوك الأرض يهاب منهم « إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» وهو اللحم اليابس وكانت قريش تقدد اللحم وترفعه لوقت الحاجة **قال العراقى:** رواه الحاكم من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين .اهـ.

(٢٦٧٩) حديث : « كان » ﷺ « يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب فلا يدرى أيهم هو » ﷺ « حتى يسأل عنه حتي طلبوا إليه أن يجلس مجلسًا يعرفه الغريب» فسكت ﷺ موافقًا لما رأوه « فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه » فى المصباح الدكان يطلق علي الحانوت وعلى الدكة التى يقعد عليها . **قال العراقى :** رواه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر وقد تقدم حديث رقم ٢٥٠١ ص ٢٢٧٥ . اهـ.

(٢٦٨٠) حديث : قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : « كل جعلنى الله فداك متكئا فإنه أهون عليك قال فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد=

« وكان لا يأكل علي خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله تعالى » (٢٦٨١) .

« وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ﷺ : لبيك » (٢٦٨٢) .

« وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا فى معنى الآخرة أخذ معهم وأن تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم» (٢٦٨٣) .

= وأجلس كما يجلس العبد » **قال العراقى** : رواه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف. اهـ.

قال مرتضى : وررواه أيضا ابن سعد فى الطبقات وأبو يعلى نحوه .

(٢٦٨١) حديث : « كان ﷺ لا يأكل على خوان » بالكسر ويضم هو المائدة ما لم يكن عليها طعام وهو مما يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازا عن خفض رؤسهم فالأكل عليه بدعة إلا أنها جائزة « ولا فى سكرجة » بضم أحرفه الثلاث مع تشديد الراء وقيل الصواب فتح رائه لأنه معرب عن مفتوحها وهى إناء صغير يجعل فيه ما يشهى ويهضم من الموائد حول الأطعمة « حتى لقى الله » عز وجل **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أنس وتقدم فى كتاب آداب الأكل حديث رقم ١٢٩٨ص ١١٧٢ .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك الترمذى فى الشمائل .

(٢٦٨٢) حديث : « كان ﷺ لا يدعوه أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال » ﷺ : «لبيك» **قال العراقى** : رواه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان متهم بالكذب وللطبرانى فى الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب فى أثناء حديث أن أمه قالت يا رسول الله فقال: لبيك وسعديك .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : لفظ أبى نعيم فى الدلائل : ما كان أحسن خلقا منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك وقد أخرج حديث محمد بن حاطب أيضا أحمد والبغوي وفيه أن أمه قالت : يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمى بك .... الحديث وليس فى سياقه ما زاده الطبرانى .

(٢٦٨٣) حديث : « كان ﷺ إذا جلس مع الناس إن تكلموا فى معنى أمر الآخرة أخذ معهم » أى فى الحديث « وإن تحدثوا فى طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم » **قال العراقى** : رواه الترمذى فى الشمائل من حديث زيد بن=

« وكـانوا يتناشـدون الشـعر بين يـديه أحيـانا ويذكـرون أشـيـاء من أمر الجـاهليـة ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام » (٢٦٨٤) .

★★★

ثابت دون ذكر الشـراب وفيه سليمان بن خـارجة تفرد عنه الوليد بن أبى الـوليد وذكره ابن حبان فى الثقات .اهـ.

قـال مـرتضى : وأخرجـه البيهقى فى الدلائل من هـذا الوجه سليمان بن خـارجة عن خارجة بن زيد أن نفـرا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا حـدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ فقال كنت جاره فكان إذا نزل الوحى عليه بعث إلىّ فآتيه فاكتب الوحى وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها مـعنا وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعـام ذكره معنا بكل هذا نحدثكم عنه.

(٢٦٨٤) حديث : « كـانوا » أى أصحاب رسـول الله ﷺ « يتناشدون الشـعر بين يديه أحـيانا » فيسمـعهم «ويذكرون أشياء من أمـر الجاهلية ويضحكون فيتـبسم هو إذا ضحكوا » ولا يزيد على ذلك «ولا يزجـرهم إلا عن حرام » **قال العـراقى :** رواه مسلم من حـديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .اهـ.

قال مرتضى : رواه مسلم عن يحيى بن يحيى حدثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجـالس رسول الله ﷺ قال : نعم كثيرا كـان لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فـيه حتى تطـلع الشمس فإذا طلـعت قام وكانوا يتـحدثون فـيأخـذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ورواه البيهقى فى الدلائل من رواية شريك وقيس عن سماك عن جـابر بن سمـرة بلفظ قال : نعم كـان طويل الصـمت قليل الضحك وكـان أصحـابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشىء من أمورهم فيضحكون وربما يتبسم .

بيــان صورتــه وخلقتــه ﷺ

« كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربعة » (٢٦٨٥) إذا مشى وحده .

(٢٦٨٥) حديث : « كـان من صفـة رسول الله ﷺ » فى قـامتـه الشريفـة « أنه لم يكن بالطويل البائن» بالهمز وهم من جعله بالياء أى المـفرط طولا مع اضطراب « ولا بالقصير المتردد » الذى يتردد بعض خلقه على بعض ففيه نفى الطول المفرط والقصر المفرط « بل كان ينسب إلى الربعة » بفتح فسكون **قال العراقى** : الحديث بطوله رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديـث عائشـة بزيادة ونقصـان دون شعـر أبى طالب الآتى بعده فى حـديث رقم ٢٦٩٠ ص٢٣٥٣ ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه فـتبدو سوالفه تتلألأ ، ودون قوله وربما كان واسع الجـبهة إلى قـوله وكان سهل الخدين وفـيه صبـيح بن عبد الله الفـرغانى منكر الحديث قاله الخطيب وفى الصحيحين من حـديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، وروى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجـه من حديث أم هانئ : قدم إلى مكة وله أربع غدائر، وروى الترمـذى من حديث على فى صفـته ﷺ : أدعج العينين أهدب الأشـفار . . . . الحديث وقال ليس إسناده بمتصل . اهـ.

قال مـرتضى : وروى الشيخان والخرائطى من حديث البـراء : كان أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بـالقصير . . . الحديث وروى البيـهقى فى الدلائل من حديث أبى هريرة كان ربـعة إلى الطول مائل . . . الحـديث وعند المنذرى فى الزهريات من حـديثه كـان ربعة وهو إلى الطول أقـرب وإسناده حسن وعنـد البيـهقى من حـديث على وهو إلى الطول أقرب وعنده أيضا من حديث عائشة كان ينسب إلى الربعة وفى زوائد المسند لعبد الله ابن أحمد ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة ولا تنافى بين الأخبار لأنه أمر نسبى فمن وصفه بالربعة أراد الأمر التقريبى ولم يرد التـحديد ومن ثم قال ابن أبى هالة كان أطول من المربوع وأقـصر من المشـذب وهو البائن الـطول فى نحافـة رواه الترمـذى فى الشـمائل والطبـرانى والبيهقى وروى الترمذى أيضا فى الشمائل ليس بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد .

ومع ذلك « فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو ﷺ إلى الربعة » (٢٦٨٦) .

ويقول ﷺ : « جعل الخير كله فى الربعة » (٢٦٨٧) .

وأما لونه ﷺ فقد « كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض » (٢٦٨٨)

(٢٦٨٦) حديث : « لم يماشه ﷺ أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو ﷺ إلى الربعة » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه ابن أبى خيثمة فى التاريخ والبيهقى فى الدلائل وابن عساكر من حديث عائشة وفى خصائص ابن سبع كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من المجالس .

(٢٦٨٧) حديث : قال ﷺ : « جعل الخير كله فى الربعة » يعنى المعتدل القامة .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه أبو بكر ابن لال فى مكارم الأخلاق والديلمى من حديث عائشة ويروي عن الحسن بن على : إن الله جعل البهاء والهوج فى الطوال ، قال السخاوى وما اشتهر على الألسنة : ما خلا قصير من حكمة ، لم أقف عليه .

(٢٦٨٨) حديث : « كان ﷺ أزهر اللون » أى مشرقه نيره قال فى الروض : الزهر لغة إشراق فى اللون أى لون كان من بياض أو غيره « ولم يكن بالآدم » بالمد أى لم يكن شديد السمرة وإنما يخالط بياضه الحمرة لكنها حمرة بصفاء فيصدق عليه أنه أزهر « ولا الشديد البياض » وهو المعبر عنه بالأمهق. قال العراقى : رواه الترمذى في الشمائل عن هند بن أبى هالة: أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين ضليع الفم مفلج الأسنان .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : ورواه البخارى والترمذى من حديث أنس بلفظ : أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم .... الحديث .

والأزهر هو « الأبيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شىء من الألوان» (٢٦٨٩) .

« ونعته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل» (٢٦٩٠)

« ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة» (٢٦٩١) .

(٢٦٨٩) حديث : « كان ﷺ هو الأبيض الناصع الذى لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شىء من الألوان » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى مسلم وأبو داود والترمذى فى الشمائل من حديث أبى الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وفى رواية لمسلم كان أبيض مليح الوجه وللترمذى فى الشمائل من حديث أبى هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة وفى رواية لأحمد فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البزار ويعقوب بن سفيان من طريق سعيد بن المسيب عن أبى هريرة كان شديد البياض وللطبرانى من حديث أبى الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره.

(٢٦٩٠) حديث : « نعته » ﷺ « عمه أبو طالب » والد على ﷺ « فقال » فى قصيدة طويلة :

« وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل »

قال العراقى : ذكره ابن إسحاق فى السيرة وفى المسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضى فقال أبو بكر ذاك رسول الله ﷺ وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللبخارى تعليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ ليستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده وقد وصله ابن ماجه بإسناد صحيح . اهـ.

(٢٦٩١) حديث : « نعته » ﷺ « بعض أصحابه بأنه » ﷺ « مشرب » بتخفيف الراء وتشديدها «بحمرة» .

قال مرتضى : أغفله العراقى وقد روى بالوجهين والإشراب مداخلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء الداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه ومن قال بالتشديد أراد به التكثير والمبالغة فى شدة البياض للحمرة وبه فسر كان أزهر اللون كما عند مسلم عن أنس وهذا القول نقله صاحب المصباح عن بعضهم وروى البيهقى فى الدلائل من حديث على كان أبيض مشربا بياضه بحمرة .... الحديث ورواه الترمذى كذلك والبيهقى أيضا من حديثه=

فقـالوا : « إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهـر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه » (٢٦٩٢) .

= كان أبيض مـشربا بحمرة ضـخم الهامة . . . . الحـديث ثم اعلم أن البياض إذا كان مـشربا بالحمـرة فإن العرب تطلق عليه بالأسـمر ويقولون السمـرة هي الحمرة التي تخالط الـبياض وعليـه يحمل مـا رواه أحمـد والبزار وابن منده أنه ﷺ كـان أسمـر قال الحـافظ وسنده صحيح صححه ابن حبان وروى البيهقي في الدلائل كان أبيض بياضه إلى السمرة وفي لفظ لأحمد بسند حـسن أسمر إلى البياض ويروى عن ابن عبـاس كان جسمه ولحمـه أحمر إلى البياض فثبت بمجـموع الروايات أن المراد بالسمرة حمرة تخالط البيـاض وبالبياض المثبت في روايات معظم الصحابة ما يخالط الحمرة وإن وصف في رواية بأنه شديد الوضح وفي أخرى سندها قوي شديد البيـاض لإمكان حمل شدته على الأمر النسبي فلا ينافي كـونه مشربا بها وبالمنفي ما لا تخالطه هي وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق وما روى البخاري والبيهقي في الدلائل من حديث أنس أزهر اللون أمهق ليس بأبيض ولا آدم . . . . الحـديث فمحمول على أن المراد بالأمهق الأخضـر اللون الذي ليس بياضه في الغاية الاحمرية والأسـمرية فقد نقل عن رؤبة بن العجاج أن المهق خـضرة الماء كما قاله الحافظ ابن حجـر فما توهم القاضي أن رواية ليس بالأبيض ولا بالآدم غير صواب مردود بل معناها صحيح كما تقرر وهذا الذي قررناه في الجمع بين الأخبار حسن .

(٢٦٩٢) حديث : « كـان المشرب منه »ﷺ « بالحمـرة ما ظهر للشـمس والرياح كالوجه والرقـبة والأزهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب منه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وهذا القول نقله البيهقـي في الدلائل فقال يقال إن المشرب منه بحمـرة وإلى السمرة مـا ضحا منه للـشمس والريح وأما مـا تحت الثياب فـهو الأبيض الأزهر وهذا القول قد رده ابن حجر في شرح الشمائل فإن أنسا لملازمته وقربه منه لا يخفى عليه أمره حـتى يصفه بغيـر صفته الأصلية الملازمـة له فتعين حمل السـمرة في روايته على الحمرة التي تخالط البـياض كما مر على أنه ثبت في عنقه الشـريف أنه أبيض كأنما صيغ من فضة مع أن العنق بارز ورد ذلك أيضا بأن تأثير الشـمس فيه ينافي ما ورد أنه كان يظلله من سحابة وهو غفلة لأنه إذ ذاك كـان ارهاصا ومتقدما على النبوة وأمـا بعدها فلم يحفظ ذلك كيف وأبو بكر قد ظلل عليه بثـوبه لما وصل المدينة وصح أنه ظلل بثوب وهو يرمي الجمرات في حجة الوداع .

(تنبيـــه) : قالوا يكفـر من قال كان النبي ﷺ أسود لأن وصـفه بغير صفـته نفي له وتكذيب به ومنه يؤخذ أن كل صـفة علم ثبوتهـا له بالتواتر كان نفيها كفـرا للعلة المذكورة وقول بعضهم لابد في الكفـر من أن يصفه بصفة تشعر بنقصه كـالأسود هنا فإن السواد لون=

« وكان عرقه ﷺ فى وجهه كاللؤلؤ » (٢٦٩٣) .

« أطيب من المسك الأذفر » (٢٦٩٤) .

= مفضول فيه نظر لأن العلة كما علمت ليست من النقص بل ما ذكر فالوجه إنه لا فرق فإن قلت لونه ﷺ أشرف الألوان ولون أهل الجنة كذلك فلم لم تكن ألوانهم البياض المشرب بالحمرة بل بالصفرة كما قاله جمهور المفسرين فى قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شبهن ببيض النعام المكنون فى عشها ولونها بياض به صفرة حسنة .

قال مرتضى : اللون واحد وإنما اختلف فيما شيب به وحكمته والله أعلم أن الشوب بالحمرة ينشأ عن الدم وصفائه واعتدال جريانه فى البدن وعروقه وهو من الفضلات الجيدة التى تنشأ عن أغذية هذه الدار فناسب الشوب فيها وأما الشوب بالصفرة التى تورث البياض صفاء وصقالة فلا ينشأ عادة من غذاء من أغذية هذه الدار فناسب أن يختص الشوب به فى تلك الدار فظهر أن الشوب فى كل من الدارين بما يناسبها .

فإن قلت : من عادة العرب مدح النساء بالبياض المشرب بالصفرة كما وقع فى لامية امرئ القيس وهذا يدل على أنه فاضل فى ألوان أهل الدنيا أيضا .

قال مرتضى : لا نزاع فى أنه فاضل وإنما النزاع فى أنه أفضل الألوان فى هذه الدار وليس كذلك بل أفضلها المشرب بحمرة لما تقرر أن لونه ﷺ أفضل الألوان .

(٢٦٩٣) حديث : « كان عرقه » ﷺ العرق محركة ما يترشح من الجلد « فى وجهه كاللؤلؤ » فى الصفاء والبياض .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى مسلم فى المناقب من حديث أنس كان أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ الحديث وروى البيهقى من حديث عائشة كان يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتلألأ نورا وروى أيضا من حديث على كان عرقه اللؤلؤ .

(٢٦٩٤) حديث : « كان عرقه » ﷺ « أطيب من المسك الأذفر » أى شديد الرائحة .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى من حديث على ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر وفى سنده رجل مجهول وروى مسلم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال دخل علينا النبى ﷺ فنام عندنا فعرق وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبى ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب ورواه أيضا من طريق أبى قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبى=

« وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط »(٢٦٩٥) .

وكان إذا مشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل .

وقيل : « كان شعره يضرب منكبيه »(٢٦٩٦) .

وأكثر الرواية : « أنه كان إلى شحمة أذنيه »(٢٦٩٧) .

= ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعا فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله فى الطيب والقوارير فقال النبى ﷺ : يا أم سليم ما هذا؟ قالت : عرقك أذوف به طيبى .

(٢٦٩٥) حديث : « كان » ﷺ « رجل الشعرة حسنها » بسكون الجيم وكسرها «ليس بالسبط» بسكون الباء وكسرها « ولا الجعد القطط » بفتح الطاء الأولى وكسرهما أى شعره ﷺ ليس بنهاية فى الجعودة وهو تكسره الشديد ولا فى السبوطة وهى عدم انكساره أصلا بل كان وسطا بينهما .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه مسلم والبيهقى فى الدلائل من طريق على بن حجر عن اسماعيل بن جعفر عن ربيعة عن أنس ورواه البخارى ومسلم أيضا من طريق مالك وغيره عن ربيعة وروى البخاري عن مسلم بن إبراهيم وعمرو بن على كلاهما عن وهب بن جرير عن أبيه عن أنس قال شعره بين الشعرين لا سبط ولا جعد بين أذنيه وعاتقه ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق مسلم بن إبراهيم وفى رواية لمسلم من طريق قتادة عن أنس كان شعرا رجلا ليس بالجعد ولا بالسبط بين أذنه وعاتقه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث أبى هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر .

(٢٦٩٦) حديث : « كان شعره » ﷺ « يضرب منكبيه » مثنى منكب كمجلس وهو مجتمع رأس العضو والكتف .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى الشيخان من حديث أنس كان شعره يضرب منكبيه أخرجاه من طريق حبان عن همام عن أنس رواه البخارى من طريق أبى غسان عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بلفظ أن جمته تضرب قريبا من منكبيه ورواه كذلك البيهقى فى الدلائل ورواه مسلم من طريق أبي كريب عن وكيع عن سفيان عن أبى إسحاق عن البراء بلفظ له شعر يضرب منكبيه . . . الحديث .

(٢٦٩٧) حديث : « كان شعره » ﷺ « إلى شحمة أذنيه » .
=

« وربما جعله غدائر أربعا تخرج كل أذن من بين غديرتين » (٢٦٩٨) .

وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ .

« وكان شيبه فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك » (٢٦٩٩) .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** وروي الشيخان من حديث البراء يبلغ شعره شحمة أذنيه أخرجاه من طريق شعبة عن أبى إسحاق عن البراء وروي البيهقى فى الدلائل من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه وروى مسلم من طريق حميد عن أنس كان شعره إلى أنصاف أذنيه ولفظ الترمذى فى الشمائل عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه أى تكاثفها ينتهى إلى شحمة أذنيه وتقدم عن الصحيحين فى حديث أنس أنه كان بين أذنيه وعاتقه وفى أخرى عند الترمذى وغيره فوق الجمة ودون الوفرة وفى رواية أن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره وفى أخرى كان إلى أذنيه وفى أخرى إلى كتفيه والجمع بين هذه الروايات أن مما يلى الأذن هو الذى يبلغ شحمتها وما خلفها هو الذى يضرب منكبيه أو بأن ذلك لاختلاف الأوقات فكان إذا ترك تقصيرها بلغ المنكب وإذا قصرها كانت إلى الأذن أو شحمتها أو نصفها فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك .

(٢٦٩٨) حديث : « كان شعره » ﷺ « غدائر أربعًا يخرج كل أذن بين غديرتين » **قال العراقى** : روى أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانئ قدم مكة وله أربع غدائر . اهـ.

قال مرتضى : ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم هانئ قدم رسول الله ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر تعنى ضفائر والغديرة والضفيرة هى الذؤابة ولفظ الترمذى فى الشمائل قدم مكة قدمة وشعره إلى أنصاف أذنيه وله أربع غدائر والظاهر أنها عنيت قدومه مكة عام الفتح لأنه حينئذ اغتسل وصلى الضحى فى بيتها وقدماته إلى مكة أربع متفق عليها فى عمرة القضاء والفتح ولما رجع من حنين دخلها حين اعتماره من الجعرانة وفى حجة الوداع .

(٢٦٩٩) حديث : « كان شيبه » ﷺ « فى الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قيل له هل كان شاب رسول الله ﷺ فقال ما شانه الله تعالى بالشيب ما كان فى رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة هكذا هو فى نسخة الدلائل عندى وفى لفظ له عنده ما كان فى رأسه ولحيته ولم أره فى الدلائل وروى البخارى من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن ربيعة عن أنس توفى رسول الله ﷺ =

« وكان ﷺ أحسن الناس وجها وأنورهم » (٢٧٠٠) .

« لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر » (٢٧٠١) .

وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

= وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ورواه هو ومسلم أيضا من طريق مالك عن ربيعة وروى الترمذى فى الشمائل من حديث ابن عمر إنما كان شيبه ﷺ نحوا من عشرين شعرة بيضاء ولا منافاة بين الروايتين لأن الأربع عشرة دون العشرين لأنها أكثر من نصفها ومن زعم أنها دلالة لنحو الشيء على القرب منه فقد وهم ويجمع بين هذه الأخبار وبين ما قال المصنف بأنه اختلف لاختلاف الأوقات أو بأن الأول اخبار عن عده والثانى اخبار عن الواقع فهو لم يعد إلا أربع عشرة وأما فى الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة ونفى الشيب فى رواية أنس المراد به نفى كثرته لا أصله وسبب قلة شيبه أن النساء يكرهنه غالبا ومن كره من النبى ﷺ شيئا كفر وأما خبر أن الشيب وقار ونور فيجاب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه شين عند النساء غالبا أو أن المراد بالشيب المنفى فيما من الشين عند من كرهنه لا مطلقا لتجتمع الروايتان وأما أمره ﷺ لهم لما رأوا أبا قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلا يدل على أنه شين مطلقا بل بالنسبة لمن مر وفى تغييره مصلحة بالنسبة إلى الجهاد وإرهاب الكفار وبالنسبة لوقوع الألفة بين الزوجين والجمع بين الأحاديث ما أمكن أسهل من دعوى النسخ وإن أيدها منع الأكثرين للتغيير والله أعلم .

(٢٧٠٠) حديث : « كان » ﷺ « أحسن الناس وجها وأنورهم » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى الشيخان من حديث البراء كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا. . . الحديث ولهما وللترمذى وابن ماجه من حديث أنس كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وقد تقدم وروى مسلم من حديث ابن الطفيل كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذى فى الشمائل من حديث أبى هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة . . . الحديث وقد تقدم وفى حديث هند بن أبى هالة عند الترمذى والبيهقى والطبرانى أنور المتجرد وقوله كأنما صيغ من فضة أى باعتبار ما يعلو بياضه من النور والإضاءة .

(٢٧٠١) حديث : « لم يصفه » ﷺ « واصف إلا شبهه بالقمر » وإنما اختير على الشمس لأنه يتمكن من النظر إليه ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه بخلاف الشمس لأنها تغشى البصر وتؤذى وقال « ليلة البدر » لأن القمر فيها فى نهاية اضاءته وكماله . =

« وكان ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة » (٢٧٠٢) .

= **قال مرتضى : أغفله العراقى** ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث أبى إسحاق الهمدانى عن امرأة من همدانى سماها قالت حججت مع رسول الله ﷺ مرات على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران . . . . الحديث وفيه قال أبو إسحاق فقلت لها شبهيه فقالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ وروى البخارى من حديث كعب ابن مالك لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وروى البيهقى من طريق أبى إسحاق عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله ﷺ فى ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر ورواه من حديث جابر بن سمرة بلفظ فجعلت انظر إليه وإلى القمر فلهو كان أحسن فى عينى من القمر وروى البخارى من طريق زهير عن أبى إسحاق قال سأل رجل البراء أليس كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف قال لا كان مثل القمر ورواه مسلم بلفظ لا بل مثل الشمس والقمر مستديرا وفى الشمائل للترمذى من حديث هند بن أبى هالة فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وروى البيهقى من طريق أبى عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر قال : قلت للربيع بنت معوّذ : صفى لى رسول الله ﷺ قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة وفى رواية يا بنى لو رأيته رأيت الشمس طالعة ورواه من طريق أبى يونس مولى أبى هريرة عن أبى هريرة قال : ما رأيت شيئا أحسن من النبى ﷺ كأن الشمس تجرى فى وجهه . . . الحديث .

(٢٧٠٢) حديث : « كان »ﷺ « واسع الجبهة » أى واضحها قال الخليل هى مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية وقال الأصمعى هى موضع السجود والجمع جباه « أزج الحاجبين » أى مقوسهما مع كثرة شعرهما وطول فى طرفه وامتداده أو دقيقهما مع طول « سابغهما » أى كاملهما « وكان ابلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة » أى كان بين حاجبيه بلجة أى فرجة بيضاء دقيقة لا تتبين إلا لمتأمل فهو غير أقرن فى الواقع وإن كان أقرن بحسب الظاهر عند من لم يتأمله لأنهما سبغا حتى كادا يلتقيان قال الأصمعى كانت العرب تكره القرن وتستحب البلج والبلج هو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقيا .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى البيهقى فى الدلائل من حديث أبى هريرة كان مغاض . . . أهدب الأشفار وروى الترمذى فى الشمائل من حديث هند ابن أبى هالة كان واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب . . . الحديث . وروى البيهقى من طريق حرب بن شريح صاحب الخلقان قال حدثنى رجل من بامدويه قال حدثني جدى قال : انطلقت إلى المدينة فذكر الحديث فى رؤية رسول الله ﷺ قال فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة . . . . الحديث وروى من حديث أبى هريرة كان أحسن=

« وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما » (٢٧٠٣) .

« وكان في عينيه تمزج من حمرة » (٢٧٠٤) .

« وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها » (٢٧٠٥) .

= الناس صفة وأجملها . . . الحديث وفيه أسيل الجبين شديد سواد الشعر . . . الحديث وفي بعض الروايات كان صلت الجبين وكلها تؤل إلى معنى واحد .

(٢٧٠٣) حديث : « كانت عيناه» ﷺ « نجلاوين » أي واسعتين « ادعجهما » أي شديد سواد حدقتهما .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى البيهقي من طريق عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال : قيل لعلي انعت لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مشربا بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار وروى من طريق إبراهيم ابن محمد من ولد علي قال كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال كان في الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث جابر بن سمرة قال : كنت إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ قلت : أكحل العينين وليس بأكحل . . . . الحديث .

(٢٧٠٤) حديث : « كان » ﷺ « في عينه تمزج من حمرة » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى البيهقي من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة وروى مسلم من طريق غندر عن شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة قال كان ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين ورواه الحاكم بلفظ كان أشكل العينين ضليع الفم ورواه أبو داود فقال أشهل العينين قال أبو عبيدة الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين والشهلة غير الشكلة وهي حمرة في سواد العين .

(٢٧٠٥) حديث : « كان » ﷺ « أهدب الأشفار » جمع شفر بالضم وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب قال ابن قتيبة والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وإنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر «حتى تكاد تلتبس من كثرتها » .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى ذلك من حديث علي بألفاظ مختلفة ففي لفظ عظيم العينين أهدب الأشفار وفي لفظ أسود الحدقة أهدب الأشفار وفي لفظ أدعج العين أهدب الأشفار وفي لفظ أغر أبلج أهدب الأشفار ومن حديث أبي هريرة كان أهدب أشفار العينين =

«وكان أقنى العرنين أى مستوى الأنف» (٢٧٠٦) .

«وكان مفلج الأسنان أى متفرقها» (٢٧٠٧) .

« وكان إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ » (٢٧٠٨) .

« وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم » (٢٧٠٩) .

= وفى لفظ كان مفاض الجبين أهدب الأشفار وفى لفظ أكحل العينين أهدب الأشفار كل هذه الألفاظ عند البيهقى فى الدلائل .

(٢٧٠٦) حديث : « كان » ﷺ « أقنى العرنين » أول الأنف حيث يكون فيه شمم وأوله هو ما تحت مجتمع الحاجبين والقنى فى الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب فى وسطه يعنى «مستوى الأنف» أى من غير حدب وفى رواية أقنى الأنف أى سائل مرتفع وسطه .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل والطبرانى من حديث هند بن أبى هالة فى حديثه الطويل أقنى العرنين له نور يحسبه من لم يتأمله اشم .... الحديث . وروى البيهقى من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة فساق الحديث وفيه فإذا رجل حسن الوجه عظيم الجبهة دقيق الأنف رقيق الحاجبين ... الحديث.

(٢٧٠٧) حديث : « كان » ﷺ « مفلج الأسنان » أى مفرجها .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه مسلم والترمذى فى الشمائل من حديث جابر بن سمرة ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان ... الحديث وفى رواية لابن سعد مبلج الثنايا بالموحدة ولابن عساكر براق الثنايا وروى البيهقى من حديث ابن عساكر كان أفلج الثنيتين وكان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه .

(٢٧٠٨) حديث : « كان » ﷺ « إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا » أى ضوء « البرق إذا تلألأ » فى ظلمة الليل .

قال مرتضى : أغفله العراقى وروى البيهقى من حديث عائشة وكان يتبسم عن مثل البرد والمنحدر من متون الغمام فإذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ وروى من حديث أبى هريرة وإذا ضحك يتلألأ وفى حديث هند ويفتر عن مثل حب الغمام .

(٢٧٠٩) حديث : « كان » ﷺ « من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم » . =

«وكان سهل الخدين صلبهما» (٢٧١٠) .

« ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم » (٢٧١١) .

« كث اللحية » (٢٧١٢) .

« وكان يعفى لحيته ويأخذ من شاربه » (٢٧١٣) .

= **قال مرتضى : أغفله العراقي** ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث عائشة على ما سيأتى ذكره وعند مسلم والترمذى من حديث جابر : ضليع الفم أى واسعه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقال بعضهم الضليع المهزول الذابل وهو فى صفة فم النبى ﷺ وبدل شفتيه ورقتهما وحسنهما .

(٢٧١٠) حديث : « كان » ﷺ « سهل الخدين صلتهما » أى سائلهما من غير ارتفاع وجنتيه وذلك أحلى عند العرب .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه الترمذي فى الشمائل والبيهقى والطبرانى من حديث هند بن أبى هالة وروى البزار والبيهقى كان أسيل الخدين واصلت الخدين أسيلهما هو المستوى الذى لا يفوت بعض لحم بعضه بعضا كما سيأتى ذلك عند ذكر حديث عائشة .

(٢٧١١) حديث : « كان » ﷺ « ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم » أى لم يكن شديد تدوير الوجه والمكلثم هو المدور الوجه يقول فليس كذلك ولكنه مسنون .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث على لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان فى وجهه تدوير .... الحديث والمطهم هو المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الأضداد .

(٢٧١٢) حديث : « كان » ﷺ « كث اللحية » أى كثير نبات الشعر الملتف .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقى من حديث عائشة ورواه من طريق محمد بن على بن أبي طالب عن أبيه ورواه من طريق نافع بن جبير عنه كان ضخم الهامة عظيم اللحية وفى لفظ له ضخم الرأس واللحية ومن حديث أبى هريرة كان أسود اللحية حسن الشعر ومن طريق أبى ضمضم عن رجل من الصحابة لم يسم كان مرجلا مربوعا حسن السبكة قال كانت اللحية تدعى فى أول الإسلام سبكة ورواه الطبرانى فى الكبير وسماه العداء بن خالد .

(٢٧١٣) حديث : « كان » ﷺ « يعفى لحيته ويأخذ شاربه » ويأمر بذلك . =

« وكان أحسن عباد الله عنقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب » (٢٧١٤) .

« وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه » (٢٧١٥) .

« موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره» (٢٧١٦) .

= قال مرتضى : أغفله العراقى وروى ابن عدى والبيهقى فى السنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أحفوا الشوارب واعفوا اللحى ورواه أيضا الطحاوى من حديث أنس بزيادة ولا تشبهوا باليهود .

(٢٧١٤) حديث : « كان » ﷺ « أحسن الناس عنقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وفى حمرة الذهب » وما غيبت الثياب من عنقه وما تحته فكأنه القمر ليلة البدر .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا رواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره وروى الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث هند بن أبى هالة دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة .... الحديث ولفظ البيهقى من حديث على : كان عنقه إبريق فضة .

(٢٧١٥) حديث : « كان » ﷺ « عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرآة فى استوائها وكالقمر فى بياضه » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ذكره بلفظ وكان عريض الصدر ممسوحة كأنه المرآة فى سموتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضا على بياض القمر ليلة البدر وفى سنده نظر وروى من حديث هند بن أبى هالة عريض الصدر وفى لفظ فسيح الصدر وروى الترمذى فى الشمائل بعيد ما بين المنكبين قال الشارح أى عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد فى الطبقات رحيب الصدر .

(٢٧١٦) حديث : « كان » ﷺ « موصول ما بين لبته » وهى الفقرة التى فوق الصدر « وسرته بشعر كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعر غيره » . =

«وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان» (٢٧١٧) .

«وكان عظيم المنكبين» (٢٧١٨) .

«أشعرهما»(٢٧١٩) .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك .... الحديث وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة بلفظ وإذا من لون نحره إلى سرته كالخيط الممدود وشعره .... الحديث وفي حديث علي بلفظ وكان في صدره مسربة وفي لفظ له كان دقيق المسربة وفي لفظ آخر له من لبته إلى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره واختلف هل كان لإبطيه ﷺ شعر فزعم القرطبي أنه لم يكن وقد رده أبو زرعة العراقي بأن ذلك لم يثبت بوجه من الوجوه والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه إن لا يكون له شعر فإنه إذا نتف بقى المكان أبيض وإن بقى فيه أثره .

(٢٧١٧) حديث : « كان » ﷺ « له عكن ثلاث يغطى الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان » العكنة بالضم طية من طيات البطن والجمع عكن .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره إلا أنه قال يغطي الإزار منها ثنتين وتظهر منها واحدة ومنهم من قال واحدة وتظهر اثنتان ثم قال تلك العكن أبيض من القباطي المطواة وألين مسًا .

(٢٧١٨) حديث : « كان » ﷺ « عظيم المنكبين » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ عظيم مشاش المنكبين وروي الترمذي في الشمائل والبيهقي من حديث علي جليل المشاش والكتد قال أبو عبيد الجليل المشاش العظيم رؤس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين .

(٢٧١٩) حديث : « كان » ﷺ « أشعر المنكبين » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

« ضخم الكراديس أى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين » (٢٧٢٠) .

« وكان واسع الظهر » (٢٧٢١) .

« ما بين كتفيه خاتم النبوّة وهو مما يلى منكبه الإيمن» (٢٧٢٢) .

(٢٧٢٠) حديث : « كان » ﷺ « ضخم الكراديس » أى رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى من حديث عائشة بالسند الآتى ولفظه والكراديس عظام المنكبين والمرفقين والوركين والركبتين ورواه أيضا من حديث على ضخم الكراديس طويل المسربة ورواه الترمذى في الشمائل من حديثه جليل المشاش والكتف أو قال الكتد وفي لفظ جليل المشاش والكتد بلا شك ورواه أيضًا من حديث هند بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس .

(٢٧٢١) حديث : « كان» ﷺ « واسع الظهر » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وبه فسر بعيد ما بين المنكبين أى عريض أعلى الظهر كما تقدم وقد روي بعيد ما بين المنكبين في عدة أحاديث روى الشيخان من حديث البراء كان مربوعا بعيد من بين المنكبين .... الحديث وروى البيهقى من حديث أبى هريرة كان بعيد ما بين المنكبين وفى لفظ لمسلم له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين .

(٢٧٢٢) حديث : « كان » ﷺ « ما بين كتفيه خاتم النبوّة » بفتح التاء وكسرها والمراد به هنا الأثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذى يختم به وهو الطابع « وهو ما يلى منكبه الأيمن» .

قال مرتضى : أغفله العراقى فالبينية المذكورة تقريبية هذا قول والصحيح أنه كان عند أعلى كتفه الأيسر قاله السهيلى وقد وقع التصريح به عند مسلم قال حدثنا حامد بن عمر البكراوى وأبو كامل الجحدرى قالا حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس قال رأيت النبى ﷺ وأكلت معه خبزا ولحما وساق .... الحديث وفيه ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوّة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى .... الحديث .

«فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس» (٢٧٢٣).

(٢٧٢٣) حديث : « كان » ﷺ « فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس » .

قال مرتضى : أغفله العراقى وهكذا رواه ابن أبى خيثمة فى تاريخه إلا أنه قال متركبات بدل متواليات وفى تحديد خاتم النبوّة أقوال كثيرة نذكرها فمنها جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس بالسند المتقدم قريبا وقيل مثل زر الحجلة رواه البخارى من حديث السائب بن يزيد وزاد وينم مسكا ورواه مسلم بلا زيادة وقيل كبيضة الحمام رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة وقيل مثل السلعة رواه البيهقى من حديث معاوية بن قرة عن أبيه وقيل شعر مجتمع رواه الحاكم في المستدرك وقيل مثل التفاحة رواه الترمذى فى الشمائل والبيهقى فى الدلائل من حديث إياد بن لقيط وقيل مثل بعْرة البعير رواه أيضا من حديث أبى رمثة عن أبيه وقيل مثل السلعة رواه أيضا من حديثه عن أبيه وقيل لحمة ناتئة رواه أيضا من حديث أبى سعيد وقيل بضعة ناشزة رواه الترمذى فى الشمائل وقيل كالبندقة رواه ابن عساكر فى التاريخ زاد الحاكم فى تاريخ نيسابور مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وقيل كالمحجمة الضخمة رواه البيهقى من حديث التنوخى رسول هرقل وللسهيلى فى الروض كاثر المحجم النابضة على اللحم وقيل شامة خضراء محتفزة فى اللحم رواه ابن أبى خيثمة فى التاريخ وقيل ثلاث شعرات مجتمعات نقله القاضى وقيل كبيضة حمام مكتوب بباطنها الله وحده لا شريك له وبظاهرها توجه حيث كنت فإنك منصور رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وقيل كان نورا يتلألأ رواه ابن عائذ وقيل غرزة كغرزة الحمام أى قرطمته وقرطمتاه بكسر القاف نقطتان على أصل نقاره وقيل كتية صغيرة تضرب إلى الدهمة روى ذلك عن عائشة قال الحافظ فى فتح البارى ورواية كاثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها محمد رسول الله أو سر فإنك منصور ولم يثبت منها شىء وتصحيح ابن حبان ذلك وهم وقال الهيتمى إن راوى كتابة محمد رسول الله هنا اختلط عليه بخاتمه الذى كان يختم به وقال بعض العلماء وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة بل كل شبه بما سنح به له وتلك الألفاظ كلها مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأخرى وقال القرطبى الأحاديث الثابتة تدل على أن خاتم النبوّة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلل جعل كبيضة الحمام وإذا اكثر جعل كجمع اليد وقال القاضى رواية جمع الكف تخالف بيض الحمام وزر الحجلة فتتأول على وفق الروايات الكثيرة أى كهيئة الجمع لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة واختلفوا هل ولد به أو وضع عند ولادته قولان لكن فى حديث البزار وغيره بيان وقت وضعه وكيف وضع ومن وضعه وهو قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبى وبم علمت حتى استغنيت قال أتانى ملكان وأنا ببطحاء مكة فقال أحدهما شق بطنه=

« وكان عبل العضدين والذراعين » (٢٧٢٤) .

« طويل الزند رحب الراحتين سائل الأطراف » (٢٧٢٥) .

« كان أصابعه قضبان الفضة » (٢٧٢٦) .

«كفه ألين من الخز كأن كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أو لم يمسها» (٢٧٢٧) .

= فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه أغسل بطنه غسل الإناء وأغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الأمر معاينة وقال أبو نعيم في الدلائل لما ولد أخرج الملك صرة من حرير أبيض فيها خاتم فضرب على كتفيه كالبيضة وأخرج الحاكم عن وهب بن منبه لم يبعث الله نبيا إلا وعليه شامات النبوّة في يده اليمنى إلا نبينا ﷺ فإن شامات نبينا بين كتفيه وعليه فوضع الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه مما اختص به على سائر الأنبياء ﷺ .

(٢٧٢٤) حديث : « كان » ﷺ « عبل العضدين والذراعين » أي ضخمهما .

قال مرتضى : أغفله العراقي وروى البيهقي من حديث أبي هريرة كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين . . . . الحديث أي عريضهما وفي حديث هند بن أبي هالة ضخم الكتد وهو محركة مجتمع الكتفين والظهر .

(٢٧٢٥) حديث : « كان » ﷺ « طويل الزندين » أي عظيمهما إذ الزند موصل عظم الذراع وهما زندان الكوع والكرسوع « رحب الراحتين » أي واسعهما حسا ومعنى والراحة باطن الكف «سائل الأطراف » بالسين المهملة أي ممتدها وهي الأصابع امتدادا معتدلا بين الإفراط والتفريط ويروى بالشين المعجمة أي مرتفعهما .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة طويل الزندين رحب الراحة سائل الأطراف أو شائل الأطراف .

(٢٧٢٦) حديث : « كان أصابعه » ﷺ « قضبان الفضة »

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي من حديث عائشة الآتي إسناده .

(٢٧٢٧) حديث: « كفه » ﷺ « ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أو لم يمسها» . =

«يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه» (٢٧٢٨) .

« وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذين والساق» (٢٧٢٩) .

= قال مرتضى : أغفله العراقي وقال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال ما مسست بيدي ديباجا ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ وقال مسلم حدثنا قتيبة ابن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: ما شممت شيئا قط مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله ﷺ ولا مسست شيئا قط حريرا ولا ديباجا ألين مسا من رسول الله ﷺ وقال مسلم حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم رجع إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهما واحدا واحدا قال: وأما أنا فمسح خدي قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار وأخرج البيهقي من طريق جابر بن زيد بن الأسود عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت : يا رسول الله ناولني يدك فناولنيها فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحًا من المسك وقد وقع في حديث مسلسل بالمصافحة من طريق أبي القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنبجي عن عمرو بن سعيد عن أحمد بن دهقان عن خلف بن تميم عن أبي هرمز عن أنس قال : صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ فما مسست خزا ولا حريرا ألين من كفه ﷺ وله طرق ذكرتها في التعليقة الجليل على مسلسلات ابن عقيل وفي بعض ألفاظه فما مسست خزا ولا قزا وقد أوسع الكلام فيه الحافظ أبو بكر بن عدى في الخامس من مسلسلاته.

(٢٧٢٨) حديث : « كان » ﷺ « يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها » أي ريح يده الشريفة «ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه » .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي وأورده ابن دحية في المستوفى بلفظ وكان ﷺ إذا صافح أحدا فيظل يومه يجد ريحها والباقي سواء .

(٢٧٢٩) حديث: « كان » ﷺ « عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق » أي ضخمهما .

قال مرتضى : أغفله العراقي ورواه البيهقي كذلك إلا أنه قال من الفخذين والساق .



نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى . . . وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب

ج ٤

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

٣٨

وبهامشه

نور اليقين

في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

لشيخ المحدثين في عصره

محمد الحافظ التجاني

بتخريجي

الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

« وكان معتدل الخلق فى السمن» (٢٧٣٠) .

« بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن » (٢٧٣١) .

« وأما مشيه ﷺ فكان يمشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشى الهونيا بغير تبختر » (٢٧٣٢) .

والهوينا تقارب الخطا .

(٢٧٣٠) حديث : « كان » ﷺ « معتدل الخلق فى السمن » .

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى كذلك ولم يقل فى السمن وقد رواه الترمذى فى الشمائل هكذا من حديث هند بن أبى هالة والمراد به اعتدال خلقه فى جميع أوصاف ذاته لأن الله تعالى حماه خلقا وشريعة وأمة من غائلتى الإفراط والتفريط .

(٢٧٣١) حديث : « بدن »ﷺ « فى آخر زمانه وكان لحمه » مع ذلك « متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن » أى الطعن فى العمر وفى نسخة لم يضره السمن .

قال مرتضي : أغفله العراقى ورواه البيهقى كذلك بلفظ بدن فى آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكا وكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن وروى الترمذى فى الشمائل والطبرانى من حديث هند بن أبى هالة بادن متماسك.

(٢٧٣٢) حديث : « كان » ﷺ « يمشى فكأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا الهوينا بغير تبختر ».

قال مرتضى : أغفله العراقى ورواه البيهقى بلفظ وإذا مشي فكأنما يتقلع فى صخر وينحدر فى صبب يخطو تكفيا ويمشى الهوينا بغير عثر والهوينا تقارب الخطا والمشى على الهينة وروى الترمذى فى الشمائل والطبراني والبيهقى من حديث هند بن أبى هالة وإذا زال تقلعًا ويخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب . . . . الحديث وروى مسلم من حديث أنس إذا مشى تكفأ وروى البيهقى من حديث أبى هريرة وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه منه كان الأرض تطوى له أنا لنجتهد وأنه غير مكترث وفى لفظ آخر له يطأ بقدمه جميعا إذا أقبل أقبل جميعا وإذا أدبر أدبر جميعا ومن حديث على إذا مشى تكفى تكفؤا كأنما ينحط من صبب . . . . الحديث وفى لفظ آخر له وكان يتكفأ فى مشيته كأنما=

« وكان ﷺ يقول : « أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبى إبراهيم ﷺ أشبه الناس بى خَلْقًا وخُلُقًا » (٢٧٣٣) .

= يمشى من صبب وفى لفظ آخر إذا مشى تكفا كأنما يمشى فى صعد وفى لفظ آخر وكان إذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب وفى لفظ آخر إذا مشى يمشى قلعا كأنما ينحدر من صبب وفى لفظ آخر له إذا مشى كأنما ينحدر من صبب وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ومن حديث أنس وكان يتوكأ إذا مشى.

(٢٧٣٣) حديث : قال رسول الله ﷺ : « أنا أشبه الناس بآدم عليه السلام وكان أبى إبراهيم أشبه الناس بى خلقا وخلقا » .

قال مرتضى : رواه البيهقى كذلك وإلى هنا تم الحديث الذى ساقه المصنف من أوله وهو من قوله بيان صورته وخلقته ولنذكر أولا سياق **العراقى** ثم نتبعه سياق البيهقى فى الدلائل .

قال العراقى : قوله كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد . . . الحديث بطوله رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبى طالب السابق فى حديث رقم ٢٦٩٠ ص ٢٣٥٣ ودون قوله : وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ ، ودون قوله : وربما كان واسع الجبهة إلى قوله: وكان سهل الخدين، وفيه : صبيح بن عبد الله الفرغانى منكر الحديث قاله الخطيب .اهـ.

قال مرتضى : قد أورد البيهقى فى الدلائل الحديث المذكور بتمامه كسياق المصنف وفيه زيادات من طريق هذا الرجل ولم أجد له ذكرا فى كتب الضعفاء والمتروكين وهذا نص البيهقى فى الدلائل قال وقد روى صبيح بن عبد الله الفرغانى وليس بالمعروف حديثا آخر فى صفة النبى ﷺ وأدرج فيه تفسير بعض ألفاظه ولم يبين قال تفسيره فيما سمعنا إلا أنه يوافق جملة ما روينا فى الأحاديث الصحيحة والمشهورة فرويناه والاعتماد على ما مضى أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يوسف المؤذن قال حدثنا محمد بن عمران النسوى حدثنا أحمد بن زهير حدثنا صبيح بن عبد الله الفرغانى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : كان من صفة رسول الله ﷺ فى قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا المشذب الذاهب المشذب الطويل نفسه إلا أنه المخفف ولم يكن ﷺ بالقصير المتردد وكان ينسب إلي الربعة إذا مشي وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلى الربعة ويقول نسب الخير كله إلى الربعة. وكان لونه ليس بالأبيض الأمهق الشديد البياض الذي يضرب بياضه الشهبة ولم يكن بالآدم وكان أزهر اللون والأزهر الأبيض الناصع البياض الذى لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شيء من الألوان . =

= (فصل) : قد سبقت الإشارة إلى حديث هند بن أبى هالة وهو أجمع حديث فى شمائله ﷺ الظاهرة والباطنة وقد أخرجه الترمذى فى الشمائل والبغوى والطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طرق عن الحسن بن على عنه ووقع لنا بعلو فى نسخة أبى على بن شاذان من طريق أهل البيت أخرجها البغوى أيضا وأخرجه ابن منده من طريق يعقوب التميمى عن ابن عباس أنه قال لهند بن أبى هالة صف لى النبى ﷺ فأحببت أن أورده هنا من طريق البيهقى ثم أتبعه بحديث أم معبد الخزاعية فإنه ذكر فيه ما لم يذكره غيرها من غرائب الصفات فأقول : أخبرنا بكتاب دلائل النبوة للبيهقى المسند عمر بن أحمد بن عقيل الحسينى قراءة عليه من أوله وإجازة لسائره قال أخبرنا كذلك حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصرى قال أخبرنا كذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال أخبرنا كذلك النور على بن يحيى الزيات قال أخبرنا كذلك المسند يوسف بن زكريا الأنصارى قال أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى سماعا عليه قال أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن حجر سماعا عليه قال أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقينى سماعا عليه لجميعه أخبرنا الحجاج يوسف الزكى المزنى إجازة أخبرنا الرشيد محمد بن أبى بكر العامرى سماعًا أخبرنا أبو القاسم بن الخرستانى سماعا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوى إجازة أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى سماعا قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ لفظا وقراءة عليه قال حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب العقيقى صاحب كتاب النسب ببغداد قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو محمد بالمدينة سنة ٢٩٤ قال حدثني على بن جعفر بن محمد عن أبى محمد بن على عن على بن الحسين قال : قال الحسين بن على سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافا أرجو أن يصف لى شيئا أتعلق به حينئذ قال البيهقى وأخبرنا أبو الحسين بن المفضل القطان ببغداد أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى حدثنا يعقوب بن سفيان النسوى حدثنا سعيد بن حماد الأنصارى المصرى وأبو غسان مالك بن إسماعيل النهدى قالا حدثنا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلى قال حدثنى رجل بمكة عن ابن لأبى هالة التميمى عن الحسن بن على قال سألت خالى هند ابن أبى هالة وكان وصافا عن حلية رسول الله ﷺ وأنا اشتهى أن يصف لى منها شيئا اتعلق به فقال كان رسول الله ﷺ فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وفى رواية العلوى عقيصته وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية سهل الخدين وفى رواية العلوى أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادن=

= متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر وفى رواية العلوى فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة وفى رواية العلوى رحب الجبهة سبط القصب شثن الكفين والقدمين لم يذكر العلوى القدمين سائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا يخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت معا وفى رواية العلوى جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبتدر وفى رواية العلوى يبدأ من لقى بالسلام قلت صف لى منطقه قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة وفى رواية العلوى الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكتة وفى رواية العلوى السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم وفى رواية العلوى الكلام فصل لا فضول ولا تقصير رمث ليس بالجافى ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا لا يذم ذواقا ولا يمدحه وفى رواية العلوى لم يكن ذواقا ولا مدحة لا يقوم لغضبه إذا تعرض الحق شىء حتى ينتصر له وفى رواية الأخرى لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعوطى الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى وفى رواية العلوى فيضرب بإبهامه اليمنى باطن راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه وجل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال فكتمتها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئا فذكر الحديث بطوله وهو مذكور فى الشمائل للترمذى مع اختلاف ألفاظ فى سياقه نبه عليه البيهقى وأما حديث أم معبد الخزاعية فقد رواه البغوي وابن شاهين وابن السكن والطبرانى وابن منده والبيهقى وغيرهم من طريق حرام بن هشام بن حبيش عن أبيه عن جده حبيش بن خالد بن سعد بن منقد بن ربيعة بن حرام الخزاعى ويقال له حبيش الأشعرى وهو لقب والده خالد وهو أخو أم معبد واسمها عاتكة بنت خالد ولهما صحبة وأورده ابن السكن من حديث أم معبد نفسها فقال حرام بن هشام بن حبيش بن خالد سمعت أبى يحدث عن أم معبد وهى عمته فساق القصة وأنقله هنا من كتاب الدلائل للبيهقى فإنه ساق الحديث بطوله فبالسند المتقدم إليه قال أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى الكعبى بقديد املاء قال حدثنى عمى سليمان بن الحكم عن جدى أيوب بن الحكم الخزاعى عن حرام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ح وحدثنا أبو عبد الرحمن =

= محمد بن الحسين السليمي أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا محمد بن محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى بقديد يعرف بأبى عبد الله بن أبى هشام الخزاعى قال حدثنا أبى محمد بن سليمان حدثنا عمى أيوب بن الحكم عن حرام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله ﷺ حدثنا وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى ابن عيسى الحلوانى حدثنا مكرم بن محرز بن مهدى حدثنى أبى عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد وهو أخو عاتكة بنت خالد أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثى عبد الله بن الأريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ثم تسقى وتطعم فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فقالت : والله لو كان عندنا شاة ما أعوزناكم نحرها فنظر النبى ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال أبها من لبن وقال أبو زيد هل بها من لبن قالت هى أجهد من ذلك قال : أتأذنى لى أن أحلبها قالت بأبى وأمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ﷺ ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدا حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها ثم بايعها وارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا تساوك هزلا ضحا مخهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب فى البيت فقالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه لى قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه بخلة ولم تزره صعلة وسيم قسيم فى عينيه دعج وفى أشفاره عطف وفى صوته مهل وفى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هدر كأن منطقه خرزان نظم ينحدرن ربعة لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدراً له رفقاء يحضون به إن قال انصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا معتد ﷺ فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلي ذلك فاصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من قائله وهو يقول :

= جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم أن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح درت الشاة مزبد
خفى درها رهنا لديها بحالب يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله ﷺ شبب بها يجاوب الهاتف وهو يقول :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقد سر من يسرى إليه ويغتد
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجرد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عما يتهم هاد به كل مهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

هذا لفظ حديث أبى نصر بن قتادة وحدثنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسى حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخباز حدثنا سليمان بن الحكم ابن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعى حدثنا أخى أيوب بن الحكم بن سالم بن محمد الخزاعى جميعا عن حرام بن هشام فذكر نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان فى آخره وقد ذكرهما فى موضع آخر ورواه يعقوب بن سفيان النسوى عن مكرم بن مجرز دون الإشعار أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه حدثنا يعقوب ابن سفيان حدثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدى فذكره وحدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء أخبرنا أبو ذكريا يحيى بن محمد العنبرى وعبد الله بن محمد الدورقى ومخلد بن جعفر قال الأول حدثنا الحسين بن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار وقال الثانى حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام وقال الثالث حدثنا محمد بن جرير قالوا كلهم حدثنا مكرم بن محرز والله أعلم . وقد وجدت حديثا اخر فى صفته ﷺ أخرجه البيهقى=

وكان ﷺ يقول : « إن لى عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمُقَفِى قفيت الناس جميعًا وأنا قثم » (٢٧٣٤).

قال أبو البحترى والقثم الكامل الجامع والله أعلم .

= فى الدلائل وبالسند المتقدم إليه قال أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا فيض البجلى حدثنا سالم بن سكين عن مقاتل بن حبان قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم جد فى أمرى ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهر البكر البتول إنى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فإياى فاعبد وعلىّ فتوكل فسر لأهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك أنى أنا الله الحى القيوم الذى لا أزول صدقوا النبى الأمى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المفروق الحاجبين الأنجل العينين الأهدب الأشفار الأدعج العينين الأقنى الأنف الواضح الجبين الكث اللحية عرقه فى وجهه كأنه اللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم إذا جامع الناس عمرهم وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر فى صبب ذا النسل قليل .

(٢٧٣٤) حديث: قال رسول الله ﷺ : « إن لى عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد وأنا الحاشر يحشر العباد على قدمى وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعًا وأنا قثم» .

قال مرتضى : إن أسماء سيدنا رسول الله ﷺ قد تعرض جماعة لتعدادها فمنهم من بلغها تسعة وتسعين موافقة لتعداد أسمائه تعالى الحسنى الواردة فى الحديث فقال القاضى عياض خصه الله تعالى أن سماه بنحو من ثلاثين اسما من أسمائه الحسنى وقال ابن دحية فى المستوفى إذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة وبلغها بعض الصوفية إلى ألف كأسمائه تعالى وقد جمعها البدر البلقينى فى مجلد حافل وكذا ابن دحية في المستوفى وقد وصلها جماعة كالقاضى عياض وابن العربى وابن سيد الناس إلى أربعمائة فأوّل ذلك الأسماء على الإطلاق محمد وهو علم منقول من اسم مفعول المضعف سمى به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة روى البيهقى من طريق أبى بكر الحميدى قال حدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ألا تعجبون=

= كيف يصرف الله عز وجل عنى شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد وروى البخارى فى الصحيح عن على بن عبد الله عن سفيان وقد سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله تعالي له بذلك رجاء أن يحمده أهل السماء وأهل الأرض وقد حقق الله رجاءه وأنزل الله تصديقه فى القرآن فقال محمد رسول الله .

قال العراقى : لفظ المصنف رواه ابن عدى فى الكامل من حديث على وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث أبى الطفيل : لى عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الاسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفى الصحيحين من حديث جبير بن مطعم : لى أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا الماحى وأنا العاقب، ولمسلم من حديث أبى موسى : والمقفى ونبى التوبة ونبى الرحمة، ولأحمد من حديث حذيفة : ونبى الملاحم وسنده صحيح .اهـ.

قال مرتضى : رواه البخارى عن أبى اليمان أخبرنى شعيب عن الزهرى أخبرنى محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي اليمان ورواه البخارى أيضا من طريق مالك عن الزهرى ومسلم أيضا من طريق ابن عيينة وعقيل عن الزهرى وعند مسلم من رواية عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى وأنا العاقب وفى لفظ لمسلم الذى ليس بعده أحد ورواه البيهقى من طريق محمد بن ميسرة عن الزهرى وفيه وأنا العاقب يعني الخاتم ومن طريق جعفر بن أبى وحشية عن نافع بن جبير عن سليم عن أبيه رفعه أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر والماحى والخاتم والعاقب وروي البخارى فى تاريخه الصغير والأوسط والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي وابن سعد كلهم من طريق عقبة بن مسلم عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : أتحصى أسماء رسول الله ﷺ كما كان أبوك يعدها قال: نعم هى ستة محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فأما الحاشر فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدى عذاب شديد وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء وأما ماح فإن الله تعالى محا به سيئات من اتبعه وروي البيهقى من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال كان رسول الله ﷺ سمى لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفى ونبي التوبة والملحمة ورواه أبو داود الطيالسى عن المسعودى عن عمرو بن مرة بلفظ سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ثم ذكرهن رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش وذكر النقاش فى تفسيره أنه ﷺ قال لى فى القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وقال أبو محمد مكى بن أبى طالب فى كتاب الهداية=



= عن النبي ﷺ قال لي عند ربي عشرة أسماء فذكر أن منها طه ويس وإسناده في ذلك ضعيف جدا **وقول العراقي** ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل إلى قوله ضعيف.

قال مرتضى : أورده ابن دحية في المستوفى عن شيخه أبي طاهر السلفي عن أبي على الحسن بن حمزة عن أبي الحسين بن خشيش عن أبي جعفر بن رحيم عن عبد الله التمار عن محمد بن عمران بن أبي ليلى عن اسماعيل بن يحيى التميمي عن سيف بن وهب قال: سمعت أبا الطفيل قال : قال رسول الله ﷺ لي عشرة أسماء عند ربي عز وجل قال أبو الطفيل حفظت ثمانية ونسيت اثنين أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم والحاشر والعاقب والماحي قال فحدثت بهذا الحديث أبا جعفر فقال يا سيف إلا أخبرك بالأسمين قلت : بلى قال : يس وطه قال ابن دحية هذا السند لا يساوي شيئا يدور على وضاع وضعيف قال أحمد سيف بن وهب ضعيف الحديث وقال يحيى كان هالكا من الهالكين وقال النسائي ليس بثقة واسماعيل بن يحيى التيمي يروى الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه قاله أبو حاتم وقال الدارقطني كذاب متروك وقال الأزدي ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه وأما قثم فذكره ابن فارس اللغوي في كتابه المنبئ في أسماء النبي ﷺ وهو في خمس أوراق وأسند أبو إسحاق الحربي في غريب الحديث له فيه حديثا ونصه قال: قال رسول الله ﷺ أتاني ملك الموت فقال أنت قثم وخلقك قيم ونفسك مطمئنة .

(تنبيه) : الحصر الذى أفاده تقديم الجار والمجرور في رواية الشيخين وكذا الترمذي والنسائي إضافي لا حقيقي والمعنى أسماء خمسة اختص بها لم يسم بها أحد قبلي إذ هي مشهورة في الأمم الماضية أو موجودة في الكتب المتقدمة وإنما قلنا أنه حصر إضافي لورود الروايات بزيادة على ذلك منها ما تقدم ومنها أنه تعالى سماه في القرآن رسولا نبيا أميا وسماه شاهدا أو مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وسماه رؤفا رحيما وسماه مذكرا ونعمة وهاديا وسماه عبدا ﷺ .

بيـــان معجزاته وآياته الدالة على صدقه ﷺ

اعلم أن من شاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخـباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعـاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايـته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقـوده إياهم إلى طاعتـه مع ما يحكى من عـجائب أجـوبته فى مـضايق الأسئلة وبدائع تـدبيراته فى مصــالح الخلق ومحاسن إشــاراته فى تفصـيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقــلاء عن إدراك أوائل دقائقها فى طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسبـا بحيلة تقوم بها القوة البشـرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوّة الهية .

وإن ذلك كله لا يتـصور لكـذاب ولا ملبس بل كانت شــمـائله وأحواله شــواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربى القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شــمائله فكيف من شاهد أخلاقــه ومارس أحواله فى جمـيع مصادره وموارده .

وإنما أوردنا بعض أخلاقـه لتعرف مـحاسن الأخلاق ولـيتنبه لصـدقه ﷺ وعلو منصبه ومكانته العظيــمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط فى طلب علم ولم يزل بين أظهـر الجهال من الإعراب يتيمـا ضعيفا مسـتضعفا فمن أين حـصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفـة مصالح الفقه مثلا فقط دون غـيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكتـه وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحى ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك ؟

فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل .

فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة :

«إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية» (٢٧٣٥) .

(٢٧٣٥) حديث : « إنشقاق القمر » **قال العراقي :** متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس .اهـ.

قال مرتضى : أما حديث ابن مسعود فلفظه انشق القمر علي عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ اشهدوا رواه كذلك عبد بن حميد والشيخان والترمذى وابن جرير وابن مردويه من طريق أبى معمر عن ابن مسعود وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى كلاهما فى الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبى كبشة فقالوا انتظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل من طريق الأسود عن ابن مسعود قال رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتى القمر وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود قال كنا مع النبى ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل فقال النبى ﷺ اشهدوا وأما حديث ابن عباس فلفظه انشق القمر فى زمان النبى ﷺ هكذا أخرجه الشيخان وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال خرج المشركون على عهد رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص ابن وائل والعاص بن هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث فقالوا للنبى ﷺ إن كنت صادقا فاشقق القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفًا على قعيقعان فقال لهم النبى ﷺ إن فعلت تؤمنوا قالوا : نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادى يا أبا سلمة بن عبد الأسود والأرقم بن أبى الأرقم اشهدوا وأما حديث أنس فلفظه : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم =

«وأطعم النفر الكثير فى منزل جابر » (٢٧٣٦) .

« وفى منزل أبى طلحة » (٢٧٣٧) .

= القمر شقتين حتى رأوا حراء ما بينهما هكذا رواه الشيخان وابن جرير وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر والترمذى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل بلفظ سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ الآية وقد رواه أيضًا عبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وعلى وجبير ابن مطعم وغيرهم .

(٢٧٣٦) حديث : « إطعام » النبى ﷺ « النفر الكثير فى منزل جابر » بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه . **قال العراقى** : متفق عليه من حديثه .اهـ.

قال مرتضى : وهو أن جابرا فى غزوة الخندق قال انكفأت إلى امرأتى فقلت هل عندك شيء فإنى رأيت بالنبى ﷺ جوعا شديدا فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن أى شاة سمينة فذبحتها أى أنا وطحنت أى زوجتى الشعير حتي جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سرا وقلت له تعال أنت ونفر معك فصاح بأهل الخندق إن جابرا صنع سورا بالضم وسكون الواو فارسية أى طعاما يدعو إليه الناس فحيهلا بكم فقال ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجاء فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة لتخبز معك واقدحى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط ويسمع غطيطها كما هى وإن عجيننا ليخبز كما هو رواه الشيخان فأخرجه البخارى عن عمر بن على حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبى سفيان قال سمعت جابر بن عبد الله يقول لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدا فأتيت زوجتى ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبى عاصم ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق عباس بن محمد الدورى عن أبى عاصم .

(٢٧٣٧) حديث : « إطعامه » ﷺ « النفر الكثير فى منزل أبى طلحة » زيد بن سهل الأنصارى البدرى رضي الله عنه المتوفى سنة أربع وثلاثين من الهجرة **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أنس .اهـ.

قال مرتضى : رواه مسلم من طريق حرملة والبيهقى وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل من طريق هارون بن معروف واللفظ له كلاهما عن ابن وهب قال أخبرنى أسامة أن يعقوب بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال : جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة قال أسامة وأنا=

« ويوم الخندق ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق » (٢٧٣٨) .

وهو من أولاد المعز فوق العتود .

= أشك على حجر فقلت : لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ قال من الجوع فذهبت إلى أبى طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ قد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فدخل أبو طلحة على أمى فقال هل من شىء فقالت : نعم عندى كسر من خبز وتمرات فإن جاءنا رسول الله ﷺ أشبعناه وإن جاء معه بأحد قل عنهم فقال لى أبو طلحة : أذهب يا أنس فقم قريبا من رسول الله ﷺ فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فقل أبى يدعوك ففعلت ذلك فلما قلت إن أبى يدعوك قال لأصحابه يا هؤلاء تعالوا ثم أخذ بيدى فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنونا من بيتنا أرسل يدى فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به فقلت : يا أبتاه قد قلت لرسول الله ﷺ الذى قلت لى فدعا أصحابه فقد جاءك بهم فخرج أبو طلحة إليهم فقال يا رسول الله إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندى ما يشبع من أرى فقال رسول الله ﷺ ادخل فإن الله عز وجل سيبارك فيما عندك فدخل رسول الله ﷺ فقال أجمعوا ما عندكم ثم قربوه وجلس من معه بالسكة فقربنا ما كان عندنا من كسر وتمر فجعلناه على حصيرنا فدعا فيه بالبركة فقال : يدخل عليه ثمانية فأدخلت عليه ثمانية فجعل كفه فوق الطعام فقال كلوا وسموا الله تعالى فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا ثم أمرنى أن أدخل عليه ثمانية وقام الأولون ففعلت فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم أمرنى فادخلت عليه ثمانية فما زال كذلك حتى دخل عليه ثمانون رجلا كلهم يأكل حتى يشبع ثم دعانى ودعا أبى أبا طلحة فقال كلوا فأكلنا حتى شبعنا ثم رفع يده فقال يا أم سليم أين هذا من طعامك حين قدمتيه قالت بأبى وأمى أنت لولا أنى رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شىء وسيأتى قريبا عند قوله ومرة أكثر من ثمانين ما يشبه هذه القصة وفيه أنه أدخلهم عشرة عشرة ودل ظاهر مغايرة المصنف بينهما على تعدد القصة وهو الذى استظهره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى .

(٢٧٣٨) حديث : « إطعامه » ﷺ يوم الخندق « ثمانين » رجلا هكذا فى سائر النسخ والصواب ثمانمائة كما يدل له سياق القصة الآتى ذكرها« من أربعة أمداد شعيرا » وهى صاع فإن المد بالضم رطل وثلث بالبغدادى عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلث كما تقدم ذلك فى كتاب الزكاة « وعناق » العناق كسحاب الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول وهى فوق العتود والعتود من أولاد المعز ما أتى عليه الحول . **قال العراقى:** رواه الإسماعيلى فى صحيحه ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند البخارى دون ذكر العدد وفى رواية أبى نعيم فى دلائل النبوة : وهم ألف .اهـ. =

= **قال مرتضى** : قال البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب أخبرنا أبو بكر الإسماعيلى أخبرنا أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة أخبرنا وكيع أخبرنا عبد الواحد ابن أيمن ح قال الاسماعيلى وأخبرنى الحسن هو ابن سفيان أخبرنا أبو بكر بن أبى شيبة أخبرنا المحاربى هو عبد الرحمن بن محمد عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال : قلت لجابر بن عبد الله حدثني بحديث رسول الله ﷺ أرويه عنك فقال جابر : كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئا ولا نقدر عليه فعرضت فى الخندق كدية فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت هذه كدية قد عرضت فى الخندق فرشينا عليها الماء فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثا فعادت كثيبا أهيل فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ائذن لى فأذن لى فجئت امرأتى فقلت ثكلتك أمك إنى قد رأيت برسول الله ﷺ شيئا لا أصبر عليه فما عندك قالت عندى صاع من شعير وعناق فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها فى البرمة وعجنت الشعير ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فلبثت ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن لى فجئت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت : إن عندنا طعيما لنا فإن رأيت أن تقوم معى أنت ورجل معك فعلت فقال وما هو وكم هو قلت صاع من شعير وعناق قال ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافى ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتى ثم قال للناس قوموا إلى بيت جابر قال فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله فقلت لامرأتى ثكلتك أمك قد جاء رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون فقالت : أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام فقلت : نعم قالت : الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك فذهب عنى بعض ما كنت أجد قلت لقد صدقت فجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه لا تضاغطوا ثم تبرك على التنور وعلى البرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقرب إليهم وقال رسول الله ﷺ ليجلس على الصحفة ثلاثة وقيل سبعة أو ثمانية فلما أكلوا كشفنا عن البرمة والتنور وجعلنا نأخذ من التنور الخبز واللحم من البرمة وإذا هما قد عادا إلى املأ مما كانا فنثرد ونغرف ونقرب إليهم فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملأ ما كانا حتى شبع المسلمون منها وبقيت طائفة من الطعام فقال رسول الله ﷺ : إن الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم قال وأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة ورواه البخارى فى الصحيح عن خلاد بن يحيى عن عبد الواحد بن أيمن إلا أنه لم يذكر العدد فى آخره ويروي أنهم كانوا ثلاثمائة من غير شك قال البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر احمد بن الحسن القاضى قالا أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب أخبرنا احمد بن عبد الجبار أخبرنا يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبى الزبير قال أخبرنى جابر بن عبد الله قال كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة رجل نحفر الخندق فرأيت رسول الله ﷺ أخذ حجرا فجعله بين بطنه وازاره يقيم بطنه من الجوع فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله ائذن لى فإن =

« ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس فى يده » (٢٧٣٩) .

= لى حاجة فى أهلى فأتيت المرأة فقلت قد رأيت من رسول الله ﷺ أمرا غاظنى فهل عندك من شىء قالت هذه العناق فاطبخها وهذا صاع من شعير فاطحنه فطحنته وذبحت العناق وقلت اطبخى حتى آتى رسول الله ﷺ فاستتبعه فانطلقت إليه فقلت يا رسول الله إنى قد ذبحت عناقا وطحنت صاعا من شعير فانطلق معى فنادى رسول الله ﷺ فى القوم ألا أجيبوا جابر بن عبد الله ، قال : فرجعت على المرأة فقلت : قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ ومن معه فقالت بلغته وبينت له فقلت: نعم فقالت : أرجع إليه وبين له فأتيته فقلت يا رسول الله إنما هى عناق وصاع من شعير قال : فأرجع ولا تحركن شيئا من التنور ولا من القدر حتى آتيها واستعر صحافا فدخل رسول الله ﷺ فدعا الله عز وجل على القدر والتنور ثم قال أخرجى واثردى ثم اقعدهم عشرة عشرة فادخلهم فأكلوا وهم ثلاثمائة وأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك وأما ما رواه أبو نعيم فى الدلائل وفيه أنهم كانوا ألفا فقد تقدم من رواية حنظلة بن أبى سفيان عن جابر ورواه البخارى ومسلم والبيهقى ودل سياقهم على تعدد القصة ولذلك غاير بينهما المصنف فتأمل .

(٢٧٣٩) حديث : « اطعامه » ﷺ « أكثر من ثمانين رجلا من أقراص شعير حملها أنس » بن مالك رضي الله عنه «فى يده » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث أنس وفيه حتي فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفى رواية لأبى نعيم فى الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ : والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .اهـ.

قال مرتضى : لفظ الشيخين من حديث أنس قال : قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شىء فقالت : نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد أى الموضع الذى أعده للصلاة فيه فى محاصرة الأحزاب يوم الخندق ومعه الناس فسلمت عليه فقال لى رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة قلت : نعم قال : لطعام قلت : نعم فقال رسول الله ﷺ لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت : الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ هلمى يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا وفى رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين =

« ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بَنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم » (٢٧٤٠) .

= رجلا ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وتركوا سؤرا بالضم مهموزا أى بقية وفى رواية للبخارى أدخل على عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي ﷺ فجعلت أنظر هل نقص منها شيء وفى رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس أنه لما انتهى إلى الباب قال لهم : اقعدوا ثم دخل وفى رواية عمرو بن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة إنما هو قرص فقال : إن الله سيبارك فيه وفى رواية مبارك بن فضالة عن أنس فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان فى العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص فى الجفنة يتسع وفى رواية النضر بن أنس عن أبيه فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة .

(٢٧٤٠) حديث : « إطعامه » ﷺ « أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر» كذا فى النسخ بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وفى بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة وكلاهما غلط والصواب بنت بشير كأمير « فى يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم » .
قال العراقى : رواه البيهقى فى دلائل النبوّة من طريق ابن اسحاق حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد . اهـ.

قال مرتضى : هكذا هو فى **كتاب العراقى** حدثنا سعيد بن يسار والذى فى الدلائل للبيهقى سعيد بن ميناء وهو غير سعيد بن يسار فإن سعيد بن ميناء يكنى أبا الوليد روى له الشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه وسعيد بن يسار يكنى أبا الحباب روي له الجماعة قال البيهقى فى الدلائل أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا أحمد ابن عبد الجبار أخبرنا يونس عن ابن إسحاق حدثنى سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعيد قالت : بعثتنى أمي بتمر فى طرف ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق فمررت على رسول الله ﷺ فنادانى فأتيته فأخذ التمر منى فى كفيه وبسط ثوبا فنشره عليه فتساقط فى جوانبه ثم أمر بأهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا حتى صدروا عنه . اهـ. كذا فى نسخة الدلائل بشير بن سعيد وعليها **سماع العراقى** على المحب الخلاطى والذى يظهر بشير بن سعد كما **ذكره العراقى** وهو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة صحابية وهذه المعجزات الخمس التى ذكرها المصنف بعد انشقاق القمر تتعلق بتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه ومن هذا الباب أيضا ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال : نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل =

= أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة . . . الحديث ومن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس قال : كان رسول الله ﷺ عروسا بزينب فعمدت أي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام فقال رسول الله ﷺ ضعه ثم قال : اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله قيل لأنس كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم : اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم قال لي : يا أنس ارفع فرفعته فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت . ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر قال : إن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسالون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى التي كانت تهدي فيها للنبي ﷺ فتجد فيها سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي ﷺ قال أعصرتيها قالت : نعم قال: لو تركتيها مازال قائما. ومن ذلك ما رواه مسلم عنه أيضا أن رجلا أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم . ومن ذلك ما أخرج الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي من حديث سمرة بن جندب قال : كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء ورواه أيضا الحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل ، ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة وأنه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل من القصعتين فحملته على البعير ، ومن ذلك أيضا ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي هريرة قال أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع ومن ذلك أيضا ما ذكره صاحب الشفاء من حديث علي بن أبي طالب قال : جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا منه وبقي كأنه لم يشرب منه .

« ونبــع الـمــاء من بين أصــابـعـه ﷺ فـشـرب أهـــل العـسـكر كــلهم وهم عطاش» (٢٧٤١) .

« وتوضؤا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط ﷺ يده فيه » (٢٧٤٢) .

(٢٧٤١) حديث : « نبع المـاء من بين أصابعـه فشرب أهل العـسكر » كلهم «وهم عطاش» **قـــال العراقى:** متفق عليه من حدث أنس فى ذكر الوضوء فقط ولأبى نعيم من حديثه خرج إلى قباء فأتى من بعض بيـوتهم بقدح صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشـرب قال أنس بصر عينى نبع المـاء من بين أصابعـه ولم يرد القدح حـتى رووا منه واسناده جـيد وللبـزار واللفظ له والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس كان فى سـفر فشكا أصحابه العطش فقال ائتونى بماء فاتوه بإناء فيه ماء فوضع يده فى الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه . . . . الحديث وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : قال القرطبى قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيـد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنـوى ولم يسمع بمثل هذه المعجـزة عن غيـر نبينا ﷺ حيث نبـع من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابـن عبد البر عن المزنى أنه.قال نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ فى المعجزة من نبـع الماء من الحجر حيث ضربه مـوسى بالعصا فتفـجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحـجارة معـهود بخلاف خـروج الماء من بين اللحم والدم .اهـ. وروى ابن شاهين من حـديث أنس قال : كنت مـع النبى ﷺ فى غزوة تبـوك فقال المسلـمون : يا رسول الله عطشت دوابنا وابلـنا فقال : هل من فضلة مـاء فجاء رجل فى شن بشىء فـقال هاتوا صحـفة فصب الماء ثم وضع راحتـه فى الماء قال فرأيتهـا تخلل عيونا بين أصابـعه قال فسقينا أبلنا ودوابنا وتزودنا فـقال أكتفيتم فقالوا : نعم اكتفـينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء وروى أحمـد من حديث جـابر قال: اشتكى أصـحاب رسول الله ﷺ إلـيه العطش فدعا بعس فصب فيـه شيئا من الماء ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال استـقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعـه ورواه البيهقى فى الدلائل بلفظ كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فـأصابنا عطش فجهشنا إلى رسـول الله ﷺ قال فوضع يده فى تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كـأنه العيون قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفاناولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كـنتم قال ألفا وخمسمائة وأخرجه ابن شاهين أيضا وفيه فأصابنا عطش بالحديبـية . . . الحديث وأخرج البخارى من حديث علقمة عن ابن مسعود بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ : أطلبوا من معه فـضل ماء فأتى بماء فصبه فى إناء ثم وضع كفه فـيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه .

(٢٧٤٢) حديث : « توضأ ﷺ من قـدح صغير ضاق أن يبـسط ﷺ يده فيه » **قال العـراقى :=**

= متفق عليه من حدث أنس فى ذكر الوضوء فقط ولأبى نعيم من حديثه خرج إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه ثم قال هلم إلى الشرب قال أنس بصر عينى نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه واسناده جيد وللبزار واللفظ له والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس كان فى سفر فشكا أصحابه العطش فقال ائتونى بماء فاتوه بإناء فيه ماء فوضع يده فى الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وإسناده ضعيف .اهـ.

قال مرتضى : حديث أنس فى الصحيحين قال رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده فى ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم وفى لفظ للبخارى كانوا ثمانين رجلا وفى لفظ له فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال فقلنا لأنس كم كنتم قال : كنا ثلاثمائة وفى الصحيحين من حديث جابر قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشربه إلا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وأخرج البيهقى من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن جابر بلفظ لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل فى إناء فأتى به رسول الله ﷺ قال فأدخل يده فيه وفرج أصابعه وقال حى هلا أهل الوضوء والبركة من الله قال فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه قال فتوضأ الناس وشربوا قال فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه وعلمت أنه بركة قال : قلت لجابر : كم كنتم يومئذ قال ألفا وأربعمائة ورواه البخارى عن قتيبة بن سعيد عن جرير وأخرج أحمد والبيهقى من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر قال غزونا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشرة مائة فحضرت الصلاة فقال هل فى القوم من طهور فجاء رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه رسول الله ﷺ فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال فركب الناس ذلك القدح وقالوا تمسحوا تمسحوا فلما سمعهم يقولون ذلك قال على رسلكم قال فوضع كفه فى الماء والقدح وقال سبحان الله ثم قال اسبغوا الوضوء فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ ولم يرفعها حتى توضؤا أجمعون وقال الإسماعيلى فى الصحيح أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حماد ابن زيد حدثنا ثابت عن أنس أن النبى ﷺ دعا بماء فأتى بقدح رحراح فجعل القوم يتوضؤن فحزرت ما بين السبعين إلى الثمانين قال : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه ورواه مسلم عن أبى الربيع ولفظ البخارى عن مسدد عن حماد عن ثابت دعا بإناء =

« واهرق ﷺ وضوأه فى عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء » (٢٧٤٣) .

= من ماء فأتى بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه قال أنس فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه قال فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين إلى الثمانين وأما حديث أنس الذى **ذكره العراقى** من عند أبى نعيم فقد أخرجه أيضا البيهقى فى الدلائل من طريق إسماعيل بن أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس قال خرج النبى ﷺ إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير قال فأدخل النبى ﷺ يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الأربع ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال إلى القوم هلموا إلى الشراب . . . الحديث .

(٢٧٤٣) حديث : « إهراقه وضوأه »ﷺ «فى عين تبوك » وهو موضع بالشام « ولا ماء فيها ومرة أخرى فى بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فإما دعا وإما بصق فيها فجاشتا . . . الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وصبه فيها وفى الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند البخارى من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر وقال البيهقى أنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة ولمسلم من حديث ابن أبى أوفى ألف وثلاثمائة .اهـ.

قال مرتضى : لفظ حديث معاذ عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال لهم : إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئا قالا : نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ماءها قد ملأ جنانا وعمرانا ورواه عياض فى الشفاء بنحوه من طريق مالك فى الموطأ وزاد فقال : قال فى حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ماء له حس كحس الصواعق وأما قصة الحديبية فرواها البخارى من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه وحديث=

« وأمر ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان فى اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقى منه فحبسه » (٢٧٤٤).

« ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم » (٢٧٤٥).

= سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال أخبرنى أبى قال قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة ما ترويها قال فقعد رسول الله ﷺ على جانبها فإما دعا وإما بزق فجاشت فسقينا واستقينا وحديث البراء رواه البخارى من طريق عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء كنا مع النبى ﷺ يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركها غير بعيد ثم أنها أصدرتنا نحن وركابنا وأخرجه أيضا من حديث زهير بن معاوية عن أبى إسحاق وفى لفظ له فدعى بدلو فنزع منها ثم أخذ منه بفيه فمجه فيها ودعا الله فكثر ماؤها حتى صدرنا وركائبنا ونحن أربع عشرة مائة وفى مغازى أبى الأسود من رواية ابن لهيعة ودعا بدلو من ماء فتوضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه فى البئر ودعا الله تبارك وتعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس مع شفتها وكذا روي الواقدى من طريق أوس بن خولى وهذه القصة غير القصة التى سبقت فى ذكر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ مما رواه البخارى فى المغازى من حديث جابر وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع فى وقعتين.

(٢٧٤٤) حديث : « أمر» ﷺ «عمر» بن الخطاب رضي الله عنه « أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان» فى اجتماعه وهيئته « كربضة البعير وهو » بفتح الراء وسكون الموحدة والضاد المعجمة «موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقى يحبسه » **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث ركين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث ركين عند أبى داود مختصراً من غير بيان لعددهم .اهـ.

قال مرتضى : النعمان وركين مزنيان وأخرج أحمد من طريق سالم بن الجعد عن النعمان بن مقرن قال قدمنا على رسول الله ﷺ فى أربعة من مزينة ورجاله ثقات لكنه منقطع فإن النعمان استشهد فى خلافة عمر فلم يدركه سالم وقال الحافظ فى الإصابة ركين ابن سعيد له حديث واحد تفرد أبو إسحاق السبيعى بروايته عنه وأخرجه ابن حبان فى صحيحه وأبو داود والدارقطنى فى الإلزامات .

(٢٧٤٥) حديث : « رميه» ﷺ «الجيش بقبضة من تراب » الأرض وقال شاهت الوجوه أى قبحت=

ونزل بذلك القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال : ١٧) .

«وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ » (٢٧٤٦)

فعدمت وكانت ظاهرة موجودة .

= «فعميت عيونهم» **قال العراقى:** رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث جابر وابن عباس أ.هـ.

قال مرتضى: وذلك يوم بدر لما التقى الجمعان فلم يبق مشرك وكانوا ألفا أو إلا خمسين إلا ودخل فى عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا من ذلك على الأصح وأنه ﷺ فعل نظيره فى يوم حنين وهو الذى أراده المصنف هنا وقد أخرجه مسلم من حديث سلمة ابن الأكوع ولفظه بقبضة من تراب الأرض كما هو عند المصنف وعند غيره أنه ﷺ تناول حصيات من الأرض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها فى وجوه المشركين والجمع بينهما أنه يحتمل أنه رمى بذامرة والآخر أخرى أو أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب وروى أحمد وأبو داود والدارمى من حديث أبى عبد الرحمن الفهرى أنه ﷺ اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من تراب قال فأخبرنى الذى كان أدنى إليه منى أنه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله تعالى قال يعلى بن حطان راويه عن أبى همام عن أبى عبد الرحمن الفهرى فحدثنى أبناؤهم وهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابا وروى أحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به بغلته ﷺ فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا .

(٢٧٤٦) حديث : « إبطال الله الكهانة بمبعثه »ﷺ فعدمت وكانت قبل ظاهرة موجودة **قال العراقى :** رواه الخرائطى من حديث مرداس بن قيس الدوسى قال حضرت النبى ﷺ وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه . . . . الحديث ولأبى نعيم فى الدلائل من حديث ابن عباس فى استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث سيدنا محمد ﷺ دحروا بالنجوم وأصله عند البخارى بغير هذا السياق .اهـ.

قال مرتضى: مرداس بن قيس هذا ذكره أبو موسى فى الذيل والحديث الذى ذكره الخرائطى فإنه أخرجه فى كتاب الهواتف له من طريق عيسى بن يزيد بن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس بن قيس قال حضرت النبى ﷺ وذكره إلى قوله عند مخرجه ثم قال فقلت : يا رسول الله عندنا شيء من ذلك أخبرك به فذكر قصة طويلة فيها أن كاهنهم كان يصيب كثيرا ثم أخطأ مرة بعد مرة ثم قال يا معشر دوس حرست السماء وخرج الأنبياء وأنه مات عقب ذلك قال الحافظ فى الإصابة وعيسى أظنه ابن داب وهو كذاب وفى السند=

« وحن الجذع الذى كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن » (٢٧٤٧) .

= أيضا عبد الله بن محمد البلوى كذاب وأخرج البيهقى فى الدلائل عن الزهرى قال إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم وانقطعت الكهنة فلا كهانة وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ (الجن:٩) قال حرستها به السماء حين بعث النبى ﷺ لكيلا يسترق السمع فانكرت الجن ذلك فكان كل من استمع منهم قذف وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كانت الجن قبل أن يبعث النبى ﷺ يستمعون من السماء فلما بعث حرست فلم يستطيعوا أن يستمعوا .

(٢٧٤٧) حديث : « حنين الجذع» الذى كان يخطب عليه ﷺ لما عمل له ﷺ المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه الحاضرين مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن.

قال مرتضى: قال التاج السبكى وحنينه متواتر لأنه ورد عن جماعة من الصحابة إلى نحو العشرين من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه وبينها ثم قال ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين وتبعه بعض الحفاظ قال فقد نقل هو وانشقاق القمر نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم وجرى فى الشفاء أنه متواتر قال البيهقى قصة حنينه من الأمور الظاهرة التى نقلها الخلف عن السلف وعن الشافعى ﷺ أن حنينه أعظم فى المعجزات من إحياء الموتى.

قال العراقى : رواه البخارى من حديث جابر وسهل بن سعد .اهـ.

قال مرتضى : أما حديث جابر فرواه البخارى عن اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أخى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد أخبرنى حفص عن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يقول كان المسجد فى زمن رسول الله ﷺ مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعت لذلك صوتا كصوت العشار حتى جاءه النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكن وأخرجه ابن سعد فى الطبقات فقال أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى أويس حدثنى سليمان بن بلال فذكره وقال ابن سعد أيضا أخبرنا يعقوب بن أبى إبراهيم بن سعد الزهرى عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثنى من سمع جابر بن عبد الله يقول إن رسول الله ﷺ كان يقوم إلى جذع نخلة منصوب فى المسجد حتى إذا بدا له أن يتخذ المنبر شاور ذوى الرأى من المسلمين فرأوا أن يتخذه فاتخذه رسول الله ﷺ فلما كان يوم الجمعة أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس على المنبر فلما فقده الجذع حن حنينا أفزع الناس فقام رسول الله ﷺ عن مجلسه حتى انتهى إليه فقام إليه ومسه فهدأ فلم يسمع له حنين بعد ذلك اليوم وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا العلاء بن سلمة=

= البصرى حدثنا شيبة أبو قلابة عن سعيد الجريرى عن أبى بصرة عن جابر أن النبى ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة فقيل يا رسول الله إنه قد كثر الناس وتأتيك الوفود من الآفاق فلو أمرت بصنعة شيء تشخص عليه . . . . الحديث وفيه فلما صنعه صعده رسول الله ﷺ فحن جذع النخلة التي كان يقوم عليها حنين الناقة فسمع أهل المسجد صوتها شوقا إلى رسول الله ﷺ فنزل فالتزمها وقال والذى نفسى بيده لو تركتها لحنت إلى يوم القيامة قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى كتابه عرف العنبر فى وصف المنبر بعد أن أخرجه من كتاب اليتيمة للحافظ أبى موسى المدينى من طريق الطبرانى المتقدم ما نصه كذا فى هذه الرواية عن أبى بصرة عن جابر والأشبه عن أبى بصرة عن أبى سعيد قال عبد بن حميد فى مسنده أخبرنا على بن عاصم عن الجريرى عن أبى بصرة العبدى حدثنى أبو سعيد الخدرى قال كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة وذكر الحديث بطوله وقد روى عن جابر أيضا من غير هذا الوجه قال أبو بكر بن المقرى فى فوائده أخبرنا أبو يعلى حدثنا مسروق بن المرزبان حدثنا ابن أبى زائدة عن أبيه عن أبى إسحاق عن سعيد يعنى ابن أبى كريب عن جابر قال كان رسول الله ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال إن شئت فعلت لك شيئا إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم قال: نعم قال : فجعل له المنبر فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها حتى نزل النبى ﷺ فوضع يده عليها فلما أن كان من الغد رأيت قد حولت فقلت ما هذا قال جاء النبى ﷺ وأبو بكر وعمر فحولوها تفرد به يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن أبيه قاله أبو القاسم الحافظ وأما حديث ابن عمر فقد أخرج له البخارى معلقا من طريق أبى حفص عمر بن العلاء سمعت نافعا يحدث عن ابن عمر قال كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه قال وقال عبد الحميد أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا ورواه أبو عاصم عن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ هكذا علقه وقد وصله غيره من طريق سعد بن عمر وحدثنا أبو عاصم حدثنا ابن أبى رواد حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر أن تميما الدارى ﷺ قال لرسول الله ﷺ لما أسن وثقل ألا أتخذ لك منبرا يحمل أو قال يجمع عظامك أو كلمة تشبهها فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة يجلس عليها قال فصعد النبى ﷺ فحن جذع كان فى المسجد كان النبى ﷺ إذا خطب يستند إليه فنزل رسول الله ﷺ فاحتضنه وقال شيئا لا أدرى ما هو ثم صعد المنبر وكان أساطين المسجد جذوعا وسقائفه جريدا أخرجه أبو داود فى سننه عن الحسن بن على حدثنا أبو عاصم فذكره مختصرا إلى قوله مرقاتين دون ما بعده وحديث عثمان بن عمر رواه أبو القاسم البغوى عن الحسن بن محمد وأحمد بن منصور كلاهما عن عثمان بن عمر أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فالتزمه تابعهم عمرو بن على الفلاس وسليم بن خلاد عن=

= عثمان بن عمر بن فارس وتابعه يحيى بن محمد بن السكن وبدل بن المحبر عن معاذ بن العلاء وقال أحمد في مسنده حدثنا حسين بن محمد حدثنا خلف يعني ابن خليفة عن أبي خباب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم الجمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس فقالوا ألا نجعل لك يا رسول الله شيئا كقدر قيامك قال لا عليكم إلا تفعلوا فصنعوا له منبرا ثلاث مراق قال فجلس عليه قال فخار الجذع كما تخور البقرة جزعا على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن ، أبو خباب يحيي بن أبي حية الكوفى ضعفه القطان وأحمد وابن معين توفى سنة ١٥٦ وأبوه اسمه حية تابعى كوفى محله الصدق فيما قاله أبو حاتم الرازى وقد روي حديث حنين الجذع آخرون منهم سهل بن سعد وأبى بن كعب وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدرى وعائشة وأبو هريرة وابن عباس وبريرة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة ﷺ أما حديث سهل بن سعد فأخرجه محمد بن سعد فى الطبقات قال أخبرنا أبو بكر بن أبى أويس المدنى حدثنى سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بن قيس عن عباس ابن سهل بن سعد الساعدى عن أبيه ﷺ أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات قرضتين قال أراها من دوم كانت فى مصلاه وكان يتكئ إليها وساق الحديث فى عمل المنبر ثم قال فقام عليه النبى ﷺ فحنت الخشبة فقال النبى ﷺ الا تعجبون لحنين هذه الخشبة فاقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل النبى ﷺ حتى أتاها فوضع يده عليها فسكنت فأمر النبى ﷺ بها فدفنت تحت منبره أو جعلت فى السقف ورواه أبو إسماعيل الترمذى عن أبى بشر سليمان بن بلال حدثنى أبو بكر بن أبى أويس عن سليمان بن بلال فذكره ورواه أبو إسماعيل الترمذى أيضا عن يحيى بن عبد الله ابن بكير عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية أنه سمع عباس بن سهل بن سعد الساعدى يحدث عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يخطب إذا خطب على خشبة ذات فرضتين كانت فى المسجد فلما زاد الناس فذكر الحديث فى عمل المنبر وفيه فما هو إلا أن قعد عليه رسول الله ﷺ فتكلم ففقدته الخشبة فخارت كما يخوز الثور لها حنين قال فجعل العباس بن سهل يمد يديه كنحو ما رأى أباه يمد يديه يحكى حنين الخشبة حتى تفزع الناس وكثر البكاء مما رأوها فقال رسول الله ﷺ سبحان الله الا ترون هذه الخشبة انزعوها واجعلوها تحت المنبر وأما حديث أبى بن كعب فأخرجه أبو القاسم البغوى عن عيسى بن سالم حدثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن أبيّ بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع وكان المسجد عريشًا وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجال من أصحابه يا رسول الله نجعل لك شيئا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك فقال : نعم فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فاصغى عليه الجذع فقال له أسكن ثم التفت فقال إن تشا أغرسك فى الجنة فيأكل منك الصالحون وإن تشأ أن نعيدك رطبا كما كنت فاختار الآخرة على الدنيا فلما قبض النبى=

= ﷺ دفع إلى أبى حتى أكلتـه الأرضة تابعه عبـد الله بن أحمد بن حنبل فـقال فى زوائد المسند حدثنى عيسـى بن سالم أبو سعيد الشاشى فى سنة ٢٥١ فذكـره بطوله ورواه محمد ابن سعد في الطبقات فقال أخبرنا عبـد الله بن جعفر الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن ابن عقيل عن الـطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه فـذكره بنحوه وفيـه فأراد رسول الله ﷺ أن يقوم على المنبر فمـر إليه فخار الجذع حتى تصدع وانشق فنزل رسول الـله ﷺ فمسحه بيده حتى سكن ثم رجـع إلى المنبر وكان إذا صلى صلى إلى ذلك الجذع فلمـا هدم وغير أخـذ ذلك الجذع أبى بن كـعب فكان عنده فى داره حـتى بلى وأكلته الأرضـة وعاد رفـاتا وأخـــرج ابن ماجــــه بنحـــوه عن إسـماعيل بـن عبد الله الرقى عن عـبيد الله بن عـمرو ورواه عبد الله بن أحـمد فى زوائد المسند عن سعـيد بن أبي الربيع السمان عن سـعيد بن سلمة بن أبى الحسام عن ابن عقيل فذكره بطوله وأمـا حديث أنس بن مالك فأخرجه أحمد فى مسنده فقال حدثنا هاشم أنا المبارك عن الحسن عن أنس قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة فلمـا كثر الناس قال ابنوا منبرا فبنوا له فتحوّل من الخشبة إلى المنبر قال فاخبرنى أنس أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكنت وأخرجه عن شيبان بن فروخ عن مـبارك بن فضـالة عن الحسن عن أنس فذكـره مثله وفى آخـره فكان الحسن إذا حـدث بهـذا الحديث بكى ثم قـال يا عـباد الله الخشبة تحـن إلى رسـول الله ﷺ شوقا لمكانه من لقيه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه تابعهما عبد الله بن المبارك عـن المبارك بن فضـالة بطوله ورواه أبو يعلى المـوصلى عن شيـبان بن فـروخ حدثنا همـام عن قتـادة عن الحـسن عن أنس بنحـوه وفيـه فـصـعد النبى ﷺ الـمنبر حنـت الجذعـة حنين الناقـة إلى ولدها حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر واحتـضنها فسكن حنينها فكان الحسن إذا حدث بهـذا الحديث قال ابن آدم هذه جذعـة تحن شوقا إلى رسـول الله ﷺ فأنتم أحق بالبكاء إليه تابعه أبو بـكر محمد بن محمـد بن سليمان الباغندى عن شيـبان بن فروخ ومن طرق حديث أنس ما قال الإمام أبو بكر محمد بن إسـحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يسار حدثنا عمـر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمـار حدثنا إسحاق بن أبى طلحـة حدثنا أنس بن مالك أن رسـول الله ﷺ كان يـقوم يوم الجـمعة فـيسند ظهـره إلى جذع منـصوب فى المسجد فيـخطب فجاء رومى فقال ألا أصنع لك شيئا تقعـد وكأنك قائم فصنع له منبرا له درجتـان ويقعد على الثالثـة فلما قعـد نبى الله ﷺ خار الجذع خوار الثـور حتى ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله ﷺ ونزل إلـيه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التـزمه رسول الله ﷺ سكت ثم قال والذى نفسى بيده لو لـم التزمه ما زال هكذا حتى تقوم السـاعة حزنا على رسول الله ﷺ فأمـر به رسول الله ﷺ فدفن يعنى الجذع أخرجه التـرمذى عن محمود بن غيلان عن عـمر بن يونس به وأما حديث أبى سعيد الخدرى فقد أخرجه عبد بن حميد فى مسنده وتقدم فى أثناء سياق حديث جابر وأما=

« ودعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه » (٢٧٤٨) .

وهذا مذكور فى سورة يقرأ بها فى جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهراً تعظيمًا للآية التى فيها .

وأخبر ﷺ بالغيوب « وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة » (٢٧٤٩) .

= حديث عائشة فأخرجه الطبرانى بإسناد ضعيف أن النبى ﷺ كان يخطب إلى جذع فمر رومى فقال لو دعانى محمد لجعلت له ما هو أرفق من هذا فدعاه رسول الله ﷺ فجعل له المنبر أربع مراق ... الحديث وأخرجه البيهقى كذلك وفى آخره أنه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الاخرة وأما حديث أبى هريرة فأخرجه محمد بن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر الواقدى أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائما فقال إن القيام قد شق على فقال له تميم الدارى ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام ... فساق الحديث وفيه فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه وقال منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة وذكر بقية الحديث وأما حديث بريرة فاخرجه الدارمى وفيه أن النبى ﷺ قال له إن شئت ان أردك إلى الحائط الذى كنت فيه فذكر الحديث وفيه فاصغى لـه النبى يسمع ما يقول فقال بل تغرسنى فى الجنة ... الحديث وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو نعيم فى الدلائل واعلم أن القصة واحدة فما وقع فى الفاظها مما ظاهره التغاير إنما هو من الرواة وعند التحقيق والتأمل يرجع المعنى واحد والله أعلم .

(٢٧٤٨) حديث : «دعا» ﷺ «اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه » **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث ابن عباس لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا .... الحديث وللبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا ... الحديث وإسناده ضعيف أ.هـ.

(٢٧٤٩) حديث : « إخباره» ﷺ «بأن عثمان» بن عفان رضي الله عنه «تصيبه بلوى بعدها الجنة» **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى موسى الأشعرى .اهـ.

قال مرتضى : اخرجاه من طريق أبي عثمان النهدى عن أبى موسى قال كنت مع رسول الله ﷺ فى حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجل فاستفتح الباب فقال افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا هو عثمان فأخبرته فقال والله المستعان . ورواه أبو نعيم في=

« وبأن عماراً تقتله الفئة الباغية » (٢٧٥٠) .

= الحلية من حديث عبد الله بن معمر أن رسول الله ﷺ كان فى حش من حشان المدينة فاستأذن رجل خفيض الصوت فقال رسول الله ﷺ ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فأذنت له وبشرته فإذا هو عثمان فقرب يحمد الله حتى جلس وروي أيضا من طريق قتادة عن أبى الحجاج عن أبى موسى قال جاء رجل فاستأذن مرة فقال ائذن له وبشره بالجنة فى بلوى فقال عثمان أسأل الله صبرا .

(٢٧٥٠) حديث : « إخباره » ﷺ « بأن عماراً » بن ياسر يكنى أبا اليقظان وأمه سمية بنت خياط وكانت أمة لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى وكان أبوه ياسر قدم من اليمن إلى مكة فحالف أبا حذيفة وزوجه مولاته سمية فولدت له عمارا فاعتقه أبو حذيفة وكان سلمة بن الأزرق أخاه لأمه أسلم بمكة قديما هو وأبوه وأمه وكانوا ممن يعذب فى الله فمرّ بهم النبى ﷺ وهم يعذبون، فقال ﷺ : صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة ثم قال ﷺ : « تقتله الفئة الباغية » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث أبى قتادة وأم سلمة والبخارى من حديث أبى سعيد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه كذلك أحمد وابن حبان فى الصحيح ولفظهم كنا نحمل فى بناء المسجد لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال السيوطى فى الخصائص هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر ويروي ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية رواه هكذا أبو يعلى والبزار والحاكم عن حذيفة وابن مسعود معا ورواه أبو يعلى أيضا من حديث أبى هريرة ورواه ابن عساكر من حديث أم سلمة ورواه الخطيب من حديث عمرو بن العاص ويروى عمار تقتله الفئة الباغية رواه هكذا أبو نعيم فى الحلية والخطيب من حديث أبى قتادة ورواه الطبرانى أيضا لكن بزيادة الناكبة عن الحق ويروي من حديث أبى أيوب تقتل عمارا الفئة الباغية وأخرج ابن سعد فى الطبقات من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت قال شهد خزيمة الجمل وهو لا يسل سيفا وشهد صفين وقال أنا لا أضل أبدا حتى يقتل عمار فانظر من يقتله فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتله الفئة الباغية قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لى الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل وكان الذى قتل عمارا أبا غاوية المزنى طعنه برمح فسقط وكان يومئذ يقاتل فى محفة فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة ودفن هنالك .

(تنبيه) : وجد بخط الحافظ ابن رجب الحنبلى ما نصه ليس فى أكثر نسخ البخارى من حديث أبى سعيد تقتله الفئة الباغية وإنما وجد فى بعض النسخ ووجد بخط الحافظ ابن حجر تحته .

قال مرتضى : وليس هو فى روايتنا والله أعلم .

« وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » (٢٧٥١) .

«وأخبر ﷺ عن رجل قاتل فى سبيل الله ، أنه من أهل النار» (٢٧٥٢) .

فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه .

وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف البتة بشىء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه .

(٢٧٥١) حديث : « إخباره » ﷺ « أن الحسن يصلح الله به » أى بسبب عزله لنفسه عن الخلافة «بين فئتين من المسلمين عظيمتين» فإنه ﷺ لما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة أشهر تكملة للثلاثين سنة التى أخبر النبى ﷺ أنها مدة الخلافة وبعده يكون ملكا عضوضا ثم سار إلي معاوية بأربعين ألفا بايعوه على الموت فلما تراءى الجمعان على أنه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر فنزل له عن الخلافة لا لقلة ولا لذلة بل رحمة للأمة واشترط على معاوية شروطا التزمها وقال ابن بطال وغيره ولم يوف له بشىء منها وصار معاوية من يومئذ خليفة ولما خيف من طول عمر الحسن أرسل يزيد إلي زوجته جعدة إن هى سمته تزوجها ففعلت فأرسلت تستخبر فقال إنا لم نرضك له فنرضاك لنا **قال العراقى** : رواه البخارى من حديث أبى بكرة . اهـ.

قال مرتضى : وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائي والطبرانى كلهم من حديث الحسن عن أبى بكرة وفى سماع الحسن منه اختلاف والأصح أنه سمع ولفظهم جميعا أن ابنى هذا سيد وفى رواية لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين .

(٢٧٥٢) حديث : «إخباره» ﷺ «عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار» فظهر ذلك بأن قتل ذلك الرجل نفسه **قال العراقى** : متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد . اهـ.

قال مرتضى : أما حديث أبى هريرة فأخرجه البخارى عن أبى اليمان عن شعيب بن أبى حمزة عن ابن المسيب عن الزهيرى عن أبى هريرة وأخرجه البيهقى فى الدلائل من طريق عثمان بن سعيد وعلى بن محمد بن عيسى واللفظ لهما كلاهما عن أبى اليمان ولفظهما قال أبو هريرة شهدنا عشاء مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى بالإسلام أن هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فاثبتته فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله رأيت الذى ذكرت أنه من أهل النار قد والله قاتل فى سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح فقال=

« واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس » (٢٧٥٣) .

= رسول الله ﷺ أما أنه من أهل النار فكان بعض الناس أرتاب فبينا هو كذلك وجد الرجل ألم الجراح هوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها اسهما فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله قد صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر قال البخاري تابعه معمر عن الزهري قال البيهقي ومن ذلك الوجه وقال يونس عن الزهري حنين ، وأما حديث سهل بن سعد فرواه البخاري عن عبد الله بن مسلمة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد وأخرجه هو ومسلم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم وأخرجه الإسماعيلي في الصحيح ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الحسن بن سفيان والقاسم قالا حدثنا محمد بن الصباح واللفظ له قال حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ولفظه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقيل يا رسول الله ما أجزى أحد اليوم ما أجزى فلان فقال : أما إنه من أهل النار فقال رجل والله لا يموت على هذه الحال أبدا فاتبعه كلما أسرع أسرع وإذا ابطأ ابطأ معه حتى جرح فاشتدت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أشهد إنك لرسول الله قال وما ذاك فأخبره بالذي كان من أمره فقال النبي ﷺ إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار وأنه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

قال مرتضى : واختلف في اسم هذا الرجل فقيل هو قزمان بن الحارث حليف بني ظفر قال ابن قتيبة في المعارف هو الذي قتل نفسه وكان منافقا وفيه قال النبي ﷺ إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وقال غيره إن هذا الرجل قتل نفسه يوم أحد وقيل إنه صرح بالكفر وذكر ابن إسحاق والواقدي قصته أنه كان شجاعا معروفا في حروبهم وأنه لما أصابته الجراح قيل له هنيأ لك يا أبا الغيداق بالجنة قال والله ما قتلنا إلا على الأحساب وأنه قتل نفسه وبمجموع ما ذكرنا يظهر أن القصة تعددت والله أعلم .

(٢٧٥٣) حديث : « اتباع سراقة بن مالك » بن جعشم « له في قصة الهجرة فساخت» أي غارت «قدما فرسه في الأرض واتبعه دخان » أي غبار من الأرض «حتى استغاثه» وأنه لا يدل عليه «فدعا له فانطلقت الفرس» وكتب له أمانا واسلم يوم الفتح . **قال العراقي :** متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق . اهـ. =

« وانذره بأن سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى » (٢٧٥٤) فكان كذلك .

« وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله» (٢٧٥٥) .

= **قال مرتضى** : وروى البخارى هذه القصة من طريق البراء بن عازب عن أبى بكر الصديق وفى هذه القصة يقول سراقة مخاطبا لأبى جهل :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(٢٧٥٤) حديث : «إخباره» ﷺ «سراقة بأن سيوضع فى ذراعيه سوارا كسرى ».

قال مرتضى: أغفله العراقى وقال رواه ابن عيينة عن إسرائيل أبى موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى قال فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه وكان رجلا أذب كثير شعر الساعدين فقال له ارفع يديك وقل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابى روى ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وروى عنه أيضا ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس قال ابن عمر مات سراقة فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين.

(٢٧٥٥) حديث : «إخباره» ﷺ «بمقتل الأسود العنسى » بفتح العين المهملة وسكون النون أى قبيلة من اليمن الكذاب لكونه كان ادعى النبوّة باليمن وكان قد أهمه ﷺ أمره « ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن ومن قتله » **قال العراقى** : هو مذكور فى السير والذى قتله فيروز الديلمى وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فاوحى إلىّ فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فتأوّلتهما كذابين يخرجان بعدى فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء .... الحديث .اهـ.

قال مرتضى : أخرج سيف فى الفتوح من طريق ابن عمر أن النبى ﷺ بشرهم بموت الأسود العنسى قبل أن يموت وقال لهم قتله فيروز الديلمى وفيروز هذا وفد على رسول الله ﷺ وروى عنه أحاديث ثم رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود وأخرج الجوزجانى من طريق حمزة عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه عن عبد الله بن الديلمى عن أبيه قال أتيت النبى ﷺ برأس الأسود العنسى الكذاب .

« وخـرج عـلـى مـائة من قـريش ينتظـرونـه فـوضـع الـتـراب عـلـى رؤسـهـم ولـم يروه» (٢٧٥٦) .

« وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له » (٢٧٥٧) .

(٢٧٥٦) حديـث : «خرج» ﷺ «على مـائة من قريش ينتظرونه فـوضع التراب على رؤسـهم ولم يروه» **قال العراقى :** رواه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى مرسلا .اهـ.

قال مرتضى: ولفظ السيرة ثم اجتمع رأى قريش على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك وفيه ثم خرج ﷺ وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس﴾ إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ .

(٢٧٥٧) حديث : « شكا إليه» ﷺ «البعير» بحضرة أصحابه «وتذلل له » **قال العراقى :** رواه أبو داود من حديث عبـد الله بن جعفر فى أثناء حديـث وفيه فإنه شكا إلىّ أنك تجيـعه وتدئبه وأول الحديث عند مسلم دون ذكر قصة البعير .اهـ.

قـال مـرتضى : حديث عبـد الله بن جعفر أخرجه ابـن شاهين فى الدلائل قال أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفـه فأسر إلىّ حـديثا لا أحدث به أحدا من الناس قـال وكان أحب ما استتر به النبى ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبى ﷺ حن فذرفت عيناه فأتاه النبى ﷺ فمسح جرانه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لى يا رسول الله فقال ألا تتـقى الله فى هذه البهيمـة التى ملكك الله إياها فإنه شكا إلى أنك تجيـعه وتدئبه وهو حديث صـحيح ورواه أبو داود عن مـوسى بن إسماعـيل عن مهـدى بن ميمـون وقد رويت هذه القصـة من وجه آخر روى أحمـد والبغوى فى شـرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفى بينا نحن نسـير مع النبى ﷺ إذ مر بنا بعير يسقى عليه فلما رآه البـعير جرجر فوضع جرانه فـوقف عليه النبى ﷺ فقال أين صاحب البعـير فجاءه فقال بعنيـه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت مـا لهم معيشة غيره فقـال أما إذا ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثـرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليـه وقد روي فى قصة سـجود الجمل له روى أحمد والنسائى من حديث أنس قال كـان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهـره وأن الأنصار جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا إنه كان لنا جمل نسقـى عليه وأنه استـصعب عـلينا ومنعنـا ظهـره وقد عطـش النخل والزرع فقال رسول الله ﷺ لأصحابه قـوموا فقاموا فـدخل الحائط والجمل فى ناحية فـمشى رسول الله ﷺ نحوه فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته فقال رسول=

«وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدكم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا » (٢٧٥٨) .

«وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات » (٢٧٥٩) .

= الله ﷺ ليس عليّ منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل .

(٢٧٥٨) حديث : «قال» ﷺ «النفر من أصحابه» مجتمعين « أحدكم ضرسه في النار مثل » جبل «أحد فماتوا كلهم علي استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا » **قال العراقي :** ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال بن عنفوت وهو الذي ارتد وهو بالجيم وذكره عبد الغني بالحاء المهملة وسبقه إلى ذلك الواقدي والمدائني والأول أصح وأكثر، كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ: أحد هؤلاء النفر في النار وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك .اهـ.

قال مرتضى : وعنفوت بنون وفاء ذكر ابن أبي حاتم أنه قدم في وفد بني حنيفة وكانوا بضعة عشر رجلا فأسلموا سمعت أبي يقول ذلك قال الحافظ ولكنه ارتد وقتل على الكفر فروي سيف بن عمر في الفتوح عن مخلد بن قيس البجلي قال خرج فرات بن حبان والرجال بن عنفوت وأبو هريرة من عند رسول الله ﷺ فقال لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد وإن معهم لقفا غادر فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة وفراتا قتل الرجال فخرا ساجدين وروي الواقدي عن رافع بن خديج قال كان في الرجال بن عنفوت من الخشوع ولزوم قراءة القرآن والخير فيما يرى النبي ﷺ شيء عجيب فخرج علينا يوما والرجال معنا جالس فقال أحد هؤلاء النفر في النار قال رافع فنظرت فإذا هم أبو هريرة وأبو روى والطفيل بن عمرو والرجال فجعلت أنظر وأتعجب فلما ارتدت بنو حنيفة سألت ما فعل الرجال قالوا افتتن شهد لمسيلمة أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر فقلت ما قال رسول الله ﷺ هو الحق قالوا : وكان الرجال يقول كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول الله ﷺ .

(٢٧٥٩) حديث : «قال» ﷺ «لآخرين منهم» أي للصحابة الجالسين معه « آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات » **قال العراقي :** رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث أبي محذورة وفي رواية البيهقي: أن آخرهم موتا سمرة بن جندب ولم يذكرا أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواته ثقات وقال ابن عبد البر=

«ودعا شجرتين فاتتاه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا» (٢٧٦٠) .

وكان ﷺ نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم.

«ودعا ﷺ النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم ﷺ أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا» (٢٧٦١)

= أنه سقط فى قدر مملوءة ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المحبر وقد ضعفه الجمهور .اهـ.

قال مرتضى : لفظ ابن عبد البر بعد قوله فمات فكان ذلك تصديقا لقول رسول الله ﷺ له ولأبى هريرة ولأبى محذورة آخركم موتا فى النار وقال المزى في التهذيب كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين سقط فى قدر مملوءة ماء حارا كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط فى القدر الحارة فمات تصديقا لقول رسول الله ﷺ له ولأبى هريرة وثالث معهما آخركم موتا فى النار .

(٢٧٦٠) حديث : «دعا» ﷺ «شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا » **قال العراقى :** رواه أحمد من حديث على بن مرة بسند صحيح .اهـ.

قال مرتضى : ورواه أحمد من طريق أبى سفيان بن طلحة بن نافع وهو تابعى عن يعلى ابن مرة قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة فقال له ما لك فقال رسول الله ﷺ فعل بى هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية . فقال : نعم قال فنظر إلى شجرة من وراء الوادى فقال ادع إلى تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها فقال رسول الله ﷺ حسبى حسبى ورواه الدارمى من حديث أنس وأخرج الترمذى وصححه من حديث ابن عباس قال جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال بم أعرف أنك نبى الله؟ قال : إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أنى رسول الله قال: نعم فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبى ﷺ ثم قال ارفع فعاد فأسلم الأعرابى وقد روى مسلم من حديث جابر بنحوه قال سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به فإذا شجرتان فى شاطىء الوادى فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى علىّ بإذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ثم فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالنصف قال التئما على بإذن الله تعالى فالتأمتا .

(٢٧٦١) حديث: « دعا » ﷺ « النصارى إلى المباهلة » أى الملاعنة فامتنعوا عن ذلك « وأخبر »=

«وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله ﷺ فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته» (٢٧٦٢).

«وأخبر ﷺ أنه يقتل أبى بن خلف الجمحى فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه» (٢٧٦٣).

= ﷺ « إن فعلوا ذلك هلكوا » فعلموا صحة قوله « فامتنعوا » **قال العراقى :** رواه البخارى من حديث ابن عباس فى أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. اهـ.

(٢٧٦٢) حديث : « أتاه » ﷺ « عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله» ﷺ « فحيل بينهما وبين ذلك فدعا » ﷺ « عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته» **قال العراقى :** رواه الطبرانى فى الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسند لين .اهـ.

قال مرتضى : عامر بن الطفيل رئيس بنى عامر فى الجاهلية وقصة قدومه على النبى ﷺ مشهورة فإنه قدم على النبى ﷺ وهو ابن ثمانين سنة فقال له أبايعك على أن لى كذا وكذا وذكر شروطا فامتنع النبى ﷺ ودعا عليه فأصابته غدة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية .

(٢٧٦٣) حديث : « إخباره » ﷺ « أنه » ﷺ « يقتل أبى بن خلف الجمحى » القرشى وكان قد حضر مع المشركين يوم أحد وهو أخو أمية والمغيرة وعامر وأحيحة « فخدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته» **قال العراقى :** رواه البيهقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسلا .اهـ.

قال مرتضى : والذى فى الدلائل أنه لما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال ﷺ دعوه فلما دنا تناول النبى ﷺ الحربة من الحارث بن الصمت فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضا تطايروا عنه تطاير الشعرات عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله ﷺ فطعنه طعنة وقع بها عن ظهر فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من أضلاعه فلما رجع إلى قريش قال قتلنى والله محمد أليس قد كان قال بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدوّ الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة ورواه أيضا أبو نعيم فى الدلائل ولم يذكر فكسر ضلعا من أضلاعه قال الواقدى وكان ابن عمر يقول فمات أبى بن خلف ببطن=

«وأطعم ﷺ السم فمات الذى أكله معه وعاش هو ﷺ بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم» (٢٧٦٤).

= رابغ فإنى لاسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذ نار تأجج لى فهبتها وإذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتن بها يصيح العطش وإذا رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أبى بن خلف ورواه البيهقى أيضا .

(٢٧٦٤) حديث : « أنه » ﷺ « أُطعِمَ السم فمات الذى أكله معه وعاش هو » ﷺ « بعده أربع سنين وكلمه الذراع المسموم » **قال العراقى** : رواه أبو داود من حديث جابر وفى رواية له مرسلة أن الذى مات بشر بن البراء وفى الصحيحين من حديث أنس أن يهوديا أتت النبى ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها .... الحديث وفيه فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ . اهـ.

قال مرتضى : حديث أنس رواه البخارى عن عبد الله بن عبد الوهاب الجمحى حدثنا خالد بن الحارث حدثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس ورواه مسلم عن يحيى بن حبيب ابن عربى عن خالد بن الحارث وقد تقدم ذكره فى أول هذا الكتاب عند عفوه ﷺ وأما حديث جابر فلفظه أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها أسممت هذه الشاة قالت له اليهودية من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى الذراع قالت: نعم قال : فما أردت إلى ذلك قالت : قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار هكذا رواه أبو داود فى سننه عن سليمان بن داود المهرى حدثنا ابن وهب أخبرنا عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث فساق الحديث **وقول العراقى** فى رواية مرسلة .. الخ يشير إلى ما رواه أبو داود أيضا فقال حدثنا وهب ابن بقية أخبرنا خالد عن محمد بن عمر وعن أبى سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر قال فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية ما حملك على الذى صنعت فذكر نحو حديث جابر وأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت ولم يذكر امر الحجامة قال البيهقى فى الدلائل ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ويحتمل أنه لم يقتلها فى الابتداء ثم لما مات بشر أمر بقتلها وأخرج البيهقى أيضا من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل من قتل منهم أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهى ابنة أخى مرهب لصفية شاة مصلية وسمتها وأكثرت فى الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء=

«وأخبر ﷺ يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع» (٢٧٦٥) .

= الشاة إلى رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وأخو بني سلمة فقدمت إليهم الشاة المصلية فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها وتناول بشر بن البراء عظما فانتهش منه فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه فقال رسول الله ﷺ ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة أن قد نعيت فيها فقال بشر بن البراء والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك طعامك فلما أسغت ما فى فيك لم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما جول قال وفى رواية ابن فليح قال الزهرى قال جابر وبقى رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين كان وجعه الذى توفى فيه فقال مازلت أجد من الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر عداء حتى كان هذا أوان انقطع الأبهر منى فتوفى رسول الله ﷺ شهيدا هذا لفظ حديث موسى بن عقبة ورواه البيهقي أيضا من طريق معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى النبى ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه فقالت هدية وحذرت أن تقول من الصدقة فلا يأكل ثم ساق الحديث وفى اخره فاحتجم النبى ﷺ على كاهله وأمر أصحابه فاحتجموا فمات بعضهم قال الزهرى فأسلمت فتركها النبى ﷺ وأما الناس فيقولون قتلها النبى ﷺ .

(٢٧٦٥) حديث : « إخباره ﷺ » يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع » **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب .اهـ.

قال مرتضى : رواه مسلم عن شيبان وغيره عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال تراءينا الهلال فما من الناس أحد يزعم أنه رآه غيرى فقلت لعمر يا أمير المؤمنين أما تراه وجعلت أريه إياه فلما أعيا أن يراه قال فأراه وأنا مستلق على فراشى ثم أنشأ يحدثنا عن يوم بدر فقال إن رسول الله ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس هذا مصرع فلان إن شاء الله غدا هذا مصرع فلان إن شاء الله غدا فوالذى بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود وجعلوا يصرعون عليها ثم القوا فى القليب .... الحديث ورواه أبو داود والطيالسى عن سليمان بن المغيرة .

«وأنذر ﷺ بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان كذلك» (٢٧٦٦) .

«وزويت له الأرض فَأُرِيَ مشارقـها ومغاربها وأخبر بأن ملك أمتـه سيبلغ ما زوي له منها فكان كـذلك فقد بلغ ملكهم من أوّل المـشرق من بلاد الترك إلى آخر المـغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال» (٢٧٦٧) .

كما أخبر ﷺ سواء بسواء.

(٢٧٦٦) حديث : « إخبـاره » ﷺ « بأن طوائف من أمته يغزون فى البـحر فكان كذلك » **قـال العراقى :** متفق عليه من حديث أم حرام .اهـ.

قال مرتضى : رواه البخارى من طريق الموطأ لمالك عن اسحاق بن أبى طلحة عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا ذهب يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه فدخل عليها فأطعمته وجلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك . . . الحديث في شهداء البحر وفى آخره قال فـركبت أم حرام البـحر فى زمن معاوية فـصرعت عن دابتهـا حين خرجت من البـحر فمـاتت وفى بعض طرقه فى البخارى عن أنـس عن أم حرام بنت ملحان وكانت خـالته أن رسول الله ﷺ نام فـى بيتهـا فاستـيقظ وهو يضـحك وقال عرض علـىّ أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة قالت : فقلت : يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم قال إنك منهم ثم نام فـاستيقظ وهو يضحك فقلت يا رسـول الله ما يضحك قال عرض علىّ نـاس من أمتى يركبون ظهر البـحر الأخضر كـالملوك على الأسرة قلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم قال : أنت من الأوّلين قال فتزوّجها عبادة بن الصامت فأخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها قال ابن الأثير وكانت تلك الغزوة غزوة قبـرس فدفنت فيها وكان أمـير ذلك الجيش معاوية بـن أبى سفيان فى خلافة عـثمان وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة وذلك فى سنة سبع وعشرين .

(٢٧٦٧) حديث : « زُويت له » ﷺ « الأرض » فأرى « مشـارقها ومغاربها وأخـبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها فكان ذلك كما أخـبر فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخـر المغرب مـن بلاد الأندلس » بفتح الهـمزة وسكون النون وفـتح الدال وضم اللام اقليم بالمغرب « وبلاد البربر ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال » **قال العراقى :** رواه مسلم من حديث عائشة وفاطمة أيضًا. اهـ .

«وأخبر ﷺ فاطمة ابنته ﵂ بأنها أوّل أهله لحاقا به» (٢٧٦٨) فكان كذلك.

«وأخبر نساءه بأن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يدا بالصدقة أولهن لحوقا به ﵂» (٢٧٦٩).

(٢٧٦٨) حديث : « إخباره » ﷺ « فاطمة » ابنته رضوان الله عليها وهي الزهراء تكنى بأم أبيها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد أبيها ﷺ وهى أصغر البنات « أنها أوّل أهله لحاقا به» .

قال مرتضى: فكان كذلك فإنها توفيت بعده بستة أشهر رواه البخارى فى الصحيح عن عائشة قال الواقدى وهو المثبت وروي الحميدى عن سفيان عن عمرو بن دينار وأنها بقيت بعده ثلاثة أيام وقال غيره أربعة أشهر وقيل شهرين وعند الدولابى فى الذرية الطاهرة خمسة وتسعون يوما.

قال العراقى : متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا .اهـ.

قال مرتضى : أخرجاه من طريق مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشى كأن مشية رسول الله ﷺ فقال مرحبا بابنتى ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا فبكت ثم أسر إليها حديثا فحضكت فقلت ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سره فلما قبض سألتها فأخبرتنى أنه قال أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضنى العام مرتين وما أراه إلا وقد حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف إنا لك فبكيت فقال ألا ترضين أنى تكونى سيدة نساء العالمين فضحكت وأخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة قالت جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ فسألتها عنه فقالت أخبرنى أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت فقال ما يسرك أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت .

(٢٧٦٩) حديث : « أخبر » ﷺ « نساءه أن أطولهن يدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش» بن رياب بن يعمر « الأسدية » أخت عبد الله وحمنة وأم حبيبة بنى جحش أمهم أميمة عمة النبى ﷺ « أطولهن يدا بالصدقة وأولهن لحاقا به» **قال العراقى** : رواه مسلم من حديث عائشة وفى الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزى وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك .اهـ.

قال مرتضى : وفى الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا قال فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا قالت وكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق ومن طريق يحيى ابن سعيد عن عمرة عن عائشة نحوه وفيه قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا فى الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب=

«ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه» (٢٧٧٠) .

« وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية » (٢٧٧١) .

= بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبى ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة وكانت زينب امرأة صناع باليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق فى سبيل الله وروي ابن سعد بسند فيه الواقدى عن القاسم بن محمد قال : قالت زينب حين حضرتها الوفاة أني قد أعددت كفني وأن عمر سيبعث إلى بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا ومن وجه آخر عن عمرة قالت بعث عمر بخمسة أثواب فكفنت منها وتصدقت عنها اختها حمنة بكفنها الذى كانت اعدته قالت عمرة فسمعت عائشة تقول لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامى والأرامل وأخرج أيضا بسند فيه الواقدى عن محمد ابن كعب كان عطاء زينب بنت جحش اثنى عشر ألفا لم تأخذه إلا عاما واحدا فجعلت تقول اللهم لا يدركنى هذا المال قابلا فإنه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها فى أهل الحاجة فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراد بها خيرا فوقف عليها وارسل السلام وقال بلغنى ما فرقت فأرسل بألف درهم يستبقيها فسلكت به ذلك المسلك قال الواقدى ماتت سنة عشرين وأخرج الطبرانى من طريق الشعبى أن عبد الرحمن بن أبزى أخبره أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش وكانت أوّل نساء النبى ﷺ ماتت بعده .

(٢٧٧٠) حديث : « مسح » ﷺ « ضرع شاة حائل » يقال حالت الشاة وكذا الناقة والمرأة وكل أنثى حيالا بالكسر لم تحمل فهى حائل « لا لبن لها فدرت » اللبن « فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود » رضي الله عنه **قال العراقى** : رواه أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد .اهـ.

قال مرتضى : ورواه ايضا الطبرانى فى المعجم الصغير من حديثه كنت فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر فقال رسول الله ﷺ هل عندك لبن؟ قلت : نعم لكن مؤتمن عليها قال فهل عندك من شاة لم ينزل عليها الفحل؟ قلت : نعم فأتيته بشاة فمسح النبى ﷺ مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لها ضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبى ﷺ بصخرة منقعرة فاحلبت الشاة فسقى أبا بكر ثم سقانى ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان فلما رأيت هذا قلت يا رسول الله علمنى فمسح رأسى وقال بارك الله فيك فإنك غلام معلم .

(٢٧٧١) حديث : « مسح ﷺ ضرع شاة حائل فى خيمة أم معبد » عاتكة بنت خلف «الخزاعية»

قال مرتضي : تقدم حديث أم معبد هذه في ذكر حليته الشريفة وأشرت هناك أنه قد رويت هذه القصة أيضا من حديث أبى معبد وهو زوجها فلنسقها هنا أخرج البيهقى فى=

= الدلائل من طريق الحسن بن مكرم قال حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي حدثنا الحر بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة وهو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الرحمن بن أريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي فسألوها هل معها لحم أو لبن يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك فقالت لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى وإذا القوم مرملون مسنتون فنظر رسول الله ﷺ وإذا شاة في كسر خيمتها فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم قال فهل لها من لبن قالت بأبي وأمي هي أجهد من ذلك قال تأذنين لي أن أحلبها قالت : إن كان بها حلب فأحلبها قال فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله تعالى ومسح ضرعها وذكر اسم الله تعالى ودعا بإناء لها بربض الرهط فتفاجت ودرت واجترت فحلب فيها ثجا حتى علاه الثمال فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل حتى أراضوا وشرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا الحديث وأخرج البيهقي أيضا من طريق محمد بن عمر أن ابن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأسد بن موسى كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا عبد الرحمن الأصبهاني قال سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلة عن أبي بكر ﷺ قال خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حي من إحياء العرب فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متنحيا فقصد إليه فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى قال : فلم يجبها وذلك عند المساء فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها فقالت له : يا بني انطلق بهذا العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمي إذبحا هذه وكلا واطعمانا فلما جاء قال له النبي ﷺ انطلق بالشفرة وجئني بالقدح قال إنها قد عزفت وليس لها لبن قال انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ثم قال انطلق به إلى أمك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال : انطلق بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي ﷺ قال فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا وكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة فمر أبو بكر ﷺ فرآه ابنها فعرفه فقال يا أمه إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك فقامت إليه فقالت يا عبد الله من الرجل الذي كان معك قال وما تدرين من هو قالت : لا قال : هو النبي ﷺ قالت : فادخلني عليه قال فادخلها عليه وأهدت إليه شيئا من أقط ومتاع الأعراب قال فكساها وأعطاها قال : ولا أعلمه إلا قال أسلمت قال البيهقي وهذه القصة وإن كانت تنقص على ما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة وقد ذكر ابن إسحاق من قصة أم معبد شيئا يدل على أنها وهذه القصة واحدة والله أعلم ثم ساق من طريق ابن إسحاق قال فنزل رسول الله ﷺ بخيمة=

« وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها ﷺ بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما » (٢٧٧٢) .

= أم معبد فأرادا القرى قالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله عز وجل وحلب في العس حتى ارغى وقال اشربي يا أم معبد فقالت أشرب أنت فأنت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامرا ثم تروح وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا رأيت محمدا إن حليته كذا فوصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد ضافني حالب الحائل قالت قريش فذاك الذى نريد قال البيهقى فيحتمل أن يكون أولا رأى التى فى كسر الخيمة كما روينا فى حديث أبى معبد ثم رجع ابنها باعنز كما روينا فى حديث ابن أبى ليلى ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم وذكر البيهقى قصة أخرى تناسب فى الباب أخرجها من طريق إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبى ﷺ وأبو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستقياه اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء وقد أخرجت وما بقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبى ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال أو تراك تكتم على حتى أخبرك قال : نعم قال : فإنى محمد رسول الله ﷺ فقال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ قال : إنهم ليقولون ذلك قال : فأشهد أنك نبى وأشهد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى وأنا متبعك فقال : إنك لا تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا .

(٢٧٧٢) حديث: « ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها » ﷺ « فكانت أصح عينيه وأحسنهما » **قال العراقى** : رواه أبو نعيم والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة من حديث قتادة ابن النعمان وهو الذى سقطت عينه ففى رواية البيهقى أنه كان ببدر وفى رواية أبى نعيم أنه كان بأحد وفى إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقى فيه من حديث أبى سعيد الخدرى . اهـ.

قال مرتضى : قال البيهقى فى الدلائل فى أثناء سياق غزوة بدر أخبرنا أبو سعد المالينى أخبرنا أبو أحمد بن عدى الحافظ حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحمانى حدثنا عبد الرحمن ابن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله ﷺ فقال لا فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت.

قال مرتضى: ويحيى الحمانى ضعيف ولم ينبه عليه العراقى وفى المواهب للقسطلانى وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها رسول الله ﷺ =

«وتفل في عين علي ﵁ وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية» (٢٧٧٣).

= فقال يا رسول الله : إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال :

أبونا الذي سالت على الخدّ عينه ... فردّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأوّل أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلي : ورواه محمد بن أبي عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب عن مالك تفرد به عمار ابن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحاربي عن عمار بن نصر وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الدلائل عن قتادة قال كنت يوم أحد اتقى السهام بوجهي دون وجه رسول الله ﷺ فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا .

(٢٧٧٣) حديث : « تفل » ﷺ « في عين علي » كرّم الله وجهه « وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية » **قال العراقي** : متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضا . اهـ.

قال مرتضى : حديث سهل بن سعد رواه الشيخان وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل كلهم من طريق قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقال هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فدعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك أن يكون لك من حمر النعم قال أبو نعيم في الحلية بعد سياقه الحديث رواه سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وسلمة بن الأكوع نحوه في المحبة ولحديث=

= سلمة طرق فمن أغربها ما حدثنا أبو بكر بن خلاد ثم ساق سنده إلى محمد بن إسحاق حدثنا ابن بريدة بن سفيان الأسلمى عن أبيه عن سلمة بن الأكوع قال بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بن أمية إلى حصون خيبر يقاتل فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله علي يديه ليس بفرار قال سلمة فدعا بعلى وهو أرمد فتفل فى عينيه فقال هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله على يدك . . . الحديث وقال غريب من حديث ابن بريدة عن أبيه فيه زيادات ألفاظ لم يتابع عليها وصحيحه من حديث يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع .

قال مرتضى : ورواه البيهقى من هذا الوجه إلا أنه قال حدثنا ابن بريدة بن سفيان عن فروة الأسلمى عن أبيه عن سلمة هكذا هو فى نسخة الدلائل وعليها سماع **الحافظ العراقى** وفيه زيادات كما أشار إليه أبو نعيم وأخرج البيهقى أيضا من طريق الحسين بن واقد المروزى عن عبد الله بن بريدة قال أخبرنا أبى قال لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له فساق الحديث نحوه وفيه لادفعن لواءنا غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح له . . . الحديث وفيه فدعا على بن أبى طالب وهو يشتكى عينه فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح . . . الحديث وأخرج أيضا من طريق المسيب ابن مسلم الأزدى قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا أشد من الأول ثم رجع فاخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم على فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فاصبح وجاء على على بعير له حتى أناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطرى فقال رسول الله ﷺ ما لك قال رمدت بعدك قال أدن مني فتفل فى عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله . . . الحديث وروي الشيخان عن قتيبة بن سعيد عن حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة بن الأكوع قال كان على قد تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر وكان رمدا فقال أنا أتخلف عن النبى ﷺ فخرج على فلحق بالنبى ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتح الله فى صباحها قال ﷺ لأعطين الراية غدا أو قال ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال يفتح الله عليه فإذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا هذا على فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه وهكذا رواه الحسن بن سفيان فى مسنده عن قتيبة بن سعيد ومن طريقه أبو بكر الإسماعيلى في المستخرج وأخرج البيهقى من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثا طويلا وفيه قال فارسل رسول الله ﷺ إلى على يدعوه وهو أرمد فقال=

«وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ » (٢٧٧٤) .

= لأعطين .... الحديث . وفيه قال فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرئ فأعطاه الراية .... الحديث وقد أخرجه مسلم في الصحيح وأخرج أبو داود والطيالسي والطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولاصدعت منذ دفع إليّ ﷺ الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث علي قال فوضع رسول الله ﷺ رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قام يوم خيبر فوعظ الناس فلما فرغ من موعظته دعا عليّ بن أبي طالب وهو أرمد فبصق في عينيه ودعا له بالشفاء .... الحديث وقد وقع مثل ذلك لرفاعة بن رافع بن مالك قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما آذاني منها شيء رواه البيهقي في الدلائل ولفديك نفث في عينيه وكانا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان ورواه ابن أبي شيبة والبغوي وأبو نعيم والبيهقي والطبراني .

(٢٧٧٤) حديث : « كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه » ﷺ **قال العراقي** : رواه البخاري من حديث ابن مسعود .اهـ.

قال مرتضى : التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معني التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي سماعهم التسبيح تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته ﷺ قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال إنكم تعدون الآيات عذابا وكنا نعدها بركة على عهد رسول الله ﷺ قد كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام ... الحديث ورواه أبو بكر والإسماعيلي في المستخرج عن الحسن بن سفيان عن محمد بن بشار عن أبي أحمد ورواه البيهقي في الدلائل من طريقه وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ﷺ فسبح رواه عياض في الشفاء ونقله عنه الحافظ في الفتح ومن ذلك تسبيح الحصى في كفه ﷺ روى من حديث أبي ذر قال: تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينًا ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع أحد منا قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن أبي الأخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويدا بن يزيد السلمي عن أبي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري . =

« وأصيبت رِجْلُ بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرأت من حينها» (٢٧٧٥) .

= **قال مرتضى** : يشير إلى ما أخرجه محمد بن يحيي الذهلي في الزهريات أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال هجرت يوما من الأيام فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس وكأني أراه في وجي فسلمت عليه فرد عليّ السلام ثم قال ما حاجتك قلت الله ورسوله فأمرني أن اجلس فجلست إلى جنبه لأسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر يمشي مسرعا فسلم فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال جاء بي الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلي جنب عمر ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كفه ثم أخذهن منه فوضعهن على الأرض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ثم ناولهن عثمان فسبحان في كفه كنحو ما سبق في كف أبي بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس .

(٢٧٧٥) حديث: « أصيب رجل بعض أصحابه فمسحها » ﷺ « بيده فبرأت من حينها» **قال العراقي** : رواه البخاري في قصة قتل أبي رافع .اهـ.

قال مرتضى: قال البخاري حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن فلان وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه اجلسوا مكانكم فإني منطلق فمتلطف للبوّاب فلعلي أدخل قال فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّاب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد على ود قال فقمت إلى الأقاليد ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي فلما أن ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقته عليّ من داخل قلت إن القوم قد نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت: يا أبا رافع قال : من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنى=

«وقل زاد جيش كان معه ﷺ فدعا بجميع ما بقى فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك» (٢٧٧٦).

= شيئا فصاح قال فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك الويل إن رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال : فاضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صدر السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره فعلمت أنى قد قتلته فجعلت أفتح الأبواب بابا فبابا حتي انتهيت إلى درجة فوضعت رجلى وأنا لا أرى إلا أنى قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت لا أبرح الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال أنعى أبا رافع فانطلقت إلى أصحابى فقلت النجاء النجاء قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبى ﷺ وحدثناه فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنى لم أشكها قط ورواه الحسن بن سفيان فى مسنده عن إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا عبيد الله ابن موسى وعند الإسماعيلى فى المستخرج ورواه الإسماعيلى أيضا عن المنيعى أخبرنا أبو بكر ابن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى وقال موسى بن عقبة قال ابن شهاب قال ابن كعب فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال أفلحت الوجوه قالوا أفلح وجهك يا رسول الله قال أقتلتموه قالوا : نعم قال : ناولونى السيف فسله فقال أجل هذا طعامه فى ذباب السيف وأخرج البخارى عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى عن شريح ابن سلمة عن إبراهيم بن يوسف بن إسحاق عن أبيه عن أبى إسحاق قال سمعت البراء قال بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة فى إناس معهم فساق الحديث نحو سياق حديث عبيد الله بن موسى إلا أنه ليس فيه فقال ابسط رجلك .. إلخ وقد رواه البيهقى فى الدلائل من طريق محمد بن الحسن الخثعمى عن أحمد بن عثمان.

(٢٧٧٦) حديث : « قل زاد جيش كان معه » ﷺ « فدعا بما بقى فاجتمع شيء يسير » جدا « فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء فى العسكر إلا ملئ من ذلك » **قال العراقى:** متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع .اهـ.

قال مرتضى : وروى مسلم من حديث أبى هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال : نعم ودعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ اشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وقد تقدم صدر هذه القصة عند ذكر تكثير الطعام .

«وحكى الحكم بن العاص بن وائل مشيته ﷺ مستهزئا فقال ﷺ كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات» (٢٧٧٧).

«وخطب ﷺ امرأة فقال له أبوها أن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال ﷺ فلتكن كذلك فبرصت» (٢٧٧٨).

(٢٧٧٧) حديث : « حكى الحكم بن العاصي » بن أمية بن عبد شمس كذا في النسخ وصوابه الحكم بن أبي العاصي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان « مشيته » ﷺ « مستهزئا به فقال » ﷺ : « فكذلك كن فلم يزل يرتعش حتى مات » **قال العراقي** : رواه البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديجة بإسناد جيد وللحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . اهـ.

قال مرتضى : أورد ابن منده في معجم الصحابة في ترجمة هند بن هند بن هند من طريق حسان بن عبد الله الواسطي عن السرى بن يحيى عن مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النبي ﷺ قال مر النبي ﷺ بالحكم أبي مروان فجعل يغمز بالنبي ﷺ ويشير بأصبعه حتي التفت النبي ﷺ فقال اجعله ورعا يعني ارتعاشا قال فرجف مكانه وهكذا أخرجه أبو حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من هذا الوجه ومالك ابن دينار لم يدرك هند بن أبي هالة وإنما أدرك ابنه فكأنه نسبه لجده وقد ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أن رواية هند بن هند عن أبيه مرسلة وجرى أبو عمر على ظاهره فذكر هذا الحديث لهند بن أبي هالة وروي الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال كان الحكم بن أبي العاصي يجلس عند النبي ﷺ فإذا تكلم اختلج فبصر به النبي ﷺ فقال كن كذلك فما زال يختلج حتى مات ، في إسناده نظر وأخرجه البيهقي من هذا الوجه وفيه ضرار بن صرد وهو منسوب للرفض وبه تعلم أن **قول العراقي** بإسناد جيد فيه نظر وأخرج البيهقي أيضا من طريق مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النبي ﷺ فساقه مثل سياق ابن منده وأبي حاتم الرازي وقد نفى رسول الله ﷺ الحكم المذكور إلى الطائف وذكر أبو عمر في النسب قولا في سبب نفيه أنه كان يحكيه في مشيته وقيل لأنه كان يشيع بسر رسول الله ﷺ وقيل غير ذلك ومات الحكم في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين .

(٢٧٧٨) حديث : « خطب » رسول الله ﷺ « إمرأة فقال أبوها أن بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال » ﷺ : « فلتكن كذلك فبرصت المرأة » وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر **قال العراقي** : هذه المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلقيح وسماها جمرة بنت الحرث بن عوف المزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي ﷺ ولم يصح ذلك . اهـ.

وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ وإنما اقتصرنا على المستفيض.

ومن يستريب فى انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب فى شجاعة على رضي الله عنه وسخاوة حاتم الطائى.

ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى فى تواتر القرآن وهى المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبى معجزة باقية سواه ﷺ ، إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب، وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء : ٨٨).

= **قال مرتضى** : وقيل اسمها أمامة وقيل قرصافة وهو الأكثر وهى ابنة الحارث بن عوف ابن على بن حارثة المزنى وأبوها من فرسان الجاهلية وكان قد بقى عليه شىء من دمائهم فلما أسلم أهدره النبى ﷺ وكان النبى ﷺ خطب إليه ابنته فقال لا أرضاها لك إن بها سوأ ولم يكن بها فرجع فوجدها قد برصت فتزوجها ابن عمها يزيد بن حمزة المزنى فولدت له شبيبا فعرف بابن البرصاء واسم البرصاء قرصافة ذكر ذلك الرشاطى .

قال مرتضى : **وذكر العراقى فى تخريجه** قبل هذه المعجزة معجزة أخرى وهذا لفظه : حديث : يد طلحة لما زاد ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حتى مسحها بيده **قال العراقى** : رواه النسائى من حديث جابر : لما كان يوم أحد وفيه : فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها وللبخارى من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى ﷺ يوم أحد .اهـ.

قال مرتضى : هذا آخر كلامه ولم أجد ذلك فى نسخ الإحياء الموجودة عندى .

وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصـرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبى وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه.

ثم انتشر ذلك بعده فى أقطار العـالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصـرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقـدر أحد على معارضته فأعظم بغباوة من ينظر فى أحواله ثم فى أقـواله ثم فى أفعاله ثم فى أخـلاقه ثم فى معـجزاته ثم فى استمـرار شرعه إلى الآن ثم فى انتشاره فى أقطار العـالم ثم فى إذعان ملوك الأرض له فى عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك فى صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه فى كل ما ورد وصـدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به فى الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده .

تم كتاب «آداب المعيشة وأخلاق النبوة» بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب «شرح عجائب القلب» من ربع المهلكات .



فهرس ربع العادات

الموضوع الصفحة

الكتاب الأول من ربع العادات

الموضوع الصفحة

الكتاب الثانى من ربع العادات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الكتاب الثالث من ربع العادات

الموضوع **الصفحة**

الكتاب الرابع من ربع العادات

الموضوع الصفحة

الكتاب الخامس من ربع العادات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الكتاب السادس من ربع العادات

الموضوع — الصفحة

الكتاب السابع من ربع العادات

الموضوع **الصفحة**

الكتاب الثامن من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامًا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب